بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه، وصلى الله على النبى محمد[١] وأوليائه، ونسأله أن يجعلنا ممن ابتدأه بفضله ونعمته وأعقبه برأفته ورحمته وأن يجعلنا ممن أسبل عليه نور عصمة الأنبياء، وحصّن قلوبهم بطهارة النقاء، إنه لطيف لما يشاء. قال الشيخ أبو القاسم الراغب رحمه الله تعالى:

القصد فى هذا الإملاء إنْ نفّسَ الله فى العُمْر، ووقانا من نُوَبِ الدَّهْرِ، وهو مرجوٌّ أن يُسْعِفنا بالأمرين أن نبين من تفسير القرآن وتأويله نكتاً بارعةً تنطوي على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين وَمَنْ دُونَهُمْ من السلف المتقدمين رحمهم الله[٢] إشارةً مجملةً، نبين[٣] من ذلك ما ينكشفُ عنه السر ويُثْلَجُ[٤] به الصدر. وفقنا الله لمرضاته برحمته وجعل سعينا مسعوداً وفعلنا فى الدارين[٥] محموداً، فمنه يُستجلب مبدأُ التوفيقِ ومنتهاهُ.

(فُصُولٌ لَابُدَّ مِنْ بَيَانِهَا فِي مُبْتَدَإ[٦] الْكِتَابِ)

"فصلٌ فى بيان ما وقع فيه الاشتباه من الكلام المفرد والمركب"

الكلام ضربان: مفردٌ ومركبٌ، فالمفرد المسمى بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحي سُمي بذلك، فأما بالوضع[٧] الأول، فكله يسمى اسماً، ويحق[٨] إن صار ثلاثة أقسام، فإن الكلام إما أن يكون مُخْبَراً عنه وهو الملقب بالاسم، وإما خبراً وهو الملقب بالفعل، وإما رابطاً بينهما وهو الملقب بالحرف، والقسمة لا تقتضي[٩] غير ذلك، وما كان من الخبر نحو "فَاعِل» و"مُفعَل"، والبصريون يسمونه إسماً اعتباراً بأحكامٍ لفظيةٍ، لأنه يدخله ما يدخل الأسماء من التنوين والجر وحروفه[١٠] الألف واللام، ويُخبرُ عنه، والكوفيون يسمونه الفعل الدائم.

١- ساقطة من «ن - م» ومن « د - ك»

٢- زيادة لابد منها ليستقيم الكلام.

٣ - فى «ن-م» ونبين

٤ - فى "أ-ص" ويبلج وكذلك فى « د - ك » .

٥ - فى ن - م في الدين

٦ - فى "أ-ص" مبدأ. وفى «ن . م » مبدأ ، وكذلك فى «د-ك»

٧ - يريّد بالوضع الأول ما جاء في قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها)، وقال الراغب في مفرداته: الأسماء: أي الألفاظ والمعاني مفرداتها ومركباتها.

٨ - فى ن - م والحق.

٩ - فى "أ-ص" لا يقتضي، وهو خطأ من الناسخ.

١٠ - فى "أ - ص " وحروفه والألف واللام وكذلك في (ن - م).

أما الفعل: فاعتباراً بالمعنى، وهو إن قائماً فيه معنى يقوم، وأما الدائم فلأنه يصلح للأزمنة الثلاثة وإن كان الحال أولىٰ به فى أكثر المواضع [١] والأصل فى الألفاظ : أن تكون مختلفةً بحسب اختلاف المعانى، لكن ذلك لم يكن فى الإمكان، إذ كانت المعاني بلا نهاية، والألفاظ مع اختلاف تراكيبها [٢] ذات نهاية، وغير المتناهي لا يحويه المتناهي، فلم يكنْ بُدٌ من وقوع اشتراك في الألفاظ.
ويجب أن يُعلم أن للفظ مع المعنى خمس أحوال. الأول: أن يتفقا فى اللفظ والمعنى، فيسمى "اللفظ المتواطىء"، نحو "الإنسان" إذا استُعمل في "زيد" و"عمرو". الثانى[٣] : أن يختلفا فى اللفظ والمعنى، ويسمى المتباين نحو "رَجُلٌ" و"فَرَسٌ"، والثالث:[٤] أن يتفقا في المعنى من دون [٥] اللفظ، ويسمى:"المترادف"، نحو "الحُسَامِ" و"الصَّمْصَامِ". الرابع: أن يتفقا في اللفظ ويختلفا في المعنى، ويسمىٰ :"المشترك" والمتفق، نحو "العَيْنِ" المستعملة في "الجارحة" و"مَنْبَعِ الماءِ" و"الدَّيْدَبَان"، [٦] وغير ذلك.. والخامس: أن يتفقا في بعض الألفاظ[٧] وبعض المعنى، ويسمىٰ "المشتقُّ"، نحو: "ضارب" و"ضرب"، والذى يقع فيه الاشتباه من هذه الخمسة: "الألفاظ المشتركة"، و"الألفاظ المتواطئة": هل هي عامةٌ "أوخاصةٌ" ، و"المشتقة" مما اشتق! كقولهم: "النبى"، و"البرية"، منهم من قال: من "أنبأ، و"بَرَأَ"، فترك[٨] الهمزة، ومنهم من قال : من "النَّبْوة"، [٩] وهي الرَّبْوة، ومن "الْبَرَى" وهو :التراب...

(فصلٌ فى أوصافِ اللفظِ المشتركِ)

اللفظ إنما يحصل فيه التشاركُ بأن يستوي اللفظان في ترتيب الحروف وعددها وحركاتها، ويختلفا في المعنى نحو :"عينٌ"[١٠] و"كلبٌ" فأما[١١] إذا اختلف ترتيب الحروف نحو "حلِم" و"حَمْل" أو

١ – زيادة من "أ – ص".
٢ – في "أ – ص" تركيبها، وكذلك فى ن – م .
٣ – في "أ – ص" والثانى، وكذلك فى ن – م ، د.ك .
٤ – في ن – م الثالث ، وكذلك فى «د–ك»
٥ – في "أ – ص" دون.
٦ – قال صاحب لسان العرب: "الديدبان" الطليعة، وفي المعجم الوسيط: الديدبان: الطليعة وهو لفظ فارسيٌ معربٌ، وأصله ديدبان، فلما أعرب غُيرت الحركة وجعلت الذال دالاً، وذكره السيوطي في كتابه: "المزهر" ضمن الألفاظ التي تدل عليها كلمة (عين). وهي في : "أ – ص" الديدبان.
٧ – في "أ – ص" فى بعض اللفظ وكذلك فى « ن – م »..
٨ في ن – م فتركت.
٩ – في «د – ك» من النبوة: أي الرفعة، وقال الراغب فى المفردات: قال بعض العلماء وسُمِّى نبياً لرفعة محلِّه عن سائر الناس.
١٠ – قال الراغب فى المفردات: العين الجارحة قال: والعين بالعين، لنطمسنا على أعينهم، وأعينهم تفيض من الدمع، قرة عين لي ولك، كى تقر عينها، وتُستعار العين لمعان هى موجودة في الجارحة بنظرات مختلفة، واشتُق منها "سقاء عين"، و"معين" إذا سال منها الماء.. وقيل للمتجسس : عين تشبيهاً بها في نظرها، ويقال لمنبع الماء: عينٌ، تشبيهاً بها لما فيها من الماء، وانظر "المزهر للسيوطي: ١/٣٧٢-٣٧٥.. وقال الراغب في المفردات: الكلب : الحيوان النباح.. والكلب: المسمار في قائم السيف.. والكلب: نجم في السماء مشبهٌ بالكلب لكونه تابعاً لنجم يقال له: "الراعى" مقدمة جامع التفاسير ص ٣١.
١١- في ن – م فأنما

العدد نحو [١] العناء" والعنَّاء، و"قَدَرٌ" و"قدَّر"، أو الحركة نحو : "قَدِمَ"، و"قَدُم"، أو لم يختلفا في المعنى نحو :"الإنسان" إذا استُعْمِل في "زيد" و"عمرو" فليس شيءٌ من ذلك من الأسماء المشتركة، فإن الذي اختلف في العدد ربما كان من المشترك نحو: "ضاربٌ" و"ضَرْبٌ"، وربما كان من المتباينة نحو "القنا"، و"القَنَابِل"[٢]، وربما كانت الكلمة صورتها صورة المشترك في اللفظ، وتكون [٣] من المشتقة لاختلاف تقديرهما [٤]، نحو "المختار: إذا كان فاعلاً، فإن تقديره: "مُفْتَعِلٌ"، وإذا كان مفعولاً فإن تقديره "مفتعل"، وكذا فلانٌ منحلٌّ، وأمرٌ مُنحَلٌّ فيه،، و"الفُلْك" إذا كان واحداً "كَقُفْل"، وإذا كان جمعاً فإنه كَوَثَنٍ، وناقةٍ "هجان"، وامرأة "ضِنَاك"،[٥] فإنها كحمار، ونوق "هجان" كقومٍ كرامٍ، وعلى ذلك: هم "يغزون" نحو :"يخرجون، وهُنَّ "يَغْزُوْنَ" نحو[٦] "يَخْرُجْن" وأنت "تَغْضِين" نحو "تشتمين"، وأنتن "تَغْضِيَن" نحو، "تَشْتُمْن"، ونحو "دَبْر" مصدر دَبَرَ" وجمع "الدَّابِر" نحو "رَكْب"، وكثيراً ما يلتقى فرعان بوضعنا[٧] للفظين متفقين في الصيغة، وهما مختلفان في المعنى، نحو "المصباح" لما يُشْرَبُ منه الصبوح، ولما يُشتق من "صَبَحْت" أى أسْرَجْت[٨]، واشتكى لإظهار الشكوى، ولاتخاذ شَكْوة [٩] اللبن..

(فصل : الاشتراك في اللفظ يقع لأحد وجوه)

إما أن يكون في لغتين نحو "الصقر" للبن إذا بلغ غاية الحموضة في لغة أكثر العرب[١٠] و"الصقر" للدبس في لغة أكثر أهل المدينة، وإما أن يكون أحدهما منقولاً عن الآخر أو مستعاراً، والفرق بينهما: أن المنقول هو الذي ينقله أهل صناعةٍ ما عن المعنى المصطلح عليه أولاً إلى معنى آخر قد تفردوا بمعرفته، فيبقى من بعد مشتركاً بين المعنيين وعلى ذلك الألفاظ الشرعية نحو الصلاة

---

١ – في (ف–ض)، "أ – ص": العنا– العُنا وهو تصحيف وفي "ط–س" الغنَاء، والغنَّاء، وهذا هو الأصح، لأن المراد: اختلاف عدد الحروف، والعدد في الكلمتين لا يختلف الا بتشديد أحد الحروف.. وفي ن–م القنا والقنا وكذلك في (د.ك) .

٢ – القنابل : جمع قنبل، والقنبل: الطائفة من الناس ومن الخيل، وقيل: هم ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو نحو ذلك.. لسان العرب– المعجم الوسيط.

٣ – في (ف – ض)، "أ–ص": ويكون وكذلك في «د–ك» ، وفي "ط–س"، (وتكون)، وهو الأصح.

٤ – في "ط–س": تقديرها ، وكذلك في ن– م

٥ – الضناك: الضخمة، وفي المعجم الوسيط: الضناك: الموثق الخَلْقِ الشديدُ ، وفي «د–ك» ضنال

٦ – ساقطة من ن – م

٧ – ساقطة من (ط – س)، وكذلك من«ن–م»

٨ – في (ط–س) أسرحت، وهو تصحيف. وقال الراغب في المفردات: المصباح ما يُسقى منه، ومن الإبل ما يبرك فلا ينهض حتى يصبح، وما يجعل فيه المصباح قال تعالى: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة)، ويقال للسراج مصباح والمصابيح أعلام الكواكب.

٩ – قال الراغب في المفردات: الشكو، والشكاية، والشكاة، والشكوى : إظهار البث .. وأصل الشُكْو : فتح الشكو وإظهار ما فيه وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء.

١٠ – قال صاحب اللسان: "والصقر": اللبن الشديد الحموضة.. وقال الأصمعي: إذا بلغ اللبن من الحمض ماليس فوقه شئ فهو "الصقر"، وقال شمر: الصقر: الحامض الذي ضربته الشمس فحمض.

والزكاة، والألفاظ[١] التى يستعملها الفقهاء والمتكلمون والنحويون. وأما المستعار: فالاسم الموضوع لمعنى فتستعيره لمعنى آخر له اسم وضعي غيره، فتستعمله فيه لمواصلة توجد بين المعنيين كتسميتها[٢] الشجاع بالأسد، والبليد بالحمار. والفرق بين حكم المنقول والمستعار أن المنقول شرطه أن يتبع فيه أهل تلك الصناعة والمستعار لكل أحد[٣] أن يستعير فيستعمله إذا قصد معنى صحيحاً، فيكون متضمناً لمعنى التشبيه نحو أن تقول[٤] : ركبت "برقاً"، فتعنى[٥] به فرساً كالبرق سرعة، ورأيت بحراً، أى سخياً كالبحر. وأما المشتق: فشرطه أن يشارك المشتق منه في حروفه الأصلية ويوجد فيه ببعض[٦] معناه، ويخالفه إما فى الحركات نحو "ضَرَبَ" و"ضُرِبَ" أو في الزوائد من الحروف نحو "ضَرَّبَ" وضارب" و"استضرب" أو فى التقدير نحو "المختار" إذا كان فاعلاً أو مفعولاً وسائر ما تقدم. فقد بان بهذه الجملة أنواع مفردات الألفاظ وما يقع فيه الاشتباه.، وأما المركب من اللفظ: فما ركب من هذه الثلاثة، والتركيب على ضربين: تركيب يحصل به جملة مفيدة، وذلك: إما «من»[٧] اسمين أو «من»[٨] اسم وفعل، أو تقدير[٩] ذلك. وتركيب لا يحصل به ذلك، ويكون إما من اسمين يجعلان اسماً[١٠] واحداً، نحو خمسة عشر، وبعلبك. أو اسم مضاف إلى اسم نحو عبد الملك، أو اسم وفعل نحو : تأبط شراً، أو اسم وحرف[١١] نحو "سيبويه"[١٢] ، أو فعل وحرف نحو "هلم"، أو حرفين نحو "إنما" أو من جملٍ من الكلام، وذلك لا يكون إلا بحذف بعضها نحو "بسملة"، و"حيعلة"، و"حوقلة" فى قولهم: بسم الله، وحي على الصلاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله - وجميع ما يقع فيه الشبهة[١٣] من الكلام المركب لا يخلو: إما أن يكون لشئ يرجع إلى مفردات الكلام وذلك على

١- فى ن-م أو الألفاظ.

٢- فى ن-م كتسمية وكذلك فى (د-ك).

٣- فى ن-م لكل واحد.

٤ - فى : (ط-س): يقول.

٥ - فى : (ط-س): فيعنى.

٦ - فى (ط-س) بعض.

٧ - فى: «ط-س» :فى.

٨ - فى :«ط-س» : فى.

٩ - أو تقديره ذلك فى ن-م.

١٠- ساقطة من ن-م.

١١- فى ن-م وصوت ، وكذلك فى «د-ك» وفى (أ-ص). اسم وصوت ولعل هذا أصوب من (حرف)، لأن الكلمة فارسية

١٢- جاء فى لسان العرب: "والسيِّب: التفاح- فارسي- قال أبو العلاء: وبه سُمِّى (سيبويه)، سيب: تفاح و"ويه" رائحته. فكأنه رائحة تفاح.. وفى المعجم الوسيط: السبب: مجرى الماء، والتفاح، ومنه (سيبويه): ومعناه رائحة التفاح.

١٣- فى : (أ - ص) الشبه. وكذلك فى (ن-م).

التفصيل المتقدم، وأما لشيئ لا يرجع إلى ذلك، وذلك لا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى، أو من جهة اللفظ، فأما ما كان من جهة المعنى: فلا سبيل إلى إزالته بتغيير[١] العبارات وذاك أن المعاني ضربان، جليٌّ وغامض، فالجليُّ: ما يمكن إدراكه بأدنى تأملٍ، كقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[٣] إلى قوله : ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤]، وأما الغامض: فعلى ثلاثة أضرب، الأول: أن يكون المعنى فى نفسه خفيّاً، نحو الكلام فى صفات الباري- سبحانه- ونفى التشبيه عنه، والثاني: أن يكون الكلام أصلاً يشتمل على فروع تتشعب[٥] منه كالآيات الدالة على الأحكام، والثالث: أن يكون مثلاً وإيماءً[٦]، كقولهم: "الصَّيفُ ضَيَّعتِ[٧] اللَّبَنَ"، وذلك لأن ظاهره ينبيُ عن شيٍ والمقصود غيره، وذلك فى القرآن كقصة موسى مع الخضر فى كسر[٨] السفينة، وقتل النفس[٩] الزكية بغير نفس، وإقامة جدارٍ من غير[١٠] نفع ظاهر، وكقصة الخصمين "إذ دخلوا على داود ففزع منهم[١١]"، وكقوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[١٢] ، واللفظ أيضاً ضربان: لفظٌ جليٌّ، وهو أن يقع كيفيات الله للفظ وكمياته على حسب ما يجب[١٣] نحو: «قوله تعالى»[١٤]: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٥] ولفظ غامض، وذلك من ثلاثة أوجهٍ: إما من جهة الكيفية، وذلك بتقديم ما يقدر تأخيره.

١- فى : (أ-ص): بتعيين، وهو تصحيف، وكذلك فى (ن-م).
٢- سورة النساء: الآية (٣٦).
٣- سورة الأنعام : الآية (١٥١).
٤- سورة الأنعام: الآية (١٥٣).
٥- فى : (أ-ص) يتشعب.
٦- فى ن-م دائماً.
٧- فى: (أ-ص): "فى الصيف ضيعت اللبن"، وكذلك في (د-ك).
٨- يريد: خرق السفينة، وذلك إشارة إلى قوله تعالى: (فلما ركبا فى السفينة خرقها) الآية. (٧١) من سورة الكهف
٩- يريد بذلك الإشارة إلى قوله تعالى: (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس) الآية : (٧٤) من سورة الكهف
١٠- يشير بهذا إلى قوله تعالى: (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) الآية: (٧٧) سورة الكهف
١١- يشير إلى قوله تعالى : (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) الآية(٢١) سورة ص.
١٢- سورة النمل : الآية (٨٢).
١٣- زيادة من : (ف-ض).
١٤- ساقطة من (ن-م).
١٥ - سورة الفاتحة - الآية :(٢) .

أو تأخير ما يقدر تقديمه نحو قول الشاعر:

وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكاً ∴ أَبُــو أُمِّهِ حَــيٌّ أَبُــوهُ يُقَارِبُهْ(١)

وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**(٢).

وأما من جهة الكمية، وذلك إما من جهة البسط فى الكلام، أو من جهة الحذف والإيجاز، فما كان من جهة البسط فكقوله تعالى: **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾**(٣) الآية، وكقوله: **﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾**(٤)، وما كان من جهة الإيجاز والحذف، كقوله : **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾**(٥)، وأما من جهة الإضافة، وذلك بحسب اعتبار حال المخاطب نحو قولك: افعل فى الطلب والشفاعة والأمر..

(فَصْلٌ(٦) فِى الآفَاتِ(٧) المانعة مِنْ فَهْمِ المُخَاطَبِ مُرَادَ المُخَاطِبِ)

الآفات المانعة من ذلك ثلاثة: الأولى: راجعة إلى الخطاب؛ إما من جهة اللفظ، أو من جهة المعنى، وقد تقدم ذلك، والثانية: راجعة إلى المخاطِب، وذلك لضعف تصوره لما قصد(٨) الانباء عنه، أو قصور عبارته عن تصوير ما قُصِد الإنباء عنه، وخطاب الله- عز وجل- منزه عنها..

والثالثة: راجعة إلى المخاطَب، وذلك إما لبلادة فهمه عن تصور أمثال ذلك من المخاطبة، وإما لشغل خاطره بغيره، وذلك وإن كان موجوداً فى بعض المخاطبين بالقرآن، فغير جائزٍ أن يشمل كافة المخاطَبين، إذ من المستبعد أن يكون الناس قاطبةً لا يفهمونه.

١- البيت للفرزدق كما فى ديوانه : ص ١٠٨، وقاله الفرزدق يمدح فيه هشام بن إسماعيل وهو خال هشام بن عبدالملك، وهو فيه بيتا مفرداً وذكر جامع الديوان - رحمه الله - أنه لم يرد فى أصول الديوان هذا الشاهد دائر في كتب النحو والبلاغة والأدب، وهو من إنشادات أبي الحسن الأخفش على نسخته من كتاب سيبويه.
راجع : الكتاب - ح :١ - ص-٣٢، وانظر المعاني الكبير ص ٥٠٦، والكامل ح:١ - ص ٢٨ والأصول ح ٣- ص٤٦٧- والخصائص ج:١- ص١٤٦ ، صـ٣٢٩، ج : ٢ - ص٣٩٣ ، وأسرا ر البلاغة ص٢٠ . ٦٦ ، والفصول الخمسون - ص ٢٧٦ وضرائر الشعر ص٢١٣، وشروح التلخيص ح :١ - ص١٠٤ وشرح أبيات المغني - ج :٤ - ص١٤، وكتاب الشعر ج ١٠ - ص٢٦٧.
مقدمة جامع التفاسير ص ٣٦ - الانتخاب في أبيات مشكلة الإعراب ص٢٠ - منثور الفوائد - لابن الأنباري - ص ٥٥ - الإفصاح للفارقي - ص٨٤ - الاستغناء في أحكام الإستثناء - ص٦٥٥.

٢- سورة الفتح : الآية (٢٥).

٣- سورة البقرة : الآية (١٧١)، ويقصد ببسط الكلام اجتماع الكاف مع (مثل) فى قوله: (كمثل)، وقد أوضح ذلك فى كتابه المفردات حيث قال: "وضرب لبسط الكلام، نحو: (ليس كمثله شئ) ، لأنه لو قيل: ليس مثله شئ كان أوضح للسامع.

٤- سورة الروم : الآية (٢٨) ٥- سورة البقرة : الآية (١٧٩).

٦- عنوان هذا الباب ساقط من (د،ك).

٧- فى (ن-م) المانعة المخاطب من فهم مراد المخاطب.

٨ - فى : (ط-س): ما.

(فَصْلٌ فِي عَامَّةِ مَا يُوقِعُ الاخْتِلَافَ وَيُكْثِرُ الشُّبَهَ)

وذلك ثلاثة أشياء[١] حق العالم أن يعنى بتهذيبها وسد الثّلم المنبثقة [٢] عنها.. أحدها: وقوع الشبه من الألفاظ المشتركة وقد تقدم. والثاني: اختلاف النظرين [٣] من جهة الناظرين، وذلك كنظر فرقتي- أهل الجبر والقدر، "حيث اعتبر أهل الجبر"[٤] السبب الأول فقالوا: الأفعال كلها من جهة الباري -سبحانه «وتعالى»[٥]- إذ لولاه لم يوجد شيئ منها، وقال أهل القدر: إن الممكنات من جهتنا، حيث اعتبروا السبب الأخير، وهو المباشر للفعل دون السبب الأول. والثالث: اختلاف نظر الناظرين من اللفظ إلى المعنى، أو من المعنى إلى اللفظ، وذلك كنظر الخطابي[٦] إلى اللفظ فى إثبات ذوات الأشياء، ونظر الحكماء من ذوات الأشياء إلى الألفاظ.

وذلك نحو الكلام فى صفات الباري- عز وجل- فإن الناظر من اللفظ وقع عليه الشبهة العظيمة فى نحو قوله تعالى:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٧]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٨]، وما يجرى مجراه..

وأهل الحقائق لما بينوا[٩] بالبراهن أن الله تعالى واحدٌ منزّهٌ عن التكثر[١٠]، فكيف عن الجوارح؟ بنوا الألفاظ على ذلك، وحملوها على مجاز اللغة ومشاع[١١] الألفاظ، فصينوا عما وقع فيه الفرقة الأولى..

---

١ - ناقصة من : (ط-س).

٢ - فى (ن-م) المنثقبة، وكذلك في (د.ك) ، وهو تصحيف .

٣ - ساقطة من (ن-م) ، وكذلك من :(د-ك).

٤ - ناقصة من : (ط-س).

٥ - ساقطه من : (د-ك).

٦ - الخطا بى : هو حمد بن إبراهيم بن خطاب المتوفى سنه ٣٨٨هـ، وهو صاحب كتاب: (بيان إعجاز القرآن)، وقد نقل رأيه فى الإيمان بالصفات شيخ الإسلام ابن تيمية فى (رسالة الفتوى الحموية الكبرى) ص٤٦، وأشار ابن تيمية إلى مصدره في النقل وهو رسالة الخطابى المهورة فى الغنية عن الكلام وأهله)، وقد قال الخطابى فى هذه الرسالة: "فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء نها فى الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا فى ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد فى سلوك الطريق المستقيمة بين الأمرين. ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه مقدمة جامع التفاسير - ص ٤٠

٧- سورة المائدة : الآية (٦٤). ويقصد بالشبهة العظيمة شبهة التشبيه، غير أن الخطابى الذى اعتبره الراغب ناظراً من اللفظ إلى المعنى قد صرح تصريحاً قاطعاً ينفي ذلك كله حينما قال: (ولا نقول إنها جوارح ولا تشبيهاً بالأيدي والأسماع والأبصار التى هى جوارح وأدوات للفعل..)، ومما يوضح رأي الخطابى ما ذكره ابن تيمية فى "الرسالة المدنية فى تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله تعالى" من ص ٨ إلى ص ١٢ مقدمة جامع التفاسير - ص ٤١

٨ - سورة القمر : الآية (١٤).

٩- فى (أ-ص)، (ط-س) تبينوا.

١٠- فى (ن-م) التكثير ، وكذلك فى : (د-ك).

١١- فى (ن-م) ومساغ.

(فَصْلٌ فِى أَقْسَامِ مَا يَنطوِى عَلَيْه القُرآنُ مِنْ أَنْوَاعِ الكَلامِ)

وقد تقرر أن أنواع الكلام المركب الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي والطلب، والشفاعة[1] والوارد فى كلام الله تعالى من ذلك: الخبر والأمر والنهي،[2] وذاك أن علام الغيوب لا يحتاج إلى الاستخبار وكل ما ورد من ألفاظ الاستخبار فعلى الحكاية أو على الإنكار والتوبيخ، والمولى لا يطلب من عبده ولا يتشفع إليه. فإذن هذه الثلاثة ساقطة من القرآن، والخبر: ما ينطلق عليه الصدق والكذب، وخاصيته أن يتعلق بالأزمان الثلاث. والأمر والنهي لا ينطلق عليهما ذلك، ولا يتعلقان[3] إلا بالمستقبل. وفائدة الخبر ضربان: أحدهما : إلقاء ما ليس عند المخاطب إليه ليتصوره نحو أمور الآخرة من الثواب والعقاب.

والثاني : إلقاء ما قد تصوره ليتأكد عنده. وعلى ذلك جميع ما ورد فى القرآن مما قد علم بالعقل مثل "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد". وفائدة الأمر والنهي شيئان: أحدهما: حث المخاطب على اكتساب محمود واجتناب مذموم. والثاني: حثه على الوجه الذى به يكتسب المحمود ويجتنب المذموم المقررين [4] عند المخاطب، والغرض الأقصى من الخطاب الخبري: إيصال المخاطب إلى الفرق بين الحق والباطل ليعتقد الحق دون الباطل. ومن الأمر والنهي أن يفرق بين الجميل والقبيح، ليتحرى الجميل، ويجتنب القبيح. فكل خبر: فإما[5] أن يكون معرباً عما يلزم اعتقاده، فيسمى "الخبر الاعتقادي"، وذلك نحو ما ينطوي عليه قوله : **﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾**[6] وإما أن يكون مبيناً[7] عما يقتضى الاعتبار به، فيسمى "الخبر الاعتباري"، كأخبار الأنبياء وأممهم والقرون الماضية، والأخبار عن خلق السماوات والأرض.

وكل أمر ونهي: فإما أن يكون أمراً بما يقتضي العقل حسنه، ونهياً عما يقتضي العقل قبحه، فيسمى"الأوامر والنواهي العقلية"، أو أمراً [8] بما تقصر عقولنا عن معرفة حسنه، ونهياً عما تقصر[9]

١- قال ابن فارس فى "الصاحبي" ١٧٩-(باب معاني الكلام). وهى عن أهل العلم عشرة: "خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعرض وتخصيص، وتمن وتعجب"- مقدمة جامع التفاسير - ص ٤٢ .

٢- فى : (ط-س): وذلك .

٣- فى: (ط-س): يتعلق ، وهو خطأ من الناسخ.

٤- فى: (ط-س) : المقرران، وهو خطأ من الناسخ.

٥- فى (ن-م) إمَّا.

٦- سورة النساء: الآية (١٣٦) .

٧- فى : (ط-س): مبنياً. وفى (ن-م) مُنبئًا وهى الأصح.

٨- فى : (ط-س) : أمرٌ وهو تصحيف.

٩- فى : (ط-س): بما يقصر.

عقولناعن معرفة قبحه، فيسمى[١] :"الأوامر والنواهي الشرعية" والفرق بين العقلي منها والشرعي : أن العقلي لا يتغير على مرور الأيام ولا ينسخ في شئ من الأزمان.

والشرعي: ما يتسلط عليه النسخ والتبديل، بحسب ما يتعلق به من المنافع.

(فصلٌ في كيفيةِ بيانِ القرآنِ)

اعترض "بعض" [٢]الناس فقال : كيف وُصفَ القرآن بالبيان، فقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾[٣]، وقال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[٤] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾[٦]، وقد علم ما فيه من الإشكال والمتشابه وما يجرى مجرى الرموز، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[٧] وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[٨] وقد[٩] وصفه تعالى بالمتشابه وبأنه لايعلم تأويله إلا هو؟ فالجواب أن البيان المشترط فيه إنما هو بالإضافة إلى "أعيان"[١٠] أرباب أهل الكتاب لا إلى كل من يسمعه[١١] ممن دبَّ ودرج، فقد علمنا أن ذلك ليس ببيانٍ لمن ليس من أهل العربية، ثم أحوال أهل العربية مختلفة في معرفته. ولو كان البيان لا يكون بياناً حتى يعرفه العامة لأدى إلى أن يكون البيان[١٢] في الكلام السوقي[١٣] العامي [١٤] أو إلى أن لايكون بياناً[١٥] بوجه، إذ كل كلام بالإضافة إلى قوم بيان، وبالإضافة إلى آخرين ليس ببيان، وقد عُلمَ أن قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ

١- في : (ط-س)، وفي (ف-ض)- فتسمى.
٢- سقطت من : (ط-س).
٣- سورة آل عمران : الآية : (١٣٨).
٤- سورة النساء: الآية (١٧٦).
٥- سورة الشعراء: الآية (١٩٥).
٦- سورة النور: الآية (٣٤).
٧- سورة البقرة : الآية (١٠٢).
٨- سورة الأنبياء : الآية (٩٦).
٩- في : (ط-س)- (قد).
١٠- ساقطة من : (ف-ض). وكذلك من (ن-م).
١١- في : (أ-ص) يستمعه وكذلك في (ن - م) ، (د.ك).
١٢- ساقطة من : (أ-ص).
١٣- في : (أ-ص).. كلام السوقى وكذلك في (ن -م).
١٤- في: (ط-س): والعامي.
١٥- في: (أ-ص)، (ط-س) بيان.

خَلْفَهُمْ﴾[١] وقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾[٢] من أشرف كلام، ولاَحَظَّ فى معرفته لمن لم يتوفر نصيبه من البلاغة، وكذلك قول الشاعر:

فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعرَّضَ وَصْلُهُ...[٣]

وقول الآخر:[٤]

وَمَا الْمَرْءُ مَادَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِه   بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلاَ آلِ

من أفصح كلام ولا يعرفه جميع الأنام. ثم إن القرآن وإن كان فى الحقيقة هداية للبرية، فإنهم لن يتساووا فى معرفته، وإنما يحيطون[٥] به بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم. فالبلغاء تعرف من فصاحته، والفقهاء من أحكامه، والمتكلمون من براهينه العقلية، وأهل الآثار من قصصه ما يجهله غير المختص بفنه، وقد علم أن الإنسان بقدر ما يكتسب من قوته فى العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه، وعلى ذلك أخبار النبى ﷺ، ولهذا[٦] قال عليه السلام:

«نَضَّرَ اللهُ أمرءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا كَمَا سَمِعَهَا حَتَّى يُؤَدِّيهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»..[٧].

(فَصْلٌ فِى الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ)

الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبىء عنه البول تفسره، وتسمى بها قارورة الماء[٨] . وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها[٩]، وأسفر الصبح، وسفرت البيت إذا كنسته..، والتأويل من آل يؤول:

١- سورة الأنفال: الآية (٥٧).

٢- سورة الأنفال: الآية (٥٨).

٣- البيت للبيد من معلقته وشطره الثاني: "ولشر واصل خلة صرامها".. الديوان: ١٦٧- دار صادر- بيروت.

٤- البيت لامرىء القيس، وقد جاء قبله: ولكنما أسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى الديوان- ص ١٤٥- دار صادر - بيروت.

٥- فى : (أ-ص): يخطئون- وهو تصحيف. وكذلك فى (ن-م).

٦- فى: (أ-ص): ولذلك. وكذلك فى (ن-م) ، و(د-ك).

٧- الحديث فى مسند الإمام أحمد - ٤٣٧/١ ولفظه: (نضر الله امرءاً سمع مناحديثاً وحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه) ، وفى سنن ابن ماجة برقم "٣٠٥٦" ولفظه: (نضر الله امرءاً سمع مقالتى فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه). وهو أيضاً فى جامع الأصول: ١٨/٨ .

٨- قال الراغب فى مفرداته: "الفسر: إظهار المعنى المعقول. ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسرة، وسمى بها قارورة الماء. والتفسير فى المبالغة- كالفسر. والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسيرالرؤيا وتأويلها . قال: (وأحسن تفسيراً) وقال السيوطي فى الإتقان: "وقال الاصبهاني فى تفسيره: "أعلم أن التفسير فى عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره" الاتقان فى علوم القرآن ج: ٤-ص١٦٨ .

٩ - فى : (د-ك) زوجها ، وهو تصحيف .

إذا رجع، والتفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ. والتأويل: في المعاني كتأويل الرؤيا . والتأويل: يُستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يُسْتعمل فيها وفي غيرها، والتفسير: أكثره يُستعمل في مفردات الألفاظ[١] ، والتأويل أكثره "يُستعمل"[٢] في الجمل، فالتفسير: إما أن يُستعمل في غريب الألفاظ نحو "البحيرة"[٣] والسائبة"[٤] والوصيلة"[٥]، أو في «وجيز يُبَيَّنُ ويُشرح»[٦] كقوله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[٧]. وإما في كلام مُضمَّنٍ بقصة لا يمكن تصوره "إلا"[٨] بمعرفتها نحو قوله: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾[٩]، وقوله : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾[١٠] الآية...، وأما التأويل: فإنه يُستعمل مرة عاماً ومرةً خاصاً، نحو "الكفر" المستعمل تارةً في الجحود المطلق، وتارةً في جحود الباري خاصةً. و"الإيمان" المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق دين الحق تارةً. وإما في لفظٍ مشتركٍ بين معانٍ مختلفةٍ نحو لفظة "وجد" المستعملة في الجدة والوجد والوجود. والتأويل نوعان: مستكره ومنقاد: فالمستكره: ما يستبشع إذا سُبِرَ بالحُجَّة، ويستقبح بالتدليسات[١١] المزخرفة المزوجة"[١٢] وذلك على أربعة أضرب:

الأول: أن يكون لفظ عام فيخصص في بعض ما يدخل تحته، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٣] حمله بعض الناس على علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– فقط. والثاني: أن يلفق[١٤] بين اثنين نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة محتجاً بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[١٥]، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[١٦]، فدل بقوله «أمم أمثالكم» أنهم مكلفون كما نحن مكلفون،

١– في : (ن – م) في معاني مفردات .

٢– ساقط من : (ط – س) وفي (ن–م) كالبحيرة وكذلك في (د–ك).

٣– قال الراغب في المفردات: (وذلك ما كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقوا أذنها، فيسيبوها، فلا تُركب ولا يُحمل عليها

٤– قال الراغب في المفردات: "السائبة" التي تسيب في المرعى، فلا ترد عن حوض ولا علف، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن .

٥– قال الراغب في المفردات : وقوله: (ولا وصيلة): "وهو أن أحدهم كان إذا ولدت له شاته ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها."

٦– في :(ن–م) أو في تبيين وشرح ، وفي (د.ك) أو في جزئين وشرح .

٧– في : (ف–ض)، (أ–ص) (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهي في سورة البقرة الآيتان : (٤٣، ٨٣)، وورد في سور أخرى كثيرة

٨– سقطت من : (ط–س).

٩– سورة التوبة : الآية (٣٧).، وقال الراغب في المفردات: "ومنها النسئ الذي كانت العرب تفعله ، وهو تأخير بعض الأشهر الحرم إلى شهر آخر".

١٠– سورة البقرة : الآية (١٨٩).

١١– في (ن–م) بالتدليات وهو تصحيف.

١٢– سقطت من : (ط–س).

١٣– سورة التحريم: الآية (٤).

١٤ – في : (أ–ص)– أن تلفق. وكذلك في (ن–م) ، و(د–ك).

١٥– سورة فاطر: الآية (٢٤).

١٦– سورة الأنعام: الآية (٣٨).

الثالث[١] ما استعين فيه بخبر مزور أو كالمزور كقوله تعالى: ﴿يومَ يُكشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٢]، قال بعضهم: عنى به الجارحة مستدلاً بحديثٍ موضوع[٣]. والرابع : ما يستعان فيه باستعاراتٍ[٤] واشتقاقاتٍ بعيدة، كما قاله بعض الناس فى البقر: إنه "إنسان"[٥] يبقرُ عن أسرار العلوم، وفى الهدهد: إنه إنسان "موصوف"[٦] بجودة البحث والتنقير.

فالأول: أكثر ما يروج[٧] على المتفقهة[٨] الذين لم[٩] يقووا فى معرفة الخاص والعام. والثانى على المتكلم الذى لم يقو فى معرفة شرائط النظم، والثالث على صاحب الحديث الذى لم يتهذب فى شرائط قبول الأخبار. والرابع : على الأديب الذى لم[١٠] يتهذب بشرائط الاستعارات والاشتقاقات. والمنقاد من التأويل: ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة. وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين فى العلم لإحدى جهات ثلاث: إما لاشتراك فى اللفظ: نحو قوله تعالى:

﴿لا تُدرِكُهُ الأبصَارُ﴾[١١] هل هو من بصر العين، أو من بصر القلب؟ أو لأمرٍ راجعٍ إلى النظم نحو قوله: ﴿أولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ إلاَّ الذِينَ تَابُوا﴾[١٢] هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف، أو مردود إليه وإلى المعطوف عليه معاً؟ وإما لغموض المعنى ووجازة اللفظ، نحو قوله تعالى: ﴿وَإنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٣] والوجوه التى يُعتبر بها[١٤] تحقيق أمثالها أن ينظر: فإن كان ما ورد فيه ذلك أمراً أو نهياً عقلياً فزع فى كشفه إلى الأدلة العقلية، فقد حث تعالى على ذلك فى قوله: ﴿كِتَابٌ أنزَلنَاهُ إلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الألبَابِ﴾[١٥] وإن كان أمراً شرعياً فزع فى

١- فى : (أ-ص): والثالث.

٢- سورة القلم: الآية (٤٢).

٣- لعله يريد بالحديث الموضوع ما جاء فى تفسير ابن كثير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يوم يُكشف عن ساق» يعنى : عن نور عظيم يخرون له سجداً، وقد علق عليه ابن كثير بقوله: ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به، وفيه رجل مبهم والله أعلم. - مقدمة جامع التفاسير - ص ٤٩ .

٤- فى : (ط-س) به.

٥- سقطت من : (ط-س).

٦- سقطت من : (ط-س).

٧- فى : (ط-س) : روج .

٨ - فى : (ط-س): على المتفقة.

٩ - فى : (ط-س): يقولوا ، وهو تصحيف ظاهر.

١٠- فى (ن-م) الذى يتهذب.

١١- سورة الأنعام : الآية (١٠٣).

١٢- سورة النور : الآيتان : (٤، ٥).

١٣- سورة البقرة : الآية (٢٢٧).

١٤- فى : (أ - ص) فيها.

١٥- سورة ص : الآية (٢٩).

كشفه إلى آية محكمة أو سنة مبينة، وإن كان من الأخبار الاعتقادية فزع إلى الحجج العقلية. وإن كان من الأخبار[١] الاعتبارية فزع فيه إلى الأخبار الصحيحة المشروحة فى القصص.

(فَصْلٌ فِى الْوُجُوهِ الَّتِى بِهَا يُعَبَّرُ عَنِ الْمَعْنَى وَبِهَا يُبَيَّنْ)[٢]

لما كان المعنى "الواحد[٣] يقرب من الأفهام بعبارات مختلفة لأغراض متفاوتة، وجب أن يبين الوجوه التى منها "تختلف"[٤] العبارات عن المعنى الواحد. فالمعنى الواحد قد يُدل عليه بأشياء كثيرة: إما باسمه نحو "إنسان"، أو بنسبه[٥] نحو "آدمي" و"ولد حواء"، أو بإحدى خصائصه اللازمة له: نحو "المنتصب القامة" أو "الماشي برجليه" أو "العريض الأظفار"، وإما بفصله[٦] اللازم كقولك "الناطق"، "المائت"[٧]. وكما يبين الشئ بأوصاف كثيرة، كذلك قد يتبين بأسماء كثيرة متضمنة لأوصاف مختلفة، كقولك[٨] فى الجرم[٩] العلوى: "السماء" لما اعتبر[١٠] ارتفاعها بالإضافة إلى الأرض، و"الجرباء": لما "اعتبروا نجومها"[١١]، وأنها كجرب فى الجلد و"الخلقاء" و"الملساء" لما اعتبر[١٢] بحالها عند فقدان نجومها بالنهار[١٣]، و"الرقيع"[١٤] تشبيهاً بالثوب المرقوع لظهور نجومها ظهور الرقاع فى المرقع "والخضراء" لما اعتبر[١٥] لونها، وعلى ذلك قولهم "فى المرأة"[١٦]: "الزوج" لما اعتبرت بازدواجها بالرجل، و"الظعينة" لما اعتبر ظعنها معه، و"القعيدة" لما اعتبرت بقعودها فى البيت أو بكونها مطية له

١- ساقطة من (ن-م) ، و(د-ك).

٢- فى: (أ-ص): ويبين بها، وكذلك فى (ن-م).

٣- سقط من (ط-س).

٤- فى (ف-ض): يختلف.

٥- فى : (أ-ص): نسبه.

٦- فى : (ف-ض): (أ-ص) بأحد،، وفى : (أ-ص): بفضله، وهو تصحيف. وكذلك فى (ن-م) و (د-ك).

٧- فى (أ-ص): المائية. وكذلك فى (ن-م) ، (د-ك).

٨- فى: (أ-ص) ، وفى (ط-س) كقولك وفي (ن-م) كقولهم.

٩- فى (أ-ص: الجرام.

١٠- فى (ن-م) لما اعتبروا وهوالأصح.

١١- فى (ط-س) لما اعتبر بنجومها.

١٢- فى (ن-م) لما اعتبروا.

١٣- ساقطة من (ن-م) .

١٤- فى (ن-م) والرقعاء.

١٥- فى (ن-م) لما اعتبروا ظهور شبه الرقاع فى المرقع وهى كذلك فى (د - ك).

١٦- سقطت من : (أ-ص)، (ط-س).

كالقعود من الجمال، والقعدة من الأفراس، آلا ترى أنها سميت "مَطيَّة" فى قول الشاعر:

مَطيَّاتُ السُّرُورِ فُوَيْقَ عَشْرٍ **إلى عِشْرِينَ ثُمَّ قِفِ المطَايَا**(١)

و"حليلة"(٢) إذا اعتبر حلولها معه، أو حل الأزار له. وذلك يُفعل لأحد أمرين: إما لأن الشئ "فى نفسه"(٣) لا يمكن إبرازه إلا بالعبارات الدالة على أوصافه كمعرفة الله -عز وجل- لما صعبت(٤) لم يكن لنا سبيل "إليها"(٥) إلا بصفاته، وكأن الله تعالى جعل لناأن نصفه بهذه الأوصاف لتكون لنا ذريعة إلى معرفته، إذ لا سبيل لنا إليها إلا استدلالاً بأوصافه وأفعاله، ولذلك قال "موسى"(٦)- عليه السلام- لما سأله فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟(٧) "قال: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾(٨). ولما قال له: **﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾**؟(٩) "قال : **﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾**(١٠)، فلم يجبه عن الماهية، لما كان الباري تعالى منزهاً عنها، وأحاله عن صفاته الكثيرة، وإما لأن الشئ له تركيبات "وأحوال"، فيجعل له بحسب كل واحد منها اسم كما تقدم فى أسماء السماء، وبحسب ذلك قال النبى(١١) عليه السلام: **"سُمِّيتُ محمداً، وأحمد، وخاتماً، وحاشراً، وعاقباً وماحياً"** (١٢) لأنه محمود، وحامد، وخاتم الأنبياء، وحاشر، لأنه بُعث مع الساعة "نذيراً لكم بين يدى عذابٍ شديد"، وعاقب: لأنه عقب الأنبياء، وماحي: لأنه محى به سيئاتٍ من اتبعه.

١- البيت ورد فى أمالى الزجاجي منسوباً لمحمد بن عبدالله بن طاهر بلفظ.

مطيات السرور بنات عشر	**إلى عشرين ثم قف المطايا**
وقد جاء بعده: فإن جاوزتهن فسر قليلاً	**بنات الأربعين من الرزايا**
إلى أن قال: مقاساة النساء مع الليالى	**إذا أولدتهن من البلايا**

مقدمة جامع التفاسير - ص٥٣ تحقيق : د/أحمد فرحات .

وأورده صاحب الدر الفريد ، ونسبه إلى دعبل الخزاعي - ج : ٥ - ص ١١٤ .

٢- فى (ن-م) وحلية وهو تصحيف.

٣- سقطت من : (ط-س).

٤- فى : (ط-س): لما صعب.

٥- سقطت من : (ط-س).

٦- سقطت من : (ط-س).

٧- سورة الشعراء: الآيتان : (٢٣، ٢٤).

٨- فى . (ط-س): كما، وهو خطأ من الناسخ.

٩- سورة طه : الآية (٤٩).

١٠- سورة طه: الآية : (٥٠).

١١- ساقطة من (ن-م).

١٢- الحديث فى "فتح الباري" : ٥٥٤/٦ برقم ٣٥٣٢ بلفظ: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لى خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». وقد تكرر أيضاً فى ٦٤٠/٧ برقم: ٤٨٩٦. كما ورد أيضاً فى تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي والزيادة ذكرها الراغبي وهى غير موجودة في كتب الحديث: ١٢٩/٨ برقم ٢٩٩٦. وورد أيضاً فى موطأ الإمام مالك وفى شرح الزرقاني على الموطأ: ٤٣٢/٤ ورقمه: ١٩٥٥ وكل هذه الروايات متفقة على الأسماء الخمسة التى ذكرها البخاري وليس فيها الزيادة التى ذكرها الراغب وهى "خاتم" مقدمة جامع التفاسير - ص٥٤..

(فَصْلٌ فِى الْحَقِيقَةِ وَ الْمَجَازِ)

الحقيقة مشتقة من الحق، والحق يستعمل على وجهين[١] : أحدهما: فى الموجود الذى وجوده بحسب مقتضى الحكمة بنحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، والحساب حق، والثانى: للاعتقاد المطابق لوجود الشئ فى نفسه، أو فى القول المطابق لمعنى الشئ الذى هو عليه، نحو أن يقال: إن اعتقاد فلان فى البعث حق، وقوله فى الثواب والعقاب حق، ويضاد "الحق"، الباطل، وإذا فُهِمَ الحق فُهِمَ الباطل، لأن العلم بالمتضادين واحد. وأما الحقيقة: فإنها تستعمل فى المعنى تارةً، وفى اللفظ تارةً: فأما استعمالها[٢] فى المعنى: فعبارة[٣] عما ينبئ عن الحق ويدل عليه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لحارثة: لما قال: «**أصبحت مؤمناً حقاً: "قال: لكل حق حقيقة فما حقيقة[٤] إيمانك؟**» أى: ما الذى ينبئ عن ذلك؟"[٥].

ويستعمل فى العمل والاعتقاد والخبر، فيقال: هذا فعلٌ وخبرٌ وقول له حقيقة. ويستعمل فى ضدها المجاز، والتسمح، والتوسع، فيقال: هذا فعل واعتقاد وخبر فيها تجُّوز وتسمُّح وتوسُّع ولا فرق "بين"[٦] أن يكون مثل هذا الخبر بلفظ مجاز أو لفظ حقيقة فى أنه يقال هو حقيقة إذا كان مطابقاً لما عليه الشئ فى نفسه. وإذا استعملت فى اللفظ، فالمراد به: اللفظ المستعمل فيما وضع له فى أصل اللغة من غير نقلٍ ولا زيادةٍ ولا نُقْصانٍ، والمجاز على العكس من ذلك، وكلاهما ضربان: أحدهما فى

١- قال الراغب فى مفرداته: أصل الحق المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامة. والحق يقال على أوجه: الأول: يقال لموجد الشئ بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل فى الله تعالى هو الحق، قال الله تعالى: "ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق"، وقيل بعيد ذلك: "فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون" والثانى: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق وقال تعالى: (هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً) إلى قوله تعالى: (ما خلق الله ذلك إلا بالحق)، وقال فى القيامة: (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق) (ويكتمون الحق) وقوله عز وجل: (الحق من ربك)، (وإنه للحق من ربك). والثالث: فى الاعتقاد للشئ المطابق لما عليه ذلك الشئ فى نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان فى البعث والثواب، والعقاب والجنة والنار حق. قال الله تعالى: (تهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق). والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وفى الوقت الذى يجب، كقولنا: فعلك حق، وقولك حق: قال الله تعالى: (كذلك حقت كلمة ربك)، (حق القول منى لأملأن جهنم)- مقدمة جامع التفاسير - ص٥٥ - مفردات الراغب - ص٢٤٦.

٢ - فى: (أ-ص)، (ط-س)، (ف-ض) استعماله .

٣- ساقطة من (ن-م)،

٤- فى (ن-م) فما إيمانك؟.

٥- جاء فى مجمع الزوائد ١/٥٧: عن الحارث بن مالك الأنصارى أنه مر بالنبى- صلى الله عليه وسلم- فقال له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري وكأنى أنظر عرش ربى بارزاً، وكأنىء انظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها. قال: ياحارثة: عرفت الأمر فالزم. رواه الطبراني فى الكبير، وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه. وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى رجلاً يقال له حارثة فى بعض سكك المدينة، فقال: كيف أصبحت ياحارثة؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً، قال: إن لكل إيمان حقيقة. فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي، وكأني بعرش ربى بارزاً، وكأني بأهل الجنة فى الجنة ينعمون فيها، وكأني بأهل النار يعذبون، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم أصبت فالزم. مؤمن نور الله قلبه- رواه البزار- وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به ، وانظر مقدمة جامع التفاسير - ص٥٦.

٦- ساقط من : (ط-س).

مفردات الألفاظ، والثاني في الجمل: فالمجاز في المفردات: إما أن يكون بنقل، نحو فلانٌ عظيم الحافر، ويراد به القــدم، أو زيادة[١] نحو أنظور في "انظر"، وأرأيت لو كان على أبيك دين فقضيتيه "أي قضيته"[٢] أو بنقصان نحو:

دَرَسَ المنا بُمتَالِعٍ فأَبانِ[٣] - ، أي : المنازل.

وربما يكون اللفظ الواحد من وجه حقيقةً، ومن وجهٍ مجازاً، نحو قولهم: "فلانٌ عظيم الإقدام"، فمن حيث استعمل القدم حقيقة، ومن حيث أتى بلفظ الجمع مجاز[٤]، وأما المجاز في الجمل، فمن حيث هي[٥] جملة لا يكون إلا بحذفٍ أو زيادةٍ، أما الحذف: فما كان المحذوف منه شيئاً مستغنى عنه لدلالةٍ عليها، فذلك[٦] من الإيجاز نحو حذف المخبر "عنه"[٧] تارةً، والخبر تارةً، والمضافُ تارةً، والمضاف إليه تارة، والمفعول تارة، والفاعل تارةً، وأمثلتها مشهورةٌ يُستَغْنَى عن ذكرها. وأما الزيادة: فلا شبهة أن كل زيادة تقتضي[٨] زيادة معنى، أو بسط مختصر، أو شرح مبهم، فإنها مستحسنة متى حصل[٩] فيها شرائط البلاغة، نحو ذكر "جبريل" و"ميكائيل"[١٠] بعد ذكر "الملائكة"، وذكر "النخل" و"الرمان" بعد ذكر "الفاكهة"، وكذلك[١١] ما كان من نحو زيادة اللازم في "شَكَرْتُهُ وَشَكَرْتُ لَه"، وأما المستنكر المستكره عند أكثر المحصلين- فكل زيادة ادُّعي فيها أن وجودها وعدمها سواء كما زعم بعضهم أن ذلك "كالكاف" في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١٢] و"الوجه" في قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[١٣] أي: الله[١٤] وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، أي بالله، وقوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[١٥] أي: أن تسجد، وكل ذلك يجيئ الكلام عليه في مواضعه في أنها ليست بزائدة، وأن

١- في (ن-م) أوزيادة.
٢- زيادة من (ط-س)، وفي (ف-ض)، (أ-ص) فقضيته وهو تصحيف.
٣- هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة .
وعجزه : فتقادمت بالحبس فالسوبان.
والبيت بعده :
فنعاف صارة فالقنان كأنها ... زبرٌ يرجعها وليد يمان
والحبس وأبان جبلان بالبادية، والسوبان وادٍ لبني تميم
وتقادمت : أي قدمت . ديوان لبيد صـ ٢٠٦ . دار صادر - بيروت
٤- في (أ-ص): مجازاً
٥- سقط من : (ط-س).
٦- في (ن-م) (فكذلك)
٧- سقط من : (ط-س).
٨- في: (ط-س): يقتضي.
٩- في :(ف-ض)، (أ -ص)، (ط-س): فإنه مستحسن متى حصل فيه .
١٠- في (ن-م) ثم ذكر الملائكة.
١١- في (ن-م) ولذلك.
١٢- سورة الشورى: الآية (١١)، وقد قال فيها الراغب في المفردات: "وأما الجمع بين الكاف و"المثل"، فقد قيل: ذلك لتأكيد النفي- تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال "المثل" ولا "الكاف"، فنفى بـ"ليس" الأمرين جميعاً. وقيل: المثل- هـهنا: هو بمعنى الصفة، ومعناه ليس كصفته صفة، تنبيهاً على أنه وإن وُصف بكثير مما يوصف به البشر، فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر - مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٥٩.
١٣- سورة البقرة : الآية (١١٥).
١٤- ساقطة من : (ط-س).
١٥- سورة الأعراف : الآية (١٢).

لها معاني صحيحة. وبعض الناس تَحَرَّوْا فى آياتٍ ذكرها الله تعالى على سبيل المثل تَطَلُّب الحقائق، ورأوا أن ذلك المعنى إذا لم يكن له وجود "على سبيل" الحقيقة كان كذباً، وذلك فى نحو قوله تعالى: ﴿خصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾[١]، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[٢] حتى إن بعضاً[٣] حمل قول النبى عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكْذِبْ إِلاَّ ثَلاَثَ كذباتٍ كلها يُمَاحِكُ بِهَا عَن دِينِهِ». قال: «إِنى سقيمٌ، وهذه أختي وبل فعله كبيرهم" » على الحقيقة، وخفي عليه أن المذكور على وجه المثل إذا تُحرِّى به معنى صحيحٌ لم يكن كذباً[٤]، نحو قولنا لمن نحثه على عمل: "أَطِّري فإنِك فاعلَة"[٥] كما يقال لمن[٦]

١- سورة ص : الآية (٢٢).

٢- سورة الأنبياء : الآية (٦٣).

٣- فى: (أ-ص) بعضنا، وكذلك فى (ن-م).

٤- قال ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى: (فقال إني سقيم)(: إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم فى البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، لأنه قد كان أزف خروجهم إلى عيد لهم، فاحب أن يختلي بالهتهم ليكسرها، فقال لهم كلاماً هو حق فى نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه فأما حديث (لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتين فى ذات الله تعالى، قوله: "إنى سقيم" ، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، وقوله فى سارة: (هى أختى) فهو حديث مخرَّج فى الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذى يذمُّ فاعله، حاشا وكلا وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعي ديني – مقدمة جامع التفاسير ص ٥٨.

٥- فى : (ط-س) فاعلةً، وقد جاء فى كتاب: (فرائد اللآل فى مجمع الأمثال) للشيخ إبراهيم بن السيد على الأحدب الطرابلسي – ج: ١-ص٣٦٤-٣٦٥ ما يلى:

يادي أطري أن تكوني فاطــــة إنك أنت يافتاة ناعلــــه

الإطرار: أن تركب طرر الطريق وهى نو احيه، وقيل معناه: أدلي. وقيل: اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه. وأصله أن رجلاً قال لراعية كانت له ترعى فى السهولة وتدع الحزونة: أطري، أى : خذي .. طرر الوادي، وهى نواحيه. فإن عليك نعلين ، كأنه عنى هما غلظ جلد قدميها، وقيل: "أطرى": خذى أطرار الإبل، أى: نواحيها، يريد: حوطيها من أقاصيها واحفظيها، ويضرب لمن يؤمر بارتكاب الأمر الشديد لاقتداره عليه، ويخاطب به المفرد والمثنى والجمع مذكراً كان أو مؤنثاً، مقدمة جامع التفاسير – ص ٥٩

٦- كلمة : (كما يقال)، وكلمة (وقع منه) بعدها لم تردا فى: (ف-ض) أو فى(أ-ص) أو فى(ط-س)بل وردت هكذا في (ن – م) وهو الأصح .

تعاتبه فى تضييع أمر وقع فيه «الصيف ضيعت اللبن» [١] وأنكر بعضهم قول المفسرين: إن هذا كذا مضمر، وقال : الإضمار إنما يُسْتَعْمَلُ فيمن له قلبٌ وخاطرٌ والله تعالى منزهٌ عن ذلك، وليس يراد بالإضمار هذا المعنى، وإنما يعني أن بنية الكلام تؤدي معنى ذلك عن غير نطقٍ به، نحو قولهم: "أحشفاً وسوء كيلة" [٢] فإن هذا الكلام يقتضي أتجمع عليَّ وبه مضمون الكلمة، وذلك معلوم للسامع..

١- يقال هذا المثل لمن ضيع مافي يده ثم طلبه بعد فواته، قالوا تزوجت امرأة من العرب رجلاً ذا مال، لكنه كان شيخاً تقدمت به السن، فاختلفا فطلقها، وكان ذلك وقت الشتاء الذى يكثر فيه المرعى ، ويدر اللبن، وتزوجت المرأة بعد طلاقها شاباً جميلاً ، لكنه كان غير ثري ، فلما جاء الصيف احتاجت إلي اللبن ، ولم يكن للبن وجود في ذلك الوقت إلا عند زوجها الأول، فبعثت إليه ترجوه حلوبة منه، فأبى وصاح قائلاً: « في الصيف ضيعت اللبن» أي أنك بسوء رأيك وفساد تدبيرك قد فوت على نفسك هذا اللبن الذي كنت ستجدينه في الصيف عند الحاجة إليه، فحقك المنع وأولابك الندامة ، وهكذا يقال هذا المثل لمن ضيع مافي يده ثم طلبه بعد فواته ، وقد جاء في كتاب الأمثال : ياهذه في الصيف ضيعت اللبن : أي رمت ماقد فات نيلاً من زمن . وقيل : طلق الأسود بن هرمز امرأته العنود الشنيئة رغبة عنها إلى امرأة من قومه ذات جمال ومال، ثم جري بينهما ماأدي إلى المفارقة فتبعت نفسه العنود فراسلها، فأجابته بقولها :

اتركتني حتى إذا ... علقت أبيض كالشطن

أنشأت تطلب وصلنا ... في الصيف ضيعت اللبن

وعلي هذه الرواية تكون التاء مفتوحة لأنه خطاب لمذكر .

الأمثال - للميداني - ج :٢-ص٥٤.

ورد في كتاب الأمثال للميداني :

أحشفاً وسوء كيلة نري ... تجمع يازيد علينا المنكرا

وقيل أن هذا المثل لعمرو بن معدي كرب ، ويضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين والكيلة فعلة من الكيل ، وهى تدل على الهيئة والحالة ، نحوالجلسة والركبة والحشف : أردأ التمر ، أي : أتجمع حشفاً وسوء كيل .

كتاب الأمثال ج : ١- ص ١٧١ ، وانظر مقدمة جامع التفاسير ص٥٩ : ص٦٠، وكتاب : المنتخب من أمثال العرب - عبد السلام العشري .

(فَصْلٌ فِى العُمُومِ والخُصُوصِ مِنْ جِهَةِ المَعْنَى)

وذلك ثلاثة أضرب : عام مطلق: وهو الجنسُ، نحو قولنا: "الحيوان أو الحبوب، وخاص مطلق مثل"[١]: زيد، وعمرو، وهذا الرجل. وعام من وجه خاص من وجه، نحو كالإنسان[٢]، فإنه بالإضافة إلى الحيوان خاص، وبالإضافة إلى زيد وعمرو عام، والعام: إذا حُمل على الخاص صدق القول، نحو قولنا[٣] "زيد"[٤]: إنسان وحيوان، والإنسان حيوان. والخاص: إذا حُملَ على العام كذب، نحو الحيوان: إنسان. والإنسان: زيد، إلا إذا قُيد لفظاً وتقديراً[٥]، فيقال: هذا الإنسان زيد، أو الإنسان زيد، ويجعل الألف واللام للعهد لا للجنس، أو يراد أن معنى الانسانية كمالُ[٦] موجودٌ فى زيد[٧]. فإذا ثبت ذلك فالمفسر إذا فسر العام بالخاص، فقصده أن يبين تخصيصه[٨]، «بالذكر» ويذكر مثاله، لأنه لم[٩] يرد أنه هو هو لاغير، وكثيرٌ ممن لم يتدرب بالقوانين البُرْهَانية إذا رأى عاماً مستعملاً فى خاصين قدَّر أن ذلك جارٍ مجرى الأسماء المشتركة، فيجعله من بابها، وعلى ذلك رأيت كثيراً[١٠] ممن صنفوا فى نظائر القرآن، فقالوا: الإثم:ارتكاب الذنب، والإثم: الكذب، احتجاجاً بقوله **﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً﴾**[١١]، والإثم عام فى المقال والفعال،وإنماخُص فى هذا الموضع لأن السّماع ليس إلا فى المقال[١٢]على ذلك قال اللحياني[١٣]:"الخوف": القتال، بقوله تعالى: **﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾**[١٤]، والقتل لقوله: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾**[١٥]، والعلم، لقوله: **﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾**[١٦] أى: عَلِمَ، وذلك من ظهور سوء التصور بحيث لا يحتاج إلى تبين[١٧]. وأما الخاص: فتفسيره بالعام فجائز إذا قصد تبيين جنسه، نحو:"الْحِرْبَاءُ دُوَيْبَة. وَالْحِرْبَاءُ حَيَوَانٌ"[١٨].

١- ساقط من : (ط – س).
٢- فى (ن–م) نحوالإنسان.
٣- ساقطة من (ن–م).
٤- زيادة من (ط – س).
٥- فى (ن–م) أو تقديراً .
٦- فى (ن–م) ، وفى (د–ك) كله وهو الأصح.
٧- فى : (ط – س) : وإذا.
٨- ساقطة من (ن–م) و (ف–ض) ، (أ–ص).
٩ – فى : (ط–س): لا أنه يريد.
١٠ – فى: (ط–س): وعلى ذلك كثير.
١١- سورة الواقعة: الآية (٢٥).
١٢- ساقطة من (أ–ص) ، (ف–ض) ، (د–ك).
١٣ – فى (ط–س): فى الخوف، واللحياني هو علي بن حازم ، راجع أخباره فى إنباه الرواة – للقفطي– ج :٢ ص ٢٥٥
١٤- سورة الأحزاب: الآية (١٩).
١٥- سورة النساء : الآية (٨٣).
١٦ – سورة البقرة: الآية (١٨٢).
١٧ – فى : (ط–س)– تبيين.
١٨- فى (ن–م) الحيوان ، وكذلك فى (د–ك).

(فَصْلٌ فى تَبْيِينِ الوُجُوهِ الَّتى يُجْعَلُ لِأَجْلِهَا الاسْمُ فَاعِلاً فى اللَّفْظِ)

كل فعل من أفعال غير الله تعالى نحو: التجارة[١]، والكتابة يحتاج فى حصوله إلى أشياء إلى فاعل يصدر عنه الفعل كالنجار، وإلى عنصر يعمل فيه كالخشب، وإلى عمل كالنجر، وإلى مكان وزمان يعمل فيهما، وإلى آلةٍ يعمل بها كالمنجر والمنحت، وإلى مثالٍ يعمل عليه ويحتذى نحوه، وإلى غرضٍ يعمل لأجله ما يعمل، ثم الفاعل قد يحتاج إلى من يسدده ويرشده. والغرض قد يكون على نحوين: قريبٍ وبعيدٍ. فالقريب: اتخاذ النجار الباب ليحصّل به نفعاً، والبعيد: ليحصّن «به»[٢] البيت، وكل ذلك قد يُنسب إليه الفعل[٣]، فيقال[٤]: أعطاني زيد إذا باشر العطاء، وأعطاني الله لما كان هو الميسر له. وربما جمع بين السبب القريب والبعيد، فيقال: أعطاني الله وزيد. **قال الشاعر:**

حَبَانَا بِهِ جَدُّنَا وَالإِلَهُ وَضَرْبٌ لَنَا جَذْمٌ صَائِبُ[٥]

فنسب إلى المسبب الأول، وهو الله تعالى وإلى السبب الأخير، وهو الضرب، وإلى المتوسط وهو الجد. وقال تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾**[٦]، وقال تعالى: **﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾**[٧]، فأسند الفعل فى الأول إلى الآمر به، وفى الثاني إلى المباشرله، وقال الشاعر فى صفة درع: **"وَأَلْبَسَنِيهِ الْهَالِكِيُّ"**[٨]، وقال آخر: **"كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ"**[٩]، (فنسب فى الأول إلى عاملها، وفى الثاني إلى مستعملها)[١٠]، «وقال»[١١] فى صفة نبال: **نِبَالٌ كَسَتْهَا رِيشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ**[١٢]، فنسب كسوتها إلى

١- فى: (ط-س) ، (ن-م) التجارة ، ولكن سياق الكلام يدل على أن المراد بها «النجارة».
٢- زيادة من : (ط-س).
٣- ساقط من : ط-س).
٤- فى : (ط-س) فتقول.
٥- ساقطة من : (ط-س)، وقد أورد البيت فى (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، وجاء شطره الثاني: وضرب لنا أجذم صارم. ص٤٢- تحقيق : الدكتور/ أبو اليزيد العجمي.
٦- سورة الزمر: الآية:(٤٢).
٧- سورة السجدة: الآية (١١).
٨- فى (ن-م) «وألبسنيه إليها لكى » وهو تصحيف وقد قال الراغب فى المفردات: "والهالكى كان حداداً من قبيلة هالك، فسمي كل حداد هالكياً. - مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٤٤ - تحقيق : صفوان داوودي.
٩- لم أجد هذا البيت ولا الذى قبله.
١٠ - سقطت من (ط-س).
١١- ساقطة من: (ن-م).
١٢ - جاء فى لسان العرب: المضرحيُّ من الصقور: ماطال جناحاه وهو كريم. - مقدمة جامع التفاسير - ص ٦٤ .

الطير التى اتخذ منها ريشها. وقيل: **"يداك أوكتاوفوك نفخ"**[١]، فنسبه إلى الآلة المتصلة، ويقال: **سيفٌ قاطع**، فنسب إلى الآلة المنفصلة، وقيل: **ضربٌ فيصل، وفاصل، وطعنٌ جائفٌ**، فنسب إلى الحدث، وقيل: **"سرٌ كاتم"، و"عيشة راضية"**، فنسب إلى المفعول، وقال: **"حَرَماً آمناً"**، فنسبه إلى المكان، وقيل **"يومٌ صائمٌ"، و"ليلٌ ساهرٌ"**، وقال: - **وَمَالَيْلُ ٱلمطِيِّ بِنَائِمِ**[٢] فنسبه إلى الزمان، فلما كانت أفعالنا على ذلك صح فى الفعل الواحد أن ينسب[٣] لأحد الأسباب مرةً، وينفى عنه بنظرين مختلفين، على ذلك قول الشاعر:

أَعْطَيْتَ مَنْ لَمْ تُعْطِه وَلَوْ انْقَضَى ... حُسْنُ اللِّقَاءِ حَرَمْتَ مَنْ لَمْ تَحْرِمِ[٤]

فأثبت له الفعل "مرة"[٥] ونفاه عنه معاً بنظرين مختلفين، ويقال "هذاالخشب قطعته أنت[٦] لم يقطعه السكين"، بمعنى أنه جعل تأثيره[٧] لك لا للسكين، ويقال: قطعه السكين لم تقطعه، وبتصور هذا الفصل تزول الشبهة فيما يرى من الأفعال منسوباً إلى الله تعالى، منفياً عن العبد، ومنسوباً إلى العبد تارةً منفياً عن الله تعالى، نحو قوله تعالى: **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾**[٨]، وقوله تعالى: **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾**[٩] وقوله تعالى: **﴿ما أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾**[١٠]. وبيان ذلك أن الأفعال التى نباشرها[١١] تعتبر على وجهين: أحدهما[١٢] بالإضافة إلى مباشره، فيقال: فعل فلان كذا، ولم يفعل كذا، والثاني: الاعتبار بميسره والمقدر له

١- ذكره البكرى فى: (فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال)- ص٤٥٨ تحت عنوان : (باب الشماتة بالجانى على نفسه الحين) قال أبو عبيد: ويقال فى مثله: (يداك أوكتا وفوك نفخ)، وذكر أصله عن المفضل، وقال صاحب كتاب العين، خلاف ما ذكر، قال: كان من شأن هذاالمثل أن شاباً انتهى إلى جوار يستقين بالقرب، وكان يلاعبهن ويأخذ بعض القرب، فينفخ فيه ثم يوكئه فاطلع عليه أخ لجارية منهن، فقتله غيرة، فجاء أخو المقتول فوجده قتيلاً، فأخبر بما كان يصنع من ملاعبة الجواري، فقال: (يداك أوكتاوفوك نفخ) وعزى نفسه ورجع ، وهكذا يحمل كل امرىءٍ نتائج عمله ، وعاقبة ماصنعت يداه، انظر : مقدمة جامع التفاسير ص٦٤، والمنتخب من أمثال العرب ص٢٨٧..

٢ - البيت لجرير وهو فى كتاب سيبويه: ج:١-ص٨٠، ونصه

لَقَدْ لُمتِنَا يَاأُمَّ غَيْلَانَ فِى السُّرَى ... وَنِمْت وَمَا لَيْلُ المطَايَا بِنَائِمِ

وورد فى المقتضب ج: ١٠٥/٣، وفى النقائض- ص٧٥٣، وفى المحتسب لابن جني-ج:٢-ص١٨٤، وأمالى ابن الشجري ج:١-ص٣٦، ٣٠١، وفى الإنصاف لابن الأنبارى ص٢٤٣ وفى خزانة الأدب- ج:١-ص٢٢٣، وديوان جرير ص٥٥٣ - مقدمة جامع التفاسير - ص٦٤..

٣ - فى : (أ-ص)، (ط-س) أن يثبت، وكذلك فى (ن-م) و (د-ك).

٤ - لم أجد هذا البيت.

٥ - زيادة من (ط-س).

٦ - زيادة من : (ط-س) و (د-ك).

٧- فى : (أ-ص) (ف-ض) و (د-ك) أن جُلَّ ، وفى : (ن-م) «أنه جعل» وهى ساقطة من : (ط-س).

٨ ، ٩ - سورة الأنفال: الآية(١٧).

١٠- سورة النساء: الآيه (٧٩).

١١ - فى (ن-م) : الفعل الذى تباشره يعتبر.

١٢ - ساقط من (ط-س).

والموفق لسبيله، وأنه لولا سوابق نعمه لما وجد ذلك، بل ما وجد شئ "من"[١] أفعالنا وذواتنا، وأنه تعالى السبب الأول الذى يصح ارتفاع ماسواه، ولا يصح ارتفاعه- تعالى علواً كبيراً. فإذاً: النظر إلى أفعالنا وإلى من يسرها لنا نظران:

نظر من أفعالنا إلى فعل البارى، فيتوصل بها إلى معرفته.

ونظرٌ من إنعامه علينا بقوانا وتسهيل سبيلنا إلى إيجاد أفعالنا.

وهذا الثاني لا سبيل إلى تصوره لمن لم يتقو[٢] فى الأول ولم يجعله ذريعة إلى "الوصول"[٣] إلى هذا، وبهذا السبيل دعا الناس إلى الإيمان فقال: **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾**[٤] **﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾**[٥]. **﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾**[٦]. فلما نبههم[٧] عرفهم أن ذلك كله بتوفيقه، فقال تعالى: **﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾**[٨]، وقال تعالى: **﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾**[٩]، فلما علم تعالى أن قد صار لهم قوة يمكنهم أن ينظر وامن آلائه[١٠] إلى أفعالهم قال تعالى: **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾**[١١] وقال: **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾**[١٢]، فأضاف أفعالهم إلى نفسه عند تناهي معارفهم بخلاف ما فعل فى الأول. فإذا تقررت[١٣] هذه الجملة عُلم أنه لا فاعل فى الحقيقة منفرداً غير الله تعالى، إذ كل فاعلٍ يحتاجُ إلى معاون على ما تقدم البيان فيها، والله تعالى: كل أفعاله[١٤] إبداع لا فى مادة ، ولا من شئ ولا على مثال ولا فى زمان ولا فى مكان، ولا بآلة ولا بمرشد ومعين. فهو الفاعل الحقيقي، وما سواه فاعل على ضربٍ من التوسع...

وبهذا النظر ورد الشرع وأجمع الصدر الأول من المؤمنين "على"[١٥] أن الأفعال كلها بمشيئة الله وإرادته، ومن جهته. وأطلقوا على "الله" لفظ "الشئ" كما يطلق على غيره بنظرين مختلفين: فإن بعض الناس قد ذكر أن "الشئ" فى الأصل مصدر "شاء"، فإذا استعمل فيه تعالى فبمعنى "الشائي"، وإذا استعمل فى غيره فبمعنى "المُشاء"[١٦]، وذلك فى اللغة مستمر، لأن المصدر يُطلق على الفاعل والمفعول جميعاً. قال: وتصور هذه الحقيقة من لفظة "الشئ" مما ينبهنا أن هذه اللفظة من جهة الله تعالى:

١- فى (ط-س) في
٢- في (ن -م)، (د-ك) لمن لم يوفق .
٣- فى (ط-س)و للوصول.
٤- سورة الحديد: الآية(٧).
٥- سورة الكهف : الآية(٨٨) وتمامها "فله جزاء الحسنى".
٦- سورة النجم: الآية(٣٩).
٧- فى (أ-ص) نبأهم، وكذلك في (ن - م).
٨- سورة الحجرات: الآية(١٧).
٩- سورة النور: الآية(٤٠).
١٠- في (ط - س) الآية ، وهو تصحيف .
١١، ١٢- سورة الأنفال: الآية(١٧).
١٣- فى (ط-س) تفردت . وهو تصحيف.
١٤- فى : (ط-س) فأفعاله.
١٥- ساقطة من :(ط-س) ، (د-ك).
١٦- فى : (فـ-ض)، وفى (أ-ص) المشئ، وفى (ط-س) المشى. وكذلك فى (د-ك).

(فَصْلٌ فِى بَيَانِ الْأَلْفَاظِ الَّتِى تَجِىءُ مُتَنَافِيَةً فِى الظَّاهِرِ)[١]

كثيراً ما تجئ الألفاظ[٢] فى الظاهر كالمتنافي عند من لم يتدرب بالبراهين العقلية والعلوم الحقيقية، وربما يغالط الملحد بألفاظ من القرآن[٣] فى نحو ذلك العجزة فيشككهم مثل أن يقول: قد ثبت من بداية[٤] العقول أن النفي والإثبات فى الخبر الواحد إذا اجتمعا لابد من صدق أحدهما وكذب الآخر، نحو أن يقال: زيدٌ خارجٌ، زيدٌ ليس بخارج. وقد رأينا فى القرآن أخباراً متنافيةً، فلابد من أن يكون أحدهما صدقاً، والآخر كذباً، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٥]، مع قوله: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٦] وقوله إخباراً عن الكفار أنهم يقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٧] مع قوله تعالى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[٩] مع قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[١٠]، وقوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[١١] مع قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾[١٢]، وقوله تعالى:[١٣] ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[١٤]، وقوله : ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[١٥] وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٦] مع قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[١٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[١٨] مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[١٩].

---

١ - ساقط من :(ط-س).
٢- فى: (ط-س)- ألفاظ.
٣- فى (ط-س) بألفاظ القرآن.
٤- فى: (ط-س) فى بداهة.
٥- سورة الصافات: الآية(٢٧) ، سورة الطور: الآيه(٢٥).
٦- سورة المؤمنون: الآية: (١٠١).
٧- سورة الأنعام: الآية(٢٣).
٨- سورة النساء: الآية(٤٢).
٩- سورة المرسلات: الآية(٣٥).
١٠- سورة الصافات: الآية (٢٧) ، سورة الطور: الآية(٢٥).
١١- سورة الإسراء: الآية(٩٧).
١٢- سورة الكهف: الآية (٥٣).
١٣ - ساقطة من (ط-س).
١٤- سورة الفرقان: الآية (١٣).
١٥- سورة الفرقان : الآية (١٢).
١٦- سورة الحجر : الآيتان (٩٢) ، (٩٣).
١٧- سورة الرحمن : الآية (٣٩) ،
١٨- سورة مريم : الآية (٧١).
١٩ - سورة الأنبياء : الآية (١٠١).

وقبل الجواب عن ذلك يجب أن نقدم[١] مقدمة تزول الشبهة بها عن ذلك وعن أمثاله[٢]، ويكتفى بتصورها عن آحاد هذه "الأسئلة"[٣] ونظائرها، وهو أن الخبرين اللذين أحدهما نفيٌ والآخر إثباتٌ إنما يتناقضان إذا استويا فى الخبر والمخبر عنه، وفى المتعلق بهما، وفى الزمان والمكان، وفى الحقيقة والمجاز. فأما[٤] إذا اختلفا فى واحد من ذلك فليسا بمتناقضين نحو أن يُقال زيد مالك، زيد ليس بمالك، وتريد بأحد الزيدين غير الآخر، أو تريد بأحد المالكين المبني "من"[٥] الملك، وبالآخر المبني من الملك الذى هو الشد[٦]، أو تريد بأحدهما: المالك فى الحال، وبالآخر[٧] أنه ممن يصح ملكه كالعبد. أو تعنى بأحدهما بأصبهان وبالآخر ببغداد، أو تعني بأحدهما فى زمان، و"بالآخر فى زمان"[٨] آخر غير الزمان الأول. فكل هذا لا تناقض فيه[٩]، فإن المراد بأحد الخبرين غير المراد بالآخر. وعلى ذلك كل ما يوصف بوصفين متضادين على نظرين مختلفين، نحو من يقول: فى "الرحى" و"البكرة الدائرة على مركزها": إنها سائرة أو منتقلة لاعتبار بعض أجزائها ببعض، ويقول آخر: إنها غير سائرة أو غير منتقلة اعتباراً بجملة أجزائها[١٠]، وأنها لا تتبدل[١١] عن المركز، فإن ذلك لاتضاد بينهما، وكذلك إذا قيل: فلانٌ لين العود- ويُرادُ به فى السخاء- وقول آخر[١٢]: ليس بليِّن العود- ويراد به فى الشجاعة. وعلى ذلك ما يختلف به الحال فى الإضافة إلى حالين أو إلى نفسين، نحو أن يقال: المال صالح- اعتباراً بحال ما أو بذات ما، ويقول الآخر: إن المال ليس بصالح- إعتباراً بحال أخرى أو بذات أخرى، وعلى ذلك الحكم فى كل ماله مبدأ وغايةٌ، مثل "الإيمان، والشرك، والتوكل"، وذلك أن "الإيمان" لما كان مبدؤه إظهار الشهادتين **كما قال عليه الصلاة والسلام فى الجارية التى أشارت إلى السماء: "إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"**[١٣]، وكان

١- فى (ط-س): يقدم.

٢- فى : (أ-ص) : أمثالها.

٣- فى : (ف-ض)، وفى (أ-ص)، وفى (ط-س): الأسؤلة. وهو خطأ من الناسخ.

٤- فى (أ-ص): أما.

٥- ناقصة من (ط-س).

٦- فى (ط-س) السد، وهو خطأ من الناسخ، وقد قال الراغب فى المفردات: "... وملكت العجين شددت عجنه، وحائط ليس له ملاك، أي تماسك".

٧- فى : (ط-س) والآخر.

٨- ساقطة من : (ط-س).

٩- فى: (ط-س) بينهما.

١٠- فى (ط-س) لجملة ، وفى (د-ك) بجملة.

١١- فى (ن-م) لاتبدل ، وكذلك فى : (د-ك).

١٢- فى (ن-م) قول مع قول آخر ، وكذلك فى :(د-ك).

١٣- الحديث أخرجه أبو داود فى (الإيمان والنذور) باب (الرقبة المؤمنة) ورقمه :٣٢٨٤، ونصه: (عن أبي هريرة رضي الله قال: إن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم - بجارية سوداء، فقال: يارسول الله: إن عليَّ رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله، أين الله؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها. فقال لها: فمن أنا؟ فأشارت إلى النبى - صلى الله عليه وسلم- وإلى السماء تعني: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة. وورد فى جامع الأصول:ج:١-ص٢٣١.

غايته ما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[١] الآية صح أن يقال: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)**[٢]، وأن يقال **«يزني الزاني وهو مؤمن»** وعلى ذلك كل ما هو مركب من شيئين، أو كان له مبدأ وغاية كما تقدم صدق فيه أربعة أخبار بأربع نظرات، نحو أن يقال: السكنجبين حلوٌ، السكنجبين حامض، "السكنجبين حلو حامض"[٣]، السكنجبين لا حلوٌ ولا حامضٌ، ومتى تصورت هذه المقدمة سهل الجواب عن هذه الآيات إذ كلٌ ذلك راجعٌ إلى أحد الأسباب المذكورات[٤] من المخالفات.

(فصلٌ في بيان انطواء كلام الله تعالى على الحكم كلِّها علميِّها وعمليِّها)

كتاب الله تعالى منطو على كل ذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٥]، وقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٨]، لكن ليس يظهر ذلك إلا للراسخين في العلم، ولكونه منطوياً على الحكم كلها قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٩]، أنه عنى به تفسير القرآن ثم منازل العلماء تتفاوت في تفهمه ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[١٠]، وأعظم ما يقصر تفهم الأكثرين عن إدراك حقائقه شيئان: أحدهما: راجعٌ إلى اللفظ، والآخر راجع إلى المعنى فالراجع إلى اللفظ شيئان: أحدهما: ما اختص به اللغة العربية من الإيجاز، والحذف، والاستعارات والإشارات اللطيفة، واللمحات الغامضة مما ليس في سوى هذه اللغة، والآخر: ما يوجد

---

١ - سورة الأنفال: الآية (٢).

٢ - الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن تحت رقم ٣٩٣٦- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن» والحديث روايات عند البخاري: ٨٦/٥ في المظالم، وعند مسلم رقم ٥٧ في الإيمان، وعند أبي داود رقم ٤٦٨٩، وعند الترمذي رقم ٢٦٢٧ في الإيمان، وعند النسائي: ٦٤/٨ في السارق.

٣ - ساقط من: (ط-س).

٤ - في: (ط-س) المذكورة.

٥- سورة يسٓ: الآية (١٢) والظاهر أن الإمام المبين لا يراد به- هنا: القرآن، كما يفهم من كلام الراغب، وسياق الآية في سورة «يسٓ»: (إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين)، فالإمام المبين: إما هو صحائف الأعمال، وإما اللوح المحفوظ، كما ذهب إليه الراغب نفسه في مفرداته، حيث قال: وقوله تعالى: (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين): فقد قيل: إشارة إلى اللوح المحفوظ.

٦- سورة يوسف: الآية (١١١).

٧- سورة الأنعام: الآية (٣٨).

٨- سورة النحل: الآية (٨٩).

٩- سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

١٠- سورة النساء: الآية (٨٣).

فى القرآن خاصة من الإيجازات والحذف مما ليس فى غيره من الكلام، ولما فيه من اللفظ "اليسير"[١] المنطوي على المعنى الكثير، قال عليه الصلاة والسلام: «**أوتيتُ جوامعَ الكلام**»[٢]، فمن مثال الإيجاز: قوله تعالى فى وصف ارتفاع الأسباب المكروهة عن أوليائه ﴿**لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٣] فنفى بذلك كل تنغيص[٤] إذا كان جميعه فى حصول مكروه وفوت محبو ب، وقد نفاهما بذلك، وقال فى فاكهة أهل الجنة ﴿**لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ**﴾[٥]، فنفى بذلك جميع الآفات العارضة لمطاعم الدنيا، وقال فى صفة خمرهم: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**﴾[٦]، فنفى بذلك كل مكروه يعرض فيها، وأخبر بكل ما كان من أمر فرعون وآله بألفاظ يسيرة، وذلك فى قوله: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**﴾[٧].

فذكر فيه ما قيل إنه ينطوي عليه "من"[٨] أوراق وجلود من السفر، ومن عجيب مافيه أن كل ما علم (بالسامع استغناء عنه)[٩] من الألفاظ ترك ذكره وتخطى إلى ما بعده نحو قوله تعالى: ﴿**أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ**﴾[١٠]، فترك ما كان من موسى، ثم ترك ما كان منه ومن أصحابه فى دخولهم البحر، وتخطى[١١] إلى ذكر ما صنع بهم، وأما الراجع إلى المعنى: فذكره تعالى- أصولاً منطوية على فروع بعضها بينه النبى عليه السلام، وبعضها فوض استنباطه إلى الراسخين فى العلم تشريفاً لهم وتعظيماً لحلمهم، لكى يقرب[١٢] منزلة علماء هذه الأمة "من"[١٣] منزلة الأنبياء فى استنباطهم بعض الأحكام، ولاختصاص هذه الأمة بهذه المنزلة الشريفة قال عليه الصلاة والسلام: «**كادت أمتى تكون أنبياء**»[١٤]، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[١٥]- الآية- وقال: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[١٦] فجعلهم فى ذلك بمنزلة الأنبياء...

---

١ - سقطت من : (ط-س).

٢ - هذه رواية مسلم: شرح النووي: ج:٥/٦ كما ذكر روايات أخرى بلفظ "أعطيت" و"بعثت": ج:٥/٥، وكذلك رواه البخاري ج:٦/ص٩٠ فى الجهاد، وفى التعبير ، والترمذي فى السير برقم ١٥٥٣، والنسائي فى الجهاد-ج: ٦-ص٣، ٤.

٣ - سورة يونس : الآية (٦٢).

٤- فى (ن-م) تنقيص ، وهى كذلك فى (د-ك).

٥ - سورة الواقعة : الآية (٣٣).

٦- سورة الصافات : الآية (٤٧).

٧- سورة الدخان : الآيات : (٢٥، ٢٦، ٢٧).

٨- ناقصة من :(ط-س) ، ومن (د - ك) ،

٩- في (ن - م) ، (د-ك) السامع واستغني عنه

١٠- سورة الشعراء الآية : (٦٣).

١١- في (ط -س) يخطئ .

١٢- في (ن - م) تقرب .

١٣- ناقصة من (ط -س).

١٤- هذه الجملة جزءٌ من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد فى مسنده -ج:١-ص٢٩٦، وقد جاء قبلها « . فإذا أراد الله- عز وجل- أن يصدع بين خلقه نادى مناد: أين أحمد وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، فنحن آخر الأمم وأول من يُحاسب فتفرج لنا الأمم عن طريقنا، فنمضي غراً محجلين من أثر الطهور. وتقول الأمم "كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها".

١٥- سورة البقرة : الآية (١٤٣).

١٦- سورة آل عمران : الآية (١١٠).

(فَصْلٌ فى انطواء القُرْآنِ على البَراهينِ والأدلّة)

ما من برهان ولا دلالة[١] وتقسيم وتحديد "ينبئ" عن "[٢] كليات المعلومات العقلية والسمعية إلاّ وكـــتـــاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب، دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين-لأمرين: أحدهما: بسبب ما قاله[٣]: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٤] الآية،، والثاني: إن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامه الحجة بالجلى[٥] من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح، الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط[٦] إلى الأغمض الذى لا يعرفه "إلا"[٧] الأقلون مالم يكن ملغزاً، فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجل صورةٍ تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليها[٨] ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم[٩] الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الحكماء، وعلى هذا النحو قال "عليه الصلاة والسلام"[١٠]: «إن لكل آية ظهراً وبطناً»[١١] ولكل حرفٍ حداً ومطلعاً» لا على ما ذهب إليه الباطنية، ومن هذا الوجه كلهُّ مَنْ كان حظه فى العلوم أوفر، كان نصيبه من علم القرآن أكثر، ولذلك، إذا ذكر "تعالى"[١٢] حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرةً بإضافتها[١٣] إلى أولى العقل، ومرةً إلى أولي العلم، ومرةً إلى السامعين، ومرة إلى المفكرين، ومرةً إلى المتذكرين- تنبيهاً "على"[١٤] أن بكل قوةٍ من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١٥]، وغيرها من الآيات...

١- فى: (ط-س): ودلالة.

٢- فى: (أ-ص): مبنى على. ، وكذلك فى (ن-م).

٣- فى: (ط-س) ما قال.

٤- سورة إبراهيم : الآية (٤).

٥- فى: (ط-س) بالجليل.

٦- فى : (ط-س) : تنحط.

٧- ساقط من : (ط-س).

٨ - فى : (ط-س) جليلها.

٩- فى :(ن-م) ويفهم، وكذلك فى : (د-ك).

١٠ - ساقط من : (ط-س).

١١- أخرجه الفريابي من رواية الحسن مرسلاً عن النبى - صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع). وأخرج الديلمي من رواية عبد الرحمن بن عون مرفوعاً: "القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يُحاج العباد).. الإتقان- للسيوطي - ج: ٤-ص١٩٦.

١٢ - ساقط من :(ط-س).

١٣- فى: (ط-س) بإضافته، وكذلك فى (د-ك).

١٤ - ساقط من : (ط-س).

١٥ - سورة الرعد : الآية (٤) ، وسورة النحل : الآيتان (١١ ، ٦٧).

(فَصْلٌ فِي الْأَحْكَامِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْأَدْيَانِ وَمَا يَجُوزُ فِيهِ النَّسْخُ وَمَا لاَ يَجُوزُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ)[١]

الأحكام التى تشتمل عليها الشرائع ستةٌ: الاعتقادات، والعبادات، والمشتهيات والمعاملات، والزاجرات[٢]، والآداب الخلقية.. فالاعتقادات خمسة: إثبات وجود البارئ -جل ثناؤه- بصفاته، وإثبات الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين خلقه، والكتاب، والرسل، والمعاد، وقد انطوى على ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[٣] الآية، وأما العبادات فثمانية: الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف والقرابين والكفارات.

والمشتهيات[٤] أربع: المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمعاملات أربع: المعاوضات كالبيع والإجارة وما يجري مجراهما، ،المخاصمات- كالدعاوى والبينات والأمانات كالودائع والعوارى، - والتركات- كالوصايا والمواريث، والمزاجر خمس: مزجرةٌ عن فوات الأرواح حفظاً للنفوس- كالقصاص والدية، ومزجرةٌ لحفظ الأعراض - كحد القذف والفسق[٥].

ومزجرةٌ لحفظ الأنساب- كالجلد والرجم-، ومزجرة لحفظ الأموال - كالقطع والصلب- ومزجرةٌ لحماية البيضة- كالقتل للمرتد[٦]، وقتال البغاة، وأما الآداب الخلقية فثلاثة: ما يختص به الإنسان فى نفسه وإصلاح أخلاقه كالعلم، والحلم، والسخاء، والعفة، والشجاعة، والوفاء، والتواضع. وما يختص به فى معاشرة ذويه ومختصيه: كبرٌ الوالدين، وصلة الأرحام، وحفظ الجار، ورعاية الحقوق، ومواساة أهل الفقر، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف. وما يختص به أولو الأمر من سياسة الرعية. والفرق بين الشرعيات والآداب الخلقية: أن الشرعيات: محدودة الكميات والكيفيات، ولتارك عامتها عقوبة محدودة. وأما الآداب الخلقية: فغير محدودة الكميات والكيفيات، وليس لتاركها عقوبة، بل هى موكولة إلى ذوى الأنفس الزكية، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[٧]، وعلى جمهور ذلك دل قوله تعالى:

---

١ - ساقط من : (ط-س).

٢ - فى : (ط-س) والمزاجر.

٣ - سورة النساء : الآية (١٣٦).

٤ - فى : (د-ك) و المشتهات.

٥ - فى : (ط-س) والتفسق.

٦ - فى: (ط-س) للردة.

٧ - استشهاد بالآية القرآنية :٤٣ من سورة العنكبوت (وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾(١)

وأشرف هذه الأنواع الستة (٢): الاعتقادات، لأنه فى حيز (٣) العلم، والباقيات فى حيز العمل، والعلم: هو المبدأ. والعمل تمامه، ولا يكون تمام بلا مبدأ. وقد يكون مبدأ بلا تمام، ولأن العلم أصل، والعمل فرع، ولإثباتَ للفرع إلا بالأصل كما لا "كمال"(٤) للأصل إلا بالفرع، ومتفقٌ عند كل أحد أن الاعتقاد مقدمٌ على العمل، حتى إنهم يتباينون بما ينفع من الاختلاف فى الاعتقادات دون الأعمال. "وتصير"(٥) بفساد الاعتقاد المحاسنُ كلُّها مقابحَ، ثم يتبعه أمر العبادة، فإن المخل بالصلاة والصيام والاغتسال من الجنابة عند المسلمين أعظم من مرتكب الظلم، وكذا ترك السبت عند اليهود وترك العبادة عند النصارى، وترك الزمزمة عند المجوس أعظم عن ظلم العباد، فإن العبادة هى المحافظة على حق الله، والورع عن ظلم الناس بالمحافظة على أحكامه، والعابد أعلى من الورِع.

١- سورة الإسراء: الآيات (من ٢٣ إلى ٣٩).

٢- فى : (ط-س) الخمسة وعلى هامشها الستة، وهو المطابق لما سبق أن ذكره، وفى (ن-م) الخمسة.

٣- فى (د - ك) فى خير ، وهو تصحيف .

٤- فى: (ط-س): زكاً.

٥- فى: (ط-س): ويصير.

وبعد ذلك يجب أن نبين ما يجوز فى النسخ ومالا يجوز، وقد علم أن النسخ لا يصح إلا فى التعبد الذى هو الأمر والنهي دون الإخبار كما يصح ذلك فى الاعتقادات المذكورة إذ كان ذلك أشياء أمرنا أن نعرفها على ماهي بها[١]، فنعتقدها بحسب ماهي عليه، وذلك لا يتغير، وما كان من الآداب الخلقية، فإنما هي ما هي عقليات ظاهرة لا يأتي شرعٌ بخلاف مقتضاها. وأما العبادات، والمعاملات، والمزاجر فلا يصح[٢] فى أصولها النسخ، وإنما يصح فى فروعها، وذاك أنه محالٌ أن تنفك شريعةٌ من الشرائع عن عبادة الله تعالى واقعة فى حيز البدن، وهى مثل الصلاة، وعبادة فى حيز المال، وهي كالزكاة، وعبادة فى إمساك الشهوة كالصوم. وأن تنفك عن معاملات تحثهم على العدالة وتمنعهم عن التهارج، وعن مزاجر تزجرهم عن استباحة نفوس الغير وأعراضهم وأموالهم وأنسابهم، وأما هيآتها وأشكالها وأمكنتها وأزمنتها وأعدادها، فهى فروعها التى لم تزل تُعرِّض النسخ[٣] على حسب ما عرفه الله تعالى من مصلحة كل قوم، ومما يدل[٤] على أنه لا نسخ فى عامة أصول هذه الأشياء ماورد من النصوص على ذلك فى القرآن نحو قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٥] ، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٦] الآية، وقال حكايةً عن عيسى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٧] .

وقال فى الزكاة: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[٨] ، وقال فى القبلة[٩] : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[١٠] ... وقال فى الصوم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[١١] ، وقال

١- فى : (د-ك) به ، وكذلك فى (ن-م).

٢- فى : (ط-س) : ينفك. وفى (ن-م) فمما لا يصح ، وكذلك فى (د-ك).

٣- فى (ن-م) بعرض النسخ وهو كذلك فى (د-ك) ولعل الصواب تعرض للنسخ .

٤- فى (ن-م) مما يدلك.

٥- سورة الشورى : الآية (١٣).

٦ - سورة البينة : الآية (٥).

٧- سورة مريم : الآية (٣١).

٨- سورة فصلت : الآيتان : (٦) ، (٧).

٩- يذكر المؤلف ما قيل فى القبلة، ولعل فى الكلام سقطاً والمناسب أن يقال: وقال فى القبلة: (وما بعضهم بتابع قبلة بعض)- الآية (١٤٥) - سورة البقرة .

١٠ - سورة الحج : الآية (٣٤).

١١- سورة البقرة : الآية (١٨٣).

في الاعتكاف: ﴿طهرا بيتي للطائفين والعاكفين﴾[١]، وقال في القرابين: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا﴾[٢] ، وحكى عن اليهود﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾[٣] ، وفي الجهاد: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾[٤] ، وقال في القصاص: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾[٥]، وقال في المطاعم والمشارب: ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل﴾[٦]، وقال : ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾[٧]، وقال في المزاجر: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾[٨] ، وقال في أخرى: ﴿لهدمت صوامع وبيع﴾[٩]، وقال: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾[١٠]، وذكر في الآداب وصايا لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ إلى قوله: ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا﴾[١١]. إلى غير ذلك من الآيات، وآكد من ذلك كله : ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾[١٢] إلى قوله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾[١٣]، وقال في الفروع[١٤]: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾[١٥]، فإن قيل : إن المزاجر ليست في كل شريعة، ألا ترى أنه قيل: لم تكن [١٦] في النصرانية، لما روى عن عيسى عليه السلام: "إذا لطم أحدكم على أحد جانبيه فليعرض عليه الجانب الآخر" وقال: "أدع الناس إلى الدين بالمقال دون القتال"، قيل: ان المزاجر كما تكون [١٧] بالقتال قد تكون [١٨] بالمقال، فلابد أن يكون لهم مزاجر، ثم إن مزاجرهم قد وردت[١٩] بها التوراة، فاستغنى بها عيسى عليه السلام عن تبيينها وما ذكر من تمكين الجانب الآخر من اللطم، فحثٌ منه على العفو واحتمال المكروه.

١- سورة البقرة : الآية (١٢٥).
٢- سورة المائدة : الآية (٢٧).
٣- سورة آل عمران : الآية (١٨٣).
٤- سوره آل عمران : الآية (١٤٦).
٥- سورة المائدة : الآية (٤٥).
٦- سورة آل عمران : الآية (٩٣).
٧-سورة النساء : الآية (١٦٠).
٨- سورة البقرة : الآية (٢٥١).
٩ - سورة الحج : الآية (٤٠).
١٠ - سورة الإسراء : الآية (٣٢).
١١ - سورة لقمان : من الآية (١٣) إلي الآية (١٨) .
١٢ - سورة الأعلى : الآيتان (١٤) ، (١٥).
١٣ - سورة الأعلى : الآيتان (١٨) ، (١٩).
١٤- في (ن-م) الردع وهي كذلك في (د-ك). وهو تحريف.
١٥ - سورة المائدة : الآية (٤٨).
١٦ - في (ط-س) : يكن، وكذلك في (د - ك).
١٧ - في (ط-س) يكون .
١٨- في: (ط-س) يكون.
١٩- في: (أ-ص) و (ط-س) ورد به.

(فَصْلٌ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِى التَّفْسِيرِ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ النَّسْخِ وَالتَّخْصِيصِ)

النسخ[١] والمسخ يتقاربان، كذا قال الخليل، إلا أن "المسخ" فى نقل الأعيان، والنسخ فى نقل الصور، نحو نسخ الكتاب،وهو نقل صورة الكتابة إلى غيره من غير إبطال لرسمه[٢] الأول، ونَسَخَ الظِّلُّ الشَّمْسَ إذا أزالَها. وحقيقة النسخ : إزالةُ مثل الحكم الثابت بالشرع بشرع آخر مع التراخي،، والفرق بينه وبين التخصيص أن التخصيص قد يكون فى الخبر، والنسخ لا يكون فيه، والتخصيص إخراج مالم يرد بالخطاب من الأعيان والمعاني والأمكنة، والنسخ إخراج مالم يرد به من الحكم فى بعض الأزمنة، والتخصيص فى الأكثر مقرون" بالمخصوص لفظاً أو تقديراً، والنسخ لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ،ومتى اقترن به سمي تخصيصاً، «وكان النسخ فى الحقيقة ضربٌ»[٣] من التخصيص، إلا أنهما فى المتعارف[٤] مختلفان،.

وقد تصور عدةٌ ممن صنفوا فى النسخ بعض ماهو بيان للمجمل أو تخصيص للعام[٥] بصورة الناسخ، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٦].

وقال بعضهم: نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٧]، وهذا بيان ماليس بظلم من أكل مالهم، ونحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٨] قال: فلم تحرم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ﴾[٩]-الآية- وهذا أيضاً بيان الأول،[١٠] وذاك أن ما كان حضرته أكثر من منفعته[١١]،

---

١ - قال الراغب فى مفرداته: النسخ: ازالة شئ بشئ يتعقبه كنسخ الشمس الظل والظل الشمس والشيب الشباب، فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران ونسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه.. قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قيل: معناه: ما نُزيل العمل بها أو نحذفها عن قلوب العباد، وقيل: معناه: ما توجده وتنزله من قولهم نسخت الكتاب وما ننسأه أى نؤخره فلم ننزله فينسخ الله ما يلقى الشيطان، ونسخ الكتاب نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضى إزالة الصورة الأولى، بل يقتضي إثبات مثلها فى مادة أخرى كإتخاذ نقش الخاتم فى شموع كثيرة... الخ - المفردات - ص٨٠١ .

٢ - فى: (أ-ص): لرسم، وفى (ط-س): الرسم.

٣- فى (د-ك) ، وفى (ن-م) - (وكان النسخ فى الحقيقة ضرباً من التخصيص).

٤ - فى: (ط-س) التعارف.

٥ - فى : (ف-ض)، (ط-س)، (أ-ص) - لعام-

٦- سورة النساء : الآية (١٠) .

٧- سورة النساء : الآية (٦).

٨- سورة البقرة : الآية (٢١٩).

٩- سورة المائدة : الآية (٩٠).

١٠- فى : (أ-ص) للأول وكذلك فى (ن-م) ، و(د-ك).

١١- فى : (د-ك) ، (ن-م) نفعه.

فالعقل بالجملة يقتضي تجنبه، ولكن لما كان "ذاك"[١] غير صريح أكده بالآية الأخرى، ومن التخصيص الذى يُعد نسخاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾[٢] مع قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[٣]، وعلى هذا ما حكى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤] شق ذلك على بعض أولي الضرر، فنزل قوله تعالى: (غير أولي الضرر) مقروناً بقوله تعالى: (القاعدون من المؤمنين)، وهذا القدر يدل على كثير مما ذكروه من أمثال ذلك[٥].

(فَصْلٌ فِى أَنَّهُ هَلْ فِى الْقُرْآنِ مَالَا تَعْلَمُ الْأُمَّةُ تَأْوِيلَهُ)[٦]

اختلفوا فى ذلك، فذهب عامة المتكلمين إلى أن كل القرآن يجب أن يكون معلوماً[٧]، وإلاّ أدى إلى بطلان فائدة الانتفاع به وأن لا معنى لإنزاله وحملوا قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على أنه عطف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٨] وجعلوا قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ فى موضع الحال[٩] كما قال:

الرِّيحُ يَبْكِي شَجْوَهَا   وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِى غَمَامِهِ[١٠]

١- فى : (أ-ص)، وسقطت من : (ط-س).
٢- سورة البقرة : الآية (٢٢١).
٣- سورة المائدة : الآية (٥).
٤- سورة النساء : الآية (٩٥).
٥- ساقطة من : (ط-س).
٦- سقط هذاالفصل بأكمله من (ط-س) وجزء من الفصل الذى يليه.
٧- وهو قول مجاهد والضحاك، واحدى الروايتين عن ابن عباس، واختاره النووي، وقال فى شرح مسلم:"إنه الأصح، لأنه يبعد أن يخاطب به عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته". وقال ابن الحاجب: إنه الظاهرمقدمة جامع التفاسير ص ٨٦ - تحقيق: الدكتو / أحمد فرحات ..
٨ - سورة آل عمران: الآية (٧).
٩- وقد استبعد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الحالية هنا وقال : "المعروف فى اللغة العربية أن الحال قيد لعاملها ووصف لصاحبها، فيشكل هنا تقييد هذاالعامل الذى هو "يعلم" بهذه الحال التى هى "يقولون آمنا"، إذ لا وجه لتقييد علم الراسخين بتأويله بقولهم: "آمنا به"، لأن مفهومه أنهم فى حال عدم قولهم "أمنا به" لا يعلمون تأويله وهو باطل، وهذا الإشكال قوي، وفيه الدلالة على منع الحالية فى جملة "يقولون" - على القول بالعطف - مقدمة جامع التفاسير - ص ٨٦.
١٠- البيت ليزيد بن مفرغ الحميري من قصيدة قالها يهجو فيها عباد بن زياد ومطلعها:-

أصرمت حبلك من أمامه   من بعد أيام برامـــه
فالريح تبكي شجوهـــا   والبرق يلمع فى الغمامه
لهفي على الأمـــر الذى   كانت عواقبه ندامـــه

انظر ديوانه- ص١٤٣- تحقيق : الدكتورداوود سلوم. والبيت فى أمالي المرتضى -ج:١-ص٣٩، ج:٢-ص٩٦ والأضداد لابن الانباري-ص٣٧٢- وتأويل مشكل القرآن- ص٧٤ بتحقيق الأستاذ/ السيد أحمد صقر، خزانة الأدب - ج : ٤ - ص٣٢٩ - الشعر والشعراء - ص ٢٢٧ ، وطبقات فحول الشعراء - ج : ٢-ص٨٩، والصاحبي - ص٣٩٧ ، وهو شاعر إسلامي ، وهذه الأبيات من أجود شعره ، وقالها فى بيع غلامٌ له كان قد رباه يقال له (بُرد)، وكان يعدل عنده ولده .

أى البرق يبكي لامعاً، وقوّى ذلك بقراءة ابن مسعود فيما قيل: (ويقولون آمنا به) بالواو، وعامة أعيان الصحابة[١] وكثير من المفسرين بعدهم، ذهبوا إلى أنه يصح أن يكون فى القرآن بعض مالا يَعلم تأويله إلا الله. قال ابن عباس: «أنزل [٢] القرآن على أربعة أوجه: وجه حلال وحرام لا يسع أحداً جهالته. ووجه يعرفه العرب، ووجه تأويله يعلمه العالمون، ووجه لا يعلم تأويله إلا الله، ومن انتحل فيه علماً فقد كذب»[٣]. وحمل الآية على أحد وجوه ثلاثة:

- أحدهما: أنه جعل التأويل بمعنى ما تؤول إليه حقائق الأشياء من كيفياتها وأزماتها وكثيرمن أحوالها..

وقد علمنا أن كثيراً من العبادات والأخبار الاعتقادية كالقيامة والبعث ودابة الأرض لا سبيل لنا إلى الوقوف على حقائقها وأزمانها، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾[٤] الآية.. والثاني: أن من ألفاظه ما أمرنا بأن نتلوها تلاوةً، وبها نتعبد دون معرفة تأويلها، كما تعبدنا بحركات تحصل فى كثير من العبادات فى الصلاة والحج، وعلى ذلك حمل قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾[٥] أى أنهم أمروا بالتفوه بهذه اللفظة، والثالث: أن كثيراً من الآيات مما اختلف المفسرون فيه، ففسروه على أوجه كثيرة تحتملها الآية، ولا يقطع على واحد من الأقوال، فإن مراد الله تعالى منها غير معلوم لنا مفصلاً، بحيث يقطع به. والذين ذهبوا المذهب الثاني قالوا: قد علم أن الآية نزلت إنكاراً على قوم طمعوا فى الهجوم على مالا سبيل لهم إليه، فأراد تعالى حسم أسباب الخوض،ومتى كان فيه تشارك لم ينقطع الشغب إذ كلٌّ يدعى معرفته، فإن قيل : إن هذا لأقوام معينين، فرجع القول إلى ما يقوله الإمامية أن آيات من القرآن لا يعرف تأويلها إلا الإمام، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[٦].

---

١ - منهم: عمر وابن عباس- فى أقوى الروايتين- وعائشة وعروة وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز وابن مسعود، وأبي بن كعب ، ونقله عنهم القرطبي وغيره. ونقله ابنُ جرير عن يونس عن أشهب وعن مالك بن أنس، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد، وقرأ أبي وابنُ عباس وطاوس :(ويقول الراسخون في العلم) - معجم القراءات القرآنية - ج : ٢- ص٧.

٢- ساقطه من : «د-ك» ، و«ط-س».

٣ - وقال فى الإتقان:

وقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس، قال: التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب. من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى. ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ: "أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى. ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب". الإتقان فى علوم القرآن - ج :٤، ص١٨٨، ١٨٩.

٤ - سورة الأعراف : الآية (٥٣).

٥ - سورة البقرة : الآية (٥٨).

٦ - سورة النساء : الآية (١٦٢).

(فَصْلٌ فِى بَيَانِ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى فِى جَعْلِهِ بَعْضَ الآياتِ مُتَشَابِهاً)

سُئل بعض العابدين، فقيل له: ما بال القرآن جُعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً؟ وهلاَّ جُعل كله على نمط المحكم حتى كان يكفي الإنسان مؤونة النظر الذى قل ما سلم متعاطيه من زلة؟ وهذه مسئلةٌ نسأل عنهافى الأحكام أيضاً فنقول[1] : هلاَّ بينها كلها حتى يستغني عن جهد الرأى الذى لا يؤمن خطؤه؟ بل سئل عنها أيضاً فى أصل التكليف، فيقال: هلاَّ خوَّلنا الله إنعامه بلا مشقة ولا مؤنة حتى كان عطاؤه أهنأ منالاً؟ فقال: (الجَواب) عن جميع ذلك واحد، وهو أن الله تعالى خَص الإنسان بالفكر[2] والتميز، وشرَّفَهُ بهما، حتى قال تعالى: ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[3]، وجعله بذلك خليفة فى الأرض فقال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[6] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[7]، وكفاه شرفاً بما أعطاه من هذه المنزلة أنه قد يصير لأجلها شريفاً موصوفاً بالعلم والحلم والحكمة، وكثير من الصفات التى هى من صفاته تعالى، وإن لم تكن[8] على حَدِّها وحقيقتها.

ولما خصه الله[9] تعالى بهذه الفضيلة- أعني بالفكر والروية- أعطاه كل ما أعطاه من المعارف[10] قاصرةً عن درجة الكمال، ليكمله الإنسان بفكرته، لئلا تتعطل[11] فائدتها، وإلاَّ كانت موجداً [12] لما لا فائدة فيه، وذلك شنيع يُنزه عنه البارى سبحانه، وعلى ذلك أحوال كل ما أوجده لنا من المأكولات والمشروبات، لأنه أوجد لنا أصول الأغذية، ثم هدانا بما خوَّلنا من التميز إلى تركيبها، وتناول ما يحتاج [13] إليه على الوجه الذى يحتاج[14] وفى الوقت الذى يحتاج[15]. فإذا ثبت ذلك فتأويل كتاب الله تعالى وأحكام شرائعه وسائر معانيه [16] قسمان :

١- فى (د-ك) فقال.
٢- فى (ن-م) بالكفر وهو تحريف واضح.
٣- سورة الإسراء : الآية (٧٠).
٤- سورة البقرة : الآية (٣٠).
٥- سورة النور : الآية (٥٥).
٦- سورة الأعراف : الآية (١٢٩).
٧- سورة هود : الآية (٦١).
٨- فى : (ط-س) يكن.
٩- ساقط من : (ط-س).
١٠- فى: (ط-س) المعاون، وهو تصحيف.
١١- فى: (ط-س)، (أ-ص) ، (ف-ض) يتعطل.
١٢- فى (ن-م) كانت موجوداً لافائدة فيه ، وهى كذلك فى (د-ك).
١٣- فى : (ن-م) و (د-ك) نحتاج.
١٤- فى : (ن-م) و (د-ك) نحتاج
١٥- فى : (ن-م) و (د-ك) نحتاج.
١٦ - في : (ط - س) ، (أ - ص) ، (ف - ض) معاونه وهو تصحيف .

جليٌّ ، وخفيٌّ: فالجلي: ما أدركناه إما بالحاسة، أو ببديهة العقل. **والخفي**[١]: ما يتوصل إليه بوساطة أحد هذين، فسبحان الذى شرف الإنسان بهذه المنزلة السنية لتكون ذريعة لهَ إلى إدراك الحياة الأبدية وتحصيل مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر، كما قال تعالى: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**[٢].

(فَصْلٌ فِى شَرَفِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ)

أشرف صناعة يتعاطاها الإنسانُ تَفْسِيرُ القُرْآنِ وَتَأْوِيلُهُ، وذلك[٣] أن الصناعات الحقيقية إنما تشرف بأحد ثلاثة أشياء: "إما بشرف موضوعاتها، وهى المعمول فيها، نحو أن يقال: الصياغة أشرف من الدباغة، لأن موضوعها -وهو الذهب والفضة- أشرف من جلد الميتة- الذى هو موضوع الدباغة"[٤] وإما بشرف صورها: نحو أن يقال: طبع السيوف أشرف من طبع القيود.. وإما بشرف أغراضها وكمالها، كصناعة الطب- التى غرضها إفادة الصحة- فإنها أشرف من الكناسة- التى غرضها تنظيف المستراح. فإذا ثبت ذلك، فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث، وهو أن موضوع المفسر كلام الله تعالى: الذى هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضلة. وصورة فعله: إظهار خفيات ما أودعه مُنْزِلُهُ من أسراره **﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**[٥]، وغرضه: التَمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لافناء لها. ولهذا عَظَّمَ الله محله بقوله: **﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**[٦]. "قيل: هو تفسير القرآن"[٧].

---

١ - فى : (ط-س) فالخفي.

٢ - سورة السجدة : الآية (١٧).

٣- فى (ن-م) وذاك وهى الأصوب.

٤ - ساقطة من : (ط-س).

٥ - سورة ص: الآية (٢٩).

٦- سورة البقرة - الآية : (٢٦٩).

٧- ساقطة من : (ط-س).

وقد نقل الإمام السيوطي هذاالفصل فى "الإتقان" ببعض اختلاف من زيادة ونقصان - انظر : ج: ٤ - ص ١٧٣.

(فَصْلٌ فِى بَيَانِ الآلاتِ الَّتِى يَحْتَاجُ إِلَيْهَا[1] الْمُفَسِّرُ)

اختلف الناس فى تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذى علم الخوض فيه؟ فبعض يشدد[2] فى ذلك وقال: لا يجوز لأحد تفسير شئ من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً فى معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهى إلى ما روى له[3] عن النبى ﷺ وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة- رضي الله تعالى عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين، واحتجوا فى ذلك بما روي عنه عليه السلام: **«من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار»**[4]، وقوله عليه السلام: **«من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»**[5]، وفى خبر[6] «من قال فى القرآن برأيه فقد كفر»[7]، وبما روي عن أبى بكر – رضي الله عنه- «أى سماءٍ تظلني وأى أرض تقلني إذا قلت فى كتاب الله برأيي». وذكر آخرون أن من كان ذا أدب وسيع فموسعٌ له أن يفسره، فالعقلاء والأدباء "فوضى فضاً"[8] فى معرفة الأغراض، واحتجوا فى ذلك بقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[9].

وذكر بعض المحققين "أن المذهبين"[10] هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد «ترك كثيراً ممايحتاج إليه»[11] ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه، فقد عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: **﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾**[12] .. والواجب: أن يبين أولاً ما ينطوى عليه

---

١ – فى : (ط-س) إليه.

٢ – فى (ط-س): تشدد.

٣ – ساقطه من : (أ-ص).

٤ – أنظر روايات الحديث فى تفسير الطبري-ج:١-ص٧٧، ٧٨ وتعليق الأستاذ/ محمود شاكر عليها حيث يميل إلى تضعيف الحديث.

٥ – قال ابن كثير: عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ»، وقد روى هذا الحديث أبو داوود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطيعي، وقال الترمذي: غريب وقد تكلم بعض أهل العلم فى سهيل، وفى لفظ لهم: «من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ». تفسير القرآن العظيم ج:١-ص٥.

٦- ساقطة من (ن-م).

٧- انظر ما قاله فيه ابن كثير فى تفسيره- ج:١-ص٥.

٨ – فى (د-ك) فوضى فوضى. وجاء فى اللسان: ... وكذلك جاء القوم فوضى، وأمرهم فيضي وفوضي: مختاط، عن اللحياني، وقال: معناه: سواء بينهم كما قال ذلك في "فضا" ومتاعهم فوضى بينهن إذا كانوا فيه شركاء، ويقال أيضا فضاً قال:

طعامهم فوضى فضاً فى رحالهم ... ولا يحسبون السوء إلاّ تتاديا

وفى المعجم الوسيط: قوم فوضى : ليس لهم رئيس. قال الأفوه الأودي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا.

وقد جاءت الكلمتان فى : (ط-س) فوضى...

٩ – سورة ص : الآية (٢٩).

١٠ – ساقطة من : (ط-س).

١١- سا طة من (د-ك).

١٢- سو ة : ص – الآية : (٢٩).

القرآن، وما يحتاج إليه المفسر من العلوم، فنقول وبالله التوفيق: إن جميع شرائط الإيمان والإسلام التى دعينا إليها واشتمل القرآن عليها ضربان: علمٌ غايته الاعتقاد، وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وعلم غايته العمل، وهو معرفة أحكام الدين والعمل بها.[١] والعلم مبدأ والعمل تمام، ولا يتم العلم من دون العمل، ولا يخلص العمل من دون العلم، ولذلك لم يفرد- تعالى- أحدهما من الآخر فى عامة القرآن، نحو قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾[٢] ، وقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٤]، ولا يمكن تحصيل هذين إلاّ بعلوم لفظية وعقلية وموهبية. فالأول : معرفة الألفاظ: وهو علم اللغة، والثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض وهو الاشتقاق. والثالث: معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ [٥] من الأبنية والتصاريف والإعراب وهو النحو، والرابع: ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات، والخامس: ما يتعلق بالأسباب التى نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاصيص التى تنطوي[٦] عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

والسادس : ذكر السنن المنقولة عن النبى ﷺ وعمّن شهد الوحي مما اتفقوا عليه[٧] وما اختلفوا فيه، مما هو بيان لمجمل، أو تفسير لمبهم المنبأ عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٨]، وبقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٩] وذلك علم السنن.

والسابع : معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف[١٠] والمجمَلْ والمفسَّر، والقياسات الشرعية، والمواضع التى يصح فيها القياس، والتي لا يصح، وهو علم أصول الفقه.

---

١ - فى : (أ-ص) والعمل به وكذلك فى (ن-م).

٢ - سورة التغابن : الآية (٩) وتتمتها (يكفر عنه سيئاته)والآية:(١١) من سورة الطلاق، وتمامها: (يدخله جنات).

٣ - سورة غافر : الآية (٤٠)

٤ - سورة الرعد : الآية (٢٩)

٥- فى : (د-ك) الألفاظ

٦ - فى : (ط-س) ينطوي

٧ - فى : (ط-س) فيه

٨ - سورة النحل : الآية (٤٤).

٩ - سورة الأنعام : الآية (٩٠)

١٠- فى : (د-ك) ، (ن-م) والاختلاف.

والثامن: أحكام الدين وآدابه، وآداب السياسات الثلاث، التى "هي"[١] سياسة النفس، والأقارب والرعية، مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد...

والتاسع: معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية، والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونات وغير ذلك، وهو علم الكلام.

والعاشر : علم الموهبة، وذلك علمَ يورِّثُهُ الله مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ[٢]، وقال أمير المؤمنين (علي)- رضي الله عنه:

قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ماعلم. ثم تلا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٣] وما روى عنه حيث سُئل: «هل عندك علمُ عن النبى ﷺ لم يقع إلى غيرك؟ قال: لا، إلاّ كتاب الله وما فى صحيفتى، وفهمٌ يؤتيه الله مَن يشاء» وهذا هو التذكر الذى رجانا تعالى- إدراكه بفعل الصالحات، حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤].

وهو الهداية المزيدة للمهتدي فى قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[٥] الآية، وهو الطيب من القول المذكور فى قوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[٦] فجملة العلوم التى هى كالآلة للمفسر، ولا يتم صناعةُ إلاّ بها هى هذه العشرة: علم اللغة، والاشتقاق والنحو، والقراءات والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت "فيه"[٧] هذه الْعَشَرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه. ومن نقص عن بعض ذلك مما ليس بواجب معرفته فى تفسير القرآن وأحس من نفسه فى ذلك بنقصه واستعان بأربابه واقتبس منهم واستضاء بأقوالهم لم يكن - إن شاء الله من المفسرين برأيهم[٨]، فإن القائل بالرأي- هاهنا- من لم

---

١ - ساقطة من : (ط-س).

٢ - فى : (ط-س)، و(ف-ض)، (أ-ص) ، (د-ك) : علم ما يعلم، ويبدو أنها جزء من الحديث الوارد: «من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم».

٣ - سورة الزمر : الآية (١٨).

٤ - سورة النحل : الآية (٩٠)، وتمامها : (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون).

٥ - سورة محمد : الآية (١٧).

٦ - سورة الحج : الآية (٢٤).

٧ - ساقطة من : (ط-س).

٨ - فى : (ط-س) برأيه.

تجتمع[١] عنده الآلات التى يستعان بها فى ذلك[٢]، ففسره وقال فيه تخميناً وظناً. وإنما جعله النبى ﷺ مخطئاً وإن أصاب، فإنه مخبر بما لم يعلمه، وإن كان قوله مطابقاً لما عليه الأمر فى نفسه.

ألا ترى أن الله تعالى قال : ﴿إلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، فشرط مع الشهادة العلم[٤] وكذب المنافقين فى قولهم : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ﴾[٥]، فقال: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٦] ومن حق من تصدى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى الله مستعيذاً من شرور نفسه والإعجاب بها، فالإعجاب بالنفس أسُّ كل فساد وأن يكون اتهامه لفهمه أكثر من اتهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل، وبالله التوفيق..

(فَصْلٌ فِي جَوَازِ إِرَادَةِ الْمَعْنَيَيْنِ الْمُخْتَلِفِينَ بِعِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ)

العبارة الموضوعة لمعنيين على سبيل الاشتراك حقيقةٌ فيهما أو مجازاً فى أحدهما؟ متى تنافى معناهما[٧] فى المراد لم يصح أن يرادا معاً بعبارة واحدة، نحو أن يقال : صل صلاةً واحدةً على سبيل الوجوب والندب. وإذا[٨] لم يتنافيا[٩] صح ذلك، نحو اللمس -المراد به المسيس- والمس. وإلى ذلك ذهب الشافعي- رحمه الله-، وهو مقتضى مذهب سيبويه، لأنه قال فى قولهم: "الويل له": إنه دعاءٌ[١٠] عليه وإخبارٌ عن حاله، فجعله للأمرين فى حالةٍ واحدةٍ، إلى غير ذلك مما دل من كلامه[١١] عليه. والدلالة على جواز ذلك قولهم :"افعلوا كذا"- فى مخاطبة الرجال والنساء- وقولهم: "الرجال والنساء فعلوا"، وهذه العبارة للمذكر حقيقة، وللمؤنث مجاز. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[١٢]، وعناه والمؤمنين، فهو حقيقة فيه ومجاز فيهم.

---

١ - فى : (ط-س) يجتمع.
٢ - فى : (ط-س) فيها بذلك.
٣ - سورة الزخرف : الآية (٨٦).
٤ - فى : (ط-س) والعلم.
٥ - سورة المنافقون : الآية (١).
٦ - سورة المنافقون : الآية (١).
٧ - فى : (ف-ض)، (ط-س) معنياهما.
٨ - فى : (ف-ض)، (ط-س) والتى.
٩ - فى : (ط-س) ، (أ-ص)- تتنافيا.
١٠ - فى : (ط-س) عاء، وهو تصحيف.
١١ - فى : (ط-س) كلامه.
١٢ - سورة الطلاق : الآية (١).

وقال الشاعر:

ثِقَالُ الْجِفَانِ والْحُلُومِ رَحَاهُمْ   رَحَى الْمَاءِ يَكْتَالُونَ كَيْلاً عُذَمْذَمَا[١]

فوصفُ "الجفان بالثقل حقيقة، ووصف "الحُلُوم" به مجاز، وقد نظمهما بلفظ واحد، وقال آخر: وماءِ آجِنِ الْجمّاتِ قَفْرٍ[٢]».

فذكر الماء "وأراده به"[٣] ومكانه، فقد يسمَّى مكان الماء ماء، والدلالة على أنه أرادهما[٤] أنه قد وصفه[٥] "بآجن الجمّاتِ" وذلك من صفة الماء نفسه، و"بقفر"[٦] وهو من صفة المكان، وقال ابن هرمة:

وَالْحوتُ يَسْبَحُ فِى السَّمَا   ءِ كَسَبْحِهِ فِى الْمَاءِ[٧]

وهو بكلٍّ سبح عن معنى الحوت، والحوت السابح فى السماء غير السابح فى الماء. وقالوا: القمران، للشمس والقمر، وذلك فى الشمس مجازٌ لا محالة، فإن قيل: إن ذلك لا يصح من حيث أن المتكلم به يكون مريداً استعمال اللفظ فيما وضع له، والعدول به عن الموضوع له فى حالة واحدة، وذانك[٨] أمران متنافيان فى المراد، وهذه عمدة من منع من جواز ذلك، قيل: إن ذلك إنما ينافى إذا وضع لفظ فاستُعمل فى معنى واحد على أنه منقول إليه عن غيره، ومستعمل فى موضعه. «أما إذا استعمل[٩] فى أحد معنييه» لاعلى النقل بل على الوضع له، وفى الآخر على النقل إليه صح إرادتهما معاً.

---

١ - لم أجد هذا البيت، وفى اللسان: الموت العذمذم : الذى لا يبقي شيئاً.

٢ - البيت لربيعة بن مقروم كما جاء فى شرح اختيارات المفضل. ج:٢-ص١٥٨-ص٨٥٨- للخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور/ فخر الدين قباوة، وقد جاء قبل هذا البيت:

ألا صرمت مودتك الرواع   وجد البين منها والوداع
ضرير قد هناناه فأمسى   عليه فى معيشته اتساع
وماءِ آجن الجمّات قفر   تعقم فى جوانبه السباع

والآجن هو المتغير. والجمات: جمع جمة، وهو: ماكثر من الماء. والقفر : الخالى، والتعقن التشدد والخبث أى : لا يطور به أحد.. وقال المرزوقى: "تعقن": أى تتخذ السباع فى جوانبه عقماً لامنها فيه، والاعتقام فى الحفر: المضي سفلاً.مقدمة جامع التفاسير-ص٩٩.

٣ - فى:(ط-س) وأراد به.

٤ - فى : (أ-ص) على إرادتهما.

٥ - فى : (ط-س) وصف.

٦ - فى : (ط-س) ويقفر.

٧ - لم أعثر على البيت فى ديوان ابن هرمة المطبوع، وقصده بالحوت السابح فى السماء النجم الذى يسمى الحوت.مقدمة جامع التفاسير-ص٩٩.

٨ - فى : (أ-ص)، (ط-س) وذلك.

٩ - ساقطه من : (ط-س) ومن (د-ك).

ثم ليس من شرط المتكلم أن يخطر بباله كيفية وضع اللفظ من حقيقة ومجاز. وأيضاً: فما من لفظ مستعمل في شيئين: حقيقةً فيهما أو مجازاً في أحدهما إلاّ ويجمعهما معنى عام لهما على طريقة من يراعي مناسبة الألفاظ، نحو أن يقال: اتق[1] الأسد والحمار، ويعني "بالأسد": الحيوان الجرىء، و"بالحمار": الحيوان البليد، وذلك متناولٌ للبهيمة والإنسان معاً، فيصح أن يُرادا[2] كما لو قال:[3] الحيوان الجرىء والحيوان البليد. ومما يُحمل من القرآن على ذلك قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[4]، وذلك عام[5] في الإنسان وغيره، وقد عُلم أن الإنسان يسبح بلسانه وفعاله، والجمادات ليست تسبح كذلك وقد قرنهما بلفظ واحد، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾[6] قيل: عنى بذلك الغنى بالكفاية والغنى بالقناعة معاً، وأمثال ذلك في القرآن أكثر من أن تحصى ههنا.

ولمثل هذه المعاني المجتمعة فيه قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[7]، وعلى ذلك روى في الخبر "لِكُلِّ حَرْفٍ"[8] ظهرٌ وبطنٌ، ولكل حرفٍ حدٌّ ومطلعٌ " تنبيهاً على كثرة معانيه المجتمعة تحت اللفظة بعد اللفظة..

(فَصْلٌ فِى إِعْجَازِ القُرْآنِ)

المعجزات التى أتى بها الأنبياء - عليهم السلام - ضربان : حِسّيٌّ وعقليٌّ: فالحسي : ما يُدرَكُ بالبصر، كناقة صالح، وطوفان نوح، ونار إبراهيم وعصى موسى- عليهم السلام- والعقلي: ما يُدرَكُ بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً، والإتيان بحقائق العلوم التى حصلت عن غير تعلم. فأما الحسي: فيشترك فى إدراكه العامةُ والخاصةُ، وهو أوقعُ عند طبقات العامة، وآخَذُ بمجامع قلوبهم، وأسرعُ لإدراكهم، إلا أنه لا يكاد يفرق- بين ما يكون معجزة فى الحقيقة، وبين ما يكون كهانة أو شعبذة أو سحراً، أو سبباً اتفاقياً، أو مواطاةً، أو احتيالاً هندسياً، أو تمويهاً وافتعالاً- إلاّ

---

١ - فى : (أ-ص) التق، وهو تحريف.

٢ - فى : (أ-ص)، (ف-ض)، (ط-س) يراد ، وهو تصحيف.

٣ - فى (ن - م) كما يقال .

٤- سورة الإسراء : الآية (٤٤).

٥- ساقطة من : (ط-س).

٦ - سورة الضحى: الآية (٨).

٧- سورة لقمان : الآية (٢٧).

٨ - ساقطة من (أ-ص)، (ف-ض)، (ط-س).

ذو سعةٍ في العلوم التي يعرف بها هذه الأشياء، وأما العقلي: فيختص بإدراكه كَمَلَة الخواص من ذوي العقول الراجحة، والأفهام الثاقبة، والروية المتناهية، الذين يغنيهم[١] إدراك الحق . وجعل تعالى أكثر معجزات بني إسرائيل حسياً لبلادتهم، وقلة بصيرتهم.

وأكثر معجزات هذه الأمة عقلياً لذكائهم وكمال أفهامهم التي صاروا بها كالأنبياء، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**كَادَتْ أُمَّتِي أن تَكُونَ أَنْبِيَاءَ**»[٢]. ولأن هذه الشريعة لما كانت باقيةً على وجه الدهر غير معرضةٍ للنسخ، وكانت العقليات باقيةً غير مبتذلةٍ، جعل أكثر معجزاتها مثلها باقية. وما أتى به النبي ﷺ من معجزاته الحسية، كتسبيح الحصا في يده، ومكالمة الذئب له، ومجيء الشجرة إليه، فقد حواها وأحصاها أصحابه، وأما العقليات: فمن تفكر فيما أورده ﷺ من الحكم التي قصرت عن بعضها أفهام حكماء الأمم بأوجز عبارة، اطلع على أشياء عجيبة. ومما خصه الله تعالى به من المعجزات القرآن: وهو آيةٌ حسيةٌ عقليةٌ صامتةٌ ناطقةٌ باقيةٌ على الدهر مبثوثةٌ في الأرض، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ**﴾[٣]، ودعاهم ليلاً ونهاراً مع كونهم أولى بسطةٍ في البيان إلى معارضته[٤] بنحو قوله: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾[٥] وفي موضع آخر: ﴿**وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٦]، وقال: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٧].

فجعل عجزهم علماً للرسالة، فلو قدروا ما أقصروا[٨] وبذلوا أرواحهم في إطفاء نوره وتوهين أمره، فلما رأيناهم تارةً يقولون ﴿**لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ**﴾[٩]، وتارةً يقولون: ﴿**لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا**﴾[١٠]، وتارةً يصفونه بأنه ﴿**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[١١]، وتارةً يقولون: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ**

١- في (ن – م) ، (د-ك) يغنيهم وهو تصحيف .
٢ – الحديث في مسند الإمام أحمد – ج: ١-ص٢٩٦
٣ – سورة العنكبوت : الآيتان (٥٠) ، (٥١).
٤ – في (د-ك) المعارضة
٥ – سورة البقرة : الآية (٢٣).
٦ – سورة يونس : الآية (٣٨)
٧ – سورة الإسراء : الآية (٨٨).
٨- في (ن – م) ماقصرا ، وهو تصحيف ، وفي (د-ك) ماقصروا.
٩- سورة فصلت : الآية (٢٦).
١٠- سورة الأنفال : الآية (٣١).
١١- سورة الأنفال : الآية (٣١) ، وسورة النحل : الآية (٢٤). ، وسورة الفرقان : الآية (٥) ووردت كذلك في عديد من السور..

جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[١]، وتارةً يقولون: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[٢] كل ذلك عجزاً عن الإتيان بمثله، علمنا قصورهم عنه، ومحالٌ أن يقال: إنه عورض فلم ينقل، "فالنفوس"[٣] مهتزة لنقل مادق وجلَّ. وقد رأينا كتباً كثيراً صُنفت في الطعن على الإسلام قد نقلت وتدوولت[٤]. وهذه الجملة المذكورة، وإن كانت دالةً على كون القرآن معجزاً، فليس بمقنعٍ إلاّ بتبيين فصلين: أحدهما: أن يبين ما الذي هو معجز: أهو اللفظ، أم المعنى، أم النظم؟ أم ثلاثتها؟ فإن كل كلامٍ منظومٍ مشتملٍ على هذه الثلاثة. والثاني: أن المعجز: هو ما كان نوعه غير داخل تحت الإمكان، كإحياء الموتى وإبداع الأجسام.

فأما ما كان نوعه مقدوراً ،فمحله محل الأفضل، "وما كان من باب الأفضل"[٥] فى النوع، فإنه لا يحسم نسبة مادونه إليه. وإن تباعدت النسبة حتى صارت[٦] جزءاً من ألف، فإن النجار الحاذق وإن لم يبلغ شأوه لا يكون معجزاً. إذا استطاع[٧] غيره جنسَ فعله، فنقول وبالله التوفيق: إن الإعجاز "قد ذُكِـــرَ"[٨] فى القرآن" علي وجهين : أحدهما : إعجازٌ متعلقٌ بفصاحة، والثاني: بصرف الناس عن معارضته: فأما الإعجاز المتعلق بالفصاحة: فليس يتعلق ذلك بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى،[٩] وذلك أن الفاظه ألفاظهم، ولذلك قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[١٠] ، وقال: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾[١١] تنبيهاً على أن هذا الكتاب مركبٌ من هذه الحروف التى هى مادة الكلام. ولا يتعلق أيضاً بمعانيه، فإن كثيراً منها موجود فى "الكتب المتقدمة[١٢]، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣]، وقال ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾[١٤] وما هو معجز[١٥] فيه من جهة المعنى، كالإخبار بالغيب فإعجازه ليس يرجع إلى القرآن بما هو قرآن، بل هو لكونه خبراً بالغيب، وذلك سواء كونه بهذا النظم أو بغيره،

وسواء كان مورداً بالفارسية أو بالعربية أو بلغةٍ أخرى أو بإشارةٍ أو بعبارةٍ. فإذا بالنظم المخصوص صار القرآن قرآناً، كما أنه بالنظم المخصوص صار الشعر شعراً، أو الخطبة خطبةً.

---

١ – سورة الفُرْقَانَ : الآية (٣٢).
٢ – سورة يونس : الآية (١٥).
٣ – ساقطة من ـ (ط–س).
٤ – فى : (أ – ص) وتداولت.
٥ – ساقطة من (ط–س).
٦ – فى : (أ–ص) صار.
٧ – فى : (ط–س) استعمله.
٨ – ساقطة من : (ط–س)، وهو تحريف.
٩– في (د–ك) وذاك .
١٠– سورة يوسف – الآية رقم (٢) ، سورة طه – الآية رقم (١١٣) ، سورة الزمر – الآية رقم (٢٨) ، سورة فصلت – الآية رقم ـ(٣) ، سورة الشورى – الآية رقم (٧)، سورة الزخرف – الآية رقم (٣).
١١– سورة البقرة – الآيتان : (١ . ٢).
١٢ – فى : (أ–ص) و (ط–س) كتب الأقدمين.
١٣ – سورة الشعراء : الآية (١٩٦).
١٤ – سورة طه : الآية (١٣٣).
١٥– في (ن – م) بمعجز .

فالنظم صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وبإختلاف الصور يختلف حكم الشئ واسمه لا بعنصره، كالخاتم والقرط والخلخال تختلف[١] أحكامها وأسماؤها باختلاف صورها لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة. فإذا ثبت [هذا ثبت][٢] أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص. وبيان كونه معجزاً هو أن نبين نظم الكلام، ثم نبين أن هذا النظم مخالفٌ لنظم سائره، فنقول : لتأليف الكلام خمس مراتب : الأولى: ضم[٣] حروف التهجي بعضها إلى بعض، حتى يتركب منها الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف. والثانية: أن يؤلف بعض ذلك مع بعض حتى يتركب منها لجمل المفيدة، وهى النوع الذي يتداوله الناس جميعاً فى مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام، والثالثة: أن يُضم بعض ذلك إلى بعض ضماً له مبادىء ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم، والرابعة: أن يُجعل له فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له[٤] : المسجع. والخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزنٌ مخصوصٌ، ويقال له الشعر. وقد انتهى.

وبالحق صار كذلك: فإن الكلام إما منثور فقط، أو مع النثر نظم، أو مع النظم سجع، أو مع السجع وزن. والمنظوم: إما محاورة، ويقال[٥] لها: الخطابة، وإما مكاتبة، ويقال[٦] لها: الرسالة، وأنواع الكلام لا تخرج[٧] عن[٨] هذه الجملة. ولكل من ذلك نظمٌ مخصوص. والقرآن حاوٍ لمحاسن جميعه بنظم ليس هو نظم شئ منها بدلالة أنه لا يصح أن يقال: القرآن رسالة، أو خطابة، أو شعر، كما يصح أن يقال: هو كلام، ومن قرع سمعه فصل بينه وبين سائر النظم. ولهذا قال تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾**[٩] تنبيهاً على أن تأليفه ليس [على][١٠] هيئة نظم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يزاد فيه كحال الكتب الأخر، فإن قيل: ولِمَ لمْ يتبع نظم القرآن الوزن الذى هو الشعر، وقد علم أن للموزون من الكلام مرتبةً أعلى[١١] من مرتبة المنظوم غير الموزون، إذ كل موزون منظوم وليس كل منظوم موزوناً؟ قيل: إنما جُنب القرآن نظم الشعر ووزنه لخاصية[١٢] فى

١- في (د-ك) اختلفت.
٢- ساقطة من (ن - م).
٣ - ساقطة من : (ط-س) وفى : (أ-ص) : نظم وضم.
٤ - فى : (ط-س) ويقاله . وهو خطأ من الناسخ.
٥- فى : (ط-س) له.
٦- فى (ط-س): ويقالها وهوخطأ من الناسخ.
٧ - فى : (ط-س) لا يخرج، وهو تصحيف.
٨- فى (ط-س) : من.
٩- سورة فُصِّلت : الآيتان (٤١ ، ٤٢).
١٠- ساقطة من (ن - م).
١١ - فى : (ط-س) أعلى مرتبة.
١٢ - فى : (ط-س) بخاصية.

الشعر منافية للحكمة الإلاهية، فإن القرآن هو مَقَرُّ الصدق، ومَعْدِنُ الحق. وَقُصْوَى الشاعر تصوير الباطل في صورة الحق، وتجاوز الحد في المدح والذم دون إستعمال الحق في تحري الصادق، حتى إن الشاعر لا يقول الصدق ولا يتحرى الحق إلاّ بالعرض.

ولهذا يقال: من كانت قوته الخيالية فيه أكثر كان على قرض الشعر أقدر، ومن كانت قوته العاقلة فيه أكثر كان في قرضه أقصر. ولأجل كون الشعر مقر الكذب، نزه الله نبيه - عليه الصلاة والسلام- عنه لما كان مرشحاً لصدق المقال، وواسطة بين الله وبين العباد، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[١]، فنفى ابتغاءه له. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[٢] أي: ليس بقول كاذب. ولم يعن أن ذلك ليس بشعر، فإن وزن الشعر أظهر من أن يشتبه عليهم حتى يحتاج إلى أن ينفى عنه. ولأجل شهرة الشعر بالكذب، سمى أصحاب البراهين الأقيسة المؤدية في أكثرالأمر إلى البطلان والكذب شعرية، وما وقع في القرآن من الألفاظ متزنة، فذلك بحسب ما يقع في الكلام على سبيل العرض بالانفاق، وقد تكلم الناس فيه. وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته، فظاهرٌ أيضاً إذا اعتبر، وذلك أنه ما من صناعة ولا فعلة من الأفعال محمودة كانت أو مذمومةً، إلاّ وبينها وبين قوم مناسباتٌ خفيةٌ،[٣] واتفاقاتٌ إلاهيةٌ بدلالة أن الواحد فالواحد يؤثر حرفةً من الحرف فينشرح صدره بملابستها، وتطيعه قواه في مزاولتها فيقبلها باتساع قلب، ويتعاطاها بانشراح صدر.

وقد تضمن ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٤]، وقول النبي ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ»[٥]، فلما رؤي أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة ألسنتهم ، وقد دعا الله جماعتهم إلى معارضة القرآن وأعجزهم عن الإتيان بمثله، وليس تهتز[٦] غرائزهم البتة للتصدي لمعارضته لم يَخْفَ على ذي لب أن صارفا إلهياً يصرفهم عن ذلك. وأي إعجاز أعظم من أن تكون[٧] كافة البلغاء مُخَيرةً في الظاهر أن يعارضوه، ومُجْبَرَةً في الباطن عن ذلك. وما أليقهم بإنشاد ما قال أبو تمام:

فَإِنْ نَكُ أُهْمِلْنَا فَأَضْعِفْ بِسَعْيِنَا ... وَإِن نَكُ أُجْبِرْنَا فَفِيمَ نُتَعْتِعُ [٨]

والله ولي التوفيق [والعصمة][٩]

---

١ - سورة يس : الآية (٦٩).
٢ - سورة الحاقة : الآية (٤١).
٣- في (ن - م) ، (د-ك) واتفاقية.
٤ - سورة المائدة : الآية (٤٨).
٥ - الحديث في البخاري: كتاب (تفسير سورة والليل إذا يغشى)، وكتاب الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، وكتاب الأدب: باب الرجل ينكت الشئ بيده في الأرض، وكتاب القدر باب: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)، وكتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر). ورواه مسلم في القدر برقم: (٢٦٤٧) وأبو داوود برقم : (٤٦٩٤)، والترمذي برقم : (٢١٣٧) و (٣٣٤١).
٦ - في : (أ-ص)، (ط-س) يهتز، وهو تصحيف.
٧ - في : (أ-ص)، (ط-س) يكون، وهو تصحيف.
٨ - البيت لأبي تمام وقبله:

تروح علينا كل يوم وتغتدي ... خطوبٌ كأن الدهر منهنّ يُصْرَعُ

والأبيات من قصيدة قالها يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ومطلعها

أما إنه لولا الخليط المودع ... وربع عفامنه قصيف ومربع

والبيت في الديوان : ج:٢ - صـ ٣٢٥ - ط: دار المعارف.
٩- ساقطة من (ن-م) ، (د-ك).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال بعض العلماء إنما قال "بسم الله" ولم يقل "الله" لأنه لما استُحب الاستعانة بالله تعالى فى كل أمرٍ يفتتح به من قراءةٍ وغيرها، فبعضهم [١]-يذكره[٢]-بقلبه، وبعضهم يزيد عليه ويقوله بلسانه ويكون أبلغ - "وذكر الله مستعملٌ فى كل ذلك"[٣]- وألفاظ الاستعانة نحو "أستعين بالله" و"اللهم أعنى" ونحو ذلك كثير، فصار لفظة "بسم الله" مستغنىً به عن جميعها وقائماً مقامها، ولو قال "بالله" (لكان يقتضي الاستعانة)[٤] بهذه اللفظة فقط[٥] و"اسم- ههنا- موضوع موضع المصدر، أى : التسمية، نحو قوله:

[٦]-**وبَعْدَ عطائكَ المائةَ الرِّتاعا**[٧]

أى: إعطائك، وكما وضع "السلام" موضع "التسليم".

وذكر أبو عبيدة أن قوله "بسم الله" معناه: الله- والاسم زيادة- واحتج بقول الشاعر:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعْتَذَرْ[٨].

وإنما المعنى أن القائل إذا قال " الله أبتدى"، فمعناه: بهذا الاسم. وإذا قال:"بسم الله" فإن المقصود به "المسمى" فصار قول القائل« أفتتح باسم الله » يفيد فائدة أفتتح الله . [٩]-

وما ذكر من الخلاف فى أن "الاسم" هل هو "المسمَّى"؟ أو "غيره". فقولان قالواهما بنظرين مختلفين، وكلاهما صحيح بنظر ونظر، وذاك أن من قال: الاسم الذى هو زيد أو عمرو، هو المسى، فإنما نظر إلى نحو قولهم: "رأيت زيدا"، و"زيد رجلٌ فاضلٌ"، فإن "زيداً" -ههنا- عبارة عن المسمى، والرؤية تعلقت به، ومن قال: هو[١٠]- غير المسمى، فإنه نظر إلى [نحو][١١]- "قولهم": سميت ابنى زيداً" و"زيد اسم حسن"، وإنما عني: أني سمَّيتُ: بهذا اللفظ الذى هو "ز ى د " وأن هذا محكومٌ عليه بالحسن، فإذا[١٢]- قولك: زيدٌ حسنٌ لفظٌ مشتركٌ يصح "أن يعنى به أن هذا اللفظ حسن وأن يعنى به أن المسمى به حسن، ونحو هذا الاشتباه فى قولك: هذا إنسان، فإنه يستعمل على ضربين أحدهما

١- في : ٠(ط – س) وبعضهم. ٢- في (أ–ص) يذكرهم وهوتصحيف.

٣ – جاءت هذه الجملة فى الأصل بعد قوله «ونحو ذلك كثير»، والظاهر أنه كان خطأ من الناسخ.

٤ – جاءت هذه الجملة فى الأصل بعد قوله: «وقائماً مقامها»، والظاهرأنه كان خطأ من الناسخ.

٥– جاءت هذه الكلمة فى الأصل بعد "بالله"، والظاهرأن اضطراباً وقع من الناسخ فى الصفحة الأولى.

٦– في (أ–ص) ويعض وهو تصحيف ، والرغاما بدلاً من الرتاعا.

٧ – هذا هو الشطر الثاني من بيت للقطامي- فى ديوانه- ص٣٧ والشطر الأول:
أكفراً بَعْدَ رَدِّ الموْتِ عنِّي ويريد بذلك أنه يعترف بحق زفر بن حارث الكلابي عليه، وكان قد أسره في الحرب، ثم منَّ عليه وأعطاه مائة من الإبل التيَ ترتع والشاهد فى البيت مجئ«العطاء» بمعنى «الإعطاء» الذى هو المصدر ولذلك نصب به «المائة» وهو فى خزانة الأدب ج : ٣ – ص ٤٤٢ ، والمقاصد النحوية ج:٣ ص ٥٠٥ ، وفى اللسان – مادة (عطا) ، وتفسير البحر المحيط ج:١ – ص ١٢٧ ، ج:٥ – ص ٢٧٦ ، وتفسير القرطبي ج : ٢ ص ١٣١١ ، ج : ١٠ – ص ,٦٧٥١ ، ومقدمة جامع التفاسير – ص.١١٠

٨ – البيت للبيد بن ربيعة، وهو من قصيدة مطلعها :

تمنى إبنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

والبيت قبله :–

وقولا هو المرء الذى لا خليله ... أضاع ولا خان الصديق ولاعذر

ولفظ اسم فى البيت تعد مقحمة هنا، وقيل : السلام هو الله، والتعليقات على هذا البيت كثيرة أوردها صاحب الخزانة. وقالها يخاطب ابنتيه عندما أدركته المنية يوصيهما أن تذكراه وترثياه من غير خمش الوجه ولا حلق الشعر ، وتظلا كذلك إلى الحول . والبيتان فى ديوان لبيد – ص ٧٩ ، وأمالى الزجاجي – ص ٦٣ ، و الخصائص – ج:٣ – ص ٢٩ ، وفى خزانة الأدب – ج:٢ – ص ٢١٧ ، و المقاصد النحوية ج:٣ – ص ٣٧٥ ، وتفسير القرطبي – ج:٥ – ص ٣٠٦٣ ، ج:٦ – ص ٣٨٤٧ ،– ص ٦٣ ، والمفصل – ج:١ – ص ٢٧٢ ، وشرح ابن يعيش – ج : ٣ – ص ١٤ وفى همع الهوامع – ج : ٢ – ص ٤٩ . وكتاب الشعراء لأبي علي الفارسي ج ١ : ص ٢٢٩ ، ٢٣٧.

٩– في (ط – س) وإذا قال باسم الله فمعناه قول القائل أفتتح بالله فإن المقصود به المسمي أو غيره .

١٠– ساقطة من (أ–ص) . ١١– ساقطة من (أ – ص) . ١٢– في (ط – س) فإني .

أن يختلف أو يشك [١] فى اسمه، فيقال: هذاإنسان أى اسمه إنسان، والثاني: أن يختلف أو يشك [٢] فى جوهره، فيقال هذا إنسان أى جوهره الإنسانية، وكثير من المواضع مثل هذا يقع فيه المغالطة، وأما تصور من قال: لو كان الاسم هو المسمي، لكان من قال: "النار" أحرقت فمه،[٣] فهذا تصور بعيد. فإن عاقلاً لا يقول: إن هذه الحروف التي هى "زى د" هو الشخص.

واشتقاق "اسم" : قيل[٤] هو من "وسمت"، لأن الاسم علامةً للمسمى، وهذا وإن كان من حيث المعنى يصح، فتصريف الكلمة يبطله، نحو سميت، والتسمية، أو والمسمَّى[٥] ، ولأن ألف الوصل لا يدخل فيما حذف فاؤه نحو[٦]: "عِدَّة" و"زِنَة"، والصحيح: أن أصله من "السمو"، لأن الاسم شعارٌ للمسمى ورفعة له. وأصله: سِمْو، كعِضْو[٧]، وحِنْو[٨]، أو سُمْوٌ، كجُبَل وجَمَل، لقَولهِمْ فى الجمع: أسماء. وقد كثر "أفعال" فى جميع هذين البنائين، ولا يُجْعَلُ فُعْلاً "كتُرْسٍ" و"أتراس"، لأن باب "فُعْل" لم يكثر فيما آخره واو استثقالاً. وأما قول الشاعر:

باسمِ الذى فى كُلِّ سُورَةٍ سِمُهُ[٩]

فقد قيل إنما ضُم اتباعاً لما بعده، ولو كان الميم مكسوراً لم يجُز فى السين الضمة، فأما لفظة: الله، فيجب أن يعلم أن أسماء الله تعالى كلها مشتقة باتفاق أهل اللغة إلا لفظة الله، فإنه مختلفٌ فيها: فبعضهم جعلها كالعلم مستدلاً بأنه يوصف ولا يوصف به كالأسماء الأعلام، ويقوي ذلك إنه يقال بالتنوين -إلاهاً-و[١٠] لأنه قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[١١]، ويعنى به "الله. وآخرون قالوا هو مشتق، ثم اختلف بعد ذلك فيها:

فقيل: أصله «إلاه» مصدر من «أله » «يألهُ » أى :عَبَدَ فسُمِّي به كقولهم فى صفاته تعالى: «السلام» ، وهو فى الأصل مصدر وسَمَّوا الشمس « إلهة » لعبادتهم لها. ولذلك نهاهم الله تعالى

١، ٢ - في (أ - ص) أوشك .
٣ - يريد بذلك أنه لو كان الاسم هو المسمى لكان مجرد اللفظ بكلمة "النار" كافياً لإحراق فم قائلها .
٤ - هو قول الكوفيين.
٥- في (أ - ص) وأسميه أو سمى .
٦ - قال ابن عطية فى تفسيره: وحذفت فاؤه اعتلالاً على غير قياس،والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي، وأما المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال- فى التصغير- وسيم- وفى الجمع- أو سام، لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها. ج:١-ص٥٥ - مقدمة جامع التفاسير - ص ١١١.
٧ - قال فى مختار الصحاح: والعضو: بضم العين وكسرها- واحد الأعضاء.
٨ - قال صاحب القاموس المحيط: والحنْو- بالكسر والفتح: كل ما فيه اعوجاج من البدن.
٩- هذا المشطور من الرجز لرؤبة بن العَجاج، وقد روي بضم السين وكسرها فى "سمه"، وقد جاء بعده:
أرسل فيها بازلاً يقرمه   فهو بها ينحو طريقاً يعلمه
وهو فى نوادر أبي زيد- ص ١٦٦ ، وفى النوادر لأبى مسحل-ج:١ص٩٥، وفى تفسير أرجوزة أبى نواس لابن جني، والإنصاف لابن الأنباري: ج:١-ص١٠ ، وذكره القرطبي فى تفسيره بدون نسبة - ج : ١- ص ١٤٧ - وفي مقدمة جامع التفاسير - ص ١١٢.
١٠- في (أ-ص) باسورته وفي (و - ج) باسورة وهو تصحيف .
١١ - سورة مريم: الآية (٦٥).

بقوله: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾[١]، وسموا الأصنام آلهة لذلك، وأصله: إلاه، فحذفوا همزته، وجعلوا الألف واللام عوضاً منها[٢]، ولكونهما عوضاً استجيز قطع الهمزة الموصولة، وإدخال حرف النداء عليه في قولهم: "ياالله". وقال سيبويه- في موضع: أصله: لاه، على "فَعْل" من لاه- يلوه لياهاً، أي: احتجب، قالوا: وذلك إشارة إلى ما قال تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)[٣]، وقيل: من أله: إذا فزع، وألَهَه: أي :أجَارَهُ وأمّنَهُ [٤]. وإلا له إسم المفزوع إليه كالإمام لمن يؤتم به. وقيل هو من أله يأله، إذا تحيَّر، وكأنه عنى ذلك أمير المؤمنين- رضي الله عنه-[٥]، **بقوله: «كلّ دُونَ صفاته تحبيرُ اللغات[٦] وضلَّ فيما هناك تصاريف والصفات »[٧]**، ومنه قيل في صفة المفازة: والعاتية [٨] تالهُ العينُ وَسْطَها» وقيل: أصله: ولاه، من وَلَهَ يَوْلَهُ، فقلب الواو همزة، فيكون الإله اسماً لما يُوْلَهُ نحوه. فمن الناس من قال: إن ذلك قيل لأن الأشياء تاله نحوه إما تسخيراً، واما إرادةً وقصداً، كما أنه يُسَبِّحُ له لذلك. وعلى هذا قال: ﴿تُسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾[٩] وذلك إما تسخيراً وإما إرادةً[١٠] ومنهم من قال ذلك مختصٌ بالعقول التى فطرها الله تعالى وأشار إليها بقوله: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾[١١]، لأن العقول بفطرتها دالةٌ على وحدانية ومُنْبِئَةٌ عن وجوب شكره مالم يدسها صاحبها كما قال تعالى: ﴿وقد خاب من دساها﴾[١٢]، ومنهم من قال : ذلك مختصٌ بالأحوال التى ينقطع الإنسان عن غيره، فيقصده بفكره، وإليه أشار بقوله: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾[١٣]، ومنهم من قال: مختصٌ بالعباد المخلصين والعبادة عنه بذلك كالعبادة عنه بالمحبوب، والمراد المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾[١٤] وبقوله: ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[١٥]، وقد أطلق بعض الأولياء وبعض القدماء عليه تعالى لفظ المعشوق، والمشوق، [١٦] **إلاّ أن ذلك كرهه أهل العلم لأمرين**: عدم التوقيف فيه، وكون العشق في هذه اللغة متعارفاً في اللذات البدنية...

---

١ – سورة فصلت : الآية (٣٧).
٢ – كتاب سيبوية : ج: ٢-ص١٩٥.
٣ – هذه الإضافة ساقطة من الأصل، وقد استدركناها من كتاب "المفردات" للمؤلف ليستقيم الكلام.
٤- في : (ط – س) إعادة .
٥- في (ط – س) عليه السلام .
٦- في (ط – س) الصفات.
٧- في (ط – س) اللغات .
٨- فى (ط – س) ومهمهة.
٩ – سورة الإسراء: الآية (٤٤).
١٠ – انظر المفردات للراغب – مادة : "أله".
١١ – سورة الروم : الآية (٣٠).
١٢ – سورة الشمس : الآية (١٠).
١٣- سورة النحل : الآية (٥٣).
١٤ – سورة المائدة : الآية (٥٤).
١٥ – سورة الكهف : الآية (٢٨).
١٦- في (كا ؟ ص) ، (و – ج) والمشتوق وهو تحريف .

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: الرحمة -في اللغة- رقةٌ مقتضيةٌ للتعطف والتفضل، فمبدأها الرقة التي هى انفعال، ومنتهاها: العطف والتفضل الذى هو فعل. فالإنسان إذا وُصِفَ بالرحمة، فتارةً يُرادُ به حصولُ المبدأ الذى هو الرقة، وتارةً يُراد به المنتهى الذى هو التفضل والعطف، وتارة يرادان معاً، وإذا وُصف بها البارى، فليس يراد به إلا المنتهى الذى هو الفعل دون المبدأ الذى هو الانفعال، إذ هو منزه عن الانفعالات وعن كل نقص[١] تعالى الله عن ذلك، «الرؤف»، فإن الرأفة انعصار القلب عن مشاهدة شدة مقتضية للإغاثة[٢]، فمتى وصف به الإنسان صح أن يراد به المبدأ الذي هو انعصار القلب . وإذا وصف به الباري ، فليس يراد به إلا الغاية التى هي الإغاثة [٣] ، وعلى ذلك الجود فإنه اختصاص بخلق مقتض لأن لايدخر عن المحتاج ماينتفع به عليمايجب ومتي وصف به الباري تعالي فالمراد به النهاية التي هي ترك الإدخار دون الإختصاص .بالخلق.

وهذا التفسير – أغنى في « الرحمة » – هو علي ماروي عن التابعين ، حيث قالوا « الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين : رقة وتعطف ». وهذه الطريقة أظهر وأبين ، وأشبه بنظر السلف ، من نظر من تخبط في تفسير ذلك زاعماً أنالوصف لايختلف معانيه باختلاف الموصوفين ، وذلك أن فاعل ذلك لم يتصور أنه قد يكون بين مبدأ المعنى ومنتهاه بون بعيد .

فإن قولنا « العالم» وإن كان موضوعة للمدح ، فإن مبدأ، أن يتخصص الموصوف به بمعلومات مايخرج بها عن حد الجهالة ، ووسطه : أن يحصل له معلومات كثيرة تفوق بها أكثر العلماء ، وغايته : أن يحيط بجميع المعلومات بحيث لايخفى عليه شئ ، ولايدركه سهو ولاغفلة ولانسيان . ومعلوم أن المبدأ يصح لأكثر الخلائق ، ووسطه ليس إلا للخصائص ، من الأنبياء والحكماء ، وغايته : ليس إلا لله تعالى : وذلك ظاهر ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٤] فأما لفظة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ فليس يُطلق إلاّ لله كلفظه الله، فإنهما اسمان اختص بهما الباري جل وعز باتفاق، ولأجل ذلك قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٥]، فالرحمن هو الذى كثرت رحمته وتكررت ووسعت كل شئ، ولذلك فَسَّر[٦] بأنه الذى يكون منه تعُّطفٌ بعد تعطف وتفضل. وأما ﴿الرَّحِيمِ﴾، فقد

١- فى (أ-ص) نقض وهو تصحيف .

٢، ٣ - في (ط - س) الإيمان وهو تصحيف .

٤- اقتباس من الآية (٣٧) سورة (ق).

٥ - سورة الإسراء : الآية (١١٠).

٦- في (أ - ص) فسرت .

يُوصَفُ به غيره إذا كان معناه: الذى كثرت رحمته، وعلى ذلك: "نديم" و"نُدمان"، فإن "النديم": هو الذى كثرت منادمته.[١] و"النُّدْمَانُ" : هو الذى مع كثرة ذلك منه تكررت عنه، ولذلك قال أهل اللغة: "ندمان" أبلغ من "نديم"، ولفظهما يدل على ذلك، فإن العرب إذا أرادوا زيادة معنى زادوا فى اللفظ فى الأمر العام، كأنما يحاكي باللفظ المعنى، نحو "قَطَعَ" و"قَطَّعَ"، و"كُبَار" و"كُبَّار"، و"احمرَّ" و"احمارَّ"، وذلك فصلٌ قد أُحْكِمَ فى غير هذا الموضع.[٢] فإن قيل: ماالفائدة فى الجمع بينهما مع أن "الرحمن" يقتضي معنى "الرحيم" إذ هو أبلغ منه؟ قيل: إنه تعالى لما خلق الدارين وكان فى دار الدنيا منعماً على المؤمن والكافر، واختص رحمته بالمؤمنين فى الآخرة- ولذلك قيل: رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٣] جمع بين الوصفين، وأما ذكر "الرحيم" بعد "الرحمن" فذكر خصوص بعد عموم.

وروى عن عطاء أنه قال: كان الله اختص بالرحمن، فلما تسمى بذلك بعض الكفار قال: "الرحمن الرحيم": إذ كان [٤] الاسمان معاً لم يوصف غير الله به بوجه. وقدم ذكر "الله" إذ هو أخص الأسماء. و"الرحم" و"الرحمة" مشتق بعضها من بعض، وقد دل على ذلك قوله عليه السلام: **(لما خلق الله الرَّحِمَ،[٥] قال: انا الرحمنُ، وانت الرَّحم، شققتُ لك اسماً من اسمى، فوعزتي وجلالي لأصلنَّ من وصلك، ولأقطعن من قطعك)**[٦] .

ومعنى ذلك أن الله تعالى لما جعل بين نفسه وبين عباده سبباً، فهو كما أنه كتب على نفسه الرحمة لعباده، وأوجب عليهم فى مقابلتها شكر نعمته لما كان هو السبب الأول فى وجودهم وخلق قواهم وقدرهم وسائر خيراتهم، كذا أيضاً (جعل) [٧] بين ذوي اللُّحْمَةِ بعضهم مع بعض سبباً أوجب به على الأعلى التوقر على الأدون، وعلى الأدون توقير الأعلى، فصار بين « الرحم » و«الرحمة» والرحمة مناسبة معنوية، كما أن بينهما نسبةً لفظيةً، ولهذا عَظَّمَ شكر الوالدين، فقرنه بشكره فى قوله تعالى: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[٨] تنبيهاً أنهما السبب الأخير فى وجود الولد، كما أن الله تعالى[٩] السبب الأول فى وجود كل موجود.

١- فى (أ - ص) مقاومته وهو تحريف .

٢- هنا يشير إلي كتاب للراغب الأصفهاني يدور حول تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ومابينها من فروق غامضة ، وقد ذكره في مقدمة كتاب المفردات ، ص، ٥٥

٣- سورة الأحزاب : الآية (٤٣).

٤- في (أ - ص) إذا كان .

٥- في (أ-ص) الرحيم وهو تصحيف .

٦ - الحديث فى سنن أبى داود تحت رقم: ١٩٦٤- بلفظ: حدثنا مسدد وأبو بكر بن شيبة قالا: ثناسفيان عن الزهرى عن أبي سلمة عن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: "سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله: أنا الله، وأنا الرحمن خلقت الرَّحِمِ، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته). وورد فى جامع الأصول -ج:٦-ص٤٨٦، وأخرجه الترمذي ، وأورده القرطبي في تفسيره - ج : ١- ص، ١٥١

٧- زيادة يقتضيها الكلام.

٨- سورة لقمان : الآية (١٤).

٩- في (ط - س) أنه تعالي .

﴿ سورة الفاتحة ﴾

قوله عز وجل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ :الآية (٢) سورة الفاتحة .

الحمد: هو الثناء بالفضيلة. والشكر: مقابلة النعمة قولاً وعملاً. ولما كانت النعمة لا تخرج من كونها فضيلة، صار الحمد منطوياً على معنى الشكر، فكل شكر حمد، وَلَيْسَ كلُّ حَمْدٍ شُكْراً. ولكون الحمد أعمَّ قال ابن عباس[١]- رضى الله تعالى عنهما[٢]: "الحمد هو الشكر لله والاستخذاء والإقرار بنعمه"، وقال عليه السلام "**الْحَمد رَأسُ الشُّكرِ، وَمَا شَكَرَ اللهَ عَبْدٌ لَمْ يَحْمَدْهُ**"[٣]، ولذلك قيل : الحمد لله شكراً[٤] ولم يقل: شكرت الله حمداً[٥]، ولكون الشكر بالفعل كما يكونَ بالقول، قيل: دابة شكور، إذا ظهر سمنها بأدنى علف لها[٦]، وقال تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[٧] .

وأما الفرق بين "الحمد و"المدح": فالحمد أخص، إذ لا يستحق إلا بالفعل الاختيارى، والمدح قد يستحق بما يكون من قبل الله تعالى، يقال: فلان ممدوح على جوده ومحمود.وممدوح على حسنه، ولا يقال محمود. والمدح: أكثر ما يُقال إنما يقال فى الأشياء النافعة التى لم تبلغ الغاية[٨]، كالثروة، والجلادة، والجود. والحمد يقال فى ذلك، وفيما فوقه، فيقال: الجود محمود. والله تعالى محمود. وقلَّ ما يقال: الله ممدوح[٩]

ودخول الألف واللام فى "الحمد" للجنس، تنبيهاً أن الحمد كله فى الحقيقة لا يستحق سواه، وإن كل حمد لغيره فهو عارية له. والله تعالى هو المستحق له فى الحقيقة، إذ هو سبب كل نعمةٍ وخيرٍ، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[١٠]، إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: الْحَمْدُ لى؟ قيل: لأن ذلك تعليم منه لعباده، كأنه قال:

قولوا: بسم الله، الحمد لله، بدلالة قوله: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾[١١]

---

١ - قال السيوطي فى الدر المنثور: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: "الحمد" هو الشكر والاستخذاء لله، والإقرار بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك". ج:١-ص١١.

٢- ساقطة من (و - ج) ، (ط - س).

٣ - قال السيوطي فى الدر المنثور: "وأخرج عبد الرزاق فى "المصنف" والحكيم الترمذي فى "نوادر الأصول" والخطابي فى "الغريب" والبيهقي فى "الأدب" والديلمي فى "مسند الفردوس" والثعلبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ: "الحمد رأس الشكر فما شكر الله عبد لم يحمده-ج:١-ص١١.

٤- في (ط - س) أحمد الله شكراً .

٥- في (أ - ص) شكر الله حمداً .

٦- في (و - ج) ، (أ - ص) ظهر سمنه بأدنى علف له، وهو تصحيف .

٧- سورة سبأ : الآية (١٣).

٨- في (أ - ص) ولم يبلغ .

٩ - انظر مادة / حمد فى المفردات للراغب- ص ١٣٠.

١٠ - سورة النحل : الآية (٥٣).

١١ - سورة النمل : الآية (٥٩).

وقيل: إن ذلك كقول الرجل لابنه: الْحَمْدُ فِي كَذَا لأبيك. فيأتي بلفظ الْغَائِبِ ليكُونَ أَبْلَغَ. وقيل: إنَّ "قُلْ" غيرُ مُقَدَّرٍ في هذا الْمَوْضِعِ، لأن الله حَمِدَ نَفْسَهُ لِيُقْتَدى به، في حمده، بدلالة ما روي عن النبي ﷺ: «ليس شئ أحب إلى الله من الْحَمْدِ، اثنى على نفسه فقال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ"[1]، ولأن أرفَعَ حَمْدٍ ما كان من أرفع حامد وأعرفهم بالمحمود وأقدرهم على إيفاء حقه في الحمد، وما حامد أرفع منه وأعرف بذاته وأقدر على حمده منه تعالى، كما لا محمودَ أرفع منه وأعلى، وقال بعضهم: كل ثناءٍ أثنى الله على نفسه، فهو في الحقيقة إظهاره بفعله. فحمده لنفسه: هو بثُّ آلائه، وإظهار نعمائه بمحكمات أفعاله المقتضية لحمده. فكأن قوله: "الحمد لله"- تقديره:الحمد لله ظاهرٌ بآلائه، وعلى ذلك قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[2]، فإن شهادته لنفسه إيجاده الأشياء دالةً على وحدانيته ناطقة بالشهادة له. وعلى هذا قال ذو النون: لما شهد[3] الله لنفسه، أنطق كل شئ بشهادته:

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ شَاهِدٌ   يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[4]

وعلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[5]، وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[6] إن قيل: استحسن حمده لنفسه وقد علم في الشاهد استقباح حمد الإنسان نفسه حتى قيل لحكيم:

ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه؟! قيل: إنما قُبح ذلك من الإنسان، لأنه ما من أحد إلاّ والنقص فيه ظاهر، ولو لم يكن إلاّ في كون أثر الصنعة عليه وحاجته إلى الكمال، ومن خفي عليه نقصه، فقد خدع عنه عقله.

ثم مدح الإنسان نفسه ليس بقبيح[7] على الإطلاق، فإن ذلك مُستحسن عند تنبيه المخاطَب على ما خفي عليه من حال المخاطِب، كقول عالم يحث المتعلم على الأخذ عنه: اسمع مني فإنك لا تجد فيه مثلي[8]. وعلى ذلك قول يوسف- عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[9].

---

١ - قال السيوطي في الدر المنثور:
«وأخرج ابن جرير عن الأسود بن سريع أن النبي- صى الله عليه وسلم قال: "ليس شئ أحبُّ إليه من الحمد، ولذلك أثنى على نفسه فقال: "الحمد لله". -ج:١-ص١٢.

٢ - سورة آل عمران : الآية (١٨).

٣- ساقط من : (ط-س)، (أ-ص).

٤- البيت لأبي العتاهية ، وهو في ديوانه ص ٦٢ وفي الزهرة ج : ٢ - ص ٥٠٢ ، وفي البصائر ج : ٣ - ص ٣٥٢ ، وفي نظم الدرر ج: ٤ - ص ٢٨٩ به ونسبه وهو في مفردات الراغب - ص ٤٦٦ :

وفي كل شئ له آية   تدل على أنه واحد.

٥- سورة الإسراء : الآية (٤٤).

٦- سورة الحشر : الآية (٢٤).

٧- في (أ - ص) بقبح .

٨- في (أ - ص) لاتجد مثلي .

٩- سورة يوسف : الآية (٥٥).

إن قيل : "الحمد لله" خبرٌ، ويقتضي مخبراً، فما الفائدة في إيراده في الخلوات؟ قيل: أما في القرآن، فلِمَا ندب الله تعالى إلى تلاوته. وأما في غيره، فلئلا ينفك من حمده في شئ من الأحوال، كما لا ينفك من نعمه اعترافاً له بها، فكأنه هو المخبر.

قوله عز وجل:

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية :(٢) سورة الفاتحة

الرب- في الأصل- التربية: يقال: رَبَّهُ ورَبَّاهُ، فسُمّي الرَّابُّ ربّاً لزيادة معنى تُصُوِّر منه، [لرحمته][١] ومنه قيل:

«لأنْ يَرُبَّنِي رجلٌ من قريش أحبُّ إليَّ من أن يَرُبَّنِي رجلٌ من هوازن»[٢] فـ "رب العالمين": هو المتكفل بمصلحتهم، ولا يقال: "الرب"-مَطلقاً بالألف واللام- إلا لله تعالى. وتسميتهم إياه بذلك للنظر إلى آلائه. قال بعض المحققين- في الفرق بين قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾**[٣] وقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾**[٤] قال: حيث خاطب الناس كافة حثهم على اتقائه برؤية آلائه، لاشتراكهم كلهم في معرفتها وتصورهم إياها. وحيث خاطب المؤمنين حثهم على اتقائه بلا واسطة. و"العالم": اسم للفلك وما يحويه، وجميع ما فيه من الجواهر والأعراض. وهو في الأصل: اسم لما يُعْلَمُ به. و"فاعل": كثيراً ما يجئ في اسم الآلة التي يُفعل بها الشئ كـ"الطابع" و"الخاتم" و"القالب". فَجُعِلَ بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة في الدلالة وعلى صانعه[٥]. وأما جمعه، فقد قيل لأن لله تعالى بضعة عشرين عالَماً. ولما كان في جملتها الناسُ جمع جمعهم إذ من شأن الإنسان- إذا شارك غيره في اللفظ- أن يكون الحكم في اللفظ له. وقيل : لأنه عنى به أصناف الخلائق من الملائكة والجن والإنس دون غيرها- وإليه ذهب ابن عباس ومجاهد -[رضي الله عنهما]،[٦] وقيل: عنى به الناس وجعل كل واحد منهم عالماً- قال ذلك جعفر بن محمد، قال: العالمُ عالَمَان، عالمٌ كبيرٌ، وهو الفلك بما فيه، وعالَمٌ صغير، وهو الإنسان.

١- ساقطة من (ط-س).

٢- هذا من حديث صفوان بن أمية لأبي سفيان يوم حنين قالها لما انهزم الناس أول المعركة من المسلمين ، وقد أورده الراغب في المفردات - ص ٣٣٦ ، وهو في الروض الأنف - ج : ٤ - ص ١٢٤ ، وفي النهاية في غريب الحديث - لابن الأثير - ج : ٢ - ص ١٨٠.

٣- سورة النساء: الآية (١) ، وسورة الحج : الآية (١) ، ولقمان : الآية (٣٣).

٤ - سورة البقره : الآية (٢٧٨) ، وسورة المائدة : الآية (٣٥) ، وسورة التوبة : الآية (١١٩)، والأحزاب:الآية (٧٠). وسورة الحشر- الآية (١٨).

٥- قال المؤلف في كتاب "المفردات" بعد هذه الجمله:«ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدانيته فقال: **(أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض)** - الأعراف : (١٨٥) - مفردات ألفاظ القرآن - ص٥٨٢.

٦- ساقطة من : (ط-س).

وقال: سَمَّى كُلُّ إنسانٍ عَالَماً، لأن فيه جواهر العالم الأكبر من الأخلاط الأربعة، ولأن لحمه كالأرض الرِّخوة، وعظامه كالجبال، ودمه الجاري فى العروق كالمياه فى الأنهار، ونفسَهُ كالريح، وشعرَه كالنبات. وفيه من ألْمَلَكِ: العقل، ومن البهائم: الشهوة، ومن النبات: النمو والتغذي. قال: فصار عالماً يُعلم به وحدانيته صانعه كما يُعْلَمُ بالعالم الكبير. ولذلك قال تعالى:

﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، وقال عليه السلام: «أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه»[2]، وقيل- فيما أنزل الله فى السفر الأول: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"[3]، وإلى نحو ذلك أشار بقوله عز وجل:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ﴾[4] تنبيهاً أنهم لو تفكروا فى أنفسهم لما خفى معرفته عليهم. وقال المفضل بن سلمة العرب تقول: "العالمين"- بالياء- فى موضع النصب والرفع والجر، إلاّ قوماً من كنانة يقولون: "اللذون" قال: ويدل على ذلك أن "فاعل" لم يجمع السلامة قال: وعلى ذلك "الأقورين"[5] و"الفتكرين"[6] و"البرجين"[7]، وذكر أن من قال: العالمون، فقد وقع عليه السهو حيث لم يجد ذلك فى موضع الرفع، كما وجد الذين فى موضع رفع، وذكر المبرد أن هذا سهو من قائله، لأنه رأى ذلك فى القرآن إما خفضاً أو نصباً.

قوله -عز وجل- ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الآية :(٤) سورة الفاتحة.

قيل: الملك الذى يملك الأمر والنهي فى الجمهور، وإنما شرط الجمهور لأن كل إنسان يملك ذلك فى نفسه وما يختص به، ثم يقال له: ملك، وهذا إنما قاله بالنظر العامي وأما بالنظر الخاصي، فهو

---

١ - سورة الذاريات : الآية (٢١).

٢ - ورد فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس:"وقال النجم: قلت: وقع فى "أدب الدين والدنيا" للماوردي: عن عائشة سُئل النبى- صلى الله عليه وسلم- من أعرف الناس بربه؟ قال: أعرفهم بنفسه: كشف الخفاء- ج:٢-ص٣٤٣ - ٣٤٤.

٣ - ورد فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس قول ابن تيمية فى هذا الأثر: موضوع. وقال النووي قبله: ليس بثابت. ج:٢-ص٣٤٣.

٤ - سورة الحشر : الآية (١٩).

٥- قال صاحب القاموس الوسيط: "الأقورين"-بكسر الراء-، والأقوريات أى:"الدواهي". وفى المعجم الوسيط: الأقورين: الدواهي العظام.

٦ - قال صاحب القاموس المحيط: الفتكرين بتثليث الفاء وفتح القاء وبكسر الفاء وسكون التاء وفتح الكاف: الداهية، أو الأمر العجب العظيم.

٧ - جاءت هذه الكلمة فى الأصل، والظاهر أنها تصحيف لكلمة أخرى. ولم أعثر لها على معنى فى"القاموس المحيط" أو "المعجم الوسيط".

فى الحقيقة اسمٌ لمن يملك السياسة من نفسه أو منها أو من غيرها[١]، ومالك ذلك من نفسه أجل مَلِك وأكبر سلطان ولذلك قيل لحكيم: ما الملك الأعظم؟ فقال: أن يغلب الإنسان شهواته، بل لهذا قال عليه السلام لمن سأله أى الأعمال أشدُّ؟ فقال: «جِهَادُكَ هَوَاكَ»[٢]، وقال: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»[٣]، وحجة من قرأ مَلِك قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[٤] وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[٥] والملك: مصدر"الملك" لا "المالك".

وأما "المالك": فهو الضابط للشئ المتصرف فيه بالحكم، ومنه "مَلَكْتُ العجين". و"الوكيل": وإن كان ضابطا للشئ متصرفاً فيه– فإنه لا يقال له: "مالك" لما كانت يده يد غيره. ويقال للصبي والمعتوه: "مالك"، لما كان ذلك لهما حُكماً وإن لم يكن لهما فعلاً.

وحجة قارئه قوله– عز وجل–﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[٦]، فجعل الملك مملوكاً. وقال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[٧]، وقوله: (﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾[٨]، فإن قيل: أيهما أبلغ؟ قيل: قال بعضهم: "مالك" أبلغ، لأنه يقال: مالك الدراهم والحيوانات والريح، ولا يقال مَلِكُها. وقيل: "الملك" أبلغ، لأنه لا يكون إلاّ مع تعظيم. وهما مختلفان فى الحقيقة، فإن الْمَلِكَ: هو المتصرف بالأمر والنهي فى المأمورين. والمالك: هو المتصرف فى الأعيان المملوكة على أى وجه كان. فإن قيل: على أى وجهٍ أضيف إلى اليوم؟ قيل: أما "مَلِكَ"، فعلى حد: ياسارق الليلة أهَلَ الدار. فى أنه اتسع للظرف، فجعله مفعولاً به، وأما "مالك" فمضاف إلى المفعول به. لأنه تعالى هو موجده وضابطه. وإذا أضيف إلى "الوقت" غيرُ الله تعالى فيقال: فلان مالك يوم كذا. فإنما هو على تجوُّز إذ كان حقيقة اليوم والوقت ليس بملك لغيره. وأما اختصاص ذلك اليوم مع كونه فى الحقيقة مالكاً لجميع الأشياء، وفى جميع الأزمنة– لأمرين: أحدهما: أنه قد ملَّك فى الدنيا قوماً أشياء يبطل عنها ملكهم لها يوم القيامة، ولذلك قال: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[٩]، وقال: ﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾[١٠]، وقال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[١١]،

١– فى (ط – س) أو في غيرها .

٢، ٣– ورد فى : كشف الخفاء قول الحافظ بن حجر فى تسديد القوس:هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن أبى عبلة– انتهى– وأقول: الحديث فى الأحياء، قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر بلفظ: «قدم النبى–صلى الله عليه وسلم– من غزاة، فقال عليه الصلاة والسلام:"قدمتم من خير مقدم وقد رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه، والمشهور على الألسنة : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر – دون باقي الحديث ففيه اقتصار مقدم جامع التفاسير ص ١٢٣.

٤ – سورة غافر : الآية (١٦).

٥ – سورة الحج : الآية (٥٦).

٦ – سورة آل عمران : الآية (٢٦).

٧، ٨ – سورة الانفطار : الآية (١٩).

٩ – سورة غافر : الآية (١٦).

١٠ – سورة مريم : الآية (٤٠).

١١ – سورة الانفطار : الآية (١٩).

والثانى على وجه التعظيم، لأنهم يجعلون ما يستعظمونه ملكاً له نحو: بيت الله وناقة الله وتعظيم إياه على وجه أن اليوم الآخر لا انقضاء له ولا فناء، وجميع ما فى الدنيا فإن، وقد علم أن الباقي أشرف من الفاني، فأما الدّين فالجزاء، كقوله: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[١]، وقيل: الدّين عبارة عن الشريعة كقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٢]، ومعناه يوم جزاء الدين، ومثل: الدين الطاعة، أى يوم جزاء الطاعة وخص الطاعة وإن كانت المجازاة عنها وعن المعصية لأمرين أحدهما إن كل أحد بطبعه فى ذلك اليوم ولذلك قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[٣] والثاني: أن الطاعة هى المقصودة بالجزاء ولأجلها خلقنا وعلى ذلك دل قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]، وقرئ "مالك" -بالنصب- فقيل: هو نداء[٥]- فعلى هذا يقع فى اللفظ عدول عن الخبر إلى الخطاب به. وقيل : نصبه على المدح والعدول عن الخير إلى الخطاب حينئذ، يكون فى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .الآية (٥) - سورة الفاتحة.

قال بعض النحويين[٦]: "إياك" كله اسمٌ واحدٌ.

وقال بعضهم : "الكاف"[٧] هو الاسم، و"إيا": وَصلَةٌ له، وهذان لا تنافي بينهما فى الحقيقة، لأن ذلك بنظرين مختلفين، وذاك أن الضمير المتصل إذا قُدِّمَ أو فُصِلَ بينه وبين المتصل به لا يَحْسُنُ النطقُ به مفرداً، فضم إليه: "إيا" ليصير بذلك كلاماً مستقلاً، فمن قال: الضمير هو الكاف، فإنما اعتبر بذلك بعد انضمام "إيا" إلى الضمير، والعرب كماأنهم يتحرون بالحروف المركبة إفادة المعنى، فقد يأتون ببعضها تهذيباً للفظ وتحسيناً له، بدلالة إدخالهم الحروف بين الحرفين المتنافرين فى

---

١ - سورة الذاريات : الآية (٦).
٢ - سورة آل عمران : الآية (١٩).
٣ - سورة مريم : الآية (٩٣).
٤ - سورة الذاريات : الآية (٥٦).
٥ - قال مكي بن أبى طالب فى كتاب: "الإبانة": قرأ أبو صالح: "مالك يوم الدين" بألف والنصب على النداء، وكذلك قرأ محمد بن السميفع، وهى قراءة حسنة، وقرأ شريح بن يزيد الحضرمي أبو حيوة "مَلِكَ يوم الدين" بالنصب على النداء من غير ألف"... الإبانة- ص٩٠، ٩١.
٦ - هو قول الكوفيين كما ذكره مكي بن أبي طالب فى كتاب: "مشكل إعراب القرآن" -ج:١-ص١١.
٧ - قال مكي بن أبي طالب فى مشكل إعراب القرآن:
«وحكى ابن كيسان أن الكاف هو الإسم، و"إيا" أتي بها لتعتمد الكاف عليها، إذ لا تقوم بنفسها.. ج:١-ص١٠.

التركيب، لئلا يَقْبُحَ التفوُّه بهما، وذلك قد أشبِع الكلام فيه فى غير هذاالكتاب[١] . "فـ إيا": جُعِلَ وصلَةً لتحسين اللفظ بالضمير إذا قُدِّمَ لَمَّا لم يَحْسُنْ أن يقال: ك ألزمت، وهُ ضُرِبت كما أتوا بـ"ذى" لما أرادوا للوصف باسم الجنس فى نحو قولهم: "مررت برجلٍ ذى مال". وأُتِي بـ "الذى" لما أُريدَ أن تُوصَفَ بالمعرفة بالجمل، وعلى ذلك أُتِيَ "مثل" مع "الكاف" فى نحو "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" لما لم يحسن إدخال الكاف على الضمير، فيقال: كَكَ، وكَهُ، و"العبادة": التذلل، ومنه : طريقٌ مُعبَّد، وفى المتعارف، الاشتغالُ بالخدمة. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾[٢].

والعبد على ضربين: عبد بالإيجاد والتسخير: وذلك يُطلق على كل أحد، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[٣] وعبدٌ على طريق التخصيص وذلك قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[٤] واستثناهم إبليس بقوله ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٥] وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾[٦]. فعلى الثاني: يصح أن يقال : فلان ليس عبدا، وعلى هذا قيل : فلان عبد الهوى، وعبد الشهوة، وعبد الطاغوت، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾[٧] وعلى ذلك قال عليه السلام: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَم»[٨]، والاستعانة: طلب المعونة، وهى ضربان: ضروري فى الأمر وغير ضروري: فالضروري: مالا يتم إيجاد الفعل من دونه، وبوجوده يوصف الإنسان بالاستطاعة للفعل، وبعدمه يوصف بالعجز عنه، وهى بالقول المجمل أربعة: بنية صحيحة للفاعل وتصوُّره للفعل، وتَأَتِّي مادة له، وآلة يُعمل بها، وذلك متصور فى الكاتب، فإنه يحتاج إلى بنية صحيحة، وهى العضوُ: وإلى تصور لها وهو : المعرفة . وإلى آلاتٍ كالدواة والقلم، وإلى مادةٍ توجد الفعل فيها، وهو الكاغد، وغير ضروري: وهو ما يصح إيجاد الفعل من دونه، لكن ربما يكون فيه الصعوبة، كمن يقصد مكاناً بعيداً فيعيرُهُ صديق له مركوباً، فَيُسَهِّلُ عليه طريقه. فغير الضروري لا يمكن حصره، ويصح التكليف من دون وجوده، وهو المعبر عنه بالتوفيق والتسهيل، وتسميه العامة: سَعَادَةُ الجَدِّ، وجودةَ البَخْتِ. وفى تيسيره ودفع ضده يستعمل فى كثير من

---

١ – لعل فى هذا إشارة من الراغب إلي كتابه (تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد) الذي سبقت الإشارة إليه من قبل.
٢ – سورة البقرة : الآية (١٣٣).
٣ – سورة مريم : الآية (٩٣).
٤ – سورة الحجر : الآية (٤٢).
٥ – سوره الحجر : الآية (٤٠).
٦– سورة الفرقان : الآية : (٦٣).
٧ – سورة البقرة : الآية (٢٥٦).
٨ – الحديث أخرجه البخاري فى كتاب الجهاد: باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله.

الأدعية. فإذا ثبّتَ هذه الجملة، فالاستعانة بالله: طلب الأمرين. فبحصول الضروريات من المعاون يتوصل إلى اكتساب الثواب، وبحصول غير الضروريات منها يتسهل علينا السلوك إليها. إن قيل: كيف قال: "إياك" نعبد" ولو قال:"نعبدك" كان أوجز منه لفظاً؟ قيل: إن عادتهم أن يقدموا من الفاعل والمفعول ما القصد الأول إليه، والاهتمام متوجهُ نحوه، وإن كان فى ذكر الجملة القصدان جميعاً. تقول: بالأمير استخف الجند- إذا كان القصد الأول ذكر من وقع به استخفاف الجند- و"الأمير أستخف بالجند- إذا كان القصد الأول إلى من أقدم على الاستخفاف بهم.

ولما كان القصد الأول- فى هذا الموضع - ذكر المعبود دون الإخبار عن إتخاذ[1] عبادتهم، كان تقديم ذكره أولى. وعلى هذا قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[2] وأيضاً، ففى ذكر المفعول إشارة إلى إثبات الحكم المذكور ونفيه عن غيره تقول: إليك أفزع تنبيهاً أنى لا أفزع إلا إليك، وإذا قال:أفزع إليك، فليس فيه هذا المعنى وعلى هذا فسر ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما فقال: معناه: لا نوحد غيرك وقال بعضهم: إنما نبه تعالى بتقديم ذكر أن تكون نظر العباد من المعبود إلى عبادتهم له لا من العبادة إلى المعبود، وعلى ذلك فضل ما حكى اللهعن نبينا- عليه السلام- إذ قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3]، فنظر من الله تعالى إلى نفسه على ما حكى عن موسى عليه السلام حين قال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾[4]، فقدم ذكر نفسه، ونظر منها إلى ربه إن قيل: لِمَ كرر إياك؟. قيل لأنه لو قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لكان يصح أن يعتقد أن الاستعانة بغيره، وكان إعادته أبلغ. إن قيل: لم قدم العبادة على الاستعانة، وحق الاستعانة أن تكون مقدمة، إذ لا سبيل إلى عبادته إلاّ بمعونته؟ قيل: قد قالوا : هو على التقديم والتأخير. وقيل: الواو لا تقتضي الترتيب. والوجه- فى ذلك- أن الله تعالى علّم خلقه بذلك أن يقدموا حقه ثم يسألوه ليكونوا مستحقين للإجابة. ويجوز أن يكون قوله: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ): فى موضع الحال، نحو قول الشاعر:

بَأَيْدِيَ رِجَالٍ لَمْ يُشِيمُوا سُيُوفَهُمْ ... ولم يكْثُر القَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ[5].

---

١ - في (و - ج) ، (ط - س) إيجاد .
٢ - سورة الزمر : الآية (٦٤).
٣ - سورة التوبة : الآية (٤٠).
٤ - سورة الشعراء : الآية (٦٢).
٥ - البيت للفرزدق- وهو فى ديوانه- ص ١٣٩، ومعنى: (لم يُشِيمُوا): لم يُغْمِدُوا.

فقوله: "ولم يكثر القتلى بها" فى موضع الحال.

قوله عز وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الآية (٦) - سورة الفاتحة.

الهداية: دلالة بلطف، ومنه الهدية، وهوادى الوحش متقدماتها، لكونها هادية لسائرها، وخص ما كان دلالة بفعلت نحو: هديته الطريق، وما كان من الإعطاء ب "أفعَلْتُ" نحو: أهديت الهدية"، و"أهديت إلى البيت"، ولما تصور العروس على وجهين، قيل فيه: هديت وأهديت، فإن قيل: كيف جعلتَ الهدى دلالةً بلطف، وقد قال الله تعالى، **﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**[2]؟ قيل: إن ذلك على حسب استعمالهم اللفظ على التهكم كما قال:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهُ بِخَيْلٍ ... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[3].

والهداية: هى الإرشاد إلى الخيرات قولاً وفعلاً، وهى من الله تعالى على منازل بعضها يترتب على بعضٍ، لا يصح حصول الثاني إلاّ بعد الأول، ولا الثالث إلاّ بعد الثاني: فأول المنازل: إعطاؤه العبد القوى التى بها يهتدي إلى مصالحه: إما تسخيراً، وإما طوعاً، كالمشاعر الخمسة، والقوى الفكرية، وبعض ذلك قد أعطاه الحيوانات، وبعضه خُصَّ به الإنسان.

وعلى ذلك دل قوله تعالى: **﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾**[4] وقوله تعالى: **﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾**[5]، وهذه الهداية إما تسخير واما تعليم، وإلى نحوه أشار بقوله تعالى: **﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾**[6] وقوله تعالى: **﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾**[7]، وقال فى الإنسان بما أعطاه من العقل وعَرفه من

---

١ - سورة الصافات : الآية (٢٣).

٢ - سورة الحج : الآية (٤).

٣ - البيت لعمرو بن معد يكرب كما جاء فى كتاب سيبويه -ج:١-ص٣٦٦، ٤٢٩، وقال فيه الشنتمري: الشاهد فيه جعل الضرب تحية على الاتساع... يقول: إذا تلاقوا فى الحرب جعلوا بدلاً من تحية بعضهم البعض الضرب الوجيع. ومعنى :دلفتُ: زحفت: مشيت رويداً وقاربتُ الخطى ، يقال: دلف الشيخ، ودلف الحامل بحمله وإليه. أقلل عليه. انظر: المعجم الوسيط- نوادر أبي زيد، ص١٥٠- الخصائص-ج:١-ص٣٦٨. وهو فى المقتضب. ج:٢ ص ٢٠ ، ج:٤ - ص ٤١٣ وفى المفصل لابن يعيش - ج:٢-ص٨٠ ، وخزانة الأدب - ج:٤ - ص ٥٣ ، ومعاني القرآن - ج:١ - ص ١٢٧ ، والممتع - ص ٢٦٠ ، والخصائص - ج:١-ص٣٦٨ وديوان الشاعر - ص ١٤٩ ، وتفسير الطبري ج١٠-ص٣١٠، وأورده الراغب فى المفردات ص ١٢٦ ، ص ٨٣٥ .

٤ - سورة طه : الآية (٥٠).

٥ - سورة الأعلى : الآية (٣).

٦- سورة النحل : الآية (٦٨).

٧ - سورة الزلزلة : الآية (٥).

الرشد: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾[1] وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2]، وقال في ثمود: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[3] وثانيها: الهداية بالدعاء وبعثة الأنبياء عليهم السلام وإياها عنى بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[4] وبقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[5] وهذه الهداية تنسب تارة[6] إلى الله -عز وجل- وتارةً إلى النبي- عليه السلام- وتارةً إلى القرآن قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[7]. وثالثها: هداية يوليها صالحي عباده بما اكتسبوه من الخيرات. وهي الهداية المذكورة في قوله- عز وجل ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[8]، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[9]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[10]، وهذه الهداية هي المعنية بقوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[11]، ويصح أن تنسب هذه الهداية إلى الله -عز وجل- فيقال: هو آثرهم بها من حيث أنه هو السبب في وصولهم إليها، ويصح أن يقال: اكتسبوها من حيث إنهم توصلوا إليها باجتهادهم، فمن قصد سلطاناً مسترفداً فأعطاه، يصح أن يقال إن السلطان خوله، ويصح أن يقال: «فلان اكتسبه بسعيه»، ولانطواء ذلك على الأمرين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[12]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾[13]، فنبه أن ذلك بجهدهم وبفضله جميعاً، وهذه الهداية يصح أن يقال هي مباحة للعقلاء كلهم، ويصح أن يقال: هي مباحة للعقلاء كلهم، ويصح أن يقال هي محظورة إلاّ على أوليائه لما كان في إمكان جميع العقلاء أن يترشحوا لتناولها ومن قبل أنها لا يسهل تناولها قبل أن يتشكل الإنسان بشكل مخصوص بتقديم عبادات. وقد قال بعض المحققين: الهدى من الله كثير، ولا يبصره إلاّ البصير ولا يعمل به إلاّ اليسير، ألا ترى إلى نجوم السماء ما أكثرها، ولا يهتدي بها إلاّ العلماء. وقال بعض

---

١ – سورة الإنسان : الآية (٣).
٢ – سورة البلد : الآية (١٠).
٣ – سورة فصلت : الآية (١٧).
٤ – سورة الأنبياء : الآية (٧٣).
٥ – سورة الرعد : الآية (٧).
٦ – في (أ – ص) ينتسب .
٧ – سورة الإسراء : الآية (٩).
٨ – سورة الحج : الآية (٢٤).
٩ – سورة الأنعام : الآية (٩٠).
١٠ – سورة العنكبوت : الآية (٦٩).
١١ – سورة الحديد : الآية (٢٨).
١٢ – سورة محمد : الآية (١٧).
١٣ – سورة يونس : الآية (٩).

الأوليـاء: إن مـثل هداية الله مع الناس كمثل سيل مرَّ على قلاّت وغدَاير، فيتناول كل قلتٍ منها بقدر سعته، ثم قال قوله: ﴿أنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[1]، وقال بعضـهم: هى كمطر أتى على أرضـين، فـتنتـفـع[2] كل أرض بقدر ترشيحها للانتفاع به، والمنزلة الرابعة من الهداية، التمكين من مجاورته فى دار الخلد وإياها عنى الله تعالى: بقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾[3] فإذا ثبت ذلك فمن الهداية مالا ينفى عن أحد بوجه، ومنها ما ينفى عن بعض ويثبت لبعض، ومن هذا الوجه قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[5] ، وقال: ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ﴾[6] ، فإنه عنى الهداية التى هى التوفيق وإدخال الجنة دون التى هى الدعاء، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[7] ، وقال فى الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[8] ، فقوله: (إهدنا الصراط المستقيم) فُسِّر على وجوه بحسب أنظار مختلفة إلى الوجوه المذكورة: الأول: أنه عنى الهداية العامة، وأمر أن ندعو بذلك، وإن كان هو قد فعله لا محالة، ليزيدنا ثواباً بالدعاء، كما أمرنا أن نقول: «اللهم صل على محمد». الثاني: قيل: وُفِّقنا لطريقة الشرع. الثالث: احرُسْنا عن استغواء الغواة وإستهواء الشهوات، واعصمنا من الشبهات. الرابع: زدنا هدى واستنجاحاً لما وعدت بقولك: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[9]، وقولك: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[10]، الخامس. قيل: علّمنا العلمَ الحقيقى، فذلك سبب الخلاص، وهو المعبَّر عنه بالنور فى قوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾[11]، السادس: قيل سؤال الجنة، لقوله تعالى: (﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[12].

---

١ – سورة الرعد : الآية (١٧).
٢ – في (أ – ص) فينتفع .
٣ – سورة الأعراف : الآية (٤٣).
٤ – سورة القصص : الآية (٥٦).
٥ – سورة البقرة : الآية (٢٧٢).
٦ – سورة النمل : الآية (٨١).
٧ – سورة الشورى : الآية (٥٢).
٨ – سورة الأنبياء : الآية (٧٣).
٩ – سورة التغابن: الآية (١١).
١٠ – سورة محمد : الآية (١٧).
١١ – سورة النور : الآية (٣٥).
١٢ – سورة محمد : الآية (٤، ٥).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[١] الآية. فهذه الأقاويل اختلف باختلاف أنظارهم إلى أبعاض الهداية وجزئياتها والجميع يصح أن يكون مراداً بالآية إذ لا تنافى بينها. وبالله التوفيق. وقوله : "الصراط [المستقيم][٢] " يقال: الصراط، والسراط، والزِّراط[٣] ، والأصل من: سرطت الطعام، وزردته: إذا ابتلعته. وسمى الطريق بذلك، تصوراً أنه إما أن يبتلعه سالكُه، أو يبتلع هو سالكه. ذلك ألا ترى أنه قيل: فلانٌ أكلته المفازة- إذا أضْمَرَتْهُ أو أهْلَكَتْهُ. وأكل المفازة- إذا قطعها- وعلى هذا النحو قال [أبو تمام[٤]:]

رَعَتْهُ ٱلْفَيافى بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً   رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ[٥].

ويقال: قتل أرضاً عالمُها. وقتلت أرضٌ جاهلَها. وسمى الطريق: "اللَّقَمْ وَالْمُلْتَقِم" - على هذا النحو- وذلك فى معنى: "الملقوم" كالنقض والرفض فى معنى "المنقوض" و"المرفوض". و"المستقيم": القائم بالقسط. قال :

أمير المؤمنين على صِرَاطٍ   إذا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمُ[٦].

وذلك قد تصور على وجهين: أحدهما: أنه إشارةٌ إلى أن الطريق المستقيم "واحدة" بإضافتها إلى طرق الضلال واحد، وطرق الضلال كثيرة، وعلى هذا النحو، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[٧]، وروى أن النبى ﷺ قال: «ضَرَبَ الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتى الصراط ستورٌ مرخاةٌ، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: "ادخلوا الصراط ولا تعوجُّوا"، ثم قال: "الصراط: الإسلام، والستور المرخاة: محارم الله. وذلك الداعى: «القرآن»[٨]، وعلى هذا فسر الآية.

١- سورة يونس : الآية (٩).   ٢- ساقطة من (و - ج) ، (أ - ص).

٣- قرأ جعفر الصادق (صراط مستقيم) بالصاد ، وقرأ بن كثير وقنبل وابن صحيص (سراط) وقرأ حمزة وخلف (زراط) لاشمام الصاد زاياص . انظر إتحاف الفضلاء ص١٢٣، البحر المحيط ج : ١ ص٢٦ والمحتسب لابن جني ج : ١ ص٤١ ، والغيث للصفاقسي ص ٦٢ ، ومعجم القراءات القرآنية ج : ١ ص١٢ - الطبعة الأولي .

٤- ساقطة من : (ط-س)، (أ ٠ص).

٥ - البيت لأبى تمام، وهو فى ديوانه - ص ١٢٢ من قصيدة له يمدح بها عبد الله بن طاهر بن الحسين، ومطلعها :

هن عوادى يوسف وصَوَاحبه   فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبهُ

وقد قال الخطيب التبريزى فى شرح البيت:

المعنى أنه قطعت عليه القفار من الأرض فهزل بعدما كان سميناً ، فكأنها رعته بعدما رعى نبتها . ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى ج:١ - ص ١٢٢ ، ، وهو فى المفردات - ص ,٤٠٧

٦- البيت الجديد فى ديوانه ص ٤١١ - ط- دار صادر بيروت.

٧- سورة الأنعام : الآية (١٥٣).

٨ - الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث النواس بن سمعان، وإسناده صحيح ج:٤-ص٣١٨، وأخرجه الحاكم فى المستدرك-ج:٢-ص٣١٨، وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وأخرجه الترمذى بلفظ قريب منه تحت رقم (٢٨٦٣) فى الأمثال باب رقم (١) وقال : هذا حديث حسن غريب.

فقيل: الصراط المستقيم: القرآن، وقيل : الإسلام، وقيل: سنة النبي ﷺ، وهذا كله إشارة إلى شئ واحد وإن اختلفت[1] العبارات، والثاني أن طريق النجاة بإضافة بعضها إلى بعض كثيرة، ولكن بعضها أقصد، وبعضها أبعد، وأقصد الطرق الطريق المستقيم الذى هو طريق السابقين دون طريق المقتصدين الظالمين وإن كانا مؤديين إلى النجاة أيضاً، ولكنهما أبعد، ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[2] - الآية- فجعل ثلثهم مصطفين[3] ، ولكون بعض الطرق أقرب من بعض، قال النبي عليه السلام فى قوم: (إنهم يدخلون الجنة قبل آخرين بكذا سنة)[4].

قوله عز وجل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ : الآية (٧) - سورة الفاتحة.

الإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير، والنعمة -يقال فيما يرتضيه العقل وإن كان كريه المحتمل- والنعمة- قد يقال فيما يستلذه الهوى، وإن كان كريه العاقبة- هذا هو الحقيقة، وإن كان قد يعد الإنسان بسوء تصوره بعض ما يستلذه هواه نعمة وإن كان وخيم العقبى، ونعمة الله، وإن كانت لا تحصى، كما قال تعالى: (﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[5] فهى بالقول المجمل ضربان دنيوي وأخروى، فالدنيوي ضربان موهبي ومكتسبي، فالموهبي: ثلاثة: أشرفها : العقل وقواه من الفهم والحفظ والفكر والنطق، ثم البدن:[6] وقواه من الصحة والقوة والجمال والكمال، ثم ما يكنفه من الخارج كالمال والجاه والأقارب والأصدقاء، وأما المكتسب: فأربعة:

---

١ - في (و - ج) ، (أ - ص) اختلف .

٢ - سورة فاطر : الآية (٣٢).

٣ - في (ط - س) ثلاثتهم .

٤ - لعله يريد بذلك مثل الروايات التى ذكرها الترمذي فى كتاب الزهد، والتى منها: عن أبى هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام)، وقد علق عليه الترمذي بقوله: (وهذا الحديث صحيح ج:٤-ص٣٦، ٣٧.

٥ - سورة إبراهيم : الآية (٣٤) ، و سورة النحل : الآية (١٨).

٦ - في (أ - ص) البدني وهو تصحيف .

وأما المكتسب فأربعة :

- الحكمة [١] والعفة وعنها يصدر الجود والنجدة وعنها يصدر الصبر والعدالة. وهي ثلاث : عدالة في نفس الإنسان ، وذلك بأن يجعل هواه تابعاً لعقله ، وعدالة بين العبد وخالقه وذلك في توفية حق العبادات ، وعدالة بين كل إنسان وبين غيره في المعاملات ، وهذه الأربعة ينطوي عليها العبادة المأمور بها في قوله : ﴿مَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٢] ، وأما الأخروي : فرضاء الخالق . ومعاشرة الملائكة . وبقاء الأبد . والغني عن كل حاجة إلا إليه تعالي ، وعلي ذلك دل قوله تعالي : ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣] وقوله تعالي : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٤] فالنعمة الحقيقية التي لاغناء عنها ، ويقال لها : الخير المطلق هى الأخروية ، فأما الدنيوية فضربان : ضرب هو نافع ضروري في الإيصال إلى الخير المطلق ، وهي المكتسبات ، فإنها ضرورية فيه ، إذ لايمكن الوصول إلى نعيم الآخرة إلا بها أو ببعضها ، ولذلك قال تعالي ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٥] ، وضرب غير ضروري ، وقد يكون تارة نافعاً في بلوغ المقصود، وتارة ضاراً فيه ، نحو المال والجاه والقوة والجمال ، ولذلك لايقال في الملك : إنه نعمة على الإطلاق ، لأنه قد يكون نعمة لزيد ، ونقمة على عمرو ، ولهذا قيل :« رب مغبوط بأمر وهو داؤه. ومرحوم بأمرٍ هو شفاؤه » ولذلك قال بعض الصالحين : (يامَنْ مَنْعُهُ عَطَاءٌ) ، وقال آخر : (يَامَنْ لاَيَسْتَحِقُّ بِمَنْعِهِ الْشُكْرَ سِوَاهُ)، وعماد ذلك كله في إيصالنا إلى المقصود من نعيم الآخرة توفيق الله – عز وجل – ، فقد قيل لبعض الحكماء : ما الذي لايستغنى عنه في كل حال ؟ فقال : التوفيق . إذا ثبت معرفة أنواع النعم ، علم أن قوله تعالي : ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ : يعنى به من سهلت عليهم طريق الفوز بإعطائهم مايمكنهم منه ، ومنهم مايثبطهم عنه ، ومن المفسرين من قال: أراد به أن عرفهم مكائد الشيطان وخيانة النفس ، ومنهم من قال : عني الإنعام عليهم بالعلم والفهم وكل هذا أبعاض للحكمة ، فالوجه : أن يجري ذلك علي العموم في كل ماصح أن يكون نعمة بدلالة قوله تعالي : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٦] . وهؤلاء المنعم عليهم : المعنيون بقوله تعالى :

١- في (أ – ص) الحمية وهو تصحيف .
٢- الآية : (٥) – سورة البينة .
٣- الآية : (١٠٠) – سورة التوبة .
٤- الآيتان : (٧، ٨) – سورة البينة .
٥- الآية : (٩٢) – سورة آل عمران .
٦- الآية : (٢٠) – سورة لقمان .

﴿الذين أنعمت عليهم﴾ هم المذكورون بقوله تعالي : **﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح﴾**[١] الآية .

وقوله عز وجل : **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الآية :(٧) - سورة الفاتحة**

أصل «الغضب » : غليان دم القلب إرادة الإنتقام ، ومبدأ الغضب : انفعال مكروه ، بدلالة قوله عليه السلام: « **إنَّ الغضبَ مِنَ الشيطانِ ، وإنَّ الشيطانَ خُلقَ مِنَ النارِ** » [٢] وقال عليه السلام : «**اتقوا الغضبَ، فإنها جمرةٌ توقدُ في قلبِ ابنِ آدمَ ألمْ تروا إلى انتفاخِ أوداجِهِ وحُمرةِ عينيهِ . فمَنْ وجدَ مِنْ ذلكَ شيئاً ، فليلزمِ الأرضَ** » [٣] والغضبُ : «والغمُّ » ثوران في النفس ، وهما من أصل واحد - إلا أنه متي كان معه الطمع في الوصول إلى الانتقام كان غضباً ، وإذا لم يكن معه الطمع كان غماً [٤] ، فإذاً : الغم والحزن : هما ماينال الإنسان ممن فوقه ، والغضب مايناله ممن هو دونه ، فيختلفان بالإضافة لا بالذات ، ولهذا قال بعض المحدثين : « فحزن كل أخي حزن أخو الغضب» . فإذا ثبت ذلك ، فالغضب من الصفات التى لو خلينا ومجرد العقل لم نجوز وصف البارى - عز وجل- بها ، لكن أطلقنا عليه ذلك لما جسرنا السمع ، وفسح لنا الشرعُ على معني صحيح هو أنه قد تقدم أن الصفات - التي مبدؤها انفعالات ، ومنتهاها فعلٌ - متى وصف البارى تعالي به أريد به المنتهى دون المبدأ ، فإذاً [٥] المراد بالغضب في صفته تعالي : إرادة الإنتقام ، وعلي هذا فسر المتكلمون : فقال بعضهم : هو إرادة الانتقام ، وقال بعضهم : هو ذم العصاة ، وقال بعضهم : هو جنس من العقال ، وقال بعضهم : هو استجازة البطش، [٦] لاستنكار أمر ، وقال بعضهم : هو الانتقام ، وهذه التفاسير عنهم [٧] متقاربة [وكلها][٨] لنظرهم منه إلى منتهى الغضب دون مبدئه ، وأما الضلال والخطأ : فالعدول عن الصراط المستقيم عن الصواب ، سواء كان العدول عن ذلك عمداً

١- الآية : (٥٨) - سورة مريم .

٢- الحديث أخرجه فى الأدب - تحت رقم ٤٧٨٤ ، كما أخرجه أحمد في مسنده - ج : ٤- ص٢٢٦ .

٣- الحديث أخرجه الترمذى من حديث طويل عن أبي سعيد الخدرى فى كتاب الفقه تحت رقم : ٢١٩١ - ج : ٤ - ص ٤٨٢ . ٤٨٤ ، كما أخرجه الإمام الإمام أحمد فى مسنده : ج :٣ ص١٩ . ٦١ ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ج : ١١- ص٣٤٧ ، وأورده الراغب فى المفردات - ص ٦٠٨ ، ونص الحديث عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا وإن الغضب حمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينية ، وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشئ من ذلك فليلصق بالأرض .»

٤- ساقطة من (ط - س)

٥- في (أ - ص) فإن المراد

٦- في أ - ص) استجارة البطش .

٧- في (و - ج) عنه .

٨- ساقطة من (ط - س).

أو سهواً ، وسواء كان يسيراً أو كثيراً ، والصواب من الشيء يجرى « مجرى القرطاس » من المرمى في أنه هو الصواب . وباقيه ضلال وخطأ ، ولهذا قال الحكماء : كوننا أخياراً من وجه واحد ، وكوننا أشراراً من وجوه كثيرة ، **ولهذا روي عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم – في منامه ، فقال له : ما الذي شيبك يارسول الله – حيث قلت : « شيبتني هود وأخواتها** [(١)] **» ؟ فقال : مثل قوله** : (**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ**)[(٢)] ولصعوبة الصواب وكونه واحداً ، قال عليه السلام : (**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا**)[(٣)]، وعلى هذا النظر قال : (**مَنِ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَمَنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**) [(٤)] .

فإذا ثبت أن كل عدول عن الغرض والمقصود يقال له خطأ وضلال ، وأن الصواب في نهاية الصعوبة ، علم أنه ليس كل ضلال وخطأ يستحق به العقاب الدائم ، بل كما قد يسمى أكبر الكبائر نحو : الكفر ضلالاً وباطلاً وخطأ وقد يسمى بذلك أصغر الصغائر . قال يجب أن يشككنا مشككك إذا رأينا بعض الأولياء موصوفاً بضلال وخطأ ، كما رأينا الكافر موصوفاً بهما ، فقد يتقارب الوصفان حداً ، وموصوفاً هما متباعدان ، فغرض الضلال والخطأ عريض ، والتفاوت بين أدناه وأقصاه كثير ، ولذلك قال تعالي للنبي – صلي الله عليه وسلم – : ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ** ﴾ [(٥)] أي : ووجدك غير مهتد إلى ماسبق إليك من النبوة والعلم ، ونحوه قوله : ﴿ **وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [(٦)] ، وقد يعبر عن سوء الاختيار بالضلال نحو قوله : ﴿ **فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ** ﴾ [(٧)] ، ويعبر عن الخيبة بالضلال والغي والخطأ ، كما قال في الكفار : ﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ** ﴾ [(٨)] ، فإذا ثبت ذلك ،

١- في (أ – ص) شيبتني سورة هود وأخواتها، والحديث أخرجه البيهقي في [شعب الإيمان] عن أبي علي السري رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله: روي عنك أنك قلت شيبتني هود؟ قال:[نعم]، فقلت: ما الذي شيبك منه، قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله: فاستقم كما أمرت، آية ١١٢ . وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يارسول الله قد شبت ، قال صلى الله عليه وسلم: [شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت]. أخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم ج:٢ ص٣٤٣ وصححه ووافقه الذهبي، كما ورد في الدر المنثور ج:٤ ص٣٩٦ – ص٣٩٨ وفي شرح السنة ج:١٤ص٣٧٢، وأورده الراغب في المفردات ص٢٤١.

٢- سورة هود الآية (١١٢).

٣- الحديث عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولايحافظ على الوضوء إلا مؤمن » الحديث صحيح ، أخرجه الإمام مالك في الموطأ ج : ١- ص٣٤ في الطهارة ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده – ج : ٥ – ص٢٨٠ ، وابن ماجه ج : ١- ص١٠١ وأخرجه الحاكم في المستدرك ج : ١- ص ١٣٠ ، وأورده الراغب في المفردات – ص ٢٤٠.

٤- الحديث أخرجه البخاري – ج : ١٣ – ص ٢٦٨، في كتاب الاعتصام ، وأخرجه مسلم في الأفقية تحت رقم ١٧١٦، وأخرجه أبو داود تحت رقم ٣٠٧٤ في الأفقية عن عمرو بن العاص – رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر » وأخرجه الترمذي تحت رقم : ١٣٢٦ في الأحكام ، والنسائي في القضاء – ج : ٨- ص٢٢٤ عن أبي هريرة .

٥- الآية : (٧) – سورة الضحى .

٦- الآية : (١٦٤) – سورة آل عمران ، والآية : (٢) سورة الجمعة .

٧- الآية : (٢٠) سورة الشعراء .

٨- الآية : (٤٧) – سورة القمر .

فقد روي عن النبي – صلي الله عليه وسلم أنه قال : «**المغضوب عليهم » – هـهنا : اليـهود ، و«الضـالين»** : النصارى ، ودل على ذلك قوله فى اليهود **﴿مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾** [1] ، وقوله فى النصـاري : **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** [2] . إن قيل : كيف فسر على ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب عليه ؟ قيل : هـو كذلك ، **ولكن** خص تعالى كل فريق منهم بصفة كانت أغلب عليهم ، وإن شاركوا غيرهم في صفات ذم . إن قيل : ما الفائدة فى ترادف الوصفين ، وأحدهما يقتضى الآخر ؟ قيل إن : اقتضاء أحدهما الآخر من حيث المعنى ، وليس من شرط الخطاب أن يقتصر في الأوصاف على مايقتضي وصفاً آخر دون ذلك الآخر . ألا ترى أنك تقول :« حي سميع ، بصير » ، والسمع والبصر [3] يقتضي الحياة . ثم ليس من شرط ذلك أن يكون ذكره لغواً ، وإنما ذكر **﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾** لأن الكفار قد شاركوا المؤمنين في إنعام كثير [4] عليهم [5] ، فبين بالوصف أن المراد بالدعاء ، ليس هو النعم العامة ، بل ذلك نعمة مخصوصة ، وقوله: « غير » إذا خفض : فصفة ، ويصح أن يوصف مافيه الألف واللام ، ويدل على الجنس بـ « غير » و «مثل » وأخواتها ، لكونه قريباً من النكرة ولايصح أن يوصف به مافيه الألف واللام ، ودل على العهد، ولاسائر المعارف . ويجوز خفضه على البدل : وإذا نصب : فحال : إما من الضمير في « عليهم » أو من « الذين » . قال الأخفش : ويصح أن يكون استثناء . ولم يجوز ذلك الفراء ، لأن الاستثناء لايعطف عليه بـ « لا » ، لاتقول : رأيت القوم إلا زيداً ولاعمروا ، قال أبو علي الفسوي – رحمه الله –: من جعله استثناء فإنه يقول : أدخل عليه «لا» – حملاً على المعنى ، لأن معنى قولهم :« أتاني القوم إلا زيداً » : أتوني لازيداً . وتجعل « لا» زائدة ، وزل أبو علي الجبائي في قوله : **﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾** زلة عظيمة فى النحو ، وقال : ذكر « المغضوب » بلفظه المفرد ، وهو يعني الجماعة ، قال : إلا أن هذا يجوز في سعة الكلام ، وخفي عليه أن المتعدي بالجار يدخل التثنية والجمع على الضمير المتصل به دون لفظ المفعول .

١– الآية : (٦٠) – سورة المائدة .

٢– الآية : (٧٧) – سورة المائدة.

٣– في (أ – ص) والسميع البصير .

٤– في (و – ج) كتب وهو تصحيف .

٥– ساقطة من (ط – س).

وقوله : (آمين) : قيل : هو اسم الفعل ، كصه ومه ، ومعناه : استجب - وذلك عن الحسن - وإليه ذهب الأخفش ، ويدل على كونه اسم فعل ماروى أن موسى كان يدعو وهارون - عليهما السلام - كان يؤمن ، فقال تعالي : ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [١] ، فكما أن قول [موسى عليه السلام][٢] ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ [٣] جملة ، فكذلك قول هارون (آمين) جملة من حيث المعنى، وقال مجاهد وابن جبير وجعفر بن محمد : هو اسم من أسماء الله - عز وجل - .

وقال أبو على الغنوي: تأويل ماقالوه : إن هذا الاسم لما تضمن الضمير المرفوع ،وهو ذكر الله ، قالوا : هو اسم الله ، لأن الكلمة كما هي اسمه وماروي عن أمير المؤمنين - [رضي الله عنه][٤] أنه قال : آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده ، فقد قيل : إن ذلك ليس بتفسير لآمين [٥] ، وإنما هو وصف له . ومن قال : « آمين » بالمد : فقد قال الأخفش [٦] : هو اسم أعجمي نحو « حاميم » . وقال محمد بن يزيد : هو علي مثال عاصين ، وليس يعنى أنه جميع ، ولا أن النون فتحت كما فتحت [٧] في عاصين » ، وإنما يريد : أن لفظه كلفظه : وقيل إن الألف : فيه زيادة للمد ، نحو : «ينباع » و «أتطور» في : « ينبع » و « أنظر » .

١- الآية : (٨٩) - سورة يونس .
٢- ساقطة من (ط - س) ، (و - ج).
٣- الآية : (٨٨) - سورة يونس .
٤- فى (ط - س) عليه السلام .
٥- فى (أ - ص) ليس بتفسير لأمير المؤمنين .
٦- في (أ - ص) فقال الأخفش .
٧- في (أ - ص) كما فتح.

﴿ســــورة البقـــرة﴾

قوله - عز وجل - ﴿الٓمٓ﴾ : الآية (١) - سورة البقرة.

اختلف الناس فى الحروف التى فى أوائل السور، فقالوا فيها أقوالاً جلها مراد باللفظ وغير متناف على السير، لكن بعضها مفهوم بلا واسطة، وبعضها مفهوم بواسطة، فنقول وبالله التوفيق: إن المفهوم من هذه الحروف الأظهر بلا واسطة ما ذهب إليه المحققون من أهل اللغة كالفراء وقطرب، وهو قول ابن عباس- رضي الله عنهما- وكثير من التابعين على ما بُيِّن من بعد، وهو أن هذه الحروف لما كانت هى عنصر الكلام ومادته التى تركب منها بيَّن تعالى أن هذا الكتاب من هذه الحروف التى أصلها عندكم تنبيهاً لهم على إعجازهم،وأنه لو كان من عند البشر لما عجزتم مع تظاهركم عن معارضته، وأما اختصاص هذه الحروف وهذا العدد المخصوص وكونها فى سور معدودة وجعل بعضها مفرداً، وبعضها ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً، ثم لم يتجاوز ذلك واختصاصها ببعض الحروف دون بعض، ففيها عجائب وبدائع إذا اطلع عليها علم أنه كما وصفه تعالى بقوله :﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[1]، والقول فى ذلك إن حروف التهجِّي قد قيل : ثمانية وعشرون، وقيل: تسعة وعشرون. وهذا الخلاف من حيث أن "الألف" حرف لا صورة له فى اللفظ حتى قال بعض الناس: الألف- فى حروف التهجي: حرف لا ساكن ولا متحرك، وإنما هو مدٌّ لا اعتماد له وقيل : إن الله تعالى جعل هذه الحروف طبقاً للعدد الذى هو أصل العلوم، ولو توهم ارتفاعه ارتفع سائر العلوم، لأن عقود الأعداد ثمانية وعشرون: آحاد: وهى تسعة. وعشرات، وهى تسعة. ومائات، وهى تسعة وألف: وهو واحد، ثم الباقي مكررات. وجعلها أيضاً طبقاً لمنازل القمر، وهى ثمانية وعشرون إلى غير ذلك من العجائب. وأما "لام الألف": فمركب من حرفين، ولا اعتداد به فى حصر المفردات. وقد قال بعض النحويين: إن ذلك يجب أن يقال: "لا"، ذاك أنهم لما أرادوا تعريف صورة لفظ الألف مفردة: ولم يكن سبيل إلى التفوه به مفرداً، إذ لا يكون إلا مدةً ضم إليها اللام ليمكن النطق به. وخص بذلك اللام لعلة مذكورة فى موضعها . فإذا ثبت ذلك فقد قيل: إن السور التى ذكر فى أوائلها هذه الحروف تسع وعشرون، وجعل ذلك تنبيهاً على عدد حروف التهجي- إذا عُدَّ فيها الألف. وقد ذكر هذه الحروف مفردةً وثنائيةً إلى الخماسية تنبيهاً أن الكتاب المنزل على رسوله مركب من كلماتهم التى هي أصولها:

---

١ - سورة : فصلت : الآية (٤٢).

إما مفرداً وإما ثنائياً- إلى الخماسي- وإن أصول أبنية كلامهم لا يتجاز ذلك. وجاء ثلاث سور مفتتحة بمفردات، وتسع سور بالثنائيات، وثلاث عشرة سورة ثلاثيات، وسورتان برباعيات، وسورتان بخماسيات، وذلك **"صٓ" و"قٓ" و"نٓ" و"طه" و"يس" و"طس"** وست من الحواميم ، و"الم" في ست سور، و"الر" في خمس سور، و"طسم" في سورتين ، **و"المر" ، و"المص" ، و"كهيعص"، و"حم عسق"**، فجعل عدد الثلاثي أكثر تنبيهاً أن أكثر تراكيب كلامهم الثلاثي. وباقيها أقل. وإنما جعل الثلاثي ثلاثة عشر تنبيهاً أن أصول الثلاثي المستعملة : ثلاثة عشر: عشرة منها[1] للأسماء المستعملة وذلك **"فَعْل" "كعْاس، و"فُعْل" كقُفْل، و"فِعْل" كقِرْد، وفَعَل كجعل**[2] ، و"فَعُل" كعضُد. و"فَعِل" ككَتِف وفعل كابل وفعل **كعُنق، وفِعَل كعِنَب**، و(فُعَل) **كصُرَد**، وثلاثة للأفعال: **"فَعَلَ". و"فَعُلَ" و"فَعِلَ"، ولم يعتد بـ"فُعِل"**: أما في الأسماء، فلأنه لم يوجد ما يعتد به.، أما في الأفعال: فإن الفعل في الأصل يجب أن يبنى للفاعل ويُسند إليه دون المفعول. وأما التسعة الثنائية، فتنبيهاً أن ماجاء من الكلم على حرفين تسعة اضرب ثلاثة للحروف: **"إنْ" و"مَنْ" ومذ إذا جرَّ به**.- وثلاثة للأسماء: **"مَنْ"، و"إذْ"** وهذا[3] إذا رُفع به. وثلاثة للأفعال في الاستعمال، نحو**"قل"، و"بع"، و"خف"**. وأما الثلاثة المفردة: فتنبيهاً أن الحروف ثلاثة أضرب مفتوح ومكسور وساكن، نحو: له، وبه، ولام التعريف، وأما الرباعيان والخماسيان، فتنبيهاً أن لكل واحدٍ منهما ساكن [4] أصلاً وملحقاً به، أما الأصل: فكجعفر وسفرجل، وأما الملحق بهما: فكقرد وحجنكل[5] ، واقتصر من حروف التهجي على النصف منها- وهو أربعة عشر حرفاً من غير تكرير- لتدل على حكمٍ عجيبة. ولما خص نصفها بالذكر أورَد فيها من الحروف المجهورة والمهموسة والشديدة، وما ليس بشديدة، واللينة، والمطبقة، وحروف البدل، ومالا يصح فيه الإدغام، ومالايدغم فيما قاربه، ولا يدغم ما قاربه فيه، وما لا يدغم فيما قاربه، ويدغم ماقاربه فيه [6] ، ومن حروف اللقلقة [7] ومن الحروف التى للعرب دون العجم، من كل ذلك ما هو زوج، واحتمل التنصيف فإنه أخرج نصفه، ومن كل ما هو فرد لا يحتمل التنصيف نصَّفه بإسقاط حرف أو زيادة حرف، وأما الحروف الذلقية والحلقية، والزوائد، فقد زيد فيها على النصف بخاصيةٍ فيها: من ذلك: الحروف المجهورة: وهي ما أشبع الاعتماد على منبعه،

---

١ - ساقطة من (ط-س)

٢ - في (و-ج)، (أ- ص) كجبل.

٣ - في (و- ج)، (أ - ص) ومذ.

٤ - في (و-ج) ، (أ-ص) بنائين وهو تصحيف.

٥ - في (و - ج) وحجنفد، في (١-ص) حجنفك.

٦ - ساقطه من (ط - س).

٧ - في (أ - ص) القلقلة.

ولم يجر معه النفس. وهى تسعة عشر حرفاً يجمعها :(زاد ظبي غنج لي ضموراً إذ قطع)[١] . أسقط منها الألف الزائدة التى قيل فيها: إنه لم يعتد بها من حيث لا تكون إلاّ مدة، وذكر نصفها فى هذه الأربعة عشر[٢] ، وهى تسعة يجمعها: «لن يقطع أمر».

والمهموسة: وهى: ما ضعف الاعتماد على منبعه، وذلك عشرة يجمعها: "(ستشحثك خصفه)[٣] ذكر منها فى هذه الأربعة عشر نصفها، وهى ما يجمعها: (صه حسك). والشديدة: وهى ثمانية يجمعها: "أجَدْتَ طبقك" ذكر نصفها، ويجمعها "أقطك" وباقيها [رخوة،][٤] وهو : أحد وعشرون، إذا سقط منها الألف فنصفها عشرة يجمعك "حمس على نصره".

واللينة حرفان- سوى الألف: الواو والياء، وفى هذه الأربعة عشر أحدهما: وهو الياء. والمطبقة أربعة: ص، ض، ط، ظ. ذكر اثنان منها، وهى : الصاد والطاء. وحروف البدل إثنا عشر حرفاً- فيما ذكر سيبويه- يجمعها: (أجد طويت منها): ذكر منها ستة يجمعها "أهطمَين" وترك باقيها.

وإنما لم يجر مجرى غيرها فى أن ترك منها الألف ثم نصَّف، بل زيد لأمرٍ اختص به باب البدل، وهو أن الألف فى باب البدل أكثر من سائر الحروف، فلم يجز الإخلال بها فى باب الإبدال. وأما على غير طريقة سيبويه، فقد بلغ حروف البدل ثمانية عشر، فعدَّ فيها اللام بدلاً من النون فى "أُصيلان"، و"الصاد" تبدل من "السين" فى "الصراط" و"الثاء" من "الفاء" فى "فروع الدلو"، والفاء من التاء فى "جدث" و"جدف" و"ثوم" و"فوم"، والعين من الهمزة فى عنعنة تميم، نحو قوله:

أَأَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً[٥]

فى "أأن تَرَسَّمْتَ". والباء من الميم "باسمك" فى "ما اسمك"، والزاي من السين فى قولهم: "زقر" أى "سقر"- فعلى هذا- فى الحروف من الثمانية عشر تسعة، وهى الستة المذكورة ،واللام، والصاد، والعين. وما لا يصح فيه الإدغام: اثنان: الهمزة والألف. وذكر أحدهما. وما لا يُدغم ولا يُدغم فيه: فالواو والياء- إذا انفتح ما قبلهما- وقد ذكر أحدهما. وأما الحروف التى لا يدغم فيما قاربها، ويُدغم ما قاربها فيها: فهى الميم ، والراء، والشين، والفاء، وقد ذُكر من هذه الحروف اثنان، وأما حروف القلقلة[٦] : فخمسة : القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء، وذكر منها اثنان: الطاء والقاف وهما

---

١ –وهى: الزاى، والدال، والظاء، والباء، والياء، والغين، والنون، والجيم، واللام، والياء، والضاد، والميم، والواو، والراء، والذال، والقاف، والطاء، والعين، والألف.

٢ – يريد بالأربعة عشر أى التى. ذكرها القرآن فى فواتح السور

٣ - في (و - ج) ، (أ–ص) ستسخصك حصفه

٤ – ساقطة من (و–ح)، (أ–ص)، (ط–س) وهي زيادة يقتضيها السياق ويلاحظ أنه جعل مع الرخوة ما بين الشديدة والرخوة وهى المجموعة في قوله لم يروعنا)

٥ – البيت لذي الرمة، وهو وفي ديوانه: ج : ١ – ص ٢٧١ ، وشطره الثاني: ماءُ الصَّبابة مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ؟

والبيت الذى بعده :– رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة   كحاشية البرد اليماني المسهَّم

والخرقاء هى التى لاتحسن العمل لكرامتها على أهلها.

انظر ديوان ذي الرمة – تحقيق د/عبدالقدوس أبوصالح – دمشق ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م.

٦ – في (أ–ص) القلقلة.

أقوى الخمسة. وأما الحروف التى للعرب دون العجم: فالضاد والحاء، وقد ذكر أحدهما. وأما الحروف الذلقية: وهى التى ذلقت وسهلت على اللسان، فستة يجمعها "رمل فنب". وحروف الحلق. وهى ستة: الحاء، والخاء، والعين، والغين، والهاء، والهمزة، فقد ذكر من النوعين أكثر من النصف للتنبيه على كثرة وقوعهما فى الكلام، إذ قلَّ ما ينفكُّ رباعيٌّ وخماسيٌّ من حرف[١] أو حرفين و ثلاثة من هذه الحروف، فلما كثر وقوعها فى الكلام أيد المذكور منهما على النصف تنبيهاً على ذلك. وأما الزوائد: فعشرة يجمعها **(اليوم تنساه)**، وقع في هذه الحروف منها سبعة لخاصيَّةٍ فيها، وهى التنبيه على أن البناء من الكلمة قد يبلغ [٢] سبعة أحرف بالزيادة، فهذه هي التي زاد المذكور منها على النصف لفائدةٍ تختصه وحكمة تقتضيه. وما رُوي عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- أن هذه الحروف اختصار من كلمات، فمعنى "الم": أنا الله أعلم، ومعنى "المر"[٣] أنا الله أعلم وأرى، فإشارة منه إلى ما تقدم. وبيان ذلك ما ذكره بعض المفسرين أن قصده بهذا التفسير ليس أن هذه الحروف مختصة بهذه المعاني دون غيرها، وإنما أشار بذلك إلى ما فيه الألف واللام والميم من الكلمات تنبيهاً أن هذه الحروف منبع هذه الأسماء، ولو قال: إن اللام يدل على "اللعن"، والميم على "المكر" لكان يُحْمل[٤]، ولكن تحرّى فى المثال اللفظ الأحسن، كأنه قال: هذه الحروف هى أجزاء ذلك الكتاب. ومثل **هذا فى ذكر نبذ تنبيها على نوعه قول ابن عباس**- رضي الله عنهما فى قوله تعالى: **﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾**[٥] أنه الماء الحار فى الشتاء، ولم يرد به أن النعيم ليس إلاّ هذا، بل أشار إلى بعض ما هو نعيم تنبيهاً على سائره، فكذلك أشار بهذه الحروف على ما يكتب منها، وعلى ذلك ما رواه السدّي عنه أن ذلك حروف إذا ركبت يحصل منها اسم الله. وكذا ما روي عنه أنه قال: هى أقسام غير مخالف لهذا القول، وذلك أن الأقسام الواردة فى فواتح السور إنما هى بقسم[٦] وأجوبتها تنبيه عليها.

فيكون قوله: "الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ" جملةٌ فى تقدير مقسم بها. وقوله: "لَارَيْبَ فِيهِ" جوابها، ويكن إقسامه بها تنبيهاً على عظم موقعها، وعلى عجزنا عن معارضة كتابه المؤلف منها. فإن قيل: لو كان قسماً لكان فيه حرف القسم. قيل: إن حرف القسم يُحتا ج إليه إذا كان المقسم به مجروراً. فأما إذا

---

١ - في (١-ص) حروف.
٢ - في (١-ص) تبلغ.
٣ - في (١-ص) الم.
٤ - في (١-ص) كمثل وهو تصحيف.
٥- سورة التكاثر : الآية (٨).
٦ - في (ط-س) بنعم وهو تصحيف.

كان مرفوعاً نحو و"أيْمُ الله، أو منصوباً، نحو يمين الله فليس بمحتاج إلى ذلك وما قاله زيد بن أسلم والحسن، ومجاهد، وابن جريج أنها أسماءً للسور فليس بمنافٍ للأول، فكل سورةٍ سُميت بلفظٍ متلوٍّ منها، فله **(معنى)** في السورة معلوم. وعلى هذا القصائد والخطب المسماة بلفظ منها يفيد معنى فيها، وكذلك ما قاله أبو عبيدة، وروى أيضاً عن مجاهد، وحكاه قطرب والأخفش: أن هذه الفواتح دلائل على انتهاء السورة التى قبلها، وافتتاح ما بعدها، فإن ذلك يقتضي من حيث إنها لم تقع إلاّ فى أوائل السور ولا يقتضي أن لا معنى لها سواه، كما أن بسم الله فى أوائل السور يقتضي ما قالوه ولا يوجب ذلك أن لا معنى سواه. وما ذكر من أن هذه الحروف قُصد بها الرد على من **قال**: إن النبى ﷺ كان يتلقن ما يودعه القرآن من بعض الأعجمين، وذلك فى قوله: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ [1] .فذلك [2] شبيه أن هذه الصورة المخصوص بها القرآن، هي من النظم الذى أصوله عندكم، وذاك أن القوم لم يدَّعُوا أنّ لفظ هذا القرآن أعجميٌ، وإنما ادَّعوا أن معناه مأخوذ عنهم ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** ﴾ [3] ، فإذا: المعنى يرجع إلى ما تقدم بأنه تنبيه على إعجازه. وما قاله قطرب إنه قصد بها صرف أسماع المشركين إلى الاستماع إليه لما تَوَاصَوْا بأن لا يستمعوا [4] له حتى قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [5] فإنما يشير به أيضاً إلى المعنى المتقدم، لأنه تعالى قصد بصرف أسماعهم تنبيههم على عجزهم عن معارضته، وأن من حقكم إذا عجزتم عن مثله أن تتدبروا [6] آياته، وأن تعرفوا [7] أنه حق فلا تلغوا [8] فيه. وما روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: الألف من "الم": دلالة على "الله" ، اللام على "جبرائيل"، والميم على "محمد"، فدل بذلك أن القرآن (من الله)- عز وجل- مبدؤه، وأن الواسطة: "جبريل". ومنتهاه إلى محمد. فهذا صحيح ودالٌّ على ما تقدم، وقد نبه بمخرج "الألف" الذى هو مبدأ مخارج الحروف على المبدأ، وهو الله تعالى. وبمخرج اللام الذى هو أوسط المخارج على جبريل، وبمخرج الميم الذي هو منتهى المخارج على المنتهى الذى هو النبى -عليه السلام-.

---

١ - سورة النحل : الآية (١٠٣).
٢ - في (أ-ص) فلذلك.
٣ - سورة هود : الآية (١٣).
٤ - في (ط - س) تسمعوا له.
٥ - سورة فصلت : الآية (٢٦).
٦ - في (أ-ص) يتدبروا وهو تصحيف.
٧ - في (أ-ص) يعرفوا وهو تصحيف
٨ - في (أ-ص) يلغوا وهو تصحيف.

فكأنه قال: من هذه الحروف الدالة على الأسباب الثلاثة حصول الكتاب الذى عجزتم عن الإتيان بمثله. وما قاله الربيع بن أنس أن هذه الحروف حروف الجُمَّل، وأن ذلك من علوم خاصتهم، وقد نبه بها على مدد، فذلك غير ممتنع أن يكون مع المعنى الأول مراداً، بدلالة أن النبى- عليه السلام- لما أتاه اليهود فسألوه عما أُنزل عليه، تلا عليهم "الم"، فحسبوه، وقالوا: إن مُلْكاً يبقى إحدى وسبعين سنة لقصير المدة فهل غيره؟ فقال: "الر"، و"المر"، و"المص" فقالوا: خلطت علينا، فإنا لا ندري بأيها نأخذ. فتلاوة النبى- عليه السلام- ذلك عليهم، وتقريرهم على استنباطهم دلالةٌ أنه لا يمتنع أن يكون فى كل واحدة دلالة على مدة لأمر ما[1]. وأما ما حُكي عن الزبيري أن هذه الحروف ذكرت علماً منه تعالى أن يكون فى هذه الأمة مَن يزعم أن القرآن ليس بكلام الله، وإنما هو حكايةُ كلامه، فأراد أن يبين أن القرآن مما يكتب ويخبر عن أبعاضه وأجزائه بالحروف التي هي معلومة إنها محدثة، فإن هذا القول من الوهي بحيث يستغنى عن إظهار بطلانه، إذ لا يقول أحدٌ إن الكتاب بما هو كتاب ليس بمؤلف من هذه الحروف وإن كانوا قد اختلفوا في القرآن. بل هو مقصورٌ على الكتاب، أو المراد به هو غيره.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ الآية (٢)-سورة البقرة .

قال أبو عبيدة: عنى به هذا الكتاب. وقال غيره: عنى هو الكتاب، فظن بعض من لم يتقوَّ في الحقائق أن قولهم:"ذلك" قد يجئ بمعنى "هذا"، و"هو". ليس الأمر على ما ظنوه. وإنما قصد هذا المفسر أن يبين أن الاسم الذي فيه الألف واللام هو الخبر، لا لأنه[2] وصف والخبر منتظر، كقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ﴾[3]، والفصل كما يقع بالمضمرات، فإنه يقع بالمبهمات. فإن قيل: إذا كان هذا المعنى ما قدمت في "الم ذلك الكتاب" فهلا قيل: "ذلك الكتاب الم"، فإنه قد علم أن حروف التهجي- كما يكون الكتاب المشار إليه- قد يكون شعراً وخطبةً ورسالةً. وقد تقرر أن العام إذا أُخبر عنه بالخاص كان كذباً، نحو قولهم: الحيوان إنسان وإذا أخبر عن الخاص بالعام كان صدقاً، نحو قولهم: الإنسان حيوان، فيحصل من ذلك أنه إذا قيل: "الَمَ

١- وهذا الكلام مقبول فيما لو صح الحديث، إلاّ أن الحديث ضعيف لا يحتج به كما ذهب إلى ذلك ابن كثير فى تفسيره. فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبى، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به. ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يحسب مالكل حرف من الحروف الاربعة عشر التى ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرار فأطمُّ وأعظم. "تفسير القرآن العظيم- ج:١-ص٦٩ . ٧٠. مقدمة جامع التفاسير ص ١٤٩.
كما نقل السيوطى فى الإتقان رد ابن حجر السهيلي الذى قال: «لعل عدد الحرف التى فى أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الامة»، ويقول ابن حجر في رد ذلك: وهذا باطل لا يعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس- رضي الله عنهما- الزجر عن عد أبى جاد، والإشارة إلى ذلك من جملة السحر. الإتقان- ج:٣-ص٢٦.

٢ - في (أ - ص) لانه وصف.

٣ - سورة الانفال: الآية (٣٢).

ذَلِكَ الْكِتَابُ"- كان كذباً على هذا- وإذا قيل: "ذَلِكَ الْكِتَابُ الم" كان صدقاً؟ قيل: في ذلك الكتاب جوابان أحدهما: أن يجعل "ذَلِكَ الْكِتَابُ": مبتدأ. و"الم": خبراً له مقدماً. وتقديمه على كون العناية به أصدق كما تقدم. والثاني: أنه قد يقال: الإنسان زيد. بمعنى غير معنى "زيد إنسان"، وهو أن يراد أن كمال الإنسانية موجود في زيد. فكأنه قيل: كمال حروف التهجي موجود في هذا الكتاب والمكتوب في التعارف اسم للمكتوب، أي : المنظوم كتابةً، وقد يعبر عن المنظوم عبارة قبل أن يكتب بالكتاب.

قوله تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآية :(٢) - سورة البقرة .

قال المفسرون: معناه لا شك فيه. فإن قيل: كيف نفى الريب عنه، وقد علم تشكك كثير من الناس فيه؟ قيل: في ذلك أجوبة: الأول: إن ذلك نفيٌ على معنى النهي نحو قوله: **﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾**[١]، بدلالة قوله: **﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾**[٢] وقوله: **﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾**[٣] فإن قيل: الشك لا يقصده الإنسان، فكيف ينهى عنه؟ قيل: اللفظ لذلك، والمعنى حثٌ على التدبر والتفكر النافيين للشك. والثاني: أنه يقال: رابني كذا، إذا تحققت منه الريبة، وأرابني: أوهمني الريبة. **قال الشاعر:**

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا … أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ[٤]

فالقرآن لا ريب فيه، وإن كان فيه ارتيابٌ من بعض الكفار، والثالث أنه يقال: هذا لا ريب فيه، والقصد إلى أنه حق، تنبيهاً أن الريب يرتفع عنه عند التدبير والتأمل، والرابع: أنه لا ريب في كونه مؤلفاً من حروف التهجي وقد عجزتم عن معارضته، والخامس لا ريب فيه للمتقين، ويكون خبر (لا ريب فيه) قوله تعالى: (للمتقين) وهدى نصب على الحال أو خبر ابتداء مضمر في موضع الحال.

قوله عز وجل-: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ : الآية:(٢) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في الهداية. أما اختصاص المتقين، فلأن الهداية: نصب العلم ليهتدي به الناس فله موضوع هو المبدأ: وذلك نصب العلم للكافة. وغاية: وهو الاهتداء به، فيقال: **﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾** . لما لم يهتد به غيرهم. ومثاله: من بنى مسجداً مباحاً للكافة. يصح أن يقول: "بَنيت هذا المسجد للناس كافة"، اعتباراً بالمبدأ. ويصح أن يقول: بنيته للمصلين فيه، اعتباراً بالغاية. وطريقة[٥] أخرى: وهي أن

---

١ - سورة البقرة : الآية (١٩٧). ٢ - سورة البقرة : الآية (١٤٧). ٣ - سورة الأعراف : الآية (٢).

٤ - البيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه : ج:١-ص٣٢٦، وهو من قصيدة مطلعها :-

جفا وده فازور أومل صاحبه … وأزري به أن لايزال يعاتبه

وهو من قصيدة قالها يمدح فيها قيس عيلان وفي الحماسة البصرية: ج:٢-ص٣٤، ونصه في الحماسة:

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ … يُجِبكَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ

وفي (دلائل الإعجاز) -ص١٣٤، ومعنى: (إن ربته): أي: أتيت بما يرتاب فيه، قال لك: أربت أي : انتفت عنك الريبة.وهو في مقدمة جامع التفاسير ص١٥١.

٥ - في (أ - ص) فطريقة.

"اللام" في قول القائل" :خرجت لأظفر" يقال على وجهين: أحدهما أن المقصود بالخروج: الظفر والثاني: أن الحاصل منه الظفر، لا أنه قصد به، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[١]، فقوله: هدىً للمتقين: تنبيه على حصول الهدى لهم، وإن كان القصد لهم ولغيرهم. وطرقة ثالثة- إذا تؤمِّلتْ تُصُوِّرَ عنها جواب مسائل كثيرة في القرآن- وهو أن الله تعالى جعل لنا طبين طبا بدنياً، وطبّاً دينياً، وكل واحدٍ منهما ضربان : أحدهما: إعادة الصحة، والآخر: حفظ الصحة. قد أجرى العادة أن الذي يحفظ به الصحة غير الذي يعاد به الصحة أما في الطب البدني: فالذى يعاد به الصحة العقاقير والأدوية. والذي يحفظ به الصحة فالغذاء والأطعمة، وأما في الطب الديني فالذي يعاد به الصحة صقل العقل واستعماله في تدبر[٢] الدلالات، وتعرف المعجزات، ومعرفة النبوات. والذي يحفظ[٣] به الصحة: تدبر[٤] الكتاب المنزل، وتتبع سنن النبي المرسل. فكما أن من لم يستفد الصحة في الطب البدني، إذا تغذّى، كان ذلك ضرراً عليه، ومتى أعاد صحته كان تناول الغذاء عائداً بنفعٍ إليه، كذا من لم يستفد صحة عقله بتدبر الدلالات كان القرآن ضرراً عليه، ومتى استعمل ذلك وتهذب فيه، جلب بالاستماع إلى القرآن نفعاً إليه. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٥]، وقوله : ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾[٦]، إلى قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٧]، وأما [التقوى] فهو: جعل النفس في وقاية مما يخاف. هذا حقيقته. ثم يسمى تارة "الخوف" التقوى. والتقى: خوفاً على تسمية المقتضي باسم المقتضي والمقتضي باسم المقتضي وفي التعارف: حفظ النفس عن كل ما يُؤْثِم. ولها منازل: الأول: ترك المحظور. وذلك لا يتم الاّ بترك بعض المباح مما يليه. ولذلك قال عليه السلام «مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»[٨] ، وقيل: من

---

١ – سورة القَصَص : الآية (٨).

٢ – في (١ – ص) تدبير وهو تصحيف.

٣ – في (ط – س) والذي به حفظ.

٤ – في (١ – ص) تدبير.

٥– سورة الإسراء : الآية (٨٢).

٦ – سورة التوبة : الآية (١٢٤).

٧ – سورة التوبة : الآية (١٢٥).

٨ – الحديث أخرجه البخاري في الإيمان–ج:١ – ص ١١٧، ومسلم في المساقاة برقم: ١٥٩٩، وأبو داود في البيوع برقم/ ١٢٠٥، والنسائي في البيوع ج: ٧/ ٢٤١.

لم يجعل بينه وبين محارم الله ستراً من حلال، فحقيقٌ به أن يقع فيها . فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]، أي: التاركين [٢] للمحظورات. وقال ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٣]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٤] فجعل "المتقى"- فى الآيتين- غير المصلح والمحسن. والثاني: من منازل التقوى - أن يتعاطى الخير مع تجنب الشر، وإياه عنى الله تعالى بقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[٥] والثالث منها: التبرؤ من كل شئ سوى الله-عز وجل- فلا سكون إلى النفس ولا إلى شئ من القُنيات والجاه والأعراض. وهو المعنىُّ بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٦] وما وعدناه بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[٧] ورجاناه بقوله : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[٨] إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٩]. فهذه المنازل مرتبٌ بعضها على بعض. وقد فسر قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ على الوجوه الثلاثة، فقيل: عني به التاركين لمحارم الله. وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: عني به الخائفين عقوبته الراجين رحمته. وقال بعض المتقدمين: معنى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي وصلةٌ للمنقطعين إليه عن الأغيار الذين نزع عن قلوبهم حب الشهوات. فهذا نظرٌ منهم إلى الغاية.

---

١ - سورة المائدة : الآية (٢٧).
٢ - في (و - ج) تاركين المحظورات.
٣- سورة الأعراف : الآية (٣٥).
٤ - سورة النحل : (١٢٨).
٥- سورة الزمر : الآية (٧٣).
٦- سورة آل عمران : الآية (١٠٢).
٧ - سورة محمد : الآية (١٧).
٨ - سورة الأنعام : الآية (٥١).
٩ - سورة الأنعام : الآية (٥١)، وقبلها قوله تعالى: (ليس لهم من دونه وليٌ ولا شفيعٌ).

قوله - عز وجل : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ الآية : (٣) سورة البقرة.

الإيمان: التصديق بالشئ، ولا يكون التصديق إلاّ عن علم، ولذلك قال تعالى: **﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[١]. فالإيمان: اسم لثلاثة أشياء: علم بالشئ، وإقرار به، وعمل بمقتضاه، إن كان لذلك المعلوم عمل، كالصلاة والزكاة. وهذا هو الأصل، ثم قد يستعمل في كل واحد من هذه الثلاثة، فقال: "فلان مؤمنٌ"، ويعنى به أنه مقرٌ بما يحصن دمه وماله. وإياه عن النبى ﷺ بقوله: **«أمرتُ أنْ أقاتِلَ النّاسَ حتّى يَقُولُوا لاَ إِلَهِ إِلاَّ الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها»**[٢]، وبذلك حكم- عليه السلام- على الجارية التي عُرضت عليه، فسألها ما سألها. ثم قال: **"اعتقها فإنها مؤمنة"**[٣] ويقال: "مؤمنٌ"، ويراده: أنه يعرف الأدلة الإقناعية التي يحصل معها سكون النفس، وإياه عنى النبى ﷺ بقوله: **«من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة»**[٤]، ويقال: "مؤمن"، ويعنى به: أنه يسكن قلبه إلى الله من غير تلفت إلى شئ من عوارض الدنيا وإياه عنى الله تعالى بقوله: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**[٥]. الآية، وبقوله: **﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾**[٦]، و"الغيب": مالا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم إما بواسطة علم ما أو الاستشهاد به عليه، وإما بخبر الصادق، وهو الذى دفعه قوم، فلزمهم اسم الإلحاد، لأن الإلحاد: دفع أخبار الغيب، وقول[٧]: "زرٌ بأن": الغيب: هو القرآن. وقول عطاء: إنه القدر: تمثيل لبعض ما هو غيب. وليس ذلك بخلاف بينهم، بل كل أشار[٨] إلى الغيب بمثال. وكذا ما روى أبو جمعة "إنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ-، فَقُلْنَا يَارَسُولَ الله: هل قومٌ أعْظَمُ أجْراً مِّنا، آمَنَّا بِكَ واتَّبَعْنَاكَ. قال: **ما يمْنعكُمْ من ذَلِكَ ورسُولُ الله بَيْنَ أظهُرِكُمْ يَأتِيكُمْ بالوحْي مِنَ السَّماءِ، بَلْ قَوْمٌ مِن بَعْدِكُمْ يَأتِيهم كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ،**

---

١ - سورة الزخرف : الآية (٨٦).

٢ - الحديث أخرجه البخاري فى أول الزكاة- ج:٣-ص٢١١، ومسلم فى الإيمان تحت رقم: ٢١، والترمذي فى الإيمان تحت رقم ٢٦١٠، والنسائي فى الزكاة: ج:٥-ص١٤، وأبو داود فى الجهاد تحت رقم : ٢٦٤٠.

٣ - هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم فى المساجد تحت رقم ٥٣٧، وأبو داود في الصلاة تحت رقم: ٩٣ و ٩٣١، والنسائي فى السهو- ج:٣-ص١٤-١٨.

٤ - أخرج الترمذي فى الدعوات برقم/ ٣٥٨٤ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما قال عبدٌ لا إله إلاّ الله مخلصاً من قلبه إلا فُتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر».

٥ - سورة الأنفال : الآية (٢).

٦ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).

٧ - في (أ-ص)، (و-ج)، (ط-س): (شريك) وهو تصحيف لزر بأن وهو زربن حبيش وانظر خبر زرٌ وعطاء فى تفسير الطبري-ج:١-ص٢٣٦، وتفسير ابن كثير: ج:١-ص٦٣.

٨ - في (و - ج) إشارة، وهو تصحيف.

فيؤمنون به ، ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم أجراً منكم.»[١] فتبين منه- عليه السلام- أن من بعده يحتاج إلى نظر أكثر من نظر الذين شاهدوه فقد كُفُوا كثيراً من أخبار الغيب. وقوله: "بالغيب" فى موضع المفعول. كقوله: **﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾**.[٢] وقال بعضهم: معناه: يؤمنون إذا غابوا عنكم، ولم يكونوا كالمنافقين الذين **﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**[٣].

وقوى ما قاله بقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾**[٤] وقوله **﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾**[٥]، **قول الشاعر:**

وَهُمْ بِغَيْبَ وَفِى عَمْيَاءَ [٦]مَا شَعَرُوا[٧]

ويكون "بالغيب" على هذا في موضع الحال، ومفعول :"يؤمنون": محذوف. وقال بعض المتأخرين من المتكلمين: يحمل قوله تَعالى: "بالغيب" على المعنيين. وخفي عليه أن ذلك لا يصح، فإن وبالغيب في القول الأول: مفعول: فى القول الثاني: حال، لا يصح أن يقال ضربت راكباً، و"راكب" يكون مفعولاً :لـ"لضربت" و"حالاً" للفاعل. والوجه: هو القول الأول، لأنه مستوعب لمعنى الثاني وزائدٌ عليه، إذ كل من آمن -على الوجه الأول- فلا شك أنه بخلاف من يقول: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**. وقيل: معنى قوله: ﷻ **﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾** يعنى بالقلب، والنور الذى آتاهم الله وهو العقل، ومعناه: آمنوا بقلوبهم، بخلاف من أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾**[٨]، ومن حكى عنهم: **﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾**[٩]، وهذا أيضاً يرجع إلى الأول عند التحقيق، وقيل: "يؤمنون" من :"آمنَ فلانٌ"- أي: صار ذا أمنٍ نحو أحال[١٠] وأجرب. ومعناه: صاروا ذوي أمنٍ بظهر الغيب بأن ما أخبروا به حق، فتطمئن قلوبهم بذكر الله.

---

١ - ورد لهذا الحديث عدة روايات أوردها ابن كثير فى تفسيره-ج:١-ص٦٤.

٢ - سورة البقرة :الآية (٤).

٣- سورة البقرة : الآية (١٤).

٤ - سورة الأنبياء : الآية (٤٩).

٥ - سورة يس : الآية (١١).

٦ - في (أ - ص) عمي، وهو تصحيف.

٧ - البيت للأخطل فى ديوانه ص ١٠٩ ، وتمام البيت :

مُخلفون ويقضي الله أمر همو ∴ وهم يغيب وفي عمياء ما شعروا.

وهو فى بصائر ذوي التمييز - ج:٣ - ص ٣٥٣ بدون نسبة ، وأورده الراغب فى المفردات - ص:٤٦٧

٨ - سورة البقرة : الآية (٨).

٩ - آل عمران : الآية (١٦٧) ، وهى ساقطة من (ط-س).

١٠- في (و - ج) ، (ط - س) أماه وأجرب وفي (أ-ص) أعاه وأجرب، والتصحيح من كتاب سيبويه حيث جاء فيه: وتقول احرب الرجل، وأنحز، وأحال أي: صار صاحب جرب وحيال ونحاز في ماله، وتقول كما أصابه: هو نحز وجرب وحائل للناقة، الكتاب ج ٤ ص ٥٩- مقدمة جمع التفاسير، ص ١٥٦.

قوله (عز وجل): ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾:

إقامة الصلاة: توفية حدودها وإدامتها، وتخصيص "الإقامة" تنبيه على أنه لم يرد إيقاعها فقط.

ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلاَّ بلفظ الإقامة نحو: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾[١] وقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾[٢]، و﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[٣] ولم يقل المصلي إلاَّ في المنافقين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٤] وذلك تنبيه أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل، كما قال عمر- رضي الله عنه [الحاج قليل والركب كثير]، ولهذا قال عليه السلام:

«مَن صَلَّى رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ عَلَى اللهِ خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٥]، فذكر مع قوله ﷺ الإقبال بقلبه على الله تنبيهاً عَلَى معنى الإقامة، وبذلك عظم ثوابه وكثير من الأفعال التي حث تعالى على توفية حقه ذكره بلفظ الإقامة نحو: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[٦] ونحو: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾[٧] تنبيهاً على المحافظة على تعديله. وقال أبو علي الجبائي: الصلاة لما جاورها القيام صح أن يعبر عن المصلى بالقيام وهذا بعيد، لأن المجاور للصلاة القيام لا الإقامة، ثم مع القول المتقدم لا يعرج على هذا، وقوله -عز وجل- ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الرزق: لفظ مشترك، يقال للعطاء الجاري تارة، وللنصيب تارةً، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة. فقوله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٨] يعني نصيبكم من النعمة.

وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾[٩] تنبيه على أن الحظوظ بالمقادير. وقوله: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾[١٠] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾[١١] محمول على المباح دون المحظور لأمرين: أحدهما: [أنه][١٢] حث

---

١ – سورة الإسراء : الآية (٧٨).

٢ – سورة النساء : الآية (١٦٢).

٣ – سورة المائدة : الآية (٥٥)، سورة الأنفال : الآية :(٣) و سورة النمل: الآية:(٣)، وسورة لقمان: الآية:(٤).

٤ – سورة الماعون : الآيتان (٤) ، (٥).

٥ – الحديث في صحيح مسلم في كتاب الطهارة بلفظ: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلاَّ وجبت له الجنة» صحيح مسلم بشرح النووي-ج:٣-ص١١٨.

٦ – سورة المائدة : الآية (٦٦).

٧ – سورة الرحمن : الآية (٩).

٨ – سورة الواقعة : الآية (٨٢).

٩ – سورة الذاريات : الآية (٢٢).

١٠ – سورة المنافقون : الآية (١٠).

١١ – سورة الأنفال : الآية : (٣) ، (و سورة الحج : الآية (٣٥) و سورة القصص : الآية (٥٤) و سورة السجدة : الآية (١٦) وسورة الشورى . الآية رقم (٣٨).

١٢ – ساقطة من (ط – س).

على الإنفاق، ومدحٌ لفاعل، ولا يحث ولا يمدح بانفاق المحظورات. والثاني: باضافته إليه وتمكينه منه، حيث قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من شرط ما يضاف إليه من الأفعال مفصلاً أن يخص الأفضل، فالأفضل، وإن كان قد يضاف إليه الأفعال كلها على سبيل العموم، بمعنى: انه هو السبب الذي لولاه -تعالى- لم يحصل ولم يكن بوجه. والظاهر -من إنفاق ما رزقه الله -المال، وذلك عام فيما يخرج من الزكاة [1] المفروضة، ومن العطايا النافلة، بدلالة أن ذلك مدحٌ منه. والمدح قد يستحق بالفرض والنفل، وما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما أنه عنى "الصلوات المفروضة" و"الزكوات[2] [المحدودة][3] فإنه، ذكر أَوْكَدَ ما يستحق به المدح، إذ لا يعتد بالنفل مالم يُؤتَ بالفرض، لقوله عليه السلام: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ**» وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه «إن المؤمن ليؤجر في كل شئ حتى اللقمة يضعها في فيّ امرأته» فالإنفاق من الرزق بالنظر العامي من المال كما تقدم. وأما بالنظر الخاصي:

فقد يكون الإنفاق من جميع المعاون التي آتانا الله-عز وجل- من النعم الباطنة والظاهرة، كالعلم والقوة والجاه والمال. ألا ترى إلى قوله -عليه السلام: «**إِنَّ عِلْماً لاَ يُقَالُ بِهِ كَكَنْزٍ لاَ يُنْفَقُ مِنْهُ**»[4]. وبهذا النظر عد الشجاعة وبذل الجاه وبذل العلم من الجود حتى **قال الشاعر:**

والجود بالنفس أقصى غاية الجود[5]. **وقال آخر :**

بَحْرٌ يَجُودُ بِمَالِهِ وَبِجَاهِهِ ... وَالجُودُ كُلُّ الجُودِ بَذْلُ الْجَاهِ [6]

وقال حكيم :"الجود التام: بذل العلم. فمتاع الدنيا عرض زائل ينقِصُهُ الإنفاق. وإذا تزاحم عليه قومٌ ثلم بعضهم حال بعض. والعلم بالضد- فهو باق دائم. ويزكو على النفقة، ولا يثلم تناول البعض حال الباقين، وإلى هذا ذهب بعض المحققين فقال: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) أى: "مما خصصناهم به

---

١ - في (أ - ص) الزكوات.

٢ - في (و - ج) والزكاة.

٣ - ساقطة من (أ - ص) ، (ط - س).

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة بلفظ: قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إن مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق فى سبيل الله -"عز وجل" وورد الحديث أيضاً عند الدارمي فى المقدمة : باب البلاغ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم وتعليم السنن.. انظر: سنن الدارمي-ج:١-ص١١٣.

٥ - البيت لمسلم بن الوليد، وهو فى ديوانه، وشطر البيت الأول:
تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها... مقدمة جامع التفاسير ص ١٥٩.

٦- ثلم الشئ ثلما فيه ثلمة وثلم السيف : صيره غير ماض القطع ، ثلم الشئ ثلماً : صارت فيه ثلمة ، وثلم الرجل الرجل : بلد طبعه فهو ثلم القاموس المحيط مادة : ثلم.

من أنوار المعرفة يفيضون"، فعلى هذا عامٌ فى كل ذلك.

قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

سورة البقرة :الآية (٤)..

الإنزال، والوحي متقاربان، لكن استعمال "الإنزال" على اعتبار حال المنزل والمنزل إليه بالشرف والمنزلة، لا بالمكان، والوحي: هو الإشارة والإبقاء، وذلك على ثلاثة أضرب بيّنها الله تعالى فى قوله **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾**(١)، الأول-من ذلك الوحي: والإنزال الذي بينه تعالى وبيَن أولي العزم من الرسل بسفير يرونه، والثاني: بسماعٍ من غير رؤية، كحال موسى -عليه السلام- فى ابتداء بعثته، والثالث: بالإلهام والإلقاء فى الروع، وذلك ضربان: إما الإلقاء فى الروع فى حال اليقظة، وهو المعبر عنه بالمحدَّثْ و"المروّع"، وعليه نبه عليه السلام بقوله(٢): **(إن فى أمتي لمروعين)**(٣)، وقوله: **(إن يك فى هذه الأمة محدَّثٌ فعمر بن الخطاب)**(٤)، وقوله: **(إن روْح القدس نفث فى روعي)**(٥) وإما إلقاء إليه فى المنام، وذلك ضربان: إما ظاهر من المنام لا يحتاج إلى تعبير... وإما تلويحٌ ورمزٌ يُحتاج إلى تعبيره، ولهذا قال عليه السلام:

«الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ [الصالحة](٦) جزء مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ»(٧)، فالذي يكون فى المنام بالإلقاء فى الروع، قد يكون لغير(٨) الأنبياء -عليهم السلام- والذى يكون بالسماع من غير رؤية قد يكون لغير أولي العزم من الرسل، والذي يكون بالسفير المرئي لا يكون إلاَّ لأولي العزم، وعلى هذا

---

١ - سورة الشورى: الآية (٥١).

٢ - في (و - ج) بقوله عليه السلام.

٣، ٤ - أخرجه البخاري فى فضائل الصحابة-ج:٧-ص:٤٠، ٤١، كما أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة تحت رقم ٢٣٩٨- ونصه: عن أبي هريرة- رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن فى أمتي أحد فإنه عمر"، ومعنى: (محدثون) ملهمون وفى الحديث رواية أخرى عن عائشة أخرجها مسلم تحت رقم: ٢٢٩٨ والترمذي تحت رقم : ٣٦٩٤.

٥- نص الحديث: "إن روح القدس نفث فى روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها"، وقد رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أمامة وابن حبان والحاكم وابن ماجة من حديث جابر والحاكم من حديث ابن مسعود والبزار والطبراني عن أبي الدرداء وأبو يعلي عن أبي هريرة وابن ماجة عن أبي حميد الساعدي مطولاً ومختصراً وهو حديث صحيح.

٦ - ساقطة من (أ - ص) ، (ط - س).

٧ - هذا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه مسلم فى كتاب الرؤيا بلفظ: "... ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة..." وقد ورد الحديث فى أكثر الروايات بلفظ ".. جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"، وفي بعضها .. "جزء من أربعين جزءاً"، وفي بعضها الآخر: "جزء من سبعين جزءاً".

٨ - في (أ - ص) بغير وهو تصحيف.

حال الإنزال، فقد ذكر تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾[١]، وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[٣]، ومعلوم أن ذلك بالتمكين والإلقاء في الروع: بالهداية إليه. واليقين أقوى إدراكات العقل، ولهذا قيل: هو مشاهدة الغيوب بعين القلوب تنبيه أنه أقوى إدراكات العقل، كما أن رؤية البصر أقوى إدراكات الحواس، ولصعوبة إدراكه، قال -عليه السلام- : « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ضَعْفُ الْيَقِينِ »[٤] ولذلك قالوا : اليقين هو اطمئنان القلب اعتباراً بثمرته. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٥]. واستعمل فيه "الرؤية" تنبيهاً على ما تقدم، والكلام في ترتيب الآيتين ونظمها صعبٌ. وذاك أنه إن كانت تفصيلاً للمتقين، فالوجه أن يفصل[٦] ذلك بفصلٍ لا يُدخل أحد القسمين في الآخر، نحو أن يقال: العرب بدويٌّ وحضري[٧]، وشاعرٌ وغير شاعرٍ، أو تميمي وغير تميمي، فأما أن يقال: شاعر وتميمي، فلا يصح، ومعلوم أن بعض ما ينطوي عليه أحد[٨] الآيتين داخلٌ في جملة الأخرى. وإن كان ذلك ليس بتفصيل، وإنما هي صفات للمتقين، ويكون ذكر بعض ذلك مخصصاً عن الجملة كذكر جبرائيل وميكائيل بعد الملائكة على سبيل التخصيص، فالوجه: أن لا يعاد "الذين" ثانياً، [ثم][٩] قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية:(٥)- سورة البقرة .

[يجب أن يُعلم هل هما صفتان لموصوفين أو لموصوف واحد][١٠] فيقال- وبالله التوفيق[١١]: إنه قد قيل: الآيتان- وإن كانتا عامتين فمعناهما خاص، فالأولى أشير بها إلى الذين آمنوا عن الشرك، والثانية إلى الذين آمنوا من أهل الكتاب- وهو قول ابن عباس- واستدل على تقوية ذلك بأنه كما صنف الكفار- بعد

---

١ - سورة الشورى: الآية (١٧).
٢ - سورة الزمر : الآية (٦).
٣ - سورة الحديد : الآية (٢٥).
٤ - الحديث أورده صاحب كنز العمال تحت رقم ٧٢٢٢-ص٤٣٧ بلفظ "ما أخاف على أمتي إلاَّ ضعف اليقين"، وعزاه للطبراني في الأوسط، وللبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة. كما أورده تحت رقم ٧٣٤١-ج:٣-ص٤٣٩ بلفظ "أنما أتخوف على أمتي ضعف اليقين"، وعزاه لابن المبارك عن أبي هريرة.
٥ - سورة الأنعام: الآية (٧٥).
٦ - في (أ - ص) يفضل وهو تصحيف.
٧ - في (ط - س) وحضروي.
٨ - في (ط - س) ، (و - ج) إحدى.
٩ - ساقطة من (و - ج).
١٠- ساقطة من (ط - س).
١١ - زيادة في (ط - س).

ذلك- فجعلهم "مجاهداً" و "منافقاً"، كذلك صنف المؤمنين، فجعلهم مؤمناً عن شرك، ومؤمناً عن غير مخالف فى النبوة. فعلى هذا قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[1] كأنه قيل: هذا الكتاب هدىً للمسلمين الذين هذا وصفهم. ولأهل الكتاب الذين جمعوا بين الإيمان بك وبمن تقدمك. وقد قيل فيه قول ثان: وهو أن الإيمان ضربان: ضرب يمكن أن يدرك جملتها بالعقل، وإن لم يكن إدراك تفاصيله إلا بالشرع. وذلك ثلاثة أشياء. ذكرها فى الآية المتقدمة: وهى أفضل ما يؤدى بالجوارح وهى الصلاة، وأفضل ما يؤدى من الأملاك، وهو الزكاة. وذلك صفات المتقين. ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة أشياء. ذكرها فى الآية المتقدمة: وهى أفضل ما يؤدى بالجوارح وهو الصلاة. وأفضل ما يؤدى من الأملاك، وهو الزكاة. وذلك صفات المتقين. ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة أحوال من أسرار الإيمان مما لا سبيل إلى معرفته إلاَّ بالسمع وهو الإيمان بالقرآن والإيمان بالكتب المنزلة على الرسل المتقدمة الإيقان بيوم القيامة قال: وإنما أعاد "الذين" تنبيهاً أن هذه الثلاثة سبيلها غير سبيل الأول، وقد قيل فيه قول ثالث: وهو أن الإيمان ضربان، ضرب هو معرفة سبيل الحق، وطلب الوسيلة إليه وهو المشار اليه بقوله : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[2]، وبقوله : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[3]، وضرب هو مزاولة السلوك إليه المشار [إليه][4] بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[5]، وبقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[6]، فالمعنيون بالآية الأولى هم الموطئون السبيل **إليه بالإيمان به والعبادات البدنية والمالية، وبالثانية المجتهدون فى التوصل إليه وهم الذين يعرفون حقائق** مراد الله بما أنزله على أنبيائه وعناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[7] وبقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[8]، وبقوله: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[9]، وهم المزيد لهم بقوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[10]، فعلى

---

١ - سورة البقرة : الآية رقم (٤).
٢ - سورة النحل : الآية (١٢٥).
٣ - سورة المائدة : الآية (٣٥).
٤ - ساقطة من (ط - س).
٥ - سورة يوسف : الآية (١٠٨).
٦ - سورة الحج : الآية (٧٨).
٧ - سورة الحج : الآية (٢٤).
٨ - سورة الزمر : الآية (٢٢).
٩- سورة المجادلة : الآية (٢٢).
١٠- سورة الشورى : الآية (٢٣).

هذا يرجع قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ إلى الصنف الأول، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إلى الصنف الثاني، قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:، قد تقدم القول في ذكر الهداية بما أغنى عن الإعادة. فأما "الفَلْحُ" فأصله: الشق. ومنه قيل: "الحديد بالحديد يُفْلَحُ"، وسمي «الأكار»[١] فلاحاً، اعتباراً بمبدأ فعله، وهو شق الأرض، ومن قال: يسمى "الْمُكَارِي"[٢] فلاحاً لقول الشاعر[٣] "وَفَلاَّحٌ يَسُوقُ لَهَا حِمَاراً"[٤]، فهذا سوء نظر منه، فإنه أراد أكاراً يسوق حماراً، فكما أنه لو قال: أكَّاراً يَسُوقُ حِمَاراً، لم يكن يجب أن يقال: الأكار: هو المكاري، كذلك هذا. وسمي "الظَّفَرُ" فلاحاً اعتباراً بكشف الكربة. ثم "الفلاح" تارةً يعتبر بأعراض الدنيا، فيقال: أفلح فلان: إذا ظفر بما يريده. وقول من قال: الفلاح: البقاء، لقول الشاعر: وَتَرْجُو[٥] وَالْفَلاَحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمْيَراً[٦]، فإنما عني الفرج، والبقاء: بعض الفرج. فإذاً ذلك عامٌ موضوعٌ موضع خاص. وقد استعمل "الفلاح" في الآية لما هو في الحقيقة ظفرٌ وفرجٌ، كما قال عليه السلام: «لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ»[٧]. وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[٨].

---

١ - الأكار: والحراث. ٢ - المكاري: مكري الدواب، ويغلب على "الحمار" و"البغال".

٣ - هذا عجز بيت لعمرو بن أحمر الباهلي ، والبيت بتمامه:

لها رطل تكيل الزيت فيه ... وفلاح يسوق لها حماراً

وهو من قصيدة له مطلعها :-

الم تسأل بفاضحة الديارا ... متى حل الجميع بها وسارا

وقالها في بني سهم حيث كانوا قد أوعدوه بالقتل.

انظر شعر عمرو بن أحمر الباهلي - جمع وتحقيق : د/حسن عطوان. ص ٧٥- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٤ - في (و - ج) ، (أ - ص) ، (ط - س) وفلاح يسوق الحمارا.

٥ - في (و - ج) ورجوا، وفي (أ - ص) ويرجوا وهو تصحيف.

٦ - البيت للبيد، وأوله: نحل بلاداً كلها حل قبلنا والبيت بعده :-

وإنا وأخوانا قد تتابعوا ... لكا لمغتدي والرائح المتهجر

وهو من قصيدة قالها لبيد يذكر من فقد من قومه ومن سادات العرب، ويتأمل في سطوة الموت وضعف الإنسان، ومطلعها :-

أعاذل قومي فاعذلي الآن أو ذري ... فلست وإن أقصرت عني بمقصر

ديوان لبيد -ص ٦٨ . ط : دار صادر.

٧ - أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: "خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

وفي رواية :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فأكرم الأنصار والمهاجرة

وفي رواية:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة ... فبارك في الأنصار والمهاجرة

وقال الحافظ في الفتح : قال ابن بطال: قول ابن رواحة يعني تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الحافظ في الفتح قال ابن بطال:

هو قول ابن رواحة يعني تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم.

٨ - سورة العنكبوت : الآية (٦٤).

قوله -عز وجل-﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية: (٦)- سورة البقرة

الكفر فى اللغة الستر، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذر فى الأرض وليس لهما باسم كما ظن بعض أهل اللغة لما سمع قول الشاعر: **أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِى كَافِرٍ**[١] فإن ذلك على إقامة الوصف تمام المصوف، **وقول الشاعر: كَالْكَرْمِ إِذْ نَادَى مِنَ الْكَافُورِ**، أى : الأكمام منه، وسمى القرية كفراً لذلك، وكفر النعمة: سترها، يقال: كَفَرَ كُفراً وكُفُوراً، نحو شَكَرَ شكراً وشُكُوراً، وهو كَافِرٌ وَكَفُورٌ، وشاكرٌ وشَكُورٌ. وحقيقة الكفر ستر نعم الله تعالى، ولما كانت نعمه[٢] تعالى بالقول المجمل ثلاثاً، نعمةٌ خارجة: كالمال والجاه، ونعمةٌ بدنيةٌ: كالصحة والقوة، ونعمةٌ نفسيةٌ: كالعقل والفطنة، صار الشكر والفكر ثلاثة أنواع بحسبها، وأعظم الكفر ما كان مقابلاً للنعمة [النفسية][٣]، فبها يتوصل إلى الإيمان واستحقاق الثواب، ومن قابل تلك النعم بالكفران فهو الكافر المطلق، ولذلك صار الكفر فى الإطلاق جحود الوحدانية والنبوة والشريعة[٤]... **وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾** فى الأصل مصدر كالعلاء والنماء، وفى المتعارف[٥] يستعمل فى وسط الشئ المعتبر استواؤه بطرفيه، ومنه سواء الدار، وأما السيان: ففى الشيئين المعتبر أحدهما بالآخر فى المساواة ، فالشئ هو المساوى كالقتل والمثل فى معنى المقاتل[٦] والمماثل، فإذا قيل: "سيَّان زيدٌ وعمرٌ"، فمعناه: "كلٌّ واحد منهما مساوٍ للآخر"، وإنما جاز قولهم: ([سَوَاءٌ][٧] عَلَيَّ أَقُمتُ أَمْ قَعَدْتُ) منه بإبهام الأمر على استواء الحالين لديه، وإن كان القصد الأول بهذا الكلام إلى الاستفهام دون المساواة، فلما صار فيه معنى الاستواء، جاز أن يقال ذلك بمعنى أن ما اقتضاه هذا السؤال سوى عندي، وأكثر النحويين جعلوا "سواءٌ" مبتدأ وما بعده خبره، وقالوا: "كل جملة حصلت خبراً لمبتدأ فلابد من أن يكون فيها ضمير منطوقٌ به، أو مقدرٌ إلاَّ [٨] هذه الجملة"، فإنه لا ضمير فيها بوجه، وذكر بعضهم أن المبتدأ ههنا مقدر، وقد دل عليه لفظ الاستفهام وسواء: خبره فالجملة قد تدل على المخبر عنه نحو من كذب

---

١ - هذا عجز بيت لثعلبة بن صغير المازني وشطره:

فتذكرت ثقلاً رثيداً بعدما وهو من مفضليته التي مطلعها

هل عند عمرة من ثبات مسافر ذي حاجة متروح أو باكر

والبيت في المفضليات ص ١٣٠ واللسان مادة (كفر) والأفعال ج: ٢ ص ، ١٧٤.

٢ - في (و - ج) نعمته.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - في (و - ج) والشرائع.

٥ - في (أ - ص) وفي التعارف.

٦ - في (أ - ص) المقابل.

٧ - ساقطة من (و - ج).

٨ - في (و - ج) إلى.

كان شراً له أى كان الكذب شراً له، وهذاالتقدير أجود لأمور منها: أنه لا ينكسر[١] الباب على هذا، لأن الباب مقرر فى أن الجملة إذا كانت خبراً فلابد لها من ضمير يرجع إلى المخبر عنه، والثاني : أنا إذا قلنا: "سواءٌ عليهم[٢] القيام والقعود" يخبر عن القيام والقعود بالسواء لا عن السواء بالقيام والقعود والثالث: إن سواءً نكرة غير موصوفة ولا محدودة، فيقبح الابتداء به، وقال أبو علي الغنوي في نصرة المذهب الأول: "إنك إذا قلت سواءٌ هو خبر، بقى الكلام بلا مبتدأ فالجملة بعده خبرٌ ساقطٌ على التقدير المتقدم ويشهد لصحة ما قلنا[٣] قولهم: "**تسمع بالمعيديّ خيرٌ مِنْ أَنْ تَرَاه**[٤]"، فإن قولهم: "تسمع" يدل على مبتدأ، وقولهم: "خير" خبره، كأنه قيل: "تسمع وسماعُك بالمعيدي خيرٌ"، والإنذار إخبارٌ فيه تخويف، كما أن التبشير إخبار فيه سرور، وقولهم: نذرت يقتضي معنى خشيت وخفت، وأما قولهم: "أنذرت"، فذلك تقديم قول يقتضي خوفاً من محذورٍ أو رجاءً لسرور. إن قيل: كيف قال (**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**) الآية، وقد علم أنه قد آمن من الذين كفروا قومٌ قيل: إيمان مَنْ آمن لا ينافي مقتضى الآية، وذلك[٥] أنه تعالى نفى أنهم ينتفعون بالإنذار مع حصول الكفر، فأما إذا زال[٦] الكفر وهو الجحود، فإنه لا يمتنع أن ينتفعوا بالإنذار، كقولك :"المريضُ سواءٌ أطعمته أم لم تطعمه لا ينفعه[٧] الطعام"- تنبيهاً أنه ما دام مرضه حاصلاً لم ينفعه ذلك، ولا تقتضي أنه لا ينتفع بذلك إذا زال مرضه، وقد تقدم أن الطب ضربان: إزالة المرض، وحفظ الصحة، وأن الإنذار يجرى مجرى الغذاء الحافظ للصحة، وأن النظر فى الأدلة المقتضية للتوحيد وإثبات الرسل جارٍ مجرى الدواء المعيد للصحة، والمريض لا ينتفع[٨] بالغذاء مالم يَزُل مرضه، فتبين[٩] أن الذي فى قلبه مرض من الكفر لا ينتفع بما يجري مجرى الغذاء مادام به المرض، وقد روى عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- مادل على هذا، وهو أنه قال:"عنى به الجاحدين لنعمه" وأن الإنذار لا ينفعهم مع كفرهم"، وقيل: إن ذلك حكمٌ على جميعهم، لأن النبى -عليه السلام- كان يحب أن يؤمنوا بأجمعهم، وإيمان بعضهم ليس يقتضي أن الحكم على الكل كاذب، وقيل: الآية نزلت فى اليهود الذين جحدوا نبوة النبى ﷺ مع ظهور المعجزات لهم، ولم يؤمن أحد منهم، وقال الربيع: "نزلت فى قادة الأحزاب الذين نزلت فيهم.

---

١ - في (أ - ص) أنها.

٢ - في (أ - ص) عليها وهو تصحيف.

٣ - في (أ - ص) ما قلناه.

٤- هذا المثل يقال إذا لم يطابق الخبر العيان ،أو لم يؤكد السماع ما رأته العينان ، وروى أن المنذرين ماء السماء كان يسمع عن رجل من معد ، ويعجبه ما يبلغه عنه ، فاستقدمه ليرى ذلك الرجل العظيم الذي ملأت صورته قلبه، فلما جاءه لم يجده كما سمع فقال : "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه " - المنتخب من أمثال العرب ص ٥٥.

٥ - في (أ - ص) وذاك.

٦ - في (أ - ص) أزال.

٧ - في (أ - ص) لا تنفعه وهو تصحيف.

٨ - في (أ - ص) ما لا ينتفع.

٩ - في (أ - ص) فبين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾(١) وقيل : لَمْ يدخل في الإسلام منهم إلا نفرٌ لا يدري هل حصل لهم الإيمان الموصوف في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)(٢)؟، فإن قيل: إذا عُلِمَ أنَّهُ لا ينجع فيهم الإنذار، فما فائدة حث النبي ﷺ على إنذارهم؟.

قيل: قد بين الله تعالى في الآية ما هو تنبيهٌ على الجواب عن ذلك، لأنه قال: "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ"، ولم يقل: عليك، ليبقى للنبي فضلُ الإنذار والسعي، ففي إبلاغه فائدتان: فائدةٌ له في استحقاق الثواب لما تكلفه من المشاق، وفائدةٌ لهم أن قبلوا(٣)، فهم وإن حُرِمُوا فائدة القبول(٤)، فإنه -عليه السلام- لم يحرم فائدة الإبلاغ، وعلى ذلك قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾(٥) تنبيهاً على هذا المعنى، وقال فيما خاطب به الكفار وذمهم لعبادتهم الأصنام ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾(٦)، فقال عليكم لما كان ذلك راجعاً إلى الداعين دون المدعوين وخبر أن يصح أن يكون قوله: (لاَ يُؤْمِنُونَ)، وقوله : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ) مع خبره اعتراضٌ في موضع الحال، ويصح أن يكون الجملة التي هي "سواءٌ عليهم" مع خبره خبر "إن"، وقوله :(لاَ يُؤْمِنُونَ) حالٌ مؤكدة، أو تفسيرٌ لذلك، لأنه إذا قيل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾(٧)، لا يعلم من ظاهره أن هذا الاستواء هل هو في :"أن يؤمنوا"، أو في "أن لا يؤمنوا"، فبين ذلك قوله- عز وجل: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الآية:(٧)- سورة البقرة.

الختم، والطبع الأثر الحاصل على نقش، وتجوز به في أمور، يقال: "ختمت كذا" في الاستيثاق من الشئ والمنع منه- نظراً إلى ما يحصل من المنبع بالختم علي الكتب والأبواب، ويقال ذلك، ونعني به تحصل أثر نظرٍ إلى النقش الحاصل عن الطابع إذا طبع، ويقال ذلك ونعني به بلوغ آخر الشئ- نظراً إلى أنه آخر فعل يُفعل في إحراز الشئ منه، ومنه قيل: "ختمت القرآن"، ويقال ذلك لما يُستدل به الى الشئ- نظراً إلى ختم المناشر المستدل به على منشيها، وأما المراد من الآية، فقد قيل: "للإنسان بالقول المجمل ثلاثة

١- سورة إبراهيم : الآية (٢٨).
٢- سورة الأنفال : الآية (٢) .
٣- في (أ - ص) قبلوه .
٤- في (و - ج) لعيوب وهو تصحيف .
٥- سورة المنافقون : الآية (٦).
٦- سورة الأعراف : الآية (١٩٣)
٧ - سورة البقرة : الآية (٦).

أنواع من الذنوب يقابلها في الدنيا ثلاث عقوبات. الأول: الغفلة عن العبارات، وذلك يُورِثُ صاحبها جسارة" على ارتكاب الذنوب، وهي المشار إليها بقوله عليه السلام: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يُغْلَقَ قَلْبُهُ**»[١] والثاني: الجَسَارَةُ على ارتكاب المحَارِمِ، إما الشهوة تدعوه إليه أو وشرارة تحسنه في عينه، وذلك يورثه وقاحة، وهي المعبَّر عنها بالرَّيْن في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٢]، والثالث: الضلال، وهو أن يسبق إلى اعتقاد مذهب باطل، وأعظمه الكفر، فلا يكون منه تلفتٌ بوجه إلى الحق، وذلك يورثهُ هيئةً تُمرنُه على استحسانه للمعاصي واستقباحه للطاعات، وهو المعبر عنه بالختم والطبع، وكما عبر عنه بذلك في قوله تعالى: ﴿**وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾[٤] فقد عبر عنه بالإقفال في قوله تعالى: ﴿**أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[٥]، وبالإغفال في قوله: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا**﴾[٦]، وبقساوة القلب في قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾[٧]، وبجعل أكنة عليها في قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ**﴾[٨]، وبعدم العقل في آياتٍ كثيرة. ويجب أن يتصور ههنا نكتةٌ تزيل الشبهة فيها وفيما أشبهها من الآيات، وهي أن الهداية من الله تعالى ضربان، أحدهما: بالعقل الذي هو فطرته التي فطر الناس عليها، ومتى توهم نفياً مرتفعاً ارتفع التكليف، والثاني: العلم المحصل للإنسان بالفكر والروية بواسطة ما أُعطى من نور الهداية الأولى، وهو الذي أشار إليه النبي ﷺ فيما قال لعلي -رضي الله تعالى عنه: «**إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى خَالِقِهِمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، فَتَقَرَّبْ أَنْتَ إِلَيْهِ بِالعَقْلِ تَسْبِقْهُمْ بِالدَّرَجَاتِ**»[٩] فإذا كان كذلك، وجب أن يكون متصوراً أن هذه الهداية الثانية مباحةٌ للكافة.

١- قال العراقي: رواه الترمذي وصححه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة وابن حسان والحاكم، ورواه كذلك أحمد حميدو ابن جرير وابن المنذر، وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ: «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء إلخ ... تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي. الجزء الأول ص ٧٧١: ص ٧٧٢ استخراج أبي عبد الله الحداد.

٢- سورة المطففين: الآية (١٤)

٣ - سورة الجاثية: الآية (٢٣).

٤ - سورة النحل: الآية (١٠٨).

٥ - سورة محمد: الآية (٢٤).

٦ - سورة الكهف: الآية (٢٨).

٧ - سورة المائدة: الآية (١٣).

٨ - سورة الإسراء: الآية (٤٦).

٩- هذا الحديث مشهورٌ بألفاظ قريبة من هذا اللفظ، وأورده الراغب في الذريعة إلى مكارم الشريعة، كما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي «إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلي ربنا-عز وجل- فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب». وقال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف.. الذريعة - ص١٦٩.

لكن لا سبيل إلى لقائها وتناولها والانتفاع بها إلاّ لمن جلّى بصيرتَهُ لرؤيتها، وطهر قلبَهُ بقبولها، وقد نبه تعالى على ذلك بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[1]، والكافر من حيث لم يجل البصيرة لم يرها، وإذا لم يرها لم يتناولها ، وإذا لم يتناولها، صحّ أن يقال: "هو ممنوعٌ منها ومصروفٌ عنها"، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[2]، ثم بين سببه فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[3]، وتصور بعض الناس أن ذلك الختم منعٌ من الله تعالى للكافر عن الإيمان، واستدل به على جواز تكليف مالا يستطاع، وهذا تصورٌ فاسدٌ، فالإنسان في هذه الحالة، وإن كان لا سبيل له إلى الإيمان في الحال، فذلك بما كسبت يداه من إهمال نفسه، فما فسد بينهما من يده، فإنه وإن كان لا يقدر على رده، فقد كان من قبل سهلاً عليه أن يضبطه فلا يرمي به، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[4]، فجعل الكفر علةً للطبع على قلوبهم، وقال بعض المتكلمين: إن الختم والكنَّ لو كان مانعاً من الإيمان، لما أنكر الله تعالى على الكفار حيث قالوا ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[5] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[6]، وليس بصحيح استدلاله، وذاك أن هذا المنع حاصل، لكن هو من جهتهم على ما تقدم، والقوم لم يتصوروا ذلك، فلذلك أنكر الله عليهم ما قالوه، وأما ما قاله أبو علي الجبائي في أن "الختم" سمةٌ جعلها الله تعالى في قلوب الكفار دلالةً للملك على كفرهم كالكتابة في قلوب المؤمنين ليعرفوا بها الاعتقادات التي لا تظهر بالجوارح، فإن هذا كما قال الشاعر:

تخرصاً وأحاديثاً ملفقةً ... ليست بنبعٍ إذا عدَّتْ ولا غربِ[7]

وذاك أن هذا الحكم لا سبيل إلى إثباته إلا بسمعٍ غير محتمل، وأيضاً فإن هذه الكتابة إن كانت

---

١ - سورة الشمس - الآية :(٩) .

٢ - سورة الأعراف : الآية (١٤٦).

٣ - سورة الأعراف : الآية (١٤٦).

٤ - سورة المنافقون : الآية (٣).

٥ - سورة البقرة : الآية (٨٨).

٦ - سورة فصلت : الآية (٥).

٧- البيت لأبي تمام في مدحه المعتصم في وقعة فتح عمورية وحريقها ، والتخرص هو الكذب وافتراء القول ، وملفقة :أى ضم بعضها إلى بعض وليست من شكل واحد ، والنبع شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال وتتخذ منه القسي وإذا وصف الرجل بالجلادة شبه بالنبع أى أنه صلب لا يقدر على كسره ، ومن أمثالهم «النبع يقرع بعضه بعضاً» وذلك كما في ديوان أبي تمام - بشرح الخطيب التبريزي - تحقيق محمد عبده عزام - الطبعة الرابعة - دار المعارف.

محسوسة، فمن حقها أن يدركها ذو الحاسة وإن كانت معقولة، والاعتقاد أيضاً معقولٌ، فالملائكة غير مفتقرةٍ في شئ من المعقولات إلى الأدلة والبراهين كما يحتاج إليها البشر، وقال أبو القاسم البلخي: "إنَّ خَتْمَ اللهِ عَلَيْهَا شهادتُهُ عَلى صَاحِبِهَا بأنه [1] لاَ يُؤْمِنُ" قال: "وتخصيص القلب بذلك لاختصاصه بالاعتقادات، كتخصيص الرجْل بالمشي، واليد بالبطش إذا قيل: "مشت رجله"، و"بطشت يده"، وقد جعل الله تعالى في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾[2] ثلاثتها مطبوعاً عليها، وفي هذه الآية، وفي قوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾[3]. البصر مغشيٌّ عليه مفرداً عن القلب، والسمع، فقد قيل: إن ذلك لاختصاص البصر بمعنى، وهو أنه لما كان يحتاج في إدراك مدركاته إلى نور من خارج كما يحتاج إلى نورٍ من داخل، والقلب والسمع يستوى حالهما في إدراكِ مدركاتها [4] في الضوء والظلمة، خص البصر بالغشاوة -تنبيهاً على أن النور ممنوعٌ منه، فلا يحصل به الانتفاع وأيضاً، فإن ما يدركه القلب والسمع لا يختص بجهةٍ دون جهة، وما يدركه البصر يختص بجهة المقابلة، فجعل ما يمنعهما من خاصٍ، فعليهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات، وجعل ما يمنع البصر من خاص الغشاوة المختصة بجهةٍ دون جهةٍ، وأكثر ما ذكر الله القلب، فالمقصود به "العقل والمعرفة"، وكان ذلك عبارةً عن الموعى بالوعاء، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[6]، وقوله عليه السلام: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ»[7]، وأما إفراد السمع مع جمع القلب والبصر، فقد قيل: إن السمع في الأصل مصدرٌ، فأجري مجرى أصله، وقيل: أراد موضع سمعهم، وقيل: المضاف إلى الجمع يصح جمعه على الأصل، وإفراده على الإيجاز- اعتماداً على المضاف إليه، كقول الشاعر:

أمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ   وَأمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[1]

١- ساقطة من (أ - ص).

٢ - سورة النحل : الآية (١٠٨).

٣ - سورة الجاثيه : الآية (٢٣).

٤ - في (أ - ص) مدركاتهما وهو الأصح .

٥ - سورة ق : الآية (٣٧).

٦ - سورة الحج : الآية (٤٦).

٧ - الحديث من قوله - ﷺ لوابصة بن معبد الأسدي ويكنى بأبي سالم وأبي الشعاء وأبي سعيد من خيار الصحابة ، ونصه : «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك» هكذا بالتكرار ثلاثاً ، وقال العراقي : رواه أحمد فى مسنده عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن الزبيري عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز عن وابصة وأخرجه الدارمي وأبو نعيم فى مسنديهما والطبراني فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية ، وأخرجه البخاري فى التاريخ .

٨ - شطر البيت لعلقمة وتكملته ،   بها جيف الحسرى فأما عظامها   فبيض وأما جلدها فصليب
والبيت في ديوان علقمة ص ٤٠ ، وفى المفضليات ص ٣٩٤ ، وفى خزانة الأدب ج ٣ : - ص ٣٩٧ والمقتضب ج ٢ - ص ١٧٠ وكتاب سيبويه ج ١ - ص ١٠٧وفى إملاء العكبري ج ١ - ص ١٥ وفى معاني القرآن للأخفش ج ١ - ص ٢٢٦ وهو يصف طريقاً شاقة وجيف الحسرى : المعيبة من الإبل يتركها أصحابها فتموت وعظامها بيض أى أكلت السباع والطير ما عليها من اللحم فتعرت وجلدها صليب : أى يابس ، لأنه ملقى بالفلاة لم يدبغ

والغشاوة: ما يُغشى به كالعلاقة، والعلاقة، وغشى منه، لكن قلب واوه ياءً لانكسار ما قبله، وكذلك: غشيانٌ، كغليان. ومن نصب غشاوةً فعلى تقديره جَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً، وَمَن رَفَع فعلى القطع والاستئناف، والعذاب: اسم من التعذيب، وكان الأصل من قولهم ما عذب والتعذيب إزالة ذلك العذاب كقولهم مرضته وفديته في إزالة المرض والقذى والفرق بين العذاب والعقاب أن العقابَ لا يقال إلاّ فيما كان مجازة، وكأنه هو المتعقب للجرم المتقدم، والعذاب يُقال فيه وفي غيره. ووصفه[1] بالعظيم: تنبيهٌ أنه إذا قويس بسائر ما يجانسه قُصرَ جميعه عنه.

قوله -عز وجل- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ الآية:(٨) - سورة البقرة.

الناس: جماعةُ حَيَوَانٍ ذي فِكْرٍ وروية، واختلف في لفظه، فقيل: هو من قولهم : أُنَاسٌ، وحذف همزته وتقديره بعد الحذف عال، وقيل: بل هو من :"ناس" -ينوس- أي اضطرب، وتسميته بذلك لكونه ذا اضطرابٍ زائدٍ على غيره، إما ببدنه أو ببدنه وفكره معاً، فللإنسان بالفكر حركةٌ زائدةٌ على سائر الحيوان، وقيل: هو ومقلوبٌ من: نسي، نحو: "جَذَبَ"، و"جَبَذَ"، ولاهِ أبوك، ولَهِي أبُوكَ، وكذا قال ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- في الإنسان: إنه سُمِّي بذلك لأنه عُهِدَ إليه فَنَسِي، فإنسانٌ: على ذلك: "أفعلان" أصله "إنسيان"، بدلالة تصغيرهم على أُنَيْسَان، وقيل: سُمِّيَ إنساً، وإنساناً، لأنه خُلِقَ خَلْقُهُ لا قوَامَ له في حياته بجميع أسبابه، فيحتاج البعض إلى بعض، ليتسبب لهم أمورهم، ولأنه إذا لم يكن له مَسْكُونٌ إليه من جنسه، لم تطب حياته، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[2]، وهذا المعنى رمقه الشاعر حيث قال :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَبِيبٍ ... فَحَيَاتُهُ فِيهَا حَيَاةُ غَرِيبِ
مَا كَانَ [3] فِي حُورِ الجِنَانِ لآدَمٍ ... لَوْ لَمْ يَكُنْ حَوَّاءُ مِنْ مَرْغُوبِ
قَدْ كَانَ فِي الفِرْدَوْسِ يشكُو وَحْشَةً ... فِيهَا فلمْ [4] يَأْنَسْ بِغَيْرِ حَبِيبِ[5]

١- في (أ-ص) وفي وصفه بالعظيم .
٢- سورة الأعراف : الآية (١٨٩).
٣- في (و-ج) من كان وهو تصحيف .
٤- في (أ-ص) ولم .
٥- الأبيات للشاعر : ديك الجن، وذلك كما نسبها الراغب في كتابه المخطوط وعنوانه «رسالة في آداب مخالطة الناس» - ص ٣ ، وعدد ورقات هذه الرسالة سبع وعشرون ورقة وهي مخطوطة منها مصورة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على الفيلم رقم : (٥٢٥٣) ولدي مصورة منها. وقد بحثت عن هذه الأبيات في ديوان ديك الجن الذي حققه كل من د. أحمد مطلوب، وعبدالله الجبوري فلم أجدها، ولكنني وجدتها في ديوانه الذي حققه مظهر الحجي ص ٦٧. والبيت قبل هذه الأبيات :-

عين الرقيب غرقت في بحر العمى ... لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقد قالها في ذكر الرقيب.

وقد روى أنه سُمي إنساناً لأنه نسى العهد، وهذا من حيث اللفظ لا يصح، لكن من حيث المعنى يصح أن يقال: عنى أنه[١] أنسَ بالشجرة، فنسى العهد والله أعلم، وأما القول: فيقال على أوجه: الأول: اللفظ المبرز بالعبادة، والثاني: للمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ، والثالث: للمذهب، نحو: "فلان يذهب إلى قول أبي حنيفة"- رحمه الله تعالى-.

والرابع: للعناية الصادقة بالشئ، نحو: فلانٌ يقول بكذا، والخامس، للدلالة المنبئة[٢] عن الشئ، نحو: **امتــلا الحــوض، وقــال قطنــي**

والسادس: في استعمال المنطقيين عبارةً عن الحد، يقولون قول الجوهر كذا، وقول العرض كذا، أي حدهما، ولاستعمال القول على أوجهٍ مختلفةٍ، قال تعالى: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم**﴾[٣]، وقال: ﴿**وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ**﴾[٤]، والأصل في ذلك العبارة، لكن عبر عن نسبة تارةً به كتسمية العنب خمراً في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾[٥] والفرق بين القول والكلام أن الكلام لا يطلق[٦] إلا لجملة مفيدة لفظاً أو تقديراً، والقول قد يقال لبعض الجملة، فإذا كل كلام قول، وليس كل قول كلاماً، ولذلك قال سيبويه:

«قلت : في كلامهم: يحكى به ما كان كلاماً لا قول»، فأورد ذلك مورد المقرر فى النفس أن الكلام موضوع لجملةٍ مفيدة، وقد بين الله تعالى في هذه الآية أن في الناس من يدَّعي الإيمان بالله والمعاد، وهو كاذبٌ [٧] في قوله ودعاه، وذلك كقوله: (﴿**وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا**﴾[٨]، وقوله: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾[٩] كل ذلك تنبيهٌ على أن الإيمان غير نافعٍ ولا مقبولٍ إلا بتقديم النية والإخلاص ومطابقة المقال والفعال، وقال أبو علي الجبائي: هذه الآية تدل على أن إقرار مَنْ أقرَّ بالله إذا لم يَكُنْ عارفاً بالله لا يكون بهذا القول مؤمناً بل مُدَّعياً له. والمخالف لا يخالف في ذلك، وإنما يقول: إنه يصيرُ مؤمناً إذا تَفَوَّه بالشَّهادَتَيْنِ، وقال أبو علي أيضاً: "إن الآية

---

١ - فى (و-ج) به وهو تصحيف .
٢ - فى (و-ج) المبينة، وهو تصحيف.
٣ - سورة آل عمران : الآية (١٦٧).
٤ - سورة المجادلة : الآية (٨).
٥ - سورة يوسف : الآية (٣٦).
٦ - في (أ - ص) لايقال.
٧ - في (و-ج) وهو كان هو تصحيف .
٨ - سورة المائدة : الآية (٦١).
٩ - سورة آل عمران الآية (١٦٧).

تدل على بُطْلَانِ قول مَنْ زعم أن جميع المكلفين عارفون بالله"، قال: لأن هؤلاء المنافقين لو كانوا بالله عارفين، وكانوا بحضرة النبي- عليه السلام- مُقرِّين، لكان يجب أن يكون إقرارهم بذلك إيماناً منهم، لأن من عرف الله وأقرَّ به لم يكن إقراره غيْرَ إيمان، فلما بين تعالى أنهم غير مؤمنين بما أُخبروا به، علمنا أنهم لم يكونوا يعرفونه، وليس في الآية دلالةٌ على ما قال، أو لأن الله تعالى قال: يَقُولُونَ آمَنَّا بالله وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، ثم نفى عنهم الإيمان بهما، واحدٌ لا يقول: إن معرفة الإنسان بالله وباليوم الآخر ضرورة وإن ادعوا معرفة الله وحدها، وثانياً: أن أحداً لا يقول: "الإقرارُ بالله عَلَى وَجْهِ الْخَداعِ إيمَانٌ"، والله تعالى قد أخبر أنهم يُخَادِعُونَ الله بهذا القول، وثالثاً: أن الإيمان المنفي عنهم ليس هو الإقرار، بل هو سكون النفس المذكور في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[1].

ورابعاً: أن من يقول: معرفة الله ضرورةٌ، يذكر أن ذلك لايحصل إلا عن سبب يتقدمه كالعلم بمخبر الأخبار المتواترة لايحصل إلا بتقديم سماع المخصوص فكذلك معرفة الله ضرورة [لكن لابد فيها من سببٍ يتقدمها، وخامسها: أن عند كثير ممن يدعي][2] أن معرفة الله ضرورة، أن ذلك موجودٌ في الإنسان بالقوة، كوجود النار في الحجر، فلابد لها من انقداحٍ به يخرج، ومتى لم يحصل السبب لم تكن النار، كذلك المعرفة بالله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

الآية:(٩) - سورة البقرة.

الخداع: إنزال الغير عما هو بصدده بأمرٍ تبديه على خلاف ما تخفيه، ومنه: قيل: خدع الضب. إذا استتر في جحره، واستعمال ذلك فيه لما اعتقدوا في الضب، أنه يعد عقرباً يلدغ من يدخل يده في جحره حتى قالوا العقرب بواب الضب ، ولاعتقاد الخديعة فيه قالوا :"أَخْدَعُ من ضَبٍّ"[3]، و"طريقٌ خادعٌ" مخالف لما يقتضيه ظاهره، والمخدع كأنك جعلته خادعاً لمن رام تناول مافيه لأنه بيتٌ في بيتٍ، وقولهم:"خدع الطريق" إذا قل، فتغيرٌ متصورٌ منه هذا المعنى. والأخدعان[4]: تُصُوِّرَ منهما الخداع، لاستنادهما تارةً، وظهورهما أخرى، وفي الحديث:

«بَيْنَ يَدَى السَّاعَةِ سِنونَ خَدَّاعَةٌ»[5] أي مُغْتَالَة، لتلونها بالجدب تارةً، والخصب أخرى. إن قيل:

١ - سورة الرعد : الآية (٢٨).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - المثل أورده أبو عبيد فى كتابه الأمثال ص ٣٦٤ وأورده الراغب فى كتابه «مفردات ألفاظ القرآن» - مادة (خدع) ص ٢٧٦.

٤ - هما عرقان خفيفان فى موضع الحجامة من العنق.

٥ - الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قبل الساعة سنون خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين ، ويؤمن الخائن ، وينطق بها الرويبضة ويروى عن أنس عن النبى ﷺ إن أمام الدجال سنين خداعة» ، إلخ وقال إبن كثير هذا إسناد قوي جيد . الفتن والملاحم لابن كثير ج ١ - ص ٥٧ مسند الإمام أحمد ج ٢ - ص ٣٣٨ الدر المنثور ج ٧ - ص ٤٧٥.

لم قال (يُخَادِعُونَ اللّٰه) وهم لم يَقْصِدُوا بِفِعْلِهِمْ خديعته؟ قيل: ذكر بعض النحويين [١] أنه أراد تعالى "يخادعون رسول الله"، فحذف المضاف، وهذا باعتبار حكم اللفظ دون المعنى، فأما باعتبار المعنى، فإنهم لما قصدوا خديعة النبي -عليه السلام- وقد أنبأ تعالى أن معاملة الرسول معاملة الله تعالى، حتى قال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٢]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[٣] جعلهم مخادعين له بخديعتهم النبي ﷺ، فإن قيل: المخادعة من بين [٤] اثنين، وقد عُلم أن ذلك لم يكن من الله تعالى ولا من الرسول ﷺ، فكيف قال [٥] يخادعون؟ قيل: قد قال أهل اللغة وكثير من المفسرين: أن الخديعة من الله هي مجازاته إياهم بمثل فعلهم، فسمى مجازاة الشئ باسمه، وكذلك قالوا في المكر والهزؤ ونحوهما مما وصف به نفسه، ولا يليق به، وعلى ذلك قول الشاعر:

فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا[٦]

ووجهٌ آخر وهو أنه قد تقدم أن مخادعتهم لله -عز وجل- في الحقيقة مخادعة الرسول، ولما كانوا يُراؤون بالإيمان ليزيل عنهم حكم المشركين ويجريهم في الأحكام مجرى المؤمنين، ويطلعهم على الأسرار، وهو لا يجريهم في كثير من الأمور مجراهم تصوروا أن ذلك لهم خداعٌ، كما أن الأول منهم له خداع، فأخرج اللفظ على حسب وهمهم وحسبانهم فهمهم، لا على ما عليه حقيقة الأمر. وقد يطلق الحكم على المعنى عبارةً على حسب اعتقاد المخاطب [٧] والمخبر[٨] عنه لاعلى ما عليه حقيقة الأمر كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٩] أي على زعمك، وقول الشاعر:

.. خُذْهَا خُذَيفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ[١٠] الصَّمَدُ..[١١]

١- ساقطة من (و – ج).

٢ – سورة النساء : الآية (٨٠).

٣ – سورة الفتح : الآية (١٠).

٤- ساقطة من (أ – ص).

٥- ساقطة من (أ–ص).

٦- شطر البيت لعمرو بن كلثوم وتمامه

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

– وقال بعده :

بغاة ظالمين وما ظُلمنا ... ولكنا سنبقى ظالمينـــا

جمهرة أشعارالعرب ص ٤١٤ لأبى زيد القرشي تحقيق الدكتور – محمد علي الهاشمي.

٧- في (و–ج) المخلصين وهو تصحيف.

٨- في (و – ج) في المخبر .

٩- سورة الدخان : الآية (٤٩).

١٠- في (و – ج) الصيد وهو تصحيف .

١١- هذا عجز بيت وصدره :–

علوته بحسام ثم قلت له

ولم أتوصل إلى قائله.

وما حكى الله تعالى عن موسى -عليه السلام- في قوله: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾،[١] فإن قيل: كيف وصف تعالى نفسه بأنه خادعهم في قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؟[٢] قيل هو على ما تقدم، ووجهٌ آخر في هذااللفظ، وإخوانه مما وصف الله تعالى نفسه به من الصفات التي تنزه تعالى عما يتصور من ظواهر معانيها نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾[٤] وقوله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٥]، وقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٦] كل ذلك قد قيل فيه قول، من تصوره متحرياً به الحق ثلج قلبه، واستقرب ما كان من قبل يستبعده، وهو أن المكر والخديعة، وإنما هو استنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبدي منه خلاف ما تخفيه ويتحراه مستعمله على وجهين:

أحدهما: قاصداً به استنزال الغير عن ضلال إلى الرشد وذلك جميلٌ، وهو كما يفعله الأب البار بابنه من تحذير يستجره به إلى ترك شرٍّ أو تعاطي خيرٍ[٧]، فيقول: "خَدَعْتُ ابْنِي عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ من القبيح"، و"مكرت به حتى قبحته في عينه"، وقد عُلم أن هذا الفعل وإن أطلق عليه لفظ الخديعة والمكر فهو فعلٌ حسنٌ، فإذا المكر والخديعة وإن كان لفظهما مستبشعاً فقد يقصد به وجهٌ محمودٌ، وبالعكس من ذلك فعل العدالة، فقد يتحراه الإنسان لاستغواء غيره وإضلاله مما يعد فساداً وجوراً وخديعةً ومكراً، قد يكون صلاحاً ورشداً وعدلاً، وما يُعد صلاحاً وعدلاً ورشداً قد يكون فساداً وجوراً ومكراً، وبهذا النظر قال بعض التابعين: "كل قبيح من العبد فهو حسن من الله تعالى"، ويعني بذلك أن الفعل يقبح[٨] ويحسن بحسب المقاصد، ولهذا قال عليه السلام: **"الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى"**[٩]، وقال: **"نيةُ المؤمنِ خيرٌ من عملِه"**[١٠]، وبهذا النظر قال بعض المحققين وقد سُئل عن شئ يقبح إطلاقه

١- سورة طه - الآية: (٩٧).
٢ - سورة النساء: الآية (١٤٢).
٣- سورة الرعد: الآية (١٣).
٤- سورة النمل: الآية (٥٠).
٥- سورة الأعراف: الآية (٩٩).
٦ - سورة القلم: الآيتان (٤٤، ٤٥).
٧- في (و-ج) إلى ترك شر وتعاطي خير.
٨- في (و-ج) القبيح، وهو تصحيف.
٩- الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في بدء الوحي ج:١ ص ٧، وأخرجه مسلم في الإمارة برقم (١٩٠٧) وغيرهما، وأورده الراغب في المفردات ص ٧٠٨.
١٠- لم أجده في الأحاديث، ولعل الراغب عني قول يحيى ابن أبي كثير: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية، ونقله عنه ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) - ج-١-ص٩٨ - تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور - ط: وزارة الأوقاف.

في اللّٰه تعالى مع ورود الشرع به، فأنشد:

وَيَقْبُحُ مِنْ سُؤَالِ الشَّيْءِ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ[١] فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَا[٢]

فهذا ظاهرٌ لمن جلى بصيرته وتأمل حقيقته، ونبه بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ [٣] أنَّ وبَالَ خديعتهم راجعٌ على أنفسهم لا على اللّٰه تعالى وعلى المؤمنين، كقولك: "ظلمتَ فلاناً ومَا ظَلَمْتَ إِلاَّ نَفْسَكَ"، وذلك في الحقيقة أعظم خديعةٍ وظلمٍ وجور، فإن اللّٰه تعالى لما قيض لهم النعيم الأبدي والخيْرَ السرمديَّ، وسَهَّلَ لهم السبيلَ إليه، ثم غفلوا عنه، ومالوا إلى زهراتِ الدنيا، صاروا في الحقيقة خادعين لأنفسهم ظالمين لها، ولذلك وصفهم في القرآن بظلم أنفسهم في غير موضع وبأنهم خسروا أنفسهم [٤] وما يمكرون إلا بأنفسهم، ولأنه قيل: "من خدعك وقد عرفت خديعته فقد خدع نفسه"، ومعلومٌ أن اللّٰه تعالى لا يخفى عليه شيء، فمن خادعه فقد خدع نفسه، وقوله: (وَمَا يَشْعُرُونَ) أصل هذا اللفظ الشعر ومنه الشعار للثوب الذي يلي الجسد، فيقال: أشعرته ثوباً، ثم يقال على التشبيه بذلك أشعرهما، واستشعر سروراً، و"شعرت كذا": يستعمل على وجهين، تارةً يُؤخَذُ من مس الشعر، ويعبر به عن اللمس، وعنه استعمل المشاعر للحواس، فإذا قيل: "فلانٌ لا يشعر" فذلك أبلغ في الذم من أنه لا يسمع ولا يبصر، لأن حس اللمس أعم من حس السمع والبصر، وتارةً يقال: "شعرت كذا": أي أدركتُ شيْئاً دقيقاً من قولهم: شعرته أي أصبت شعره نحو: قادته وراسته، وكأن ذلك إشارة إلى نحو قولهم: "فلان يشق الشعر في كذا" إذا دقق النظر فيه ومنه أخذ الشاعر لإدراكه دقائق المعاني..

قوله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ الآية:(١٠)- سورة البقرة.

المرض ضربانِ: جسميٌّ ونفسيٌّ، وكلاهما خروج عن الاعتدال الخاص بهما، فالجسمي: معروفٌ، والنفسيُّ: كالجهل والجبن والبخل والحسد والحرص وسائر الرذايل الخلقية وتسميتها بالمرض إما لكونها مانعةً عن إدراك الفضائل، كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل، وإما لكونها ذريعةً إلى سلب الحياةالحقيقية التي هي في الدنيا لسان صدق، وفي الآخرة بقاء الأبد، كما وصفه تعالى في قوله:

١- في (أ-ص) فتفعله.

٢- هذا بيت لقصيدة لأبى نواس مطلعها :-

فديتك قد جبلت على هواكا فنفسى لاتنازعني سواكا

إلى أن يقول :

ويسمج من سواك الشئ عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

ديوان أبو نواس ص ٣٨٣ - تحقيق أحمد الغزالي - نشر دار الكتاب العربي - بيروت.

٣- سورة البقرة - الآية :(٩).

٤- ساقطة من (و-ج).

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[١]، وأما الميل النفس به إلى الاعتقادات الرديئة ميل[٢] البدن المريض إلى الأشياء المضرة، ويكون هذه الأشياء متصورةً بصورة المرض قيل: نوي صدر فلان، ونُقِلَ قَلْبُهُ، وقال عليه السلام: «وأيُّ داءٍ أدْوَأُ مِنَ البُخْلِ»[٣]، وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ عبارةٌ عن نفاقهِمْ وشكهمْ وعداوتهم وقولَ ابن مسعود -رضي الله عنه والحَسن وقتادة رحمهما الله تعالى: "إنَّهُ شكٌّ، وقول غيرهم: إنَّهُ حُبُّ الدُّنْيَا واتِّبَاعُ الهوى، وقول آخر: إنه غمٌّ، وآخر: إنه حسَد، وآخر: إنه السُّكُونُ إلى الدنيا، وكلها إشاراتٌ على سبيلِ المثال إلى أبعاض ما ينطوي عليه معنى المرض ولاخلاف بينهم فيه، فمعنى قوله: (فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرضاً) على أوجه، الأول كما تقدم: أن ما أنزله الله يجري من النفس مَجْرَى الغذاء الحافظ للصِّحَّةِ، ومتى تناوله المريض الذي لم يزل مرضه لم ينفعه بل يضره، والثاني: أن هذه الزيادة في المرض هي ما كان الله تعالى يؤتيه نبيه والمؤمنين من إنعامه ويصير زيادة في مرض المنافقين وذلك كقولك لمن أعطاك شيئاً: "قد أكمدتُ عَدُوِّي" وهو لم يقصد إكماده، ولكن لما تولد من فعله بك ذلك صح نسبته إليه، وعلى ذلك قول الشاعر :

يَامُرْسِلَ الرِّيحِ جَنُوباً وصباً ... إنْ غَضِبَتْ قَيْسُ فَزِدْهَا غَضَباً[٤]

أي زدنا إيلا ليزدادوا غضباً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾[٥]، وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾[٦]، ولا يختلف المعنى في قوله تعالى: (فزادهم الله مرضاً) أي جعل مورده مورد خير أو مورد دُعاء، فإن الدُّعاءَ من الله واجبٌ، وإن كان منَّا رغبةً وطلباً، ويجوز أن يكون ذلك راجعاً إلى حال الآخرة، ومعناه من في قلبه مرض، فإن الله يزيده في الآخرة مرضاً نحو قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٧] وهذا والأول يرجعان إلى معنى، لأنهم إذا زيدوا[٨] في الدنيا عداوة للنبي ﷺ ما ازدادوا إلا شكّاً في الآخرة استحقاق عذاب. قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٩]

---

١ - سورة العنكبوت - الآية : (٦٤).

٢- في (و - ح) مثل وهو تصحيف .

٣- قال أبو هريرة: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من سيدكم يابني سلمة؟» قالوا: سيدنا جدُّ بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل، فقال صلى اله عليه وسلم: «وأي داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم بشر بن البراء». أخرجه الحاكم في المستدرك -ج:٣-ص٢١٩، وقال : صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وأورده الراغب في المفردات - ص٧٦٥.

٤- لم أعثر على نسبته.

٥ - سورة التوبة : الآية (١٢٥).

٦- سورة المائدة : الآيتان (٦٤، ٦٨).

٧- سورة الإسراء : الآية (٧٢) وهي في (و - ج) [ومن كان في هذه أعمي وأضل سبيلا] وهو تحريف .

٨- في (أ - ص) زيدا وهو تصحيف .

٩- سورة البقرة : الآية :(١٠).

-أليمٌ: بمعنى مؤلم نحو سميعٌ وخصيبٌ بمعنى مسمع ومخصب، وقوله: (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)، أي بسبب كذبهم أو بدل كذبهم، كقولهم: هذا بذاك، وحجة من قرأ بالتخفيف أن ما قبله كذب، وهو قوله: (وَمَاهُمْ بِمُؤمِنِينَ) وهو به أشبه، ولأنه [1] في صفة المنافقين، وقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[2]، ومن قرأ "يُكَذِّبُونَ"، فلقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[3]، ولأن التكذيب أبلغ، إذ كُل مُكَذِّب بشئ كاذب وليس كل كَاذب مكذباً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

الآية (١١) - سورة البقرة.

الفساد: خُرُوجُ الشئ عن الاعتدال، والصلاح على الضد منه، والإفسادُ: إخراجه عن الاعتدال، والفساد عامٌ في الكفر والضلال وكل ما هو ضار. والصلاح عام في الإيمان والرشد وكل نافع، فقوله: ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ عام في كل ذلك، وقول ربيعة وقتادة أن معناه "لا تسالموا الكفار"، ومثله: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾[4]، ومن قال: عنى بذلك كنز الدراهم، فإنه تمثيلٌ بأدنى ما يكون فساداً - تنبيهاً أن ذلك عامٌ، فإنه إذا كان ذلك فساداً، فما فوقه من قتل النفس الزكية بغير حق ونحوه أولى بذلك، والخطابُ في الآية للمنافقين، وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد، فيجوز أن يكون معنى قوله: "أنه سيكون من بعد حاله من له في ذلك شبيهه بحال المنافقين، فإن الآية متصلةٌ بما قبلها، والضمير فيها ليس إلا لمن تقدم ذكره، وقولهم (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) فيه تنبيهٌ أنهم يتصورون إفسادهم بصورة الإصلاح لما في قلوبهم من المرض، كما قال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[5]، وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَا﴾[6]، وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[7] قال الحسن: من ذلك الإفساد: بناؤهم مسجد قباء ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وقوله -عز وجل- ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [8] "ألا": تقرير للإثبات لأن "لا" للنفي، والألف

١- في (أ - ص) ولأنه .
٢ - سورة المنافقون : الآية (١).
٣- سورة يونس : الآية (٣٩).
٤ - سورة الأعراف : الآيتان (٥٦ ، ٨٥).
٥ - سورة فاطر : الآية (٨).
٦ - سورة الأنعام : الآية (٤٣).
٧- سورة الكهف - الآية : (١٠٤).
٨- سورة البقرة - الآية (١٢).

للاستفهام، واجتماعهما يقتضي إثباتاً نحو: "أليس" و"الم"، إن قيل: ما الذي يفيد تعريف قوله المفسدون وإدخال لفظة هم عليه؟، قيل: أما التعريف: فيقتضي كون الكلام جواباً أو كالجواب، وأما إدخال لفظ هم، فيقتضي إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمن عداه نحو أن يقال: "زيدٌ منطلقٌ"، فتقول: أنت بل عمرو هو المنطلق، ولما كان في قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ تعريض إنكم المفسدون رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وقد تقدم أن "شعرت" يستعمل على وجهين أحدهما بمعنى: أحسست والثاني: بمعنى فطنت، فقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في الآية الأولى نفي الإحساس عنهم، وفي هذه الآية نفي الفطنة عنهم، لأن معرفة الصلاح والفساد تُدْرَكُ بالفطنة، وفي الآية التي بعدهما نفي العلم عنهم،(١) فإن قيل: كيف نفى أولاً الحس ثم الفطنة ثم العلم ومعلوم أن مالاحس له فلا فطنة له ولا علم؟، قيل: إن في نفي هذه الثلاثة على هذا الوجه تنبيهاً لطيفاً ومعنى دقيقاً وذلك أنه يبين في الأول أن في استعمالهم الخديعة نهايةٌ للجمل (٢) الدالة على عدم الحس، ثم بين في الثاني أنهم لا يفطنون-تنبيهاً على أن ذلك لازمٌ لهم، لأن مَن لا حسَّ له لا فطنةَ له، ومن لا فطنةَ له لا علمَ له،ثم بين في الثالث أنهم "لا يعلمون" -تنبيهاً أن ذلك أيضاً لازم لهم، لأن من لا فطنة له فلا علم له فإذا: من الألفاظ الثلاثة إشارةٌ إلى قياسٍ ظاهرٍ وإلزامٍ واجبٍ لمن تأملها وتدبرها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ الآية: (١٣) - سورة البقرة.

قولهم: الناس، بل كل اسم نوع، فإنه يستعمل على وجهين، أحدهما: دلالةٌ على المسمَّى وفصلاً بينه وبين غيره، والثاني: وجود المعنى المختص به وذلك هو الذي يمدح به في نحو:

"إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ (٣)

ونحو ذلك: "زيدٌ رجلٌ"، و"هَذَا الْفَرَسُ فرسٌ"، ومثال ذلك أن كل ما أوجده الله في هذا العالم يصلح لفعلٍ خاصٍ به لا يصلح لذلك العمل سواه، فإن الفرس للعدو الشديد، والبعير لقطع الفلاة البعيدة، والمنجر لنجر الخشب والمنحت لنحته، وعلى ذلك الجوارح كاليد والرجل والعين، والإنسان أوجد لأن يعلم ويعمل بحسبه، وكل شئ لم يوجد كاملاً لما قد خلق له لا يستحق اسمه مطلقاً، بل قد ينفى عنه نحو قولهم: "فلانٌ ليس بإنسان"، أي لا يوجد فيه المعنى الذي خُلِقَ من أجله، فإذا ثبت ذلك، فقوله

١- ساقطة من (و - ج). ٢- في (أ - ص) للجهل وهو تحريف .

٣- فى (أ - ص) غلام، والبيت يروى كما يلى :-

ياليت شعري أين كنت من الدنى والناس ناس والزمان زمان

وهو لشاعر يدعى عرقلة الكلبي، واسمه حسان بن نمير بن عجل الكلبي أبو الندى من سكان دمشق.

تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله) هو اسم جنس لا غير، وقوله: (كما آمن الناس) معناه كما يفعل من وجد فيه تمامَ فعل الإنسانية الذي يقتضيه العقل والتمييز فإذا قول ابن عباس -[رضي الله عنهما-](١) : إنه عنى كما آمن أصحاب النبي عليه السلام وقول غيره أنه عنى كما آمن الذين أسْلَمُوا مِنَ اليَـهُودِ مثل "عبد الله بن سلام". وأصحابه كلاهما صحيحٌ، لأن الفريقين يجري على ما اقتضاه فعل الإنسانية، وقوله تعالى: (قالوا أنؤمن) استعلامٌ على جهة النفي نحو ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَوْ يَشَـاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾(٢) ومعناه: لا نؤمن إيمان السفهاء تعريضاً بأصحاب النبي -عليه السلام-، والسفه: خفة في البدن وفي المقال يقتضيها نقصان العقل. والحلم رزانة في البدن يقتضيها زيادة (٣) العـقل، وعنه استعير "زمام سفيه"، و"رمح سفيه". إن قيل: كيف عذرهم بأنهم لا يعلمون؟ قيل لهم: ليس ذلك عذراً لهم، بل تعظيمُ أمرٍ عليهم وأنهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما قال :

جَهِلْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ بأنَّكَ جَاهِلُ   وَذَاكَ لعَمْري مِن تَمَامِ الْجَهَالَةِ(٤)

وكل ما ذُم به الكفار من أنهم لا يعلمون ولا يبصرون ولا يسمعون فتنبيهٌ أنهم لم يستعملوا هذه الآلات ولم يتفكروا.

وقوله -عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ .الآية (١٤)- سورة البقرة.

قال الخليل: كل شئ استقبلته وصادفته فقد لقيته، وأما ألقيته أي طرحته، فأصله جعلته بحيث يلقي أي يصادف، ثم جعل عبارة عن الطرح واللقي المطروح الذي لا يحجزه شئٌ عن لقاء المارة به. ولقى من اللقوة كنايةً(٥) بذلك عنها، ثم كثر حتى صار معروفاً بالداء. و"خلا الإناء" صار خالياً، و"خلا فلانٌ بفلان[صار معه في خلاء والخلي: من خلاَّهُ الهم، نحو المطلق في قوله: يطلقه](٦).طوراً وطوراً

١- ساقطة من (و - ج).
٢- سورة يس الآية (٤٧).
٣- في (أ - ص) وفور .
٤- لم أجده.
٥- في (و - ج) كتابة ، وهو تصحيف .
٦- ساقطة من (و - ج).

يراجع، والشياطين: جمع الشيطان، فقيل هو "فعلان" من شاط اذا احترق غضباً، وذلك لما قال تعالى: ﴿**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**﴾[1] ، وذلك لما خُص به من فضل القوة الغضبية، وقيل هو فيعال من شطن، أي تباعد، ومنه بين شطوان، وقيل للحبل الطويل شَطَنٌ، والشيطان كل عارم[2] من الجن والإنس والحيوانات، وعلي ذلك قال الشاعر شياطين تنزوا[3] بعضهم على بعض [وقال: "**إن شطان النئاب العُسّل**"،[4] وقال آخر: "**ماليلة الفقير إلا شيطان**".[5] وسمى الحية شيطاناً لذلك، وقيل هو فعلان من قولهم: وقد شط على أرماحنا البطل، ومعنى الآية: أنهم يراؤن للمؤمنين، فإذا عادوا إلى مَرَدَتهم ادعوا أنهم معهم وعلى دينهم، وأنهم يستهزؤن بالمؤمنين،

وقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ الآية:(١٥) - سورة البقرة -.

الهزء: إظهار جدٍّ يُرادُ به مزح أوَ ما هو في الظاهر كالمزح يقال: هزأت واستهزأتُ، نحو أجبت، واستجبتُ، والصحيح أن الاستهزاء إرتياد الهزؤ وإن كان قد يُعبر به عنه، وكذا الاستجابة في الأصل معناها مخالف للإجابة وإن كان قد يجري[6] مجراها، والهزؤ إذا أريد به المزح لا يصح منه تعالى، كما لا يصح منه اللعب واللهو وإطلاقه عليه، إما لأنه يراد به المجازاة، فسماه به إما لمقابلة اللفظ باللفظ إما مع مقابلة اللفظ مراعاة مطابقة ما لكونه مماثلاً له في القدر، فسماه لذلك باسمه نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾[7] وقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾[8] ولأنه تعالى لما أمهلهم لتطول المدة التي يمكنهم أن يتوبوا فيها فلم يحصل ذلك منهم سمى إمهاله هزؤاً، ولأنه لما استدرجهم من حيث لا يعلمون[9] صار ذلك كالهزؤ، وإما لأن الهزؤ لما لم يَخْلُ

١- سورة الرحمن الآية (١٥)

٢- في (و-ج) عازم وهو تصحيف .

٣- تنزوا من (نزا) ، ونزا الفحل نَزْواً ، نُزُوّاً، ونزوانا أى: وثب: المعجم الوسيط - مادة (نزا)، وهى في (و-ج) تنروا وهو تصحيف ، وهذا الشطر ساقط من (أ-ص).

٤- لم أجده ، وأورده الراغب بلا نسبة في المفردات ص ٤٥٤.

٥- الرجز للشماخ ، وبعده :

ساهرة تودي بروح الإنسان   يدعى بها القوم دعاء الصمان

وهو فى ديوانه - ص٤١٣ ، والملاحن - ص٥٢، واللسان (شطن)، ومفردات ألفاظ القرآن - ص٤٥٥.

٦- في (أ -ص) تجرى .

٧ - سورة الشورى : الآية (٤٠).

٨- سورة البقرة : الآية (١٩٤).

٩- إقتباس من الآية : (٤٤) - سورة القلم .

من العيب أطلق على العيب لفظ الهزؤ ونحو قوله: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾(١) أي تعاب، فالآيات لا يستهزؤ بها في الحقيقة ، أو لما تقدم في المخادعة وهو أنهم لما قدروا أنهم يهزؤن وقد عرف منهم الهزؤ كأنه يهزؤ بهم كما قيل: "من خدعك وقد عرفت خديعته فقد خدعته" أو لما روى في الخبر "إن المستهزئين بالناس في الدُّنْيا يُفْتَحُ لهُمْ وهم في النار بابٌ إلى الجَنَّة فيُسْرِعُونَ نحوَهُ، فإذَا صَارُوا إليه سُدَّ عليهم" وذلك قوله : ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾(٢) وعلى هذه الوجوه قوله : ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾(٣) وأصل المد الجر ومنه المدة، ومدّة الجرح، ومد النهر، ومدّه نهر آخر، وإمداد الجيش، وإمداد الإنسان بالطعام، وقال بعضهم:

أكثر ما جاء من الإمداد في القرآن فبالخير، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾(٤) وقوله: ﴿نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾(٥) وقال : **وما كان من المد فبالشرّ** نحو قوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾(٦) وقال ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾(٧) والطغيان في المصادر كالعدوان والكفران، يُقال : طغى يطغوا ويطغى، نحو صفا، وحكى: طغيت. والفرق بين عدا، وطغى، وبغى أن العدو أن تجاوز المقدار المأمور بالانتهاء إليه والوقوف عنده وعلى ذلك قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾(٨) أي من تجاوز معكم المقدار المأمور بالانتهاء إليه، فتجاوزوا معه بقدره، لتكون العدالة محفوظة في المجازاة بالتعدي وأما الطغيان: فتجاوز المكان الذي وقعت فيه، وكأن من أخلَّ بما فُطِر عليه من المعارف العقلية والمواقف الشرعية فلم يراعها فيما يتحراه ويتعاطاه، فقد طغى، وعلى ذلك قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾(٩) أي تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل، والبغي: طلب تجاوز

١- سورة النساء :(الآية (١٤٠).

٢ - سورة المطففين - الآية : (٣٤)، وأورده القرطبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال فى قوله تعالي (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) هم منافقو أهل الكتاب ، فذكرهم وذكر استهزائهم ، وأنهم إذا خلوا إلى شياطينهم يعنى رؤسائهم في الكفر - على ماتقدم - قالوا إنا معكم على دينكم إنما نحن مستهزئون بأصحاب محمد صلي الله عليه وسلم ، الله يستهزئ بهم فى الآخرة ، يفتح لهم باب جهنم من الجنة ، ثم يقال لهم : تعالوا فيقبلون يسبحون فى النار والمؤمنون على الآرائك وهى السرر في الحجال ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فيضحك المؤمنون منهم، فذلك قول الله عز وجل : (الله يستهزئ بهم)، أى فى الآخرة، ويضحك المؤمنون منهم حين غلقت دونهم الأبواب، فذلك قوله تعالى : (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون) إلي أهل النار (هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون) تفسير القرطبي ج : ١: ص٥٥ طبعة دار الغد العربي كما أورده الراغب في المفردات ص٨٤١، وأخرجه البيهقي فيما روي عن ابن عباس في قوله تعالى : (الله يستهزئ بهم) بلفظه ومعناه فى كتابه : الأسماء والصفات ص٦١٦.

٣- سورة التوبة : الآية (٧٩).

٤ - سورة الطور : الآية (٢٢).

٥ - سورة المؤمنون : الآية (٥٥).

٦- سورة مريم : الآية (٧٩).

٧- سورة الأعراف : الآية (٢٠٢).

٨- سورة البقرة - الآية : (١٩٤).

٩- سورة الحاقة : الآية (١١).

قدر الاستحقاق تجاوزه أم لم يتجاوزه[١] ، وأصله الطلب، واستعمل في التكبر، لأن المتكبر طالب منزلة ليس لها بأهل، والعمه في البصيرة كالعمى في البصر، وهو التردد في الضلالة، يقال رجل عامهٌ وعَمَهٌ، فقوله تعالي:﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٢] يصح أن يتعلق بقوله : نمدهم فيكون ذلك عبارةً عن خذلانهم عن توفيقه لهم، لا لبخله عليهم، بل لسدهم طريقه على أنفسهم بإعراضهم عنه، ويصح أن يتعلق بقوله: "يعمهون"، ومعناه: يمدهم استصلاحاً لهم، وهم مع ذلك يعمهون [في طغيانهم ومثاله معنى وتقديراً قوله: ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾][٣]

قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الآية:(١٦) - سورة البقرة .

المبايعة ضربان: مبايعة سلعة بناضٍّ، فيقال لدافع السلعة: بايع، ولدافع الناضّ مشتري، ومبايعة سلعة بسلعة أو ناضّ بناضّ، ويصح أن يقال لكل واحد منهما بائع ومشتري، وذلك بحسب ما يتصور في الثمن والمثمن فأي السلعتين تصورتها بصورة الثمن فأخذه بايع، والآخر مشتري، ولهذا الشأن[٤] صار البائع والمشتري من الأسماء المشتركة المعدودة في باب الأضداد والمشاراة وإن كانت موضوعة لمعاملة في أعيان علي وجه مخصوص فقد يتحرز بها في كثير من المعارضات فيقال لمن أفرح عن شيء في يده مخصلاً به غيره قد باعه به، وقد يقال ذلك لمن رغب عن شئ طمعاً في غيره. وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾[٥] الآية- ومعناه: أراد منهم أن يبذلوا مهجهم وأموالهم في سبيله، فيجعل لهم بذلك الجنة، فسمي ذلك شرى، وقد تقدم أن الهدى يقال على أربعة أوجه : الأول: لما جعله اللّٰه للإنسان بالفطرة، والثاني: لما جعله له بالوحي. والثالث: لما يكتسبه الإنسان بالفكر والنظر والعمل و الرابع: زيادة الهدى في الدنيا، وطريق الجنة في الآخرة. فكذلك الضلال على أربعة أوجه مقابل للهداية. فالأول: اضاعة الإنسان ما جعله اللّٰه له بالفطرة من العقل الغريزي، وذلك بأن لا يزكيه كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[٦]. والثاني: إضاعته لما أنزل اللّٰه تعالى على ألسنة الأنبياء. والثالث: لما يكتسبه الإنسان بالفكر والنظر والعمل. والرابع: أن بترك ما يستحق به زيادة الهدى في الدنيا والثواب فى[٧] الآخرة، وقد علم من هذا أن من الضلال ما هو

١- فى (و-ج) تجاوزه، وهو تصحيف.
٢- سورة البقرة - الآية :(١٥).
٣- سورة الأنعام - الآية : (١١٠) وما بين المعقوفين ساقط من (و - ج).
٤- ساقطة من (أ - ص).
٥ - سوره التوبة : الآية (١١١).
٦ - سورة الشمس : الآية (١٠).
٧- فى (أ - ص) وثواب الآخرة .

كفر، ومنه ما هو ذنب صغير، وكذلك الهدى منه ما هو الإسلام، ومنه ما هو رفيق الورع، فكل من رغب عن منزلةٍ من الهدى إلى ضدها من الضلال، فقد اشترى ذلك الضلال بما يقابله من الهدى لكن منه ما يستحق به النار كالشرك، وكالكبائر، ومنه ما هو متجافٍ عنه كالصغائر، فإذا ثبت ذلك، فقول من قال: عنى به الذين أخلّوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة، وقول مجاهد: إنه عنى به الذين آمنوا ثم كفروا، وقول قتادة: استحبوا الضلالة على الهدى، وقول من قال: اشتروا النار بالجنة لا اختلاف بينهم إلا باختلاف النظرات فقط، وكذا قول من قال: من التزم فعلاً من الخيرات ثم أخل به فقد اشترى الضلالة بالهدى، ولما استعمل في ذلك المشاراة قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ (١)، والربح والخسران يُنسَبَان مرة إلى صاحب السلعة، ومرةً إلى السلعة، ومرةً إلى الصفقة، إذ لا اشتباه فيه، ونحوه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ (٢) ونفى أنهم كانوا مهتدين أي طالبين للهدى تنبيهاً أنهم لو طلبوه لوجدوه .

قوله عز وجل- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾ الآية:(١٧) - سورة البقرة.

التمثيل : تصويرُ الخفي بالظاهر، وأصله من مثل إذا انتصبَ. والتمثال للشيئ المصور، وسمي الوصف مثلاً، إذ هو مثال للموصوف يدل عليه كالمثال في دلالته على ما هو مثال له، والمستوقد: طالب الوقود وآخذه، وقد يقال للموقد كما يقال للمجيب مستجيب. والنار حرارةٌ مخصوصة والنور والضياء وأحدهما مشتق من الآخر من حيث إنه قل ما ينفك أحدهما عن الآخر، ولهذا قال :﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾(٣) فاستعمل فيه الاقتباس الذي هو للنار، ويقال: أضاءت الشيئ فضاء وأضاء والأظهر في الآية أن يكون متعدياً لإدخال حرف التأنيث فيه والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضرباً من الهداية والمعارف(٤) النفسية أو البدنية أو الخارجة، فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فإذا قول من قال ذلك هو فيمن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة، وقول من قال : هو في الذين آمنوا ثم كفروا، وقول من قال : هو فيمن أظهر الإيمان نفاقاً منه وحقناً لدمه،(٥) كل ذلك داخلٌ في عمومه، وكذا قول من قال إنه يعني من لم تصح له أحوال الإرادة، فارتقى منها بالدعوى إلى أحوال المحبة، فأذهب الله عنه ما جعل له من النور عبد الإرادة، فبقي متحيراً في حال الدعوى، وقد نبه تعالى بتشبيههم بمستوقد نارٍ أضيع نورها على حيرتهم أو نكسهم فيما أضاءه من الهدى، وقوله: (ذهب الله بنورهم) الأظهر أن يكون ذلك راجعاً إلى المشبه الذي هو في قوله: "مثلهم" دون المشبه به الذي هو

١- سورة البقرة - الآية : (١٦).

٢- سورة الزمر - الآية : (١٥) .

٣ - سورة الحديد : الآية (١٣).

٤- في (و-ج) والمعاون.

٥- في (و-ج) لديه، وهو تصحيف.

قوله استوقد ناراً، واختصر، ولو بسط الكلام، لقيل: "فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنارهم ذهابه بنورهم وقد قيل: إن ذلك يرجع إلى المشبه به، وأن الذي قد يستعمل في الجميع كاستعماله في الواحد- استدلالاً بقول الشاعر:

فإن الذي خانت بفلج دماءهم هم القوم [1]**،هم فقال:** استوقد رداً إلى لفظ الذي ثم قال بنورهم رداً إلى معنى الجمع، وإنما قال على هذا "بنورهم" ولم يقل "بنارهم"، لأن المراد من النار ههنا النور الذي يضئ لهم الطريق فتركه[2] إياهم في ظلمات إنما هو لتركهم إياه في قبول التوفيق منه، فلما تركوه تركهم كما قال تعالى: **﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾**[3]، وإنما قال: فى"ظلمات" لأنه عنى ظلمة ضلال لهم، وظلمة همومهم في الدنيا، وظلمة يوم القيامة التي تنزه عنها الموصوفون بقوله تعالى **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾**[4]، وقوله عز وجل **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾** [5] والصم صلابة من اكتناز الأجزاء، ومنه قيل: حجرٌ أصَمٌّ، وصخرة صماء، أو قناةٌ صَمَّاءُ، وقيل لرأس القارورة "الصمام" والبكم: اعتقال اللسان وأصله فيمن يولد أخرس والعمى يقال في عدم البصيرة والبصر[6]، جميعاً، فمن ترك الإصغاء إلى الحكمة وأعرض عن طريق الآخرة واشتغل عن تعرف حالها ولم ينعم تدبرها صح أن يستعمل هذه الألفاظ فيه، فيقال: هو أصم عن سماعه، وأبكم عن تعرفه، وأعمى عن إدراكه، والآية مبنيةٌ على الآية الأولى، ومفسرةٌ بحسب تفسيرها، وقوله "لاَ يَرْجِعُونَ" أى لا يعودون إلى طريقة الرشد، وقيل معناه: "لا يرجعون جواباً" أى لا يردونه.

قوله تعالى **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

الآيتان: (١٩ ، ٢٠) - سورة البقرة.

الصيب: فيعل من "صاب" يصُوبُ، وذلك يقال للسحاب والمطر وإن كان الصيب في السحاب أكثر، والصوب يُقَالُ في المطر، وكأن المطر تُسمَّىَ صَوْباًلمجيئه على الصواب إما اعتباراً بالوقت المحتاج إليه فيه، وإما بالقدر المعتدل على حسب قوله تعالى **﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾**[7] وعلى طريقه نظر من وصف المطر بقوله..

١- لم أهتد إليه.

٢- فى (أ-ص) وتركه.

٣- سورة التوبة : الآية (٦٧).

٤- سورة الحديد: الآية (١٢).

٥- سورة البقرة الآية: (١٨).

(٦) في (أ-ص) عدم البصر والبصيرة.

٧- سورة الزخرف : الآية (١١).

فَسَقَى دِيَارَكَ[١] غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي[٢]

وأصاب السهم إذا توجه نحو الرمية على الصواب، وقد شبه العقل والقرآن بل العلوم كلها بالمطر والماء من حيث أنه سبب الحياة الأبدية، كما أن الماء سبب الحياة الدنيوية والسماء في هذا الموضوع يجوز أن يكون السحاب وأن يكون المطر، ومن فيه للتبعيض، وقوله "فيه ظُلُمَاتٌ" يقتضي معنى الإصطحاب، فلا فرق بين أن يقال : صيب فيه ظلمةٌ ورعدٌ- وأما الكلام في مائية الرعد والبرق فليس يليق بهذا الموضع، والصاعقة يستعمل في كل هائلٍ عظيم من مرئيٍّ ومسموعٍ، وإنما قال: "أو كصيب"، لأنه من حيث أنه يدل على أحد الشيئين، ويستعمل في الإباحة والتخيير، وفيه تنبيهٌ على أنه إن شبه بأحدهما فصواب، وإن شبه بهما فصوابٌ، وهذا المعنى في لفظه أو دون الواو، فإن قيل كيف وجه العطف في ذلك وقد قال في الأول "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ" ناراً، ولا يليق أن يقال بعده "أو كصيب"؟ قيل: قد أجيب عن ذلك بأنه أريد أو كاهل صيب من السماء، وقيل: إن ذلك عطفٌ على المعنى وذاك أن التشبيه تارةً يؤتى به مطابقاً للمشبه في اللفظ، وتارةً يؤتي به على ما يقتضيه المعنى دون اللفظ وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾**[٣] ومعناه كحرثِ قوم ظلموا أنفسَهُمْ أَصَابَتْهُ ريحٌ، فروعي فيه المعنى دون اللفظ، وعلى ذلك قول الشاعر:

فَلابْنَةِ حِطَّانِ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَشَ الْعُنْوَانَ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ[٤]

وتقديره: كعنوان رقشه الكاتب، وهذا النوع من التشبيه يقال له: التشبيه الملفف، والآية تأولت على وجهين: أحدُهُما أنه شبه حال المتحيرين الذين اشتروا الضلالة بالهدى بمن حصل في ليلة مطيرة ومظلمة راعدة بارقة يخاف من أهوالها وصاعقتها ويسد أذنه خوفاً من أن يصعق ويكون هذا فى شغل[٥] الكلام بالمشبه به ووصفه بما يعظم من غير أن يكون فى تفاصيل صفة المشبه به[٦] ما يُرجع إلى المشبه طريقة العرب على ذلك قول لبيد.

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصُّوَارِ قِوَامُهَا[٧]

---

١ - فى (أ - ص) وبارك .
٢ - البيت لطرفة بن العبد ، وهو في ديوانه ص ٨٨ ، وفي تفسير القرطبي ج:١ - ص ٢٤٣ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن للراغب - ص ٤٩٥ ، وفي بصائر ذوي التمييز - للفيروز آبادي - ج : ٣ - ص ٤٤٨ .
٣ - سورة آل عمران - الآية: (١١٧).
٤ - البيت للأخنس بن شهاب التغلبي ، وهو شاعر جاهلي قديم والبيت فى المفضليات ص ٢٠٤ ، وفى معجم الشعراء ص ٢٧ ، وفي سمط اللآلىء: ص ٧٣٠ ، والمؤتلف والمختلف ص ٣٠ والاشتقاق ص ٣٣٦ ، وخزانة الأدب ج : ٣ - ص ١٦٩ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٧٢٠ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي - ج : ٢ - ص ٢٤١ ، وشرح اختيارات المفضل - ج : ٢ - ص ٩٢١ .
٥ - فى (أ - ص) من أسفل.
٦ - ساقطة من (أ - ص).
٧ - البيت فى معلقة لبيد.

فشبه الناقة بالوحشية ثم ذكر أنها مسبوعة مخذولة، ولا اختصاص للناقة بهذا الوصف. والثاني: أنه شبه[(١)] ما آتى الله الإنسان من المعاون التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي فيه حياة كل ذي حياة، وما فيه من المشاق المبهمة والعوارض المشكلة بظلمات، وجمع الظلمات تنبيهاً على كثرة العوارض، وشبه ما فيه من الوعيد بالرعد، وما فيه من الآيات الباهرة بالبرق، ثم ذكر كل واحد من هذه الأشياء فقال: إذا سَمِعُوا وَعيداً تصاموا عنه كحال من تهوله [(٢)] الرعد فيخاف من صواعقه، فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهذا معنى قوله: "اللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ"، ثم ذكر أنه إذا رأوا لامعاً لهم إمَّا رشداً تدركه بصائرهم وإما رفداً ينفعهم اهتزوا له، فمضوا بنوره وذلك قوله "كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فيه"، ثم بين أنه إن اعترض لهم شبهةٌ أو عنّ لهم مصيبة تحيروا، فوقفوا، وذلك معنى قوله ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [(٣)] وقوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾[(٤)] تنبيهاً على أنهم يصرفون أسماعهم وأبصارهم عما فيه نجاتهم وتأمل ما فيه صلاحهم وإنما جعل الله لهم السمع والأبصار لينفعهم ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلون أنفسهم عليها بسدهما وتعطيلهما، وذلك تنبيهٌ على أنه إنما أعطاهم هذه الآلات لينتفعوا بها.

قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية:(٢١) - سورة البقرة.

قد تقدم أن "الناس" يستعمل على وجهين أحدهما المشار به إلى الصورة المخصوصة، وذلك عام في الصغير والكبير، والعاقل وغير العاقل، والثاني المشار به إلى المختص بقوى[(٥)] العلم والعمل المحكم وهو المستعمل على طريق المدح، ولذلك يقال: فلان أكثر إنسانية من فلان، لاختصاص هذا المعنى بقبول الزيادة والنقصان، وهذا المعنى هو المراد في هذا الموضع، والعبادة نهاية التذلل في الخدمة وبذل الطاعة وذلك في مقابلة أعظم النعم، ولا يستحقها غير الله تعالى، فهو الذي له أعظم النعم، و"العبادة" تقال في ثلاثة أشياء: اعتقاد الحق، وتحرى الصدق، وعمل الخير، وعبادة الله قد يكون في فعل المباحات كما يكون في أداء الواجبات وذلك إذا قصد بالفعل وجه الله وتحرى به مرضاته. وقد قال بعض الحكماء: "مباحات أولياء الله كلها واجبات" وواجباتهم نوافل" فقيل كيف يكون ذلك؟ قال : لأنهم لا يقومون على تناول مباح لهم كالأكل والشرب حتى يضطروا إليه، فيصير تناولها[(٦)] متحتماً ويلتزمون من الفرائض فوق ما يلزمهم حتى يصير فرضهم متنفلاً، وبهذا النظر قيل

---

١ - ساقطة من (أ - ص).
٢ - فى (أ-ص) تهواه وهو تحريف.
٣ ، ٤ - سورة البقرة الآية: (٢٠).
٥ - فى (أ-ص) بقوتى.
٦ - فى (أ-ص) تناوله.

عن أكل الصالحين تنزل الرحمة تنبيهاً أنه لا يتناول إلا إذا اشتد به الأمر، ووجب عليه الأكل إمساكاً لرمقه. ألا ترى أن كثيراً من المحظورات يصير مباحاً عند الضرورات بل ربما يصير عليه من الواجبات. إن قيل: ما الفرق بين قوله : (اعْبُدوُ اللّٰه) وبين قوله (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) قيل في قوله (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) إيجاب العبادة بواسطة رؤية نعمه التي بها تربيتهم وقوامهم، وفي قوله : (اعبدوا اللّٰه) إيجاب عبادته بمراعاته عز وجل من غير واسطة وعلى ذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾[1] وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾[2]، فحيث ذكر الناس ذكر معه الرب، وحيث ذكر الإيمان ذكر اللّٰه- لما تقدم وأما الخلق فتقدير الأعراض الجسمانية وإيجادها، وقد يقال مفيداً للتقدير من غير إيجاد نحو قول الشاعر:

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ ... وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرِي[3]

واستعمل الخلق في الأجسام والخلق في القوى والأفعال، وجعلَّ "خلقت" للتكوين، وأخلقت للإفساد، نحو فريت، وأفريت، وذلك نحو "أخلقت الثوب" فخلق وأخلق، ولما كان الشئ الحلِق كثيراً ما يلين قبل حجرٍ أخلق و"الصخرة [4]خلقاء" أي "ملساء"، ومن أجل أن "الخلقُ لا يستعمل إلا في إيجاد الأجسام وأعراضها امتنع قومٌ من إطلاق الخلق على القرآن، فراعوا فيه هذا الوجه دون الوجه الآخر، قالوا: ولا يكاد يقال في وصف الكلام مخلوق ومختلق إلا إذا أريد به المنقول المفتعل. وعلى هذا قال تعالى حكايةً عن الكفار في وصفه ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾[5] ولا يكاد يستعمل الخالق مطلقاً إلا في وصف الله تعالى . وقيل في الجملة : يستعمل في المتقدم لكن ذلك على أربعة أوجه تقدم بالزمان نحو آدم قبل نوح عليهما السلام، وتقدم بالذات وهو في كل شيئين متى توهمت ارتفاع أحدهما ارتفع معه الآخر، وإذا توهمت ارتفاع الآخر لم يرتفع معه الأول، كالحياة مع العلم، وتقدم بالشرف، نحو تقدم الأمير للحاجب، وبهذا النظر استعمل العتيق في الشريف وإن كان موضوعه لما تقدم زمانه، نحو

---

١ - سورة النساء : الآية (١) ، سورة الحج : الآية (١) ، سورة لقمان : الآية (٣٣)

٢- سورة البقرة الآية:(٢٧٨)، سورة المائدة الآية(٣٥)، وسورة التوبة الآية(١١٩)، وسورة الأحزاب الآية(٧٠)، سورة الحديد الآية(٢٨)، وسورة الحشر الآية(١٨).

٣- البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو من قصيدة مطلعها :

لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين من حجج ومن شهر

وهو فى ديوانه ص ٢٩ ، وفى تفسير القرطبي ج : ١ - ص ٢٢٦ ، وفى تفسير البحر المحيط ج : ١ - ص ٩٣ ، وفى مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٦ ومعنى تفري ما خلقت : أى إذا قدرت أمراً أمضيته.

٤- في (أ-ص) وصخرة.

٥- سورة الشعراء (١٣٧).

قولنا: تمر عتيق. وتقدم بالرتبة الوضيعة نحو قولنا: الواحد قبل الاثنين، وقوله: "الذين" هاهنا يتناول نوع العقلاء وغيرهم من جميع الأشياء. وفي ذلك تنبيهٌ أن اللّٰه تعالى خالقنا وخالق كل ما تقدمنا، وكل ما هو سبب في وجودنا وحصولنا من الآباء والأمكنة والأزمنة والسماء والأرض وسائر ما لو توهمناه[١] مرتفعاً لم يحصل، وأخرج الكلام مخرج المقرر عند المخاطبين أنه تعالى خالق الكل ومبدع الجميع، فعلم ذلك عندهم إما موجودٌ وإما ممكن وجوده، ولهذا قال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٢] ولعل ذكر بعضهم أن معنى مافى غاية [٣] القرآن، قال: لأن "لعل" للشك، والشك لا يصح على اللّٰه تعالى، فكما لا يصح أن يقول أرجو، وأشك وأظن، فكذلك لا يصح منه[٤] أن يقول "لعل" و"عسى" بمعنى ذلك فثبت أن معناه إذا أورده معنى ما. وهذا تصور بعيد، وذاك أن القائل إذا قال: "إفعل كذا لعلك تفلحْ يصح أن يكون "لعلك" حال للمخاطب بمعنى أنا طامع راج لفلاحك ويصح أن يكون للمخاطب بمعنى "وأنت طامع في فلاحك"، ولما دلت الدلالة أن الطمع إنما يكون لمن يخفى عليه العواقب، علم أنه لا يصح أن يكون لله تعالى إذا ورد في كلامه، فصار ذلك حال للمخاطب كأنه[٥] قال: "اعبدوا ربكم راجين تقاكم"، وإخراج الكلام على ذلك لأن من شرط المكلف أن يكون واقفاً بين الرجاء والخوف ولذلك قال في مدح المؤمنين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٦] وقال: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[٧]، وكذلك التقوى فقد تقدم أن لها ثلاث منازل: الأولى: ترك الكفر، والثانية: ترك المحارم التي تحظرها الشريعة. والثالث: حفظ الخواطر والنيات، والآخران اللذان رجانا هما اللّٰه تعالى هاهنا دون الأولى، إذ لا يصح فعل العبادة مع وجود الكفر، وحقيقة التقوى جعل النفس في وقاية من كل ما يبعد عن اللّٰه تعالى، ولهذا قال بعض المحققين: التقوى أن يتجنب الإنسان بغاية جهده الأخلاق الحيوانية، ويتخصص بالأخلاق الملكية، فلا يكون متكبراً كالنمر، ولا مهيناً كالكلب، ولا حقوداً كالجمل، ولا غمراً كالثور، ولا جاهلاً كالحمار- وقد نبه بالآية أن العبادة لله تعالى هي المبلغة بنا إلى نهاية التقوى التي يُستحق بها جوار اللّٰه تعالى، نحو قوله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٨] وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٩].

قوله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾. الآية (٢٢) - سورة البقرة.

جعل: لفظٌ عام في الأفعال كلها، ويتصرف على ثلاثة أوجه: تارةً تجري مجرى صار، و"طفق"

---

١ - فى (أ - ص) تصورناه .
٢ - سورة الزخرف : الآية (٨٧).
٣- فى (أ-ص) عامة.
٤- ساقطة من (و-ج).
٥ - في (أ-ص) كما أنه ..
٦ - سورة السجدة : الآية (١٦).
٧- سورة الإسراء : الآية (٥٧).
٨ - سورة الحج: الآية (٧٧).
٩- سورة آل عمران : الآية (١٣٢).

فلا يتعدى مثل قولك جعل زيد يقول كذا، قال الشاعر:

وَقَدْ جُعِلَتْ قَلُوصُ بني سُهَيْلٍ   مِنَ الأكوَارِ مرتَعُها قَريبُ[١].

وتارةً تجري مجرى "أوجد، فيتعدى إلى مفعول واحد، نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾[٢]، وتارةً تجري مجرى صير وكون فيتعدى إلى مفعولين نحو قوله تعالى «جعل لكم الأرض فراشاً» وتقول جعلته خارجاً إذا حملته على الخروج وإذا أخبرت عنه بالخروج أو حكمت له سواء كان خارجاً أو لم يكن والفراش والبساط متقاربان وهو كل مافرش من ثوب أو غيره والبناء لكل مرتفع وحائط وغيره والقصد بالآية إلى ما جعله الله تعالى لنا من الآية الواصلة إلينا من السماء والأرض وما بينهما ودل على ذلك بأظهر الآلاء وأقربها من الحواس وقد بسط ذلك المعنى بأبلغ من هذا في قوله ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾[٣] وهذا المعنى على مقتضى ظاهر اللفظ.

وقد قال بعض المفسرين إن الله تعالي مع إرادته لهذا المعني جعل ذلك مثلاً فذكر أنه جعل الأرض فراشاً أي مركباً من قوله : « افترشت البعير» إذا ركبته ، (والسماء بناء) أي الجنة مقراً أو منزلاً ، وجعل مايصل الينا من الوحي والعلم ماء ، ومايثمر ه من الأعمال الصالحة التي هي سبب الحياة الأبدية ثمرات ، وهذا إذا جُعل مثلاً فليس ببعيد ، إذ قد عُلم أن السماء تُجعل مثلاً لكل منزلة رفيعة كقول الشاعر :

نالوا السماء فأمسكوا بعنانها ... حتى إذا كانوا هناك استمسكوا[٤]

ولامنزلة أرفع من الجنة ، ثم لما كانت الجنة في السماء على ماروي في الخبر صح أن يعبر به عنها وقد جعل الأرض مركباً لنا لما روى في الخبر : « اجعلوا الدنيا مطية تبلغكم إلي الآخرة ، واجعلوا الآخرة دار مقركم ومحط رحالكم ، وجعل الماء مثلاً للعلم والحكمة حتى قيل في قوله تعالي ﴿**وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾ [٥] أنه عنى بالماء القرآن بدلالة أنه علقه بالسماع ، وليس الماء مما يسمع ، وفي قوله عز وجل : ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾[٦] أنه عنى به القرآن ، فذلك روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، ويروى أن رجلاً قال لابن سيرين :

١- البيت لرجل من بحتر بن عتود ، وصف الخزانة ج : ٩ ص ٣٥٢ ، ومعنى البيت ، ص٣١٠٠ ، شفاء الغليل بشرح التسهيل - ج : ١ - ص ٣٤٥ ، والاشموني - ج : ١ ص ٢٥٩ ، كما ذكره الراغب في المفردات ص ١٩٧ تحقيق صفوان داوودي .

٢- سورة الأنعام : الآية (١).

٣ - سورة آل عمران : الآية (١٩٠).

٤- لم أعثر عليه.

٥- سورة النحل: الآية(٦٥). .

٦- سورة الرعد : الآية (١٧).

رأيت في منامي كأن ماءً يتبعني وأنا أهرب منه وكنت عطشان"، فقال إنه يُعْرَضُ عَلَيْكَ عِلْمٌ أنت مُحْتَاجٌ إلَيْه وتأبى أَنْ تَتَعَلَّمَهُ"، وجعل الثمر مثلاً لما يتحصل من الأفعال الصالحة عن ذلك البيان، وقد جعل الله تعالى الماء والثمر مثلاً في قوله ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1] الآية... وجعل بعضهم ذلك مثلاً[2] على وجه آخر، فقال: الأرض مثلٌ للأبدان، والسماء مثلٌ للعقل، والماء مثلٌ لما أفاض الله به علينا من العلوم المكتسبة التي تحصل بواسطة العقل. والثمرات التي جعلها الله رزقاً لنا مثلٌ لما يحصل من الأفعال التي تقتضيها العلوم والله أعلم. وهذا يكون أبلغ في المعنى، لأنه يحصل مع المعنى المحسوس معنى معقول. والله أعلم.

قوله عز وجل : ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية:(٢٢) – سورة البقرة.

النِّدُّ والشِّبهُ والمُسَاوي والشكل والمثل متقاربة المعنى، لكن بينها فروق- فند الشيئ[3] هو المشارك له في الجوهر وإن خالفه في الكمية والكيفية وشبهه مماثله في الكيفية، وإن خالفه في غيرها ومساويه مماثله في الكمية كلها وإن خالفه في غيرها، وشكله مماثله في القدر والمساحة ويدل على هذاالفرقان إنه إذا قيل ما هذا؟ فيقال: ند كذا، أو يقال كم هذا؟ فيقال مساو لكذا، أو يقال: كيف هذا؟ فيقال: شبه كذا قنع المخاطب متى عرف المشبه به، ولو قال كم هذا؟ فيقال: شبه هذا أو قال كيف هذا؟ فيقال مساوٍ لهذا لم يقنع به، والمثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفى الشبيه من كل وجه خصه بالذكر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4]، وقال أبو عبيد: الند" هو الضد، وهذا نظر منه إلى بعض الأنداد،

---

١ – سورة إبراهيم : الآية (٢٤).

٢ – في (٢-ص) مثلاً، وهو تصحيف.

٣ – في (و – ج) الند للشئ.

٤ – سورة الشورى : الآية (١١).

وذلك ان الشيئين قد يشتركان في الجوهر، ثم يختلفان في فصل ما، كالإنسان والفرس فإنهما مشتركان في الحيوانية، ومنفصلان في كثير من المعاني فمن اعتبر في مثل ذلك ما بينهما من الفصل قال: الند: هو الضد أو المخالف لأن أهل اللغة يطلقون الضِّدَّ عَلَى الْمتَقَابلَيْنِ، وعلى المختلفين كثيراً على ما يدل عليه كلامهم في الأضداد، وقوله: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾عامٌ في النَّهْي عن الشرك المطلق وعن الدقائق المؤدية إلى الشرك المنبأ عنه بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1] ، ولهذا قال ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما[2] - في هذه الآية هو قول الرجل: (لَوْلاَ نُبَاحُ الْكَلْبِ لَدَخَلَ علىَّ اللِّصُّ)، وقيل: هو نهيٌ لقومٍ كانوا يقولون : إن شاء الله وشاء رسول الله[3] فقال -عليه السلام: "أمِثْلاَنِ أمِثْلاَنِ؟ قولوا إنْ شَاءَ الله"[4] ، فأنزل الله هذه الآية. إن قيل: ما وجه قوله: "وأنتُمْ تَعْلَمُونَ"؟ فإن ذلك إن جعلته خبراً مستأنفاً، فلابد له من ذكر معلمٍ يقترن به حتى يحصل به تمام الخبر، إن جعلته حالاً يصير تقديره: "لاَ تَجْعَلُواْ له أنداداً في حال علمكم"، وذلك غير صحيح، لأن جعل الأنداد محظور في كل حال، قيل إن ذلك حال للمنتهى، وليس الإتيان به شرطاً لقصر الحكم على هذه الحال، وإنما هو تنبيهٌ على قبح فعلهم، لأن مرتكب القبيح مع علمه بقبحه أعظم جرماً، وإذا قيل: "لا تكفر معانداً"، فذلك نهيٌ عن الكفر وعن العناد، فكذلك هذا، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[5]، ثم قوله: (وأنتم تعلمون) عامٌ فيمن حصلَ له العلم بذلك، وفيمن له التمكن مع العلم به، فقد

---

١ - سورة يوسف : الآية (١٠٦).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - في (٢ - ص) وشاء رسوله.

٤ - الحديث أورده ابن كثير فيما أخرجه سفيان بن سعيد الثوري بسنده إلى ابن عباس قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم «ما شاءالله وما شئت»، فقال: أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده، «رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح به، وفي الحديث الآخر: «نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون تقولون ما شاءالله وما شاء فلان» تفسير ابن كثير- ج:١ - ص ٥٧، ٥٨.

٥- سورة المؤمنون : الآية (١١٧).

يصف من حصل له التمكن من الشئ الترشح له بذلك الشئ كتسميتهم العصير خمراً، الصبي ناطقاً، والنائم عالماً قد تقرر في عقل كُلّ عاقلٍ إذا تأمَّل أدنى نظر أنه لابد للموجودات من موجدٍ لها يخالفها، يصح أن يقال لهم: "أنتُم تَعْلَمُونَ"، وبهذا الوجه قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[1]، ومعلومٌ أنهم لا يقولون ذلك إلا بأدنى تأمل واعتبار.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ الآية:(٢٣)- سورة البقرة.

قَد تقدم الكلام في الريب، وأما الفرق بين الشك والمرية، والريب والأرابة، والتخمين والحدس، والوهم والخيال، والحسبان والظن، فإنه يذكرها هنا إذا كانت معرفته نافعةً، فنقول:وبالله التوفيق: إن الشك هو وقوف النفس بين الشيئين المتقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمارةٍ، والمرية هي التردد في المتقابلين، وطلب الإمارة مأخوذ من مرى الضرع، أي مسحه للدر، فكأنه يحصل مع الشك ترددٌ في طلب ما يقتضي عليه الظن. والريب أن تتوهم في الشئ أمراً ما، ثم ينكشف عما توهمت فيه ، والأرابة أن تتوهمه، فينكشف بخلاف ما توهمت ، ولهذا قيل: "القرآن فيه أرابة وليس فيه ريب"، والتخمين توهمٌ لا عن إمارة. والحدس إسراع الحكم بما لا يأتي به الهاجس من غير توقف فيه مأخوذٌ من :حدس في سيره، أي أسرع، والوهم صورةٌ تتصورها في نفسك سواءً كان لها وجودٌ من خارج، كصورة إنسان ما، أم لم يكن له وجودٌ كعنقاء مُغْرِبٍ، وغزائل، والخيال تصور ما أدركه الحاسة في النفس. والحسبان: اعتقادٌ عن أمارة اعتددْت به، سواءً كان له وجودٌ في الحقيقة، أو ولم يكن وهو مشتق من: حسبت الحساب، والظن: أعم معنىً من ذلك كله، فإنه اعتقادٌ عن أمارةٍ ما مما قد ثبت، فمتى كانت تلك الأمارة ضعيفةً جرى مجرى "خِلْتُ

١- سورة يونس : الآية (٣١).

وحَسِبْتُ"، ومتى كانت الأمارة قويةً جرى مجرى "علِمْتُ"، وكتردده بين هذين. قال أهل اللغة: "ظننت" قد يكون بمعنى: "خلت"، وبمعنى: "تيقنت"، ومتى كانت الأمارة قويةً، ولحق بباب العلم استعمل معه "أن" الثقيلة والخفيفة منه نحو: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾(١)، وقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾(٢)، ومتى كانت ضعيفةً، استعمل معه "أن" المختصة بالمعدومين من الفعل، نحو قوله: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾(٣)، وقد تقدم الكلام في الإنزال والتنزيل، وفي معنى العبد. وأما تخصيص إضافة العبد إلى الله في كثير من المواضع، فتنبيهٌ(٤) على مدحه في كونه مطيعاً له متصرفاً عن أمره، وأنه غير متعرجٍ على غيره، ولا مؤتمرٍ لسواه كمن سماهم "عبدة الطاغوت"، و"عبد الدرهم والدينار"، وتنبيه أنهم ممن وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(٥)، وتنبيه أنه يجري مجرى الملك الموصوف في قوله ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦)، ثم إضافته بنون الملوكية مبالغة في الاختصاص، وكل إضافةٍ إليه تعالى على هذه الوجه، فالمبالغة والسورة المنزلة في نحو:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً (٧)،

ويقال للمحيط بالمدينة "سورٌ" لحياطته بجملتها، وتسمية القطعة من القرآن بذلك لكونه كالمحاط (٨) بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة ما من القرآن كما تقدم، ومن قال سؤرة بالهمز، فمن :أسأرت أي: أبقيت قطعةً، فكان ذلك قطعةً مفرزةً من جملته، وقوله:

---

١ – سورة البقرة – الآية : (٤٦)
٢ – سورة المزمل : الآية (٢٠).
٣ – سورة القيامة : الآية (٢٥).
٤ – في (أ – ص) فتنبيهاً.
٥ – سورة التوبة : الآية (١١١).
٦ – سورة التحريم : الآية (٦).
٧– هذا شطر بيت للنابغة الذبياني وعجزه : ترى كل ملك دونها يتذبذبُ والبيت فى ديوان النابغة ص ٥٤. ٥٥ وهو من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) ومطلعها :–

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التى أهتم منها وأنصب

ديوان النابغة. جمع وتحقيق وشرح : الشيخ / محمد الطاهر ابن عاشور . نشر الشركة التونسية للتوزيع . ط ; سنة ١٩٧٦م. وهو فى ديوان النابغة بتعليق وشرح د/ حنا نصر الحيتي – ص ٢٥ ، وقد أورد الراغب البيت كاملاً فى مفردات القرآن – مادة – سور – ص ٤٣٤ – تحقيق صفوان داوودي.
٨ – في (و – ج) كالمخاط وهو تصحيف.

"من مثله"، قيل: من مثل القرآن، وقيل: من مثل النبي [عليه السلام][١] من البشر- تنبيهاً أن مثله ليسَ في طرق البشر، ومن على الوجه[٢] الأول: للتبعيض، وعلى الثاني: للابتداء.

قوله -عز وجل: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

الآية:(٢٣)-سورة البقرة.

الشهادة: تبين الشئ الحاضر، فقولهم: "شهد زيد" في المعنى من قولهم: "حضر" وإن كان قد يفسر به، ولما كان تبين الشئ على ضربين: تبين بالبصر، وتبين بالبصيرة، والحضور على ضربين: حضورٌ بالذات، وحضورٌ بالتصور، صارت الشهادة تستعمل على أوجه بحسب ذلك، فيقال ذلك لحصول قُربةٍ ومنزلةٍ، ومنه قليل: أستشهد فلان" و"هو شهيد"، كأنه حضر وتبين ما كان يرجوه، واستعمال ذلك فيه كاستعمال القريب نحو قوله: "الْمَلَائِكَةُ الْمقَرَّبُونَ" ولهذا المعنى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[٣]، وقال في الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٤]، وقالوا: "أنا شاهد لهذا الأمر"، أي عارفٌ به متصورٌ له -إشارةً إلى قولهم" "لَئِن غِبْتَ عَنْ عَيْنِي لَمَا غِبْتَ عَن قَلْبِي".

وقالوا: "شاهده" أي: ناصره، وعلى نَحوه قال [تعالى][٥]: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٦] وقالوا: "صحبك الله، وأما الشهادة المتعارفة : فأصلها الحضور بالقلب والتبين، ثم يقال ذلك إذا عُبِّر عنه باللسان، ولذلك متى أطلقَ لفظ الشهادة على ما يظهر من اللسان دون حصوله في القلب عُدَّ كذباً، كقوله تعالى في المنافقين حيث قالوا : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[٧]، فكذبهم وقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٨] ثم يقال لكل ما يدل على شئٍ شهادة وإن لم يكن قولاً فقوله: (وادعوا شهداءكم) قد فسر على كل ما يقتضيه لفظ

---

١ - زيادة في (أ - ص).

٢ - في (و- ج) على الأوجه.

٣ - سورة الأعراف : الآية (٢٠٦).

٤ - سورة آل عمران : الآية (١٦٩).

٥- ساقطة من (و-ج).

٦- سورة التوبة : الآية (٤٠).

٧ - سورة المنافقون : الآية (١).

٨ - سورة المنافقون : الآية (١).

الشهادة. قال ابن عباس -رضي الله عنهما- معناه : أعوانكم، وقال مجاهد: معناه الذين يشهدون لكم، وقال غيرهما: أئمتكم نحو: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾[1]، وكأنما عنى بذلك الكبير الذي لا يبرم أمراً من دونهم كقولهم: "فلانٌ يحضر به النوادي وهو من أهل النجوى"، وبضده هجى من قيل فيه بيتُ:

مُخلفونَ، ويَقضي النّاسُ أمرَهُمُ ... وهُمْ بغَيْبٍ وفي عمياءَ ما شعَرُوا"[2]

وأما الصدق: فإنه يُحَدُّ بأنه مطابقة الخبر المخبر عنه، لكن حقيقته وتمامه أن يتطابق في ذلك ثلاثة أشياء، وجود المخبر عنه على ما أخبر عنه، واعتقاد المخبر فيه ذلك عن دلالة وأمارة، وحصول العبارة مطابقاً لهما، فمتى حصل ذلك وُصِفَ بالصِّدْقِ المطلقِ، ومتى ارتفع ثلاثتها وُصِفَ بالكذب المطلق، ومتى حصل اللفظ والمخبر عنه و الاعتقاد وبخلافه، صَحَّ أن يُوصَفَ بالكذب.. ألا ترى أن الله تعالى كذب المنافقين في إخبارهم "إنك لرسول الله "لما كان اعتقادهم غير مطابق لقولهم؟ وإذا قال لك من اعتقد كون زيد في الدار، ولم يكن فيها صح أن يقال كذب، وإن كان قوله مطابقاً لاعتقاده. ولما كان اللسان ترجمانَ القلب، صح أن يقال: "صَدُقَ في اعتقاده أو كَذبَ"، وقد يتجوز أيضاً بذلك في جميع الأفعال، فيقال لكل فعل جميل على ما يجب صدق، ولما كان بخلافه [قيل][3] كذب، ويقال أيضاً لكل شئ يعتقد فيه اعتقادًاما فوجد مطابقاً لذلك صدق، وإن وُجدَ بخلافه كذب، ووجه الآية أن الله تعالى تحداهم بأن قال: ادْعُوا أعوانَكُم وأنصَارَكُمْ، واسْتَعِينُوا بكل ناصرٍ لكم غير الله الذي هو مفزع الكل، وانظروا هل في طوقكم الإتيان بمثله- تنبيهاً على أن ذلك لو أتى به محمدٌ من قِبَلِهِ لَقَدَرْتُمْ أنتم مع تظاهركم على الإتيان بمثله، ويجوز أن يكون قوله: (مِن دُونِ الله) ذمًّا لهم أي : ادعوا أعوانكم التي من عادتكم الاستعانة بهم الذين هم غير

---

١ - سورة القصص : الآية (٧٥).

٢- البيت للأخطل في ديوانه - ص ١٠٩ ، وهو في بصائر ذوي التمييز - ج : ٣ - ص ٣٥٣ بدون نسبة ، وهو أيضاً في مقدمة جامع التفاسير ص ١٥٥ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦٧.

٣- ساقطة من (أ-ص).

الله، ويجوز أن يكون معناه (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم الَّذِينَ لكُم دُونِ الله،) فإن الاستعانة به ليس بكم، وعلقه بقوله: (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) - تنبيهاً أن إقامة الدلالة على الشئ الصدق ليس يقصر، فعجزكم عنه دلالة على أنكم كاذبون في دعواكم.[١]

قوله عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾.الآية:(٢٤) - سورة البقرة.

لفظ الفعل أعم من معنى سائر أخواته، نحو: العمل، والصنع، والإبداع، والإحداث، والخلق، والكسب، وذاك أن الإبداع أكثر ما يقال في إيجاد عينٍ عن عدمٍ، وليس حقيقة ذلك إلا الله تعالى، والإحداث يقال في إيجاد الأعيان والأعراض معاً، والعمل لا يقال إلا ما كان عن فكرٍ ورويةٍ، ولهذا قُرِنَ بالعلم، فقيل: عِلْمٌ وَعَمَلٌ، حتى قال بعض الأدباء: "قُلِب لَفْظُ" الْعَمَل" عن لفظ "العلم" تنبيهاً أنه من مقتضاه، والصنع يقال لإيجاد الصورة في المواد، كالصياغة والبناء، فإن الصائغ يُوجِدُ صورة الخاتم والخلخال في الذهب والفضة، والبنَّاء يُوجِدُ صورة البناء في الطين، والكسبُ أكثر ما يقال في اجتلاب المنافع، وقد يقال أيضاً في اجتلاب المضار مقيداً، والخلق قد تقدم القول فيه، وقد أمر الله بالتقوى على ثلاثة أوجه، وخص بكل وجه عصابةً من الناس وذلك بحسب اختلاف مراتبهم من العلم ومكانهم من الإيمان، فالأول : حث الانسان على اتقاء عقوبة الله برؤية ذنوبه، وذلك في قوله: **﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**[٢]، **﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾**[٣]، والثاني : حثٌّ على

---

١ - في (٢ - ص) في دعواكم كاذبون.

٢- سورة آل عمران : الآية (١٣١).

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٨١).

اتقائه برؤية آلائه ونعمه لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾[١]، والثالث: حثٌّ على تقواه برؤية وحدانيته دون الوسائط، وذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾[٢].

وجعلها على ثلاثة مراتب حسب ما سَنَّهُ تعالى في سياسة الأصناف الثلاثة من الناس الخاصة والعامة، وبهذا الاعتبار قسمهم تعالى ثلاثة أقسام في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[٣]، وأشرف هذه المنازل "تقوى الله" تعالى[٤] من غير رؤية الوسايط بلا مخافة ولا رجاء، ولذلك عظم ثوابه بقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[٥] وهم الأتقونَ المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٦]، والمعبر عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٧].. والوقود: الحطب الذي يوقد به، ولذلك فُسِّرَ بأنه دقاق الحطب، لأن الدقاق الذي يوقد به، ولما كانت نار الدنيا محتاجة إلى دقاق توقد به، ونار جهنم مستغنية عن ذلك، بل يكتفي في إيقادها بالناس وبالحجارة التي ليست من عادة النيران المشاهدة أن يتقدبها، عظم أمرها، ومن قال: أراد بذلك حجارة "الكبريت"، فإنما عنى أن الحجارة لتلك النار كحجارة الكبريت لنار الدنيا، وقوله: أُعِدَّتْ: أصله في العدد وهو الإحصاء، لكن العد يُتَجَوَّزُ به على أوجه، فيقال: شيءٌ معدودٌ ومحصورٌ للقليل مقابلة بما لا يُحْصى كثرة، ويقال على الضِّدِّ من ذلك، وجيشٌ عديدٌ، وإنهم لذو عددٍ، أي: كثيرة، وذلك مقابلةً بما لا يحتاج إلى حصره وتعداده لقلته، ولهذا قيل: أعددت هذا لكذا، أى جعلته معاداً للمعَدِّ له، يتناول منه بحسب حاجته إليه، وقد ألزمهم الله تعالى بهذه الآية الحجة بأنكم إن أتيتم بمثله، فقد أدحضتم حجته،

١- سورة النساء : الآية (١) ، سورة الحج : الآية (١) ، سورة لقمان : الآية (٣٣).
٢- سورة البقرة : الآية (٢٧٨) ، وسورة الحديد : الآية (٢٨) ، وسورة الحشر : الآية (١٨).
٣- سورة فاطر : الآية (٣٢).
٤ - ساقطة من (أ - ص).
٥ - سورة الطلاق : الآية (٢،٣)
٦ - سورة الحجرات : الآية (١٣).
٧ - سورة البينة : الآية (٧).

وإن لم تأتوا به لزمتكم الحجة، ووجب عليكم أن تتقوا عقابه. وفصل بين الشرط والجزاء بحكم جزم أن لا تأتوا بمثله، وذلك زيادةً في إعجازه[١] لوجود مخبره على ما أخبر به وذلك مثل قوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[٢] الآية، فإن قيل كيف خص الكافرين بالنار دون الفاسقين؟ قيل: يجوز أن يكون أراد أن هذا الضَّرب من النار يُختص به الكفار، وهي المخصوصة أيضاً بقوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٤]، ثم إذا قيل: "أعد هذا لزيد" لا يقتضي أن لا يكون معداً لغيره، بل قد يكتفي بأعظم الشيئين عن الآخر نحو قوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[٥] لم يذكر معه البرد، فيكون النار على هذا الوجه للجنس، وعلى الأول للنوع..

---

١ - في (٩ - ص) إعجاز.

٢ - سورة الإسراء : الآية (٨٨).

٣ - سورة غافر : الآية (٤٦).

٤ - سورة النساء : الآية (١٤٥).

٥ - سورة النحل : الآية (٨١).

قوله - عز وجل : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ .

الآية:(٢٥) - سورة البقرة .

أصل بشرته تلقيته مني ببشرةٍ ووجهٍ طلْقٍ، وذاك أن من شأن من أتى بخبرٍ سارٍ أن يكون طلْقَ الوجه، ومن أتى بخبرٍ بخلافه يكون عابس الوجه، وقيل معنى بشرته: أطلقت بشرته بما أخبرته فإنَّ مَنْ ناله سرورٌ، طَارَ دمه منتشراً في صفحة وجهه، ومن ناله سوءٌ يقيض دمه فاصفر أو اسود، وقيل: بشرته: أظْهَرْتُ له خبراً دلت بشرته على المسَرَّة به، أي ظاهره، فاستعير لظاهر الخبر البشرة، وذلك لكثرة ما يدل وجه الشئ على باطنه، فإن قيل: فإن كانت البشارة للأخبار السارة، فما وجه قوله تعالى:

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] ؟ قيل إن مثل ذلك قد يستعمل على سبيل التهكم نحو:

"تحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وجيعٌ"[2] "

تنبيهاً أن السارَّ لهم الإخبار بالعذاب الآليم، فما الظن بما وراءه؟ والإيمان لما كان في الأصل للتحقيق والتصديق، قيل: ما ذكره الله تعالى إلاَّ قَرَنَ به الأعمالَ الصالحةَ، تنبيهاً أن[3] الاعتقاد لا يغني من دون العمل، فالعلم أُسٌّ والعمل بناءٌ، ولا غناء للأس مَالَمْ يكُنْ بناءٌ، كما لا بناء مالم يكن له أسٌّ، ولذلك قيل: "لولا العَمَلُ لم يُطلب علْمٌ"، وَلولا العلم لم يكن عملٌ، فإذاً: حقهما أن يتلازما . والجن: أصله المستر[4] عن حسِّ الْبَصَرِ، وسمى الجن لاستتاره عنه، ثم اشتق من الجن، فقيل جُنَّ فُلاَنٌ، وَبنى على فعلْ نبأ" عامة الأدواء نحو:

١ - سورة الإنشقاق : الآية (٢٤).

٢ - . في (و - ج) وجمع وهو تحريف وهذا عجز بيت لعمرو بن معد يكرب، وصدره:

وخيل قد دلفت لها بخيل.

وهو في البصائر - ج: ٢-ص ٢٠١، وخزانة الأدب ج: ٩ -ص٢٥٢، وديوانه- ص١٤٩، والخصائص- ج:١ - ص٢٦٨، وشرح أبيات سيبويه - ج:٢-ص٢٠٠، والمقتضب - ج:٢ - ص ٢٠، وتفسير الطبري ج:١-ص ٣١٠، كما ورد في مفردات الراغب ص: ١٢٦، ص ٨٣٥.

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - في (أ - ص) الستر.

"زَكَمَ" و"حُمَّ"، ولَقِيَ"، والجَنان: القلب، لكونه مستوراً عن البصر، و"جَنَّ الليل"، والمجنُّ لذلك، وقيل للبستان ذي الأشجار جَنَّة، لاستتاره بها، والجنة قيل: [تسمى تشبيهاً][1] بجنةٍ الأرض وإن كان بينهما بونٌ، وقيل: سُمِّيَتْ بذلك، لأنه سُتِرَ في الدنيا حقيقةُ ما أُعِدَّ الناس[2] فيهَا من عظَم الآلاء، وبذلك أخبر تعالى في قوله: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾[3]، وإنما قال: "جَنَّات" بلفظ الجمع لما قال ابن عباس- [رضي الله تعالى عنهما][4] "إنَّ الْجنانَ سَبْعٌ: جَنَّةُ الفرْدَوْسِ، وَجَنَّةُ عَدْنٍ، وَجَنةُ النَّعيمِ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى، ودارُ الخُلْدِ، ودارُ السَّلَامِ، وَعِلِّيُّونَ"، والجري: المرُّ السَّرِيعُ، ويقال ذلك في الماءِ والرِّيَاحِ والسَّحَابِ والفَرَسِ، ويقالُ للرسولِ والوكيل المتحقِّقَيْنِ في الحال[5] جَرْيٌ، والإتيان: عام في المجيء والذهاب وفيما كان طبعاً[6] وقهرياً، والآتي: يقال للماء الجاري، ولما وقع فيه من خشبٍ ونحوه، ولمجرى الماءِ الْقَرِيبِ أيضاً. إن قيل: لم قال: (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ) وقد عُلِمَ أن الماء في البساتين إذا كان جارياً على وجه الأرض أحسنُ منها إذا كان جارياً تحتها؟ قيل: عنى أنهاراً جاريةً تحت الأشجار، لا تحت الأرض، وقد روي عن مسروق ما يدل على ذلك، وهو أن كل أنهار الجنة تجري في غير أخاديد[7]. إن قيل: كيف قالوا: ﴿**هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ**﴾[8] وما كان من قبل قد فنى وعدم؟ قيل: لفظة "هذا" وأخواته يشار بها إلى العين الموجودة طوراً، وإلى النوع والجنس طوراً. والنوع من حيث ما هو نوعٌ ليس يفنى، وإنما الذي يفنى هو الجزئيات، وعلى ذلك تقول في الإشارة إلى نهرٍ جار: "هذا الماء

---

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - ساقطة من (أ - ص).

٣ - سورة السجدة : الآية (١٧).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (أ - ص) في الحاجة.

٦ - في (أ - ص) طبعياً.

٧ - في (و - ج) على غير أخاديد.

٨ - سورة البقرة : الآية (٢٥).

لا يفنى" وأنت لا تعني بذلك الجزئيات المشاهدة منه، وإنما تعني به النوع المعلوم وقوله: (مِن قَبْلُ) هو للمتقدم، فقيل: عنى بذلك ما أتوا به قبل ذلك في الجنة، وإليه ذهب الحسن ويحي بن أبي كثير، فقال: "إذا أُوتي أحدهم بصَحْفَةٍ فيأكل منها ثم يؤتى بآخر، فيقول: هذا الَذي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ، فيقول له الملك: كُلْ فاللون واحدٌ والطعم مختلفٌ".، وقال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما: (رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) أي في الدنيا شبهه. وابن جرير رجَّحَ هَذَا الوجه، وقال: إن قوله: (كُلَّماً) عام يقتضي أنهم قالوا ذلك في كل مرة من غير تخصيص، ومتى جعل ذلك للأولى، اقتضى أن يكون ذلك مخصوصاً خلاف ما يقتضيه عموم الآية، وقال بعض المفسرين قول ابن عباس -[رضي الله عنهما][1]- في قوله: (هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) أي: في الدنيا، يعني ثواب ما رُزقنا من المعارف كقوله: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، قال: ويدل على صحة هذا أن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: "لَيْسَ في الْجَنَّةِ مِنْ أَطْعَمةِ الدُّنْيا إلاَّ الأَسْمَاءُ"، والمتشابه: المتماثل في الكيفية، ولهذا يقال فَيما لا يتميز أحدهما عن الآخر مُتَشَابِه، وكذلك للواقع من الكلام بين معنيين فصاعداً ومتشابه والشبهة في الشئ ما يقع فيه من مشابهة الغير، فقوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾، قيل: هو تفسير لقوله: ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي يشبهه اسماً ولوناً لا طعماً وحقيقةً وقيل: عنىَ به متماثلاً في الكمال وأن لا تقارب[3]، فيه كأطعمة الدنيا، وقال بعض المفسرين: إن الآية مثلٌ لا على الحقيقة، وقد نبه على كونه مثلاً بقوله بعده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[4]،، والأنهار مثلٌ لمجاري الخيرات، كقولك: ينابيع الحكم، وأنهار الفعل والرزق لم يُعْنَ به ما يُؤْكَلُ فقط، وإنما هو كقولك: "رُزِقْت فهماً وعلماً"، والثمرة: اسمٌ

---

١ - زيادة من (أ - ص).

٢ - سورة العنكبوت : الآية (٥٥).

٣ - في (أ-ص) لا تفاوت.

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٦).

لما يَتحصَّلُ عن الشئ، كقولهم :"ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَثَمَرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَنَّةُ"، ومعناه: كُلَّماَ أُعْطُوا في الجنة جزاءً لما رزقوا من المعارف والأعمال، (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل)، أي: هَذَا ثوابُ الذي وُفِّقْنَا لَهُ في الدُّنيا. وهذا القول وإن كان لمجازه مَسَاغٌ في اللغة، فهو ترك لما روي عن السَلَف في تفسير الآية، وقد طعن في هذه الآية وأمثالها من الآيات قومٌ من المتفلسفين والطبيعيين، وقالوا: "إن الجنة لاَ يَصِحُّ فيها الأكْلُ والشرْبُ، فإن الأكْلَ لا يطيب إلا عن جُوع، والجوع مرضٌ وأذًى، والأكْلُ مداواةٌ له، ولا مَرَضَ ولا أذَى بوجهٍ في الجنة، ثم إن الطعام يصير بعضه ثقلاً بعد طبخ المعدة إياه فيخرج من البدن، وبعضه يصير غذاءً يزيد في البدن بقدر ما يتحلل منه، وإلاَّ خرج به البدن عن الاعتدال. وكل ذلك لا يصح إلاَّ في دَارِ الكون. والفَساد دون دار الخلد والبقاء". وهذا كلام من نظر إلى الأجساد في الآخرة نظره إليها في هذه الدنيا، وهي مركبةُ تركيباً مُعَرَّضاً للاستحالات، ولم يعلم أن الله تعالى [قادر على أن][1] يعيدها إعادةً لا تَعْتَوِرُهَا الاستحالات، ويجعل لها أطعمةً يُتَلَذَّذُ بها، فلا يكون لها ثِقلٌ ولا تغيرٌ منكرٌ، وقد دل على ذلك تعريضاً وتصريحاً، أما إعادتها على وَجْهٍ معرىً من الاستحالات، فقوله تعالى ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وبقوله عليه السلام في أهل الجنة: (جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّولٌ)[3]، وأما إن أطعمتها لا يستحيل فبقوله عليه السلام: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لاَ يَبُولُونَ ولاَ يَتَغَوَّطُونَ، إِنَّماَ هُوَ عَرَقٌ يَجْرِي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ مِثْلِ المِسْك)[4].

---

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - سورة الواقعه : الآية (٦١).

٣ - الحديث عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال :
«يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين ، بناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة» . أخرجة الترمذي ، وقال : حسن غريب وأورده الإمام أحمد فى مسنده ج:٢ - ص ٢٩٥ وأورده الراغب فى مفرداته ص ، ٧٦٤

٤ - الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال. قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذي يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفاون، ولا يتمخطون. أمشاطهم الذهب. ورشحهم المسك، ومحابرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» وأورد ابن كثير في تفسيره - ج: ٤ - ص ٢٩٢.

ويقول ابن عباس "رضي الله عنهما:« لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ مَا فِي الدُّنْيَا إِلا أَسْمَاؤُهَا » فإنَّ الله تعالى سَمَّى الْمَاءَ وَاللَّبَنَ وَالْخَمْرَ والْعَسَلَ والسُّنْدُسَ والْحَرِيرَ والْمِسْكَ والزَّنْجبِيلَ، وَوَصَفَ لَكُمْ مَا في أَيْدِيكُمْ لِيَحْلُوَ عِندَكُمْ، ولكي تهتدي [١]، إليه قُلُوبُكُمْ. وليس لهذا القول منه وجهٌ إلا التوقيف، إذ لا مدخل للاجتهاد فيه، وروي أن يهودياً سأل النبي ﷺ "أتزعم أن في الجنة نكاحاً وأكلاً وشرباً، ومن أكل وشرب كانت له عذرةٌ؟ فقال النبي - عليه السلام-: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فِيهَا أَكْلاً، وشرْباً» ونكاحاً، ويخرج منهم عَرَقٌ أطْيَبُ مِن رِيحِ الْمِسْكِ"، فقال رجل: صَدَقَ رَسُولُ الله، خلق الله دوداً يأكل مما تأكلون، ويشرب مما تشربون، فيخلف غسَلا سَائغاً»، فقال عليه السلام: «هَذَا مَثَلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»**. وفي هذا إشارةٌ عجيبة، فإنه إذا أمكن أن يأكل دود أطعمةً مستحيلةً، فتخلف جنساً طيباً يبقى أطول مدةٍ، فلا يلحقه فسادٌ، فكيف ينكر أن يتناول أهل الجنة طعاماً معرّى من العفونات والاستحالات، فيخلف منه مسك؟ والذي يستبعده بعض الناس من ذلك هو أنهم يريدون أن يَتَصَوَّرُوا أَبْدَاناً متَنَاوِلةً لأطعمةٍ لا استحالة فيها ولا تَغَيُّرَ لها، ولا يكون منها فضولات، وتصوُّرُ ذلك محالٌ، وذاك أن التصور: هو إدْرَاكُ الوهم خَيَالَ ما أدْرَكَهُ من الحس وما لا يُدْرِكُ الحسُّ جُزْءَهُ ولا كُلَّهُ، كيف يمكنه[٢]، تصوره؟ وَلَوْ كَانَ للإنسان سبيلٌ إلى تصور ذلك، لما قال تعالى: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾[٣]، ولما قال "عليه السلام" مخبراً عن الله تعالى: (**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)[٤]، وجملة الأمر: يجب أن يكون معلوماً أن النُّقْصَانَاتِ مَنفِيَّةٌ عَن الْجَنَّةِ، لأنها من الأعدام، وَلَيْسَ في الْجَنَّةِ أَعْدَامٌ، إذ الْجَنَّةُ في غَايَةِ الْكَمَالِ وَ التَّمَام..

---

١ - في (١ - ص) ولتهتدي.

٢ - في (١ - ص) يمكن.

٣ - سورة السجدة : الآية (١٧).

٤ - هذا جزء من حديث رواه البخاري عن أبي هريرة فى بدء الخلق - فتح الباري ج:٦ - ص ٣١٨ - رقم ٣٢٤٤ ، وأورده ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري - كتاب التفسير - ص ٤٦١ ج رقم : ٩٧٧٤ .

قوله - عز وجل: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية:(٢٥) سورة البقرة.

الزوج: يُقَالُ لِكُلِّ واحدٍ من القرينين من الذَّكَرِ والأنثى في الحيوان المتزاوجة، ومن القرينين في غيرهما، كزوج الخُفِّ والنَّعْلِ، ولكل ما معه آخرُ مقارنٌ له- مُمَاثلاً كان أو مُضَاداً، مُركَّباً معَهُ أوْ مُفْرَداً، فقوله تعالى: **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾**[١] أي: أشْكَالَهُمْ ومُوَافقيهمْ في الدِّين، ولم يُرد الرَّجُلَ وَحَليلَتَهُ، فقد تكون تحت المؤمن الكافرة وتحت الكافر المؤمنة، وقوله تعالى: **﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾**[٢] أي اثنين، إمَّا من حيث الأعداد، أو من حيث التركيب- تنبيهاً أنه تعالى هو الْفَرْدُ من كُلِّ وَجْهٍ، وَمَاسِوَاهُ زَوْجٌ من وجهٍ ما، والزوجية: أي أنثوية يُقْتَضَى كونُهَا مُحْدَثَةً، والتطهير يقال في الأجسام والأخلاق والأفعال جميعاً، وقيل في قوله: **﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾**[٣]. أي نفسك نقها من الأوساخ، وذلك مخاطبة للكافة[٤] وإن كان لفظه للنبي- عليه السلام-، وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[٥]، ومعلوم أنه تعالى لم يرد تطهيراً عن نجاسة في ثوب وبدن، وإنما أراد تطهير النفس الذي يستحق به المدح والخلود والبقاء الدائم وأصله لما يطول مكثه، ومنه قيل للأثافي والأحجار "خَوَالِدُ"، والخُلْدُ: اسمٌ للجزءِ الذي يبقى من الإنسان على حالته ما دام حيّاً...

١- سورة الصافات : الآية (٢٢).

٢ - سورة الذاريات : الآية (٤٩).

٣ - سورة المدثر : الآية (٤).

٤ - في (و - ح) مخاطبة الكافة.

٥ - سورة الأحزاب : الآية (٣٣).

قوله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾. الآية (٢٦) سورة البقرة.

الحياءُ: عَارِضٌ للفرع مِنَ النَّقيصَةِ، وذلِكَ بَيْنَ الْوَقَاحَةِ والْخَجَلِ، فَإِنَّ الْوَقَاحَةَ هي الْجُرْأَةُ عَلَى الأفعال الْقَبِيحَةِ مِنْ غَيْرِ مُبَالاةٍ، وَ الْخَجَلَ انْحِصَارُ النَّفْسِ عن الْفِعْلِ، والْحَيَاءُ مأخوذٌ من لفظ (الحياة) التي يرادُ بها العلم والعقل، ووجه ذلك أَنَّ الْحَيَاءَ أُسُّ الْعَقْلِ، إِذْ هُوَ أولُ أَمَارةٍ منهُ تَظْهَرُ من الصَّبِّي، ولهذا قال عليه السلام: **«مَنْ لا حَيَاءَ لَهُ لا إيمَانَ لَهُ»**[1]، لأن الحياء أوَّلُ منزلةٍ من العقل، والإيمَانُ آخِرُ مَنزلَتِه، ومُحَالٌ أن يَحْصُلَ آخِرُ المنزلَة لمن لَمْ يَحْصُلْ لَهُ الأولى[2]، وأماالحياء الذي هو الفرح، فَسُمِّي بِذَلِكَ لكَوْنِه مُسْتَحَبًّا من ظُهُوره، ومن أجل ذلك قيل: "شَوَّرْتُ لِفُلانٍ" أي خَجَّلْتُهُ خَجَلَ مَنْ يَظْهَرُ شواره أي فَرَحُهُ، والضَّرْبُ أصله وقع شئ على شئ، ثم تُجُوِّزَ بِهِ على أنظارٍ مختلفةٍ، ولما قيل: "ضَرَبْتُ الدِّرْهَمَ"، و"درْهَمٌ ضَرْبٌ" أي مَصْوغٌ، استعير منه: "ضَرَبْتُ الْمثَلَ" والكلام في المثل، والمثل قد تَقَدَّمَ، وما في قوله: "مثلاً ما" للمبالغةِ في التَّنكيرِ، فَإِنَّ "ما" في الخبر إما أن تكون معرفةً، فتكون موصلةً، أو نكرةً، وذلك على ثلاثة أوجه: إما موصوفةً نحو قوله:

رُبَّ مَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأمْـ ... ـرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ[3]

أو مبتدأً بلا صفة وذلك في قولهم: "مَا أَحْسَنَ زَيْداً" على مذهب "سيبويه"، وإما تابعاً

١- قال بن الفرس: ضعيف، وفي إسناده من لم يُعرف - انظر : كشف الخفاء - للعجلوني - ج :٢ -ص٣٧٢ - حديث ٣١٣٧.

٢ - في (أ - ص) الأول.

٣- هذا البيت من شعر أمية بن أبي الصلت كما في ديوانه - ص ٤٤٤ وهو من قصيدة مطلعها :-

سمع الله لابن آدم نوح ... ربنا ذو الجلال والإفضال

وقد ينسب إلى عبيد بن الأبرص أو ابن صرمة ، أو إلى أبي قبيس اليهودي ، وهو من شواهد سيبويه الجزء الأول- ص ٢٧٠ ، ص ٣٦٢ ، والمقتضب ج:١ - ص ٤٢ ، والأمالي الشجرية - ج:٢ - ص ٢٣٢ ، وابن يعيش- ج:٤ ص ٢ ، ج:٢ - ص ٥٤١ ، ومعاني القرآن - للأخفش - ج : ١٠ - ص ٣٦. خزانة الأدب . ج : ٦. ص ١٠٩ - كتاب الشعر ج : ١ - ص ٢٦٣.

لاسمٍ منكور- تنبيهاً أنه لم يقصد به معين، نحو: "رَأَيْتُ رَجُلاً ما"، وقوله: "فَمَا فَوْقَهَا"، قيل معناه: مادونَهَا، وإنما عنى ما فوقها في الصِّغَر، ففسره بِدُونٍ، فظن بعض أهل اللغة أن فوق يكون بمعنى "دون"، فأخرجه في جملة ما صنف من الأضداد. والْحَقُّ: لفظٌ عامٌ لصِدْقِ الْمقَالِ وصوابِ الفعالِ، يقال: قولٌ حقٌّ، كقولك صواب، وقيل: الحَقُّ هو الذي لا يزاحمه في ذاته ضدٌّ، ولهذا وُصِفَ الله تعالى به في قوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[1]، والإرادة منا تقتضي نُزُوعَ النفس إلى الشئ مع الحكم بأنه ينبغي أن يفعل، وأن لا يفعل، وإذا وصف الباري تعالى، فلا يصح أن يكون فيه النزاع، إذ هو مُنَزَّهٌ عن ذلك، والاختيار أَخَصُّ من الإرادة، فإن فيه مع الإرادة دلالةً من اللفظ على تفضيل أحد الشيئين على الآخر، والإيمان ههنا: الاعتقاد الصادر عن العلم وإن كان في التعارف يقتضي مع الاعتقاد قولاً وعملاً بحسب مقتضاه، والكفر ههنا: الاعتقاد الكاذب عن تخمين، ومعنى الآية: أن الكفار لما سمعوا النبي ﷺ وقد تلا عليهم قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[2] وقوله: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾[3] قالوا: لا يستحي ربك عن ذكر الذباب والعنكبوت؟، فأنزل الله تعالى ذلك -تنبيهاً- أن الاعتبار بالحكمة لا بصغر الجثة وكبرها، ان قيل: من حق مطابقة قوله [تعالى][4]: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي يقول: (وأما الذين كفروا فلا يعلمون)؟، قيل: لما كان الإيمان صادراً عن العلم، والعلم يقتضي سكون النفس وطمأنينة القلب، وذلك لا يقتضي مراجعةً ومساءلةً ذكر مقتضاهولما كان الكفر منبع الجهل التام[5] وتمام الجهل والاعتراض[6] على الحق على

---

١ - سورة النور : الآية (٢٥).

٢ - سورة العنكبوت : الآية (٤١).

٣ - سورة الحج : الآية (٧٣).

٤ - زيادة من (أ - ص).

٥ - في (أ - ص) الجهالة التامة.

٦ - في (و - ج) الإعراض ، وهو تصحيف.

سبيل الإنكار، نبه بإنكارهم لما لا يعرفونه على تمام جهلهم[١]، وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[٢]- [قد تقدم][٣] الكلام في الإضلال والهداية، فأما الفاسق: فهو الخارج عن حجر الإيمان من قولهم: "فسق الرطب عن قشره"، وكل كفرٍ فسقٌ، وليس كل فسقٍ كُفْراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم[٤] فسق [٥]حكم الإسلام، وأقرَّ به أو ببعضه، ثم أخَلَّ به، وإذا قيل للكافر الأصلي فاسقٌ، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضاه الفطرة، وللفاسق في انحلاله عن الإسلام ثلاث درجات: التغابي، والانهماك، والجحود، فبالتغابي: يرتكب بعض الذنوب مع استقباحه من نفسه، وبالانهاك: يرتكبها غير مبالٍ بها، وبالجحود: يرتكبها مستصوباً لها. [والكبيرُ والكثيرُ يتقاربان، إلا أنَّ الْكَبِيرَ والكثير أكثر ما يُقَالُ في آخر الشئ المتصل][٦]، فالكثير في الأعداد والمعدودات[٧] المنفصلة: إن قيل: كيف قال: (يُضلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً) والكثير والقليل إنما يقالان في شيئين يعتبر أحدهما بالآخر، والناس إذا فرقوا فرقتين فحكمت على إحديهما بالكثير، فالأخرى لا محالة قليلة، فكيف جعلهما[٨] كثيرين؟ قيل: إن ذلك باعتبارين، فقوله: (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً)، يعني من حيث العدد، (ويهدي به كثيراً) يعني من حيث الفضل والشرف. وعلى هذا قول الشاعر:

"قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا"[٩]

أو يحكم عليهما بالكثرة- اعتباراً بالإضافة إلى غيرهما-.

١- في (و-ج) جهله، وهو تصحيف.

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٦).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - في (و - ج) ألزم.

٥ - ساقطة من (أ - ص) .

٦ - زيادة في (أ - ص).

٧ - في (و - ج) والمعدودان وهو تصحيف.

٨ - في (و - ج) جعلها.

٩ - هذا عجز بيت للمتنبي ، وتمامه :-

ثقالٌ إذا لاقوا خفاف إذا دعوا ... كثيرٌ إذا اشتدوا قليل إذا عدوا

وهو من قصيدة قالها يمدح فيها على بن محمد بن يسار بن مكرم التميمي، ومطلع القصيدة :-

أقل فعالى بله أكثره مجد ... وذا المجد فيه نلت أم لم أنل جَدُّ

ديوان المتنبي - ص ١٩٨ - دار صادر -بيروت.

قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية:(٢٧)- سورة البقرة.

النقض: فسخ المبرم، وأصله في طاقات الحبل، والنكث: مثله، لكنه يقال في المتبلد كالأكسية، والأخبية، والعهد: كل أمرٍ شأنه أن يراعى كاليمين، والمشاركة، والمبايعة، ويقال العهد للدار المراعاة بالرجوع إليها، والتاريخ المراعي، وللمطر المتعهد، والميثاق: اسم لما يقع به الوثاقة، والعهد المأمور بحفظه ضربان: عهدٌ مأخوذٌ بالعقل، وعهد مأخوذٌ بالرسل، والمأخوذ بالرسل مبنيٌّ على المأخوذ بالعقل، ولا يصح إلا بعده أو معه، وقد حُملَت الآيةُ عليهما، وذلك هو المذكور في قوله: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾**[1] الآية، وفي قوله: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾**[2]، وقد عظم الله تعالى أمر العهد، وتوعد على الإخلال به في آي كثيرة، كقوله: **﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾**[3]، وقوله: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾**[4] الآية، وقال: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾**[5]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾**[6]، وأما ذمهم بقطع ما أمر الله به أن يوصل، فذمٌّ بقطع الخيرات وتَعَاطي السَّيِّئَات، وذلك أن التقاطُعَ بين الناسِ يَحْصُلُ من رفْضِ المحبة والعدالة ورفضُهما[7] سَبَب كُلِّ فسَادٍ، فَإِنَّ القومَ إذا أحبُّوا وعَدَلُوا تواصلوا، وإذا تَوَاصلُوا تعاوَنُوا، وإذا تعاونُوا عَمِروا، وإذا عَمروا عَمَّرُوا وأمروا، وبالعكس إذا تباغضوا وظلموا تَدَابَرُوا، وإذا تَدَابَرُوا تَخَاذَلُوا، وإذا تَخَاذَلُوا، لَمْ يَعْمَلْ بعضُهُم لِبَعْضٍ

١ - سورة الأعراف : الآية (١٧٢).
٢ - سورة آل عمران : الآية (٨١).
٣ - سورة الفتح : الآية (١٠).
٤ - سورة الأحزاب : الآية (٧).
٥ - سورة المائدة : الآية (١٣)، وسورة النساء : الآية (١٥٥).
٦ - سورة آل عمران : الآية (٧٧).
٧ - في (و - ج) ورفضها.

فهلكوا، ولهذا قال عليه السلام:

(لاَتَقَاطَعُوا، وَلاَ تدابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً كَمَا أَمَرَكُمُ الله)[١]، وقال: **(الْمُؤْمِنُ مألَفٌ، ولاَ خَيرَ فِيمن لا يُؤْلَفُ ولاَ يَألَفُ)**[٢]، ولذلك حثنا على الاجتماعات في الجماعات والجمعات، لكون ذلك سبباً للألفة، بل لذلك عظَّمَ اللهُ تعالى المنة على المؤمنين بإيقاع الألفة بين المؤمنين، فقال تعالى: **﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾**[٣]، وقال: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**[٤]، وليس ذلك في الإنسان فقط، بل لولا أن الله تعالى ألف بين الأركان المتضادة، لما استقام العالم، ولذلك قال عليه السلام: «**بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**»[٥]، ومتى تَصَوَّرَ هذه الجملة، عَلِمَ أن الآية في نهاية الذم

---

١ - الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه برقم ٢٥٦٤ ، وأخرجه البخاري فى الفرائض ج:١٢ - ص ٤ ، وأورده الراغب فى المفردات - ص ٣٠٧ و أورده ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري فى باب : تعليم الفرائض عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : ولا تجسسوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً» - ج : ١٨ - حديث : ٦٧٢٤.

٢ - نص الحديث : «المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»، أورده العراقي فى تخريج أحاديث الإحياء ، وقال : رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك من طريق صخر عن أبي حازم عن أبي هريرة ، وقال : إنه صحيح على شرطهما ولا أعلم له علة ، وتعقبه الذهبي فإن أبا حازم هو المدني لا الأشجعي وهولم يلق أبا هريرة ولا لقيه أبو صخر ، وقال الحافظ السخاوي : وقد رواه العسكري من طريق الزبير بن بكار عن خالد بن وضاح عن أبي حازم بن دينار عن أبي صالح من حديث عبد الملك بن أبى كريمة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر مرفوعاً بلفظ: «المؤمن آلفٌ مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ، وخير الناس أنفعهم للناس » وليست الجملة الأخيرة منه عند العسكري.

٣ - سورة الأنفال : الآية (٦٣).

٤ - سورة آل عمران : الآية (١٠٣).

٥ - أخرجه أبو داوود عن أن عباس قال : «افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، واشترط أن له الأرض وكل صفراء وبيضاء ، قال أهل خيبر : نحن أعلم بالأرض منكم فأعطناها على أن لكم نصف الثمرة ، ولنا نصف ، فزعم أنه أعطاهم على ذلك ، فلما كان حين يصرم النخل بعث إليهم عبد الله بن رواحة ، فحزر عليهم النخل وهو الذى يسميه أهل المدينة الخرص - فقال : فى ذه كذا وكذا ، قالوا أكثرت علينا يا ابن رواحة فقال : فأنا إلى حزر النخل وأعطيكم نصف الذي قلت . قالوا: هذا الحق ، وبه تقوم السماء والأرض ، قد رضينا أن نأخذه بالذي قلت».سنن أبي داوود - رقم ٣٤١٠ - باب فى المخابرة.

وقد أورده الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٥١ ، ص ٥٥٢ .

لهم، وقول قتادة: "إنه أمرٌ بصلة الأرحام"، وقول غيره: "إنَّهُ ذَمٌّ لهُمْ بقطعِهِم[1] النبي ﷺ إشارةً منهم إلى أبعاض ما يقتضيه عموم الآية، والخاسر من خسر إحدى المقتنياتِ الثَّلاثَةِ مِنَ الْمَالِ والْبَدَنِ والْعَقْلِ، وكما أن الفاسق بالقول المجمل على ثلاث طبقات بعضها فوق بعض، فكذلك ناقضوا العهد على ثلاث طبقاتٍ: ناقضُ عهْدِهِ في أوامره المفروضة، ونَاقضُ عَهْدِهِ في أوامره النَّافلة، وناقض عهده في أركان الدين، وذلك أعظم الثلاثة، وكذلك قاطعو ما أمر الله به أن يوصل، قاطعٌ لبعض ما يشير إليه عقله تابعاً لهواه، وقاطع لبعض ما يأمر به العلم وبنوه، وقاطعٌ للعصمة بينه وبين الله، وكذلك الخاسر: خاسرُ ماله في ابتغائه غير الدار الآخرة، وخاسر بدنه في غير خدمة الله، وخاسر عقله في إهماله عن اقتباس ما يفيده الحياة الأبدية، وذلك أعظم الخسران المنبأ عنه بقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ**﴾[3].

فلكل منزلةٍ من الفسق منزلة من نقض العهد، ومنزلة من القطع، ومنزلة من الخسران تلازمه، فالأول في كل ذلك مخطئٌ، والثاني فاسقٌ، والثالث كافرٌ، ثم منزل كل واحد منهم يتفاوت.

---

١ – في (و – ج) بقطيعهم.

٢ – سورة الكهف : الآية (١٠٣).

٣ – سورة الزمر – الآية: (١٥).

وقوله - عز وجل : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . الآية:(٢٨) - سورة البقرة.

كيف: ههنا استخبار لا استفهام، والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً، ولا يقتضي جهل المستخبر، والاستفهام بخلاف ذلك، فكل استفهام استخبارٌ، وليس كل استخبار استفهاماً، والحياة: يستعمل على أوجه، يقال للقوة النامية في النبات والحيوان حياة: ومنه قيل نباتٌ حيٌّ إذا كان نامياً، وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**[1]، وقوله عز وجل: **﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾**[2]، والثاني: للقوة الحساسة الحاسة[3]، وبه سمي الحيوان حيواناً، والثالث: للقوة المختصة بالإنسان من العقل والعلم والإيمان، وذلك لكونها سبباً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾**[4]، وقوله : **﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**[5]، وعلى نحوه قوله:

وَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا[6] **وَلَكِن لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي**[7]

والموت: يستعمل في فقد كل واحدٍ مما تقدم، وأما وصف الباري -جل ثناؤه- بالحي، فليس يُتصور منه مقابله الموت، فإنه تعالى الدائم الباقي الذي به حياةُ كلِّ حي، ومعنى الآية: قبل[8] "كنتم أَمْوَاتاً" أي: تراباً ونطفةً، فأحياكم، بأن أنشأكم وخلقكم ثم يميتكم الموت المعروف، ثم يحييكم يوم ينفخ

---

١ - سورة الحديد : الآية (١٧).

٢ - سورة ق : الآية (١١).

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

٥ - سورة الأنفال : الآية (٢٤).

٦ - في (و - ج) لقد ناديت لو أسمعت حياً، ولكن الصواب كما هو في (أ - ص) طبقاً لما في الديوان.

٧ - البيت لكثير عزة من قصيدة له يرثي بها خندفاً الاسدي ومطلعها .

شجى أظعان غاضرة الغوادي ∴ بغير مشورة عرضاً فؤادي

وهو في ديوانه ص ٢٢٣ ، والأغاني ج:١٢ ص ١٧٣ ، وأورده الراغب في المفردات ص ٢٦٨ وهو أيضاً في ديوان دُريد ص ٢٩ ، وفي معجم البلدان ج:٥ ص ٤٢٩ والبحر المحيط ج:١ - ص ٣٢٧ ، وقيل آن هذا البيت لعمرو بن معد يكرب ، وقيل هو لدُريد بن الصمة ، والصحيح أنه لكثير عزة.

٨ - في (و - ج) قيل.

في الصور، "ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" أي تُرَدُّونَ إلى دار [١] الثواب والعقاب، وذلك نحو قوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[٢]، ونبه بمثل هذه الآيات على أن القادر على الإبداء، قادرٌ على الإعادة، كما قال: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٣]، وقال بعض أهل الحقائق: الآية خطابٌ للمؤمنين، لا على الإنكار بل على تعظيم المنة عليهم وتبعيد الكفر منهم بعد تحققهم بالإيمان، فقد قيل: "ما رجع من رجع إلا من الطريق{، أي: لا ينكر اللهَ أحدٌ بعد تخصصه بالمعرفة الحقيقية، وإنما يرتد ويتشكك مَن لم يبلُغْها، فمحالٌ أن يصير العارف جاهلاً، وليس بمحالٍ أن يصير الجاهلُ عالماً، فيقول: "كنتم أمواتاً[٤]" أى جهالاً فأحياكم بما أفادكم من العقل ورشحكم له من العلم، كما قال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[٥]، وهذا أعظم أعجوبةً، وأولى بالاعتبار به والتنبيه عليه لمن ألقى السمع وهو شهيد، ثم قال: (يميتكم) الموت المعروف الذي لا يجب أن يتكادكم[٦]، ثم يحييكم الحياة الحقيقية، ثم تثابون الثواب الذي لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر.

قوله - عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. الآية (٢٩)-سورة البقرة .

الاستواء : طلب السواء، أي المساواة، وسمي وسط الشئ سواء، لتساوي مساحة الجوانب كلها إليه، وقيل للعدل سواء لكونه وسطاً للظلم والانظلام، إن قيل: قوله تعالى: (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) يقتضي أن كل ما في الأرض خُلِقَ لأجل الإنسان، والانتفاع به، ومعلومٌ أن في الأرض كثيراً مما لا ينفع للإنسان فيه، بل فيه المضارُّ كالحيات، والعقارب، (والسموم)[٧] والأشرار من الناس، قيل: الأشياء الضارة في الظاهر لكل نوع منها خاصة فيها نفع للإنسان أو نفع لما فيه نفع[٨] للإنسان،

---

١ - ساقطة من (أ - ص).
٢ - سورة غافر : الآية (١١).
٣ - سورة الروم : الآية (٢٧).
٤ - ساقطة من (أ - ص).
٥ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).
٦ - تكده الشئ: تكسر، واكتد: أمسك وبخل، والمكدود: هو المغلوب، وعلى هذا يكون معنى الكلمة. يغلبكم. المعجم الوسيط- مادة:(كد)
٧- ساقطه من (أ - ص).
٨ - ساقطة من (و - ج).

فأجزاء العالم [١] إذا تأملتها إما أن تكون [٢] قراراً للإنسان، أو غذاءً له، أو غذاءً لما هو غذاءٌ له، أو دواءٌ له، أو ما ينتفع به[٣] نفعاً ما على وجه.

وذلك بيِّنٌ في أنواع الأشياء وأجناسها. فأما نفع جزئياتها في أن يقال: ما نفع هذه الحية بعينها فلا سبيل لنا إليه، وأجزاء العالم شيءٌ ضار بالإطلاق، وإنما الضار ضار بالاعتبار إلى جزئياته، إن قيل: كيف ذكر ههنا أنه خَلَقَ ما في الأرض قبل السماء وقد قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾[٤]، ومعلومٌ أن ما في الأرض محالٌ وجوده قبل وجودها؟ قيل: قد ذكر في هذا جوابان: أحدهما :أنه تعالى خلق جوهر الأرض، ثم دحاها وبسطها بعد خلق السماء، والثاني: أنه خلق السماء بعد خلق الأرض ووجودها[٥]، وإنما وقعت الشبهة من قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾، لأن بعض الناس تصور له من جهة القرآن قوله: (بعد ذلك) ظرف لقوله: (دَحَاهَا)، واعتبر في (بعد) الزمان وليس كذلك، فإن تقدير الآية :(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ)، ثم قال: ﴿دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[٦].

كقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾[٧] ثم قال: ﴿بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[٨]، وليس "بناها" وصفاً للسماء، بل تقديره: (أم السماء أشد خلقاً)، ثم استؤنف فقيل: بناها- تنبيهاً أن من قدر على ذلك [فهو على][٩] إعادتكم قادر، ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾[١٠] أي الأرض بعد السماء أشد خلقاً من إعادة خلقكم، وذلك لأن السماء بما فيها من عجائب الصنعة أعظم خلقاً من الأرض، ثم الأرض أعظم من الإنسان، وليس يريد بقوله بعد التوقيت، وإنما يريد الترتيب في الشرف والرفعة، فإن قيل: ولم نصب الأرض ولم يرفعها كما رفع السماء؟

---

١ – في (أ – ص) وأجزاء.
٢ – في (أ – ص) يكون وهو تصحيف.
٣ – في (أ – ص) أو ينتفع به.
٤ – سورة النازعات : الآية (٣٠).
٥ – في (أ – ص) ووجودها وهو تصحيف.
٦ – سورة النازعات : الآية (٣١).
٧ – سورة النازعات: الآية (٢٧).
٨ – سورة النازعات : الآية (٢٨).
٩– ساقطة من (و–ج).
١٠ – سورة النازعات : الآية (٣٠).

قيل: لأن الأول استخبار، وقوله: "والأرْض" ليس بداخلٍ في الاستخبار، لأنه لو كان استخباراً لقال: أم الأرض، لكنه استأنفه، فأضمر له فعلاً نحو: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ﴾(١)، وذلك الفعل ما دل عليه (أنتم أشد) من التعرف، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾(٢)، فالاستواء وإن كان في الأصل للإقبال الدال على الانتقال، فقد يراد به التوفر على إصلاح الشئ، وهو المراد ههنا، وعلى ذلك الاتيان في نحو قوله: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾(٣)، ويكون اللفظ متجوزاً [به](٤) ههنا، قال بعضهم: معناه : استولى، وقال الحسن: أقبل على خلقه، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- استوى أمره عليه، وقيل معنى: (سَوَّاهُنَّ) أي تحري السواء، أي العدالة وذلك لما جعل فيها من التركيب المتعادل المشار إليه يقول النبي ﷺ: «بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ»(٥)، إن قيل: لم ذكر السماء ثم قال: (فَسَوَّاهُنَّ)؟ قيل: لما عنى بالسماء السموات رد الضمير إلى المعنى، ومجاز ذلك أن الأسماء على ضربين: اسمٌ موضوع لأجزاء الرجل والمرأة متشابهة، نحو: الدم، واللحم، والماء، والأرض، واسمٌ موضوع لأجزاء غير متشابهة، نحو: اليد، والرجل، فما كان من الأول، فإنه يقع على بعضه اسم كله، فلا فرق بين أن يذكر بلفظ الواحد، أو بلفظ الجمع. والسماء من هذا الباب، لأنه يقال لأقطاع اللحم لحم، ولكل قطعة منها منفصلة كانت أو متصلة لحم كذلك السماء، والله أعلم.

١- سورة الإنسان : الآية (٣١).

٢- سورة فصلت : الآية (١١).

٣ - سورة الحشر : الآية (٢).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥- أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: افتتح رسول الله خيبر، واشترط أن له الأرض وكل صفراء وبيضاء، قال أهل خيبر. نحن أعلم بالأرض منكم، فأعطناها على أن لكم نصف الثمرة، ولنا نصف، فزعم أنه أعطاهم على ذلك، فلما كان حين يصرم النخل بعث إليهم عبدالله بن رواحة، فحرز عليهم النخل- وهو الذي يسميه أهل المدينة الخرص- فقال: في ذه كذا وكذا، قالوا: أكثرت علينا يا ابن رواحة، فقال: فأنا إلى حرز النخل وأعطيكم نصف الذي قلت. قالوا: هذا الحق، وبه تقوم السماء والأرض، قد رضينا أن نأخذه بالذي قلت. سنن أبي داود- رقم (٣٤١٠) باب في المخابرة.

قـولـه - عـز وجـل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٣٠) - سورة البقرة.

إذ: يتعلق بمضمر في مَوضع المفعول به، لأن تقديره: اذكر[١] لا أذكر فيه، وقول أبي عبيد: إن "إذ" في مثل هذه المواضع زائدة، فإنه تقصيُر[٢] منه في النظر، والملك[٣] أصله "ملاك" مقلوباً عن مالك، والألوك: الرسالة المحفوظة في الفم من "ألك الفرس اللجام"، إذا لاكه، وروى أن الملائكة على أضرب خواصٌ يتميزون تميزاً مبايناً في الفضيلة، منهم وأدون ألو[٤] أجنحة، وجماعة يقال لهم الجن، وهم أقرب إلى الناس، وقد يقال للصالح من الناس "مَلَك" على ذلك قوله تعالى: **﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾**[٥].

وقال الشاعر:

فَلَسْتَ لِإِنسيٍّ وَلَكِنْ لِمَلاكٍ[٦]

والخليفة والخلف يتقاربان من قَولك: خلف فلانٌ فلاناً إذا قام مقامه، والخلف والسلف يتناقضان كخلف وقدام، فإن قيل: ما وجه استخلاف الله تعالى، والخلافة إنما تكون للنيابة عن الغير؟ إما لغيبته أو موته أو عجزة، وذلك لا يجوز على الله تعالى قيل: بل قد يكون على غير ذلك، وهو أن يستخلف المستخلف غيره امتحاناً للمستخلف، أو تهذيباً له، أو يستخلفه لقصور المستخلف عليه عن قبول[٧] التأثير من المستخلف لا لعجز المستخلف وذلك ظاهر في الأشياء المهينة[٨] والطبيعية، فإن السلطان

---

١ - في (أ - ص) أذكره.
٢ - في (و - ح) ليقتصر وهو تصحيف.
٣ - في (١ - ص) والملائكة.
٤ - في (أ - ص) أولى.
٥ - سورة يوسف : الآية (٣١).
٦ - هذا شطر بيت العلقمة بن عبدة في البيت هو: فلست لانسي ولكن لملاك وهو منسوب لعلقمة في ملحق ديوانه ص١١٨، ونسبته في اللسان إلى رجل من عبد القيس، وهو في المفضلات ص ٣٩٤، وكتاب سيبويه ج:٢-ص٢٩٧٠، وأمالي ابن الشجري -ج:٢-ص٢٠، وجمهرة أنساب العرب ج:٣-ص١٧٠، وتفسير الطبري ج:١-ص١١٣، وإملاء العكبري ج:١-ص٢٨. والملاك واحد الملائكة ويصوب: ينزل، والبيت هو الثاني والثلاثون من القصيدة الأولى في ديوان علقمة، وقد قالها يمدح الحارث بن جبلة الغساني. وعلق السيد أحمد صقر محقق الديوان أن البيت يُنسب لغير علقمة، والصحيح أنه له. انظر: هامش الديوان- ص١٦
ورواية البيت في الديوان: فَلَسْتَ بِإِنسِيٍّ وَلَكِنْ مَلَاكاً تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يصوبُ.
وقد ساقه هنا في هذا الباب يراد به التعظيم لشأنه إذ شبهه بالملك.
٧ - في (و-ج) أن يقبل.
٨ - في (أ - ص) المهيبة.

جعل الوزير بينه وبين رعيته، إذ هم يقبلون من الواعظ ماله قربٌ إلى قبولهم منه، وكذا الواعظ جعل بين العامة والحكماء، فإن العامة لا يقبلونه من الحكيم، وليس ذلك لعجز الحكيم، بل لعجز العامة عن القبول منه، وعلى هذا اللحم والعظم لما تباعد[١] ما بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم، فجعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضاريف التي بينهما، ولها مناسبة إليهما لتأخذ ذلك من اللحم وتعطيه[٢] العظم، وكذلك جعل تعالى الرسل بين الملك الذي هو مَن قبله تعالى وبين العباد لفضل قوة أعطاهم ليأخذوا منه الحكمة ويوصلوها إلى الناس، وبهذا الوجه قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾[٣]، والخليفة يقال للواحد والجمع، وهاهنا [هو][٤] جمع، فإن الخليفة لم يرد به آدم عليه السلام فقط، بل أريد هو وصالحو أولاده، فهم خلفاؤه وحزبه لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾[٥]، وأنصاره لقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾[٦]، وعباده لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٧]، وعماره في الأرض لقوله: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٨]، والمقصود واحد بهذه العبارات وإن اختلفت بحسب الاعتبارات، وقيل سماهم خليفة لكونهم بعد جانٍّ سكنوا الأرض، فإن كل من تولى[٩] شيئاً بعد آخر يقال له هو خليفةٌ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[١٠]، وقوله تعالى: ﴿خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾[١١]، وأما السفك، والسبك، والسفح، والسن، والشن، والصب، فمتقاربة، وبينهما فروقٌ، فالصب: أعم هذه الألفاظ، والسفك: يقال في الدم والدمع، والسبك يقال للجواهر المذابة، والسفح: في الصب من أعلى، كسفح الجبل، وعنه استعير السفاح، والشن للصب عن القربة ونحوها، والسن يقاربه، لكن استعير السن في إماهة الحديد، وعنه بني المس والشن

---

١ - في (و - ج) تباعدتا.
٢ - في (أ - ص) ويعطيه.
٣ - سورة الأنعام : الآية (٩)
٤ - هو زيادة في (أ - ص).
٥ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).
٦ - سورة الحديد : الآية (٢٥).
٧ - سورة الذاريات : الآية (٥٦).
٨ - سورة هود : الآية (٦١).
٩ - في (أ - ص) يولي
١٠- سورة الأعراف : الآية (٦٩).
١١- سورة الأعراف : الآية (٧٤).

للصب عن القربة ونحوها، والسن يقاربه، لكن استعير السن في إماهة الحديد، وعنه بني المس والشن استعمل في الغارة، وفي لبس الدرع، وذلك لتشبيه الدرع بالماء، وأجزاء الكتيبة بأجزاء السيل، وأما التسبيح فأصله السبح أي سرعة الذهاب في الماء، واستعير لمر النجوم في الفلك، ولجري الفرس، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[1] أي: سعة ذهاب، وسبحته عن كذا: أي نزهته. وتسبيح الله: تنزيهه بالقول والحكم، و"سبحان" مصدر، ككفران، وجعل السبحة للتسبيح، وسمى الصلاة بها لكونها تسبيحاً، والحرزات: سمى سبحة، ومعنى: (نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) أي : نسبحك والحمد لك، أو نسبحك بأن نحمدك، والتقديس : التطهير، وقوله: (نقدس لك) قيل: معناه نطهر أنفسنا لك- إشارةً إلى نحو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2]، وليس ذلك إظهاراً للمنة، بل هو على حسب ما نقول مجتهدٌ محبٌّ أن يفوض صاحبه إليه خدمةً ما ، فيقول: أتَسْتَعِينُ بغيري وأنا مجتهد[3] في خدمتك؟، وعلى ذلك قولهم :﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[4]، وليس قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ على سبيل الاستشارة، فالاستشارة استمداد علم من المستشار، والله تعالى منزهٌ عن ذلك، وإنما ذلك إعلام،[5] كإعلامه إيانا كثيراً من الكائنات لمصلحةما، إن قيل: فمن أين حكمت الملائكة على الإنسان بالإفساد في الأرض وسفك الدماء، وذلك إما ادِّعَاءُ علم الغيب أو الحكم بالظن والتخمين، وهم مُنَزَّهُونَ عن ذلك؟ قيل: قد قيل إنهم قاسوهم[6] على من كان يسكن الأرض قبل من الجان، فأفسدوا فيها، وقيل: وهو أصح أن الله تعالى كان قد أخبرهم بذلك، لكن لم يـقـص[7] علينا فيما حكى عنهم تنبيهاً عليه بما ذُكر في الجواب، وذلك عادة القرآن في كثير من الأقاصيص المذكورة، كقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾[8]، وقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ ليس بإنكار، إنما هو استخبارٌ مُجَرَّدٌ لِيُعَرَّفَهُمْ ما تَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ إليه، وَيُرْشِدَهُمْ إلى ما يُزيلُ شبهتهم، وليسألوا عن ذلك، ألا وقد أذن لهم في السؤال

١- سورة المزمل : الآية (٧).
٢- سورة البقرة : الآية (٢٢٢).
٣ - في (أ - ص) مجد.
٤ - سورة الصافات : الآيتان (١٦٥) ، (١٦٦).
٥ - في (أ - ص) هو.
٦ - في (و - ج) قاسون وهو تصحيف.
٧ - في (و - ح) نقص وهو تصحيف.
٨- سورة يوسف : الآية (٤٥ ، ٤٦).

اما جملةً وتفصيلاً، إن قيل: كيف أدخل [١]عليهم الشبهة حتى سألوا عن ذلك واستنكروه؟ قيل: إن اللّٰه تعالى لما خلق الإنسان جسمانياً وروحانياً وجعله مُرَكَّباً مَنْ قوى ثلاثٍ، قوةٍ شهويةٍ، وقوةٍ غضبيةٍ، وقوةٍ ملكيةٍ، فبقوته الشهوية يفسد[٢] في الأرض، وبقوته الغضبية يسفك الدماء متى لم تكونا مهذبتين، ويتولى خلافة اللّٰه تعالى بقوته الملكية التي هي العقل، وعلى ذلك دل النبي- عليه السلام- بقوله: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ، قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثم قال له: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، ثم قال: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلِيّ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ، وَبِكَ أُعطِي**»[٣]، فلما سمعت[٤] الملائكة أن الإنسَانَ مركبٌ من هذا التركيب، ورأوا القوة التي بها تصلح لخلافته، القوة التي خُصوا بها، ونظروا إلى رذيلة القوتين الأخريين ولم يعرفوا فضيلتهما، استنكروا، فراجعوا الله تعالى وقالوا : أما العبادة التي هي التسبيح والتقديس المختصة بالقوة الملكية، فنحن نقيمها،[٥] فما معنى الإنسان المركب تركيباً لا ينفك[٦] من فساد وقتل؟ فقال تعالى في جوابهم: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ ، فعرَّض ولم يصرح هاهنا، ليريهم فضيلة الإنسان وما خُصُّوا بِهِ من العلم والعمل اللذين يفضلان [٧]المَلَكَ عنهما عياناً ومشاهدةً، والإجمال في هذه الآية بقوله: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ هو المبيَّنُ بما بعده من الآية التي [تليها][٨]..

---

١ - في (و - ج) دخل.

٢ - في (و - ج) تفصيل في الأرض وهو تحريف.

٣ - قال العجلوني : قال فيه الصفاني وابن تيمية وغيرهما إنه موضوع باتفاق. (كشف الخفاء-ج:١-ص٢٣٦، ٢٦٣.

وقال العراقي: روي من حديث أبي أمامة وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة، فأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في كتاب فضائل الاعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشي.. بسنده، وعمر بن أبي صالح ذكره العقيلي في الضعفاء وأورد له هذا الحديث. وقال الذهبي في الميزان لا يُعرف، وقال: ثم إن الراوي عنه من المنكرات، قال: والخبر باطل.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث سفيان ومنصور والزهري لا أعلم له راوياً عن الحميدي إلاّ سهلاً وأراه واهياً.

تخريج أحاديث العراقي ج: ص

وعلق الدكتور/ عبد المجيد النجار على الحديث بقوله: "ولا يبعد أن تكون مثل هذه الأفكار متسربة من الثقافة الفلسفية اليونانية فيما عُرف فيها من أن الله (العقل الاول) فاضت منه عقول عشرة مترتبة في الشرف، ثم من العقل العاشر وجدت المادة المحسوسة تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين- للراغب الأصفهاني- تقديم وتحقيق : الدكتور/ عبد الجيد النجار- طبعة: دار الغرب الإسلامي.

٤ - في (و - ج ، ١ - ص) سمع وهو تصحيف.

٥ - في (و - ج) نقيمها وهو تصحيف.

٦ - في (و - ج) ألا ينفك.

٧ - في (و - ج) يقصر.

٨ - ساقطة من (و - ج).

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

الآيات: (٣١، ٣٢، ٣٣) سورة البقرة.

الإنباء: إخبارٌ فيه إعْلَامٌ، وهو مُتَضَمِّنٌ لهما، ولذلك كل إنباء أخبارٌ، وَلَيْس كلُّ إخبارٍ إنباءً، وَكُلُّ نبأٍ عِلماً، وليس كُلُّ عِلمٍ نَبَأً،[١] ولكونه متضمناً لهما، ومشتملاً عليهما، أجري مجرى كل واحد منهما، فقيل أنبأته بكذا، كقولك أخبرته وأنبأته كذا، كقولك أعلمته كذا، ولا يقال: "نَبَأٌ" إلاَّ لكل خبرٍ يقتضي العلم كالمتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر الأنبياء [عليهم السلام][٢] وما جرى مجراها، وسمى النبي لكونه مُنْبِئاً بما تسكن نفسه إليه، ومنبأً بما سكن المؤمنون إليه، فهو أصح من أن يكون فعيلاً بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول، أما بمعنى الفاعل، فلقوله: **﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**[٣]، وقوله: **﴿ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾**[٤]، وأما بمعنى المفعول فلقوله: **﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾**[٥]، وشرح هذه الآية لابُدَّ أن يُبَيَّنَ فيه كيف كان تعليمُ الله آدم الأسماء، وهل فيه دلالةٌ على أن اللغات توقيف[٦]، أو أوائلها اصطلاح؟ وأنه هل عَلَّمَهُ الأسماء دون المعاني؟ أو علمه إياها جميعاً؟ وما في ذلك مما تنبه الملائكة على خطئهم فيما توهموه وقالوه حتى رجعوا عن دعواهم واعتقادهم وأذعنوا للاستسلام؟:

فنقول [٧] وبالله التوفيق: إن الناس اختلفوا في اللغات، فذهب بعض المتكلمين إلى أن أوائلها اصطلاح، والباقي يصح أن يكون توقيفاً، واستدل على ذلك بأنه لا سبيل إلى معرفة مراد الله تعالى إلا بالخطاب، ولا يصح أن يكون العلم بمراده ضرورةً والعلم بذاته مُكْتَسَباً، لأن ذلك مؤدٍّ إلى أن تعلمه ضرورة أن العلم بمراده فرع على العلم بذاته فلا يصح أن يكون العلمُ الْخَفِيُّ ضَرُورِياً والجلي

---

١ - في (و - ج) وليس كل نبأ علماً.

٢ - ساقطه من (و - ج) .

٣ - سورة الحجر : الآية (٤٩).

٤ - سورة آل عمران " الآية (١٥).

٥ - سورة التحريم : الآية (٣).

٦ - في (أ - ص) توقيفي.

٧ - في (و - ج) فيقول ، وهو تصحيف.

مكتسباً، وذلك فاسدٌ، هذا ما قاله، والصحيح- إن شاء الله- ما ذهب إليه الجمهور إنه توقيف[١]، وقيل: الدلالة على المسألة إن تعليم الله عبادَه على أى وجهٍ يكون، فذلك[٢] يسهل الكلام في المسألة، والقول في ذلك- إن شاء الله تعالى- قد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[٣]، فذكر أن مكالمته للبشر على أحد هذه الوجوه الثلاثة، وأشرفها ما كان بإرسال رسولٍ يُرى ذاتُهُ، ويُسمعُ كلامه[٤] كحال النبي ﷺ مع جبرائيل – عليه السلام–، والثاني: ما كان بإلقاء الكلام في السمع من غير رؤية، كحال موسى- عليه السلام- في ابتداء أمره، والثالث: ما كان بوحي، والوحي - ههنا- مخصوصٌ بالإلقاء في الروع، والإلهام–، والتّسْخير، والمنامَاتِ فتعليم الله تعالى آدم [عليه السلام][٥] الأسماء على أحد هذه الوجوه، ومحالٌ أن يكون الاصطلاح على الألفاظ متقدماً على التعليم، فإن الاصطلاح لابد له[٦] من كلامٍ يتواطؤون عليه، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون اصطلاحٌ ولا لغةٌ، فإن قيل: فما ينكر أن يتواضعوا بإشاراتٍ وتصويت، فإن الأخرس يقدر على ذلك، وله مخارج الحروف، لأنا نجد الذين لا يتكلمون يَفْهَمُونَ، ويُفهِمُونَ ولا لغة لهم! قيل: الإشارات يُفْهَمُ عنها بالاستدلال كسائر الاستدلالات التي لو توهمنا الكلام مرتفعاً لصحّ حصوله وليس للأخرس إلاّ الاستدلال فقط، ولا قدرة له على الألفاظ يؤلفها، وإنما صوته كصوت الطفل الذي لم يتلقن الألفاظ، واللغة إنما تكون[٧] لغةً بحصول تركيب المفردات الثلاث ولو كان إلى ذلك سبيلٌ من غير تعليم، لكان من شرط البكم أن يتواضعوا فيما بينهم كلاماً، لأن آفة البكم من السمع، وإنما عجز عن الكلام لعجزه عن التلقن بالسمع، فثبت أن ابتداء تعليم الكلام لا يكون إلاّ من معلم، وذلك قد كان من الله تعالى لآدم بأحد هذه الوجوه المتقدمة، إن قيل: كيف علمه الأسامي[٨] كلها وقد علمنا أنه مامن زمن إلاّ وبنوه يضعون

---

١ – في (أ – ص) توقيفي.
٢ – في (أ – ص) فإنه.
٣ – سورة الشورى – الآية (٥١).
٤ – في (أ – ص) خطابه.
٥ – زيادة في (أ – ص).
٦ – في (أ – ص) فيه.
٧ – في (أ – ص) يكون وهو تصحيف.
٨ – في (أ – ص) الأسماء.

أسامي لمعاني وأعيان إما مخترعة وإما منقولاً إليها عن غيرها؟ قيل: قد قال بعض الناس: "إن كلَّ تلك بجزئياتها علَّمَهَا الله تعالى آدم - عليه السلام- وإن ظهر في بعض الأزمنة من بعض أهله[١] والصحيح: أن العلم في الحقيقة يتعلق بمعرفة الأصول المشتملة على الفروع، والمعاني الكلية المنطوية على الأجزاء كمعرفة جوهر الإنسان والفرس والقوانين التي يعرف بها حقيقة الشئ، مثل أصول الضرب في الحساب، وأحوال الأبعاد والمقادير في الهندسة، والأصول المبني عليها المسائل الكثيرة في الفقه والكلام والنحو. فأما معرفة الجزئيات متعريةً عن الأصول، فليس بعلمٍ، ولا يقال للعارف بها عالمٌ على الإطلاق، وإنما هو[٢] في معرفتها محاك[٣] محاكاة الببغاء للألفاظ. وإذا كان كذلك، فتعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها إعلامه القوانين والأصول المشتملة على الجزئيات والفروع. وقد علم أن تعليم الكليات أعظم في الأعجوبة وأشبه بالأمور الإلاهية؛ من تعليمنا الصبي الحرْفَ بعد الْحَرْفِ، وقوله :(ألأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أراد بها الألفاظ والمعاني ومفرداتها، ومركباتها، وحقائقها، وذوات الأشياء في أنفسها، وبيان ذلك أن الاسم يُستعمل على ضربين: أحدهما بحسب الوضع الاصطلاحي، وذلك هو لِلْمُخْبَرِ عنه، نحو: "رَجُلٍ وفَرَسٍ"، والثاني: بحسب الوضع الأول، وذلك يقالُ للأنواع الثلاثة[٤] التي هي المخبرعنه، والخبر والرابط بينهما، وهي المعبر عنها بالاسم، والفعل والحرف، وهذا هو المراد ههنا، فإنه- تعالى - لم يرد بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ تعليمه رَجُلاً وفَرَساً دون ذَهَبَ، وخَرَجَ، ومِنْ، وعَنْ، ولا يعرف الإنسان الاسم،[٥] فيكون عارفاً بمسماه إذا عُرض عليه إلا أن يعرف الْمُسَمَّى، ألا ترى أنا لو علمناه أسامي [بالهندية][٦] أو بلغةٍ مجهولةٍ، ولم يعرف صورة ماله تلك الأسماء لم يكن عارفاً بها[٧] إذا شاهدناها وكنا عارفين[٨] بأصواتٍ مجردةٍ، فثبت أن معرفة الاسم لا تحصل إلاَّ بمعرفة المسمى في نفسه وحصول صورته في الضمير، ثم المعلومات قد تكون جواهر وأعراضاً من

---

١ - في (أ - ص) أهلها وهو الصحيح.
٢ - في (أ - ص) هي.
٣ - في (أ - ص) محاكي.
٤ - في (أ - ص) الثلاث.
٥ - في (و - ج) للاسم.
٦ - ناقصة من (و - ج).
٧ - في (أ - ص) لم نعرفها.
٨ - في (أ - ص) عالمين.

كميات وكيفيات، وإضافات وسائر ذلك من الأعراض، ويجعل للشيء الواحد أسامي بحسب هذه النظرات، فلابد أن يكون الإنسان عارفاً بهذه المعاني مجتمعةً ومفترقةً حتى يكون عارفاً بالأسماء التي يُجعل [ذلك][١] لها بحسبها، مثال ذلك: أنه يقال للشخص الواحد "فلانٌ"- اعتباراً بلقبه، و"رجُلٌ" اعتباراً بالآلة المولدة، [و"ابن" اعتباراً بوالده، و"أب" اعتباراً بولده][٢]، و"أخ" اعتباراً بمن ضمه وإياه نسبٌ، وقرشيٌّ وأصبهاني[٣] اعتباراً بقبيلته وبلده إلى غير ذلك من الأسماء [التي يكثر تعدادها، فإذا حقيقة قوله:[٤] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ متضمنةٌ[٥] لما ذكرناه، فإن قيل: فأي شئ في تعليم آدم الأسماء من تنبيه الملائكة على ما سُئلوا[٦] عنه؟ قيل: إن الله تعالى لما خلق الإنسان من أمشاج مختلفةٍ وقوى متفاوتة[٧] وجعله جسمانياً روحانياً، وحصل له بحسب القوى المختلفة معارفُ مختلفةٌ وأفعال[٨] متفاوتة، فإن له بحسب الحواس الخمس معارفاً خمساً، وبحسب العقل معارفَ معقولةً، وبحسب الوهم والخيال معارفَ موهومةً مُتَخَيَّلةً، وحصل له بحسب التراكيب البدنية وبسائطها أفعالٌ متباينةٌ وَمِهَنٌ متفاوتةٌ كالتجارة، والصياغة، وسائر الصناعات. وجُلُّ ذلك معدومٌ في الملك لعدم كثافة الجِسْمِ المركَّبِ من الأمشاج، ولاستغنائها عن ذلك، فبين الله تعالى بتعليمه آدم- عليه السلام- هذه الأسماء كلها والمعاني وعرضها على الملائكة، وأنبأ آدم- عليه السلام- بها وبحقائقها، ومعرفة تعاطي الصناعات المختصة بالإنسان عَجْزَ الملائكة، وأن الإنسان مستصلحٌ لعلومٍ وأعمالٍ[٩] ليس للملك سبيل إليها [بوجه][١٠] فإن المحسوس لا يدركه محسوساً إلاّ ذو الحاسة، والمهن لا يتعاطاها إلاّ من رُكِّبَ تركيب الإنسان من القوى المتفاوتة التي منها القوتان اللتان كانوا يرونهما مفسدتين، أعني القوة

---

١ - زيادة في (أ - ص).
٢ - زيادة في (أ - ص).
٣ - في (أ - ص) وقرشي ومكي.
٤ - ساقطة من (و - ج).
٥ - في (و - ج) كما.
٦ - في (أ - ص) سألوا.
٧ - في (أ - ص) متباينة.
٨ - في (أ - ص) وأحوال.
٩ - في (و - ج) وأعلام وهو تصحيف.
١٠-زيادة في (أ - ص).

الشهوية والقوة والغضبية،[١] ونبههم أن ذلك وإن كان فيه مفسدةٌ ما، ففيها مصالح كثيرة، وأن الخلافة التي رُشّحَ لها الإنسان في الأرض لا يصلح لها إلاَّ هذا التركيب، فحينئذ قال لهم: (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون).

إن قيل : ما وجه قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وهل كان لهم في ذلك التَشَكُّكُ حتى احتاجوا[٢] إلى أن يُقَالَ لهم ذلك؟ قيل له: ليس مخرجُ هذا الكلام على الوجه الذي تَوَهَّمْتَهُ، بل هو تنبيهٌ لهم بما عملوه مُجْمَلاً على ما اشتبه عليهم مُفَصَّلاً، وتقديرذلك[٣]: كأنه قيل: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ومَنْ عَلِمَ غيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ ما تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ.

وَمَنْ عَلِمَ ذلك عَلِمَ مَالاَ تَعْلَمُونَ. إن قيل: فما [تلك][٤] الفضائل التي اختص[٥] الإنسانُ بها واستصلح لها ممالم يكن للملائكة؟ قيل له: إن ذلك هو تعاطي العفة التي هي مختصة[٦] بالقوة الشهوية، والنجدة المختصة بالقوة الغضبية، والإنصاف في المعاملات، وسياسة الإنسان نفسه، ومجاهدة هواه وسياسة ذويه وأبناء جنسه ، فإن كل ذلك فضائل ليست إلاَّ للإنسان المختص بقوته الشهوية والغضبية، فأما اْلمَلَكُ المعرَّى عن مقاساتٍ عارية "بطنه وفرجه"، فليس بمحتاجٍ إلى سياسة البدن[٧] وسياسة أبناء جنسه في مراعاة ذلك منهم،[وهذا ظاهر][٨] إن قيل: في وجه قوله: (أنبئوني بأسماء هؤلاء)، وذلك تكليفُ لهم مالا تعلمون وتكليف إيراد مالايُعلم تكليف مالا يُطاق، وماوجه قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، والصدق إنما يتعلق بالخبر، وهم إنما استُخْبِروا ولم يُخْبَرُوا، فكيف يصح أن يصدُقوا أو يكذبوا [٩]قيل: أما قوله: ﴿أَنبِئُونِي﴾، فليس بتكليفٍ، وإنما هو تنبيهٌ على عجزهم عن الخلافة التي رُشّحَ الإنسانُ لها، وقد عُلِم أن لفظة "افعل" تجيء على أوجه، منها: التبكيت، والتعجيز، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فالصدق وإن كان لا يدخل الاستخبار والأمر والنهي بالقصد

---

١ - في (أ - ص) الشهوية والغضبية.
٢ - في (و - ج) حتى إذا احتاجوا. وما في (أ - ص) الأصح.
٣ - في (أ - ص) وتقديره.
٤ - ساقطة من (أ - ص).
٥ - في (أ - ص) خص.
٦ - في (أ - ص) المختصة.
٧ - في (أ - ص) سياسة نفسه.
٨ - ساقطة من (أ - ص).
٩ - في (- ص) فكيف يصد قون أو يكذبون.

الأول، ومن حيث مقتضى اللفظ، فإنه قد[١] يدخلها بالقصد الثاني، ومن حيث المعاني فإن السائلَ إذا قال مستفهماً: أزيدٌ في الدار؟ أو قال: : أعطني شيئاً[٢]، فكأنه بالأول ينبه على جهله بكون زيدٍ في الدار، وبالثاني على حاجةٍ وافتقارٍ، فمن هذا الوجه صح[٣] أن يقال: "هو صادق أو كاذب"، على أن هذا حكمٌ على قولهم: (من يفسد فيها ويسفك الدماء)، فإنهم استفهموا بقولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾، ويصح أن يكون ذلك راجعاً إلى قوله: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾- تنبيهاً لهم على أنه ليس كل تسبيح وتقديسٍ بما يقولونه، بل من التسبيحات والتقديسات ما يصلح له غيركم، وهو ما تقدم ذكره. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ وهو عالمٌ بما علمهم وعالمٌ بأن لا علم لهم إلاَّ ما علمهم؟ قيل: القصد بذلك إظهار أن ليس سؤالهم[٤] على وجه الاعتراض، بل على سبيل الاستفادة وإظهار العجز، وأنه قد بدا لهم ما كان خفي عليهم من فضيلة الإنسان وإظهار الشكر لنعمته وتعظيم منته بما عَرَّفَهُمْ، وفيه تنبيهٌ على استعمال [حسن][٥] الأدب عند سؤال المعلم بتفويض العلم إليه وتنبيهٌ على أعظم التواضع، فقد قيل لبعض الحكماء: ما أعظم التواضع؟، فقال: الاعتراف بالجهل للعالم، وفيه تنبيهٌ على العلم بما جهلوه، وذلك إحدى فضيلتي الإنسان، وقال بعض المحققين[٦]: الافتخار مَدْرَجَةٌ للسُّقُوط، انظر كيف اضطَّرَّ الله الملائكة لما قالوا :﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ إلى أن اعترفوا بعدم العلم، فمن استكثر لله طاعةً واستكبر له خدمة[٧] فالجهل موطنُهُ، واستَدَلَّ بعضهم بهذه الآية على أن العلم أفضل من العبادة، فإن الملائكة أذعنوا لآدم [عليه السلام][٨] لِمَا أُفِيدَ مِنَ الْعِلْمِ. والْحَكِيمُ أصله لمن له الفعل المحكَم، لكن لما لم يصح حصول الفعل المحكم إلا بالعلم [المتْقن][٩] صارت الحكمة متناولةً للعلم والعمل معاً، فالحكمة مُنْتَهَى العلم، والعلم مبدأ الحكمة، ولا يتم أحدهما إلاَّ بالآخر، فلهذا جَمَعَ بينهما، وقَدَّمَ "العليم" [هاهنا][١٠] على "الحكيم"، فقال : (إنك أنت العليم الحكيم).

---

١ - في (أ - ص) فقد يدخلها.
٢ - في (أ - ص) أعطني كذا.
٣ - في (أ - ص) يصح.
٤ - في (و - ج) سؤالنا وهو تصحيف.
٥ - ساقطة من (أ - ص).
٦ - في (أ - ص) وقال بعضهم.
٧ - في (أ - ص) عبادة وهي الأوقع في النفس.
٨ - ساقطة من (أ - ص) .
٩ - ساقطة من (و - ج).
١٠ - ساقطة من (و - ج).

قوله (عز وجل) :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

الآية :(٣٤) سورة البقرة.

الخضوع والخشوع والخنوع والسجود والركوع تتقارب، وبينهما فروقٌ، فالخضوع ضراعةٌ بالقلب، والخشوع بالجوارح، ولذلك قيل: "إذا تواضع القلب خشعت الجوارح"، وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾**[١]، وقال: **﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾**[٢]، والخشوع ضراعةٌ لمَنَ دونه رغبة في عَرَضٍ [٣] في يده، وكذلك[٤] أكثر ما يجيء في الذم ، والركوع تَذَلُّلٌ مع التطأطؤ. والسجود مع خفض الرأس. وسجود الملائكة إنْ أُريدَ بِهِ المتعارفُ في الشرع[٥]، فليس بعبادةٍ لآدم-[عليه السلام][٦]، فعبادة غير الله تعالى لا تجوز بوجهٍ، وإن كان على حسب المتعارف للخدمة، فقد قيل: إن ذلك كان مباحاً قبل شرعنا، وعلى ذلك ما رُوِيَ[٧] في قصة يوسف- عليه السلام- **﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾**[٨]، وقد قيل: أريد به التذلل كقوله تعالى: **﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾**[٩]. **وقول الشاعر:**

تَرَى الأُكْمَ فِيهِ[١٠] سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ [١١]

وإبليس : لفظةٌ أعجميةٌ، فلا يصح أن تَكُونَ مشتقةً من العربية.

---

١ - سورة المؤمنون : الآية (٢).

٢ - سورة طه : الآية (١٠٨).

٣ - في (أ - ص) طمعاً لعرض.

٤ - في (أ - ص) ولذلك وهو الأصح.

٥ - في (أ - ص) بالشرع.

٦ - ساقطة من (و - ج).

٧ - في (أ - ص) ما قيل.

٨ - سورة يوسف : الآية (١٠٠).

٩ - سورة الحج : الآية (١٨).

١٠- في (و - ج) منه، وهو تصحيف.

١١-البيت لزيد الخيل، وأوله : بجمع تَضِلُّ البلقُ في حَجُراتِهِ تَرَى الأُكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ.

وهو من قصيدة قالها فى وقعة بين طئ وبنى عامر يذكر فرار فارسيهم عامر بن الطفيل وعلقمة بن رعلاثة ومطلعها :-

بني عامر هل تعرفون إذا غدا أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

وزيد الخيل كان أحد شعراء الجاهلية، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم- سنة تسع من الهجرة، فسماه زيد الخير، توفي في خلافة عمر بن الخطاب. شعر زيد الخيل الطائي، جمع ودراسة وتحقيق : د/ أحمد مختار البزرة - ط : دار المأمون للتراث - دمشق.والبيت في الكامل - ج:١-ص٢٣٥، والحماسة البصرية -ج:١-ص٦٢، وتفسير الطبري -ج:١-ص٢٨٩- تحقيق: محمود شاكر-ط: دار المعارف.

وقول ابن عباس -رضي الله عنهما- "إبليس أبلس من رحمة الله، فقصده إلى ذكر الحكم لا إلى معنى اللفظ، ويصح أن يجعل[١] "إبليس" مشتقاً منه بعد الانتقال إلى العربية، وعلى ذلك كثير من الأعلام أعجمياً كان أو عربياً يتصورون منه معنى ما، فيعتبرونه، ويشتقون منه نحو قولهم: "تَفَرْعَنَ فُلَانٌ" إذا فَعَل فِعْلَ فرعون في العُتُو[٢] وتَشَيْطَنَ إذا فَعَلَ فِعْلَ الشيطان، وتمرد: فعل فعل المردة، فعلى هذا تصوروا من إبليس يأسه من رحمة الله، فاشتقوا منه، فقالوا "أبلس فلان" أي :"أجري مجرى إبليس" في يأسه من الرحمة[٣] وإبعاده من الخير، وقوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[٤] أي: يائسون من الخير يأس إبليس منه. وأيضاً قد تتطابق لغة العرب والعجم في لفظة نحو: "أَيُّوبَ وَإِسْحَق"، فإنهما قد يكونان فيعولاً[٥]، وإفعالاً من "أب وسحق[٦]، ويكونان أعجميين، وآدم - عليه السلام- قيل: سمي بذلك لكونه مخلوقاً من أديم الأرض على ما روى أن الله تعالى قبض قبضةً من جميع الأرض -سهلِهَا وجبلِها، فخلق منها آدم- عليه السلام- فلذلك يأتي بنوه أخيافاً[٧]، وقال قطرب: "لا يكُونُ من أديم الأَرْضِ، لأنه لو كان كذلك، لانصرف نحو: "طابَع، وخَاتَمْ"، وطابق[٨] وليس كما قال، فإن "آدم" أفعل منه، وأصله :أأدم، فقُلِبت الهمزة ألفاً، وقيل: هو أفعلُ من الأدمة: أى اختلاط البياض بالسواد، و"أدمتُ بين الشيئين"، أي خَلَطْتُ، ومنه : الأدم، وطعامٌ مأدومٌ أي مخلوطٌ، وقال : وسمى بذلك، لأنه خُلق[٩] من الأركان الأربعة، ومن الأمزجة المتفاوتة والقوى المتباينة، والإباء: الامتناع من الشئ مع

---

١ - في (أ - ص) يكون.

٢ - في (و - ج) العنق، وهو تصحيف.

٣ - في (أ - ص) الرحمة.

٤ - سورة الأنعام : الآية (٤٤).

٥ - في (و - ج) فعولاً.

٦ - في (و - ج) وإسحق.

٧ - الأخياف من الناس: الضروب المختلفة الأخلاق والأشكال. ويقال: الناس أخياف : لا يستوون. وهم أخاف: أمهم واحدة وآباؤهم شتى. والخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وهو الناحية، وهو جلد الضرع حين يخلو من اللبن ويسترخي. والجمع: أخيافٌ، وخيوفٌ. المعجم الوسيط- مادة: خيف.

٨ - ساقطة من (أ - ص).

٩ - ساقطة من (أ - ص).

الإرادة، فكل إباءٍ امتناعٌ، وليس كل امتناعٍ إباءً، قال الله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[١] وقيل :"أبيت اللعن"،[٢] وهي أبواً، إذا تسلط عليها داءٌ، فصَار[٣] مانعاً لها من الشراب والتكبر: أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره فضلاً، والاستكبار: طلب ذلك بالشبع والكبر. والتيه، والبغي، والزهو، والاستطالة، والخيلاء، والصلف تتقارب، وبينها فرقٌ، فالتيه: التحير في معرفة قدر النفس، والبغي: طلب منزلةٍ فوق ما يستحقه، والزهو: سرعة الحكم لنفسه بالفضل، من :"زهاه كذى" إذا استحقه، والاستطالة: إظهارُ طَوْلٍ، أي فَضْلٍ على الغير. والخيلاء: ظَنٌّ بالنَّفْسِ كَاذبٌ، من قولهم: خِلْتُ، والصَّلَفُ: قلة التلفت إلى الغير من قولهم: صَلَفَ[٤]: إذَا اشتكَى صَلِيفَه، واعْتَباراً بهذا المعنى قال الشاعر:

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ فَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ [٥]

* واختلف في إبليس هل كان من الملائكة؟ فقال قومٌ: كان منهم، بدلالة استثنائه من الملائكة المأمورين للسجود لآدم، وقال قوم: لم يكن منهم اعتباراً بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[٦]، وروى عن ابن عباس– رضي الله عنهما- أن الملائكة على ثلاثة أضرب على ما تقدم آنفاً، وضربٌ منهم يقال لهم الجن، ومنهم إبليس، ولهم توالدٌ، ولهذا قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[٧]، وقيل : إن الجن كانوا مأمورين مع الملائكة بالسجود له، لكن لم يحتج إلى ذكرهم، فالسلطان إذا أمر أَمَاثِلَ رَعِيَّتِه بالخُضُوعِ لإنسانٍ، فمعلومٌ أن أصَاغِرَهُمْ مأمورون بذلك، ألا تَرَى أن

---

١ – سورة التوبة : الآية (٣٢).

٢ – في (و – ج) العز، وفي (أ – ص) – العين، وهو تصحيف، وفي المعجم الوسيط: أبيت اللعن من تحية الملوك في الجاهلية، ومعناها: أبيت أن تأتي ما تلعن عليه. انظر مادة: أبي.

٣ – في (أ – ص) فصارت مانعة.

٤ – ساقطة من (و – ج).

٥ – البيت بلا عزو في لسان العرب – مادة : قود – ج : ٤– ص ٣٧٤ ، وفي التاج مادة : (قود) –ص٤٧٨، وهو في التقفية في اللغة لأبي بشر البندنيجي ص ٣٣٥ بلا نسبة ، ويروى لحاتم الطائي في شرح ديوان الحماسة – لأبي تمام – ص ٢٢٣.

* تفردت المخطوطة (أ – ص) بوضع عنوان هذه الفقرة يشير إلى مضمونها وهو (مطلب في الملائكة والجن)، وهو من عمل الناسخ

٦ – سورة الكهف : الآية (٥٠).

٧ – سورة الكهف : الآية (٥٠).

قوله تعالى لموسى ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[1] معلومٌ أنه لم يبعث، إليه وحده، وبعض الناس اعتبرَ لفظ "كان"، وروى أن إبليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض قبل آدم، وحاربهم الملائكة، وسبوْا إبليس، فصار بالحكم من الملائكة، فمولى القوم منهم، وبالنسبة من الجن، فصار يصدق عليه القولان، ويجوز أن يكون عنى أنه كَانَ مِنَ الْجِنِّ فعلاً، ومن الملائكة نوعاً، وباعتبار الفعل قال تعالى: (كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)، إنْ قيل: كيف يصح أن يكون من الملائكة نوعاً والله قد وصفهم بأنهم ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]؟ قيل: إن ذلك في وصف خزنة جهنم، وليس كون بعضهم على هذه الصفة مقتضياً أن يكون كلهم كذلك، و(كان من الجن): قيل معناه: صار ههنا، وليس ذلك بشيء، فإن (كان) استعمل (ههنا) على أحد وجهين: إما لاعتبار وقت العصيان بوقت الإخبار، ويكون بالإضافة إليه ماضياً فيجب أن يقال : كَانَ، وإما أنه قال: (كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)- تنبيهاً أن ما تقدم من طاعته غير معتَّدٍ به، وأن حكمه من قبل حكم الكافرين، فمن شرط الطاعة أن لا تحبط ومن حكم الإيمان أن يمْتَدَّ وَيَتَّصِلَ، إن قيل: كيف أمر الملائكة بالسجود لآدم ومنزلتهم فوق منزلته بدلالة أن إبليس منّاهُ أن يكون إياهم بقوله: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[3]، وبعيد أن يؤمر الفاضل بالتخضع للمفضول؟ قيل: الخضوع لآدم كان خضوعاً لله تعالى من أجل الائتمار له فيما أمرهم به، وظاهرٌ في العادات أن التذلل لخادمِ كبيرٍ خضوعٌ لذلك الكبير، وأيضاً: فإن الإنسان في باب الفضائل التي ذكرناها آنفاً أفضلُ من الملك وإن كان الملك أفضل منه من وجوه أخر، والشيئان قد يكون كل واحد منهما أفضل من الآخر من وجهٍ ووجهٍ، وإنما المنكران[4] بفضل كل واحدٍ منها الآخر من وجه واحد، وفي الآية تنبيهٌ على وجوب الائتمار لمن له الخلق والأمر، ومجانبة عصيانه، وارتكاب التكبر والحسد، وإنها قد يفضيان براكبهما إلى الكفر، كما روى في الخبر: "أن أول ما عُصِيَ بِهِ الله في السَّمَاءِ وَالأَرْضِ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ"[5]، وحث على ترك الدخول في سره والاعتراضِ على حكمه.

---

١ - سورة طه : الآية (٢٤)، ، سورة النازعات : الآية (١٧).

٢ - سورة التحريم : الآية (٦).

٣ - سورة الأعراف : الآية (٢٠).

٤ - في (أ - ص) منكران.

٥ - أورد القرطبي في تفسيره ما رواه ابن القاسم عن مالك أنه قال: "بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر، حسد إبليس آدم، وشح آدم في أكله من شجرة، وقال قتادة: حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال أنا ناري وهذا الهيني، وكان بدءا لذنوب الكبر، ثم الحرص، حتى أكل آدم من الشجرة، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه. تفسير القرطبي -ج:١-ص٣٣٩-ط.دار الغد العربي- سنه ١٩٨٨.

قوله عز وجل :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية : (٣٥)- سورة البقرة.

قيل: ما الفرقُ بين أن يقال: افعل أنت وقومك كذا وبين أن يقال: افعلوا كذا، قيل: الأول تنبيهٌ أن المقصود هو المخاطب، وغيره تبعٌ له، وأنه لولاه لما كانوا مأمورين بذلك، وعلى نحوه: **﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾**(١)، وليس كذلك إذا قال: افعلوا، وقال بعضهم: إنما قال: اسكن، فاستعمل السكن تنبيهاً أنه يعرض النقل، عنها(٢) وأنه لا يجب أن يركن إليها. إن قيل: ما الفرق بين الإرادة والمشيئة؟ قيل: الإرادة قد تكون بحسب القوة التسخيرية،والفكرية، والحسية، ولذلك تستعمل في الجماد، نحو: **﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾**(٣) وفي الحيوان، وفي العقلاء، والمشيئة(٤) لا تكون إلا مع اختيار، ولذلك لا يُقالَ إلا للعالِمِ والمتفكرِ(٥) ، وقوله تعالى: **﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾**، فالقصد بالنهي عن قرب الشئ تأكيدٌ للحظر والمبالغة في النهي، وذاك أن(٦) القرب من الشئ مقتضٍ الألفة(٧) ، والألفة داعيةٌ للمحبة، ومحبة الشئ كما قيل: "حُبُّكَ الشئ يعمي ويصم، والعمى عن القبيح والصم عن النهي عنهما الموقعان فيه، والسبب الداعي إلى الشر منهيٌّ عنه، كما أن السبب الداعي(٨) إلى الخير مأمورٌ به، وعلى ذلك قال -عليه السلام- : **(الْعَيْنَانِ تَزْنِيانِ)** (٩) لماكان النظر داعياً إلى الألفة، والألفة إلى المحبة، وذلك

---

١ - سورة طه : الآية (٤٩).

٢ - ساقطة من (أ - ص).

٣ - سورة الكهف : الآية (٧٧).

٤ - في (و - ج) والمشبه ، وهو تحريف.

٥ - في (أ - ص) والمفكر، وهو تصحيف.

٦- في (أ - ص) وذلك لأن.

٧ - فى (أ-ص) الموصل.

٨ - في (أ - ص) للألفة.

٩- أورد القرطبي وابن كثير الحديث من رواية البخاري ومسلم في الصحيحين عن أ بي هريرة- رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم: (كتب علي ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين الاستماع، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين الخطى، والنفس‌تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه). رواه البخاري تعليقاً، ومسلم مسنداً من وجه آخر . تفسير القرطبي - ج:٦- ص٤٧٦٣- تفسير ابن كثير - ج:٣-ص٢٨٢.

مقتضٍ لارتكابه، فصار النظر مبدأ للزنا، وعلى هذا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾[١]، و﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]، ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾[٣]، وعلى هذا قال في الخمر: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾[٤]، وبهذا النظر قال عليه الصلاة والسلام: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ، والْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَسَأَضْرِبُ مَثَلاً، إِنَّ لِلَّهِ حِماً، وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، وَمَن رتعَ حَوْلَ الْحِمَا أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ.»[٥]، والشجرة: قيل: كانت الحنطة، وقيل: الكرْم، وقيل: التين، وقوله: (فتكونا): الأظهر: أنه جوابٌ النـهي،[٦] وقد قيل: يصح أن يكون عَطْفاً، لأنك تقول: "لا تجفـ[٧] وَالِدَك فتَعْصِ ربَّكَ" كما تقول: فَتَعْصَى ربَّكَ، والظلم في الحقيقة: الإخلال بما يقتضيه داعيًا[٨] الله: "العقل والشرع"، وهو الخروج عن الحظر ولهذا قيل: هو وضع الشيء في غير موضعه، وقد تقدم أن الظلم ضربان: ظلمُ النفس، وظلمُ الغير، وظلم الغير لا ينفك من ظلم النفس، وظلم النفس قد ينفك من ظلم الغير، ولأجل أن الظلم خروج عن الحق، وأن الحق يجري مجرى النقطة من الدائرة، ومجرى القرطاس من الهدف، صار من تعداه يصحَ أن يقال: "هو ظالمٌ" وإن كان بين الظالم والظالم بون، وَلِذَلِكَ قد يُطْلَقُ "الظالم" على من ارتكب[٩] صغيرة، وعلى من ارتكب كبيرة، إن قيل: كيف جاز أن يُنْهَى عن الشجرة ثم يتناولها وقد أنكرتم أن يرتكب الأنبياء[١٠] الكبائر؟ قيل: قد أجيب عن ذلك بأن آدم [عليه السلام][١١] أُشيرَ له إلى شجرة، فقيل له: "لاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ "، وأُرِيدَ بِهِ الجنس لا العين نحو ما روي أن النبي- عليه

---

١ - سورة الإسراء: الآية (٣٢).

٢- سورة الإسراء : الآية (٣٤).

٣ - سورة النساء : الآية (٤٣).

٤ - سورة المائدة : الآية (٩٠).

٥ - الحديث يروى عن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: "الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وبينهما مُشْتَبِّهَاتٌ لا يعلمها كثيراً من الناس، فمن اتقى الشُّبُهَاتِ استبرأ لعرضه ودينِهِ، ومَن وقع في الشُّبُهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه". وهذه الرواية الصحيحة، والحديث أخرجه البخاري في الإيمان (انظر: فتح الباري) -ج:١-ص١١٦، ومسلم في المساقاة رقم : (١٥٩٩).

٦ - في (أ - ص) جواب للنهي.

٧ - في (أ - ص) لا تحف، وهو تصحيف.

٨ - في (و ج ج) داعي الله وهو تصحيف.

٩ - في (أ - ص) على المرتكب.

١٠ - في (و - ج) أن الأنبياء يرتكبون.

١١-ساقطة من (و - ج).

السلام- خرج وفي إحدى يديه ذهب، وفي الأخرى حرير، فقال: "**هذان حرامٌ على ذكورِ أمتي حِلٌّ لإناثها**. ولم يرد به العين، وإنما أراد به الجنس، فحمل آدم متأولاً الإشارة إلى العين دون الجنس، فوقع عليه السهو من هذا الوجه، وقيل : انه حمل النهي على الندب دون الحتم، ونسي الوعيدَ المقرونَ به، ولذلك قال: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ**﴾[1] أي: "نسي الوعيد". واختُلِفَ في الجنَّةِ التي أُسْكِنَها آدم -عليه السلام- فقال بعض المتكلمين: كانَ بُسْتَاناً جعله الله تعالى له امتحاناً ولم يكن جنة المأوى، فإن تلك لم تُخْلَقْ بَعْدُ، إذ هي للخلود، وقد ثبت أن الله تعالى يفني[2] الأشياء كلها حتى لا يبقى إلا وجهُهُ ولو كانت مخلوقة الآن لم يصح أن يخص بهذه الصفة، وقال أكثر الناس: كانت جنة المأوى، وتسميتها بجنة الخلد اعتباراً بدوامها بعد أن يدخلها المثابون. والشئ الواحد قد يسمى بأسماء كثيرة -اعتباراً بمعان متفاوتةٍ، ألا ترى إلى ما حُكي عن الحسن أنه قال: "خُلِقْنَا للأبدِ، ولَكِنَّا نُنْقَلُ مِن دَارٍ إلى دَارٍ"[3] وذلك اعتباراً بحال الإعادة، ومن قال: لم تَكن تلك جنة الخلد، لأنه لا تكليفَ في الجنة، وآدم [عليه السلام][4] كان مكلفاً، [فقد قيل في جوابه: إنما لا يكون دار التكليف في الآخرة، ولا يمتنع أن يكون في وقت دار تكليف، ولا يكون في وقتٍ كذلك، كما أن الإنسان يكون][5] مكلفاً في وقتٍ دون وقتٍ، وقال بعض الناس: "إن الله تعالى لما خلق الإنسان لاستخلافه في أرضه واستعماره فيها كما قال: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[6] ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾[7] وقال ﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[8]، وأراد أن يوصله بذلك إلى جنة المأوى، وعلم بسابق[9] علمه أنه لسوء تدبيره

---

١ - سورة طه : الآية (١١٥).

٢ - في (أ - ص) نفي، وهو تحريف.

٣ - في (و - ج) ذلك وهو تحريف.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - هذه الفقرة سقطت من الناسخ في (و - ج).

٦ - سورة البقرة - الآية : (٣٠).

٧ - سورة الأعراف : الآية (١٢٩).

٨ - سورة هود : الآية (٦١).

٩ - في (و - ج) يسابق، وهو تصحيف.

قد يختار العاجل الخسيس على الآجل النفيس لعجلته[١] كما وصفه بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾[٢]، وأنه قد تتبع هواه كما قال: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[٣]، وعلم ما يكون منه أدخله الجنة ليعرف النعيم الذي أعد له عياناً، فيكون إليه أشوق، ويتذوق طعم المخالفة فيكون منها أخوف[٤]، فمعلومٌ من حال الإنسان أن المحنة تُهذِّبُهُ، والاشتياق إلى ما عاينه من الخيرات يرغِّبُه، فصار ما جرى [على آدم][٥] من الأحوال [٦] من تمام النعمة[٧] عليه، والله أعلم بوجوه المصالح، وفي الآية حثٌّ على قبول قول مَنْ هوَ أعلم منك وتحري نصحك والمصلحة[٨]، وإن الإنسان إذا حفظ في دنياه قرناءه المتصلة به من قواه الشهوية والغضبية، وقرناءه المتصلة [٩] به من قواه الشهوية والغضبية، وقرناءه المنفصلة عنه من أهله وولده وساس نفسه وأهله، ورعى من الله أوامره، وتجنب زواجره كان في الجنة عاجلاً وآجلاً، وإلا صار معاونه عليه ومنافعه راجعةً بالمضرة إليه، كما قال تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١٠].

---

١ - ساقطة من (أ - ص).
٢ - سورة الإسراء : الآية (١١).
٣ - سورة محمد : الآية (١٤).
٤ - في (أ - ص) أفرق.
٥ - ساقطة من (و - ج).
٦ - ساقطة من (أ - ص).
٧ - في (أ - ص) نعمه.
٨ - في (أ - ص) ومصلحتك.
٩ - في (و - ج) المتصل، وهو تصحيف.
١٠- سورة التوبة : الآية (٥٥).

قوله - عز وجل :

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الآية :(٣٦)- سورة البقرة.

زل، وزَال يتقاربان، إلا أن زَلَّ يقتضي عثرةً مع الزوال، يقال: زلت[١] رجله في المشي ولسانه بالقول، وسمي الأسد إذلالاً اعتباراً من الفاعل استقلاله حتى يعده عثرةً، وقول النبي- عليه الصلاة السلام: «**مَنْ أُزلتْ إِلَيْهِ نعمةٌ فَلْيَشْكُرْهَا**»،[٢] أى مَنْ أُسْدى إِلَيْه نِعْمَةٌ وإن كانت طفيفةً، وإزلال إبليس لآدم عليه السلام قوله له ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ**﴾[٣]، وقوله : ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾[٤]، ومقاسمته إياها بقوله: ﴿**إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[٥]، فمن الناس من حمل هذه الأحوال على مفاوضة ومجاراة بالمشاهدة وقيل: إنَّ ذَلكَ كَانَ بِوَسْوَسَتِه، كما قال ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ**﴾[٦]، وما روى عن ابن عباس -رضـي الله عنهما- "أن إبليس عَرَضَ نفسه على دَوَابِّ الأرض أن تحمله فتدخله الجنة ليكلم آدم وزوجتِه، فأبت عليه الدَّوَابُّ كُلُّهَا حتى كَلَّمَ الحيَّةَ وقال: أَمْنَعُكَ من بني آدم إنْ أنتَ أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابين من أنيابها، فأدخلته الجنة وكلَّمَهَا مَنْ فيهَا، قال: فلذلك أُمِرَ الإنسان بقتلها أينما وجدها"[٧] فإن بعض الناس حمل ذلك على سبيل المثل، وقال: هذا إشارةٌ، فقوله: عَرَضَ نَفْسَهُ على

---

١ - في (و - ج) زل، وهو تصحيف.

٢- الحديث في النهاية في غريب الحديث ج:٢-ص٣١٠ ، والفائق في غريب الحديث ج:٢-ص١١٩، وفي مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٢.

٣ - سورة طه الآية : (١٢٠).

٤- سورة الأعراف : الآية (٢٠).

٥ - سورة الأعراف : الآية (٢١).

٦ - سورة الأعراف : الآية (٢٠).

٧ - هذا المعنى مقتبس من قول الرسول صلي الله عليه وسلم «اقتلوا الحيات صغيرها - وكبيرها - وأسودها - وأبيضها فإن من قتلها كانت له فداء من النار ومن قتلته كان شهيداً » فهذا الحديث يتفق مع مارواه ابن عمر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:« خمس يقتلهن المحرم ، فذكر الحية فيهن » أخرجه مسلم وغيره ورواه القرطبي في تفسيره ج :١ -ص٣٥٦، وقد انتقد الرازي في تفسيره رواية ابن عباس وقال : "وأعلم أن هذا الخبر وأمثاله مما يجب أن لا يُلتفت إليه. لأن إبليس لو قدر على الدخول في فم الحية، فلمَ لمْ يقدر أن يجعل نفسه حية، ثم يدخل الجنة، ولأنه لما فعل ذلك بالحية، فلم عُوقبت الحية مع أنها ليست بعاقلة ولا مكلفة" ؟. تفسير الرازي- ج : ١ - ص ٣٢٣.

دواب الأرض، أي استعان بقوى الإنسان، ونظر من أي جهة[١] يمكنه أن يأتيه، فلم يجد[٢] قوةً مستصلحةً يستعينُ بها حتى أتى الحيَّة، أي الشهوة، وكنى بالحية عنها، فإنَّها حيَّةٌ لايَبْرأُ سَلِيمُهَا [يقال لمن لسعته الحية والعقرب سليمٌ تفاؤلاً كما تقال المفازة لمحل الخطر والهلاك][٣] وذاك أن الشيطان لا يأتي الإنسان إلاَّ من قِبَلِ هَوَاهُ، فجعلته بين نابيها كنايةً عن الأكْلِ، إذ هو أعْظَمُ شهْوَةً يتمكن الشيطان به من الإنسان، ولهذا قيل في الخبر:

(من حفظ بطنه فقد سد على الشيطان بابه، ومن شبع ونام قسا قلبه وتمكن منه الشيطان)[٤]، ويكون الهوى أعظمَ سلاحٍ للشَّيْطَانِ، صار لا فَرْقَ بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٥]، وقوله: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾[٦] في أن المقصد واحدٌ في كونهما نَهْياً عن ارتكاب الذنوب[٧]، وقوله، فلذلك أُمِرَ الإنسان بقتلها، أي أُمِرَ أن يقهر الشهوة [ويذلِّلَهَا][٨] حيثما تَرَاءَتْ له، وطالبته بما ينافي[٩] الإيمان، وهذا الذي ذكره هذا القائل وإن كان صحيحاً من حيث المعنى ، ففي صرف[١٠] الخبر إليه تركٌ للظاهر وفَتْحُ بابٍ من التأويلات عظيم الضرر[١١]. والله أعلم بحقائق ما يخبرنا[١٢] به من الغيوب.. وقوله: (اهْبِطُوا): الهبوطُ ضد الصُّعُودِ، وليس يُرَادُ بِهِ[١٣] الانحدارُ عن رفعةٍ مكانيةٍ

---

١ - في (و - ج) من جهة أيها يمكنه أن يليه.

٢ - في (و - ج) فلم يوجده، وهو تصحيف.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - لعل هذا الخبر مقتبس من حديث النبي "صلى الله عليه وسلم" الذي رواه عنه المقدام بن معد يكرب- رضي الله عنه قال: قال النبي "صلى الله عليه وسلم" : «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه.. بحسب ابن آدم لقيمات" يقمن صلبه- فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه».. أخرجه الترمذي، ومما ورد عن سيدنا عيسى عليه السلام من قوله للحواريين: «تأكلوا كثيراً فتقسو قلوبكم».

٥ - سورة ص : الآية (٢٦).

٦- سورة مريم : الآية (٤٤).

٧ - في (أ - ص) العصيان.

٨ - ساقطة من (و - ج) .

٩ - في (أ - ص) ينافيه.

١٠- في (و - ج) ضرب، وهو تحريف

١١- في (أ - ص) منكر.

١٢ - في (و - ج) ما أخبرناه من الغيب.

١٣- في (و - ج) بها وهو تصحيف.

فقط، بَلْ يُرَادُ به مع ذلك سُقُوطُ المنزلة، فقد كثر في كلامهم استعمالُ الرِّفْعَةِ والضعةِ في المراتب حتى قيل: شريفٌ ووضيعٌ على طريق الاستعارة، وعلى ذلك قول الشاعر:

بَلَغْنا السَّمَاءَ بِأَحْسَابِنَا[١] -

وقال:

وَصَاعِدٌ في هِضَابِ المَجْدِ يَطْلَعُهَا[٢]

وأما المعاداة: ففقدان الملاءمة والموافقة، ومنه قيل: "هو مَكانٌ ذو عَدْوَى". والتَّعدِّي، والعدوان، والاعتداء، والعدوى منها[٣]، وقومٌ عِدًى للأعداء أو الغرباء، لما بينهم من فقدان الملاءمة، وقوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [٤] ليس يريد المهارشة فقط، وإنما يعني فقدان الالتئام، أما بين الشيطان والانسان فظاهرٌ، وبين الرجل والمرأة كثيرٌ في الخلق والخُلُق، حتى إن عامَّة ما يُحْمَدُ من أخلاق الرجل يُذم من المرأة، ثم بين قوى الإنسان في نفسه تفاوتٌ، فحذرنا الله تعالى الذي خلقنا منها ليتنبه للاحتراز مما ينافينا في بلوغ السعادة، ونسوس[٥] منها ما يمكن سياسته، وندفع منها ما يجب مدافعته، والمستقر: المكان الذي يحصل فيه القرار، والقرار هو السكون عن برودة، ولما كان من شأن البرودة السكون، كما أن من شأن الحرارة الحركة قيل في الساكن بُرْدٌ، وفي المتحرك: اشتعل، والتهب، وحتى شبه السريع بنارٍ متقدةٍ، والساكن بماءٍ جامدٍ، وقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ كقوله : ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾[٦]، وقوله: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا ﴾[٧]، قيل: معنى المستقر القبور، والآية محمولةٌ عليها، فقد قال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ [٨]، والمتاع: انتفاعٌ

١- هذا شطر بيت وعجزه : ولولا السماء لَجُزْنا السَّماءَ وهو في مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد بلا نسبة . ج ٥: ص٣٠٢.

٢- هذا شطر بيت للبحترى وعجزه :-

كأنه لسكون الجأش منحدر

وهو من قصيدة قالها يمدح فيها على بن مر الطائى ومطلعها :-

في الشيب زجر له لوكان ينزجر وواعظ منه لولا أنه حجر

ديوان البحتري - ج : ٢ - تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ، ط : دار المعارف.

٣ - في (أ - ص) منه.

٤ - سورة الزخرف : الآية (٦٧)

٥ - في (و - ج) ونوسوس وهو تحريف.

٦ - سورة النمل : الآية (٦١).

٧ - سورة البقرة : الآية (٢٢).

٨ - سورة المرسلات : الآيتان (٢٥)، (٢٦).

ممتدُّ الْوَقْتِ، ومنه قيل: مَتَّعَهُ الله بِكَذَا، ومنه: مُتْعَةُ الْحَجِّ، وَمُتْعَةُ الْمُطَلَّقَةِ، ومَتَاعُ الْبَيْتِ، ومن قال: عَنَى بـه الْحَيَاةَ، فَلأَنَّهُ عَمَدَ إلى أشْرَفِ نوعٍ من المتاع، ففسره به، ولحين وقت بلوغ الشئ ويُتَخَصَّصُ[1] بالمضاف إليه، ولما كان أحيان الأشياءِ يختلف، نظر بعض المفسرين إلى المضاف إليه لفظ الحين، ففسره به، وقال: إنه يجئ على أوجهٍ، فالحين: الأجل، لقوله: ﴿ وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[2]، والسَّنَةُ، لقوله: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾[3]، والسَّاعَةُ، لقوله: ﴿ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[4]، والزمان لقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾[5]، واختلاف ذلك لاختلاف[6] المضاف اليه، وفي الآية تحذيرٌ من الشيطان، كما قال: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾[7] الآية والتحذير من كل غرور ومن الركون إلى الدنيا، والتنبيه على أنها دارُ مَمَرٍّ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ مَقَرٍّ.

[وبالله التوفيق][8]

١ - في (أ - ص) ويخصص.
٢ - سورة يونس : الآية (٩٨).
٣ - سورة إبراهيم الآية (٢٥)
٤ - سورة الروم : الآية (١٧).
٥ - سورة الإنسان : الآية (١).
٦ - في (أ - ص) باختلاف.
٧ - سورة الأعراف : الآية (٢٧).
٨ - زيادة في (أ - ص).

قوله عز وجل :

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية : (٣٧)- سورة البقرة.

التلقي كالتلقن، إلا أن التلقي يقتضي استقبال الكلام وتصوره، والتلقن يقتضي الحذْقَ في تناوله، والتلقف يقاربه، لكن يقتضي الاحتيال[١] في التناول، الكلم:التأثيرُ المدرَكُ بإحدى الحاستين السمْعِ والبَصَرِ[٢] ، فالكلام مُدْرَكٌ بحاسَّةِ السَّمْعِ[٣]، فكلمته: جرحته جراحة بان أثرها[٤] ولاجتماعهما في ذلك قال الشاعر:

والكلم الأصيل كأرغب[٥] الكلم [٦]

وقال:

وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ.[٧]

والكلمات التي تلقاها آدم من ربه قيل : هي قوله: **﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[٨]، وقَالَ الحَسَنُ: هو قوله: «أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ ألم تُسْكِنِي جَنَّتَكَ؟ ألم تُسْجِدْ لِي مَلَائِكَتَكَ؟ ألم تسبق رَحْمَتُكَ غَضَبَكَ؟، فقال تعالى له: بَلَى، قال: أرأَيْتَ إن تبتُ تبتَ عليَّ وَأعدتني

---

١ - في (و - ج) الاعتيال - هو تحريف
٢ - في و - ج) العين والأذن
٣ - في (و - ج) الأذن.
٤ - في (١ - ص) أثرهما وهو تصحيف.
٥ - في (و - ج ، ١ - ص) كأرغب وهو تصحيف.
٦ - هذا عجز بيت لطرفة بن العبد من أبيات له يهدد بها المسيب بن علس، والبيت بتمامه:

بحسام سيفك أو لسانك وال ـكلم الأصيل كأرغب الكلم

وهو من قصيدة مطلعها :-

إن امرءاً سرف الفؤاد يرى عسلاً بماء سحابة شتمى

والبيت في ديوان طرفة ص ٨٧، والصناعتين ص ٤٣٩، والمعاني الكبير ج: ٢ ص ٨٢٣، ومفردات الراغب، ص٧٢٢،شرح ديوان طرفة ص ٨٥، ٨٦.

٧ - هذا عجز بيت لإمرئ القيس وشطره

ولو عن نثا جاءني غيره وجرح اللسان كجرح اليد

وهو من قصيدة يتهدد فيها بنى أسد ومطلعها :-

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخلي ولم ترقد

وهو في ديوانه ص ٨٤ ، ومنثور الفوائد ص ٢٣، والخصائص ج: ١ ص٧ والصناعتين ص ٤٣٩، ومفردات القرآن ص ٧٢٢.

٨ - سورة الأعراف : الآية (٢٣).

إلى الْجَنَّةِ؟ (١) قال: نعم، فهذا يعني قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ وقيل: إنه قال تعالى له: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً ثُمَّ تَابَ قَبِلْتُ مِنْهُ، وَهذا يقاربُ الأول، وقيل: (إنها قبول الأمانة المعروضة على السماوات والأرض المذكور في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾(٢) الآية، وقيل: هو حروفُ التَّهَجِّي وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهَا من الأسماء التي كانت قَدْ عَلَّمَهَا وما انتتج منها من العلوم الحقيقة والأعمال الفاضلة، فإن أصل الإيمان العلوم الصادقة والأعمال الصالحة، فمن الحروف تتركبُ مفردات الألفاظ، نحو: زيدٌ، عمرو، وذهب، خرج، من، عن، ومن المفردات "تركب المقدمات المفردة، نحو: زَيْدٌ خَارِجٌ، وعَمْرُو ذَاهِبٌ، ومن المقدمات تتركب الأدلةُ والأخبار المؤلَّفَةُ، ومن الأدلة المفردة الصادقة(٣) يُتَوَصَّلُ إلى حقائقِ العُلُومِ، وبحقائق العلوم يُتوصَّلُ إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وبمجموعها يحصل الإيمانُ الَّذِي يتحقَّقُهُ، ويصير الإنسانُ تامَّ التَّوْبَةِ مُتَطَهِّراً من النقيصة، محبوباً لرب العزة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٤)، والمتحقق بذلك لا محالة يَتوب الله عليه، وقيل: إنَّ هذه الكلماتِ هي التي ذكرها الله تعالى(٥) في قصةِ إبراهيم -عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾(٦)، وهي خِصالٌ مذكورةٌ في ثلاثة مواضع من القرآن..

أحدها في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٧)، والثاني في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٨)، والآيات إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٩)،

١ - عن ابن عباس في الآية قال: أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال بلى، قال: أى رب ألم تنفخ في من روحك ؟ قال بلى. قال: أى رب ألم تسبق إلى رحمتك قبل غضبك ؟ قال نعم. قال أى رب أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة. قال: نعم. انظر :الدر المنثور ج:١-ص١٤٣ ومفردات ألفاظ القرآن ص٧٢٣.

٢ - سورة الأحزاب : الآية (٧٢).

٣ - في (أ - ص) والأخبار الصادقة.

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٢٢).

٥ - أ - ص) هي المذكورة.

٦- سورة البقرة : الآية (١٢٤).

٧ - سورة التوبة : الآية (١١٢).

٨ - سورة المؤمنون : الآية (١).

٩ - سورة المؤمنون : الآيتان (١٠، ١١).

والثالث: في سورة "سَأَلَ سَائِلٌ"، وهو قوله: ﴿ **إِلاَّ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ** ﴾[١]، الآيات إلى قوله ﴿ **أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ** ﴾ [٢] فهذه الخصالُ الثلاثُ فَرَّقَ من الناس[٣] العلماء والحكماء والكُبَراء المعنيين بقول النبي ﷺ "سَائِلِ الْعُلَمَاءَ، وخَالِطِ الحكَمَاءَ، وجَالِسِ الْكُبَرَاءَ"[٤]، ولكل فرقة مقاماتٌ معدودةٌ يترتب بعضها على بعض، وهذه مسألةٌ كثيرةٌ قد أَحْكَمْتُهَا في كِتَابِ (**شَـــرَفِ التَّصَوُّفِ**)[٥]، وبينتُ تخصيص كل مقام وهذا القول والذي تقدمه يتقاربان عند الحقيقة، غير أن الأول نظر إلى المبدأ، والثاني إلى الغاية، وذلك مذكورٌ هناك[٦]، ثم التوبة: تركُ الذَّنْبِ على أَحْدِ الْوُجُوهِ، وهُوَ ضَرْبٌ من الاعتذار، فإن الاعتذارَ على ثلاثة أوجه، إمَّا أن يَقُولَ الْمُعْتَذِرُ: لَمْ أَفْعَلْ كَذَا، ويقول: فعلتُ لأَجْلِ كَذا، أو يقول: فعلتُ وأسأتُ، وقد أقلعت، ولا رابع لذلكَ، وهذا الأخير هو التوبة، فإذاً: التوبةُ ضَرْبٌ من الاعتذار. والتوبة والأوبة والاستغفار متقاربة وبحسب ما اختلفت فيها الاعتبارات اختلفت عليها الْعِبَارَاتُ، (الإنابة) الرجوع عن طريق الضلال إلى الهدى، والأوبة: رجوعُ القلب إلى الحق والوقوف عليه، والاستغفار: طلب الغفران قولاً وفعلاً، أي : تعاطي ما يَغْفِرُ ما تقدَّمَ مِنَ الذنب، والتوبةُ التامةُ المعتدُّ بها: تركُ الذنب، والندمُ عليه، وهو العزم على أن لا يعود إليه، وتداركُ ما تقدم وهو رد المظالم "مظلمة الخلق، ومظلمة الخالق"، ومظلمة الخالق: هي إِعَادَةُ ما ترك[٧] من العبادات، وإذابة ما استفاد جسمه من الحرمات[٨]، ألا تَرَى إلى قوله [عليه السلام] «**كل لَحْمٍ نبت مِن سُحْتٍ النار أَوْلَى بِهِ**»[٩]، والتواب: يقال في العبد، وفي الرب، لكَن العبد تائبٌ إلى الله -عز وجل-، والله تائبٌ على عبده، وقوله: ﴿ **إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ جَمَعَ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ - تنبيهاً على أنه مع تَرْكِ ذَنبه، عَلَيْهِ لا يخليه مِنَ

---

١ - سورة المعارج : الآيتان (٢٢، ٢٣).

٢ - سورة المعارج : الآية (٣٥).

٣ - ساقطة من أ - ص).

٤ - هذه إشارة من الراغب إلى أن له كتاباً في علم التصوف، غير أننا لم نستطع العثور عليه مخطوطاً في مظان مخطوطات الراغب مما يشير إلى أنه مفقود حتى الآن.

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - في (أ - ص) فالإنابة.

٧ - في (١ - ص) المتروك.

٨ - في (١ - ص) الشبهات.

٩ - الحديث عن أبي بكر عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «كُلُّ جَسَدٍ نبت من سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ» أخرجه البيهقي وأبو نعيم، قال المناوي: وسنده ضعيف، والمشهور على الألسنة: «كُل لحمٍ بنت من الحرام فالنار أولى به». راجع : كشف الخفاء للعجلوني - ج: ٢-ص١٢١.

الإحسَانِ إلَيْه، ولم يقل : تاب عليهما لما تقدم أنه جعلها تابعةً له، لا مقصوده في نفسها. وفي الآية تنبيهٌ يعني هو أنه متى تلقينا منه ما أنعم به علينا من العلوم، واستعملناه، واعترفنا بذنبنا، وطلبنا منه التجاوز عنه، ونحن في مُهْلَةٍ من الحياة تاب علينا وأحسن إلينا.

قوله - عز وجل :

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

الآية : (٣٨)- سورة البقرة.

والمجئ، والإقبال، والإتيان متقاربةٌ، غير أن المجئ عام، والإقبالَ مجئٌ من ناحية القُبُل، والإتيانَ مجئٌ عن بُعْدٍ، ومنه قيل: الآتي" للغريب، وللسبيل "الجائي" من بعيد، و"آتيته": أي : "أعطيته" منقولٌ عن أتيته و"اتوته"، وهما لغتان، والاتباع، والإتلاء، والاحتذاء، والاقتداء تتقارب، فالإتلاء[١]: مجيءٌ بعد آخر بلا فاصلٍ بينهما من جنسهما، والاحتذاء منقولٌ من حذو الفعل بالفعل، والاقتداء[٢]: اتباعٌ على مدى، أي على قدر المتَّبَع بلا تَجَاوُزٍ ولا تأخُّرٍ، والاتباع عامٌ في كل ذلك، ومنه قيل في الرعية[٣] "أتباع"، و"سُمِّي العجلُ التابعُ لأمه تبيع[٤]"، والخوف، والفزع والحذر، والرهبة، والهيبة، والخشية، والوجل، والشفقة تتقارب، فالخوف توقع مكروهٍ عن أمارةٍ وذلك للمذنب، ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[٥]: «**لاَ يَخَافَنَّ** [٦] **امْرُؤٌ إلاَّ ذَنْبَهُ، وَلاَ يَرْجُوَنَّ إلاَّ رَبَّهُ**»، والفزعُ: اضطرابٌ عَنْ وَهْمٍ، كمن يسمع هَدَّةً فاضطرب، والحَذَرُ: خوفٌ مع احتراز، والرهبة خوفٌ مع اضطراب واحترازٍ، والهيبة: رهبةٌ مع استشعار تعظيمٍ، والشفقة: خوفٌ مع محبةٍ، ولذلك قيل: الخوف والحذر للمذنب، والرهبة للعابد، والخشية للعالِم، والهيبةُ للعارف، والحُزْنُ خُشُونَةٌ تعتري النفسَ، مُشتقٌ من حُزُونَةِ الأَرْضِ.

---

١ - في (أ - ص) فالاتباع.

٢ - في (و - ج) والإقبال.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - في (أ - ص) تبيعاً، وهو الأصح.

٥ - في (و - ج) عليه السلام.

٦ - في (أ - ص) لا تخافن، وهو تصحيف.

ولذلك يقال: خَشُنت بِصَدْرِهِ، وقيل: الحُزْن والغضب من جنسٍ واحدٍ، وقد تقدم الكلام فيه. والفائدة على تكرير قوله: (اهْبِطُواْ)، لتكرير الشرط المقرون به، فإن الأول قرن بحال العداوة الثانية بينهم وسكونهم في الأرض إلى مدةٍ متناهيةٍ، والثاني: بيَّن به أنهم وإن اشتركوا في الْهُبُوطِ، فهم متبانيُونَ في الحكم، فإنَّ مَن اتبع [1] هدايته، فهو على سبيل الخلاص، إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: فمن تبعه فيستغنى بالضمير عن التكرير، فقد استقبح في باب البلاغة تكرير اللفظة الواحدة في الجملة الواحدة حتى استرذل **قول الشاعر:**

لاَ أرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ

نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَا وَالْفَقِيرَا [2]

وقول آخر مع جودة معناه[3]

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُنْتَضَى

وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُغْمَدُ [4]

قيل: إن ذلك يُسْتَقْبَحُ إذا لم يَحْصُلْ في الثاني معنى غير المعنى الأول كالبيت. والآية بخلاف ذلك، فإن الهدى من الله ضربان، ضربٌ بالعقل، وضرب بقول الرسل، وأراد تعالى بقوله: **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾** ما يأتي على ألسنةِ الرُّسُلِ - عليهم السلام-، وَبِقَوْلِهِ: هداي ما على لسانهم، وما كان من جهة العقل، فَنَبَّهَ أنَّ مَنْ أتَاهُ رسُولٌ وَرَعَاهُ مَعَ رِعَايَتِهِ لمقتضى العقل فَهُمُ الأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ لاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هم يحزنون، إن قيل: كيف نفى الخوف عن الأولياء في مواضع نحو قوله:

---

١ - في (أ - ص) تبع.

٢ - البيت من قصيدة لعدي بن زيد، وقيل لابنه سوادة بن عدي، والصحيح الأول، وهو من قصيدةٍ أولها:

طَالَ لَيْلِي أُرَاقِبُ التَّنْوِيرَا   أَرْقُبُ اللَّيلَ بِالصَّبَاحِ بَصِيرَا

وعدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من بني امرىء القيس بن زيد مناة بني تميم راجع: الكتاب- لسيبويه- ج:١-ص٣٠ أمالي ابن الشجري-ج:١-ص٢٤٣، ص٢٨٨- الخصائص- لابن جني-ج:٣-ص٤٣- شواهد المغني-ص٢٩٦. خزانة الأدب- البغدادي ج:١١-ص٣٧٩ -ج:٢-ص٥٣٤، ج:٣-ص٥٥٢. لسان العرب مادة : نغص.

٣ - في (أ - ص) واستقبح قول الآخر.

٤ - لم أهتد إلى قائله.

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١] ومدحهم بذلك في مواضع نحو قوله: **﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾**[٢]، وقوله: **﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾**[٣]؟ قيل: أما نفي الخوف والحزن عنهم، فقد قيل: لفظه الخبر، ومعناه:النهي كقوله: **﴿ لاَ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا ﴾**[٤] وقيل هو خبرٌ، لكن مَدَحَهُمْ بها في الدنيا، وحَثَّهُم عليها[٥]، وأَمَّنَهُمْ منها [٦] في الآخرة، كما روى: "مَنْ خَافَ اللهَ في الدُّنْيَا أَمَّنَهُ اللهُ في الآخرة»، وعلى ذلك حكى عنهم بقوله تعالى: **﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾**[٧]، وأيضاً: فإن الخوف الذي مُدِحَ به المؤمنون، وحُثُّوا عليه لَيْسَ يُرَادُ به استشعارُ الرُّعْبِ المترَقِّبِ مَضَرَّتُهُ، وإنَّما يُرَادُ بِهِ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ المأمورِ بِهَا المذكور في قوله: **﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾**[٨]، والكَفُّ عن المعاصي، ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى الْمَذْكُورِ [٩] في قَوْلِه:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[١٠].

والخوف والحزن المنفيان عنهم استشعار الغم الذي يكون من ذوي العُدْوَانِ، وكذلك رُوِيَ: (لاَ يَرْجُوَنَّ امْرُؤٌ إِلاَّ ربه ، وَلاَ يَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ)[١١].

وأيضاً فالحزن إنما يكون لفَوْتِ مَحْبُوبٍ، والخوفُ يَكُونُ لفَقْدِ مَطْلُوبٍ، والمُتَّبِعُ لهدى الله هو الْمُؤْمِنُ الحكيم[١٢] الَّذِي لا يَقْتَنِي لِنَفْسِهِ فُضُولاً من[١٣] الأَعْرَاضِ، وما اقتناه لضروراته علم إنه يعرض الأعراض وأنه[١٤] عاريةٌ مُسْتَرَدَّةٌ، فلا يُحْزَنُ على استردادها، ولا يطلب المستغني عنه، وما طلبه بعد وُجُوبِهِ عليه طلبه عالماً أَنَّ الله لا يبسط لأحدٍ دنيا[١٥] إلا اغتراراً واختباراً، فإذا مَنَحَ قَامَ بِحُقُوقِهِ شاكِراً، وإذا منع استغنى عنه صابراً، فهؤلاء لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ فِي دُنْيَاهُمْ.

---

١ – سورة يونس : الآية (٦٢).

٢ – سورة الرعد : الآية (٢١).

٣ – سورة الإسراء: الآية (٥٧).

٤ – سورة فصلت : الآية (٣٠).

٥ – في (و – ج) عليهما.

٦ – في (و – ج) منهما.

٧ – سورة فاطر : الآية (٣٤).

٨ – سورة النحل : الآية (٥٠).

٩ – في (و – ج) المذكورة وهو تصحيف.

١٠– سورة النازعات : الآيتان : (٤٠، ٤١).

١١، ١٢–ساقطة من (أ – ص).

١٣ – في (أ – ص) فضولات الأعراض.

١٤– في (أ – ص) وأنها.

١٥– في (أ – ص) ذنباً وهو تحريف.

قوله - عز وجل :

﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ «الآية (٣٩) - سورة البقرة».

الاصطحاب، والاجتماع، والاقترانُ تتقارَبُ، فالاجتماع أعمُّ مَعْنى، الاصطحاب: اجتماعٌ مع طول لَبْثٍ، والاقتران يقتضي شداً ما، إما صنعة، كاقتران بعيرٍ ببعيرٍ، وإما حكماً، كاقتران الصديقين واقتران العلة بالمعلول، وقولهم: "أديم مصْحَبٍ"، أي: أصحب الشعر الذي كان عليه فلم يجز عنه، وأصحب الرجل إذا صار ذا صاحب، ولما كان الأصحاب مقتضياً للانقياد، فسره أهل اللغة به، والتكذيب بالآيات بعض الكفر وتمامه، فإنَّ فيه مع تعاطي الكفر بالفعل[١] جُحُوداً باللسانِ وتخصيصه بعده نحو قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**[٢] في أنَّ[٣] عمل الصالحات بعضُ الإيمانِ وتمامُهُ، وليس يعني بالآيات القرآن فقط، بَلْ يُرادُ بها مع ذلك الآيات التي في السَّمَاوَاتِ والأرْضِ الدالة على الوحدانية المستحث على اعتبارها[٤]، بنحو قوله: **﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[٥]، إن قيل: لم قال ههنا: **﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** وقال في الحج[٦]: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**[٧] قيل: الاسم الموصول، والنكرة الموصوفة[٨] متى ضمنتا معنى الشرط قد تدخل "الفاء" في خبرها تنبيهاً على معنى الشرط، ويجوز ترك ذلك منه بقول[٩]: "الذي يأتيني[١٠] له درهم، والذي يأتيني فله درهم"[١١].

---

١ - ساقطة من (أ - ص).
٢ - سورة الرعد : الآية (٢٩).
٣ - في (و - ج) وأن.
٤ - في (أ - ص) على اعتبارهما.
٥ - سورة يوسف : الآية (١٠٥)
٦ - في (أ - ص) في غيره.
٧ - سورة الحج : الآية (٥٧).
٨ - في (أ - ص) الموصولة.
٩ - في (أ - ص) ويجوز تركه منه نحو.
١٠،١١- في (أ - ص) يأتيني.

قوله - عز وجل :

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

الآية : (٤٠)- سورة البقرة.

الابن: من البناء، وسمي بذلك لكونه كالمبني لأبيه، وكل مصنوعٍ يُنسَبُ إلى صانعه وآلته، فيقال هو ابنه، وللصانع يقال: هو أبوه، وعلى هذا يقال: فلانٌ ابنُ الحرب، وأبو الحرب، وبتسمية الصانع أباً للمصنوع، والمصنوع [١] ابناً للصانعِ أُطْلِقَ على ما حُكِيَ في شريعةِ مَنْ تَقَدَّمَنَا[٢] "أبناء الله"، ثم تصور ذلك الجهلة والأغبياء[٣] معنى الولادة، فحظَرَ إطلاقَ ذلك حتى صار التفوُّهُ بِهِ يُعَدُّ كُفْراً، والوفاء مُرَاعَاةُ العَهْدِ، والغَدْرُ تَضْييعُهُ، كما أن الإنجاز مراعاةُ الوعد، والإخلاف تضييعه والوفاء والإنجاز في الفعل كالصدق في المقال[٤]. والعذر والاخلاف كالكذب فيه، وقيل: وَفَّى وأَوْفَى بمعنى، والصحيح أن أوفى أبلغ مِنْ وَفَّى، كما أن "أَسْقَى" أبلغُ من "سَقَى"، والخِطَابُ وإن كان لبني إسرائيل لقولهم مقصودين بالتبكيت لنسيانهم نعم الله تعالى وكون نعمته عليهم أظهر، فالناس طُرّاً يُشَارِكُونَهُمْ في وجوب ذكر نعمه عليهم، وقد تقدم ذكر تفاصيل النعم. إن قيل: ما فائدة تقييد النعمة بقوله: أنعمت عليكم؟ قيل: نظر الإنسان إلى نعم الله ضربان، أحدهما: نظره[٥] إلى نعمة الله تعالى التي [تختص به في نفسه دون ما اختص به غيره.][٦] وذلك يفيده رضاً عن المنعم وشكراً له ومعرفة ما على غيره من النعم، والثاني: نظره إلى نعمة الله على غيره ونسيان ما قد خُصَّ بِهِ في نفسه، وذلك يجلب إليه سخطاً على ربه، وكفراناً لآلائه، وحَسَداً على عِبَادِهِ، ولهذا قيل:

«انظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَلاَ تَنظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَذَلِكَ أَجْدَرُ أَن لاَ تَزْدَرِي بِنِعْمَةِ رِبكَ»[٧].

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - في (و - ج) فينا وهو تحريف.

٣ - في (أ - ص) جهلتهم وأغبياؤهم.

٤ - في (أ - ص) القول.

٥ - في (أ - ص) نظر.

٦ - في (أ - ص) يختص به في نفسه دون ما اختص به في غيره.

٧ - في (أ - ص) بنعمة الله، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي دز قال: قلت: يارسول الله أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك، قلت. يارسول الله زدني قال: "عليك بتلاوة القران ودكر الله، فإن ذلك لك نور في السماوات ونور في الارض.، قلت يارسول الله زدني، قال: لا تكثر الضحك فإنه يميت القلب ويذهب نور الوجه:... قلت يارسول الله زدني قال: انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه آجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك".. الخ الحديث قال الطبراني' وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج:٤-ص٢١٦، ورواه ابن ماجة في حديث رقم ٤٢١٨ وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة.. المعجم الكبير- للطبراني-ج:٢-ص١٦٧، ١٦٨ حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي ط وزارة الأوقاف - بغداد.

وعهود الله كثيرةٌ، بعضها مرتبٌ على البعض[١]، والوفاءُ بكل واحد مُقابلُه، فأولُ منزلتِه إظهارُ الشَّهادَتين ويقابله من الله تعالى حَقْنُ الدِّمَاءِ وَالأموال كما قال -عليه السلام **«مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مني مَالَهُ ودمه»**[٢]. وآخره ما كان من أولياء الله في حفظ النظرات والخطرات، ويقابله من الله تعالى: **(مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)**[٣]، وبينهما وسائط كثيرةٌ لها من الله تعالى مقابلاتٌ، ولما كان من مَبْدئِهِ إلى منتهاه عَرَضاً كثيرًا نَظَرَ كُلُّ واحدٍ من المفسرين للآية نظراً ما صارت به أقوالهم مختلفةً في الظاهر بحسْبِ اختلاف نظراتهم، فروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما[٤]- أن الإشارة بذلك إلى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٥].

وروى عنه «أَوْفُوا بِعَهْدِي» في اتِّباعِ محمدٍ أُوفِ بعهدكم في رفع الإصر والأغلال التي في أعناقكم».

وقيل: أَوْفُوا بِعَهْدِي في ترك الْكَبَائِرِ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ في غُفْرَانِ الصَّغَائِرِ، وقيل: أَوْفُوا بِعَهْدِي في أَدَاءِ الْفَرَائِضِ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ في الإِثَابَةِ عَلَيْهَا)، وقيل: (أَوْفُوا بِعَهْدِي في الاهْتِدَاءِ إِلى طريق الاسْتِقَامَةِ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ في الزيادة في الاهتداء وإيتاء الاتِّقَاءِ- إشارةً إلى ما قال:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[٦]، وهذه الأقاويل اختلفت إما بحسب اختلاف النظرات، أو بحسب اخْتِلَافِ الْعِبَارَاتِ، وفيما بين من الأصل معرفة نظر الكل، وإن عامة أقوالهم لا

---

١ - في (أ - ص) البعض.

٢- الحديث أورده البخاري فى صحيحه فى كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة ، وهو فى فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني من حيث نعيم بسنده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله - ص : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ، وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج:٢ - ص ٢٣٠ - حديث رقم ٣٩٢ .

٣- سبق تخريجه وأخرجه المنذري فى الترغيب والترهيب وقال رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وروى البخاري ومسلم بعضه ج:٤ - ص ٥٢١ طبعة مصطفى بابي - الحلبي سنه ١٩٥٤ م الطبعة الثانية.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - سورة المائدة : الآية (١٢).

٦ - سورة محمد : الآية (١٧).

تخرج عن الصواب - إن شاء الله -.

وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[١]، فقال بعض المحققين في اعتبار الآيتين دلالةً على تشريف هذه الأمة في أنه لَمَّا خَصَّهُمْ بفضلِ فَهْمٍ وعَقْلٍ، أمرهم بذكره بلا واسطة، وأمر بني إسرائيل أن يجعَلوا ذكر الآية وصْلَةً إلى ذكره، وذلك فصلٌ قد أحكم في كتاب: (شَرَف التَّصَوُّفِ)[٢]، وقوله: "فَارهَبُونِ"، تقديره: ارْهَبُونِي، فحذف الياء لدلالة الكثرة عليه، وكون الفواصل كالقوافي، وفائدة تكرير الضمير توكيدٌ للحث على رهبته، وأنها لا يجوز أن تكون إلا منه تعالى دون غيره، ومثله في تذكيرهم نعمة [٣] الله تعالى ما حكاه تعالى[٤] عن موسى حيث قال لهم: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا وَآتَاكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٥]

قوله - عز وجل -

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾

«الآية :(٤١)- سورة البقرة».

قد تقدم أن الإيمانَ مقتضٍ للعلمِ اليقيني، ففي ضمن قوله تعالى: (آمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ) حَثٌّ على استفادة العلم، إذْ[٦] لاَ يَحْصُلُ الإيمانُ الحقيقي من دونه، ونبه بقوله تعالى: (مصدقاً لما معكم) أن لامُنَافَاةَ بين ما أتى به الأنبياء من أصول العبادات، وأنهم كنفسٍ واحدةٍ من حيثُ يَتَسَاوَى دعاؤُهُمْ إلى التوحيد والأركان الثلاث من الشرائع التي هي العبادات الخمس وأحكام الحلال والحرام والمزاجر، وإنما الاختلاف بينهم في جزئيات الأحكام وفروعها كيفما تقتضيه مصلحة قومٍ وزمان، فكلٌّ مصدّقٌ للآخر فيما أتى به من أنَّ كُلِّيَاتِ شرائعِهِمْ متساويةٌ، وأن فروعها حقٌّ[٧] بحسب الإضافة إلى زمان كلِّ واحدٍ منهم، وأمته حتى لو كان أحدهم في زمن الآخر لم ير المصلحة إلا فيما أتى به الآخر، ولذلك قال عليه السلام: «لَوْ نُشِرَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ لَمَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعِي»، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي لا تكونوا أئمة في الكفر، فيقتدي بكم تباعكم، فتكونوا حاملين لأوزاركم وأوزارهم، كما قال تعالى

١- سورة البقرة : الآية (١٥٢).
٢ - سبقت الإشارة إلى هذا المؤلف من مؤلفات الراغب الأصفهاني والذي يعد من المصنفات المفقودة للراغب فيما وصل إلى علمنا .
٣ - في (أ - ص) نعم.
٤ - ساقطة من (أ - ص) .
٥ - سورة المائدة : الآية (٢٠).
٦ - في (و - ج) أن ، وهو تصحيف.
٧ - ساقطة من (و - ج).

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١] وذلك إشارةً إلى ما قاله عليه السلام «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَمَن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» [٢] وقيل: معنى "أول" المتقدم بالشرف كقولهم: «حَاتِمُ أَوَّلُ الأَسْخِيَاءِ، وَمَارِدُ أَوَّلُ اللِّئَامِ"، والمعنى : لا تكونوا أرفع كافرٍ منزلةً في الكفر، وذاك أن محمداً : عليه السلام- لما كان آخر الأنبياء وكان متمماً لشرائع مَنْ تقدمه، كما روي عنه- عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى بُنيَاناً، فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا، وَتَرَكَ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَأَنَا كُنْتُ مَوْضِعَ اللَّبِنَةِ»[٣]، فصار الكافر به كالكافرِ بجَميعِهِمْ، فإن من شرط الإيمان بهم أن يُضَامَّهُ الإيمان به، وإلا لم يُعْتَد بإيمانه بهم، والهاء في قوله تعالى: "به" ضمير "مَا أَنزَلْتُ"، وقيل: هو ضمير "مَامَعَكُمْ"، إنْ قيل: لم قال: "وَلَاتَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ" وأنت لا تقول "كُونُوا أَوَّلَ رَجُلٍ" وإنما تقول "رِجَالٌ"؟، قيل: إن ذلك معناه: "أول فريقٍ كافرٍ أو خرب مما لفظه المفرد، ومعناه الجمع على ذلك قول الشاعر:

فَإِذَا هُم طَعِمُوا فَأَلأَمُ طَاعِمٍ وَإِذَا هُمْ جَاعُواْ فَشَرُّ جِيَاعِ [٤].

وقد أجاز بعضهم إخوتك أول رجل، أي أول الرِّجَالِ إذا كانوا رجلاً رجلاً، والقليل والكثير من الأسماء المتضايفه، ويعتبران بالغير وليس استعمال القلة في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾، لأجل اعتبار ثمنين من أعراض الدنيا، كما تصوره بعض الناس فاعترض على الآية، وقال: ذلك

١ - سورة النحل : الآية (٢٥).

٢ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من طريق جرير بن عبدالله البجلي في ج:٤-ص٣٥٧، ص٣٥٩، ص٣٦٠.
وأخرجه الزبيدي في :إتجاف السادة المتقين في ج:١ ص٣٤٨، ج:٨ ص٣٠٢ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم : ٤٣٠٧٨ وأخرجه الإمام مسلم في باب الزكاة-ص٦٩، وأخرجه البيهقي في سننه ج:٤-ص١٧٥، وأخرجه النسائي والترمذي وابن ماجة من طرق، والدارمي وأبو عوانة وابن حبان من طريق جرير بن عبدالله البجلي.

٣ - الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «فُضلت على الأنبيا بست. إلى أن قال: مثلي ومثل الأنبيا عليهم الصلاة والسلام كمثل رجل بني قصرا فأكمل بناءه، وأحسن بنيانه إلا موضع لبنة، فنظر الناس إلي القصر فقالوا : ما أحسن بنيان هذا القصر لو تمت هذه اللبنة- ألا فكنت أنا اللبنة- ألا فكنت أنا اللبنة» المسند-ج: ٢-ص٤١٢، ورواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب.. ج: ٤ ص١٦٢، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ج" ٥-ص١٧٩٠- ج رقم: ٢٢٨٦.
والحديث رواه الترمذي في باب ما جاء في مثل النبي (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء قبله حديث رقم ٢٨٦٢ وهو مروي عن أبي بن كعب وأبي هريرة، وقال فيه الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

٤ - هذا البيت في نوادر أبي زيد ص١٥٢ لرجلٍ جاهلي، وفي معاني القرآن للفراء- ج:١-ص٣٣، وتفسير الطبري -ج:١-ص٥٦٢، وأورده السمين الحلبي فى تفسير الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون رقم ٤٠٧ ،تحقيق. الدكتور أحمد الخراط طبعة: دار القلم- دمشق.

يَقْتَضِي جَوَازَ اشْتِرَاءِ الثَّمَنِ الكَثِيرِ بآياتِ اللهِ، بل جَعَلَ الاعتبار ههنا بمنافع الدنيا والآخرة، وقد علمنا أن منفعة الدنيا طفيفةٌ، إذا اعتُبِرَتْ بمنفعة الآخرة، وإذا كان كذلك، فمن اشترى بآيات الله منافع الدنيا، وترك منافع الآخرة، فقد خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً، كما حُكِيَ عن "المنصور" لما حضرته الوفاة، قال: أُف لَنَا، بِعْنَا نَعِيمَ ٱلآخِرَةِ بِنَوْمَةٍ، **وقال الشاعر:**

وإنِ امْرَءاً يَبْتَاعُ دُنْيَا بِدِينِهِ … لمُنْقَلِبٌ مِنْهَا بِصَفْقَةِ خَاسِرِ (١)

وعلى هذا قوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ .

الآية : (٧٩)- سورة البقرة.

وإنما ذكر في الآية الأولى، (فَارْهَبُونِ)، وفي الآية الأخرى (فَاتَّقُونِ)، لأنَّ الرَّهْبَةَ دُونَ التقوى، فَحَيْنماً خاطَبَ الْكَافَّةَ عَالِمَهُمْ ومُقَلِّدَهُمْ، وحثهم على ذكر نعمه التي يشتركون فيها، أمرهم بالرهبة التي هي من مباديء التقوى، وحينما خاطب العلماءَ منهم، وحَثَّهُمْ على مُرَاعَاةِ آياته والتنبه لما يأتي به أولو العَزْمِ من الرسل، أَمَرَهُمْ بالتَّقْوَى التي هي مُنْتَهى الطَّاعَةِ..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «الآية (٤٢) - سورة البقرة.

اللبس والستر، والتغطية، والتعمية، والتمويه، والكتمان، والإخفاء يتقارب، فالستر أعمُّ الألفاظ، لأنه يُقَالُ في المحسوس والمعقول "سَتَرْتُ كَذَا بِثَوْبِي"، وسَتَرْتُهُ فِي نَفْسِي، والتَّغْطِيَةُ في الأعيان فقط، واللَّبْسُ أصْلُهُ في الثَّوْبِ، ثم يقال في المعنى أيضاً، وذلك أن يُخْلَطَ حقٌّ بباطل، وصدقٌ بكَذِبٍ، والتعمية: ما جعل الإنسان عن إدراكه كالأعمى، والتمويه: ما جَعَلَ على وجْهِهِ مواهةً، والكتمان: يقال في الحديث ونحوه، وقوله: **﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾** أخصُّ من قوله **﴿تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾**، لأن اللبس هو الْخَلْطُ بغيره، والكتمانَ إخفاؤهَ جملةً، والأجود أن يكون قوله: **﴿وَتَكْتُمُوا﴾** جواباً بالواو منصوباً، وإن صح أن يكون عطفاً مجزوماً، فيكون أمراً بخصوص بَعْدَ عُمُومٍ، وقراءة أُبَيّ:

---

١ - لم أهتد إلى قائله

(ولاتكونوا أول كافر به وتشتروا بآياتى ثمناً قليلاً وتكتموا الحق)، ونحو ذلك فى احتمال الجواب والعطف ..

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾[١]، وقوله: (وأنتم تعلمون) تعظيمٌ لارْتِكَاب الذَّنب، فَإِنَّهُ مع العلم بقبحِهِ أَعْظَمُ عُقُوبةً، ولهذا قال بعض الحكماء:

(لأَنْ أَدَعَ الْحَقَّ جَهْلاً بِهِ، أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَدَعَهُ زهداً فِيهِ، ولأن أَتْرُكَ جَمِيعَ الْخَيْرِ جَهْلاً بِهِ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَفْعَلَ أَقَلَّ الشرِّ [٢]، بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِقُبْحِهِ).

وقد تقدم الكلام في الحق، فأما الباطل: فالإثبات له عند الفحص عنه، والحق يناقضه، وذلك عامٌ في الاعتقاد والمقال والفعال. ولذلك قال الشاعر:

لَقَدْ نَطَقَت بَطَلاً عَلى الأَقَارِعِ.[٣]

فاستعمله في القول، وفي الآية حثٌّ على تجنب الشر والنهي عن كل تلبيس وتمويه وإن كانت الآية واردة فيمن آمنوا ببعض الكتاب، وكفروا بالبعض، وجَحَدُوا صفة النبي ﷺ وقول ابن عباس -رضي الله عنهما:[لاتخلطوا الصدق بالكذب وقول بن زيد][٤] لاَ تَخْلِطُواْ الْحَقَّ الَّذِي هو التوراة بِالْبَاطِلِ الَّذِي كَتَبْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، فإشارة إلى بعض ما يقتضيه عموم الآية.

١- سورة البقرة : الآية (١٨٨).

٢- في (أ - ص) شر .

٣ - هذا عجز بيت للنابغة الذبياني وتمامه :-

لعمري وماعمري علي بهينٍ ... لقد نطقتْ بطلاً عليَّ الاقارعُ

وهو من قصيدة مطلعها :-

عفا ذو حساً من فرتني فالفوارع ... فجنبًا أريك فالتلاع الدوافعُ

وهو من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه، ويهجو مرة بن ربيع بن قرين.

وهو فى ديوان النابغة - ص ١٢٤.

٤- ساقطة من (أ - ص).

قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ «الآية (٤٣)- سورة البقرة.

قد تقدم الكلامُ في إقامة الصلاة، فأما الزكاة، فأصلها من :"زَكَا الزرْعُ، فهي بالنظر، العامي: تثميرُ المَالِ باسْتِجْلَابِ بَركة الله -عز وجل-، وبالنظر الخاصي: تَثْميرُ النَّفْسِ، وهو تَطْهِيرُهَا بِإخْرَاج الحقُوقِ من المال. والتزكيةُ قد تقالُ في المقال، نحو: "زكيْتُ فُلَاناً، وعلى ذلك قوله : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾[١]، وذلك نهيٌ عن الثناء على النفس، فإنه من المستقبح بالعقل والشرع، ولذلك قيل لحكيم:

مَا الَّذِي لاَ يُحْسنُ وَإِنْ كَانَ حَقّاً؟ فقال: مَدْحُ الَّرجُلِ نَفْسَهُ. وقد تقال التزكية في الفعال، وهي ما يقتضي تطهير النفسَ المدعُوَّ إليه بقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[٢].

وقلما حث الله تعالى على إقامة الصلاة، أو مدح بها، إلا قرن بها إِيتَاءَ الَّزكَاةِ، فبهمَا يتمُّ الإيْمَانُ، وعليها دل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[٣]، وقوله :(ارْكَعُوا) حثٌّ على الخُضُوعِ وتذَرعِ الخُشُوعِ، وَيَصِحُّ أن يكون مع ذلك- حثاً على مراعاة الجماعات في الصلوات والاجتماع مع المؤمنين في كل مأمور به نحو قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٤)، ولذلك قال: (مَعَ الَّراكِعِينَ).

---

١ - سورة النجم : الآية (٣٢).

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٢٢).

٣ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٤ - سورة آل عمران : الآية (١٠٣).

قوله - عز وجل :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

الآية (٤٤)- سورة البقرة.

البر: التوسعُ في أفعال الخير، بدلالة ما قاله -عليه السلام- وقد سأله أبو ذر عن البر، فتلا عليه قوله تعالى : **﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ ﴾** الآية إلى قوله : **﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾**[١].

فذكر جملة أفعال الخير، فرائضها، ونوافلها، ومكارم الأخلاق كلَّها[٢].

فالبر في ثلاث:

برٌّ في معاملة الله تعالى وعبادته، وبرٌّ في معاملة الأقاربِ ومراعاة حقوقهم، وبرٌّ في مُعَامَلَةِ الأجَانبِ [٣] وإنصافِهِمْ. واشتقاقه من البر الذي هو الفَضَاءُ والسَّعَةُ، ولهذا وُصِفَ المؤمنُ بسعةِ الصَّدْرِ، والكَافرُ بِضِدِّهِ، نحو قوله تعالى:

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[٤].. الآية، فَسُمِّي براً..،

وقد وُصِفَ الله تعالى بِالْبَرِّ كما وُصف به العَبْدُ، يقال "بَرَّ الْعَبْدُ رَبَّهُ"، أي أطاعه، على ذلك قول الشاعر:

.. يَبَرُّكَ النَّاسُ وَيَفْخَرُونَكَا[٥]

والله -عز وجل- برَّ عَبْدَهُ، أي وسَّع عَلَيْه إحسَانَهُ، ويقال: "أَبَرَّ فَلَانٌ عَلَى فُلَانٍ" أي تقدَّمَهُ بِبِرٍّ،

١- سورة البقرة : الآية (١٧٧).
٢- في (أ-ص) جلها .
٣- في (و- ج) الأقارب وهو تصحيف .
٤- سورة الأنعام : الآية (١٢٥).
٥- هذا عجز بيت وشطره :

لَاهُمَّ رَبٌّ إنَّ بَكْراً دُونَكَا .:. يَبَرُّكَ النَّاسُ وَيَفْخَرُونَكَا

وهو في تفسير القرطبي بدون نسبة ج:١ - ص ٣٦٨ .

أي سَعَةٍ مِنَ المَكَانِ، وعلى هذا قالوا: بينهما بون، وقال الشاعر:

فَثَمَّ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ ∴ وَبَيْنَ الْمَرَاجِي[1] نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ[2]

والنسيان: زوال الشئ عن الحفظ، فهو ضربان :

انفعال بغير فعل من صاحبه، وهو المعفو عنه بقوله -عليه السلام- **«رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ»**[3]

وأنه قال بفعلٍ من صاحبه، وهو أن يترك مراعاة المحفوظ حتى يذهب عنه، وهو المذموم بقوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[4]، وقال عليه السلام:

«مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ نَسِيَهُ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ أَجْذَمُ»[5]، ولما ورد هذاالخبر عن النبي – عليه السلام- كره ابن مسعود -رضى الله عنه أن يقول القائل: "نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وقال:

لتقل: "أُنسيتُ"، وَمَنْ جَعَلَ الإنْسَانَ مِن ذَلكَ، فأصله عنده: "أنسيان"، بدلالة: "أُنَيْسِيَانٌ" في تصغيره، ومعنى تلاه: تَبِعَهُ، والتلاوة في القرآن إِتْبَاعُ اللَّفْظ اللَّفْظَ، أَوْ: إِتْبَاعُ اللَّفْظ بِتَدَبُّرِ الْمَعْنَى، وهو المراد بقوله : **﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾**[6]، والعقل: أَصْلُهُ المَنْعُ الشَّدِيدُ، ومنه : "عَقَلَ الْبَعِيرَ" ، وَالْعَاقُولُ: الدَّوَاءُ يُمْسِكُ الْبَطْنَ، والعَقِيلَةُ لِلْنَّفس[7] الْمَمْنُوعِ عَنِ الإِخْرَاجِ، والمعقلة، والعقال، واعتقل لسانه. وقد ذكر الله تعالى "العقل" بأربعة أسماء: "العقل، والنهي، والحجر، واللب" وذلك بأنظارٍ مختلفةٍ-، فأكثرها ذكرالعقل، وذلك لعقله عما يقبح وعلى ما يحسن، والنهي: لكونه ناهياً عن القبائح، والحجر: لجعل صاحبه في حجر عما لا يحسن، واللب: لكون ذلك الجزء من الإنسان، بالإضافة إلى

---

١ - في (و – ج) المرجي وهو تصحيف .

٢- لم أهتد إلى قائله، والنفنف هو الهواء، والمفازة البعيدة ، يقال : قطعت نفنفاً من الارض، وهو أيضاً المكان المرتفع بينه وبين الأرض مهوى ، ويقال بئرٌ بعيدة المنفنف : بعيد ما بين أعلاها وأسفلها ، والجمع نفانف ونفانف الدار أى نواحيها. المعجم الوسيط – ج:٢– ص٩٤٣.

٣ – الحديث مروي عن ابن عباس ونصه أن النبي ﷺ قال : «رفع الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهواعليه » أخرجه أبو القاسم التميمي في فوائده ورجاله ثقات غير أن فيه انقطاعاً ، وأخرجه الطبراني فى المعجم الكبير ج:١١ – ص ١٣٣ ، والدار قطنى فى سننه ج:٤ – ص ١٧١ ، وابن ماجة فى سننه ج١، ص١٥٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج:٢، ص١٩٨ وانظر كشف الخفاء للعجلوني ج٢:ص١٣٥، وأورده الراغب فى المفردات ص ٢٨٧ .

٤ – سورة طه : الآية (١٢٦).

٥ – هذا الحديث مروي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ « ما من إمرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أجزم» رواه المنذري فى الترغيب والترهيب فى باب «الترهيب من نسيان القرآن بعد تعلمه» – وقال المنذري : رواه أبو داود عن يزيد بن أبي زياد وعن عيسى بن فائد عن سعد. الترغيب والترهيب – ج:٢ ، ص، ٢١٢ : ٢١٣

٦– سورة البقرة : الآية (١٢١).

٧– في (و–ج) للمعفين ، وهو تحريف .

سائر أجزائه، كَلَبُّ الشئ إلى أجزائه، وهو أشرف أسمائه، وقد ذمهم[١] الله تعالى في هذه الآية بغاية ما يُذَمُّ به المتصدي للوعظ بغير الحق، وذاك أن الواعظ من الموعوظ يجري مجرى المظَلَّة من الظل، والطَّابَع والمطبُوع، ومحالٌ أن تَعْوَجَّ المظلةُ، ويَسْتَوِي[٢] ظلُّهَا، أو يمكن للطابع أن يوجد في مطبوعه أحْسَن مَّا في طبعه.

ولهذا قيل: "كفى بالمرء تهزياً أن يعظ غيره وينسى نفسه، ولأن المدعي لمصلحة هو يتجنبها إما كاذبٌ في دعواه، وإما خبيث النفس، وكلاهما لا يقبل قوله، فإذاً: حق الإنسانُ أن يبدأ بنفسه فيما يعظ به غَيْرَهُ، حتى يكُونَ وَاعِظاً بفعْلِهِ كَوَعْظِهِ بقوله.

وروي أن رجلاً أتى ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما][٣] فقال: "إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فقال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فَافْعَل.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾،[٤] وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٥]، وقول شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[٦]، وقد أتبع الله ذمهم بحكمين حقق غيهم أحدهما، قوله: (وأنتم تتلون) أي : تتدبرون التوراة، والثاني: قوله: (أفلا تعقلون)- تنبيهاً- أن الجامع للعقل ومتبع الكتاب ليس من حقه أن يأمر الغير بما لا يفعله، فذلك منبئ عن الجهل، فصارت الآية بما عقبت أبلغ من معنى قول الشاعر:

لَاتَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي بِمِثْلِهِ. [٧] عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ [٨]

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٩] مثل هذه الآية في حَثِّ الإنسان على (العناية بنفسه)[١٠] قبل العناية بغيره، لا نهياً عن الوعظ كما تصوره بعض الناس، حتى قال هذه الآيةُ منسوخةٌ..

١- في (و-ج) ذمم، وهو تصحيف .
٢- في (أ-ص) فيستوي .
٣ - زيادة في (أ-ص).
٤ - سورة البقرة : الآية (٤٤).
٥ - سورة الصف : الآية (٢).
٦ - سورة هود : الآية (٨٨).
٧ - عجز هذا البيت ساقط من : (أ-ص).
٨ - هذا البيت في خزانة الادب ج:٣ - ص ٦١٧ ، ص ٦١٨ ، وفي المقاصد النحوية ج:٤ - ص ٣٩٣ ، ونسبه سيبويه في الكتاب للأخطل ج:١ - ص ٤٢٤ كما رواه الشنتمري للأخطل ، وذكر أنه يروى لأبي الأسود في شرح الشواهد على حاشية الكتاب - ج:١- ص ٤٢٤ ، وورد هذا الشاهد غير منسوب في معاني القرآن للفراء- ج:١ - ص ٣٤ ، ص ١١٥ ، كما أورده أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ج:١ - ص ١٦٩ .
٩ - سورة المائدة الآية (١٠٥).
١٠ - ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: الآية (٤٥) - سورة البقرة.

أصل الصبر: الإِمْسَاكُ في ضيقٍ، ومنه: دابَّةٌ مَصْبُورَةٌ، والصبرة من الطَّعام للجمعة منه، وفي التعارف: إمساكُ النَّفْسِ على ما يقتضيه العقل وعما يقتضيه، وذلك ضربان: صَبْرٌ عن المشْتَهَى، وهو العفة، وصَبْرٌ على المكْرُوه وهو الشَّجَاعَةُ، وقيل الصبر: الصوم، لقوله عليه السلام: **(صِيَامُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبُ كَثِيراً من وحر الصَّدْرِ)**[١]، وتَسميته بالصَّبر، لكونه بعضه، إذ هو إمساك الشَّهْوَةِ، ولهذا قال عليه السلام:

«الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ»[٢]، والصَّلاَةُ أرفع منزلةً من الصبر، لأنها تجمع ضُرُوباً من الصَّبْرِ، إذْ هي حَبْسُ الحواسِّ على العبادة، وحَبْسُ الخواطر والأفكار على الطاعة، ولهذا قال:
﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، وخَصَّهَا[٣] بردِّ الضَّمِيرِ إليها دون الصبر، وأما الصلاة التي تُخَـفِّفُ[٤] على غير الخاشع، فإنها مُسَمَّاةٌ باسْمِهَا، وليس هي في حكمِها، بدلالة قوله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾**[٥]، ومثلها،[٦] وقلَّ ما ترى صلاة غير الخاشع تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ومثلها في رد الضمير على أحد المذكورين لاختصاص العناية به، قوله: **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾**[٧]، فأعيد الضميرُ إلى التجارة- لما كانت سَبَبَ انفضاضِ الذين نزلت الآية فيهم، ولأنه قد تشغل التجارةُ عن العبادة مَن لاَ تَشْغَلُهُ اللهو، وعلى ذلك قوله: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[٨] لَمَّا كانَ حَبْسُ الفضةِ عن الناس أعْظَمَ ضرراً، إذ كانت

١- الحديث عن يزيد بن عبد الله ابن الشخير عن الأعرابي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «صوم شهر الصبر ، وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر» الحديث أخرجه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، وأخرجه البزار عن بن عباس، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ج:٣ - ص ١٩٩ ، والمسند- ج:٥ - ص ١٥٤ ، وأورده الراغب في المفردات -ص ٤٧٤ ، ورواه البخاري في التاريخ الكبير ج:٧ - ص ٢٣٩ ورواه أحمد في مسنده ج:٥ - ص ٧٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج:٣ - ص ١٩٦ وأخرجه الهندي في كنز العمال ج:٨ - ص ٦٦٤ ، ص ٦٦٥ حديث رقم ٢٤٦٢٨ .

٢- قال العراقي رواه الترمذي وحسنه من حديث رجل من بني سليم ، وابن ماجة من حديث أبي هريرة ، وكذلك رواه البيهقي ، ولكنه زاد فيه «وعلى كل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم » ، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين . للعراقي وابن السبكي والزبيدي ج:٢ - ص ٦٠٣ . لأبي عبد الله محمد الحداد.

٣ - في (و-ج) وخصتها وهو تصحيف .

٤ - في (و-ج) يخف .

٥ - سورة العنكبوت : الآية (٤٥).

٦ - ساقطة من (و-ج) .

٧ - سورة الجمعة : الآية (١١).

٨ - سورة التوبة : الآية (٣٤).

الحاجة[١] إليها أمسُّ، ومنعُهَا للمَضَرَّةِ أجلب، [خُصًّا بالضمير].[٢] وقوله: (كَبِيرَةٌ) أي: كبيرةُ القدر، أو ثقيلة على النفس، بالإضافة إلى غيرها من العبادات، إذ هي جامعةٌ للعبادات وزائدةٌ عَلَيْهَا، فإنها لاَ تَصِحُّ إلاَّ بِبَذْلِ مالٍ مَّا جارٍ مَجْرَى الزكاةِ فيما يُسْتَرْ به العَوْرَةُ، ويُطَهَّرُ بِهِ البَدَنُ، وإمتساكٍ في مَكانٍ مَخْصُوص يجري مَجْرَى الاعتكاف، وتوجهٍ إلى الكعبة يجري مجرى الحج، وذكر لله ولرسوله يجري مجرى إظهار الشهادتين للإيمان، ومجاهدةٍ في مُدَافَعَةِ الشَّيْطَانِ سَارِيةٍ مجرى الجهاد، ومساندةٍ عن الأطيَبَيْنِ جار مجرى العُمُوم، وفيها ما ليس في العبادات الأُخَر من وجوب القراءة، وَإِظْهارِ الخُشُوعِ، والرُّكُوعِ والسُّجُودِ وغير ذلك. ولهذا عَظَّمَ النبي ﷺ **أمْرهـا، فكان آخرُ مـا أوْصَى به عندَ وَفَـاتِهِ: «الصَّلاَةَ، ومَامَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ»**[٣]، وجعل بقولها وما يفيض بها لسانه.

قوله - عز وجل:

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.. الآية (٤٦) سورة البقرة .

قـد تقدم الكلام في الظن، وأنه أعَمُّ ألفاظ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وأنه اسمٌ لما تَحْصُلُ عن أَمَارَةٍ متى قَوِيَتْ أدَّتْ إلى العلم، ومتى ضعفت حداً لم يَتجاوز حد الوهم، [وأنه متى قوي استعمل معه أَنَّ المشددة، و"أَنْ" المُخَفَّفَةُ منها][٤]، ومتى ضعفت استعمل معه "أن" المختصة بالمعدومين من الفعل نحو "ظَنَنْتُ أَنْ خَرَجَ، وأَنْ يَخْرُجَ" فالظن إذا كان بالمعنى الأول فمحمودٌ، وإذا كان بالمعنى الثاني:[٥] فمذمومٌ، والآية من المعنى الأول والمعنى الثاني كقوله: **﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾**[٦]، وقوله: **﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾**[٧]، وعنى بلقاء الله "الموت" وبالرجوع إليه "الثواب والعقاب"، وتخصيص ذكر الظن ها هنا إعلامٌ بأنَّهُمْ في كل حالٍ لاَ يأمنون الموت، ولو كان بدله العلم، [لم يصح على الوجه][٨] الذي يصح فيه الظن، لأنك تقول: "أظن أني أموت في كل حال، وأما قوله **﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[٩]، فهو نهايةٌ في الذَّمِّ،ومعناه: ألاَ تَحْصُلُ لهُمْ أَمَارَة تنبههم على التفكر في ذلك -تنبيهاً

١- ساقطة من (أ - ص).

٢- ساقطة من (و-ج) .

٣- قال العراقي الحديث مروي عن أنس عن النبي ﷺ قال « الصلاة وما ملكت أيمانكم - الصلاة وما ملكت أيمانكم» رواه أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجة وابن سعد وابو يعلى وابن حبان والطبراني والضياء ورواه ابن سعد والطبراني من حديث ابن عمر وحديث أم سلمة وتخريج أحاديث الإحياء للعراقي وابن السبكي والزبيدي حديث رقم ٣٩٧٩ ص ٢٥٥٠ - ص ٢٥٥٠ .

٤ - ساقطة من (و - ج) .

٥ - في (و - ج) وبالمعني الثاني .

٦ - سورة البقرة : الآيتان : (٧٨)، سورة الجاثية : الآية (٢٤).

٧ - سورة النجم : الآية (٢٨).

٨ - (و-ج) لم يصح الوجه.

٩ - سورة المطففين : الآيتان (٤ ، ٥).

أن هذا لا محالة مما تبين أمارته للإنسان إذا تأمل، أدنى تأمل، وخاطب بالآيات عُمَاءَ بَني إسْرَائيلَ الآمرينَ غَيْرَهُمْ بالْبرِّ، النَّاسينَ أنفسَهُمْ بأن "اسْتعينوا في مُدَافَعَةِ هذه الحال بالصَّبْرِ والتَّوَصُّلِ بِهِ إلى الصَّلاةِ، فَبِهَا يَصِيرُ الإنْسَانُ خاشعاً ملتزماً للحق ممن ظهر منه.

وقوله - عز وجل:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

.الآية(٤٧) سورة البقرة.

الفضل: كالزيادة، إلا أنه أخصُّ منها، وهو من الأسماء المتضايفة، كالكثير، والقليل، والكبير، والصغير، ويستعمل على اعتبارين: أحدهما: اعتباراً بالطَّرفِ الذي هو النَّقْصُ، وذلك يُسْتَعْمَلُ عَلى سَبيل الْمَدْحِ، والثَّاني: اعتباراً بالْوَسَطِ الذي هو الْعَدْلُ والسَّواءُ، ويُستعْمَلُ ذلك على وجهين: أحدهما: الزَّائِدُ عَلَى الْعَدَالَةِ على سَبيلِ الاستظهار، وهو السماحة والإسماح ببعض مالا يجب عليه، أو بترك بعض مالا يجب له، وذلك هو المعنى بالإحسان: في قوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾(١)، وبالزيادة في قوله: **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾**(٢)، وإياه عنى بقوله: **﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾**(٣)، والثاني: الإفراط الجاري في الذم مجرى التفريط، كالإسراف والتبذير المنهي عنه بقوله: **﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾**(٤)، وقوله: **﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾**(٥)، والمعبر عنه بقول العامة: "الزيادة على الكفاية نقصان"، وأكثرما يعبر عنه بالفضلة والفضالة فالزيادة على الاعتبار الأول فضيلة، وهو استظهار في العدالة، وعلى الاعتبار الثاني رذيلة، وهو ترك العدالة، والتفضيل: يستعمل على وجهين، إما بمنحة خُصَّ الْمُفَضَّلُ بها نحو قوله: **﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾**(٦)، فإن ذلك أمورٌ خُصَّ بها بَنُو آدَمَ ابتداءً، وأما الحكم للمفضل بالْفَضْلِ الحاصل منه، نحو قوله: **﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾**(٧)، فالأول: يجب على العبد به الشكر، إذ هو مَدْحٌ له، ولَيْسَ لَهُ بِهِ حَمْدٌ، والثاني: يجب له به حمد، ويستحق به الثواب، وأما العالمون: فقد تقدم الكلام فيه، وأنَّهُ تَارَةً يُقَالُ لجميع ما أوجده الله تعالى من الفلك، وما يحويه عالمٌ بلفظ الإفراد، وتارةً

---

١ - سورة النحل: الآية (٩٠).
٢ - سورة يونس: الآية (٢٦).
٣ - سورة البقرة: الآية (٢٣٧).
٤ - سورة الأعراف: الآية (٣١).
٥ - سورة الإسراء: الآية (٢٦).
٦ - سورة الإسراء: الآية (٧٠).
٧- سورة النساء: الآية (٩٥).

يقال لكل جنس نوع من الموجودات عالم وتارة يقال لأهل كل زمان عالم وتارة يُقَالُ لكل إنسان في نفسه عالمٌ، وذلك يقال على وجهين :أحدهما : إن الإنسان الواحد هو كالعالم في تخصيصه بمثال كل ما هو موجود في العالم والثاني: يقال ذلك للفاضل الكامل من الرجال، وبهذا النظر قال الشاعر:

فَوَاحِدُهُمْ فِي الْوَرَى عَالَمُ.(١)

إن قيل كيف قال: فضلتكم على العالمين وقد قال تعالى لهذه الأمة : **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**(٢) الجواب: أن التفضيل الذي ذكره الله تعالي هو الفضيلة التي خص بها بنو آدم، المعنية بقوله: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾**(٣) الآية. وبنو إسرائيل وإن كان قد شاركهم غيرهم في هذه النعمة، فإنهم لما نسوا نعم اللّٰه تعالى خُصُّوا بالنِّدَاء لتذكيرهم، كقولك: "يافُلاَنُ نَسِيتَ نِعْمَةَ اللّٰه عَلَيْكَ"، وقد تقدم أنه ربما يُخَصُّ بالمخاطبة (٤) لتَذْكِيرِهِمْ بَعْضَ المعْنِيِّينَ بالحُكْمِ، لأنه أرفعهم منزلةً، أو لأن العناية به أكثر، أو لأن ذكره بالموضع المقصود إليه أَلْيقُ، وقيل: عنى بهذه الفضيلة فضيلةً خُصُّوا بها، وهي مَا أُعْطُوا من المَنِّ والسَّلْوَى وإظلالهم بالغمام، وَالْحَجَرِ الذي تفجَّر منه الأنهار، وغير ذلك، وقيل: إنه جعل كل فَرقة أو كل نفس في زمانهم عالماً، وذكر أنه فضلهم على غيرهم ممن في زمانِهِمْ، وقيل: إِنَّ ذَلِكَ بمارشحهم له من الإيمان بالله ورسوله والأعمال الصالحة، فَإِنَّ مَن فَعَل ذلك كان هو المُفَضَّلُ على العالمين، كقوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾**(٥).

إن قيل : كيف قال ذلك وهذه النعم كانت على أسلافهم؟ قيل: قد قال بعضهم: لما ذكر اللّٰه تعالى ذلك في التوراة على سبيل الخطاب، أعاد اللفظ على الحكاية، وقيل: "النعمة على الإنسان ضربان": نعمةٌ تصل إليه من المنْعِمِ بلا واسطة، ونعمةٌ تصل إليه من المنعم بواسطة، أو بوسائط وذلك كتسخير اللّٰه مَنْ يزرع لنفسه زرعاً يصل إلينا نفعه على بعض الوجوه، فهذا الزارِعُ(٦) منعمٌ علينا، وعلى هذا قيل: إن اللّٰه تعالى منعمٌ على كل واحدٍ منا بأكثر ما يتعاطاه الناس من أعمالهم (٧) من المهن والصنائع المرفقة لأنفسهم، ونحو هذه الآية قول اللّٰه -عز وجل- **﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾**(٨) وأعاده قوله:

---

١ - لم أهتد إلى قائله.
٢ - سورة آل عمران : الآية (١١٠).
٣ - سورة الإسراء - الآية (٧٠).
٤- في (أ - ص) بالخطاب .
٥ - سورة البينة : الآية (٧).
٦ - فى (و-ج) الزراع، وهو تصحيف.
٧ - ساقطة - من (أ - ص) .
٨ - سورة المائدة : الآية (٢٠).

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾، فلأن الأول: حثٌّ على استبقاءِ نعمته بالوفاء بعهده، والثاني: لِتَبيُّنِهَا [1] بتفضيلهم على العالمين.

قوله - عز وجل :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.. الآية (٤٨) سورة البقرة.

الجـزاء، والمكافـأة،[2] والمقابلة متقاربةٌ، لكنَّ الْجَزَاءَ أَعَمُّهَا، لأن المكافأة: يعتبر فيها المماثلةُ والْمقَابَلَةُ: يراعى فيها الْمُجَازَاةُ، والجزاء لا يُرَاعَى فيه شئٌ من ذلك، ويُقَالُ: جَزَاهُ "بلا همزة"، يجزيه، أو "أجزأه" بالهمزة، ففي الجزاء معنى العناء ، والقبولُ تناولُ المقبل، ومنه القابل : المتناول الدلو، وأصل ذلك من قَبل وقُبل، فقبل يستعمل في المتقدم المنفصل، ويُضَادُّهُ بَعد، وقبل: في المتصل، ويضاده: دبرَ، وقد جُعِلَ كنايةً عن السَّوْءَتَيْنِ، ويقابل الْقَبُولَ الردُّ. والشَّفَاعَةُ: جعل الفرد شفعاً[3] يُقَالُ: شَفَعْتُ له، أي صِرْتُ شَفَعاً لَهُ بانضمامي إليه، وعُبرَ عمن انضم إلى غيره في طلب ما "شَافِعٌ"، وعلى ذلك **قول الشاعر:**

لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلُ ذَلِكَ شَافِعُ[4].

ومنه الشُّفْعَةُ، وأصلها ضَمُّ مِلْك إلى مِلْكِهِ، وشَفَعَهُ بِهِ، والْعَدْلُ: التسوية، يُقَالُ: عدلتـه، وانعدل،وعدلته، فاعتدل، وعدل الشئ مساويه بلا إفراط ولا تفريط، وأكثر ما يقال في المساوي من حيث الحكم نحو قوله - عز وجل:

﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[5]، وَالْعَدْلُ :يُقَالُ في المساوي [6] في الكمية في الْوَزْنِ وَالْكَيْلِ، وقيل الفداء : العدل إذا اعتُبِرَ فيه مَعْنَى المساواة، وقولهم: «لايُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ»[7].

---

١ - فى (و - ج) لتبينها   ٢ - في (أ - ص) والمكافآت .   ٣ - في (أ - ص) ضم الشئ إلى مثله .

٤- هذا عجز بيت للنابغة الذبياني وتمامه : -

أتاك امرؤ مستبطن لي بغضه   له من عدو مثل ذلك شافع

وهو من قصيدة مطلعها :-

عفا ذو حسًا من فرتني فالفوارع   فجنبا أريكٍ فالتلاع الدوافع

وهو في ديوان النابغة - ص ١٢٤.

٥ - سورة المائدة : الآية (٩٥).

٦- في (أ -ص) للمساوي .

٧ - هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس ، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولاعدلاً) أخرجه أبو داود في سننه فى الأدب برقم (٥٠٠٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب فيه انقطاع. الترغيب والترهيب ج : ١ ص٦٩، وأورده الراغب في المفردات ص ٤٨٢، ٥٥٢، وهذا الحديث أيضاً مروياً عند البخاري ولفظه : (المدينه حرام مابين عير إلي ثور ، فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل منه حرف ولاعدل) أخرجه البخاري في الجهاد وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج : ٦ ص٢٠٠ ، وأخرجه مسلم فى الحج برقم : ١٣٧٠ .

وتفسيرهم بأن العدل: الفريضة، والصرف:النافلة، فمن حيث أن العدل هو المساواة، وتعاطيه واجبٌ، والصرف: الزيادة الحاصلة عن التصرف،وتعاطيه تبرُّعٌ وهما كالعَدْلِ والإحْسَانِ. والنصرة أخصُّ من المعونة، فإنها تختصُّ بدفعِ الشرِّ والظلم،وقيل أرضٌ منصورةٌ: إذا أتاها المطر بعد طول مدة، والقصد بالآية التقوى من يومٍ لايكفي أحدٌ أحداً. وقد أعاد تعالى هذا المعنى في غير موضعٍ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾[١].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[٣]، تنبيهاً أن لكل واحد ما يستصحبه من الإيمان والأعمال الصالحة، كما قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٤]، إن قيل: كيف قال ذلك، وقد أثبتت الشفاعة في غير آية، قيل: هذا ردٌّ على اليهود فيما ادعوه حيث قالوا: «نحن أبناء الأنبياء وهم يشفعون لنا وإن ارتكبنا (ما ارتكبنا) [٥]، فنبه على أنه ليس لهم شفاعة كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[٦]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[٧]،والضمير من قوله عز وجل ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ راجع إلى النفس الأولى وقيل أنه أيضاً أنه راجع إلى الثانية، وفي قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ راجع إلى الثانية لا محالة، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، أي ليس لهم من ينتصر من الله تعالى بأن يمنعهم من عذابه إشارةً إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾[٨]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي﴾، قيل : معناه: ﴿لَّا تَجْزِي﴾ فيه، فحذف، وهو قول الكسائي، وقال البصريون: وَصْلُ الفِعْلِ إليه.

فنصبه نحو قول الشاعر :

وَيَوْمٍ شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وَعَامِراً[٩]

ثم حذف الهاء كحذفه من "الذي ضربت". وحقيقة الخلاف أن ما يقدر الكسائي حذفه بدُفعةٍ يقدره البصريون بدفعتين، ولا خلافَ أن الأصل كان في ذلك فيه وأنه لا يطردُ في كل مكان حذفُ الجار مع المجرور.

١- سورة الدخان : الآية (٤١) .
٢ – سورة عبس : الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .
٣ – سورة لقمان : الآية (٣٣)
٤ – سورة النجم : الآية (٣٩) .
٥ – ساقطة من (أ–ص) .
٦ – سورة طه : الآية (١٠٩).
٧ – سورة الأنبياء : الآية (٢٨).
٨ – سورة الصافات الآيتان (٢٤، ٢٥)
٩- هذا صدر بيت وتمامه :-

ويومٌ شهدناه سليمًا وعامرًا   قليل سوى الطعن النِّهال نوافله

والبيت .. قائله رجل من بني عامر كما في الكتاب ج : ١ – ص ١٧٨ . والبيت من غير نسبة في المقتضب ج : ٣ –ص ١٠٥ والكامل ج: ١ – ص ٣٣، والشعر – ص ٤٥، وشرح الحماسة ص ٨٨، والمقرب ج : ١ –ص ١٤٧، والتبصرة ص ٣٠٨، ٥٢٩، ومجمع الأمثال ج: ١ –ص ١٢ ، والمغني ص ٥٠٣، وشرح ديوان المتنبي المنسوب خطأ إلى العكبري ج : ١ –ص ٢٩٩، وإعراب القرآن المنسوب خطأ إلى الزجاج ص ٤٥٠، وشرح أبيات المغني ج : ٧ –ص ٨٤، واللسان (جزى)، وأورده ابن الشجري في أماليه ج: ١– ص٧ تحقيق د/محمود الطناحي – كذلك أورده أبو علي الفارسي في كتاب الشعر ج : ١ – ص ٤٥. وهو في (أ – ص) ويومًا شهدناه سليما وعامرا.

قوله - عز وجل :
﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ الآية (٤٩) سورة البقرة..

أصل النجاء: طلب الخلاص، ويقال لمن عدا نجا، لكون العدو أحد أسباب التخلص، فإن الله تعالى جعل للحيوانات قوتين تزيل بهما الأذى، قوةً بها تهرب مما يؤذيها، وقوةً بها تدفع ما يؤذيها، فمن الحيوانات ما يختص بأحديهما، ومنها ما جُعلتا جميعاً له، فإذاً: العدو أحد أسباب الخلاص، فصحَّ أن يُعَبَّرَ عنه به، وقيل: (نجا فلان)، إذا ألقى ثوبه وذلك استعارةً له، كما استعير إلقاء الثوب للعدو في نحو قولهم: "ألقى بزه" وخلع ثوبه، وعلى ذلك قوله:

أَلْقَيْتُ لَيْلَةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أَرْوَاقِي[١]

وسميت الربوة "نَجْواً" اعتباراً بأنه منجي مَن السيل وكثير من الآفات التي تكون في الوهاد، وكنى عن العذرة الملقاة بالنجو إما اعتباراً بأنه خلاصٌ من الأذى، أو كنايةً عنه بالنجو ، كما كنى عنه بالغائط ولما اعتقد في السر أنه خلاصٌ من الوُشَاة والعِدَاة سُمِّىَ بِنَجْوَى، وبهذا النظر قال الشاعر:

وَنَجْعَلُ نَجْوَانَا نَجَاةً مِنَ الْعِدَا..[٢]

والآل : قيل هو مقلوب عن الأهل، كالماء عن الموه، وُيُصَغَّرُ على أُهَيْل، كما أن الماء مُصَغَّرٌ[٣] على مُوَيْه، إلا أنه خُصَّ بالإضافة إلى أعْلاَمِ النَّاطِقِينَ دُونَ النَّكِرَاتِ ودُونَ الأزمنة والأَمْكِنَةِ، يُقَالُ: "آلُ فُلاَنٍ"، ولا يُقَالُ: آلُ مَكَّةَ، وَزمان كَذَا: هو إسمٌ للشَّخْصِ، ويُصَغَّرُ عَلَى "أُوَيْلٍ"، وهو قول الكسائي، ويُسْتَعْمَلُ فيمن اختص بالإنسان اختصاص ذاته به إما بِقَرَابَتِهِ قربته[٤]، أو بِمُوَالاَةِ دينه، أو كالدينية، فقد أجرى الموالاة الدينية مجرى القرابةِ و اللُّحْمَةِ حتى قال تعالى: **﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾**[٥]،

---

١ - هذا عجز بيت لتأبط شراً ثابت بن جابر وتمامه :-

نجوت منها نجائي من تحيلة إذ   ألقيت ليلة خبث الرهط أرواقي

ديوان تأبط شراً ثابت بن جابر.

٢ - بحثت عنه فلم أجده.

٣ - في (و - ج) يصغر مويه.

٤- ساقطة من (أ - ص).

٥ - سورة المائدة : الآية (٥١).

وقال: ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾(١)، وقال في نوح وابنه: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾(٢)، والاختصاص المذكور **قال تعالى:**

﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ**﴾(٣).

ولاختصاص(٤) الآل بما قلنا، قال تعالى: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾(٥)وقال هذا القائل: أهل الدين من النبي -عليه السلام- ضربانِ: ضربٌ يتخصص منه بالعلم المتقن والعمل المحكم، فيقال لهم: آلُ النَّبيِّ، وضربٌ يتخصص منه بالعمل على سبيل التقليد دون العلم المتقن، ويقال لهم أمة، فَكُلُّ آل النَّبِّي أمتُهُ، وليس كلُّ أُمَّتِهِ آلَهُ، وقيل لجعفر بن محمد: إنَّ ناساً يَقُولُونَ:المسلِمُونَ كلهم آلُ النَّبي، فقال: كَذَبُوا وصَدَقوا، قيل: فما معنى كَذَبُوا وَصَدَقُوا؟ قال: كَذَبُوا: أن النَّاسَ على ما هم عليه من التقصير في دينهم هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ، وصَدَقُوا: أنهم آله إذا قامُوا بِشَرِيطَةِ شَرِيعَتِهِ، فَمَنْ ضيع الشَّرِيطَةَ، فَلَيْسَ منْهُ وإن قَرُبَ نَسَبُهُ، وَمَنْ حَافَظَ على شريطته فهو منه وإن بعد نسبه، والسَّوْمُ: أصله الذهابُ في إبتغاءِ الشَّيْءِ، فَهُوَ لَفظٌ لِمَعْنَى مركب الذَّهَابِ والابتغاء فَإِنَّهُ جَرَى مَجْرَى الذَّهَابِ، فَقِيلَ: "سَامَ الإبلَ"، فهي سائمةٌ إذا ذهبت في المرعى، و"سمته كذا"، كقولك نعيته كذا، ومنه السوم في البيع، فعدى تعديته والسوء: يتناول كل ما يسوء الإنسان من آفة وداء، ويقال: السوء والسوى، أي: نحو الحسن والحسنى، وعلى سبيل كراهية ذكر الفرج والنظر إليه، كنى عنه بالسوءة، وكذا كنى عن البرص بها، وسوء العذاب: أي شدة العذاب، والذبح أصله شق الأوداج، وقيل: ذبحت الفارة النافجة على الاستعارة، لماشبه ذلك الوعاء بفارة فسمى بها، والذباحة: داءٌ كأنه يذبح بشدته وكونه في المذبح، وخصت سنا يكثر في الأدواء، نحو: خراجة تخصيص التذبيح دون الذبح تنبيهاً على كثرة ذلك منهم، والاستحياء: كالاستبقاء، وهو تَحَرِّي طَلَبِ الْحَياةِ فِيهِنَّ، وقيل: معناه: يَبْتَغُونَ مَا في أَرْحَامِ النِّسَاءِ مشتقاً من

---

١ - سورة إبراهيم: الآية (٣٦).

٢ - سورة هود: الآية (٤٦).

٣ - سورة آل عمران: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

٤ - في (و- ج) والاختصاص.

٥ - سورة غافر: الآية (٤٦).

الحيا، أي الفرج، والبلاء أصله من قولهم: بلى الثوب بلى، وبلاءً، وقيل "بلوت فلانً" أى أخبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له، ولهذا قيل: "لَبِسْتُ فُلَاناً"، أي :خبرته،وسمي الغم بلاءً من حيث أنه يُبْلى الجسم، وسمي التكليف بلاءً من أوجه، الأول: أن التكاليف كُلَّهَا مَشَاقٌ على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بَلَاَء، والثاني: أن التكاليف اختباراتٌ، وكذلك[1] قال:﴿ وَلَنَبْلُونَكُم ﴾[2]، وقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾[3]،ونحو ذلك، والثالث: أنه لما كان اختبار الله تعالى لعباد تارةً بالمسار ليشكروا، وتارةً بالمضار ليصبروا، صارت[4] المنحة والمحنة جميعاً بلاءً، فالمحنةُ: مقتضيةٌ للصبر والمنحة: مقتضيةً للشكر، وكأن القيام بحقوق الصبر أَيْسَرُ مِنَ الْقِيَامِ بحقوق الشكر لما بيناه في كتاب: (شَرَف التَّصَوُّفِ)، فصارت المنحة أَعْظَمَ الْبَلَاءِ، وبهذا النظر قال أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه وكرم الله وجهه :«مَنْ وُسِّعَ عليه[5] في دنياه، ولم يعلم أنه مكْرَ بِهِ، فهو مَخْدُوعٌ عن عقله»[6] والرابع: أنه رُبَّ مِنْحَةٍ تعقبُ مِحْنةً، ومحنة تفضي إلى مِنْحَةٍ، ولهذا قيل: «رُبَّ مغبوط بنعمة هِيَ دَاؤُهُ، وَمَرْحُومٍ لِشِدَّةٍ هي شِفَاؤُهُ»، فإذاً : من النعمة[7] مَا هُوَ نِقْمَةٌ" ولكون البلاء متناولاً للأمرين، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾[8]، وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[9]، وقالوا "في الخير والشر معاً: بلاه"، فإذا أفردا قالوا [في الخير: ابلاؤه ، وفي الشر بلاه،][10] وقال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً﴾[11]، وأما **قول الشاعر:**

جَزَى الله بالإحسان مَا فَعَلَابِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو.[12]

١- في (أ - ص) ولهذا

٢- سورة محمد : الآية: (٣١).

٣- سورة المائدة : الآية (٤٨). ، وسورة الأنعام : الآية (١٦٥).

٤ - في و - ج) ، (أ - ص) صار.

٥ - في (و - ج) من وسع دنياه.

٦- أورده الزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ج:١ - ص ٤٥ ، كما أورده الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز ج:٢ ص ٢٧٤ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٤٦ ، ٧٧٢ .

٧ - في (و - ج) النقمة، وهو تحريف.

٨ - سورة الأعراف : الآية (١٦٨).

٩ - سورة الأنبياء : الآية (٣٥).

١٠- في (أ - ص) في الخير أبلاه، وفي الشر أبلاه.

١١ - سورة الأنفال : الآية (١٧).

١٢- في (و - ج) **وكلاهما خير البلاءالذي يبلو جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم**

والبيت لزهير بن أبي سلمى وهو أحد الشعراء الجاهليين وأحد أصحاب المعلقات ، والبيت في ديوانه ص ٦١ ، وفي تفسير القرطبي ج:١ - ص ٣٨٧ ، وفي تفسير الماوردي ج:١ - ص ١٠٥ ، وفي تفسير البحر المحيط ج:١ - ص ١٨٩ .

فمعناه: أعْطَاهُمَا الله خَيْراً فيما يمنحهما به، وجعل لهما بدل المكروه محبوباً، فقوله: ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ راجعٌ إلى الأمرين إلى المنحة التي هي الإنجاء من آل فرعون المقتضية للشكر، وإلى المحنة التي هِيَ ذَبْحُهُمْ واسْتِحْيَاؤُهُمْ للنِّسَاءِ المُقْتَضِيَةِ للصَّبْر، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١] فإذا صح ذلك، فقول مجاهد وابن جريج: أنه أراد في إنجائكم منهم نعمةً، نظرمنها إلى مبدأ الآية، وهو قوله: ﴿ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾[٢]، وقول مقاتل: «أراد في قتل الأولاد واستحياء النساء شدة نحو قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾[٣]، نظر منه إلى منتهى الآية، وهو قوله: ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾، وكلا القولين صحيح، وقول السدي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أراد بقوله: "بلاء" أي نعمةٌ أو نقمةٌ تصريح أن الأمرين مرادان وليس قوله (أو) ههنا شكاً منه كما ظنه بعض المفسرين، وقال إن ذلك شكٌ من السُّدِّي، بل ذلك روايةٌ عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- تنبيهاً منه أن النعمة والنقمة في هذه الجملة حاصلتان، وكلٌّ واحدٍ منهما موجودٌ فيها، وفي الآية تذكيرٌ لهم بما أولاهم من النعم في إنقاذهم من آل فرعون [وما كانوا يسومونهم من العذاب، وكان الأصل فيما روى أن فرعون][٤] رأى في المنام، أو قال له الكهنة: سيولد في هذا العام مولودٌ يَذْهَبُ بِمُلْكِك، فجعل على كل عشرٍ من النساء رَجُلاً، فقال: انظروا إلى كل امرأةٍ ولدت، فإن كان ذكراً، فاقتلوه، وإن كان أنثى فأبقوه، وكان ذلك أعْظَمَ للرزية كما قال الشاعر:

وَمِنْ أَعْظَمِ الرُّزْءِ فِيمَا أَرَى ... بَقَاءُ الْبَنَاتِ وَمَوْتُ الْبَنِينَا[٥]

وقيل كان ذبْحهُمْ للأبناء استخدامهم في الأعمال القذرة الجارية مجرى أعظم الذبحين القتل، والإهانة"، قال: وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ﴾[٦]، وفيها حثٌ لنا على تذكر نعمه ومراعاتها واحدةً واحدةً، وتجديدُ الشُّكْرِ لكلٌ منها...

---

١ - سورة الأعراف : الآية (١٦٨).

٢ - سورة الأعراف : الآية (١٤١)

٣ - سورة الصافات : الآية (١٠٦).

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥- هناك بيت يشبه، ولا أدري إن كان نفسه أم لا وهو للبحتري يقول فيه:-

ومن نعم الله لاشك فيه ... بقاء البنين وموت البنات

٦ - سورة القصص : الآية (٤).

قوله - عز وجل :
﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ . الآية : (٥٠) سورة البقرة.

الفَرْقُ، والفَلْقُ كالفصل، لكن الْفَلْقَ لا يكُونُ إلاَّ بَيْنَ جِسْمَيْنِ، والفرق : قد يكون في الأجسَام والمعَاني، وفي هذه القصة قد جاء اللفظان، قال تعالى: **﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾**[١] أي كُلُّ قطْعَةٍ من الماء، والفرقان: كلُّ كتَابٍ يَفْرقُ بين الأحكام، وسمي عمر - رضي الله تعالى عنه- فَاروُقاً لأجل أن النبي ﷺ قضى ليَهُودِيٍّ على مُنَافِقٍ، فأتى عُمَرَ وقال "إن مُحَمَّداً قضى بَيْني وبيْنَ هذا، ولَسْتُ أَرْضى قضاءهُ فاقضْ بيننا"، فقال: أَوَ رَضِيتَ قَضَائِي؟ قال : نعم، فدخل داره، وأخرج السيف وحزَّ رأْسَهُ، فنزَلَ جِبْرَائِيْلُ -عليه السلام- وقال: **(إن عمر قد سمى في السماء فاروقاً)**، والبحر: استعير للسعة، فقيل: بحرت كذا أي: "وسعته كسعته"، وقيل بحرت الناقة: أي: شققت أذنها شقاً واسعاً، والباحر: الأحمق الموسع عليه من جهة رفع حجر العقل عنه، وكأنه اعتبر في تسميته بذلك مقابلة العاقل، فقد جعل أسماء العقل كلها معتبراً فيه الضيق، والشدة، والفرق، والرسوب في المآثم شبه به غيره حتى قيل: غرق فلان في النعمة، وغرقه من اللبن أي مليء قدح، وأغرق في الشئ إذا تناهى والنظر نظران، نظر بصر، وبه يدرك المحسوسات ونظر بصيرة، وبه يدرك المعقولات، ونظر البصر كالخادم لنظر البصيرة فإن كان كلاهما سبيلاً إلى المعرفة، والنظير[٢] أصله للمناظر، كأنه ينظر كل واحد من الناظرين إلى صاحبه في المشاكلة، وناظرته: باريته في النظر، وأنظرته: تركته ينظر فيطلب، ومعنى الآية ما ذكره في قوله **﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ﴾**[٣] الآية، وفي قوله: **﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾**[٤]، وفي قوله تعالى: **﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾**[٥]، وقوله: **﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾**.. لما كان النظر متردداً بين المحسوس الذي منه

---

١ - سورة الشعراء : الآية (٦٣).
٢ - في (و - ج) والنظر.
٣ - سورة الشعراء : الآية (٦١).
٤ - سورة طه : الآية (٧٧).
٥ - سورة الشعراء: الآية (٦٣).

الإبصار، والنظر المعقول الذي منه البصيرة، نظر كل واحدٍ من المفسرين نظراً ما، فقال: من نظر نظر محسوس معناه (وأنتم تشاهدونه)، فقد روى أنه أفرد لكل سبط طريق من الماء، وجعل الحاجز الذي بينه وبين الآخر مشفاً كالزجاج[١]. ينظرون منها إلى الآخرين، وقال بعضهم: قذف [٢] الماءُ بجثث آل فرعون بعد إغراقهم إلى الشط، فكان الناس ينظرون إليهم، وعلى ذلك حمل قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾[٣]، وقال: "مَنْ نَظَر نَظَرَ مَعْقُول" معناه: وأنتم تعتبرون بذلك، [وقيل معناه: "وأنتم مُتَمكِنُونَ مِنَ النَّظَرِ، أي الاعتبار بذلك][٤]، وقال بعضهم: في الآية مع إرادة هذا المعنى، أو النعمة المحسوسة التي أولاهم، إشارةً إلى معنى آخر، وإلى نعمةٍ معقولةٍ أعطاهم، فإنه أشار بالبحر إلى الشُّبَهِ التي تَعْتَرِي[٥] وتفرقه إلى إزَالَتِهَا، وبإغراق آل فرعون إلى إبطال الكفر،وبالنظر إلى المعرفة والتمكن منها بما أولاهم من البصيرة والتمييز، وهذا الذي ذكره هذا [القائل][٦] صحيحٌ أنه تعالى فعله بهم اقتضاه لفظ الآية، أو لم يقتضه..

١ - ساقطة من (أ - ص).
٢ - في (و - ج) وفي الماء، وهو خطأ من الناسخ.
٣ - سورة يونس : الآية (٩٢).
٤ - ساقطة من (و - ج).
٥ - في (أ - ص) يعتري.
٦ - زيادة في (أ - ص).

قوله - عز وجل:
﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾

الآية (٥١) سورة البقرة..

قُرِئ: "وَاعَدْنَا" [١] اعتباراً بالموعود وقبوله من الواعد وعده، فكان من كل واحد منهما وعداً، هذا بالإعطاء، وذاك بالقبول، "ووعدنا" [٢] هو للاعتبار بالواحد دون الموعود، وعلى الثاني أكثر ما في القرآن نحو: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾[٣]، ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ﴾[٤] ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴾[٥]، وتقدير أربعين ليلة انقضاؤها، كقولك: اليوم أربعون يوماً منذ خرج زيد، أي تمامها، وقيل: إنما وعدهم ذلك في الأربعين، وأن لا يتجاوز هذا القدر، وهو الأصح، وقوله: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾[٦] على ذلك، فإنه قيل له: يكون ذلك انقضاءَ ثلاثينَ، ثم كَانَ عند الأربعين، فلم يكن في الوعْدِ إخلافٌ، وإنما كان فيه بعضُ الإبْهَام، فلهذا التبس عليهم، وذكر تعالى عظم جهلهم، وأنهم بعدما أعطوا من البينات ورشحوا لما وعدوا، تهافتوا على عبادة عجْلٍ اتخذُوهُ.

وقوله: وأنتم ظَالِمُونَ: عنى به الظلم المطلق وهو الكفر، وقد تقدم الكلام في أنواع الظلم وأنها بالقول المحمل ثلاث: أعظمها الكفر، وفي الآية حثٌّ على معرفة ما وعدنا الله تعالى به ومراعاته والمنع من الاشتغال عنه تعالى بشيئ [٧] بغيره، وعلى هذا الوجه قال بعض الناس: كل ما شغلك عن الله فهو عجلٌ متخذٌ، وطاغوتٌ متبعٌ، وشيطان مطاعٌ، ومبدأ كل ذلك اتباع الهوى، ولذلك قال: ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٨] وقال: وهذا وإن لم يكن كفراً فهو شرك، وبهذا الوجه قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٩]

١- قرأ الحسن وأبو رجاء وأبو جعفر وشيبة وعيسى بن عمر وقتادة وعبدالله ابن أبي اسحق (واعدنا).

٢ - قرأ أبو عمرو وعاصم الجحدري وأبو جعفر والحسن وشيبة وعيسى بن عمر وقتادة وعبد الله بن أبي إسحق وأبو حاتم وأبو عبيد ويعقوب واليزيدي وابن محيصن (وعدنا)- معجم القراءات القرآنية - ج: ١-ص٥٥.

٣ - سورة إبراهيم : الآية (٢٢).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٦٨).

٥ - سورة الأنفال : الآية (٧).

٦ - سورة الأعراف : الآية (١٤٢).

٧ - في (أ - ص) بغيره.

٨ - سورة ص : الآية (٢٦).

٩ - سورة يوسف : الآية (١٠٦).

وقوله - عز وجل:
﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة الآية (٥٢)...

العفوُ: القَصْدُ لِتَنَاوُلِ الشَّئِ، يقال: عفاه، واعتفاه، وعفت الريح الدراري، قصدته متناولةً منها آثارها، ولهذا المعنى قال الشاعر:

أَخَذَ البِلَى آياتهـــــا[1] ..

وإذا قيل: "عَفَا فُلَانٌ عن فُلَانٍ"، كأنه قصد تناول شيءٍ مَا مُنصَرِفاً عَنْهُ، والمفعول به متركٌ لكونه غير مقصودٍ، وذلك كقولهم: ذهبت عما ارتكبته، وتجاوزت عنك: أي تجاوزت إلى شيءٍ ما و"عفا النبت والشَّعر"، أي قصد تناول الزيادة كقولهم: أخذ النَّبْتُ في الزِّيادَةِ، وقولهم: "أَعْطَى عفواً، فعفوا، مصدر في موضع الحال، أي أعطى، وحاله حال العافي في الاهتزاز- إشارةً إلى المعنى الذي عُدَّ بَدِيعاً للشعراء[2] في نحو قول الشاعر:

كأنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ[3]

والشكر: مقابلة الصنيعة بإظهار[4]، ومنه : دابةٌ شكورٌ، إذا كانت مُظْهِرَةً احسَانَ صَاحِبِهَا إِلَيْهَا، و"ضره شكرى" من[5] ذلك والشكر: كنايةٌ عن الفرج المزوج، لكونه مقابلاً للمهر مقابلة الشكر للمشكور عليه، والشكر ضربٌ من العدالة، إذ هو في مقابلة النعمة، وأعم من المكافآت، فإن المكافأة يعتبر فيها تارةً مماثلة في الكمية، وتارةً في حال المكافئ والمكافأ، والشكر: لا يعتبر فيه ذلك. وأيضاً فالشكر قد يكون باللسان تارةً، وبالمقابلة تارةً، وقد تقدم الكلام في (لعل) وأنه وإن كان مقتضياً

١- هذا جزء من عجز بيت لعدي بن الرقاع العاملي وهو في ديوانه ص ٤٩ وتمامه.

عرف الديار توهما فاعتادها .·. من بعدما أخذ البلى أبلادها

وهو في مفردات الراغب ص ٥٧٤ .

٢ - في (أ - ص) المعنى الذي عد بديعاً من قول الشاعر.

٣- هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة بن بدر ومطلعها :-

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله .·. وعرّى أفراسُ الصبا ورواحله

وتمام هذا البيت :- **تراه إذا ما جئته متهللاً .·. كأنك تعطيه الذي أنت سائله**

والبيت في ديوان زهير ص ٨٤ ط : دار صادر - بيروت. كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٧٤ .

٤ - في (أ - ص) بإظهارها.

٥ - في (أ - ص) على ذلك.

للرجاء، فليس على الاعتبار به تعالى، فإن الرجاء لمن يخفى عليه العواقب، ولا يتمكن من كل ما يريده، والقصد بالآية "بتبين عفوه عنهم بعد ارتكابهم الجرائم ليتحروا شكره المقتضي لرحمته" تنبيهاً لنا أن نراعي عفوه وإحسانه- راجين بلوغ شكره بالأفعال الحميدة، وقوله: (مِن بَعْدِ ذَلِكَ): أي من بعد اتخاذكم العِجْلَ، وإنما لم يقُل: (ذَلِكُمْ) لأن كَافَ الخِطَابِ إذا اتصل بالمبهمات يصير كَوَصْلِهِ لَهاَ وجُزْءاً منْهَا، فتارةً يُعْتَبَرُ فيه الأصل فَيُجْمَعُ، وتارةً يعتبر فيه [١] كونه وصْلَةً لاَخِطَاباً، فيترك على حالته لا يثنى ولا يجمع.

قوله - عز وجل:

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. : الآية (٥٣) - سورة البقرة.

الكتابُ والفُرْقَانُ: اسمان لشئ واحدٍ، لكن يقالان باعتبارين مختلفين، أما الكتابُ، فلجمع الأحكام المتفرقة فيه[٢]، وأما الفُرْقَانُ: فلكونه مفرقاً بين الحق والشبهة وبين الأحكام المختلفة، وأتى باللفظين تنبيهاً على تضمين التوراة للمعنيين، وهذا أصحُّ من قوْل من قال: تقديره: "وإذ آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان"، فإن التوراة والقرآن[٣] كُلٌّ واحدٍ كتابٌ من وجهٍ، وفرقانٌ من وجْهٍ، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٤]، وما قالوه من أن الفرقان أريد به فرق البحر، فلا يمتنع إرادته مع ما تقدم، والإيتاء منقولٌ عن: أتَيْتُ، لكن تُعُورِفَ في الإعطاء لماَّ كَانَ الإِعْطَاءُ ضرْبَانِ من الإيتاء، وقد تقدم الكلامُ في"لعل" وفي الابتداء.

---

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - في (أ - ص) منه.

٣ - في (أ - ص) الفرقان.

٤ - سورة الأنبياء : الآية (٤٨).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. الآية :(٥٤)- سورة البقرة

قد تقدم الكلام في الظلم، فأما ظلم النفس، فقد يُقَالُ لكل فعل يباعدها عن توفيق الله تعالى في الدنيا وعن ثوابه في الآخرة صغيراً كان أو كبيراً، وقوله: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾**[١]، وقوله: **﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[٢].

فالأظهر أن فِعْلَ الفاحشة وعَمَلَ السُّوء للكبيرة، وظلم النفس في الآيتين للصغيرة. وفي الجملة: فإن ظُلْمَ النَّفْسِ هو الخروج عن الاعتدال صغيراً كان أو كبيراً، وقوله :"بَارِئِكُمْ" فأصل البرء خلوص الشئ عن غيره إما على سبيل التقصي منه، أو على سبيل الإنشاء عنه، فعلى التقصي قولهم: برئ فلان من مرضه، والبايع من عيوب مبيعه، وصاحب الدين من دينه، ومنه: استبراء الجارية، فإنه أراد تقصيها من "مَا" ومن "عسى" أن قد غشيها من قبل، وعلى سبيل الإنشاء: قولهم: أبرأ الله الخلق، وقوله تعالى: **﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾**[٣]، فإشارة إلى أحوالٍ ثلاثٍ، فالخلق: إلى إيجاد البدن، والْبُرءُ: إلى إيجاد الروح، وهي النسمة التي عناها أمير المؤمنين بقوله: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة»، والتصوير إلى الجمع بينهما وإلى ثلاثتها أشار بقوله: **﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**[٤] الآية.. ، وإلى ذلك أشار بقوله: **﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾**[٥]، وأما البرية، فكثيرٌ من الناس ذهبوا إلى أنها منه، فترك همزة، كالذريةِ والنبيِّ والْخَابِيةِ، ومنهم من قال: البرى. أي التراب، أو من البرى، وإليه ذهب الكسائي فبرا هي اعتباراً بالأرواح، وبرى اعتبراً بالأشباح، والقتل معروفٌ، وقد يستعمل في معنى

---

١ - سورة آل عمران - الآية : (١٣٥).

٢ - سورة النساء . الآية (١١٠).

٣ - سورة الحشر : الآية (٢٤).

٤- سورة ص الآيتان (٧١ ، ٧٢).

٥ - سورة الزمر : الآية (٦).

التذليل وإزالة السورة، يقال: قتلت الدابة[١]، أي: ذللتها، وقتلت الخمر: أزلت سورتها بالمزج، **قال الشاعر:**

إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلْتَ فَهَاتِهَا لَمْ يُقْتَلِ.[٢]

وفُلاَنٌ قَتَل فُلاناً، أي :مثله، فأصله مقاتلة، فتصُوِّرَ منه معنى المماثلة، لكون المقاتلين متماثلين في فعليهما المختص بهما، وإذا قيل: فلانٌ قتل نفسه، فقد يقال: إذا فعل بنفسه فعلاً أزال[٣] به الروح، وقد يقال إذا سلم نفسه للقتل، وإن كان أكثرما يقال في ذلك المستقتل، وقد يقال: إذا قيل من يختص به اختصاص نفسه نحو: **فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلاَّ بَنَانِي، وقوله: وإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي،**

وقد يقال: "قَتَلَ فُلاَنٌ نَفْسَهُ، إذا ضيع حظها في طلب الآخرة، فأدى به ذلك إلى زوال حياته الأبدية، وذلك مذمومٌ، وقد يقال في ضد ذلك وهو إذا أفنى شهوته وذلك هواه في الدنيا طلباً للآخرة، وذلك مَحْمُودٌ، وعلى الأول قال جعفر بن محمد في قوله: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾[٤] أي: اطلبوا لها الحياة الأبدية، وعلى هذا قيل: "قَتْلُ النَّفْس إحْيَاءُهَا، وإحياءها قتلها، يعني في حالة وحالة، وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى **(أن من أحبنى قتلته، فقال يارب: إذا انتهيت فى الخلة لم أبال بقتل الدنيا)**، وقال بعض الحكماء: "من لم يعذب نفسه لم ينعمها، ومن لم يقتلها لم يحبها (فاقتلوا أنفسكم) حملوه على أكثر هذه الوجوه، قال بعضهن: أُمِرُوا أنْ يجبأ كل واحدٍ نفسه بالسكين، وقيل: أمروا أن يسلم كل أحدٍ للقتل، وقال أكثرهم: "أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً، فكان الرجل يقتل أباه وأخاه، غير متحاشٍ[٥] من ذلك، وقال بعضهم: أمروا أن يزيلوا شهواتهم ويفنوا نفوسهم الشهوية في الوصول إلى رضاء[٦] الرب ويبلغوا[٧] إلى الحياة الأبدية وقد طعن في هذه الآية بعض الملحدة، وزعم أن قتل

---

١ - في (و - ج) الدالة، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - هذا البيت لحسان بن ثابت ، وهو من قصيدة مطلعها :-

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

وقالها فى عمرو بن عبدالحارث وبحضرته كل من النابغة وعلقمة بن عبدة.

ديوان حسان بن ثابت - ص ١٧٩ -ط : دار صادر - بيروت.

٣ - في (أ - ص) ما أفات به.

٤ - سورة النساء: الآية (٢٩).

٥ - في (أ - ص) ولا يتحاشى.

٦ - في (أ - ص) مرضاة.

٧ - في (أ - ص) والبلوغ.

النفس مستقبحٌ في العقل، وهذا الجاهل إنما استقبحه لكونه جاهلاً [١] أن لنفوسنا خالقاً بأمره نستبقيها وبأمره يقيها، وأنَّ لها بعد هذه الحياة التي هي لعبٌ ولهوٌ معاداً إلى دارٍ فيها حياةٌ سَرْمَدِيَّةٌ، كما قال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[٢]، وإن قتلها بأمره يوصله[٣] إلى حياة خير منها، ومن علم أن الإنسان في هذه الدنيا كمجاهدٍ أقيم في ثغرٍ يحرسه ووال على بلد يسوسه، وأنه مهما استرده [يعاد][٤]، فلا فرق بين أن يأمره بخروجه بنفسه أو يأمر غيره بإخراجه، ومن تصور هذه الجملة علم أن الإنسان إنما أنكر له قتل نفسه في الدنيا لأنه كالراجع عن الثغر إلى حضرة صاحبه قبل استرداده، وإذا أمره أن يقتل نفسه- فقد رجع عنه بأمره وذلك ظاهر لمن تصور حالتي الدنيا والآخرة، وعرف قدر الحياتين والميتتين فيهما، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ الإشارة به إلى التوبة[٥] وقتل النفس، ولما كان الشئ قد يكون خيراً عند الاعتبار بالدنيا شراً عند الاعتبار بالآخرة، وقد يكون على عكس ذلك.

بين تعالى بقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ أن ذلك خير[٦] بالاعتبار بالأمور الإلاهية، إن قيل: لم أعاد ذكر "بارئكم"؟.

والإتيان بالضمير في مثله أحسن؟ قيل: إنما يحسن الضمير إذا لم يشتبه، ولم يقصد بالتكرير تعظيم[٧] الأمر، وكان ذلك في جملةٍ واحدة أو ما حكمه حكم الجملة الواحدة، فأما إذا لم يكن كذلك فتكريره أحسن، وقد حصل ههنا الأحوال الثلاث، فإنه جرى ذكر موسى والعجل، فلو قيل عنده: يصح توهم إرادة أحدهما، ثم قد علم أن المقصود في مثل هذا الموضع تفخيم الأمر، ثم قوله: (ذلكم خير لكم) جملةٌ أخرى غير الأولى..

---

١ - في (أ - ص) لذهابه عن.

٢ - سورة العنكبوت : الآية : (٦٤).

٣ - في (أ - ص) يوصلها.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (و - ج) التورية وهو خطأ من الناسخ.

٦ - في (و - ح) خبر وهو تصحيف.

٧ - في (أ - ص) تفخيم.

وقول الشاعر :

لاَ أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ[١]

وإنما استقبح لأن قوله: يسبق الموت "مفعول ثانٍ" لقوله: لا أرى الموت فصار المصراعُ كله جملةً واحدة، والكلامُ في التوبة والثواب قد مضى، وعند قوله: (بَارِئِكُمْ) أي في حُكْمِهِ وفيما[٢] يرتضيه نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[٣]، والشئ الذي يرتضيه تعالى تارة ينسب إليه، فيقال: [هُوَ][٤] لَهُ"، وتارة يقال: "هُوَ من عندِهِ"، و"هو عنده" وقد بين[٥] في قوله: (وَإِذْ وَاَعْدنَا مُوسَى) ما ارتكبوه من الذنب، وبين في هذه الآية ما قال لهم موسى -عليه السلام- عند ارتكابهم ذلك الذنب، وأن موسى -عليه السلام مع تعظيم ما ارتكبوه لم يُخْلِهِمْ عن النصح لهم وتصريفهم بين بلاء النعمة والنقمة حَسْبَ ما أمره الله تعالى[٦]

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

الآية (٥٥)- سورة البقرة .

[الرؤية:][٧] إدراك المرئي،[٨] وذلك على أوجه بحسب اختلاف قوى الإنسان، فالأول [الرؤيا][٩]

١- هذا شطر بيت وتمامه:

لا أرى الموت يسبق الموت شيئٌ ∴ نغص الموت ذا الغني الفقيرا

والبيت لعدي بن زيد العبادي ، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب ج:١ - ص ٣٠ ، وأمالي ابن الشجري - ج:١ - ص ٢٤٣ ، ومغني اللبيب ص ٥٠٠ ، والخصائص - ج:٣ - ص ٥٣ ، وخزانة الأدب ج:١- ص ١٨٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ج:١ - ص ٢١٢ ، والمدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى - لأبي النصر السمرقندي المعروف بالحدادي ص ٢٩٨ .

٢ - في (أ - ص) وبما يرتضيه.

٣ - سورة آل عمران - الآية : (٧٨).

٤ - ساقطة من (و- ج).

٥ - في (أ - ص) من.

٦ - في (أ - ص) ما أمره الله به.

٧ - ساقطة من (و- ج).

٨ - في (و - ج) المرائي وهو تحريف.

٩ - ساقطة من (أ - ص).

بالحاسة، وهو إدراك البصر، والثاني بالوهم والتخيل، نحو أرى أن زيداً منطلق، أي أتوهم، وقد يكون ذلك في اليقظة طوراً، وفي المنام طوراً، لكن يجعل اسم ما في المنام رؤيا، والثالث بالتفكر ، والرابع بالعقل المشار إليه في قوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[١]، فأما الرؤية الحسية على ما هي [عليه][٢] في الدنيا من المقابلة، وكونها في جهة دون جهة فمنفية عن الباري سبحانه، إذ كان ذلك لا يصح إلا على جسم ذي لون وكيفية ولعدم اللون لا يُبصر الهواء مع كونه جسماً، ولا يصح أيضاً على الله الرؤية الوهمية إذ كان ذلك تصور هيئة محسوس كما تقدم أو مثل محسوس باطلاً كتوهم إنسان طائر، وأما الفكرية فهي للعلماء في الدنيا، وذلك إدراك المعرفة بالفكر [والرؤية][٣]، وإياه عنى أمير المؤمنين بقوله: "لم تره العيونُ بشواهدِ الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان"، وأما العقلية فإنها تحصل في الآخرة لكل أحد من حيث أنهم يضطرون إلى معرفته تعالى، لكن للمؤمنين حالةٌ زائدة تقصر العبادة عنها، وهي المبشر بها في **قوله عليه السلام:**

(ترون ربكم-عز وجل- كما ترون القمر ليلة البدر)[٤]، والمشار اليها بقوله - عز وجل: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾**[٥].

ولا يحصل في الدنيا إلا لبعض الأنبياء في بعض الأحوال، وذلك بتصور أفعاله تعالى مجردةً عن أفعال المخلوقين بلا شبهةٍ تعتريه ولتعري نفسه من الشهوات والهوى، ولكون ذلك لبعض الأنبياء في حال دون حال، قال عليه السلام:

«رأيت ربي في بعض طرقات المدينة»[٦]، بمعنى وأنا فيها، وقال تعالى:

---

١ - سورة التكاثر : الآية (٧).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - ساقطه من (و - ج).

٤- الحديث أورده ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري بسنده إلى جرير قال : كنا جلوساً عند النبى ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا» الحديث رقم ٧٤٣٤ - ج:١٩ - باب قول الله تعالى ، «وجوه يومئذ ناضرة».

٥ - سورة القمر : الآيتان (٥٤ ، ٥٥).

٦ - هذا الحديث بحثت عنه فلم أهتد إليه، ولكني وجدت مايقارب معناه في كتاب:(راموز الأحاديث)، لأحمد ابن مصطفي النقشبندي الخالدي حيث أورد مانقله الطبراني عن أبي زرعة الرازي قوله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت ربي في المنام في صورة شاب موفر فى الخضر، عليه نعلان من ذهب)، وكذلك الحديث الذي رواه الطبراني في السنة عن معاذ بن عفراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت ربي في خطير من الفردوس في صورة شاب عليه تاج يلتمع البصر)، وخطير من الفردوس أى محل، والظرف مجاز والله منزه عن المكان وقال السيوطي: هو محمول علي رؤية المنام. وقال الطبراني: وهو صحيح . كتاب راموز الأحاديث - ص٢٨٦، ٢٨٧.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[١] وقوله ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾[٢]، [أي وكان النبي عندها،] [٣]وقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[٤] وروى ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- "أن محمداً ﷺ رأى ربه مرتين" وهذه الجملة إذا تُصُوِّرت أسقطت الشبهة التي تعتري مَن لَمْ يتصور الحقائق، فاحتاج إلى رفع الأخبار الصحيحة والآثار الواضحة التي هي كأن عليها من شمس الضحى نوراً، ومن فلق الصباح عموداً وليس قوله تعالى إخباراً عن موسى -عليه السلام- في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[٥] كما ظنه بعض الناس أن ذلك سأله لأن قومه كلفوه سؤاله أن يدركه محسوساً في الدنيا وكان يعلم أن ذلك محال، فإنه عليه السلام منزهٌ عن أن يسئ لإساءة قومه، ويتجاهل اتباعاً لجهلة تباعه، وإنما سأله هو الحالة التي كانت للنبي- ﷺ - مرتين، وهذه إشارةٌ يمكن مع الاستعانة بما تقدم آنفاً أن يعرف معناه إلى أن ينتهي إليه، فنشرحه شرحاً شافياً- إن شاء الله-، وأما الجهر: فالظهور لحاسة البصر أو حاسة السمع، فمن حاسة البصر، قيل: رأيته جهاراً، وتجاهروا بالأمر، وأجهرت فلاناً، وفلان يجهر[٦] بالمعاصي، وجهرت البئر أظهرت ماءها، ومنه اشتق الجوهر[٧]، لكون أكثره ظاهراً للحواس فيمن لم يجعله منقولاً عن الفارسية، ومن حاسة السمع، قيل: جهر فلان بقراءته، وكلامٌ جهيرٌ، وهو جهوري الصوت، والصاعقة والصاعقة يتقاربان، إلاّ أن الصقعَ يقال في أصوات الأجسام الأرضية، والصعق فيما يكون من الجو[٨] والسماء، وقال بعض أهل اللغة: الصاعقة

---

١ - سورة النجم : الآية (١١).

٢ - سورة النجم : الآيتان : (١٣، ١٤).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة النجم : الآية (١٧).

٥ - سورة الأعراف : الآية (١٤٣).

٦ - في (أ - ص) تجهر ، وهو تصحيف.

٧ - في (أ - ص) عبارة جانبية وضعها الناسخ وهي: (مطلبٌ في اشتقاق الجوهر).

٨ - في (و - ج) من الحق.

على ثلاثة أوجه، الموت: لقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾[١]، وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[٢]. والثاني: العذاب، لقوله: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[٣] والثالث: نار تسقط من السماء لقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾[٤]، وهذا سوءُ تصور، لأن الصاعقة هي الصوت الشديد على ما تقدم، ثم قد يكون منه الموت تارةً والعذاب تارةً وتصحبه[٥] النار تارة، فإذا الموت، والنار والعذاب من [٦] يستفد من لفظ الصاعقة ويجب أن لا يلتبس علينا المعنى الذي وُضع له اللفظ بالمعنى الذي يتبعه ويقتضيه، وليس بموضوع له بالقصد الأول، وهذا بابٌ قد [يقع فيه السهو كثيراً على بعض ناقلي اللغة] [٧] وقد أحكم في غير هذا الكتاب[٨]، وقد بين الله تعالى في هذه الآية جهلهم بالباري وسؤالهم منه مالا يصح سؤاله -تنبيهاً أن الجهل يرد بالإنسان أن يعتقد في الباري مالا يصح عليه، ويرَغب إليه بما لا يجوز أن يرغب به إليه، وقد نبه على ذلك بآية أخرى [٩] تسكيناً للنبي - عليه السلام- فيما سألوه جهلاً منهم بقوله [عز وجل][١٠]: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[١١] الآية..

---

١ - سورة الزمر : الآية (٦٨).

٢ - سورة الذاريات : الآية (٤٤).

٣ - سورة فصلت : الآية (١٣).

٤ - سورة الرعد : الآية (١٣).

٥ - في (أ - ص) ويصحبه ، وهو تصحيف.

٦ - في (أ - ص) لم يستفد وهو خطأ من الناسخ.

٧ - هذه الجملة ساقطه من (أ - ص).

٨ - في هذه العبارة إشارة إلى كتاب مفقود للراغب يدور حول تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وقد ذكره الراغب أيضاً في مقدمة كتابه " مفردات ألفاظ القرآن".

٩ - في (أ - ص) بالآية الأخرى.

١٠- ساقطة من (أ - ص).

١١ - سورة النساء : الآية (١٥٣).

قوله - عز وجل :

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآية (٥٦) - سورة البقرة .

البعث: إرسال المبعوث عن المكان الذي فيه، لكن فُرق بين تفاسيره بحسب اختلاف المعلق به، فقيل: بعثت البعير [من][١] مبركه، أي : أثرته، وبعثته في السير، أي : هيجته، وبعث الله الميت: أحياه، وضُرب البعث على الجند إذا أمروا بالارتحال، وكل ذلك واحدٌ في الحقيقة، وإنما اختلف لاختلاف صور المبعوثات، والموت حُمِلَ على المعروف، وحُمِلَ أيضاً على الأحوال الشاقة الجارية مجرى الموت، وليس يقتضي قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[٢] أنهم ماتوا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[٣]، لكن الآية تحتمل الأمرين، وحقيقة ما كان إنما يعتمد فيها على السمع المتعري عن الاحتمالات والكلام في ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قد تقدم، ونبه بالآية على أنه تعالى ينقذ[٤] من الشدائد عبده حالاً فحالاً تنبيهاً له من غفلته، وإليه أشار بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[٥]..

وقوله - عز وجل :

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الآية (٥٧)- سورة البقرة : .

الظل في الحقيقة عدم الصبح، وسمي سواد الليل ظلاً لعدم الصبح فيه والظلة كالصفة، والمظلة آلة يُطلب بها الظل، و"أظل فلان علينا حقيقته" ألقى ظله علينا لدنوه منها، واستعير الظل للمكان الذي فيه النعمة تصوراً له في اليوم الصائف حتى قيل: فلانٌ في ظل فلان، وقد أشار ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى أن [الغمام][٦] ههنا فيضُ الباري -عز وجل- وتوفيقه وإحسانه، فقال: هذا الغمام

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة البقرة : الآية (٥٥).

٣ - سورة الأعراف : الآية (١٤٣).

٤ - في (و - ج) يقدم وهو خطأ من الناسخ.

٥ - سورة فاطر : الآية (٣٧).

٦ - ساقطة من (و - ج).

الذي يأتي الله فيه المذكور في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[1] ، وهو الذي جاءت فيه الملائكة فيه[2] يوم بدر، وهذه إشارة منه عجيبة، وأما المن: فمصدر منٌّ، أي أنعم وأصله من : مننت، أي قطعت والمنة تتصور على وجهين، أحدهما: النعمة المقطوعة عن المَنِيَّة[3]، وعلى ذلك قول النبي ﷺ «وَارْغَبْ لَكَ رَغْبَةً من المال» [4] أي اقطع، والثاني: السبب الذي يقطع الشكر ويحرمه، وهو المعنى بقوله: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [5] ويقولهم[6]: المنة تهدم الصنيعة والسلوى أصله ما يُسلي الإنسان، ومنه السلوان والتسلي، وقال مجاهد: المن صمغة، وقال قتادة، وهو مثل الثلج، وقال الربيع: شراب كالعسل، وقال السدي: هو الزنجبيل، وقالوا: السلوى : طائرٌ كالسماني، وأما قول ابن عباس- رضي الله عنهما- المن الذي يسقط من السماء على الشجر فيأكله الناس، والسلوى طائر، فقد قال بعضهم: إن ابن عباس -رضي الله عنهما- أشار بذلك إلى ما يرزق الله بني آدم من النبات واللحوم وسائر الخيرات، ودل على ذلك بهذين المثالين، قال وعلى هذا قول غيره إنما هو مثالات..

وقوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[7]، قد تقدم الكلام في الرزق، وأنه بالنظر الخاصي ليس يتناول الأعراض الدنيوية فقط، بل جميع ما خولنا ومكننا منه من النعم الثلاث النفسية والبدنية والخارجية ولم يرد بالطيب المستطاب بحاستي الذوق والشم، بل المستطاب من كل وجه محسوساً ومعقولاً وعاجلاً وآجلاً، والطيبات من الطعام هي المتناولة بحكم العقل والشرع من حيثما يسوغ تناوله في وقت ما يحتاج إليه [إلى تناوله وبقدر ما يحتاج][8]غير مسرف فيه ولا مشتغل به عما خلقنا لأجله ومتى تؤول على هذا الوجه يكون طيباً على الإطلاق، وإلاً فإن طاب من وجه خَبُث من وجه، وعلى ذلك

---

١ – سورة البقرة : الآية (٢١٠).

٢ – في (أ – ص) جاءت فيه الملائكة.

٣ – في (و – ج) القنية وهو خطأ من الناسخ.

٤ – في (أ – ص) وأرغب منه رغبة من المال.

٥ – سورة البقرة : الآية (٢٦٤).

٦ – في (أ – ص) ويقول الناس.

٧– سورة البقرة الآية:(١٧٢)، وسورة الأعراف – الآية (١٦٠).

٨– ساقطة من (أ – ص).

قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [١]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٢]، وإذا عرف هذه الجملة علم أن من قال الطيبات اللذيذات نظر نظر حس، ومن قال الحلال والحرام نظر نظر معقول، وقوله: (وما ظلمونا) لما كان الله ذكرأفعالاً تجري مجرى معاملات بينه وبين العباد كمعاملة العباد بعضهم مع بعض، من نحو الاستقراض في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[٣]، والابتياع في نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[٤]، ووصف نفسه بشكره لهم كشكرهم له ومحبته لهم كمحبتهم له ونصرته لهم كنصرتهم له، وموالاته لهم كموالاتهم له، وذكر مخادعته لهم كمخادعتهم له تعالى الله عن القبائح، وسائر ذلك من الأفعال التي تجري بين المتكافئين بيَّن تعالى أنه لا يعتقدنَّ [به][٥] معتقد أني إذا فعلت به فعلاً حسناً مما إذا فعله إنسان بآخر ولم يقابله بمثله كان ظلماً منه له أن يكون قد ظلمني في ذلك، ولكن قد ظلم نفسه وضيع حظه،[٦] إذ هو منزه أن يلحق نقيصة، إن قيل: كيف يعلق قوله: (وما ظلمونا) بما تقدم قيل: معناه: قلنا لهم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٧]، فخالفوا، وما ظلمونا بمخالفتهم، وفي الآية تحذيرٌ لنا من كفران النعم [٨]وتلقيها بالبطر، وأن ما تعامله به من إساءة وإحسان فعائد علينا منافعه ومضاره..

---

١ - سورة البقرة الآية : (١٦٨).

٢- سورة الأعراف : الآية (٣٢).

٣ - سورة البقرة : الآية : (٢٤٥) ، سورة الحديد : الآية (١١).

٤ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٥ - ساقطة من (أ - ص).

٦ - فى (أ-ص) ولكن نفسه ظلم وحظه ضيع.

٧ - سورة البقرة : الآية (١٧٢) ، سورة الأعراف : الآية (١٦٠).

٨ - في (أ - ص) من الكفران بالنعم.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية (٥٨)-سورة البقرة .

الدخول والولوج والتفحم والتوغل متقاربة، لكن الدخول عام، والولوج الدخول في مضيق، والتفحم دخول في شدة، والتوغل في مشتبك شجر[١]، وأوردت الإبل دخالاً إذا تداخلت في الورود، وفلان دخيل في القوم، وفيه دخل كناية عن الفساد، ودخول في مغمرة بالكلام، والدخل طائر صغير سُمي بذلك لدخوله[٢] خلال الشجر الملتفة، والحجر الضيقة، والقرية من قريت الشئ جمعت، وقيل أصله قرية، والقرى مجمع الماء، فكل بقعة يجتمع فيها الماء والأبنية قيل قرية، والمقرى للحوض، والقرى للحوض، والمكيلة، و(حطة) فعلة من حططت، وقرى نصباً ورفعاً، وبالنصب قيل هو مفعول بها نحو: قلت كلمة طيبة، وقيل هي في موضع سؤال أي: حط عنا ذنوبنا، نحو: غفراً لنا، وبالرفع، قيل هي حكايةٌ، كأنه قيل: ما نسأله حطة، وقيل معناه هو مُعْلَمٌ تحطون فيه رحالكم، والغفر ستر بحائل، ومنه المغفر للبيضة، والغفارة لخرقة يغطى بها الرأس، ولما تلف على سنة القوس، وغفر المريض" نكس كأنه غطى المرض على عقله أو على صحته، وغفر ذنبه استعارة في الأصل، كقولهم: "ليست عليه ذيلي، والخطايا على ضروب أحدها أن يريد غير[٤] ما يحسن إرادته ويفعله، فهذا هو الخطأ التام [من كل وجه][٥] المأخوذ به الإنسان، والثاني أن يريد ما يجوز[٦] فعله، لكن وقع منه خلاف ما أراد، فيقال:

---

١ - في (أ - ص) في مشتبك كالشجر.

٢ - في (أ - ص) اعتباراً بدخوله- وهي تؤدي المعنى.

٣ - قرأ (حطة) بالنصب كل من الأخفش وابن أبي عبلة وطاووس اليمني، انظر: معجم القراءات القرآنية ج:١ - ص ٥٩.

٤ - في (و - ج) على ما يحسن.

٥ - ساقطة من (أ - ص).

٦ - في (أ - ص) ما يحسن.

أصاب في الإرادة، وأخطأ في الفعل، وهو المعنى بقوله: عليه السلام: **(رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ)**[١]، وقوله: **(مَنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَه أجرٌ)**[٢]، والثالث: أن يريد مالايحسن فعله ويتفق منه خلافه، فهذا مذموم لقصده وغير محمود على فعله، وجملة الأمر أنه يقال لمن أراد شيئاً فأنفق منه خلافه أنه أخطأ، وإذا وقع منه، كما أراده أنه أصاب الخطأ ويقال لمن - فعل فعلاً لا - حسن أو أراد إرادة لا - حسن أنه أخطأ ولهذا يقال- أصاب فأخطأ الصواب، وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ، فإذا هذه اللفظة مشتركة كما ترى، مترددة بين معاني يجب لمن يتحرى الحقائق تأمله، فهي مشكلة[٣] جداً، وقال بعض أهل اللغة: يقال خطيء[٤] إذا أصاب ما أراده من الخطأ، وأخطأ إذا أراده ولم يصبه، والحسن يقال لما يألفه البصر أو تألفه البصيرة، وأحسن إذا فعل ما استحسنه أحد هذين، وقد تقدم أن الإحسان زائد على العدالة، لأن العادل هو الذي يفعل ما إذا أخل به تلحقه[٥] المذمة، والمحسن من زاد على ذلك، ولذلك قيل: "عدل الله كله إحسان" وورد في التفسير أنهم أمروا بدخول بيت المقدس من باب القبة منحنين، وقيل ساجدين، وأن يستغفروا، وذكر بعض المحققين أن الإشارة مع إرادة الظاهر بدخول القرية إلى الدخول تحت حجر الشريعة، وبالأكل إلى تحري ما يبلغهم إلى العيش الرغد، وبدخول الباب سجداً سلوك الاستقامة على التذلل والتخضع، وبقوله: (حطة) إلى الاستغفار قولاً وفعلاً طلباً لحط الذنوب، وقال بعضهم: الإشارة به إلى التحقق بالعلم الذي أتاهم به موسى- عليه السلام- وتناولهم منه والتمسك به فهو الحلال الحلو الذي يتناول بلا خطر، إذ إن جميع المتناولات في

١- الحديث عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه،أخرجه أبو القاسم التميمي فى فوائده ، ورجاله ثقات ، غير أن فيه انقطاعاً ، وأخرجه الطبراني فى المعجم الكبير - ج:١١ - ص ١٣٢ ، وأخرجه الدارقطني فى سننه - ج:١ - ص ١٧١ وابن ماجة - ج:١ - ص ٦٥٩ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك - ج:٢ - ص ١٩٨ ، وصححه ابن حبان والحاكم ، ووافقة الذهبى ، وضعفه الإمام أحمد فقال عبد الله بن أحمد فى العلل سألت أبي عنه فأنكره جداً ، وانظر: كشف الخفاء - ج:٢ - ص ١٣٥ ، والمقاصد الحسنة ص ٢٢٨ وتخريج أحاديث اللمع - للغماري ص ١٤٩ وأورده الراغب فى مفردات الفاظ القرآن ص ,٢٨٦

٢- الحديث عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر » أخرجه البخاري فى ج:٩ - ص ١٩٣ - كتاب الاعتصام بالسنة ، وأخرجه مسلم ج:١٥ - ص ١٧١٦-كتاب الأقضية وأبو داود وأخرجه الخطابي في معالم السنن ج:٤ - ص ١٦٠ وأورده الراغب فى المفردات ص ٢٨٧ .

٣ - في (أ - ص) مشككة.

٤ - في (و - ج) خطه، وهو تصحيف.

٥ - في (أ - ص) لحفته.

تناوله مزاحمة البعض البعض ومنع الغير على وجه آلاء العلم، فإنه يمكن لكل واحد أن يتناول كل جزء منه بلا منع منه للآخر، وأمر بسلوك طرقه على ما يجب، وذلك بأن لا يقدم ما يجب أن يؤخر أويؤخر ما شأنه أن يقدم، وعلى ذلك قوله - عز وجل: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[١]، والإشارة بالقرية إلى العلم كإشارة النبي - عليه السلام بالمدينة إليه حيث قال: **«أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابها»**[٢]، وهذان القولان يتقاربان، فإن العلم والعمل يتلازمان، وبهما يتم الإيمان، لكن الأول نظر إلى المنتهى الذي هو العمل، والثاني نظر إلى المبدأ الذي هو العلم، وبحسب هذه الآية قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[٣]..

قوله عز وجل:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

الآية (٥٩) - سورة البقرة :.

التبديل والتغيير يتقاربان، لكن أكثر ما يقال التبديل في شئ يجعل مكان آخر، والتغيير في حالة للشئ تغير كالماء الحار إذا جُعل بارداً، وقيل: الأبدال من الناس هم قوم يجعلهم الله مكان آخرين ممن هم [المعنيون من العالم] [٤] الذين بدلوا أحوالهم البهيمية بالأحوال الملكية حسب الطاقة، والرجز: الرجس والنجس يتقارب معانيها بتقارب ألفاظها نحو: السراط والزراط، والبراق والبساق، وأصل ذلك لما يُعَافُ ذوقاً أو شماً أو عقلاً أو شرعاً، فالكريهُ بالعقل والشرع يعبر عنه بالخبيث والقذر ونحو ذلك، كما يعبر عن ضده بالطيب والنظيف، وعلى ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٥]، وقوله

١- سورة البقرة : الآية (١٨٩).

٢ - الحديث رواه الحاكم فى المستدرك والطبراني فى الكبير وأبو الشيخ فى السنة وغيرهم ، وكلهم عن ابن عباس مرفوعاً مع زيادة «فمن أتى العلم فليأت الباب» ورواه الترمذي وأبو نعيم وغيرهما عن علي بلفظ أن النبي ﷺ قال : «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وهذا حديث مضطرب غير ثابت كما قال الدار قطني فى العلل ج:٣ - ص ٢٤٧ ، وقال الترمذي : منكر ، وقال البخاري ليس له وجه صحيح وأورده ابن الجوزي فى الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به كما ورد كذلك فى اللآلى وكشف الخفاء. اللآلى المصنوعة ج:١ - ص ٣٢٩ ، كشف الخفاء ج:١ - ص ٢٠٣ ، وأورده الراغب فى المفردات ص ١٥٠ .

٣ - سورة المائدة : الآية (٢١).

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥ - سورة التوبة : الآية (٢٨).

تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[١]، فإن بعض ذلك كريه بالطبع، وبعضه كريه بالشرع، وسمى العذاب رجزاً في قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾[٢]، ورجساً في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[٣]، ومن قال: ليس الرجس النتن، فقد وصف الله الخمر بذلك، وهي طيبة الرائحة، وقد وصف الله تعالى [خمراً][٤] في الجنة باللذة، [فإن هذا القائل][٥] بعيد التصور للموهومات فضلاً عن المعقولات، وهذه الجملة إذا تصورت علم أن الكسائي لما قال: الرجس النتن، والرجز العذاب، والزجاج لما قال الرجس قد يجئ للعذاب كله قريب، وإنما اختلافهم لنظرهم إلى مواقع الكلمات لا إلى موضوعها[٦] في أنفسها، وكونها مستعارة من[٧] المحسوس للمعقول، وأما تبديلهم، فقد قيل إنه قيل لهم: قولوا حطة، فقالوا استهزاءً حنطة، وقيل لهم: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾[٨] فدخلوا مقعين على أستاهم، والإشارة بذلك في الجملة أنهم غيروا ما شرع لهم ولم يراعوا أمر الله تعالى، فأنزل الله عليهم العذاب، وتخصيص قوله: (رجزاً من السماء)[٩] هو أن العذاب ضربان، ضرب قد يمكن على بعض الوجوه دفاعه أو يظن أنه يمكن فيه ذلك، وهو كل عذاب على يد آدمي أو من جهة المخلوقات كالهدم والغرق، وضرب لا يمكن ولا يظن دفاعه بقوة آدمي كالطاعون والصاعقة والموت، والوحي[١٠] وهو المعنى بقوله (رجزاً من السماء) إن قيل: لم قال: (فأنزلنا على الذين ظلموا) ولم يقل: (فأنزلنا عليهم) مع أنه كان أوجز؟ قيل: قصداً إلى

---

١ – سورة المائدة : الآية (٩٠).

٢ – سورة الأعراف : الآية (١٣٤).

٣ – سورة التوبة : الآية (١٢٥).

٤ – ساقطة من (و – ج).

٥ – ساقطه من (و – ج).

٦ – في (و – ج) موضعهما.

٧ – في (و – ج) عن.

٨ – سورة البقرة : الآية : (٥٨) ، سورة الأعراف : الآية (١٦١).

٩ – في (و – ج) وجزاءً من السماء وهو خطأ من الناسخ.

١٠– في (و – ج) والموحي ، وهو تصحيف.

أن يبين أن إنزال الرجز كان لظلمهم لا للإبدال فقط، فإن الإبدال بعد[١] الظلم، ثم بين بقوله: (بما كانوا يفسقون) أن ذلك الظلم الذي تعاطوه كان فسقاً منهم، "والله الموفق"[٢]...

قوله - عز وجل:

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾. الآية(٦٠)- سورة البقرة.

الاستسقاء طلب السقي أو الإسقاء، فالسقي أن يجعل له ماء يشربه، والإسقاء التعريض للماء، وجعله له ليتناوله متى أراد، فهو أخص معنى من السقي، والسقي إسم للمفعول نحو النقض والنكث، فيقال[٣] للماء سقي، وللأرض التي يجعل فيها الماء سقياً، والعصا أصله من الواو، بدلالة قولهم عصوته نحو هروته إذا ضربته بهما، وقيل عصيته بالسيف، وعصى فلان أصله أن يتناول العصا فيضرب بها، ثم كثر فعبر به عن الخارج من الطاعة، فصار العصا اسماً للطاعة حتى قيل: شق فلان العصا، ولما كانت عادة المسافر ملازمة العصا قيل: ألقى فلان عصاه إذا ترك السفر..

والانفجار والانبجاس، والانصداع والانشقاق يتقارب، لكن الانشقاق عام، والانصداع أكثر ما يقال في الأشياء الصلبة.

والانفجار في الأشياء اللينة، ومنه "فجرة الوادي" للمكان الذي ينبعث منه الماء، واستعير للخروج عن خطر الشريعة لتصور الفاجر بصورة الماء المنفجر من الحوض،واستعير الانفجار والانصداع والانشقاق [٤] لظهور الفجر، وقولهم: فَجَرَ" أي كَذَبَ.هو استعمال لفظ عام في موضع خاص، فإن الكذب بعض الفجور، إذ قد يكون الفجور قولاً وفعلاً،والانبجاس يقارب الانفجار، إلاّ أن الانبجاس لا يكون إلاّ واسعاً، والانفجار يستعمل في الضيّق والواسع، فكُلُّ انبجاسٍ انفجارٌ، وليْسَ

---

١ - في (أ - ص) بعض.

٢ - زيادة في (أ - ص).

٣ - في (و - ج) لكما وهو خطأ من الناسخ.

٤ - في (و - ج) الإنسان، وهو خطأ من الناسخ.

كلٌّ انفجارٍ انبجاساً، فإذاً صح أن قيل ههنا: "انفجرت"، وفي غيرها: "انبجست" لأن العام يستعمل أبداً مكان الخاص، والمشرب مكان الشرب، وسُمِّي الشَّعْرُ على الشفة العليا والعروق التي في باطن الخلق شَارِبٌ لتصورهما بصورة الشاربين، واستُعير الشُّرْب والشِّبَعُ لما يولج في المصبوغ، فقيل: ثَوْبٌ مُشَرَّبٌ ومُشَبَّعٌ صبغاً، و"أشْرَبْتُ فُلَاناً كَذَا" مكنته في نفسه، وعلى ذلك ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[1] والعيثُ والعثي يتقاربان نحو "جذب" و"جبذ"، يقال: عثى يَعثى عثا، وعثى يعثُوا عُثُواً، وعَاثَ يعيثُ عَيْثاً، إلا أن العيث أكثر ما يقال فيما يُدرَكُ حساً، والعثو فيما يدرك حكماً، فإن قيل: فما فائدة قوله[2] (مُفْسِدِينَ)، والعُثُوُّ ضربٌ من الإفساد، وقيل: قد قال بعض النحويين إن ذلك حالٌ مؤكدةٌ، وذكر ألفاظاً مما يشبهه، وقال بعض المحققين: "إن العُثُوَّ وإن اقتضى الْفَسَادَ فليس بموضوع له، بل هو كالاعتداء، وقد يوجد في الاعتداء ما ليس بفساد وهو مقابلة المعتدي بفعله، نحو: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[3]، وهذا الاعتداء ليس بإفساد، بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدل، فلولا[4] كونه جزاءً[5] لكان إفساداً، فبين تعالى أن العثو المنهي عنه هو المقصود به الإفساد، فالإفساد مكروهٌ على الإطلاق، ولهذا قال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[6]، وقد يكون في صورة العثو، والتعدي ما هو صلاحٌ وعَدلٌ على ما تقدمَ، وهذا ظاهرٌ، والمروي في الخبر أنه كان مع موسى - عليه السلام حَجَرٌ إذا نزلوا منزلاً وضعَهُ فضربه بالعصاةِ فانفجرت منه اثنتا عشرةً عيناً لكل سبط عين، وأنكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده، وهذا المنكرِ مع أنه لم يتصور قدرة الله في

١- سورة البقرة : الآية (٩٣).

٢ - في (و - ج) قولهم، وهو تصحيف.

٣- سورة البقرة : الآية (١٩٤).

٤ - في (أ - ص) ولولا.

٥ - في (و - ج) خبراً، وهو خطأ من الناسخ.

٦- سورة الأعراف : الآية (٥٦).

تغيير الطبائع والاستحالات الخارجة عن العادات، فقد ترك النظر على طريقتهم[١]، إذ قد تقرر عندهم أن حجر المغناطيس يجر الحديد، وأن الحجر المنقر للخل ينفره، والحجر الحلاق يحلق الشعر، وذلك كله عندهم من أسرار الطبيعة، وإذا لم يكن مثل ذلك منكراً عندهم، فليس[٢] ممتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض، وقال بعض الناس: "إن في الآية مع هذا المعنى الظاهر إشارةً إلى معنى آخر دقيق، وهوأنه أريد بالعصا السياسة، وذلك يكثر في استعمالهم نحو قوله - عليه السلام: **«لا ترفع عصاك عن أهلك»**[٣] و"شق فلان العصا" إذا خرج عن السياسة المشروعة، وأريد بالحجر إسرائيل الذين وصفهم الله تعالى بقوله: **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾**[٤]، وكان موسى - عليه السلام طلب لهم مداواة[٥] تعم جميعهم العالم والجاهل "منهم"[٦] وعموم المطر للبقاع العامرة والغامرة، فأمره الله تعالى أن يسوسهم سياسة ظاهرة بالعلوم والأعمال التي هي حمل الإسلام والإيمان وهي اثنتاعشرةخصلة التي بينها النبي ﷺ في حديث جبرائيل [عليه السلام][٧] ستة منها الإسلام، وهي: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والصلاة والزكاة، والصيام والحج"، وستة منها وهي: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"، وذلك أن هذه الأركان الاثنى عشر يتشارك في أصولها المكلفون وإن

---

١ - في (أ - ص) - على طريقته.

٢ - في (أ - ص) فغير.

٣ - نص الحديث : «لا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم في الله"
أخرجه السيوطي في الدر المنثور -ج:٤-ص١٧٣.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالرحمن بن جبير بن نفير الخصومي عن معاذ قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال: «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قتلت وحُرقت، ولا تَعُقَّن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاةً متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربنَّ خمراً فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حلَّ سخط الله عز وجل، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناسَ موتان وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طَوْلك ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم في الله». مسند الإمام أحمد-ج:٥-ص٢٣٨- موسوعة السنة وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد -ج:١-ص١٠٥، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين-ج:٦-ص٣٩٢، وأخرجه كذلك الحاكم في المستدرك - ج: ٤-ص٤١.

٤ - سورة البقرة : الآية (٧٤).

٥ - في (أ - ص) المداواة.

٦ - زيادة في (أ - ص).

٧ - زيادة في (أ - ص).

اختلفت فروضهم في أحكامها وفروعها، وقيل أن "استسقاء موسى -عليه السلام- لقومه هو طلب علوم لهم تعمهم وتقلهم من حيث لا يحتاج فيه أحد إلى الاستعانة بالآخر[١]، بل يجري مجرى المطر"[٢] العام للغني والفقير، فبين الله تعالى أن ذلك ليس من الحكمة، إذ قد جعل بينة الدنيا على تفاوت بيِّنٍ بينها. ولذلك قال:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[٣]، وأمره أن شرع لهم بالسنة الأسباط الاثنى عشر أنهاراً من العلوم يتناول كل فرقة على قدر منزلته واستحقاقه من مشربه، وقيل: إن موسى - عليه السلام - طلب لهم العلوم الموهبية وهي الحكمة الحقيقية التي نبه عليها الخضر حيث قال له موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[٤]، فبين الله تعالى له أن منزلة (بني إسرائيل) تقصر عن إدراك ذلك، وأمره[٥] أن يأخذهم بالعلوم والأعمال الظاهرة، وذلك هو الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر التي قد بنيت عليها الشرائع كلها ولكل واحدٍ من ذلك ثلاث منازل منزلة الظالم والمقتصد والسابق، وهم العامة والجامة والخاصة، فالعامة تؤخذ منها بالقهر السلطاني والجامة بالقهر العلمي والخاصة بالقهر اليقيني، فهذه اثنتا عشر خصلة من استكملها بلغ منزلة من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[٦] ووصف به أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٧]، الآية وهذه الأقوال محققة في أنفسها وإن لم تكن مقصودة في الآية والله أعلم.

---

١ - في (و - ج) إلى الآخر.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الزخرف: الآية (٣٢).

٤- سورة الكهف: الآية (٦٦).

٥ - في (و - ج) وأمرهم، وهو تصحيف.

٦ - سورة محمد: الآية (١٧).

٧ - سورة الكهف: الآيتان: (١٣)، (١٤).

قوله عز وجل :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ الآية :(٦١)- سورة البقرة.

الصبر الحبس على المكروه، وذلك ضربان: أحدهما: حبس الغير، فيتعدى نحو: صبرت الدابة، وصبرت يمينه أي: حلفته بالله حلفةً لا خروج لها منها، والثاني : حبس النفس، ولا يتعدى في اللفظ، وهو حبس النفس عما يقتضية الهوى أو على ما يقتضيه "الهوى"[١] والعقل، ويختلف مواقع الصبر، وربما خولف بين أسمائها[٢] بحسب اختلاف مواقعها، فإن كان في مصيبة يقال له : صبر لا غير وضده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعةً، وضدهاالجبن وإن كان في نائبةٍ مضجرةٍ، سمي "رحب الصدر"، وضده "ضيِّقُ الصَّدْرِ" والضجر والتبرم، وإن كان في إمساك [النفس فضولات العكس، سمي قناعة وعفة، وضدها الحرص والشره، وإن كان في إمساك][٣] كلامٍ في الضمير سمي كتماناً، وضده الذل[٤] والإفشاء، ثم الصبر ضربان: نفسي، وبدني، فالبدني: أكثره لأخساء الناس، والنفسي: للأشراف، ولذلك قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ بِالأَرْوَاحِ يعرف فضله صَبْرُ المُلُوكِ، وَلَيْسَ بِالأَجْسَادِ[٥]

والطعام ما يغتذى به مأكولاً كان أو مشروباً، وفي المشروب قال: **﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**[٦]، ورجلٌ طاعم لمن يطعم، ويتجوز به لمن حسنَ حاله في المطعم، ويقال: "قَوْسٌ مطعَمَةٌ، وبعيرٌ مُطْعَمٌ، ومطعمنا الباري لبرئتة كل ذلك تصور أنها تطعم صاحبها، والواحدُ يُقَالُ على أوجهٍ من حيث الجنس

---

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - في (و - ج) أسماؤها، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - في (و - ج) المذل، وهو تصحيف.

٥ - البيت قائله أبو تمام وهو فى ديوانه ص

٦- سورة البقرة : الآية (٢٤٩).

فيقال: الإنسان والفرس واحد، أي من حيث الحيوانية، وواحد من حيث النوع، يقال زيد وعمرو واحد، أي من حيث الإنسانية واحد من حيث الشخص، وإن كان ذا أجزاء كثيرة، يقال: رجلٌ واحدٌ، وواحدٌ من حيث الشرف، نحو قولهم: وَاحِدُ دَهْرِهِ، وواحدٌ من حيث العدد، وهو مبدأ العدد بمعنى أنه لو ارتفع ارتفعت الأعداد، [ولو ارتفعت الأعداد][١] لم يرتفع الواحد بها، فالواحد كيف ما أدرته وأجْرَيْتَهُ لَمْ يَزِدْ فيه شئٌ ولم ينقص، فإنه يحفظ ذاته، ولذلك قيل: إن الواحدة في العدد أقرب الأشياء إلى معرفة وحدانية الله تعالى. فإن قيل: كيف قال: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[٢]، وكان لهم المن والسلوى؟ قيل: إن ذلك إشارةٌ إلى مساواته في الأزمنة المختلفة، كقولك فُلاَنٌ يفعل فعلاً واحداً في كل يومٍ وإن كثرت أفعاله إذا تحرى طريقةً واحدةً وداوم عليها، والدعاء أعمُّ من النداء، فإن النداء يقال فيمن يكون بعيداً أو في حكم البعيد والدعاء فيه وفي القريب، وقوله: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾[٣] ذكر جواب الدعاء، ولم يذكر المطلوب في الأول لكونه معلوماً كقولك: قُلْ لفلانٍ يعطني كذا، وتقديره: قل له أعطني يعطني، والنبت والنبات يقال لما يُنبت الله ولمصدر نبت، وقد يقال ذلك لذوي الساق من الشجرة، وأنبت الغلام إذا راهق على طريق[٤] الاستعارة ولنبات عانته، والبقل مالا ينبت أصله ولا فرعه في الشتاء، وأبقل المكان: صَارَ ذَا بَقْلٍ وتبقلت تناولته وبقل وجهه استعارة، والفوم: الزرعُ، وقيل: الحنطة خاصة، وقيل:الثوم، والثاء والفاء يبدل أحدهما من الأخرى[٥] نحو: جَدَثَ، وجَدَفَ، ومغافيرُ، ومغاثير، وأدنى أي أوضع، ويعبر عن الوضيع بالدني، والخيرُيُقالُ على ضربين: أحدهما الخبر المطلق، وهو الشئ النافع الحسن الملذ، وضده الشر المطلق، وهو الضار القبيح المؤلم، والثاني: الخير المفيد، وهو ما يحصل فيه أحد الأوصاف الثلاثة، فيصح أن يوصف بالخير مرة والشر مرة على نظرين مختلفين، نحو أن يقال: المال خير والمال شر، ولأجل أن الخير المطلق هو ما جمع الأوصاف الثلاثة،

---

١ – ساقطة من (و – ج).
٢ – سورة البقرة : الآية (٦١).
٣ – سورة البقرة : الآية (٦١).
٤ – في (أ – ص) طريقة.
٥ – في (أ – ص) الآخر.

وهي غاية ما يتحرى ويطلب، قيل الخير: هو الذي يطلبه الكل، والشر هو الذي يهرب منه الكل، فإن ما جمع الحسن واللذة والنفع يرغب فيه الكل، وما جمع منه أضداده الثلاثة يهرب منه الكل-، والمصر: اسم لكل بلدٍ عظيمٍ مجموع الأقطار والحدود، وهو في الأصل اسمٌ للمصور أي المضموم بالحدود، نحو النقص والنكث للمنقوص والمنكوث،وعبر عن الحد بالمصر في قول الشاعر :

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مصراً لاخَفَاءَ بِهِ ... بين النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَيْلِ قدْ فَصَلَا[١]

من حيث إن الحد معتبر فيه، ومصرت الناقة جمعت ضرعها بإصبعين للحلب، ولما كان خروج اللبن على ذلك قيل غير مصور لقليلة اللبن، و"فلان مصور" أى بخيل يعسر[٢] إخراج الشئ منه تشبيهاً بذلك، فمصر هـهنا قيل هو البلد المعروف، ولذلك قيل هو في قراءة أبيٍّ - رضي الله تعالى عنه- بغير تنوين،[٣] وقيل : عنى به مصراً من الأمصار، والذلة تقال على وجهَين، على الهُون وقرئ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[٤] والمسكنة: الفَقْرُ الذي يُسكِّنُ الإنسان عن التصرف، ومعنى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ أي الزمت، وأوجبت- تشبيهاً بضرب[٥] الخيمة على من فيها والإحاطة به، و"بَآؤُا" أى احتملوا، وأصل ذلك من البوأ. أي المساواة، فباء فلانٌ بكذا" تنبيهٌ أنه تحمل مِقْدَارَ ما يُسَاوِي وقوته، والمباءة: اَلْمنزلُ[٦] في المُسْتَوَى، وذلك إذا لم يكن ذَا عد، وبَيَّنَ الله تعالى في هذه الآية أنه لما اختار الله لهم ما يتبلغون به، أَبَوْا إلاَّ الميلَ إلي القاذورات وما فيه مراعاة القوة

١- البيت لعدي بن زيد وهو فى ديوانه ص ١٥٩، وفى الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ج:١-ص ٣٩٦ ، وفي بصائر ذوي التمييز ج:٤ - ص ٥٠٩ وفى المجمل فى اللغة لابن فارس ج:٣ - ص ٨٣٣ ، وفى لسان العرب مادة (مِصْر) ونسبه ابن منظور إلى أُمَّية وقال : فى اللسان والتمصير حلب بقايا اللبن فى الضرّع بعد الدَّرِّ فصار مستعملاً فى تتبع القلة يقولون يمتصرونها ، وقال الزمخشري : ومن قولهم : لبني فُلانٍ غَلَّةٌ يمتصرونها - انظر الفائق فى غريب الحديث ج:٣-ص ٣٧٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وأورده الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٦٩ .

٢ - في (و - ج) بغير، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - قرأ (مصر) بغير تنوين كل من الحسن، والاعمش، وابن مسعود، وأبي، وطلحة، وأبان بن تغلب، وابن عباس. معجم القراءات القرآنية -ج: ١-ص٦٤.

٤ - سورة الإسراء : الآية (٢٤).

٥ - في (و - ج) يضرب، وهو تصحيف.

٦ - في (و - ج) المترك، وهو تحريف.

الْبَهِيمِيَّة، والعناية بتربيتها فقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أي أخس بما هو خير مطلق، ثم قال: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ وذلك على نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[١]، فكأنه قيل: إن لم ترغبوا فيما اخترته لكم، وفيه خلاصكم، فشأنكم في قصد المكان الذي لا يُعدم فيه ما ترمونه، وذكر ثلاثة أحوال كل واحدة كالمعلول للأخرى، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي حصلت لهم هذه العقوبة التي هي الذلة والمسكنة والغضب من أجل كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين، وحصل لهم الكفر، وقتل النبيين بالعصيان والاعتداء، وذلك أنه كما أن الخيرات صغارها سببٌ لتحري كبارها، كذلك الشرور صغارها سببٌ لارتكاب كبارها، فبين أنهم لما عصوا وتعدوا، أدى ذلك بهم إلى الكفر وقتل الأنبياء، وأدى ذلك بهم إلى أن أُلْزِمُوا الذِّلَّةَ والمسكنة، وغضب الله عليهم، وفيها تنبيهٌ لنا أن من طلب لنفسه غير[٢] ما أثره الله له، فقد خرج من التوكُّلِ بل قد تَعَدَّى، فقد قيل: (من لم يهتد بما يختاره الله له، لم يهتد بما يختاره لنفسه)، ولهذا قيل في الدعاء: **«اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأكلني كلاية الوليد في المهد»**..[٣]

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «الآية : (٦٢) - سورة البقرة».

الهود: قبل التوبة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[٤]، أي تبنا ، ومنه أخذ اليهود، وقيل: أصل اليهود ويهدوا منقولٌ عن السريانية، وهو أقرب، وَهَادَ فُلانٌ إذا تحرى طريقتهم في الدين، والاسم الْعَلَمُ قد يُتَصَوَّر منه [معنى][٥] ما يتعاطاه المسَمَّى به والمنسوبُ إليه، ثم يشتق منه ، نحو قولهم تَفَرْعَنَ فُلَانٌ، إذا تحرى في فعله الجور الذي كان يتعاطاه فرعون[٦]، و"تَطَفَّلَ فُلَانٌ"[٧] اذا فعل فعل

---

١ - سورة فصلت : الآية (٤٠).

٢ - في (أ-ص) عن، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - الحديث «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا تنزع عني صالح ما أعطيت» رواه البزار عن ابن عمر ، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم «٣٦٧٤» وحديث رقم «٥٠٧٥» ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج:١٠ - ص ١٨١ ، وأخرجه العجلوني في كشف الخفاء - ج:١ - ص ٢١٧ ، وأورده القرطبي في تفسيره ج : ١٦ - ص ١٨١ .

٤ - سورة الأعراف : الآية (١٥٦).

٥ - زيادة من (أ - ص).

٦ - في (أ - ص) إذا فعل من الجور ما كان.

٧ - ساقطة من (و - ج).

طفيل في كونه وارثاً[١] أو فاعلاً[٢] في الدعوات، وقالوا: "لَاطَ فلانٌ وتَلَوَّطَ" إذا فَعَلَ فعْل آلِ (قَوْم)[٣] لُوطٍ، وهذا أبعد من الأول، ولما كان دين اليَهودُ قبل أن ينسخ دين حق قيل لمن تاب "هاد" حتى كثر ذلك، ولما تُصُوِّرَ منه الحركةُ عند القراءة شبه بهم المتحركُ طَوْراً والماشي مَشْياً مخصوصاً طوراً، فقيل : "تهوَّدَ فُلَانٌ في مَشْيِهِ"، و"هَوَّدَ الرابض[٤] الدَّابَّةَ" إذَا سَيَّرَهَا بِرِفْقٍ، وأما النصارى، فقد قيل: هُوَ مِمَّا حُكِيَ عَن المسيح ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ﴾[٥] والأقرب ما قال بعضهم إن المسيح كان من قرية يقال لها نصران، فإما أن سموا باسمها، ثم جمعته العرب على نصارى نحو: "سَكْرَانٌ" و"سَكَارَى" أو جُعِلُوا منسوبين إليها ثم جُمِعَتْ نحو : "مَهْرَى" و"مَهَارَى" و"الصائبون"، قيل: قَوْمٌ كانوا على دين نوُح، وذلك كان من أديان الحق قبل النسخ، وقولهم: "صَبَأَ فُلَانٌ" إذا اخرج من دينه إلى دين آخر يجوز أن يكون أصله فيمن كان يخرج إلى دينهم ثم صار يستعمل في كل دين كقولهم الهالكي في أن أصله لحداد مخصوص، ثم صار يستعملُ في كل حداد، ويكون أن يكون "صباعربياً" طابق ذلك، و"صباناب البعير" طلع، ومن قرأ: "صابئين"، فقد قيل هو من : صَبَا يَصْبُو، وقيل: أصله "صبأ" ، فَتَرَكَ همزه، والأجر والجزاء والثواب يتقارب، لكن الأكثر في الجزاء أن يُستَعْمَلَ في المعاملة بين الأَكْفَاء أو فيما يجري مجراه بضربٍ من التلطف والأجر فيما يعطى الرفيع من دونه والثواب فيما يرجع إلى الإنسان من نفعٍ عن فعله، وقد تقدم أن الإيمان يُسْتَعْمَلُ على وجهين: أحدهما : الإقرار بالشهادتين الذي يؤمن نفس "الإنسان"[٦] وماله عن الإباحة إلا بحق، وذلك بعد استقرار هذا الدين مختص به، كالإسلام، والثاني: تحري اليقين فيما يتعاطاه الإنسان من أمر دينه فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾عنى به المتدين بدين محمد ﷺ، وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ عنى به المتحري

---

١ - في (أ - ص) دارساً.

٢ - في (أ - ص) واغلاً.

٣ - زيادة في (أ - ص).

٤ - في (أ - ص) الرابضة، وهو تصحيف.

٥ - سورة الصف : الآية (١٤).

٦ - في (و - ج) الإيمان.

للاعتقاد اليقيني، فهو غير الأول ولما كانت مشاهير[١] الأديان هذه الأربع، بين الله تعالى أن كل من تعاطى[٢] ديناً من هذه الأديان في وقت شرعه، وقبل أن ينسخ عنه، فتحرى في ذلك الاعتقاد اليقيني، وأتْبَعَ اعتقاده بالأعمال الصالحة، فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، وبين صحة ذلك ما رُوي أن سلمان[٣] الْفَارِسَيَّ -رضي الله عنه- لما ذكر له خبر النبي ﷺ قصده وآمن به، وذكر حسن أحوال رهبانٍ صحبهم، قال النبي- عليه السلام: **«مَا تُوَاوَهُمْ فِي النَّارِ»**، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم قال عليه السلام: **«مَنْ مَاتَ عَلَى دِين عِيَسى قَبْلَ أن يسْمَعَ بِي، فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ، وَمَن سَمِعَ بِي وَلَمْ يُؤْمِن بِي فَقَدْ هَلَكَ»**[٤] وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسعيد - رضي الله عنه- "إن هذا منسوخٌ بقوله: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾**[٥] يعنون أن هذه الأديان كلها منسوخةٌ بدين الإسلام، وأن الله- عز وجل جعل لهم الأجر قبل وقت النبي - عليه السلام-، فأما في وقته، فالأديان كلها منسوخةٌ بدينه...

---

٦ - في (و - ج) الإيمان.

١ - في (و - ج) متناهية.

٢ - في (أ - ص) يتعاطى.

٣ - في (و - ج) السلمان الفارسي.

٤ - الحديث: أخرجه السيوطي في الدر المنثور- ج:١ - ص٧٤.

٥ - سورة آل عمران : الآية (٨٥).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الآية:(٦٣)- سورة البقرة».

الميثاق: عقدٌ مؤكدٌ بمين أو عهدٍ، يقالُ: أَوْثَقْتُ كذَا ووثقته ووثق به ثقة، ثم قيل: رجلٌ ثقةٌ، وقومٌ ثقةٌ، فاستعير لفظها للموثوق به، والميثاق الذي أخذ منهم ما ذكره الله تعالى في قوله : **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾**[1]، وفي قوله: **﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾**[2] وفي قوله: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾**[3] الآية، والطور: قيل هو اسمٌ لجبل مخصوصٍ، وقيل: هو اسم لكل جبل ينبت شيئاً، وطابق لفظه الطور أي الفناء، و"طار يطور" لسرعة المشي، كما أن طار يطير للسباحة في الهواء، والقوة يستعمل تارةً بمعنى القدرة، وتارة للتهيؤ الموجود في الشئ، نحو أن يقال: النَّوَى بالقوة "نخلة"، أي متهيأ ومترشحاً أن يكون منه ذلك، ويستعمل القوة في البدن تارة، وهو الأظهر، وتارةً في النفس، ولما كانت القوة للشدة الموجودة في الشئ سُمِّيَت المفازة قوى- تصوراً منها ذلك، ثم قيل: أقوى فلانٌ، إذا صار في قوى، أي قفر، وتصور من حال الفقر الفقر، فاستعير الأقوى للافتقار استعارةً قولهم أترب وأرمل، لذلك، فقوله: (خذوا ما آتيناكم بقوةٍ) أي: تعاطوا ما فيه بعلم ودراية، فالعلم هو الذي يقوي الإنسان ويبلغه المقصود في[4] أمور الدين، وقال الضحاك: (بقوة): أي بطاعة الله، وذلك لما روى "أقوى الناس من أطاع الله واتقاه"، وقيل :"بقوة، أي بعمل ما فيه، وذلك صحيحٌ بنظرٍ، فإن تعاطي كل جزء من العمل الصالح يقوي الإنسان على ما فوقه، وقد تقدم أن الذكر ذكران، ذكرٌ باللسان، وذكرٌ بالقلب وأنه يتجوز به في الحفظ والمراعاة، فيقال: اذكر كذا، كما يقال في الترك: النِّسْيَانُ، وذاك أن الذكر[5] سببٌ

---

١ - سورة البقرة : الآية (٨٣).

٢ - سورة المائدة : الآية (١٢).

٣ - سورة آل عمران : الآية (٨١).

٤ - في (أ - ص) من ، وهو الأصح.

٥ - ساقطة من (أ - ص).

لحفظ صورة الشيء في النفس، كما أن النسيانَ والترك سَببٌ لانحداقها عنها، فمن قال: الذكر والنسيان ليسا من فعل الإنسان، فإنما نُظِرَ إلى الغايةِ التي هي السببُ دونَ الْمَبْدَأ الذي هو السَّبَبُ، ومن قال: قد يكون من فعل الإنسان، فإنما اعتَبر السبب الذي عنده يحصًل ويُثَّبتُ صورة الشيئ في النفس، وعنده ينحذف، ومعنى الآية: قيل إن موسى - عليه السلام- لما أتي بني إسرائيل بالتوراة متضمنة لأحكام شريعتهم، أَبَوْا أن يَلْزمُوها[1]، فأمَرَ اللّه الملائكة أن ترفع الطور، فقيل لهم: خُذُوها وإلا طُرِحَ عليكم، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[2] الآية إن قيل: إن هذا يكون إلجاءً، ولا يُستحق به الثوابُ، قيل: لم يستحقوا الثواب بالإلتزام، وإنما استحقوا بالعمل بها من بعد، فأما في التزامها فمضطرون، وقال بعض الناس: "عُنِي برفع[3] الطُّور تشديد الأمر عليهم وجعل ذلك مثلاً"، وذلك بعيدٌ، وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، الواو فيه للحال لا للعطف، لأن أخذ الميثاق كان بعد رفع الطور، وذلك نحو قول الشاعر :

قَالَت وَلَمْ تَقْصِدْ لَقِيْلَ الْخَنَا مَهْلاً فقدْ أَبْلَغْتَ إِسْمَاعِي[4]

قوله - عز وجل :

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الآية :(٦٤)سورة البقرة.

التولي:التفعل من الولاية في الأصل، ويقتضي تولى الأمرحصوله في أقرب المواضع منه، وإذا قيل: تولى عنه، فمعناه ترك[5] التولي معرضاً، فالتولي عن الشئ أخص من الإعراض،والإفضال والإحسان والإنعام لا يكاد يفرق بينهما في التعارف سيما إذا وصف به الباري سبحانه وإن كان قد

---

١ - في (أ - ص) يلتزموها.

٢ - سورة الأعراف : الآية : (١٧١).

٣ - في (أ - ص) عني بالطور.

٤ - قائل البيت هو أبو قيس بن الأسلت، وهو من شعراء الجاهلية وقيل: دخل الإسلام وكانت امرأته كبشة بنت ضمرة ابن عمرو بن عوف، وقد جاءها ليلاً فأنكرته، فقال لما دفعته: أنا أبو قيس، فعرفت كَلاَمَهُ فدخل، وقال هذه القصيدة :
والبيت الثاني بعد هذا البيت هو

أنكرتُهُ حين تَوَسَّمْتُهُ والحربُ غَوْلٌ ذَاتُ أوْجَاعِ

والبيتان في خزانة الأدب -ج:٣-ص.٤١٠، وفي المفضليات ، ص٢٨٤، وفي الأغاني - ج: ١٥-ص١٥٢.

٥ - في (و - ج) نزل وهو خطأ من الناسخ.

يختلف في أصل الموضوع، ومن حيث الاشتقاق فالإفضال بَذْلُ مالا يجب عليه، أو ترك ما يجب له وذلك من الفضل وهو الزائدُ على العدل، والإحسان. الفعل الحسن سواء كان واجباً وعدلاً أو نافلة وزائدًا على العدل وإن كان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1] الآية ما يقتضي ما يزيد على العدل،والإنعام يقتضي ما يتنعم به المنعم عليه، ولا يكاد يقال في التعارف يقال فيما يقتنيه الإنسان في نفسه تارةً، وفيما يعطي غيره تارة، فيقال فيهما: فلان ذو فضل، والثاني هو المراد ههنا، وقول أبي العالية والربيع: "إنَّ فَضْلَ اللهِ الإِسْلاَمُ"، وَرَحْمَتَهُ "القُرْآنُ"، فذلك بعض ما يقتضيه عموم اللفظ، ولكن في قولهما تنبيهٌ، إن هذا خطابٌ لمن كان في زمان النبي ﷺ دون المتقدمين، والخاسر المطلق في القرآن هو الذي خَسِرَ أَعْظَمَ ما يُقْتَنى، وذلك [نعيم][2] الأبد، وهو المذكور في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3]، إن قيل: : إن ذلك يقتضي أن لا فَضْلَ لَهُ تعالى عَلى الذين خَسِرُوا [أنفسهم][4]؟ قيل: تخصيصُ مَنِ انتفع بذلك من حيث إنه قبله لا يقتضي إن لم يعرض فضله لغيره،فإن فضلَه تعالى الديني مُعَرَّضٌ لكل أحد، لكن حق الإنسان أن يترشح بقبوله والانتفاع به، فَمثَله كمثل نعمته بالشمس والصوب اللَّذَيْنِ وإن كانا عَامَّيْنِ لا يَنْتَفِعُ بهما من زرعه من لم يرشحها للانتفَاع بهما، كذلك فضله الديني والعقلي لا يَنتفعُ به من لم يُرَشِّحْ نَفْسَهُ بِقَبُولِه..

---

١ - سورة النحل : الآية (٩٠).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الزمر : الآية (١٥).

٤ - ساقط من (و - ج).

قوله عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

الآية :(٦٥) سورة البقرة».

العلم هـهنا بمعنى المعرفة، ويتعدى ذلك إلى مفعول واحد، وحقيقة ذلك أن معارفنا ضربان: أحدهما: حصول صور[١] الموجودات في النفس وذلك كالمعرفة بذات الشئ، والثاني: الحكم بوجود شئ لشئ هو موجدٌ[٢] له، أو الحكم بنفي شيءٍ عن شيءٍ هو منتفٍ عنه، فالأول: يُقالُ له معرفةٌ وعلمٌ، ويتعدى إلى مفعول واحدٍ، وعلى ذلك قوله: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ** ﴾، وقوله: ﴿ **لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [٣] والثاني: يُقالُ له علمٌ، ولاَ يقالُ له مَعْرِفَةٌ، ويتعدى إلى مفعولين لا يصح الاقتصار فيه على أحدهما من حيث إن ذلك يقتضي إثبات حكم أو نفي حكم لمعلوم، والاعتداء مجاوزةُ الحق على وجهٍ محظورٍ، قال الحسن: كان اعتداؤهم في السبت أخذهم الحيتان على جهة الاستحلال، وقيل: حَبْسُهُمْ إياها في الشباك يوم السبت ليأخذوها يوم الأحد، والسبت في الأصل راحةٌ بعد تعب ، واستُعْمِلَ في الشَّعْرِ إذَا حُلِقَ لهذا المعنى، وفي الجلد إذا أُزِيلَ عنه الشَعْرُ تشبيَهاً به، وقيل للنعل "سَبْتٌ" ، أي مسبُوتٌ نحو نقض، ونكث،و السبات للنوم من ذلك، والسبت قيل جعل اسماً للنوم[٤] من ذلك، وخَسَأْتُ الكلب فخسأ، زجرته فانزجر، وخسأ البصر من ذلك، أي انقبض، وقوله: ﴿ **فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ أي جعلناهم ، فذكر القول هـهنا تنبيهاً على سرعة جعله كذلك نحو قوله: ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ** ﴾[٥]، أي جعلنا له وبيان جعله الإنسان قردة وخنازير يحتاج فيه إلى مقدمة وهي أن الإنسان أتم ما أوجده الله تعالى في هذا العالم وأشرف، فإن الأعيان المبصرات بالقول المجمل أربعة، الجماد [وهو الجسم غير النامي][٦]، ثم النبات وهو الجسم النامي، ثم الحيوان، وهو النامي

---

١ - في (و - ج) صوم،وهو خطأمن الناسخ.

٢ - في (و - ج) موجود، وهو تصحيف.

٣- سورة الأنفال - الآية: (٦٠).

٤ - في (و - ج) لليوم، وهو تصحيف.

٥ - سورة النحل الآية (٤٠).

٦ - ساقطة من (و - ج).

الحساس، ثم الإنسان وهو الحساس المروي، فللإنسان صورتان، مهما باين ما سواه إحداهما مدركة بالحاسة، وهو الشكل المخصوص، والثانية مدركة بالعقل، وهو ما خُصَّ به من قوة الفكر والتمييز والعقل، فالإنسان بهذه القوة يشابه الملائكة وبقوته الشهوية والغضبية يشابه البهائم، فصار واسطة بين القبيلين[١]، وفيه تمكن من التشبيه بالقبيلين[٢]، أما تشبهه بالملائكة، فبإماتة قوته الشهوية بقدر الطاقة وتربية قوته الفكرية وتعاطيه ما وصف الله به الملائكة في قوله: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣]، وأما تشبهه بالبهائم، فبإماتة قوته الفكرية وتربية قوته الغضبية والشهوية وتعاطيه ما وصف الله به الكفار، فقال: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾[٤] وقال: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [٥]، فإذا ثبت ذلك، فمن اعتبر الصورة المعقولة [٦] قال: هذا مثل ضربه الله لهم كقوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[٧]، وقوى ذلك بقوله: (﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[٨] وإليه ذهب مجاهد ومن اعتبر الصورة الشكلية قال: جعلهم على شكل القردة والخنازير كذا روى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما- والحكمة تقتضي الأمرين إذا تحرى بذلك ردع الكافة، فإن تغيير الصور المعقولة لا يعرفه إلا الخاصة من أولي البصائر والعقول الراجحة وتغيير الصور المحسوسة يشاركهم فيها العامة وأصحاب الحواس والذين لا يرتدعون إلاَّ بما تدركه حواسهم فتبهرهم وغيرهم[٩] .

١، ٢ - في (أ - ص) بالقبيلتين.

٣ - سورة التحريم : الآية (٦).

٤ - سورة محمد : الآية (١٢).

٥ - سورة الأعراف الآية (١٧٩)، وهي ساقطة من (أ - ص).

٦ - في (أ - ص) المفعولة، وهو تصحيف.

٧ - سورة الجمعة : الآية (٥).

٨ - سورة المائدة : الآية (٦٠).

٩- في (أ - ص) نحوهم.

قوله - عز وجل :

﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الآية : (٦٦) سورة البقرة.

النكال: العقوبة الرادعة على سبيل القهر والفضيحة المشهورة، وهو منقول عن نكل فلان عن كذا أي ارتدع، ومنه النكل للقيد ولحديدة[١] اللجام ولكل ما ينكل به،والوعظ ردع بالعبارة والإحالة على الاعتبار، وقوله: (لما بين يديها) أي لما في زمانها، (وما خلفها) أي لمن بعدها، ولما كانت عامة السياسات ضربين، قهرية وهي للعامة وذلك بالنكال ووعظية، وهي للخاصة وذلك بالمقال ذكرالله تعالى أنه جمع في ذلك الأمرين نكالاً لعامتهم وموعظةً لخاصتهم وهم المتقون، فإن قيل: لم قالَ (لما بين يديها) ولم يقل لمن بين يديها؟ قيل في ذلك تنبيه على لطيفة وهي أن لفظة (ما) يعبر بها عن الأجناس من الحيوان وغيره ومن لا يعبر به مفرداً إلاَّ عن العقلاء، ولما قال في الجهلة: **﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ ﴾**[٢] استعير لهم لفظ ما تنبيهاً على ما ذكرنا، وعلى ذلك كثير مما وضع ما وضع من في كلامهم، ويكشف ذلك قوله تعالى: **﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾**[٣]، فجعلهم شر الدواب كما جعلهم في الأولى أضل من الأنعام، وبهذا المعنى أَلَمَّ بعض المحدثين في قوله:

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلَقٌ ... تُخْطِي إِذَا جِئْتَ في اسْتِفْهَامِهِم بِمَنِ[٤]

وقال بعض الأدباء قوله: (وما خلفها) نصب ومعطوف[٥] على الهاء في قوله: فجعلناها أي جعلنا هذه العقوبة وهو المسح وما خلفها من عذاب النار عقوبةً (لما بين يديها) أى لذنوبهم المتقدمة. [والله أعلم][٦]

---

١ - في (أ - ص) لحديد.

٢ - سوة الفرقان : الآية (٤٤).

٣ - سورة الأنفال : الآية (٥٥).

٤- هذا البيت للمتنبي ، وهو فى ديوانه - ص ١٧٠ ، وقد ورد عجز البيت فى مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٧٨ ، وفى الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٧٩ ونسبة الراغب فيه للمتنبي.

٥ - في (و - ج) وطوف، وهو خطأ من الناسخ.

٦ - ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾الآية :(٦٧) سورة البقرة.

قد فرق العرب بين كثير من ذكور مشاهير الحيوان وإناثها في الأسماء، فقالوا : رجل وامرأة وجمل وناقة وثور وبقره وعير وأتان، وجعلوا في عامة ذلك اسماً يجمعها كالإنسان والبعير والحمار، وربما جمعوها تحت أحد اسمي الذكر والأنثى كقولهم البقروالضبع، وقيل: سمي البقر لأنه يبقر الأرض، أي يشقها، والأقرب أن يكون البقر أصلاً في الباب، ثم اشتق منه هذه الأفعال بحسب تصورها منه، فلما عرف من البقر هذاالفعل اشتق من لفظه بقر، وشبه به بقر فلان بطن فلان، وتصور انفعال من البقر ما فيه من البلادة، فاشتق منه بقر فلان إذا تبلد في الأمر تبلد البقر وتصور منه أسراع مضطرب، فقيل بقر إذا أسرع إسراعه، وقيل لجماعة البقر بقرنحو الحمير والكليب، وقيل الباقر للبقر وأصحابها وعلى ذلك الخامل، وذلك كقولهم لابن وتامر في أنه اسم للبن وصاحبه، لكن الباقر يستعمل لجماعة البقر منفرداً، نحو قول الشاعر :

وما ذنبه أنْ عافت الماء باقره(١)

والعوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به، وعوذه إذا أرقاه منه، والعوذة اسم لما يعاذبه من الشر، وقيل: أطيب اللحم عوذه أي ما عاذ بالعظم وتمسك به، والجهل عدم العلم، وربما جعله أهل اللغة- وبعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الخارجة (٢)على النظام، وعلى ذلك قالت العرب المجهلة للأمر

١- هذا شطر بيت قاله ميمون بن قيس «الأعشى الكبير» وتمامه:

وَمَا ذَنْبُهُ انْ عَافَتِ الْمَاءَ بَاقِرٌ وَمَا إِن يعافُ الْمَاءَ إلاَّ لِيَضْرِبَا

والبيت فى ديوانه ص ٩٠ ، والحيوان ج:١ - ص ١٩ ،ك ص ٣٠١ ، ج:٦ - ص ١٧٤ وهو فى لسان العرب مادة «ثور» ، وفى تفسير الطبرى ج:١ - ص ٢٠٩ .أمثال حمزة الأصفهانى - ج -٢ - ص ٥٦٢، شرح التحفة الوردية للبغدادى : ص ٥٤٦.

٢ - فى (أ - ص) الجارية ، وهو خطأ من الناسخ .

أو للأرض أو الخصلة التي تحمل الإنسان على الاعتقاد فى الشئ على خلاف ما هو به، أو على إيقاع الفعل على غير ما يجب، وقالوا : استجهلت الريح الغصن إذا حركته حركة شديدةً، ويجب أن يعلم أن الجهل ضربان: أحدهما افتقاد العلم، والثاني تصور الشئ بخلاف ما هو عليه، وهو أعظم الجهلين، ولما لم يسم كثير من المتكلمين الضرب الأول جهلاً حدوا الجهَل بأنه اعتقاد الشيئ على خلاف ما هو به، لكن لما كان افتقاد العقل يقال له جهل حتى يقال عاقل وجاهل، كما يقال عالمٌ وجاهلٌ صار عدم العلم مسمى بالجهل، والهزؤ مرح مع عيب، وأما السخرية، فمعه تسخير بالفعل، ولهذا قال تعالى: ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [1]وهو أن يجعله منقاداً لك بضرب من الهزؤ، ولما قال موسى لهم: اذبحوا بقرة، واستطرقوا هذا الحديث، فقالوا لغباوتهم وقلة تثبتهم :﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾، فأجابهم بجواب مختصر متضمن لمقدمتين ونتيجة، فقال: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فكأنه قال: الهازئ جاهل، والجهل منتف عنى فاذاً لست بهازئ، وأخرج ذلك بقوله: أعوذ بالله مخرج منكر منقطع لما رمى به، فإن قيل كيف جعُل الهازئ جاهلاً وقد يهزأ الإنسان وليس بجاهل؟ قيل: لما كان يقال لمن اعتقد في الشئ خلاف ما هو به جاهل، ولمن فعل مالا يقتضيه العلم وإن لم يعتقد فيه خلاف ما هو به جاهل، والهازئ إما أن يهزأ، لاعتقاده أن ذلك يجوز أو لا يعتقد ذلك، ولكن يفعل مالا يقتضيه العلم، فيصح من هذا الوجه أن يقال هو جاهل، فإذاً كل هازئ جاهل على أحد هذين الوجهين.

---

١ - سورة / الزخرف - الآية (٣٢)

قوله - عز وجل :

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾. الآية (٦٨) من سورة البقرة.

التبيين كالتعريف، إلا أن التبيين يقتضي إظهار الفضل بين الشئ وغيره، والتعريف قد يكون إظهار الشئ في نفسه من دون اعتبار بغيره واشتقاق ذلك من البين وهو المسافة بين الشيئين، وأصل الفرض قطع الحديد وهو أبلغ من الفرض، والمفراض والمقراض ما يقطع به الحديد، ونحوه وفرض الزند والقوس مستعار من ذلك، وكذا فرضه الماء [للمقسم المحكوم به][1] وقيل لما أوجب وقطع به الحكم فرض كفرض العبادة وما ألزم إعطاؤه من المال، وسمي ما يؤخذ في الصدقة من [الإبل والبقر والغنم][2] فريضته، والفارض من البقر يجوز أن يكون من هذا، لأن السائغ في الصدقة من سن البقر اثنان، التبيع والمسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال والمسنة يصح بدلها في كل حال، فيجوز أن يكون سمى فارضاً لهذا، وقيل فرضت البقر، وفرضت، والبكر المتقدم على أمثاله في السن، وبه سمي البكر، وأول نكاح وأول مولود وأول والد ووالدة، وقيل في البعير بكر، وفي الفواكه باكورة وبكر فلان في الحاجة إذا تعجل، وعلى ذلك قوله:

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ في النَّدَى[3]

والعوان: الوسط بين السنين وهو المحمود، لأنه بين الحالين، وقد يُجعل كنايةً عن المسنة بين

---

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - في (أ - ص) من النعم.

٣ - هذا شطر بيت وتمامه :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ في النَّدَى ... بَسْلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتي وعِتَابِي

وهو في لسان العرب مادة «بكر» بلا نسبة ، وهو ضَمُرَة بن ضَمرةَ النهشَلِيّ، وهو في نوادر أبي زايد ص ٢ ، والأفعال للسرقسطي ج ٤ - ص ٦٧ ، والبرصان والعرجان للجاحظ ص ٥٩ ، وأمالي القالي ج:٢ - ص ٢٧٩ ، وهو في مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٠ .

النساء، فتذم به المرأة كما قال:

وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نِصَفٌ ... فَإِنَّ أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا[١]

وقيل: حربٌ عَوانٌ تشبيهاً بالمرأة، واستعارة منها كاستعارة القناة والشمطاء وغير ذلك من الأسماء، وقوله: ﴿لَا فَارِضٌ﴾ أي غير فارض، وهو وصف أو خبر ابتداء مضمر وكذلك عوان، لكن الأجود في عوان أن يجعل خبر ابتداء مضمر، فقد كثر عن الفراء الابتداء به وذلك قصد منهم أن يكون خارجاً عن النفي في اللفظ كما هو خارج عنه في المعنى، وجاز أن يقال "بين ذلك"، وإن كان بين ذلك تضاف إلى شيئين لما كان ذلك عبارة عن الفارض والبكر في قوله: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ زجرٌ لهم عن المراجعة وتطلب العناد وتنبيه أن مراجعتهم[٢] تشدد الأمر عليهم وذلك كما روي عن النبي ﷺ لما قيل له في الحج: العامنا هذا أم للأبد؟ فقال: بل للأبد، ثم قال: **(إنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم على أنبيائهم)**..[٣]

قوله - عز وجل :

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ .

الآية (٦٩) سورة البقرة.

الصفرة لون مخصوص وعبر عن ذلك السواد بالصفرة، كما عبر عن الخضرة بالسواد، وذلك لكون الصفرة والخضرة سالكين إلى السواد، وقال الحسن: الصفراء هنا سوداء، لكن استبعد ذلك لقوله: فاقع، والسواد يقال فيه حالك لا فاقع، ولفظة الصفر يتصرف على وجهين، ومنه قيل للنحاس صفر وليبيس البُهْمى صفار، والثاني :حكاية صوت وهو الصفر، وعنه قيل: صفر الإناء إذا خلا حتى

١- البيت فى لسان العرب مادة «نصف» بدون نسبة ، وهو أيضاً فى المخصص فى اللغة ج:١ - ص ٤١ ، وفى عيون الأخبار ج:١٠- ص ٤٢٣ ، وفى مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٩٨ .

٢ - سقط الجزء المتبقي من تفسير هذه الآية، وكذلك الآيات: (٦٩، ٧٠، ٧١) من الناسخ في المخطوطة (و-ج) وهي الأصل، ولذا فإننا سنعول في تحقيق تفسير هذا الجزء المفقود على المخطوطة (أ - ص). هذا للتنويه.

٣- الحديث فى مسند الإمام أحمد بن حنبل ج:٢ - ص ٣١٣ ، وهو فى الدر المنثور للسيوطي ج:٢ - ص ٣٣٥ .

يسمع منه صفير لخلوه، ثم صار متعارفاً في الخالي، وقيل لخلو الجوف صفر وسمت العرب الصفر الذي هو الخلو حية الجوف من حيث إنه يتألم به الجوف، وذلك أن العرق الممتد من الكبد إلى المعدة إذا لم يجد غذاءً امتص أجزاء المعدة، فاعتقدت جهلة العرب أن ذلك حية في البطن تعض الشراسف، حتى نفى النبي – عليه السلام– ذلك بقوله :(**لا صَفَرَ**)[1]، والسرور مستبطن في الصدر، **وأصله** من السرو، والسرور والحبور والفرح والجذل والمرح يتقارب، لكن السرور هو الخالص المتكتم، وسمي بذلك اعتباراً بالأسرار، والحبور ما يُرَى خبره أي أثره في ظاهر البشرة، وهما يستعملان في المحمود، وأما الفرح، فما يورث أشرا وبطراً، ولذلك كثيراً ما يُذم، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾[2]، وقـال: ﴿**وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[3]، والجذل بطر معه تزعزع، ولذلك قيل: "فرس جذل وجذلان"، أي نشيط، والمرح هو النشاط المفرط، فكأن السرور والحبور أكثر ما يكونان عن القوة الفكرية والفرح والجذل والمرح عن القوة الشهوية، ومن قال: ﴿**تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾ أى تعجب، فعلى التوسع من حيث إن الإعجاب بالشئ والسرور به كثيراً ما يجتمعان..

١- الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

«لَا عَدْوَى ولا صَفَرَ ولاهَامَةَ» أخرجه البخاري فى الطب ج:١٠ – ص ٢٠٥ ، وأخرجه مسلم فى السلام برقم «٢٢٢١» وأورده البغوي فى شرح السنة ج:١٢ – ص ١٦٧ وذكره الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٨٧ وأورده بن حجر العسقلاني فى فتح الباري بشرح صحيح البخاري باب الجذام وزاد عليه : «وفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تفرمن الأسد » ج:١١ – ص ٥٦٦ – حديث رقم «٥٧٠٧».

٢- سورة القصص : الآية (٧٦).

٣- سورة الرعد : الآية (٢٦).

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾

الآية (٧٠) سورة البقرة.

إن قيل: لم قال: ما هي؟ولم يقل أي بقرة هي؟أو كيف هي؟وما يسأل به عن الأجناس، والأنواع، وإنما يسأل عن الأعراض بكيف وبأى؟ قيل: إنما قد يسأل به عن كل ذلك، فيقال: ما هذا الإنسان؟ أى ما حاله وما صفته، كما يقال كيف هذا الإنسان وأي إنسان هو؟ وكيف وأي لا يسأل بهما عن الأجناس والأنواع، والفصل بين ذلك أن لفظ ما من لفظة أي وكيف يجري مجرى الجنس من الأنواع، فكما يصح أن نعبر عن النوع بالجنس، فيقال للإنسان هو حيوان، ولا يصح أن يعبر عن الجنس بالنوع، فيقال لكل حيوان إنسان، كذلك يصح أن يعبر عن أي وكيف بما، ولا يصح أن يعبر عن كل ما فيه ما بأي وكيف، وقرىء "تَشَابَهَ" على لفظ الماضي، فجعل لفظ البقر مذكراً، وتشابه بالتخفيف على تقدير تتشابه، فحذف إحدى التاءين، وقرى "تَشَّابَهَ"[1] بتشديد الشين على إدغام التاء في الشين، وقرئ يَشَّابه"[2] بالتشديد على الإدغام والتذكير والاشتباه أن يشبه البعض البعض، فيصعب التمييز بينهما، وروى أنهم لما قرنوا بالمراجعة الأخيرة قولهم: **﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾** وفقهم الله لمعرفة ما سألوا عنه ولترك التعنت، وقال النبي -عليه السلام- **«والذي نفس محمد بيده لو لم يستثنوا ما بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد»**[3]، وفي ذلك حثٌ، حيث قال الله تعالى لعباده على استجلاب توفيقه وضم لفظ المثنوية أي: مشيئة الله إلى كل ما يذكر من مستقبل الأمر كما قال: **﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾**[4]..

---

١ - هي قراءة شاذة قرأ بها الحسن، والأعرج. معجم القراءات القرآنية ج:١- ص٧٠.

٢ - قرأ بذلك يحى بن يعمر، ومجاهد، وابن مسعود، والمطوعي. نفس المرجع-ج: ١- ص٧١.

٣ - الحديث أورده القرطبي فى تفسيره ج:١ - ص ٤٨٨ وأورده ابن كثير من طريق أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لولا أن بني اسرائيل قالوا «وإنا إن شاء الله لمهتدون» ما أعطوا أبداً، ولو أنهم اعترضوا بقرةً من البقر، فذبحوها، لأجزأت عنهم ولكن شدّدوا فشدّدَ الله عليهم :- وعقّب ابن كثير على هذا بقوله - وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله - أن يكون من كلام أبي هريرة، كما تقدم مثله عن السُّدي. تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج:١ - ص ١١١ ط - دار الفكر العربي.

٤ - سورة الكهف: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

قوله - عز وجل :

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ الآية (٧١) سورة البقرة.

الإثارة: البحث والكشف الشديد، ومنه ثار الدخان والغبار والقطاعن محثمها[١]، والدم في وجه الإنسان والحصبة في البدن، وتورث الأمر، وقوله: **﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾** صفة لقوله: ذلول، لأنه يراد نفي الإثارة عنها لا إثباتها لها، والحرث تذليل الأرض وتسهيلها للزراعة، ثم يتجوز به في الزراعة، ويكنى به عن النكاح وعن جميع المال، ويقال: دابة محروثة أي مذللة، والمحراث لما يحرث الزرع والنار، والمسلمة المتروكة سليمة من العاهات، وأصل ذلك من السلامة، والتسليم أصله بذل السلامة، وجعل في التعارف[٢] لبذل المقاله المخصوصة لما كان ذلك في الأصل موضوعاً لبذل السلامة، ولما كان قوله السلام مقتضياً لذلك، قال عليه السلام: **«أفشوا السلام بينكم تدخلوا جنة ربكم»**[٣]، ولم يرد بذلك المقال دون الفعال وإن كان ظاهره المقال، ولهذا ضمن به الجنة، وقوله: **﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾** أي؛لا أثر بها يخالف معظم لونها ،وهي فعلة من الوشي، واستعمل الوشي في الكلام بالمنسوج وحض التقول على سبيل النميمة بالوشاية والمجئ والإتيان يتقاربان، لكن المجئ كأنه يقال باعتبار الحصول والإتيان باعتبار القصد، ولذلك قيل للماء المجتمع حية، وللسيل القاصد أتى، وقوله: **﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾** لا يتضمن أن ما جئت به من قبل كان باطلاً، وإنما أرادوا الآن جئت بما تحققنا المراد مناً، وليس كما قال بعض الناس إن القوم كفروا بذلك، لأن كلامهم تضمن أن موسى لم يكن يأتي بالحق قبله، والنفي في قوله: **﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾** وإن دخل في لفظ "كاد"، فهو متناول لقوله يفعلون نحو: ما كان زيد

---

١ - الحثمة: الربوة، والطريق العالية، والحثمة: مصب الماءعند السد. المعجم الوسيط- مادة : حثم.

٢ - من هذا الموضع تعاود التحقيق من النسختين حيث كنا قد اعتمدنا في تحقيق تفسير الآيات السابقة من رقم (٦٨) حتى رقم (٧١) والتي أسلفنا الاشارة إليها من قبل على النسخة (أ - ص). فقط لعدم وجودها في النسخة (و - ج) الأصل.

٣ - الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، ولفظه: «ألا أدلكم على ماتحابون به ، أفشوا السلام بينكم» وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وصححه الترمذي والحاكم ،وصححه ابن حبان من حديث عبد الله بن عمر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج:١٦ - ص ٥٢٣ - حديث رقم «٦٢٣٥».

يخرج، وتقدير ذلك كادوا يفعلون لتعذر ذلك عليهم وكثرة مراجعتهم، وقيل: (كادوا لا يفعلون) خشية الفضيحة.وأما إنهم بكم اشتروا البقرة، وممن اشتروها فليس مما يفتقر إليه تفسير الآية، وقال بعض الناس: في هذه الآية دلالة على فسخ الشئ قبل فعله، فإن في الأول أمروا بذبح بقرة غير معينة، وكان لهم أن يذبحوا أيّ بقرة شاؤوا، وفي الثاني والثالث أمروا بذبح بقرة مخصوصة، فكأنهم نهوا عما كانوا أمروا به من قبل وليس الأمر كذلك، فإن الأول أمرٌ مطلق،والثاني والثالث كالبيان له لما راجعوه[١] ولم يسقط عنهم ذبح البقرة، بل زيد في أوصافها، وكشف عن المراد بالأمر الأول، وفي الآية دلالة على جواز تأخير بيان المجمل[٢] إلى وقت الحاجة..

قوله - عز وجل:

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. الآية (٧٢ ، ٧٣) سورة البقرة.

ادارأتم أي تدافعتم، وأصل الدرء الاعوجاج، فالتدارؤ أن يعوج كل على الآخر بمخالفته له، وقال الخليل: كوكب دري، فعيل من الدرء أي تدافع الضوء، ودرأت عنه الحد منه، ووزن "ادارأتم" من الفعل تفاعلتم، أصله تدارأتم، فأريد الإدغام تخفيفاً، فأبدل من التاء دالاً فسكن للإدغام، واجتلب لها ألف الوصل، فحصل على اتفاعلتم، وقال بعض الأدباء: ادارأتم افتعلتم، وغلط فيه من أوجه:

أولاً: أن ادارأتم على ثمانية أحرف، وافتعلتم على سبعة أحرف، **وثانياً**: أن الذي يلي ألف الوصل تا، فجعلها دالاً، **وثالثاً**: أن الذي يلي الثاني دال، فجعلها تاء، **ورابعاً**: أن الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال منه إلا متحركاً، وقد جعله ههنا ساكناً **وخامساً**: أن ههنا قد دخل بين التاء والدال زائد، وفي افتعلتم لا يدخل ذلك، **وسادساً**: أنه أنزل الألف منزل العين وليست بعين، **وسابعاً**: أن تاء افتعل قبله حرفان وبعده حرفان، وادّارأ بعد التاء ثلاثة أحرف، وثامناً أن عين افتعل في المستقبل مكسور، وعين "ادارأتم" في المستقبل مفتوح، وفي قوله: **﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾**

١ - في (أ - ص) راجعوا.

٢ - في (أ - ص) البيان.

اعتراضٌ متضمن لتمرد، وتنبيه أنه تعالى لا يخفى عليه خافية، وأن كل من عمل خيراً أو شراً، فإن الله تعالى لا يظهره على بعض الوجوه، وعلى ذلك روى "ما عمل عبدٌ حسنة في تسع آيات إلا أظهره الله تعالى، لقوله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، ونظم هذه الآيات مشكل، فقد كان في الظاهر يقتضي أن يكون قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ متقدماً على قوله: (وإذ قال موسى لقومه..)، لأن أمر موسى -عليه السلام- بذبح البقرة بعد التدارؤ، وفي قتل النفس والظاهر أن ذبح البقرة قد كان من قبل، وبيان ذلك أنه قد قيل قولان: أحدهما:أن موسى -عليه السلام- قد أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة قبل الحادثة، فلذلك تعجبوا وقالوا: أتتخذنا هزواً، فلما ذبحوا البقرة اتفق حصول[1] المقتول، فقال موسى لما راجعوه: "اضربوه ببعْضها"، وقيل: بل كان الأمر بذبح البقرة بعد وقوع التشاجر وعلى هذا قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ ليس بمعطوف على قوله: (وإذ قال موسى لقومه)، بل هو في موضع الحال له، كأنه قيل: (واذكروا إذ قال موسى لقومه..) الآية..

وذلك إذ قتلتم نفساً [فادارأتم فيها] [2] أو إذ قتلتم نفساً كان ذلك، لكن اختصر، وفي قوله ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ اختصار، كأنه قيل: ليحى محى، وأما بأي عضو ضرب، فقد قال مجاهد: بفخذها، وقال السدى: بمضغةٍ من لحمها، وقال الفراء: بذنبها، وقال وهب: بأصغريها قلبها ولسانها، فظاهر[3] الآية لا يقتضي تخصيص عضو، (من عضو)[4] وقوله: ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾، قيل: هو حكاية عن قول موسى- [عليه السلام][5]- لقومه، وقيل : بل هو خطاب من الله تعالى لهذه الأمة تنبيهاً على الاعتبار بإحيائه الموتى، وقد استبعد بعض الناس ذلك وماحكاه الله منه، وأنكر حصول ذلك الفعل على الحقيقة، وقال ذلك ممتنع من فعل[6] الطبيعة، [وأيضاً فإن ذلك لا يعرف فيه حكمة إلاهية فأما

---

١ - في (و - ج) الحصول، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - في (أ - ص) وظاهر.

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - في (أ - ص) من حيث.

استبعاده ذلك من حيث الطبيعة][1]، فإنما هو استبعاد للإحياء والنشور، ولذلك موضع لا يختص بالتفسير، ومن كان ذلك طريقته، فلا خوض معه في تفسير القرآن، وأما الحكمة فيه فظاهرة، إذهو من المعجزات المحسوسات[2] الباهرة للعقول، وتخصيص[3] البقرة، فإن كثيراً من حكمة الله تعالى لا يمكن للبشر الوقوف عليه، ولو لم يكن في تخصيص بقرة على وصف مخصوص إلا توفر المأمور[4] بذلك على طلبها واستيجاب الثواب في بذل ثمنها وجلب نفع إلى صاحبها لكان في ذلك حكمة عظيمة، وفي الآية تنبيه على أن الجماعة التي حكمهم واحد، يجوز أن ينسب الفعل إليهم وإن كان واقعاً من بعضهم، ولا يكون ذلك كذباً، كما أن الجملة المركبة من شخص واحد يصح أن ينسب إليها ما وقع من عضو منها، وذكر بعض الصوفية أن الله تعالى قصد بما ذكره لبني إسرائيل إشارةً إلى معنى لطيف، فإن في الأمر بذبح البقرة أمراً بتذليل القوة الشهوية، ولما لم ينتبهوا لمراده، قالوا أتتخذنا هزواً،وبينّ قوله[5] ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ أن حق الإنسان أن يتحرى في إماتة شهوته وقت ما يزول عنه شره صباه، فلا يكون كبكر، ولم يلحقه حسوا لكبر، فيكون كفارض، ثم نبه بما ذكره من اللون أنه لا يحب أن يمنع النفس[6] من إماتة شهوتة كونها رائقة المنظر، بل يجب أن يميتها أعجب ما تكون إليه، ثم نبه بقوله: ﴿لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ أن النفس التي تحمل على تذليلها في العبادة هي النفس التي لم تستعبدها الدنيا ولم تتأثر بدنسها، ولم تتوسم بمقابحها، وظاهر الآية لا يقتضي ذلك، لكن مثله إذا حكى، فتصحيحه مفوض إلى فكرة قارئه ومتأمله، والله أعلم..

---

١ - هذه العبارة - ساقطة من (و - ج).

٢ - في (أ - ص) المحسوسة وهو تصحيف.

٣ - في (أ - ص) وأما تخصيص.

٤ - في (أ - ص) توافر المأمورين.

٥ - في (أ - ص) لقوله.

٦ - ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

الآية : (٧٤) سورة البقرة.

قساً وحساً وعساً تتقارب معانيها تقارب ألفاظها، فالقساوة تقال في الصلب الذي لا تخلخل فيه كالحجر ونحوه، وقيل: قلب قاس تشبيهاً به، وعسا إذا كان منه عصيان فهو يقارب عصى، وحساً يقال فيما يتصلب، والصلابة تقال فيما في جوهره شدة، وأما الشدة فتقال فيما تعتبر فيه انضمام الأجزاء بعضها إلى بعض، ومنه قيل: شددته، وشد الشئ واشتد، وقيل للعد والشد، كما يقال فيه القبض والتقريب والشدة تارة تقال في القوة الجسمية، وتارةً في القوة النفسية، وقولهم: "بلغ فلان أشده"، أي حاله استمر مرير نفسه وجسمه، والنهر يقال لمسيل الماء الواسع، وللماء جميعاً ولتصور السعة فيه يقال منه أنهرت فتقه، أي أوسعته، والنهار خص به السعة فيما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والشق أن يجعل الشئ شقين، وقيل للأخوين شقيقان، وللخلاف الشقاق، إذ هو ضد الائتلاف، والشقيقة في الداء تشبيهاً بذلك، ولهذا قيل له الصداع والخشية خوف عن تعظيم المخشى، وقد تقدم الفرق بينه وبين إخوانه، والغفلة والسهو والنسيان يتقارب، لكن النسيان بانحذاف ذكر الشئ عن القلب، والغفلة استتارةً في بعض الأحوال اشتغالاً بغيره،والسهو يقاربه، إلا أن الغفلة أكثر ما يقال فيما تركته وحقه أن لا يترك، والسهو يقال فيه وفيما فعلته ولم يكن حقه أن يفعل، فإذاً السهو أعم من الغفلة واستعمل لأحد الشيئين، وقول من قال هو للشك فنظر منه إلى بعض تفاصيله، فإن الشك لا يقيده أو بالقصد الأول، فقد يقال: لقيت زيداً أو عمراً قصداً إلى الإجمال والإبهام، أو لعله عنابه التفصيل، وقد بين الله تعالى بالآية أنهم ارتكبوا ذنوباً قست بها قلوبهم بعد آيات مقتضية للين قلوبهم من إحياء الموتى ومسخ الناس قردة وخنازير ورفع الطور فوقهم وأنها صارت في القساوة

بحيث إن قلت إنها كالحجارة[١] قساوة صح بنظر، وإن قلت هي أشد من الحجارة صح بنظر، ثم ذكر حكماً كلياً، فقال «وإن من الحجارة أي من القلوب القاسية التي هي كالحجارة، فذكر المشبه بلفظ المشبه به تحقيقاً للتشبيه، كقولك: هم كالبقر[٢] ومن البقر ما يفعل كذا، أي من القوم الذين كالبقر[٣]، فكأنه قيل: وإن من القاسية قلوبهم من يراجع، فبعض يتفجر منه الأنهار، ومعناه حكمة بالغة كأنهار متفجرة، وبعض يتحصل منه نوع من العلوم يجري مجرى الماء، وقد تقدم أن الماء يضرب به المثل في العلم، وبعض يحصل[٤] منه الخشية، ونبه بفحوى في الكلام أنّ هؤلاء المذمومين لم يحصل منهم شئ من ذلك فهم أحجار صلدة، وإنما قال: ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ﴾، ولم يقل من اعتبار بلفظ الحجارة، وهذا الذي قلناه على قول من اعتبر هذه الأحكام في المشبه دون المشبه به، فأما من اعتبر ذلك في المشبه به دون المشبه، ففيهم من تعسف جداً في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي من الحجارة، ومنهم من قارب[٥]، قال أبو علي الجبائي: عنى بهذه الحجارة البَرَد الهابط من السماء[٦]، وبقوله: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي بخشيته، وعنى بالخشية التخويف، لأن الخوف والخشية واحد، قال: "ولما كان نزول البرد تخوف الله لعباده قال ذلك، ثم قال، وإنما قلت هذا، لأن الحجارة جماد فلا يصح منه الخشية، كما ترى [قال الشيخ أبو القاسم- أيده الله][٧]- فهذا كما ترى، وقال البلخي: هذا على جهة التمثيل لما في الحجارة من الانقياد لأمر الله الذي لو كان من حي قادر دل على أنه خاش لله..، وقال بعضهم: وإن منها أي من الحجارة لما يهبط من أجل أن يخش الله العباد، وقال أبو مسلم ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، الهاء فيه راجعٌ إلى القلوب لا إلى الحجارة، أي من القلوب ما يخضع،

---

١ - في (أ - ص) هي كالحجارة.

٢ - في (أ - ص) كبقرة.

٣ - في (أ - ص) كالبقرة.

٤ - في (و - ج) حصل، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - في (و - ج) ما قارب.

٦ - في (أ - ص) من السحاب.

٧ - ساقطة من (و - ج).

فيكون ذلك مستثنى من القاسية قلوبهم، كما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾[1]، وقال مجاهد وابن جريج كل حجر تردى من رأس جبل فخشية الله نزلت به، وقال الزجاج: الهابط منها قد جعل له معرفة، قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2]، وقال: ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض إلى قوله: ﴿وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾[3]، وقد روي مثل هذا عن السلف ولابد في معرفة ذلك من مقدمة تكشف عن وجه هذا القول، وحقيقته، فإن قوماً استسلموا لما حكى لهم من هذا النحو، فانطووا على شبهة، وقوماً استبعدوا ذلك واستخفوا[4] عقل رواته وقائليه، فيقال وبالله التوفيق إن قوماً من المتقدمين ذكروا أن جميع المعارف على أضرب، الأول: المعرفة التامة التي هي العلم التام وذلك لعلام الغيوب الذي أحاط بكل[5] شيء علماً، والثاني: معرفة متزايدة،[6] وهي للإنسان، وذاك أن الله تعالى جعل له معرفة غريزية، وجعل له بذلك سبيلاً إلى تعرف كثير مما لم يعرفه، وليس ذلك إلا للإنسان، والثالث: معرفة دون ذلك وهي معرفة الحيوانات التي سخرها لإيثار أشياء نافعة لها والسعي إليها واسترذال أشياء هي ضارة لها وتجنبها ودفع مضار عن أنفسها، والرابع: معرفة الناميات من الأشجار والنبات، وهي دون ما للحيوانات وليس ذلك إلا في استجلال المنافع وما ينميها، والخامس: معرفة العناصر، فإن كل واحد منها مسخر، لأن يشعر المكان المختص به كالحجر في طلب السفل، والنار في طلب العلو وذلك له بتسخير الله تعالى لا بإختيار[7] منه، قالوا: والدلالة على ذلك أن كل واحد من هذه العناصر إذا نقل عن مركزه قهراً أبى إلا العود إليه طوعاً، قالوا: ويوضح ذلك أن السراج تجتذب الأدهان التي تبقيه ويأبى الماء الذي يطفيه، وأن المغناطيس

---

١ - سورة آل عمران : الآية (١٩٩).

٢ - سورة الحشر : الآية (٢١).

٣ - سورة الحج : الآية (١٨).

٤ - في (أ - ص) واستسخفوا.

٥ - في (و - ج) أحاط به كل، وهو تحريف.

٦ - في (أ - ص) متزائدة.

٧ - في (أ - ص) بلا اختيار.

يجر الحديد ولا يجر غيره، هذا ما حكوه، فعلى هذا إذا قيل إن لهذه الأشياء معرفة، فليس ببعيد متى سلم لهم أن هذه القوى تسمى معرفة، فأما إذا قيل إن للجمادات معارف الإنسان في أنها تميز وتختار وتريد، فهذا مما تعافه العقول، ونبه الله تعالى تخويفاً لنا أن ارتكاب الذنوب يقضي براكبها إلى قساوة قلب حتى إنه ربما يعدم فيه رجاء الخيرات كلها، ونبه أنه تعالى لا يغفل عن أفعال البشر، إذ هو علام الغيوب..

قوله - عز وجل:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية (٧٥) سورة البقرة.

الطمع يقارب الرجاء، والأمل، لكن الطمع أكثر ما يقال فيما يقتضيه الهوى والأمل والرجاء قد يكونان فيما يقتضيه الفكر والروية، ولهذا أكثر ذم الحكماء للطمع، حتى قيل الطمع طبع، والطمع يدنس الثياب، ويفرق الإهاب [(١)] ، والأصل في تحريف الشئ الانتهاء به إلى ناحية يمكن جره إلى غيره، ثم يقال في كل كلام غير عن وجهه محرف،[(٢)] والسماع يقال على ما يُحس وعلى ما يتصور، ولذلك وصف الله تعالى الكفار بالصمم، فقوله: **﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾** حمل بعضهم على المسموع[(٣)] منه تعالى، فجعل الفريق بعض السبعين الذين كانوا مع موسى [عليه السلام][(٤)] في المناجاة، لاستماع كلامه، فلما عادوا حرفوا ما سمعوه وإليه ذهب ابن عباس والربيع، وبعضهم حمله على ما كان في الأصل منه تعالى، وإن سمع من غيره فجعله التوراة وجعل الفريق العلماء الذين غيروا التأويل، وإليه ذهب السدي والحسن وابن زيد، وفي الآية تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين، وتوهين للطمع في أئمتهم، وإن هؤلاء إذا كان علماؤهم وأحبارهم الذين سمعوا لكلام الله وعقلوه وحرّفوه ولم يؤمنوا، فكيف يرجى أن تؤمن[(٥)] جماعتهم مع جهل أكثرهم إن قيل: كيف يقتضى امتناع بعض من الإيمان

---

١ - أصل الإهاب الجلد، وهذه استعارة أوردها الراغب في المفردات، ص ٥٢٤.
٢ - في (أ - ص) فهو محرف.
٣ - في (أ - ص) مسموع.
٤ - ساقطة في (و - ج).
٥ - في (أ - ص) إيمان.

قطع الطمع في إيمان سائرهم؟ قيل: لما كان الإيمان هو العلم الحقيقي مع العمل بحسب مقتضاه[١] فمتى لم يتحر ذلك من حصل له بعض العلوم، فحقيق أن لا يحصل لمن غنى عن كل العلوم، فذكر تعالى ذلك تبعيداً لإيمانهم لابثاً للحكم بذلك، إذ ليس كل مالا يطمع فيه كان ميؤوساً منه، وقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون أنهم محرفون ومعاندون، وفي الآية تنبيه أن ليس المانع للإنسان عن تحري الإيمان الجهل به فقط، بل[٢] قد يكون عناداً وغلبة شهوة..

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الآية (٧٦) سورة البقرة.

الحديث ما يوجد بعد أن لم يكن نطقاً كان أو عيناً، والفتح أصله فتح الغلق، ولما استعمل في الأمر المبهم والكلام الصعب الغلق استعمل في إزالته الفتح، ومنه قيل في الحرب وفي آياته الحجة، وفي الحكم الفتح حتى قيل للحكم المفصول فتاحة، وللحاكم فتاح، وقوله: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بما أطلعكم عليه من العلم، وهذا أولى من قول [من قال]:[٣] ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من النصر في مغازي رسول الله ﷺ ومن الآيات التي كانت في بدر من المواضع التي انتهى إليها قبل وقوع الحرب، فقال: [هذا مصرع فلان غداً، وهذا مصرع فلان][٤]، ثم كان على ما قال، فإن هذا لم

---

١ - في (أ - ص) بمقتضاه.

٢ - في (أ - ص) بل يكون.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس قال: "كنا مع عمر بن الخطاب بين مكة والمدينة، فتراءينا الهلال.. ثم أنشأ عمر يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ص- كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: "هذا مصرع فلان غداً- إن شاء الله- إلخ. صحيح مسلم - ج٣-ص ٢٢٠٣، ورواه الطبراني من حديث أنس ص ٢٦١٧ ، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج١-ص٢٦، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال في غزوة بدر- ج:١ حديث رقم «٢٩٩٣٨»، وأخرجه البيهقي بلفظ مقارب في كتاب السير - ج: ٩- ص ١٤٨.

يخصهم النبي – عليه السلام – بالاطلاع عليه دون المؤمنين، حتى كانوا يكتمونه ويتواصوا به، والحجة هي ما يقتضي صحة أحد النقيضين، وأصله من الحج أي القصد للزيادة، وسمى سبر الجراحة حجاً، وخلا فلان أي صار في خلاء، فالآية[١] إخبار عن المنافقين منهم، وأنهم يظهرون الإيمان ويتواصون فيما بينهم أن لا يظهروا ما انكشف لهم من حقائق النبوة لئلا يصير ذلك حجة عليهم في حكم الله، وهذا معنى قوله: (عند ربكم)، كقوله [٢]﴿فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٣] أي في حكمه، وهذا التأويل أولى من قول من قال: ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾أي يوم القيامة، وقيل: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ أي : عند سيدكم يوم الخصام، وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يصح أن يكون من جملة الحكاية عنهم على سبيل إنكار بعضهم على بعض، ويصح أن يكون استئناف إنكار من الله –عز وجل– [عليهم] [٤] على سبيل ما يسمى في البلاغة بـ "الالتفات"[٥]..، ويصح أن يكون ذلك خطاباً للمؤمنين تنبيهاً على ما يفعله الكفار والمنافقون..

---

١ – في (أ – ص) والآية.

٢ – في (و – ج) لقوله.

٣ – سورة النور الآية : (١٣).

٤ – ساقطة من (أ – ص).

٥ – في (و – ج) الالتفات.

قوله - عز وجل:

﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ الآية :(٧٧) سورة البقرة.

هذا تبكيتٌ لهم وإنكار لما يتعاطونه مع علمهم أن [١] الله لا يخفى عليه خافية.

قوله - عز وجل:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ الآية : (٧٨) سورة البقرة.

الأمي : قيل هو الذي لا يكتب، وأصل هذا اللفظ في المنسوب إلى الأم، ولما كانت الأم هي المنشئة المربية للولد، تصور ذلك في أشياء، فقيل له أم[٢] نحو أم الأضياف، وأم الجيش للرئيس، وأم القرى لمكة وذلك لنحو ما روى أنه لما خلق الأرض دحاها من تحت الكعبة، وأم الكتاب للوح المحفوظ ولفاتحة الكتاب تصوراً أن منهما منشأ الكتاب، وقيل أمه إذا قصده قصد الإنسان للأم المشفقة عليه، ومنه اشتق الإمام والأمة، فالأمي في التعارف هو المنسوب إلى ما يجري[٣] منه مجرى أمه في العناية وتربيته في الفضيلة وحفظها عليه أما ماكان ذلك أو غيره، واستعمل فيمن لا يقرأ فيحتاج إلى من يحفظ عليه معارفه، وهذه الحالة فضيلة للنبي –عليه السلام– ونقيصة لغيره، من أجل[٤] أنه –عليه السلام– حفظ عليه علومه فيض إلاهي ونور سماوي، فصار افتقاره غنىً، كماروى [عنه ﷺ][٥]أنه كان يقول في دعائه:

«اللهم اغنني بالافتقار إليك»،[٦] وغيره لما احتاج إلى أن يحفظ معلومه عليه آدمي مثله صار في الحقيقة ناقصاً، وفقيراً[٧] وقوله: (إلا أماني)، الأصل في هذه اللفظة الدائر في جميع متصرفاته التقدير، ومنه الْمَنَا الذي يوزن به، والمني الذي منه الحيوان، ومنى الله كذا، أي قدر، وعن ذلك

---

١ - في (أ – ص) بأن.

٢ - ساقطة من (و – ج).

٣ - في (أ – ص) من يجري.

٤ - في (أ – ص) من حيث.

٥ - ساقطة من (و – ج).

٦ - هذا الدعاء من قول عمرو بن عبيد، وليس من قول الرسول(ص)، انظر جواهر الألفاظ، ص ٥، ومفردات ألفاظ القرآن- ص ٢٩١ .

٧ - ساقطة من (أ – ص).

وضع الأمنية، فإنه تقدير شئ في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل، لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب به أملك، فأكثر التمني تصور مالاحقيقة له، ولما كان الكذب تصور ذلك ويراد[1] باللفظ صار التمني كالمبدأ للكذب،فيصح أن يعبر عن الكذب بالتمني في نحو ماروي عن عثمان- "رضي الله تعالى عنه"[2]- أنه قال: **«ما تغنيت ولا تمنيت»**[3]، ولما قلناه قال مجاهد: "إلا أماني" معناه "إلا كذباً"، وقال غيره: إلا تلاوة مجردة عن المعرفة من حيث أن التلاوة بلا معرفة المعنى تجري عند صاحبها مجرى أمنية مبنية على التخمين، فإن قيل: فما معنى قوله تعالى على هذا: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾**[4] قيل: قد قلنا إن التمني كما يكون عن تخمين وظن، فقد يكون عن روية وبناء على أصل، ولما كان النبي -عليه السلام- كثيراً[5] ما كان يبادر إلى ما نزل به الروح الأمين على قلبه حتى قيل له: **﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾**[6] **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾**[7] سمي تلاوته على ذلك تمنياً..، وقوله: **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾**[8] كناية عن الكذب لما كان الظن واقعاً بين الصدق والكذب، كما كنى عنه بالخرص الذي هو تقدير الأثمار لما كان ذلك متردداً بين الوفاق والخلاف، وقد أنبأ الله تعالى بالآية عن جهل الأميين وذمهم والمبالغة في ذم علمائهم وأحبارهم[9]، فإن الأميين لم يعرفوا إلا مجرد التلاوة، واعتمدوا على زعمائهم و"أحبارهم" وهم قد ضلوا وأضلوا، ونبهنا الله تعالى بذم الأميين على اكتساب المعارف لئلا يحتاج إلى التقليد والاعتماد على من لا يؤمن كذبه وبذم زعمائهم على تحري الصدق وتجنب الإضلال، إذ هو أعظم من الضلال..

---

١ - في (و - ج) وإيراده، وهو تصحيف.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - أورده ابن الأثير في كتاب النهاية في غريب الحديث قال: «وفي حديث عثمان.. ما تغنيت ولا تمنيت، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام»، وفي رواية "ما تمنيت منذ أسلمت"، أي: ما كذبت، والتمني هو التكذب. انظر النهاية لابن الأثير ج:٤-ص٣٦٧، وأورده الراغب في مفردات وألفاظ القرآن -ص٧٨٠.

٤ - سورة الحج: الآية (٥٢).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - سورة طه : الآية (١١٤).

٧ - سورة القيامة : الآية (١٦).

٨ - سورة الجاثية : الآية (٢٤).

٩ - ساقطة من (و - ج).

قوله - عز وجل :

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ الآية (٧٩) سورة البقرة.

ويل: تقبيح، وقد يستعمل على سبيل[١] التحسر، وما روى أبو سعيد الخدري -"رضي الله عنه"[٢]- أنه وادٍ في جهنم، فليس يعني أن الويل هو اسم لذلك الوادي، وإنما يعني أن الذين يجعل لهم الويل هم المتبوئون في ذلك[٣] الوادي، والكسب استجلاب نفع، وقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾[٤]، فعلى نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥] إن قيل ما وجه توكيد الكتابة باليد، وهي لا تكون إلا بها، قيل: لما كانت اليد العاملة يختص بها الإنسان من بين الحيوان وهي أعظم جارحة، بل عامة المنافع راجعة إليها حتى لو توهمناها مرتفعة ارتفع بها الصناعات التي بها قوام العالم كالبناء، والحوك، والصوغ صارت مستعارة في القوى جميعاً، والمنافع كلها حتى قيل: فلان يد فلان إذا قواه، وقيل للنعمة يد لما صارت معينة للمعطى إعانه يده وحتى صار مستعاراً في اللفظ لله تعالى بدلاً عن القدرة أو عن النعمة أو صفة أخرى غيرهما، فذكرت مثناة مرة ومجموعة مرة تصويراً للمبالغة في ذلك، فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[٧]، وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٨]، ووجه آخر، وهو أن الفعل ضربان: ابتداء، واقتداء، فيقال فيما كان ابتداء: "هذا مما عملته يد فلان"، فقوله: ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي مما اخترعوه من تلقائهم، وعلى هذا قد يحمل قوله تعالى:

---

١ - في (أ - ص) على التحسر.
٢ - ساقطة من (و - ج).
٣ - في (أ - ص) لذلك.
٤ - سورة النساء : الآية (١١٢).
٥ - سورة الانشقاق : الآية (٢٤).
٦ - سورة الذاريات : الآية (٤٧).
٧ - سورة يس : الآية (٧١).
٨ - سورة ص : الآية (٧٥).

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[١]، إن قيل: لم ذكر يكسبون بلفظ المستقبل، وكتبت أيديهم بلفظ الماضي؟ قيل:تنبيهاً على أن ما قال النبي -عليه السلام- **«من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**[٢]، فنبه بالآية أن ما أضلوه وأثبتوه من التأويلات الفاسدة التي يعتمدها الجهلة هو اكتساب وزر يكتسبونه حالاً فحالاً إن قيل: لم ذكر الكتابة دون القول؟قيل: لما كانت الكتابة متضمنة للقول وزائدة عليه إذ هو كذب باللسان واليد صار أبلغ، لأن كلام اليد يبقى رسمه، والقول يضمحل أثره.. إن قيل ما الذي كانوا يكتبونه؟ قيل: قد روي عن بعض السلف أن رؤساء اليهود كانوا يغيرون من التوراة نعت النبي ﷺ، ثم يقولون هذا من عند الله، وهذا فصل يحتاج إلى فضل شرح، وهو أنه يجب أن يتصور أن كل نبي أتى بوصف لنبي بعده فإنه أتى بلفظة معرضة به وإشارة مدرجة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم وذلك لحكمة إلاهية، فإن من شأن المسوسين سيما الذين لم يتمهروا في الحقائق أنهم متى أحسوا بحال سايس[٣] يتعقب "سايسهم"[٤] وإمامهم تواكلوا عن الائتمار لأوامره، والارتسام لزواجره، وهذا معروف من عادات الناس، وقد قال العلماء "ما انفك كتاب منزل من السماء من تضمن ذكر النبي عليه السلام، ولكن بإشارات ولو كان ذلك متجلياً لعوام لما عوتب علماؤهم في كتمانه، ثم ازداد ذلك غموضاً بنقله من لسان إلى لسان من العبراني إلى السرياني "ومن السرياني"[٥] إلى العربي، وقد ذكر المحصلة ألفاظاً من التوراة والانجيل إذا اعتبرتها وجدتها[٦] دالة على صحة نبوة محمد ﷺ بتعريض هو عند الراسخين في العلم جلي، وعند العامة خفي، فبان بهذه الجملة أن ما كتبت أيديهم كان[٧] تأويلات محرفة، وقد نبه الله تعالى بالآية على التحذير من تغيير أحكامه وتبديل آياته وكتمان الحق عن أهله وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طمعاً في عرض من أعراض[٨] الدنيا،وقد تقدم أنه قد عنى بالثمن القليل أعراض الدنيا وإن كثرت لقوله تعالى: **﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾**[٩].

---

١ - سورة آل عمران : الآية (١٦٧).

٢ - الحديث عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها ،وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئ. أخرجه مسلم- ـ ـ باب الزكاة «حديث رقم ١٠١٧». وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج:٤-ص٣٦٢، وأخرجه الإمام الترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق والدارمي وأبو عوانة وابن حبان، وكلهم عن جرير بن عبد الله. وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٥٨.

٣ - في (أ - ص) أحسوا بسايس.

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥ - ساقطة من (أ - ص).

٦ - في (أ - ص) إذا اعتبرت وجدت.

٧ - في (أ - ص) كانت.

٨ - في (أ - ص) في غرض من الدنيا.

٩ - سورة النساء : الآية (٧٧).

قوله - عز وجل :

﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ الآية :(٨٠) سورة البقرة.

المس واللمس والحس والجس تتقارب، إلا أن الحس عام في المحسوسات والجس فيما يخفى ويدق كنبض العرق والخبر الخفي، واللمس بظاهر البشرة، وكل ذلك يقال عند تأثير المحسوس في الحاس [١] وبغيره لأجله، واللمس كالطلب للمس، وقد ينفك منه، ولذلك قال: "وألمسه فلا أجده"، وجعل المس كنايةً عن النكاح تارةً، وعن الجنون تارةً، فقيل: بفلان مس، وهو ممسوس، والمسوس من الماء مامسته الأيدي، ولما كان كل وعدٍ عقداً ما وكل عقد عهداً ما كان كل وعد عهداً، فصح أن يعبر عن الوعد بالعهد، ولكونه وعداً استعمل منه الإخلاف، ومعدودة قليلة ووجه ذلك أنه لما كان المعدود ضربين، ضرباً قليلاً يسهل عده (وإحصاؤه)[٢] وكثيراً لا يسهل[٣] عده، وكانت الأعراب يقل فيهم الحساب وقوانين الحساب، تصوروا الكثير متعذر العد، والقليل متيسر العد، وقالوا: "شئ معدود ومحصور أي قليل وغير معدود، ومحصور أي كثير. ووجه الآية أن اليهود اختلفت، فبعضٌ قال نعذب بعدد الأيام التي عبد أصحابنا فيها العجل، وبعضٌ قال: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة من الدنيا يوماً من الآخرة، وبعضٌ قال: إنما بين طرفي جهنم أربعون سنة، وإذا خلا العدد انقضى الأجل ولا عذاب، فبين الله تعالى أن زعمكم أنا نعذب أياماً معدودةً ولا طريق للعقل إلى معرفة ذلك، وإنما سبيل معرفته الإخبار منه تعالى. جده–، وإخباره بذلك وعد، ووعده عهد، وما كان به من الله – عز وجل من عهد فلا خلف فيه، وقد ثبت أنه لا عهد له بذلك، فإذا ليس هو إلا تقولاً منكم على الله بما لا تعلمون، فبين بلفظ الاستفهام كذبهم فيما زعموا، وقوله: "عند الله"، أي في حكمه على ما تقدم..

---

١ - في (و – ج) في العاس، وهو تصحيف.

٢ - ساقطة من (أ – ص).

٣ - في (أ – ص) يعسر.

قـوله - عـز وجـل :

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

الآية: (٨١) سورة البقرة.

بلى: رد للنفي، ونعم عدة وتصديق، ويقعان في الاستفهام والخبر، فبلى لا يكون إلا في النفي، أما في الاستفهام فنحو قوله (ألست بربكم قالوا بلى)، وأما في الخبر فنحو: هذا، وأما نعم ففي الاستفهام نحو: **﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾**[١]، ويقال: أنا أحبك[٢]، فيقول نعم ولا يقال[٣]: بلى بوجه، وفي النفي إذا قيل ما عندي شئ، فقلت بلى، فهو رد لكلامه، وإذا قلت: نعم فإقرار منك به، والسيئة الفعل القبيح المقصود إليه في نفسه ولكونها قبيحة قوبلت بالحسنة في عامة ما جاء في القرآن، نحو: **﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾**[٤] الآية وقوله **﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾**[٥]، وقوله **﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾**[٦] وقوله: **﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾**[٧] والفرق بينها وبين الخطيئة أن السيئة قد يقال فيما يقصد إليه في نفسه، والخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصوداً إليه في نفسه، بل يكون مقصوداً إلى سببه كمن يرمي صيداً، فأصاب سهمه إنساناً أو شرب مسكراً، فجني على رجلٍ[٨] جناية في سكره، ثم السبب في ذلك سببان، سبب محظور فعله، كشرب المسكر، وسبب غير محظور،

١- سورة الأعراف : الآية (٤٤).

٢ - في (أ - ص) أناجيك.

٣ - في (أ - ص) ولا يقول.

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٦٠).

٥ - سورة الأعراف : الآية (١٦٨).

٦ - سورة الرعد الآية : (٦).

٧ - سورة فصلت : الآية (٣٤).

٨ - ساقطة من (و - ج).

فقيل في الأول الخطأ، وقد أخطأوا في الثاني خطأ، وقد خطئ فهو خاطئ، وعلى هذا ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾[1]، وقال: ﴿لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾[2]، وفي استعارة الإحاطة أبلغ تشبيه، وذاك أن الإنسان إذا ارتكب ذنباً فلم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله، ومعاودة مثله تجعل على قلبه غشاوة، فتجر به إلى ارتكاب أكبر منه، ثم ارتكابه لما هو أكبر منه يطبع على قلبه، فيشجعه على المداومة عليه، فيصير ذلك عليه حائطاً يمنعه عن رؤية ما وراءه، فيرى في مقابح الذنوب محاسن، فينخبط في بلايا من دنياه ربما يراها[3] نعماً، فيحسب أن لا وراء اللذات الدنيوية لذة ولابعد التخصيص بقاء وورائها نعمة فهذا معنى: (أحاطت به خطيئته)، وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[4]، وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾[5]، ووجه آخر روى عن السلف وهو وإن كان عائداً إلى ما تقدم، فالنظر إليهما مختلف، وهو أن السيئة الكفر، وذلك عن مجاهد وأبي وائل والربيع، فبين تعالى أن من تحرى طريق الكفر، ثم استمر مريرة في ترك الإقلاع إما الترك النظر، وإما الشرارة، وإما لشهوة مستولية عليه حتى يصير ذلك كحائط عليه لا خروج له منه، فأولئك أصحاب النار، ومن قرأ (خطيئته)، فاعتباراً بالجنس، ومن قرأ (خطيئاته)[6]، فاعتباراً بآحاد الذنوب وجعلهم أصحاب النار لملازمتهم في الدنيا ما يوجب لهم النار، وفي الآخرة لملازمتهم إياها، إذ كان الصاحب إنما يقال فيمن كثر ملازمته لغيره..

---

١ - سورة الأحزاب : الآية (٥) والآية في (و-ج)- «ولاجناح عليكم» - وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة الحاقة : الآية (٣٧).

٣ - في (أ - ص) يراه.

٤ - سورة الروم : الآية (١٠).

٥ - سورة التوبة : الآية (٧٧).

٦ - قرأ بهذا الوجه كل من نافع وأبي جعفر - معجم القراءات القرآنية- ج:١-ص٧٧.

قوله : عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

الآية: (٨٢) سورة البقرة.

عادة القرآن في كل موضع يذكر عقاب قوم أن يذكر بإزائه ثواب مضادتهم ليُرجى رحمته ويخاف[١] عذابه، وقد تقدم أن عامة ذكر الإيمان في القرآن مقرونة بالأعمال الصالحة تنبيهاً أن جملة الاعتقاد والمقال لا اعتداد بها مالم يضامها الأعمال الصالحة، إذ الاعتقاد كالأس، والعمل كالبناء، ولا غناء في أسٍّ بلا بناء، كما لا ثبات لبناء بلا أس، وفيه دلالة أن قوله تعالى من قبل: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾[٢] هو الكفر، وإحاطة الخطيئة به الأعمال السيئة، وذلك لما قابله به من الإيمان والأعمال الصالحة..

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾

الآية (٨٣) سورة البقرة.

الولد: المولود، والوليد للصبي اعتباراً بقرب ولادته، كما يقال: لما قرب اجتناؤه جني، والوليدة في الأمة كناية عن طريق التلطف بأنها تجري مجرى الولد، و"فلان لدة فلان"، أي ولد معه، واليتيم قد يقال لمن فقد كافله قبل البلوغ من أبويه، أما في الناس فأباه، وأما في البهائم فأمه، لأن كفالة الولد في الناس على غالب الأمر، وفي الحكم إلى الأب، وفي البهائم إلى الأم، وقد يقال لمن يتصور بصورة الفرد الذي إذا اعتبرت فضيلته قدر أن لا أباه من جنسه لكونه خارجياً بالفضل عن طبيعة آبائه،

---

١ - في (أ - ص) ويخشى.

٢- سورة البقرة : الآية (٨١).

وجدك فاصطفاك، كقوله تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[٢]، وأخذ هذا الميثاق المذكور في الآية ليس شيئاً اختص به[٣] بنو إسرائيل فقط، بل في كل أمة، ولكل نبي، وقد تقدم أن هذه العبادات مما لا يجوز خلو شرع منها وإن اختلفت هيئاتها وأعدادها وأن كلياتها مأخوذة على الناس بقضية عقولهم وألسنة أنبيائهم وجزئياتها وكيفياتها مأخوذة عليهم بألسنة أنبيائهم -عليهم السلام[٤]- إذ لا طريق للعقل إلى معرفة جزئيات العبادات والمصالح المتعلقة بها، وليس أخذ الميثاق كله معتبراً بأن يلتزمه المأخوذ عليه ويرضى به، بل بأن توجه[٥] الحجة، وتقدير قوله: (لا تعبدون إلا الله) فيه أوجه، قال الكسائي : (أن لا تعبدوا)، فلما حذف "أن" نرفع، نحو:

ألا أيُّهَذا الزَّاجِرِي أحْضُرُ الْوَغَى،[٦]

وقال الأخفش: لما أفاد قوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معنى القسم أجابه بجوابه نحو: حلفت لا يخرج زيد، وقال قطرب: (لا تعبدون) في موضع الحال، تقديره غير عابدين، وقال الفراء: لفظه خبر، ومعناه النهي نحو: (لا تضار والدة بولدها) بالرفع، واستدل على كونه نهياً بقراءة أبيٍّ: (لا تعبدوا إلا الله)[٧] ، وبعطف قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ عليه.

---

١ - سورة الضحى : الآية (٦). ٢ - سورة طه : الآية (٤١).

٣ - في (أ - ص) منه. ٤ - زيادة في (أ- ص).

٥ - في (أ - ص) توجيه.

٦- هذا شطر بيت لطرفة بن العبد البكري وتمام البيت:

ألا أيُّهَذا الزَّاجِرِي أحْضُرُ الْوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

وهو من قصيدة مطلعها : -

لخولة أطلال ببرقة مشهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وأحضر الوغى يعني أحضر الوغى، والوغى الحرب، والأصل فيها أنه صوتها.

وهو من مُعلّقة طرفة في ديوانه - ص ٤٣ ، وفي شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات - ص ١٩٢ ، وهو من شواهد سيبويه - ج:١ - ص ٤٥٢ ، والفرّاء ج:٣ - ص ٢٦٥ ، والمقتضب - ج:٢ - ص ٨٥ ، ص ١٣٦ ، ومجالس ثعلب ص ٣١٧ ، والصاحبي، ص١٣٢، ص٢٣٣، والأصول - ج:٢ - ص ١٦٨ ، ص ١٨٤ ، والإنصاف ص ٥٦٠ ، وخزانة الأدب ، ج:١ - ص ٥٧ ، والعيني ، ج:٤ - ص ٤٠٢، سر صناعة الإعراب ج:١ - ص ٢٨٦، ص ٣٣٤، شرح ديوان طرفة - ص ٢١.

٧ - قرأ بهذا الوجه كل من أبي وابن مسعود.. معجم القراءات القرآنية-ج:١- ص ٧٨.

ولما تضمن أخذ الميثاق معنى الوصية حمل عليه قوله: (وبالوالدين إحساناً) واختلف في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]، فذهب بعضهم إلى أنه منسوخ بآية السيف، لأن المسلمين أمروا في الابتداء أن يتلقوا الكافر والمسلم بالحسنى، ثم أمروا بالتغليظ والقتال، وقيل : لانسخ فيه وهو الأصح،[2] لأن ذلك كقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[3] الآية.، ولأن قتالهم لا يمنع من أن يقال لهم أولاً قولٌ حسنٌ، كما قال لموسى -عليه السلام- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾[4]، ثم قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، يصح أن يكون[5] نهياً عن المقادح والكذب، ثم هذه الآية ليست خطاباً[6] للمسلمين من هذه الأمة، وإنما هي حكاية ما أمر به بنو إسرائيل، وهما خطاب للأسلاف من بني إسرائيل، وقيل:

هو خطاب لمن كان في زمان رسول الله ﷺ منهم، وقيل قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ خطاب للسلف، وقوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ خطاب لمن كان في زمنه، إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال، الأول: أن قوله ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ حال مؤكدة، لأن تقديره: (ثم توليتم معرضين)، ذلك على قول من جعلها خطاباً لفريق واحد، والثاني أن التولي قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد والإعراض هو الانصراف عن الشئ بالقلب، والثالث: أن التولي والإعراض في ذلك مثل مأخوذ من سلوك الطريق، وإذا اعتبرنا حال سالك المنهج في ترك سلوكه، فله حالتان، إحداهما: أن يرجع عوده على[7] بدئه، وذاك هو التولي، والثانية : أن يترك المنهج ويأخذ في

---

١ - هذه الفقرة ساقطة من (و - ج).

٢ - علق الدكتور مصطفى زيد على إدعاء النسخ في هذه الآية فقال: [إن دعوى النسخ لا مكان لها في تأويل هذه الآية، ذلك أن الدعوة إلى توحيد الله، وإلى تصديق النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو قول الصدق الذي يعرفونه بشأنه للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كل هذه المبادئ لا تقبل النسخ بآية السيف، إذ لم تنزل هذه الآية وغيرها من آيات الكتاب إلا لإقرارها والتمكين لها] النسخ في القرآن الكريم- الدكتور مصطفى زيد ج:٢ - ص ٥٤٤، ٥٤٥، طبعة دار الوفاء- المنصورة.

٣ - سورة النحل : الآية (١٢٥).

٤ - سورة طه : الآية (٤٤).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - في (أ - ص) مخاطبته.

٧ - في (أ - ص) إلى.

عرض الطريق متخطياً، وذلك هو الإعراض والمتولي أقرب أمراً من المعرض، لأنه متى ندم على رجوعه سهل عليه العودة إلى سلوك المنهج، وأخذ في عرض المفازة إلى طلب منهجه، فيعسر عليه العود إليه، فمتى جعل الخطابان لفريق واحد، فذلك غاية الذم، فإنهم جمعوا بين العود عن السلوك والإعراض عن المسلك، ومتى جعل "توليتم" للسلف، وأنتم معرضون للخلف، فتنبيه أنكم شر من أسلافكم، فقد كان منهم التولي، ومنكم الإعراض، والآية منطوية على عامة الأحكام الاعتقادية والعلمية والآداب[١] الشرعية ومكارم الأخلاق، وفيها ذم لبني إسرائيل أن مع أخذ الميثاق منهم بذلك لم يكن من أكثرهم الوفاء به..

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ الآية (٨٤) سورة البقرة.

الدار سميت اعتباراً بدورها، وقيل داره، كقولهم: محلة ومنزلة اعتباراً بوحدة ما، فإن الدار يقال لها وإن انطوت على حجر وبيوت، والدواري الدهر، لكر الجديدين، والدُوار في الرأس وضم على بناء الأدواء، نحو الصداع، يقال للصنم التي يدار حوله دُوار ودَوار ودوار، وقوله تعالى: **﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾** متعلق بقوله: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾** على ما تقدم في الآية الأولى... إن قيل: كيف أخذ ميثاقهم أن لا يفعلوا ذلك بأنفسهم مع كون الإنسان مضطراً لأن يفعل بها ذلك؟ قيل في ذلك أجوبة..

الأول: لا يفعل ذلك بعضكم ببعض، وإليه ذهب قتادة وأبو العالية، الثاني: لا يفعلن[٢] أحدكم [ذلك][٣] بالآخر، فيفعل به، فيكون في حكم فاعله بنفسه، الثالث: [لا تفعلوا ما يؤدي بكم إلى صرفكم عن الحياة الأبدية الجاري مجرى القتل، وهو العذاب الأليم،][٤] ولا تفعلوا ما تحرمون به على أنفسكم

---

١ - في (أ - ص) والآداب الشرعية.

٢ - في (و - ج) لا يفعلوا، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - هذه العبارة ساقطة من (و - ج).

الجنة التي هي داركم فتكونوا في حكم من أخرج نفسه من داره، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[١]، وعلى هذا حمل قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾[٢] أي: شغلوهم بما يعود بوبالهم، وحرموا العلم، والإقرار قد يكون باللفظ ويكون بالفعل وهو الرضى، نحو أن يقال: فلانٌ مقر بالخسف..

قال الشاعر: .. أقر كما قر الخليلة للبعل..

فقوله ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يصح أن يكونا [جميعاً خطابين][٣] للسلف، وأن يكونا للخلف، [وأن يكون الأول للسلف والآخر للخلف][٤] فإن قيل: ما الفرق بين الإقرار والشهادة؟ قيل: الشهادة إقرار مع العلم وثبات اليقين، والإقرار قد ينفك من ذلك، ولهذا كذب الله تعالى الكفار في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[٥]، ولو قالوا: نقر إنك لرسول الله لم يكذبوا..

قوله - عز وجل:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية: (٨٥) سورة البقرة.

قيل: تقدير هؤلاء ياهؤلاء، وذلك مستبعد لحذف حرف النداء، [فحرف النداء][٦] لا يحذف إلا من الأعلام وما هو كالأعلام ومن المضاف دون غيرهما من المناديات، وقيل معناه كمعنى الذين، فقد أجرى

١- سورة النساء: الآية (٢٩).

٢- سورة الأنعام: الآية (١٤٠).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥- سورة المنافقون: الآية (١).

٦ - ساقطة من (أ - ص).

المبهمات مجرى الموصولات، وعلى ذلك حمل الكوفيون قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[1] **وقول الشاعر:**

نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ[2]

وقيل معناه: أنتم كهؤلاء، وتظاهرون تتعاونون، وأصل اللفظة من الظهر التي هي الجارحة، ولما كان الظهر من حيث الخلقة خالياً عن الحروق والعكن بخلاف البطن، سمي ما كان بارزاً ظهراً، وما كان خافياً بطناً، فجعل الظهر والظهور لجميع متصرفات هذه اللفظة أصلين، وقرئ تظَّاهرون[3] بالتشديد، وأصله: يتظاهرون ويظَّاهرون[4] بالياء والتشديد على ذلك، وتظاهرون بحذف أحد التاءين وبالتخفيف، والإثم اسم الأفعال المبطئة للثواب، ولتضمن البطؤ قال الشاعر في صفة ناقة:

جَمَالِيَّةٌ تَغْتَلِي بِالرِّدْفِ ... إِذَا كَذَّبَ الآثِمَاتُ الْهَجِيرُ[5]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[6] أي في تعاطيهما أبطأ عن الخيرات، فإنهما شاغلان، فصار الإثم في التعارف نقيض البرّ.

---

١ - سورة طه : الآية (١٧).

٢ - هذا عجز بيت ليزيد بن مفرغ الحميري وتمامه :-

عَدَسْ مالعباد عليك إمارةٌ ... نَجَوْتِ وهذا تُحملينَ طَلِيقُ

وهو من مطلع قصيدة قالها يذكر فيها خلاصه من السجن وبعده : -

طليق الذي نجّى من الكرب بعدما ... تلاحم في درب عليك مضيق

وقال هذه القصيدة لما خرج من الحبس وقربت إليه بغلة ، فركبها ، ولما استوى على ظهرها أنشد هذه الأبيات وهي في ديوانه ص ١١٥.

وانظر أدب الكاتب - ص ٤٤٤ - شرح أدب الكاتب للجواليقي - ص ٣٠١ ، ص ٣٠٢ - خزانة الأدب - ج:٢ -ص ٢١٦ ، ص ٥١٤ وذكر البيت غير منسوب في معاني القرآن للفراء - ج:١ - ص ١٣٨ ، وج:٢ ص ١٧٧ وذكر في إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس ج:١ - ص ١٩٣ .

٣ - قرأ بهذا الوجه كل من ابن كثير، ونافع، وأبي عمر، وابن عامر، معجم القراءات القرآنية - ج : ١ - ص ٨١.

٤ - قرأ (يظاهرون) بفتح الياء وتشديد الظاء وبالف كل من ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبي جعفر، وقرأ (يظَّهرون) بالتشديد وبدون ألف كل من نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب. انظر: إرشاد المبتدي - ص ٥٨٦.

٥ - البيت للأعشى في ديوانه ص ٨٧ ، وهو في لسان العرب «أثم» وعجزه في المجمل ج:١ - ص ٨٧.

٦- سورة البقرة : الآية (٢١٩).

وقوله عليه السلام:

«البر ما اطمأنت إليه النفس،[١] **والإثم ما حاك في صدرك»**[٢]، فهذا حكمهما لا تفسيرهما، والوزر والذنب والجرم تتقارب، لكن الوزر اسم لما يوجب العقوبة بمعاونة الغير، ولهذا روى:

«من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها»، فإن السَّان والمسنن بها متآزران[٣] متعاضدان، والسانُّ أعظم إثماً، إذ ليس المتبع كالمبتدع، وأما الذنب فما يقتضي عاقبة مذمومة اعتباراً بأذناب الأمور، والجرم اعتباراً بما يحصل من ثمرة سوء العمل تشبيهاً لجرام النخل، والعدوان هو تجاوز لحد المرسوم في الاعتداء المرخص فيه على سبيل المجازاة في قوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٤] فالتجاوز للمرسوم هو العدوان، والأسر شد يضم به بعض المشدود إلى بعض يُقال: أسرت الرجل، والسرح والرحل، وما يشدبه إسار، والفدا العوض الذي يخص به فكاك الإنسان وقيل الفدا والفداء واحد، والأقرب أن الفداء بالمد اسم لما يفدى به، والفدى اسم للمفدى، كما يقال الحمى للمحمي وإن كان كل واحد منهما يوضع موضع الآخر، والحرام المنع الشديد من جهة الحكم، ورجل حرام يجوز أن يكون على وضع المصدر موضع الفاعل كأنه محرم على نفسه بالتزامه ما الزم[٥] ما كان محللاً له إما بدخوله الحرم أو بالإحرام،ويجوز أن يكون في موضع المفعول، كأنه صار محروماً أي ممنوعاً من بعض ما كان مباحاً له والشهر سمي محرماً لذلك، واستحرمت الماء غيره، كأنها طلبت شيئاً محرماً في غيرها، وذلك كناية، والخزي ذل يستحي منه، ولتضمن المعنيين استعمل تارةً في الذل نحو: عليه الخزي ، وفي الاستحياء، نحو خزي،

---

١ - في (و - ج) البر ما سكنت إليه القلوب، ولكن الاصح ما في (أ- ص) وهو ما اطمئنت إليه النفس.

٢ - الحديث رواه مسلم بلفظ : «البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ورود فى كتاب البر والصلة - ج:٥ ، الحديث رقم «٢٥٥٣» ، وأخرجه الترمذي فى كتابه الزهد - ص ٥٢ وأورده الإمام أحمد فى المسند ج:٤ - ص ٢٢٨ ، وأخرجه السيوطي فى الدر المنثور بلفظه - ج:٢ - ص ٢٥٥ ، وأورده الطحاوي فى مشكل ما روى عن الرسول ﷺ فى البر والإثم ما هما - ج:٣ - ص ٣٤، ٣٥ ، وأورده المنذري فى الترغيب والترهيب - ج:٢ - ص ٢٥٧ وأورده الهيثمي فى مجمع الزوائد - ج:١٠ - ص ١٧٥، وأورده ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق، ج: ٣ - ص ٢١٢.

٣ - في (و - ج) متوازران، وهو خطأ من الناسخ.

٤- سورة البقرة " الآية (١٩٤).

٥ - في (أ - ص) ما التزم.

والرد والرجوع متقاربان، إلا أن الرد يقتضي قهراً[١]، أما للمردود إذا استعمل في الحيوان والرجوع لا يقتضي ذلك، فإن قبل الردة عن الإسلام يتعاطاها صاحبها طوعاً، قيل إذا اعتبرت الردة بصريح العقل والفطرة التي فطر الناس عليها، فهي[٢] قهرٌ للعقل على ما ليس من مقتضاه، لأن الكفر هو الاعتقاد الظني، كما أن الإيمان هو الاعتقاد اليقيني، والعقل لا يسكن إلى الكفر، [ولا يطمئن إليه][٣] إذهو منافٍ لمقتضاه، ولهذا قال تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٤] لأنهم إذا راجعوا عقولهم[٥] [أنكروه وتمنوا سواه][٦]، وعلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٧]

ومعنى الآية أن اليهود كان أوجب عليهم أن لا يسفكوا الدماء ولا يخرجوا أحداً من ديارهم ولم يوجب عليهم مفادات الأسرى، فأخلوا بالواجب والتزموا مالم يكن يلزمهم، فأنكر[٨] الله تعالى عليهم ترك الفريضة ومراعاة النافلة وقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متعلق بما قبله وقد فصل بينهما بقوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ وقال بعضهم: إن الله تعالى نبه بهذه الآية مع المعنى الظاهر على لطيفة، وهي أن في قوله تعالى تقتلون أنفسكم تنبيه أنكم تسعون في اكتساب العقاب الذي يجري مجرى قتل النفس، وبقوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾[٩] أي تضيعون بعض قواكم ولا

---

١ - في (و - ج) وتراً وهو تصحيف.

٢ - في (و - ج) فهو وهو خطأ من الناسخ.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة الحجر الآية (٢).

٥ - في (أ- ص) أنفسهم.

٦ - ساقطة من (و - ج).

٧ - سورة الحج : الآية (٣١).

٨ - في (أ - ص) فأنكروا، وهو تصحيف.

٩ - سورة البقرة الآية (٨٥).

تراعونهاحق المراعاة، فإن من هذب قوته العالمة، ثم ضيع قوته العاملة بالتقصير، [فقد ضيع نفسه][١] وكأنه أخرجها من محلها الذي جعله الله تعالى لها، وعلى ذلك إذا ضبط قوته الشهوية ولم يضبط قوته الغضبية، ونبه بقوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ إنكم تتصدون لهدى غيركم مع تضييعكم أنفسكم كقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[٢]، وعلى ذلك قيل: (كفى بالمرء تهزياً أن يعظ غيره وينسى نفسه)، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فقد قيل: هو ضمير الحديث، وقيل: هو ضمير المصدر الذي هو الإخراج، وقد أعيد ذكره تأكيداً، فكأنه تكرير الخبر مرتين، ثم بين أن متعاطي ذلك له في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وعظم[٣] إبعادهم بتنبيههم أنه سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن شئ تعالى الله وتقدس...

قوله - عز وجل :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

الآية: (٨٦) سورة البقرة.

الخفة والثقل يقالان على أضرب. الأول : خفيف في المسخر لطلب العلو كالنار، وثقيل في المسخر لطلب السفل كالحجر. الثاني : يقال على سبيل التصادف كشيئين يترجح[٤] أحدهما على الآخر، فيصح أن يوصف شئ واحد بأنه خفيف وثقيل على اعتباره بشيئين، الثالث على اعتبار الزمان نحو أن يقال: هذا الفرس خفيف، وذاك ثقيل بمعنى أنه إذا اعتبر عددهما بزمان واحد كان أحدهما أكثر عدداً من الآخر. والرابع: يقال فيما تستجليه النفس خفيف، وفيما تعافه[٥] ثقيل، فالخفيف على هذا مدح، والثقيل ذم الخامس على العكس من ذلك، وهو أن يقصد بالثقيل معنى الرزين، وبالخفيف

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة البقرة : الآية (٤٤).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - في (أ - ص) يرجح.

٥ - في (و - ج) يعافه ، وهو تصحيف.

معنى الطائش، والقصد باشتراء الحياة الدنيا في هذه الآية [وبالرضى في هذه الآية][١] وبإيثارها في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٢] في نحو قوله: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٣]، وبالإخلاد إليها في قوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾[٤] وباتباع الهوى في نحو قوله، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[٥] وبعبادة الشيطان في نحو قوله: ﴿لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[٦] وباتباع الخطوات في نحو قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[٧] وبنصرة الشيطان في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾[٨] كل ذلك قصد واحد في أنه حث على تجنب المعاصي وان اختلفت العبارات وتفاوتت الأنظار، وبين الله تعالى بالآية أن من فعل ذلك فهو معاقب لا يخفف عذابه، أما في الدنيا، فمعذب لشرهه[٩] على تتبع فضولات المال وجمعه، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١٠]، فلا يكون لطلبها غاية إذا انتهى إليها خفف عذابه، وأما في الآخرة فبدوام العذاب الأليم، وبين تعالى أنه لا يجد نصرة من جهة ماله في الدنيا، كما قال حكاية عن المحتضر: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾[١١] ولا في الآخرة، كما قال: ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾[١٢] الآية، وقوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ﴾ قيل: هو داخل في صلة الدين والصحيح أنه جواب لتضمن لفظه الذين[١٣] معنى الشرط كما هو جواب في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[١٤].

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢- سورة النازعات : الآيتان (٣٧، ٣٨).

٣ - سورة يونس : الآية (٧).

٤ - سورة الأعراف : الآية (١٧٦).

٥ - سورة الأعراف : الآية (١٧٦).

٦ - سورة يس : الآية (٦٠).

٧ - سورة البقرة : الآية (٢٠٨).

٨ - سورة المجادلة : الآية (١٩).

٩ - في (و - ج) لشبهه وهو تصحيف.

١٠ - سورة التوبة : الآية (٥٥).

١١- سورة الحاقة : الآية (٢٨).

١٢ - سورة الجاثية : الآية (١٠).

١٣- في (أ - ص) لفظة الذي.

١٤- سورة البروج : الآية (١٠).

قـولـه - عـز وجـل :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾

الآية:(٨٧) سورة البقرة.

الاقتفاء اتباع القفا، كما أن الارتداف اتباع الردف ، وقفوته: أصبت قفاه، نحو: قادته وبطنته إذا رميت ذلك منه، ثم يكني به عن الاغتياب، وقافية الشعر لاعتبار **الاقتفاء** فيها، والقفاوة ما يتفقد به الغير على سبيل الايثار، والهوى اسم للقوة الشهوية، وأصله من الهوى، لأنه يهوى بصاحبه فلا يستقر به، والروح من الحيوان اسم للجزء الذي معه تحصل الحياة، ولما كانت الحياة تختلف، فمنها ما تشترك فيه الحيوانات ويحصل به التحرك والسعي واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، ومنها الحياة التي يختص بها الإنسان، وبها يكون الفكر والروية ولأجله قيل: فلان ليس بحي أو هو ميت إذا ضعف ذلك فيه، ومنها الحياة التي يستفيدها الإنسان بالعلم وهو أس ما يتوصل به إلى الحياة الأبدية، وإياها قصد بقوله: **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾**[1] صار الروح يقال لكل ذلك، فيقال "ذوروح" لكل حيوان، وقيل للقرآن روح لما كان سبباً للحياة الأبدية قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾**[2]، وقيل: سمي عيسى عليه السلام روحاً، لأنه كان يحيي الموتى، فصار كالروح، وقيل : سمي بذلك لأنه كان يفيد الناس ويعلمهم ما يتوصلون به إلى الحياة الأبدية، وقيل: سمي بذلك لقوله: **﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾**[3]، وذلك [4] أنه لم يخلق من ماء ذكر وأنثى، وإنما قال له: (كن)، وسمي جبرائيل (عليه السلام) روح القدس، والروح الأمين، وهذه الآية توكيد لذمهم والإنباء عن بعدهم عن الإيمان، وأنهم قد أتاهم موسى بالكتاب، ثم اتخذوا العجل وأتاهم رسل فلم يعرجوا عليهم، وجاءهم

---

١ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

٢ - سورة الشورى : الآية (٥٢).

٣ - سورة التحريم : الآية (١٢).

٤ - في (أ - ص) وذاك.

عيسى -عليه السلام بالمعجزات الباهرة فكذبوه، وقوله: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يصح أن يكون معطوفاً على قوله [﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ويكون قوله ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ فصلاً بينهما على سبيل الإمكان عليهم، ويصح أن يكون معطوفًا على قوله:][1] "استكبرتم"، وقوله :﴿أَفَكُلَّمَا﴾ استئناف، ويبن باتباعهم الهوى غاية معانيهم، فإن متبعه مخطئ وإن أصاب، فالإصابة منه على غيره اعتماد، إذ هو كالبهيمة المتناولة لما تدعو إليه شهوتها صواباً كان أم خطأ، ثم زاد في ذمهم بوصفهم بالاستكبار إذ هو مقر النقائص، فإنه نتيجة الإعجاب، والإعجاب نتيجة الجهل بالنفس والجهل بالنفس مقارن للجهل[2] بخالقها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[3] إن قيل: لم قال: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وهلا جعلا ماضيين أو مستقبلين؟ قيل: أما من حيث اللفظ، فلأنه لما لم يكن يفسد المعنى روعي فيه المجانسة بين الفواصل ليكون اللفظ أحسن، وأما من حيث المعنى: فللتنبيه أنهم لم يتوقفوا في تكذيب من جاءهم من الأنبياء، فذكره بلفظ الماضي، إذ لا مزاولة فيه، وذكر القتل بلفظ الاستقبال تنبيهاً أنهم يزاولون قتله قدروا عليه أم لم يقدروا.

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية (٨٨) سورة البقرة.

أصل الغلف ستر الشئ بالشئ الذي يجعل فيه، ومنه غلفت السيف والسرج والرحل واللحية بالغالبة، والأغلف الأقلف لكون ذلك منه في غلاف من غلفته أي قلفته وعزلته، فقوله: (غلف): قيل هو جمع غلاف وأصله غلف، فخفف، وقرئ غُلُف ككتب، وقيل: هو جمع أغلف، فعلى الأول قيل معناه: قلوبنا أوعية للعلم لا تسمع علماً إلا وعته إلا ما تقول، بمعنى أن ما يقوله ليس بعلم، وعلى الثاني

١- ساقطة من (أ - ص).

٢ - في (أ - ص) للجاهل.

٣ - سورة الحشر : الآية (١٩).

معناه: قلوبنا مغطاة عما تدعونا إليه فلا نفهمه كما قال: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[١] الآيـة..، ورد الله تعالى ذلك عليهم بأن ذلك لكونهم مبعدين عن العلم لسوء فعلهم، وقد تقدم أن سبب المانع من الفضيلة سببان: أحدهما: ابتداؤه ليس من جهة الإنسان نفسه، وهو متجاف عنه كمرتكب قبيح لزوال عقله بجنون أو مرض، والثاني: ابتداؤه من جهته، وهو مأخوذ به كمرتكب ذنب لسكره، فبين الله تعالى أن قلوبهم ممنوعة عن العلم بكفرهم وذلك من جهتهم، وقوله: ﴿فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لم يؤمنوا إلا إيماناً قليلاً أو زماناً قليلاً، وذلك غير معتد به، لأن الإيمان هو التصديق المخصوص، ومتى لم يحصل كمالاً لم يعتد به، ولذلك عظم عقوبة ذلك بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٢]،ونحو هذه الآية قوله:﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٣].

قوله - عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الآية: (٨٩) سورة البقرة.

الاستفتاح: طلب الفتح،والفتح ضربان، فتح إلاهي، وهو النصرة بالوصول إلى العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة، وفتح دنيوي، وهو النصرة في الوصول إلى اللذات البدنية؛ وعلى الأول قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[٤]، وقوله ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ﴾[٥] وعلى الثاني قوله:
﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٦]، وقوله: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ قيل معناه:

---

١ – سورة فصلت : الآية (٥).
٢ – سورة البقرة : الآية (٨٥).
٣ – سورة النساء : الآية (١٥٥).
٤ – سورة الفتح : الآية (١).
٥ – سورة المائدة : الآية (٥٢).
٦ – سورة الأنعام : الآية (٤٤).

يستعملون خبره من الناس مرة، وقيل يطلبون من الله بذكره الظفر، وقيل: كانوا يقولون: إنا نُنصر بمحمد عليه السلام على عبدة الأوثان، وكل ذلك داخل في عموم الاستفتاح، فبين الله تعالى من جهلهم أنهم كانوا ينتظرونه، وكانوا يعرفون وصفه كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[١]، وكما قال: ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[٢]، فلما جاءهم كتاب لا منافاة بينه وبين التوراة في الأصول، وعرفوا عياناً ما كانوا عرفوه من قبل إخباراً كفروا به، ثم قال: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تنبيهاً أن اللعن ثابت للكفار، وهم كفار، فاللعن عليهم، وأما معنى اللعن هو إفضاء[٣] على وجه الإهانة، ومن قال: هو العذاب، فمن حيث أنه لا تنفك لعنة الله عن[٤] العذاب، وأما تكرير لما، فقد قيل جواب الأول محذوف، وقوله: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ إنما هو جواب للثاني، وقيل: لما بين فصله لما وجوابه بقوله: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أعاد ذكره بلفظ يقتضي زيادة فائدة، ثم أجاب، وقيل جواب الأول "الفاء"، و(كفروا به) جواب الثاني نحو قولك: لما جاء زيد فلما قعد أوسعت له"..

قوله - عز وجل :

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. الآية: (٩٠) من سورة البقرة.

بئس: كلمة تستعمل في جميع المذام، كما أن "نعم" تستعمل في جميع المادح، وأصله من البؤس، وهو المكروه وتصور منه الفقر تارة، فقيل بئيس، والنكاية في الغير، فقيل بؤس، وسمى البسالة بأساً به وأصل البغي الطلب، واختلفت معانيه لاختلاف المسند إليه، وربما خولف بين

١- سورة البقرة : الآية (١٤٦).

٢ - سورة الأعراف : الآية (١٥٧).

٣ - في (و - ج) أفضى.

٤ - في (أ - ص) من.

مصادرها، فمتى أسند إلى المرأة فلابتغائها لمن[١] يحرم عليها، وإذا أسند إلى المتكبر فلطلبه إكراماً لا يستحقه، وإذا أسند إلى الرأي فلطلبه متطلعاً، والهوان يتصور[٢] على وجهين أحدهما: التذلل للإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة، فيمدح به نحو المؤمن هين لين، والثاني: أن يكون مرجعه[٣] متسلط عليه على طريق الاستخفاف فيذم به، وعلى الوجهين استعمل "ذل "فبين الله تعالى أنه بئس شيئاً باعوا أنفسهم به كفرهم بكتب الله المنزلة، ثم بين أن أعظم هذا الجنس أن يفعل ذلك حسداً على من خصه الله تعالى بفضل من عنده، وفضله ههنا أجل الفضائل، وهو النبوة، ثم بين أنهم بذلك استحقوا بذلك[٤] أنواعاً من الغضب نوعاً بعد نوع نحو قوله: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾[٥].. نعوذ بالله منه.

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية (٩١) سورة البقرة.

وراء يقال للخلف والقدام، وهو في الأصل مصدر وارى، فلما[٦] كان المصدر يضاف إلى الفاعل وإلى المفعول، فمتى قيل وراء زيد بمعنى قدامه، فمعناه الذي يواري زيد، وإذا قيل بمعنى "خلف"، فهو الذي يواريه زيد، ثم جعل ظرفاً مثل كثير من المصادر، وإن قيل: كيف قيل للخلف "فلم تقتلون" ، وكان القتل من السلف[٧] لامنهم ، قيل: لما كان من عادة العرب أن ينسبوا إلى أنفسهم على طريق الفخر مآثراً بأيهم، فيقول فعلنا كذا متصورين بصورتهم خوطبوا أيضاً في نسبة مثالبهم إليهم على ذلك

١ - في (أ- ص) ما.

٢ - في (أ - ص) يتصرف.

٣ - في (أ- ص) من جهة.

٤ - ساقطة من (أ- ص).

٥ - سورة الفرقان : الآية (٦٩).

٦ - ساقطه من (و - ج).

٧ - في (أ - ص) من أسلافهم دونهم.

الوجه، وقال ابن عباس [رضي الله تعالى][1] عنهما: (إذا عمل معصية، فمن أنكرها فقد برئ منها، ومن رضيها كان كمن فعلها)، فلما رضوا فعل آبائهم فكأنهم هم فعلوه، فلذلك خاطبهم[2] بذلك، إن قيل: كيف قال: (تقتلون من قبل) ولا يجوز في الكلام تخرج أمس، قيل: في ذلك وجهان[3]

أحدهما: أن عادة العرب إذا أرادوا أن يخبروا عن تعاطي فعلٍ مداوم عليه قرنوا لفظ الماضي بالمستقبل تنبيهاً على المداومة عليه نحو قول الشاعر:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ... فَمَضَيْتُ ثُمَّةَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي[4]

وعلى ذلك يقال: فعلت كذا قبل وبعد، وافعل كذا قبل وبعد، فيجئ تارةً بلفظ الماضي وتارة بلفظ المستقبل، والثاني إن قوله (من قبل) يتعلق بمقتضى قوله "فلم" الذي هو بحث عن علة الشئ، فكأنه قيل: أخبرني قبل عن سبب قتلكم، ومعنى[5] لم تقتلون لم ترومون قتلهم، وهذا أوضح، وقوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قيل معناه بما أنزل الله بعده من الإنجيل والقرآن، وقيل: معناه بما تنطوي عليه التوراة، وذاك أن انتساب المعنى إلى اللفظ انتساب المتأخر إلى المتقدم، والباطن إلى الظاهر، ولهذا يقال: وراء هذا الكلام معنى لطيف، وفي ضمنه شئ حسن، وقد بين الله تعالى أنهم يدّعون

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - في (أ - ص) خوطبوا.

٣ - في (أ - ص) جوابان.

٤ - البيت لشمر بن عمرو الحنفي، أولرجل من بني سلول، وقيل هو لعميرة بن جابر الحنفي، وهو منسوب إليه في حماسة البحتري ص ١٧١ وفيها بعده بيت ثان يقول:

غَضْبَانُ مُمتلئٌ عَلَيَّ إهابُهُ ... إنّي وَجَدُكَ رغمه يرضيني

وهو من شواهد النحويين المشهورة في باب النعت وزيادة التاء في "ثم"، والبيت في كتاب سيبويه - ج:١ ص ٤١٦، وفي الخصائص - ج:٣ - ص ٣٣٠، وفي أمالي ابن الشجري - ج:٢ ص ٢٠٣، وفي خزانة الأدب - ج:١ ص ١٧٣، وفي همع الهوامع - ج:١ - ص ٩ - وفي مغني اللبيب ص ١٤٢، وفي معاني القرآن للأخفش - ج:١ - ص ١٣٩، وفي المحاضرات في الأدب واللغة للحسن اليوسي، وفي المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى - ص ٢٣٠ - لأبي النصر السمرقندي الحدادي، وفي الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج: ٢ ص٨٨، وفي الصاحب ص٢١٩.

٥ - في (أ - ص) ويعني.

الإيمان بالتوراة وهم كاذبون في دعواهم، فإنهم لا يكونون مؤمنين بها إذا كفروا بما يتضمنه من أخبار النبي عليه السلام وكفروا بما يتلوه من كتاب الله -عز وجل- فإن النبوة والكتاب لا يختلف من حيث ما هو نبوة وكتاب، ومن لم يؤمن ببعضه، فهو في حكم من لم يؤمن بشيء منه، ولهذا قال: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾[1]، فأثبت لهم أشد العذاب الذي يستحقه الكافر المطلق، ثم بين أنه هو الحق أي ذلك المعنى الذي هو القرآن حتى لا يزاحمه في ذاته ضد وهو مصدقٌ لما تقدمه لا منافاة بينهما في الأصول، ثم بين [تعالى][2] ثانياً إبطال ما ادعوه بقتلهم الأنبياء إذ كانت التوراة لم تقتض ذلك، ثم قال: ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ تنبيهاً أنكم لستم بمؤمنين، إذ المؤمن لا يقتل الأنبياء، وفي كل ذلك حجةٌ على بطلان ما ادعوه من الإيمان بالتوراة.

قوله - عز وجل :

﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**﴾

الآية: (٩٢) سورة البقرة.

جعل ذلك أيضاً دلالةً على بطلان قولهم: (نؤمن بما أنزل علينا) فكأنه قيل: كيف آمنتم به وقد أتاكم موسى بالآيات البينات فما لبثتم أن عبدتم العجل ظلماً، وظلمهم الإخلال بآيات الله وبيناته وتلقيها بالكفران والكفر، وفي تخصيص ثم زيادة فائدة، وهي أن ذلك منكم بعد تدبر الآيات والتمكن من معرفتها، والآيات ههنا هي الآيات التسع المذكورة في قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾[3]، وقوله: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**﴾[4]..

---

١ - سورة البقرة : الآية (٨٥).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الإسراء : الآية (١٠١).

٤- سورة النمل : الآية (١٢).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

الآية: (٩٣) سورة البقرة.

قوله: (اسمعوا)، قيل معناه: افهموا، وقيل معناه: اعملوا به،ووجه ذلك أن الشئ يُسمع به، ثم يُتخيل، ثم يُفهم، ثم يُعقد، ثم يُعمل به إن كان ذلك المسموع مما يقتضي عملاً، ولما كان السماع مبدأ والعمل غايةً وما بينهما[1] وسائط صح أن يُذكر، ويراد به بعض الوسائط وأن يعني به الغاية وهي العمل، فمن قال معنى (واسمعوا) أي اعملوا به، فنظر منه إلى الغاية، ومن قال: افهموا واعقلوا فنظر منه إلى المبدأ أو إلى[2] الوسائط، وقال بعضهم: قد قالوا قولاً سمعنا وعصينا، وقيل: إنما سمعوه وتلقوه بالعصيان، فكأنهم قالوا بذلك قولاً، كقول الشاعر:

امتلأ الْحَوْضُ وَقَالَ قطني[3]

وقال الآخر: قَالَ جنَاحَاهُ لِرِجْلَيْه الحَقَا[4]

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾.. من عادة العرب[5] أنهم إذا أرادوا العبارة عن مخامرة حب أو بغض في القلب أن يستعيروا لها اسم الشراب، إذ هو أبلغ منجاع في البدن، ولذلك قالت الأطباء:

---

١ - في (أ- ص) بينهما.

٢ - في (أ - ص) إلى بعض الوسائط.

٣ - هذا من الرجز ، وتتمته : - مهلاً رويداً قد ملأتُ بطني.
ولم أعثر للبيت على نسبة لأحد ، فقد استشهد به غير منسوب في مجالس ثعلب - ج:١ - ص ١٨٩ ، وبعده : مهلاً رُوَيْدَاً قَدْ مَلأتُ بَطِنْي.
ورد في الكامل في الأدب - ص ٤٣٤ ، وإصلاح المنطق - ص ٥٧ ، ص ٣٤٢ ، والإبدال لأبي دواس - ص ٩٧ - ولسان العرب في مادة «قطن» ، والمقاصد النحوية - ج:١ - ص ٣٦١ ، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - ج:١ - ص ٤٧٣ ، والقطن بمعنى الحسب.

٤ - لم أهتد إلى قائله.

٥ - في (و - ج) من عادتهم، وفيها نقص، فأثبتنا ما في (أ - ص) لوضوحه.

الماء مطية الأغذية، والأدوية، لركوبها يبلغ أقاصي الأمكنة[١]، وعلى هذه المراعاة **قال الشاعر** :

تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ ... وَلاَ حُـزْنٌ وَلَـمْ يَبْـلُغْ سُرُورُ[٢]

وقال أهل النحو: أريد حب العجل، فحذف المضاف تحقيقاً، ويجب أن يعلم أنه لو قيل حب العجل، لم يكن له من المبالغة ماله بحذفه، لأن فيه تنبيهاً أن لفرط شغفهم به ثبت صورة العجل في قلوبهم راسخة، وإن زالت ذاته الجسمية، ثم بين أن ذلك [كذلك][٣] بسبب كفرهم، لا أنه تعالى ظلمهم به، وما قال السدي وابن جريج أن موسى -عليه السلام- لما رجع إلى [قومه][٤] برّدَ العـجل الذي عبدوه، فذراه في اليم، فلم يشربه أحد أحبه إلاَّ خرج على شاربيه الذهب، فليس ينافي ما تقدم تصورت ذلك حقيقة أم تصورته كناية وإشارة، وقال بعضهم: معنى أشربوا من قولهم: "أشربت البعير" إذا شددت حبلاً في عنقه، قال:

وَأَشْرَبْتُهَا الأَقْرَانَ حَتَّى وَقَصْتُهَا ... بِقَرْحٍ وَقَدْ أَلْقَيْنَ كُلَّ جَنِينِ[٥]

فكأنما شد في قلوبهم العجل لفرط شغفهم به، فهو راجع إلى الأول تحقيقاً وإن خالفه تشبيهاً وتمثيلاً، ثم بكتهم تعالى بقياس شرطي يدل على إبطال دعواهم الإيمان بالتوراة وهو قوله:

﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، وتقديره: إن كنتم مؤمنين، فإيمانكم أمركم بذلك، وكل إيمان أمر بذلك فإيمان مذموم، وقد ثبت أن الإيمان بالتوراة ليس بمذموم ولا يأمر بالمذموم، فإذاً

---

١ - في (أ - ص) والأغذية والأروية به يبلغ أقاصي الأمكنة.

٢- البيت لعبيد الله بن عتبة ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، وهو في بصائر ذوي التمييز - ج:٣ ص ٣٠٦ ، شرح الحماسة للتبريزي - ج:٣ - ص ٢٩٨ ، ومجمع البلاغة ج:١ ص ٤٩٧ ، ونوادر القالي - ص ٢١٧ ، ووفيات الأعيان - ج:٣ - ص ١١٦ ، وسمط اللآلي ج:٢ ص ٧٨١ ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب - ص ٤٤٩ ، ٦١١ .

٣ - زيادة في (أ - ص).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - البيت لأحد اللصوص من بني أسد ، وهو في بصائر ذوي التمييز - ج:٣ - ص ٣٠٥ ، ومعجم البلدان - ج:٤ - ص ٣٢١ ، ولسان العرب، وعمدة الحفاظ - مادة «شرب» - ومفردات ألفاظ القرآن ص ٤٤٩ . وقرح هو سوق وادي القرى.

لستم بمؤمنين، فكيف تدّعون الإيمان بما أنزل إليكم، وقال الزجاج في قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾. [ما كنتم مؤمنين][(١)] .

فإن عنى أن إنْ ههنا لفظة للنفي فذلك بعيد، وإن عنى أنه شرط مقتضاه النفي كما تقدم فصحيح والكلام في أنه كيف جعل الإيمان أمراً في قوله: ﴿يأمركم به إيمانكم﴾ فقد تقدم في صدر الكتاب فصل كلي يكفي الاشتغال بهذه التفاصيل.

قوله - عز وجل :

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾

الآية ٩٤ سورة البقرة.

الخالص كالصافي، لكن الصافي يقال فيما لم يكن قبل فيه شوب، ولا يقال: خالص إلا ما كان فيه شوب من [قبل][(٢)]، فزال عنه، ولذلك **قال الشاعر** :

خَلَاصُ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ[(٣)]

فاعتبر فيه معنى التخلص والتمني تقدير تأتي مشيته والتحدث به إما ضميراً، وإما مقالاً، ودون لما كان في الأصل القاصر عن الشئ اعتبر ذلك في المكان تارة وفي الشرف تارة، وفي الاختصاص تارة، فإذا قيل: هذا لي دونك، فهو مفيد للاختصاص، ومعناه: أنت تقصر عنه، وإن قيل كيف قال: (من دون الناس) والمخاطبون أيضاً من الناس؟

قيل: قد قال بعضهم[(٤)] لفظه عام، ومعناه خاص، أي دون سائر الناس، وقال بعضهم في ذلك لطيفة، وهو أنه يقال: "فلان ليس من الناس، وذلك متردد بين المدح والذم، فالمدح نحو قول بعضهم: فلان ليس إنساناً، بل هو ملك كريم..

---

١ - ساقطة من (أ - ص).   ٢ - ساقطة من (و - ج).

٣- هذا عجز بيت و شطره الأول : **وَضَاقَتْ خطةٌ فَخَلَصْتُ منْهَا**

وهو من قصييدة للمتنبي قالها عندما نالته حمى في مصر، فقال يصفها ويعرض بالرحيل عن مصر، ومطلع قصيدته :

ملومكما يجل عن الملام   ووقع فعاله فوق الكلام

ديوان المتنبي - ص ٤٨٥ - دار صادر.

والخطة : الأمر، والفدام : مايُجعل على فم الإبريق ليصفي مافيه يقول : وربما ضاق على أمر ، فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسييج الذى تقدم فيه أفواه الأباريق.

وعجز البيت في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - للسمين الحلبي - مادة خلص - وفي عقد الخلاص - ص ٣٠٥ بدون نسبة - وهو المتبني في الوساطة بين المتنبي وخصومه - ص ١٢٠ وفى التبيان بشرح ديوان المتبني - ج:٤ ص ١٤٨ ، وأورده الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٩٢ . والْفَدَام : ما يوضع فى فم الإبريق ليصفي به ما فيه.

٤ - في (أ - ص) أكثرهم.

وقال الشاعر:

فَلَسْتَ بِإنسيٍّ وَلَكِنْ لملاكٍ[١]

والذم نحو : فَإِنْ جُلَّهُمْ أَوْ كُلَّهُمْ بَقَرٌ[٢]

ولما كانت الدار الآخرة لا تحصل للناس خالصة، بل لابد في نيلها من تحمل شوائب وتجرع نوائب، وكانوا قد ادعوا أنها لهم خالصة قيل لهم ذلك بمعنى إن كنتم جنساً غير الناس في أن تحصل لكم الدار الآخرة خالصة [على حسب ما تحصل للناس][٣] فتمنوا الموت، وإنما قيل لهم "تمنوا الموت"،لأنهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا﴾[٤]، وقالوا:

﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٥]، فبين الله تعالى كذبهم في دعواهم ذلك فقال: إن كنتم أحباء الله، فالمحبة داعية إلى الشوق، والشوق داعٍ إلى محبة لقاء المحبوب، ومحبة لقائه داعية إلى تمنى سهول السبيل إليه، ولا سبيل إلى الطريق [٦] إليه إلا بالموت، فيجب أن يكون الموت متمنى، فترككم تمني ذلك دلالة أن لا [محبة منكم له][٧].. إن قيل: فهل يجوز للمسلم أن يتمنى الموت؟ قيل:

أما تمنيه على أن سخط [٨]ما أراد الله من حياته فلا يجوز[٩] فإن ذلك مضادة الله في إرادته، وتسخط لقضائه، وإما على أن يكرهه إذا أتاه، فجائز، وهو غاية الحكمة وشعار المؤمن المحق، ولذلك قيل: "لا يكون الحكيم حكيماً حتى يعلم أن الموت يعتقه والحياة تسترقه، وقيل: "سرور المؤمن بموته

١- هذا شطر بيت وتتمته : تَنَزَّلَ مِنْ جوالسَّمَاءِ يصُوبُ، وهو في (و - ج) فلست لا نسي ولكن ملكنا..
وهو منسوب لعلقمة بن عبدة من مفضليته التى مطلعها:
طَحَابِكَ قَلْبٌ في الحسان طروبُ   بُعَيْدَ الشباب عصرَحَانَ مَشيبُ، وهو في ملحق ديوانه- ص ١١٨، ونسبه ابن منظور في اللسان مادة (صوب) إلى رجل من عَبْد القيس ، وهو في المفضليات ص ٣٩٤ ، وفي الكتاب لسيبويه - ج:٢ ص ٣٧٩ ، وفي أمالي ابن الشجري - ج:٢ ص ٢٠ ، وإملاء العكبري - ج:١ ص ٢٨ والملاك : واحد الملائكة ، ويصوب : ينزل.

٢- هذا عجز بيت لأبي تمام وصدره :- لايهمنك من دهمائهم عددٌ   فإنْ جُلَّهُمْ بل كُلَّهُمْ بَقَرُ
والبيت من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز الطائيّ من أهل حمص، ومطلعها : -
ياهذه أقصري ماهذه بشرٌ   ولا الخرائد من أترابها الأُخَرُ

الديوان جـ ١/٣٢٨، ٣٢٩.
وذكره أبو حيان في البحر المحيط بدون نسبة - ج:٤ ص ٣٧٦.

٣ - في (أ- ص) لا على ما تحصل للناس.
٤ - سورة البقرة : الآية (١١١).
٥ - سورة المائدة : الآية (١٨).
٦ - في (أ - ص) إلى سهولة السبيل اليه.
٧ - في (و - ج) لا محبة بينكم، وما في (أ-ص) يتناسب مع السياق فلذلك أثبتناه.
٨ - في (أ - ص) على أن يسخط.
٩ - في (أ - ص) فلا بدون يجوز.

سرور القادم على أهله"، وقال عليه السلام: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**[١] .

وقال علي -رضي الله عنه-:

«لا أبالي سقطتُ على الموتِ أو سقطَ الموتُ عليَّ» إن قيل: كيف أعاد الشرط، فقال: إن كنتم صادقين"، وذلك يقتضي جواباً آخر، قيل: إن ذلك كالبدل من الشرط الأول، فإن مقتضاهما واحد، لكن الصدق يتناول اللفظ،وقوله: ﴿ **إن كانت لكم الدار الآخرة** ﴾ يتناول ذات الشئ، فصار كقول القائل لمن يدعي فعلاً: "إن فعلته فلك كذا إن صدقت"..

قوله - عز وجل :

﴿ ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ الآية: (٩٥)- سورة البقرة.

التقدم إما أن يقال باعتبار زمانين، فيقال حديث وقديم، وإما باعتبار تقدم على الزمان، فيقال: قديم أي متقدم وجوده على وجود الزمان، وإما بالشرف فيقال:"فلان متقدم على فلان" أي أشرف منه منزلة وإما لما لا يصح وجوده إلا بوجود الآخر، فيقال لذلك الآخر قديم كقولك: الواحد متقدم على العدد[٢]، بمعنى أنه لوتوهم ارتفاعه لارتفع الأعداد، وكما استعملوا القديم والحديث باعتبار زمانين استعملوا التقدم والتأخير، وقدام وخلف باعتبار مكانين، وباعتبار التقدم المكاني سمي القدم قدماً، وقد بت الله تعالى القول بأن لا تمنى للموت منهم قط، لما احتقبوه من الآثام، وفي ذلك أعظم حجة، فإنهم ما فعلوا ذلك ولا جسروا حتى قال -عليه السلام.

«لو تمنوا الموت ما قام رجل من مجلسه»، فلم يجسروا أن يقولوا كاذبين: نحن نتمناه، ثم بين تعالى بقوله: ﴿ **والله عليم بالظالمين** ﴾ قدرته على معاقبتهم تهدداً لهم..

---

١ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه بسنده إلى قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال:
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» حديث رقم ٦٥٠٧ وأخرجه مسلم في الدعوات عن هُدبة بن خالد وغيره ، وأخرجه الترمذي في الزهد عن محمود بن غيلان . وفي الجنائز عن أبي الأشعث أحمد بن المقدم ، وأخرجه النسائي في الجنائز عن أبي الأشعث.

٢ - في (و - ج) العدل ، وهو تصحيف.

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ الآية (٩٦) سورة البقرة.

الوجود يقال باعتباره بالحاسة، وباعتباره بالتخيل، وباعتباره بالفهم والعقل، ومتى قيل باعتباره بالعقل فعلى ضربين: متعدٍّ إلى مفعول واحد، ومعناه كمعنى عرفت، ومتعد إلى مفعولين، ومعناه قريب من معنى علمت، والحرص أصله أن لا يرضى بالكفاية ويضاده القناعة، وأصله من حرص القصار الثوب والحارصة وهي شجة تشق الجلد، فالحرص كأنه مزيل للحياء والكرم عن النفس، وأصل الشرك مساواة اثنين فصاعداً في شئ كتجارة وزراعة وميراث [وشراك للفعل وشراك الخيط][1] معتبر فيه معنى الشركة، وكذا الشرك للطريق والحبالة للصائد، وصار الشرك متعارفاً فيمن يثبت مع الله إلاهاً آخر أو يصفه بصفة على حد ما يوصف به شئ من المكونات، فيطلق تارة على من لم يكن من أهل الكتاب، كقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾[2]، وهم الذين لا يقارون على بذل الجزية، ومرة يقال لأهل الكتاب لقولهم عزيرابن الله والمسيح ابن الله [وقولهم اتخذ الله ولدا،][3] ومرة يطلق على الربا ونحوه فروى أن أبا حنيفة -رحمه الله تعالى - قال لجعفر بن محمد- رحمهما الله تعالى- من أين قال أبوك : الرياء شرك؟ فقال: من قول الله -عز وجل- ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[4].

ولما لم ينفك عامة الناس من تشبيه ما في أوصاف الله تعالى ومن رياء ما في عبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[5]..

---

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - سورة الحج : الآية (١٧).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة الكهف :الآية (١١٠).

٥ - سورة يوسف : الآية (١٠٦).

والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، والعمارة قبيلة تحصل باجتماعهم العمارة، والمعمر المسكن ما دام عامراً بسكانه ،[والعومرة][١] صخَب تدل على اجتماع عمارة، والعمري في العطية منة، والألف مشتق من الألفة، وهو ضم البعض إلى البعض، فالأعداد آحاد وعشرات ومئون وألوف، فالألف يألف أنواعها، وألسنة للعرب في أصلها طريقان من جعلها من الواو، كقولهم سنوات، وكأنها اسم لدوران الفلك، ولاعتبار الدوران فيها سمي المستقى[٢] عليها والمستقى بها [اسم لدوران الفلك][٣] ساقية، ومنهم من يجعلها أمراً لها[٤]، فيقول : سانهته مسانهة فكأنها اسم لتغير الفصول الأربعة، ومنه قيل لسنة[٥] الطعام أي تغير، والزحزحة[٦] الإزالة عن المقر، وقوله: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ فمن المفسرين من يقول: تقدير الآية: "ولتجدنهم وطائفة و كثيراً من المشركين[٧] أحرص الناس علي حياة، واستبعد ذلك بعض النحويين لحذف الموصول ترك الصلة، وقيل: تقديره "وهم ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾، فكأن قوله: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ خبر ابتداء مضمر، أي هم في محبتهم للحياة من المشركين، وأكثر المفسرين على أنه عطف على معنى قوله ﴿ **أَحْرَصَ النَّاسِ** ﴾، فإن قيل: كيف قال ذلك والذين أشركوا من الناس؟ قيل: لما كان للمشركين فضل اختصاص في محبة الحياة الدنيا خصهم بالذكر بعد العموم تخصيص جبرائيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة، وتخصيص النخل والرمان بعد الفاكهة، فإن قيل: فهلاً قال: أحرص الناس والمشركين، أو من أحرص من الناس ومن المشركين ليكون الكلام على نمط واحد، قيل: إنما قال كذلك لمعنى اقتضاه، وهو أن أفعل يستعمل على وجهين، أحدهما مضافاً إلى جملة هو بعضها نحو: هو أفضل الناس، ومعناه أن فضله زائد على جل المضاف إليه.

---

١ - في (و - ج) والعوم وهو تحريف.
٢ - في (أ- ص) المشتق عليه.
٣ - ساقطة من (أ - ص).
٤ - في (أ - ص) من الهاء لقولهم : سانهته مسانهة.
٥ - في (و - ج) قسنه، وهو خطأ من الناسخ.
٦ - في (و - ج) والزحزاحة ، وهو خطأ من الناسخ.
٧ - في (أ - ص) من الذين أشركوا.

والثاني : أن يذكر من، نحو: الإنسان أفضل من الأسد، ويرد أنه زائد على جميع المذكور، ويدلك على صحة هذا[1] أنه إذا قيل: "زيد أفضل الناس"، وعني بالناس العموم لم يكن ذلك[2] محالاً، لأنه يقتضي أن يكون أفضل من نفسه أيضاً، إذ هو من الناس أو لا يكون منهم، فحيث ذكر تعالى الناس وأراد أنه زائد على جلهم أصناف، وحيث ذكر المشركين وعني أنه زائدٌ عليهم كلهم ذكر "مِنْ"، وإنما قال "على حياة" فنكرها، لأن الحياة التي يحرصون عليها هي حياة ما، وهي أحسن حياة، فكأنها لخستها وقلة وزنها ذكرها منكرة، وإنما الحياة المطلقة هي الحياة الحقيقية التي وصف بها الآخرة في قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[3]، فأبان الله تعالى فرط حرصهم على الحياة الدنيا، وأن تمنيهم لها فوق تمني المشركين، إذ غاية تمنيهم للحياة ألف سنة، وبذلك يتداعون، ثم بين تعالى أن بقاءهم ألف سنة لا ينقذهم من عذاب الله إن ماله مدة فقصير، وإن طال، فكما قال الشاعر:

أَرَى الْعُمْرَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَا تَنقُصُ الأَيَامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدُ[4]

قوله تعالى :

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. **الآية (٩٧) سورة البقرة.**

العدو التجاوز ومنافاة الالتيام، فتارة يعتبر بالقلوب، فيقال له العداوة، وتارة في المشي، فيقال لها العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له العدوان، وتارة إما في المكان وإما في النسب، فيقال قوم عدي أي غرباً، وجبريل فيه لغات، وإنما كثرت فيه اللغات لكونه معرباً، وتقرأه كل [قبيلة][5] على حسب استحقاقه، فمنهم من لم يتحر فيه أبنية كلامهم ولا تخفيف اللفظ، ومنهم من خفف ولم

١ - في (أ - ص) ذلك.

٢ - في (أ- ص) كان محالاً.

٣ - سورة العنكبوت : الآية (٦٤).

٤ - قائل هذا البيت هو طرفة بن العبد وذلك كما في مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد - لمحمد بن أيدمر - ج:٢ - ص ١١٣ من منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية إصدار - فؤاد سزكين.

٥ - ساقطة من (و-ج).

يراع البناء نحو جبريل، لأن "فعليلاً" ليس في أبنيتهم، ومنهم من راعى رده إلى بناء كلامهم، فقال جبريل نحو قنديل، وعلى ذلك اختلفت اللغات في ميكائيل، ومنهم من قال جبر هو العبد وإيل هو الله[1]، وإن ذلك كقولهم عبدالله، فإن ذلك لا يصح على حد كلام العرب، إذ لو كان كذلك لكان مضافاً، والإذن: الإعلام بالرخصة، وقد يعبر عن الإعلام بالختم، ومعنى الآية أن اليهود زعمت أن جبريل عدوهم، فإنه لم يكن يأتي الأرض[2] إلا بالصواعق، فقال تعالى: ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾ أي أن جبريل نزل القرآن على قلبك بإذن الله ومصدقاً لما تقدمه من كتب الله -عز وجل-، وهادياً ومبشراً للمؤمنين تنبيهاً على أنه لم يعاده ولا أحداً من أنبياء الله تعالى والصالحين من عباده، فليس من شأن الملك مخالفة الرب -عز وجل-، فإن هو عاداهم، فلكونهم غير مؤمنين، إن قيل: كان الوجه أن يقال: "فإنه نزله على قلبي"، قيل: يجوز الأمران، فالحكاية تارةً تعاد على اللفظ، نحو أن يقال: قل لهم الخبر عندي كذا وكذا، وتارة على المعنى، فيقال: "قل لهم: الخبر عندك كذا"، وعلى ذلك: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ**﴾[3]، وسيغلبون ويحشرون" ،ويجوز أن يكون قوله: قل خطاباً لجبريل، كأنه قال: قل للنبي.

قوله عز وجل:-

﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾

الآية (٩٨)-سورة البقرة .

قد يدل على تفسير هذه الآية ما روي سأل عن جماعة من اليهود عن سبب امتناعهم من الإسلام، فقالوا : إن الملك الذي يأتي محمداً ﷺ هو جبريل، وجبريل عدونا، ولو أتاه ميكائيل لآمنا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة، فقال عمر- رضي الله عنه- أنشدكم: أين جبرائيل وميكائيل من الله – عز وجل-؟

---

١ – في (أ- ص) هو اسم الله.

٢ – في (أ – ص) يأتيهم.

٣ – سورة آل عمران – الآية :(١٢).

قالوا: جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، قال: فاشهدوا أن الذي هو عدو لمن عن يمينه عدو لمن على يساره، ومن هو عدو لهما فعدو لله - عز وجل-، فرجع عمر- رضي الله تعالى عنه، وقد أنـــزل الله هذه الآية تصديقاً لقوله، ومنبهاً بذكر من ذكرهم والجمع بينهم أن من عادى واحداً فقد عاداهم، فإنهم أولياء من والاه، وأعداء من عاداه، وبين بذلك أن اليهود إذا عادوا أحدهم فالله عدوهم، وحقيقة معاداة الإنسان لله والبعد عنه مخالفته في تحري الصدق في المقال والحق في الفعال وأن لا يستحق أن يوصف بشئ من أوصافه، نحو العادل والجواد والكريم والقريب منه والمحب له، هو أن لا يخالفه في ذلك، وإن يصح أن يوصف بتلك الصفات وتلك المعاني هي المقتضية لمعاداة أولياء الله والداعية [1] لارتكاب المعاصي، فإذاً: قول من قال معنى قوله: ﴿عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ عدواً لأولياء الله، أو قال: معناه : عاصٍ لأمره، فإنه غير مخالف لما قلنا..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾ الآية (٩٩) سورة البقرة.

عنى بالآيات القرآن وسائر المعجزات والدلالات التي أوضح الله-عز وجل- بها أمر النبي -عليه السلام-، وذكر أنه لا يجحد ذلك ولا ينكره إلا كل متناهٍ في الكفر، والفاسق الخارج عن الطاعة، إما عن أصل الدين، وإما عن بعض الطاعات بارتكاب كبيرة، ولذلك قال- عز وجل- في إبليس :﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2]، وقال فيمن يرمي المحصنات: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]، وقال: (﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4] فبين الفاسق والفاسق بون..

---

١ - في (أ - ص) والمقتضية.

٢ - سورة الكهف : الآية (٥٠).

٣ - سورة النور : الآية (٤).

٤ - سورة التوبة . الآية (٦٧)

قوله - عز وجل :

﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية (١٠٠) سورة البقرة.

[النبذ][١] والطرح والإلقاء متقاربة، لكن النبذ أكثر ما يقال فيما ينسى، وعلى ذلك **قول الشاعر:**

كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا[٢] .

وقيل: صبي منبوذ إذا ألقته أمه فنسيته، واستعير للشراب الملقى المنسي إلى وقت إدراكه، والطرح أكثر ما يقال في المبسوط وما يجري مجراه، والإلقاء يعبتر فيه[٣] ملاقاة بين الشيئين أو بين الشئ ومكانه، ومعنى الآية: أنه لما بين تعالى أنه قد أنزل مالا يكفر به إلا كل فاسق بين لفظ الإنكار أن عادة بعض اليهود المذمومين تضيع العهد الملتزم واطراحه، ثم بين أن عادتهم[٤] لا يؤمنون تنبيهاً أن أكثرهم وإن لم ينبذوا العهد جهاراً لم يحص منهم الإيمان الذي هو معرفة ما يجب معرفته وفعل ما يجب فعله، بل اقتصروا على ظاهر القبول الذي لا يُعتد به على الحقيقة..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٠١) سورة البقرة.

الرسول ههنا إن جعلته الرسالة أو جعلته النبي محمداً ﷺ أو جعلته المسيح عليه السلام فالكل صحيح ومراد، وكذلك[٥] إن جعلت الكتاب ههنا التوراة أو جعلته القرآن فصحيح. لأن المنكر لأحدهما

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - هذا عجز بيت وشطره : نَظَرْتُ إلىَ عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ

وقائله أبو الأسود الدؤلي وقبله:

وَخَبَّرَنِي مَن كُنتُ أَرْسَلْتُ إِنَّمَا ... أَخَذْتُ كِتَابِي مُعْرِضاً بِشِمَالِكَا

وهو في تفسير القرطبي - ج:١ - ص ٥٣٨ ، وهو في الطبري - ج:١ - ص ٣٢٣ .

٣ - في (أ - ص) يقال فيه.

٤ - في (أ- ص) عادة أكثرهم.

٥ - في (أ - ص) وكذا.

في حكم المنكر للآخر، وقد بين الله تعالى أنه لما جاءهم بعد موسى رسول مطابق له، صار فريق مما اختصوا بعلم الكتاب نبذوا أحكام كتاب الله وراء ظهورهم، فصاروا كالجهلة، وهذا الفريق غير الفريق الأول، ولهذا لم يدخل فيه الألف واللام، وقد دل تعالى بالآيتين أن جل اليهود ثلاث فرق، فريق جاهر وأنبذ العهد، وفريق لم يجاهروا بذلك، لكنهم[1] لم يؤمنوا به، وهم أكثرهم، وفريق آخر طرحوا حكم الكتاب عناداً، فصاروا في حكم الجهلة، وهذه القسمة عجيبة الشأن، فإن دافعي الحق ثلاثة أقسام، جاهل غير عالم بجهله، وهو الشرير الذي لامداواة له، وإياه عنى بقوله: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾، وجاهلٌ عالمٌ بجهل، وهو الشاك وإياه عنى بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ومعاندٌ غير جاهل، وإياه عنى بقوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ووصف هذاالفريق بأن حكمهم حكم الجاهلين الذين هم فوق الموصوفين بأنهم لا يؤمنون، [وكل من دافع الحق لا ينفك من الأقسام الثالثة التي ذكرناها. والله أعلم][2]..

قوله - عز وجل :

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٠٢) سورة البقرة.

تلا: يقال تارة في اتباع الغير إما بالجسم وإما بالحكم، ومصدره تلو، وتلو وتارة في اتباع الكلام، وإما بالقراءة وإما بالتدبر[3] لمعناه، ومصدره تلاوة، وعلى الأول قوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[4]،

---

١ - في (أ - ص) بل لم يؤمنوا.

٢ - هذه العبارة ساقطة من (و - ج)

٣ - في (و - ج) بالتدبير، وهو تصحيف.

٤ - سورة الشمس : الآية (٢).

وعلى الثاني قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾[١]، وتلا عليه كذب نحو روي عليه، وقال عليه، (ويقولون على الله الكذب) وأما السحر فقد اختلف في مائيته على ثلاثة أوجه، ولابد من تبيينه لينبني كلام الله عليه في هذ الآية وفي غيرها من الآيات في ذكر السحر، فالأول: ما ذهب إليه أكثر الجدليين، وهو أنه اسم خداع وتخييلات لاحقيقة له، وإنما اعتماد الساحرين على شغل القلوب بشعبذة صارفة للأبصار وتمتمةٍ عايقة للأسماع ولصرف الأبصار، قال تعالى ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾[٢]، ولشغل الأسماع بالنميمة، قال: فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، قالوا: ولهذا سمي البيان الرائق سحراً، والثاني ما ذهب إليه الأغشام[٣] من العوام وجماعة من الأشرار، وهو أنه اسم لفعل من قوته تغيير الطبائع ونقل الصور، كجعل الإنسان حيواناً آخر وذكروا من ذلك خرافات توصلت بها الملحدة[٤] والبراهمة إلى إبطال النبوات والمعجزات، والثالث ما ذهب إليه محصلة أهل الأثر وعامة المتوسمين بالحكمة، وهو أنه عمل يقرب إلى الشيطان بمعونة منه، وذلك أن توقع الساحر وهمه على أمر يريد فعله بالغير لافظاً بكلمات من الشرك ومادحاً للشيطان مستعيناً به والذي يحتاج إليه في معرفة ذلك مقدمة، وهي أن الجواهر المكلفة ضربان جسماني محسوس، وروحاني معقول، فكما أن الجسماني بالقول المجمل ثلاثة أقسام: خيِّر، وشرير، ومتوسط، كذلك الروحاني، فالخير من الروحاني الأرواح المقدسة، وهي الملائكة، والشرير شياطين الجن والمتوسط مؤمنو الجن كمن نزل فيهم سورة الجن، ولما كانت الملائكة لا تواصل ولا تعاون إلا خيار الناس كل متأله نقي، وكل ناسك تقي متشبه بهم في المواظبة على العبادة والتقرب إلى الله –عز وجل– بالفعل والقول، كذلك الشياطين لا تواصل ولا تعاون إلا الأشرار من الناس كل مشرك خبيث عابد للشيطان معاند للرحمن، ولهذا قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٥]، وقال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٦]، وقال: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٧]، إن قيل: لو أمكن الإنسان من جهة الشيطان الوقوف على الأخبار الغائبة والأفعال

---

١ – سورة البقرة : الآية (١٢١).

٢ – سورة الأعراف : الآية (١١٦).

٣ – في (و – ج) الأغنام وهو خطأ من الناسخ.

٤ – في (أ– ص) الملاحدة.

٥ – سورة الشعراء : الآيتان (٢٢١، ٢٢٢).

٦ – سورة الزخرف : الآية (٣٦).

٧ – سورة الأنعام : الآية (١١٢).

الخارجة عن عادة البشر لكان يشبه طريق النبوة بطريق السحر، ولكن يجوز استغواء الساحر بسحره متصوراً بصورة نبي، وذلك يؤدي إلى ما ادعاه ما في الزنديق على كثير من الأنبياء في أنهم كانوا سحرة معاونين من قبل الشيطان، لا من قبل الرحمن -عز وجل-، قيل: الفرق بين ما يكون من فعل السحرة وبين ما يكون من الأنبياء لا يخفى على متنبه في المعرفة ومتدرج في أدنى منزلة من الحكمة، فإن تأثير السحر لا يكون إلا في فساد جزئي من كل مشرك خبيث في نفسه شرير في طبعه متدنس في بدنه ولذلك أكثر ما يقع في حيض النساء وعبدة الأصنام وضعاف العقول وفي الأمكنة القذرة، وأكثر تأثيرهم في مجالسهم، ثم لا يكون في الندرة، ومتى قوبل بالاستعاذة بالله تعالى ويذكره بطل سلطانه، فأما ما كان من الأنبياء عليهم السلام، فلا يحصل إلا من كل مؤمن محصن الإيمان مقدس في نفسه خير في طبعه طاهر في بدنه [ويكون تأثيره][1] في أولي العقول الراجحة والأفهام البارعة، ويزداد بازدياد التقرب إلى الله تعالى، وذلك ظاهر لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولو لم يكن للسحر حقيقة لما أعظم الله أمره في قوله: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ولما أمروا بالتعوذ من شر النفاثات في العقد، ولو كان كما قال الجدليون لما ورد والشرائع بقتل السحرة ونفيهم عن بلاد الإسلام، ولما أجرى مجرى الشرك حتى قال بعض الفقهاء: لا تقبل توبتهم كالمستسر بالكفر، والنميمة والخديعة لاتستحق بها[3] هذه العقوبة، فإن قالوا فالذي هو كفر هو ما تقول العامة إن الساحر يطير بلا جناح، ويركب البيضة والمكنة[4]، فيبلغ في أقصر مدة إلى بلد بعيد، قيل : مدعى ذلك ومصدقه سخيفان يضحك منهما، ولا خلاف أن بذلك لا يستحقان الارتداد والقتل، وإنما يستحق القتل إذا ادعى قتل الإنسان بسحره على شرائط مخصوصة على قول بعض الفقهاء أو ادعى ما ينبئ عن صريح كفر، وقد أنكر الجدليون ما روي في ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار الواضحة كنحو ما روي أن اليهود سحرت رسول الله ﷺ فقال - عليه السلام: **«أتاني ملكان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما: ما بالرجل فقال الآخر: مطبوب، قال: ومن طببه؟ قال: بنات لبيد بن**

---

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - سورة الأعراف : الآية (١١٦).

٣ - في (أ- ص) لهما.

٤ - في (و - ج) والمكنسة.

سحراً من حيث يدق تأثيره، قال: وتسحر بالطعام وبالشراب والسحر الرئة، فيجوز أنه سمي بذلك اعتباراً بدقة تأثيره في ترويحه القلب بإيصال النفس (البارد إليه)[١] إخراج الحار منه، فكأنه ساحر في فعله ذلك، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[٢]، قبل من المخلوقين وحقيقته من المجعول له سحر، أي من الحيوان، وقيل فيه، وفي قوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾[٣]، أي معه رأي من الجن والفتنة: اختيار بتعذيب، ولما انطوى معناها على الأمرين استعملت في كل واحد منهما مفردة، نحو قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾[٤]، أي عذابكم وفتنت الذهب إذا اختبرته بالنار، وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾[٥] يحتمل الوجهين، والآية معطوفة على ما تقدم من ذكر اليهود، وهي منطوية على أمرين: ذم اليهود في تحري السحر وإيثاره وتبرئة لسليمان- عليه السلام- مما نسبوه إليه، وذلك أنه روى أن الشياطين من الإنس والجن دفنوا تحت كرسي سليمان عليه السلام شيئاً من السحر، فلما مات عليه السلام أخرجوا ذلك، وادعوا أنه كان يتحرى ما يتحراه سحراً منه، فذكر الله تعالى أن بعض اليهود اتبعوا ما تخرصه[٦] الشياطين على ملك سليمان، ونزه سليمان عن الكفر وما نسب إليه من السحر، وذكر أن الشياطين هم المستحقون لذلك، واختلف في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾، فقيل فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أن ما جرى معطوف على قوله ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ومعناه: كذبوا على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين، والثاني: أن ما نفى وعلى القولين: قيل لم يعلم الملكان السحر،بل كانا ينهيان عنه. ﴿حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي حتى بلغ من نهيهما عن ذلك أنهما كانا يقولان إنما نحن فتنة، أي مفتونون بأن نعلم السحر وذلك مستبعد من حيث اللفظ، فإنه إنما يقال: فلان لا يفعل كذا حتى إنه يقول كذا على سبيل الاستئناف، ولا يقول حتى يقول، وقال هذان القائلان معنى (ويتعلمون منهما) أي

١ - ساقطة من (أ - ص).
٢ - سورة الشعراء : الآية (١٥٣).
٣ - سورة الإسراء : الآية (٤٧).
٤ - سورة الذاريات : الآية (١٤).
٥- سورة الدخان : الآية (١٧).
٦ - في (و - ج) ما يتخرصه.

من السحر والكفر، وقد جرى ذكر السحر صريحاً، وذكر الكفر ضمناً[١] في قوله: كفروا، والثالث قول أكثر المفسرين إن (ما أنزل) نصب معطوف على قول السحر، ومعناه علم السحر وكيفية تعاطيه وقوله "منهما" راجع إلى الملكين، وكان تعليمهما ذلك ليحترز به، لا ليتعاطى فعله، ولهذا كانا يقولان (إنما نحن فتنة فلا تكفر)، والذي أنكره من يذهب إلى التقديرين الأولين هو لظنه أن علم السحر محظور كفعله، وليس الأمر على ما ظن، وذاك لما قد ثبت أن الحكمة معرفة الصدق من الكذب في الأقوال والخير من الشر في الأمور ليتحرى الصدق والخير ويتجنب الكذب والشر، فمعرفة الكذب والشر إذاً واجبة كوجوب معرفة الصدق والخير، بل لا يتم معرفة أحدهما إلا بالآخر كما قد تبين أن المعرفة بالمتضادين واحد، وإذا كان معرفتهما لازمة، فتعريفهما واجب، وإنما المستقبح تعاطي الكذب والقبيح، فإذا كان كذلك فلا ضير أن يبعث الله تعالى من قبله في وقت يكثر فيه الاستغواء بالسحر من ينبه على وجه احتياله، فتزول عن الناس الشبهة، ثم إن استعان شرير به على تعاطي شر، فهو كالاستعانة بتعلم الفقه وتعاطي العبادات لاستغواء الناس، فما من شئ من المعادن أو من المعارف والعلوم نسخ في هذه الدار مصلح لخير إلا ويمكن استعماله في شر، ومن لم يتمسك فيما يتحراه بالطاعة وقع في المعصية أو الكفر، وأما هاروت وماروت فالظاهر أنهما كانا الملكين، وقيل: كانا رجلين سُمّيَا ملكين اعتباراً بصلاحهما ولهذا قرأ بعض القراء (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلِكَيْنِ) اعتباراً بِملْكهما، وقال بعض المفسرين إن الملكين ليسا بهاروت وماروت، وإنما هما شيطانان من الجن والإنس وجعلهما نصباً في اللفظ بدلاً من الشياطين بدل البعض من الكل كقولك: القوم قالوا كذا زيد وعمرو، قال: ويكون قولهما: (إنما نحن فتنة) كقول الخليع لغيره: لا تعيرني فإني خليع فاسق، ويكون قوله: (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلِكَيْنِ) نفياً اعتراضاً بين البدل والمبدل منه، وروى بعض من جعلهما ملكين أنهما كانا صُيِّرا على صورة الآدميين وركب منهما الشهوة، وأنهما تعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على شرب الخمر وارتكاب المحظور ثم صعدت إلى السماء، فقد استسخف جماعة الجدليين قائل هذا الحديث[٢] وعدوه خرافة ينزه العاقل سمعه عن سماعه، وذكر بعض الناس أن ذلك رمز منقول عن

---

١ - في (أ- ص) مضمناً.

٢ - في (أ -ص) قائل هذا الخبر.

كلام القدماء، وكان عادتهم أن يرمزوا بكثير من العلوم قال: وهذا من رموزهم، وهو أنه كان عادتهم إذا أرادوا تبيين اختصاص كل نجم بفعل يختص به جعلوه بصورة متعاطي الفعل المختص به ويقول: إنه فعل كذا وقال كذا، ولما كان من شأن الزهرة على ما يدعون حمل الإنسان على تعاطي الغزل واللهو واللعب والشرب كنوا عنه بذلك، وعلى ذلك قالوا: الأفعال الزهرية كناية عن الغزل واللعب[١]، وعلى ذلك فعلوا في سائر النجوم[٢] حتى جعلوا لها صوراً مصورةً في الكتب على هيآت المتعاطين للصناعات المختصة بطبعها والله أعلم بذلك، وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ قيل: عني به الرجل وامرأته، وقيل: عني به الإنسان وقرناءه وأصدقاءه امرأةً كانت أو غيرها، نحو قوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[٣] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[٤]، وقوله: (فَيَتَعَلَّمُونَ) معطوف على ضمن ما تقدم، كأنه قال: يعلمون فيتعلمون، وقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الإذن قد يقال في الإعلام بالرخصة، وقد يقال للعلم، ومنه أذنته بكذا، ويقال في الأمر الجسيم،وينبغي أن يعلم أن الإذن في الشئ من الله تعالى ضربان، أحدهما: الإذن لقاصد الفعل في مباشرته نحو قولك: أذن الله لك أن تصل الرحم، والثاني: الإذن في تسخير الشئ على وجه تسخير السم في قتله من يتناوله والترياق في تخليصه من أذيته، فإذن الله تعالى في وقوع التسخير وتأثيره من القبيل الثاني، وذلك هو المشار إليه بالقضاء، وعلى هذا يقال: الأشياء كلها بإذن الله وقضائه، ولا يقال: الأشياء كلها بأمره ورضاه، والضر ما يعوق الإنسان عن فعل الخير سواء كان ذلك مما يعرض في بدنه، أو كان شيئاً خارجاً منه،والنفع ما يسهل سبيل الإنسان إلى الخير، ومن قال: النفع هو اللذة، فإنما اللذة بعض النفع، فقد يكون الشئ نافعاً، ولا يكون لذيذاً، إن قيل: كيف قال: ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ وما يضر يعلم أنه لا ينفع؟ قيل: إن ذلك من وجه ووجه، فقد يكون الشئ نافعاً من وجه وضاراً من وجه، وتعلم السحر كان

١- في (أ - ص) واللهو.

٢- في (أ - ص) الكواكب.

٣- سورة الصافات : الآية: (٢٢).

٤ - سورة المائدة : الآية: (٩١).

نفعاً لو احترزوا بمعرفته عمن يغوى، فلم ينتفعوا به من هذا الوجه واستضروا به لاستعمالهم إياه في غير الحق، ولقد علموا أن من استبدل ما جاءت به الشياطين من السحر بالحق أن لاحظ له في الآخرة..

قوله - عز وجل :
﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٠٢) سورة البقرة.

يصح أن يكون معطوفاً على المعلوم، وهو قوله: (لمن اشتراه)، ويصح أن يكون استئنافاً حكماً به، وجواب قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

إن قيل: كيف أثبت لهم العلم في أول الكلام ونفى عنهم في آخره؟ فالجواب في ذلك من أوجه.. الأول: أن العلم المثبت لهم هو العقل الغريزي، وما جعله لهم بصيغته، والمنفي عنهم هو المكتسب الذي هو من جملة التكليف، والثاني : أن المثبت لهم هو العلم بالجملة، والمنفي عنهم هو العلم بالتفصيل، فقد يعلم الإنسان مثلاً قبح الشئ، ثم لا يعلم أن فعله قبيح، فكأنهم علموا أن شرى النفس بالسحر مذموم، لكن لم يتفكروا في أن ما يفعلونه هو من جملة ذلك القبيح، والثالث: أنهم علموا عقاب الله ، لكن لم يعلموا حقيقة عقابه وشدته، والرابع: أن معنى قوله (لو كانوا يعلمون) يعملون به، لأن من لا يعمل بما يعلم فهو في حكم من لا يعلم.

قوله - عز وجل :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٠٣)- سور البقرة.

الثؤوب : رجوع الشئ إلى حالة شبيهة بالحالة الأولى، يقال: ثاب الحوض إذا امتلاء بعد فراغه عقيب امتلائه، والثوب لتصوره بصورة القطن لاجتماع أجزائه بعد تفرقها بالغزل، والثيب من النساء لعودها إلى الأيمة، والتثويب في الصوت ترديده، والثواب والمثوبة في الخير تحصيل نفع يثوب إليه بإحسانه، ومعنى الآية: لو آمن الذين يتعلمون السحر واتقوا لأثيبوا وكان ذلك خيراً لهم، ولو علموا لظهر لهم ذلك، وجواب لو [الأولى] [١] مادل عليه لمثوبة وتقديره: لأثيبوا، تقول: لو أتاني زيد لإكرامي خير له، ولا تقول له أتاني زيد لعمرو منطلق، إذ لم يدل لفظ عمرو على فعل، وجواب لو لا يكون إلا فعلاً، أو ما دل عليه، ومن النحويين من أجاز ذلك إذا دل الخبر على فعل..

قوله – عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الآية (١٠٤): سورة البقرة :.

الراعي : حفظ الغير في أمر يعود بمصلحته، ومنه: رعي الغنم، ورعي الوالي الرعية، وعنه نقل: أرعيته سمعي، وتشبيهاً برعي الغنم قيل: رعيت النجوم إذا راقبتها، وكان يقال للنبي– عليه السلام– [راعنا][٢] أي استمع إلينا واحفظنا، فقالت اليهود: راعنا تعريضاً به من الرعونة، فلما عوتبوا قالوا: إنما نقول مثل ما يقول المسلمون، فنهوا عن ذلك، وقيل لهم: قولوا بدل ذلك انظرنا، وذلك معناه معنى راعنا، وقد نبه على ذلك بقوله -عز وعلا-: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾** [٣] الآيـة، وقوله: "واسمعوا": يجوز أن يكون من جملة ما أمروا لن يقولوا مع قولهم "انظرنا"، ويجوز أن يكون ذلك استئناف أمر من الله تعالى بامتثال ما أمرهم به، وقيل: إنما نهوا عن قولهم: "راعنا" لكونه

---

١ – ساقطة من (أ – ص).

٢ – ساقطة من (و – ج).

٣ – سورة النساء : الآية (٤٦).

مفاعلة متضمنة لمعنى المساواة بين المخاطب والمخاطب، فأمروا بتوقيره، كما قال ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾[١]، وكقوله :﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾[٢]، وذلك عن ابن عباس –رضي الله عنه–، وروي عن مجاهد أن معناه: لا تقولوا خلافاً ويكون من الرعن، وأسترذل هذا الوجه، لأنه لو كان كما قال لكان في القراءة رعناً بالتنوين.

قوله - عز وجل :

﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ الآية (١٠٥) - سورة البقرة .

الود : محبة الشئ مع تمنيه، ولما كان لهما استعمل في كل واحد منهما، فقيل: وددت فلانا إذا أحببته، وودت الشئ إذا تمنيته، وأصل الاختصاص الخصاص وهو فرجة بين الشيئين، ومنه الخُص لبيت من قصب لما فيه من الفرج، وسمي انثلام الحال خصاصاً وخصاصة على التشبيه، كما سمي انثلاماً واختلالاً وشعباً، وخصصت فلاناً وخصني أوليته خصاصي نحو خلته، وقولهم: وقفتهم[٣] على عجزي ونحري، وخُصان الرجل خلانه، ثم جعل الخاص مقابلاً للعام في التعارف، وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من اليهود كانوا يظهرون مودة المسلمين، ويزعمون أنهم يودون لهم الخير، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، ونفي ما أدعوه وكان المسلمون يوالونهم ويركنون إليهم، فأكذبهم الله تعالى في ذلك [ونفى ما ادعوه][٤] ونهاهم تعريضاً عن موادتهم، كما قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء﴾ [٥] إن قيل: فلم قال: "ولا المشركين" وذلك يقتضي أن المشركين ضربان، كافر، وغير كافرٍ، كما أن أهل الكتاب ضربان؟ قيل: إن "من" في قوله (من أهل الكتاب) للتبيين ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[٦]، فإذا كان كذلك، فالذين كفروا هم أهل الكتاب، فجاز أن يقال: (ولا المشركين) عطفاً على لفظ أهل الكتاب، وجاز أن يقال (ولا

١ - سورة النور : الآية (٦٣).

٢ - سورة الحجرات : الآية (٢).

٣ - في (أ- ص) أطلعته.

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥ - سورة المائدة : الآية (٥٧).

٦ - سورة الحج : الآية (٣٠).

المشركين) عطفاً على الذين، ولو قرئ به لجاز، كما جاز، وقوله: ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1]][2] والكفار النصب والجر جميعاً، ومن في قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ لاستغراق الجنس، وبين بآخر الآية أنه وإن اختص برحمته بعض الناس، فليس ذلك لضيق فضله، بل فضله عظيم، ورحمته [تسع كل شئ، وإنما يسع رحمته][3] ضربان، أحدهما يصل إليه كل من شاء الوصول إليه من العباد بتمكين الله إياه وضرب يخص تعالى به بعض عباده لما يعرفه في ذلك..

قوله - عز وجل :

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الآية (١٠٦) - سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في ماهية النسخ والفرق بينه وبين التخصيص في صدر الكتاب، والنسخ في اللغة إزالة الصورة عن الشئ وإثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس، ثم يقال في إزالة الصورة من غير إثباتها في غيره نحو قوله تعالى : ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾[4]، ويقال أيضاً في إثبات مثل تلك الصورة في الغير من غير إزالتها عن الأول كنسخ الكتاب وأصحاب التناسخ زعموا أن النفوس تنتقل من هيكل إلى هيكل، فإن كانت محسنة انتقلت إلى هيكل متنعمة فيه، وإن كانت مسيئة فإلى هيكل معذبة فيه، وليس الإنساء الأمر بالترك المؤدي إلى النسيان، وليس كل متروك يقال له منسئ، وقرئ ننسأها من النسئ، وهو تأخير الشئ عن وقته أو عن هيئته، فمما هو بالوقت قولهم:

نسأت في ظمي الإبل، ونسأ الله في أجلك، و"نسأت المرأة" تأخر وقت حيضها، وأنسأت فلاناً البيع، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[5] ومما هو بالهيئة نسأت الإبل عن الحوض،

---

١ - سورة المائدة : الآية (٥٧).

٢ - سقطت هذه الفقرة من (أ - ص).

٣ - ساقطة من (أ- ص).

٤ - سورة الحج : الآية (٥٢).

٥ - سورة التوبة : الآية (٣٧).

ونسأتها في السير، ومنها المنسأة للعصا التي يطرد بها، وحمل المفسرون النسخ والإنساءعلى وجهين:

أحدهما أن النسخ هو إزالة الحكم من غير اللفظ، أو الحكم مع اللفظ، والإنساء مقابله، وهو أن لا ينسخ بل يُقر، والثاني: أن النسخ إزالة الحكم فقط ثبت اللفظ أو لم يثبت، ولهذا قال الفقهاء:

إن النسخ لا يكون إلا في معنى الأمر والنهي معنى الخبر والإنشاء يكون في الإخبار وفي الأمر والنهي، لكن في الخبر معناه لا يزول وإن زال اللفظ، وقد يستعمل أحد اللفظين مكان الآخر، فمن هذا ما روت عائشة– رضي الله تعالى عنها– أنه نزل في قصة أهل بئر معونة قرآن منه: (بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)، ثم نسخت، ففيه دلالتان:

إحداهما أن قوله: (لقينا ربنا) إخبار، وقت سمته نسخاً، والثانية: أنها استعملت النسخ في رفع التلاوة دون المعنى، وعلى ذلك ما روي أنه كان فيما أنزل الله : **(لو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)**[1] ،ثم نسخ وذلك خبر، وقيل: الكلام في تأويل الآية أن يذكر ما يكشف خطأ اليهود وشرذمة من المسلمين أنكروا النسخ زاعمين أن ذلك هو المبدأ[2] ، ولا يفعلن إلا من يجهل العواقب ويتجدد له رأي بعد رأي، فيقال وبالله التوفيق..

«إن لله تعالى خلفاء في الأرض مستخلفين فيها ومستعمرين فيها لنتوصل بذلك إلى مجاورته والقرب منه بحياة لا موت بعدها، وغنى لا حاجة معه ، وقدرة لا يعتورها عجزٌ، ولا سبيل إلى ذلك إلا باكتساب الصحة في النفس، وصحتها أمران: العلم والعمل، أما العلم: فمعرفة الصدق من الكذب، والجميل من القبيح، والخير من الشر، وأما العمل: فتحري الصدق في المقال والجميل في الفعال وتجنب ضديهما، وكما لا سبيل إلى استفادة صحة البدن إلا بطبيبين، أحدهما من داخل وهي القوة

---

١ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب». أخرجه البخاري ج:١١–ص٢٥٢ في باب «ما يتقي من فتنة المال»، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم «١٠٤٦»، وأورده الراغب في مفرداته ص ٨٦٢.

٢ – في (أ– ص) البدا.

التي سخرها الله تعالى لاستدعاء الطعام وهضمه ودفعه، والثاني من خارج، وهو الذي يتلف[1] من هذه القوة إذا اختلت، كذلك لا سبيل إلى استفادة صحة النفس إلا بطبيبين أحدهما من داخل وهو العقل،والثاني من خارج وهو النبي وكما أن أدوية البدن وأغذيته العقاقير والأطعمة، فأدوية النفس الأعال الشرعية والآداب الخلقية، وكما أن طبيب البدن قد يغير الأغذية والأدوية التي يتوصل بها إلى استفادة الصحة واستبقائها لاختلاف الأزمنة، كذلك الأنبياء من قبل الله قد يغير الأعمال الشرعية التي هي مصلحة للأنفس حسب ما يعرف الله من مصالحها، فكما يكون الشئ دواءً للبدن في وقت، ثم يكون داءً في وقت غيره، كذلك الأعمال قد تكون مصلحة في وقت، مفسدةً في وقت، ولكون الشريعة طلباً للنفوس قال المسيح: "إنما أنا طبيب المرضى"، وروى: أن العالم طبيب الدين،والدنيا داؤه[2] فإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه، فكيف يداوي غيره، ومما يبين جواز النقل من حكم إلى حكم نقل الله تعالى الأشياء حال إلى حال حتى ينتهي إلى أقصى الكمال كمال الإنسان من مبدأ إلى منتهى عمره وذلك من حين النطفة، ثم العلق، ثم المضغة، ثم كونه جنيناً، ثم طفلاً، ثم ناشئاً وكهلاً وشيخاً وهرماً، ثم ما نبه النبي عليه السلام بقوله: «إن لكم معالم، فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم»، ولو كان نقل الشرع من حال إلى حال قبيحاً لكان بعثة موسى ونقله اليهود عن بعض ما كانوا عليه قبيحاً، وأما ما حكوه عن موسى عليه السلام - أنه قال لبني إسرائيل هذه الشريعة لازمة لكم أبداً مادامت السموات والأرض، فلفظ محتمل وفي إتيانه على وجه محتمل حكمة عظيمة قد ذكرها الحكماء، وهي أن من عادة[3] العامة وغريزتها أن لا ينقاد كل الانقياد لراع أو رئيس إذا علموا كونه مصروفاً من بعد، بل يستوهنون أمره ويضعفون حاله، فإذاً واجب أن لا يعلموا[4] بأن أمره غير ممتد، وأن لا يبين ذلك إلا للأعيان الذين لا يكون منهم مفسدة، فلهذا كانت الألفاظ الواردة من الأنبياء عليهم السلام محتملة أن شريعتهم على التأبيد، فإن قيل: إن ذلك يؤدي إلى أن [5] يقال في

١ - في (و - ج) يقف، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - في (أ - ص) داء الدين.

٣ - في (أ - ص) طبائع.

٤ - في (أ - ص) يشعروا.

٥ - في (و - ج) يقول، وهو خطأ من الناسخ.

نبينا - عليه السلام- إنا لم نعلم كونه دينه - عليه السلام- على التأييد من قوله فقط، بل علمنا ذلك قول من قوله ببرهان، وهو أن دينه بالاعتبار العقلي وسط كما وصفه تعالى بقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] وأنه مصون عن الإفراط والتفريط والوسط الذي هذا صفته هو الحق الذي قال تعالى فيه: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾[2] ، ولشرح ذلك موضع غير هذا وبالله التوفيق، وأما معنى الآية، فعلى قول من يجعل الإنشاء مقابلاً للنسخ قال: لما أنكرت اليهودتحليل الله الشئ في وقت [وتحريمه في وقت][3] بين الله تعالى أن جميع ما في التوراة، والكتب المتقدمة ضربان إما حكم قد نسخ فأتى بما هو خير أي أنفع لكم، أو يترك فلم ينسخ وأتى في القرآن بمثله، أي جمعناه في لفظ آخر، فيكون بقوله[4]: (بخير منها) راجعاً إلى النسخ وبمثلها إلى الإنسان، فإن قيل: إن الذي ترك ولم يُنسخ ليس هو مثله بل هو هو، فكيف قال بمثلها؟ قيل: الحكم الذي أنزل في القرآن وكان ثابتاً في الشرع الذي قلنا[5] يصح أن يقال هو هو إذا اعتبر بنفسه ولم يعتبر بكسوته التي هي اللفظ، ويصح أن يقال: هو مثله إذا لم يعتبر بنفسه فقط، بل اعتبر باللفظ، ونحو ذلك أن يقال ماء البئر هو ماءالنهر إذا اعتبر جنس الماء، وتارةً يقال: مثل ماءالنهر إذا اعتبر قرار الماء، وعلى قول من جعل الإنساء ترك اللفظ حتى تنسى قال: معناه: إذا أزيل حكم آية أو أنسى لفظها نأتِ بما هو أوفق لكم وأقرب إلى أن يبلغوا به إلى ما أريد منكم، ثم قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي لا تحسبن أن تغييري الحكم حالاً فحالاً وإن لم آت بالثاني في الابتداء هو العجز، فإن من علم قدرته على كل شئ لا يظن ذلك، وإنما يعتبر[6] ذلك لما يرجع إلى مصلحة العباد، وإن الأليق بهم في الوقت المتقدم الحكم المتقدم وفي الوقت المتأخر الحكم المتأخر، وقال بعض المحققة أن الآية مع هذا الظاهر تنبئ عن معنى لطيف، وهو أن الله تعالى خلق الإنسان خلقة تدرجه[7] من حال إلى حال إلى أن يصير كاملاً موصوفاً بعام

---

١ - سورة البقرة : الآية (١٤٣).

٢ - سورة يونس: الآية (٣٢).

٣ - ساقطه من (أ - ص).

٤ - في (أ- ص) قوله.

٥ - في (أ- ص) قبلنا.

٦ - في (أ - ص) تغير.

٧ - في (أ - ص) يدرجه.

صفاته ومتخصصاً بالبقاء الأبدي والغنى السرمدي ومنفكاً من الحاجات والنقصانات كلها[١]، فنبه الله تعالى أن هذه الأحوال آيات له ينسخها إلى مثل ما هو كالأول من وجه وخير منه من وجه، ثم بين أنه تعالى قادر على ذلك إذ هو قادر على كل شئ[٢]، وقد تعلق الشافعي وأصحابه في قولهم: إن القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن بهذه الآية، ووجه ذلك أن قولنا هذا خيرٌ من كذا، وأفضل منه يرجع إلى شرفه من ثلاثة أوجه إما إلى فضل موجده، أو إلى جنسه، أو إلى تأثيره، مثال الأول : قولك: أفعال الله أفضل من أفعالنا، ومثال الثاني الملائكة أفضل من الحيوان ومثال الثالث: السيف أفضل من العصا ومثل يقال على ثلاثة معاني لها ثلاثة ألفاظ مماثلة في الجنس، ويقال لها الند مماثلة في الكيفية، ويقال لها الشبه ومماثلة في الكمية، ويقال لها المساواة، وثلاثتها يقال لها مثل، وقد ضمن الله تعالى أنه لا ينسخ آية إلا بخير منها أو مثلها، فالسنة ليست بخير من الآية ولا مثلها في الجنس، إذ جنس القرآن تتعلق به المعجزة وإن أمكن أن يقال: هي مثلها في الوصفين الآخرين، وأما وجه قول مخالفيه، فهو أن الله تعالى وإن ذكر الآية، فإنما أراد حكمها، لأن النسخ لا يكون إلا في الأحكام. فإذا قوله : ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ليس إلا في الأحكام، فكأنه قيل: "ما ننسخ من حكم الآية إلا نأت بخير منه أو مثله، فعلى هذا مدار الكلام وتعلق أهل الظاهر بالآية، حيث ذكروا أن الناسخ لابد أن يكون أخف من المنسوخ، وذهبوا في الخفة إلى ما يستخفه النفس بالطبع، وذلك بعيد، فإن الشريعة مبنية على مخالفة النفس وعلى مجانبة مقتضى الطبع، ولهذا قيل هذا إذا عن أمران، فاشتبه وجه الصواب فتخير أثقلهما على النفس، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [٣].

إن قيل: إذا لم يحمل خبر علي التخفيف فليست الثانية خيراً من الأولى في شئ من الأحوال، لأن الأولى في الوقت أصلح وأفضل، والثانية في الوقت أصلح وأفضل، فقد تساويا في عظم المصلحة، وبطل أن يكون الثانية خيراً بأن يكون أثقل وأكثر أعمالاً ليكون أجزل في الأجر وأكثر ثواباً، ومع هذا

---

١ - في (و - ج) كلاماً، وهو تصحيف.

٢ - في (أ- ص) إذ هو على كل قدير.

٣ - سورة البقرة : الآية (٢١٦).

فإن الثانية خير من الأولى في الوقت الثاني، لأن الأولى قد بطل العلم بها، وقوله بخير منها يعني في الوقت وتعلقهم بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[2] فبعيد، فإن التخفيف واليسر في الأمور الإلهية في الدنيا والآخرة هما مما تستثقله النفس، أما في الآخرة، فأنه لا وصول إلى ذلك إلا بتحمل المشاق في الدنيا والعمل بالطاعات ومخالفة الهوى، وأما في الدنيا فإن التخفيف واليسر مع حصول العلم والصبر والعفة الواضحة عن الإنسان ثقل الجهل والجزع والخوف والفقر.

قوله - عز وجل :

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾

الآية (١٠٧) - سورة البقرة .

الولي يقال تارة لمن له موالاة نسبية أو خلف، وتارةً لمن له ولاية سلطانية، وإنما ذكر الولي والنصير، وهما متقاربان بالمعنى، لأنه قد ينفك الولي من النصرة بأن يكون ضعيفاً، والنصير من الولاية بأن يكون عن المنصور أجنبياً، وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ إذا تصور خطاباً للكفار[3] اقتضى وعيداً أي لاولي[4] وناصر يحميكم عنه نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ﴾[5] إذا تصور خطاباً للمؤمنين اقتضى تسكيناً لهم أي لا تعتدوا بمن[6] يواليكم وينصركم سواه، كقوله: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[7] ، وإذا اعتبر بهما فالمعنيان فيهما موجودان أي لا تعتقدوا أن لكم ولياً وناصراً إذا لم يكن الله وليكم تنبيهاً أنه تعالى هو الذي لا يمكن تصور ولي وناصر مع تصور

١ - سورة النساء : الآية (٢٨).

٢ - سورة البقرة : الآية (١٨٥).

٣ - في (و - ج) للأمار، وهو خطأ من الناسخ.

٤ - في (و - ج) إلى الأولى، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - سورة المؤمنون : الآية (٦٥).

٦ - في (و - ج) لمن.

٧ - سورة الإسراء : الآية (٦٧).

ارتفاعه عز وجل[١]، وإنما خص النبي ﷺ بقوله: (ألم تعلم) وإن كان الخطاب له ولغيره، لذكره العلم ولا أحد من البشر أعلم بذلك منه -عليه السلام-، أو قد وقف من أسرار ملكوت السموات والأرض على مالم يوقف عليه غيره[٢] والقصد بالآية، أنهم لما أنكروا النسخ فعرفهم أنه تعالى ينقل عباده من حكم إلى حكم على ما يرى من مصالحهم، وبين أن ذلك ليس لعجزه، إذ هو قادر على كل شئ، ومالك له، إن قيل: لم كرر: "ألم تعلم"، ولم يعطف الثاني على الأول، قيل إنه لما جعل حكم الثاني كالعلة للأول أخرجه مخرج الأول، فكأنه قيل: "هو على كل شئ قدير"، لأن له ملك السماوات والأرض، وإخراج الكلام على لفظ التقرير لكونه أبلغ في حكم الخطابة، وموضع قوله: (ومالكم) معطوف على موضع ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾..

قوله - عز وجل :

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الآية (١٠٨)- سورة البقرة .

السبيل والطريق يتقاربان لكن السبيل يقال على اعتبار السبل، كقولهم: طريق مسنون، ومنه أسبلت الإزار، والستر والسبلة المسترسل من الشعر على الشفة العليا والسبيل المطر مادام بين السماءوالأرض، والطريق يقال على اعتبار طرقه بالأرجل، والسواء أصله يستعمل في المكان الذي يستوي فيه إليه مسافة الطرفين وفي ذلك معنى القصد والعدل، فصح أن يفسر بالوسط وبالقصد وبالعدل وليست هذه الألفاظ في تفسيره أقوالاً مختلفة كما ظنه بعض المفسرين، وأما "أم"، فقيل هو معطوف على قوله: (ألم تعلم)، وتقديره: ألم تعلموا ذلك أم لم تعلموا فتسئلوا رسولكم، وقيل هو لاستئناف الاستفهام المفسر بهل، كقول الشاعر:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ؟[٣]

---

١ - في (أ - ص) عز وتعالى.

٢ - في (أ - ص) على مالم يطلع غيره عليه.

٣ - هذا شطر بيت للأخطل وتمامه: كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

وهو في خزانة الادب ج : ٦-ص٩، وديوان الأخطل ص ٣٨٥، وكتاب سيبويه ج: ١-ص٤٨٤، وشرح الأبيات لابن السيرا في ج:٢-ص٦٧، ولسان العرب- مادة - كذب، والمقتضب- ج:٣-ص ٢٩٥، ومعاني القرآن للأخفش ج:١-ص٣١.

وسبب نزول هذه الآية فيما روي أن أهل الكتاب سألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وذلك ما ذكره في قوله – عز وجل ﴿ **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ** ﴾[1] الآية–، وقيل: هو ما سأله مشركو العرب وهو قولهم له ﴿ **وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ** ﴾[2] وقيل: سألوه أن يجعل الصفا ذهباً، فقال: **هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل، فأبوا، وقيل: سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط وهي شجرة تعلق عليها الأسلحة ليقتدوا بالمشركين في اتخاذها فقال عليه السلام: (الله أكبر، سألتم كما سأل بنو إسرائيل موسى، فقالوا: اجعل لنا إلهاً كمالهم آلهة)**[3]، إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿ **وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ ومعلوم أنه بدون الكفر بالإيمان يعلم أنه قد ضل؟ قيل سواء السبيل وفي ذلك تنبيه أن ضلالة سواء السبيل قائدة إلى الكفر بعد الإيمان، ومعناه: ﴿ **لا تسألوا رسولكم كما سئل موسى فتضلوا سواء السبيل فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان** ﴾، فمبدأ ذلك الضلال عن سواءالسبيل، ووجه آخر وهو أنه سمي معاندة الأنبياء عليهم السلام بعد حصول ما تسكن النفس إليه كفراً، إذ هي مؤدية إليه، كتسميةالعصير خمراً، فقال: "ومن يتبدل" أي يطلب تبديل الكفر بالإيمان أي بما حصل له من الدلالة المتقضية لسكون النفس فقد ضل سواءالسبيل، ووجه ثالث، وهو أن ذلك نهاية التبكيت[4] لمن ظهر له الحق فعدل عنه إلى الباطل، وأنه كمن كان على وضح الطريق فتاه فيه، ووجه رابع: وهو أن سواءالسبيل إشارة إلى الفطرة التي فطر الناس عليها، والإيمان إشارة إلى المكتسب من جهة الشرائع، فقال: ﴿ **وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ** ﴾ أى بالإيمان المكتسب فقد أبطله وضيع الفطرةالتي فطر الناس عليها، فلا يرجى له نزوع عما هو عليه بعد ذلك..

---

١ – سورة النساء : الآية (١٥٣).

٢ – سورة الإسراء: الآية (٩٣).

٣ – شجرة ذات أنواط شجرة عظيمة خضراء كانت العرب في الجاهلية تأتيها كل سنة تعظيماً له، فتعلق عليها أسلحتها وتذبح عندها، وكانت قريبة من مكة، وقيل إنهم حينما كانوا يحجون يعلقون أرديتهم عليها ويدخلون الحرم بغير أردية تعظيماً للبيت، ولذلك سميت ذات أنواط. ويقال للشئ ينوطه نواطاً إذا علقه، ومناسبة ذكرها في الحديث حين مر النبي ﷺ وبعض أصحابه بتلك الشجرة بين مكة وحنين، فقال بعضهم : يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم. فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها أسلحتهم. السيرة النبوية– ابن هشام– ج:٤–ص٦٤– قدم لها وعلق عليها وضبطها– الأستاذ/ طه عبد الرؤف سعد.

٤ – في (و – ج) التركيب، وهو تحريف.

قوله - عز وجل :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

الآية (١٠٩) - سورة البقرة .

الحسد: كراهية نعمة على مستحق لها، وعدت من عظائم الذنوب، إذ هو معاندة الله في إرادته، وهو شر من البخل، فإن الحسد بخل على الغير بنعمة من لا تنفد العطايا نعمه، والعفو ترك العقوبة على المذنب، والصفح ترك ترثته، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصفحت عنه: أي أوليته مني صفحة جميلة معرضاً عن ذنبه، أو لقيت صفحته متجافياً عنه، أو تجاوزت الصفحة التي أثبت فيها ذنبه إلى غيرها من قولك: تصفحت الكتاب، وفي الآية تنبيه أن كثيراً من أهل الكتاب يتمنون ارتدادكم بعد إيمانكم حسداً، وقوله: (من عند أنفسهم) أي من عند هواهم[1] كقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[2]، وعبر عن الهوى بالنفس وهي الأمارة بالسوء، وبين أنهم فعلوا ذلك بعد وضوح الحق لهم، ولكنهم بحسدهم وهوائهم لا يتحرونه، ولا يحبون أن يتحراه غيرهم ، ثم أمر بالتجافي عنهم إلى أن يأتي الله بأمره تسكيناً لهم ووعداً بتغييره لقدرته على كل شئ، وروي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[3]، وقال غيره: هي غير منسوخة، وهذا الخلاف يرجع إلى اختلاف نظيرين، وذاك أن كل أمر ورد مقيداً بانتهاءما معين أو غير معين فورود الأمر بخلافه يصح أن يقال: هو نسخ له من حيث إنه يرفع الأول، ويصح أن يقال: إنه ليس بنسخ، فإن النسخ في الأمر المطلق[4].

---

١ - في (أ - ص) هوائهم، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة محمد : الآية (١٤).

٣ - سورة التوبة : الآية (٥).

٤ - أورد الدكتور مصطفى زيد ما حكاه ابن الجوزي من دعوى النسخ في هذه الآية حيث قال: "واعلم أن تحقيق الكلام دون التحريف فيه أن يقال: إن هذه الآية ليست بمنسوخة، لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً وإنما أمر به إلى غاية، وبين الغاية بقوله: (حتى يأتي الله بأمره)، وما بعد الغاية يكون حكمه مخالفاً لما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون أحدهما ناسخاً للآخر، بل يكون الأول قد انقضت مدته لغايته، والآخر محتاجاً إلى حكم آخر. وقد ذهب إلى ما قلت جماعة من فقهاء المفسرين، وهو الصحيح. وهذا إذا قلنا إن المراد العفو عن قتالهم. وقد قال الحسن: هذا فيما بينكم وبينهم دون ترك حق الله تعالى، حتى يأتي الله بالقيامة. وقال غيره: بالعقوبة، فعلى هذا يكون الأمر بالعفو محكماً لا منسوخاً"، النسخ في القرآن الكريم- د/مصطفى زيد-ج:٢-ص٥٩٠-ط، دار الوفاء- المنصورة.

قوله - عز وجل :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ الآية (١١٠) - سورة البقرة .

هذا معطوف على قوله : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾[١]، ومعناه: اشتغلوا بالعبادات التي يعود عليكم نفعها نحو: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾[٢] ، وجعل ثواب الفعل نفس الفعل لكونه إياه في التقدير، وبهذا النظر سمي ثواباً وهو الثائب إليه، فلذلك قال : تجدوه، وبين أن كل خيري حصله الإنسان فمدخر له بخلاف عمل الكفار الذي قال فيه: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[٣]، وبخلاف عمل الدنيا الذي قال فيه: ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾[٤]، وعلى ذلك قال: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ ﴾[٥]، وقال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٦]، وأمنهم من ضياع ما يقدمونه بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ تنبيهاً على نحو قوله: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[٧].

إن قيل: كيف قال تجدوه، ومن أحبط عمله لا يجده! قيل الخبر المقدم في الحقيقة هو الذي لم يحبط، فأما ما أحبط فقد أخرج من كونه خيراً [وإن كان] [٨] قد يسمى في بعض الأحوال خيراً بنظر من يضعف نظره..

١- سورة البقرة : الآية (١٠٩).

٢ - سورةالبقرة : الآية (٤٥).

٣ - سورة الفرقان : الآية (٢٣).

٤ - سورة النور : الآية (٣٩).

٥ - سورة آل عمران : الآية (٣٠).

٦ - سورة الزلزلة : الآيتان (٧، ٨).

٧ - سورة النجم : الآية (٣١).

٨ - ساقطة من (أ-ص).

قوله - عز وجل :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الآية (١١١)- سورة البقرة .

البرهان : كل حجة لا يعتريها شبهة بوجه. وهود، قال الفراء: أصله يهود، فحذف ياؤه لكونها زائدة، وقال غيره: هو جمع هايد أي تائب نحو: **﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾**[١]، وكأنه كان في الأصل اسم مدح لمن تاب منه، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لجماعتهم كالعلم لهم وجعل مقالهم ذلك، أماني من حيث أن الأمنية مقال منبعه عن تقدير، فيستعمل تارة في التقدير حقاً كان أو باطلاً على ذلك، حتى بين ما تمنى لك الماني، وتارة في المقال، وقوله: (لن يدخل) كلام "ملفوف" وتقديره: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا النصارى فأجمل اكتفاء بعلم السامع أن يرد كلاً إلى ما يقتضيه ونحوه في الإجمال قوله - عز وجل- **﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾**[٢].

ثم [كذبهم][٣] بعجزهم عن إقامة البرهان على ما ادعوه. قوله -عز وجل- **﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾**[٤].

بل: رد لدعواهم وإثبات لضد حكمهم، والإسلام: الدخول في السلم، وقيل للانقياد إسلام، نحو:

كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ ... لآلِئَ مُنْحَدِرَاتٍ صِغَاراً[٥]

لأن الانقياد للمسالم من مقتضى السلم، وجعل الإسلام في الشرع ضربين، ضرباً قبل الإيمان دونه، وهو الاعتراف باللسان الذي يحقن الدماء حصل معه الاعتقاد الصحيح أو لم يحصل، وإياه

١ - سورة الأعراف (١٥٦).

٢ - سورة القصص : الآية (٧٣).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورةالبقرة : الآية (١١٢).

٥ - بحثت عنه فلم أجده.

عني بقوله- عز وجل:

﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾[١] وضرباً بعد الإيمان وفوقه، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل، وإياه عنى يوسف بقوله: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[٢]، وقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[٣] أي الطاعة هي تسليم لأمر الله- عز وجل، وهذا الإسلام بين مبدأه ومنتهاه بون بعيد، وكان منتهاه على حسب طاقة البشر حال إبراهيم- عليه السلام- حيث ابتلى، فقيل له أسلم، فقال أسلمت لرب العالمين، ثم وفي بما كان منه، وهذا هو الإخلاص المراد من الأولياء، وأصل الوجه العضو المقابل من الإنسان، فاستعير للمقابل من كل شئ حتى قيل: واجهته ووجهته، وقيل للقصد وجه، وللمقصد وجهة، وعلى ذلك ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾[٤]، ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[٥]، و﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾[٦] وعلى ذلك قوله: ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا ﴾[٧].

ولما جعل ذلك للقصد أضيف تارة إلى القاصد كما تقدم، وتارة إلى المقصود، كقولك: "أردت بكذا وجه الله"، وقد حمل على ذلك ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[٨]، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[٩]، وقيل: الوجه في هذه المواضع اسم العضو مستعاراً للذات، فقوله: أسلم وجهه أي نفسه، والإحسان قيل هو الإتيان بعد فرض العبادة بالنفل، وبعد إقامة العدل[١٠] بالفضل، ولما كذبهم الله- عز وجل فيما ادعوه

---

١ - سورة الحجرات : الآية (١٤).

٢ - سورة يوسف : الآية (١٠١).

٣ - سورة آل عمران : الآية (١٩).

٤ - سورة البقرة : الآية (١١٢).

٥ - سورة لقمان : الآية (٢٢).

٦ - سورة آل عمران : الآية (٢٠).

٧ - سورة الأنعام : الآية (٧٩).

٨ - سورة الرحمن : الآية (٢٧).

٩ - سورة القصص : الآية (٨٨).

١٠-في (أ - ص) العدالة.

من دخول الجنة بين أن من أسلم نفسه له على حد ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾[1]، وكان قصده إياه فيما يتحراه وهو ملتزم مع فرائضه نوافل حصل له ما ادعوه وزيادة فإن له أجره وهو الجنة، ومع ذلك فلا خوف عليه في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الدنيا فبأن يجعل له يقيناً وصبراً وقناعة تكفيه الخوف على شئ يفوته والجزع لشئ قد فاته، وأما في الآخرة فبأن يكفيه شدائد "يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً"[2].

إن قيل: كيف قال (فلا خوف عليهم) وقد مدح المؤمنين على خوفهم بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [3] قيل: إن الذي نفي عنهم هو ما تقدم آنفاً، والذي مدحهم[4] به هو توفية حق العبادة، فإن مخافة الله إقامة عباداته وارتسام مرسوماته، ولذلك قيل: من لم تخف نفسه الدنيا فلا يعذبه [خائفاً][5] وقيل: معنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي : من آمن وعمل صالحاً، وما تقدم منطوٍ على هذا..

---

١ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٢ - اقتباس من الآية: (٤١) سورة الدخان.

٣ - سورة الإسراء : الآية (٥٧).

٤ - في (أ - ص) منعهم، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

الآية (١١٣)- سورة البقرة .

الكتاب يتناول كل كتاب منزل، والفرقان يقال في التوراة وفي القرآن، والقرآن يختص بالمنزل على محمد ﷺ ، **وروي أنه لما قدم نصارى نجران على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عنده، وقال كلا الفريقين للآخر: لستم على شيء، فأنزل الله -عز وجل- هذه الآية**[١].. إن قيل: كيف عرض تعالى بتكذيبهم فيما ادعوه وقد صدق الفريقان على قول المسلمين؟ قيل: ليس قول أحد الفريقين بسديد من وجه، إذ قد بتوا الحكم وليس ذلك على البت والقطع، فلكا الفريقين في وقت وعلى وجه على حق، على أن القصد بالآية الدلالة على جهلهم وتخبطهم مع تشاركهم في قراءة التوراة دالـــة[٢] على ما اختلفوا فيه، فبين أن كلا الفريقين حائد عن الطريق، وأنهم في الجهل أو التجاهل كالمشركين الذين لاكتاب لهم في دعواهم على أهل الكتابين والمسلمين أنهم ليسوا على شئ، ثم توعد الفريقين بحكمه بينهم [يوم القيامة][٣] وقد أبهم حكمه فيدخل فيه كل قول قالوه من قول من قال: عني إنصاف المظلوم من الظالم، وقول من قال: عني تعريف المكذِّب من المكذَّب، وقول من قال: مثل قوله **﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾**[٤].

---

١ - الحديث أورده القرطبي في تفسيره ج:١-ص:٥٧٠- كما رواه ابن كثير في تفسيره من طريق عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ- أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيئ- وكفر بعيسى وبالإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى- ما أنتم على شيئ وجحد نبوة موسى وكفر بالتوارة. فأنزل الله الآية. تفسير القرآن العظيم ج:١ - ص ١٥٥.

٢ - في (أ- ص) الدالة.

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - سورة التوبة : الآية (٤٩)، سورة العنكبوت : الآية (٥٤).

قوله - عز وجل :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾الآية (١١٤)- سورة البقرة .

المنع: أن يحال بين من المراد ومريده[١]، ولما كان الشئ قد يُمنع ضناً[٢] به صار المنع[٣] متعارفا في المتنافس فيه، والسعي مشيٌ[٤] بسرعةٍ وهو دون العدو، وخص بأنواع من السعي منها: السعاية، أي الوشاية،وسعي العبد في اكتساب ما يعتق به والتصرف[٥]، للتكسب، ولجباية الصدقة حتى صار الساعي معروفاً في جابي الصدقة، وجعل المساعاة كناية عن الفجور بالأمة والخراب ضد العمارة،وجعل الخربة لسعة خرق الأذن تشبيهاً بالخراب، وشبه عروة المزادة بها، فقيل خربة، والخارب: السارق لتخريبه، أو لكونه سكاناً في خراب متوحشاً عن الناس، فيكون بناؤه كبادٍ وحاضر، وقيل: هو مخصوص بسارق الإبل خاصة، والأولى بالمساجد أن تكون عامة في كل مكان مرشح للصلاة، فقد قال عليه السلام: **«جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»**[٦]، وعظم تعالى ظلم من سعي في المنع من ذكر الله وتخريب الأمكنة المختصة بأهل الشرائع المحقة مسجداً كان أو غير مسجد، وليس التخريب الهدم فقط، بل تعطيله عن عباده الله -عز وجل-.

وقول ابن عباس ومجاهد: إنه عني به الروم إذ خربوا بيت المقدس، وقول غيره إنه عني "بخت نصر" لما خربه، وقول من قال: إنما عني به المشركين إذ صدوا النبي عليه السلام عن المسجد الحرام،

---

١ - في (أ - ص) أن يحال من المريد ومراده.

٢ - في (و - ج) ضمناً، وهو تصحيف.

٣ - في (أ - ص) المنيع.

٤ - في (أ - ص) شيئ، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - في (أ - ص) وللتصرف للتكسب.

٦ - الحديث رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم- وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، وبين أنا نائم "أتيت بمفاتيح خزائن الأض- فتُلّت في يديّ. أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام -ج:١٣-ص ٢٠٩، وأورده البغوي في شرح السنة ج:١٣-ص١٩٨ وأورده البيهقي في سننه ج: ٢-ص٤٣٣، ص٤٣٤، وأورده الطبراني في الجامع ج: ١١-ص٦١، ص٧٣، ج:١٢-ص٤١٣، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج:١-ص٤٣٦، ص ٤٣٧، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص٢٩٧.

وكل ذلك أمثلة منهم لحكمه وسبب النزول هذه الآية لا أنه لم يرد بها غير ذلك، يبين ذلك أنه قال: مساجد بلفظ الجمع، وقوله: ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ لفظه خبر، ومعناه منطو عليه وعلى الأمر، فإن بيوت الله -عز وجل ممنوعة عن الكفار في دار الإسلام إلا بإذن، ويكونون خائفين، والحكم أن لا يمكنوا إلا بشرط حاجة تقتضي ذلك، ثم ثبت[1] لهم الخزي في الدنيا، وذلك تارة بالهوان الذي يجري عليهم، وتارة بأخذ الجزية منهم، وقتلهم، والسبي، منهم، ومنعهم عن كثير مما يباح للمسلم، وإليه نظر قتادة وجماعة وقسروا به، وتارة بالهوان الذي يلحقهم في أنفسهم من جنبهم[2] وجزعهم وخوفهم وسائر الآفات النفسية وتارة من حيائهم من عقلهم لاضطراب نفوسهم وقلوبهم وقلة سكونهم لما اختاروه، وإلى ذلك أشار تعالى بقوله : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾[3]

قوله - عز وجل :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

الآية (١١٥)- سورة البقرة .

المشرق والمغرب تارة يقالان بلفظ الواحد إما إشارة إلى ناحية الأرض، وإما إلى المطلع والمغيب وتارة بلفظ التثنية إشارة إلى مشرقي ومغربي الشتاء والصيف، وتارة بلفظ الجمع اعتباراً باختلاف المغارب والمطالع كل يوم، وشرقت الشمس: طلعت، وأشرقت: أضاءت وذلك إذا كثر شروقها، وشرقت اللحم: ألقيته على الشمس المشرق، والمشرق المصلى لأنه يقام فيه صلاة [العيد][4] عند شروقها، وشرق الثوب بالصبغ تشبيهاً بلون الشرقة، والغروب للشمس تصور منه بعد ذهابها[5] عن العمارة، فيقال لكل تباعد غروب، ومنه الغراب لكونه مبعداً في الذهاب، وغارب السنام لبعده عن المنال، وغرب السيف أبعد جزءمن صحيفته، ثم تصور منه حدته، فقيل لسان غرب وسمي الدلو غرباً

---

١ - في (أ - ص) أثبت.

٢ - في (و - ج) من جيبهم، وهو تصحيف.

٣ - سورة الحج: الآية (٣١).

٤ - ساقطه من (و - ج).

٥ - في (و - ج) بعددها، وهو خطأ من الناسخ.

لتصور بعدها في البئر، ثم سمي الماء به كتسميتهم إياها بالذنوب لكونه فيها، والغرب[١] للذهب لكونه غريباً فيما بين الجواهر، والغرب[٢] لبعده عن الثمرات من الأشجار، والآية توكيد لما تقدم أنه عني بالمساجد حيث ما صلى فكأنه قيل: لا عتبروا الأمكنة، فلله - عز وجل- ملك الدنيا، وحيث ما توجهتم فهو موجود يمكنكم الوصول إليه، إذ ليس هو جوهراً ولا عرضاً، فيكون بكونه في جانب مفرغاً جانباً ونبه بقوله: "واسع" على إحاطته بالأشياء، "وبالعليم" أنه لا يخفى عليه خافية، وقد حمل أكثر المفسرين الآية على أنها واردة في القبلة، فمنهم من قال ذلك توطئة لجواز نقلها وتقرير في نفوسهم أن ليس المعبود [سبحانه][٣] في حيز دون حيز، وقيل إن ذلك في زمان كان يجوز الصلاة فيه إلى كل جهة حتى أمروا بقوله: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[٤] وهو قول قتادة وابن زيد،وذلك بعيدة لأن القبلة كانت مخصوصة وعلى ذلك قوله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾[٥] وقيل إن ذلك في النافلة وجوازها حيث ما توجهت بنا الراحلة، وإليه ذهب ابن عمر،وقيل إن قوماً صلوا في ظلمة خفيت عليهم جهة القبلة، فلما أصبحوا كانوا قد صلوا إلى غير القبلة، فأنزل الله -عز وجل- ذلك، وإليه ذهب ابن عباس وجماعة، وقد تقدم معنى وجه الله .

---

١ - في (و - ج) القرب،وهو تصحيف.

٢ - في (و - ج) والقرب وهو تصحيف.

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - سورة البقرة الآيتان (١٤٩)، (١٥٠).

٥ - سورة البقرة الآية : (١٤٣).

قوله عز وجل :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾

الآية (١١٦)- سورة البقرة .

القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع، ولما كان لهما فسر بكل واحد منهما، فقيل في قوله: **﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾**[١] أي خاضعين، وقيل طائعين، ولما كان من تمام القنوت القيام والسكون مالم يكن أمر بخلافه واستعمل فيهما، فقيل في قول النبي ﷺ **لما قيل له: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت»**[٢] أي القيام، ولما ادعى النصارى في المسيح واليهود في عزير أنهما أبناءالله، ومشركوا العرب في الملائكة أنهم بنات الله تقدس الله تعالى عن ذلك، نبه على أقوى حجة على نفي ذلك وبيانها[٣] هو أن لكل موجود في العالم مخلوقاً طبيعياً أو معمولاً صناعياً عرضاً وكمالاً أوجد لأجله، وإن كان قد يصلح لغيره على سبيل العرض كاليد للبطش، والرجل للمشي، والسكين لقطع مخصوص، والمنشار للنشر وإن كان اليد قد يصلح للمشي في حال، والرجل للتناول، لكن ليس على التمام، والغرض في الولد للإنسان إنما هو لأن يبقى به نوعه،وجزء منه لما لم يجعل الله له سبيلاً إلى بقائه بشخصه، فجعل له بذراً[٤] لحفظ نوعه،ويقوي ذلك أنه لم يجعل الشمس والقمر وسائر الأجرام السماوية بذراً، واستخلافاً لمالم يجعل لها فناءالنبات والحيوان، ولما كان الله تعالى هو الباقي الدائم بلا ابتداء ولا انتهاء، لم يكن لاتخاذه الولد لنفسه معنى، ولهذا قال سبحانه أن يكون له ولد، أي هو منزه عن السبب المقتضي للولد، ثم لما كان اقتناء الولد لفقر ما، وذلك لماتقدم أن الإنسان افتقر إلى نسل يخلفه لكونه غير كامل في نفسه، بين تعالى بقوله **﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾** أنه لا يتوهم له فقر فيه فيحتاج إلى اتخاذ

---

١ - سورة البقرة : الآية (٢٣٨).

٢ - الحديث مروي عن جابر بن عبد الله قال: قيل للنبي ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ - قال: «طول القنوت».والحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم «٥٣٧». وأخرجه الترمذي في سننه. كما جاء في عارضة الأحوذي ج:٢-ص ١٧٨، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص٦٨٥.

٣ - في (و - ج) وثباتها.

٤- في (و - ج) هذا، وما في (أ - ص) هو الأصح.

ماهو سد لفقره، فصار في قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ دلالة ثانية، ثم زاد حجة بقوله: (قانتون) وهو أنه لما كان الولد يعتقد فيه خدمة الأب ومظاهرته كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[1] ، بين أن كل ما في السماوات والأرض مع كونه ملكاً له فأنت له أيضاً إما طائعاً، وإما كارهاً، وإما مسخراً، كقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[2] ، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[3] ، وهذا أبلغ حجة لمن هو على المحجة..

إن قيل : من أين وقع لهم الشبهة في نسبة الولد إلي الله تعالى؟ قيل: قد ذكر أن في الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون على الباري تعالى إسم **"الأب"**، وعلى الكبير منهم اسم الإله- حتى إنهم قالوا: **إن الأب هو الرب الأصغر، وإن الله هو الأب الأكبر"**، وكانوا يريدون بذلك أنه تعالى هو السبب الأول في وجود الإنسان، وأن الأب هو السبب الأخير في وجوده، وأن الأب هو معبود الابن من وجه، أي مخدومه، وكانوا يقولون للملائكة آلهة كما قالت العرب للشمس إلهة، وكانوا يقصدون معنى صحيحاً كما يقصد علماؤنا بقولهم: **" الله محب ومحبوب، ومريد ومراد**، ونحو ذلك من الألفاظ، وكما يقال للسلطان الملك وقول الناس **"رب الأرباب"، إله الآلهة"، "ملك الملوك"**، ومما يكشف عن تقدم ذلك التعارف ويقوي ذلك ما يروى أن يعقوب كان يقال له **"مكر الله"**، وأن عيسى كان يقول: **"أنا ذاهب إلى أبي"**، ونحو ذلك من الألفاظ، ثم تصور الجهلة منهم بأخرة معنى الولادة الطبيعية، فصار ذلك منهياً عن التفوه به في شرعنا تنزهاً عن هذا الاعتقاد، حتى صار إطلاقه وإن قصد به ما قصده هؤلاء قرين الكفر،وقد استدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن الملك لا يقارن الولادة، وأن من ملك والده أو مولوده عتق عليه، لأنه تعالى نفي عن نفسه الولد بإثبات الملك له وهذا بعيد عما قصد في الآية بالمقال وإن كان فيه مجال للجدال..

---

١ - سورة النحل : الآية (٧٢).

٢ - سورة الرعد : الآية (١٥).

٣ - سورةالإسراء :الآية (٤٤).

٤ - في (و - ج) إلى ربي.

قوله - عز وجل :

﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

الآيه (١١٧) - سورة البقرة .

البديع: يقال للمُبْدِع والمبدَع جميعاً، والإبداع إيجاد فعل ابتداءً لا احتذاء، ولهذا قيل: فلان بدع في كذا، وجعل البدعة اسماً لكل مخترع لم يؤثر عن أرباب الشرع. والقضاء:إتمام الشئ قولاً أو فعلاً، فمن القول قوله تعالى: **﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾**[1]،**﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾** [2]، ومن الفعل قوله :**﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾**[3] وقضى فلان دينه، وقضى نحبه،وانقضى الأمر، وتقضى بلغ آخره، وذكره تعالى هذه الآية حجة رابعة شرحها أن الأب هو عنصر للابن، منه تكون، والله مبدع الأشياء كلها، فلا يكون عنصراً للولد، فمن المحال أن يكون المنفعل فاعلاً، وخص لفظ الإبداع لكونه أبلغ لفظاً وأبعده عن الاحتمال، وذلك أن أفعال الله تعالى على ثلاثة أوجه: إبداع وهو "اختراع" الشئ لا عن شئ ولا في زمان، ويستعمل ذلك في إيجاده تعالى المبادئ، و"صنع" وهو تركيب صورة مع العنصر، وتستعمل في إيجاده الأجسام، و"تسخير" وهو سوق الشئ إلى غرضه المقصود منه طوعاً أو قهراً، ويستعمل في القوى التي أوجدها في السحاب والأمطار والأغذية والأدوية، وكل هذه الثلاثة يقال له الخلق، وأقدمها الإبداع، ونبه بقوله: **﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾** على حجة خامسة،وهو أن الولد يكون بنشر وتركيب حالاً بعد حال، وهو إذا أراد شيئاً فقد فعل بلا مهلة ولم يرد "بإذا" حقيقةالزمان، إذ كان ذلك إشارةً إلى ما قبل[4] وجود الزمان، ولم يرد أيضاً "بكن" حقيقة اللفظ ولا بالفاء التعقيب الزماني، بل استعير كل ذلك ،لأنه أقرب ما يتراءى لنا به سرعة[5] الفعل وتمامه، وذكر لفظ "القضاء"، إذ هو لإتمام الفعل،والآخر لكونه منطوياً على اللفظ والفعل

---

١ - سورةالإسراء: الآية (٢٣).

٢ - سورة الإسراء : الآية (٤).

٣ - سورة فصلت : الآية (١٢).

٤ - في (و- ج) ما قيل وهو تصحيف.

٥ - في (و- ج) شرعة وهو تصحيف.

والقول، إذ هو أخف موجدٍ منا وأسرعه إيجاداً، ولفظ: "كن" لعموم معناه واختصار [لفظه][1]، ثم قال: "فيكون"، تنبيهاً أنه لا يمتنع عليه شئ يريد إيجاده، وكن فيكون، وإن كان مخرجها مخرج شيئين أحدهما مبني على الآخر، فهو في الحقيقة شئ واحد ونحوه قولنا: فلان إذا أراد شيئاً فقد كان ما أراد، واختلف في تفسير هذه الآية من حيث إن "كن" لفظ أمر، والأمر لا يكون إلا لموجود، فبعض قال: "لفظ الشئ مخصوص" ههنا للموجودين الذين قال لهم: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) وبعض قال: (هو خطاب لمن يجيبهم من الموتى)، وبعض قال: هو أمر للشئ في حال تكونه لا قبله ولا بعده"، وبعض قال: هو أمر لمعلوم له، وذلك في حكم الموجود وإن كان معدوم الذات، وبعض قال: "هو أمر للمعدوم"، قال: ويصح أمراً لمعدوم، كما يصح أمراً لموجود، وبعض قال: "إنه جعل "كن" دلالة للملائكة على ما يتقضيه من الأفعال"، وأكثر هذه الأقوال يتبين وهنه بتصور ما تقدم..

قوله - عز وجل :
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الآية (١١٨)- سورة البقرة .

اليقين أبلغ علم وأوكده، وهو أن يكون عالماً بالشئ، وعالماً بأنك تعلمه غير شاك ولا متهيئ للشك، ولذلك قيل: هو المعلوم الذي زالت عنه المعارضة على مرور الأوقات، وإنما لم يوصف الباري تعالى به من حيث أنه لا يستعمل إلا في العلم المكتسب، ولهذا قال تعالى في صفة إبراهيم- عليه السلام **﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾**[2]، ويعني بالذين لا يعلمون الكافرين على عهد رسول الله ﷺ وقول ابن عباس: "هم اليهود"، وقول مجاهد: "النصارى"، وقول الحسن وقتادة: "هم مشركو العرب كله محتمل، ويصح أن يكونوا جميعاً مرادين، فقد قال الله: **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ﴾**[3] ومشركو

---

١ - ساقطة من (و - ج).
٢ - سورة الأنعام : الآية (٧٥).
٣ - سورة النساء : الآية (١٥٣).

العـرب قالـوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [١]، وعني بالذين قبلهم من سبق من كافري الأمم، فقد قال أصحاب موسى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢]، وأصحاب عيسى قالوا: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[٣]، ثم بين أنهم متشابهون في العمي والجهالة، لاقتراحهم على رسلهم كقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٤]. إن قيل : إنهم وإن أخطأوا في قولهم: (لولا يكلمنا الله) فإنهم لم يخطئوا في سؤال الآية، إذ لا يلزم الإنسان أن يؤمن إلا لمن يأتي بآية تدل على صدقه، قيل: إنما أنكر عليهم جحودهم الآيات التي أتاهم، ولذلك قال (قد بينا الآيات) كما قال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ كما قال: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[٥]، وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فيه معنيان: أحدهما أنهم يطلبون اليقين وليس بهم المعاندة، والثاني: أن من حصل له اليقين بالحق المحض وليس يعتريه شبهة فله في القرآن لا آية بل آيات، كما قال: (هو للذين آمنوا هدى وشفاء)، وقرأ بعضهم: (تشابهت)[٦] بتشديد الشين، كأنه نظر إلى قوله: (تشابه)، فحمل عليه، وذلك خطأ، لأن تشابه أصله تتشابه، فأدغم، وليس في تشابهت ذلك، ومن قال: هلا[٧] أجابهم إلى سؤالهم في أثناء الآية؟: فسؤال جاهل بحكمة الله تعالى، فباقتراح جاهل، وتشهيه لا يجوز للحكيم أن يفعل ما ينافي مقتضى الحكمة، وقد أزاح العلة بغير سؤالهم وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[٨] .

١- سورة الأسراء : الآية (٩٠).

٢ - سورة النساء:الآية (١٥٣).

٣ - سورة المائدة : الآية (١١٤).

٤ - سورة الذاريات :الآية (٥٣).

٥ - سورة العنكبوت: الآيتان (٥٠، ٥١).

٦ - هي قراءة شاذة قرأ بها كل من ابن أبي إسحق، وأبي حيوة معجم القراءات القرآنية -ج:١-ص١٠٧.

٧ - في (و - ج) هذا.

٨ - سورة المؤمنون: الآية (٧١).

قوله - عز وجل :

﴿ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ الآية (١١٩)- سورة البقرة.

الجحيم المناجح من النار يقال نحجت النار، وشبه حمرة عين الأسد به، فقيل لها جحمة. وجاحم الحرب تشبيهاً، فبين تعالى أن عليك البشارة والإنذار، ولا يلزمك عقابهم تسلية له، كقوله : **﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾**[1] وقوله **﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾**[2]، وقوله : **﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾**[3].

وقوله: **﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾**،[4] وقوله: (لا تُسْئَلُ) حال معطوف على قوله (بشيرا ونذيراً)، وقرأ نافع (ولا تُسئلْ)[5] بالجزم، فقيل ذلك تفخيماً لشأنهم، وقيل : نهى عن تتبع ما أغناه الله عنه من أخبار مَنْ مضى، وقد رُوي أنه عليه السلام كان يستغفر لأبيه، فنهاه الله تعالى عن ذلك، لقوله: **﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾**[6]..

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ الآية (١٢٠) - سورة البقرة.

الملة: من أمْلَلْتُ الكِتَابَ، وهي اسمٌ لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى آجِلِ ثوابِهِ، والدين ملة ، لكن المِلَّةَ تُقالُ باعتبار دعاء الله وإنزال كتبه والدين باعتبار طاعة العبادِ لهُ بإجابة دعائه والانقياد لأمره، والشئ الواحد قد يسمى باسمين على اعتبارين، ثم تُقالُ الملةُ والدين لما

---

١ - سورة فاطر : الآية (٨).

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٧٢).

٣ - سورة المائدة : الآية (٩٩).

٤ - سورة الرعد الآية (٤٠).

٥ - قرأ نافع بضم التاء وتسكين اللام.. معجم القراءات القرآنية - ج: ١-ص١٠٧.

٦ - سورة التوبة : الآية (١١٣).

لم يكن من قبلَ الله على التقييد، كقولك: "مِلَّةُ مَزْدَك وغيره"، والهوى: رأيٌ عن شهوة داع إلى الضلال، وسُمِّيَ بذلك لأنه يَهْوِي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهيةٍ، وفي الآخرة إلى الهاوية، ولهذا سميت النارُ هَاوِيَةً، ولشدة سلطانه وصفَهُ الله بأنهُ إلَهُ الكُفَّارِ، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[1]، ومعنى الآية أنَّ مَنْ خَالَفُوكَ لا يَرْضَوْنَ عنك إلاَّ بمُتَابَعَةِ مِلَّتِهِمْ تنبيهاً أنه لا يُرضيهم إلا ما لا يجوزُ وقوعُهُ منكَ، ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ اتِّبَاعَـهُمْ ليسَ بهُدَى، وأن الهدى هو هُدَى الله، أي إرشـادُهُ، كـقـوله ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾[2]، ثم حذره فقال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾، وذلك تحذيرٌ له ولأمته، ولكن خُصَّ بالذكر، لأن أنبياءَ الله، بل أولياءَهُ بأدنى ميلٍ إلى ضالٍ يَكُونُونَ في حُكْمِ تَابِعِيْ هواهم.

وربما بعد ذلك في جرائمهم الكبيرة ويؤاخذون بما لا يؤخذ غيرهم به، وذلك معلوم في التعارف، فإن من حصل له زلفة متناهية من السلطان لا يتجافى عما يقع منه من أدنى مخالفة كالتجافي عن الأجانب، ولهذا قيل: (كبائر الأولياء صغائر العوام)، وقيل: (فاحشة الأولياء التواني في تعهد الأنفاس، وفاحشة العوام فيما فيه المحدود) وإنما قال: أهواءهم بلفظ الجمع تنبيهاً على أن لكلٍ هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد منهم لا يتناهى، ونحو ذلك قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[4]، وقوله للمؤمنين: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾[5]، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[6]، وذلك تحذير من الهوى جملة، وقد تعلق بهذه الآية من يجعل الكفر كله ملة واحدة، لأنه جمع بين اليهود والنصارى، وسمي طريقتهما ملة واحدة...

---

١ – سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٢ – سورة الأعراف : الآية (١٧٨).

٣ – سورة الجاثية : الآية (١٨).

٤ – سورة الأنعام : الآية (٥٦).

٥ – سورة المائدة : الآية (٧٧).

٦ – سورة ص : الآية (٢٦).

قوله - عز وجل :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

الآية (١٢١) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في التلاوة، وأنها تكون بالقراءة تارة، وبتتبع المعنى تارة، وباستعمال مقتضاه تارة، وهو المعنى بقوله: (حق تلاوته)، وعليه دل قول ابن عباس وابن مسعود يتبعونه حق اتباعه، وقول مجاهد: "يعملون به حق [1]عمله"، وقول عمر :"حق تلاوته": إذا ذكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا ذكر النار تعوذ منها"، وذلك عام في كتاب الله تعالى وفي أربابها، فقول قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ وقول ابن زيد: إنهم اليهود والنصارى، وقول غيرهما: هم الذين أسلموا من مشركي العرب كلها داخلٌ فيه، وعموم اللفظ يقتضيه،وقوله "الذين" مبتدأ، و"يتلونه" حال لهم، و"أولئك" خبره، والمعنى: هم الذين يحصل لهم الإيمان به دون الذين ينكرونه، وليس لهم إلا الخسران المبين، ونحو ذلك قوله تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾**[2]، وهذه الآية كالتحقيق لما تقدم من قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾**[3].

---

١ - في (و-ج) "يعلمون به حق علمه".

٢ - سورة الإسراء : الآية (٨٢).

٣ - سورة البقرة : الآية (١١٨).

قوله - عز وجل :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ الآيتان (١٢٢ ، ١٢٣) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في مضمون الآيتين، ويسأل[١] عن فائدة تكريرها، وأنه قال في هذه الآية: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾[٢] وفي الآية المتقدمة قال: **﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾**[٣]، والجواب :أما التكرير فعلى سبيل الإنذار، فالواعظ إذا وُعظ لأمرٍ ما قد يكرر الذي يعظ لأجله تعظيماً لأمره، وأما تغيير النظم، فلما كان قبول العدل وأخذه وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة، لم يكن بين اتفاق هذه العبارات واختلافها فرقٌ في المعنى..

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ الآية (١٢٤) - سورة البقرة.

الابتـــلاء[٤] كالاختبار، لكن الابتلاء طلب إظهار الفعل، والاختبار طلب الخبر، وهما متلازمان، والتام والكامل والوافي والوافر متقاربة، لكن التام يقال للمعدود والممسوح[٥] جميعاً، نحو عدد تام، وليل تام، ورجل تام الخلقة، والكمال أكثر ما يقال في الممسوح والمشبه به، وقوله: **﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾**[٦]، فالمراد كمال الحكم لإكمال العدد، كما قدره بعض الملاحدة، فاعترض عليه بالإزراء،

---

١ - في (أ-ص) ويسئل.

٢ - سورة البقرة - الآية : (١٢٣).

٣ - سورة البقرة : الآية (٤٨).

٤ - في (أ - ص) الابتلاء الاختبار.

٥ - في (أ - ص) للمعد والمسوح.

٦ - سورة البقرة : الآية (١٩٦).

والوافي ما أشرف على الشئ، ومنه وفاء العهد، وأوفى على كذا، أي أشرف عليه، والوافر: مالم ينقص منه شئ، ومنه الوفر، وسقاء أوفر لم ينقص من أديمه شئ، والذرية: الأولاد الصغار والكبار، وقيل هي للصغار، وقيل أصله من الذر، وقال الفراء: أصله من ذريت وذروت، وقال أبو عبيدة: أصله الهمز من ذرأ الله الخلق، فترك همزة على غير قياس، والإمام في الأصل: المؤتم به محقاً كان أو مبطلاً، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[2]، وفي إطلاق الشرع اسم للمقتدي به، المقتدي بالشرع، وهو أعم من النبي والخليفة إذ كل نبي وخليفة: إمام، وليس كل إمام ونبي خليفة، والكلمات قد تقع على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تحتها، فقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[3] أي: قضيته وحكمه[4]، وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾[5] أي: للمعاني التي تبرز بالكلمات ولم يرد اللفظ، فإن ما يحصره اللفظ يحصره الخط، والكلمات التي ابتلى بها مبهمة محتملة، وذكر المفسرون لها وجوهاً يصح أن تكون كلها مراداً، فقيل: هي عشر سنن، همسٌ في الرأس المضمضة، والاستنشاق، والفرق، وقص الشارب، والسواك، وخمسٌ في الجسد تقليم الأظافر، ونتف الأبط، والختان، وحلق العانة، والاستنجاء، وقيل: هي خصال محمودة ذكر بعضها في سورة/ التوبة، وبعضها في سورة / المؤمنون،وبعضها في سورة/ سأل سائل، وقد تقدم ذكرها في قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[6]، وقيل: هي مناسك الحج المذكورة في قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[7]، الآية، وكل ذلك عن ابن عباس، وقيل: هو ابتلاؤه بالكوكب وبالقمر والشمس، وقيل: امتحانه بإنفاق ماله، وهجر أوطانه، وذبح ولده، وإلقائه في النار فلما لم يؤثر على اختبار الله في شئ من ذلك قال فيه: (فأتمهن)

١- سورة الإسراء : الآية (٧١).
٢ - سورة القصص : الآية (٤١).
٣ - سورة الأنعام : الآية (١١٥).
٤ - في (أ - ص) أي قضية وحكمة.
٥ - سورة الكهف : الآية (١٠٩).
٦ - سورة البقرة : الآية (٣٧).
٧ - سورة الحج : الآية (٢٦).

وإتمامه: هو الوفاء بها المذكور في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾[١]، وسماه حنيفاً مسلماً، وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وجعل إمامته للناس كافة على التأبيد، فإنه لم يُبعث بعده نبي إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[٣] حتى قال للنبي (محمد)[٤] عليه السلام: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٥]: وقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[٦]، وأمر - عليه السلام- بذكر إبراهيم في الصلاة، فقال: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم"، ولم يرد بالإمامة ههنا النبوة كما ظنه بعض المفسرين، فإنه- عليه السلام- إمام للناس على العموم في كل زمان على الإطلاق وليس بنبي لهم على [العموم][٧]بالإطلاق، ولما قيل له ذلك قال: (ومن ذريتي)، فأجيب إلى[٨] ملتمسه بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لكنه تعالى بيَّن أنه قد يكون من ذريته ظالم، وبين أن الإمام يتحمل للعهد، والظالم لا عهد له، فإذاً لا إمامة له، ولهذا ما روي في الخبر أن الله تعالى يقول يوم القيامة لوالي السوء: (ياداعي السوء، أكلت اللحم، وشربت اللبن، ولبست الصوف، ولم تؤو[٩] الكسير[١٠] ولم ترعها في مرعاها)، واستدل بالآية بعض الناس، فزعم أن الظالم إذا عوهد لم يلزم الوفاء بعهده، وقال الحسن: "إنما لم يجعل الله لهم عهداً"..

---

١ – سورة النجم : الآية (٣٧).
٢ – سورة الحديد : الآية (٢٦).
٣ – سورة الزخرف : الآية (٢٨).
٤ – ساقطة من (أ – ص).
٥ – سورة النحل : الآية (١٢٣).
٦ – سورة الحج : الآية (٧٨).
٧ – ساقطة من (و – ج).
٨ – في (و – ج) العموم.
٩ – في (أ – ص) ولم تؤدي، وهو خطأ من الناسخ.
١٠– في (و – ج) الكسر.

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الآية (١٢٥) - سورة البقرة.

البيت: يسمى اعتباراً بالمبيت فيه، ومنه قيل: بيتهم وبات يبوت بات ليلته[١] في إنائه، ثم ترك اعتبار المبيت، وروعي صورته، وبه شبه بيت الشعر اعتباراً بأنه مبني من أوتاد وأسباب بناء بيت الشعر والوبر من نحوها، وبيت الله: سمي لوجود صورة البيت فيه، والمثابة إما لثؤوب الناس إليه، وإما لاستحقاقهم الثواب بقصده.

إن قيل: كيف جُعل مثاباً وعامة قصاده لا يثوبون إليه قبل ذلك باعتبار جنس الناس لابآحادهم، واعتبر بعض الناس ما سألته، واستدل بالآية في وجوب العمرة، فقال: لا يكون مثابة لأحاد قصاده إلا على هذا الوجه، ومقام إبراهيم الحرم عن ابن عباس، والمزدلفة عن عطاء، والحجر عن السدى، والأولى أنه الحرم كله، فما من موضع ذكروه إلا وهومصلى أي مدعى، أو موضع صلاة، والطوف المشي حول الشئ، ومنه : الطائف يدور حول البيت حافظاً، وطائف من الجن والخيال، وجعل الطوافون عباده عز الحرم، والعكوف: الإقامة مع اللزوم بيَّن تعالى أنه جعل البيت من حيث الحكم مثابةً للناس وأمناً ومصلى، ولم يعن أنهم ملجؤون إلى أن لا يخيفوا أحداً، كما لم يعن أنهم ملجؤون إلى أن يجعلوه مصلى ومثابة..

إن قيل: فقد قال: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[٢]، قيل: هو أيضاً على معنى الأول، ولو عنى ما قلت لقال: وإن من دخله كان آمنا) قيل: هو أيضاً علي معنى الأول، ولوعنى ما قلت لقال: وإن من دخله حتى كان يتعلق بالأول، وعلى ذلك حكم قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٣] على أن حكم الله في ذلك مما فيه آية منه لأنه حض[٤] الناس على

١ - في (أ - ص) ليلة.

٢ - سورة آل عمران : الآية (٩٧).

٣ - سورة العنكبوت : الآية (٦٧).

٤ - في (و - ج) قيض.

استعظام البيت حتى لا يجسر عامتهم على تعظيم حرمته، ومن ضيقها كان ممقوتاً في متوجهاته غير منفك من عقوبة اما متجلية للمناظر أو ظاهرةٌ لأولي البصائر، وقرئ: "واتخذوا" على الأمر، وروي فيه أن النبي ﷺ قال لعمر لما انتهى إلى المقام: "هذا مقام أبينا إبراهيم، [فقال : ألا نتخذه مصلى؟][1] " فأنزل الله- عز وجل- (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، فعلى هذا أمرٌ فُصل به بين الجملتين من الخبر المعطوفة، والمعطوف عليها، (وعهدنا إلى) أي أمرناهما أمراً موثقاً عليهما بأن يطهرا البيت من الأنجاس والشرك وكل ما ينافي موضع الطهارة، للطائفين: أي القصاد، وقيل لأولي الطواف، وكلاهما مراد، والركع السجود: المصلين، وقيل: قد دخل في الأمر بتطهيره أن بنيانه على تقوى كما قال: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾[2] الآية .

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الآية (١٢٦) - سورة البقرة.

البلد: الأثر الباقي، وسمي المدينة، وكركرة[3] البعير. والمفازة: بلداً للآثار الظاهرة بها، وقيل للآثار في الجلد أبلاد، والبليد: المقيم على بلده أي مكانه، ثم جعل عبارةً عمن لا نفاذ له في الأمر حتى صار أملك له، والمصير: المنتهى إليه في الأمر، ومنه المصير: لمنتهى الطعام، وصير البقرة مأواها، كالزريبة للغنم، وصير الباب: حيث مصيره، وإنما قيل: شق الباب اعتباراً بصورته لا بحقيقة مقتضى اللفظ، والاضطرار: حمل الإنسان على [ما يضره وهو في التعارف][4] حمل على الأمر بكره وذلك على وجهين: أحدهما بسبب خارجٍ، وهو إما أن يضرب أو يهدد بالضرب حتى يفعله منقاداً، وإما أن يؤخذ بيده فيفعل ذلك به، والثاني بسببٍ من داخل، وذلك إما بقهر قوة له لا يناله بدفعها الهلاك، كمن غلب

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة التوبة : الآية (١٠٩).

٣ - في (أ - ص) وكريرة، وهو خطأ من الناسخ.

٤ - ساقطة من (أ - ص).

عليه شهوة خمر أو قمار، وإما بقهر قوة يناله بدفعها الهلاك، كمن اشتد به الجوع، فاضطر إلى أكل الميتة أو تناول مال الغير، ولما بنى إبراهيم عليه السلام البيت في فقر، ومن شرط المدن أن يتحرى في بنائها موضع يمكن أن يجري فيه نهرٌ أو يشق فيه قناة، ويتخذ فيه مزرعة تفي بمطاعم قطانها، وعلم أن لا قوام لهم إلا بأن تجنى إليهم الثمرات، ولا يمكن جني الثمرات إليهم إلا بأمنه، سأل الله عـز وجل- أن يجعله بلداً آمناً بسياسة إلاهية، وأن يرزق أهله بتسخير الناس لجبي الثمرات إليه، ولما سأله لهم الرزق، وكان قد سمع في جواب سؤاله الإمامة لذريته ما سمع تدارك سؤاله فقيده وقال: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، فقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ تنبيهاً أن رحمته في الدنيا وسعت كل شيء، وأن نعمه فيها متاحة [1] للكل ليجعلوها ذريعةً إلى إدراك ثوابه، ثم من كفر وضيع النعم فمسوقٌ إلى عذابه.

إن قيل: إن قوله (فأمتعه) يقتضي كثرة ثبات الفعل، وقوله (قليلاً) ينافيه، فكيف جمع بينهما؟ قيل: ذلك على وجهين، فإن نعمته في الدنيا وإن كانت كثيرةً بإضافة بعضها إلى بعض، فقليلة بإضافتها إلى نعمة الآخرة، وعلى هذا قال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[2]، كيف لا يقل ما يتناهى بالإضافه إلى مالا يتناهى؟ وانتصاب "قليل" إما لكونه وصفاً لمصدرٍ محذوفٍ، أو لكونه ظرفاً، وتكون في العبارة به عن الزمان ، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[3].

---

١ - في (أ - ص) مباحة.

٢ - سورة النساء : الآية (٧٧).

٣ - سورة المؤمنون : الآية (٤٠).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

الآية (١٢٧) سورة البقرة.

الرفع والوضع يتقابلان، ويقال في الأجسام وفي الشرف والذلة على التشبيه، وكذلك يقال في الإعراب على التشبيه، والقعود المقابل للقيام، ثم جعل للثبات، فقيل لأساس البيت قواعد عن طلب الشرف، والقعيدة كناية عن الزوجة اعتباراً بقعودها في المنزل، والقعدة للفرس المقتعد في أكثر الأحوال، والقعود من البعير المدرك اقتعاده، وقيل إن إبراهيم عليه السلام- كان يبني وإسماعيل يرفع إليه الأحجار ويناوله، وذلك لا يمنع[1] من أن يكون الفعل منسوباً إليهما وقول من قال: يجب إن يكون إبراهيم يتولى بناءه مرة، وإسماعيل مرة حتى يصح نسبة الفعل إليهما فبعيد التصور لسعة مجال الألفاظ وما اختلف فيه أنه هل كان للبيت بناء قبل إبراهيم -عليه السلام-، فأعاده، أو هو الذي أنشأه واحدثه، فليس مما يفتقر معنى الآية إليه، وقيل ليس يعنى برفعهما قواعد البناء فقط، بل تحريهما تشريفه بدعاء الناس إليه، ودعاء الله بحفظه، وصح نسبة ذلك إليهما وإن كان الله تعالى في الحقيقة شرفه من حيث أنهما من الأسباب المتأخرة لتشريفه.

---

١ - في (أ - ص) يمتنع.

قوله - عز وجل :

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية (١٢٨) - سورة البقرة.

النسك: غاية العبادة، والناسك الأخذ نفسه ببلوغ قاصيتها حسب طاقته، وسمي أعمال الحج المناسك، ثم خص الذبيحة بالنسك وتعورف فيه حتى قيل نسك فلان أي ذبح، وقيل للذبيحة نسيكة ولم يعن بالمسلم هـهنا من حقن دمه بالشهادتين، كما ظن بعضهم وقال: هذا دعاء بما علم كونه لهما لا محالة، وإنما عنى من ليس في قلبه تعظيم الله معه، وهو المعنى بالمضروب له المثل في قوله: **﴿وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾**[١]، وبقوله: **﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[٢]، وقوله: **﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾**[٣] وهذه قاصية الإيمان، ونبه تعالى بالآية أن من حق الإنسان أن يكون مع تحري الحق لا ينفك من التضرع إلى الله -عز وجل- بإرشاده وتوفيقه، ومن طلب أن يتوب عليه من ذنب عسى إن كان منه وهو غافل عنه، فإن قيل: ولم قيد؟ فقال: (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ولم يعمم؟ قيل: إن هذه منزلة شريفة لا يكاد يتخصص بها إلا الواحد فالواحد في برهة بعد برهة، وعلم أن الحكمة الإلاهية لا تقتضي ذلك، فإنه لو جعل الناس كلهم كذلك لما تمشى أمر العالم إذ كان العالم يفتقر إلى كون أفاضل فيها وأوساط وأراذل لتولي عمارته والقيام بتمشية أموره، فقد قيل: عمارة الدنيا بثلاثة أشياء، أحدها الزراعة والغرس، والثاني: في الحماية والحرب، والثالث جلب الأشياء من مصر إلى مصر، وأنبياء الله لا يصلحون لذلك إذ كانوا بغرض آخر أشرف من ذلك ولهذا قيل: "لولا الحمقى لخربت الدنيا"، وإنما عُني بالحمقى المعنيون بأمر الدنيا بإضافته إلى المعنيين بأمر الآخرة، ولذلك قال: **﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾**[٤].

١- سورة الزمر : الآية (٢٩) ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب.

٢- سورة الشعراء : الآية (٨٩).

٣- سورة يوسف : الآية (١٠١).

٤- سورة هود : الآية (٦١).

قوله - عز وجل :

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية (١٢٩) - سورة البقرة.

العزيز : الذي يقهر ولا يُقهر، وتعزز فلان بفلان، والعزاز من الأرض ما فيه صلابة بإزاء الذلول، وعـز الشئ [١] إذا قل اعتباراً بأن كل موجود مملوك، وكل مفقود مطلوب، والحكمة حُدت بحدود على اعتبارات مختلفة، إما اعتباراً بمبدأها، فقد قيل: هي معرفة حقائق الأشياء، وقيل : معرفة الأشياء الإنسية والأشياء الإلهية، وهذا هو كالأول، إلا إنه أبين، وإما اعتباراً بمنتهاها، فقد قيل: هي إماتة الشهود وقلة الاكترات بالموت المحمود، وقيل: الترشح بالعلم والعمل لإدراك ثواب الله -عز وجل-، فأما الرسول -الذي طلبه إبراهيم- عليه السلام، فقد روي عن نبينا ﷺ أنه قال: **«أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم»**[٢] يعني بالأول: قوله: **﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾**، وبالآخر: قوله: **﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾**[٣].

إن قيل: كيف قال: يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة وليس الكتاب إلا الآيات، وما وجه هذا الترتيب؟

قيل:أما الآيات فهي الآيات الدالة على معجزة النبي ﷺ وذكر التلاوة لما كان أعظم دلالة نبوته متعلقاً بالقرآن، وأما الترتيب فلأن أول منزلة النبي ﷺ بعد ادعاء النبوة الإتيان بالآيات الدالة على نبوته، ثم بعده تعليمهم الكتاب، أي تعريفهم حقائقه لا ألفاظه فقط، ثم بتعليمهم الكتاب يوصلهم إلى

---

١ - في (و - ج) وعن الشئ، وهو تصحيف.

٢ - الحديث أخرجه ابن كثير من طريق محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام» ، وهذا إسناد جيد وروي له شواهد من وجوه أخرى ، فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن ساريه قال : قال رسول الله ﷺ « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل فى طينته وسانبئكم بأول ذلك . دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات النبيين يرين» ورواه الإمام أحمد أيضاً من طرق مختلفة ، أوردها إبن كثير فى تفسيره ج: ٤ ص ٣٦٠ .

٣ - سورة الصف الآية : (٦).

إفادة المحكمة وهي أشرف منزلة العلم، ولهذا قال: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، ثم بالتدرج في الحكمة يصير الإنسان مزكى، أي مطهراً مستصلحاً لمجاورة الله -عز وجل-.

قوله - عز وجل :

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الآية (١٣٠) - سورة البقرة.

الرغبة: سعة الإرادة، ومنه بطل رغيب أي نَهم، والرغيب الشئ المرغوب فيه، ومتى عدى بعن اقتضى صرف الإرادة عن ذلك الشئ، وذلك بالتزهد فيه، والاصطفاء تناول صفوة الشئ، كما أن الاختيار تناول خيره، والاجتباء تناول جانبه أي وسطه، وهو المختار، و(سفه نفسه) قيل: تقديره سفه، نفسه، وقيل: أصله سفه نفسه، فصرف الفعل عنه، نحو: بطر معيشته، وسفه نفسه أبلغ من جهلها، وذاك أن الجهل ضربان جهل بسيط، وهو أن لا يكون للإنسان اعتقاد في الشئ وجهل مركب، وهو أن يعتقد في الحق أنه باطل، وفي الباطل أنه حق، والسفه أن يعتقد ذلك، ويتحرى بالفعل مقتضاها ما اعتقده، فبين تعالى أن من رغب عن ملة إبراهيم، فإن ذلك لسفهه نفسه، وذلك أعظم مذمة، فهو مبدأ لكل نقيصه، وذاك أن مَن جهل نفسه جهل أنه مصنوع، وإذا جهل كونه مصنوعاً جهل صانعه، وإذا لم يعلم أن له صانعاً، فكيف يعرف أمره ونهيه، وما حسنه وقبحه، ولكون معرفتها ذريعة إلى معرفة الخالق -جل ثناؤه- قال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[3] فإن قيل: كيف وصفه بالاصطفاء في الدنيا وبالصلاح في الآخرة، والنظر يتقضي عكس ذلك، فإن الصلاح وصف يرجع إلى الفعل، وذلك يكون في الدنيا، والاصطفاء حال يستحقه العبد بكونه صالحاً، فحقه أن يكون في الآخرة؟ قيل الاصطفاء ضربان، أحدهما كما قلت، والآخر في الدنيا، وهو اختصاص الله بعض العبيد بولايته ونبوته لخصوصيته فيه وهو المعنى بقوله

١- سورة البقرة : الآية (٢٦٩).

٢- سورة الذاريات : الآية (٢١).

٣- سورة الحشر : الآية (١٩).

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾[١]، والصلاح وإن اعتبر بأحوال الدنيا، فمجازى به في الآخرة، فبين تعالى أنه مجتبى في الدنيا لما عرف الله من حكمته فيه، ومحكوم له في الآخرة بصلاحه في الدنيا تنبيهاً أن الثواب في الآخرة لم يستحقه باصطفائه في الدنيا، وإنما استحق لصلاحه فيها، ويجوز أن يكون قوله "**في الآخرة**" أى في أفعال الآخرة لمن الصالحين، ويجوز إن عنى بقوله "**في الدنيا**" حال بقائه، و"**في الآخرة**" حال وفاته، ويكون الإشارة بصلاحه إلى الثناء الحسن عليه الذي رغب إلى الله تعالى فيه بقوله: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[٢]، ويجوز أنه لما كان الناس ثلاثة أضرب: ظالم، ومقتصد، وسابق عُبر عن السابق بالصالح، فكل سابق إلى طاعة الله ورحمته صالح، وفي الجملة، فإن الصالح هو الخارج عن حد الرذيلة، وليس في الدنيا على الإطلاق بكل نظر صالح، بل عامة ما فيه يمكن أن يوصف بفاسد إما في حالةٍ ما أو بنظرٍ ما، فإذن الصلاح المطلق في الآخرة، فلهذا خصه بها..

قوله - عز وجل :

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية(١٣١)سورة البقرة.

لما سأل الله تعالى بقوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[٣]، أجابه بقوله تعالى: "**أسلم**" أي أخلص سرك فإنه موضع الاطلاع، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله : «**أخلص يكفك القليل من العمل**»[٤]، وبقوله: «**الأعمال بالنيات**»،[٥] وقوله تعالى :﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٦]، وقيل معنى "**أسلم**" استأسر لي كقولك للأسير: استسلم، وقيل: معناه: اجعل نفسك مسلمة عن أسر الشيطان، حيث قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٧]، وهذان القولان واحد في

١- سورة النحل : الآية (١٢١).

٢- سورة الشعراء: الآية (٨٤).

٣- سورة البقرة : الآية (١٢٨).

٤- الحديث عن معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله ﷺ ، حين بعثه إلى اليمن : أوصني قال : «أخلص دينك يكفك العمل القليل». أخرجه الحاكم في الرقاق ج:٤ - ص ٣٠٦ ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يوافقه الذهبي ، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ، ج:١ - ص ٢٤٤ ، وقال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ ، وإسناده منقطع ، تخريج أحاديث الإحياء ج:٦ - ص ٢٤٠٦ .

٥- الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في بدء الوحي ج:١ - ص ٧ ، وأخرجه مسلم في الإمارة حديث رقم «١٩٠٧».

٦- سورة البينة : الآية (٥).

٧- سورة ص : الآيتان : (٨٢ ، ٨٣).

الحقيقة، فإن من أسره الرحمن فاستأسر له فهو الحر المطلق عن عبادة غيره، وقد قيل: «لن تكون عبداً لله حقاً حتى لا تكون لما دونه مسترقاً»، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[1]، وروي أن [إبراهيم عليه السلام][2] لما طلب الخلة من الله أوحى إليه فقال: (من طلبني أبليته)، فقال: إذا نلتُ الخلة لم أبال بالبلية، فلما أتى عليه حوْل قال: (من أحبني قتلته)، فقال: «إذا انتهيت في الخلة لم أبال بقتل الدنيا»، وقوله: "أسلمت" مبني في المعنى على الأول وكأنه موعد منه أنه متأهب لما يراد منه، وقد حثنا الله تعالى علي الاقتداء به في الاستسلام له والاستفادة منه الشرف الكبير جزاء بذلك.

قوله - عز وجل :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

الآية (١٣٢) - سورة البقرة.

الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ واشتقاقه من وصاه أي وصله، ومضاده قصاه أي فصله، وقوله: [بها][3] أي بالملة، وقيل بالكلمة التي دل عليها قوله: "**أسلمت**"، وكلاهما غير منفك من الآخر، إذ كانت هذه الكلمة من جملة الملة، والملة مقتضية لهذه الكلمة، فبين تعالى أن إبراهيم وصى بنيه، ووصى يعقوب بنيه أيضاً بها كما أوصى إبراهيم، وقال: (إن الله اصطفى لكم الدين) أي دين إبراهيم، فحذف القول لتضمن الوصية لذلك، وحث على الإسلام، أي أسلموا قبل أن تموتوا، وليس ذلك نهياً عن الموت، وإنما هو حث على الإسلام المتقدم ذكره فهو الذي يفيد الحياة الأبدية المذكورة في قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[4].

---

١ - سورة الكهف الآية (١١٠).

٢ - ساقطة من (و - ج).　　٣- ساقطة من (م-ص)

٤ - سورة آل عمران : الآية (١٦٩).

قوله - عز وجل :

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الآية (١٣٣) - سورة البقرة.

الشهود: حضور بالذات أو بالعناية أو بالمقال، وأحضر الفرس [أصله][1] صار ذا حضور. والفرق بين الإحضار والعدْو أن الإحضار يقال اعتباراً بالمنتهى، والعدو اعتباراً بالمبدأ المتجاوز لأنه من عداه إذا تجاوزه، وجعل الحضارة بإزاء البداوة في التعارف، والمحتضر لمن حضره الأجل، ولما ذكر إبراهيم وأن دينه الإسلام، وأن يعقوب اقتدى به، ودعا نبيه إليه، وقادَهم على ذلك وأخذ اعترافهم بين أن مع وصيته لأولاده كان على جملة اعترافه معهم ولم يعن بقوله: (ما تعبدون من بعدي) العبادة المشروعة فقط، وإنما عنى جميع الأعمال، وكأنه دعاهم أن لا يتحروا في أعمالهم غير وجه الله -- عز وجل- ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الأصنام، وإنما خاف أن تشغلهم دنياهم، ولهذا قيل: "ما قطعك عن الله فهو طاغوت"، ولهذا قال: **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾**[2]، أي نخدم ما دون الله، وهذا المعنى تحراه الشاعر بالعبادة:

فَتًى مَلَّكَ اللَّذَّاتِ أَنْ تَعْتَبِدَنَّهُ   وَمَا كُلُّ ذِي مِلْكٍ لَهُنَّ بِمَالِكِ .[3]

فإن قيل: لما قال: (نعبد إلاهك وإله آبائك)وتكرير اللفظ يقتضي دارين، فالجواب عن ذلك من وجهين، أحدهما من حيث اللفظ، وهو أن المضاف إلى المضمر متى عطف على المضاف إليه لابد من إعادة المضمر إذ كان المضمر المحرور لا يصح العطف عليه، والثاني من حيث المعنى، وهو أن المعبود لما لم يكن سبيل إلى الوصول إليه إلا بالنظر، فكان لكل واحد نظر، بينوا أن معبودنا هو الواحد الذي أثبته، وأثبته آباؤك، ثم بين بقوله: (ونحن له) أنه واحد، وقد استدل بالآية من منع من مقاسمة الجد

---

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - سورة إبراهيم : الآية (٣٥).

٣ - البيت لأبي العتاهية ذكره محمد بن أيدمر بدون نسبة في مخطوط كتاب الدّر الفريد وبيت القصيد ج:٤ - ص ١٧٢ ونصه :

فتى تَرَكَ اللذات أنْ يَعْتَبِدَنَّهُ   ومَا كُلُّ ذِي لُبٍّ لَهنَّ بتارك

بالأخوة، وأسقط الأخوة مع الجد كما يسقطون مع الأب، واستدل بها أيضاً في أن العم يجري مجرى الأب في الولاية على مال الصغيرة وتزويجها، وفي الجملة أن تسميتها بالأب ليس بمنكر، بل قد يسمى [كل][1] كبير من الأجانب أباً على أن الأعمام والأجداد إذا كانوا مع الأب فتسميتهم بالآباء أقرب، كتسمية الشمس مع القمر قمرين، وتسمية آل المهلب معه مهالبة..

قوله - عز وجل :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

الآية (١٣٤) سورة البقرة.

الأمة في الأصل المقصود كالعمدة والعدة في كونهما معموداً ومعداً، وسمي الجماعة أمة من حيث تأمها الفرق، وقيل للجبن أمة لكونه متضمنا لأمة ما وسمى الدين أمة لكون الجماعة عليه، وقوله: **﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾**[2] أي جمع في نفسه من الفضيلة ما لا يجتمع إلا في أمة، وبهذا المعنى ألم الشاعر في قوله:

وَلَيسَ على اللهِ بِمُستَنكرٍ أنْ يُجْمَعَ العَالَمُ في وَاحِدِ[3]

والكسب: اجتلاب النفع بالعمل، وإذا قيل في المضرة، فعلى طريق التشبيه، ولما بين الحجة عليهم وإنهم لم يخالفوا في الاقتداء بإبراهيم بين من بعد أن أعمالهم وأعمالكم متباينة لأيثاب ولا يعاقب أحد بما كان من الآخر كقوله: **﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾**[4]، وليس معنى بقوله: **﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** السؤال المجرد، فقد أخبر أنه يقول لعيسى بن مريم **﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾**[5]، إنما يعني المؤاخذة بها.

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة النحل : الآية (١٢٠).

٣ - هذا البيت لأبي نواس وقاله يمدح الفضل بن الربيع مخاطباً الخليفة فقال:

أنت على بابك من قدرة فلست مثل الفضل بالواحد
أوحده الله فما مثله لطالب رفد ولا ناشد

ديوان أبي نواس ج:١ - ص ٣٤٩ ، دلائل الإعجاز - ص ١٥٢ - مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد ج:٥ - ص ٣٠٦ - البحر المحيط ج:٥ - ص ٥٤٧ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج:٧ - ص ٣٠١ .

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٦٤)، سورة الإسراء: الآية (١٥)، وسورة فاطر : الآية (١٨)، سورة الزمر : الآية (٧).

٥ - سورة المائدة : الآية (١١٦).

قوله - عز وجل :

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

الآية (١٣٥) - سورة البقرة.

يعني أن اليهود قالوا: كونوا يهوداً تهتدوا، وقال النصارى مثل ذلك، فأنزل الله تعالى على نبيه: **﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾** أي تتبع ملته المجمع على كونها هدى، وبين بقوله: **﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾** أن كلتى الطائفتين قد أشركت، وأن إبراهيم كان حنيفاً، وكان يقال في الجاهلية ولمن كان على دين إبراهيم حنيفاً عليهم عن طريقتهم إلى طريقة غيرها، ثم سُمّي من اختتن أو حج البيت [حنيفاً][(1)] لمن كان ذلك من سنته.

قوله - عز وجل :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

الآية (١٣٦) - سورة البقرة.

السبط ولد الولد، وأصله من سبط أي امتد، كأنه امتداد للفروع، ومنه سبط الكفين، والساباط البناء الممتد بين الدارين، والسُباطة ما مُدَّ من الكناسة، وما امتدمن الشعر، وسباط الحمى اعتباراً بتمدد المحموم وتمطيه.، إن قيل: كيف ابتدأ بما أنزل إلينا مع كونه متأخراً عن كل ما أنزل الله، وقال: **﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾** ولم ينزل إلى إسماعيل وإسحق كتاب، ولم قال: **﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾** فخصهما بالإيتاء دون الإنزال، وذكر النبيين، وقد تقدم ذكر بعضهم. قيل: أما الابتداء بما أنزل إلينا، فلأنه أول بالإضافة إلينا، فالناس بعد مجيء محمد ﷺ، مدعوون إلى الإيمان بما أنزل عليه أولاً جملة وتفصيلاً، ولا يجب الإيمان بما أنزل من قبل إلا على سبيل الجملة دون التفصيل، وأما المنزل إلى إسماعيل ومن ذكر معه، فهو المنزل على إبراهيم، إذ هم داخلون تحت

١- ساقطة من (أ-ص).

شريعته، وذلك كقولك: ما أنزل على محمد، ﷺ والمسلمين، وأما قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ فهو على الاستئناف، وقوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ معطوف عليه، وقوله: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ خبره، فكأنه لما اختلف فيما أنزل عليهما، وادعى بعض أتباعهما عليهما مالم ينزل إليهما بين تعالى أن ما أوتيا أي ماخُصابه لا ما ادعى عليهما، وما أوتي النبيون جملة المذكورين وغير المذكورين من ربهم، أي منزل من ربهم، ثم قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾، أي لا يكون بمنزلة اليهود الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض..

إن قيل: لم قال: بين أحد منهم، ولفظ أحد وإن كان قد يعمم به في النفي فهو متناول للواحد، ولو قال بينهم لكان أوجز؟ قيل: لما كان القصد إلى أن نبين أن لا نفرق بين واحد واحد ذكر لفظ أحد فكأنه قال: لا نفرق بين أحد وجماعتهم، أي لا يخرج واحدٌ من حكمهم، فكان لفظ أحد أدل على المعنى المقصود، ثم بين بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ إنا مسلمون له إسلام إبراهيم عليه السلام..

قوله - عز وجل :

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الآية (١٣٧) - سورة البقرة.

الشقاق المنازعة، يقال: شق العصا، أي فارق الجمع، وشاق القوم صار كل نفر في شق، وشاقوا الله أي صاروا في شق غير شق أوليائه، وعلى ذلك: ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾[١] أي صاروا في حد غير حده..

إن قيل: كيف قال: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) ولم يقل: بما آمنتم أو (مثل ما آمنتم)، وذلك يقتضي إثبات مثل الله - عز وجل-، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا تقولوا: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به] [٢] [ويكن قولوا فإن آمنوا بالذي أمنتم به][٣]وإن لم يكن هذا السؤال لازماً فما كان [وجه][٤] الإنكار منه؟ قيل إن الباء ههنا ليس للتعدية كما هو في قولك (مررت بزيد)، و(آمنت بالله) وإنما هو للإله، ومعناه أن تحروا الإيمان بالسبيل الذي تحريتم به، والإشارة بقوله: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ إلى السبيل المذكور[٥] في قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾[٦]، وسبيل الله المتوصل به إليه ثلاث منازل

١- سورة المجادلة : الآيتان (٥ ، ٢٠).
٢- هذه العبارة سقطت من الناسخ في (و-ج).
٣- هذه العبارة سقطت من الناسخ في (أ -ص).
٤- ساقطة من (و-ج).
٥ - في (أ - ص) المذكورة.
٦ - سورة يوسف : الآية (١٠٨).

على القول المجمل مرتب بعضها على بعض الأول: معرفة الأحكام الظاهرة والعمل بها، والثاني: معرفة علم الزهاد من عيوب النفس وقمع الشهوات وأخذ النفس به، والثالث: علم المعاملات، وهي معرفة الخواطر ومراعاتها، وذلك السبيل إليه، ولا سبيل إلى تحصيل الإيمان الحقيقي الذي وصف به المؤمنين في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[١] إلا بها، وهذه المنازل الثلاث **هي المعنية بقوله -عليه السلام- «سائل العلماء، وخالط الحكماء، وجالس الكبراء»**[٢]، فبين تعالى أن من أمَّن سالكاً هذا السبيل، فقد اهتدى، ومن جنح فقد شاق، ثم قال ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تسكيناً للمؤمنين وأمناً من معرفتهم..

قوله - عز وجل :

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ الآية (١٣٨) - سورة البقرة.

الصبغة إشارة من الله -عز وجل- إلى ما أوجده فينا[٣] من بداية العقول التي ميزنا بها من البهائم، رشحنا به لمعرفته ومعرفة حسن العدالة وطلب الحق، وهو المشار إليه بالفطرة في قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[٤] الآية..

والمعنى بقوله -عليه السلام- «**كل مولود يولد على الفطرة**»[٥] الخبر، وتسمية ذلك بالصبغة من حيث أن قوى الإنسان التي ركب عليها إذا اعتبرت بداية يجري مجرى الصبغة التي هي زينة للمصبوغ، ولما كانت اليهود والنصارى إذالقنوا أولادهم اليهودية والنصرانية يقولون قد صبغناه بين تعالى أن الإيمان بمثل ما آمنتم به هو صبغة الله وفطرته التي ركزها في الخلق، ولا أحد أحسن

---

١ - سورة الأنفال : الآية (٢).

٢ - الحديث أورده أحمد ضياء الدين فى كتابه راموز الأحاديث من رواية الحكيم عن أبي جحيفة ونصه: (سائل العلماء، وخالل الحكماء، وجالس الكبراء) راموز الأحاديث - ص٢٩٥.

٣ - في (أ - ص) في الناس.

٤ - سورة الروم : الآية (٣٠).

٥ - رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب القدر - حديث رقم «٢٦٥٨» وأخرجه البخاري في صحيحه ج:٢ - ص ١٢٥ ، وأورده أبو داود فى سننه ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج:٦ - ص٢٩٨ ، ج:٥ - ص ١٥٥ وقال العراقي ، متفق عليه من حديث أبي هريرة تخريج أحاديث العراقي ص ١٥٤٠ ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن أبي هريرة. ج:٢ - ص ٢٣٣ ، وبلفظ مقارب له في كل من ص ٢٧٥ ، ص ٢٨٢ ، ص ٣٩٣ ، ص ٤١٠ ، ص ٤٨١ ، ج:٣ ص ٣٥٣ وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ - كتاب الجنائز - ج:١ - ص ٢٤١ .

صبغة منه، وقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ تعريض بهم أي لا نشرك [به][1] كشرككم، وقول الحسن وقتادة ومجاهد أن الصبغة هي الدين، وقول غيرهم إنها الشريعة، وقول من قال هو الختان إشارة إلى مغزى واحد، وقد قيل: صبغة الله على مراتب أولها ما ركب فينا من الهداية وهي الفطرة والثانية: الهداية بالتوفيق، والثالثة: الهداية ببعثة الرسل، والرابعة: الهداية في الترقي توليه إلى الدرجة العليا والسعادة القصوى..

قوله - عز وجل :

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾

الآية (١٣٩) - سورة البقرة.

المحاجة: المقاومة في إظهار الحجة المبينة للحجة أي المقصد وقد ألزمهم بهذه الآية الحجة المذكورة في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾[2]، ولما كانت الشرائع مبنية بالقول المجمل على ثلاثة أشياء.. الإقرار بالباري -عز وجل-، والعمل له والإخلاص في ذلك قال.. قل لهم إنا قد تشاركنا في الإقرار بالله -عز وجل- وفي العمل له ونحن قد حصل لنا الإخلاص [في ذلك][3] من دونكم، فإن قيل: ومن أين؟

إن الإخلاص حصل للمسلمين دونهم، وهل هذا إلا مجرد الدعوى قيل قد أحالهم على التأمل، وذلك ظاهر بالاستقراء والتدبر، فإن الأصول الاعتقادية هي ما ذكر الله -عز وجل-، [في قوله] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[4] وإذا تأمل حالة الإقرار بالله تعالى[5] فقد أخلص المسلمون فيما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، وما ادعوه على جبريل أنه عدو لهم وما ادعاه اليهود على إبراهيم، حيث زعموا أنه لم يكن نبياً، وإنما كان رجلاً صالحاً، ونسبوا إليه لوطاً من الفجور ببنيه في حال سكره، وادعى النصارى في نبوة عيسى - عليه السلام- وإنكارهم بعض ما في التوراه والإنجيل، وما ذكروه من البعث حيث قالوا ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[6]، وادعت النصارى أنه لا بعث، وإنما ينال الثواب والعقاب الأرواح، فإذن قول المسلمين (ونحن له مخلصون) ظاهر...

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة الفتح الآية : (٢٦).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة النساء : الآية (١٣٦).

٥ - سقطت من الناسخ في (أ - ص).

٦ - سورة البقرة : الآية (٨٠).

قوله - عز وجل :

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية (١٤٠) سورة البقرة.

قوله: **﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾** معطوف على قوله (أتحاجوننا) - أم تدّعون أن الأنبياء كانوا على دينكم تنبيهاً أنه من المحال أن يكون المتقدم مقتدياً بالمتأخر ومستناً بسنته، ومن قرأ بالياء فوجه العدول فيه من الخطاب إلى الإخبار استجهالاً لهم بما كان منهم من هذه الدعوى كما يفعل العالم من الإعراض عمن يخاطبه بعد ارتكابه جهالة شنيعة إلى غيره، واحتج عليهم بمقدمتين فقال: أنتم أعلم أم الله أي قد بينت أن الله أعلم منكم، وبينت أنه ليس بغافل عما تعملون وقد كتمتم الشهادة عنه، ومن كتم من الله شهادة عنده مع كون الله بهذا الوصف فهو أظلم الخلائق، فهذا تبكيت لهم في كتمانهم أحوال النبي -عليه السلام- وسائر الأنبياء واحتج عليهم بما لا انفصال لهم عنه، وقوله: **﴿مِنَ اللَّهِ﴾** على هذا متعلق بقوله :،**﴿كَتَمَ﴾** وقيل: إنه متعلق بقوله شهادة، أي من كتم عن الناس شهادة مصدرها من الله -عز وجل، وقيل : في الآية قول آخر، وهو أن قوله:**﴿مِنَ اللَّهِ﴾** يتعلق بقوله "أظلم"، وقوله **﴿مِمَّن كَتَمَ﴾** من جملة الذين كتموا، وتقدير هذا التأويل قد ثبت أن الله -عز وجل- أعلم منكم، وقد حكم أن الشهادة كتمانها عصيان بقوله: **﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾**(١)، فكأنه قيل: من أظلم من الله من الذين كتموا الشهادة إن كان الأمر على ما ذكرتم ولم يخبركم، وهذا كقولك: من أظلم ممن يجور على الفقير من السلطان أي لا أحد أظلم منه إذا ظلمه، وعلى هذا يكون قوله: **﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** على سبيل التهديد لهم.

١- سورة البقرة الآية (٢٨٣).

قولـه - عـز وجـل :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

الآية (١٤١) - سورة البقرة.

أعادت هذه الآية من أجل أن العادة مستحكمه في الناس صالحهم وطالحهم أن يفتخروا بآبائهم ويقتدوا بهم في متحرياتهم سيما في أمور دينهم، ولهذا حكى عن الكفار قولهم: **﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾**[١]، فأكد الله تعالى القول في إنزالهم عن هذه الطريقة، وذكر في أثر ما حكى من وصية إبراهيم ويعقوب ببنيه بذلك تنبيهاً أن الأمر سواء على ما قلت أو لم يكن، فليس لكم ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه، وفي الثاني لما ذكر ادعاهم اليهودية والنصرانية لآبائهم أعاد أيضاً تأكيداً عليهم تنبيهاً على نحو ما قال: **﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾**[٢]، وقوله: **﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾**[٣]، وقوله: **﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾**[٤]، ولما جرت به عادتهم، وتقررت[٥] به معرفتهم كل شاة تناط برجليها.

قوله - عز وجل :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الآية (١٤٢) سورة البقرة.

السفيه كل معتقد باطلاً يسرع إلى إظهار معتقده، ولا يكون له ثبات، والقبلة وإن كانت في الأصل اسماً للحال التي عليها الإنسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة، فقد صار في التعارف للمكان المتوجه نحوه للصلاة[٦]، وهؤلاء السفهاء المنكرون لتغيير القبلة اليهود على ما روى عن ابن

---

١ - سورة الزخرف : الآية (٢٢).

٢ - سورة الإسراء: الآية (١٣).

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٨٦).

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٦٤)، وسورة الإسراء: الآية (١٥)، وسورة فاطر : الآية (١٨). و سورة الزمر : الآية(٧).

٥ - فى (أ - ص) وتفردت .

٦ - فى (د - ج) نحو الصلاة

عباس، ومشركو العرب عن الحسن، والمنافقون عن السدي، ولا تنافي بين أقوالهم، فكل قد عابوا وكلٌّ سفهاء، وقد روي أن بعضهم قال: لا يثبت محمد على دين، وبعضاً قال: "رجع إلى قبلة قومه، وسيرجع إلى دينهم، وروي أن قوماً من اليهود أتوه وقالوا: ماولاك عن قبلتنا؟[١] ارجع إليها نتبعك فأنزل الله تعالى ذلك تبييناً [٢] أن الأمكنة متساوية عند الله، فله المشرق والمغرب، وهو الهادي إلى الطريق المستقيم فأي وجه يتوجه إليه، فهو تعالى موجود كما قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٣]، وكقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [٤] في اعتبار[٥] به والارتسام لأوامره لا بالأمكنة والجهات المختلفة".

قوله - عز وجل :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية (١٤٣) - سورة البقرة.

الوسط في الأصل اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدورة، ومن الطرفين في المطول كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود، وجعل عبارة عن العدل، وكذلك السواء والنصف، وشبه به كل ما وقع بين طرفين إفراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل والشجاعة

---

١ - أورد السيوطي ما أخرجه ابن إسحاق في سبب نزول هذه الآية "سيقول السفهاء من الناس" قال : حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق عن البراد قال : كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء - الآية فقال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس، فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم، وقال السفهاء من الناس ما ولاهن عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله "سيقول السفهاء من الناس" - إلى آخر الآية ، أسباب النزول - للسيوطي - ص١٨ .

ويؤيد هذا ما أورده ابن كثير فى تفسير الآية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر إلى المدينة ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضعة عشر شهراً، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله - عز وجل - (فولوا وجوهكم شطره) أى نحوه، فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها؟) فأنزل الله · (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم). تفسير القرآن العظيم - ج - ١ - ص ١٨٩.

٢ - فى (أ-ص) مبيناً) .

٣ - سورة البقرة : الآية (١١٥).

٤ - سورة الزخرف : الآية (٨٤).

٥ - سقطت من الناسخ فى (أ-ص) .

بين التهور والجبن، ثم جعل عبارة عن المختار من كل شئ حتى قيل: فلان من أوسطهم نسباً، وكما جعلهم وسطاً جعلهم خيراً في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] والعقب مؤخر القدم، فتصور مكانه من الحيوان تارة، فاعتبرت في قولهم: يعقبه واعتقبه نحو: استدبره، وقفاه، وعاقب الليل النهار، وقيل المعقبات للملائكة التي تتعاقب في الليل والنهار، والعقوبة منه، والعقبة الجبل اعتباراً بالصاعد الذي يميل [نحو عقبة][2] في ممره، ولما كان يؤخذ العقب من بعض الحيوانات فيشد به، قالوا: عقبته: أي شددته بالعقب نحو دُسته وانقلب على عقبيه إذا رجع عائداً نحو: ارتدا على آثارهما، ورجع عوده على بدئه.. إن قيل: كيف جعلهم وسطا؟ الخُلُق أم لخَلْقٍ خصهم به؟ أم لعلمٍ ركزه فيهم؟ أم لشرعٍ شرعه لهم؟.

قيل: قد خصهم بكل ذلك، والظاهر من ذلك هي الشريعة التي إذا اعتبرت بسائر الشرائع وجد لها حد الاعتدال، وهو أن بني إسرائيل لما عتوا كما حكى الله عنهم في غير موضع شدد عليهم أشياء صارت عليهم إصراً وأغلالاً، نحو: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾[3]، ولذلك أمرنا تعالى فيما يدعونه أن نقول ﴿وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[4]، ثم خفف عنهم على لسان عيسى بعض التخفيف، ولهذا حكى عنهم: ﴿وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[5]، وتمم ذلك بمحمد ﷺ فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[6] إلى قوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، وقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[7]، وقال عليه السلام «**بعثت بالحنيفية السهلة**»[8]، فصارت شريعته متوسطة بين الإفراط الذي هو الإصر والأغلال، وبين التفريط الذي هو

---

١ - سورة آل عمران : الآية (١١٠).

٢ - ساقطة من (و - ج) .

٣ - سورة الأنعام : الآية (١٤٦).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٨٦).

٥ - سورة آل عمران : الآية (٥٠).

٦ - سورة الأعراف : الآية (١٥٧).

٧ - سورة المائدة : الآية (٦).

٨ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج:٥ - ص ٢٦٦ من حديث أبي أمامة ، كما أخرجه السيوطي بلفظه في الدر المنثور ج:١ - ص ١٤٠ ، ٢٤٩ ، وأخرجة الهندي في كنز العمال ج:٤ - حديث رقم ٩٠٠ وحديث رقم : ٣٢٠٩٥

الإضاعة والإهمال، وعلى ذلك قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، ولكون هذه الشريعة وسطاً سمى مقتضاها كلمة (سواء) أي عدلاً باتفاق العقول، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾[2] الآية..

إن قيل: هل ذلك للأمة كلهم أم للبعض دون البعض؟ قيل: الخطاب لأصحاب النبي ﷺ خاصةً على وجه، وهو خطاب للكافة عامة على وجه، وذلك أن أصحابه في الحقيقة صاروا موجودين خير الناس، وسائر أمته ممكنون أن يصيروا أخياراً وذلك بقبولهم الفيض الذي أباحه الله لهم بعقولهم ولسان نبيهم وتدرجهم إلى بلوغ أقاصيه... إن قيل: على أي وجه شهادة النبي ﷺ علي الأمة وشهادة الأمة على الناس؟ قيل: الشاهد هو العالم بالشئ المخبر عنه مبيناً [3]حكمه، وأعظم شاهد من ثبتت شهادته بحجة، ولما خص الله تعالى الإنسان بالعقل والتمييز بين الخير والشر وكمله ببعثة الأنبياء، وخص هذه الأمة بأتم كتاب، كما وصفه بقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[4] وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[5]، فأفادناه -عليه السلام- وبينه لنا صار حجةً وشاهداً أن نقول[6] ما جاءنا من بشير ولا نذير، وجعل أمته المتخصصة بمعرفته شهوداً على سائر الناس..

إن قيل : هل أمته شهود كلهم ؟ أم بعضهم؟

قيل: كلهم ممكنون من أن يكونوا شهداء وذلك بشريطة أن يزكوا أنفسهم بالعلم والعمل الصالح، فمن لم يزك نفسه لم يكن شاهداً مقبولاً ولذلك قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[7]، وعلى هذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾[8]، فالقيام بالقسط

---

١ - سورة آل عمران : الآية (١١٠).

٢ - سورة آل عمران الآية : (٦٤).

٣ - في (أ - ص) مثبتاً.

٤ - سورة الأنعام : الآية (٣٨).

٥ - سورة النحل : الآية (٨٩).

٦ - أن يقولوا، وهذا اقتباس من الآية (١٩) سورة المائدة من قوله تعالى « أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير»

٧ - سورة الشمس : الآية (٩).

٨ - سورة النساء : الآية (١٣٥).

مراعاة العدالة، وهي بالقول المجمل ثلاث:

عدالة بين الإنسان ونفسه، وعدالة بينه وبين الناس، وعدالة بينه وبين الله -عز وجل-، فمن رعى ذلك فقد صار عدلاً شاهداً لله - عز وجل-.

إن قيل: فهل هم شهود على بعض الأمم [١] أم على الناس كافة؟ قيل بل كل شاهد على نفسه وعلى أمته وعلى الناس كافة فإن مَن عرف حكمة الله تعالى وجوده وعدله ورأفته، علم أن لم يغفُل[٢] تعالى عنه ولا عن أحد من الناس، ولا يبخل عليهم ولا يظلمهم، ومن علم ذلك فهو شاهد لله على مَن في زمانه وعلى من قبله ومن بعده، وعلى هذا الوجه ما روي في الخبر "أن هذه الأمة تشهد للأنبياء على الأمم" [٣]، إن قيل: ما المشبَّهْ وما المشبه به في قوله كذلك قيل :ولما قال: ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٤] بين أن نعمته بهذا التشريف كنعمته بالهداية إلى صراط مستقيم.

قوله - عز وجل : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ الآية (١٤٣) - سورة البقرة .

يعني ما أمرناك بالتوجه إلى بيت المقدس إلا لنعلم، أي لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، وقيل معناه: إلا لنعلم حينئذ من ينقاد لك من العرب في اتباعك إلى الصلاة إلى بيت المقدس، وقيل معناه: ما غيرنا حكم القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم، والقبلة على هذا كله بيت المقدس، وقيل معناه: ما جعلنا هذه القبلة التي أنت عليها أي أمرناك بها يعني الكعبة، وإنما استعمل فيه "كان" إشارة إلى أن حكم الله تعالى بذلك قد تقدم في سابق علمه، وقيل: عنى الكعبة حتى توجه إليها قبل

---

١ - فى (و-ج) الآمة وهو تصحيف.

٢ - فى (أ-ص) يفعل وهو خطأ من الناسخ.

٣ - أورد القرطبي ماروي عن عبادة بن الصامت قال : سمعت الله ﷺ يقول : أعطيت أمتي ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء - كان الله إذا بعث نبياً قال له : أدعُنى أستجب لك، وقال لهذه الأمة - ادعونى استجب لكم، وكان الله إذا بعث نبياً قال له : ماجعل عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة - وماجعل عليكم في الدين من حرج، وكان الله إذا بعث النبي جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس" أخرجه الترمذي في نوادر الأصول، كما أورد القرطبي ماثبت في صحيح مسلم عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : حين مرت به جنازة : وجبت -وجبت - وجبت، فاثنى عليها خيراً .. إلخ الحديث حيث قال من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار - أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض. تفسير القرطبي ج :١ - ص : ٦٤٥ .

٤- سورة يونس : الآية (٢٥).

وروده المدينة، وهذا أظهر، فالآية التي بعدها هي الناسخة لما استفتح بقوله: (قد نرى)..

إن قيل : ما وجه قوله: (إلا لنعلم)، وذلك يقتضي استفادة علم وقد علم أن الله تعالى لم يزل عالماً بما كان، وبما يكون؟ قيل إن ذلك من الألفاظ التي لولا السمع لما تجاسرنا على إطلاقها عليه تعالى، ومجاز ذلك على أوجه..

الأول : أن اللام في مثل ذلك تقتضي شيئين: حدوث الفعل في نفسه، وحدوث العلم به، ولما كان علم الله لم يزل ولا يزال صار اللام فيه مقتضياً حدوث الفعل لا حدوث العلم.

والثاني: أن العلم يتعلق بالشئ على ما هو به، والله تعالى علمهم قبل أن يتبعوه غير تابعين، وبعد أن تبعوه علمهم تابعين، وهذا الجواب كالأول في الحقيقة، لأن التغيير داخل في المعلوم لا في العلم.

والثالث : معناه لنعلم حزبنا، فنسب ذلك إلى نفسه على علاته في نسبه، أفعال أوليائه إلى نفسه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [1]، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [3]، وإنما علمه بملائكته.[4]

والرابع: معناه لنجازي، وذلك متعارف نحو: قولك: سأعلم حسن بلائك، أي سأجازيك على حسب مقتضى علمي – قيل : فعبرعن الجزاء بالعلم لما كان هو سببه.

والخامس : أن عادة الحكيم[5] إذا أفاد غيره علماً أن يقول تعالى "حتى يعلم كذا"، وإنما يريد إعلام المخاطب لكى يحل نفسه محل المشارك للمتعلم على سبيل اللطف..

إن قيل: كيف يتصور حقيقة انقلاب الإنسان على عقبيه؟

---

١ – سورة الزمر : الآية (٤٢).

٢ – سورة السجدة : الآية (١١).

٣ – سورة النساء : الآية (١١٣).

٤ – فى (و – ج) ملائكته.

٥ – فى (أ – ص) الحليم.

قيل: يتصور ذلك على وجهين: أحدهما: اعتبار لحال الإنسان ومعارفه، وهو أن الإنسان شرع في الفضيلة واكتساب المعرفة درجةً درجةً إلى حين الكمال، فإن حكمه في بطن أمه حكم النبات، ثم يصير في حكم الحيوان، ثم يصير بعد الولادة في حيز الإنسان باكتساب المعارف أولاً فأول، ثم لا يزال يتــرقى[١] بالعلم والعمل حتى ربما يصير قريباً من الملائكة علماً وفضلاً وعملاً، ومتى أخل بمرتبته، وصل إليها، فرجع عنها فقد انقلب[٢] على عقبيه، والوجه الثاني : أن يعتبر بالأديان وفضائلها، وذلك أن الله تعالى أنشأ الأديان، فمازال يتممها شيئاً فشيئاً إلى أن كملها بالنبي ﷺ كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٣]، وكما قال النبي عليه السلام في الخبر الذي قال فيه : (.. **فكنت في موضع اللبنة**)[٤]، فمن أنعم عليه بأن أوجده بعد بعثته (عليه السلام)[٥] فرغب عن شريعته مائلاً إلى غيرها من الشرائع المنسوخة قد انقلب على عقبيه، وبيَّن بقوله: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ ، أن الانتقال عن المألوف من القبلة مستصعبٌ على الطبع، والإنسان ألوفٌ لما يتعوده سيما الشريعة، فإن ذلك إنما لا ينقل عليه من أنعم الله عليه وهداه وعرف حكمته، وعلم أنه تعالى يأمر عباده بما هو أصلح لهم كأهل "منا" الذين لما أتاهم الخبر بنسخ القبلة، وكانوا في الصلاة حولوا وجوههم نحو الكعبة من غير أن يستبينوا، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ هو تسكين لمن صلى إلى بيت المقدس، من المسلمين ومن أهل الكتاب قبل النسخ، وبين أنهم يثابون على ذلك، فقد روي أن قوماً قالوا : كيف بمن مات من إخواننا وقد وصلوا إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى، ذلك ، فإن قيل ولم قال: ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ولم يقل صلواتكم؟

١- ساقطة من (و-ج).

٢- في (أ-ص) لقدرجع على عقبيه.

٣- سورة المائدة : الآية (٣).

٤- هذا جزء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ونصه: «إنما مثلي ومثل الانبياء قبلي كرجل بنى داراً ما فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة، فكنت موضع اللبنة». رواه الترمذي فى باب ماجاء في مثل النبى - صلي الله عليه وسلم والأنبياء قبله - حديث رقم : ٢٨٦٢، وفي الباب عن أبي بن كعب وأبي هريرة، وقال فيه الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ورواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «فضلت على الأنبياء بست.. إلى أن قال : مثلي ومثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- كمثل رجل بنى قصراً، فأكمل بناءه، وأحسن بنيانه إلا موضع لبنة، فنظر الناس إلى القصر فقالوا: ما أحسن بنيان هذا القصر لو تمت هذه اللبنة ألا فكنت أنا اللبنة - ألا فكنت أنا اللبنة» المسند - ج:٢، ص٤١٢، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب -ج:٤ص ١٦٢ ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل - ج:٥ ص ١٧٩٠ حديث رقم : ٢٢٨٦.

٥- ساقطة من (أ-ص).

قيل: عدل إلى لفظ الإيمان الذي هو عام في الصلاة وغيرها ليفيدهم أنه لم يضع لهم شئٌ مما عملوا به ثم نسخ عنهم، فإن قيل: ولمَ لمْ يقل إيمانهم؟ قيل: ذكر بلفظ الخطاب ليتناول الماضين والباقين تغليباً لحكم المخاطب على الغائب في اللفظ، ثم بين بقوله تعالى : (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) أنه لا يضيع إحسانهم وهو رؤوف بهم، فإن رأفته بالناس وإضاعة إحسانهم متنافيان لا يجتمعان.

قوله عز وجل :

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ الآية :(١٤٤) - سورة البقرة .

قطر وشطر وشطن ألفاظ متقاربة المعاني تقارب ألفاظها، فقطر معناه انفصل عن قطره أي جانبه ومنه القطرة القليل المنفصل من المائع، وشطر: انفصل وتباعد، ودار شطور منفصلة عن الدور، وشطون بعيدة، وقد يستعمل الشطور موضع الشطون، لكن الشطون لما هو أبعد، ورجل شاطر أي منفصل عن الجماعة بالخلاعة، وشاطرته: أي أخذت شطراً و تركت له شطراً، وشاة شطور لها ضرع واحد وأحد ضرعيها أكبر كأنه لا يعتد بالآخر، وتوجهت شطره أي نحوه اعتباراً بالشطر المقابل من شطريه، وتقلب الوجه أبلغ من تقلب العين، على أن الوجه يراد به التوجه، كقولك: "وجهتي إلى فلان" إن قيل: هل كان يستخط- عليه السلام- توجهه إلى بيت المقدس حتى قيل **﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾**؟

قيل لم يقصد بذلك أنك كنت ساخطاً، وإنما كان -عليه السلام- يحركهُ السر، ويعلم بما يلقي في روعه أن الله تعالى يريد تغييراً في القبلة، وكان يتشوفه ويحثه، وقيل معنى (ترضاها) أي يرضاها، لكن يُبين بهذا القول أن مرادك لم يخالف مرادي.

وقول مجاهد وابن زيد، أحب النبي عليه السلام التوجه إلى الكعبة مخالفة لليهود وقول ابن عباس "إنه أحبها اقتداء بإبراهيم عليه السلام" وقول الزجاج إنه أحبها لاستدعاء العرب بها إلى الإسلام فكلها صحيحة إذ لا منافاة بين هذه الإرادات، وهذه منزلة يشير إليها أولو الحقائق ويذكرون

أنها فوق التوكل؛ لأن قاضية المتوكل الاستسلام لما يجري عليه من القضاء كأعمى يقوده بصير فهو به، وهذه المنزلة هي أن يحرك الحق سره بما يريده فعله، وربما يكون ذلك بوحي من خارج لقوله تعالى لإبراهيم أسلِم، وربما كان ذلك بإلهام من باطن كما أوحى إلى أم موسى، ومعنى (تقلب وجهك في السماء) أي تطلعك الوحي المنزل، وقيل: إن في ذلك تنبيهاً على حسن أدبه حيثما انتظر ولم يسأل، فالولي الذي حصلت له القربة قد ينقص عن المسألة اتكالاً على ما تيسر له، كما روي عنه عليه السلام أنه قال أن الله تعالى يقول:

(مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أعْطَيْتُهُ أفضل من ما أُعطِي السَّائِلِين) (١) .. وعلى ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْماً … كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِكَ الثَّنَاءُ (٢)

وبين تعالى بهذه الآية رغبة النبي عليه السلام في التوجه إلى الكعبة وإلحائه، وقرن به علم أهل الكتاب بأن ذلك حق من الله -عز وجل-، ونبه بقوله: ﴿ **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ على وعيد لهم ووعد المؤمنين في إلحائهم وإمتناعهم..

إن قيل: من أين علم أهل الكتاب أن ذلك حق؟

قيل: لما تضمن كتبهم من ذكر النبي - عليه السلام-، وعلمهم أن عبادة الله أن يُخص كل رسول من أولى العزم بقبلة غير قبلة من تقدمه آنفاً..

إن قيل: كيف خاطبه أولاً بقوله ﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ** ﴾، ثم عم بقوله: ﴿ **فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ** ﴾، قيل: أما خطابه الخاص أولاً، فتشريفاً له، وإيجاباً لرغبته وإنجازاً لوعده، وأما خطابه العام بعده، فلأنه، كان

١- الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب فضائل القرآن حديث رقم ٢٩٢٦، وقال هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه ابن حجرالعسقلاني في فتح الباري في كتاب الدعوات - باب الدعاء عندالكروب ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فى باب الاشتغال بالذكر عن الدعاء ج : ٣ ص ٣١٥، وفي ج :١١- ص ١٤٧، ونسبه الحافظ العراقي في تخريجه للبخاري في التاريخ، والبزار في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب. وقال : فيه صفوان بن أبي الصفار ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات، وذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة - ج : ١ - ص ٣٤٢، وقال : قال ابن حبان : موضوع، تفرد به صفوان لايحتج به.

٢- هذا البيت لأمية بن أبي الصلت ، وهو من قصيدة مطلعها:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني … حياؤك إن شيمتك الحياء

وهو فى ديوانه - صـ ٣٣٤ - جمع وتحقيق :د/ عبدالحفيظ السطلي - ط :٢ صـ ١٩٧٧- دمشق.

يجوز أن يعتقد أن هذا أمر قد خُصَّ عليه السلام به كما خُص بقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١]، ولأنه لما كان تحويل القبلة أمراً له خطر خصهم بخطابٍ مفرد ليكون ذلك أبلغ، فمعلوم من عادة السلطان إذا خاطب والياً من قبله بأمر ذي بال يعمه، ورغبته أن يخصه بخطاب مفرد ليكون ذلك أوقع عندهم [وأدعى لهم إلى قبولهم]،[٢] وليكون لهم في ذلك تشريف، ولأن في الخطاب العام تعليق حكم آخر به، وهو أنه لا فرق بين القريب والبعيد [٣] في وجوب التوجه (إلى الكعبة) [٤]، والضمير في قوله ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قيل هو التحويل وقيل: هو التوجه، والقولان في التحقيق واحد.

قوله عز وجل :

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية:(١٤٥) – سورة البقرة.

إن قيل: كيف حكم[٥]،بأنهم لا يتبعون قبلتك وقد أمن منهم فريق- قيل: قال بعضهم: إن هذا حكم على الكل دون الأبعاض، وهذا صحيح بدلالة أنك لو قلت: ما آمنوا، ولكن آمن بعضهم لم يكن منافياً، وقيل عنى به أقوامٌ مخصوصون، وقيل: عنى ما تبعوا قبلتك بقلوبهم، وقوله: (وما أنت بتابع قبلتهم)، أي لا يكون ذلك منك[٦]، فمحال أن من عرف الله حق معرفته يرتد، وقد قيل: (ما رجع من يرجع[٧] إلا من الطريق)، أي: "ما أخل بالإيمان إلا من لم يصل إليه حق الوصول".

إن قيل: فقد يوجد من يحصل له معرفة ثم يرتد؟ قيل: إن الذي يقدر أنه معرفة، وهو ظن متصور بصورة العلم، فأما أن يحصل العلم الحقيقي ثم يعقبه الارتداد فمحال ولم يعن بهذه المعرفة

---

١ – سورة المزمل : الآية (٢) .

٢ – ساقطة من (و – ج).

٣ – فى (أ – ص) القرب والبعد .

٤ – ساقطة من (و – ج).

٥ – فى (أ – ص) علم.

٦ – فى (و – ج) ميل .

٧ – فى (أ– ص) من رجع.

ما جعله الله تعالى للإنسان بالفطرة، فإن ذلك كشررة تخمد إذا لم تتوقد[1]، وبين أن بعضهم لا يتبع قبلة البعض، وذلك لارتكابهم الهوى وتأنيهم عن تأمل الهدى، وحذر نبيه عن اتباع أهوائهم، ونبه أن اتباع الهوى بعد التحقق بالعلم يدخل متحريه في جملة الظلمة، وقد أكثر الله تحذيره من الجنوح إلى الهوى حتى كرر ذلك في عدة مواضع، وقول من قال الخطاب للنبي ﷺ والمعني به الأمة، فلا معنى لتخصصه، فإن الله تعالى يحذر نبيه من اتباع الهوى أكثر مما يحذر غيره المنزلة الرفيعة إلى تحديد الإنذار عليه أحوج حفظاً لمتركته وصيانة لمكانته، وقد قيل: حق المرأة المجلوة أن يكون بعدها أكثر إذا كان القليل من الصدأ عليها أظهر..

إن قيل: كيف أجاب فقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾[2]، ولا يقال: إن جئتني ما فعلت، وإنما يقال: لم أفعل؟ قيل: قد قال سيبويه: إن ذلك لما تضمن معنى القسم، فأدخل على أن اللام صار جوابه كجواب القسم، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا﴾[3] وقال الأخفش: لما كان إنْ، ولو متضمنان الشرط حمل "إن"، على "لو" فعلى هذا يصح أن يقال: "إن أتيتني ما أكرمتك"، وعلى قول "سيبويه" لا يصح مالم يكن مع "إن" اللام نحو لئن.

قوله عز وجل :
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
الآية (١٤٦) - سورة البقرة.

أتيناهم أبلغ من قوله: (أوتوا)، فإن (أوتوا) قد يستعمل فيمن لم يكن له قبول، وآتيناهم أكثر ما جاء فيمن له قبول نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾[4]، وعلى ذلك كل ما جاء من نحو هذا فيما يختص بإكرام نحو: ﴿هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾[5] وقوله (يعرفونه) أي العلم الذي هو النبوة

---

١ - في (و - ج) تتفقد .
٢ - سورة البقرة الآية (١٤٥)
٣ - سورة الروم الآية (٥١)
٤ - سورة الأنعام : الآية (٨٩) .
٥ - سورة مريم - الآية :(٥٨).

المتقدم ذكرها في قوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[1] وقيل: عنى النبي عليه السلام بقوله: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾[2] وقيل: يعرفون أن التوجه إلى الكعبة حق واختلاف أقاويلهم باختلاف نظراتهم إلى الألفاظ من حيث المعنى بأن معرفة الرسول عليه السلام ومعرفة صدق قوله وصحة ما يأمر به من أمر القبلة متلازمة، وإنما قال: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ولم يقل أنفسهم، لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء برهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن، ما ليس[3] في ذكر النفس، فإن الإنسان عصارة ذاته ونسخة صورته، وإنما قال: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ ولم يقل يكتمونه، لأن في كتمان أمره كتمانه الحق جملة، وزاد في ذمهم بقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فقد قيل: ليس المرتكب ذنباً عن جهلٍ كمن يرتكبه عن علم..

قوله عز وجل :
﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الآية :(١٤٧) - سورة البقرة.

الامتراء من (مريت الناقة) إذا مسحت ضرعها، وبه شبه مري الريح السحاب المطر، ومرى الفارس فرسه للعدو، واستعير المتري للمتردد ،وفي الحكم، ولهذا استعمل فيه المتحير،وهو من حار إذا رجع،وبين أن كل حق هو من الله تعالى، إما بإبداعه وإيجاده وصنعه، وإما بأمره وإما توفيقه، وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ليس بنهي عن الشك[4]، إذ كان ذلك ليس بقصد من الشاك، بل هو حث على اكتساب المعارف المزيلة للشك واستعمالها ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [5]

---

١ - سورة البقرة - الآية : (١٤٥).

٢ - سورة الأعراف - الآية : (١٥٧).

٣ - فى (و - ج) ما فى ذكر النفس.

٤ - فى (و - ج) الشد، وهو تصحيف.

٥ - سورة هود : الآية (٤٦) .

قوله عز وجل :

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية: (١٤٨) – سورة البقرة.

أي: لكل أمة، وقيل لكل نبي وجهته، وقيل قبلة، وقيل: شريعة، وذلك في المعنى واحد، وهو ضمير لله- عز وجل- أي الله موليها إياه، وقيل: ضمير للكل: أي كل موالى جهته، وقرئ: (هو مولاّها)[١]، فيكون هو ضمير ضمير الكل ولا يحتاج إلى تقدير ضمير آخر، وقيل: معنى: **﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾** أي للناس كلهم الآن وجهة، وهي الإسلام تنبيهاً أن الأديان به نسخت، نحو: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾**[٢]، وقوله: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾**[٣] وفي الآية قولٌ آخر، وهو أن الله تعالى قيض الناس في أمور دنياهم وأخراهم لأحوال متفاوتة، وجعل بعضهم أعوان بعض فيها، فواحد يزرع، وآخر يطحن، وآخر يخبز، وكذلك في أمرالدين، واحد يجمع الحديث، وواحد يطلب الفقه، والثالث يطلب الأصول، وهم في الظاهر مختارون، وفي الباطن مسخرون، وإليه أشار النبي بقوله: **«كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**[٤] وجعل للكل سبيلاً للوصول إليه تعالى، وإذا راعى ما هو بصلاة وأدى الأمانة فيه، ولهذا سئل بعض الصالحين عن تفاوت الناس في أفعالهم، فقال: كل ذلك طريق إلى الله تعالى وصل إليه، أراد أن يعمرها بعباده فبين أن لكل طريقاً إذا تحرى فيه وجه الله تعالى وعلى ذلك قوله: **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾**[٥]، وقوله: **﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾**[٦]، كقوله: **﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾**[٧]،، وقوله: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾**[٨]، وقوله: **﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾** يعني أى شغل تحريتم، وحيثما تصرفتم، وأي معبود اتخذتم فإنكم مجموعون ومحاسبون عليها..

---

١ – قرأ بهذا الوجه كل من : ابن عامر، وابن عباس، وأبى رجاء، وعاصم، وأبى بكر، وشريح، ومحمد بن على الباقر، معجم القراءات القرآنية] : ج :١ ص ١٢٦.

٢ – سورة آل عمران : الآية (١٩).

٣– سورة آل عمران : الآية (٨٥).

٤– الحديث عن عمران بن حصين – قال : قال رجل « يارسول الله ، أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال نعم ، قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال ، (كل يعمل لما خلق له ، أو لما ييسر له)، أخرجه البخاري في كتاب القدر ح: ١١– ص ٤٩١.

٥ – سورة المائدة : الآية (٤٨).

٦ – سورة البقرة : الآية (١٤٨).

٧ – سورة آل عمران الآية (١٣٣)

٨ – سورة القصص : الآية (٧٧).

قوله عز وجل :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ الآية :(١٤٩) – سورة البقرة.

إن قيل: ما وجه تكرير (فول وجهك) قيل: إعادة ذلك لحكمة لطيفة، وهو أنه ذكر لتغيير القبلة ثلاث علل[١] من قوله: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ [٢] إلى قوله: (لعلكم تهتدون)- الأولى: إكرامه تعالى نبيه- عليه السلام- إذ ولاه قبلة أبيه إبراهيم ابتغاء مرضاته، وهو قوله : (قد نرى تقلب وجهك)، والثانية: إخباره أن لكل صاحب دعوة قبلة وهو قوله: (ولكل وجهة)، والثالثة : قطعُ حجة معانديه وهو قوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [٣]، فقرن [٤] بذكر كل علة معلولها الذي هو الفرض[٥]، وذلك[٦] قوله: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) لقولك: إن هذا فرض لسبب كذا، وفرض لسبب كذا، فيعتد المعلول[٧]مع العلة، وهذا أبلغ من قول من قال: لما طال القصة، واعترض فيما بينها ما فيه زيادة بيان أعاد الحكم نحو: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[٨] إلى قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [٩]، وأنه أعاد "لما جاءهم" وأشار بقوله:﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ إلى تحقيق ما قدمه، فبين أنه إذا كانت الحكمة تقتضي أن لكل صاحب شرع قبلة يختص بها، وأنت صاحب شرع، فتغيير القبلة لك حق، إن قيل: لم خص الأول بلفظ الرب، والثاني بلفظ الله؟

قيل: لأن الأول لما نبهنا[١٠] على الاستدلال على حكمته بالنظر إلى أفعاله ذكر لفظ الرب المقتضيَ [للنعم المسطر فيها إلى المنعم][١١]، ويستدل بها عليه، ولما انتهى إلى ذكر الوعيد ذكر لفظ الله تعالى المقتضي للعبادة التي من أحل بها عليه استحق أليم عقابه.[١٢]

---

١ – فى (أ – ص) ثلاث آيات .

٢ – سورة البقرة : الآية (١٤٢).

٣ – سورة البقرة الآية (١٥٠).

٤ – فى (أ – ص) ففرق وهو تصحيف.

٥ – فى (أ – ص) الحكم.

٦ – فى (أ – ص) وذكر.

٧ – فى (أ – ص) الحكم.

٨ – سورة البقرة : الآية (٨٩).

٩ – سورة البقرة : الآية (٨٩).

١٠ – فى (أ – ص) تنبيه.

١١ – ساقطة من (و –ج)

١٢ – فى (أ – ص) العقاب.

قوله عز وجل :

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

الآية (١٥٠) - سورة البقرة.

فإن قيل: لم كرر قوله: **﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾** ، قيل: حث بأحدهما على التوجه نحو القبلة بالقلب والبدن في أي مكان حصل الإنسان نائياً كان عنها أودانياً منها، وذلك حال الاختيار والتمكن، وحث بالأُخر على التوجه بالقلب نحوه عند اشتباه القبلة، وفي حال المسامعة، وفي صلاة النافلة في حال المسير في السفر وعلى الراحلة.. إن قيل: كيف استثنى الذين ظلموا وذلك يقتضي أن يكون لهم حجة.؟ قيل: الحجة ههنا موضوعةً موضع الاحتجاج نحو: **﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾**[1] ومعناه: لئلا يحتج عليكم أحد إلا وهو وظالم، وقوله: (لئلا) إبانة عن الغرض[2]، والعاقل لا يقصد إلا عرضاً يصح أن يُصيبه، فالمؤمن لا يقصد بذكر الحجة أن يكف الناس بها عن الاحتجاج لعلمه أن منهم معانداً لا يبالي بارتكابه الباطل، والله تعالى لا يأمر بذلك لكونه غير مستطاع، فكأنه قال: اقصدوا بالحجة دفع الناس إلا الظالمين، وقيل الظالمون إشارة إلى مشركي العرب، حيث قالوا: "إن محمداً عاد إلى قبلتنا"، وقد استدل بعضهم على أن الناس ههنا لمشركي قريش بما روي في الخبر أن كل مافي القرآن من قوله (يَاأَيُّها النَّاسُ) فمخاطبة لأهل مكة، وما فيه من (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فمخاطبة لأهل المدينة[3]، وقول من قال تقديره: **﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.**

---

١ - سورة الشوى : الآية (١٦).

٢ - فى (أ -ص) إنابة عن العوض ، وما فى (و - ج) هو الأصح

٣ - أورد القرطبي ذلك وقال : قال علقمة ومجاهد : كل آية أولها :(يأيها الناس) فإنما نزلت بمكة ، وكل آية أولها (يأيها الذين آمنوا) فإنما نزلت بالمدينة وعلق على ذلك بقوله : (وهذا يرده أن سورة البقرة والنساء مدنيتان وفيهما (يأيها الناس) ، وأما قولهما فى (يأيها الذين آمنوا) فصحيح ثم أورد قول عروة بن الزبير : ماكان من حدث أو فريضة فإنه نزل بالمدينة وماكان من ذكر الأمم والعذاب فإنه نزل بمكة وهذا هو الأصح تفسير القرطبي ... ج ١-ص٢٧١.

إلا حجة الذين ظلموا، قال: والظالم لا حجة له في الحقيقه فصار كقول الشاعر:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ[1]

البيت راجع إلى الأول، وأما قول أبي عبيدة إن تقديره "والذين ظلموا" فإن أراد أن معناه هذا على تقدير ما تقدم فصحيح، وإن أراد أن معناه بمعنى "الواو" فبعيد، وقول الشاعر الذي احتج به وهو قوله:

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ

دَارُ الْخَلِيفَةِ إلاَّ دَارُ مَرْوَانِ[2]

فتقديرها: ما بالمدينة دار إلا دار مروان غير واحدة، وهي دار الخليفة، فقد أثبت دارين فصار من حيث المعنى، كما قال: ليس معنى إلا معنى الواو، وإن قيل: أي حجة لهم على الكفار إذا فعلوا ذلك، وأي حجة تسقط عنهم، قيل لما ذكر الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، ومن أن التوجه إلى الجوانب سواء في المعقول أبان أنه إنما قصرهم على جانب واحد لئلا يختلف توجيههم[3] فيحتج عليهم الكفار بالاختلاف، ويقولون: ما بالكم تصلون إليها تارةً وإلى غيرها أخرى، وقوله: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾ أي لا تراقبوهم ولا تستحيوا منهم، وذلك لما علم أن كلامهم عناد للعقيدة عند ظهور الحجة عن التزامها، فقال لهم ذلك والخشية قد تجري مجرى المراقبة والاستحياء في قوله: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[4] وقوله: ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ وإتمام نعمته هو أن نعم الله تعالى ضربان: أحدهما موهوب، والآخر مكتسب،

١- البيت للنابغة الذبياني وهو:

وَلاعَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وهو فى ديوان النابغة - ص ٤٤ ، والصناعتين - ص ٣٢٤ ، والعمدة ج:٢ - ص ٤٥ ، واعجاز القرآن - للباقلاني - ص ١٦١ ، وأورده الراغب فى محاضرات الأدباء - ج١ - ص ٢٩٧ ، ج٣ ص ١٥٦ والإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة للجرجاني ص ٢٨٣ - تحقيق دكتور / عبد القادر حسين .

٢ - البيت نسبه سيبويه في الكتاب إلي الفرزدق في ج :١ :ص٣٧٣ ، وورد في تخريج اعرابه في السيرافي على الكتاب - ج :٣ ص ٣٠٦ من التيمورية .

٣ - فى (أ-ص) بوجههم

٤ - سورة الأحزاب : الآية (٣٧).

فالموهوب : كجودة الحفظ والفهم وصحة البدن والجاه، وكل ذلك لا يستحق بحصوله الحمد، ولا بفواته الذم، والمكتسب كالعلم والعمل الصالح المتوصل بهما إلى الثواب وهو الإيمان، وبه يستحق المدح والذم، فبين تعالى أنكم إذا ائتمرتم في أمر القبلة، وصلتم إلى الحالة التي يحصل لكم الخشية المشار إليها بقوله:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [1] فقد أتممت نعمتي عليكم (واستتممتموها).[2]

قوله عز وجل :

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٥١)-سورة البقرة.

ما مع مابعده مصدر، أي: كإرسالنا، والكاف فيه متعلق بقوله ولأتم نعمتي عليكم، أي إذا أنتم ائتمرتم في أمر القبلة وخشيتم الله دون الناس أتم عليكم نعمته كنعمته بإرسال رسول هكذا تنبيهاً أن النعمة في بعثته ودعائه العالم إلى دين مخالف لدينهم، ووعدكم أنه سيظهر دينه على الأديان كان أعظم من تغيير القبلة، وقد وفى بذلك، وقيل: تتعلق الكاف بقوله: "**اذكروني**"، وهو بعيد..

إن قيل: كيف أخَّر فيما حكى عن إبراهيم عليه السلام قوله: **(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً)**[3] ذكر التزكية عن تعليم الكتاب والحكمة وقدمها هاهنا؟ قيل: التزكية من الله عز وجل ضربان، أحدهما الشهادة بطهارة الإنسان، وذلك يكون بتزكية الإنسان نفسه، وذلك مؤخر عن تحصيل الإنسان الكتاب والحكمة والعمل بهما، وأياهما عنى إبراهيم -عليه السلام - في دعائه، فلذلك أخر، والثانية من الله -عز وجل- تبيين أحكامه الشرعية[4]، ومن العبد العمل بها وذلك متقدم علي معرفة حقائق الكتاب والحكمة وهي المعنية ههنا، فلهذا قدم.

---

١ - سورة فاطر : الآية (٢٨).

٢- ساقطة من (أ - ص).

٣ - سورة البقرة : الآية (١٢٩).

٤ - في (أ - ص) أحكام الشريعة.

أن قيل: وما معنى ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟

وهل ذلك إلا الكتاب والحكمة؟

قيل: عنى بقوله: ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ العلوم التي لا طريق إلى تحصيلها إلا بالوحي على ألسنة الأنبياء، ولا سبيل إلى إدراك جزئياتها ولا كلياتها إلا به، وعنى بالحكمة والكتاب ما للعقل مدخل في معرفته شئ منه، وأعاد ذكره يعلمكم مع قوله: ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ تنبيهاً أنه علمٌ مفرد عن المتقدم ذكره..

قوله عز وجل :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ الآية (١٥٢)- سورة البقرة .

الذكر حضور الشئ بالقلب والقول، فلهذا قيل: الذكر ذكران ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وقد يكون ذلك لحضور لا عن نسيان، وقد يكون عن نسيان، ولهذا قيل: الذكر ذكران، ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان.

وإلى الثاني ذهب الشاعر في قوله:

وكيف أذكره إذ لست أنساه ؟ [١]

وقال بعض العلماء: لما خص الله هذه الأمة بفضل قوة زائدة على ما لبني إسرائيل، قال لبني إسرائيل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[٢] ، فأمرهم بتذكر نعمته المنبهة عن الغفلة لينظروا منها إليه[٣] وقال لهذه الأمة: **(فاذكروني)**، فأمرهم أن يذكروه بلا واسطة إن قيل: ما الفرق بين شكرت لزيد ، وشكرت زيداً؟ قيل: شكرت له هو أن يعتبر إحسانه الصادر عنه فيثنى عليه بذلك، وشكرته: إذا لم تلتفت إلى فعله، بل تجاوزت إلى ذكر ذاته دون اعتبار أفعاله، فهو أبلغ من شكرت له، إذ قد يكون

١- بحثت عنه فلم أجده، ولعله لأحد الصوفية كابن الفارض أو ابن عربي وصدر البيت :-

الله يعلم أني لست أذكره

٢- سورة البقرة : الآيتان (٤٠، ٤٧).

٣ - في (أ - ص) إلى المنعم.

للإنسان فعل في الظاهر محمود، ثم لا يكون ذلك الإنسان على الإطلاق محموداً، وإنما قال: (واشكروا لي)، ولم يقل: (واشكروني) علماً بقصورهم عن إدراكه بل عن إدراك الآية كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1] ، فأمرهم أن يعدوا بعض أفعاله في الشكر له، وشكر الله- عز وجل- أصعب عبادة وأشرفها ،ولهذا قيل: غاية شكر الله الاعتراف بالعجز عنه، فكل نعمة يمكن شكرها إلا نعمة الله، فإن شكرها نعمه منه، فذلك بتوفيقه، فإن العبد محتاج أن يشكر نعمته الثانية كشكره للأولى، وهذا يؤدي إلى مالا يتناهى[2]، فلهذا قيل: لا يقدر عليه، ولصعوبة الشكر قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[3] ، ولم يثن على أنبيائه وأوليائه بالشكر إلا على اثنين، على نوح حيث قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[4] وعلى إبراهيم حيث قال: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[5] ، فذكر ذلك بلفظ أدنى العدد تنبيهاً على شرف هذه المنزلة وصعوبتها..

إن قيل: علام عطف قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾؟

قيل: على قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾[6] ، وذلك أنه لما أمرنا باستقبال القبلة، وبين العلة وأنه يريد أن يتم نعمته عليكم كما أنعم ببعثته رسوله أعاد النظم الذي هو الأمر، فأمر بالذكر الواجب بعضه في الصلاة، وبعضه في غيرها، وإن قيل: ولم قال بعده: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ولم يقتصر على أحد اللفظين؟ قيل: لما كان الإنسان قد يكون شاكراً في شئ ما، وكافراً في غيره، فيصح أن يوصف بهما على حسب النظر إلى فعليه، فلو اقتصر على قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ لكان يجوز أن يتوهم أن من شكره مرة أو على نعمة ما فقد امتثل، ولو اقتصر على قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ لكان يجوز أن يتوهم أن ذلك نهى عن تعاطي قبيح دون حث على الفعل الجميل، فجمع بينهما لإزالة هذه الشبهة، ولأن في قوله:

١- سورة إبراهيم - الآية : (٣٤) ، وسورة النحل - الآية : (١٨).

٢- في (أ - ص) مالا نهاية له.

٣- سورة سبأ : الآية (١٣).

٤- سورة الإسراء : الآية (٣).

٥- سورة النحل :الآية (١٢١).

٦- سورة البقرة : الآية (١٥٠).

﴿ وَلَا تَكْفُــرُونِ ﴾ نهياً عن الكفر المطلق، وذلك معنى [زائد على قوله (واشكُرُوا لى) وقدم قوله][1] ﴿ وَاشْكُرُوا لِي ﴾ وأخر قوله: ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ تنبيهاً على أن ترك الشكر كفران..

إن قيل: فلم قال: (ولا تكفرون) ولم يقل (ولا تكفروا لي)؟ قيل: لأنه يقتصر من العبد على شكر نعمه، ولا يقتصر منه على أن لا يكفر نعمه، بل نهى عن الكفر به أكثر مما نهى عن كفر نعمه، إذ قد يعفو عن كفر بعض النعم ولا يعفو عن الكفر المطلق..

قوله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

الآية (١٥٣) – سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في الصبر والصلاة وأنواعهما، فحث الله تعالى على الصبر، إذ هو ذريعة إلى فعل كل خير ومبدأ كل فضل، فإن أول التوبة الصبر عن المعاصي، وأول الزهد الصبر عن مناجاة الدنيا، وأول الإرادة الصبر على طلب ما سوى الله، ولهذا قال عليه السلام: (**الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ**)،[2] وقال: (**الصَّبْرُ خَيْرٌ كُلُّهُ**) والصلاة هي المقتضية للخشوع والداعية إلى ترك الفحشاء كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[3] ولما أمر بالذكر والشكر حث على الاستعانة بالصبر والصلاة- تنبيهاً أنه بهما يتوصل إليه، فإن الصبر مبدأ الإيمان، والشكر منتهاه، ولهذا قال عليه السلام: «**الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ**»[4] ثم قال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾، فضمن صحبته إياهم تنبيهاً على قرب فيضه وتوفيقه، كما قال:

١- ساقطة من (أ – ص).

٢- الحديث رواه الديلمي عن أنس، وورد في كتاب : راموز الأحاديث – ص٢١٧.

٣- سورة العنكبوت : الآية (٤٥).

٤- نص الحديث : « الصبر نصف الإيمان واليقين » ، والحديث أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج: ٤- ص١٨٧، ج:٩- ص٥ ،١٥٢، ٢١١، أورده السيوطي في الدر المنثور – ج :١ ص ٦٦، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ج :٤ ص ٢٧٧ ، وأخرجه ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري ج : ١- ص ٥١٢، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال – حديث رقم : ٦٤٩٨، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – ج :١ – ص ٥٧، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، وقال فيه : « منكر » رواه الأعرابي من طريق المخزومي – حديث رقم ٤٩٩ – ج : ١- ص ٥٠٦ ، وأخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود بسند حسن . انظر : الإحياء – باب الصبر ، وورد في كتاب: راموز الأحاديث – ص٢١٧ عن ابن مسعود، وأورده الراغب فى الذريعة إلى مكارم الشريعة – ص٢٨١ – تحقيق: الدكتور أبو اليزيد العجمي.

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[١] تنبيهاً أنه يراعيهم بالعناية.،، إن قيل: لم قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ولم يقل: "مع المصلين"، وقال في أخرى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾[٢] فاعتبر الصلاة دون الصبر؟ قيل:

لما كان فعل الصلاة أشرف وأعلى من الصبر، إذ قد ينفك الصبر من الصلاة ولا تنفك الصلاة من الصبر ذكر ههنا الصابرين، فمعلوم أنه تعالى إذا كان مع الصابر، كان لا محالة مع المصلي أكثر ثم قال ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ فذكر الصلاة دون الصبر تنبيهاً أنها أشرف منزلةً من الصبر)[٣] فقد ترك توفية حق الصلاة من تصبر في كثير من الأحوال.

قوله عز وجل :

﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾

الآية (١٥٤) – سورة البقرة .

قد تقدم أن الحياة تقال على أوجه، وكل واحدة يقابلها موت، الأول[٤]: في[٥] القوة النامية التي بها الغذاء والشهوة إليها، وذلك موجود في النبات والحيوان والإنسان، ولذلك يقال: نبات حي، والثاني[٦] في القوة الحساسة التي بها الحركة المكانية، وهي موجودة[٧] في الحيوان والإنسان[٨] دون النبات، والثالث:[٩] القوة العاملة[١٠] العاقلة [وبها يكون العقل والعلم][١١] وهي في الإنسان دون

١- سورة الطور : الآية (٤٨).

٢- سورة البقرة : الآية (٤٥).

٣- ساقطة من (أ – ص).

٤- في (أ – ص) الأولى.

٥ - في (أ – ص) هي.

٦- في (أ – ص) والثانية.

٧- ساقطة من (أ – ص).

٨- ساقطة من (أ – ص).

٩- في (أ – ص) والثالثة.

١٠- في (و – ج) القوة المروية، وهو خطأ من الناسخ.

١١-ساقطة من (أ – ص).

الحيوانات والنبات وبها يتعلق التكليف، وقد يقال للعلم المستفاد الحقيقي، والعمل الصالح حياة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾[١]، وقيل: «**المحسن حي وإن كان في دار الأموات، والمسيء ميت وإن كان في دار الأحياء**»، ونرجع[٢] إلى معنى الآية فنقول: إن بعض المعتزلة لم يعتبر في ذلك تفصيلاً، وقال عني: بإثبات الحياة ونفى الموت عن الشهداء[٣] يوم الحساب، لا في الحال قال، ولا اختصاص لهم، بل إنما علق الحكم بهم، لأنه في ذكرهم، ولو ذكر معهم غيرهم لذكرهم بحكمهم واستجهل من قال إنهم أحياء، وقال: قد علم أن رسول الله {ﷺ[٤]} والشهداء في قبورهم، وهم لا يأكلون ولا يشربون، واستجهاله لمن خالفه هو لأنه فرغ إلى الحس[٥] الذي قد نفى الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ** ﴾ أي: لا تحسون ولا تدركون ذلك بالمشاعر أي الحواس[٦] تنبيهاً أن ذلك مما السبيل إلى معرفته الفرغ إلى العقول وإلى الاعتبارات الصحيحة [دون الحواس،][٧] وإما علي طريقة غيرهم فمعلوم، وقد أجمعوا على أنه لا يثبت لهم الحياة التي بها النمو والغذاء ولا الحياة التي بها الحس، فإن فقدانهما عن الميت محسوس ومعقول، فبعض المفسرين اعتبر المعنى الآخر الذي هو العلم المستفاد والعمل الصالح، فقال: إن الله تعالى نهى أن يسمى الشهداء أمواتاً في حكم الدين، فقال: لا تقولوا لهم ما قال المشركون، ولكن قولوا هم أحياء في الدين، وهذا صحيح،.. وبعضهم اعتبر الحياة المختصة بالإنسان، وقال: إن هذه الحياة مختصة بالقوة المروية المسماة تارةً الروح، وتارةً النفس، وتارةً النسمة قال: والموت المشاهد هو مفارقة هذه القوة أي الروح البدن، فمتى كان الإنسان محسناً كان منعماً بروحه، [مسروراً بمكانه][٨] إلى يوم القيامة، وإن كان مسيئاً كان به معذباً، وإن المحسن يعلم بذلك بعد موته، وإلى هذا ذهب الحكماء ودلوا عليه بالبراهين

١- سورة الأنفال : الآية (٢٤).

٢ - في (أ - ص) ونعود.

٣- في (و - ج) للشهداء.

٤- ساقطة من (و - ج).

٥- في (أ - ص) الحياة التي.

٦- ساقطة من (أ - ص).

٧- ساقطة من (و - ج).

٨ - ساقطة من (و - ج).

والأدلة، وهو مذهب أصحاب الحديث، ويدل على صحته الأخبار والآيات المروية عن النبي ﷺ، بل إليه ذهب عادة أصحاب الملل كلها ولم يخالفهم إلا جماعة من المعتزلة، حيث جعلوا الأرواح أعراضاً لا قوام لها إلا بالأجسام، وأنها مهما فارقت الأجسام بطلت، ومما دل على صحة ذلك قوله عليه السلام: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[1]، وما روى أمير المؤمنين عليٌّ عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، وإن الروح في قناديل معلقة تحت العرش**»[2]، وقال في أرواح الشهداء ما عرفت وما روي عنه -عليه السلام- «**إن الميت ليرد على جماعة من الأموات، فلا يزالون يسألونه عن معارفهم وجيرانهم، وهو يخبرهم ويصف لهم حتى يجري ذكر الرجل» فيقول: قد مات قبلي بمدة، فيقولون : إنا لله، سُفِل به، وإن كان من الصالحين قالوا : عُلي به** [3] ومعلوم أنه لم يرد عليهم بالأشباح، وإنما ذلك الإلقاء بالأرواح، وروي أنه لما قُتل [مَن قُتل][4] من صناديد قريش يوم بدر، فجمعت جثثهم في قُليب، ثم أقبل النبي ﷺ، فخاطبهم بقوله: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً**»[5]، قيل: يارسول الله : أتخاطب جيفاً؟

فقال: [**ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب**] [6]، وما روي أنه قال: «**رأيت نسمة**

١- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج:(٤) ص ١٦٢ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب - باب "الأرواح جنود مجندة "من حديث أبي هريرة رقم (١٥٩، ١٦٠) ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده - ج:٢ ص ٢٩٥-٥٢٧.

٢- الحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عبد الله بن أيوب بن أبي علاج قال : حدثني أبي عن أبي جعفر محمد بن على بن الحسين عن أبي عن جده علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم حطها تحت العرش ، ثم أمرها بالطاعة لي ، فأول روح سلمت على روح على عليه السلام) وقال ابن الجوزي هذا حديث موضوع وقال الأسدي عبد الله بن أيوب وأبواه كذابان ولاتحل الرواية عنهما . الموضوعات - ابن الجوزي ج١ ص٤٠١، ورواه أبو حيان فى البحر المحيط - ج:٣- ص ٤٩٥ تفسير الآية الأولى من سورة النساء وأخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة بلفظه من حديث علي وفيه عبد الله بن أيوب بن أبي علاج - تنزيه الشريعة - ج ١ - ٣٩٨ حديث رقم ٨١.

٣- الحديث ذكره ابن ابي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : (إن أهل القبور يتوكفون الأخبار « أى يتوقعونها » فإذا أتاهم الميت قالوا : مافعل فلان ؟ فيقول : صالح وما فعل فلان؟ فيقول صالح، وما فعل فلان؟ فيقول ألم يأتكم ؟ أو ماقدم عليكم ؟ فيقولون : لا ، فيقول ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، سلك به غير سبيلنا) الحياة البرزخية - محمد عبد الظاهر خليفة ص ١٧٦.

٤- الحديث رواه البخاري في صحيحه ج٥ - ص ٩٧، ص٩٨، ورواه مسلم في صحيحه في باب الجنة ص ٧٦، ورواه النسائي في سننه ج، ٤ - ص١٠١، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٨ ، ص ١٣٠ و ج ، ٣ ص ١٠٤ ، ص ١٤٥، ص ٢٦٣ ، ص٢٨٧، ج٤ ص ٢٩ ، ج، ٦ ص ٢٧٦، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح البارى ج ٧ - ص ٣٠١، ص ٣٢٤ ورواه السيوطي في الدر المنثور -ج٥ - ص ١٥٧، ص ٢٤٩، ورواه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ج ٣ - ص ٢٩٣ .

٥- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه -ج:٥- ص٩٧, ٩٨، كما أخرجه مسلم فى صحيحه - ص٧٦، وأخرجه النسائي فى سننه ج:٤ -ص١٠١، وأخرجه الامام أحمد في مسنده - ج:٢- ص٣٨, ١٣٠، ج:٣-ص١٠٤, ١٤٥, ٢٦٣, ٢٨٧، ج:٤-ص٢٩، ج:٦ -ص٢٧٦، وأخرجه الطبراني فى معجمه -ج:١٠-ص١٩٨، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري -ج:٧-ص٣٠١, ٣٢٤، و المتقي الهندي في الإتحاف -ج:٥-ص٢٣، والسيوطي في الدر المنثور- ج:٥- ص١٥٧، ص٢٤٩

٦- ساقطة من (و - ج).

أنم»[١] إلى غير ذلك من الأخبار، وعلى ذلك قوله عز وجل **﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾**[٢]، وقال في آل فرعون : **﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾**[٣]، وهذا يعني به قبل القيامة بدلالة آخر الآية وهو قوله تعالى: **﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾**[٤]، وإلى هذا المعنى ذهب جماعة الصحابة والتابعين، قال مجاهد: «يرزقون من ثمر الجنة فيجدون ريحها وليسوا فيها»..

وقال ابن عباس والربيع وغيرهما: **«أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها»**[٥]..

قوله عز وجل :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾

الآية (١٥٥) - سورة البقرة .

البلاء: المبالغة في الاختبار، كأنك [ابتليته][٦] وأخلقته من كثرة ما اختبرته به، ولذلك يقال: بليت[٧] فلاناً أي خبرته، والكلام في نسبة [٨] الابتلاء إلى - عز وجل- كما تقدم في قوله: **﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ ﴾**[٩] وإنما يراد به ظهور الفعل دون حصول العلم، والخوف توقع مكروه، والجوع استدعاء البدن عوض ما تحلل عنه، ونقص الأموال: ذهاب بعض ما حوته اليد، ونقص الأنفس: افتقاد الإنسان بعض قواه في ذاته، أو بعض جوارحه [أو سمعه[١٠] أو بصره] أو بعض أقاربه وأخلائه، ونقص الثمرات: فقد المتوقع من الدخل والربح، وهذه الجملة مشتملة على محن الدنيا كلها..

إن قيل: هل ابتلاء الله الناس بهذه النوائب عام لهم أم خاص لبعضهم؟ وهل ذلك في زمان دون زمان؟ أو في كل زمان؟

١- بحثت عنه فلم أعثر عليه.
٢- سورة الأعراف : الآية (١٧٢).
٣- سورة غافر : الآية (٤٦).
٤- سورة غافر : الاية (٤٦).
٥- الحديث أورده ابن كثير في تفسيره رواية عن صحيح مسلم ولفظه : (إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ، فاطلع عليهم ربك إطلاعة فقال ماذا تبغون؟ فقالوا : ياربنا وأى شئ نبغي وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك ؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا ، فلما رأوا أنهم لايتركون من أن يسألوا ، قالوا نريد أن تردنا إلى دار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتي نقتل فيك مرة أخري - لما يرون من ثواب الشهادة - فيقول الرب جل جلاله « إني كتبت أنهم إليها لايرجعون » . تفسير القرآن العظيم ج ١ - ص ١٩٧.
٦- ساقطة من (و - ج).
٧- في (و - ج) لبست، وهو خطأ من الناسخ.
٨- في (و - ج) تشبه، وهو تحريف.
٩- سورة محمد :الآية (٣١).
١٠- ساقطة من (و - ج).

قيل: أما بالنظر الخاصي فعام لهم وفي كل زمان، وذاك أن الناس لا ينفكون في الدنيا في شئ من الحالات عن شئ مامن المحن، بل في حال اليسار[١] يساق بهم إلى محنة فإذا هم في محنة وإن كانوا في صحة[٢]، ولهذا روي: "**كفى بالسلامة داء**"..

وقال الشاعر:

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ يَعُودُ[٣] شَيْباً وَهَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الحِمَامُ[٤]

فالعاقل بتفكره يعلم أن ماله وبدنه وذويه ونعمه[٥] عارية مستردة، فإذا عرضت له نائبة كان له من الصبر مطية لا تكبو، ومن الرضا بقضاء الله سيف لا ينبو، وإما بنظر أعم من ذلك ، فإن الله تعالى لما أجرى عادة الدنيا أن لا تنفك من هذه الآفات المذكورة، وأنها قد تنال الأخيار كما تنال الأشرار، جعلها ابتلاءً لأوليائه لكي إذا تلقوها بالصبر حط بها وزرهم، وإلا عظم به أجرهم.

وخص بعض المفسرين هذه الأشياء فقال: أراد بالخوف: ما ينال في مجاهدة العدو، وبالجوع: صوم شهر رمضان، وبنقص من الأموال: ما أوجب[٦] من الزكوات، وبنقص الأنفس: الأمراض، وبنقص الثمرات: الصدقات، وجعل بعضهم هذه الأشياء المحن الظاهرة العامة، لكن خص المخاطبين بأنهم أصحاب النبي -عليه وعليهم السلام خاصة، فقال: «**إن الله - عز وجل- أبلاهم[٧] بهذه الأشياء الظاهرة للحواس**» المتبينة للكل ليعلم من بعدهم أنهم لم يتحروا في اتباع النبي - عليه السلام- طلب عرض، بل تبعوه لتحققهم[٨] بمعرفة الحق وظهور الحجج، وجعل بعض المعتزلة المخاطبين والمحن

١- في (و - ج) المسار، وهو خطأ من الناسخ

٢- ساقطة من (و - ج).

٣- في (و - ج) يقود ، وهو تصحيف.

٤- لم أهتد إليه ، ولعله يكون مشابهًا لقول المتنبي :-

إذا كان الشباب السكر والشيب هما فالحياة هى الحمام

ولا أدري إذا كان هو نفسه أم لا.

٥- ساقطة من (و - ج).

٦- في (أ - ص) ما يخرج.

٧- في (أ - ص) ابتلاهم

٨- في (أ - ص) ليحققهم.

المذكورة جميعاً مخصوصين، وقال ذلك في أصحاب النبي- عليه السلام-، وعني بالخوف: خوفهم من الأعداء، وبالجوع: فقرهم بتشاغلهم [١] بالجهاد، ونقص الأموال: للانقطاع عنه إلى الجهاد عن عمارة بساتينهم، والأنفس : للقتل في سبيل الله ، قال: وكل ذلك من فعل الله -عز وجل- لا من الكفار، وجعل ذلك مخصوصاً تفادياً من أن يكون بعمومه ناسباً[٢] إلى الله تعالى فعلاً قبيحاً ولو اتسع نظره، لأمن ما يحذره، وعلى هذا القبيح والسخط للقضاء ليس يعني شيئاً، وإنما يريد تصور ما خلق الإنسان لأجله، والقصد له والاستهانة بما يعرض في طريق الوصول، فأمر تعالى ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، وقصد هذا المقصد ووطن نفسه عليه.

وعلى هذا النحو قوله:عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[٥]، إن قيل: لم فصل بقوله: (ولا تقولوا) الآية بين هذه الآية والتي قبلها من قوله: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾[٦] وهي بمعزل منهما[٧]؟ قيل: بل هي متصلة بهما، لأنه لما حث على الصبر، وأكثر الصبر إنما لطلب الحياة ولما يعين علي الحياة، بين تلك الآية أن ذلك الصبر يوصل[٨] إلى حياة باقية كما قال: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾[٩] وكما قال -عليه السلام: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»[١٠]

١- في (و - ج) بشتا عليهم، وهو خطأ من الناسخ.

٢- في (و - ج) ناسياً، وهو تصحيف.

٣- سورة محمد: الآية (٣١).

٤- سورة العنكبوت: الآيتان (١، ٢).

٥- سورة الأنبياء: الآية (٣٥).

٦- سورة البقرة: الآية (٤٥).

٧- في (أ - ص) عنها.

٨- في (أ - ص) موصل.

٩- سورة العنكبوت : الآية (٦٤).

١٠- الحديث أورده البخاري في ج١-ص ١١٧ وج.٤ - ص٦١ ، ج ٥ ص٤٢،ص١٣٧، ص١٤٧، ج ٨-ص١٠٩، وقد أورده الإمام مسلم فى صحيحه في كتاب الطهارة ص ١٢٦ ، ص١٢٧، ص١٢٨، وأورده الامام أحمد في مسنده ج ٣-ص١٧٢،ص٢٧٦،ج ٥ -ص٣٣٢ وأورده البيهقي في سننه ج ٧ -ص ٤٨، ج ٩-ص٣٩ وأورده أبو نعيم فى الحلية ج :٢ - ص ٣٠١ ، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ٧ - ص١١٨، ص٣٩٢، ج١١-ص٢٢٩ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم (٢٩٩٠٥). وأورده الزبيدي في الإتحاف ج ٨ - ص ٤٢٨.

ليرغبنا في الصبر، ثم لما قرر ذلك أنبأ عما يحملنا من هذه المحن كي يخف علينا تحملها، ثم ختمه بقوله: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾..

قوله عز وجل:

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ الآية (١٥٦) - سورة البقرة.

المصيبة من : أصاب السهم، إذا بلغ على صواب، وهي في الأصل صفة، وليس يريد بالقول اللفظ فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع القبيح والسخط للقضاء ليس يعني شيئاً، وإنما يريد تصور ما خلق الإنسان لأجله، والقصد له والاستهانة بما يعرض في طريق الوصول، فأمر تعالى ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، وتصور بها[١] المقصد ووطن نفسه عليه.

فإن قيل: ولم قلت إن الأمر بالصبر يقتضي العلم، وما الصبر من العلم؟

قيل: الصبر على[٢] الحقيقة إنما يكون[٣] لمن عرف فضيلة مطلوبة، ولهذا قال الخضر لموسى لما علم أن ليس يعرف مقصده في فعله قال: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾[٤]،فدل أن حقيقة تحمل الصبر لابد له من معرفة المقصود به، وقال عليه السلام: **«أعطيت أمتي مالم يعط أحد، قال يعقوب [عند المصيبة][٥] ياأسفي، وأعطيت أمتي أن يقولوا: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾**[٦]، وقال عليه السلام: **«من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل**

١- في (أ - ص) وقصد هذا.

٢- في (أ - ص) الصبر في.

٣- في (و - ج) إنما يمكن من.

٤- سورة الكهف: الآيتان (٦٧، ٦٨).

٥- ساقطة من (و - ج).

٦- سورة البقرة - الآية (١٥٦)، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير ج-١٢-ص٤٠، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب ج-٤ ص ٣٢٧، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم: (٦٦٣٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج-٢-ص٣٣٠.

له خلقاً يرضاه»[١]،وقال عمر في ذلك: **«نعم العدلان، ونعم القلادة»**، وحقيقة الرجوع إليه تتبين في قوله -عز وجل- **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**،[٢] فهو أدق معنى مما قدره من قال : (إنا راجعون) إلى أن لا يملك أمورنا غيره كما كنا في الابتداء، فجعل ذلك رجوعاً لهم.

قوله عز وجل :

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ الآية(١٥٧) - سورة البقرة.

الصلاة وإن كانت في الأصل الدعاء، فهي من الله البركة على وجه، والمغفرة على وجه، وهي الرحمة وإن كانتا متلازمتين فهما مفترقتان في الحقيقة، وإنما قال: (صلوات) على الجمع تنبيهاً على كثرتها منه، وإنها حاصلة في الدنيا توفيقاً وإرشاداً، وفي الآخرة ثواباً ومغفرة، ثم بين أن من كان كذلك فهو المهتدي تنبيهاً علي ملازمة هذه المعاني الصبر..

١- رواه الطبراني فى الجامع الكبير ج ١٢-ص٢٥٥ وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ج٤-ص٣٣٧ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٢-ص٣٣١، ج-٦-ص٣١٧ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم (٦٦٥٠) وأورده الطبري في تفسيره ج٢-ص٢٦ ، وأورده ابن كثير فى تفسيره ج-١-ص١٩٨ وقال (روي الإمام أحمد قال حدثنا يونس بن محمد بسنده إلي أم سلمة قالت أتاني أبو سلمة يوماً فقال سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم قولاً سُررت به ، قال ، لايصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا فُعل ذلك به، قالت أم سلمة فحفظت ذلك منه فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم أجرنى في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت · من أين لى خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتى استأذن عليَّ رسول الله صلي الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يدى من القرط وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف ، فقعد عليها فخطبنى إلي نفسه ، فلما فرغ من مقالته قلت يارسول الله مابي أن لا يكون بك الرغبة ، ولكني امرأة بي غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال ، فقال :«أما ماذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك ، وأما ماذكرت من السن فقد أصابنى مثل الذي أصابك وأما ماذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي» ، قالت - فقد سلمت لرسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت أم سلمة لقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه - رسول الله صلي الله عليه وسلم - تفسير القرآن العظيم ج -١- ص ١٩٨ .

٢- سورة الأعراف : الآية (٢٩).

سورة البقرة:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (١٥٨) - سورة البقرة .

الصفا: الحجارة الصافية [١] عن الطين، والمروة: ما كان صلباً شديداً، والشعائر جمع الشعيرة، أي علامة محسوسة، ومعالم الحج مشاعر وشعائر، وسمي الهدى المعلم بذلك، والحج: القصد بمعرفة ومنه الحجة، والعمرة في الأصل الزيارة المقتضية لعمارة المودة في الأصل، فكان الحج هو الزيارة، والعمرة عمارتها، ولهذا يتأخر ذكرها في القرآن، ويجب الدم علىٰ من قدمها في أشهر [٢] الحج أوقرنها به لتقديم ما من حقه أن يؤخر، وهذا ينبه أن الإفراد أفضل من التمتع والقران، فإن قيل: فكيف ندب النبي- عليه السلام أصحابه إلى فسخ الحج والانتقال إلى العمرة، على هذا قيل: إنه أراد أن ينزلهم عن اعتقادهم [٣] أن الاعتمار في أشهر [٤] الحج من أكبر الكبائر،والجناح الميل إلى الإثم، أصله من الجناح، و"**جنح الطائر**" حرك جناحه، وبه شبه سير الإبل، فقيل جنحت الإبل في السير، كقولهم طارت، وجنوح السفينة لتشبه السابح بالطائر، ولهذا قيل: السابح طائر في الماء، والطائر سابح في الهواء،وجنح الظلام ألقى جناحه، ألا ترى أنه يقال: ألقى الظليم أرواقه كما يقال: ألقى الظالم أرواقه،؟والتطوع: تكلف طوع أي انقياد، وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم، وإنما قال: لا جناح، وذلك واجب، لأن العرب كانت تكره السعي في الجاهلية، وقيل: إنها كرهت لصنمين كانا قيل عليهما يعتقدون أن لهما السعي، فتأثموا لذلك، فأنزل اللّٰه تعالى الآية، وأما الوجوب: فمستفادٌ من الخبر، وهو قوله:(اسعوا) فإن اللّٰه كتب عليكم السعي، وروي أن عروة قال لعائشة -رضي اللّٰه عنها: "ما أرى جناحاً أن لا يطوف بين الصفا والمروة، فقالت: «بئسما قلت، لو كان كذا، لقال:« أن لا يطوف بهما » [٥] .

١- في (أ - ص) من الطين.

٢- في (و - ج) اسمه، وهو خطأ من الناسخ.

٣- في (أ - ص) عن اعتقاد.

٤- في (و - ج) اسمه.

٥-أورده ابن كثير بسنده إلى **عروة** عن عائشة قال : قلت أرأيت قول الله تعالى : (إن الصفا والمروة) الآية - قلت : فوالله ماعلى أحد جناح أن لايتطوف بهما ، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي، أنها لو أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا يارسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمرة في الجاهلية، فأنزل الله - عز وجل-(إن الصفا والمروة من شعائر الله)- الآية ، قالت عائشة: ثم قد سنّ رسول الله - **صلى** الله عليه وسلم - الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما. أخرجاه في الصحيحين.- تفسير القرآن العظيم -ج:١-ص١٩٨ ، ١٩٩ .

وقد قيل : إن قوله: "لا جناح " كلام تام، وإن قوله: (عليه أن يطوف) استئناف يقتضي الوجوب، وقرئ (يطوع) على تقدير "يتطوع"، وبيَّن بقوله: (فمن تطوع) أي من زاد على ذلك، فإن الله عز وجل- يبينه، فشكر الله - عز وجل- للعبد الإحسان إليه، وقد تقدم أن الشكر كما يكون بالقول يكون بالفعل، وعلى ذلك قوله عز وجل: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[١] ، وليس شكر الأرفع[٢] للأوضع إلا بقبوله حمده، والإفضال[٣] عليه بذلك..

قوله عزل وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ الآية (١٥٩) - سورة البقرة .

اللعن الإبعاد على وجه الطرد، وصار في التعارف دعاءً إذا قيل: لعنه الله والبينة والهدى وإن كانا متلازمين فإنهما مختلفان، فإن البينات يشار بها إلى الآيات المنزلة والهدى إلى ما يستدل به من الأمارات، وقيل: الآية في أهل الكتاب العالمين أمر النبي عليه السلام، وقيل: هي عامة، وسواء خصت الآية أم لم تخص، فحكم الله عام في أن من كتم علماً عن مستحق له استحق العقوبة، وعلى هذا قال عليه السلام: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٤] وليس ذلك بمناف لقول من منع حقائق الحكمة عمن لا يستحقها، فإن ذلك دعاء له أن يترشح لقبولها وحسن سماعها وحفظها لئلا يستعين بها في طريق السر، فليس العلم بأهون على الله -عز وجل- من المال الذي هو عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وقد منع أن يمكن منه السفيه الذي لا يحسن مراعاته، فقال:

---

١ - سورة سبأ : الآية (١٣).

٢- في (أ - ص) ليس شكر الرفيع للوضيع.

٣- في (أ - ص) الإفضال عليه وقبول حمد منه.

٤- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢: ص ٣٤٤ ، ٣٥٣، وأخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ج :١ ص ١٠٨ ، ج:٤ ص٧٦، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج :١ ص ١٦٢ ، كما أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم (٢٩٠٠١).

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[١]. واللاعنون: قيل هو عام في الملائكة والناس ودواب الأرض، وما روي أنه تلعنهم الهوام، فتقول: (مُنِعْنَا الْقَطْرَ بِمَعَاصِي بَنِي آدَمَ)، فذلك تنبئ أحوالها أنهم مستحقون من الله اللعن، فكأنها ناطقة بذلك، كقولك لمن رأيت له أثراً قبيحاً على فرسه: "**إن فرسك تشكوك وتلعنك**"، وعلى ذلك قول الشاعر في ناقته:

يَقُولُ إِذَا ادرَأْتُ لَهَا وَضِينِي … أَهَذَا دِينُهُ أَبَداً وَدِينِي[٢]

وأما ما يتصوره بعض الناس في أن يكون للهوام تمييزٌ ولعنٌ بالقول، فذلك ممتنعٌ بوجه مخصوص ليس هذا موضع شرحه.

قوله عز وجل :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

الآية (١٦٠) – سورة البقرة.

لما كانت التوبة استدراك ما ارتكب من المآثم بما يغمره من أفعال الخير على ما تقدم ذكره، فمن يكتم البينات والهدى عن الناس فإنه مع جنايته في نفسه أفسد الناس ومنع[٣] حقهم، فإذن لا يكفيه من التوبة أن يغير نيته بالندم والعزم على أن لا يعاود مثله حتى يصلح ما أفسده بقدر طاقته ويظهر ما كتمه، كما أن من غصبه مالاً لا يكون موفياً حق التوبة حتى يرد ما غصبه، وضمن تعالى أنه يتوب عليهم إذا فعلوا ذلك وبين بقوله: **﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** أنه ليس يفعل ذلك بهم فقط، بل يتوب على كل تائب، وفي حق توبته ويرحمه.

١- سورة النساء : الآية (٥).

٢- البيت للمثقب العبدي وأورده القرطبي في تفسيره ج :١ ص ١٩١ وورد في تاج اللغة ج:٢ ص ٢٧٤ ، وأورده الزبيدي في تاج العروس ج:٩ ص٢٠٨، وورد في الأمالي ج:٢ ص٣٢٨.

٣- في (أ – ص) ومنعهم.

قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ الآيتان (١٦١، ١٦٢) - سور البقرة .

لما بين في الأول من تاب من ذنبه تاب عليه ورحمه بين في هذا أن من مات على كفره فالعقوبة لازمة له، إن قيل: أليس قد قال في الأول: **﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾**[1] فلم أعاد ههنا قيل لأمرين، أحدهما أنه عم ههنا، وخص في الأولى الذين يكتمون الحق والثاني أنه في الأولى ذكر أن اللعنة تتوجه إليهم وهم يستحقونها[2]، وفي الثانية ذكر أن اللعنة تقر عليهم، ولهذا قال عليهم:

إن قيل: هل الناس عام حتى أكده بأجمعين؟

قيل: نعم، وذلك أن المؤمنين وصالحي العباد يلعنونهم، وهم يلعن بعضهم بعضاً، كما قال: **﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾**[3] ، وكل يلعن نفسه ويلعن بعض جوارحه وقواه بعضاً، كما تشهد عليه، وقوله: **﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾** قيل: في اللعنة، وقيل : في النار، وهما في الحقيقة واحد، فكل من عليه اللعنة فهو في النار، وقرئ: **﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ ﴾**[4]، ويكون ذلك عطفاً على المعنى دون اللفظ.

قوله عز وجل :

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ الآية (١٦٣) - سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في الواحد إذا وصف به الباري عز وجل، وقوله: **﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾** يجوز أن يكون خطاباً عاماً أي المستحق منكم العبادة وهو إله واحد لا أكثر، ويجوز أن يكون خطاباً للمؤمنين،

---

١ - سورة البقرة : الآية (١٥٩).

٢- في (و- ج) ويستحقونه.

٣- سورة العنكبوت : الآية (٢٥).

٤- قرأ بهذا الوجه الحسن- معجم القراءات القرآنية ج:١- ص.١٣٠.

والمعنى: الذي يقصدونه[١] إله واحد تنبيهاً أنكم لستم [٢] كالكفار الذين يعبدون آلهة من الأصنام[٣] والشيطان والهوى وغير ذلك..

إن قيل: ما فائدة الجمع بين ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ وبين ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ وأحدهما يبنى على الآخر؟

قيل: لما بين بقوله: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ أنه المقصود بالعبادة أو المستحق لها، وكان يجوز أن يتوهم أن يوجد إله غيره ولكن لا يعبد أولا يستحق العبادة أكده بقوله: (لا إله إلا هو)، وحق لهذا المعنى أن يكون مؤكداً ويكرر عليه الألفاظ [الملخصة][٤]، إذ هو مبدأ مقصود العبادة ومنتهاه..

قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الآية (١٦٤) - سورة البقرة.

اختلاف الليل والنهار: أن يخلف كل واحد منهما الآخر، كقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾[٥] ، وقوله: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾[٦] ، وقوله: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾[٧] ، والفلك : السفينة المدورة، وبه شبه فلك السماء، ولذلك استعمل فيه السباحة وفلكة المغزل، وفلكت الجارية صار ثديها كفلكة، وفلكت الجدي: وضعت فلكه على لسانه يمنعه عن الرضاع، والفلك يقال للواحد والجمع، وذلك أنه يقال للواحد فلك، وفلك نحو: نُخل ونَخْلٍ وعُرْبٍ وعَرَب، وعُجْم وعَجَم، ومن قال: فلك يجمعه على فلك نحو أسَدٍ وأُسْدٍ، فتداخل الواحد والجمع من لغتين، والبث إظهار

١- في (أ - ص) يعبدونه.

٢- في (و - ج) أن لستم.

٣- في (أ - ص) أصناماً آلهة.

٤- ساقطة من (أ - ص).

٥- سورة الفرقان : الآية (٦٢).

٦- سورة الزمر : الآية (٥).

٧- سورة النور : الآية (٤٤).

ما كان خفياً عن الحاسة همًّا كان أو غيره، والدبيب أصله حكاية صوب المشي، ثم قيل: دب إذا مشى، ويقال لكل ما يمشي دابة، ثم خص بالفرس، والدب خص بضرب[1] من السباع، وأما الدبة والدبدبة، فاعتباراً بصوتهما، والتصريف: صرف الشئ من وجه إلى وجه، وصريف الباب منه، لكن اعتبر فيه الصوت، فبني بناء الأصوات كالنهيق والشهيق وغير صارف تصرف الفحل إلى نفسها بإظهار شبقها، والصرف والصريف المصروف عن الكدورة، لكن خُص الصريف باللبن والصِّرْف بسائر الأشربة، وقوله: (وتصريف الرياح) يجوز أن يكون تقديره: تصريف الله الرياح، وأضيف إلى المفعول، وتصريف الرياح والسحاب، فيكون مضافاً إلى الفاعل، والسحب جر الثوب، والسحاب هو لما تجره الريح، والتسخير القهر علي الفعل، وهو أبلغ من الإكراه، فإنه حمل الغير علي الفعل بلا إرادة منه على وجه كحمل الرحى على الطحن، إن قيل: لم جمع السماء وأفرد الأرض في كل القرآن؟

قيل: لأن السماوات لما كانت في الحقيقة سبعاً وطبائعها مختلفة على ما ذكر أصحاب هذه الصناعة، وكل واحدة مستمدة القوة مما فوقها ومعطية ما دونها، والأرض وإن كانت سبعاً، فليس على ذلك الوجه، لأنها بالأقاليم لا بالطبقات المتراكبة تراكب السماء وطبيعتها واحدة، ولهذا قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[2] فترك اللفظ مفرداً، ونبه بمثلهن على العدد الذي يعد به الأقاليم، وإنما ذكر هاهنا لفظ الخلق، لأنه مشتمل علي الإبداع والصنع والتسخير، وخص فعل الله تعالى بذلك لكونه موضوعاً للتقدير المقتضي للأحكام، وهو تعالى أحكم الحاكمين، ونبه تعالى على وحدانيته بالتفكر في الموجودات وذكر من آياته مالا يخفى أمر صنعته على ذوي الحواس والعقول ليستدل به كلٌ على قدر فهمه ويقف منه على معارف بمبلغ علمه.

إن قيل: كان الوجه أن يُعقد ذكر السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار بتصريف الرياح والسحاب التي هي من آثار الجو ومختصة بفعل الله - عز وجل- ، ثم يعرج على ذلك الفلك التي هي

١- في (أ-ص) ببعض.

٢- سورة الطلاق: الآية (١٢).

في الأرض وفيها أثر أيدي البشر، حتى يكون على النسق، قيل إن إيجاد البحر مقدم على إيجاد الأمطار والرياح والسحاب، فكل ذلك إنما ينشأ عن البحار الساطع من رطوبة البحار ويبوسة الأرض، وذلك مبين في كتب المعنيين بمعرفة هذه الصنعة، ولما لم يكن فرق بين أن يقال: (والفلك التي تجري في البحر) وبين أن يقال: (والبحر الذي تجري فيه الفلك) في أن القصد الأول بالآية أن يعرف منفعة البحر وإن أخر في اللفظ، وقدم ذكر الفلك التي هي من صنعتنا، ونحن بصنعتنا أعرف منا بصنعته. قدم ذكر الفلك لننظر منها إلى آثار الله تعالى، وقال بعض الناس:

لم يعن بالفلك والبحر المحسوسين فقط، بل عنى بالبحر كل شبهة وحيرة ومشقة، وبالفلك ما فيه ايقاد [1] البشر من فائض النور والعقل أمدهم به، وغير ذلك من المعادن المعقولات والمحسوسات، وقد تقدم أن من الناس من قال: الإشارة بالماء في نحو هذه المواضع إلى العلوم التي بها الحياة الأبدية وما في الأرض إلى النفوس التي بها تحيا الحياة الأبدية، ولما ذكر الله تعالى في الآية الأولى: (والهكم إله واحد) جعل هذه الآية دلالة عليه تنبيهاً أن كل موجود لا ينفك من أن يكون مكوناً غير مكون، أو مكوناً من وجهٍ مكوناً من وجهٍ أو مكوناً غير مكون، ومحال أن يكون كل مكون مكوناً، لأن ذلك يؤدي إلى مالايتناهى، فإذن لابد أن تنتهي الموجودات إلى مكون غير مكون، وذلك هو الباري -عز وجل-، فنبه أن أثر الصنعة موجود في هذه الأشياء، فلابد أن تكون مكونة، وهذا هو الدلالة على وحدانيته علي طريق الجملة...

قوله عز وجل :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ الآية (١٦٥) - سورة البقرة.

الند: المثل في الجوهر ، وقد تقدم ، والحب أصله من الحب، وبه شبه حبة القلب وحبيبه يقال على وجهين، أحدهما : أصبت حبة قلبه، نحو كبدته وفادته، والثاني: أصبته بجبة القلب، نحو: رمحته وعنيته، أصبته بالعين، فقولك: حببته وأحببته هو في اللفظ فعل، وفي الحقيقة قد يكون انفعالاً، لأن المحب يكون منفعلاً للمحبوب، وإذا استعمل في الله تعالى فقيل: "**أحب الله فلاناً**"، فليس إلا على

١- في (أ - ص) إبعاد وهو خطأ من الناسخ.

سبيل الفعل والمعنى: أصاب الله تعالى حبة قلبه، فجعلها لنفسه مصونة عن الهوى والشيطان وسائر أعــــداء الله، والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، وهي أربعة أضرب بحسب أعراض الناس في أمورهم، اللذة، والنفع، والخير المحض، والمركب من اللذة، والنفع [لمحبة المغني له والمغني بعضهما لبـعض][1]، وكل محبة ينقطع سببها انقطعت بانقطاعها، ولما كانت الشهوات البدنية والمنافع الدنيوية منقطعه، فالحب الذي يجلبانه منقطع لا محالة بانقطاعهما، ولما كان الخير المحض باقياً، كان الحب الذي يجلبه باقياً ببقائه، ولما بين تعالى توحيده والدلالة عليه ذكر بعد أن مع ظهور الآيات المنبئة عنها من الناس من يتخذ نداً لنفسه بحبه، ويراعيه مراعاة الله تعالى، ثم نبه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أن محبتهم لأندادهم منقطعة، فإن أسبابها المقتضية لها منقطعة، ومحبة المؤمنين له دائمة، إذ هو دائم. والند المشار سواء كان صنماً معبوداً أو رئيساً مخدوماً، أو مالاً منعقداً، أو إنساناً معشوقاً، فإن كل ذلك محبوب لمن يراعيه من وجه ومعبود من وجه، ثم بين بقوله: (ولو ترى)[2] ما أعد لهم من العذاب الأليم، فإذا قرئ بالياء، فإن ما بعده هو مفعول يرى وجواب "لو" محذوف، وقيل: إن القوة مفعول الفعل المحذوف الذي هو جواب[3]، كأنه قيل[4]: لرأوا أن القوة لله جميعاً، وإذا قرئ بالتاء، فخطاب النبي على طريق التعظيم، ومعناه: أنك مع علمك بأحوال القيامة لو رأيت لتعجبت، وقوله: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، قيل: هو بدل من الذين، وهو ضعيف[5] وقيل: هو مفعول الفعل المقدر[6] للجواب، وقيل: تقديره: لأن، وقد قرئ إن مكسورة[7]، ولا يكون إلا علة[8]، والمفعول محذوف.

١- ساقطة من (أ - ص).

٢- قرأ بهذا الوجه كل من نافع وابن عامر ويعقوب وشريح وقتادة وشيبة وابن شبيب والفضل بين شاذان، وقرأ (ولويرى) بالتقليل والإمالة كل من حمزة والكسائي وأبي عمر وورش وابن ذكوان والسوسي والأزرق، انظر معجم القراءات القرآنية- ج: ١- ص ١٣١.

٣- في (أ - ص) جوابه.

٤- في (أ - ص) قال.

٥- ساقطة من (أ - ص).

٦- في (أ - ص) المقدم وهو تصحيف.

٧- قرأ بهذا الوجه كل من أبي جعفر ويعقوب والحسن وقتادة وشيبة وسلام،معجم القراءات القرآنية ج: ١ ص١٣٢.

٨- في (أ - ص) عليه.

قوله عز وجل :

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾

الآية (١٦٦) - سورة البقرة.

السبب: أصله الحبل الذي تشد به (الخيم)[١] ويرتقي به الشجر، ثم جعل عبارة عن كل ذريعة من مواصلة وذمة؛ والسبب والسبيبة للشقة من الثياب تشبيهاً به في الهيئة، وبعض الصنعة، وسببته في الأصل كناية معناه: أصبت سببه، وعنه سمى الإصبع سبابه، لكونها مشيرة بالسب، كما قيل لها مسبحة لإشاراتها بالتسبيح، وتقدير الآية: (إن الله شديد العذاب).

إذ تبرأ المتبعون من تابعهم، كقوله: **﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**[٢] ، وقوله: **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾**[٣] ، وقوله: **﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾**[٤] ، وكما حكى عن الشيطان: **﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾**[٥] ، وقوله: **﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾**[٦] .

١- ساقطة من (أ - ص).

٢- سورة الأنعام: الآية (٩٤).

٣- سورة العنكبوت: الآية (٢٥).

٤- سورة الزخرف : الآية (٦٧).

٥- سورة إبراهيم : الآية (٢٢).

٦- سورة الشعراء: الآية (٨٨).

قوله عز وجل :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ الآية (١٦٧) - سورة البقرة .

الكر: هو العطف على الشئ بالذات، أو بالفعل ، وعبر به عن الجبل المعقول، والكرير: تكرر الحشرجة في الصدر، والحسرة أصلها من حسرات القناع، وكأنها كشف ما غطى القصيرة من الهوى، وعلى ذلك:

تَحَلَّى غِطَاء الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكَدْ

غِطَاءُ فؤَادِي يَنْجَلِي يَسْتَرِيحُ[١]

ولما كان عند ذلك لغرض الندم والغم بما كان من الإنسان عبر به عنهما، فقيل أصابته حسرة، وقوله: كذلك أي كتبرؤ بعضهم من بعض يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وبين الله تعالى ما يظهرونه من الندم باتباع مالا يغنى عنهم من الله شيئاً وينسيهم مالا يجزي نفعاً، وقوله: أعمالهم دخل فيها [الأعمال التي فعلوها][٢] ولم يريدوا وجه الله بها، فضلت عنهم، كقوله تعالى: **﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾**[٣] ، وقوله: **﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾**[٤] ، وقوله: **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾**[٥] ، ودخل فيها الأعمال التي فُرِضَت عليهم، فأحلوا بها، وعلى ذلك روي أن الجنة تُرفع لهم، فينظرون إليها، فيقال: تلك مساكنكم لو أطعتم الله عز وجل، وترفع النار لأهل الجنة فيقال لهم: تلك مساكنكم لو عصيتم الله عز وجل ..

١- لم أهتد إلي قائله .

٢- ساقطة من (أ - ص).

٣- سورة محمد : الآية (١).

٤- سورة الفرقان : الآية (٢٣).

٥- سورة النور : الآية (٣٩).

قوله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

الآية (١٦٨) - سورة البقرة .

الحلال: من حللت العقدة، وهو الذي حل عنه عقدة الخطر، وحل بالمكان، أي حل عقد أحماله، كقولهم: حط رحله، وألقى أرواقه وحل الديْن، أي حل عقد المطالبة، وحل من إحرامه، حل ما عقده على نفسه بالإحرام، وتحلة اليمين: ما تنحل به عقدة اليمين، والإحليل: لمخرج اللبن والبول لانحلال عقدته، والطيب: ما تستطيبه الشهوة المستقيمة والعقول الصحيحة أما بالإضافة إلى الشهوة المستقيمة فهو ما يشتهي لا لاضطرار كالجرذ والفار والحية والدم، أو لعادة سيئة كأكل الضب، ولهذا قال الشاعر:

إِنَّكَ لَوْ ذُقْتَ الْكَسِيَّ بِالأَكْبَادِ … لَمَا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَعْدُو بِالْوَادِ[١]

وكعادة المخنث والمائل إلى الذكور عن النساء، وأما بالإضافة إلى العقول الصحيحة، فما يكون متناولاً من حيث ما يجوز متبلغاً به إلى ما خُلق لأجله وأن لا يقصد به شرك كما يذبح على النصب والخبيث على العكس، والحلال أعم من الطيب، والحرام أعم من الخبيث، فقد يكون حراماً مالا يكون خبيثاً في نفسه بالعقل كتحريم ما يقسم بالأزلام، واستعمال الذهب والفضة، ولبس الحرير على الذكور[٢]، وجمع بين الحلال والطيب في الآية ليفيد ما استطابه الطبع وأباحه الشرع، ولما ذكر إباحة الطيب، وكان كثيراً ما يزين الشيطان لبعض الناس ما ليس بالطبع الصحيح طيباً، كعادة المخنث اتبعه بقوله: **﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** كقوله: **﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ﴾**[٣] ، وقد تقدم أن لا فرق بين أن يقال: "اتبع فلان[٤] الهوى " وبين : "اتبع الشهوة أو الشيطان أو الحياة الدنيا في أن

١- لم أهتد إليه .

٢- في (أ - ص) الذكران.

٣ - سورة ص : الآية (٢٦).

٤- ساقطة من (أ - ص).

المقصد [بجميع ذلك][١] متابعة ما يصد عن سبيل الله - عز وجل-، ونبه بقوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أن عداوته لا تخفى على ذي بصيرة، وهذا المعنى الذي أراده الشاعر وإن نقل اللفظ إلى الدنيا، حيث قال:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ.[٢]

وقول آخر:

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ ... لَمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لاَ يُشْفِقُ.[٣]

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٦٩) - سورة البقرة.

السوء والفحشاء كل قبيح من نحو الزنا، والسرقة، والسكر[٤]، والقتل، والخيانة، والكذب والحسد والجهل [وكل ما يقال له سوء][٥] يقال له فحشٌ، لكن بنظرين مختلفين، فإنه سمي سوءاً لاغتمام العاقل به، والفحشاء بأن يستفحشه، ونبه تعالى بأن الشيطان داع إلى إتيان الشر والسوء والفحش والتقول على الله عز وجل، إن قيل: إن كان التقول على الله عز وجل بما لا يعلم من عمل الشيطان، فكيف يصح الحكم بغالب الظن في كثير من الأحكام، فإن عامة فروع الفقه مبنية على غلبة الظن، قيل: أما أولاً: فليس ذلك تقولاً على الله تعالى، وإنما ذاك تقول على أحكام، وقد فرق المتكلمون

١- ساقطة من (و - ج).

٢- هذا البيت لأبي نواس وقبله .

وما الناس إلا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق.

هذا البيت من قصيدة فى الزهد مطلعها :-

أيارب وجه فى التراب عتيق ... ويارب حُسن فى التراب رقيق

وانظر ديوان أبي نواس - ص ٦٢١، تحقيق وضبط : أحمد عبدالمجيد الغزالي.

وقد أورده عبد الله بن خميس في كتابه : الشوارد - ج : ٢- ص٣٦٤، وأورده الراغب في كتابه : الذريعة إلي مكارم الشريعة - ص ٣٣٢ ، وهو في ديوان أبي نواس - ص ٤٦٥- ط : دار صادر - بيروت .

٣- قائل البيت هو أبو تمام وذلك كما في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر ج :٤ ص ٩٦.

٤- ساقطة من (أ - ص).

٥- ساقطة من (أ - ص).

بين الحكمة العلمية وبين الحكمة العملية وقالوا: كل ما كان من الحكمة العلمية،وهي التي لا عمل لها كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، فإنه لا يجوز إن يحكم فيه إلا بالعلم المصون عن الشوائب، وما كان من الحكمة العملية فأصولها كذلك، وأما فروعها: فيجوز الحكم فيها لغلبة الظن لتفسيح صاحب الشرع لنا في ذلك، فصار حكمنا فيه من هذا الوجه حكماً[١] بالعلم، لأنه إذا قال لنا: إذا غلب في ظنك أن القبلة في هذا الجانب، فصل إليه، وإذا شهد عندك شاهدان مزكّيان فاحكم بشهادتهما صرنا عالمين بأن هذا الحكم واجب علينا في الظاهر، وهذه مسلمة قد أحكمت في أصول الفقه، وأما سؤال من سأل من المتكلمين في هذه الآية بأنه كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نسمع قوله ولا نرى شخصه، وما الحكمة في إيصال الله -عز وجل- أمر الشيطان إلى نفوسنا، فهذا وما يجري مجراه من الأسئلة سؤال من لم يتخط المحسوسات والموهومات إلى باب المعقولات، ومحال الاشتغال معه [بهذه الحرمات][٢].

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ الآية (١٧٠)- سورة البقرة .

ذمهم الله بأنهم أبطلوا ما خص الله به الإنسان من الفكر والروية وركزه[٣] فيه من المعارف، وذلك أن الله تعالى ميز الإنسان بالفكر ليعرف به الخير من الشر في[٤] الاعتقاد والصدق من الكذب في المقال[٥] والجميل من القبيح في الفعال لم يتحر الحق والصدق والجميل، ويتجنب أضدادها،

١- في (أ - ص) حكمنا.

٢- ساقطة من (و - ج)

٣- في (أ - ص) وركب

٤- في (أ - ص) ليعرف به الحق من الباطل.

٥- في (أ - ص) في المقال.

وجعل له من نور العقل ما يستغني به فيدله على معرفة مطلوبه، فلما حث الناس على تناول الحلال الطيب، ونهاهم عن متابعة الشيطان بين حال الكفار في تركهم الرشاد واتباعهم الآباء والأجداد، ليحذر من الاقتداء بهم تاركين استعمال الفكر الذي هو صورة الإنسان [وحقيقته][1]، ثم قال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ أي يتبعونهم وإن كان آباؤهم جهلة- تنبيهاً أنه محال اتباع من لا عقل له ولا اهتداء..

إن قيل: ما فائدة الجمع بين قوله: (يعقلون، ويهتدون) وأحدهما يغني عن الآخر؟

قيل: قد تقدم أن العاقل يقال على ضربين، أحدهما: لمن يحصل له القوة التي بها يصح التكليف، والثاني: لمن يحصل له العلوم المكتسبة وهو المقصود ههنا، والمهتدي قد يقال لمن اقتدى في أفعاله بالعالم وإن لم يكن مثله في العلم، فبين أنهم لا يعقلون[2] ولا يهتدون، بعالم ووجه آخر، وهو أن يعقل ويهتدي وإن كان كثيراً ما يتلازمان، فإن العقل يقال بالإضافة إلى المعرفة، والاهتداء بالإضافة إلى العمل، فكأنه قيل: لا علم لهم صحيح ولا عمل مستقيم.

١- ساقطة من (و - ج).

٢- في (و - ج) لا يعلمون.

قوله - عز وجل :
﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾

الآية (١٧١) - سورة البقرة.

النداء من قولهم: ندي[١] الصوت ،أي:غَضُّ الصوت، وأصله من الندى، فناداه، أي:دعاه بندى صوته، ولما حكى الله عنهم ما زعموا أنهم يتبعون آباءهم دل على جهلهم بأنهم كأغنام يُنعق بهم، فلا يعرفون مغزى الصوت ولا قصْد المنادي، وقد تقدم الكلام في قوله **﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾**[٢] ، إن قيل: كيف يكون مثلهم مثل الناعق والذين كفروا بالمنعوق به أشبه، والذي ينعق بالمنادي، والداعي أشبه قيل: التشبيه[٣] ضربان، تشبيه مفردٌ بمفردٍ، وحقه أن يحمل أحدهما على الآخر [نحو زيد كأسد، وتشبيه جملةٍ بجملةٍ][٤] ولا يراعي فيه مقابلة الألفاظ المفردة، فلما شبه قصة الذين كفروا[٥] في إعراضهم عن الداعي[٦] لهم إلى الحق بقصة الناعق،[قدم ذكر الناعق ليبنى][٧] عليه ما يكون منه، ومن المنعوق به، وعلى هذا قوله **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾**[٨] ، وقوله: **﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾**[٩] ، وقيل: عنى بالذين كفروا المتبوعين لا التابعين، ومعناه: مثل الذين كفروا في دعائهم أتباعهم كمثل الناعق بالغنم [الذي لا يسمع لها الصوت][١٠]..

---

١ - في (أ - ص) ندا.
٢ - سورة البقرة : الآيتان (١٨ ، ١٧١).
٣ - في (أ - ص) الشبه.
٤ - ساقطة من (أ - ص).
٥ - في (أ - ص) الكافرين.
٦ - في (و - ج) الراعي وهو تصحيف.
٧ - ساقطة من (أ - ص).
٨ - سورة البقرة - الآية (٢٦١).
٩ - سورة آل عمران - الآية : (١١٧).
١٠- ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ .
الآية (١٧٢)- سورة البقرة.

إن قيل: ما فائدة إعادة هذا المعنى وقد تقدم آنفاً[١]؟ وما الفرق بين هذا الخطاب والخطاب الأول؟ قيل في ذلك لطيفة وإشارة عجيبة، وذلك أنه حيث خاطب الناس كافة قال: **﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾**[٢]، فأباح لهم ذلك، ونبه أنه لم يحظر[٣] عليهم إلا تناول المحرم، وعقبه بالنهي عن اتباع الشيطان، وجعل الخطاب في هذه الآيات مخصوصاً[٤] بالمؤمنين وأمرهم أن لا يتوسعوا[٥] في تناول ما رزقوا، بل يتحروا من الطيب تحري الناس مما في الأرض، وأنه في الأول بالتحرر عن خطوات الشيطان، وهو الارتسام له فيما يتخطى به عن المباح، وأمر ههنا بالشكر لله تعالى الذي هو أرفع منزلة في العبادة على ما تقدم ذكره، ونبه بقوله: **﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** إن عبادته لا تتم إلا بشكره..

قوله - عز وجل :
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية (١٧٣) - سورة البقرة .

الإهلال: أصله وجود الهلال، ولما جرت العادة أن يكبّروا عند رؤيته سمي التكبير إهلالاً، بل قيل لرفع الصوت أيضاً إهلال تشبيهاً بذلك حتى قيل: أهلَّ الصبي، وأما التهلل فظهور الهلال، فتارة يتصور لَمَعَانه، فيقال: تهلل السحاب، وتهلل وجهه، وتارة يتصور شكله، فيقال: تهلل البعير إذا تقوس.

١- ساقطة من (أ-ص).

٢- سورة البقرة الآية (١٦٨).

٣- في (و - ج) يحطه، وهو خطأ من الناسخ.

٤- في (أ - ص) خطاباً.

٥- في (أ-ص) أن يتوسعوا، وهو خطأ من الناسخ.

إن قيـــــل:

لم ذكر تعالى بعض المحرمات وترك بعضها؟

قيل: في ذلك جوابان، أحدهما: أن المسكوت عنه هو تفصيل الميتة، وقد ذكر ههنا الميتة المستوعبة[١] لكل مامات روحه عن غير ذكاة، والثاني: أنه لما كان القصد في هذه الآية حكم تناول المضطر دون استيعاب المحرمات، ذكر الكل[٢] منها وترك البعض، والباغي في الأصل الطالب لما ليس له طلب والعادي: المتجاوز لما رسم له بالشرع، وقال الحسن وقتادة والربيع وابن زيد: عنى بقوله: (غير باغ) غير متناول للذة، ولا عاد في المعصية طريق المحقين، وإلى نحوه ذهب الشافعي- رحمة الله عليه، والظاهر يشهد له، لأن قوله: (غير باغ ولا عاد) متعلق بحال الاضطرار، فكأنه قال: "**من حصل له اضطرار**" لا على أحد هذين الوجهين، وعلى الأول تقديره: فمن اضطر فأكل غير باغ ولا عاد فيكون غير متعلق بمقدر محذوف، ومن أنكر ذلك وقال: إنكم تأمرونه بقتل نفسه إذا خطرتم ذلك عليه، وقتل نفسه[٣] محرم عليه عاصياً كان أو مطيعاً، فجوابه إنا لم نأمره بذلك، بل أمرناه بأن يخرج عن الحالة التي تكون الميتة محرمة عليه، وذلك بأن يتوب [وينزع عما هو عليه][٤] وإلا كان متناولاً لمحظور[٥] كما أن سفره محظور، فإن قيل: أليس من سفره طاعة؟ إنما أجل له للإضطرار. لا للطاعة، فإذن العلة هي الضرورة، فيجب أن تكون مطّردة، قيل: بل العلة هي الضرورة مع حصول الطاعة، فقد قال الحكماء وهو الصحيح: إن الله تعالى جعل للإنسان طيبات الرزق بشرط الإيمان، ولهذا قال: ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[٦]، خالصة يوم القيامة فما أخذه الكفار من نعيم الدنيا، فإنما يأخذه اغتصاباً في الحقيقة، ولذلك قد تستقيم أحوالهم، والآية تقتضي أن المضطر مخير في تناول أيها يريد وهو

---

١ - في (أ - ص) المشتملة على كل مامات.

٢ - في (أ - ص) ذكر الجزء.

٣ - في (أ - ص) النفس.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (أ - ص) متناولاً محظوراً.

٦ - سورة الأعراف : الآية : (٣٢).

الصحيح، لأن عليه انقاذ روحه بجهده، فما رآه أقرب إلى إبقائه، فهو أولى بتناوله، واختلف إذا اضطر إلى شئ من ذلك في دواء لا يسد غيره مسده، هل يجوز تناوله؟

والصحيح أنه يجوز للعلة التي لها أجيز تناوله للجوع، وكذا الخمر إذا اضطر إليها[١] في دواء بحكم الأطباء أنه لا يسد غيره مسده، وأنه يفوت روحه إن لم يتناولها، قوله عليه السلام-.

(إن الله – عز وجل لم يجعل شفاكم فيما حرم عليكم)[٢]، فمعناه: إن قد رما فيه الشفاء غير محرم عليه، وعلى هذا نبه بالرخصة في شرب أبوال[٣] الإبل.

قوله – عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية (١٧٤) – سورة البقرة.

البطن به شُبه بطن الأمر وبطن الوادي، والبطن من العرب اعتباراً بأنهم كشخص واحد، وأن كل قبيلة منهم كعضو بطن وفخذ وكاهل، وعلى هذا الاعتبار قال الشاعر:

النَّاسُ جِسْمٌ وإِمَامُ الهُدَى ... رأسٌ وَأَنتَ العَيْنُ فِي الرَّأْسِ[٤]

وقيل: بطِنَ إذا عظم بطنه نحو جَسُم وكَبُر، وبطَّنته عظَّمت بطنه، وسمي ما يُشَدُّ عليه بطاناً.

على بناء حرام وزمام والإبطن عرق تكشف البطن على بناء الأكحل، وأعاد الله تعالى وعيد كاتمي

---

١ – في (أ – ص) إليه.

٢- الحديث رواه القرطبي في تفسيره ج:١ ص ٧١٨، وأورده البيهقي فى سننه – ج :١٠ – ص٥ ، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري – ج ١٠- ص ٧٩, ٢٤٧، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال – حديث رقم : ٢٨٣١٩ ، ٢٨٣٢٧، وأورده السيوطي في جمع الجوامع – حديث رقم : ٤٩٦١.

٣ – في (أ – ص) بول.

٤ – البيت لعلي بن جبلة العكوك في حميد الطوسي، وهو في ديوانه ص٧٤، وفي عقد الخلاص في نقد كلام الخواص لابن الحنبلي ص٢٠٠، وذيل أمالي القالي ج:٣-ص٩٦ والأغاني ج:١٨-ص١١٣، وله قصة فيه، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص١٣٠.

أحكامه أثر ما ذكر من الأحكام، ومالم يقل ذلك من أهل الكتاب وتحذيراً لهذه الأمة أن يسلكوا سبيلهم وأكل النار تناول ما يؤدي إليها، وذكر الأكل لكونه المقصود الأول بتحصيل المال، وسماه بالمال الذي هو النار، وذكر في بطونهم تنبيهاً على شرههم، وتقبيحاً لتضييع أعظم النعم لأجل المطعم الذي هو أحسن متناول من الدنيا، وعلى ذلك قال الشاعر:

ودع عنك عمراً إن عمْرًا مسالمٌ وهل بطنُ عمروٍ غيرُ سبْرٍ لمَطْعَمِ ؟[١]

وقال آخر :

كُلُوا في بعض بطنكم تَعِفُّوا[٢]

وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[٣].

وبقوله: "ولا يكلمهم" لم يعن[٤] نفي الكلام رأساً، فقد قال: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ ﴾[٦]، وإنما أراد كلاماً يقتضي جدوى، ولهذا قال الحسن: معناه يغضب عليهم تنبيهاً أنهم بخلاف من قال فيهم: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾[٧]، وقيل: حقيقة كلمته حملته على الكلام نحو: حركته وخرجته، لأن من كلمته فقد استدعيت كلامه، فكأنه قيل: لا

---

١ - لم أهتد إليه.

٢ - هذا شطر بيت وتمامه : كلو في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لايعرف قائلوها، وأنشده سيبويه في ج :١-ص١٠٨، كما أورده البغدادي في خزانة الأدب ج٣ : ص٣٧٩ وهو في شرح ابن يعيش ج:٦-ص٢٢ وفي المقتضب ج:٢-ص١٧٢، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ج:٣-ص٨٩، وفي المحتسب ج:٢-ص٨٧، وفي المفصل ص٩٣ والأمالي الشجرية ج :١-ص٣١١ والمدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى لأبي النصر السمرقندي الحدادى ص١٣٧.

٣ - سورة النساء : الآية (١٠).

٤ - في (و - ج) لم يلعن وهو تحريف.

٥ - سورة الأعراف : الآية (٦).

٦ - سورة الكهف : الآية (٥٢).

٧ - سورة الأحزاب : الآية (٤٤).

يستدعي كلامهم نحو قوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[١]. وقد تقدم الكلام في الاشتراء والقليل والتزكية.

قوله - عز وجل:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

الآية (١٧٥) - سورة البقرة.

الضلالة والعذاب يتلازمان، وكذلك الهدى والمغفرة، لكن الضلال[٢] والهدى يقالان على الاعتبار بالدنيا، والعذاب والمغفرة على الاعتبار بالآخرة، وجعل تعاطيهم لما يؤديهم إلى النار بمنزلة الصبر على النار، وهذا معنى قول الحسن: ليس صبرهم على النار، ولكن أراد ما أجرأهم على النار، وقول أبي عبيد[٣]:

إن ذلك لغة "يمانية" بمعنى الجرأة، واحتجاجه بقول الأعرابي الذي قال لخصمه:

«ما أصبرك على الله؟، فتصور المجاز بصورة الحقيقة؛ لأن ذلك معناه: ما أصبرك على عذاب الله، وإلى هذا يعود قول من قال: ما أعملهم بعمل أهل النار![٤] وما ألقاهم على النار!، وقد يوصف بالصبر من لا صبر له اعتباراً بالناظر إليه وتصوراً أنه صابر، واستعماله لفظ التعجب في ذلك اعتباراً بالخلق لا بالخالق.

١ - سورة المرسلات: الآية (٣٦).

٢ - في (و - ج) الضلالة وهو تصحيف.

٣ - انظر: مجاز القرآن ج:١ ص٦٤، ومعاني القرآن - للفراء - ج:١- ص١٠٣.

٤ - انظر معاني القرآن وإعرابه - للزجاج - ج:١- ص٢٤٥.

قوله - عز وجل :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾

الآية (١٧٦) - سورة البقرة .

ذلك إشارة إلى كل ما تقدم من العذاب والحكم والضلال، أي ذلك[١] بسبب إنزاله الكتاب واختلافهم فيه، ويصح أن يكون نصباً، أي فعلنا ذلك "بأن الله". وأصل الاختلاف التخلف عن المنهج، وقيل: اختلفوا: أتوا بخلاف ما أنزل الله، وقيل: اختلفوا بمعنى خلفوا، نحو كسبوا واكتسبوا، وعملوا واعتملوا، أي صاروا خلفاً فيه نحو: **﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾**[٢] ورثوا الكتاب، والشقاق قد تقدم ذكره، ووصفه ببعيد تنبيهاً على بُعْدِهم من الحق[٣]..

قوله - عز وجل :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الآية (١٧٧) - سورة البقرة .

الرقبة: أصل العتق، ويعبر بها عن الجملة كما يعبر عنها بالرأس والظهر والرجل واليد، ويعبر بها عن المملوك، وقيل رقبتُهُ: إذا أصبت رقبته إما بالسلاح، وإما بالعين ناظراً إليه، ثم سمي المراعي للغير رقيباً، والخطاب في هذه الآية للكفار والمنافقين الذين أنكروا تغيير القبلة، وقيل: بل لهم وللمؤمنين، حيث قدروا أنهم نالوا البر كله بالتوجه إليها، ولما كانت القبلة أحد أركان الصلاة، والصلاة إحدى فعلات البر، بين تعالى أن ليس البر بمقصور على هذا الذي تعتبرونه، بل هو حملها. والقبلة

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة مريم : الآية (٥٩).

٣ - في (أ - ص) من الخلق، وهو تصحيف.

ركنٌ من أركان واحدة منها، ثم عدها وذكر جملتها وفرائضها ونوافلها وبيان [ذلك أن جميع البر ضربان: اعتقاد، وأعمال، فالاعتقاد][1] أصوله الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والأعمال ضربان: أحدهما ما يأخذ الإنسان به نفسه في معاشرة الناس من الأقارب والأباعد من ذلك المعروف والمواساة والتحبب إليهم بالسر والقول الحسن.

والثاني: ما يتخصص به في نفسه من إقامة العبادات واستعمال الصدق والوفاء والتواضع والصبر، وقد نبه الله عز وجل- على جميع ذلك بهذه الآية، إما على الاعتقاد فبقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾، وإما على ما يأخذ به الإنسان نفسه في معاشرة الناس فبقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، فإنه ذكر الجود الذي هو من وجه أفضل هذه الأفعال، ومن وجه هو كل هذه الأفعال، فإن الجواد كما يتبرع بماله يتورع عن مال غيره، وكما يجود بماله، يجود بجاهه وبطلاقة وجهه، وعند الحقيقة- بنفسه، ودل على ما تخصص به في نفسه بقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ إلى آخر الآية، وكل ما سكت عنه فداخلٌ تحت ما ذكره، أو منبهٌ عليه، ونبه أن الآيتين بذلك برٌّ، وهو المؤدي إلى النعيم المدلول عليه بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[2]، وبين تعالى بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾أن الذين تحروا ذلك إذا اعتبرتهم بأفعالهم وأقوالهم فهم الذين صدقوا، وإذا اعتبرتهم بأفعالهم وأحوالهم فهم المتقون، والصدق والتقوى وإن اختلفت حقيقتاهما فهما متلازمان، إن قيل:

ما وجه قوله -عليه السلام- لما سأله أبو ذر عن البر، وتلا عليه الآية،ولما سأله وابصة عنه: قال "ما اطمأن إليه القلب، واطمأنت إليه النفس"[3] الخبر قيل إن أباذر سأله عن ذات البر، فبينه بالآية، ووابصة سأله عن كيفية تحريه والاشتياق من نفسه في تعاطيه، فبينه بصفته.

---

١ - سقطت هذه العبارة من الناسخ في (أ - ص).

٢ - سورة الانفطار : الآية (١٣)، وسورة المطففين : الآية (٢٢).

٣ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج :٤ ص٢٢٨ من حديث وابصة بن معبد ، وفيه « ياوابصة : استفت نفسك ، البر مااطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ماحاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس » كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج:٢-ص٢٥٥ وأورده الطحاوي في مشكل ماروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في البر والإثم ماهما ؟ -ج:٣-ص٣٤ ، ص٣٥ وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ج ٢-ص٢٥٧، وهو في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر- ج٣-ص٢١٢ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج :١٠-ص١٧٥ ، ص٢٩٤.

إن قيل: لِمَ لَمْ يقل: (ولكن البر بر من آمن)، أو: (البار من آمن) ليتطابقا؟

قيل: قد ذكر النحويون في هذا وأمثاله أنه على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ولكن وجه فائدته أنه إذا قيل "**زيد بار**"، فإنه يعتبر في قولك :بار سيان الذات، والصورة والمختص بها من معنى البر، وإذا قيل: "**زيد هو البر**"، ففيه مبالغة، وأنه صار لاختصاصه بهذا المعنى بحيث لا يرى منه إلا هذه الصورة مجردة عن العنصر الذي يجوز أن يتصور بغيره من الصور، وعلى هذا كل ما في معناه، نحو زيد أقبل[1] وأدبر، وأكل وشرب، وقوله: ﴿**عَلَىٰ حُبِّهِ**﴾ أي على حب المؤمن، فيكون مضافاً إلى الفاعل، وقيل: "**على حب المال**"، ويكون مضافاً إلى المفعول، ونبه بذلك أنه يبذله مع فرط الحاجة إليه نحو قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[2]، وقوله: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[3]، وسئل - عليه السلام- أي الصدقة أفضل؟

فقال: «**أَنْ تَتَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمَلُ الْعَيْشَ وَتَخْشَى الْفَقْرَ**»[4]، وقيل: تقديره: على حب الإيثار، وذلك أن المحمدة التامة لم تهتز لإعطاء المال وتحب ذلك كما قال الشاعر:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَالْخَوْ ... فِ وَلَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطَاءِ[5]

وقيل: على حب الله أي يقصد به القربة لا طلب رياء ولا ثواب كما قال: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ**﴾[6].

---

١ - في (و - ج) إقبال وإدبار.

٢ - سورة الحشر : الآية (٩).

٣ - سورة آل عمران : الآية (٩٢).

٤ - الحديث أورده أبو داود في الوصايا ص ٣ وأورده النسائي في الزكاة ص٦٠ وأورده ابن ماجة في سننه باب الوصايا ص ٤، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة والثوري عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(وآتى المال على حبه) « أن تعطيه وأنت صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر»، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأورده ابن كثير في تفسيره من رواية وكيع بسنده إلى ابن مسعود موقوفاً -ج:١ ص٢٠٨.

٥ - لم أهتد إليه .

٦ - سورة الإنسان : الآية (٩).

إن قيل: لم قال: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ ولم يقل: ووفى كما قال: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ ليكون الكلام على نسق واحد؟

قيل: ذلك لأمرين: أحدهما اللفظ، وهو أن الصلة متى طالت كان الأحسن أن يعطف على الموصول دون الصلة لئلا يطول[1] فيقبح، والثاني: أنه ذكر في الأول ما هو داخل في حيز الشريعة، وغير مستفاد إلا منهما، فالحكمة العقلية تقتضي العدالة دون الجود، ولما ذكر الوفاء بالعهد وهو مما يقتضي العقول المجردة، صار عطفه على الأول أحسن.

إن قيل: ولم نصب الصابرين؟ قيل: قد ذكر النحويون أن الصفات للمدح والذم إذا توالت قد يخالَفُ بين إعرابها، وأنشدوا في ذلك:

النَّازلين بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ   والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزُرْ[2]

إلى أبيات أخر..

وفائدة ذلك أنهم إذا أرادوا أن كل واحد من تلك الأوصاف يستقبل بمدح أو ذم عظيم لو تجرد عما معه خالفوا بين إعرابها تنبيهاً على هذا المعنى، ولما كان الصبر من وجه مبدأ الفضائل [ومن وجه جامعاً للفضائل][3] إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثر بليغ ولا يتم حسنها إلا به حتى روي:

«**الصَّبْرُ خَيْرٌ كُلُّهُ**»، قوله: (**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**[4]) عن[5] إعرابه تنبيهاً على هذا المقصد، واستوعب بقوله تعالى: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ أنواع الصبر، لأنه إما

١- في (و-ج) تطول.

٢- البيت للخرنق بنت هفان، وهي شاعرة جاهلية، وقبله:

لايبعدن قومي الذين هُمُ   سُمُّ العداة وآفةُ الجُزُرِ

وذلك كما في ديوانها ص٢٩ وفي الكتاب لسيبويه ج:١-ص١٠٤، وفيه(النازلون)، وتأويل مشكل القرآن-لابن قتيبة - ص٣٨، وتفسير الطبري -ج:١-ص ١٤٦، وشرح شواهد الشنتمري ج:١-ص١٠٤، وأمالي ابن الشجري ج:١-ص٣٤٤، والمحتسب لابن جني ج:٢-ص١٩٨، وخزانة الأدب للبغدادي - ج:٢-ص ٣٠١.

٣- ساقطة من (أ-ص).

٤- الحديث رواه الديلمي عن أنس - رضي الله عنه -، وأورده أحمد ضياء الدين في باب : الصبر في كتاب : راموز الأحاديث - ص٢١٧.

٥- في (و-ج) غير.

أن يحتاج إليه في مقتنى يقوت الإنسان، أو يريده فلا يناله، وهو البأساء أو فيما ينال جسمه من ألم وسقم وهو الضراء، أو في مدافعة مؤذيه له وهو اليأس.

إن قيل: كيف قدم ههنا ذكر الآخرة وأخره في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُر بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليوم﴾ (١)؟

قيل: يجوز أن يكون ذاك مع الواو لا يقتضي الترتيب من أجل أن الكافر لا يعرف الآخرة ولا يعني بها وهو أبعد الأشياء عن الحقائق عنده أخر ذكره، في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُر بِاللهِ﴾.

ولما ذكر حال المؤمنين، والمؤمن أقرب الأشياء إليه أمر الآخرة وكل ما يفعله ويتحراه يقصد به وجـــه الله ثم أمر الآخرة قدم ذكرها تنبيهاً أن مراعاة الله-عز وجل- ومراعاة الآخرة، ثم مراعاة غيرهما إن قيل: كيف اختير الترتيب المذكور في قوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ قيل: لما كان أولى من يتفقده الإنسان بمعروفه أقاربه، ولهذا قال عليه السلام: «لا يقبل الله صدقةً وذو رحمٍ محتاج» (٢)، كأن تقديمها أولى، ثم أعقبه (٣) باليتامى، فالناس في المكاسب ثلاثة:

معيل غير معول، ومعول معيل، ومعول غير معيل، واليتيم معول غير معيل، فمواساته بعد الأقارب أولى، ثم ذكر المساكين، وهم الذين لا مال لهم حاضراً ولا غائباً، ثم ذكر ابن السبيل الذي قد يكون له مال غائب، ثم ذكر السائلين الذين منهم صادقٌ وكاذبٌ، ثم ذكر الرقاب الذين لهم أرباب يعولونهم فكل (٤) واحد ممن أخر ذكره أقل فقراً ممن قدم عليه (٥).

١- سورة النساء - الآية :(١٣٦).

٢- لم أجد هذا الحديث، ولكني وجدت قريباً من معناه في الحديث الذي أورده ابن كثير بلا إسناد في تفسيره للآية حيث قال: وقوله: (ذوي القربى) وهم قرابات الرجل، وهم أولى من أعطي من الصدقة كما ثبت في الحديث : (الصدقة على المساكين صدقة، وعلى ذوي الرحم اثنتان : صدقة وصلة، فهم أولى الناس ببرك وإعطائك). تفسير القرآن العظيم -ج:١-ص٢٠٨- ط: دار الفكر العربي.

٣- في (و-ج) عقبه.

٤- في (أ-ص) بكل.

٥- في (أ-ص) ممن قدم ذكرها.

قوله -عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية (١٧٨) - سورة البقرة .

القص: قطع الشئ على سبيل الاجتذاذ[١] ، ومنه قص شعره، وقص أثره، وقص الحديث اقتطع كلاماً حادثاً حذف غيره، والقصة اسم منه، وحقيقة القصاص أن يفعل بالقاتل، والجارح مثل ما فعلا، واعتبر الشافعي ومالك صورة الفعل حتى إن من رضخ رأس غيره بالحجر كان القصاص مثله، لكن مالكاً يقول إنه يفعل به ذلك الفعل حتى يموت،والشافعي يقول: «**إن لم يمت من مثل فعله**[٢] **قتل بالسيف**»، ومن الفقهاء يعتبر المماثلة في القاتل والمقتول، فلا يقتل القاتل الحر بالعبد والمسلم بالذمي، والاختلاف[٣] أنه يعتبر في بعضهم[٤] كالمستأمن والكتابة يعتبر بها عن الإيجاب، وأصل ذلك أن الشئ يراد، ثم يقال، ثم يكتب فيعبر عن المراد الذي هو المبدوء[٥] بالكتابة التي هي المنتهى إن قيل على من يتوجه هذا الوجوب؟.

قيل: على الناس كافة، فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو الإمام إذا طلبه الولي، ومنهم من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل، ومنهم من يلزمه المعاونة أو الرضا به، ومنهم من يلزمه أن لا يتعدى، بل يقتص أو يأخذ الدية، والقصد بالآية منع التعدي، فإن أهل الجاهلية كانوا يتعدون في القتل، وربما لا يرضى أحدهم إذا قتل عبد غيره لا يقتل حر[٦] ..

---

١ - في (و - ج) الاحتذاء.

٢- في (أ - ص) من ذلك الفعل.

٣- في (و - ج) ولا خلاف.

٤ - في (و - ج) في بعض.

٥ - في (أ - ص) المبدأ.

٦ - في (و - ج) إذا قتل عبد عبده إلا بحر.

وقوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾..

من القاتل، وأخوة ولي[1] المقتول، ومعناه: من ترك له أخوه الذي هو ولى الدم شيئاً من القصاص فليتبع في المطالبة بالدية المعروف، وليؤد إليه القاتل بإحسان..

إن قيل: لم قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ ولم يقل: "فمن عفا له أخوه شيئاً"؟.

قيل: العدول إلى هذا البناء[2] للطيفة، وهي أنه لا فرق بين أن يكون صاحب الدم واحداً، فعفا أو جماعة فعفا واحد منهم[3] أنه يبطل حق القصاص ويعدل حينئذ إلى الدية، فقال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ ليدل على هذا المعنى، وقيل: فاتباع: هو أمر للعافي بحسن المطالبة، والهاء في قوله: أخيه، يجوز أن يكون للمقتول، ويكون لولي المقتول وجعله أخاً لولي الدم لا للنسبة ولا للموالاة الدينية، ولكن للإحسان الذي أسداه إليه وأجرى العهد مجرى الخطأ في الرضا منه بالدية، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ أي خفف عنكم إذ جعل لكم الخيار في الحكمين، وقال بعضهم لم يكن العفو في أمة قبل هذه الأمة، وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ أي مَن تجاوز المشروع قاتلاً كان أو ولي المقتول فإنه معاقب..

قوله -عز وجل :

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية (١٧٩) - سورة البقرة.

قوله: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ كقول العرب: القتل أنقى للقتل، وذلك أنه يصير سبباً للارتداع، وقال الجاحظ: تأويله أن العرب كانت تمتنع من تسليم القاتل إلى ولي المقتول خشية أن يقل عددهم، فقال الله تعالى: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي إذا دفعتموه كثر عددكم، لأن الله تعالى ينمي كل قوم كثر فيهم القتل، ولهذا كثرت العلوية وقل العباسية، ولهذا قيل: السيف منماه فما تسلط[4] على قبيلة إلا كثر عددهم، وقيل إن في ذلك حياة القاتل في الآخرة فإنه[5] يُرجى له الغفران، قال: وعلى هذا ما روي أن

---

١ - في (و - ج) وآخره لولي الدم.

٢ - في (أ - ص) العدول لذلك.

٣ - في (أ - ص) أحدهم.

٤ - في (أ - ص) يسلط.

٥ - في (أ - ص) لما يرجى.

الحدود كفارات لأهلها، وذلك بشرط أن يكون توبة، فالتوبة حق الله، والقصاص حق الآدمي، فإذا تاب[١] واقتص منه فقد خرج من الذنوب ويرجى له الغفران، فقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على التفسير الأول أي لعلكم ترتدعون عن القتل، وعلى الثاني: لعلكم لا تتحاشون من ترك القاتل والانقياد[٢] للقصاص.

قوله - عز وجل :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (١٨٠) - سورة البقرة.

الخير ههنا المال قليلاً كان أوكثيراً، وقال بعض الناس: الخير لا يتناول إلا الكثير مستدلاً بأن علياً - رضي الله عنه دخل على مولى له في موضعه، فقال: ألا أوصي وله سبع مائة أو ستمائة، فقال: لا، إنما قال -عز وجل (إن ترك خيراً)، وليس لك مالٌ كثيرٌ..

إن قيل: كيف سمي المال خيراً مطلقاً وقد قيل إن المال ليس خيراً مطلقاً حتى يراعي حال صاحبه، فربما كان شراً له، وعلى هذا ذم الله تعالى في عامِّ القرآن، وسماه تارةً فتنةً وتارةً عدواً..

قيل: إن المال كما يكون خيراً قد يكون شراً، لكن جعل الله تعالى ههنا خيراً تنبيهاً على أن الوصية يستحب في المال الطيب دون الخبيث والمغصوب، فإن ذلك يجب رده إلى أربابه ومما تم بالوصية فيه، وقيل: هذه الآية منسوخة، فالإيجاب نسخ مما حمله، والوصية للوارث إيجاباً وندباً، والناسخ لها عند الشافعية آية الميراث .

١- في (أ-ص) فإذا مات.

٢- في (أ-ص) والإهدار للقصاص.

وعند بعضهم قول النبي عليه الصلاة والسلام: « **لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»[1] ، وقال بعض الناس: لا نسخ فيها، لأن معنى كتب كقوله: أريد وشرع، وما يراد ويشرع قد يكون ندباً وإيجاباً، وقوله: الوصية للوالدين والأمر بين وإن اقتضى عموماً فإنه مخصوص بقوله - عليه السلام- «**لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**» فصار ذلك للوالدين الكافرين أو المملوكين والأقارب الذين ليسوا بورثة، وتخصيص الآية في "هو" لا كتخصيصها فيما فوق الثلث والثلث كثير، وقال طاوس: "إن أوصى لغير ذي قرابة لا يجوز احتجاجاً، وظاهر الآية لا يقتضي ذلك..

قوله - عز وجل :

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية (١٨١)- سورة البقرة .

أريد من بدل ذلك ولم يقل بدلها، وإن ما تقدم ذكر الوصية لكن يتناولها وغيرها من متعلقاتها، والهاء في "إثمه" للتبديل ومن : عام في الوصي والموصي له، والشاهد والحاكم وكل من له مدخل في ذلك إذا غير شيئاً بعدما سمعه أي علمه، فإن إثم ما يجري في ذلك راجع إليه تنبيهاً على ما قاله - عليه السلام: (**مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا**)[2]

وأعظم ذلك مالا يعرف المستن جود السان لها، كمن ادعى على صاحب الشرع خبراً يتعلق به

١- الحديث أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم : ٢١٢٠، ٢٢٢١، وأورده البيهقي فى سننه - ج:٦ -ص٨٥، ٢٤٤، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج:٤-ص١٨٦، ص١٨٧، ص٢٣٨، وأورده الدارقطني في سننه ج:٤-ص ٧٠، ص٩٧.٩٨، وأورده النسائي فى سننه في كتاب الوصايا- باب ٥-ج رقم : ٢٧١٣، ٢٧١٤.

٢- الحديث عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده مِن غير أن ينقص من أجورهم شئ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ». أخرجه مسلم، وله قصة، باب الزكاة برقم: (١٠١٧)، وأخرجه أحمد في مسنده ج٠٤-ص٣٦٢، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص٤٥٨، ص٨٦٧.

حكم، فيعتمد عليه الناس بعده، وإنما قال: ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ ولم يقل عليه، ليبين أن إثمه للتبديل لا لغيره، ونبه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أن ذلك وإن خفي على الناس، فلن يخفى عليه تعالى، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

قوله - عز وجل :

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

الآية (١٨٢) - سورة البقرة .

جنف وخيف يتقاربان، لكن جنف استعمل للميل إلى الخير، وخيف في الميل إلى الجور، وخاف يقاربه، إلا أن أكثر ما يقال في الحاكم وخيفه أن يوصي[١] لإنسان والمراد لغيره، كما قال طاوس: الخيف: التولج نحو أن يوصي الرجل لابن الابن ليوصل المال إلى أبيه أو لزوج ابنته ليوصله إليها، أو يخص في حيث يجب العموم، أو يعم حيث يجب الخصوص، وقوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي بين القوم الذين لهم مدخل في ذلك من الورثة والموصى لهم،[٢] وجاز إضمارهم لدلالة الكلام على ذكرهم.

إن قيل: كيف قال: ﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ والجنف هو الإثم؟ قيل: قد قال الربيع: الجنف في الخطأ، والإثم في العمد، وقيل: الإثم: ما يكبر[٣] معصيته، والجنف ما دون ذلك، وخوفه هو أن يبدو[٤] له أمارة تقتضي حصول ذلك، ولا فرق بين أن يخاف منه ذلك، قبل موت[٥] الموصى فيرشده، أو بعد موته فيصلحه، وليس الإصلاح بمقصور على إيقاع الصلح دون استعمال الصلاح،بل يتناولهما[٦]، وإنما قال: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لأنه لما خوف في الآية الأولى من تغيير الوصية بين أن النهي عن تغييره فيما لا

---

١ - في (و - ج) أن يوصي الإنسان.

٢ - في (أ - ص) الموصي بهم.

٣ - في (أ - ص) ما يكثر.

٤ - في (أ - ص) يظهر أمارة.

٥ - في (و - ج) قبل الموت.

٦ - في (أ - ص) يتناولها.

جنف فيه ولا إثم [على صاحبه][١]، فأما إذا كان فيه شئ من ذلك فلا إثم [في تغييره][٢]، وبين بقوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. أنه يتجاوز عما عسى أن يسقط من المصلح مالم يجده.

قوله - عز وجل :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الآية (١٨٣)-سورة البقرة .

الصوم في اللغة إمساك عما تنازع إليه النفس، ويقال ذلك في الطعام والشراب والنكاح نحو: ﴿إنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾[٣]، في نحو:[٤]

[خيلٌ صيام، وأخرى[٥] غير صائمة[٦]]

وصامت الريح إذا ركدت، والشمس إذا استوت في منتصف النهار كان لها وقفة، وفي الشرع إمساك المكلف بنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن المآكل والمشرب والمنكح والاستقاء والاستمناء والسعوط، وأما الأكل[٧] على سبيل السهو لا يخرجه عن أن يكون ممسكاً[٨] حكماً، ثم النية هل يجب أن يتقدم أو يجوز الاقتران به راجعٌ إلى اختلاف المذاهب؟ واعلم أن الإمساك عن الأطيبين هو المقصود بالصوم، وماعداه فلأنه يشبهه أو يؤدي إليه..، وللصوم فائدتان:

إحداهما: قريبة، وهي أن يروض الإنسان به نفسه عما تدعوه إليه من الشهوات القبيحة، فإنه يعودها الصبر عنها كما وصفها بقوله: ﴿إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[٩]، ومتى جعلت في حجر الشرع

١- ساقطة من (و - ج).

٢- ساقطة من (و - ج).

٣- سورة مريم - الآية :(٢٦).

٤- فى (أ - ص) وفي الصوم.

٥- في (أ - ص) وخيل.

٦- هذا شطر بيت، وعجزه: **تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما**

وهو للنابغة الذبياني في ديوانه - ص١١٢، واللسان (صوم)، والمجمل -ج :٢-ص٥٤٦،

٧- في (أ-ص) المآكل.

٨- في (أ-ص) إمساكاً.

٩- سورة يوسف: الآية(٥٣).

فعودت الانقلاع

فالنفس راغبة إذا رغبتها .·. وإذا ترد إلى قليلٍ تقنع [(١)]

ولكونه مفيداً للصبر، قال عليه السلام: «**هذا شهر الصبر**» [(٢)].

وقال تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾ [(٣)] أي بالصوم.

والفائدة الثانية:

وهي أن فيه الاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع والتنزه عن مشاكلة البهائم التي غاية شبع البطن والفرج، ووجه ذلك أن الإنسان مركب من بدن يسوسه سوْسَ الحيوان وغذاؤه المطاعم، ومن روح ذي عقل غذاؤه العلم والفضائل،ومتى أكثر غذاء أحدهما قوي على ما نقص غذاؤه، ولهذا قال عليه السلام: «**رأس الدين الورع، وأفضل الورع قلة الطعام، ومن شبع ونام جثم على قلبه الشيطان**» [(٤)]، وقيل: «**الجوع سحاب تمطر الحكمة**»، فإن قيل: فهلاَّ أُديمَ فرضُ الصوم إذا كان سبباً

١- البيت قاله .. أبو ذؤيب خويلد بن خالد المخزومي المتوفي في زمن عثمان رضى الله عنه، وهو من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أين المنون وريبه وتتوجـــع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومنها :

والنفس راغبة إذا رغبتهـا ... وإذا ترد إلى قليل تقنـع

والدهر لا يبقى على حدثاته ... جون السراة له جدائد أربع.

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات - شواهد الكشاف ص٢٨٠ ، ٢٨١تأليف: الأستاذ محب الدين - إخراج عبد الله بن خميس- نشر وتوزيع: دار الخضرمة- الرياض .

٢ - هذا جزء من حديث طويل رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: [خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال: يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة.....] إلى آخر الحديث. والحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي، وابن حبان في باب الصوم.

٣- سورة البقرة : الآية (٤٥).

٤ - الحديث أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - حديث رقم : ٨٢٩ -ج :٢-ص٢٢٨ ، ٢٢٩ . وضعفه الألباني بقوله : موضوع ، ورواه ابن عدي في الضعفاء ج :١-ص٥٧ عن جعفر بن عبد الواحد بسنده إلي أنس مرفوعاً ، وذكر في ترجمة جعفر الهاشمي قوله : الأحاديث عنه كلها بواطيل، وكان يتهم بوضع الحديث، ثم قال : وعامة أحاديثه موضوعة . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - محمد ناصر الألباني - ط : المكتب الإسلامي .

لهذه الفضيلة العظيمة (قيل: إن الله -عز وجل- ما خلق في الأرض وشهاه إلينا ليحرمناه، ولكن لينتفع به بقدر ما يحسن، وفي وقت ما يحسن، وألزمنا في بعض الأوقات التحرج عنه ليكون مدعاة إلى التعفف عن تناول مالا يجوز تناوله، وجعل الله تعالى فرضه على الأهلة ليتأدب الإنسان به في كل وقت من أوقات السنة صيفاً وشتاءً وربيعين..

إن قيل: على ماذا وقع التشبيه في قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قيل: قال بعضهم: إن ذلك على الصوم وكيفيته، لأن صوم مَن قبلنا لم يكن يحل لهم الأكل بعد الرقاد، وكان على هذا في بدء الإسلام إلى أن نسخ بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[١]، وإلى هذا ذهب معاذ، وهو المروي عنابن عباس -رضي الله عنه- وقيل: كصوم من قبلنا في كونه أياماً معدودات، وذلك في كل شهر ثلاثة أيام، ثم نسخ بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[٢]، وهو قول عطاء وقتادة، وروي عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن للصيام ثلاثة أحوال، وذلك أن النبي - عليه السلام- لما قدم المدينة، فكان يصوم في كل شهر ثلاثة أيام، ويصوم عاشوراء، ثم فرض بعد تسعة عشر شهراً شهر رمضان على التخيير، ثم فرضه على تضييق لمن كان مقيماً صحيحاً، وقيل:

قد كان أوجب شهر رمضان على من كان قبلنا [من الأمم][٣]، فغيروا، ونقصوا، وزادوا[٤]، وهذا قولٌ عهدته علي قائله، وقيل: الشبه وقع لوجوب الصوم فقط، وقد تقدم أن أصول هذه العبادات لم تزل واجبة على العباد وأن النسخ على ألسنة الأنبياء في فروعها وكيفياتها وقدرها [وأزمانها][٥]، ونبه بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على العلة التي لأجلها أوجب، وهي قمع الشهوة، وما لأجلها لا يجوز أن يكونَ الصوم مرفوعاً على أمة من الأمم، فإنه ذكر أنه سبب للتقوى، وتقوى الله عز وجل- واجبة

١ - سورة البقرة : الآية (١٨٧).

٢ - سورة البقرة : الآية (١٨٥).

٣ - ساقطه من (و - ج).

٤ - في (و - ج) وأفرادوا ، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - ساقطة من (و - ج).

على كل مكلف على كل حال وفي كل زمان، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾[١].

قوله - عز وجل :

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الآية (١٨٤) - .سورة البقرة .

السفر: كشف الغطاء، يقال: سفر القناع عن وجهه، والريح السحاب أو الورق، ويقال له السفير،ومنه المسفرة، وسافر، والسفر الكتاب الكاشف عن الأغراض،والسفار للبعير كالحكمة للفرس، وهو ما يسفر عنه جماحه، تطوع يُفعل من الطاعة، يقال: طاع وطوَّع، ومنه: **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ ﴾**[٢]، والقدرة والاستطاعة والجهد والطاعة تتقارب، وبينها فروق، فالقدرة ما يظهر من القوة بقدر العمل لازائداً عليه ولا ناقصاً، والاستطاعة منهما ما يصير به الفعل طائعاً له بسهولة، والوسع منها ما يسع له فعله بلا مشقة،والجهد ما يُتعاطى به الفعل بمشقة، والطاقة منها بلوغ غاية المشقة.

وقول الشاعر:

كُلُّ امْرِيءٍ مُقَاتِلٌ عَنْ طَوْقِهِ..[٣]

أي عن غاية قدرته، لأن المقاتل لا[٤] يدع غايةً من القدرة لا يبذلها قبل استسلامه للموت، وقوله: **﴿ أَيَّامًا ﴾** يتعلق بـ"**كتب عليكم**" أو بـ "**كما كتب**"، أو بالصيام، وقوله: **﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾** ظاهره يقتضي أن المريض والمسافر عليهما عدة من أيام أفطر أو لم يفطر، وإليه ذهب أهل الظاهر.

---

١ - سورة النساء : الآية (١٣١).

٢ - سورة المائدة - الآية (٣٠).

٣ - لم أهتد إلى قائله.

٤ - في (أ - ص) ما يدع.

وعند عامة الفقهاء على إضمار الإفطار بدلالة إضماره في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾، وبدلالة الأخبار المروية في ذلك، ويقتضي أيضاًأن السفر القليل والكثير سواء، وعند عامتهم يُعتبر فيه قدرٌ ما، فبعضهم حدده بمسيرة ثلاثة أيام، وبعض بمسيرة يومين، وبعض بمسيرة يوم، ولا خلاف في أن من خرج إلى نزهة ببستانه في ظاهر بلده لا يفطر، ويقتضي ظاهره أيضاً أن لا فرق بين أن يكون سفره لطاعة أو معصية، ولم يجوز الشافعي إلا في طاعة ويقتضي قوله ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ﴾ أن لا فرق بين أن يقضيها متتابعة أو غير متتابعة، وقد حُكى وجوب التتابع عن علي وابن مسعود -رضي الله عنهما-..

وقوله: ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عام إلاّ في عيد الفطر والأضحى والثلاثة أيام التي بعدها[1] وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ ظاهره يقتضي أن المطيق له يلزمه فدية أفطّر أو لم يفطّر، لكن أجمعوا أنه لا يلزمه إلا مع شرط آخر فذهب الأصم إلى أن ذلك للمريض والمسافر وان الذي يطيق الفدية منهما فأفطر، فعليه الفدية لمكان ما خفف عنه، كما جعل على المتمتع بما خفف عنه أن يهدي، وهذا ضعيف لأمرين، أحدهما: أنه لم يجر الفدية قبل ذكر ولا مادل عليه، والثاني: أن المريض والمسافر قد أوجب عليهما عدة من أيام أخر، وذهب الشعبي وهو المروي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- إلى أن الناس كانوا مخيرين في الابتداء بين أن يصوموا من غير فدية [وأن يفطروا ويقيدوا، ثم نسخ بالآية التي بعد، وتقديره: وعلى الذين يطيقونه فأفطروا إلى][2] وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في أصح الروايتين أن ذلك في الشيخ والشيخة الهمين والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما[3]، فلفظ (الطاقة)ههنا ينبيء عن ذلك، فإن الطاقة هي التي تبلغ غاية المشقة ولا يخرج عن القدرة والعجز، وراه، فذكر أن هؤلاء الذين يبلغ بهم الصوم غاية المشقة يجوز لهم الإفطار والفدية[4] وقرئ

---

١ - في (أ - ص) وأيام التشريق.

٢ - ساقطة من (أ - ص).

٣ - في (أ - ص) إذا خافت على ولدها.

٤ - في (أ - ص) بلا فدية، وهو خطأ من الناسخ.

(يُطَوقونه)[١] أي يتكلفونه بجهد، وقرئ (يطَّوَّقونه)[٢] أى يُحملون على أن يتطوقوا، وقرئ (مسكين) اعتباراً بكل واحد كقوله: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[٣]، وإنما يلزم كل واحد هذا القدر، (ومساكين)[٤] اعتباراً بجماعتهم، ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فقد قيل: مبني على ما تقدم، أي الصوم خير من الافطار والكفارة، ومن قال: (الذين يطيقون) للمسافرين والمرضى وقال هذا خطاب لهم، وكذا من قال: الشيخ الهم، ويجوز أن لا يكون خيراً فعل، وإنما المعنى: الخير في الصوم تنبيهاً على عظيم ثوابه، وذاك أن المراد من العبادة والإخلاص والنية، ولهذا قال عليه السلام: «أَخْلِصْ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ»[٥]، ولما كانت الأفعال البدنية كثيراً ما يدخلها الرياء إلا الصوم فإنه لا يوقف[٦] عليه مالم يخبر الإنسان عنه بلسانه، ولا عبادة يدخل فيها الإنسان بالنية المجردة إلا الصوم...

قال عليه السلام: «يقول الله -عز وجل- الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[٧] ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي : إن عرفتم ما فيه من المنفعة، وتحققتم ما يثمره لكم لم تتهاونوا في تحمله.

---

١ - هى قراءة شاذة ، قرأت بها عائشة وسعيد بن جبير وعكرمة . انظر : الد ر المنثور - ج : ١- ص ٤٣١ ، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٣٣.

٢ - قرأ بهذا الوجه كل من : طاووس، وعائشة، ومجاهد، وعمرو بن دينار، معجم القراءات القرآنية - ج:١-ص١٤١.

٣ - سورة النور : الآية (٤).

٤ - قرأ بهذا الوجه كل من نافع، وابن عامر، وأبي جعفر، وهشام، وابن عمر، ومجاهد، والحسن، والمطوعي معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ١٤٢.

٥ - الحديث عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله - صلي الله عليه وسلم - حين بعثه إلي اليمن : أوصني ، قال : « أخلص دينك يكفك العمل القليل » أخرجه الحاكم في الرقاق - ج :٤ -ص ٣٠٦ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يوافقه الذهبي . وأورده أبو نعيم في الحلية - ج :١- ص٢٤٤ . وقال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع تخريج أحاديث الإحياء - ج :٦-ص٢٤٠٦، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٠٨ .

٦ - في (أ - ص) لا يتوقف.

٧ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة قال : « الحسنة بعشر أمثالها ، والصوم لي وأنا أجزى به ، يذر طعامه وشرابه من أجلي ، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » المسند - ج :٢- ص ٢٣٤، ٣٩٥، ٤١١، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٦٧، وأخرجه البيهقي بلفظه في ج :٤- ص ٢٣٥، ٢٧٣، وأخرجه الطبراني في معجمه - ج : ١٠ - ص ١٢٠.

قوله - عز وجل :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

الآية (١٨٥) - سورة البقرة.

شهرة الشيء: ظهوره للكافة، وقد شهّر أمره وسيفه إذا جرده والشهر مدة مشهورة، والمشاهرة المعاملة به كالمعاومة والمياومة [والمسانهة][١] والرمض شدة وقع الشمس، وسمي رمضان لمطابقته في ابتداء موضوع الاسم له شدة الحر، لأن الشهور سميت [في الأصل][٢] بمطابقة؛ بعض ما عرض فيها من الأحوال في ابتداء موضوعها والإرادة أصلها من : رَادَ يَرُودُ إذا سَعَىٰ في مهل للطلب، ومنه الرايد، والمرود للميل، ولمعنى المهل قيل رويداً، وقد تقدم حقيقة الإرادة، والقرآن أصله من القرى، وهو ضم ما كان متفرقاً، ومنه: "**ما قرأت الناقة سلا قط**"، أي مالم تضمه إلى نفسها ولم تجمعه في رحمها، ولا يتناول إلا على المنزل على محمد -عليه السلام- والكتاب عام، والفرقان قيل إنه يتناول القرآن والتوراة- إن قيل: فلم سمي بذلك؟

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - ساقطة من (و - ج).

قيل: إما بالنظر الحلال، فلأنه جامعٌ للسور والأيام، وإما على نظرٍ أدق من ذلك، فلأنه جمع فيه كل شئ محتاج إليه الناس من أمر مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ مما يتبلغون به إلى الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[١]، وقال: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، والعسر صعوبة الشئ وعسره وعسيراً، وعسر عمل شماله وذلك إما تصور الصعوبة ما تتعاطى بها، وإما لاعتقاد العسر فيها[٣] بسواها، واليسر ضده، واليسير للضار بين على الحرور بالقداح ليسارهم، وقوله:

(شهر رمضان) مبتدأ، وخبره الذي، ومن لم يجعل الأول منسوخاً قال: تقديره: "**هو شهر رمضان**"، أو يكون بدلاً من الصيام، وقوله: هدىً، أي هادياً، وقال عطية بن الأسود لابن عباس: "**في نفسي شئ، وهو أنه قال: (شهر رمضان)**"، وقال:
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٤]، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[٥]، وقد أنزل الله -عز وجل- القرآن في جميع الشهور، فقال: الليلة المباركة ليلة القدر، وليلة القدر في شهر رمضان، وقد أنزل الله القرآن جملة إلى البيت المعمور، ثم أنزل على محمد ﷺ الله رسلاً، وعلى هذا قوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾[٦].

وقيل فيه: أي في سببه وتخصيصه بذلك وإن شاركه فيه غيره فعلى سبيل التعظيم، وعلى هذا "**في ليلة القدر**"، أي في سببه وتفصيله، وإليه ذهب الضحاك..

إن قيل:

إذا كان الهدى مقتضياً للبينات، فما فائدة (**وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ**)؟ قيل: القرآن يهدي على

---

١ - سورة الأنعام : الآية (٣٨).

٢ - سورة يوسف : الآية (١١١).

٣ - في (و - ج) تسوء ماتها.

٤ - سورة القدر : الآية (١).

٥ - سورة الدخان : الآية (٣).

٦ - سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

ضربين، أحدهما أن يدل على سبيل المجمل، والثاني : على سبيل التفصيل، فبين أن فيه هدى على الجملة، وبينات أي ما يوضح ويكشف على سبيل التفصيل، ففرق بين الحق والباطل، فصار ذكر البينات والفرقان بعد الهدى ذكر الخاص بعد العام، وجواب آخر، وهو أنه قد تقدم أن الهدى على ضربين هداية إلى سبيل الله المعنية[١] بقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[٢]، وهداية إلى الله المعنية بقوله عز وجل:﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي**﴾[٣]، فالإشارة بقوله: (هدى) إلى الأولى، وبقوله: ﴿**وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ**﴾ إلى الثانية،والفرقان مصدر في الأصل [كالغفران والكفران][٤]، وسمي به القرآن[٥] لكونه فارقاً بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال، والجميل والقبيح في الأفعال، وقوله: (فمن شهد) عام في كل مكلف حاضراً كان أو مسافراً، لكن أخرج منه المسافر والمريض، ولم يدخل فيه الحائض لدلالة الإجماع عليه[٦]، فمنهم من اعتبر الشهود في ابتدائه، فقال: "**مَنْ شَهِدَهُ وَهُوَ مُقِيمٌ فعليه صَوْمُهُ سَافَرَ أو لم يُسَافِرْ**" وإليه ذهب أميرالمؤمنين علي – رضي الله عنه–، ومنهم من اعتبر ذلك في أجزائه، وإليه ذهب عامة الفقهاء، وقال أبو حنيفة: –رحمه الله–: "من كان صحيح العقل في بعض رمضان، فعليه صوم كله، لأنه شهد الشهر"، وعند الشافعي أن كل يوم لم يكن فيه صحيح العقل لا يلزمه صومه، ولا خلاف أن الصبي إذا بلغ في أثناء الشهر لم يلزمه قضاء ما تقدم من الشهر.

إن قيل: لم أعاد ذكر الشهر، ولم يقل: "**فمن شهده**"؟

قيل: لأمرين: أحدهما: تعظيماً لذكره، لأن ما يعظم قد يعاد ذكره مع كل حكم يحدد له. والثاني:ليس يحل الصوم على من كان شهد الشهر الذي أنزل فيه القرآن فقط، فلذلك أعاد ذكره.،

---

١ – في (أ – ص) المعنى.

٢ – سورة النحل : الآية (١٢٥).

٣ – سورة يوسف : الآية (١٠٨).

٤ – ساقطة من (و – ج).

٥ – في (و –) الفرقان.

٦ – في (أ – ص) بإجماع.

إن قيل:

فلم قال: (فليصمه) ولم يقل فيصم فيه؟

قيل: قد ذكر بعض النحويين أن القائل إذا قال اليوم ضربته زيداً، إنما يقال إذا استوعب اليوم لضربه، وإذا قيل: ضربت فيه، فهو أن يضرب فيه في بعض أوقاته، فنبه بقوله: (فليصمه) على الاستيعاب..

إن قيل: لم أعيد ذكر المريض والمسافر؟

قيل: إما على قول من يجعل الآية منسوخة، فليس أن حكمها مراعى في الناسخ كما هو مراعى في المنسوخ، وإن ذلك لم يرتفع بارتفاع التخيير[١]، وأما على قول غيره فللتأكيد أولاً، ولتعليق ما علق به من الحكم ثانياً، وهو قوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾، وذكر الفقهاء أن إرادة اليسر هي مما رخص للمسافر والمريض، وذهب غيرهم إلى أن إرادة الله عز وجل اليسر لمن أوجب عليه الصوم عليهم كما هي للمفطر والصائم جميعاً، ففي الصوم أعظم اليسرين، وعلى هذا قال الأعرابي: "أَقْصُدُ الْبَلَدَ الْمبَارَكَ لِأَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ الْمبَارَكَ"، فقيل له: أفي هذا الحر؟

فقال: "من الحرّ أفرّ"

وقيل لآخر: أتكدُّ نفسك في العبادة، فقال: "راحتها أريد، فإذن في إيجاب "الله تعالى الصوم أعظم اليسرين..

إن قيل: على أي وجه تعليله بما علل به من قوله: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ ﴾؟

قيل: بين تعالى أن ما أوجبه من الصوم عيناً[٢] وقضاءً إرادة لتكميل العدة المقتضية للتقوى المذكورة في قوله: (لعلكم تتقون)، ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ ولم يرد به التفوه بلفظ التكبير فقط.

١ - في (أ - ص) بارتفاع منسوخة.

٢ - في (و - ج) عبثاً، وهو تصحيف.

بل أراد معرفة كبريائه وعظمته وإن كان فيه دلالة على أن التكبير مستحب..

إن قيل: لم قال: (ولتكملوا العدة) فأدخل الواو فيه؟ قيل: يجوز أن تتعلق اللام بفعل مضمر، كأنه قيل: (ولتكملوا العدة) أمرٌ بما أمر، ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿الْيُسْرَ﴾، كأنه قيل: (يريد بكم اليسر وتكميل العدة)، فأدخل فيه اللام كما أدخل في قوله :﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾[1].

قوله - عز وجل:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ الآية (١٨٦)-سورة البقرة .

إن قيل: كيف فصل بين الآية الأولى وبين التي بعد هذه وهما في حكم رمضان بهذه الآية وهي قد اختلفت عنهما؟، قيل: بل هي من تمام الآية الأولى، لأنه لما حث على تكبيره وشكره على ما قيضه لهم من إتمام الصوم، بين أن الذين تذكرونه وتشكرونه قريب منكم ومجيبٌ لكم إذا دعوتموه، ثم تمم ما بقي من أحكام الصوم، ولم يرد بالقرب ههنا القرب المكاني، وإنما ذلك قربة تقتضيه إفضاله ووجود آثاره المشار إليها بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2]، **وروي أن موسى قال: "أقريب أنت فأناجيك؟ أم بعيدٌ فأناديك؟ فقال:**

"لو حددت لك البعد لما انتهيت إليه، ولو حددت لك القرب لما اقتدرت عليه"[3] ، وقد روي أن النبي ﷺ سئل عن ذلك، فأنزل الله -عز وجل- هذه الآية، فبين تعالى أفضاله على عباده، وضمن أنهم

---

١ - سورة النساء : الآية (٢٦).

٢ - سورة ق : الآية (١٦).

٣ - الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف- ج:١- ص١٠٨، وأخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد عن كعب قال قال موسى : أي رب : أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ قال : ياموسي أنا جليس من ذكرني ،،قال : يارب : فإنا نكون من الحال على حال نعظمك أو نجلك فنذكرك عليها . قال : وماهي ؟ قال : الجنابة والغائط ، قال : ياموسي : اذكرني علي كل حال» كتاب الزهد - للإمام أحمد بن حنبل - ص ٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور - ج : ١- ص٤٧٠ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن- ص ٦٦٤.

إذا دعوه أجابهم، وعليه نبه بقوله تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[١]..

إن قيل: قد ضمن في الآيتين أن من يدعوه يجيبه[٢]، وكم رأينا من داعٍ له لا يجاب؟[٣]، قيل: إنه ضمن الإجابة لعباده، ولم يرد بالعباد من ذكرهم بقوله: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾[٤] وإنما عنى بهم الموصوفين..

في قوله – عز وجل – ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[٥] الآية، وقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾[٦] الآية، ولدعائهم شرائط، وهي أن تدعو بأحسن الأسماء كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[٧] ، ويخلص له النية ويظهر له الافتقار ولا يرغب إليه فيما تنزه الأكابر عن مسئلة مثله ولا ما يستعين به على معاداته، وأن يعلم أن نعمته فيما يمنعه من دنياه كنعمته فيما أعطاه، ومعلومٌ أن من هذا حاله مجاب الدعوة، وأنه من جملة من وصفه النبي عليه السلام بقوله:

«رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ بِهِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»[٨] ثم قال: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ أي إذا كنت لهم بهذه المنزلة فحريٌّ أن يستجيبوا لي إذا دعوتهم، وأن يؤمنوا بي – راجين رشدهم، وإنما قال : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا ﴾ ولم يقل ليجيبوا للطيفة، وهي أن حقيقة الاستجابة طلب الإجابة وإن كان قد يستعمل في معنى الإجابة، فبين أن العباد متى تحروا إجابته بقدر وسعهم فإنه يرضى عنهم..

إن قيل: كيف جمع بين الاستجابة والإيمان وأحدهما يغني عن الآخر؟

---

١ – سورة غافر : الآية (٦٠).

٢ – في (أ – ص) من دعاه أجابه.

٣ – في (أ – ص) لم يجبه.

٤ – سورة مريم : الآية (٩٣).

٥ – سورة الحجر : الآية (٤٢).

٦ – سورة الفرقان : الآية (٦٣).

٧ – سورة الأعراف : الآية (١٨٠).

٨ – الحديث رواه الهيثمي في مجمع الزوائد – ج :١٠–ص ٢٦٤ ، ورواه الزبيدي فى إتحاف السادة المتقين – ج :٨ –ص٢٢٥ ،ص٢٣٤ ، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال – حديث رقم ٥٩٢٦ ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء – ج : ١– ص٣٥٠، وأورده العجلوني في كشف الخفاء – ج :١–ص٥١٢ بلفظ : (رب أشعث أغبر لايؤبه به لو أقسم على الله لأبره) وهو بلفظه في حلية الأولياء عن أنس عن النبي – صلي الله عليه وسلم قال : (رب أشعث ذي طمرين لايؤبه به لو أقسم على الله لأبره).

فإنه لا يكون مستجيباً لله- عز وجل- من لا يكون مؤمناً، ولا مؤمناً من لا يكون مستجيباً، قيل أحدهما وإن يضمن الآخر من حيث الاعتبار، فذكرها ليطمئن، فإن إجابته ارتسام أوامره ونواهيه التي يتولاه الجوارح، والإيمان هو الاعتقاد الذي تقتضيه القلوب، وأيضاً فإن الإيمان المعني هاهنا هو الإيمان المذكور في قوله:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[1]

وذلك بعد الإجابة، وقد تقدمت منازلُ الإيمان.

قوله - عز وجل :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الآية (١٨٧)- سورة البقرة .

الرفث كل كلام يتضمن ذكر الجماع، وجُعل كناية عنه، وعُدِّي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء والخيانة بنقض العهد، ولهذا قوبل بالوفاء الدال على التمام، والحد ما يمنع أحد الشيئين من الآخر، فتارة يتصور منه المنع، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ ﴾[2]، وقيل للثواب حداد، وتارة تصور منه الفصل، فقيل: حدُّ الدار، وبه شبه الحد في الكلام،وقيل: حد الرأي لكونه مانعاً له ولغيره عن مواقعة مثله، وحد السيف ما يفصل بينه وبين الجانب الآخر، ثم تصور منه الدقة، فقيل: أحددت السيف، وسمي الحديد لكثرة وجود هذه الصورة فيه، والعكوف: الإقامة على الشئ والحبس عليه، فتارة يراعى منه الإقامة فلا يعدي نحو: ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾[3]، وتارة يراعى منه الحبس

---

١ - سورة الأنفال : الآية (٢).

٢- سورة المجادلة : الآيتان :(٥ ، ٢٠).

٣ - سورة الحج : الآية (٢٥).

والوقف، فيعدي نحو قوله: ﴿ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا ﴾[١]، وقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ جعل اللباس كناية عن الزوج، لكونه ستراً لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء، كما أن اللباس يمنع أن تبدو السوءة، وعلى ذلك جعلت المرأة إزاراً، وسمي النكاح حصناً، لكونه حصيناً لذويه عن تعاطي القبيح.

وقال الأصم:

معنى قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ أي كأن يعطي كل واحد على الآخر ما يتعاطاه من الإختيار[٢] من قولهم: لبست عليه ذيلي، وقيل: سبب نزول هذه الآية أن المباحات كانت تحظر على الصائم بعد الرقاد، فقيل: إن عمر[٣] قالت له امرأته لما راودها: قد أعفيت، فظن أنها اعتلت عليه، فواقعها، فذكر ذلك للنبي -عليه السلام- وقيل: كان شيخ من الأنصار يقال له "**صرمة**" قعد ينتظر امرأته لتصنع له طعاماً، فنام وترك الطعام، فرآه النبي -عليه السلام- في اليوم الثاني شاحباً، فسأله، فأخبره، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤] والاختيان مراودة الخيانة وتخصيصه من دون قوله: (تخونون) لفائدة، وهي أن

---

١ - سورة الفتح : الآية (٢٥).

٢ - في (و - ج) الاختيان وهو تصحيف.

٣ - أورد السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما رواه أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلاً من الانصار يقال له قيس بن صرمة صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح مجهداً، وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فأنزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ، وله شواهد، فأخرج البخاري عن البراء قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان غير صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يُمس، وإن قيس بن صرمة الانصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال هل عندك طعام فقالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عينه وجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم: فنزلت هذه الآية (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) ففرحوا بها فرحاً شديداً، وأخرج البخاري عن البراء قال: لما نزل صوم شهر رمضان، كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) الآية. أسباب النزول- السيوطي- ص ٢٢، ٢٣.

٤ - أورد ابن كثير هاتين الرواتين عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم في سبب نزول هذه الآية في عمر بن الخطاب وصرمة بن قيس ومن صنع كما صنعا ، فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة ورخصة ورفقاً . تفسير القرآن العظيم ج:١-ص٢٢٠ ، ص ٢٢١.

المخاطبين لم يكونوا كلهم خانوا وكلهم أوجلُّهم قد اختانوا، لأن الاختيان هو أن تتحرك الشهوة وتدعوه، ولذلك خص لفظ النفس المعنية بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[1]، وكفى للتنبيه على اختيان النفس شهادة من حلفها بذلك علماً بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، فاختيان النفس مخادعتها ومدافعتها إما بمساعدة أو بمخالفة وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إشارة في تحري النكاح إلى لطيفة، وهي أن الله تعالى جعل لنا شهوة النكاح لبقاء نوع الإنسان إلى غاية، كما جعل لنا شهوة الطعام لبقاء أشخاصنا إلى غاية، فحق الإنسان أن يتحرى بالنكاح ما جعل الله لنا على حسب ما يقتضيه العقل والديانة، فمتى تحرى به حفظ النسل وحصن النفس على الوجه المشروع، فقد ابتغى ما كتب الله له، وإلى هذا أشار من قال:

عنى الولد به الخيط الأبيض بياض النهار، وبالخيط الأسود سواد الليل، وروي أن عدي بن حاتم عمد إلى عقالين أبيض وأسود، ثم جعل ينظر إليهما ويأكل إلى أن يتبين أحديهما من الآخر، فأخبر النبي – عليه السلام– بالذي صنع، فقال: **إنك لعريض الوساد، إنما ذاك سواد الليل وبياض النهار**[2] وقوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ تنبيه على ابتداء التحريم إلى انتهائه، وكما نهى عن المباشرة في حال الصوم نهي عنها في حال الاعتكاف وظاهر ذكر المساجد يقتضي جواز الاعتكاف في كل مسجد..

---

١ - سورة يوسف : الآية (٥٣).

٢ - الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد ج -٤ - ص٣٧٧ والنسائي ج ٤ - ص١٤٨، كما أخرجه بن حجر العسقلاني في فتح الباري - كتاب التفسير - ج -٨ ص١٨٢ ومسلم حديث رقم (١٠٩١) وفي سنن أبي داود حديث رقم (٢٣٤٩)، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٠٢ .

قوله - عز وجل :

﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية (١٨٨) - سورة البقرة .

الإدلاء: إرسال الدلو في البئر، واستعير للتوصل إلى الشئ، وعلى هذا قول الشاعر:

فليس الرزق عن طلب حثيث   ولكن ألق دلوك في الدلاء[١]

وعلى هذا النحو سمي الوسيلة المائحة في قول الشاعر:

وَلِي مَائِحٌ لَمْ يُورِدِ الْمَاءَ قَبْلَـهُ   مُعِلٌّ وَأَشْطَانُ الطَّوِيِّ كَثِيرٌ[٢]

والأكل عبارة عن الإنفاق، إذ هو أهم ما يُصرف إليه المال، وأكل المال بالباطل صرفه إلى ماينافيه الحق، وهو التبذير والإسراف قليلاً كان الإنفاق أو كثيراً، ولهذا قيل:

(رب إنفاق قليل هو إسراف، وكثير هو اقتصاد)..، وقوله: (وتدلوا) أي لا تدلوا، وكما نهى عن تبذير الأموال نهى أن يدلي بها إلى الحكام على سبيل الرشوة، وتوصلاً إلى اقتطاع أموال الناس، وقيل: معناه: لا يأكل بعضكم مال بعض غصباً أوخيانةً فيلجؤوهم إلى المرافعة إلى الحكام، فلا يحكم عليكم لعدم البينة فتستبينوا [٣] إلى أن تأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم، وقيل: من يتولى أموال

١- قائل البيت هو أبو الأسود الدؤلي ، والبيت الذي قبله :

تجئ بملئها طوراً وطوراً   تجئ بحمأة وقليل ماء

وهو في مخطوط كتاب : الدر الفريد وبيت القصيد -ج :٥--ص٣٠٢ ، وفي بصائر ذوي التمييز - للفيروز آبادي - ج :٢-ص٦٠٦، وفي المحاسن والمساوئ للبيهقي - ص ٢٨٦ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن - للراغب - ص ٣١٧.

٢- البيت للعجير السلولي ، وهو في لسان العرب - مادة (ميح) ، ورواية اللسان :

ولي مائح لم يورد الماء قبله   يعلّي وأشطان الدلاء كثير

وهو في مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص ٣١٧:

ولي مائح لم يورد الناس قبله   معل وأشطان الطوى كثير

وقد عني بالمائح لسانه ، لأنه يميح من قبله ، وعنى بالماء الكلام ، وأشطان الدلاء :

أي أسباب الكلام كثير لديه غير متعذر عليه . المجمل -ج:٢-ص٣٣٤.

٣ - في (أ - ص) وتتنسوا .

الأيتام، فيأكل بعضاً ويدفع إلى الحكام بعضاً، والوجه الأول أجود، لأنه قال: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم**﴾، ثم قال: لتأكلوا ففصل بين الأمرين، والوجهان الآخران داخلان في عمومه، وقوله: ﴿**وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ أي إن أخفى علمكم على الناس، فإنه لا يخفى عليكم تنبيهاً أن الاعتبار بما عليه الأمر في نفسه، وما علمتم منه لا بما يظهر، ونبه -عليه السلام- على ذلك بقوله:

(إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن حكمت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذن منه قليلاً ولا كثيراً، فإنما أقطع له قطعة من النار)[١]، وقال: **(البر ما اطمأنت إليه النفس)**[٢].

قوله - عز وجل :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الآية (١٨٩) - سورة البقرة .

المواقيت : جمع ميقات وهو مفعال من الوقت، والوقت والمدة والزمان تتقارب، لكن المدة المطلقة أوسع هذه الألفاظ، فإنها امتداد حركة الفلك أي اتصالها من مبدئها إلى غايتها، والزمان مدة مقسومة من المدة المطلقة والوقت الزمان المفروض للعمل، ومعنى مواقيت للناس أي لما يتعلق به من أمور معاملاتهم ومصالحهم، كقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾[٣]، ونبه بذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات، ولكن ذكرنا

١- الحديث أخرجه البيهقي فى سننه ج ١٠-ص١٤٩، كما أخرجه البغوي في شرح السنة ج-٦-ص١٩ وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ج - ٢ : ص٣٥٨.

٢- الحديث عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم . قال : البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ماحاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج -٤-ص٢٢٨، وفيه أيوب بن عبد الله بن مكرز قال ابن عدي : لايتابع على حديثه ، ووثقه ابن حبان ، وأخرجه الدارمي ج : ٢- ص٣٢٢ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج - ١- ص١٨٢ كما ذكره النووي في الأربعين ، وقال حديث حسن رويناه في مسند الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن ، راجع الأربعين النووية ص٣٥، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤.

٣ - سورة يونس : الآية (٥).

أعظمها أثراً، فإن الحج مراعى في قضائه وأدائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التي **لا** تعتبر في قضائها وقت معين والباب معروف، وعنه استعير لمداخل الأسباب المتوصل بها إليه، وقيل: في العلم باب كذا، وقول النبي ﷺ: «**أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا**»[1]، أي به يتوصل إلى حقائق العلوم، وعلي وإن شاركه فيه غيره، فتخصيصه لكونه أرفع منزلة في باب العلم وقد كان سئل- عليه السلام- عن فائدة زيادة الهلال ونقصانه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2] منبهاً على أظهر فائدته للحس وأبينها له، ثم قال: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾[3]، أي بأن يطلبوا من غير وجه، وذلك أنه يقال: "**أتى فلان البيت من بابه**" إذا طلب الشئ من وجهه.

وقال الشاعر:

أَتَيْتُ الْمُرُوءَةَ مِنْ بَابِهَا[4]..

---

١ - الحديث رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في السنة وغيرهم ، وكلهم عن ابن عباس مرفوعا مع زيادة :(فمن أتي العلم فليأت الباب) ورواه الترمذي وأبو نعيم وغيرهما عن علي بلفظ أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : أنا دار الحكمة وعلي بابها - وهنا حديث مضطرب غير ثابت - كما قاله الدار قطني في العلل ج - ٣ - ص ٢٤٧ ، وقال الترمذي : منكر، وقال البخاري : ليس له وجه صحيح ، ونقل الخطيب البغدادي عن ابن معين قوله كذب لاأصل له ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره - المستدرك ج :٣ - ص١٢٦ وقال الحاكم فيه صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال بل موضوع ، والحاصل أن الحديث ينتهى بمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به .

راجع : كشف الخفاء للعجلوني ج :١-ص٢٠٣ واللآلئ المصنوعة ج :١-ص٣٢٩، وعارضة الأحوذي ج :١٣-ص١٧١ ، وحلية الأولياء ج : ١- ص ٦٤ وقد أورده الراغب كذلك في مفردات ألفاظ القرآن ص ١٥٠.

٢ - أورد السيوطي ما أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: (سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة فتنزلت هذه الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال (بلغنا أنهم قالوا يارسول الله، لما خلقت الأهلة، فأنزل الله (يسألونك عن الأهلة) كما أورد السيوطي ما روي عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالا: يارسول الله ما بال الهلال يبدو أو يطلع وثيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد، فنزلت (يسألونك عن الأهلة). أسباب النزول للسيوطي ص٢٢، ٢٤.

٣ - سورة البقرة الآية :(١٧٧).

٥ - هذا عجز بيت للأعشى وقبله:

وكأس شربتُ على لـــذةٍ	وأخرى تداويتُ منها بها
لكي يعلم الناسُ أني امرؤٌ	أتيتُ المروءةَ منْ بابهــا

وهو في مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٠ وعقب عليه الأستاذ : صفوان داوودي المحقق قائلاً : البيت ليس في ديوان الأعشي - ط - دار صادر - بيروت - بل هو في ديوان ط - مصر - ص ١٧٣ ، وفي خاص الخاص ص ٩٩ وعجز البيت في بصائر ذوي التمييز ج : ٢ - ص ٤٣.

و"**أتى البيت من ظهره**" إذا طلب الأمر من غير وجهه وجعل ذلك مثلاً لسؤالهم النبي ﷺ عما هو ليس من العلم المختص بالنبوة، وان ذلك عدول عن المنهج، وذلك أن العلوم ضربان:

دنيوي : يتعلق بأمر المعاش كمعرفة الصنايع ومعرفة الأجرام السماوية ومعرفة المعادن والنبات وطبائع الحيوانات، وقد جعل الله تعالى لنا سبيلاً إلى معرفته على غير لسان نبيه محمد -عليه السلام-، وشرعي: وهو البر، ولا سبيل إلى أخذه إلا من جهته، وهو أحكام التقوى، فلما جاءوا يسألون النبي ﷺ عما أمكنهم معرفته من غير جهته أجابهم، ثم بين لهم أن ليس البر ترك المنهج في سؤال النبي -عليه السلام- ماليس هو مختصاً بعلم نبوته، ولكن البر هو تحري التقوى، وذلك يكون بالعلم والعمل المختصين بالدين، وقال بعض المفسرين: إتيان البيوت من ظهورها هو أن العرب من لم يكن من الخمس إذا أحرم لم يدخل البيت من بابه بل كان يأتيه من ظهوره، فأتى رجل من باب بيته، فأنكر عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.. وهذا عن ابن عباس وغيره(١)، وقيل: إتيان البيوت من ظهورها مخالفة الواجب في الحج وشهوره، واستحلال أشهر الحرام، وتحريم الحلال، المعني بقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾(٢)، وكل ذلك لا يمتنع أن تتناوله الآية، لكن الأليق بأول الآية ما تقدم ذكره، وقوله: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾- أي تحروا في كل عمل إتيان الشئ من وجهه تنبيهاً أن ما يطلب من غير وجهه صعب مناله، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ حثاً لنا أن نجعل تقوى الله عز وجل- شعارنا في كل ما نتحراه، فبين أن ذلك هو الذريعة الى تحصيل الفلاح..

١- أورده السيوطي في الدر المنثور ج ١- ص ٤٩١ ، والواحدي في أسباب النزول ص ٨٦، كما أورده الراغب في كتابه مفردات ألفاظ القرآن ص ١٥١.

٢ - سورة التوبة - الآية (٣٧).

قوله - عز وجل :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

الآية (١٩٠) - سورة البقرة.

اختلف في حكم هذه الآية، فقيل: هي ناسخة لحكم العفو ومنسوخة بقوله: **﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾**[1]، وقيل: ليست بمنسوخة ولا ناسخة،[2] وبيان ذلك أن من شرط الداعي إلى الحق أن يبينه ويدل عليه ويرفق، فإن اهتدى المدعو، وإلا أوعد، فإن أنجع ذلك وإلا عدل بعد إلى المحاسبة والمحاربة على ما تقتضيه السياسة، وعلى هذا قال بعضهم: «**لا أستعمل سوطي ماكفاني لساني ولا سيفي ماكفاني سوطي**".

وقال الشاعر:

أناة فإن لم يغن أعقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه[3]

فكان النبي ﷺ أمر في أول الأمر بالرفق والأناة، وأن يقتصر على الوعظ والمجادلة الحسنة، كما قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4]، وكان يستمر على ذلك حتى عاتبه بعض أصحابه، فقال يانبي الله:

---

١ - سورة التوبة - الآية : (٣٦).

٢ - ذكر الدكتور مصطفى زيد في تعقيبه على دعوى النسخ في هذه الآية بأنها تنبني على مذهب واحد من مذهبين للمفسرين في الآية وهو مذهب الإحتمال ثم قال وهذا الاحتمال ليس هو أقوى الاحتمالين بدليل السياق، فإن الآية التي بعدها تقول: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) إلى آخر الآية، فتأمرنا بقتالهم حيث وجدناهم وبإخراجهم من مكة أو من منازلهم كما أخرجونا، ثم تعلل لهذا وذاك بأن ما كان منهم حين فتنوا الناس عن دينهم أعظم جرماً من القتل الذي سيقع عليهم، وتنهي عن قتالهم عند المسجد الحرام إلا اذا قاتلونا فيه، ولو أنهم كانوا مقاتلين عند المسجد الحرام بالفعل من أول الأمر- ما كان لقوله تعالى: (حتى يقاتلوكم فيه) وكان ولا معنى!... تنزه كلام الله عن أن يكون كذلك. النسخ في القرآن الكريم - الدكتور مصطفى زيد ج: ٢ ص ٦٤٦.

٣ - البيت ذكره القلقشندي في صبح الأعشى بدون نسبة ج :٦ - ص ٣٠٨ ولفظه :

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيد فإن لم يجد أجدت عزائمه

٤ - سورة النحل : الآيه (١٢٥).

"**كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة**"،فقال عليه السلام: «**أمرت بالعفو فلا تقاتلوهم اليوم**»، فلما ظهرت آياته، وانتشرت بنياته، ورأى من أبى الإصغاء إلى الحق، واستمر على الضلال والإضلال أمر حينئذ بالمقاتلة أي المحاربة، ولهذا قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾[1].

ثم أمر بالقتال لمن تأبى الرجوع إلى الحق بالمحاربة، وكان هذا أمراً بعد أمر حسب مقتضى السياسة الإلهية، وقوله: **﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾** منهم من تصور منه تولي القتال وتعاطيه في الحال، فقال: هو منسوخٌ بقوله: **﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾**، (ولا تعتدوا): نهيٌ عامٌ في مجاوزة كل حد حده الله تعالى، كالنهي عن قتل الصبيان والنساء، وقيل: "**من أعطي الأمان وتحرى القتال ابتغى عرض الدنيا وطلب الرئاسة**"، ونبه بقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** أن اعتداء مرسوم الله وتجاوز حكمه في كل أمرٍ مذموم..

قوله - عز وجل :

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

الآية (١٩١) - سورة البقرة .

الثقف:الحذق في إدراك الشئ علماً كان أو عملاً، ومنه قيل:

رجل ثقفٌ لقفٌ إذا كان له حذق في إدراك الشئ علماً كان أو عملاً، ومنه قيل: رجل ثقف لقف إذا كان له خدمة في إدراك الشئ ومنه قيل: ثقفت الرمح، وأصل الفتنة إدخال الذهب النار للتصفية، يقال: فتنت الذهب أي اختبرته بالنار، ثم استعير لكل اختبار بأمرمحض، على ذلك قوله تعالى:

١- سورة النساء : الآية (٧٧).

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[١].

وجعل الفتنة لكل أمر مكروه المحتمل، فتارة استعير للشرك، وتارةً للعذاب، وتارة للأختبار، ولما كان لفظ الفتنة والقتل ههنا مبهمين، قال بعضهم: معناه أن يفتن الإنسان في دينه، فيشرك أشد أي أو خم عاقبة من أن يقتل، فإن الأذية التي تنال المقتول محدودة، والأذية التي تنال المشرك بشركه غير محدودة، وقال بعضهم: إن معناه: أن يوقع الإنسان الفتنة أشد على الناس أي أعظم ضرراً من أن يقتل في الحرم من يستحق القتل، وقال: وذلك ردٌّ على من استعظم قتل بعض المسلمين كافراً في الحرم، ولهذا قال بعده: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٢] وقوله: ﴿وَأَخْرِجُوهُم﴾ أمر بإخراج الكفار من مكة بدلالة قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾[٣]، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾[٤] وقوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٥] استثناء من قوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، وهذا حكم عند أكثر الفقهاء فإنه لا يُقَاتَل في الحرم إلا مَن قاتل، ويؤيد ذلك قوله - عليه السلام- يوم فتح مكة: **«إن مكة حرام حرمها الله -عز وجل- يوم خلق السماوات والأرض وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة»**[٦]، فهذا يدل على أن ذلك غير منسوخ كما ظنه بعض الناس، وقال الأصم: إن ثبت جوازاً القتل هذا في

---

١ - سورة العنكبوت : الآية (٢).

٢ - سورة البقرة - الآية : (١٩٣).

٣ - سورة محمد - الآية : (١٣).

٤ - سورة الحشر - الآية : (٨) .

٥- سورة البقرة الآية: (١٩١).

٦ - الحديث رواه مسلم فى صحيحه قال : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلي مكة : أئذن لي أيها الأمير : أحدثك قولا قام به رسول الله - صلي الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي ، وأبصرته عيناي حين تكلم به . أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولايعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله- صلي الله عليه وسلم فيها ، فقولوا له : « إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ، وليبلغ الشاهد الغائب » ... الخ .
والحديث رواه مسلم فى صحيحه ج :١-ص ٩٨٧ في كتاب الحج ، ورواه الإمام أحمد بسنده ولفظه في ج : ٤- ص ٣١ ، وفي ج : ٦- ص ٣٨٥ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج :٢- ص ٥٢ ، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم ٣٤٦٥٤ ، وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ج :٤-ص٣٠٥ - ج : ٨-ص١٤٨.

الحرم، فليس في ذلك نسخ، بل هو زيادة في فرض القتال، فإن هذا أمر بأن يقاتلوا في الحرم إذا قوتلوا، وذاك أمرٌ بالقتل قوتلوا أو لم يقاتلوا، فإذن الثاني زيادةٌ في الأمر بالقتال، ثم قال: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾، أى حاربوكم فاقتلوهم، وبين أن هذا حكم كل كافر يحارب المؤمنين.

قوله - عز وجل:
﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية (١٩٢) - سورة البقرة.

الانتهاء: الانزجار، والنهي الزجر، ونهاية الشئ غايته التي ينتهي إليها، لأن لكل شئ في هذا العالم غاية إذا انتهى إليها انصرف راجعاً عنها في الكون، والفساد والنهي العقل لكونه ناهياً عن القبيح، ككون العقل عاقلاً عنه، والحجر حاجراً عنه، والنهي في موضوع أهل النحو من صيغة "**لا تفعل**" حثاً على الشئ كان أو زجراً عنه، وفي موضوع أهل البرهان ما يقتضي الزجر عن الشئ سواء كان بلفظ "**أفعل**" أو "**لا تفعل**"، وهذا الخلاف من أجل أن النحوي يعتبر اللفظ قبل المعنى، وصاحب البرهان يعتبر المعنى قبل اللفظ، ونبه بالآية أن المنتهي عن الذنب يغفر له ما تقدم من ذنبه، وذلك عام في أمور الدنيا والآخرة إلا ما دلت الدلالة على الأخذ به من حقوق الآدميين، وعلى هذا قوله - عز وجل: **﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾**[1]، وقوله عليه السلام: «**الإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ**»[2]..

---

١ - سورة الأنفال : الآية (٣٨).

٢- الحديث صحيح وسنده حسن ، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق يزيد بن أبي حبيب بهذا الإسناد - ج :٤- ص ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه من طريق يزيد بن حبيب عن أبي شماسة المهري عن عمرو بن العاص - ص ١٢١، وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية - ج :٣-ص٥٩٦ ، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج :٩- ص٦٠٩ ، وأخرجه المتقي الهندى في كنز العمال - ص ٢٤٣.

قوله - عز وجل :
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

الآية (١٩٣) - سورة البقرة.

أمر تعالى بالقتال لدفع الفتنة بعد أن يبين أنها أعظم ضرراً من القتل، نحو قوله: **﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾**[١]، فقوله: **﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾** كقوله: **﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾**[٢]، وذلك إمَّا بِقَتْلِهم أو بإسلامِهِمْ أو بانقيادهم وإعطاءِ الْجِزْيَة حسب ما بينه الشرع، (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه) قال ابن عباس: "**حَتَّى يَخْلُصَ التَّوْحِيدُ لَهُ**" وحَمَلَ ذلك على مشركي العرب، لأنهم لا يقارون على جزية كما يقار غَيْرُهُمْ، وحُمِلَ بعضُهُمْ على الانقياد بحكم الدين في كل مكان، وقال: يجب أن يكون الحكم للإسلام في كل مكان، وعلى هذا ما روي: "**الإِسْلاَمُ يَعْلُو وَلاَ يُعْلَى**"، ثم أعاد ذكر الانتهاء، فقال: **﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾** أي لا يتجاوزون الخطر إلا مع من يتجاوزه بحسب فعله..

قوله - عز وجل :
﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ الآية (١٩٤) - سورة البقرة.

بين أن مراعاة حرمة الشهر واجبة لمن راعى حرمته، وأن من هتكها اقتص منه، وسبب نزول ذلك أن العرب فخرت بصرف النبي- عليه السلام- عام الحديبية عن البلد الحرام، وكان ذلك في ذي القعدة، فمكنه الله تعالى من دخوله في العام القابل في القعدة، وشرح معنى قوله: (لا عدوان إلا على الظالمين) بقوله: **﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾**.

إن قيل: كيف رخص في الاعتداء وهو ظُلْمٌ وقد مُنِعَ منه آنفاً بقوله: (ولا تعتدوا)، قيل: الاعْتِدَاءُ مُجَاوَزَةُ الحد، ومنه قيل: "**عَدَا فُلاَنٌ طَوْرَهُ**"، و"**لاَ تَعْدُ طَوْرَكَ**"، ثم استُعير الاعتداءُ في الظلم من حيث

١ - سورة محمد : الآية (٤).
٢ - سورة محمد : الآية (٤).

أنه تجاوزالحد الذي حَدَّهُ العقل أو الشرع، والذي منع تجاوز ذلك ابتداءً، فقد أباح لمن اعتُدِي عليه جَزَاءً، فإذن: الاعْتِدَاءُ ضرْبَانِ: اعتداءٌ على سبيل الابتداء، وهو ظلمٌ، وإياه عنى بقوله ولا (تعتدوا) واعتداء على سبيل الاعتداء ضربان اعتداء على سبيل القصاص وهو عدل وإياه عني ههنا، ثم للمجازاة أيضاً حدٌّ لا يجوز أن يتجاوزه، وإياه عنى بقوله: (فمن اعتدى بعد ذلك).

إن قيل: هل كان يجوز لو قيل: (مَنْ ظَلَمَكُمْ فَاظْلِمُوهُمْ)؟ قيل : لا يجوز ذلك، لأن الظلم إنما هو وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق أن يوضع فيه، وهذا في كل حال مذموم، والاعتداء مجاوزة الحد المحدود، وذلك لا يكون مذموماً، ومن قال من العرب: **"مَنْ ظَلَمَكَ فَاظْلِمْهُ"**، فذلك منه انحراف وترخص في الظلم على عادتهم، وكذا قول من قال:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحَدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا[(١)]

فإن الجهل مذموم علي كل حال، ولا يكاد يرد لفظ الأمر به من حكيم، فإن قيل: فقد قال الله: **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾**[(٢)] قيل: حقيقة المكر إظهار أمرٍ يعتقد فيه الناظر إليه الجاهل بحقيقته اعتقاداً ما يضل ما هو،وكذلك الاحتيال والخديعة والسخرية، ومن قصد بشيء من ذلك أمراً قبيحاً، فهو مذموم، وإن قصد به فعلاً جميلاً فهو محمود، فإذن يصح أن يمدح بذلك من يتحرى مقصداً حسناً، ولهذا قال بعض العلماء: إن الله-عز وجل- يخدعنا عن النار كما يخدع الصبي أبوه عن المضار، وفي هذه الآية دلالة أن من استهلك شيئاً لغيره استهلك عليه مثله، لكن مثله المستهلَك قد يكون تارةً حسية مكيلاً كان أو موزوناً أو معدوداً، وتارة قيمته، وقوله: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**، تنبيه أن توفيق الله يصحب المتقي، وقد تقدم حقيقة (مع) والصحبة إذا استعملا في الباري تعالى...

١- قائل هذا البيت هو عمرو بن كلثوم ، وهو في معلقته ، وهو أيضاً في جمهرة أشعار العرب - ص ٨٣ ، ص ٤١٤ وأورد القرشي قول ابن الأنباري : فنجهل فوق جهل الجاهلينا - معناه : فنهلكه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله ، فنسب اللفظ إلى نفسه وهو يريد الإهلاك والمعاقبة ليزدوج اللفظان ، فتكون الثانية علي مثل لفظ الأولى ولايجوز أن يكون قول عمرو : فنجهل فوق جهل الجاهلينا - اعترافاً منه بالجهل وتثبيتاً منه إياه لنفسه ، لأن الجهل لايستحسنه أحد ولايرتضيه . جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام - تاليف : أبي زيد القرشي - تحقيق : الدكتور / محمد علي الهاشمي - الطبعة الثانية - دار القلم - دمشق .

٢ - سورة آل عمران : الآية (٥٤).

قوله - عز وجل :

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

الآية (١٩٥) - سورة البقرة .

الهلاك انتهاء الشئ في الفساد، وله سمي الموت هلاكاً، وقيل للعذاب والخوف في الفقر والبخل وما يجري مجراها مما يؤدي إلى الهلاك هلاكاً، والمفازة مهلكة والتهلكة ما يؤدي إلى الهلاك، وامرأة هلوك كأنها تتهالك في مشيها إشارة إلى نحو قول الشاعر:

مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادِي كَأَنَّمَا ... تَخَافُ عَلَى أَحْشَائِهَا أَنْ تَقَطَّعَا[1]

[وكُني بالهلوك عن الفاجرة لتماثلها][2] والهالكي كان رجلاً حداداً من قبيلة هالك فسمت العرب كل حداد باسمه كما سمي كل بناءٍ هاجرياً، وقوله: **﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾**، قيل: معناه نحو تعلقت زيداً أو بزيد، وقيلَ معناه: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى الهلاك، نحو قوله: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾**[3]، وذلك بالتعرض لما يَستوخم عاقبته جهْلاً به، مثل الفراشة تأتي إذا رأت لهباً من السَّرَاجِ، فَتُلقي نفسها فيه، وتأولت الآية على وجهين بنظرين مختلفين..

أحدهما: أنه نهيٌ عن الإسراف في الإنفاق، وعن التهور في الإقدام، والثاني: أنه نهيٌ عن البخل بالمال، والقُعُود عن الجهاد، وكِلاَ المعنيين يُرَادُ بها، فالإنسان كما أنه منهيٌّ عن الإسراف في

---

١ - البيت قائله هو مسلم بن الوليد وذلك كما في الحماسة البصرية - ج : ٢- ص٢٢٠ والحيوان - ج : ٤-ص٢٥٩ ، غير أن الراغب أورده في محاضرات الأدباء ونسبه للسعدي ، وأورد البيت بعده وهو :

تسيب انسياب الأيم أحصره الندى ... يرفع من أعطافه ما ترفعا

كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن بلانسبة.

انظر : محاضرات الراغب - ج : ٢- ص١٣٩ ، ج : ٣- ص٣٠٨ ، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٤٤ ، وعمدة الحفاظ : مادة (هلك).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة النساء : الآية (٢٩).

[الإنفاق][1] والتهور في الإقدام، فهو منهيٌّ عن البخل وعن الإحجام في الجهاد، ولهذا قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾[2]، وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾[3] الآية، وقال بعض الناس: "إن هذه الآية يُنْظَرُ إليها على وجهين" أحديهما: نَظَرُ المجاهدِ في سبيل الله بالمال، والثاني: نَظَرُ الفقيه عن المجاهد، وكلاهما صحيحٌ بوجهٍ، ووجه ذلك أن الفقيه من حيث أنه يحكم بالظاهر على الكافة يراعي أحوالهم، والمجاهدَ مِنْ حيث أنه يوفر على مُرَاعَاةِ الحقِّ عن مراعاةِ نفسه لا يَرَى الإِلْقَاءَ بيده إلى التَّهْلُكةِ إلا الإِخْلاَلَ بترك وظائِفِ الْحَقِّ، وإلى هذه الحالة أشار الله تعالى بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[4]، الآية، وبقوله: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾، أي تحروا فعل الإحسان،وقد تقدم أن الإحسان هو تحري العدالة والزيادة عليها، ولهذا قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾[5]، ثم نبه بإظهار محبته للمحسنين على شرف منزلتهم.

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة الفرقان: الآية (٦٧).

٣ - سورة الإسراء : الآية (٢٩).

٤ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٥ - سورة النحل : الآية (٩٠).

قوله - عز وجل:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

«الآية (١٩٦) سورة البقرة».

قيل: قوله: ﴿ **وَأَتِمُّوا** ﴾ قيل إنه خطاب لمن خرج حاجاً أو معتمراً، فأمر بأن لا يصرف وجهه حتى يقضيها، وإليه ذهب أبو حنيفة -رحمه الله- فاحتج به في وجوب إتمام كل عبادة دخل فيها [الإنسان][١] متنفلاً، وأنه متى أفسدها وجب قضاؤها، وقيل إنه خطابٌ لهم ولَمَن لَمْ يَتلبَّسْ بالعِبَادَة. وذِكْرُ لَفْظِ الأيام تنبيهٌ على توفيةِ حقِّهما وإكمال شرائطها، ولذلك قال أمير المؤمنين:

«**مِنْ إتْمَامِهِمَا أَنْ تُحْرِمَ بهما مِنْ دُوَيْرَة أَهْلِكَ**»[٢]، وعلى هذا قوله: ﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾[٣]، وإلى هذا ذهب الشافعي - رحمه الله واحتج به في وجوب العمرة، وإنما قال في الحج والعمرة "**لِلَّهِ**" ولم يقل ذلك في الصلاة والزكاة من أجل أنهم كانوا يتقربون ببعض أفعال الحج والعمرة إلى الأصنام[٤]، فخصهما بالذكر لله تعالى حثاً على الإخلاص فيهما ومجانبة ذلك الاعتقاد المحظور، وظاهر قوله: ﴿**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ**﴾ أن لا فَرْقَ بين أن يُحْصَرَ بمكة أو بغيرها، وبعد عرفة أو قبلها بخلاف ما قال أبو حنيفة إن مَنْ أُحْصِرَ بمكة أو بَعْدَ الوقوفِ لا يكون مُحْصَراً في الحكم، وكذلك لا فَرْقَ في [الظاهر][٥] بين أن يحصره عدوٌّ مسلمٍ أو كافرٌ كما قال الشافعي خلافاً لبعضهم، وظاهره يقتضي أن

---

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - الأثر أورده ابن كثير في تفسيره رواية عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي بن أبي طالب أنه قال في هذه الآية (وأتموا الحج والعمرة لله) قال : أن تحرم من دويرة أهلك ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس . تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - ج : ١- ص ٢٣٠.

٣ - سورة البقرة : الآية (١٨٧).

٤ - في (أ - ص) أصنامهم.

٥ - ساقطة من (و - ج).

لا فَصْلَ بين إحصار العدد وإحصار المرض كما قال أبو حنيفة دون الشافعي - رحمة الله عليهما- "لولا أن الآية نزلت في سبب العَدُوِّ فلا يجوز أن تُتَعدى إلاَّ بِدَلاَلَةٍ"، ولأن قوله: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ يدل على أن المراد بالإحصار هو بالعدو وذلك قول ابن عباس - رضي الله عنه- ويقتضي الظاهر أن لا قضاءَ عليه خلافاً لأبي حنيفة - رضي الله عنه- لأنه قال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ واقتصر عليه، والهديُ بقرةٌ أو بدنةٌ أو شاةٌ أو أكْثَرُ، لأنه قال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، ونهى عن حلق الرأسِ إلا بعد بُلُوغ الْهَدْيِ مَحِلَّهُ، ومَحِلُّهُ عند أبي حنيفة الْحَرَمُ، واستدل بأن ناجية بن جُنْدُبْ قال: «دَعْنِي آخُذُ بَعْضَ هَذِهِ الأَوْدِيَةِ، وأَسُوقُ هذِهِ البُدْنَ إلى الحَرَمِ، فَأَنْحَرُ بِهَا»، فقال - عليه السلام-: "افْعل" فساقها إلى الحرم، فنحر بها، وعند الشافعي أن محل الْهدْي في الإحصار زمانُ تَحَلُّلِهِ، ومَنْحَرُ الهَدْيِ حيث يتحلل، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ ليس مقصوراً على المحصر، بل حكم كل حاج ومعتمر،والمرض الذي يُبيحُ اللبْسَ والحَلْقَ ويقتضي الفِدْيَةَ هو الذي يحتاج إلى تَغْطِيَةِ البَدَنِ وحَلْقِ الشعر، وأُلْزِم فِدْيَةً على التخيير ولم يبين وصفها، فنبه عليه النبي ﷺ بقوله لكعب بن عجرة وقد مر به يوم الحديبية وهو مُحْرِمٌ، فقال له: «أَيُؤْذِيكَ هَوَ أمُّ رَأْسِكَ؟ فقال: نعم، فقال: احلِقْ رَأْسَكَ وَاذْبَحْ نَسِيكَةً، أَوْ صُمْ ثَلاَثَةَ أيام أو أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ بَيْنَ كُلِّ مِسْكِينَيْنِ صَاعٌ»(١)، وظاهر الآية يقتضي أن لا فَرْقَ بين قليل الشَّعْرِ وكَثِيرِهِ بخلاف ما قال أبو حنيفة حين لم يُلْزِمْ إلا بحَلْقِ الثُّلُثِ، وغيره حين لم يُلْزِمْ إلا بالرُّبُعِ، وأما التمتع بالعمرة إلى الحج، فقد قيل هو المحصر إذا دخل مكة بعد فَوتِ الْحَجِّ، وقيل: "هو النَّاسِخُ الْحَجِّ بالعُمْرة"، وقيل: هُوَ التمتُّعُ الْمَعْرُوفُ في الْحَجِّ،وهو الأصَحُّ، ولا يجب الدمُ فيه إلا أن يكون بأربع شرائط، الأول: الإحْرَامُ بالعمرة في أشهر الحج والتحلل منها فيه، والثاني: أن يُنْسِئَ الْحَجَّ مِنْ سَنَتِهِ، والثالث: أن لا يعود إلى الميقات لإنساء الحج، والرابع: أن لا يكون من حاضري الحرم، وإن أحرم في رمضان وأخر الطواف إلى شوال ثم أحرم بالحج فهل يلزمه الدمُ؟

فيه قولان للشافعي، وظاهر إيجاب ما استيسر من الهدى يقتضي أن ذلك بعد الفراغ من

١ - الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: تفسير القرآن من حديث علي بن حجر بسنده إلى كعب بن عجرة قال: "أتى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر والقَمْلُ يتناثر على جبهتي، أو قال حاجبي، فقال: أيُؤْ ذيك هو أمُّ رأسك؟ قال: قلتُ: نعم، قال: فاحلق رأسك، وانسك نُسيكة، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، قال أيوب راوي الحديث: لا أدري بأيتهم بدأ. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح -ج:٤- حديث: ٢٩٧٤، ورواه الحميدي في مسنده- ص٧٠٩.

العُمْرَةِ والدُّخُولِ في الحج، وكذا الصوم الذي هو بَدَلُهُ، وعند أبي حنيفة يجوز الصوم إذا دَخَلَ في العمرة ناوياً للتمتع.

إن قيل: كيف قال في الحج ومهما أحرم يوم عرفة لا يمكنه صيام ثلاثة أيام في الحج، لأنهُ مَنْهيٌّ عن الصَّوْمِ في يوم النحر وأيام التشريق؟ قيل: الواجبُ على المتمتِّعِ أن يُحْرِمَ بالْحَجِّ على الوجْهِ عليه صِيَامُ ثَلاثَةِ أيامٍ، وذلك بتقديمُ الإِحْرَامَ قَبْلَ يَوْمِ عَرَفَةَ، وقد قال ابن عمر وعائشة: يَصُومُ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، ويحملان النهي عن الصوم فيها على غير المتمتع، وقوله: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إلى بلدِكُم﴾ [قيل: معناه إِذَا أَخَذْتُمْ فِي الرُّجُوعِ][1] بَعْدَ الْفَرَاغِ، وقيل: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى بلدِكُمْ [وأهلِيكُمْ.][2] وَإطلاقُ اللفظِ يَحْتَمِلُ الأمرين جميعاً، فيصحُ حَمْلُهُ عليهما، وَحَاضِرُوا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قال عطاءُ: هُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ والْقُرْبَاتِ التي حَوْلَهُ مالم تبلغ مسافةً تُقْصَرُ فيها الصَّلاةُ، وبه قال الشافعيُّ، وقال طاوس: أَهْلُ الْحَرَمِ لاغَيْرَ، وقال أبو حنيفة: هُمْ أَهْلُ المواقيتِ ومَادُونَهَا، وقوله تعالى: (ذَلِكَ) أي الكَفَّارَةُ لمنْ لَمْ يكُنْ حَاضِرِي المسْجد، فأما حَاضِرُوا المسجد، فلا يَلْزَمُهُمْ، وقيل: عني بذلك التمتع أي أنَّ الْحَاضِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يتمتَّعُوا، وإنما ذَلكَ لأهْلِ الآفاقِ البعيدة.

إن قيل: ما الحاجةُ إلى ذِكرِ: "**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**" عقب قوله (سبعة، وثلاثة، ولا يشك على ذي أدنى بصيرة أن الثلاثة والسبعة عشرة)[3] ولا أن ذلك يتنوع، فيكون مرةً كاملةً ومرةً غير كاملةٍ، لأنها إذا لم تكن كاملةً لم تكُنْ عشرةً[4]؟

قيل: قد أُجِيبَ عَنْ ذلك بأجْوِبَةٍ.

الأول: أنه لما قال: (ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم) كان يَحْتَمِلُ التخيير، وأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما على الانفراد يقوم مقام الهدي[5] فبين أن مجموعَهُما يَدُلُّ على الهدي يقومُ مَقَامَهُ، والثاني: أنه

١- ساقطة من (و-ج).

٢- ساقطة من (و-ج).

٣- ساقطة من (أ-ص).

٤- في (و-ج) لأنها إذا نقصت خرجت عن أن تكون عشرة.

٥- في (أ-ص) يدل على الهدى.

لما قصد بيان كمال الحكم، وأن ذلك يحصل في صوم العشرة، ذكر لفظ العشرة تأكيداً، فإن كان لو قال: (تلك كاملة) كانت مفهومة، وذاك أن الخطاب العامي، أعني ما يفهَّم به الخاصُّ والْعَامُّ الذين هم أهل الطبع لا أهْل الارْتيَاضِ بالتعلم لا يكون إلا تكريراتِ الكلام وزياداتِ البيان ليُحْسِنَ إفهامُ الكافة، ولهذا جَاءَ في القرآن عامةُ ما يتعلق حكمُهُ بالكافةِ في غايةِ الظُّهُورِ، وما هو مُخْتصٌّ علْمُهُ بالراسخين في الْعِلْمِ جَاءَ على ضربٍ مِنَ الإيجازِ والغُمُوضِ، إذْ كَانُوا بمعرفتهم يمكنهم أن يتوصلوا إلى حقائقه، وما هو متردد[1] بيَن الْعَامَّةِ والخاصة كَذِكْرِ التوحيدِ والنُّبُوَّةِ ذكر تارةً بلفظٍ مَبْسُوطٍ، لِيَظْهَرَ مِنْهُ لِلْعَامَّةِ ما يُقْنِعُهُمْ، وتارةً بلفظٍ وَجيزٍ لِيَسْتَخْرِجَ مِنهُ الْخَاصَّةُ ما يتضمنه، ولهذا قال فيما يغمض، **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنهُمْ﴾**[2]، والثالث: أن قوله: (تلك عشرة كاملة) استِطْرَادُ كلامٍ، وتنبيهٌ على فضيلة عِلْمِ الْعَدَدِ، وذاك أنه قد قيل: العَدَدُ أَوَّلُ العُلُومِ وأَشْرَفُهَا، أما كونه أولاً، فَلأَنَّ مَاعَدَاهُ به تميز وتفضل، وأما كونه أَشْرَفَ، فلأنه لا اخْتِلاَفَ فيهِ ولا تَغْيِيرَ، بل هو لازمٌ طريقةً وَاحِدَةً، فذكر العشرةَ، ووَصَفَهَا بِالْكَامِلَةِ، إذ هي عَدَدٌ كَمُل فيه خَوَاصُّ الأعداد، فإن الواحِدَ مبدأُ الْعَدَدِ، والاثنين أولِ العَدَدِ، والثلاثة أول عدد فرد، والأربعة أول عدد زوج محدود، أي مجتمعٌ من ضرب عدد في نفسه، والخمسة أول عدد دائر، والستة أول عدد تام، أي إذا أخذت أجزاؤه لم يزد عليه ولم ينقص منه، والسبعة أول عدد أول أي لا يتقدمه عدد بعده، والثمانية أول عدد زوج الزوج والتسعة أول عدد مثلث، والعشرة أول عقد ينتهي إليه العدد، فإن كلَّ عددٍ بعده مكرَّرٌ منه بما قبله، فإذن العشرة هي العدد الكامل..

---

١ - في (أ - ص) مترددد.

٢ - سورة النساء : الآية (٨٣).

قوله - عز وجل :

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾

«الآية: (١٩٧) سورة البقرة».

جَدْلُ الْحَبْلِ فَتْلُهُ، وبه سُمِّي الزمامُ جَديلاً، وعنه استُعير "**جادَلْتُ فلاناً**"، ولذلك قيل: نَاقَضَهُ[١] تشبيهاً بنقض الحبل، وفتَلَ فُلاَنٌ، يفتُلُ حبلاً، في ذِرْوَةِ فُلاَنٍ، إذا احْتَالَ عليه، والجدْوَلُ: النَّهْرُ الممتدُّ كالْحَبْلِ المفْتُولِ، والْمجدَلُ: القَصْرُ الْمحْكَمُ، وَالْجدَالَةُ: كُلُّ أَرْضٍ صَلْبَةٍ، والزاد: فَضْلُ الطعامِ الزائدِ عما يكتفي به في الوقت، وقد بين الله تعالى[٢] فيما تقدم أحكام الحج وما يقع فيه من الإحصار [واستباحة][٣] الحلق والتمتع، وبين في هذه الآية وقته الذي يصح فيه ذلك، وَمَنْ قَالَ: أَشْهُرُ الحج: شوالُ، وذو القعدة، وتسع من ذي الجج عنى أن فعله يقع في هذه المدة، لأن لفظ الأشهر يقع على الاثنين، وبعض الثالث، فالفعل قد يُنسَبُ إلى مدةٍ مُمتدةٍ، ويكون واقعاً في بعضها، ولما كان فعلُ الحج في هذه الأشهر نسب إليها ثلاثتهن، ودلت الآية على أن الإحرام بالحج في غيرهن[٤] لا يصح لتخصيص الأشهر وهي أدنى العدد، ولقوله:

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾، والضمير على هذا الوجه لا يقال في التواريخ إلا لأدنى العدد، كقوله: **﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾**[٥]، ثم قال: **﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾**، ثم قال: **﴿فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾** [يعني: في الأربعة الحرم،][٦] ويقال: لثلاثٍ خَلَوْنَ، وثلاث عشر خلت، وقول مالك: إن الإحرام بالحج يصح بعد يوم العاشر بالحج مُسْتَدِلاًّ بظاهر الآية قَوِيٌّ، ويعاضده مارُوي عنه - عليه

---

١ - في (و - ج) ناقصة وما في (أ - ص) هو الأصح.
٢ - ساقطة من (و - ج) .
٣ - ساقطة من (و - ج).
٤ - في (أ - ص) غيرهم.
٥ - سورة التوبة : الآية (٣٦).
٦ - ساقطة من (و - ج).

السلام- «**أشهُرُ الحجِّ شوَّالٌ، وذُو القعْدَةِ، وذُو الحِجَّةِ**»[١]، وقوله: (فمن فرض فيهن الحج) أي الْتزَمَ حُكْمَهُ، وذلك عند الشافعي بالنيَّة فقط وبها يصير محرماً عنده وعند أبي حنيفة -رحمه الله بالنية، ومع سوق الهدى أو التلبية، [واستعمل الفرض في][٢]والتزام الحكم وأصله من قطع الحكم مأخوذا من "**فَرضَ القَوْسَ**" أي: حزَّهُ، وقيل لثعلب النحوي: لِمَ جعَلَ الْغَرَضَ لِماَ هُوَ أوْكَدُ، والنيةُ لِماَ هُوَ أخَفُّ؟

قال: لأن الفرض لما يؤثر، كفرض الزند والقوس والسن للضب، فلما كان تأثير الفرض في نفس الشئ أبلغُ من تأثير السن، فجُعِلَ لما هو أوكد، والرفث ههنا: قيل هو الجماع،وقيل: هو حديث الجماع، وروي عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه كان ينشد في الطواف:

إنْ تَصدقُ الطَّيْرُ نَنِكْ لمِيسَا [٣]، **فقيل له : أترْفُثُ؟**

فقال: «**لَيْسَ هذَا الرَّفَثَ، إنما الرَّفَثُ مُرَاجَعَةُ النِّساءِ الحَدِيثَ بِذِكْرِ الجَماعِ**»، إن قيل: الفُسُوقُ مَحْظُورٌ في كل حال، فكيف خُصَّ بِهِ الْحَجُّ؟ قيل: الْفُسُوقُ هاهنا يعني الأشياءَ المحظور تعاطيها في حال، [الحج][٤] كالصيد والطيب، واللباس، وإن لم يكن فسقاً في غير الحج؟ قيل: تخصيص الحج به تنبيهٌ على شرَفِهِ وعِظَمِ مَوْقعِهِ، كقوله: ﴿**فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾[٥] وإن كان ظلمُ النَّفْسِ في كل حالٍ

---

١ - الحديث أورده ابن كثير في تفسيره من رواية الحافظ ابن مردويه من طريق حصين بن مخارق وهو متهم بالوضع عن يونس بن عبيد عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « الحج أشهرٌ معلومات شوال وذو القعدة وذو الحجة » ثم عقب عليه ابن كثير بقوله : وهذا كما رأيت لايصح رفعه ، والله أعلم . تفسير القرآن العظيم - ج : ١- ص ٢٣٦.

٢ - ساقطه من (أ - ص).

٣ - البيت قاله ابن عباس وهو محرم، وشطر البيت هو :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا   إنْ تَصْدُقُ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا.

فقال له صاحبه حصين بن قيس: أترفثُ وأنت مُحْرِمٌ؟

فقال: إن الرفث ما قيل عن النساء.. الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ج:١-ص٨٨٩.

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥ - سورة التوبة : الآية (٣٦).

مَكْرُوهاً، وكما قال: «**إِذَا صَامَ أحدُكُمْ فلا يَجْهَلْ، فلا يَرْفُثْ، فإن جُهِلَ عَلَيْهِ فَلْيَقُلْ: إني صَائِمٌ**»[1]، وقوله ﴿**وَلا جِدَالَ**﴾ أي: لا يجوزُ المماراة، وقيل معناه: لا شك أن فرضه مقرر في ذي الحجة بخلاف ما فعله النسَّاءة، قيل: هو حثٌّ على التحاب، وقيل: "**هو حثٌّ على التحاب والنظافة وترك مَا يُؤَدِّي إِلى التَّبَاغُضِ**"، وكل ذلك يصح إرادته، وقيل قوله: ﴿**فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ**﴾ إشارةٌ إلى أن من التزم هذا الفرض وتحراه يمنعه عن الرفث والفسوق، وكأنه نبه على علةٍ ما أوجب لأجله الْحَجَّ، فهو تهذيبُ اللسان عن الخَنَا، وإصلاحُ البدن [بالمنع][2] من تعاطي الفسق، كما جعل الصلاةَ علةً لترك الفحشاء والمنكر، والصَّوْمَ علةً للتَّقْوَى في قوله: (لعلكم تتقون)، والزَّكَاةَ علَّةً لتزكيةِ النفس في قوله: ﴿ **وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[3] وقوله: ﴿**وَلا جِدَالَ**﴾ نهيٌ على ما تقدم، ولهذا فَصَلَ بين إعرابيهما بعضُ القراء، ونبه بقوله: ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ على مجازاته إياهم، كما نبه في عامة القرآن على ذلك، نحو: ﴿**سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4]، ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾[5]، و﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾[6] وما يجري مجراه من الأقوال:

وقوله: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ حثٌّ على تقوى الله واقتناء الأعمال الصالحةِ، والإعراض عن الدنيا سوى ما يُتَوَصَّلُ به إلى الآخرة... **وقال أبو المطيع البلخي لحاتم الأصمّ:**

«**بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجُوبُ الْبَادِيَةَ بِلاَ زَادٍ، فقال: إني أَجُوبُهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ، أَرَى الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا مِلْكاً لله، وَأَرَى الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَبِيداً لِلَّهِ، وَأَرَى الأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِيَدِهِ، وَأَرَى قَضَاءَهُ نَافِذاً فِي كُلِّ أَرْضٍ**»، فقال: «**نِعْمَ الزَّادُ زَادُكَ يَاحَاتِمُ نَحْوَتَ بِهِ مَفَاوِزَ[7] الآخِرَةِ**»، وقول من قال: «**أنزلت الآيةُ في قومٍ يحُجُّونَ بِلاَ**

---

١ - الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور -ج:١-ص.١٩٠، ورواه الطبراني في معجمه، وأخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير - ج:١-حديث ٧٩٥-ص٢٧٦، وقال: صحيح. ونص الحديث: "إذا كان يومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فلا يرفُثْ، ولا يَفسقْ... الخ الحديث.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة التوبة : الآية (١٠٣).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٢٤).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٢٠).

٦ - سورة الفجر : الآية (١٤).

٧ - في (أ-ص) مقادر، وهو تصحيف.

زَاد، ويَتَكَفَّفُونَ، فَنُهُواْ عَنْ ذَلِكَ، فلا يَمتنِعُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ بالآية مما تقدم، فالتَّكَفُّفُ قد يكون منافياً للتقوى»، وقوله: ﴿ **وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ لما أمر بالتقوى، أمر أن يكون هو تعالى المقصود بها، وقيل: تقواه حفظ النفس إن نالها عقابه أو يتخطاها ثوابه، وذلك منعها متابعة الهوى، وحملها على طريق الهدى، وذلك على ثلاثة منازل.. الأول: ترك الكفر والكبائر، والثاني: ترك المحارم وأداء الفرائض اللذين يقتضيهما إلتزام الشرائع، والثالث: حفظ القلوب عن التلفت إلى الذنوب، وهو المعنى، بقول من قال: «**التَّقْوَى هِيَ التَّبَرُّؤُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، ولا يَحْصُلُ الثَّالِثُ إِلاَّ بِحُصُولِ الثَّانِي، ولاَ الثَّانِي إِلاَّ بِحُصُولِ الأَوَّلِ** »، وعنى هاهنا الغاية، ولهذا خُص أولوا الألباب بالخطاب، فاللب أشرف أوصاف العقل، وهو اسم الجزء الذي بإضافته إلى سائر أجزاء الإنسان، كلب الشئ إلى القشور، وباعتبار اللب، قيل لضعيف العقل: «**يراعة**"، و"**قصبة**"، و"**منخوب** "[1]و"**خاوي الصدر**"، وقال - عز وجل- ﴿ **وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغاً** ﴾[3].

قوله - عز وجل :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ «الآية: (١٩٨)- سورة البقرة ».

فاض الإناء، انصب عن امتلاء، ومنه: فاض صدره بسره، ورجل فياض سخي -تشبيهاً بنهر فياض، ودرع مفاضة: افتضت على لابسها كقولهم: مسنونة، وعنه استعير: "**أفاض من عرفة**"، و"**أفاض بالقداح**" و"**أفاض البعير بحريه**"، و"**حديث مستفيض**"، كقولهم: شائع وسائر، وكانت العرب تتحاشى من التجارة في الحج حتى إنهم كانوا يتجنبون المبايعة إذا دخل العشر الأواخر، وحتى سموا

---

١ - البراعة واحدة البراع للقصب والحشرة والبرع شيئ كالبعوض يغشى الوجه، والقصبة هي كل أنبوبة في ساق الشجر ينتهي بعقلتين، وكل عظم مستدير أجوف ذي مخ، والنخوب هو الذاهب اللحم الهزيل، مادة يرع- وقصب - نخب- المعجم الوسيط.

٢ - سورة إبراهيم : الآية (٤٣).

٣ - سورة القصص : الآية (١٠).

من يوالي متجراً في الحج: الداج دون الحاج، فأباح الله ذلك، وعلى إباحة ذلك دل قوله: **﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾**[١] إلى قوله: **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾**[٢]، وقوله: **﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾**[٣]، وأمر الله بذكر الله تعالى عند المشعر الحرام أي المزدلفة، وقيل: عنى بذكره عند الجمع بين المغرب والعشاء، وهذا يدخل في عموم الذكر، فقد سمى الصلاة ذكراً في قوله **﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾**[٤] وقيل لبعض العلماء: **"لم أمر الناس بالمقام عند المشعر الحرام، وبالذكر"**؟، فقال: لأن الكعبة بيت الله الحرام حجابه، والمشعر بابه، والوافد إذا قصد الباب أقام وتضرع، فإذا وصل إلى الحجاب، قدم قربانات، وقضى التفث، وتطهر، ثم يؤذن له في الدخول، وأعاد الأمر بالذكر ثانياً. وأوجب أن يكون ذكره كهدايته أي مولداً[٥] لهدايته لنا ثم قال: (وإن كنتم)، أي وإنكم كنتم قبل لضالين، وإن محققة من الثقيلة بدلالة -دخول اللام معها، والضلال هاهنا الجهل بالمعارف الحقيقية نحو: **﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾**[٦].

---

١ - سورة الحج : الآية (٢٧).

٢ - سورة الحج : الآية (٢٨).

٣ - سورة المزمل : الآية (٢٠).

٤ - سورة الجمعة : الآية (٩).

٥ - في (و - ج) مولديا، وهو خطأ من الناسخ.

٦ - سورة الضحى : الآية (٧).

قوله - عز وجل :
﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

«الآية : (١٩٩) - سورة البقرة»..

رُوي أن قريشاً لم يكونا يقفون مع الناس بعرفة ولا يبيتون بالمزدلفة ويقولون: «**نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللــه**»، وكانوا يقفون دون عرفة، فأمرهم الله تعالى أن يفيضوا مع سائر الناس، قاله ابن عباس، وعائشة، ومجاهد، والحسن،(١) وقيل: إنه أمر جميع الناس أن يفيضوا من حيث أفاض الناس، أي إبراهيم،وسماه "**النـاس**" والناس تُستعمل على ضربين، أحدهما: للنوع من غير اعتبار مدح أو ذم، والثاني: للمدح اعتباراً بوجود تمام الصورة المختصة بالإنسانية، وليس ذلك في هذه اللفظة فقط، بل في اسم كل جنس ونوع، نحو: هذا فرس، وفلانٌ رجلٌ، وليس هذا بفرس ولا فلان برجل، أي ليس فيه معناه المختص بنوعه، وبهذا النظر نفى السمع والبصر عن الكفار، فعلى هذا سمى إبراهيم الناس على سبيل المدح، [وعلى وجه آخر](٢) وهوأن الواحد يسمى باسم الجماعة تنبيهاً أنه يقومُ مقامهم في الحكم، وعلى هذا قول الشاعر:

وَيَرى فَيَحْسِبُهُ القَتيلُ قَتيلاً..(٣)

وقال : تستجمعي الخَلْقَ فِي تِمْثَالِ إِنْسَانِ..(٤)

---

١ - أورد بن حجر العسقلاني مارواه البخاري لسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة - وكانوا يسمون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يأتي عرفات ثم يقف بها ، ثم يفيض منها فذلك قوله تعالي (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) . فتح الباري ج :١٢ كتاب التفسير ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٦ ، وأورده السيوطي في أسباب النزول فيما أخرجه بن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر وفيما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال : كانت العرب تقف بعرفة وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة فأنزل الله الآية أسباب النزول - للسيوطي - ص ٢٧ - ط . دار المنار بالقاهرة .

٢ - ساقطة من (أ - ص).

٣ - لم أهتد إلي نسبته .

٤ -و هذا عجز بيت لأبي نواس وهو من قصيدة مطلعها:

يامن يبادلني عشقاً بسلوان ... ام من يصيرلى شغلاً بإنسان

و تمامه :

متى تحطي إليه الرحل سالمة ... تستجمعي الخلق فى تمثال إنسان

وهو فى شرح ديوان أبي نواس ص ٤٧٧.

وقال: وَلَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ   أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ[١]

وعلى هذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[٢]، وقوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ ﴾ أي من عَرَفَةَ، وقيل: من المزدلفة، وهو أقرب، لأن بعده: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾[٣]، والاستغفار، والتوبة، والإنابة، والأوبة تتقارب، لكن الاستغفار [طلب][٤] غفر الذنب، والتوبة تركه، والإنابة: الرجوع عن[٥] الضلال إلى الهدى، والأوبة رجوع القلب إلى الله تعالى، وهذه المعاني وإن كانت متلازمةً ، فألفاظها اختلفت لاختلاف النظرات، فأمر تعالى بالاستغفار له عن الاشتغال[٦] بغيره من أمور الدنيا، وبيَّن أن الله تعالى غفورٌ للمطيعين، رحيمٌ بالعاصين، يدعوهم برحمته إلى بابه، ويرغبهم في جزيل ثوابه...

---

١ - قائل البيت هو أبو نواس وذلك كما فى ديوانه - ج : ١- ص ٣٤٩ ، ودلائل الإعجاز ، - ص ١٥٢ ، والبحر المحيط - ج :٥-ص٥٤٧ ، والدر المصون فى علوم الكتاب المكنون - ج : ٧- ص ٣٠١ ، كما ذكره الراغب في محاضرات الأدباء - ج : ١- ص ٢٩٩ ، وذكره محمد بن أيدمر في مخطوط كتاب : الدر الفريد وبيت القصيد ، وذكر أن أبانواس قاله يمدح به الفضل بن الربيع مخاطباً الخليفة في قصيدة مطلعها :- قولا لهارون إمام الهدى ... عند احتفال المجلس الحاشد ،

إلى أن يقول :-

أنت على بابك من قدرة   فلست مثل الفضل بالواحد
أوحده الله فما مثله   لطالب رفداً ولاناشد
وليس من الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

مخطوط كتاب :الدر الفريد - ج : ٥ - ص ٣٠٦، وديوان أبي نواس - صـ ٤٥٤ بتحقيق وضبط : أحمد عبدالمجيد الغزالي.

٢ - سورة النحل : الآية (١٢٠)

٣ - سورة البقرة : الآية (١٩٨).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (أ - ص) من.

٦ - في (أ - ص) الاستغار، وهو خطأ من الناسخ.

قوله - عز وجل :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ «الآية (٢٠٠)- سورة البقرة»..

القضاء: فصل الأمر، والنسك أخذ النفس[١] ببلوغ غاية العبادة، واختص في تعارف أهل الفقه بعمل الحج وبالذبيحة حتى سميت نسيكة، كما سميت قرباناً، وقولهم: إذا فعلت كذا فافعل كذا، يقال على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون "**افعل**" أمراً بماتقدم فعله نحو، **﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾**[٢]، الثاني: أن يكون الأمر بشئ هو من أبعاض ذلك الفعل وفي أثنائه، نحو: "**إذا صليت فاركع واسجد**"، والثالث: أن يكون بعده، نحو: **﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا ﴾**[٣] والآية، محمولةٌ على ذلك تنبيهاً ففي ابتداء النسك ذكر، وهو التلبية وفي أثنائه ذكر، وهو عند المشعر والطواف، وفي انتهائه ذكر، وهو شكر الله - عز وجل- وذكره عند طواف الوداع، ولما كان الذكر ذكرين، ذكر بالقلب، وذكرٌ باللسان تتناولهما الآية، ولما كان الإنسان لا يتشكك في أن أباه أحد أسباب وجوده، وأنه منه أوجد ولا ينسى ذكره في شئ من أحواله، وكانوا يتبجحون بمكانه، ويفتخرون بكونهم عنه، أمروا أن يذكروا الله كذكرهم آباءهم وأن يتحققوا أنه تعالى سبب وجودهم، بل سبب وجود آبائهم، وأن يفتخروا به كافتخارهم بآبائهم، وقد روي أنهم كانوا يفتخرون بآبائهم بعد فراغهم من حجهم، فأبطل الله ذلك، وعليه نبه النبيُّ ﷺ بقوله: "**إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء، فالناس من آدم، وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**"، ثم تلا قول الله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾**[٤]..

---

١ - في (أ - ص) اليقين، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة المائدة : الآية (٦).

٣ - سورة الجمعة : الآية (١٠).

٤ - سورة الحجرات : الآية (١٣)، والحديث أخرجه السيوطي في الدرالمنثور - ج-٦-ص٩٨، وأخرجه الزبيدي في : إتحاف السادة المتقين ج:٨-ص٤١٩ من حديث أبي أمامة مرفوعاً. ونص الحديث كما أخرجه الزبيدي «إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها، كلكم لآدم وحواء كطفِّ الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ثم تلا الآية..

وقــوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ تنبيهٌ أنه إذا كان الأب يذكر لأنه سببٌ ما لوجودكم، فالباري - عز وجل- أولى بأن يذكر..

إن قيل: كيف خير بين أن يذكر كذكر الآباء وبين أن يذكر أشده ذكراً؟

قيل: لفظ أو وإن كان للتخيير، فمقتضى الكلام على إيجاب أن يكون ذكره أشد، لأنه لما نبه علي موضع نعمتهما أعني نعمة الأب ونعمة الله - عز وجل- وشكر المنعم بقدر عظمة نعمته، وقد علم فضل نعمته تعالى على فضل نعمة الأب، فصار ذلك منبهاً[1] أن ذكر الله أوجب، وقوله: ﴿مَن يَقُولُ رَبَّنَا﴾ إشارة إلى ما روي أنهم كانوا يقولون: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَنَا، وأولادنا[2] وَأَنْزِلِ الغَيْثَ عَلَيْنَا، وَأَنبِتْ مَرْعَانَا»، ولا يسألون شيئاً من أمور آخرتهم، وإنما سألوه[3] الدنيا دُونَ الآخرةِ، لأنهم عرفوها ولم يعرفوا الآخرةَ، وكيف يسأل الآخرة من لا يعرفها؟، وكيف يعرفها من لم يتحقق كونها؟، وكيف يتحقق كونها من لم يبصرها؟ أي لم تدركها بصيرته؟ وليس يعني بقوله: (يقول)[4] التفوه بذلك فقط، بل صرْفُ العناية إليها، والاهتمام بها، والخلاقُ نصيبُ الإنسان من أفعاله المحمودة التي تكون خُلُقاً له، وذلك أن الفعل قد يحصلُ من الإنسانِ تَخَلُّقاً، وقد يحصلُ منه خُلُقاً وهو المحمود، وفي قوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ تنبيهٌ أن الأريحيَّةَ لهم صادقة صادرةٌ عن أخلاقهم...

---

١ - في (أ - ص) تنبيهاً.

٢ - ساقطة من (أ - ص).

٣ - في (أ - ص) سألوا.

٤ - ساقطة من (أ - ص).

قوله عز وجل :

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

«الآية (٢٠١)- سورة البقرة »..

لما أجرى الله تعالى العادة أنَّ لابُدَّ للإنسان من أخْيَارِهِمْ وأشْرَارِهِمْ من بلغه في الدنيا، صار الْمؤْمنُ يطلُبها كما يَطْلُبهُا الْكافِرُ، لَكِنَّ طَلَبَ الْمؤْمِنِ لها علي سبيل الغرض قدر ما يحس، وفي وقت ما يحسن، ولأجل الحاجة إليها..

قال بعض الصالحين: «**اللهم وَسِّع الدنيا عليَّ ، وزهِّدْني فيها، ولا تضيِّقْهَا عليَّ فترغِّبْنِي فِيهَا**».

فقوله تعالى: **﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** أي مالا يستقبح عاجلاً وآجلاً ويكون ذريعةً إلى المقصد، **﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾** أي ثواباً ورحمة وعلى هذا قال الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادةُ، وفي الآخرة: الجنة، **﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** أي: احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى النار.

قوله - عز وجل :

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ «الآية : (٢٠٢) - سورة البقرة»..

النصيب في الأصل: المنصُوبُ، وجُعلَ السَّهْمُ المقرَّرُ نصيباً، والنَّصْبُ: رَفْعُ الشَّخَّ، وبِهِ سُمِّي النُّصُب، وإنصَابُ الحرم، ونِصَابُ السكِّينِ، و"فُلاَنٌ في نِصَابِ صِدْقٍ" تشبيهاً بنصاب السكين، ونَسْبُ الحُرُوفِ في الإعراب، ونَصَبُ الستر على التَّشْبِيهِ، والحسَابُ: عنْهُ استعير الحسبان المقارب لمعنى الظن، وحسب الذي هو معنى الكفاية بين تعالى أن من جمع بين طلب دنياه وأخراه، ولم يقتصر على طلب الدنيا الموصوفة بقوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾**[١].. الآية، فقد تناول نصيبه المأمور به في قوله: **﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾**[٢]، ولم يكن كمن قال فيهم:

---

١ - سورة يونس: الآية (٢٤).

٢ - سورة القصص : الآية (٧٧).

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[1]، ولما كان الحسابُ يكشف عن مُجْمل الشئ وتَفْصيله، نبه بذلك على إحاطته بأفعال عَبادِهِ ووُقُوفِهِ على حقَائقِهَا، وذِكْرُ "السَّرِيع" تنبيهاً أن ذلكَ مَنَهَ، لا في زمان ولا بفكره، وذلك أبْلَغُ مَا يُمكِنُ أن يَتَصوَّرَ بِهِ الْكَافَّةُ سُرْعَةَ فِعْلِ الله عز وجل.

قوله - عز وجل -:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الآية: (٢٠٣)- سورة البقرة.

الأيامُ المعْدُودَاتُ عند الشافعي- رَحِمَهُ الله - ثلاثةُ أيَّامٍ بَعْدَ النَّحْرِ والْمعْلُومَاتُ عشر[2] ذي الحجة، وقال مالك وأبو حنيفة- رحمهما الله- في إحْدَى الروايتين: المعْدُودَاتُ يَوْمُ النَّحْرِ، ويَوْمَانِ بَعْدَهُ، فيومُ النَّحْرِ عندهما من المعْلُومَاتِ ومنِ المعْدُودَاتِ جَمِيعاً، وفَائِدَةُ الْخِلَافِ أَنَّ عندمَالِكٍ لاَ يَجُوزُ النَّحْرُ ثَالِثَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، والحَشْرُ: ضم المتفرِّقِ وسَوْقُهُ، يقال: حشرتهم السنة: أي ضَمَّتْهُمْ من النواحي إلى الْحَضَرِ، واختص حشراتِ الأرْضِ بِصِغَارِ الدَّوَابِّ، وسهم حشْرٌ مَضمُومُ الْعَدَدِ، وكذلك أذن حشر[3]، ورفع الإثم عن المتعجل والمتأخر على وجه الإباحة، وقيل: معنى رفْع الإثم إنه حَطٌّ ذنوبهما بإقامتهما الحج تَعَجَّلَ أو تَأَخَّرَ بشرط: أن يكون متقياً- تنبيهاً أن الاعتبار بالتقوى فقط، وعلى ذلك دل قوله - عليه السلام- «**مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»،[4] ثم قال: (واتَّقُو الله) متحققين أنكم إليه رَاجِعُونَ، وعلى أعمالكم مُحَاسَبُونَ..

---

١ - سورة الفرقان : الآية (٢٣).

٢ - في (أ - ص) عنوهو خطأ من الناسخ.

٣ - الحشر: هو الاجتماع، واجتماع الخلق يوم القيامة، والجماعة، ومن الآذان وريش السهام ونحوها: الصغيرة اللطيفة المجتمعة، ويستوي فيه المذكر والمفرد وفروعها، لانهما في الأصل مصدر، يقال آذن حشر، وآذان حشر، ومن السهام المستوي الريش، يقال سهم حشر، وسهام حشر، والجمع حشوروبيوم الحشر يوم القيامة. والحاشر أحد أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، المعجم الوسيط- ج١- مادة- حشر.

٤ - الحديث أخرجه الترمذي في سننه ولفظه من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ماتقدم من ذنبه » والحديث عن أبي هريرة ج : ٣- ص ٨١١ كما أورده ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري بشرح صحيح البخاري لسنده إلي أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ج : ٥- ص ١٧٥ : ص ١٧٦ كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور - كما أورده في كتاب المحصر باب قول الله عز وجل « فلا رفث » بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج وكذلك أخرجه النسائي وابن ماجه بلفظه .

قوله - عز وجل :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾

«الآية: (٢٠٤)- سورة البقرة...

التعجب حيرة تعرض للإنسان عن جهل سبب الشيء، وليس هو شيء ماله في ذاته حالة، بل هو بحسب[١] الإضافات إلى من يعرف السبب وإلى من لا يعرفه، ولهذا قال قوم كل شيءٍ عجب، وقال قوم: لا شيء عجب، وحقيقة أعجبني كذا، أي ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه، والألد المايل اللديد، أي صفحة العنق، ثم يعبر به عن المتكبر كالمتصلف أي المشتكي صليفه، والأصيد للبعير الذي به الصد، **ولهذا قال الشاعر:**

وَيُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الأَصْيَدِ[٢]

وقال : **إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ يَلْفِتُ حَوْلَهُ** **وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُهُ**[٣]

واستعير الألد للجدل الذي لا يمكنه صرف رأسه عما عض عليه، ولما كانت الدنيا والآخرة كالمتضادين حتى قال أمير المؤمنين: [زنها بكفتي ميزان][٤] لا ترجح إحداهما إلا بنقصان الأخرى، وقال: قرة كالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، فمن حذق في إحديهما خرق في أخرى، ولهذا قال عليه السلام في اعتباره بأهل الدنيا: "**أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ**"[٥]، وقال في اعتباره

---

١ - في (أ - ص) بسبب.

٢ - هذا عجز بيت لم أعثر له على نسبه.

٣ - البيت يروي لحاتم الطائي وذلك كما في شرح ديوان الحماسة ص ٢٢٣ - لأبي تمام ، كما ورد البيت في اللسان بلا نسبة - مادة (قود) ج :٤-ص٣٧٤ ، وفي التاج - قود - ص ٤٧٨ كما ورد في كتاب : التقفية في اللغة - لأبي بشر اليمان البند نيجي المتوفي سنة ٢٨٤ بتحقيق الدكتور خليل ابراهيم العطية ص ٣٣٥ . ونصه :

فإن الكريم من تلفت حوله **وإن اللئيم دائم الطرف أقود**

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥ - الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج :٨-ص٧٩ ، ج ١٠ ص٢٦٤،ص٤٠٢ وقال فيه العراقي : رواه البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك ، وقال ابن عدي إنه منكر وسبقه ابن الجوزي ، وقال حديث لايصح ، وقال الدار قطني : تفرد به سلامة ابن روح عن عقيل وهو ضعيف ووثقه ابن حبان وغيره وضعفه أحمد بن صالح وغيره ، انظر تخريج أحاديث علوم الدين لأبي عبد الله الحداد ج :٤-ص١٥٤٣ ، كما أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج :٧ - ص١٥٧ ، ص ٢٤٤ ، ص ٦٢٧ ، ج :٩ - ص ٢٣٦ ، كما أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم « ٣٩٢٨٣» .

بأهل الآخرة[١]: "**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَه**.." نبه أن من الناس من إذا صادفته وجدته معجباً لك في أمور دنياه، وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾**[٢] الآية.. ويحلف بأن قلبه [مطمئن بالإيمان][٣] ومطابق للسانه وهو يجادل في ذلك ويخاصم، وقوله تعالى **﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾** إشارة إلى نحو ما وصف به المنافقين، حيث قال قالوا: **﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾**[٤].

قوله - عز وجل :
﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾

الآية (٢٠٥)- سورة البقرة.

السعي: مشيٌ سريعٌ، ومنه قيل السعي بين الصفا والمروة، فجعل مستعاراً **للتصرف**، ولأجله قيل لجابي الصدقة ساعٍ، وقيل للوقيعة في الغير سعاية، وذلك كاستعارة المشي لهما في قوله **﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾**[٥]، والنسل : مصدر نسل إذا خرج منفصلاً ومنه: نسل الوبر والريش،

والنسالة للساقط منه، ونسل إذا أسرع، قال تعالى: **﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾**[٦]، وسمي الولد نسلاً لكونه ناسلاً عن أبويه بين تعالى حال هذا المعجب في الدنيا المرائي المجادل بأنه إذا تولى عمن يرائي سعي في الإفساد وإهلاك الحرث والنسل وذلك معاندة لله فيما حث عليه في قوله:

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج :٤-ص١٢٤ ، وقال الحافظ العراقي ورواه الترمذي وقال حسن ، ورواه ابن ماجة من حديث شداد بن أوس ورواه أحمد والحاكم في الإيمان والعسكري والقضاعي ، وكلهم من حديث ابن المبارك عن ابي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد ، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ، انظر تخريج أحاديث الإحياء ج : ٣-ص١٣٥٩ ، ص ١٣٦٠ ، كما أخرجه الطبراني في معجمه ج :٧ - ص٣٨٣ ، ص ٣٤١ ، كما أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج :٧ - ص ٤٤ ، ج :٨ - ص ٤٢٨ ، ص ٤٤١ ، ج : ٩ - ص١٨ ، ص ٣٩ ، ص ١٦٦ ، ج :١٠ -ص٩٣ ، ص ١٥١ ، ص ٢٢١ ، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج :١٤ - ص٣٠٨.

٢ - سورة المنافقون : الآية (٤).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة المنافقون : الآية (١).

٥ - سورة القلم : الآية (١١).

٦ - سورة يس : الآية : (٥١).

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[١]، وما دل عليه قول النبي -عليه السلام- **لما خلق الله المعيشة جعل البركة في الحرث والنسل**[٢]، وبين أن من فعل ذلك فإن الله لا يحبه، أي لا يرضى فعله..

إن قيل: كيف حكم تعالى بأنه لا يحب الفساد وهو مفسد للأشياء؟

قيل: الإفساد في الحقيقة إخراج الشئ من حالةٍ محمودة لا لغرض صحيح، وذلك غير موجود في فعل الله تعالى، ولا هو آمر به ولا محب له، وما يراه من فعله، [ويظهر بظاهره][٣] فساداً فهو بالإضافة إلينا ولاعتبارٍ ما، فأما بالنظر الإلهي فكله صلاح، **ولهذا قال بعض الحكماء: «يامن إفساده إصلاح»** أي ما نظنه إفساداً لقصور نظرنا ومعرفتنا فهو في الحقيقة إصلاح، وجملة الأمر أن الإنسان هو زبدة هذا العالم، وماعداه مخلوقٌ لأجله، ولهذا قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾**[٤]، والمقصد من الإنسان سوقه إلى كماله الذي رُشح له، فإذن إهلاك ما أمر بإهلاكه فلإصلاح الإنسان، وأما أمانته، فأحد أسباب حياته الأبدية، ولشرح هذه الجملة موضعٌ آخر من التفسير..

قوله عز وجل :
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

الآية (٢٠٦) – سورة البقرة.

المهد معروف، وتصور منه التوطئة، فقيل لكل وطيء مهد، والمهاد جُعِل تارةً جميعاً للمهد، وتارةً اسماً للآلة، نحو فراش، وجعل جهنم مهاداً لهم كما جعل العذاب مبشراً به في قوله: **﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[٥]، وقوله: بالإثم أي سبب الإثم، وقيل: دعته العزة إلى أن يأثم، كقوله: أخذني بفعل

---

١ – سورة هود : الآية (٦١).

٢– بحثت عنه فلم أجده.

٣ – ساقطة من (و – ج).

٤ – سورة البقرة : الآية (٢٩).

٥ – سورة آل عمران : الآية (٢١) وسورة التوبة الآية (٣٤)، سورة الانشقاق : الآية(٢٤).

كذا، أي بأن أفعله وبين أن جهنم نصيبه الكافي جزاؤه[1] الوافي، ثم دل على حال جهنم بقوله: ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾..

قوله - عز وجل :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

الآية (٢٠٧) - سورة البقرة.

يشري يبيع ويشتري، وقد تقدم حقيقته، وحقيقة البيع والناس على أضرب ضرب باع نفسه من الشيطان بالشهوات، فصار علقاً في يده لا سبيل إلى الانفكاك منه، وهم المعنيون بقوله: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[3]، وضرب وقع أسر الشيطان عليه، فاجتهد في تخليص نفسه منه وهو المعنى بقوله - عليه السلام: «الناس غاديان، فبائعٌ نفسَهُ فَمُوبِقُهَا، ومُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا»[4]، وضربٌ لم يقع عليه أسر الشيطان، وقد باع نفسه من الله -عز وجل-، وهو المعنى بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[5]، وبين تعالى كيف اشترى أنفسهم بقوله: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[6]، فقوله: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ يتناول ضربين: المخلص نفسه

---

١ - في (أ - ص) ومرآه، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة النحل : الآية (٦٣).

٣ - سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج :٣-ص٣٢١ عن كعب بن عجرة ولفظه : « الناس غاديان ، فبائع نفسه فموبقها، ومبتاع نفسه فمعتقها » كما أخرجه ابن عبد البر في التمهيد - ج :٢- ص٣٠٣ ، وأخرج المنذري في الترغيب والترهيب - ج:٢- ص١١ ، ج :٣ -ص١٩٤ وذلك من حديث كعب بن عجرة.

٥ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٦ - سورة التوبة - الآية : (١١١).

من أسر الشيطان، ومن باع نفسه من الله فإذن يشري نفسه للأمرين، والشراء والبيع في مثل هذا الموضع كالرمز والإشارة، وحقيقتهما وقف الإنسان نفسه على مرضاة الله-عز وجل-، والتحري في مصالح عباده، وقيل: إنها نزلت في صهيب بن سيار، وكان قد أخذه المشركون، وقتلوا بعض من كان معه، فقال صهيب: أنا شيخ لا أنفعكم إن كنت معكم، ولا أضركم إن كنت عليكم، فخذوا مالي وخلوا سبيلي، ففعلوا فلما ورد المدينة، قال له أبو بكر: ربح بيعك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١]، ونبه بقوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ،أن الإنسان في بيع نفسه منه تعالى يدخل في ملك من هو أرأف به من نفسه وأولى به من ذاته..

---

١ - أورده السيوطي في أسباب النزول فيما أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده وابن أبى حاتم عن سعيد بن المسيب قال : أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته وانتثل مافي كنانته ، ثم قال : يامعشر قريش : لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً وأيم الله لاتصلون إلي حتي أرمى كل سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفى مابقي في يدي منه شئ ، ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم علي مالى بمكة وخليتم سبيلى ، قالوا : نعم ، فلما قدم علي النبي - صى الله عليه وسلم المدينة قال : ربح البيع أبايحى ، ونزلت : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد) وأخرج الحاكم في المستدرك نحوه من طريق ابن المسيب عن صهيب موصولاً وأخرج أيضاً نحوه من مرسل عكرمة ، وأخرجه أيضاً من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وفيه التصريح بنزول الآية ، وقال : صحيح علي شرط مسلم ، وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : نزلت فى صهيب وأبي ذر وجندب بن السكن أحد أهل أبي ذر .. أسباب النزول - السيوطي - ص ٢٨ ط : دار المنار للنشر والتوزيع - القاهرة.

قوله - عز وجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾

الآية (٢٠٨) - سورة البقرة .

عنى بالسلم سلم العبد الله[١] -عز وجل-، وذلك أن الإنسان في كفره، وكفران نعمة الله كالمحارب له، ولهذا يسمى الكافر المحارب في نحو قوله: **﴿الذين يحاربون الله ورسوله﴾**[٢]، وسلم العباد لله على ثلاثة أضرب، ضرب يتقدمه إلى الإيمان وهو الإسلام الذي سلم به من الله أن يراق دمه ويسلب ماله [٣] وهو المعنى بقوله - عليه السلام:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»[٤].

واثنان بعد الإيمان، أحدهما أن يسلم من سخطه بارتسام أوامره وزواجره طوعاً أو كرهاً، والثاني: أن يكون سليماً من الشيطان وأوليائه، وسليماً فيما يجري من قضائه، وبه يحصل [دار السلام المذكورة في قوله تعالى]: **﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾**[٥] وهذا غاية ما ينتهي إليه للعبد من المنازل الثلاث وإن كان لكل منزلة منها درجات، وهذا السلم هو المعني بقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾**[٦]، وبقوله تعالى: **﴿إن الذين عند الله**

---

١ - في (أ - ص) سلم الله.

٢ - سورة المائدة : الآية (٣٣).

٣ - أورد السيوطي في سبب نزول الآية ماأخرجه ابن جرير عن عكرمة قال : قال عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وقيس بن زيد كلهم من يهود : يارسول الله يوم نعظمه، فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها بالليل ، فنزلت الآية : (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) .

الدر المنثور - السيوطي - ص ٢٨ - ط : دار المنارة - القاهرة .

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر - ج :١- ص ١٩ ، ج :١-ص٣٥، ص٤٧، ٤٨ ، وأخرجه البخاري في صحيحه - ج :١- ص ١٣، ١٠٩.

٥ - سورة يونس : الآية (٢٥)، وهذه العبارة ساقطة من (أ - ص).

٦ - سورة آل عمران : الآية (١٠٢).

﴿الإسلامُ﴾[١]، وهو الذي تمناه يوسف- عليه السلام- بقوله: ﴿توفَّني مُسلماً وألحِقني بالصالحين﴾[٢]، وقوله : ﴿كافَّةً﴾حال للمخاطبين، أو للسلم وقد تقدم الكلام في قوله: ﴿ولا تتَّبعوا خُطُواتِ الشَّيطان﴾، ونبه أن اتباع الشيطان خروج عن السلم، ونبه على معاداة الشيطان وأن عدواته لا تخفى، وهذا المعنى قصده الشاعر في وصف الدنيا:

إِنَّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامَ لَوْ بَحَثَتْ

عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِمَا لَمْ تَكْتُمِ الخَبَرا.[٣]

قوله - عز وجل:

﴿فإن زَلَلتم مِن بَعدِ ما جاءَتكُمُ البيِّناتُ فاعلَموا أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾ الآية (٢٠٩)-سورة البقرة.

زل وزال يتقاربان، ولكن زال أبلغ، ولفظ البينات عام فيما حولنا[٤] من المعارف العقلية والسمعية، والنهي عن الزلة والقصد إلى الفعل الذي يحصل عنده الزلة، إذ الإنسان لا يقصد أن يزل، وعلى هذا إذا قيل: "**لا تصلوا**"، ونبه بقوله ﴿بَعدِ ما جاءَتكُمُ البيِّناتُ﴾ أن أعظم الذنبين ما كان بعد المعرفة والبينة، وفي هذا تحذير لمن يبصر عن ركوب ذنب، فكأنه قيل: إذا أردتم ذنباً فاذكروا عزَّ الله وحكمته، [ففي العلم بعزه علم بقدرته على عقاب المذنب]،[٥] وفي العلم بحكمته علم بأنه غير ظالم في عقابه[٦] وفي العلم بهذين انزجار عن ارتكاب الذنب.

---

١ - سورة آل عمران : الآية (١٩).

٢ - سورة يوسف : الآية (١٠١).

٣ - بحثت عنه فلم أهتد إلي نسبته .

٤ - في (أ - ص) حولها.

٥ - سقطت هذه العبارة من (أ - ص).

٦ - في (أ - ص) لا يظلم في معاقبة أحد.

قوله - عز وجل :

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾

الآية (٢١٠)- سورة البقرة .

قد تصور بعض الناس مالا يليق بصفات الله تعالى في لفظ المجئ والإتيان الذي وصف الله -عز وجل به نفسه في هذه الآية وفي قوله: **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾**، وقوله: **﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾**[١]، وقوله: **﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾**[٢]، وقوله: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾**[٣]، وذلك لأمرين، أحدهما لقصورهم عن معرفة الباري عز وجل، والثاني: لضيق مجالهم في مجاري الألفاظ ومجازها، وليس يقال الإتيان والمجئ لانتقال الحي المتحرك من مكان إلى مكان فقط، بل قد يقال لقصد القاصد بعنايته أمراً يستصلحه كقوله: **أتيت المروة من بابها**[٤]، [ويقال أيضاً][٥] لاستيفاء فعل يتولاه، كقولك: أتيت على ما في الكتاب، [وقد يقال أيضاً][٦] لفعل يفعله على يد من يستكفيه [كقولك إن الأمير ناحية كذا بجيش عظيم، ومنه **﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾** [٧] ولما جرت العادة أن الرئيس يتولى الأمير بمن يستكفيه] [٨] تارة وبنفسه تارة، وأن لا يتولى بنفسه إلا ما كان أكبر وأعظم، فلما أراد الله تعالى أن يبين العذاب الذي لا غاية وراءه جعله منسوباً إلى نفسه وإتياناً له، وعلى هذا النحو جعل كل ما يستعظمه فعلاً له، نحو خلق آدم بيده،وعلى هذا قوله: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾**[٩]، ووجه آخر، قد أشير إليه في صدر الكتاب، وهو أن الفعل كما ينسب إلى المباشر له ينسب إلى ما هو سببه ومسهِّلُهُ، نحو أن يقال: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾**[١٠]، وإنما علَّمنا من علمه النبي، وعلم النبي جبريل، وجبريل علمه الله عز

---

١ - سورة الحشر : الآية (٢).

٢ - سورة النحل : الآية (٢٦).

٣ - سورة الفجر : الآية (٢٢).

٤ - هذا شطر بيت للأعشي سبق تخريجه في ص ٤٠٣.

٥- ساقطة من (و-ج).

٦- ساقطة من (و-ج).

٧- سورة النمل - الآية: (٣٧).

٨ - سقطت هذه العبارة من (أ - ص).

٩ - سورة الفرقان : الآية (٢٣).

١٠ - سورة الرحمن : الآيتان (١ ، ٢).

وجل- فصح أن ينسب إليه، ولهذا قد ينسب فعل واحد تارةً إلى الله عز وجل-، وتارةً إلى غيره، نحو: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2]، فإن قيل: هل يجوز على هذا القياس أن يقال شئ إذا عني به عبداً؟

قيل: نحن إنما أجزنا[3] إستعمال ما استعمل فيه تعالى لورود السماع[4] به، ولولا ذلك لنزهناه[5] عن كل وصف يطلق على البشر تفادياً من وهم بشبيه، وقوله: (وقضي الأمر) تنبيهاً أنه حينئذ لا يمكن تلافيه، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ .

أي ما قد ملكه عباده في الدنيا من الملك، والملك والتصرف مسترد منهم يوم القيامة، وراجع إليه، ويقال: رجع الأمر إلى الأمير، أي استرد ما كان فوضه إليه، وقيل: عنى بالأمور الأرواح، وسماها أموراً من حيث إنها من الإبداعات المشار إليها بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[6]، وقوله: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[7]، وقال: ولهذا لما سئل عن الروح قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[8]، أي هو من الإبداع الذي لا يمكن للبشر تصوره، فنبه أن الأرواح كلها مرجوعة إليه وراجعة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[9]، وعلى ذلك قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[10]، ويكون رجوعها إما بربح وغبطة، وإما بندامة وحسرة إلى أن ينشئها النشأة الأخرى على ما قضاه تعالى، وقوله: ﴿ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة، يقال ظله وظلل وظلال، نحو خُلة وخلل وخلال، والإشارة بهذا إما إلى أمطار عذاب، كعارض عاد المذكور في قوله: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[11]، أو إلى أهوال القيامة، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ على طريق التهديد والوعيد..

---

١ - سورة السجدة : الآية (١١).

٢ - سورة الزمر : الآية (٤٢).

٣ - في (أ - ص) جوزنا.

٤ - في (أ - ص) السمع.

٥ - في (أ - ص) آن همنا.

٦ - سورة النحل : الآية (٤٠).

٧ - سورة الأعراف : الآية (٥٤).

٨ - سورة الإسراء: الآية (٨٥).

٩ - سورة الزمر : الآية (٤٢).

١٠ - سورة الأعراف : الآية (٢٩).

١١ - سورة الأحقاف : الآية (٢٤).

قولـه - عـز وجـل :

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الآية (٢١١)- سورة البقرة .

نبه بلفظ ﴿كَمْ﴾ على كثرة ما آتاهم من الآيات[١]، ودل بقوله: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ على إضمار بدلوا، وعلى هذا إن الحكم ليس مقصوراً عليهم، بل هو عام فيهم وفي غيرهم، ودل بقوله: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أن الآية[٢] من جملة نعمته، بل هي من أعظم النعم، وبقوله: ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ على نحو ما دل عليه قوله: ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[٣]، وتقدير الكلام: آتيناهم آيات هي بنعم، فبدلوها ومن يبدل نعمت الله بعد اختصاصه بها عاقبه الله عقاباً شديداً فإنه شديد العقاب، فإذن بعقاب بني إسرائيل ومن فعل فعلهم، فإنه يعاقبهم كما عاقبهم.

قولـه - عـز وجـل :

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الآية (٢١٢)-سورة البقرة.

التزيين التحسين المدرك بالحس دون المدرك بالعقل، ولهذا جاء في أوصاف الدنيا دون أوصاف الآخرة، نحو: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾[٤]، واختلف في هذا التزيين، فمنهم من قال الله زينه لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[٥]، ومنهم من قال: الشيطان زين لهم لقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦]، وروي عن الحسن: الشيطان زينها ولا يعلم أحدٌ أذمٌ لها ممن خلقها أو وصفها بأنها متاعٌ قليل وأنها متاع الغرور وجمع بعض الملاحدة بين هذه الآية

---

١ - في (أ - ص) البينات.

٢ - في (أ - ص) الآيات.

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٠٩).

٤ - سورة آل عمران . الآية (١٤).

٥ - سورة النمل : الآية (٤).

٦ - سورة الأنعام - الآية : (٤٣).

وأخواتها وزعم أن ذلك من الآيات المتناقضة في القرآن، لأنه قال مرة: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾، فقال: ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾[١]، وقال في آية أخرى: ﴿ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[٢]، فنسبه إلى نفسه وتارة ذكر أنه قيض لهم من زينها لهم، وذلك قوله: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[٣]، ووهي[٤] ما ادعاه لا يخفى على ذي بصيرة، لكن بيانه يحتاج إلى مقدمة، فنقول وبالله التوفيق: إن الله -عز وجل- خلق الإنسان وجعل له سبيلاً إلى بقائه بشخصه[٥] زماناً ما، وتنوعه مدة ما، وركب فيه شهوة تشوقه[٦] إلى الغذاء والجماع اللذين هما سببا البقاءين، فهذا هو تزيين الله عز وجل- وأمره باستعمالها حسب ما تأمره الشريعة فيما يؤدي به إلى سعادته في الآخرة على ما ينبغي، وبقدر ما ينبغي، ومن عشقها بإفراط، استحوذ الشيطان عليه وأعماه عن قبح المستقبح منه، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٧] وأما قوله تعالى ﴿ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[٨] [وقوله تعالى][٩] ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١٠]، فالتزيين في الآيتين يحتمل وجهين، أحدهما أن الذي زينه هو المشروع لهم، والثاني: أن الذي زينه هو الشهوة لكن على أن يأخذ بقدر ما يجب، وفي وقت ما يجب، لا أن يجعلها مقصده، ووجه آخر في الآية، وهو: الحياة حياتان، حياة دانية دنيه وهي الحياة الدنيا، ودناءتها لما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾[١١]

---

١ - سورة محمد : الآية (٢٥).

٢ - سورة الأنعام : الآية (١٠٨).

٣ - سورة فصلت : الآية (٢٥).

٤ - في (أ - ص) وما ادعاه، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - في (و - ج) لشخصه.

٦ - في (أ - ص) تسوقه، وهو تصحيف.

٧ - سورة النمل الآية : (٢٤)، وسورة العنكبوت الآية: (٣٨).

٨ - سورة الأنعام الآية : (١٠٨).

٩ - سقطت من (أ-ص).

١٠ - سورة النمل : الآية (٤).

١١ - سورة الحديد : الآية (٢٠).

الآية..، وحياة متأخرة سنية وهي الموصوفة بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ** ﴾[١]، والثانية :لا يعرفها إلا الذين اتقوا، فأما الذين كفروا فلا يعرفون إلا الحياة الدنيا ويجحدون الآخرة، ويسخرون من الذين يؤمنون[٢] بها، فبين الله تعالى أنهم وإن سخروا من الذين آمنوا، فالذين آمنوا فوقهم، ومعنى ﴿ **فَوْقَهُمْ** ﴾ قيل هو كقوله: ﴿ **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا** ﴾[٣] وذلك يحتمل وجهين، أحدهما أن حال المؤمنين في الآخرة أعلى من حال الكفار في الدنيا، والثاني: أن المؤمنين في الآخرة هم في الغرفات[٤]، وأن الكفار في الدرك الأسفل من النار، وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[٥] أي كفى ما يستحق بلا إفراط ولا تفريط، "**وأعطاه بغير حساب**" إذا أعطاه أكثر مما يستحق وأقل مما يستحق، والأول هو المقصود هاهنا، وهو المشار إليه بالإحسان، وقد فسر ذلك على أوجه لاحتمال اللفظ، وإيهامه الأول يعطيه [عطاء][٦] أكثر مما يستحقه، الثاني: يعطيه ولا يأخذ منه، الثالث: يعطيه عطاءً لا يحويه حصر العباد،

لقول الشاعر: **عَطَايَاهُ تُحصى قَبْلَ إِحْصَائِهَا القَطْرُ**[٧]

الرابع: يعطيه بلا مضايقة، من قولهم: حاسبته أي ضايقته، الخامس: يعطيه أكثر مما يحسبه أي يكفيه، وكل هذه الوجوه تحتمل أن يكون ذلك في الدنيا وفي الآخرة، السادس: إن ذلك إشارةٌ إلى توسيعه على الكفار والفساق الذين قال فيهم: ﴿ **وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ** ﴾[٨] تنبيهاً أن لا فضيلة في المال، ولا إكرام لمن يوسع عليه مالم

---

١ - سورة العنكبوت : الآية (٦٤).
٢ - في (أ - ص) أمنوا.
٣ - سورة الفرقان : الآية (٢٤)
٤ - في (و - ج) القريات.
٥ - سورة النور : الآية (٣٨).
٦ - ساقطه من (و - ج).
٧ - هذا شطر بيت قاله دعبل الخزاعى فى المدح وهو فى الديوان : معاليه يحصى قبل إحصائها القطر وهو فى ديوانه -ص ١٨٩ نسبه الراغب فى محاضرات الأدباء لدعبل الخزاعى في باب : « من لايحصي مجده »وهو :

معاليه يحصي قبل إحصائها القطر

كما ذكره الراغب في مفردات ألفاظ القرآن بدون نسبه انظر محاضرات الأدباء ج :١-ص٢٩٨ ومفردات ألفاظ القرآن - ص٢٣٢

٨ - سورة الزخرف : الآية (٣٣).

يستعن به في الوصول إلى المطلوب منه، ولهذا قال: **﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾**[١] الآية... ولهذا قال أمير المؤمنين: "**من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه مكر به فقد خدع عن عقله**"[٢]. السابع : يعطي أولياءه بلا تبعة ولا حساب عليهم فيما يعطون، وذاك أن المؤمن لا يأخذ من عرض الدنيا إلا من حيث يجب ، وفي وقت ما يجب، وعلى الوجه الذي يجب، ولا ينفقه إلا على ذلك، فهو يحاسب نفسه فلا يُحاسب، ولهذا ما روي: "**من حاسب نفسه في الدنيا أمن الحساب في القيامة**".[٣] وعلى هذا قال لسليمان: **﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[٤] أي: تحرٍّ فيما أعطيناك الوجه الذي لا تبعة فيه عليك ولا حساب، الثامن: أن الله عز وجل- يقابل المؤمنين في القيامة لا بقدر استحقاقهم، بل بأكثر منه كما قال: **﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾**[٥].

التاسع: وهو يقارب ذلك إن ذلك إشارة إلى ما روي أن أهل الجنة لا خطر عليهم، وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾**[٦] الآية، وقوله: **﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[٧]، وأما تعلقه بما تقدم، فعلى بعض هذه التفاسير يتعلق بالذين كفروا، وعلى بعضه يتعلق بالذين آمنوا..

---

١ - سورة المؤمنون : الآيتان (٥٥ ، ٥٦).

٢ - الأثر أورده الزمخشري في كتابه ربيع الابرارونصوص الاختيار ج :١-ص٤٥ - تحقيق الدكتور سليم النعيمي - وزارة الثقافة بغداد ، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٦.

٣ - هذا الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال (إنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا أخرجه الترمذي . انظر عارضة الأحوذي - ج : ٩ -ص٢٨٢ ، وانظر كتاب الزهد لأحمد بن حنبل - ص ١٤٩ . وأورده الراغب في كتابه مفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٣٣ ، ص ٨٦٥.

٤ - سورة ص : الآية (٣٩).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٤٥) وسورة الحديد الآية :(١١)..

٦ - سورة الزخرف : الآية (٧١).

٧ - سورة غافر : الآية (٤٠).

قوله - عز وجل :

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

الآية (٢١٣) - سورة البقرة .

قال ابن عباس وأبي والسدي: «**كانوا أمة واحدة في الإيمان**»[١] ، وقال غيرهم : «**في الكفر**»، وهذا الخلاف لاختلاف نظرين لابد فيهما من مقدمة تنكشف بها أوجه الخلاف، وتحقيق التأويل، وهي أن الله -عز وجل- فطر الناس فطرة ركز فيها رؤية يعرف بها بعض الأشياء اضطراراً، ومكنه[٢] أن يعرف بها البعض اكتساباً، وحبب إليه مالم يفسد الحق من الاعتقاد دون الباطل والجميل من الفعال دون القبيح والصدق من المقال دون الكذب، وإلى ذلك أشار بقوله - عز وجل:
﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٣]، وبقوله: **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾**[٤] وبقوله: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾**[٥] الآية، وبقول النبي- عليه السلام-: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[٦]، ولم يخلهم في وقت من نبي يشحذ عقولهم ويعرفهم مالاسبيل لهم إلى معرفته من دونه، وكان كلما

١- أورد ابن كثير في هذا الأثر مارواه ابن جرير بسنده إلى ابن عباس قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، كما أورد ماقاله عبد الرازق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة) - قال : كانوا على هدىً جميعاً ، فاختلفوا، فبعث الله النبيين، فكان أول من بعث نوحاً ، وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس وقال العوفي عن ابن عباس (كان الناس أمة واحدة) يقول كانوا كفاراً ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . ثم عقب ابن كثير بقوله :والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى، لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج :١-ص٢٥٠.

٢ - في (أ - ص) وأمكنه.

٣ - سورة الروم : الآية (٣٠).

٤ - سورة البقرة : الآية (١٣٨).

٥ - سورة الأعراف : الآية (١٧٢).

٦ - الحديث أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة في صحيح مسلم - كتاب القدر، ج :٦ - حديث رقم (٢٦٥٨) ، كما أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم (٤٧١٤) ونص الحديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كما تناتج الإبل) ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج : ٦-ص٢٩٨ ، ج :٥ -ص١٥٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج : ٢- ص٢٣٣ ، ص٢٧٥ ،ص٢٨٢ ،ص٣٩٣ ،ص٤١٠ ،ص٤٨١ ،ج :٣ -ص٣٥٣.

تختل[1] أحوالهم بعد خروج نبيهم من بينهم، إما أن يقيض لهم من يجدد عليهم شريعتهم السالفة، أو يبعث إليهم نبياً يأتيهم بشريعة مستأنفة، وهذا كان فعله إلى أن ينتهي الأمر إلى نبينا-عليه السلام-، فختم به الأنبياء، فمن قالوا: كانوا أمة في الإيمان، فنظر منه إلى المبدأ وحال الفطرة وما كانوا عليه قبل أن فسدوا، ومن قالوا: كانوا أمةً واحدةً في الكفر، فنظر منه إلى حين فسادهم، كما بين زمن بعثة نوح وبعثة إبراهيم -عليهما السلام، وكل واحد من القولين صحيح بنظر ونظر، فقد كانوا أمة واحدة في الإيمان طوراً، وأمة واحدة في الكفر طوراً..

إن قيل: كيف كانوا أمة واحدة في الكفر وقد قيل: لا تخلو الأرض من حجة الله؟.

قيل إن من كان حجة الله- عز وجل- في مثل ذلك الوقت في حكم من لا اعتداد به في كونهم أمة لعلة الإصغاء إليه، وبين تعالى أنه بعث أنبياءه مبشرين للمحسنين ومنذرين للمسيئين، ولم يخل أحداً من أنبيائه من كتاب يرشده ويرشدهم.

إن قيل:

أليس قد قلتم: لم ينزل الكتاب من النبيين إلا على جماعة منهم؟ قيل: إن الله- عز وجل- لم يخل أحداً من الأنبياء من كتاب، إما كتابٌ خُص هو به، وإما كتابٌ من كان قبله أمر بالاعتماد عليه، كالأسباط الذين كانوا أنبياء، وكتابهم كان التوراة، وعطف قوله ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ﴾، وفصل بينهما بذكر اختلافهم، وأنهم لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءتهم البينات) ذماً للمختلفين، فإن من شأن البينات أن ترفع الخلاف، وعلى هذا قوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾[2] الآية.. ، وبين سبب اختلافهم بقوله الله عز وجل- بغياً بينهم تنبيهاً أن ذلك كان لطلبهم زخرف الدنيا ومنازلها، فمن المفسرين من جعل قوله: (الذين أوتوا الكتاب) مخصوصاً في بني إسرائيل والذين آمنوا في هذه الأمة، لقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا

١ - في (و - ج) أختل.

٢ - سورة يونس : الآية (٩٣).

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾[١]، وقول النبي - عليه السلام: «**هَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**»[٢]، ومنهم من جعله عاماً في جميع الأمم، وقوله بالحق، أي بما يسمى من الثواب والعقاب، وقيل بالأمر والنهي وكلاهما مرادان، فالكتاب مشتمل على كل ذلك، وقوله: (بإذنه)، أي بعلمه، وقيل: بأمره، وقيل: بلطفه، والإذن لما يسمع، ويعبر به عن العلم، إذ هو مبدأ العلم فينا..

إن قيل: كيف قال: **﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾**، وذلك يقتضي أنه هدى بعضاً دون بعض، وحق جوده وكرمه أن يعمهم بالهدى؟ قيل: إنه قد عمهم من حيث قد أباحه لهم وقيضه، لكن لم يهتد به الكل، فإن هدايته لا يدركها إلا من جلَّى بصيرته، وشحذ فهمه ليعرفه، فيهتدي به، وقد قال بعض الصالحين: ما أكثر الهدى وأقل من يرى، ألا ترى أن نجوم المساء ما أكثرها، ولا يهتدي بها إلا العلماء؟

قوله - عز وجل :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

الآية (٢١٤)-سورة البقرة.

الزلزلة: شدة الحركة، وأصلها زل، ولزيادة المعنى زيد لفظه، وعلى هذا دل ودلدل، وما أشبهه من المضعف مع الحرف المكرر بين تعالى أنه لا سبيل للناس كافة إلى الجنة إلا بتحمل المشاق، ولهذا

---

١ - سورة آل عمران : الآية (١٠٥).

٢ - هذا جزء من حديث النبى صلى الله عليه وسلم (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فهذا اليوم الذي هدانا الله له ، والناس لنا فيه تبع ، غداً لليهود، وبعد غد للنصارى . والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرازق حديث رقم (٧٦٩٢)، كما رواه الشيخان وغيرهما فى المسند حديث رقم (٧٢١٣)، (٧٣٠٨)، (٧٣٩٣)، (٧٣٩٥)، (٧٦٩٣)، كما أخرجه عبد الرازق في تفسيره ص ٢٢، وأورده الطبرى أيضاً في تفسيره ج:٢-ص٢٨٤، ص٢٨٦ ، تحقيق محمود شاكر.

ولهذا قال عليه السلام :

«حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[١]، فخاطب هذه الأمة بأنه محال أن ترجو تحصيل الجنة إلا بما جرى به حكم الله في الذين سلفوا، وهو أن تنالكم البأساء أى الفقر، والضراء أي المصائب، والزلزلة أي المخاوف، وبذلك أثنى على المؤمنين فقال: **﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[٢]، وليس ذلك في الأمور الإلهية فقط، بل في عامة الملاذ لا سبيل إلى منحة إلا بمحنة، ولا إلى لذة إلا بشدة،

ولهذا قيل: ولَابُدّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ أَثَرِ النَّحْلِ.[٣]

وقوله: **﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ﴾**، قيل معناه: "**حتى يقول الرسول والمؤمنون متى نصر الله**" **على سبيل الإبطاء**، ثم تداركوا، وعادوا إلى معرفتهم، فقالوا: **﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾** [قيل ليس ذلك على سبيل التضجر، بل على سبيل الدعاء والتضرع إخباراً منه تعالى على سبيل الآية لهم على سبيل الحكم، وقيل تقديره وزلزلوا حتى يقول الأتباع متي نصر الله، ويقول الرسول، «ألا إن نصر الله قريب»][٤] فجمع بين قولهم، كقولك: قال زيد وعمر وكذا وكذا الشيئين أحدهما قاله زيد والآخر قاله عمرو، وقرئ: (حتى يقول)[٥] بالرفع والنصب، ولكل واحد وجهان، فأحد وجهي النصب معناه: إلى أن، والثاني معناه: كي يقول، وأحد وجهي الرفع أن يكون الفعلان ماضيين نحو: "**مشيت حتى أدخل البصرة**"، أي مشيت فدخلت، والثاني: أن يكون ما بعد حتى لم يمض نحو: "**مرض حتى لا يرجونه**".

---

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة - ج:٢- ص٢٦٠ ، ص ٣٨٠، ومن حديث أنس ج :٣ - ص١٥٣، ص٢٥٤، ص٢٨٤، كما أخرجه الترمذي بسنده ولفظه في سننه في باب (ماجاء في: حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات). حديث رقم (٢٥٥٩) : (٢٥٦٠) ، وأخرجه المتقى الهندى في كنز العمال بلفظه وسنده ، حديث رقم (٦٨٠٥)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الجنة وصفة نعيمها) حديث رقم (٢٨٢٢).

٢ - سورة البقرة : الآية (١٧٧) .

٣ - هذا شطر بيت للمتنبى من قصيدة يمدح فيها أبا الفوارس دلير بن لشكروز و كان قد أتى الكوفة لمحاربة الخارجي الذى نجم بها من بنى كلاب ، والغرف الخارجى قبل وصول دلير إليها ، وتمام البيت :

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولابدون الشهد من إبر النحل

والبيت في ديوان المتنبى ص ٥١٨ طبعة بيروت .

٤ - ساقطة من (أ - ص)..

٥ - قرأ نافع (حتى يقول) بالرفع ، والباقون بالنصب . ومذهب سيبويه في (حتى) أن النصب فيما بعدها من جهتين والرفع من جهتين. تقول : سرت حتى أدخلها بالنصب على أن السير والدخول جميعاً قد مضيا ، أي : سرت إلي أن أدخلها ، وهذه غاية ، وعليه قراءة من قرأ بالنصب . والوجه الآخر في النصب في غير الآية : سرت حتى أدخلها - أى كى أدخلها . والوجهان في الرفع سرت حتي أدخلها ، أي : سرت فأدخلها ، وقال النحاس : فعلي هذا القراءة بالرفع أبين وأصح معني ... تفسير القرطبى ج ١٠- ص٩٤٨ ، ص ٩٤٩.

قوله - عز وجل:

﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ الآية (٢١٥)- سورة البقرة.

لما أثنى الله في غير موضع على المنفقين، وحث على الإنفاق،نحو قوله: **﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾**[١]، وقوله: **﴿وأنفقوا من ما رزقناكم﴾**[٢] سألوا عنه ههنا-، إن قيل: ليس جوابهم طبقاً لسؤالهم، فإن سؤالهم عما ينفق، والجواب عمن ينفق عليه، قيل: في ذلك جوابان، أحدهما: أنهم سألوا عنهما، وقالوا: ما ينفق؟ وعلى من ينفق؟ ولكن حذف في حكاية السؤال أحدهما إيجازاً، ودل عليه الجواب بقوله: **﴿ما أنفقتم من خير﴾**، كأنه قيل: المنفق هو الخير، والمنفق عليهم هؤلاء، فلفف أحد الجوابين في الآخر، وهذا طريقٌ معروف في البلاغة، والجواب الثاني أن السؤال ضربان، سؤال جدل وحقه أن يطابقه جوابه لازائداً عليه ولا ناقصاً عنه، وسؤال تعلم، وحق المعلم أن يصير فيه كطبيب دقيق يتحرى شفاء سقيم، فيطلب ما يشفيه طلبه المريض، أو لم يطلبه، فلما كان حاجتهم إلى من ينفق عليهم كحاجتهم إلى ما ينفق بين لهم الأمرين، إن قيل: كيف خص هؤلاء النفر دون غيرهم؟

قيل: إنما ذكر من ذكر على سبيل المثال لمن ينفق عليهم لا على سبيل الحصر والاستيعاب، إذ أصناف المنفق عليهم على ما قد ذكرهم[٣] في غير هذا الموضع، ولما كان المندوب إلى الإنفاق عليهم صنفين، صنف لهم فرض معين في مال الأغنياء، وصنف لا فرض لهم معيناً ذكر الأبوين والأقارب تنبيهاً أن حقهم واجب، وقوله: **﴿من خير﴾** أي من مال، فسمي المال خيراً تنبيهاً أن الذي يجوز إنفاقه هو الحلال الذي يتناوله اسم الخير، كما قال: **﴿إن ترك خيراً﴾**[٤] ثم بين تعالى أن كل ما يفعلونه لا يخفى عليه على الوجه الذي يفعلونه، [تنبيهاً أنه يجازى به][٥] ،نحو قوله: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**[٦].

١- سورة البقرة - الآية : (٣) ، وسورة الأنفال - الآية :(٣) ، وسورة : الحج - الآية : (٣٥) .

٢- سورة المنافقون - الآية : (١٠) .

٣ - في (أ - ص) ذكر.

٤ - سورة البقرة - الآية : (١٨٠) .

٥ - ساقطة من (أ - ص).

٦ - سورة الزلزلة - الآيتان : (٧، ٨).

قوله - عز وجل :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية (٢١٦) - سورة البقرة.

الكره في الإنسان يستعمل على ضربين، أحدهما ما يعاف من حيث الطبع، والثاني ما يعاف من حيث الفعل وإن مال إليه الطبع، ولهذا يصح أن يوصف الشئ بأنه مراد مكروه، والكره والكُرْهُ قيل هما واحد في معنى نحو الضعف والضعف وقيل بل الكره المشقة التي يحمل عليها الإنسان بإكراه، والكره ما يتحمله بلا إكراه من غيره، وقيل للحرب كريهة... وعسى طمع وإشفاق، وقد يجري مجرى لعل، ويقال: هو عس بكذا، أي جدير، وأعس به، وسمي الإبل التي لا ألبان بها، وفيها طمع المعسيات من حيث أن يقال عسى أن يكون بها لبن، والقتال المكتوب من حيث الظاهر مجاهدة الكفار، وقيل: عني مع ذلك مجاهدة النفس إلى الشهوة، **وهي التي سماها النبي ﷺ "الجهاد الاكبر"**[1]، ونبه بقوله: **﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا﴾** بالطف وجه على أن ما كتب عليهم من القتال خير لهم بأوضح الأدلة، وهي أنه إذا جاز أن يكون منكم كراهية لأمر وفيه الخير، فيجوز أن يكون كراهتكم لما كتب عليكم من القتال[2] كذلك، وإذا جاز أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، فيجوز أن تكون محبتكم لما أحببتموه شراً، ثم نبه أن هذا الجائز كونه عندكم هو واجب كونه في نفسه بقوله: **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** أى إذا كان الله -عز وجل - يعلم وأنتم لا تعلمون، وقد قضي بأن ذلك خيراً، فإنما قضي به لأنه خير، وإذا كان خيراً فيجب أن تحبوه ولا تكرهوه، فالخير يجب إرادته، والشر يجب كراهته، وعلى نحوه دل قوله تعالى: **﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**[3].

١- هذا من الحديث الذي رواه جابر عن النبى - صلي الله عليه وسلم: (رجعتم من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الاكبر)، وقال العراقي: رواه البيهقي في الزهد، وفيه ضعف انظر: تخريج أحاديث الإحياء - ج:٤-حديث رقم: ١٥٣٧، والزهد - ص١٦٥، وأورده الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٣٣.

٢- فى (و-ج) القتل.

٣- سورة النساء: الآية (١٩).

وإياه قصد الشاعر:

قَضَى اللَّهُ فِي بَعْضِ المَكَارِهِ لِلْفَتَى ... بِرُشْدٍ وَفِي بَعْضِ الهَوَى مَا يُحَاذِرُ..[1]

قوله - عز وجل :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الآية (٢١٧) - سورة البقرة.

الصد ناحية الشعب، والوادي المانع للسالك وصده عن كذا، كأنما جعل بينه وبين ما يريده صداً يمنعه ، والصديد ما حال بين الجلد واللحم من القيح والدم، وقد تقدم أن زل وزال يتقارب لما كان الزوال معناه للنفي ضم إليه (ما) النافية، فصارا معاً للإثبات، ولهذا لا يصح أن يقال: (مازال زيد إلا خارجاً)، كما يقال: (ما كان إلا خارجاً)، والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها من أكل الكلأ، واستعير لفساد العمل، والسائل على ذلك قيل أهل الشرك قصداً إلى تعبير المسلمين مما استجازوه من القتل في الشهر الحرام وقيل: هم أهل الإسلام.

إن قيل: ما فائدة ذكر الشهر ثم إبدال القتال منه ولم يقل: يسألونك عن قتال في الشهر؟ قيل: في ذكر الشهر أولاً، ثم إبدال القتال منه ولم يقل: (يسألونك عن قتال في الشهر) قيل: في ذكر الشهر أولاً بنية أن السؤال عن القتال لأجل الشهر لا لغيره، ولو قيل: (يسألونك عن قتال الشهر) لكان يصح أن يفيد أن الغرض في السؤال عن القتال لا لتعظيم الشهر، بل لشئ آخر، وعلى هذا إذا قيل: "سُرِق

١- قائل هذا البيت هو حميد بن ثور في قصيدة له منها :

ألم تعلمي أني إذا الألف قادني ... إلى الجور لانقاد والألف جابرُ

وقد كنت في بعض الصباوة أتقي ... أموراً وأخشى أن تدور الدوائرُ

وأعلم أني إن تغطَّيْتُ مَــــــرةً ... من الدهر مكشوفٌ غطائي فناظرُ

قضى الله في بعض لمكاره للفتى ... برشد وفي بعض الهوى مايحاذرُ

وهى فى ديوان حميد صـ ٨٧ - صنعة الاستاذ / عبدالعزيز الميمني - ط : سنة ١٩٥١ - القاهرة

وهى فى مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد محمد بن أيدمر ج:٤ -ص ٣٢٧.

زيد ثوبه" تنبيهاً أن المقصد أن يذكر حال زيد، لا أن يخبر بسرقة ثوب ما.. إن قيل: لم لم يقل: القتال فيه كبير، وشرط النكرة المذكورة إذا أعيد ذكرها أن يُعاد معرفاً نحو سألتني عن رجل، والرجل كذا وكذا؟ قيل: في ذكره منكراً تنبيه أن ليس كل القتال في الشهر الحرام هذا حكمه، فإن قتال النبي- عليه السلام- لأهل مكة لم يكن هذا حكمه، فقد قال: (**أحلت لي ساعة من نهار**)[١].

وقوله: ﴿**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ معطوف على قوله: ﴿**عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ**﴾ فأعلم تعالى أن بعض القتال فيه كبير ﴿**وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ تنبيه أنه على الوجه الذي يفعله الكفار صد عن سبيل الله، أي عن دينه وعن نبيه، وأكبر منه عند الله، وأعظم إخراج أهل المسجد [يعني][٢] النبي والمؤمنين الذين هم أولياؤه، وعلى ذلك دل بقوله لهم: ﴿**وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ**﴾[٣]، ثم بين أن النبي -عليه السلام- وأمته هم أولياؤه بقوله: ﴿**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ**﴾[٤]، وفي ذلك تنبيهٌ أن قتال المسلمين وقتلهم فيه ليس بكبير ولا صد عن سبيل الله عز وجل، وبين أن الفتنة أكبر من القتل، وقد تقدم الكلام فيه، وأنه لا يرضيهم إلا ارتدادكم، ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾، ونبه بقوله: ﴿**إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ أنهم لا يردونكم، لأنهم لا يستطيعون، وذلك نحو قوله: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[٥]، وعقب ذلك بوعيد من يرتد، فمات على حالته، وإن أعماله المتقدمة المعمولة في سبب الدنيا والآخرة تبطل وتضمحل كما قال:

﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾[٦].

---

١ - الحديث سبق تخريجه في ص ٣٦٨.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الأنفال : الآية (٣٤).

٤ - سورة الأنفال : الآية (٣٤).

٥ - سورة البقرة : الآية (١٢٠).

٦ - سورة الفرقان : الآية (٢٣).

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية (٢١٨)- سورة البقرة.

الهجر: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن أو بالنسيان[١] والقلب، والهاجرة الساعة التي تمنع عن السير كأنها هجرت الناس بحرها، والهجار حبلٌ يشد به الفحل، فيصير سبباً لهجرانه الإبل، وجُعل بناؤه على بناء الآلات، كالعقال والزمام، والهجر: الكلام المهجور لقبحه، وقيل: هجر فلان إذا هدى عن قصد واهجر المريض إذا هذي عن غير قصد والجهد: تحمل المشقة ومجاهدة العدو ومقاومته ببذل الجهد، وجهدت رأيي واجتهدته أتعبته بالفكر والنظر، والرجاء الوقوف على رجاء الأمل، أي ناحيته، حيث ما يتردد بين الأمل واليأس لما بين الله تعالى وجوب المقابلة ونهى عن تضييع الشهر الحرام والمسجد الحرام. وعن تهييج الفتنة نبه على فضل من هاجر وجاهد في سبيل الله محافظةً على ذلك، فمن المفسرين من حمل المهاجرة على مُهاجرة الأهل والولد، كهجرة النبي -عليه السلام- وأصحابه والمجاهدة على الغزو، ومنهم من قال: عنى مع ذلك هجران الشهوات، ومجاهدة الهوى كما روى: **(جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم)**[٢] وقوله: **(رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)** [٣]، وقال في حجة الوداع: **(المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا)**[٤] وهذه المنازل الثلاث التي هي الإيمان والمهاجرة والجهاد هي المعنية بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

---

١ - في (أ - ص) أو باللسان.

٢ - الحديث ذكره الراغب في كتاب الذريعة ص١٠٤، ولم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن- ص٢٠٨.

٣ - الحديث رواه البيهقي عن جابر بسند ضعيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قال العراقي: رواه البيهقي في الزهد، وفيه ضعف. انظر: تخريج أحاديث الإحياء ج:٤/ص١٥٣٧، والزهد- للبيهقي- ص١٦٥، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن- ص٨٣٣.

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله- عز وجل) المسند - ج: ٦-ص٢٢، كما أخرجه الترمذي في الزهد-ج:٤-ص١٦٥، وفي الجهاد برقم: (٦٢١) وقال حسن صحيح، كما أخرجه أبو داود في الجهاد برقم : (٢٥٠٠).

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ﴾[١] ولا سبيل إلى المهاجرة إلا بعد الإيمان، ولا إلى الجهاد في سبيله إلا بعد هجران الشهوات، ومن وصل إلى ذلك فحق له أن يرجو رحمته، إن قيل: الإنسان راج لرحمة الله وإن لم يبلغ هذه المنازل، قيل: إن الذي نسميه رجاء لمن لم يبلغ مثل هذه المنازل، فهو تمن على الله المعني بقوله عليه السلام: "**والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**"[٢] أو رجاءً لتفصيل غير مستحق، وما ذكره الله- عز وجل- هاهنا هو الرجاء المستحق الذي وصف به المؤمنين في غير موضع نحو قوله: **﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾**[٣]..

إن قيل: لم ذكر المؤمنين برجاء الرحمة وهي لهم لا محالة؟ قيل: المؤمن وإن بذل الجهد في طاعته، فواجب أن يكون بين نظرين ، نظر إلى سعة رحمة الله عز وجل، ونظر إلى ما عسى أن يقع أو وقع منه من ذنب فينتج له خوفاً..

قوله - عز وجل :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية (٢١٩)- سورة البقرة.

الخمر: ستر الشيء، ويقال لما يستتر به خمار، لكن للخمار صار الخمار في التعارف لما تغطي به المرأة رأسها، واختمرت المرأة، وتخمرت، وخمرتُ الإناء غطيته، وكذلك خمرت العجين، وسميت الخميرة لكونها مخمورة، ودخل في خمار الناس أي في جماعتهم يسترونه، والخمار المورث من الخمر جعل ماؤه ماء الأدواء، نحو الكباد، والصداع، وخامره الحزن إذا استولى عليه حتى سترفهمه وفكره، وبنحوه سمي غماً، وأصله من الستر، ومن الناس من جعل الخمر اسماً لكل مسكر، ومنهم من جعله

١ - سورة المائدة : الآية (٣٥).

٢ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج :٤ -ص١٢٤ ، كما أخرجه ابن ماجه في سننه - حديث رقم ٤٢٦٠ ، وأخرجه الطبراني في معجمه - جديث رقم ٧١٤١، سنة ٧١٤٣ ، كما أخرجه الحاكم فى المستدرك -ج :١- ص ٥٧ ، ج :٤- ص ٣٢٥ ، ورواه البيهقي في الآداب - ج :١-ص٢٤١ ، ج :٢- ص٢٤٠ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية - ج :١-ص٢٦٧ وقال : هو حديث ضعيف من أجل أبو بكر بن مريْم .

٣ - سورة الإسراء - الآية : (٥٧).

اسماً للمتحد من التمر والعنب، لقوله -عليه السلام-: «**الخَمْرُ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ النَّخْلَةِ وَالْعِنَبَةِ**»[1]، ومنهم من جعلها اسماً لما لم يكن مطبوخاً، ثم كمية الطبخ الذي يخرجها عن كونه خمراً مختلف فيها، والميسر آلة اليسر، أي الضرب بالقداح ويقال للضارب به ياسر، وسمي الجاذر، وكذلك الجزور ياسراً تشبيهاً به، وأصلهُ من اليسْر، وهو ضد العسر، وسمي الغنى يسراً، وسمي ذلك يسراً لاعتقادهم أنه غنىً للفقراء وأشار الله- عز وجل- بقوله: ﴿ **وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ إلى تحريمه إشارةً لطيفة تحتاج في كشفها إلى مقدمة، وهي أن النفع ضربان، ديني ودنيوي، والدنيوي ضربان، نفع ضروري، ونفع غير ضروري، فالضروري كالأكل والجماع اللذين لو تصورناهما مرتفعين لارتفع بارتفاع الجماع نوع الحيوان، وبارتفاع الأكل أشخاص الحيوان، ونفع غير ضروري، كالتنقل بعد الأكل وترك التحلل بعده، والخمر نفعها دنيوي غير ضروري، فإن نفعها تقوية الأبدان المسنة، وهضم طعام والمعاونة على الباءة والزيادة في الرطوبة والحرارة الغريزيتين، وليس ذلك بضروري ولا متحقق النفع فيه، وفيهما إثم متحقق أو مظنون، والعقل يقتضي أن يتحاشى من التزام الإثم المظنون للنفع المتحقق الذي ليس بضروري، فكيف من النفع المظنون؟، ومن هذا الوجه صار الخمر فيما بين الأمم المتقدمة مترددة بين خمر، وذم، وإباحة ، وحظر، وتركها عامة ذوى العقول الراجحة لما أراد الله تبارك وتعالى تحريم الخمر على الناس لما رأى في ذلك من المصلحة، وعلم من غريزتهم التي غرزهم عليها إن كثيراً منهم إذا ردع عما ألفه واستحسنه لا يكاد يرتدع ابتداءً بتقبيح السكر في نفوسهم، ولكونه منافياً لذكر الله وعبادته،

١- الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة في باب الاشربة برقم :(١٩٨٥) ، وأخرجه البغوي فى شرح السنة - ج :١١- ص ٣٥٣، وقال البغوى : معناه أن معظم الخمر يكون منهما ، وهو الاغلب على عادات الناس فيما يتخذونه من الخمور ، وفى الحديث: « والخمر ماخامر العقل » البخارى - ج :١- ص٣٩ ، قال فيه دليل « واضح » على بطلان قول من زعم أن الخمر إنما هي من عصير العنب أوالرطب ، بل كل مسكر خمر . شرح السنة - للبغوي - ج : ١١ - ص ٣٥١ ، ٣٥٣ ، وأورده الراغب في كتاب المفردات - ص ٢٩٩ ، وأورد ابن حجر العسقلانى في فتح البارى ماروي عن ابن عمر قال : سمعت عمر - رضي الله عنه - علي منبر النبي - صلي الله عليه وسلم يقول : أما بعد أيها الناس : إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : من العنب ، والتمر ، والعسل والحنطة، والشعير، فتح الباري -ج:١٣ -ص٥٨، ٥٩، ، ج : ١٥- ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٢٣، ٤٢٩ - تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد - ط : دار الغد العربي - القاهرة كما أورده ابن كثير في تفسيره بلفظه وسنده تفسير القرآن العظيم - ج :٢- ص ٩٢.

فقال: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[١]، فلما رسخ ذلك في نفوسهم أنزل قوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، وكأن في هذا إشارة لا يعرفها إلا ذوو العقول الراجحة، فلما قوي ذلك في نفوسهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، وعلى قريب من هذا الكلام في الميسر، لكن كان أمره أخف، ومن الناس من جعل كل ما فيه خطر[٣] ومقامرة ميسراً، ومنهم من قاسه عليه، وقد روي عن النبي – عليه السلام– «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ فَقَدْ عَصَى[٤] اللهَ وَرَسُولَهُ»[٥]، وقرئ: إثم كبير وكثير[٦]، فكبير لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[٧] الآية، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٨]، وعظيم وكبير متلازمان، ولأن جلهم قرأ: ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، ومن قرأ الكثير فنظر منه إلى ما روي عن النبي ﷺ في صفة الخمر ومشتريها وبائعها: «لعن الله عشرة: مشتريها، وبائعها، وعاصرها، والمعتصرة له، وحاملها ، والمحمولة إليه، وساقيها وشاربها، وآكل ثمنها[٩] ...».

---

١ – سورة النساء : الآية (٤٣) .

٢ – سورة المائدة : الآية (٩٠).

٣ – في (و – ج) خطار.

٤ – في (و – ج) عصيه، وهو خطأ من الناسخ.

٥ – الحديث أورده ابن كثير بسند صحيح من موطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة عن أبي موسى الأشعري ورواه موقوفاً على أبي موسى من قوله – تفسير القرآن العظيم – ج :٢ – ص ٩٢ . ط . دار الفكر العربي .

٦ – قرأ بهذا الوجه كل من حمزة، والكسائي، وعبد الله بن مسعود، معجم القراءات القرآنية –ج: ١–ص١٦٨.

٧ – سورة النساء : الآية (٣١).

٨ – سورة لقمان : الآية (١٣).

٩ – الحديث أخرجه ابن كثير في تفسيره رواية عن الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طعمة وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعنت الخمر على عشرة وجوه ، لعنت الخمر بعينها ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها ، ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث وكيع به ، ومن حديث عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «لعنت الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وعاصرها، ومعتصرها ، وآكل ثمنها» . تفسير القرآن العظيم ج : ٢ – ص ٩٤ .

وقولـــه:

﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ** ﴾، إن قيل: كيف أعيد السؤال عما ينفقون وجواب بين الجوابين؟

قيل: أما الأول: فسؤالٌ عن الجنس[١] الذي ينفق، وعمن ينفق عليه، فبين لهم الأمران[٢]، وأما السؤال هاهنا فعن القدر المنفق، فأجيبوا بحسبه، فبين أن الذي ينفق هو العفو، وقال ابن عباس: هو الفضل عن الغني، وهو الذي قال الشاعر:

إِذَا أنتَ أعْطيْتَ الغِنَي ثُمَّ لَمْ تَجِدْ ... بِفَضلِ الغِنَى ألْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ[٣]

وقال الحسن وعطاء:

هو القصد الذي لا إسراف فيه ولا إقتار، وقال مجاهد:

هو الصدقة المفروضة، وكل ذلك مراد، فإن أقل ما تطيب به نفس المسلم هو الصدقة الواجبة، ومن لم تطب نفسه فليس بتام الإيمان، ثم منهم من تطيب نفسه ببذل جل ماله، ومنهم من تطيب لكل ماله، كأبي بكر- رضي الله عنه- فإذن العفو متناول لما هو واجب ولما هو تبرع، وقرئ (العفو) بالرفع والنصب،[٤] وذلك لتقديرين مختلفين في ماذا، فإن ماذا تارةً تقدر تقدير اسم واحد، فيكون مفعول ينفقون يحق أنه[٥] المطابق له بالنصب، وتارة يقدر تقدير اسمين مبتدأ وخبر، فيكون جوابه المطابق له رفعاً أي :"**هو العفو**".[٦] وقوله: ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ** ﴾ فيه حثٌّ على تجنب الخمر والميسر، وتنبيه على تحريمهما، فإن في التفكر في الدنيا والآخرة معرفتهما ومعرفة منافعهما،وأن النفع القليل في الدنيا لا يجب أن يُشترى بكثير الإثم في الآخرة..

---

١ - في (أ - ص) الشئ.

٢ - في (أ - ص) القدر.

٣ - قائل هذا البيت حاتم الطائي وهو من قصيدة بعنوان وماذا يعدى المال عنك ومطلعها :-

الا أخلفت سوداء منك المواعد ... ودون الذى أملت منها الفراقد

ديوان حاتم الطائي - ص ١٦ شرحه وقدم له أحمد رشاد - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط١ سنة ١٩٨٦

٤ - قرأ بهذا الوجه وهو الرفع كل من أبي عمر، وابن كثير، واليزيدي، والحسن، وقتادة، وعاصم الجحدري، وابن أبي اسحاق، معجم القراءات القرآنية ج: ١-ص١٦٩.

٥ - في (و - ج) فحول به المطابق له بالنصب.

٦ - في (و - ج) هو المفعول ، وهو خطأ من الناسخ.

قوله - عز وجل :

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية (٢٢٠) - سورة البقرة .

الخلط :الجمع بين أجزاء شيئين، سواءً كانا مانعين،أو غير مانعين، فهو أخص من المزج،ويقال للصديق: الخليط، وهو دون الخليل، والخلاط وداء يخلط الجوف ،وآفة تعتري العقل،والتخليط أن يخلط بالأمرما يفسده، والإعنات من : عنت العظم عنتاً، أصابه وهيٌ أوكسرٌ، وقد أعنته، وكل ما يؤثم أو يشق عنت،ولما أكثرالله تعالى التحذير من مال اليتيم في نحو قوله: **﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾**[1]وقوله: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ﴾**[2]، وقوله **﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾**[3]، الآية، تحرجوا عن تناول ماله ومخالطته، فبين تعالى أن حق الإنسان أن يتحرى الصلاح له، وأن لا ضير في مخالطته، أي مصاهرته ،وسائر أنواع المخالطة، وبين أنه أخوهم، وذلك إشارة إلى نحو قوله: **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾**[4]، وقوله: **﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾**[5]، ونبه بقوله: **﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾** أن الله تعالى لا تخفى عليه مقاصد الإنسان فيما يفعله معهم، وبين بقوله: **﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾** أنه لم يقصد إعناتاً فيما أوصاهم به في هذه الآيات المختلفة..

---

١ - سورة الأنعام : الآية (١٥٢). ، سورة الإسراء : الآية (٣٤).

٢ - سورة النساء: الآية (١٠).

٣ - سورة النساء : الآية (٢).

٤ - سورة الحجرات : الآية (١٠).

٥ - سورة آل عمران : الآية (١٩٥).

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الآية (٢٢١) - سورة البقرة.

النكاح اسم للعقد، واستعير للجماع بدلالة أن عامة أسماء[١] الجماع كنايات، وأنهم يتحاشون النكاح من التصريح بذكر الجماع، وآلاته، كما يتحاشون من إظهاره حتى سموا ذلك العضو "السوءة"، ولم يستعيروا اسم الجماع وآلاته إلا فيما يقصدون به سبعة، نحو: شَوَّرَ بِهِ إذا خجله وجعله بحيث كأنه أبدى شواره، والشوار مع ذلك كناية للفرج، وبهذا يعلم أن النكاح في اللغة مستعار للجماع، والنهي عن نكاح المشركات عام فيمن ليس من أهل الكتاب، ولم يدخل في ذلك أهل الكتاب لقوله: **﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾**[٢]، فإن قيل: فقد قال تعالى: **﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾**[٣] الآية، والنكاح يجلب المودة لقوله: **﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾**[٤]، وقد نهانا عن مودتهم، فيجب أن لا نواصلهم!.

قيل: المودة المنهي عنها هي الدينية لا المودة النفعية أو الشهوية، فإنا إذا أوددناهم لنفع ما، فإنما نود النفع كمودتنا لذمي يعيننا على مدافعة المشركين، فقوله: **﴿ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾**[٥] عنى بها المودة الدينية، فإن قيل: ما قلت يقتضي أن يجوز نكاح المشركات؟ قيل المشرك مادام مشركاً، فنفسه مباحة، والمشركة غير مالكة لنفسها، وفي قوله: **﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾**[٦] إشارة مجملة إلى فضل العبد المؤمن على الحر المشرك وبيان فضيلته يحتاج إلى مقدمة، وهي أن الشيئين

---

١ - في (أ - ص) عامة الأسماء.

٢ - سورة المائدة : الآية (٥).

٣ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).

٤ - سورة الروم : الآية (٢١).

٥ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).

٦ - سورة البقرة : الآية (٢٢١).

إذا تشكك أيهما أفضل، أحدث كل واحد منهما مع ضد الآخر أنهما هو المؤثر، فحكمت له مثاله أن من شك في العلم والغنى أيهما أفضل؟ نقول: انظر هل الغنى مع الجهل أفضل؟ أم الفقر مع العلم؟ فإذا علمت أن الفقر مع العلم أفضل من الجهل مع الغنى علمت أن العلم أفضل من الغنى، فإذا ثبت ذلك،فالعبد هو الذي ملك منافعه مدة، والحر هو الذي لم يملك منافعه، والمؤمن هوالمستحق للثواب الدائم،والمشرك هو المستحق للعقاب الدائم، فينظر هل من ملك منافعه مدة، ثم أثبت دائماً أفضل؟ أم من لم يستحق منافعه مدة ويعاقب دائماً؟ فإذا علمنا أن الأول خير، علمنا أن العبد المؤمن خير من الحر المشرك، ونبه بقوله: ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ أن الاعتبار بإعجابكم، فليس الإعجاب إلا من ثمرة الجهل بحقيقة الشيء، والجهل لا يوجب حكماً، فإذن لا اعتبار بإعجابكم، ونبه- عز وجل- على تحريم مواصلة المشركين بقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ أي إلى الأفعال الموجبة للنار، وواجب اجتناب الداعي إلى النار الحامل عليها، فواجب مجانبتهم إذن، وعلى هذا قال -عليه السلام- «لا تترائى ناراهما» [1]، ثم قال: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ ﴾، والداعي إلى الجنة واجب اتباعه، وعلى هذا دل قوله - عز وجل- حكاية عمن أخبر عنه: ﴿ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ [2]، تدعونني وبإذنه، أي بعلمه وأمره وآياته وحججه ودلائله العقلية والشرعية من أنكم إذا فعلتم ذلك، فأنتم أهل لرجاء التذكر وحقيقة التذكر الاستدراك عن نسيان أو غفلة لما استثبته القلب..

إن قيل: إلى أي شئ أشار بهذاالتذكر؟

قيل: إن الله عز وجل- ركز فينا بالفطرة معرفته ومعرفة آلائه، والإنسان باستفادة العلم يتذكر ما ركز فيه، فهذا معنى التذكر، وقال قوم: معرفة الله عز وجل، ومعرفة الآية تذكر، ومن دفع عن قلبه الأغشية بذكر ما قال اللهعز وجل له ودل عليه بقوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [3] الآية، قالوا: وقد عرفناالطريق الذي به يتوصل إلى هذاالتذكر بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

١- الحديث عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث سرية إلى قوم من خثعم ، فاستعصموا بالسجود فقتلوا ، فقضى رسول الله بنصف العقل - وقال : إني برئ من كل مسلم مع مشرك ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « ألا لاترا ى نارهما » أخرجه النسائي ج ٨ ص٣٦ . وأخرجه أبو داود في الجهاد برقم (٢٦٤٥) ولفظه « أنا برئ من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين لاتتراءى ناراهما والترمذي في أبواب السير . انظر عارضة الأحوذي ج ٨ : ص ١٠٤ والحديث صحيح لكن اختلف في وصله وارساله وانظر : شرح السنة ج:١٠/ ٣٧٣ وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٧٥ ، ص ٨١٤ .

٢ - سورة غافر الآية :(٤١).

٣ - سورة الأعراف : الآية (١٧٢).

وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، فبين أنكم إذا فعلتم ذلك، رجوتم تذكر هذه الحالة، وقد قيل: «**الرجا من الله واجب**»، بمعنى أنه إذا رجانا حقق رجاءنا، وهذه مسألة لا يمكن تصورها لمن لم يبلغها بتعاطي هذه الأفعال التي شرطه الله عز وجل- فلذلك لعلها صعب إدراكها لنا.

قوله - عز وجل :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

الآية (٢٢٢)- سورة البقرة.

المحيض: وقت الحيض وموضعه،وقد قيل: يقال للحيض محيض، على أن المصدر في هذا الباب يجئ على (مفعل)، نحو: معاش ومعاد، وقول الشاعر:

لاَ يَسْتَطِيعُ بِهَاالقُرادُ مَقِيلاً[2]

فالأظهر أنه مكان وإن كان قد قيل: هو مصدر، وقيل ما في ترك مكال ومكيل، أي كيل، وهو أيضاً محتمل، والحيض هو الدم الخارج من الرحم على وصف مخصوص في وقت مخصوص ويتعلق به منع الصلاة، والصوم، وحظر الجماع، وانقضاء العدة، واجتناب دخول المسجد، ومس المصحف، وقراءة القرآن، وأن تصير المرأة به في الابتداء مكلفة، والاعتزال: العدول عن الشئ، وأصله من العزل، وهو صرف العامل عن عمله، ومنه قيل الأعزل للعازل عن الحرب لعدم السلاح، وللدابة المائل ذنبها، والعزلاء تأنيث الأعزل، وشبه مخرج الماء إذا فتح عن فقد سلاحه، والسماك: الأعزل سمي بذلك لافتقاده الكوكب[3] الذي يصور بصورة الرمح للسماك الآخر.، والأذى: اسم لما ينال النفس منه

---

١ - سورة النحل : الآية (٩٠).

٢ - هذا عجز بيت وشطره : بنيت مرافقهن فوق مزلة . وهو للراعي في ديوانه - ص ٢٤١ وهو من قصيدة له مطلعها :-

ما بال دنك بالفراس مذيلا ... أقذىً بعينك أم أردت رحيلا

وعنى بالمرافق ومرافق الإبل ، والمقيل هو المستقر.

شعر الراعي النميري وأخباره - جمعه ناصر الحاني - صـ ١٢٦ - ط : المجمع العلمي العربي بدمشق . ط: سنة ١٩٦٤ م.، وكتاب سيبويه - ج :٢ ص ٢٤٧ والمخصص ج :١ - ص٥٥ ، والبحر المحيط - ج : ٢- ص ١٦٧ ، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٦٥.

٣- في (و - ج) الكواكب.

مكروه، ولهذا سمي الله تعالى الكلام المكروه أذى، فقال: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾[1]، وما ينال الإنسان من مكروه المطر أذى في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾[2]، ولما كان الناس في مجامعة المرأة في حال الحيض بين إفراط وتفريط، فإن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها في البيوت، وبعض النصارى لم يتحاش من مجامعتها، فسئل-عليه السلام-، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَذًى﴾ تنبيهاً أن العقل يقتضي تجنبه كأنه قيل: الحيض أذى وكل أذى يتحاشى منه، والحيض يتحاشى منه، ولما كان الإنسان قد يتحمل الأذى ولا يراه محرّماً، صرح بتحريمه بقوله: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، إن قيل: فأي أذى هو؟

قيل: إما باعتبار مجرد الشرع، فإثم، وإما بالاعتبار الطبي، فإن الدم الذي يخرجه الرحم يفسد البدن الذي منه الحيوان، ويكون له بخاراتٌ ممرضةٌ لأبدان متشمميها يعرض للمرض، ولما كان الاعتزال قولاً مشتركاً، ويكنى به عن العدول عنها عند الفراغ وعن مجانبة ذلك الموضع وعن مجانبتها رأساً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ ليدل باللفظتين الكنايتين على مجانبة مباضعتها، وعلى جواز التمتع بها منها دون الفرج المدلول عليه بقول النبي -عليه السلام: «**اصنعوا كل شئ إلا الجماع**»[3]، ولما كان لفظ ﴿يَطْهُرْ﴾ يقال فيما كان طاهراً بنفسه، وفيما كان يتطهر، نبه بقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أنه لم يرد إلا الطهارة عن تطهر وتؤكد ذلك قراءة من قرأ: ﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾، فدل ذلك أن لا يصح

---

١ - الآية (١٨٦) سورة آل عمران .

٢ - سورة النساء (١٠٢) .

٣ - الحديث أورده ابن كثير في تفسيره فيما روي عن الإمام أحمد قال : أحمد قال : حدثناعبد الرحمن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت ، فسأل أصحاب البنى – صلي الله عليه وسلم – النبي صلي الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتي يطهرن) حتى فرغ من الآية ، فقال سول الله صلي الله عليه وسلم – «اصنعوا كل شئ إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا : مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يارسول الله : إن اليهود قالت كذا كذا أفلا نجامعهن ؟ فتغير وجه الرسول – صلي الله عليه وسلم – فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما » رواه مسلم من حديث حماد بن زيد بن سلمة .. تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ج :١–ص ٢٥٨ ، وأورده السيوطي في أسباب النزول ، وأورد ما أخرجه الباروذي في الصحابة بسنده إلى ابن عباس أن ثابت بن الدحداح سأل النبي – صلي الله عليه وسلم ، فنزلت (ويسألونك عن المحيض) – الآية ، وأخرج ابن جرير عن السدي نحوه ... أسباب النزول – السيوطي – ص ٣٠ – ط : دار المنار للنشر .

وطؤها مالم تغتسل،وقوله: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ دل أن ذلك شرط في إباحتها وأن لا يصح وطؤها إلا بانقطاع دمها، وقوله: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ إشارة إلى مراعاة كل ما أمر به من أحكام النكاح ومجانبة المحاشي، يعني الموضع المكروه وغير ذلك من الأمور التي أمر بها، ثم قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾- تنبيهاً أن من كان منه شئ من ذلك، فحقٌ عليه أن يتوب ويتطهر من بعد، والتطهر عام في استعمال الماء، وتطهر القلوب من الذنوب، والتوبة اجتناب الذنب والتطهر عمل الصالحات، وجعل التوبة مقدَّمةً على التَّطهير تنبيهاً أن اجتناب القاذورات مدرجة إلى فعل الخيرات، وعظم أمر المتطهرين حيث جعلهم محبوبيه، وروي خريم بن ساعدة قال: يارسول الله: مَن الذين قال الله - عز وجل- فيهم: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]؟

فقال عليه السلام:

.«نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ خُرَيْمٌ»[2] ويدل على إرادة هذاالمعنى بالتطهر قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[3].

قوله - عز وجل :

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة البقرة الآية (٢٢٣)..

الفرق بين الحرث والزرع أن الحرث إلقاء البذور وتهيئة الأرض، والزرع مراعاته وإنباته، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾[4]، فاثبت لهم الحرث، ونفى عنهم الزرع، وقد جعل الله تعالى النساء محترثاً للرجل، وجعل له قوة النكاح حفظاً للنسل، ولولا طلب

١- سورة التوبة - الآية: (١٠٨).

٢- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج :٤- ص١٨٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج :٤ ص١٨٣ ، وأخرجه المنذرى في رياض الصالحين ص ٣٣٢ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج ٤٠ - ص ١٨٠ ، وأخرجه أبو داود في سننه .

٣ - سورة الأحزاب : الآية (٣٣).

٤ - سورة الواقعة : الآيتان (٦٣ ، ٦٤).

النسل لما رخص العقل في الجماع لما يجلب من ذبول البدن وإضعاف البصر، مع أنه ليس بضروري للإنسان كالجوع والعطش، لكن استحسن ما استحسن منه لطلب النسل المدعو إليه بقوله -عليه السلام: **(تناكحوا تكثروا)**[١]،ولذلك قيل في الحكمة: «**خير النساء الولود الودود،وشرها العقيم**»..

وحرم إتيان الرجال على كل حال والنساء في محاشهن إذا لم يكن محرماً ما سماه -عليه السلام- «**اللواطة الصغرى**»[٢]، وقيل لأمير المؤمنين: كيف ترى النساء يؤتين في أدبارهن؟ فقال: «**سفلتَ سفل الله بك**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾[٣]، وقوله: ﴿ **فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ أي : كيف وأين بعد أن لا يتجاوز به الحرث، وأعاد لفظ الحرث، ولم يقل: فأتوه، ليراعى المعنى المقصود بذلك، لئلا يتوهم ما يتصوره قوم لم يتعمقوا النظر، وإنما قال: "**أنـــى**" تنبيهاً على كذب اليهود، حيث زعموا أن المرأة إذا لم تؤت مستقبلة يأتي الولد ذا خيل أي أحول، وقوله عقيب ذلك: ﴿ **وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ** ﴾ ،هـو أن الله إذا أطلق أمراً من الشهوات الدنيوية لا يخلي ذكره من الحث على مراعاة العقبى والتقوى، لئلا يلحق الإنسان غفلة عما خلق لأجله، وقول عطاء: هو التسمية عند الجماع، وقول ابن عباس: هو الطلب للولد على سبيل المثال[٤](*)، لا أنه لم يرد سوى ذلك. ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ** ﴾ أي صائرون إليه. واللقاء يقال في المحسوس والمعقول، يقال: لقي إثماً وجهداً، قال الله -عز وجل: ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾[٥].

---

١ - الحديث « تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » وقد أخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث عبد الله بن عمر، واسناده ضعيف ، وعبد الرازق عن سعيد بن أبي هلال مرسلا ، والبيهقي فى المعرفة عن الشافعى أنه بلغه ، وفيه زيادة "حتى بالسقط » راجع تخريج أحاديث الإحياء - ج :٢ ص٢٢ ، والفتح الكبير - ج :٢ ص٣٨، وفتح البارى - ج : ٩ -ص١١١ ومصنف عبد الرازق - ج :٦ ص ١٧٣، ومفردات ألفاظ القرآن ص١٠٨.

٢ - الحديث مروي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يأتي امرأته في دبرها ، فقال تلك اللوطية الصغرى ، وفى رواية : هي اللوطية الصغرى . والحديث أخرجه الطبرانى في معجمه الأوسط ، كما في مجمع البحرين للهيثمى (١٦٩ -أ) والبيهقي في السنن - ج :٧ -ص١٩٨ ، وأخرجه النسائى في كتابه (عشرة النساء) تحقيق عمرو على عمر مكتبة السنة - ط : ١ سنة ١٩٨٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث (٦٧٠٦)، (٦٩٦٧) وإسناده حسن، وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب - ج :٣-ص- ٢٠٠ وزاد نسبته للبزار، وقال: رجالهما رجال الصحيح وفى قولهما نظر، لأن المعهود في اصطلاح المحدثين أن هذا الإطلاق يقال فى الرواة الذين روى لهم الشيخان أو أحدهما وعمرو بن شعيب لم يرو له الشيخان ولاأحدهما أصلاً.

٣ - سرة الأعراف - الآية :(٨٠).

٤ - في (أ - ص) على سبيل المال.

* - هذه هي نهاية النسخة (أ - ص) من تفسير سورة البقرة، وسنعتمد بمشيئة الله في تحقيق ما بقى من تفسير آيات سورة البقرة على النسخة (و-ج) وحدها ، وهي النسخة الأصل، فهي الأقدم في تاريخ النسخ، وهي الأكمل في النص.

٥ - سورة الفرقان : الآية (٦٨).

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

الآية (٢٢٤)- سورة البقرة .

اليمين أصله العضو، واستعير للحلف لما جرت به العادة في تصافح المتعاقدين، وعلى هذا قال الشاعر:

قُلْتُ كَفِّي لَكِ رَهْنٌ بِالرِّضَى ... فَوَضَعَ الكَفُّ مَوْضِعَ اليَمِينِ[١]

والعرضة ما يجعل معترضاً بين شيئين، فيتصور تارة بالحائل، فقيل معناه: لا تجعلوا لفظ الله مانعاً من أن تبروا وتتقوا، نحو: **﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ ﴾**[٢] وذلك أنه كان أحدهم لا يبر، فإذا عوتب قال: حلفت، وعلى هذا قال الشاعر:

تُسَلِّفُ الجَارَ شِرْباً وهي حَائِمَةٌ ... وَلَا يَبِيتُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ قَسَمُ[٣]

ولأجل ذلك قال -عليه السلام:

«**إذا حلف أحدكم على شيء فرأى غيره خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه**»[٤]، وقد تصور العرضة بصورة المبتذل، نحو: (لا تجعليني عرضة للوائم)، ومعناه: لا تجعلوا لفظ الله مبتذلاً لليمين، لأن تبروا، فيكون ذلك نهياً عن كثرة الحلف المذموم بقوله: **﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾**[٥]، فإن قيل: وما تقدير "**أن تبروا**" على هذا؟.. قيل: يجوز أن يكون متعلقاً باليمين، وتقديره: أن لا تبروا،

---

١ - لم أهتد إلى نسبته .   ٢ - سورة النور : الآية (٢٢).

٣ - لم أهتد إلى قائله ، وللحطيئة بيت قريب منه وهو :- لايصعب الأمر إلا ريث يركبه   ولا يبيت على مال له قسم
ديوان الحطيئة ص ٢٨٨ - تحقيق د/ نعمان أمين طه - مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٨٧.

٤ - الحديث أخرجه النسائي في سننه من حديث عبد الرحمن بن سمرة في كتاب "الايمان والنذور" في باب الكفارة قبل الحنث - ج:٧ -ص ١٠ ، وأخرجه البيهقي في سننه - ج :١٠ ص ٣٢ ، ٣٥ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك - ج : ٤ - ص٣٠٠ في كتاب الأيمان والنذور .

٥ - سورة القلم : الآية (١٠).

لأنك تقول: حلفت أن تخرج، فيحذف "لا" أمناً من الاشتباه في الإثبات، إذ في الإثبات، فقال: حلفت لأخرجن أو لأخرجن.وقال بعضهم: معناه: "**نهاكم أن تكثروا الأيمان لأن تبروا**"، أي إنما نهاكم عن ذلك لتكونوا بررة أتقياء مصلحين، كما قال:

﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[1] الآية، وقيل معناه: لا تجعلوا لفظ الله مبتذلاً لليمين لأن تبروا بالحلف به، وتتقوا المآثم، وتصلحوا، والمعنى لا تبتذلوه لفعل الخيرات، فكيف للشر تنبيهاً أن الحلف بالله مكروه ما استغنى عنه، ونبه بقوله: ﴿ **وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ أنه عارفٌ بالمقاصد..

قوله - عز وجل :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

الآية (٢٢٥)- سورة البقرة .

اللغو: المطروح الذي لا يفيد من الكلام، يقال: ألغى في كلامه، ولغاً، وقد يقال في غيره تشبيهاً، كقول الشاعر:

كَمَا أَلْغَيْتَ فِي الدِّيَةِ الحُوارَا[2]

ويكني باللغو عن القبيح من الكلام، وأصله من لغي العصافير، واختلف في اللغو من اليمين، فقال ابن عباس: هو الحلف بالشئ يظن أنه صادق فيه وهوبخلافه، وقال ابن جبير: هو اليمين علي الحرام لا يؤاخذ الله بتركه، وقال : هو بغضهم اليمين التي يحنث فيها صاحبها سهواً، وقالت عائشه:

---

١ - سورة آل عمران الآية : (١١٠) .

٢ - هذا عجز بيت لذى الرمة من قصيدة مطلعها :

نبت عيناك عن طلل بحزوى ... عفته الريح وامتنح القطارا

وهو في ديوانه ج : ٢ ص ١٣٧٩، وأمالي القالي ج : ٢- ص١٤٢ ، ولسان العرب - مادة (لغا) ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٤٣ ، وتمام هذا البيت .

ويهلك بينها المرئى لغواً ... كما الغيت في الدية الحوارا

وقد قاله ذو الرمة يهجو به واحداً من بني امرئ القيس ويلغيهم من النسبة إلى تميم كما يلغى ولد الناقة قبل الفطام في الحساب في الديات . وقد أورده الراغب في مجمع البلاغة . ص ٢٥٢ - تحقيق الدكتور عمر الساريس - ط - مكتبة الأقصي - عمان .

وقد روي **عن النبي ﷺ إنه قول الرجل: (لا والله) و (بلى والله)**[١] على سبيل العجلة لا على القصد، وإليه ذهب الشافعي، وقال أبو حنيفة: لغو اليمين كالغموس في أنه لا تجب فيهماالكفارة، ولكن الغموس أن يحلف ويعلم أن الأمر خلافه، فيعظم معصيته، واللغو أن لا يعلم، بل يظن فلا تقع المؤاخذة به، وقوله:

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ هو أعم من قوله: **﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾**[٢] وذاك أنه لما كان القلب يُعبر به عن الجزء الذي به المعرفه والفكر ويجري من سائر أجزائه مجرى الراعي من المرعي، ونبه بقوله: **﴿ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾** أن الاعتداد به دون غيره من الجوارح، حتى إن كل فعل لا يكون عنه وبه سهوٌ أو خطأ متجافى عنه، ولهذا قال - عليه السلام- «**إن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد**»[٣]، وقال: «**إذا طاب قلب المرء طاب جسده**»[٤]، وقال: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٥].

والحلم وإن كان منّاً هو إمساك القوة العصبية المقتضي للعفو، فهو إذا استعمل في الله لا يراد به إلا العفو عن المذنب دون حدوث حالةٍ وتجدد أمرٍ عليه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

١ - أورد القرطبى فى تفسيره ماروى عن عائشة قولها "أيمان اللغو" ماكانت في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذى لاينعقد عليه القلب وفى البخاري عن عائشة قالت: نزلت الآية في قول الرجل لا والله وبلي والله تفسير القرطبى ج :١-ص١٠١٢ وأورده ابن كثير فى تفسيره ج :١-ص٢٦٦.

٢ - سورة المائدة الآية : (٨٩).

٣ - الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث النعمان بن بشير قال سمعت الرسول صلي الله عليه وسلم- يقول: إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعي حول الحمي يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب - صحيح مسلم كتاب المساقاة -ص ١٢٢٠ ، وأخرجه أبو حيان في البحر المحيط - ج : ١ ص ٥١٣ ، وقال العراقي : متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ، وأخرجه الزبيدى في الاتحاف - ج : ٦ ، ص ٢٥٣ ، ج : ١٠ ص١٧١ ، وأخرجه العراقي في المغنى عن حمل الأسفار ج : ٤- ص ٣٥٦

٤- لم أهتد إليه.

٥ - الحديث أورده ابن كثير فى تفسيره قال : قال مسلم رحمه الله: حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ورواه ابن ماجة" عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج : ٤ - ص ٢١٧.

قوله - عز وجل :

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

سورة البقرة الآية (٢٢٦)..

التربص: انتظار مجئ وقت، يقال: تربصت به، وربصت به، قال الله- عز وجل: **﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾**[1] وقيل في هذا الأمر ربصه، والفئ: الرجوع من مكان إلى مكان، ولم يسم من الظل فيأ إلا الراجع منه، وسمى العتمة فيألفيئه من قوم إلى قوم، وقول الشاعر:

أَرَى المَالَ أَفْيَاءَ الظِّلَالِ عَشِيَّةً [2]

أي المال هو الفئ الذي هو بعض الظلال تنبيهاً على ما قال الآخر:

إنما الدنيا كظل زائل . [3]

والإيلاء : الحلف المقتضي للتقصير فى الأمر الذي يحلف عليه من قوله عز وجل : **﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾** [4] ، **﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾**[5] وصار الإيلاء في الشرع الحلف المانع من جماع المرأة ، وهو أن الرجل كان إذا لم يرد المرأة ولايحب أن يتزوجها غيره، يحلف أن لايجامعها ، ويتركها كذلك ، لاإيماً ، ولا ذات بعل ، فأراد الله أن يجعل لها مخرجاً ، فحكم بهذه الآية ، إلا أنه اختلف في أي لفظ من الأيمان يكون الإيلاء ، وعلى أي وجه يعتبر ترك جماعها ، وأي يمين من الإيلاء تلزم فيه الكفارة ؟ وكم مدة الإيلاء ؟ وماعزم الطلاق ؟ ومالفئ ؟ ومن الذي لإيلائه حكم ؟ وأى إمرأة لها حكم

---

١ - سورة المؤمنون الآية (٢٥).

٢ - هذا شطر بيت وعجزه : يؤوب وأخرى يخبل المال خابله .. وقد ذكره الراغب في المفردات بدون نسبة ص ٦٥٠ ، وهو في أساس البلاغة مادة : (خبل) .

٣ - هذا شطر بيت للوزير ابن الزيات ، وعجزه : نحمد الله كذا قدرها ، وقبله :

وهل الدنيا إذا ماأقبلت صيرت معروفها منكرها

وقد أورده الراغب في كتاب مفردات ألفاظ القرآن - ص ٦٥٠ ، وأورده الصفدى في الوافي بالوفيات ج : ٤ ص ٦٥٠ .

٤- سورة آل عمران - الآية : (١١٨) .

٥ - سورة النور - الآية : (٢٢) .

الإيلاء ؟ أما أي يمين هو؟ فعند أبي حنيفة جميع الأيمان حلفاً بالله عز وجل ، كان، أو طلاقاً أو عتاقاً أو نذراً، وبه قال الشافعي في الحدود، وقال مالك: "**لا يكون مولياً إلا بالحلف بالله- عز وجل-**"، وبه قال الشافعي في القديم، وروي عن ابن عباس أن كل يمين منعت من الجماع فإيلاء، وأما على أي وجه يعتبر ترك جماعها، فعند علي وابن عباس والحسن وعطاء إذا حلف أن لا يجامعها على وجه الضرار والغضب، فأما إن لم يكن على ذلك نحو أن يحلف أن لا يجامعها في وقت إرضاعها الولد لئلا يضر بالولد، فلا يكون مولياً، وقال الحسن: "إذا حلف أن لا يجامعها في هذا البيت، ثم ترك جماعها أربعة أشهر فإيلاء"، وقال ابن المسيب: "إذا حلف أن لا يكلمها فإيلاء أيضاً"، وقال ابن عمر: "إذا هجرها من غير يمين يكون مولياً"، وأما أي يمين من الإيلاء يلزم فيه الكفارة، فهي كل يمين بالله- عز وجل-، وأما المدة: فمنهم من قال: أكثر من أربعة أشهر أي قدر كان، لأنه جعل لها المطالبة بعد ذلك، ولأنه قال: ﴿**فَإِن فَاءُو**﴾ ولم يفصل بعد المدة، وفي المدة . ومنهم من قال: أربعة أشهر فصاعداً، هو بعض الظلال تنبيهاً على ماقاله الآخر :وإن حلف على أقل من أربعة أشهر لا يكون مولياً وإن تركها أربعة أشهر على قول عامة الفقهاء، وقال ابن مسعود وقتادة: يكون مولياً، ولا خلاف أنه إذا لم يتركها أربعة أشهر لا يكون مولياً، وأما عزم الطلاق، فعند عمر، وعثمان، وابن عباس،وابن مسعود أنه انقضاء الأربعة أشهر، وأنها تبين بتطليقة، وعند الشافعي أن للمرأة مطالبتها بعد الأربعة الأشهر، ويجب عليه أن يطلق أو يراجع ولا يستمهل أكثر من يوم، فإن طلقها تطليقة تكون رجعية، ولو عفت عن ذلك في الوقت، فلها أن تطلب بعد ذلك متى أرادت، وأما الفئ: فظاهره يقتضي الفئ بالقول، كالمراجعة إلا أنهم أجمعوا أنه إذا أمكنه لم يكن إلا بالجماع، فأما إذا كان محجوباً أن محبوساً عنها، فقد قيل فيه بالقول، وأما من الذي لإيلائه حكم؟، فكل من صح طلاقه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً حرة كانت تحبه أو أمة، وأبو حنيفة اعتبر بالمرأة كالطلاق، ومالك اعتبر بالرجل دونها، وقال بعض الفقهاء: الإيلاء لذمي، والآية تقتضي خلاف قوله، وأما أي امرأة لها حكم الإيلاء،فكل امرأة يصح طلاقها يصح الإيلاء منها، مسلمة كانت أو ذمية، حرة كانت أو أمة، صغيرة كانت أو كبيرة، لكن ليس للصغيرة المطالبة حتى يمكن مجامعتها وتأتي عليهاالمدة المضروبة و"**مـن**" في قوله:

﴿مِن نِّسَائِهِمْ﴾ تعتبره الفقهاء أنه متعلق بقوله: ﴿يُؤْلُونَ﴾ حتى كثر في كلامهم "آلى فلان من امرأته"، كقولهم: "ظاهر منها"، وذلك غير ممتنع، وإن كان قد ذكر بعض أهل اللغة أن تقدير الكلام: (لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر) ودل بقوله: ﴿فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أن المولى في إيلائه مخطئ وآثم، وأنه يستحق العفو عما ارتكبه بفيئه..

قوله – عز جل :

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية : (٢٢٧)–سورة البقرة.

دواعي الإنسان إلى الفعل على مراتب أولها السابح، ثم الخاطر، ثم التخيل والتفكر فيه، ثم الإرادة، ثم الهمة، ثم العزم، فالهمة إجماع من النفس على الأمر وإزماع عليه، والعزم هو العقد على إمضائه، ولهذا قال– عز وجل– ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(١)، ويقال: (مالفلان عزمه) أي عقد على إمضائه..

ويقال: المعود عزائم تصوراً أنك قد عقدت على الشيطان أو الداء أن يمضي إرادتك فيما سميته، والطلاق: تخلية عن وثاق أو داء أو انقباض وإمساك، ومنه: "طلقت المرأة عند الولادة وبالتخليه عن الوثاق شبه الطلق في العدو، ورجل طلق الوجه، وطلق اليدين، وأما عزيمة الطلاق، فقد تقدمت، ونبه تعالى بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أنه عارف بضميره ومقاله في إيلائه وتطليقه..

قوله – عز وجل :

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية (٢٢٨)..

قال الخليل: قرأت المرأة: رأت الدم، وأقرأت :حاضت، وصارت ذات قرء، والقرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر، ولما كان اسماً للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل

---

١ – سورة آل عمران :الآية (١٥٩).

واحد منهما، لأن عادة العرب أن كل اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة هي للخوان والطعام، وقد سمي كل واحد منهما بانفراده مائدة، وعلى ذلك الظعينة والكأس والراوية، فكذلك القرؤ، وليس هما اسماً للطهر مجرداً بدلالة أن الطاهر التى لم تر الدم لا يقال لها ذات قرء، وكذا الحائض التي استمر بها الدم، والنفساء لا يقال لهما ذلك، فقوله: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾، أي ثلاثة دخول من الطهر في الحيض وليس حقيقة هذا إلا ما قاله الشافعي دون ما قاله غيره في أنها إذا رأت الدم ثلاث مرات، فقد انقضى عدتها، وجعل غيره حصول ثلاثة أطهار تتعقبها ثلاث حيض، فإن قيل: قوله – عليه السلام: **(دعي الصلاة أيام إقرائك)**[(١)] لم يرد أيام تجدد الحيض، وإنما أراد أيام الحيض كلها، قيل: ما قلته صحيح، وإنما ذلك كقولك: "فعل كذا أيام ورود فلان، وورده إنما كان في ساعة، فكذلك قوله: "أيام إقرائك"، والحدث القليل ينسب إلى الزمن الطويل، وإن وقع ذلك في بعضه،وقول أهل اللغة أن القرء من قرءا إذا جمع، وقارئ هم اعتبروا الجمع من زمن الطهر وزمن الحيض لاجتماع الدم في الرحم فقط، ومنه القراءة، وهي ضم الحروف والكلمات بالخروج من بعضها إلى بعض، يدلك على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد يتفوه به قراءة، و"أقرأ النجم" إذا طلع واحد وغاب آخر، وصار القرؤ مستعاراً للوقت المنتظر، ومنه قال الشاعر:

إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحُ[(٢)]

أي لوقتها المنتظر المتعين.

وقال آخر:

يَارُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَلَىَّ فَارِضٍ ... لَهُ قُرُؤٌ كَقُرُؤِ الحَائِضِ[(٣)]

١ – عن عدي بن ثابت أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لامرأة : "دعي الصلاة أيام أقرائك » أخرجه أبو داود برقم ٢٩٧، والترمذي في العارضة ١/ ١٩٩ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ج :١ :ص٢٠٤ وهو ضعيف ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن – ص ٦٦٨.

٢ – هذا عجز بيت لتابط شراً ثابت بن جابر وتمامه :-

شنئت العقر عقريني شليل ... إذا هبت لقارئها الرياح

ديوان تابط شراً ثابت بن جابر .

٣ – لم أهتد إلى قائل هذا البيت ، وهو في مجالس ثعلب ج : ١– ص ٣٠١ ، وتفسير الطبري ج :٢– ص١٩٠ ، والأضداد – ص ٢٨ ومجمع البيان – ج : ١– ص ١٣١، وتفسير ابن عطية – ج :١– ص٣١٣ ، ولسان العرب – مادة : فرض ، وتفسير البحر المحيط – ج :١– ص ٢٤٨ ، والدر المصون فى تفسير الكتاب المكنون – ج : ١– ص ٤٢١ بدون نسبة

أي انتظارٌ للفرصة كانتظار ذات الحيض للحيض..،

وعير ابن داود الشافعي لما جمع بين القرؤ وقريت الماء في الحوض، وقال: ألم ير أن قريت من بنات التاء، وقرأت من الهمزة، وهذا سوء ظن منه وسوء تصور، فإن أهل اللغة طريقتان في هذين اللفظين أحدهما: أن "قريت" مقلوب عن قرأت، والياء بدل من الهمزة ، كسألت وسلت، والثاني: أنهما لغتان تقارب معنياهما تقارب ألفاظهما، وأنهما تقتضيان معنى الجمع، والبعل: النخل السارب بعزوقه وعبر به عن الزوج، لإقامته على الزوجة للمعنى المخصوص، وحيث هي بعُلَةٌ وقيل: باعلها كقولك: جامعها، وبعل الرجل إذا دهس، فأقام مكانه كالنخْل الذي لا يبرح، وبهذا النظر، قيل لمن لا يحول عن مكانه ما هو إلا شجرٌ أو حجر، والبعولة جمع بعل، كالذكورة، والفحولة، والعمومة، والخؤولة، والرجل بنى عن رجْلٍ تصوراً لسعيه بها، كما سميت المرأة قعيدة وعجوزاً لتمكن مقعدها وعجزها من الأرض ولذلك قال الشاعر:

أَصْبَحْتَ لاَ رَجُلاً يَغْدُو لِطَلِبَهِ ... وَلاَ قَعِيدَةَ بَيْتٍ تُحْسِنُ الْعَمَلاَ[1]

وبهذا النظر سُمِّي القوم قوماً لقيامهم بالأمور، والراجل الماشي لكونه ضارباً برجله الأرض كالسائف والرامح لمن يضرب بهما، وارتحل فلان كذا لما تناوله بسعيه مما لم يسبق إليه، وترحل النهار، كقولهم: **"قام قائم الظهيرة"**، والمرجل: القدر المنتصب على رجلها، وجعل بناؤه بناء الآلات والدرجة والمرقاة والمنزلة تستعار للمحال الشرفية، وذاك أن الشرف المعقول يمثل بالمحسوس على وجهين، أحدهما يعتبر على طريق العلو والسفل، فتستعمل فيه الدرجة، والمرقاه، والصعود، والانحدار، والثاني على طريق التقدم والتأخر، فيستعمل فيه السبق والتخلف والمطلقات ضربان: مدخول بها، وغير مدخول بها ولا عدةٌ عليها لقوله- عز وجل: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾**[2]، والمدخول بها عليها العدة،

١- قائل البيت هو أبو نصر بن نباته كما في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد - ج :٢- ص١٤٦.

٢- سورة الأحزاب الآية : (٤٩).

وهي على ثلاثة أضرب:

الحوامل: وعدتهن أن يضعن حملهن، واليائسات، واللائي لم يحضن، وعدتهن ثلاثة أشهر، وذوات الحيض: وعدتهن ثلاثة أقرؤ، وهذا الحكم إذا كانت المرأة حرة، فأما إذا كانت أمة فقرآن، وفي الشهور على النصف من الحرة..

إن قيل: كيف استعير لفظ الخبر للأمر في قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾؟ قيل: لما كانت العدة تحصل من المرأة بانقضاء الأيام، نوتها أو لم تنوها، أجدت أو لم تجد صار لفظ الخبر أملك له من لفظ الأمر، ويدلك على صحة هذا الاعتبار إتيان جميع العدد بلفظ الخبر، وقوله:﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عنى كتمان ما في أرحامهن من الحيض والحبل، وأنه لا يجوز أن تكون حاملاً، فتقول: ليست بحامل، أو لم تكن حاملاً، فتقول: أنا حامل، ولا أن تدعي الحيض أو تنفيه على ذلك، وذلك عام في كل ذلك، وإن مثّل كل واحد من متقدمي المفسرين لشئ من ذلك، ومن قال: لا يجوز أن يكون الحيض، لأن الحيض لم يخلق في الرحم، وإنما هو دم يرد إليه من جميع البدن، فعلى هذا قوله:﴿فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ لا يكون من صلة خلق، بل يكون من صلة قوله (ولا يكتمن)، أي: لا يكتمن في أرحامهن ما خلق الله، فإنه لا شك أن يحصل في الرحم خُلِّق فيه أو لم يُخَلَّقْ، ونهيها عن كتمان ذلك دال على أن قولها مقبول فيما تدعي من حيضها وحملها فيما يتعلق بحقها، فإن تعلق بذلك شئ، ليس من حقها، فيجوز أن لا يقبل إذا اتهمت، كمن يقول: "**عبدي حر**" أو "**امرأته طالق إن حاضت**"، فقالت: قد حضت، فمتى لم يصدقها لم يعتق عبده، ولم يطلق امرأته، وقوله: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فليس ذلك شرطاً في أنهن إذا لم يكن مؤمنات، يجوز أن يكتمن، وإنما ذلك تنبيه أنه مناف للإيمان، وأنه ليس من فعل المؤمن، كقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ دالٌّ على بينة مراجعتها ما دامت معتدة، ولم يعن بالرد تجديد نكاح يشارك فيه غيره في الحال، وإنما عنى الرجعة الموجبة لبقاء النكاح بعد انقضاء الحيض التي إذا لم تكن لكان يزول النكاح، وظاهر الآية أن إباحة هذه الرجعة شريطة الإصلاح، لكن لا خلاف أنه

١ - سورة النور: الآية رقم (٢).

إذا راجعها مضاراً بها، فرجعته صحيحة، فدل هذا الإجماع أن ذلك تهديد للمراجع أن لا يقصد الإضرار بها، كقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾[١]، ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٢] تنبيهاً أن فاعل ذلك ظالمٌ، وأن الرجعة في الحكم صحيحةٌ، وقيل: تسمية (بعلاً) دلالة أن ما دون الثالثة من الطلاق لا يرفع الزوجية، وأن الرجعة مادامت معتدة وقوله: (والمطلقات) عامة في الرجعية وغير الرجعية، (وبعولتهن) خاص في الرجعية، بدلالة التي تتلوها، وليس قول من قال هذه الآية نسخ منها حكم الحامل، ومن ليست بذات حيض بشيء، فإن ذلك تخصيص لا نسخ،[٣] وإن كان قد سماه بعض القدماء نسخاً وقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ يتبين أن لكل واحد على الآخر حقاً كحق الآخر، فمما تشاركا فيه مراعاتهما للمعنى الذي شُرع لأجله النكاح، وهو طلب النسل،وتربيةالولد، ومعاشرة كل واحدٍ منهما للآخر بالمعروف وحفظ المنزل، وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت أيديهما، حماية كل واحدٍ على الآخر بقدر جهده وحده، وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ﴾ هو من وجه تنبيه لفضل الرجل على المرأة بالجملة، ومن وجه كالاستثناء بأن له عليها حقاً، ليس لها عليه، أما فضله عليها، فقد نبه عليه بقوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾[٤]، ودل عليه النبي – عليه السلام بقوله: «إِنَّكُنَّ نَاقِصَاتُ الدينِ والْعُقُولِ»[٥]، فقيل: وما نقصان دينهن، فقال: إن إحداهن تقعد

١، ٢ – سورة البقرة الآية : (٢٣١).

٣ – عقب الدكتور مصطفى زيد على دعوى النسخ في هذه الآية بقوله: (والواقع أن دعوى النسخ هنا وهي مروية عن ابن عباس وقتادة تنقضي نفسها بنفسها، فإن العبارة التي كتبها عن ابن عباس وقتادة وهي: ثم استثنى،،، فنسخ منهن.... وهذا تخصيص لا نسخ، خصص الله عموم المطلقات بمقتضى الآيات التي زعموها ناسخة، والمقتضى الحديث المروي في عدة الأمة، فأصبحن مقصورات على ذوات الأقراء المدخول بهن، الحرائر غير الحوامل، وتولت تلك الآيات، وذلك الحديث عدة الآيات والصغيرات والإماء والحوامل، وقررت أن المطلقة غير المدخول بها لا عدة عليها. وقد رفض الطبري في تفسيره دعوى النسخ في هذه الآية أيضاً. النسخ في القرآن الكريم – الدكتور مصطفى زيد– ج:٢ –ص٦٠٥– ط، دار الوفاء– المنصورة.

٤ – سورة آل عمران الآية : (٣٦).

٥ – الحديث أخرجه الحافظ بن حجر فى التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير في كتاب الحيض، وذكر قول بن مندة حيث ذكر بعضهم هذا الحديث ولايثبت بوجه من الوجوه وقال في قريب من هذا المعني ماتفق عليه من حديث أبي سعيد قال: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ فذلك من نقصان دينها »، ورواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر بلفظ : (تمكث الليالي ماتصلي، وتفطر في شهر رمضان فهذا نقصان دينها، ومن حديث أبي هريرة كذلك، وفي المستدرك من حديث ابن مسعود نحوه، ولفظة : « فإن احداهن تقعد ماشاء الله من يوم وليلة لاتسجد لله سجدة) انظر : تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ بن حجر – ج : ١– ص١٦٢ – ص ١٦٣ طبعة المكتبة الأثرية – باكستان. كما أورده السيوطي في الدر المنثور ج :١– ص٣٧١ وأخرجه أبو داود في مسنده من حديث عبد الله بن عمر – حديث رقم (٤٦٧٩).

نصف دهرها لا تصلي، ونقصان عقلهن أن شهادتها على النصف من شهادة الرجل، وقيل: من نقصها أن شرمافي الرجال الجبن والبخل، وهما خير ما في النساء، ولكونهن ناقصات عظم الله نسبة البنات إليه أكثر من تعظيمه نسبة الابن، وإن كانا منكرين، فقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ﴾[١]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٣]، وقال: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾[٤]، وعظم تعالى نسبة الملائكة إلى الأنوثة، فقال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾[٥]، ولكن الأنوثية نقصٌ جعل القوه الانفعالية أنثى، والقوة الفاعلة ذكر حتى شبهوا السماء بالفحل، والأرض باللقوحة، وقالوا حديد ذكر، وحديد أنثى، وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾[٦]، أي أصناماً مفعولة غير فاعلة، وأما فضل حقوقه عليها، فقيل: عشرة أشياءَ جُعل الطلاق إليه من دونها ، وإباحة ضربها عند النشوز، أو هجران فراشها، ووجوب إجابتها إياه إذا دعاها إلى الفراش، والائتمار له إذا نهاها عن الخروج، وأن ميراثه منها أكثر من ميراثها منه، وأنه إذا قذفها فله إسقاط الحد باللعان، وليس لها ذلك، وأن له أن يجمع بينها وبين غيرها، وليس لهاأن تجمع بينه وبين غيره، وليس لها أن تصوم تطوعاً، ولا أن تحج فرضاً إلا بإذنه،وله ذلك من دون إذنها. وإلى هذه الجملة أشار بقوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٧] ونبه بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أنه يحكم بكل ما يشاء، فلا يُغَالَبُ لعزةٍ، ويتقن كل ما يفعله فيصيب بحكمته، وفيه وعدٌ وإبعاد على مجازاتهما فيما يتحريانه من صلاح وفساد..

---

١ - سورة النجم الآية (٢١).

٢ - سورة النحل : الآية (٦٢).

٣ - سورة الزخرف : الآية (١٧).

٤ - سورة الصافات : الآية (١٥٣).

٥ - سورة الزخرف : الآية (١٩).

٦ - سورة النساء : الآية (١١٧).

٧ - سورة النساء : الآية (٣٤).

قوله - عز وجل :

﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الآية (٢٢٩)- سورة البقرة.

المرة: فعلة من مرَّ يمر مراً، ومروراً، فعبر بها عن الفعلة، وإمرار الحبل إرساله في الفتل حتى يمر مراً، ومر الشئ صار مراً أصله من الأول، وهو فيما لا يطيب أكله، كساع فيما يطيب،وهماللذهاب، والمر الذي يعمل به استعارة، والإمساك أصله من المسك وتصور منه إمساكه للبدن، ولما يُجْعَلُ فيه بعد السلخ، فقيل: (أمسكت كذا) أي ضبطته ضبط المسك لما فيه، وكنى بالمسك عن البخيل، والتسريح كالتطليق في أنه من : برحت الماشية، كما أن الطلاق من: أطلقت البعير، والمعروف مالا تنكرهُ العقول الصحيحة، وسمي الجود معروفاً لمعرفة العقول كلها حسنه.

وعلى هذا قال الشاعر:

وَلَمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ   فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ(١)

وقيل: الخوف هاهنا: الظَّنُّ ، وقيل: اليَقِينُ، واحتُج بقول الشاعر:

وَلاَ تَدْفِنَنِّي بِالفَلاَةِ فَإِنَّنِي

أَخَافُ إِذَا مَامِتُّ أَلاَّ أَذُوقَهَا(٢)

١- البيت لأبي تمام ، وقبله :

ولاخير في طول الجسوم وعرضها   إذا لم تزن طول الجسوم عقول

الشوارد - عبد الله بن خميس . كما أورده ابن أيدمر في مخطوط كتاب الدر الفريد ، ونسبه الى الشمخي الفزازى - ج : ٥- ص ٣٤٧.

٢- البيت لأبي محجن الثقفي وقبله :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه   يروي عظامي بعد موتي عروقها

وهو في معاني القرآن - للفراء - ج : ١- ص١٤٦ ، وخزانة الأدب - ج : ٨ ص٣٩٩ ، وعيون الأخبار - لابن قتيبة - ج:١-ص٨، وربيع الأبرار ج :١- ص٧١٤ ، ومغنى اللبيب- ص ٤٦.

وذلك نظر من المفسر إلى مقتضى الخوف، فقد يكون الخوف عن أمارة ضعيفة تقتضي الظن، وعن أمارة قوية تقتضي اليقين، فقوله: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ ليس ذلك للجنس متناولاً لكل طلاق، بل هو إشارة إلى الطلاق المتقدم ذكره الذي قال فيه:

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾[(١)]، فبين أن ذلك الطلاق الذي فيه المراجعة مرتان، وأصله الطلاق مرتين، نحو الخروج مرتين، ثم رفع كقوله: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ منهم من حمله على الطلقة الثالثة، وروى عن النبي ﷺ أن بعضهم سمع الآية، فقال: فأين الثالثة؟ فقال- عليه السلام: «التسريح بإحسان[(٣)]».

ومنهم من حمل ذلك على ترك الرجعة» والصحيح أنه محمول عليها، لأنه يكون بالرجعة ممسكاً لها، ويتركها حتى تنقضي عدتها، أو بتطليقها الطلقه الثالثة يكون مسرحاً لها،لكن لما كان اللفظ متردداً بين الأمرين بين من بعد حكمها إذا طلقها ثالثة بقوله: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾[(٤)].

إن قيل: كيف جعل الإمساك هاهنا الرجعة؟ قيل: لأنه ضد الطلاق، وقد كان الطلاق موجباً للفرقة بعد مضي ثلاث حيض، فسمي الرجعة إمساكاً لبقاء النكاح به.

إن قيل: كيف علق التسريح بالإحسان؟ وهل بينه وبين المعروف فرق؟

قيل: الإحسان أعم معنى من المعروف، لأن الشئ قد يكون معروفاً، أي غير منكر، ولا يكون

---

١ - سورة البقرة الآية (٢٢٨).

٢- سورة البقرة الآية (١٩٧) .

٣- أورد القرطبي ماروى من أخبار العدول بسنده إلى أبي رزين قال : جاء رجل إلى النبي صلي الله عليه وسلم : فقال« يارسول الله أرأيت قول الله تعالي (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فأين الثالثة؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم . (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) ورواه الثوري وغيره عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مثله تفسير القرطبي ج: ١- ص١٠٤٠ ، وأورد السيوطي في نزول هذه الآية قالت : كان الرجل يطلق امرأته ماشاء أن يطلقها وهى امرأته إذا ارتجعها وهى في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر حتي قال رجل لامرأته : والله لأطلقك فتبيني مني ولا أؤويك أبداً . قالت:وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي صلي الله عليه وسلم فسكت حتي نزل القرآن (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) . أسباب النزول - السيوطي . ص ٣٢ - ط . دار المنار - القاهرة .

٤- سورة البقرة - الآية :(٢٣٠).

مستحسنا، فكل إحسان معروف،وليس كل معروف إحساناً، فبين أن من حق المسرَّح أن يبذل ما يزيد على الإنصاف تنزهاً، وذلك على حسب ما كانوا يراعون في بذل مصارف المعروف لمن يرتحل عنهم، وكما بين أن له الرجعة في تطليقتين، بين بقوله: (فإن طلقها) أن لا رجعة بعد الثالثة، فإن مازاد علي الثالثة من الطلاق لا حكم له بوجه، فقد كانت العرب تطلق مرة بعد أخرى ما شاءت، وتراجع قبل انقضاء العدة، فأبطل تعالى ذلك، وفي الآية دلالة أن له أن يطلق مرتين في طهر واحد من حيث أنه لم يفصل، ودلالة أن الطلاق في الحيض يقع، ولذلك قال عليه السلام- لابن عمر لما قال: أرأيت لو طلقتها ثلاثاً؟ قال: «إِذَنْ بَانَتْ مِنْكَ امْرَأَتُك، وَعَصَيْتَ رَبَّكَ»[١]، وأجمع فقهاء الأمصار أن قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ إذا لم يكن الزوجان مملوكين، واتفقوا أن الرق يوجب نقصان الطلاق، لكن اعتبر أبو حنيفة الطلاق بالنساء، وهو قول علي والشافعي، واعتبر بالرجال، وهو قول عثمان وزيد، وإليه ذهب مالك، وقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾، فلا خلاف أنها إذا سمحت بشيئ من مهرها للزوج فسائغ، لقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾[٢]، فأما إذا كان على وجه الخلع، فلا يجوز إلا على وجه دون وجه، واختلفوا متى يجوز مخالعتها؟ وكم قدر المال الذي به يجوز؟، وعند من يجوز؟

فذهب بعضهم إلى أنه يكره الخلع مع سلامة الحال، لأن الطلاق مكروه إذا توفرت المرأة على ما يلزم من حكم الزوجية لقوله -عليه السلام: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ»[٣] هذا مع إمكان المراجعه والخلع الذي ترتفع المراجعة معه أولى بأن يكره، وإن خافا ألا يقيما حدود الله جاز بلا خلاف لظاهر الآية، وإن خافت ولم يخف الزوج، فيجوز إلا عند أهل الظاهر، وعلى ذلك دل شأن امرأة

١- الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق ، وأخرجه النسائي في كتاب الطلاق حديث رقم (٧٠) ، (٧٣)، (٧٦).

٢- سورة النساء - الآية : (٤).

٣- الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج :١- ص ٢٧٨، ج :٢-ص٢٣٣ ورواه ابن ماجة في سننه عن كثير ، وأورده ابن الجوزى في العلل المتناهية وقال الدار قطني في العلل : المرسل فيه أشبه ، وقال الخطابى:إنه المشهور ، وأخرجه ابن عدي في الكامل فى الضعفاء - ج :٢ ص٤ ١٠٠، وأخرجه أبو داود بلفظه في باب (في كراهية الطلاق) ج :٢- ص٦٣٢، وأخرجه ابن ماجة في الحديث رقم ٢٠١٨.

ثابت بن قيس لما كرهت الزوج، فأمرها- عليه السلام- أن ترد إلي حذيفة ما كان قد مهرها، وقال الحسن: لا يجوز حتى تقول المرأة: لا أغتسل عنك، ولا أقربك، ونحو ذلك.

وقال إبراهيم: «لا يجوز حتى تعصيه ولا تبر يمينه وإن خاف هو ولم يخف ولم يرها على فاحشه»، لا يحل له أخذ شئ منها بالمخالعة لقوله - عز وجل:

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾[1] الآية.

وذلك في الحكم سائغ وإن كان منهياً عنه، وعند مالك يرد إليها مالها، وقال الأوزاعي: «إذا خالع امرأته وهي مريضة، فإن ما تبدله في ثلثها إن كانت ناشزة، وإن لم تكن ناشزة رد عليها، وكان له عليها الرجعة، فأما القدر الذي يخالع عليه» فمنهم من قال: لا يجوز إلا بأقل من المهر المسمى لقوله تعالى: **﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾**، وذلك يقتضي التبعيض، وقال علي والحسن وابن المسيب وطاوس وابن جبير: **لا يجوز بأكثر مما أعطاها لما روي أن رجلاً خاصم امرأته إلى النبي- عليه السلام، فقال: تردي إليه ما أخذت منه؟ قالت: نعم وزيادة، فقال عليه السلام: أما الزيادة فلا...**[2] ومنهم من أجاز بأكثرمن ذلك، وهو الأظهر، وأما عند من يجوز، فإن الحسن وابن سيرين قالا: لا يجوز إلا عند السلطان، وقال فقهاء الأمصار: يجوز، لأن ظاهر الآية لم يعرف، ومن قرأ (تخافا)، فخطاب لهما، لأنهما أعرف بأحوالهما من غيرهما هل يقيمان أو لا يقيمان؟.

فإذا قرىء (تخافا)[3] على مالم يسم فاعله، فالخطاب للحاكم، والمفتي بأن لا يحل أن يحكم للزوج

---

١ - سورة النساء الآية : (٢٠).

٢ - الحديث أخرجه الدار قطني في سننه - ج :٣- ص٢٥٤ ، ص ٢٥٥ وأورده القرطبي في تفسير قوله تعالي : (ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) الآية : (٢٢٩) سورة البقرة . وذلك من حديث ابن جريج عن أبي الزبير أن ثابت بن قيس بن شماس كانت عنده زينب بنت عبد الله بن أبي سلول ، وكان أصدقها حديقة ، فكرهته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تردين عليه حديقته ويطلقك ، فقالت ، نعم وأزيده ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما الزيادة فلا ، ولكن حديقته ، قالت نعم فأخذها له وخلى سبيلها » تفسير القرطبي - ج :٣-ص١٤٣ ، كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ١٠- ص٢٨٠ ، ٢٨١ ، وأخرجه الدارقطني في سننه - ج :٣- ص٢٥٤ ، ص٢٥٥.

٣- قرأ حمزة وأبو جعفر ويعقوب بن الاعمش، وأبو عبيد: (أن يخافا) بضم الياء وذلك كما في اتحاف الفضلاء- ص١٥٨، اعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس-ج:١-ص٢٦٥ والإملاء - للعكبري - ج:١-ص٥٦، ومعجم القراءات القرآنية- ج: ١-ص ١٧٤، إعداد الدكتور/ عبد العال سالم مكرم والدكتور/ أحمد فتحي عمر - مطبوعات جامعة الكويت.

بالأخذ إلا إذا عرفوا ذلك منهما، والقراءة الأولى أجود، لأن هذاالمعنى استفيد من قوله: (فإن خفتم)..

إن قيل: لم رفع الجناح عنهما وذلك يجب أن يرفع عن الزوج الذي يأخذه؟ قيل: لأن من الدفع ما يؤثم الأخذ والدافع كالربا، ومنه ما يؤثم أحدهما، فبين أن الجناح مرفوع عنهما،وليس ما قال الفراء أنه لا جناح على أحدهما، فنسب إليهما، كقوله تعالى: **﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ﴾**[1] بشيء، وذكر أن كل ما بينه حدود الله، ولا يجوز تعديها، فإن من تعداها ظالم يستحق ما يستحقه..

قوله - عز وجل :

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الآية (٢٣٠)- سورة البقرة .

هذا الحكم متعلق بقوله: (الطلاق مرتان)، وقد فصل بينهما بحكم الخلع وكيفية جوازه، فلما فرغ منه رجع إلى حكم الطلاق، فقال: (فإن طلقها) أي بعد الثنتين فلا تحل له أو لا يجوز أن يتزوج بها حتى تنكح زوجاً غيره،وبين أن ليس للإنسان أكثر من ثلاث تطليقات، والنكاح الذي يحلها للزوج الأول ظاهره يقتضي العقد، وإليه ذهب سعيد بن المسيب وأهل الظاهر، **لكن قد ورد عن النبي- عليه السلام- ما اقتضي معه الوطء حيث قال: «لا حتى تذوقي عسيلته**[2]**،ويذوق عسيلتك»**،وقيل: حكمة الله -عز وجل- في تحريمها عليه إلا بعد أن تتزوج زوجاً آخر الردع إلى التسرع في الطلاق، ولهذا دعا أن يتأنى في تطليقها، فيطلقها للعدة طلقةً بعد طلقةٍ، ونبه على ذلك بقوله: **﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾**[3].

---

١ - سورة الرحمن : الآية (٢٢).

٢ - أخرجه البخاري من حديث عائشة في كتاب الطلاق ج : ٦- ص١٨٢ ، كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة - ج : ٦- ص ١٩٣ ، وأخرجه عبد الرازق في مصنفه - حديث رقم ١١٣٥ ، وأخرجه الالباني في إرواء الغليل - ج : ٦- ص ٢٩٧ وأخرجه الشافعي في مسنده - ص ٢٣٥ ، ٢٩٤.

٣ - سورة الطلاق : الآية (١).

ثم قال: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ يعني الزوج الثاني، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾، أي لا جناح أن يتزوج بها على شرط أن يظن أن يقيم حدود الله ، وعلق بالظن، لأن ما يكون من الإنسان في المستقبل من الممكنات لا سبيل إلى معرفته إلا بالظن، وليس شرطاً في صحة النكاح، بل في إباحته ورفع المأثم، لأن العقد صحيح، فإن ظنا أن لا يقيما حدود الله، وبين أن تلك الحدود بينها لقوم يعلمون- تنبيهاً أنهم هم الذين يتبينونها ،لقوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾[1].

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

الآية (٢٣١)- سورة البقرة.

هذه الآية ظاهرها إعادة حكم ما تقدم، وأنه يجوز مراجعتها بعد انقضاء العدة، وقد فسرت تفسيرين، أحدهما أن الأولى حكم جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين، وتحريم الرجعة بعد الثالثة، وهذه تقتضي جواز رجعتها ما دامت في العده لا عن الطلاق الثالث، وفيه زيادة حكم وإن كانت تقتضي بعض ما أفادت الأولى، وهي ما ذكر معها من الأحكام، وقوله ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ مشكل، لأن المراجعة ثابتة قبل انقضاء العدة، وظاهر هذا يقتضي أن المراجعة بعد انقضاء العدة، ووجه ذلك أن الأجل هاهنا زمان العدة لاتمام العدة، وأيضاً، فإنه يقال إذا فعلت كذا ويعني إذا خصت لا إذا فرغت منه، نحو: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[2] ، فقوله: فبلغن أي: حضن في زمان بلوغ الأجل، وأيضاً فقولهم: (بلغ) يقال لما شارف وإن لم ينته، فيقول: إذا طلقتم وشارفن الأجل، فأمسكوهن، إن قيل: ولم خص المشارفة، وقيل المشارفة هذا حكمه، قيل: لما كانوا يطلقون المرأه فيتركونها حتى تشارف انقضاء

---

١ - سورة يس - الآية : (١١) .

٢ - سورة الأنعام - الآية : (١٥٢).

العدة، ثم يراجعونها إضراراً بها، خص ذلك بالذكر، والثاني من التفسيرين أن الآية فيمن طلق امرأته تطليقة، وتركها حتى تنقضي عدتها، ثم يريد التزوج بها، وذاك أنه ذكر فيما قبل حكم الخلع، وحكم ما تصح مراجعته، ومالا تصح، وما يحتاج أن يتعاطاه المراجع، وذكر في هذه الآية حكم المطلقة تطليقة وقد انقضت عدتها،فقال: إذا طلقتم تطليقة، ﴿ **فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ** ﴾، أي انقضت عدتها، فأمسكوهن أي تزوجوا بهن على حكم الله أو اتركوهن على حكمه..

إن قيل:كيف يصح أن يعبر عن التزويج بالإمساك؟قيل: إنما استعمل الإمساك في هذا للتزوج، لأنه كان بعد أن كانت تحته، وقبل أن يملكها غيره، فقال: ﴿ **فَأَمْسِكُوهُنَّ** ﴾ تنبيهاً على هذا المعنى، أو ﴿ **سَرِّحُوهُنَّ** ﴾، أي أفرجوا عنها، ولا تخطبوها، قال: والذي يدل على هذه الآية التي بعدها، فإنها نزلت فيمن خطب امرأة كان قد طلقها تطليقة، فانقضت عدتها، فمنعت إياه، فأوصى تعالى الخاطب في هذه أنه إن أراد أن يمسكها بإعادة نكاحها، فليستعمل المعروف، وإلا فليحلها، وجل المفسرين على المعنى الأول، إن قيل: لم علق التسريح هاهنا بمعروف وفي الأول بإحسان؟ قيل: إنه لما أعيد ذكر الرجعة علق التسريح بالمعروف تنبيهاً أنه إن لم تراعوا في تسريحها الإحسان، فراعوا فيه المعروف، كما قال بعض الناس لسلطان: «**إن لم تحسن فعدلاً**»، وقوله: ﴿ **وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ** ﴾ قيل: معناه:لا تهزؤا بها، ولا تحسبوها عبثاً، نحو:﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ** ﴾(١)، وقيل: معناه: لا تعملوا بخلافها، فتكونوا كالهازئين بها، وقال أبو الدرداء: «**كان في أول الإسلام يطلقون ويعتقون، ثم يقولون: كنا نلعب**»، والإشارة بالآية إليه، وقال عليه السلام- «**ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد ، النكاح، والطلاق، والعتاق**» (٢) وحث على معرفة نعمه وما أنعم عليهم بالكتاب والحكمة.. إن قيل: كيف أفرد الكتاب والحكمة عن النعمة وهي أفضل النعم وأجلها؟ قيل: لأمرين، أحدهما: أن النعمة في تعارف الخاصة والعامة هي كثرة في المال، وصحة في البدن وسائر الزين الدنيوية، ولا يعرف الكتاب والحكمة نعمةً إلا أولوا الألباب، والثاني: أفردهما التخصيص والتفصيل كإفراد جبريل وميكائيل عن الملائكة.

---

١ - سورة الدخان : الآية (٣٨).

٢ - أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج : ٦ ص٢٨٦ ، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الطلاق - باب ماجاء في الجد والهزل في الطلاق ح رقم ١١٨٤ وأخرجه أبو داود في كتاب الطلاق - باب في الطلاق على الهزل - رقم ٢١٩٤، وأخرجه ابن ماجةَ في كتاب الطلاق - باب : من طلق أو نكح أوراجع لاعباً حديث رقم : ٢٠٣٩.

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الآية (٢٣٢)-سورة البقرة.

العضل المنع مع تضييق، يقال: عضلت الدجاجة ببيضها، والمرأة بولدها، وعلى طريق الاستعارة قال:

تَرَى الأَرْضَ مِنَّا بِالفَضَاءِ مَرِيضَةً
مُعَضِّلَةً مِنَّا بِجَمْعٍ عَرَمْرَمِ[1]

ومنه : داءٌ عضالٌ،

والعضلة الدامية، والعضلة لحمٌ مكتنزٌ في عَصَب، وبلوغ الأجل هاهنا لاستيفاء العدة، ولما بين تعالى بالآيات المتقدمة ما يجب على كل واحد من الزوجين لصاحبه في النكاح،وعند المراجعة والفدية والفراق والطلاق عدل إلى بيان ما يلزم الولي، وما يحرم عليه في تزويجها وإنكاحها، **وقيل : ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأختين، وعضلها أن يراجعها إضراراً بها، والصحيح أنه خطاب للأولياء، بدلالة** ما روي: **أن الآية نزلت في معقل بن يسار وكانت أخته تحب ابن عمٍّ له، فطلقها طلقة فلما انقضت عدتها خطبها، وهي تريد أن ترجع إليه، فقال معقل:** و الله لا أزوجها أبداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فدعاه النبي -عليه السلام، فتلاها عليه، فقال: «**سمعاً لربي وطاعة**»،[2] والحكم الوارد في سبب

١- البيت لأوس بن حجر ، وهو في ديوانه ص ١٢١ ، وأساس البلاغة ص ٣٠٨، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٧١.

٢- أورده السيوطي في أسباب النزول ، وذكر مارواه البخارى وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين فكانت عنده ، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتي انقضت عدتها ، فهويها وهويته فخطبها مع الخطاب ، فقال له : يالكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ، والله لاترجع إليكم أبداً ، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه ، فأنزل الله : (وإذا طلقتم النساء فبلغن) إلي قوله : (وأنتم لاتعلمون). فلما سمعها معقل قال : سمعاً لربي وطاعة، ثم دعاه وقال : أزوجك وأكرمك : أخرجه ابن مردويه من طرق كثيره ثم أخرج عن السدي قال : نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري ، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقه فانقضت عدتها ، ثم رجع يريد رجعتها ، فأبي جابر فقال : طلقت ابنة عمنا ، ثم تريد أن تنكحها الثانية؟ وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته ، فنزلت هذه الآية ، والأولي أصح ، وهي الأقوى . أسباب النزول - السيوطى - ص٣٣, ٣٤.كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح البارى : في كتاب التفسير من حديث معقل بن يسار فيما رواه عنه إبراهيم عن يونس عن الحسن - فنزلت الآية : (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) . فتح البارى بشرح صحيح البخارى . ج : ١٢-ص٥١٥.

لا يصح أن يكون السبب خارجاً عنه وإن أريد معه غيره، واختلف في هذاالعضل، فعند الشافعي لما كان نكاح المرأة بكراً كانت أو ثيباً لا يصح إلا بالولي، صار في منعها عن أكفائها،وعند أبي حنيفة لما كان يصح للثيب أن تتزوج بنفسها، صارفي الاعتراض علتها في سبب المهر والكفاءة، قال: والآية تدل أن لها التزوج بنفسها، لأنه قال: ﴿أَن يَنكِحْنَ﴾ فنسب النكاح إليهن، وقال أصحاب الشافعي: إنما نسب إليها، لأنه لا يصح إلا برضاها ، وكل من لا يتم الفعل من دونه، يصح أن يُنسب ذلك الفعل إليه، وأما المعروف المتراضي به في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ فعامٌ في كل ما يرجع إلى العقد، لقدر المهر وما يظهر من الرعية وخلافها، وما يعاون الزوجية مما صححها، وفي كل ما يرجع إلى حقوق الزوجية، فألزم الولي أن لا يعضلها إذا تراضوا بما هو معروف، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ فخص المؤمنين بالوعظ، وهو أنه يريد حصول الاتعاظ، وليس ذلك إلا للمؤمنين، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ زكاة الإنسان وطهارته في حقيقة كونه بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة عظيم المثوبة، وأن يصلح في الآخرة لمجاورة الملأ الأعلى، بل مجاورة الله-عز وجل- : ولهذا قال:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[1]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[2]، وجعل تعالى الدلالة على أن ذلك أزكى وأطهر أنه قد حكم بذلك وهو عالم بالأشياء كلها وأنتم غير عالمين بها، فإذا علم وحكم فحق عليكم أن تقبلوا منه حكمه، إن قيل: لم قال: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ﴾؟

قيل: في ذلك أجوبة..

أحدهـــا:

أن كاف الخطاب مع (ذا) تارةً تفيد الخطاب، فيراعى فيه المخاطبون فيثني، ويجمع، ويؤنث بحسبهم، وتارة يعتبر به الفرق بين القريب والبعيد، فيقال: (ذا) لما يتصور قريباً، و(ذاك) لما يتصور بعيداً، فلا يثنى ولا يجمع، فعلى هذا: (ذلك)، و(ذلكم).

١ - سورة الأعلى : الآية (١٤).

٢ - سورة الشمس : الآية : (٩).

والثاني أن الكاف الأولى خطاب للنبي - عليه السلام، والثانية للكافة، وعلى هذا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[1] وفائدة ذلك أن قوله: (ذلك) إشارة إلى حقائق ما تقدم، ولا يكاد يتصوره إلا هو - عليه السلام-، ومن يدانيه من أولياء الله عز وجل-، وذلك إشارة إلى العمل، والعمل به يتشارك فيه كافة المسلمين، والثالث: أن خطاب الجمع تارة يعتبر بلفظ مفرد، فيفرد خطابهم نحو بهذا القبيل: "**فعلتُ كذا**"، وتارة يعتبر معنى الجمع، فيقال: فعلتم فعلى هذا، لو قيل في الأول: (ذلكم)، وفي الثاني (ذلك) لصح، أو قيلا بلفظٍ واحدٍ لصح.

قوله - عز وجل:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

الآية (٢٣٣)- سورة البقرة .

الرضاع أصل، وعنه استعير "**لئيم راضع**" لمن تنامي لؤمه وإن كان ذلك في الأصل ممن كان يرضع غنمه، لئلا يسمع صوت شخبة، لكن تعورف في اللؤم، حتى قيل: "**رضع فلان أي لؤم**"، وسمي الثنيتان الراضعتين، لاستعانة الصبي بهما في الرضع، (وكسوتهن) عن الكسوة استعير: اكتست الأرض بالنبات، وكسوته ثناءً أو هجاءً ، وصار الكساء لضربٍ مخصوص من الثياب. والتكليف أصله فيما جعلت به الإنسان كلفاً، وصار في التعارف لما ألزمته وأكلفته بكذا جعلته كلفاً به، والكلف بالوجه لتصوره كلفه به، والميراث أصله فيما أصبته من غيره حياً كان الموروث منه أو ميتاً، لكن صار في التعارف اسماً لما يخلفه الميت من المال، والفصل ضد الوصل كالفضل، واستعماله في قطع الرطب من النبات، ومنه الفضيل، يقال: فصلت بين الكلام والعقد، وفي القضاء، وسمي الفطام فصالاً للفصل

---

١ - سورة الطلاق : الآية (١).

بين غذائي الصبي،وتعورف الفصل في السقب[1] والتشاور لاستخراج الرأي من الغير، من شُرْت العَسَلَ، (وشورت الفرس) استخرجت جريه وأشرت إليه بكذا، أي أخرجته بالإيماء من بين مايشاكله، وسمي الإصبع مشيرة، لكونها ذات إشارة، كما سميت مسبحة وسبابه، وسميت السنة حولاً، لانقلابها في فصولها وشهورها، ودوران الشمس في مطالعها ومغاديها، وذكر جماعة من الفقهاء أن قوله ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ أمر وإن كان لفظه خبراً، لأنه لو كان خبراً لم يقع مخبره بخلافه، وهذه قضية إنما تصح في كل خبر لفظه لا يحتمل التخصيص، فأما إذا كان عاماً يمكن أن يخصص على وجه يخرج من كونه كذباً، فادعاء ذلك فيه ليس بواجب، وهذه الآية مما يمكن ذلك فيه، ثم ذلك لو كان أمراً لكان أمراً للوالدات، وقد علم أن الأم وإن لم تكن مكلفة فهي أحق برضاعها، فإن قيل: فإذا لم يكن أمراً فما وجهه؟

قيل أخبر الله تعالى أن حكم الله في ذلك أن الوالدات أحق بإرضاع أولادهن سواءً كانت في حبالة الزوج أو لم تكن، فإن الإرضاع من خصائص الولادة، لا من خصائص الزوجية، ولهذا قال عليه السلام: في الأمر إنها أحق بالولد مالم تتزوج، وإنما ذكر (كاملين) لأنه قد يقال: "**فلان فعل كذا سنتين**" وإن كان ذلك في سنة وبعض الأخرى، وكذا يقال: شهرين ويومين، فأريد إزالة هذه الشبهة، وقال الفقهاء: لما جعل الرضاع حولين، وقال في موضع: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾[2]، نبه على أن الولد قد يولد لستة أشهر، وفيه تنبيه على لطيفة، وهو أن الولد متى كان زمان حمله وفاصله أقل من ثلاثين شهراً أضر ذلك به، فإذا ولد لسبعة أشهر لم يضره أن ينقص رضاعه عن الحولين، وجعل ابن عباس ذلك حكماً شرعياً، وقال: يجب أن يكون الحمل والرضاع هذا القدر، وقوله تعالى: ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ أي هذا التوقيت ليس بفرض، لكن لمن أراد إتمام الرضاعة، وفيه تنبيه أنه لا يجوز تجاوز ذلك وأن لا حكم للرضاع بعد الحولين، ويقويه ما روي جابر أنه قال عليه السلام:

---

١ - السقب هو ولد الناقة الذكر ساعة يولد، والسقب، القرب، ويقال منزل مسقب أي قريب، وفي الحديث، «الجار أحق بسقبه»، والجمع أسقب، وسقوب، وسقاب، وسقبان، المعجم الوسيط- مادة سقب.

٢ - سورة الأحقاف : الآية (١٥).

«**لا رضاع بعد الحولين**»[١] وعلى هذا يحمل قوله: «**الرضاعة من المجاعة**»، ويؤكده أن كل حكم في الشرع علق بعدد مخصوص يجوز الإخلال به في أحد الطرفين لم يجز الإخلال به في الطرف الآخر، كخيار الثلث، وعدد حجارة الاستنجاء، والمسح على الخفين يوماً وليلةً أو ثلاثة أيام، فلما كان الرضاع يجوز الإخلال به في أحد الطرفين، وهو النقصان لم تجز مجاوزته، وقوله: (وعلى المولود له..)، أي الأب، وفائدة تخصيصه بهذا الوصف دون لفظ الأب تنبيه أن الابن في الحكم للأب، وأن حظ الأم فيه يقل، وعلى ذلك دل الشاعر:

وإنما أمهات الناس أوعيةٌ

مستودعات وللأحساب آباء[٢]

وبين تعالى أن رزق المرأة المرضعة، أي طعامها وكسوتها على الأب إذا أرضعته زوجةً كانت أو مطلقةً، وفيه تنبيه أن سائر نفقة الولد، على الأب لكن أجمعو أن الولد إذا كان له كفاية، فللأب أن لا ينفق عليه، وقوله: بالمعروف تنبيه، على أن النفقة بقدر اليسار والإعسار، وجعل ذلك مؤولاً إليهم وإلى الحكام، ولم نجد فيه حداً لاختلاف الناس وقدر الازمنة والأمكنة والسن، وأكد ذلك بقوله: ﴿**لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ فلم يسم الفاعل، وقال في أخرى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾[٣]، قيل: هذا التكليف فيه مدخل للحكام، ولغيرهم فجعل لفظه منهما في موضع، ومعناه لا يجوز تكليفه إلا وسعه، وقوله: ﴿**لا تُضَارَّ**﴾ حمل على الجبر، وعلى الأمر، فأما إذا حمل على الجبر فهو تنبيه على ما بني

---

١ - الحديث أخرجه الزيلعى في نصب الراية - ج : ٣- ص٢١٨ ، وعلق عليه بقوله : قلت أخرجه الدار قطني فى سننه عن الهيثم بن جميل عن ابن عينية عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لارضاع إلا ماكان في الحولين ورواه مالك في الموطأ عن ثور بن يزيد عن ابن عباس موقوفاً ، وأخرجه الدار قطني موقوفاً علي عمرو قال : « لارضاع إلا في الحولين فى الصغر » . انظر : نصب الراية - ج : ٣- ص٢١٨ ، ٢١٩ . الطبعة الأولي - ١٩٣٨.

٢ - البيت لم أهتد إلي قائله وقبله :

لاتزر بين فتي من أن يكوم له   **أم من الروم أو سوداء عجماء**

هو في الشوارد لعبد الله بن خميس ج : ١-ص٣٧.

٣ - سورة الطلاق : الآية (٧).

تعالى عليه الغرائز في محبة الأبوين للولد وميلهما إليه، وإيثارهما له على أنفسهما، وليس ذلك في الإنسان فقط، بل في عامة الحيوانات، وذلك متقرر في النفوس حتى زعم الناس أن الهرة تأكل ولدها محبةً لهم، فأخبر تعالى عما بني الطباع عليه تنبيهاً لكل واحد من الأبوين أن لايتهم الآخر في ولده إذ قد يبلغ من شغف كل واحد منهما أن لا يأمن الآخر عليه، وقدم نفقة الأم لفرط شفقتها على شفقة الأب، وذلك بالعلات ظاهر، ثم باعتبار حال الحيوان يظهر ذلك ظهوراً بيناً، وذلك أن الحيوانات المتوالدات على ضربين، ضربٌ يجتمع الأبوان على تفقد الولد، وضربٌ تنفرد الأم به دون الأب، فالأم لا تنفك من تفقد الولد في جميع ذلك، فدل ذلك أن الله ركز في نفوس الأمهات من الاشفاق أكثر مما ركز في الآباء، وقوله: ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾ على هذا التقدير معناه عليهم أن يجروا مجراهم، وذاك أنه لما عرف من غرائز الأقارب التحاسد بخلاف ما بين الأبوين والأولاد، حتى قيل: إن الأقارب كالعقارب، بل أضَر من العقارب، نبه أن حق الأقارب أن يجروا مجراهم في شفقة البعض على البعض، إذ بينهم من النسائك، والنماذج قريبٌ مما بين الوالدين والولد، وأما إذا حمل على الأمر، فنهى أن يفعل كل واحدٍ من الأبوين ما يؤدي إلى مضرة الولد يكايد صاحبه، أو يضرب من النظر الفاسد، فمن المفسرين من حمل ذلك على ما تقدم ذكره، وأن الوالدة منهية عن المضارة المتعلقة بالرضاع، والمولود له منهي عن المضارة فيما يلزمه من النفقة والكسوة، ومنهم من جعل ذلك عاماً في كل ما يعود بضررٍ على الولد من تربيته وتأديبه وتهذيبه، وغير ذلك مما يكثر حصره، وقوله: ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾ منهم من حمل ذلك على وجوب إزالة المضارة، ومنهم من حمل عليه وعلى وجوب النفقة، واللفظ محتمل لها.

وقوله: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا ﴾ أي فطاماً قبل الحولين، وقيل: عنى بالفصال المفاصلة عن الوالدة أو الوالد إذا تراضيا بذلك وسلمه أحدهما إلى صاحبه، وعلق ذلك بالتراضي منهما والتشاور لئلا يقدم أحدهما عن غيره إلى ما يضر بالولد، ونبه بذلك أن كل أمرٍ مبهم العاقبة، فالوجه فيه الإقدام عليه بعد إجماع الآراء والاستشارة، وقوله: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾، أي إذا امتنعت الأم أو

تزوجت، فلا جناح عليكم في استرضاع غيرها. (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف)، أي سلمتم إلى المطلقة حقها، وقيل: إذا أتيتم المسترضعة أجرتها، وإذا قرىء (ما أتيتم) بالقصر[١]، فمعناه: إذا سلمتم ما تعاقدتم عليه، وفيه دلالة على جواز الاستئجار على الرضاع، وعلى جواز عقد الإجارة جملة، وختم الآية بالحث على تقواه، وتصور علم الله عز وجل- بكل ما آتاه الإنسان وتحراه، ومن قرأ (لا تضارُّ) بضم الراء[٢]، فلفظ مشتبه الآية يصلح الأمر على تقدير: (لا يُضَارِرْ) ولكن أدغم، فضم الراء لالتقاء الساكنين، ويصلح أن يكون على تقدير (لا يضارر) على الإخبار، وأن يكون على تقديره "**لا يُضارَرْ**" على مالم يسم فاعله، وإذا قرئ بفتح الراء، فليس إلا النهي على تقدير (لا يضارر) وإن كان لفظه محتملاً أن يكون نهياً عن مضارة الأم، كقولك: "**لا يضرر زيد**"..

قوله - عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

الآية (٢٣٤)- سورة البقرة .

هذه الآية ناسخة[٣] لقوله تعالى: **﴿ وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾**[٤] وإن كانت

---

١ - قرأ (ما آتيتم) بالقصر كل من ابن كثير، ومجاهد، وقرأ الباقون بعدم القصر. انظر: معجم القراءات القرآنية -ج: ١-ص١٨٠.

٢ - قرأ : (لاتضار) بالرفع ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ، وقرأ أبو جعفر بسكونها مخففة والباقون بفتح الراء . انظر : إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للدمياطي - تحقيق : الضباع - طبع مصر ، وانظر الحجة للفارسي - ج : ٢- ص٣٣٢ ، وأوردها الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٠٤.

٣ - يرى الدكتور مصطفى زيد أن هذه الآية من بين الآيات التي اشتهرت بأنها منسوخة وهي ليست كذلك، لأن الآية الأولى، تتحدث عن واجب الزوجة التي توفي عنها زوجها وأما الثانية تتحدث عن حق هذه الزوجة، كما أن أسلوبها يؤكد أن ما تشرعه حق لهن وليس واجباً عليهن، وذلك أنها تقرره على أنه وصية لهن، وعلى أنه متاع لهن إلى الحول، ثم تمنع إخراجهن، إذ تقول (غير إخراج)، ثم تزيد هذا المنع تاكيداً، إذ تقول: (فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف). وكما أن من البديهي أن الحق لا يعارض الواجب - فإن من البديهي أن لا تعارض آية تقرر الحق مع آية تقرر الواجب، وحيث انتقى التعارض بين ما تقرره الآيتان فلا مجال لإدعاء أن إحداهما منسوخة بالأخرى، النسخ في القرآن الكريم- الدكتور مصطفى زيد-ج، ٢-ص٧٧٨إلى ص ٧٨١.

٤ - سورة البقرة- الآية : (٢٤٠).

مقدمة عليه في التلاوة،(١) وظاهر الآية يقتضي تسوية الحكم في الحرة والأمة، كما قال الأصم، لكن السلف فرقوا بينهما ويقتضي أن لا فرق بين المسلمة والذمية كما قال الشافعي دون أبي حنيفه، وهذا الحكم فيمن لا تكون ذات حمل متفق عليه، فأما في ذات الحمل، فقد قال عمر وابنه عبد الله وزيد: إن عدتها أن تضع حملها، وقال الحسن: هي أن تضع حملها، وتطهر من نفاسها، وقال علي: عدتها أقصى الأجلين من وضع الحمل، ومضى الشهور. وقد روت أم سلمة أن سبيعة بنت الحارث ولدت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة، فأمرها رسول الله ﷺ بأن تتزوج(٢)، واختلف في الوقت الذي يعتد به من العدة، فقال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: **"تعتد به من يوم يموت"**، وعليٌّ والحسن: **"من يوم يأتيها الخبر"**، وقال الشعبي: إذا قامت البينة على موته، فالعدة من يوم يموت، وإلا فمن يوم يأتيها الخبر، والصحيح أنه يعتبر من يوم الوفاة فيه وقع الفرقة، كعدة المطلقة، وكاستحقاقها الميراث من يوم الوفاة، إن قيل: ما وجه تخصيص عدة المتوفاة بهذه المدة؟ قيل: قد ذكر الأطباء أن الولد في الأكثر إذا كان ذكراً يتحرك بعد ثلاثة أشهر، وإذا كان أنثى، فبعد أربعة أشهر، فجعل ذلك عدتها، وزيد عشرةً استظهاراً، وتخصيص العشره بالزيادة لكونها أكمل الأعداد وأشرفها لما تقدم في قوله تعالى:

---

١ - أورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري حديث أمية بن بسطام ، عن يزيد بن زريع عن حبيب ، عن ابن أبي مليكة : قال ابن الزبير : قلت لعثمان بن عفان : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) قال : قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال: يابن أخي ، لا أغير شيئاً منه من مكانه .
فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج :١٢ – ص ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٩.

٢- أورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده فقال : أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة ، فقال ابن عباس : آخر الأجلين . قلت أنا (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة . فأرسل ابن عباس غلامة كريباً إلي أم سلمة يسألها ، فقالت : قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت ، فأنكحها رسول الله – صلي الله عليه وسلم ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها ، كما أورده ابن حجر في كتاب الطلاق من حديث زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة زوج النبي – صلي الله عليه وسلم : أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها توفي عنها وهي حبلي ، فخطبها أبو السنابل بن بعكك ، فأبت أن تنكحه ، فقال ، والله مايصلح أن تنكحيه حتي تعتدي آخر الأجلين فمكثت قريباً من عشر ليال ، ثم جاءت النبي – صلي الله عليه وسلم فقال انكحي كما أورد ابن حجر العسقلاني مارواه البخاري من حديث يحيى بن بكير عن الليث عن يزيد : أن ابن شهاب كتب إليه أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن أبيه : أنه كتب إلى ابن الأرقم أن يسأل سبيعة الأسلمية كيف أفتاها النبي – صلي الله عليه وسلم ، فقالت: أفتاني إذا وضعت أن أنكح ،. كما أورده البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال ، فجاءت النبي صلي الله عليه وسلم ، فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت .
انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج : ١٤ ص ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ج : ١٥ – ص ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠.

(تلك عشرة كاملة)، وقوله: (والذين) هو مبتدأ، وفي خبره إشكال، فإن قوله: (يتربصن) إخبار عن الأزواج لا عن الذين، وليس فيه ضمير يرجع إلى المبتدأ، وقد ذكر في ذلك أربعة أجوبة..

الأول: تقديره: يتربصن بعدهم، وذلك عن المبرد، والثاني: أن الضمير في: (يذرون أزواجاً) أي أزواجهم، ويتربصن عاد إلى الأزواج، والضمير إذا عاد إلى المضاف إليه كان في حكم ماعاد إلى المضاف، وذلك مثل قولهم:

(من مات وحلف يتبين الثلثين)، وذلك عن الزجاج، وعلى هذا يجب أن يجوز: (صاحب الدار انهدمت)، والثالث: عُدل عن الإخبار عن الأزواج، لأن المعنى عليه، والفائدة فيه، والقصد إليه، وذلك عن الكسائي والفراء،وأنشد في ذلك :

لعلي إن مالت بي الريح ميلة　　　على ابن أبي ذبان أن يتندما [(١)]

فسكت عن ذكر خبر لعل، والرابع: تقديره: (ويذرون أزواجاً يتربصن) فيكون أزواجهم مبتدأ-، ثانياً: (ويتربصن) خبره، لكن حذف المبتدأ الثاني إيجازاً لما لم يشتبه المعنى، وإنما قال عشراً ولم يقل عشرة لتغليب التأنيث التذكير في باب التاريخ، وقال بعض النحويين: إن باب التأنيث غلب في باب العدد على عكس ما عليه حكم الباب، وعلى ذلك

«فطافت ثلاثا بين يوم وليلة. [(٢)]

١- البيت لثابت بن قطنة العتكي ، وأبو ذبان كنية عبد الملك بن مروان وكني بذلك لبخر كان به من أثر فساد كان في فمه ، ويعني الشاعر بابنه هشام بن عبد الملك والبيت فى لسان العرب مادة « ذبب » ، ومعاني القرآن للفراء - ج : ١- ص ١٥٠ ، والبحر المحيط - ج : ٢- ص٢٢٢ والدر المصون في تفسير الكتاب المكنون - ج : ٢ ص ٤٧٦ ، وتفسير الطبرى - ج : ٥ ص ٧٧.

٢ - بحثت عنه فلم أجده.

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

الآية (٢٣٥) - سورة البقرة .

الخطبة والخطبة كلاهما من المخاطبة، إلا أن بالضم خص لموعظة، وبالكسر لطلب المرأة، وإن كان في الأصل اسماً للحالة التي عليها الخاطب، والخَطْب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب، والكن جعل الشئ في الكن، والأكنان مثله، ولكن خص الأكنان بما تكنه الصدور، والكن ما يكنه البيت والثوب ونحوهما ، وسميت المتزوجة كالمحصنة كنة، والكنانة جعبة غير مشقوقة تكن سهامها ، والسر مما لم تشيعه مما في نفسك، واعتبر تارة مما يستنكف من إظهاره، فسمي غشيان المرأة به، والاعتبار بذلك.

قال الشاعر:

والسترون الفاحشات ولا تلقاك دون الخير من ستر[(١)]

وتارة اعتبر بصيانته، فسُمي المصون سراً حتى قيل:

فلان في سر قومه، والعقد يقال في الحبل وفي العهد واليمين والسميط والرمل المتداخل، و"**ناقة عاقد**" عقدت على رحمها بمنع الفحل عن نفسها ،والتعريض كالكناية، إلا أن التعريض أن تذكر ما يستفهم المقصود من عرضه، وليس بموضوع للمفهوم عنه لا أصلاً ولا نقلاً، والكناية:العدول عن لفظ إلى لفظ هو بخلف الأول ويقوم مقامه، ولهذا سمي الأسماء المضمرة في النحو الكنايات، والخوالف، والتعريض المفسح فيه هاهنا كل لفظ وإشارة تدل على النكاح لا بصريحه نحو أن يقول: أريد التزوج،

---

١ - قائل هذا البيت هو زهير بن أبي سلمي، وذلك كما في الدر الفريد وبيت القصيد ج : ٥- ص ٢٤٢.

و"**ما شاء الله كان**"، و"**إنك لنافقة**"، ونحو ذلك، وقوله: ﴿ **وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴾

قال ابن عباس: وابن جبير والشعبي ومجاهد: هو تصريح الوعد بالنكاح، وقال الحسن وجابر، الزني، وقال زيد بن مسلم لا تنكحوها في عدتها، واللفظ محتمل، ولكن الأظهر ما قال ابن عباس، لأن ذلك لم يستفد إلا بهذه الآية، فأما خطرالزنى ففي كل حال، والمنع عن التزوج بالمعتدة معقول من غير هذه الآية، ويصح حملها على كل ذلك، فقد نهينا عن جميعه، وقوله: ﴿ **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ** ﴾ أي لما علم رغبتكم فيهن وخوفكم أن يسبقكم إليهن غيركم، أباح لكم التواصل إلى مرادكم بالتعريض وليس النهي عن العزم نهياً عن حكم الضمير، فقد أباح لنا التعريض فضلاً عنه، وإنما عنى بت القول، وقوله: ﴿ **حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ** ﴾ أي تنقضي العدة، والكتاب عبارة عن المدة المفروضة أو أريد حكم الكتاب، وقوله: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ** ﴾ دل على معنيين ،أحدهما: ما في قوله: ﴿ **يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾[1] ، والثاني : ما في قوله: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾[2] ، تنبيهاً أنه علم شرور أنفسكم، ثم حذرنا منه كقوله: ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾[3] ، ثم رجانا غفرانه، وسكن منا بما أنبأنا من حلمه بقوله: ﴿ **أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾، واللفظان: أعني ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ** ﴾، وقوله: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ حيث على ما وصف به أولياءه في قوله: ﴿ **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** ﴾[4] .

---

١ - سورة طه : الآية (٧).

٢ - سورة يوسف : الآية (٥٣).

٣ - سورة آل عمران : الآيتان (٢٨، ٣٠).

٤ - سورة الإسراء: الآية (٥٧).

قوله - عز وجل :

﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ الآية (٢٣٦)- سورة البقرة .

المقتر: الفقير، وأصله من ينال القتر، كما أن المترب والمرمل أصلهما من نال التراب والرمل،والقتار ما يحمله الريح من رائحة القدر على العثان[١] والغبار، فدخل قاتر خفيف، كأنه قتر في الخفة، وذلك لقولهم: هو في الخفة هباء، والقترة ناموس الصائد اعتباراً بأنه حافظ لقتار الإنسان أي ريحه، وذلك أن الصائد يجتهد أن يخفي عن الوحش ريحه فصلاً عن شخصه لئلا يند عنه، وأبي قرة لحيته صغيرة الجرم خبيثة الأثر، وتسميتها بذلك على حسب اعتقادهم أن الحية كلما ازدادت سنا وخبثا صغرت جرماً وجسماً ولهذا قال الشاعر:

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الكِبَرِ[٢]

وقال : **دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ**[٣]

فأتى بلفظ التصغير لما أراد تعظيم الوصف، وكثرة الماس والماسة في الكناية عن الجماع حتى صار كالصريح، والمتعة اسم لكل ما فيه تمتع أو انتفاع قدراً من الزمان، وعلى ذلك قوله: **﴿ وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾**[٤] ، وقول الشاعر:

إِنَّمَا نِعْمَةُ الْمَرْءِ مُتْعَةٌ ... وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ[٥]

---

١ - العثان: هو الدخان وأكثر ما يستعمل فيما يتبخر به، ويطلق على الغبار أيضاً المعجم الوسيط- مادة- عثن.

٢ - هذا شطر بيت للنابغة الذبياني وتمامه :-

داهية قد صغرت من الكبر ... كأنما قد ذهبت بها الفكر

وهو من قصيدة مطلعها : **صلٌ صفا لاتنطوى من القصر ... طويلة الإطراق من غير خفر**

والصل : الحية الدقيقة الصفراء ، والصفا جمع صفاة وهى الصخرة أو الحجر الأصم ، من غير خفر -أى من غير حياء أو خجل.

والبيت فى ديوان النابغة - ص ٧٥ . .

٣ - هذا عجز بيت للبيد ، وشطره : وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل وهو في ديوانه - ص ١٣٢، والأنصاف في مسائل الخلاف - ص ١٣٩، وأمالي ابن الشجري - ج : ١ ص ٢٥، وشواهد الكشاف - ص ٤٨٢، والمفصل لابن يعيش - ج : ٥ ص ١٤ ،الدويهية : هي الموت ، والبيت للبيد بن ربيعة من قصيدته المشهورة التى مدح بها النعمان وهى أكثر من خمسين بيتاً أولها: **ألا لاتسألن المرء ماذا يحاول ... أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطل؟**

شرح شواهد الكشاف - تأليف: محب الدين - إخراج: عبد الله بن خميس -ص٣٦١.

٤ - سورة يونس : الآية (٩٨).

٥ - البيت للأفوه الأودي والبيت بعده :

وصروف الدهر في أطباقه ... خلعة فيها ارتفاع وانحدار

انظر الشوارد - لعبد الله بن خميس - ج :١- ص٢٠٢.

لكن صارت المتعة في تعارف الشرع، لما تخص به المطلقةواختلف الناس في المتعة، أواجبة هي أم غير واجبة، فإن وجبت، فلأي مطلقة تجب؟، وكم قدرها؟ وبأي الزوجين تعتبر؟ وأما وجوبها فعند ابن أبي ليلى ليست بواجبة على مطلق، بل إن شاء فعل، وإن شاء ترك، وقال علي: واجبة لكل مطلقة، وقال مالك وليث: لا يجيز عليها علي كل حال، وعند الشافعي المطلقات على ثلاثة أضرب، مطلقة قبل الفرض والمسيس، ولها المتعة قولاً واحداً، ومطلقة بعد الفرض والمسيس مفوضةً كاتبا، ومسمى لها، وفي وجوب المتعة لها قولان، وأما قدرها، فالصحيح أن لاحدَّ له، وإن كان قد قال بعضهم للموسر خادم، وللمعسر خمار وجلباب ونحوهما من الثياب، وقال الشافعي: واستحسن بقدر ثلاثين درهماً، وأما اعتبار ذلك بأيهما، فقد قال أبو حنيفة بهما، والأظهر أنها تعتبر بالزوج لتخصيصه في الآية، وقوله (أو تفرضوا) تقديره أو لم تفرضوا، فهو معطوف على قوله: تماسوهن، وأوفى نحو هذا الموضع يفيد ما يفيد الواو على وجه، وذاك أنه إذا قيل: "**افعل كذا إن جاءك زيد أو عمرو**" يقتضي أن يفعله إن جاء أحدهما، ولا شك أنه يحتاج أن يفعله إذا جاءا جميعاً، لأنه قد جاء أحدهما وزيادة، وعلى هذا قال النحويون: "**جالس الحسين وابن سيرين**" يقتضي أنه إذا جالسهما، فقد امتثل، وعلى هذا قوله - عز وجل: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا** ﴾(١) ، وقوله: ﴿ **وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾(٢) ، فظاهر الآية يقتضي أنه لم يكن مسيس أو لم يكن لها فرض أو لم يكن الأمران، فلها المتعة كالأمثلة المتقدمة، لكن لما حكم لمن فرض لها ولم يمس في الآية التي بعدها صار ذلك كالمستثنى عنه، فكأنه قيل: إذا طلقتموهن ولم يحصل الأمران الفرض والمسيس أو حصل المسيس، ولم يحصل الفرض، فمتعوهن إن قيل: ما في قوله ﴿ **مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ** ﴾ يقتضي الشرط، وذلك يوجب أن رفع الجناح عن المطلق بشرط عدم المماسة، وعدم الفرض، ومعلوم أن الجناح مرفوع عن المطلق، مسها، أولم يمسها، فرض أولم يفرض، فما وجه ذلك؟ قيل: القصد بالآية أن الجناح مرفوع بإعطاء المتعة، فكأنه قيل: لا جناح في طلاقها إذا متعها، ودل على ذلك بقوله: ﴿ **وَمَتِّعُوهُنَّ** ﴾، وقد علم أن الجناح غير مرفوع عمن لم تمتع إذا طلقها قبل الفرض والمسيس، وقوله: ﴿ **عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ** ﴾ أي قدرُ ما يحتمل حالاهما..

إن قيل: ما وجه تخصيص المحسنين في هذه الآية، والمقتر في قوله: ﴿ **وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾(٣) ، وهلا دل ذلك على أنه غير واجب إذ كان الواجبات من المشروعات لا يختلف فيها المتقي والمحسن وغيرهما، قيل: قد نظر بعض الناس هذاالنظر وقال : لماكان الإحسان قد يكون لما يزيد على الواجب، وقد خص بذلك المحسنين دل على أن ذلك حث على المعروف لا إيجاب، وقال أكثرهم: إن ذلك للمحسنين والمتقين لا لتخصيص الإيجاب، بل للتأكيد، وأنه من تمام الإحسان والتقوى، كما أن قوله: ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾(٤) ليس بتخصيص أنه لا يهدي به إلا المتقين، لكن يبينه على أن الاهتداء به من تمام التقوى.

---

١ - سورة الإنسان : الآية (٢٤).

٢ - سورة المائدة : الآية (٦).

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٤١).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢).

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

الآية : (٢٣٧) - سورة البقرة .

النصف كل واحد من الجزئين المتساويين من مقدار واحد، وتصور منه القسمة المستوية، فسمي العدالة نصفاً والنصف بين المسنة، والصغيرة كأنها هي التي استوفت نصف العمر والناصف الخادم المبالغ في الخدمة كأنه ينصف صاحبه أي في الخدمة بقدر ما يستوفى عنه من المنفعة، والنصيف للخمار بين الصغيرة والكبيرة، والمنصف ما أعيد إلى النصف بالصبح، والنصيف ضرب من المكيال، لكونه عادمها، أو كونه بين بين.. (والذي بيده عقدة النكاح)، قيل: هو الولي الذي كان ما لكان للعقد في الأصل وقيل الزوج الذي هو مالك للعقد في الحال، وهو أولى، لأن الولي يملك العقد، والزوج هو الذي يملك العقده لأن العقدة اسم للمفعول كضحكه وهزأه، وعفو المرأة أن تترك المهر أو تسامح، وعفو الزوج أن يوفيها كله أو فضلاً عما تستحقه من النصف فإن قيل جعل الذي بيده عقدة النكاح للولي، فكيف يصح منه العفو عما تستحقه المرأة، قيل: قد قال الشافعي: إن ذلك مخصوص في الصغيرة إذا كان وليها أباها أو جدها..

إن قيل: العفو في الترك لا في الإعطاء، والزوج هو المعطي، فكيف يصح منه العفو؟

قيل: إن ذلك في العفو عن الشئ لا في العقوبة، وقد يقال: عفى فلان بكذا إذا بذل، والصداق المفروض تستحق المرأة أخذه بالعقد، فإن أخذبه، وإلا ففيي حكم المأخوذ، فإذا عفى به كملا، فكأنه قد عفي عنه، ودل قوله تعالى: **﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾** أن المرأة متى فرض لها بمثل العقد، ثم طلقت قبل الدخول، فلها نصف المفروض بخلاف ما قال أبو حنيفة ان المفروض يسقط وتجب المتعة، وقوله: **﴿ وَأَن تَعْفُوا ﴾** وإن كان بالقصد الأول حثاً للزوجين على التسامح خطاب عام لهما ولكافة الناس وحث

لهما على استعمال العفو وترك التشرد، وإن بعض ما وجب لك أقرب إلى الهوى، ثم قال: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ﴾ أعم من العفو، لأنه يتناول ترك ما وجب لك، وإعطاء مالا يلزمك، ولهذا قيل: "**الفضل فوق العدل**"، وقيل: "**الكرم في الفضل لا في العدل**"، ولما حث فيما تقدم على استعمال العدالة، نبه بقوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ﴾ أي: لا تتركوا الفضل مقتصرين على تحري العدالة.

قوله - عز وجل :

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ الآية : (٢٣٨)-سورة البقرة.

الحفظ والتعقد والتعهد والرعاية والحماية والصيانة متقاربة، لكن الحفظ أعلم ذلك، والتفقد حفظه، أي تفقد وكأنه مطلب في كل حال، هل فقد إشفاقاً عليه، والتعهد تجديد العهد به حالاً فحالاً، والرعاية حفظ ما به قوامه، كرعي الغنم للحماية حفظه عما يريده بسوئه...، والصيانة: صيونة بما تقيه، والوسط معروف يقال بوسط فلان القوم سبطهم، وقد تصور الوسط على وجهين، محمود ومذموم، فاستعمل فيهما، أما المحمود فالمصون من الإفراط والتفريط، كالعدل، ولهذا قيل للعدل الوسط والسواء والنصف، وأما المذموم، فيتصور شئ له طريقان: محمود، ومذموم، فالسالك من الطرف المحمود إلى الطرف المذموم إذا انتهى إلى النصف، فقد فارق المذموم، فكنى به عن الذم، وأما أصل "**القنوت**" القيام على سبيل الخضوع، ولما كان الخضوع قد يكون بالدعاء والتضرع، وبالإمساك عن الكلام، وبخفض الصوت، وغض البصر، وبذل المال فنبه بكل واحد من ذلك، وسمي الدعاء بعد الركوع قنوتاً، والصلاة الوسطى الظهر عن زيد بن ثابت، وابن عمر كأنها اعتبرت بالنهار، وكونها في وسطه، والمغرب عن قبيصة بن دويت، لكونها وسطاً بين الركعتين والأربع اللتين بنى عليهما عدد الركعات، والصبح عن جابر، لكونها بين صلاة الليل والنهار، قيل: ولهذا قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾[1] أي صلاته، فخصها بالذكر، لكثرة الكسل عنها، إذ قد تحتاج إلى القيام إليها من لذيذ النوم، ولهذا زيد في أذانه: **(الصلاة خيرٌ من النوم)**، وقيل: هو العصر فيما

---

١ - سورة الإسراء : الآية (٧٨).

يروى عن النبي ﷺ وعلي وابن عباس، وهو الأصح، لما روي أن ابن حبيش قال: قلت ليسرة: سلي علياً عن الصلاة الوسطى، فقال: كنا نرى أنها صلاة الفجر، حتى سمعت رسول الله ﷺ يوم الخندق يقول:«**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قلوبهم أو قبورهم ناراً**» [١] ، وروي البراء أنه كان يقرأ: «**حافظوا على الصلوات وصلاة العصر**»[٢] ، ثم نسخ بقوله : الوسطى، وفائدة تخصيصها بالذكر، لأن وقتها في أثناء الأشغال العامة الناس بخلاف سائر الصلوات التي يكون فراغ ما إما قبلها، أو بعدها، ولذلك توعد النبي ﷺ بتركها، فقال: «**من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر ماله وأهله**»[٣] ، واستدل بهذه الآية بعض الشافعية أن الوتر ليس بواجب، لأنه لو كان واجباً لكان أعداد الواجبات ستة، فلم يكن لها وسطى، وقال بعض المتأخرين: الصلاة الوسطى إشارة إلى النوافل المشروعة بين المكتوبات إما قبلها، وإما بعدها وإما قبلها وبعدها، وقال بعضهم:

عنى بالصلوات أنواعها كلها، فرائضها ونوافلها المؤقتة، والمشروعات عند أسبابها كالخسوفين، والاستسقاء، والنذر، فأمر تعالى بالمحافظة على جميعها، ثم قال: ﴿**وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ**﴾ أن الفرائض، ومعنى الوسطى: الشريفة، فخصها بالذكر مع دخولها في العموم، ثم أعقبه بقوله: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ وبقوله: (فإن خفتم)- تنبيهاً أن فعلها واجب بحسب الإمكان في جميع الأحوال، والمحافظة عليها مراعاة وقتها وتوفية شرائطها في أدائها كما ذكر في إقامتها في قوله: ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾[٤].

١- الحديث رواه مسلم فى صحيحه في المساجد رقم ٦٢٧ ، وهو في فتح الباري في كتاب التفسير - ج : ٨ ص١٩٥.

٢- روي الإمام مسلم عن البراء بن عازب قال : نزل : (حافظوا علي الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها ماشاء الله ، ثم نسخت فنزلت : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فقال رجل : فهى إذن صلاة العصر ، فقال : أخبرتك كيف نزلت .. وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح البارى - كتاب التفسير - ج : ١٢ - باب : (حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطي) - ص٥٢١.

٣- الحديث أخرجه الشيخان عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : «إن الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله» انظر: فتح الباري في المواقيت - ج : ٢- ص٢٤، وأخرجه مسلم في صحيحه فى المساجد برقم ٦٢٦ ، وأورده مالك في الموطأ - ج :١- ص١١ وغيرهم - وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص٨٧٠ .

٤- سورة : البقرة - الآية : (٣).

إن قيل: ما وجه فائدة ذكر المحافظة على الصلاة فيما بين حكمي الطلاق والعدة؟

وهلا أفرد عن ذلك؟ فإن إفراد كل باب من الحكم أحسن في الترتيب من خلط بعضه ببعض، قيل: أما أولانا: فآيات القرآن منزلة حسب الحاجات، ولهذا قال الكفار: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[1] أعلمهم أنه فعل ذلك ليقوى عليه الصلاة والسلام- على تلقينه وتلقنه فقال: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[2] ، ثم إن الله تعالى لا يخلي شيئاً يذكره مما تعلق بالأحكام الدنيوية إلا ويقرنه بحكم أخروي لينبههم إلى مراعاة الآخرة في جميع أحوالهم وأعمالهم، وأنها هي المقصودة بالقصد الأول وسائر ما يتحرى، فلأجلها، على أن ما يرونه موجود هاهنا ومحفوظ، وأبلغ وأحسن مما راعاه أصحاب القوانين، لأنه لما حثهم على العفو، ورغبهم في المحافظة على الفضل، عرفهم أن السلوك إلى التخصيص بذلك هو المحافظة على الصلوات في كل حال، فإن الصلاة هي الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر، كما قال: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[3] ، ثم صرف الكلام إلى ذكر ما كان بصدده، فتممه، وهذا النحو من جنس ما يسمى بـ التفات المعدود في بديع الكلام..

قوله تعالى:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

«الآية (٢٣٩)- سورة البقرة»..

الركوب: كون الشئ فوق آخر، يقال لكل مركوب ركوب، وخص الراكب في تعارف العرف يمتطي البعير، وسمى المطية ركاباً، وما يجعل الراكب رجله فيه ركاب، وأركب المهر، بحيث يركب، وتعورف المركب، والمركب فيمن ركب فرس غيره، وفيمن يعجز عن الركوب من قوله: ثم الطيور المركبا.

والركبة: بهذا الاعتبار سميت، وقيل: "**فرسٌ أركب، أي**" عظيم الركبة، وركبته: أصبت ركبته،

١ - سورة الفرقان : الآية (٣٢).

٢ - سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

٣ - سورة العنكبوت : الآية (٤٥).

نحو: فأدته[١] ورأسته، وقال: إذا أصبته بركبتك، نحو: بدنته وعنته، أصبته بهما، والمركب كناية عن فرج المرأة، وهو العانة من المرأة، كما كني عن المرأة بمظنة، وقعيدة، لكونها مقتعدة، ورجال: جمع راجل، نحو صحاب وقيام، ويقال: نساء رجال، كما يقال: رجالُ رجالٍ، أمر تعالى بفعل الصلاة على الوجه الممكن، وعلى هذا دل قوله: ﴿ **فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾[٢] وعلى هذا قد حمل قوله: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ** ﴾[٣]، وجعل بعضهم الذكر هاهنا مخصصاً بالصلاة، وجعله بعضهم عاماً فيه وفي غيره من الأذكار، وحث على ذكره والصلاة كيفما يقتضيه ما علم من الأحكام وسائر العلوم..

قوله - عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ «الآية: (٢٤٠) سورة البقرة»..

عامة المفسرين على أن قوله تعالى:

﴿ **وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم** ﴾ أمرٌ من الله عز وجل- بأن يوصي الرجال للزوجات أن تعمر بعد وفاتهم حولاً، وقالوا: اقتضت الآية ثلاثة أحكام: عدة سنةٍ، ونفقتها، وسكناها في تركة زوجها مادامت معتدة، وكونها ممنوعةً من الخروج، فنسخ منها مازاد على أربعة أشهر وعشر بالآية المتقدمة، ونسخ وجوب الوصية لها ما به الميراث، ولم يثبت نسخ للخروج، فصار ذلك ثابتاً في العدة الثانية، وقال بعض المتأخرين:

---

١ - فاده فأداً: أي أصاب فؤاده، ويقال: فأده الداء، فأده الخوف، فأد الخبز أو اللحم أي أنضجه في الرماد الحار والفؤاد هو القلب المعجم الوسيط :مادة فأد ورأستة . من رأس فلان رياسة ورئاسة ورآسة أي شرف قدره وزاحم على الرياسة وأرادها. المعجم الوسيط مادة. رأس.

٢ - سورة النساء : الآية (١٠١).

٣ - سورة النساء : الآية (١٠٢).

ليست هذ الآية منسوخة ولا تأويلها على ما تصوره، وإنما قوله: (وصية) مصدر في مواضع الحال، أو خبر ابتداء مضمر في موضع الحال في قول من رفع، والآية إخبار عن الجاهلية فيما كانوا يفعلونه، وإبطال لحكمهم في تقديرها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ موصين لها بمتاع، أي بعطيه على أن لا يُخرجن إلى الحول، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾، أي لا إثم في إبطال ذلك على ما أمر الله به، وبينه، ودعاكم إليه، فهذا توكيدٌ للآية المتقدمة، وتنبيهٌ أن ما كانوا يفعلونه لا يلزمكم، بل الذي يلزمكم ما بُين في الآية المتقدمة، فقوله:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ مبتدأ، وما بعده إلى قوله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ في صلته، وفي قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ في موضع الخبر، ودخول الفاء فيه لكون المبتدأ موصولاً، نحو: "**الذي يأتيني فله درهم**"، وهذا الوجه صحيح من وجه، حيث اللفظ وعلى ما عليه الحكم، لكن عامة السلف في تفسيرها على ما تقدم، ويوضح ذلك أن امرأة أتت النبي ﷺ، فذكرت أن بنتاً لها توفي عنها زوجها اشتكت عينها وهي تريد أن تكحلها، فقال رسول الله ﷺ الله: «**فقد كانت إحداكن تلبث سنة، ثم ترمى ببعرة عند رأس الحول، فهلا أربعة أشهر وعشرا؟**»[(١)] .

وذكر رواية بنت أبي سلمة أن المرأة كانت إذا توفى عنها زوجها دخلت خيشاً، ولبست شرشابها، ولا تمس طيباً حتى تمر سنة، ثم تؤتى بدابة، حمارٍ أو شاةٍ أو طيرٍ، فتقتص له، فعل ما يقتض شيئاً إلامات، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمى بها، ثم تراجع ما شاءت من طيب أو غيره.. إن قيل: لم قال في هذه الآية، وفيما قبلها: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾؟ فرفع الجناح عن الرجال فيما فعلن، وذلك يقتضي أن يزر أحدنا وزر الآخرة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[(٢)] .

١ - الحديث أخرجه النسائي في سننه في باب «النهي عن الكُحْل للحادّة من حديث زينب بنت أبي سلمة عن أمها أن امرأة من قريش جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقالت: إن ابنتي توفى عنها زوجها وقد خفتُ على عينها، وهي تريد الكحل، فقال. "قد كانت إحداكنَّ ترمى بالبعرة علي رأس الحول، وإنما هي أربعة أشهر وعشراً...الخ الحديث." والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه -ج:٥-ص٢٠٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أم سلمة -ج:٦-ص٢٩١ ، ٢٩٢، ص ٣١١.

٢ - سورة الأنعام : الآية (١٦٤) ، سورة الإسراء : الآية (١٥) ، سورة فاطر : الآية (١٨).

قيل: قد يرون في قراءة ابن مسعود: (لا جناح عليهن)، والصحيح ما عليه المصاحف، ووجه ذلك أمران:

أحدهما: أن النساء لماكن تابعات للرجال، وتحت أمرهم، صار الجناح في كثير مما يفعلن راجعاً إليهم إذا لم ينهوهن،ولهذا قال: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[1] ،والثاني: أن ما أشير إليه، فإنهن يفعلن في أنفسهن هو أمرٌ يتعلق بالرجال، فلا يمكنهن أو يساعدوهن وكلُّ مَوْضعٍ اجتمع مذكَّرٌ ومؤنَّثٌ أو مُخَاطَبٌ أو غَائِبٌ، فالحُكْمُ في اللفظ للمذكر والمخاطب دون المؤنث والغائب، فلهذا قال: عليكم إن قيل: لم قال هاهنا ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾، وقال فيما قبله (بالمعروف)، وقال هاهنا: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وفي الأول: (والله بما تعملون خبير)؟

قيل: إن "مِنْ" والباقي مثل هذا الموضع يتقاربان حكماً، وإن كانا يختلفان من حيث العربية تقديراً، فقوله: ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ إباحةٌ لجنس الأفعال المعروفة، أي المباحة لجنسه، وقوله: (بالمعروف) في موضع الحال، وهو إباحةٌ لما فعلته على شريطة تحري المعروف وقال ههنا: لماَّ ذَكَرَ ما هو تعريضُ التغيير أو غيره على التفسير المتأخر، قال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تنبيهاً أنه تعالى قادرٌ على تغيير ما يُغَيَّر غير لاحق به مضرة من مخالفتكم له،ولا منفعة في موافقتكم إياه أمره وحكمته في تغييره، وقال في الحكم المقرر عليهم على التأييد، (والله بما تعلمون خبير)- تنبيهاً أن من قصر فيما رسمه، فمجازى به..

قوله – عز وجل :

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ – الآية : (٢٤١) – سورة البقرة

إن قيل: ما وجه تكرير "**ذلك**" وتخصيص "**المتقين**"؟

قيل: من المفسِّرينَ مَنْ جعل هَذَا المتاعَ للمطلقات عامةً على سبيل الاسْتِحْبَابِ، لا على الإيجاب،

---

١ – سورة التحريم :الآية (٦).

وقال: أراد الله أن يكون تشريحاً على وجهٍ تطيبُ به نفسها، ويزول عنها مَا خَامَرَهَا من وَحْشَةِ الْفَراقِ، ومنهم من قال : هو على الإيجاب، وإليه ذهب ابن جبير، وأبو العالية، ويكون تخصيص من تقدم ذكرها لتأكيد أمرها، ومنهم من قال: يعني بالمتاع المتعة، وإنما عنى مالها من المهر والسكنى، وأما تخصيص "**المتقين**" فقد تقدم..

قوله - عز وجل :

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الآية : (٢٤٢) سورة البقرة

نبه أنه كما بين لكم هذه الأحكام يبين لكم سائر الآيات العقلية والسمعية لتكونوا أقرب إلى استعادة العقل المكتسب وقد تقدم أن أمير المؤمنين قال: العقل عقلان: مطبوع، ومسموع ولا يصلح أحدهما إلا بالآخر، فالأول هو الذي يتعلق به صحة التكليف المتناهية بقوله عليه الصلاة والسلام:

«إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ، قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك بك آخذ، وبك أعطي»[1] .

١ - اختلفت الآراء في الحكم على هذاالحديث: فالعجلوني يقول في كشف الخفاء: قال فيه الصفاني وابن تيمية وغيرهما: إنه موضوع باتفاق- كشف الخفاء-ج:١-ص٢٣٦، ٢٦٣، وهناك من يرى أن الحديث ليس موضوعاً باتفاق، بل رواه بعضهم بإسنادين ضعيفين، وقيل: رواه أحمد في زوائد الزهد عن الحسن البصري يرفعه، وهو مرسلٌ جيد الإسناد، وقد قال السيوطي في الدر: إني وجدت لهذا الحديث ألاً صالحاً، وهو مرسل جيد الإسناد وذلك كما في جامع الأصول ج:٤-ص١٨ وفي المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري الهروي ص٣٥ وكشف الخفاء -ج:٢-ص١٤٨، وقال العراقي: رُوِي هذا الحديث من حديث أي أمامة وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة، فأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في كتاب فضائل الاعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشي حدثنا عمر بن أبي صالح العتكبي عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- لما خلق الله العقل.. الحديث وعمر بن أبي صالح ذكره العقيلي في الضعفاء وأورد له هذا الحديث وقال الذهبي في الميزان: لا يُعرف، قال: ثم إن الراوي عنه من المنكرات، قال: والخبر باطل وقال أبو نعيم: غَريب من حديث سفيان ومنصور والزهري لا عزم له راوياً عن الحميدي إلا سهلاً، وأراه واهياً.. تخريج أحاديث الإحياء وقال فيه الدكتور/ عبد المجيدالنجار"ولا يبعد أن تكون مثل هذه الأفكار متسربة من الثقافة الفلسفية اليونانية فيما عُرِف فيها من أن الله (العقل الاول) فاضتمنه عقول عشرة مترتبة في الشرف، ثم من العقل العاشر وُجدت المادة المحسوسة"، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين- تقديم وتحقيق:الدكتور/ عبد المجيد النجار- ط: دار الغرب الإسلامي والحديث أخرجه الطبراني في معجمه ج: ٨-ص ٢٤٠، والزبيدي في الإتحاف - ج:١- ص٤٥٣، ج:٧-ص٢٠٩، والسيوطي في اللآليء المصنوعه ج:١-ص٦٧ وابن عراق في تنزيه الشريعة ج:١-ص٢٠٣، وابن الجوزي في الموضوعات -ج:١-ص١٧٤، ١٧٥.

والثاني: هو الذي قال عليه الصلاة والسلام لعليٍّ: «**يا عليُّ: إذا تقرَّبَ النَّاسُ إلى خَالِقِهِمْ بالصَّلاةِ وَالصَّوْمِ، فتقرَّبْ إليْهِ بأنْواعِ العَقْلِ تَسْبِقْهُمْ بالدَّرَجَاتِ والزُّلْفَى عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنيا، وعِندَ اللهِ في الآخِرَةِ**»[1]، فهذا الثاني هو العقل المشار إليه بقوله تعالى: **﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾**، وهو في الحقيقة الإيمان والتقوى والإخلاص.

قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ الآية :(٢٤٣) - سورة البقرة .

رأيت : تتعدى نفسه دون الجار، لكن لما استعير قولهم **﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾** لمعنى: (ألم تنظر) عدى تعديته وفائدة استعارته أن النظر قد يتعرى عن الرؤية، فإذا أريد الحث على نظر ناتج لا محالة للرؤية استعيرت له، وقل ما استعمل ذلك في غير التقرير، ولا يقال: رأيت إلى كذا، وكما أن الرؤية ضربان، رؤية بصر، ورؤية بصيرة، كذا أيضاً النظر والإبصار، وألوف جمع ألف كشخوص، وعيون وقيل جمع ألف كحمول، وحلوم، وروي في الخبر أن قوماً من بني إسرائيل خرجوا من ديارهم- تفادياً من الطاعون فأماتهم الله، ثم أحياهم ليعرفهم عياناً تحقيق مادل عليه قوله: **﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾**[2] ، وقوله: **﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾**[3] ، وقوله: **﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ**

١- هذا الحديث مشهورٌ بألفاظ قريبة من هذا اللفظ، ولذا أوردته كل نسخة بلفظ متقارب- أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي "إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا- عز وجل- فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة،، وقال الحافظ العراقي: وإسناده ضعيف ، والحديث في الجزء الثالث من أمالي أبي القاسم بن على النيسابوري قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى أخبرنا محمد بن منصور العتكى حدثنا محمد بن أشرس السلمى حدثنا سليمان بن عيسي السنجري عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن على رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم : « إذا اكتسب الناس إلي خالقهم بأنواع البر فاكتسب إليه بأنواع العقل تسبقهم بالقربة والراحة والدرجات فى الدنيا » - تخريج أحاديث إحياء علوم الدين - للعراقي وابن السبكي والزبيدي- استخراج : أبي عبد الله محمود الحداد - ط : دار العاصمة للنشر - الرياض - سنة ١٩٨٧ ، وأورده الراغب في كتابه : « الذريعة إلى مكارم الشريعة - ص ١٦٩ - تحقيق الدكتور / أبو اليزيد العجمي - ط : دار الوفاء ودار الصحوة - سنة ١٩٨٥م.

٢ - سورة الأحزاب : الآية (١٦).

٣ - سورة النساء: الآية (٧٨).

يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1] ، وقـوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِيـنَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنـدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾** [2] ، وقـوله : **﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾**، تنبيـه أن الكثرة والتعاضد وإن كانا نافعين في دفع الأزمات الدنيوية، فليس بمعنية في الأمور الإلاهية، فمن جعل ذلك جمع ألف، فنظر منه إلى نحو ما قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ يُخْشَى   وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحُ[3]

ومن جعله جمع ألف، فنظر إلى نحو قولهم: "**لن يعجز القوم إذا تعاونوا**"، ومن جعله جمع ألف، فقد قيل: كان عددهم أربعة آلاف عن السدي، وقيل: كانوا أكثرمن عشرة آلاف عن ابن عباس والحسين والضحاك، وهو الأصح، لأن ذلك جميع للكثير ولو كانوا أقل من عشرة لقتل آلاف، وقيل: معنى أماتهم: ذللهم تذليلاً يجري مجرى الموت فلم تغن عنهم كثرتهم وتظاهرهم من ا شيئاً، ثم أحياهم، أي أعانهم وخلصهم ليعرفوا قدرة ا تعالى في أنه يذل من يشاء، ويعز من يشاء، وتسمية الشدائد موتاً، لكونها أعظم الموتين، كما قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت   إنماالميت ميت الأحياء[4]

وقيل: أشد من الموت ما يتمنى له الموت، وقيل: عنى بالموت الجهل، والحياه العلم، وقال ابن عباس في قوله: **{أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}**[5] أي : جاهلاً فعلمناه كما يحيا الجسد بالروح، ووصل ما أراهم من الآية العظيمة من إحيائهم بذكر ماله عليهم من النعمة وقلة شكرهم له..، وقوله:

---

١ – سورة يونس : الآية (٤٩)   ٢ – سورة آل عمران : الآية (١٥٦).

٣ – قائل البيت هو ناهض الكلابي وذلك كما فى مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد- لمحمد بن أيدمر – ج : ٢- ص٢٣٧. وقد أورد الراغب هذا البيت فى محاضرات الأدباء منسوباً إلى هذا الشاعر فى باب الحث على التظاهر وبعد هذا البيت :-

وأن القدح يكون فرداً   فيهصر لايكون له اقتداح

محاضرات الأدباء ج : ١ – صـ ٢٧١

٤ – البيت لعدى بن علاء الغساني ، وبعده : **إنما الميت من يعيش كئيباً   كاسفاً باله قليل الرجاء**

وهما في الإصمعيات ص ١٥٢ ، والحماسة الشجرية – ج :١ ص١٩٤ ، وأمالي ابن الشجرى – ج : ١ ص ١٥٢ ، وابن يعيش – ج :١٠ – ص٦٩ ، والأشموني – ج :٢–ص١٦٩.

٥ – سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾،(١) كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(٢) ، لكنه أبلغ في الذم، لأنه نفي وقوع شكر منهم، وشكور هنا مبالغة، وقد لا يكون شكوراً من كان شاكراً..

إن قيل: لم أعيد ذكرالناس ولم يقل: (ولكن أكثرهم)؟

قيل: لأن الناس في الأول عام لكون نعمته على جميعهم، وفي الثاني خاص للمكلفين، لأنه لا يلزم شكرهم غيرهم، فكأنه قيل: ذو فضل على جميع الناس، ولكن أكثر المكلفين لا يشكرون..

إن قيل: لم خص النبيﷺ بهذا الخطاب، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾(٣) ؟

قيل: لأن ذلك لما كان من الاعتبارات التي تخفي إلا على ذوي البصائر من الأنبياء ومن يدانيهم في العلم ولم تكن من المحسوسات المشاهدة، وخصه بالخطاب، وفي الآية الأخرى ونظائرها لما كانت من الأمور المحسوسة عمهم بالخطاب.

قوله - عز وجل :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية (٢٤٤)..

قال: تقديره (وقيل لهم بعد ذلك: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولفظ الحكاية مقدر، وقيل: إن ذلك خطاب منه تعالى لهذه الأمة، وأنه لما قرر بالآية المتقدمة في أنفسهم أن الفرار لا يزيد في الأجل، حثهم بهذه على المجاهدة في سبيله،ولم يعن الأعداء المجاهدين فقط بل عناهم وأقرب الأعداء إلى الإنسان وأصعبها دفاعاً وأكثرها أذى الهوى المدلول عليه بقوله عليه الصلاة والسلام:«**جهادك هواك**»،(٤) .

---

١ - سورة يوسف الآية (٣٨) ، (٦١) سورة غافر .

٢ - سورة سبأ : الآية (١٣).

٣ - سورة نوح : الآية (١٥)

٤ - في معناه حديث رواه البيهقى عن جابر بسند ضعيف ، وفيه « قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا : وما الجهاد الأكبر ، قال : مجاهدة العبد هواه » ، وقال الحافظ العراقي عن حديث : « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه ، رواه ابن ماجة في الشطر الأول والنسائى في الشطر الثانى ، وكلاهما من حديث فضالة بن عبيد بإسنادين جيدين ، وقال رواه الحاكم وصححه .. انظر : كشف الخفاء - ج : ١- ص ١٤٣ ، وأورده الراغب في الذريعة إلي مكارم الشريعة - ص ١٠٣ - تحقيق : الدكتور / أبو اليزيد العجمى

وقـوله: «**أعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك**» [١] وقوله لما رجعوا من تبوك: «**جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**» [٢] ، وقـال: «**جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم**» [٣] وصعوبة مجاهدته أنه عدو يخفى وتخفى مكائده، ونحو هذا نظر الشاعر حيث قال:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى

فكيف بمن يرمي وليس برامي [٤]

وعلى هذا قوله – عز وجل : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [٦].

قوله – عز وجل :

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

الآية : (٢٤٥) – سورة البقرة .

القرض : القطع بالناب، والمقراض، واستعير لصنعة الشعر استعارة اللوك والمضغ في نحو قول بعضهم:

---

١ – قال عنه العجلوني : رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس ولاأصل له بهذا اللفظ ، وذكر الحافظ العراقي أن البيهقي رواه من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين .. كشف الخفاء – ج : ١– ص١٤٣ – الإحياء في أماكن متعددة ، وأورده الراغب في الذريعة إلى مكارم الشريعة – ص١٠٢ – تحقيق : الدكتور / أبو اليزيد العجمي .

٢ – الحديث عن جابر قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » قال العراقي: رواه البيهقي في الزهد ، وفيه ضعف . تخريج أحاديث الإحياء – ج : ٤– ص١٥٣٧ والزهد – للبيهقي – ص ١٦٥ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن – ص ٨٣٣.

٣ – سبق نظيره ، وهو قريب من : « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله » رواه أحمد والطبراني والقضاعي عن فضالة بن عبيد مرفوعاً ، وفي الباب عن جابر وقد أورده الراغب في كتاب : الذريعة إلى مكارم الشريعة – ص ١٠٤.

٤ – قائل هذا البيت هو عمرو بن قتيبة ، وبعد هذا البيت قال :

فلو أنها نبل إذا لاتقيتها ولكنني أرمى بغير سهام

ويرويان للبيد بن ربيعة مخطوط كتاب : الدر الفريد وبيت القصيد – ج : ٣– ص ٣٢٤ .

٥ – سورة الحج – الآية رقم : (٧٨).

٦ – سورة العنكبوت : الآية : (٦٩) .

«قد لاكه ومضغه من هو أشد لوكاً ومضغاً منك»، هذا إذا اعتبرته بقرض الأسنان، فأما إذا اعتبرته بقرض المقراض، فاستعارته كاستعارة الحوك والخياطة والإلباس، وسمي ما بذل بعوضٍ قرضاً، وما بذل بغير عوض قرضاً، وسمي عروض الدنيا قروضاً، كما سميت عواري، والضعف تركب قدر من متساويين، أو يقال مثلاً الشئ في المقدار، وكل واحد ضعف الآخر إذا أخذ، وقول الشاعر:

«**جزيتك ضعف الود**»[١]، أي مثلي ودك في القدر، وضعفا الشئ مثله ثلاث مرات، إلا أنه إذا قيل: ضعفان، فقد يطلق على الاثنين المثلين في القدر من حيث أن كل واحد يضعف الآخر كما يقال: الزوجان،ويكون كل واحد زوجاً للآخر..

إن قيل: الضَعف والضِعف يشتركان في الاشتقاق، قيل: كلاهما اعتبر فيه معنى المماثلة في القدر، إلا أنه جعل الضعف لما يزاد عليه، والضعف لما ينقص منه، واستعمل فيهما أضعفت، وضعفت، وإن كان التشديد في الضعف أكثر، وضاعفت في الضعف لا غير، وفرق بينهم تضاعف وتضعف ، فقال التضعيف لما جعل مثلين، والمضاعفة لما زيد عليه أكثر من ذلك، ولهذا قال أكثرهم (فيضاعفه) بالألف، ولما حث الله علي المجاهدة في سبيله وذلك ببذل المال والبدن والنفس سمى ذلك قرضاً كما سماه بيعاً واشتراء في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾**[٢] الآية، وسماه إحساناً في قوله: (وأحسنوا) كل ذلك استعطافاً لعبده واستلطافاً، وسمع أعرابي قوله تعالى: **﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾**، فقال: **"أعطانا فضلاً، وسألنا منه قرضاً ليرد إلينا أكثر وأوفر منه، إنه لكريم"، وسمع ذلك أبو الدحداح، فسأل النبي-صلي الله عليه وسلم إن تصدقت بحديقتي أفلي مثله في الجنة؟ قال : نعم. قال: ومعي أم الدحداح ودحداح؟ قال: نعم، وكان له حديقتان، فتصدق بأفضلهما..**[٣]

---

١ - هذا جزء من بيت لأبي ذؤيب الهذلي ونص البيت :

جزيتك ضعف الود لما اشتكيته   وما إن جزاك الضعف من أحد قبلى

والبيت في ديوان الهذليين - ج : ١- ص ٣٥ ، وفى لسان العرب . مادة (ضعف) ، وفي بصائر ذوى التميز فى كتاب الله العزير ج : ٣- ص ٤٧٨، وفي مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٠٨ .

٢ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٣- ذكر القرطبى فى تفسير ه أن هذه الآية لما نزلت ، بادر أبو الدحداح إلى التصدق بماله ابتغاء ثواب ربه ، كما أورد ماروى عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) قال أبو الدحداح : يارسول الله : أو إن الله - تعالي - يريد منا القرض ؟ قال : « نعم ياأبا الدحداح » قال : أرنى يدك ، فناوله ، قال : فإنى أقرضت الله حائطاً فيه ستمائة نخلة ، وأورد القرطبى أيضاً ماروّاه زيد بن أسلم قال : لما نزل : من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) قال : « نعم يريد أن يدخلكم الجنة به » ، قال : فإنى إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة ؟ قال : « نعم » ، قال : ناولني يدك ، فناوله رسول الله - صلي الله عليه وسلم يده - فقال : إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية ، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله - تعالي - قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم « اجعل إحداهما لله ، والاخري دعها معيشة لك ولعيالك » قال : فأشهدك يارسول الله أني قد جعلت خيرهما لله - تعالي - وهو حائط فيه ستمائة نخلة . قال : « إذا يجزيك الله به الجنة » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كم من عذق رداح ودار فياح لابي الدحداح - تفسير القرطبى - ج ١- ص ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠ كما أورده ابن كثير بسنده إلى عبد الله بن مسعود ، وقد رواه ابن ردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عمر - رضي الله عنه - مرفوعا بنحوه تفسير القرآن العظيم - ج : ١- ص ٢٩٩.

إن قيل: بذل النفس كيف يصح أن يقال له قرض؟

قيل: استعمال ذلك فيه كاستعمال الجود، وقد قال أبو الدرداء "**أقرض من عرضك ليوم فقرك**"، وفي قوله: ﴿ **حَسَنًا** ﴾ إشارة إلى كل ما يصون الإفضال عما يشينه من منة ومراءاة وغير ذلك وقوله. ﴿ **يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾ قيل: "**يسلب تارة، ويعطي تارة**"، ونحوه نظر من قال: فكيف يوفيه وثانيه هاديه،وقيل: يسلب قوماً ويعطي قوماً، ونحوه نظر الشاعر في قوله:

ويسلب قوماً ويثري آخرين | **به الله من ذا يستعمر وباري** (١)

وقيل: يقتر ويوسع، وقيل: يقبض الصدقات ويخلف البدل مبسوطاً أن كثيراً، وقيل: يضيق صدور قوم ويشرح صدور آخرين، كقوله:﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾(٢)، وقوله: ﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ وقد تقدم الكلام فيه،وذكره هاهنا توعد..

قوله – عز وجل :

﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ **الآية : (٢٤٦) – سورة البقرة .**

قوله عز وجل :

﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ إلى الملأ جماعة شريفة، وذلك اعتبار بالامتلاء كأنهم يملون العين رواء ومنه قيل: شابٌ مالئ العين،(٣) ومالأته: عافيته: أي صرت من ملائه أي جمعه، كقولك: شايعته أي: صرت من شيعته، وفلان ملئ بكذا من الامتلاء، وعلى الوفاء، وهو تمام العهد، واشتقاق

---

١ – لم أعثر علي نسبته .

٢ – سورة الأنعام : الآية (١٢٥).

٣- قال ابن منظور : شاب مالئ العين : إذا كان فخماً حسنا لسان العرب – مادة : (ملأ).

ضده وهو العذر، يدل على ذلك لأنه الترك، ويعني :"**أحسنوا أملاءكم**"، أي أخلاقكم،

وقال الشاعر :

"**فقلنا أحسني ملأ جهينا**"(١) ، فكأنه سمي الخلق بذلك لكونه مليا باراً، في ذاته

وعلى ذلك قال الشاعر:

كل امرىءٍ يبدي الذي في خلقه(٢)

وقال: كل امرىء راجعٌ يوماً بشهية(٣)

والملك لمن جمع أربعة معان:

"**العلم، والقدرة، والسياسة، وعدداً يسوسهم**"، وبيان ذلك أن الأمر بالعلم مدبر، وبالقدرة ينفذ، وبالسياسة ينظم، وبالجمع يحفظ، ولهذا كان الله الملك الحق، ومن عدله فكالظل له، ولهذا قال: "**السلطان ظل** الله **في الأرض**" أي خليفته، ومحفوظه كالظل الذي يظل، ولا يصح استحقاقه إلا لمن قام بحقه على مقتضى الشرع ولأجل تعذر القيام بذكره التسمية به، لأن المتسمي بالملك مالم يوف حقه لابس ثوبي زور، وتكلف للناس التقول به وسألهم إياه الملك ليقابلوا معه لعلمهم أن منزلة الملك من الرعية منزلة الرأس من الجسد الذي لاقوام له إلا به.

١- هذا عجز بيت وصدره : تنادوا بالبهثة إذا رأونا.

وهو لعبد الشارق بن عبد العزى الجهني ، وهو في شرح الحماسة ج : ٢- ص٢٠، ولسان العرب ، مادة : (ملأ) ، والمجمل - ج ٣ - ص ٨٣٨ ، وشرح مقصورة ابن دريد - لابن خالويه ص ٣٠٨ ، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٧٦.

٣،٢ - لم أعثر على نسبة لهما.

وعلى ذلك قال الشاعر:

كأن الخلق ركب في مثال   له جسدٌ وأنت عليه رأس[١]

وقوله: (يقاتل) متى جزم، فجواب، وإذا رفع فاستئناف، وقرئ (يُقاتل)[٢] على وصف الملك، وقوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، أي : هل طمعتم في أنفسكم أن تقوم بذلك وأن لاتجبن؟ قالوا: ومالنا ألا نقاتل؟ أنكروا أن يكون منهم تضجيع في قتال أعدائهم، فجعل حجتهم شيئين هما غاية ما يحنق، وهو إنزعاجهم عن مقارهم الذي هو شريك القتل، وقيل الولد الذي هو أصعب على الإنسان من قتل نفسه، وفي حكاية ذلك إشارة إلى ذمهم من وجهين أحدهما أنهم قالوا: أن تكلفوا، وقد قيل: فلما قام الإنسان بواجب التزمه، ابتدأ، ولهذا لما روجع النبي ﷺ في الحج، فقيل: ألعامنا هذا؟ أم للأبد؟

قال: بل للأبد[٣]

١- البيت لأبي العتاهية ، وقاله يمدح الرشيد، وقال بعده :

أمين الله إن الحبس بأس   وقد وقعت ليس عليك بأس

ومناسبة البيتين أن الرشيد .كان قد أمر أبا العتاهية بأن يقول الغزل في مجلسه ، فأبى ، فأمر الرشيد بحبسه ، فلما عفا عنه قال ذلك .. الشوارد - لعبد الله بن خميس .

٢- قرأ بذلك الضحاك وابن أبي عبلة كما ورد في إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس ج : ١- ص ٢٧٧ والإملاء - للعكبري - ج: ١- ص ٦٠ ، والبحر المحيط - ج : ٢- ص٤٥٥ ، وتفسير الفخر الرازي - ج : ٢- ص٢٩٢، ومعجم القراءات القرآنية - ج: ١- ص١٩٠.

٣- قال القرطبي فى تفسير قوله الله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) الآية : (٩٦) سورة آل عمران- قال : ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال له أصحابه : يارسول الله أحجنا لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال: « لا .. بل للأبد . وهذا نص في الرد على من قال : يجب في كل خمس سنين مرة ، كما أورد مارواه الأئمة عن أبي هريرة قال : « خطبنا رسول الله - صلي الله عليه وسلم فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : كل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال :ذرونى ماتركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلا فهم على أنبيائهم، ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه » واللفظ لمسلم . تفسير القرطبي - ج : ٢- ص١٤٩٠ ، ١٤٩١، والحديث رواه البخاري في صحيحه ج : ٣ ص ٥ ، ص ١٨٥ ورواه النسائي في سننه في الحج باب (٧٦) ورواه البيهقي في سننه ج : ٤ ، ص ٩٥ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج: ٤ ص ١٧٥، والبغوي في شرح السنة ج : ٧ ص ٢٥٢ والدار قطنى ج : ٢ ص ٢٨٣.

وذم الله (بني إسرائيل) في التزامهم الرهبانية، ثم قصروا فيها، والثاني: أنهم لم يلزموا القتال كما يجب أن يلزم، فإن المقاتلة في سبيل الله يجب أن لا يكون لها سمعة واجتلاب ثناء أو شفاء مغيظة وكذا يجب أن تكون سائر الأفعال المحمودة وهم لما قالوا: **﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ﴾** قصدوا شفاء الغيظ لا ائتمار الرب، فعلم أنهم لا يصبرون في مواطن الحق على ما يجب.

إن قيل: لم أدخل (أن) في قوله: **﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ﴾** ولم يدخله في قوله: **﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ﴾**[1]؟

قيل: إن قولك (مالك، ومالنا) تجئ مرة للإنكار، وعليه قوله: **﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ﴾** في موضع الحال نحو قوله تعالى: **﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾**[2]، والثاني بمعنى: (مامنع)، وعليه هذه الآية، فلابد إذن من "أن لا" تقديره: (ما منعنا من ترك القتال قال أبو العباس: «**ما: نفي هاهنا، كأنه قيل: ليس لنا أن لا نقاتل**»، وقال الأخفش: أن زائدة، ويجوز أنه أدخل (أن) في قوله: ألا نقاتل لكون القتال مستقبلاً، ولم يدخل في قوله: **﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ﴾**[3] لكونه حالاً، لأن "**أن**" لأحد المعدومين.

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢٤٧)- سورة البقرة .

كان بنو إسرائيل اعتقدوا أن الملك يستحق بالوراثه وكثرة المال، وكان فيهم أسباط ملوك، فلما أنبأهم نبيهم أن الله بعث لهم طالوت ملكاً، ولم يكن من بيت الملك، ولا كان ذا مال، استعظموا، فراجعوه وقالوا: **﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾** وكان ذلك منهم خطأً من وجهين:

---

١ - سورة الحديد : الآية (٨).
٢ - سورة المدثر : الآية (٤٩).
٣- سورة الحديد : الآية (٨).

الأول:

لما قال الشعر:

وَمَا الحَسَبُ المَــــورُوثُ لاَ دَرَّ دَرُّهُ

بِمُحْتَسِبٍ إلاَّ بِآخَــرِ مُكْتَسَـــــبِ

إِذَا الغُصْنُ لَمْ يُثْمِرْ وإِنْ كَانَ شُعْبَةً

مِنَ الثَّمَرَاتِ اعْتَدَّهُ النَّاسُ فِي الحَطَبِ(١)

وقال بعض الملوك:

إن ولد مني جاهل فعدوه حماراً، وإياكم أن تراعوا نسبه، فتفوضوا الأمر إليه، وتعتمدوا في المملكة عليه، والثاني: أن المال ليس بضروري في الملك وأعيان الخلفاء الراشدين والأمراء العادلين كأن غناهم القناعة دون الثروة، فبين تعالى بقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾** أن فيه الخصال التي هي قانون في استحقاق الملك وبيانه أن الملك يستحق في أن يكون الإنسان من عنصر صالح سواء كان من بيت الملك قبل أو لم يكن،، وأن يكون ذا علم بسياسة نفسه وأهله من رعيته، وأن يكون في جسمه كامل الخلقة، شديد القوة، ذا سلامة من العاهات الشائنة، وذكر أنه قد آتاه كل ذلك، ثم قال: **﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾** تنبيهاً أنه هو المختص بإيتاء الملك لعلمه بمن يستحقه، ولذلك أمرنا بالاستسلام له في ذلك، فقال:{**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ**﴾(٢)، فقرن ذلك بالأمور التي يختص هو بها، وهي : إخراج الحي من الميت والميت من الحي،وإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وإعطاء الرزق، ثم قال: **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** أي الذي أعطاه الملك هو ذو سعة في المال، وعالم بالأشياء- تنبيهاً أنه ان احتاج إلى المال في ملكه حوله، وقوله: {**عَلِيمٌ**} أي عالم بمن يؤتيه الملك، كقوله: **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾**(٣).

١- قائل البيتين هو ابن الرومي ، وهو من قصيدة قالها في محمد بن عبدالله بن طاهر وبعدهما :-

وأنت لعمري شعبة من ذوي العلا   فلاترض أن تعتد من أوضع الشعب

ديوان ابن الرومي – تحقيق د/حسين نصار ج : ١ – ص ١٥٠، ١٥١ ط : دار الكتب سنة ١٩٧٣، كما في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر ج ١- ص ٢٨٢ .

٢- سورة آل عمران – الآية : (٢٦).

٣ – سورة الأنعام : الآية (١٢٤).

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية (٢٤٨)- سورة البقرة .

البقية من البقاء، والبقاء ثبات الشئ على حالته الأولى، لكن البقية صارت لبعض حمله لم يتعين حكمه بتعين المحمولات، فاستعمل فيما يحمل على الظهر، وفي الماء الذي في السحاب، والولد الذي تحمله المرأة في البطن، وتعورف في البرق، وتسميته بذلك استصحاباً لحمل الأم أيّاً، أو لأنه يحمل باليد لصغره، وخص الحمالة بما يحمل به السيف على بناء العلاقة، والمحمل لما تركته الناس، وخص الحمالة بالفتح لما يتحمله قوم عن قوم من الدية والحميل تارةً استعمل في الكفيل، وهو بمعنى فاعل، وتارة في المحمول من بلد إلى بلد، فسمى الغريب، وعثاء السيل به والحملوة من الإبل لما يحمل عليه وعلى ما ساقويه وركوبه وذكر منهم ما خص الله به «طالوت» من كرامته وما هو آيه من الله-عز وجل- كالمعجزة لملكه، واختلف في التابوت، فمنهم من قال: كان منحوتاً من الخشب فيه شئ مسمى بالسكينة تسكن بها قلوب القوم الذين كان معهم وبقايا رضاض اللوح الذي كان فيه التوراة، وقيل كان علي [عجلة بين ثورين][1] يسوقهما الملائكة، وقيل: بل الملائكة تحمله في الهواء وهم يرونه، وقيل كان هذا التابوت مع يوشع، ففقد في التيه، ثم رده الله عز وجل: الى طالوت، وقيل: بل كان قد سلبته العمالقة، فدفنوه في منزله، وإلى هذا ذهب عامة الصحابة والتابعين فيما دل عليه ظاهر قولهم حتى قال مجاهد : السكينة شئ كان له رأس كرأس هره، وله جناحان[2]، وقال بعض المفسرين: التابوت

---

١ - ساقطة من (و - ج) ، واستدركناها من تفسير القرطبي ليكتمل السياق.

٢ - وأورد ه الراغب في مفردات ألفاظ القرآن وعلق عليه بقوله : ما أراد قولاً يصح ، وهذا الأثر مروي عن مجاهد في الدر المنثور وفي غرائب التفسير حيث قال : السكينة من الله كهيئة الهر ، لها وجه كوجه الهر وجناحان، وذنب مثل ذنب الهر » وقد علق عليه الأستاذ / صفوان داوودي بقوله : وهذا أشبه بروايات الإسرائيليات . والله أعلم .. والدر المنثور - ج : ١- ص٧٥٨ ، أنظر مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤١٧ وغرائب التفسير - ج . ١- ص٢٢٢، كما أورد ابن كثير فيما رواه محمد بن إسحق عن وهب بن منبه أن السكينة رأس هرة ميتة إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ، كما أورد ما قاله عبد الرزاق عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : السكينة روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شئ تكلم ، فتخبرهم ببيان ما يريدون . تفسير القرآن العظيم - ج :١-ص ٣٠١.

إشارة إلى القلب، والسكينة: إلى ما فيه من العلم والإخلاص والإيمان وذكر الله الذي تطمئن به القلوب، قال: وسمي القلب سفط العلم وبيت الحكمة وتابوته، ورعاه وصندوقه، وعلى هذا يقال: **(اجعل سرك في وعاء غير سرب، وفي بيتٍ معلّقِ الرتاج، ووعاءٍ موثق الأشراج)**[1]، قال: وجعل آيته أن صير قلبه مقر العلم، ومجمع السكينة بعد أن لم يكن له ذلك، **وعلى ذلك تسميته بالتابوت سمي عمر ابن مسعود- رضي الله عنهما كنيفاً ملئ علماً**[2]، وقال هذا القائل ما روي عن علي- عليه السلام، ورضي الله عنه: **أن السكينة ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان**، فإشارة إلى الروح أو إلى الملائكة، ولهذا روي "**كان روحا**" من الله عز وجل- يكلمهم عند وقوع الاختلاف، ويسكنهم عند القتال[3] والله أعلم بالحقائق.

١- هذا المثل ذكره الزمخشري في المستقصى في الأمثال - ج : ١- ص ٥٠ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٦٢

٢- عن زيد بن وهب قال : إني لجالس مع عمر بن الخطاب ، إذ جاء ابن مسعود ، فكان الجلوس يوارونه من قصره ، فضحك عمر ... رآه ، فجعل عمر يكلمه ويهلل وجهه ويضاحكه وهو قائم عليه ، ثم ولي فأتبعه عمر بصره حتي توارى فقال : « كنيف ملئ علماً » وقد أورده الراغب في مفردات ألفاظ القران - ص ١٦٢ ، كما أورده الذهبي فى سير أعلام النبلاء . ج : ١- ص٤٩١ ، وابن سعد في طبقاته ج : ١- ص ١١٠ ، وأبو نعيم فى حلية الأولياء - ج : ١- ص ١٢٩.

٣- أورده ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم - ج : ١- ص ٣٠١.

قوله - عز وجل :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

الآية : (٢٤٩) - سورة البقرة .

الجند يقال للعسكر اعتباراً بالغلظة من الجند، أي الأرض الغليظة ثم يقال: لكل مجتمع جند، نحو:(**الأرواح جنود مجندة..**)[١]، والغرف تناول الماء، ويقال للمغترف غرفة، وللمرة غرفة، والغريف الماء المعرض للاغتراف، وتصور منه الرفع، فسمي العلية غرفة تشبيهاً بالمغترف، وبهذا النظر سمي مشربة، وسمي الغمام مادام عرفه كأنه لرطوبته معترف، وجوز الطريق وسطه، و(جاز منه) كأنه عبر الجوز، فكثر حتى صار الجايز لما لا يكره، وعلى نحوه قيل سائغ، وهو من ساغ الطعام في الحلق، وجاوز، وتجاوز استعير له هذا البناء، لتصور المكان متباعداً عن الإنسان تباعد لإنسان عنه، ولهذا قيل: سافر وتباعد والفئة فرقة من قولهم: فاءت رأسه، وقد تقدم أن أسماء الفرق كثيراً ما تشتق من الألفاظ المقتضية للقطع كالصرمة، والقطيع والطامة، وما القوة بالمحمول، ويستعمل في قوة الحيوان، وأكثر ما يقال في الأثقال الجسيمة، وإذا قيل في غيرها، فعلى التشبيه، وروي في الخبر أن طالوت لم يكن يثق بقومه، فأراد أن يمتحنهم، وكان قد سار بهم مفازة لم يجدوا فيها ماء، فانتهوا إلى نهر من الأردن وفلسطين، فامتحنهم به[٢]..

١- الحديث صحيح ، وأخرجه البخارى في الانبياء : باب : "الارواح جنود مجندة تعليقاً » ، وأخرجه مسلم فى البر والصلة برقم (٢٦٣٨) ، وورد فى فتح البارى - ج : ٦ - ص ٢٦٣ ، وفي شرح السنة للبغوي - ج : ١٣ - ص ٥٧ ، وفي المفردات - ص ٢٠٧

٢ - أورد بن كثير في تفسيره لقوله تعالي (إن الله مبتليكم بنهر) قول ابن عباس وغيره « إنه نهر بين الأردن وفلسطين ، يعني نهر الشريعة المشهور . تُفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج : ١- ص ٣٠٢

إن قيل: فكيف قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾، فنسب ذلك إلى الله عز وجل..؟

قيل: يجوز أن يكون الله تعالى ألقى ذلك في روعه كإلقاء الوحي في روع أم موسى، ويجوز أن يكون قد أخبره نبي زمانه عن الله، ويجوز أنه نسبه إلى الله لما قصد به وجهه وإن لم يكن الله قد أخبره به، كقوله: ابتلانا الله بكذا، وبين تعالى أن أكثرهم لم يأتمروا له، وقال بعضهم: "**إن ذلك جعله الله مثالاً لهم**"، ومثلاً مضروباً للدنيا وأتباعها وأن من يتناول منها قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا، ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشاً، وعلى هذا قيل: "**الدنيا كالماء المالح**"، من ازداد منها شرباً ازداد عطشاً، وإلى هذا أشير في الخبر المروي "أن الله- عز وجل- إذا سأله عبد شيئاً من عروض الدنيا أعطاه، وقال له: خذه وضعفه حرصاً" **وإياه عنى النبي – عليه الصلاة والسلام بقوله: (لو أن لابن آدم واديين ذهب، ابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)**(١)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على (هو ومعه) من صلة (آمنوا)، ويجوز أن يكون: (الذين آمنوا، ومعه) خبره، وهو الأجود، لأن الأظهر في قوله: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ إن ذلك حكاية عمن شربوا، وإليه ذهب ابن عباس والسدي وقالا: "**هم أهل الكفر لا الذين آمنوا**"، وقال الحسن وقتادة وابن زيد: «**الذين قالوا: "لا طاقة لنا" هم المؤمنون**»، وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ ظن هاهنا هو المفسر باليقين عند أهل اللغة، وهو المعرفة الحاصلة عن امارة قومه، ويدل على ذلك استعمال أن المشددة أو المخففة منها، نحو: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ (٢)، وإذا أريد الشك، استعمل معه (إن) التي تصحب المعدومين من الفعل، وقوله: (: من) يجوز أن يكون استفهاماً، وأن يكون خبراً وإن كان معنى الاستفهام يعود إلى معنى الخبر، ولكن متى قدر استفهاماً نصب فيه إذا حذف عنه من، وإذا قدرته خبراً وجرت، وسكن منهم بأن عرفهم أن لا اعتبار بكثرة العدد وقلته،وأحالهم على معرفتهم بالأعداد القليلة الغالبة الكثيرة، وقد تقدم الكلام في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ..

١- الحديث رواه ابن عباس سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغي ثالثاً ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) الحديث أخرجه البخارى في باب مايتقى من فتنة المال -ج : ١١ ص ٢٥٣ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم ١٠٤٦، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٦٢.

٢- سورة المزمل الآية : (٢٠) .

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

الآية (٢٥٠)- سورة البقرة .

البرز: المكان المرتفع، وبرز "**حصل فيه**"، وصار عبارة عن الظهور، وقيل للمشهور بالفضل: برز، و"**امرأة برزة** " قيل عفيفة، لأن رفعة المرأة بالعفة، لأن لفظ البرزة اقتضى ذلك، والأكثر أن البرزة هي التي لا تستقر، والفرغ: خلو المكان لما فيه، وخلو ذي الشغل من شغله، وسمي فرغ الدلو فرغاً باعتبار انصباب الماء عنه، وضربه ضربة مفرغة لدم البدن، والثبات: اللزوم في المكان، وعنه استعير قولٌ ثابت، أي صحيح لا يبطل، وفلان ثبت المقام لمن لا يبرح موقفه في الحرب منهزماً، ونصر الله عنده قد يكون بزيادة قوته وجرأته، وبإلقاء الرعب في قلوب أعدائه، وغير ذلك، ولم يعن أنهم رغبوا إلى الله عز وجل- في ذلك بالقول فقط، فالقول ليس بمغن مالم يعاضده فعل، ولا الفعل بمغن مالم تعاضده النية، فالمعنى لما برزوا رغبوا إلى الله بمقالهم واجتهادهم ونياتهم أن يمدهم بالصبر، وتثبيت القدم والنصرة على الكفرة..

قوله تعالى :

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ الآية (٢٥١) سورة البقرة.

الهزم :دفع الشئ لليابس حتى يتحطم، كهزم الشن، وهزم الرعد مشبه به لصوت تكسره، وقيل أصابته هازمة دمر أي داهية كاسرة كقولهم فاقرة، والمهزام ما يحرك به للجمز والهمز يقاربه في الأمرين الكسر، والصوت والدفع صرف الشئ من مكان إلى مكان، أو عن حالة إلى حالة، ودافعت فلاناً ودفعته أزعجته، وفلان مدفع مزعج عن مكانه أو بستانه، ووصف السيل الكبير بالدفاع، لدفع بعضه بعضاً، بين تعالى أنه جمع لداود - عليه السلام- الملك والحكمة والنبوة، وهي أعظم فضيلة، إذ

لم تخص بمجموعها إلا بعض الأنبياء، وجعل لبعضهم النبوة دون الملك، وإن لم يُخْلَ أحد منهم من نصرته- لقوله تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]، وقال لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾[2]، وقال: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[3]، لقوله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾[4]، فالكتاب: الأحكام، والميزان: العدالة، ومعنى الحكمة قد تقدم أنها معرفة حقائق الأشياء وحقيقتها إنما هي لله عز وجل، وإذا استعمل في غيره، فمبلغ ذلك تقدم طاقة البشر، وهي أعم من النبوة، فكل نبي حكيم، وليس كل حكيم نبياً، وقوله: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ إشارة إلى العلوم النبوية التي لا وصول إليها إلا بالوحي، وفي قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ تنبيه على فضيلة الملك، وأنه لولاه لما استتب أمر العالم، ولهذا قال الدين والملك مقترنان، وتوأمان لا يفترقان، ففي ارتفاع أحدهما ارتفاع الآخر، لأن الدين أس، والملك حارس، ومالا أس له فمهدوم، ومالا حارس له فضائع، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾[5] الآية إن قيل: على أي وجه دفع الله الناس ببعضهم؟ قيل: على وجهين أحدهما: دفع ظاهر، والثاني دفع خفي، قال: فالظاهر، ما كان بالسواس الأربعة الذين هم الأنبياء، والملوك، والحكماء والوعاظ، فسلطان الأنبياء علي الكافة خاصهم، وعامهم، وظاهرهم، وباطنهم، وسلطان الملوك علي ظواهر الكافة دون الباطن وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة، وسلطان الوعاظ على بواطن العوام وأما الدفع الخفي فسلطان العقل، فالعقل يدفع عن كثير من المقابح، وهو السبب في التزام حكم السلطان الظاهر، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، إن قيل: ما فائدة ذلك بعد قوله: آنفاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[6]؟

---

١ - سورة غافر : الآية (٥١).
٢ - سورة القصص : الآية (٣٥).
٣ - سورة النساء : الآية (٥٤).
٤ - سورة الحديد : الآية (٢٥).
٥ - سورة الحج : الآية (٤٠).
٦ - سورة البقرة : الآية (٢٤٣).

قيل: بين في الأول فضله على الناس بما خصهم به من الفضائل الإنسانية، وبين هاهنا نعمته على جميع العالمين، والحيوانيات، والروحانيات والجمادات، فإن العالمين يتناول كل ذلك، وإلى نحوه أشار بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1].

قوله - عز وجل :

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية : (٢٥٢) - سورة البقرة .

إن قيل: مافائدة قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ في هذا الموضع؟ وهل خفي ذلك عليه حتى يذكره به؟ وما تعلق ذلك بما قبله؟

قيل: يجوز أن يكون تقديره **(وإنك لمن المرسلين بها)**، لكن لفظة بها إيجاز، أو يجوز أن تكون الآية متقدمتين محذوفتي النتيجة على تقدير: إذا كان حال المرسلين وأممهم مانتلوه عليك، وأنت مرسل إلى قومك كما أرسل المرسلون إلى قومهم، فلا عجب أن تجري مع قومك مجرى أمرهم مع قومهم، والإشارة بذلك إلى معنى قوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[2]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[3].

إن قيل ما فائدة اقتران التلاوة بالحق؟

قيل: قوله: بالحق في موضع الحال، كأنه قال: وهو الحق، وعلى تحمل عندي قوله: رب أحقُ بالحق.

---

١ - سورة: الإسراء: الآية (٤٤).

٢ - سورة هود : الآية (١٢٠).

٣ - سورة الأحقاف : الآية (٣٥).

قوله - عز وجل :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

الآية : (٢٥٣) – سورة البقرة .

إن قيل: على أي وجه تفضيل بعضهم على بعض؟

أبتخصيص بعضهم بمنحة؟ كقولك: "**فضلت فلاناً في العطاء؟ أو بالحكم والقول**"، كقولك: "**فضلت زيداً على عمرو في العلم**" ؟ قيل: بالأمرين جميعاً، فإن الله تعالى جعل لمن رشحه للنبوة فضائل خصه بها، ابتداء وفضائل هداه إليها ليصيبها، فما خصهم به أن جعل كل واحد في نفسه وأخلاقه معرًّى من عاهة تشينه، وأيده بأنواع كرامات وزيادة معاون تشرح صدره، وحدد عليه في كل وصايا تسدده، وعاتبه في أذى زلة ظهر منه، فهذا التفضيل الذي جعله ابتداء، وأما تفضيله لهم بالحكم، فعلى حسب ما يظهر من أفعالهم، فمعلوم أنه ليس حظ يونس - عليه الصلاة والسلام- حيث حذر نبينا- عليه الصلاة والسلام أن يكون مثله في الصبر بقوله:

﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾(١) كحظ الذين حثه على الاقتداء بهم في قوله: **﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾**(٢)، فالتفضيل يحصل بالأمرين، وللتفاضل بينهم قال عليه الصلاة والسلام: «**فضلت على الأنبياء بست : أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وختم بي النبيون، وأرسلت إلى الناس كافة**»..(٣)

---

١ – سورة القلم : الآية (٤٨).

٢ – سورة الأحقاف : الآية (٣٥).

٣- الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض، فتلت في يدى) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ج : ١٢ ص ٢٠٩، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج : ١٣ ص ١٩٨ ، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده ج : ١- ص ٢٥٠، ج:٢ ص ٢٤٠ ، ص ٢٥٠, ٤١٢, ٤٤٢, ٥٠١، ج : ٥ ص ١٤٥ وأخرجه البيهقي فى سننه ج : ٢ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ وأورده المتقي الهندى في كنز العمال حديث رقم ٣١٩٠١ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج : ١ ص ٧٢ ، ج : ٢ ص ٩٠ و ج ٨ ص٢٥٨، ٢٥٩.

ولما كانت هذه الأشياء موهبية لا مكتسبة، قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»(١) تنبيهاً أن الفخر لا يستحق إلا بالمكسوب دون الموهوب، ونحو هذه الآية في تفضيل بعض الأنبياء على بعض قوله: ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا** ﴾(٢).

وهذا حكم في الملائكة بقوله: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ** ﴾(٣)، وقوله: ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ قيل إشارة إلى النبي ﷺ، فإن قيل: ولمَ لَمْ يصرح بذكره أو بوصفه، كما فعل بموسى وعيسى؟ قيل: تقدم أن مورد كلام الله تعالى مورد خطاب الناس فيما بينهم، ولما كان المستحسن في بعض المواضع أن يذكر الممدوح المخاطب تعريضاً، فيكون أبلغ من التصريح لما جرى من عادتهم أن مدح المواجهة هجاء، والثناء في الوجه قبيح، وتارة لأن الإطراء قد يدعو إلى الغفلة، وتارة لكون الممدوح بذلك المدح مستغنى به عن ذكره كما قال الشاعر:

وَإِنِّي فِي بَثِّي ثَنَائِكَ جَاهِداً ... وَقَدْ عَلِمَتْ أَضْعَافَ ذَاكَ الْخَلَائِقُ

كَمَنْ قَالَ إِنَّ الثَّلْجَ أَبْيَضُ بَارِدُ ... وَأَنَّ شِهَابَ النَّارِ أَحْمَرُ حَارِقُ

وَهَذَا وَهَذَا بَيِّنَانِ كِلَاهُمَا ... لِمَنْ هُوَ رَائِي وَلِمَنْ هُوَ ذَائِقُ (٤)

وروح القدس إشارة إلى ما خص به عيسى مما كان يحي به الموتى ملكاً، أو قوة، أو اسماً من أسمائه أو علماً، وقد فسر بكل ذلك، وسمي جبريل- عليه السلام- روح القدس، والروح الأمين في قوله: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾(٥)، وفي قوله: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ** ﴾(٦).

---

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجة في سننه كما أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح والحديث رواه الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ج: ٧ ص ٥٧٢، وأخرجه المتقى الهندى فى كنز العمال - حديث رقم ٣٢٠٤٠، وحديث رقم (٣٣٦٨٢).

٢ - سورة الإسراء - الآية: (٥٥).

٣ - سورة الحج - الآية: (٧٥)

٤ - الأبيات ذكرها الراغب فى مجمع البلاغة بدون نسبة فى باب: "الإطراء والثناء والشكر" .. ص ١٨٣ تحقيق: الدكتور/ عمر الساريسي.

٥ - سورة الشعراء: الآيتان (١٩٣، ١٩٤).

٦ - سورة النحل: الآية: (١٠٢).

إن قيل: على أي وجه قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم﴾، وكيف قال: ﴿وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا﴾، ولفظة ﴿لَكِن﴾ هي للتدارك، فما المتدارك هاهنا؟

قيل: ذكر تعالى أنه لو شاء أن لا يقتتلوا الفعل، ولكن أراد ذلك لأنهم اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فكانت الحكمة تقتضي أن يؤمر المؤمنون بقتال الكافرين، ففي قوله: ﴿وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا﴾، حذف على سبيل الاختصار تقديره "لكن شاء فإنهم اختلفوا، أو الاختلاف كالسبب لتلك المشيئة، فإن قيل: وما معنى تكرير: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؟

قيل: أما الأول: فلأنه أمرهم بالاقتتال، لأنهم اختلفوا، وفي الثاني: ذكر أنه لو شاء لم يكن منهم اقتتال على وجه لابعده ولا قبله، أما لأنه لم يكن يعطيهم القوة أو يميتهم قبل القتال، أو كان يمنعهم بمرض أو بسبب من الأسباب، ويجوز أن يريد بالاقتتال الأول: الاختلاف المؤدي إلى الاقتتال على طريقة ما يقال بين القوم، اقتتال: أي اختلاف يؤدي إلى ذلك، والمعنى لو شاء الله ما اختلفوا وكانوا أمة واحدة، كقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(١)، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(٢) الآية..

وبالاقتتال الثاني حصول المحاربة بينهم..

إن قيل: ما الفرق بين المشيئة والإرادة؟

قيل: أكثر المتكلمين لم يفرقوا بينهما وإن كانتا في أصل اللغة، وفي الحقيقة مختلفتين وذلك أن المشيئة أصلها من شئ، والشئ اسم للموجود، والمشيئة قصد إلى اتخاذ الشئ، ثم يقال: شاء الله كذا أي أوجده بعد أن لم يكن موجوداً، وقال بعضهم: الشئ والشاء من أصل واحد، وقلب الفعل، واستدل

١- سورة المائدة - الآية : (٤٨).

٢- سورة هود - الآية : (١١٨).

على ذلك بقولهم : أشياء، وتأخير الهمزة فيه وإن كان أكثر أهل التصريف ينكرون ذلك، لكونها غير مصروفة، ويقولون كان فعلاً كطرفاء، فقلب، فصار على أمعاء، ومن اعتبر هذا الاعتبار بقول الواو والياء، لاعتبار ما عناهما، فكل واحدة منهما يعرض الانقلاب إلى الأخرى على حسب ما يقتضي خفة اللفظ وثقله أو التفريق بين معنيين، وأما الإرادة، فمصدر أراد، أي طلب، وأصله أن يتعدى إلى مفعولين، لكن اقتصر على أحدهما في التعارف، وفي الأصل لا يقال إلا لأن تطلب ممن يصح منه الطلب كالإطلاب، فإن بدل منه هذا الاعتبار في التعارف، وصار لطلب الشئ والحكم بأنه ينبغي أن يفعل أولا يفعل، وإذا استعمل في الله، فهو للحكم دون الطلب، إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك[1].

١- قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن : والمشيئة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواءً ، وعند بعضهم المشيئة في الأصل : إيجاد الشئ وإصابته ، وإن كان قد يستعمل في التعارف موضع الإرادة ، فالمشيئة من الله تعالي هي الإيجاد ، ومن الناس هي الإصابة، قال : والمشيئة من الله تقتضي وجود الشئ ، ولذلك قيل : (ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن) ، والإرادة منه لا تقتضي وجود المراد لامحالة ، ألا ترى أنه قال : (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر) (البقرة / ١٨٥) ، (وما الله يريد ظلماً للعباد) (غافر - ٣١)، ومعلوم أنه قد يحصل العسر والتظالم فيما بين الناس ، قالوا : ومن الفرق بينهما أن إرادة الإنسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، فإن الإنسان قد يريد أن لايموت ويأبى الله ذلك ، ومشيئته لاتكون إلا بعد مشيئته بقوله : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) (الإنسان / ٣٠) ، روى أنه لما نزول قوله : (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، (التكوير / ٢٨)، قال الكفار : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله تعالي : (وماتشاءون إلا أن يشاء الله) ، وقال بعضهم : لولا أن الأمور كلها موقوفة على مشيئة الله تعالي ، وأن أفعالنا معلقة بها ، وموقوفة عليها لما أجمع الناس علي تعليق الإستثناء به في جميع أفعالنا نحو : (ستجدنى إن شاء الله صابراً) (الكهف / ٦٩) ، (وستجدني إن شاء الله من الصابرين) (الصافات / ١٠٢)، (يأتيكم به الله إن شاء) (هود/ ٣٣) ، (ادخلوا مصر إن شاء الله) (يوسف /٦٩)، (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولاضراً إلا ماشاء الله) (الأعراف / ١٨٨) ، (ومايكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) (الأعراف // ٨٩) ، (ولاتقولن لشئ إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله) (الكهف / ٢٤) .

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الآية : (٢٥٤) - سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في معنى البيع والشراء، وإن كل واحد منهما يوضع موضع الآخر، ومبايعة الولاية من ذلك، والبيعة يجوز أنها سميت بذلك نظراً إلى نحو معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) الآية، كأنه الحالة التي يتبع الإنسان نفسه فيها من الله فسمي المكان الذي يحصل ذلك فيه بها، والخلل انفراج الشيئين، يقال: خللته: أي أصبت خلله، فاستعير منه الخليل، إما لتخلل كل واحد منهما قلب الآخر كما قيل: الحبيب لوصول كل واحد منهما إلى حبة قلب الآخر.

قال الشاعر:

قَدْ تَخَلَّلْتِ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ... وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيـــلُ خَلِيلاً(٢)

أو لأنه تخلل أحوال الآخر، وعرف سرائره، ولهذا قيل أطلعته على عُجَرِي وبُجَرِي، وتحرى فيهما عرقين في البطن، وبهذا النظر قال الشاعر:

لا تَكْتُمَن ذَاكَ الطَّبِيـــا ... وَلا الصَّدِيقَ سِرَّكَ الْمَكْتُومَا(٣)

أولاعتبار افتقار كل واحد منهما إلى الآخر، وبهذا النظر قيل: الصديق للإنسان ضروري، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾(٤)على الاعتبار الأخير، وهو افتقاره إلى الله- عز وجل- في كل حال، كما أخبر عن موسى بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٥)، وبهذا الفقر أشرف غنى،

---

١ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٢ - البيت لبشار بن برد وبعده:

فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكتُ كنت الغليلا

وهي في ديوان بشار - ج : ٤ ص١٦١. كما في أدب الدنيا والدين ص ١٤٦ وأورده الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز- ج :٢ - ص٥٥٧ ولم ينسبه ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٩١.

٣ - لم أهتد إلى نسبته .

٤ - سورة النساء : الآية (١٢٥).

٥ - سورة القصص : الآية (٢٤).

بل أشرف فضيلة يكتسبها الإنسان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك**»[1].

حـث الله تعالى المؤمنين على مارزقهم من النعمى النفسية والبدنية والخارجة، وإن كان الأظهر في التعارف وإنفاق المال، لكن قد يراد به بذل النفس والبدن في مجاهدة العدو والهوى وسائر العبادات كما تقدم في قوله: **﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾**[2]، ولما كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء، والآخرة دار ثواب وجزاء، بين أن لا سبيل للإنسان إلى تحصيل ما ينتفع به في الآخرة ابتداءً، وذكر هذه الثلاثة لأنها أسباب اجتلاب المنافع المقصود إليها أحدها المعاوضة، وأعظمها المبايعة، والثاني: ما يناله بالمودة، وهو المسمى الصلات والهدايا، والثالث: ما يصل إليه بمعاونة الغير، وذلك هو الشفاعة فبين تعالى أن من لم يكتسب في الدنيا ما ينتفع به في الآخرة لم يحصل له ذلك في الآخرة، وعلى هذا قال: **﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾**[3]، وقوله: **﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾**، **﴿وَلَا خِلَالٌ﴾**[4]، وفي الآية قول آخر وهو أن الناس في عبادة الله تعالى على ثلاثة أضرب، سابق حصل له منزلة الخلة، والمحبة المقصود إليها بنحو قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[5]، وغيره من الآيات التي تجري مجراها، وهو الذي يعبد الله لا لرغبته، ولا رهبة، ولا لطلب مثوبة، ومقتصد حصل له منزلة المبايعة المذكورة في قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾**[6]، وفي قول النبي ﷺ :

---

١ - هذا ليس من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو من دعاء عمرو بن عبيد انظر : جواهر الألفاظ ص ٥، ومجمع البلاغة للراغب - ج :١- ص٣٤٦، ومفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩١، ص ٦٤٣.

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٤٥).

٣ - سورة البقرة : الآية (١٢٣).

٤ - سورة إبراهيم - الآية : (٣١).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٢٢).

٦ - سورة التوبة : الآية (١١١).

«**الناس غاديان: مبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها**»،[١] وهو الذي يعبد الله خوف عقاب ورجاء ثواب، وظالم لنفسه، وهو المؤمن المقصر في استفادة المنزلتين المتقدمتين المتواكل في علمه وعمله المذكور في قوله: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم** ﴾[٢]، وهو المستحق للشفاعة المذكور في قوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»،[٣] فبين تعالى أن من لم يحصل له إحدى هذه المنازل الثلاث فلا سبيل له إلى اكتسابها في الآخرة، وقوله: ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾، لما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاث:

عدالة بين الإنسان ونفسه، وعدالة بينه وبين الناس، وعدالة بينه وبين الله تعالى، كذلك للظلم ثلاثة في مقابلتها وأعظم العدالة ما بين الإنسان وبين الله وهو الإيمان، وأعظم الظلم ما في مقابلته وهو الكفر، فلذلك قال: ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾، أي هم المستحقون إطلاق هذا الوصف عليهم بلا مثوبة..

إن قيل: كيف تعلق قوله: ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ بما قبله؟

قيل: لما نفى أن يكون للكفار شئ مما ذكره في الآخرة، بين أن ذلك ليس بظلم منه لهم، لكن هم الظالمون إذ هم الذين خسروا أنفسهم..

إن قيل:

كيف نظم هذه الآية مع التي قبلها؟

قيل: لما بين في الأولى أن منهم من آمن ومنهم من كفر، خوف المؤمنين أن يتحروا ما يخشى منه

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن كعب بن عجرة - ج :٣-ص ٣٢١، ولفظة: (الناس غاديان، فبائع نفسه فموبقها، ومبتاع نفسه فمعتقها) وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد - ج:٢-ص٣٠٣، كما أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب -ج:٢-ص١١ ،ج:٣-ص١٩٤ من حديث كعب بن عجرة.

٢- سورة النساء : الآية (٦٩).

٣- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده -ج:٢-ص٢١٢، وأخرجه ابن ماجة في باب الزهد - ص ٣٧، كما أخرجه الترمذي في باب القيامة - ص١١، وأخرجه الدارمي في السنة- ص٢١.

اجتلاب الكفر، وهو ترك الإنفاق على ما تقدم قوله..

قوله - عز وجل :

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ الآية :(٢٥٥) - سورة البقرة.

قد تقدم أنواع الحياة، وأن أشرفها الحياة الأبدية في الآخرة، وإذا وصف الباري - عز وجل- بها، فمعناه الدائم الذي لم يزل ولا يزال،ولا يصح عليه الموت بوجه، والتحية بذل الحياة فإذا قيل "**حياك الله**"، فمعناه : **خولك الحياة**، وكذا إذا قيل: "**حياك فلان**"، غير أن الأول إعطاء بالفعل ، والثاني بالقول وكذلك التسليم إعطاء السلامة على أحد الوجهين، والقيوم فيعول، وقيام: فيعال، وكذلك واوه، لأن الواو والياء إذا اجتمعا والأولى ساكنة، قلبت الواو ياء، وعلى ذلك "**ديَّار**"، ولو كان فعلها لقيل قوام، ودوار "**يقال قام كذا**" أي دام، وقام بكذا، أي حفظه، والقيوم في وصفه تعالى هو الدائم الحافظ للعالم وجواهرة وأعراضه، والقصد بمعناه إلى قوله: **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا ﴾**[١]، ومن قال : القيوم بالشئ: العالم به، فصحيح أيضاً، لأن حفظ الشئ يقتضي المعرفة به، ولهذا قيل للمعرفة الحفظ، ولضدها النسيان، وأصل النسيان الترك، والأخذ يعبر به عن الاستيلاء على الشئ، والقهر يقال: أخذته الحمى، وفلان مأخوذ ومقهور، والسِّنَةُ: عبارة عن الفتور والغفلة، والنوم يفسر على أوجه كلها صحيح، الأول: أنه استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه، وذلك بالنظر الطبي، والثاني : أن يتوفى الله النفس من غير موت، وهو الذي قال: **﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾**[٢]، وقيل: ترك الروح: استعمال الحواس من خارج إجماماً لها[٣]، وسئل[٤] بعض

---

١ - سورة فاطر : الآية (٤١).

٢- سورة الزمر الآية (٤٢).

٣ - أجم الإنسان والفرس ونحوهما: استراح، فذهب إعياؤه، وأجم الأمر: دنا وحان، ويقال: أجمت الحاجة، وأجم الفراق. والماء ونحوه تركه يتجمع .المعجم الوسيط- مادة : جم.

٤ - في المخطوطه: (وسبيل)، وهو خطأ من الناسخ.

الحكماء عن الفرق بين النوم والموت، فقال: الموت نوم ثقيل، والنوم موت خفيف، ولما كان النوم يقتضي السكون، قيل لمن يسكن إلى إنسان أو شئ استنام إليه، وإلى مقتضاه أشار بشار بقوله:

إِذَا أَيْقَظَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبِّهْ لَهَا عَمْراً ثُمَّ نَمْ(١)

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل: الماضي، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المستقبل، وقيل على العكس من ذلك، وهذا الاختلاف لاختلاف تصور ما اعتبر به الخلف والقدام، ولهذا يقال: خلفت كذا لما قضيته، وخلفي كذا لما لم تفعله بعد، وعلى ذلك قيل: وراءهما: الخلف والقدام، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الآخرة، وقيل بالعكس من ذلك، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المحسوس، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المعقول، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المحسوس والمعقول، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الغيوب التي لا سبيل للإنسان إلى معرفتها، والكرسي في تعارف العامة اسم لما يقعد عليه، وهو في الأصل منسوب إلى الكرسي أي الملبد، والكراسة للمتكرسة من الأوراق، والكروس: للمتراكب بعض أجزاء رأسه على بعض لكبره، والكرياس: الكنيف المكرس بالفناء إلى السطح، وروي ابن عباس: أن الكرسي: العلم، وليس ذلك بتعبد من حيث الاشتقاق نسبة إلى الأوراق التي تثبت فيها العلوم، كقولك : كراسي، وقيل: كرسيه: أصل ملكه، وكراسي القوم معتمدهم، وأنشد:

تَحُفُّ بِهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ

كَرَاسِيُّ بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ(٢)

---

١ - البيت لبشار بن برد وهو فى ديوانه ج : ٤ - ص ١٨٢ وهو من قصيدة مطلعها :-

ونبئت قومًا بهم جنة يقولون من ذا وكنت العلم

وقاله يمدح عمر بن العلاء - وذلك كما يقول الحسن الكرمي في « قول على قول » - ج : ١٢ ص٢٨. ومنها:

إذا ما عدمت فاحي السرى إلى ابن العلاء طبيب العدم

دعاني إلى عمـــر جوده وقول العشيرة بحر خضـم

ولولا الذي خبروا لـم أكـن لأمدح ريحانة قبل شـــم

إلى أن يقول :

فقل للخليفة إن جئته نصيحاً ولا خير في المتهم

إذا أيقظتك ....

وانظر : مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد- محمد بن أيدمر - ج : ١ - ص ٣٠٤.

٢- قال الطبري في تفسيره : رواية هذا البيت في أساس البلاغة للزمخشري عن قطرب : به في موضع (بهم) لم ينسبه . قال : ويقال للعلماء : « الكراسي » عن قطرب ، وأنشد البيت ج :٥- ص٤٠٢. وأورده أبو حيان في البحر المحيط - ج :٢ ص٢٨٠ ولم ينسبه وأورده الزمخشري في أساس البلاغة مادة (كرس) وأورده الماوردي في النكت والعيون - ج :١ ص ٣٢٥.

وقيل: كرسيه : مملكته، وقيل: اسم الفلك المحيط بالأفلاك، ويشهد لذلك ما روي أبو ذر عن النبي ﷺ قال: (**ما السماوات السبع في جنب الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**)(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: (**الكرسي لؤلؤه طولها لا يعلمها العالمون، وأعظم من سبع سماوات وسبع أرضين، وهو من خير الجوهر**)(٢)، وعن ابن عباس أن رجلاً أتاه، فسأله ثلاث مرات عن هذه الآية، وعن قول الله : ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ**﴾(٣)، فلم يرد عليه شيئاً، فلما خف عنه الناس، قال له الرجل: ما منعك أن تجيبني؟

فقال: «**وما يؤمنك إن أخبرتك أن تكفر؟ سماءٌ تحت أرض، وأرض فوق سماء، مطوياتٌ بعضها فوق بعض، يدور الأمر بينهن**»،(٤) والخبر الأول يدل أن جوهر الكرسي والسماء أشرف مما عرفناه، والخبرُ الأخيرُ يدل على أن الفلك كرويٌّ، وماروى أن الكرسي موضع القدمين، وأن له أطيطا كأطيط الرحل الحديد فصحيح(٥)، ومعناه لا يخفي على من عرف الله عز وجل - وعرف الأجرام السماوية

---

١ - الحديث عن أبي ذر : قلت : يارسول الله أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال (آية الكرسي) ، ثم قال : ياأباذر : ماالسماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٥١١، وأخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٧٧ وأورده ابن كثير في تفسيره ج :١-ص٣٠٩ : ص٣١٠ من حديث أبي ذر وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وقال صححه ابن حيان ، وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح ، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القران ص ٥٥٩ ، ص ٧٠٦، وأورده القرطبي في تفسيره من رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر وقال : أخرجه الآجري وأبو حاتم البستي في مسنده والبيهقي، وذكر أنه صحيح تفسيرالقرطبي ج :٢- ص ١٢٠١ : ص ١٢٠٢.

٢ - الأثر أورده ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية (١٢- سورة الطلاق)، فقال حدثنا ابن حميد بسنده إلى سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن» الآية ، فقال ابن عباس : مايؤمنك أن أخبرتك بها فتكفر : وأورد ابن كثير ماارواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات في هذا الأثر عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى ثم أورد قول البيهقي فيه : إسناد هذا عن ابن عباس صحيح ، وهو شاذ لاأعلم لأبي الضحى عليه متابعاً . والله أعلم تفسير القرآن العظيم - ج :٤-ص٣٨٥.

٣ - سورة الملك : الآية (٣).

٤ - هذا حديث رواه ابن كثير عن ابن جرير في تفسيره ج :١-ص٣٠٩ كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري رواية عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس ورواية عن ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى انظر : فتح الباري - ج :١٢ -ص ٥٢٦.

٥ - الحديث أورده ابن كثير في تفسيره بسنده إلى عمر رضي الله عنه قال : (أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة قال : فعظم الرب تبارك وتعالى وقال : « إن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الحديد من ثقله » ، وقد رواه البزار في مسنده المشهور، وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما ، والطبراني وابن أبي عاصم وفي كتاب السنة لهما والحافظ الضياء في كتابه المختار من حديث أبي اسحق السبيعي عن عبد الله بن خليفة وليس بذاك المشهور وفي سماعه من عمر نظر وقال ابن كثير :ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً ، ومنهم من يرويه عن عمر مرسلاً . ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ومنهم من يحذفها تفسير القرآن العظيم ج : ١- ص٣١٠.

ومجازات اللغة، ونظر من المعنى إلى اللفظ لا من اللفظ إلى المعنى، ومن لم يعرف ذلك فحقه أن يسلم اللفظ للرواية دون تكذيب الآية، ويترك الخوض فيما لا يعلم اتباعاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[١]، وليس في إثبات الكرسي له إثبات كونه جسماً محدوداً، كما أنه ليس في إثبات البيت له إثبات كونه ساكنة وليس في نسبة القدم إليه إثبات جارحة، كما أنه ليس في قوله - عليه الصلاة والسلام في وصف أولياء الله عز وجل- "**أكون سمعه الذي يسمع به، وعينه التي يبصر بها، ويده التي يبطش بها**"[٢]. إثبات جارحة، و"لا يؤوده"- لا يثقله أصله من الأول العوج، ولما جرت العادة أن متحمل الثقل يعوج في الممر استعير (أده) كذا للثقل، وقوله: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾ معناه: الله هو الذي يحق له العبادة لا غير، وقيل: الله الذي ولهت الأشياء كلها له، وذاك أنه مامن إنسان مؤمن وكافر، بل مامن حيوان إلا إذا نابته نابية شديدة اعتمد عليه، ووله إليه، ولهذا قيل: "الله محبوب الأشياء كلها إما بطبعها، وإما بقصدها[٣]، وقوله: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾ تأكيد لما اقتضاه الحي القيوم- تنبيهاً أنه وإن شارك الأحياء في الاسم، فقد فارقها في الحقيقة، إذ كان سائر الأحياء لا ينفك من غفلة ونوم.

إن قيل: كيف خص بملكه ما في السماوات والأرض، وذلك يوهم أن ليس له السماوات والأرض؟

قيل: لم يرد بقوله (في السماوات والأرض) معنى الشئ في الوعاء وفي المكان، وإنما يريد ما تركب منه السماوات والأرض من الجواهر والصور والأعراض والصنع، فصار ذلك من وجه أبلغ من قولك (له السماوات والأرض)، إذ قد يحصل للمالك ماليس بمصنوعه، على أنا لو نظرنا من حيث

---

١ - سورة البقرة : الآية (١٦٩).

٢ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه - ج :٨- ص ١٠٥ (باب التواضع) ، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج :١٧ - ص٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١ بسنده إلى أبي هريرة ، وأورده النووي في رياض الصالحين فى باب علامات حب الله تعالي للعبد - ص ١٣٩ ، وورد في كتاب : الأحاديث القدسية - ج : ١- ص٨١.

٣ - هذا من قول بعض الحكماء، وأورده الثمين الحلبي في كتابه المخطوط عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ في مادة (أله) كما ذكر ذلك صفوان داوودي في تحقيقه لكتاب مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٣.

نظرت، لم يكن يقتضي ذلك ما ذكر، لأنه لما قصد تعالى تعريفنا قدرته، ذكر لنا ما يمكننا إدراكه لنستدل به على مالا نعرفه والإحاطة بالسماوات والأرض لا سبيل لنا اليها، وقد تقدم آنفاً حقيقة الشفاعة[1]، وذكر مستحقيها، وأن ذلك لمن كان منه تقصير في العلم والعمل، غير أنه لم يخرج عن خطر الشريعة وعن الائتمار لرسل الله وخلفائهم من أهل العلم في الاعتماد الوصول وكون ما جاءوا به حقاً، وهم الذين أذن تعالى في الشفاعة فيهم، وعناهم بقوله:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[2]، وقوله: **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾**، نفي تعالى عنا الإحاطة بشئ من علمه، وكيف يمكن لنا ذلك، وقد علم أن المحيط بنا علماً، كما قال- عز وجل: **﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾**[3]، ومن المحال أن يكون المحيط بكل شئ يحيط به شئ، وقوله: **﴿مِّنْ عِلْمِهِ﴾** على وجهين: أحدهما مما يعلمه، وهو ويكون العلم مضافاً إلى الفاعل، والثاني: أن يعلمه الخلق ليكون مضافاً إلى المفعول به، أي لا يحيطون أي يعلموه تنبيهاً أن معرفته على الحقيقة متعذرة، بل لا سبيل إليها، وإنما غايتها أن يعرف الموجودات، فيتحقق أن ليس إياها، ولا شيئاً منها، ولا شبيهاً بها،

---

١ - أورد الراغب معنى الشفاعة في : مفردات ألفاظ القرآن فقال : الشفاعة : الانضمام إلي آخر ناصراً له وسائلاً عنه ، وأكثر مايستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلي من هو أدنى . ومنه : الشفاعة في القيام. قال تعالي : (لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) (مريم / ٨٧) ...، (من يشفع شفاعة حسنة) (النساء / ٨٥) (ومن يشفع شفاعة سيئة) (النساء / ٨٥)، أى : من انضم إلي غيره وعاونه ، وصار شفعاً له ، أو شفيعاً في فعل الخير والشر ، فعاونه وقواه ، وشاركه في نفعه وضره ، وقيل . الشفاعة هـهنا : أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير ، أو طريق شر فيقتدى به ، فصار كأنه شفع له واستشفعت بفلان علي فلان فتشفع لي ، وشفعه : أجاب شفاعته، ومنه قوله عليه السلام (القرآن شافع مشفع) ، والشفعة هو طلب مبيع فى شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه . وهو من الشفع ، وقال عليه السلام « إذا وقعت الحدود فلاشفعة " مفردات ألفاظ القرآن - الراغب - ص ٤٥٧ ،ص٤٥٨ - تحقيق صفوان داوودي .

٢ - سورة الأنبياء : الآية (٢٨).

٣ - سورة الطلاق: الآية (١٢).

بل هو سبب وجودجميعها، وأنه يصح ارتفاع كل ماعداه مع بقائه تعالى، وبهذا النظر قال أبو بكر- رضي الله عنه- «**سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته**»، وقال بعض الأولياء: «**غاية معرفة الله أن تعلم أنه يعرفك لا أنك تعرفه**»، ولهذا قيل: **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾**[1]، وقال أمير المؤمنين:

«**تجلي لعباده في القرآن من غير أن يروه، وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم**»،[2] وقوله: **﴿إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾** أي : إلا بما شاء أن يقفهم عليه من القليل الذي قال: **﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[3]، ثم أكد بما فيه عليه بقوله: **﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾** بقوله: **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾**، أي إذا كان علمه ومملكته وقدرته محيطة بهذه الأشياء والإنسان بعض هذه الأشياء، فكيف تصح إحاطته بمن هو محيط بهذه الأشياء وهو يعجز عن الإحاطة بها، والعلي هو القاهر فوق عباده، وقيل: العلي عن النظير، وقيل: القادر على حفظه، وقيل: القائم به، وكل ذلك راجع إلى التنبيه على قدرته وسلطانه وأن ماعداه مستحقر بالإضافة إليه.

---

١ - سورة الحديد :الآية (٣).

٢ - أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٣١.

٣ - سورة الإسراء : الآية (٨٥).

قوله - عز وجل :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية : (٢٥٦) - سورة البقرة .

الغي كالجهل، إلا أن الجهل يقال اعتباراً بالاعتقاد والغي اعتباراً بالأفعال، ولهذا يقال: الجهل بالعلم، والغي بالرشد، ويقال لمن أصاب رَشَدَ، ولمن أخطأ غوى، وعلى هذا قال الشاعر:

وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدِمْ عَلَى الْغَيِّ لائماً (١)

والطاغوت وزنه (فعلوت)، نحو جبروت، وأصله طغووت، لكن قلب لام الفعل نحو: صاعقة وصاقعة، ثم قلب الواو ألفاً لتحركه وانفتاح ما قبله، ويسمى كل ما يصرف عن الله عز وجل- طاغوتاً وشيطاناً كان أو إنساناً، ولهذا روي عن عمر ومجاهد وقتادة أنه الشيطان(٢)، وعن ابن جبير أنه الكاهن، وعن أبي العالية أنه الساحر، وعن غيرهم أنه صنم، وقيل: هو المارد من الناس والجن، وكلهم صارفون للإنسان عن طريق الحق، وقد تقدم أن النهي عن اتباع الطاغوت والشيطان، وإبليس والهوى

١- هذا شطر بيت للمرقش الأصغر ، وشطره الأول :

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره   ومن يغو لايعدم علي الغي لائماً

واسم المرقش الأصغر ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، والمرقش الأكبر عمه ، واسمه : عمرو سعيد بن مالك، وكلاهما شاعر جاهلي ، وكان المرقش الأصغر أحد عشاق العرب المشهورين وفرسانهم في الجاهلية.

والبيت من قصيدة له في المفضليات من (ص٢٤٤ - ٢٤٧) فى أربعة وعشرين بيتاً ، ومطلعها :

ألا يا أسلمي لاصرم لي اليوم فاطما   ولا أبداً مادام وصلك دائما

والبيت في الأغاني - ج :٥ -ص١٨٤ ، ومحاضرات اليوسي - ج :٢- ص٤٨٧، والمشوف المعلم - ج :٢-ص٥٥٥، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٦٢٠ ، وهو أيضاً في لسان العرب - مادة : غوى .

٢- قال الراغب في المفردات : « الطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله ، ويستعمل فى الواحد والجمع ، وسمى الساحر والكاهن والمارد من الجن ، والصارف عن طريق الخير طاغوتاً ، ووزنه فيما قيل : فعلوت ، نحو «جبروت وملكوت » مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٢٠ ، ص٥٢١- تحقيق صفوان داوودي . وأورد ابن كثير مارواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي إسحق عن حسان بن قائد العبسي عن عمر رضي الله عنه أن الجبت السحر والطاغوت الشيطان وأن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجل يقاتل الشجاع عمن لايعرف ويفر الجبان من أمه ، وإن كرم الرجل دينه وحسبه وخلقه وإن كان فارسياً أو نبطياً ، ثم علق ابن كثير بقوله ومعني قوله في الطاغوت إنه الشيطان قوى جداً ، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها ، تفسير القرآن العظيم - ج - ١ - ص٣١١ . ط . دار الفكر العربي.

والدنيا يجري مجرى واحداً في أن المقصد به النهي عما لا يرضاه الله، وقوله:

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، كقوله: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾**[١]، وعلى ذلك حث بقوله: **﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾**[٢]، وقوله: **﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾**[٣]، والكره يقال على ضربين: أحدهما أن يكون مُقْسَراً من خارج، وذلك على أحد الأوجه الثلاثة، إما بأن يهدد بالضرب أو يضرب حتى يفعل، وإما أن تؤخذ يده فيفعل بها، فيكون في هذا كلالة، وإما أن يدعوه من يزينه في عينه، والثاني: ما يكون مفسراً من داخل، وذلك إما بخوف يستشعره، وإما بهوى يغلبه، وقد روعي كل ذلك في تفسير الآية، فقيل فيه أوجه:

الأول: إن ذلك حث على أن لا يحمل الإنسان على الدين بالقسر، بل يعرض عليه الإسلام عرضاً ويعرف فضله، فإن قبل[٤]، وإلا ترك؟ قيل: وهذا حكم كان في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بسورة براءة، وذلك عن السدي، وابن زيد[٥]، والثاني: نحو ذلك، غير أنه خص بمن قبل منهم الجزية دون مشركي العرب، وذلك عن الحسن، وقتادة، والضحاك، وعلى هذين معناه: أمن، والثالث: أن قوله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ﴾** لا اعتبار بالإكراه في الأحكام الدنيوية، فالمكره على الإسلام،وغير المكره سيان بعد أن يلتزما..

---

١ - سورة النازعات : الآية (٤٠).

٢ - سورة ص : الآية (٢٦).

٣ - سورة يس : الآية (٦٠).

٤ - في (و - ج) وإن قيل، وهو تصحيف.

٥ - علق الدكتور مصطفى زيد على القول بادعاء النسخ في هذه الآية : بقوله « لم يشرع القتال في الإسلام للإكراه على الدخول فيه ومن ثم لايسوغ إدعاء النسخ على قوله تعالي (لا إكراه في الدين) لأنه عام في نفي الإكراه ، فهو خبر لايقبل النسخ ، ولأنه إن أريد به النهى لايعارض الأمر بالقتال ، من حيث أن غاية القتال ليست هى الإكراه فى الدين . ودعوى النسخ هنا مروية عن ابن زيد وهو شديد الضعف لايحتج به - النسخ في القرآن الكريم دكتور مصطفى زيد ج ٢٠ - ص٥١٠ ، ص٥١٢. ط-دار الوفاء - المنصورة ، وأورد السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد أوعكرمة عن ابن عباس قال : نزلت (لاإكراه في الدين) في رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو مسلما ، فقال للنبي صلي الله عليه وسلم : ألا أستكرههما ، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله الآية - أسباب النزول - السيوطي - ص٣٥ - دار المنار - القاهرة .

والرابع : لا حكم للكفر لمن أكره على الكفر، والدين يكون لغير الحق على هذا نحو ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾(١).

الخامس: لا اعتداد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعة كرهاً، وكرهاً، فإن الله يعتبر السرائر ولا يرضى إلا الإخلاص، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:

«**الأعمال بالنيات**»،(٢) وقال: «**أخلص يكفك القليل من العمل**».(٣)

السادس: ليس يحمل الإنسان على أمر مكروه في الحقيقة بما يكلفهم الله، بل يحملون على نعيم الأبد، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل»(٤).

السابع: أن الله تعالى ليس بمكره على الجزاء، بل يفعل ما يشاء بمن يشاء على ما يشاء، والاستمساكُ طلبك إلى الغير ليمسك كالاستحفاظ والاستنصار، و﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ مستعارة للعبد المركون إليه كالحبل في نحو:

أخذت بحبل من حبال محمدٍ — أمنتُ به من طارق الحدثان(٥)

---

١ - سورة النحل : الآية (١٠٦).

٢- الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في بدء الوحي ج :١-ص٧، كما أخرجه فى مواطن عديدة من صحيحه منها « كتاب الإيمان » ، « باب : ماجاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ مانوى » ج :١-ص١٢٦ ، وكتاب الفضائل باب هجرة النبي صلي الله عليه وسلم ج -٧ -ص١٧٧، وأخرجه مسلم فى كتاب الإمارة برقم (١٩٠٧) باب قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنية»، كما أخرجه الحافظ بن رجب في جامع العلوم والحكمة – ج -١-ص٨١- تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور .

٣- نص الحديث : (أخلص النية يكفك القليل من العمل) ، أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ج -١ -ص٥٤، كما أخرجه ابن كثير فى البداية والنهاية ج - ٢-ص٣٩٢، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ٢- ص٢٣٦، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ج-١ -ص٢٤٤، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم : (٥٢٥٧).

٤- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل) - كتاب الجهاد ج :٦-ص١٤٥ ، كما أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم (٢٦٧٧) وأخرجه البغوي فى شرح السنة - ج ١١ -ص٧٦ وأورده الراغب الأصفهاني فى مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤١٨ .

٥- البيت قاله أبو نواس يمدح الأمين محمد بن الرشيد، ومطلعها :-

لمن طلل لم أشجه وشجاني — وهاج الهوى أو هاجه لأوان

وقال بعده : **غطيت من دهري بظل جناحه — وعيني ترى دهري وليس يراني**

شرح ديوان أبي نواس ص ٤٨٠ ، مخطوط كتاب الدر الفريد - ج : ١- ص٢٥٢.

ونحو:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم

شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا (١)

فقول من قال: العروة الوثقى الإسلام، وقول من قال: «لا إله إلا الله(٢)، وقول من قال: الثواب: الجنة، فنظرات منهم إلى مبتدى الدين ومنتهاه، وكله صحيح.

قوله - عز وجل :

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية -(٢٥٧) - سورة البقرة.

الولي: كون الشئ بجنب الآخر، ويعتبر ذلك تارة بالمكان، فيقال له الولاية وتارة بالنصر فيقال له الولاء والموالاة، لكن الولاء على ضربين باعتبار نسبة الأعلى إلى الأسفل، وضرب باعتبار نسبة الأسفل إلى الأعلى، ولهذا يقال للخادم والمخدوم مولى، وولي، لأن كل واحد منهما يوالي الآخر الخادم بالطاعة والنصيحة، والمخدوم بالإشفاق، والكناية، وقال: أهل اللغة: المولى المالك، والمملوك والمعتق والمعتق والناصر والمنصور، وابن العم والحليف والجار والقيم، وأخذوا في كل ذلك المتطابقين، لكون كل واحد منهما موالياً للآخر بوجه.(٣)

---

١ - البيت للحطيئة وهو في ديوان الحطيئة ص١٦، والبيت قبله :-

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وهو من أولى قصائده في الديوان ومطلعها :-

طافت أمامه بالركبان آونة ياحسنة من قوام ما ومنتقبا

وفي لسان العرب ج : ٢- ص٢٠٩، ج :٣- ص١٥٤ ، وفي شرح أدب الكاتب للجواليقي ص٢٤٠، واعجاز القرآن - للبلاقلاني بتحقيق السيد أحمد صقر - ص ١٥٥.

والعناج في الدلو الثقيلة حبل يشد تحتها ثم يشد إلى العراقي وأراد الحطيئة أنهم إذا عقدوا عقداً أحكموه وأوثقوه كإحكام عقد الدلو إذا شد عليه العناج والكرب وذلك كما في الاقتضاب - لابن السيد - ص٣٥١.

٢- أورد القرطبي قول السدي بأن العروة الوثقى هى الإسلام ، وقول مجاهد بأنها الإيمان وقول ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك بأنها لا إلاه إلا الله ، ثم علق القرطبي بقوله : وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد . تفسير القرطبي ج :٢-ص١٢٠٥. ط - دار الغد العربي .

٣- قال الراغب فى المفردات : « والمولي يقال للمعتق والمعتق والحليف وابن العم والجار وكل من ولي أمر الآخر فهو وليه ، مفردات ألفاظ القرآن - ص٨٨٧، وقال الفراء: وكسر الواو في الولاية أعجب إليَّ من فتحها لأنها إنما تفتح أكثر من ذلك إذا كانت في معنى النصرة ، وكان الكسائى يفتحها ويذهب بها إلى النصرة . معاني القرآن - ج - ١-ص٤١٨.

والنور: عبارة عن العلم والإيمان والظلمة عن ضدهما، ووجه ذلك أنه لما كان للإنسان نظرات بنظر وتبصر، ويرى بهما البصر الحاس في الرأس والبصيرة في القلب، فكما أن البصر لا يستغنى في إدراك ما يدركه من المعقولات عن نور يمده وهو نور التوفيق والإيمان، ويقال لفقد البصرين عمى، ولفقد النورين ظلمة، وأعظمهما ضرراً فقد البصيرة ونور العقل، ولهذا قال تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]، فلم يعد فقد البصر عمى. بالإضافة إلى فقد البصيرة، وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[3]، وقوله: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[4]، يعني بذلك كلا النورين والظلمتين؛ إن قيل: وهل هذا النور موهبة أو مكتسب؟

قيل: لا شك في كونه موهبة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[5]، لكن فيه للاكتساب حظ، فإن ابتداء ما يحصل ذلك للإنسان كشررة، متى لم ترع همدت، وإذا روعيت زادت، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[6]، بين تعالى إن الله عز وجل- يوالي المؤمنين بأن يوفقهم ويهديهم، وهم يوالونه بأن يشكروه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[7]، فهو يخرجهم من الجهل والكفر إلى العلم والإيمان والثواب والكافرون، يواليهم الشيطان في إخراجهم إلى أضداد ذلك إن قيل: لم قال: أولياؤهم وما يفعل بهم الطاغوت هو بالمعاداة أشبه منه بالموالاة؟

قيل: لعمري إن ذلك نهاية المعاداة وتسميته بالموالاة أولى لمقابلة اللفظ، وثانياً: لتحريهم ما يقع بوفاقه، وميلهم [8] إلى حزبه، فجعله مولاهم في اللفظ لا في الحقيقة، ألا ترى أنه قال: ﴿أَلَمْ

١ - سورة الحج : الآية (٤٦).
٢ - سورة الأنعام : الآية (١).
٣ - سورة الحديد : الآية (٢٨).
٤ - سورة الأنعام : الآية (٦٣).
٥ - سورة النور : الآية (٤٠).
٦ - سورة محمد : الآية (١٧).
٧ - سورة المائده : الآية (٥٤).
٨ - في (و - ج) ومثلهم وهو خطأ من الناسخ.

أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾(١)، فسماه عدواً، وعلى حد جعله أوليائهم جعلهم حزبه في قوله: **﴿أولئك حزب الشيطان﴾**(٢)، وقال للمؤمنين: **﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾**(٣)..

إن قيل: فكيف قال هاهنا: **﴿أولياؤهم الطاغوت﴾**، وقال في آخر **﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾**(٤).

قيل: إن من وليه الشيطان، فلا ولي له، ولا فرق بين أن يقال: وليه من نصره، وبين أن يقال: لا ولي له، وقول من قال: الله ولي المؤمنين بتوفيقه وعصمته، ومن قال بإقامة البرهان لهم، ومن قال بنصرتهم على عدوهم، وإظهار دينهم علي دين مخالفيهم، ومن قال بثوابهم، فكله صحيح ومراد، لأن ذلك متلازم، وإنما اختلفت العبارات عليهم بحسب النظرات ونحو ذلك في استعمال النور والظلمة في العلم والجهل والإيمان والكفر..

قوله: **﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾**(٥) الآية.. إن قيل: كيف؟ قال (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وقد قلت: النور: العلم والإيمان، والكفار لم يكونوا في هذا النور، والإخراج عن الشئ يعد لكون فيه، قيل: إن الله تعالى خلق الانسان على فطرة، ركز فيه العلم والإيمان بالقوة، وهو المعنى بقوله: (فطرة الله)، و(صبغة الله)، وقول النبي - عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يولد على الفطرة**»(٦)، والإنسان متى أهلك(٧) نفسه وأفسدها بالهوى والتدليس بالجهالات، فقد أخرج من النور إلى الظلمة، وقال الحسن إخراجه إياهم منعهم من الدخول فيه كقوله:

---

١ - سورة يس : الآية (٦٠).

٢ - سورة المجادلة : الآية (١٩).

٣ - سورة المائدة : الآية (٥٥).

٤ - سورة محمد : الآية (١١).

٥ - سورة إبراهيم : الآية (٥).

٦- الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب القدر - ج : ٦- حديث ٢٦٥٨ وقد سبق تخريجه .

٧ - في (و- ج) أهل، وهو تصحيف.

﴿ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ﴾(١) فجعل صيانتهم (٢)من العذاب كشفنا عنهم، وروي عن مجاهد أن ذلك في قوم ارتدوا عن الإسلام، وقيل إن ذلك نزل في قوم كفروا بعيسى ثم آمنوا بمحمد - عليهما الصلاة والسلام- فأخرجهم الله من الظلمات إلى النور، وقوم آمنوا بعيسى -عليه الصلاة والسلام-، ثم كفروا بمحمد- عليه الصلاة والسلام-، فأخرجهم الطاغوت من النور إلى الظلمة..(٣)

إن قيل: لم قال: يخرجونهم بلفظ الجمع؟

قيل: قد قال بعضهم: الطاغوت يقع على الواحد والجمع كالفَلَك، ووجه ذلك من حيث المعنى أن الطاغوت إشارة إلى المضلات من الشيطان والهوى وسائر ما يضل، وقد قال بعض الحكماء ما هو كالتفسير، لذلك إنه متى يخالف العقلُ والهوى شيئاً ما، أعني: مؤلماً- جميلاً وملذاً قبيحاً، يبادر الملك إلى نصرة العقل، فيصير من حزبه،والشيطان إلى نصرة الهوى، فيصير من جنده وإن استشار صالحاً من عباد الله، أشار عليه بمقتضى العقل،وإن استشار شريراً، أشار عليه بمقتضى الهوى، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾.(٦)

---

١ - سورة يونس : الآية (٩٨).

٢ - في (و - ج) عن.

٣ - أورد السيوطي في أسباب النزول ما أخرجه ابن جرير عن عبدة بن أبي لبابة في قوله : (الله ولي الذين آمنوا) قال : هم الذين كانوا آمنوا بعيسى ، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وأنزلت فيهم الآية ، كما أورد ما أخرجه ابن جرير عن مجاهد قال : كان قوم آمنوا بعيسي ، وقوم كفروا به ، فلما بعث محمد صلي الله عليه وسلم ، آمن به الذين كفروا بعيسى ، وكفر به الذين آمنوا بعيسى ، فأنزل الله هذه الآية . أسباب النزول - السيوطي - ص٣٥ - ط . دار المنار بالقاهرة

٤ - سورة الأنعام : الآية (١١٢).

٥ - سورة الزخرف : الآية (٣٦).

٦ - سورة : النور الآية : (٢١).

إن قيل: كيف نظم هذه الآية مع ما قبلها؟

قيل: لما قرر عظمته بالآية المتقدمة، بين في هذه أن الذي له العظمة هو مولى المؤمنين تشريفاً لهم، وتعظيماً لمكانتهم، وأن الشيطان مولى الكافرين تدليلاً لهم، فقد قالت العرب:

«أشرف الموالي أشرفهم سيداً، وأكرم السائلين أكرمهم مسؤولاً».

وعلى هذا قال الشاعر:

يضع الزيارة حيث لا يزري بنا   شرف المزور ولا بحسب الزور[1]

قوله - عز وجل :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الآية : (٢٥٨) - سورة البقرة .

المحاجة: المقاومة في إظهار الحجة، أي محجة الرشد، والشمس اشتق عنها شمس فلان إذا نفر تشبيهاً بالشمس التي لا يمكن أن يقبض عليها، وعلى ذلك قوله:

كالشمس ضوؤها قريب ولكن في تناولها بُعْدُ وقيل: شمس إذا عادى..

وذاك أن حقيقة المعاداة تنافر طبع المتعاديين بعضها من بعض من عداه إذا تجاوزه، والشمسة في القلادة تشبيهاً في الحسن والهيئة، والبهت أن تفعل بالإنسان ما يحيره، وسمي الكذب المستقبل به الإنسان بهتاناً، لتحير صاحبه فيه..

والذي حاج إبراهيم في ربه، قيل كان نمرود بن كنعان، وكان قد ملك الدنيا، [2] ويقال: إنه ما

١- البيت قائله هو حميد بن ثور - كما قال محمد بن أيدمر فى مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد فى ج : ٥ ص ١٧٤.

٢- أورده القرطبي وقال : هو النمرود بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة . وهذا قول ابن عباس ومجاهد ، وقتادة ، والربيع ، والسدي وابن إسحق ، وزيد بن أسلم وغيرهم الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج : ٢- ص١٢٠٧.

ملكها إلا أربعة مؤمنان: وهما سليمان، وذو القرنين، وكافران: نمرود وشداد..[١]

إن قيل: ما الذي ادعى هذا الكافر؟

ادعى نفي الخالق؟ أم ادعى لنفسه الربوبية؟ أم الأمرين؟ فإن ادعى الربوبية، فعلى أي وجه ادعى، فبعيد أن يزعم من وجد بعد أن لم يكن أنه موجد الخلائق..

قيل: قد ذكر المخلصون في ذلك وجهين، أحدهما: أن هذا الكافر نمرود، وكان الناس حينئذ يعظمون ملكهم حتى كانوا يسمونه الرب والإله، ولهذا قيل: (الله رب الأرباب وإله الآلهة)، وكانوا يدعون له أفعالاً إلاهية تقصر قدر البشر عنها، وقد حكى الفرس عن ملوكهم شيئاً كبيراً من ذلك كما ادعوا لكنخسرو أنه ألجأه عدو له إلى سفح جبل، فحملته الملائكة، وأن شابور لما حارب التنين، فأظلم عليه الدنيا، أنزل عليه ناراً، فصارت على عرف فرسه، فاستضاء بها حتى قتل التنين، وكان نمرود لما طغى سام الناس أن يعبدوه عبادتهم لله، إذ هو بزعمهم سايسهم، وملكهم، وربهم، وإلاههم، فهذاك أحد الوجهين، والثاني: أنه كان يذهب مذهب من يقول بالحلول[٢]، أن الباري -تعالى عن ذلك- يحل في أشخاص الأئمة حسب ما ادعى بعض المتنصرة وبعض المتشيعة الملحدة، وكان نمرود يدعي الربوبية على أحد هذين الوجهين، لا أنه ينكر رب العزة..

---

١ – أورده ابن كثير فى تفسيره وقال : مجاهد : « وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة : مؤمنان ، وكافران ، المؤمنان : سليمان بن داود وذو القرنين ، والكافران : نمرود وبختنصر » . تفسير القرآن العظيم – ج : ١- ص٢١٢ .

٢ – الحلول والاتحاد وهو الاعتقاد الفاسد بأن روح الإله تحل في أناس بعينهم وتتحد معها ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد حدد الإمام عبد القاهر البغدادي فرق الحلولية بعشر فرق ، وفي ذلك يقول : في الفصل العاشر تحت عنوان في ذكر أصناف الحلولية وبيان خروجها عن فرق الإسلام (الحلولية فى الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الإسلام ، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع ، وتفصيل فرقها في الأكثر يرجع إلي غلاة الروافض) ، ثم يفصل القول في عقائد هذه الفرق الضالة في كتابه « الفرق بين الفرق » ، من ص ١٩٣ إلى ص ١٩٧، وقد تناول ذلك أيضاً كل من فخر الدين الرازي فى كتابه إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، والحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه « تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد ، الحاوي للفتاوى ج – ٢- من ص١٣٣ ، إلى ص ١٣٧.

إن قيل: ما الذي حاج إبراهيم؟

فإن المحكي عنه ليس بأكثر من ادعى إبراهيم دعوى، فعارضه بمثلها فانتقل إلى دعوى أخرى، وإن كان ما ذكره إبراهيم ثانياً حجة، فهلا كان يعكس عليه، ويقول: فليأت ربك بشمس من المغرب، فإن الآتي بها من المشرق حتى كان لا يبهت، قيل: قد تقدم أن ما يمكنه الله عن الأمم لا يكاد يستوفي القصة من أولها إلى آخرها، بل يورد نكتة، ويشير[1] إليها إشارة وهو لم يستوف ذكر ما حاجه به كله،وقد تقدم أن نمرود لم يدع أني شخص وحشي موجد السماوات والأرض، وإنما كان ذلك على أحد الوجهين المتقدم ذكرهما، وكان قد ادعى أن كل ما هو داخل تحت قدرته، فهو أو مثله أو قريب منه داخل تحت قدرتي، فقال ابراهيم: ربي الذي يحي ويميت فقال أنا أحي وأميت، فأخرج رجلين من الحبس، فخلى أحدهما، وقتل الآخر، فقال: هذا أحياه وهذا[2] أماته، وقد كان إبراهيم يمكنه أن يزيد أن الذي ادعاه لربه ليس هو الجنس الذي ادعيته لكن عدل إلى فعل ليس في طرق البشر هو ولا قريب منه ولا ما يشاركه اسما، فقال: قد ثبت باتفاق أن الله يحرك الشمس من المشرق، فحرك أنت تحريكاً من المغرب، فلم يجد شيئاً يدعيه كما ادعى في الاحياء والإماتة، فبهت حينئذ، وظهر عجزه إذ لم يكن من جنس إطلاع الشمس وإغرابها شئ ممكن للملوك كما ادعى الإحياء والإماتة، ولم يمكنه أن يعكس ذلك، فقد كان أقر بالباري، وإنما كان يدعي أنه يفعل فعله، إن قيل: أليس العدول من حجة إلى حجة يعده أهل الجدل انقطاعاً؟ فما وجه ما فعل إبراهيم؟

قيل: أما أولاً، فما ذكره إبراهيم كان معارضة، وذاك أن الكافر ادعى أن في وسعه أن يفعل كل جنس من الفعل يفعله الباري - عز وجل، وذلك ادعاء حكم موجب كلي، والكلي ينقض بالجزئي، نحو أن يقال: كل إنسان كاتب، فمتى وجد إنسان غير كاتب فقد ظهر كذبه، وللمعارض إذا أراد المناقضة أن ينتقل عن مثال خفي إلى مثال جلي، ولا يكون ذلك منه انتقالاً، وهذا باب قد أحكمه أهل الجدل، على أن ذلك لو كان ابتداء حجة، لم يكن على شرط أهل النظر بمذموم، فالحجج المعدول عنها ضربان.

---

١ - في (و - ج) ويشين وهو تصحيف.

٢ - في (و - ج) هذا أحياه أو أماته، وما أثبتناه هو الأصح.

حجة يذكرها، ثم يتركها لظهور فسادها، وذلك مما لا يرتضيه أهل النظر، وحجة يذكرها، فيقصر فهم سامعها عن إدراكها، أو يكثر مشاغبته فيها، فيعدل عنها إلى ما هو أوضح، إذ كان كل يتبين الحق وإزالة الشبهة، وهذا ليس بمذموم،وقوله: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ قال بعضهم: أراد إبراهيم لأن الله تعالى لا يؤتي الملك الكفرة، لأن ذلك مفسدة ينزه الله تعالى عنها، وأكثر المفسرين على أنه النمروذ [١] وذاك أن السلطان من الأغراض الدنيوية، كالمال، والجاه، والأولاد، وذلك مما يؤتي المؤمن والكافر امتحاناً واختباراً.. إن قيل: أليس قلت: إن الملك اسم لما فيه العدالة، فكيف يصح أن يقال ذلك لما يتوارد للكافر؟

قيل: إن الملك الحقيقي الذي يجوز للإنسان المتسمي به هو ذاك لكن الناس يستعملونه فيمن يتسلط على الناس على أي وجه كان فتسمية الله تعالى إياه بذلك إنما هو على زعمه، وزعم أتباعه، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٢]، فسماه عزيزاً لا بالحقيقة لكن على ما كان يتسمى به..

إن قيل: كيف قال: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، والظالم أولى بأن يُهدى؟

قيل: قد تقدم أنواع الهداية وأحوالها، وأنه قد يراعى في إطلاقها مبدؤها تارة، فتستعمل في الجميع الذي يمكنهم الاهتداء، وعلى ذلك قال ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٣]، ومرة يعتبر منتهاها الذي هو الاهتداء، فيقال: "هدى الله المؤمنين"، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾[٤]، فقوله: ﴿لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا يقبلون منه هدايته لهم، وإذا لم يقبلوا منه لم يعطهم، وإذا لم يعطهم فهو لم يهدهم، وأيضاً فالظلم هاهنا منافٍ للهداية، فإنه جحود آلاء الله، والامتناع من قبولها والهداية تقتضي تحري العدالة، فإذا الهداية والظلم

١- قاله القرطبي وابن كثير بأن الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وهذا قول مجاهد، وغيره، وقال مجاهد ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران وقد سبق ذكره، تفسير القرآن العظيم ج - ١- ص٣١٣ - ط - دار الفكر العربي.

٢ - سورة الدخان: الآية (٤٩).

٣ - سورة فصلت: الآية (١٧).

٤ - سورة الأنعام: الآية (١٢٥).

كالمتضادين لا يجتمعان..

إن قيل: لم أفرد النور وجمع الظلمة، قيل: لما كان النور عبارة عن الحق، والحق من حيث ما هو حق شئ واحد لا يتنافى ولا يتناقض، والباطل من حيث ما هو باطل يتضاد ويتعاند صار فيه كثرة، ولهذا شبه الحق بالمقرطس من المرىء في أنه واحد واحد، والخطأ ما عداه، وهو كثير بلا نهاية، فلذلك أفرد النور وجمع الظلمة..

قوله تعالي :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية (٢٥٩)- سورة البقرة .

الخوا: خلو الوعاء، يقال: خوت الدار، تخوي خواء، وخوى النجم وأخوى إذا لم يكن منه عند سقوطه مطر تشبيهاً بذلك، وأخوى أبلغ من خوى، كما أن أسقى أبلغ من سقى، وخوى جوف فلان خوى، والتخوية: ترك ما بين الشيئين خالياً..

والعرش: ما ارتفع من البناء، ويقال ذلك للسقف والسطح، وسمي السرير به تشبيهاً، أو عبر به عن أمر الإنسان، فقيل: استوى عرشه، وتل عرشه، والتعريش بناء ذلك وبه شبهه تعريش الكرم، وسمي المعرش منه عريشاً، وقيل: عرش الحمار إذا رفع رأسه وجعله كعرش، وعرشان الفرس شعر عرفه تشبيهاً بعريش الكريم..

والعام: مدة تعوم الشمس في أفلاكها المختصة بها، وذلك اعتباراً بنحو ما قال - عز وجل- **﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾**(١) والاعتيام اختيار الشئ، وأصله أن يسير الإنسان كسابح فيه يتناول ما يريد..

---

١ - سورة يس: الآية (٤٠).

ولهذا قال الشاعر

:**وكنت في نعمائه سابحاً..**[١]

والحمار سمي للونه اعتباراً بعامة جنسه، لأن الوحشيات منها، وكثيراً من الإنسيات حمر، فسمي بذلك كما سمي العجم حمراً، والعرب سوداً، لكون أكثرهم كذلك، وحمار السرج، والحمارة لحجر عظيم تشبيهاً بالحمار في الهيئة، والحمرة: طائر أحمر اللون، وحمارة القيظ أشد ما يكون حراً تشبيهاً بالجمر المتوقد لوناً، والنشز من نشزك الثوب، ونشز الريح العرف، وقاره تعدي نشر، ومصدره النشر كقوله تعالى: ﴿ **بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** ﴾[٢]، وتارةً لا يعدي، ومصدره النشور، كقوله- عز وجل- ﴿ **وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[٣]، ويقال: أنشره، كأنه جعل له نشراً، كقولك: (أسقاه: جعل له سقياً، ونشر الخشب، تشبيهاً بذلك، لجعل أجزاء الخشب منشورة، وإذا قرئ "ننشزها"[٤] فمعناه: نرفعها من النشز، أي المرتفع من الأرض، ومنه نشوز المرأة أن تطيح ببصرها إلى بشر صارفة له عن زوجها.

كقول الفرزدق:

إذا جلست عند الإمام كأنها

بهارفقة من ساعة يستحيلها[٥]

---

١ - لم أهتد إليه .

٢ - سورة الأعراف : الآية (٥٧)، وسورة الفرقان الآية (٤٨)، وسورة النمل : الآية (٦٣).

٣ - سورة الملك : الآية (١٥).

٤ - قرأ بهذا ابن عباس ، وقتادة ، والنخعي ، وذلك كما في الإملاء للعكبري - ج : ١- ص٦٤، والبحر المحيط - ج : ٢- ص٢٩٣، والجامع لأحكام القرآن - ج : ٢- ص١٢١٨، وانظر : معجم القراءات القرآنية - ج : ١- ص ٢٠٠.

٥ - البيت للفرزدق يخاطب به زوجته النوار وهي من قصيدة مطلعها :

لعمري لقد أردى نوار وساقها ... إلى الغور أحلام قليل عقولها

والبيت بعده :

إذا جلست عند الإمام كأنها ... ترى رفقة من ساعة تستحيلها

وهو في ديوانه ص٤١٦، كما أورده المبرد في الكامل - ج :٢- ص٤٣، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص٨٠٦.

وكقول الآخر:

إذا الليل عن نشز تخلى رميته

بأمثال أبصار النساء القواري..[١]

قوله: "**لم يتسنه**": أي لم يتغير بمرور السنين عليه، وذلك من لغة من يجعل المحذوف من السنة الهاء (سينهه وسانهه)، وقيل هو من "**سانيت**"، والهاء للاستراحة، وعلى هذا يجب أن يحذف إذا وصل الكلام كذا، على قول من قال: المسنون: المتغير، ويقال: يتسنى، وأصله يتسنن فعلت تخفيفاً، كقولك: "**تظنيت، وتعضيت، وتسريت**".

إن قيل: ما الذي شبه بالذي مر على قرية؟ وعلى ماذا عطف؟ قيل: قد قال بعضهم: إن ذلك متعلق بما بعده، وهو قوله: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾**[٢] **﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾**[٣]، وذلك بعيد لفصل "**وإذ**" بينهما، وقيل: الكاف زائدة، وليس بشيء، والوجه أن الكاف ههنا ليس للتشبيه المجرد بل هو للتحديد والتحقيق كما هو في قولك الاسم كزيد وعمر وعلي أنه وإن جعل للتشبيه، فعلى سبيل المثل والمشبه غير مذكور، كما أنه غير مذكور في قولهم كالمهورة إحدى خدمتيها، ويحتمل أن تكون الآية من كلام إبراهيم معطوف على ما تقدم، وهو أنه لما قال للكافر: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾**[٤]، قال له بعد: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾**[٥]، أي إن كنت تحي فأحي كما أحيا الله من وصفه في هذه الآية..

ويحتمل أن تكون آية مستأنفة، وضرب الله مثلين لشيئين أحدهما في ادعاء الربوبية، وهو ما تقدم، والثاني في إنكار البعث، وهو هذه، ويكون في قوله: **﴿كَالَّذِي﴾** في موضع الجر على ما تقدم،

---

١ - لم أهتد إلى نسبته .

٢ - سورة البقرة - الآية : (٢٦٠).

٣ - سورة البقرة - الآية : (٢٥٩).

٤ - سورة البقرة - الآية : (٢٥٨).

٥ - سورة البقرة - الآية : (٢٥٩).

كأنه قال: (ألم تر إلى الذي حاج..) إلى مثل الذي مر على قرية، فإن قيل: فهل في تخصيص القصة الثانية بحرف التشبيه وإخلاء الأولى منه فائدة؟

قيل: بلى، فإن ادعاء الربوبية إنما قل في الناس، حتى إنه لم يعهد ذلك إلا في نفس أو نفسين، وقال: (ألم تر إلى الذي) والتشكل في الإحياء من الجم الغفير، فنبه بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ﴾ تنبيهاً أنه نظر إليه وإلى مثاله، وجعل ذلك مثلاً لمن نحى نحوه، كقولك للكافر: كفلان، فتأتي بواحد على سبيل المثال، ولما ذكر تعالى إخراجه المؤمنين من الظلمات إلى النور، جعل اعتبار ذلك هذين، كأنه قال اعتبران تثبيت إبراهيم وإخراجه له من ظلمة الكفر إلى الإيمان مما جعلت له من الحجج، وإن شـ... فيمن أخرجته من شبهة البعث بما جعلت له من العيان، والذي مر على القرية، قيل كان عزيراً عن قتادة والربيع، وقيل: "**كان أرمنينا عن وهب**[1]**، وروي أنه مات ضحىً وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام، وقيل له: كم لبثت**"؟

قال: لبثت يوماً، فلما نظر إلى الشمس قال: أو بعض يوم، وقيل: بدأ تعالى بعينيه، فنفخ فيهما، ثم بعظامه، فأنشزها، ثم وصل بعضها ببعض، فنظر إلى حماره، وأجزاؤه تجئ من سهل وجبل، حتى اجتمعت فاتصل بعضها ببعض، وكسى لحمه، وجرى فيه الروح، فقام ينهق، فقال: أعلم: أي: اعترفت بقدرة الله تعظيماً له، ومن قال: أعلم، فقد قيل: هو من قول الله عز وجل- له، وقيل: هو من قوله وقد خاطب به نفسه على طريق التبكيت، وقال بعض الناس بعزوه إلى بعض الأئمة أن الإشارة بالإحياء والإماتة إلى العلم والجهل، ومعنى القرية الرجال، بدلالة قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾[2]، وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[3]، وقوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[4]، وجعل الخوى خلواً ينم

١- أورد القرطبي قول سليمان بن بريدة وناجية بن كعب وقتادة وابن عباس والربيع وعكرمة والضحاك ان الذي مر على القرية هو ... وقول وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الله بن بكر بن معز أنه إرمياء وكان نبياً . تفسير القرطبي ج ٢ - ص١٢١٢

٢ - سورة الطلاق : الآية (٨)

٣ - سورة الكهف : الآية (٥٩)

٤ - سورة يوسف : الآية (٨٢).

عن العلم والإيمان، وكذلك الإماتة والإحياء، إفادته العلم والإيمان، نحو قوله تعالى: ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا** ﴾(٢).. الآية، قال: وكان قد رأي قوماً متناهين في البعد عن العلم والإيمان، فاستبعد رجوعهم إلى الحق، فقال: ﴿ **أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ** ﴾أي: أني يفيدهم الإيمان، فأماته الله مائة عام، ثم أحياه، وأعلمه أن الذي يقدر على إحياء الرمم عن الموت الحيواني لقادر على إحياء النفس الميتة بالجهل..

قوله- عز وجل :-

﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾

الآية (٢٦٠) – سورة البقرة .

الاطمئنان: السكوت، واطمأن، وتطامن يتقاربان لفظاً ومعنى من مكان مطمئن..

قيل: ويدل على ذلك أنه قال في مكان آخر (مخبتين)، والمخبت: المطمئن من الخبت، أي المطمئن من الأرض، وطار، وطير، نحو راكب وركب، و"**تطايروا**" أي تفرقوا،استعارة وفجر مستطير، وغبار مستطار، خولف بين بيانهما لإختلاف التصورين في كون الفجر فاعلاً والغبار مفعولاً، وفرس مطار يقال: للسريع، ويقال لجديد الفؤاد كأنه أطير قلبه، كقولهم شهم ومروع، وقوله: ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ** ﴾(٣) أي ما يدمن أفعاله وصرته أصوره، أي أملته وصرته: قطعته صورة صورة، وقيل: صِرْت، وصُرت: لغتان، والصوار سمي اعتباراً بالقطع كالقطيع والصرمة والصور النخل الصغار، إما لانقطاعها عن لحوق الكبار، أو كأنها مقطوعة في نفسها، والصور قيل: سمي لأن فيه صور الناس

---

١ – سورة الأنفال : الآية (٢٤).

٢ – سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

٣ – سورة الإسراء : الآية (١٣).

كلها، وقيل: بل لإعادة الصورية، وذكر أبو بكر النقاش المقريء أنه قرئ (فصُرَّهن)[١] بضم الصاد وتشديد الراء وفتحها من الصر، أي الشد، ومنه الصرة، وقال: قد قرئ: (فصرهن)[٢] بكسر الصاد وفتح الراء وتشديدها، من الصرير من الصوت، أي: صح بهن، وروي أن إبراهيم مر على ساحل البحر بميتة، والسباع والطيور والحتيان يتوزع لحمها، فتفكر، فسأل الله تعالى إحياء مثله، فأمره تعالى أن يأخذ أربعة طيور[٣]، فيقطعها، فيخلطها لحومها وريشها، ويبددها على جبال (خزاجرا)، ثم يدعوها، ففعل ذلك، فاجتمعت كلها، فتبين إبراهيم ما اعتراه فيه الشبهة، وقال بعضهم:

أمره أن يأخذ أربعة طيور، فيضعهن على أربعة جبال، ومعنى لجزء واحد منها، ثم يدعوها، فتجتمع لديه، فأشار إلى أنه كاجتماع هذه الطيور لديك، كذلك يجتمع من الجوانب الأربع الأموات، قال: ولو كان (فصرهن) قطعهن، لما قال: إليك، لأن ذلك لا تعدي بالباء.

إن قيل: لم لما سأله إبراهيم، أراد ذلك على أقرب الوجوه لما سأله عزير، أماته مائة عام حتى تفرقت أوصاله، ونخرت عظامه.؟

قيل: قد ذكر بعض الصوفية أن إبراهيم كان خليلاً، فمجاز له أن ينبسط لما سلف له من قدم صدق،فلما سأله ذلك، أعطاه سؤله في الوقت على أقرب الوجوه، ولم يكن العزير من الخلة ما يجوز له هذا الانبساط، فلما أقدم أبلاه الله تعالى في نفسه، وأراه ذلك في ذاته، ولأن إبراهيم تضرع، وسأل، وقال أرني، وغيره أخرج الكلام مخرج المنكر المتعجب من قدرة الله عز وجل وقال: (أنى يحي)، ولا يخفى ما بين اللفظين من الضراعة والغلظة، ولهذا ختم آية عزير بقوله: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وآية إبراهيم بقوله ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ، وقال الأصم: تفهموا عن الله حجج

---

١ - قرأ بذلك ابن عباس وعكرمة معجم القراءات القرآنية - ج : ١- ص٢٠٢، ٢٠٣

٢ - قرأ بذلك ابن عباس معجم القراءات القرآنية ج : ١- ص٢٠٣، وكل منهما قراءة شاذة .

٣ - أورد ابن كثير ماروي عن ابن عباس أنه قال أن هذه الطيور الأربعة هي : الغرنوق ، والطاووس ، والديك ، والحمامة ، وقول مجاهد وعكرمة بأنها كانت حمامة وديكاً وطاووساً وغراباً . تفسير القرآن العظيم ج ١- ص ٣١٥ -ط . دار الفكر العربي . وذكر القرطبي نحو ذلك في تفسيره ج -٢-ص١٢٢٤ -ط -دار الغد العربي .

للرسالة وإرشاد البرية، ورأي قوماً في نهاية الجهالة والكفر، استعظم رجوعهم إلى الحق، فقال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي ترشدُ الضُلاَّلَ الذين هم كالموتى، وأراد كيف أحيي، ولكن نسب الفعل إلـى الله - عز وجل- على طريقة ما تقدم أن أولياء الله -عز وجل- يتحرون في أفعالهم- رضى اللهلله ويرون أفعالهم فعله، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه - عز وجل-(حتى أكون عينه التي يبصر بها)[1]، ولأن الأفعال المحمودة للعباد كلها منسوبة إلى الله من حيث أنه سبب إيجادها ، ولهذا قال : ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[2] ، فعلى هذا معنى "**أرني كيف تحيي الموتى**" أي : كيف حال ما أمرتني به، وبعثتني فيه، فقال له: أولم تؤمن؟ أى أو لم تتحقق أنك ستهدى لذلك؟، فقال: بلى، ولكن أريد ما أسكن إليه في أن تجاب دعوتي، فقال: خذ أربعة من الطير، إشارة إلى قلع هذه القوى من نفسك. وسمى بذلك كل موتان الفؤاد كالجبل فليس يعسر عليك ذلك..

"**والله أعلم بالصواب**"..

إن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ في هذه الآية: "**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»[3].؟

---

١ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه - ج : ٨- - ص١٠٥- باب التواضع كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج-١٧- ص٣١٧ ، وسبق تخريجه .

٢ - سورة الواقعة : الآية (٦٤).

٣ - الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور- ج:١- ص٣٣٥، وصححه الألباني في الجامع الصغير -ج:٦-ص٢٦، ورواه بلفظه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»، ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طوال مالبث يوسف لأجبت الداعي.) وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظه وسنده -ج:٤-ص١١٩، ج:٥-ص١٦٢ في كتاب التفسير، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده-ج:٢-ص٣٢٦. وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - كتاب التفسير ج : ١٢ -ص٥٣٠، كما أورده القرطبي وابن كثير في تفسيريهما وعلق عليه ابن كثير بقوله : ليس المراد هاهنا بالشك ماقد يفهمه من لاعلم له ونورد ماروي من أنه لما نزلت هذه الآية قال قوم : شك إبراهيم ولم يشكو بنينا ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا القول تواضعا منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه . تفسير القرآن العظيم ج -١- ص٣١٥. ونعتقد أن جزءاً سقط من الناسخ بعد الحديث الشريف

قوله- عز وجل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢٦١)-سورة البقرة .

يقال النبت لما له نموٌّ في أصل الخلقة، يقال: تُنْبِتُ الصَّبِيّ والشَّعْر والسن، وفلان حسن النبتة، ويستعمل النبات فيما له ساقٌ، وما ليس له ساق وإن كان في التعارف قد يختص بما لا ساق له، وأنبت الغلام إذا راهق، كأنه صار ذا نبتة، وفلان في منبت خير، كناية عن الأصل، والسنبلة فيعلة من السبل يقال: أسبل الزرع، وسنبل، ومن أصله السبيل، وقد تقدم أن سبيل الله ليس بمقصور على الجهاد، بل هو لكل ما يتوصل به إلى الله عز جل، والمائة عدد معروف، يقال: أماءت الدراهم وألفت، وإمايتها وألفتها..

إن قيل: كيف تعلق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: إن ذلك متعلق بقوله: **﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾**[1]، وما بينه وبين هذه الآية اعتراضات مرغبة للإنسان في فرضه من حث على قناعة هي أس الجود، وذكر عظمة المستقرض وإرشاده لمن يستقرض منهم، وبين في هذه أن فرضه هو الإنفاق في سبيله، وأن مضاعفته هو بأن يجعل للواحد سبع مائة، وأنه يضاعف مع ذلك لمن يشاء مضاعفة لا يضبط عدها، ولا يعرف حدها..

إن قيــــل:

كيف قال في موضع: "**يضاعف**"، وفي موضع: **﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾**[2]، وقال هاهنا ما يدل على أنه يحادي بواحد سبع مائة، قيل: في ذلك طريقتان: إحداهما أن الخيرات تختلف باختلاف العالمين واختلاف نياتهم، والثاني: أن تختلف باختلاف الأعمال، فالأول: هو أن الناس فيما يتحرونه من أفعال الخير بالقول المجمل ثلاثة أضرب على ما قصد تعالى من ظالم، ومقتصد، وسابق[3] أما الظالم: فالمتحري للخير مخافة سلطان ومذمة إنسان، وتخويف عالم إياه من النار ونحو

١ - سورة البقرة : الآية (٢٤٥)، وسورة الحديد : الآية (١١).

٢ - سورة الأنعام : الآية (١٦٠).

٣- اقتباس من الآية رقم (٣٢) سورة فاطر.

ذلك... وأما المقتصد: فالمتحري للخير مخافة عقاب الله ورجاء ثوابه من حيث ما قد تحقق وعده ووعيده، وأما السابق: فالمتحري للخير قصداً لوجه الله خالصاً. وثوابهم يختلف باختلاف مقاصدهم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في السابقين حاكياً عن الله عز وجل- **(أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)**[1] الخبر. والثاني.

وهو أن يختلف باختلاف الأعمال، وبيان ذلك أن السخاء أفضل أفعال العباد، بدلالة قول النبي ﷺ: **«السخاء شجره من أشجار الجنة، أغصانها متدليات في الدنيا، فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار، فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار»**[2].

وقيل لبعض الحكماء:

"أي شئ من أفعال العباد أشبه بفعل الله"؟

فقال: **"السخاء، وأفضل الجود ما كان عن ضيق"..**

---

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال: « قال الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت، ولاأذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر فاقرأوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) مسند الإمام أحمد - ج :٢ -ص٤٢٨، كما أخرجه المنذري في « الترغيب والترهيب » في فصل (شجر الجنة وثمارها) عن أبي هريرة بلفظه، ولكن فيه. (اقرأوا إن شئتم): (وظل ممدود)، وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا ومافيها، واقرأوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)، وقال: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وروى البخاري ومسلم بعضه - ج:٤-ص٥٢١، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين بلفظه وعلق عـ.. بقوله: « أغفله العراقي وسبب إغفاله أنه يوجد في بعض نسخ الكتاب: وقال الله عز وجل - بدون وقوله - صلي الله عليه وسلم وهو حديث قدسي رواه أحمد، والشيخان، والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة، ورواه ابن جرير من حديث أبي سعيد ورواه أيضاً عن قتادة مرسلاً، ورواه أيضاً عن الحسن بلاغاً بلفظ قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات مالاعين « رأت.. الحديث الإتحاف - ج . ٨-ص٥٦٨، ٥٦٩، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور بسنده ولفظه - ج ... ص١٧٦ - ط: دار المعرفة - بيروت

٢- الحديث أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٢٠٨، كما أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات - ج ٢-ص١٨٣، و... الزبيدي في إتحاف السادة المتقين -ج:٨ -ص١٧٢، كما أخرجه الخطيب البغدادي في ج:١-ص٢٥٣، ج:٣-ص٢٠٤، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور -ج:٦-ص١٩٧.

ولهذا قال الشاعر:

ليس العطاء من الفضول سماحةً

حتى تجود وما لديك قليلٌ(١).

وقد علم أن أصحاب النبي ﷺ كانوا مضيفين سيما في ابتداء الإسلام، وأفضل الإنفاق ما يقصد به وجه الله لعز وجل-، وأفضل ما يقصد به وجهه ما يجعل في سبيل الله، وأفضل سبيل ينفق فيه ما كان أكثره غنى، وقد علم أنه لاجهاد أكبر من جهاد النبي ﷺ، ولا قوم أكفر ممن كان يحاد بهم، ولا زمان أحوج إلى محاربتهم من زمانه، وكل واحد من هذه الخصال يجري مجرى فعل يستحق مثوبة محددة، فعظم الله تعالى أمر الإنفاق في سبيله في زمانه، وجعل له من الثواب مالم يجعل لغيره من الأعمال، ووجه ثالث، وهو أن الإنسان متى تحرى فعل الخير على ما يجب وكما يجب يدعوه ذلك إلى أن يزيد في فعل الخير، فلا يزداد، حتى إنما يصير مثل ملك في الفضيلة، وبازدياده في الإيمان وفعل الخيرات يزداد ثوابه، فحيث ما ذكر التضعيف، فأشار إلى الحالة الأولى، وحيث ما ذكر عشرة أمثالها وسبعمائة فإلى الأحوال المتوسطات وحيث ما ذكر، ﴿**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ**﴾(٢)، فإلى المنتهيات والغايات، وأنها لا يحصرها عدد، كما قال: عليه الصلاة والسلام: «**مالا عين رأت، ولا أذن سمعت**»(٣).

١- البيت للمقنع الكندي، وهو في العيني-ج:٤-ص٢٤١٢ ، وحاشية الشيخ يس ج:١-ص٢٧٢، وهمع الهوامع -ج:٢-ص٩، والدرر-ج:٢-ص٦ والدر المصون -ج:٢-ص٢٧.

٢ - سورة البقرة - الآية :(٢٦١) .

٣ - الحديث سبق تخريجه في ص٨

قوله - عز وجل :

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية (٢٦٢) - سورة البقرة .

المن على ضربين: أحدهما ما يوزن به والأكثر مناً بالتخفيف، والثاني قدر الشئ ووزنه، ومنه المنة، فإنها تستعمل على ضربين، أحدهما: اسماً للعطية - لكونها ذات قدر، بالإضافة إلى سائر الأفعال، وذلك لما تقدم آنفاً في صفة الجود وأنه أشرف فضيلة، والثاني: اسماً لقدر العطية عند معطيها واعتداده بها، وهو المنهى عنه بقوله، **﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾**[1]، وقوله- عليه الصلاة والسلام: «**والامتنان بالمعروف، فإن ذلك مما يبطل الشكر ويمحق الأجر**»[2] ، وقيل: « **تعداد المنة من ضعف المنة**»، والمنة تهديه للصنيعة، وللعطيه متى استعظمها المعطى، فشكر منه، ومتى استعظمها المعطى، فهدم منه، فقوله: **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾** يجوز أن يكون خبر ابتداء مضمر، أي الذين مثل إنفاقهم كمثل حبة منهم الذين ينفقون أموالهم، ويكون قوله: **﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾** في موضع الحال، ويجوز أن يكون "**الذين**" هذا يفسر "**الذين**" المتقدم، ويكون الذين ابتداء، وما بعده خبراً، وقوله: **﴿وَلا أَذًى﴾** الأظهر الأكثر أنه معطوف على قوله: "مناً"، وهو أعم منه، لأن كل منٍّ أذى، وليس كل أذى مناً، وقيل: هو أن يظهر المسئول تبرماً بالسائل، نحو أن يقول: "**أراحني الله منك**"، أو: "**من أبلاني بك**" فعلى هذا قوله: **﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾** استئناف، وقوله: **﴿لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا﴾** تام، وقوله: "**ولا أذى لهم**" كلام مستأنف من صفة المعطى كأنه قيل: "**الذين ينفقون ولا يمنُّون، ولا يناءون بالإنفاق، فإن تمام فضيلة المنفق في سبيل** الله **أن يصير سلس الطبع بالعطاء، مستلذاً، يصرف المال إلى الوجوه المحمودة**"، كما روى أن يكون الرجل محموداً حتى يكون ما ينفق في سبيل الله أحب إليه مما تركه، وروى هشام بن عروة عن النبي ﷺ «**من أعطى عطية وهو طيب النفس بها بورك فيها للمعطي والمعطى**»[3] .

١- سورة البقرة : الآية (٢٦٤).

٢- الحديث .

٣- الحديث .

قال بشار:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَالْخَوْ فِ وَلَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطَاءِ..[١]

والبخيل يتألم بما يعطي غيره، فضلاً عما يعطيه هو، ولهذا قيل:"الحر يعطي واللئيم يألم إسته".

وقوله: ﴿**أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ ضمن ضمان يلي، وفي يؤمن إخلافه وإفلاسه، وقوله: ﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ ليس يراد به الخوف في الآخرة فقط، بل يريد مع ذلك الخوف الذي ابتلى به أبناء الدنيا الذين ينفقون بما في أيديهم دون ما في يد الله - عز وجل-، ويجوز أن يكون قوله: ﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ مـن: "**خفت على فلان**" أي أشفقت عليه، أي: لا إشفاق عليهم لما هم فيه من النعيم، ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، فعلى هذا قوله: ﴿**أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ إلى آخر الآية، ذكر مالهم من الثواب، ويجوز أن تكون الآية كلها وصفاً للإنفاق في سبيل الله، وبيان ذلك أن حق المنفق في سبيل الله أن تطيب به نفسه، وأن لا تتعقبه بالمن، وأن لا تشفق من فقر تناله من بعد، بل تثق بكفاية الله -عز وجل-، ولا يحزنون إن يناله فقر، وبين تعالى أن ما تقدم ذكره من مجازاة واحدٍ بسبع مائة هو لن هذا وصفه..

قوله - عز وجل :

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ الآية :(٢٦٣)- سورة البقرة»...

الغنى: فقد الحاجة، وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس واختلاف نظرهم، فمنهم من يرى الغنى كثرة عرض الدنيا، حصلت معه الحاجة أو لم تحصل، ومنهم من عده القناعة، وإليه يوجه قوله عليه الصلاة والسلام: «**الغنى غنى النفس**»،[٢] ومنهم من لا يعده إلا ارتفاع الحاجة، وقال: «لا غنى

١- هذا البيت لبشار بن برد ، وهو من قصيدة قالها يمدح فيها عقبة بن سلم ، ومطلعها :-

حييا صاحبي أم العلاء واحذرا طرف عينها الحوراء

إلى أن يصل إلى قوله :

يسقط الطير حيث ينتشر الحب وتغشى منازل الكرماء

ديوان بشار - ج : ١ - ص ١٣٦.

٢- الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ونصه : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وإنما الغني غنى النفس » رواه أحمد وهنادين السري والترمذي وابن ماجة ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، ورواه أبويعلي والطبراني في الأوسط والضياء من حديث أنس ، وروى الديلمي بلاسند من حديث أنس « الغنى غنى النفس ، والفقر فقر النفس » وأخرجه البخاري في صحيحه - ج : ٨- ص١١٨، والإمام أحمد في مسنده - ج :٢-ص٣٩٠،ص٤٣٨ . ٥٣٩ . ٥٤٠، وأورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين -ج :٨-ص١٥٩، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب - ج :١- ص٥٨٩، ج :٢-ص٥٣٥.

في الحقيقة في الدنيا يوجه ولأجله» قيل: الغنى غنى الآخرة، ومنهم من قال: "**لا غنى في الحقيقة لغير الله-عز وجل- لا في الدنيا ولا في الآخرة، وعلى هذا**" قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾**[١]، والمعنى المنزل كأنه موضع غنى الناس، ولكون الغنى مقيماً فيه على مراده، وعلى هذا قال الشاعر:

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم

ويرمي النوى بالمقترين المراميا..[٢]

وأما الغناء فللتشبيه على نحو نظر من قال: الغناء غذاء الأرواح، كما أن الطعام غذاء الأشباح. وقال بعضهم: "**من مدح الغناء إنما مد الغناء وقصر الغنى تفضيلاً للمدود**"، فقد حصل له منفعة ليست في شئ من اللذات، وذاك أن اللذات الحسنة أربع، أكل، وشرب، ونكاح، وغناء... وكل يوصل إليه بتعب إلا الغناء، واختلف في قوله: **﴿مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾**.

فمنهم من قال: خطاب للمسئول ومعناه: لأن تبذل للسائل قولاً حسناً، وتغفر له أن ذاك بمراجعة وإلحاف خير من أن تعطيه وتمتن عليه، كقول الشاعر:

ومنعك للندى بجميل قول

أحبُّ إليَّ من بذلٍ ومنّة[٣]

وقيل: معنى المغفرة الترك، أي الاقتصار على القول الحسن، وترك الصدقة خير من صدقة هكذا، وقيل معناه: وإن تسأل الله الغفران لتقصيرك في إعطائه، وقيل: معناه ستر الخلة عليه، وقيل: **﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾** وسلامة من المعصية خير من المعصية خير من صدقة هكذا، فإن هذه الصدقة فيها

---

١ - سورة محمد : الآية (٣٨).

٢- هذا البيت لإياس بن القايف ، وقيل وجد هذا البيت مكتوباً على باب مدينة بأقصى المغرب يقول إياس منها :

فأكـرم أخاك الدهر ماعشتما معاً ... كفى بالممات فرقة وتنائيـــا

إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها ... فقدت صديقي والبلاد كماهيــا

مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد - ج:٥-ص٥١٩ - لمحمد بن أيدمر .

٣- لم أعثر على نسبته .

عصيان الله، ونحو قوله: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ قوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2]، وقيل: القول المعروف أن تحث غيرك على إعطائه، وقيل: ذلك خطابٌ للسائل وحثٌ له على إجمال الطلب، كما قال عمر بن عبدالعزيز: «**لن تدعوا لمرءٍ ما قُسم له، فأجملوا في الطلب**»، فأراد تعالى لأن يقول قولاً حسناً من تعريض بالسؤال أو إظهار للغنى، حيث لا ضرورة، ويكتسب خير من مثال صدقة يتبعها أذى، كما قال الشاعر:

لأن أرجى عند العرى بالخلـق

وأجتزى من كثير الزاد بالعلق

خير وأكرم لي من أن ترى نعمٌ

معقودة للئام الناس في عنقي..[3]

وقيل: معناه: لأن تنال أيها السائل قولاً معروفاً من المسئول ومغفرةً من الله خيرٌ من صدقة هكذا..

ومنهم من قال: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ خطاب للمسئول، أي: "**لتقل قولاً حسناً في رده، ومغفرة خطاب للسائل**" أي: اغتفر رده لك ولا تثقلن قلبك عليه، ونبه بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ أن استقراضه ليس بحاجه به، بل لحاجة المقرض إلى الثواب، وبقوله: "**حليم**"، أنه ليس يجب أن يغتر المذنب بتأخير العقوبة عمن قصر في الإنفاق أو في المنة على السؤال أو في سؤاله وليس بأهله..

---

١ - سورة الإسراء : الآية (٢٨).

٢ - سورة الضحى : الآية (١٠).

٣- قائل البيتين هو محمد بن بشير ، وذلك كما في الشوارد - عبد الله بن خميس - ج :٢ص٣٨٢ -ط : دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة - السعودية .

وفيه البيت الثاني يقول الشاعر :

خير وأكرم لي من أن أرى مننا خوالداً للئام الناس في عنقي

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية : (٢٦٤) - سورة البقرة .

التراب أصل في بابه، وترب يخصص بالتراب، وعبر به عن الفقر، وأترب صار ذا تراب، وعبر به عن المختص بالمال الكثير، فكأنه عبر عن المال بالتراب، كما عبر بالثرى، وقول الشاعر في مخاطبة الدلو:

"واغترفي من تربها الأدق"(١)

تصور منه معنى ترب وأترب، ففسر مرة بأنه دعاء عليها، كأنه قال: تربت فلا تخرجين إلا تراباً، ومرة بأنه دعاء لها، والمعنى أتربت، فأخرجت ماء كثيراً، والترب للذة على بناء القبل والقرن أي المقابل والمقارن، وكأنه الواقع مع غيره في التراب عند الولادة، وقيل معنى الترب الملاعب مع غيره بالتراب في الصغر، كقوله:

كما قسم الترب الصبي المقابل(٢)

والتريبة لعظم الصدر، حيث التفت عظام كأنها أتراب، أي لدات، ولهذا قيل لها: أتراب بلفظ الجمع، والوابل الذي يبل الأرض، أي يأتيها بالوبل، ويقال للمطر وابل ومرعى وبيل للنبات اليابس الذي يأتيه المطر، فيصير أذى للغنم، وهو الذي يقال له النشر(٣)، ومنه اشتق الوبال، وعنه استعير **"أخذه أخذاً وبيلاً"**،(٤) ويقال للعصا الثقيلة، وبيله الصلد، والصلت، والصلب تتقارب، لكن الصلد

١- لم أعثر عليه .

٢- لم أعثر عليه .

٣ - قال الراغب في كتابه المفردات: النشر: الكلا اليابس إذا أصابه مطرفينشر أي يحيا، فيخرج منه شيئ كهيئة الحلمة، وذلك داء للغنم، يقال منه: نشرت الأرض فهي ناشرة.. الخ.. مفردات ألفاظ القرآن- ص٨٠٦.

٤ - هذا اقتباس من قوله تعالى :(فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً) سورة المزمل الآية (١٦).

خاص في الأرض والصخر وشبه به مالايجدي، فقيل: زند صلد، ورجل مصلد، وصلد: بخيل، وقدر صلود ذات صلدة يتباطأ غليانها، وفرس صلود: لا يعرق..، وصفوان: أبلغ من الصفات، وهو كل حجر صاف من التراب، وواحده قيل: صفوانه: نحو سعدان وسعدانة، ومرجان ومرجانة، وقيل واحد، وجمعه صفوان، نحو كروان، وليعظم الله تعالى فتح المنة، أعاد ذلك في معارض من الكلام، فأثنى على تاركها أولاً، وفضل المنع على عطية يتبعها المن.. ثانياً: وصرح بالنهي عنها بالياء، وخص الصدقة بالنهي إذ كان المنة فيها أعظم وأشبع ولكون ذلك فظيعاً مستبشعاً قال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة لا يجدون ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمس مائة عام : العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان**»[(١)]، وقوله: ﴿**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ**﴾ في موضع الحال للمؤمنين، لا تبطلوها مثل منفق ماله مرائياً- تنبيهاً أن إنفاق الممتن كإنفاق المرائي الكافر بالله لأنه قال: ﴿**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ**﴾، وذلك كله من صلة "**الذي**"، وقد عظم مزاياه حتى جعل المرائي بفعل الخير شراً من تاركه- سيما في العبادات، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- «**المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور**»[(٢)] تنبيهاً أنه كاذب بمقاله وفعاله، وشبه المرائي بصفوان وماله بتراب، وإنفاقه بالوابل، وبين أن إنفاق هذا المرائي مع كون الإنفاق في نفسه شيئاً نافعاً لم يفده إلا زوال ترابه، كما أن المطر الذي أتى على الصفوان مع كون المطر نافعاً في نفسه لم يفده إلا زوال ثراه، وقال تعالى في ضياع أعمال الكافر: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**﴾[(٣)]، وفي الآيتين دلالة أن

١-أورد هذا الحديث الحافظ بن كثير في تفسيره من روايةابن مردويه وبن حبان والحاكم في مستدركه والنسائي من حديث عبد الله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة . العاق لوالديه ، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى)، كما أورد بن كثير رواية النسائي بسنده إلى مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قالْ (لايدخل الجنة مدمن الخمر ولاعاق لوالديه ولامنان) وقد رواه بن أبي حاتم عن مجاهد أيضاً عن أبي هريرة نحوه. تفسير القرآن العظيم ج : ١ ص٣١٨.

٢- الحديث رواه البخاري في باب النكاح ص١٠٦، وأخرجه مسلم في باب اللباس ص١٢٦ , ١٢٧ ورواه الترمذي في باب البر ص٨٧ وأخرجه الإمام أحمد في ج : ٦ ص١٦٧ , ٢٤٥ , ٢٤٦ , ٢٥٢ ونص الحديث ، « قالت أسماء : سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم – قالت : إن لي ضرة ، وإني أتكثر من زوجي بمالم يفعل أضارها بذلك ، فهل علي فيه شئ ؟ فقال : المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبي زور » وقال العراقي : متفق عليه من حديث أسماء بنت أبي بكر ، ورواه أحمد وأبو داود ، ورواه مسلم من حديث عائشة ، ورواه العسكري في الأمثال من طريق ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً ، وفي الباب سفيان بن الحكم الثقفي وجابر .

٣- سورة ابراهيم : الآية :(١٨).

العبادات والأعمال الصالحة غير معنية مالم يبن على الإيمان، ولا حجة في الآيتين مالم احتج بهما على المرجئة، حيث قالت: إن المعاصي لا تحبط الطاعات، لأنهم قالوا ذلك بشرط الإيمان، والله تعالى شرط في الآيتين الكفر، لأنه قال: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، وقال في الأخرى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1]. وهذا ظاهر، وقوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ راجع - إلى قوله: كالذي، أي المرائي بإنفاق ماله، لا يقدر يوم القيامة على اجتناء ثمرة ما اكتسبوا، فإن قيل: وكيف يجوز أن يكون ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ فعلاً للذي، والذي هو فعلاً للواحد؟ قيل: قد يُقدر أن الذي قد يقع على الجمع، وأنه إذا أريد به الجمع، فقد يخبر عنه كما يخبر عن الواحد وقوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

قد تقدم أن الهداية على أربعة أضرب، هداية بالفطرة، وهداية ببعث الرسل، وهما عامان لكل مكلف، وهداية بالتوفيق لمن يستحق الاهتداء، وهداية هي ثواب الآخرة، وهاتان لا تكونان للكافر.

قوله - عز وجل :

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية (٢٦٥) - البقرة.

يقال: رَبوة، ورَبوة، وربوة، وربا حصل في ربوة، وسميت الربوة رابية، كأنها ربت بنفسها في مكان بسيط، ويقال لكل مازاد وعلا ربا، ومنه الربوا والطل[2] أثر الندى، والطلل: الأثر الباقي منها بلي، وطلّت الأرض، أصابها طل، نحو وبلت، ومطرت، وطل دمه: ترك أثره، وعلى ذلك ما قيل: إن سألتك بمرشكرها وشبرك أفشأت تطلها وتضهلها، وقيل: للشجر طل وندى، لأنه من النبت والنبت منهما وبالعكس من ذلك قيل للندى والمطر شحم، لأنهما يؤديان إليه، بين تعالى أن المنفق ماله في سبيل الله ينبغي أن يكون قاصداً به الوجهين اللذين لأجلهما أوجب على الناس الزكاة، أحدهما ابتغاء

---

١ - سورة البقرة : الآية (١٧١).

٢ - في (و - ج) والظل، وهو تصحيف.

مرضـاة الله وطلب التوجه للوصول إليه المشار إليه بقوله: مخبراً: ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾ (١) والثاني: بتثبيت النفس، أي رياضتها، لأداء الأمانات، وبذل المعونـات، والتمسح لأبواب المصالح، فإن النفوس مالم ترض لم تسمح، إذ هي مجبولة على الشح والكسل، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴾(٢)، وببذل الصدقة وفعل الخير يتطهر ويتزكى، ولهذا قال: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾(٣)، فهذان الوجهان أعني ابتغاء وجه الله وتثبيت النفس وإن اختلفا اختلاف الاعتبارين فهما واحد، وحق الإنسان أن يقصد ذلك في جميع ما يفعله من العبادات، فاما أن يطلب شكر مخلوق ومباهاة نظير وطلب نفع دنيوي وقضاء شهوة وإبقاء معزة، فليس ذلك بمرتضى، وبين أن مثل نفوس المنفقين أموالهم على هذا الوجه كمثل روضة بربوة، فشبه نفوسهم بالروضة وما يأتيهم من التوفيق والهداية من جهة الله بسبب الانفاق بما يأتي الروضة من الوابل والطل، وشبه تزكية النفوس بزكاة الأكل، وقال جابر: الطل مثل للفرائض، والوابل مثل للنوافل معهما، ومعناه: إن حق المنفق ماله أن يتحرى النوافل والفرائض، فإن من لم يتحرهما معاً، لم ينفك من الفرائض، تنبيهاً أن الفريضة هي مالابد منه، وتخصيص الربوة، لأن تأثير الشمس فيها أكثر، ولما كان قد ينقطع عن الربوة فيحترق نباتها، بين أنها لا تنفك من وابل وطل، وعلى هذا قول الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة

خضراء جاد عليها مسبل هطل (٤).

---

١ – سورة الإنسان : الآية (٩).

٢ – سورة المعارج : الآيات (١٩)، (٢٠)، (٢١).

٣ – سورة التوبة : الآية (١٠٣).

٤ – البيت للأعشى، وبعده قوله:

يوماً بأبهج منها وجه ناظرة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وذلك كما في ديوان الأعشى – ص ٥٧ ويقول الأعشى بعده ببيت :

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ... ولابأحسن منها إذ دنا الأصل

والبيت الأول هو الرابع عشر ، والبيت الثاني هو السادس عشر من القصيدة السادسة في ديوانه ، وهما مع بيت آخر في تفسير الطبري – ج : ٢١ – ص ١٧، وفي تفسير القرطبي ج : ١٤ ص١١.

فوصفها بأنها في حزنة ومجودة... إن قيل: ما وجه قوله تعالى: ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ والضعف يقال في عددٍ ما يصح أن يوجد نصفه ولم يجرها هنا ذكر عدد ولا ما يقتضي عدداً، قيل: إنه لما كان لكل قطعة أرض قدرٌ من الريع لا يكاد يزيد عليه، بين تعالى أن دخل هذه الجنة ضعفاً ما يقتضي مثلها من الأرضين..

إن قيل: لم قال: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؟، فجمع جمع القلة؟ قيل: تنبيهاً أن ذلك الفعل لا يكاد يوجد إلا في قليل من الناس، فصار في تخصيص الأنفس إشارة إلى نحو قوله -عز وجل- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]، ولهذه النكتة - قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[2] قال: عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**الشرك أخفى فيكم من دبيب النملة على الصفاة في الليلة الظلماء**»[3]، تنبيهاً أنه قل ما ينفك عمل من رياء وإن قل.

وبين تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أنه لا يخفى عليه شئ من أسرار العباد..

قوله - عز وجل:

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية (٢٦٦) - سورة البقرة.

النخيل: سمي بذلك لأنه منخول الأشجار وصفوها، وذاك أنه أكرم ما ينبت، لكونه مشبهاً بالحيوانات فى الاحتياج، الأنثى منها إلى الفحل فى التلقيح، وأنه إذا قطع رأسه لم يثمر بعده.

١- سورة سبأ - الآية (١٣) .

٢ - سورة يوسف - الآية (١٠٦).

٣ - الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور -ج:٤-ص٥٤، كما أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين -ج:٢-ص٢٧٣، ج:٧-ص٣٠٤، ج:٨-ص١٥٣، ٢٣١، ص٢٨١، وأخرجه ابن كثير في تفسيره- ج:٤-ص٣٤٤، كما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد - ج :١٠-ص٢٢٤.

ولأجله قال، عليه الصلاة والسلام: « **أكرموا عمتكم النخلة**»[١] وقيل: نخل السماء الثلج عند وقوعه على الأرضّ قطن أو دقيق يغربل، والعنب والعناب نظر إليهما نظراً واحداً، وشورك بينهما في الحروف الأصيلة مشاركتهما في الهيئة والصيغة، وزيد في لفظ العناب لزيادة جرمه على جرم العنب، وهذا طريق اعتبروه في الاشتقاق وتحت نقيض فوق، وفي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى تظهر التحوت**»[٢]، أي ما تحت الأرض، وذلك إشارة إلى ما قال الله -عز وجل-. ﴿ **وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** ﴾.[٣]

والعصر: مصدر "عصرت العنب"، وسمى آخر النهار ومدة من الزمان عصراً كأنه مدة عُصرت، فجُمعت، وقيل للعطية عصر تشبيهاً بعصر الريح السحاب، وسمى الإلجاء عصراً، والاعتصار الالتجاء، والمعصر سحاب ذات عصر للمطر، والمرأة فوق الكاعب معصر، لكونها ذات عصر، أي زمان

---

١ - الحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات في باب: "خلق النخلة من طين لآدم"، وهو مروي عن علي وابن عمر، ونصه: قالا: قال رسول الله صلى الله عيه وسلم "أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من فضلة طينة آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة وُلدت تحتها مريمُ بنتُ عِمْرَانَ، فأطعموا نساءكم الولد الرطب، فإن لم يكن رطباً فتمراً". الموضوعات - ابن الجوزي - ج:١-ص١٨٣، ١٨٤، ورواه العقيلي في الضعفاء- ج:٤-ص٢٥٦، ورواه كذلك ابن عدي في الكامل للضعفاء -ج:٦-ص٢٤٢٤، ورواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة -ص٤٢، وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ج:٢-ص٦٦، كما رواه ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات ص١٣٢.

٢ - الحديث تمامه : (لاتقوم الساعة حتي يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ، ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول ، وتظهر التحوت) قالوا يارسول الله ، وما الوعول والتحوت ؟ قال (الوعول وجوه الناس وأشرافهم ، والتخوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لايعلم بهم)، أخرجه الطبراني في الأوسط ج : ١- ص٤٢٠ - كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - باب ظهور الفتن ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن الحارث وهو ثقة ج : ١٨- ص٦١١، وأخرجه أيضاً أبو عبيد فى غريب الحديث ج : ٣- ص ١٢٥ كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٦٤ - تحقيق صفوان داوودي .

٣ - سورة الانشقاق الآيتان (٣، ٤) .

للتمتع إشارة إلى قول الشاعر:

مطيات السرور فويق عشر

إلى عشرين ثم قف المطايا[١].

والإعصار: أصله مصدر أعصر، فسمي به الريح، والاحتراق مطاوعة حرق، وحرق الثوب أن تحرقه الدق[٢]، وحرق البعير حك إحدى نابيه بالأخرى، وريش حرق كالمنقطع بالإحراق، والحرقة احتراق البدن بحرارة فيه، والحراق معروف، والحرقات سفن يرمى عنها بالنيران، ضرب الله مثلاً لأعمال المنافق والمرائي، وأن لها في الدنيا شارة ونضارة، فإذا احتاج إليها وجدها باطلة، كمن له جنة هكذا يعتمدها، فلما اختل حاله، وكثر عياله، وانقضى شبابه، بقي خالياً عنها،وعلى هذا دل ما روى أن عمر-رضى الله عنه قال: "إني لأجد في نفسي من هذه الأشياء"، وكان في القوم ابن عباس، فقال: هذا مثل ضربه لمن يعمل عمره كله بعمل أهل الخير حتى إذا كان في آخر أيامه، وفي أحوج ما يكون إلى الخير، ختم عمله بعمل أهل الشقاء، فبطل ما عمل،[٣] وقيل: إن ذلك مثل ليس للمال فقط،

١- هذا البيت قاله دعبل الخزاعي وذلك كما في مخطوط كتاب الدر الفريد - لمحمد بن أيدمر ج : ٥ - ص١١٤، وورد في أمالي الزجاجي منسوباً لمحمد بن عبد الله بن طاهر بلفظ :

مطيات السرور بنات عشر　　　إلى عشرين ثم قف المطايا

وبعــده :

فإن جاوزتهن فسر قليلاً　　　بنات الأربعين من الرزايا

إلى أن قال :

مقاساة النساء مع الليالي　　　إذا أولدتهن من البلايا

وانظر مقدمة جامع التفاسير - ص ٥٣ - تحقيق : الدكتور أحمد حسن فرحات - ط : دار الدعوة بالكويت.

٢- أورد القرطبي ماأخرجه البخاري عن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيم ترون هذه الآية نزلت « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أولا نعلم ! فقال ابن عباس : في نفسي منها شئ ياأمير المؤمنين ، قال : يابن أخي قل ولاتحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل . قال عمر أى عمل ؟، قال ابن عباس : لعمل رجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله - عز وجل - له الشيطان فعمل في المعاصي حتى أحرق عمله . في رواية ، فإذا فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من أعمال الشقاء، فرضي ذلك عمر. تفسير القرطبي - ج : ٢- ص١٢٤١ ، ص ١٢٤٢، وأورده ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس : ج : ١- ص٣١٩.

٣ - في المجمل -ج:١-ص٢٢٧. والحرق في الثوب من الدق.

بل للصحة والجمال وسائر الأمور البدنية والجارحة والسلطان، فإنه يفجع به الإنسان أحوج ما يكون إليه، فيكون بمنزلةٌ من إذا كثر عياله فسد بالصاعقة بستانه، فبقي ضعيفاً لافضل فيه لعمل،وسعى في تصرف، وإنما ذكر أنه فجع بها، ولم يقل : مات عنها، فالنفوس مطبوعة على استعظام ذهاب المال عن الإنسان أكثر من استعظام ذهاب الإنسان عن ماله، قالوا: حلف للأعداء، ولا يجنح إلى الأصدقاء، إن قيل: كيف قال: **"أيود"** وهو مستقبل، ثم قال: **"وأصابه الكبر"**، فأتى بلفظ ماض؟

قيل: قد قال الفراء: لما كان يود يتلقى مرة بأن يكون، ومرة بلو كان، جاز أن يقدر أحدهما مكان الآخر، لانفاق المعنى، فكأنه قيل: "أيود أحدكم لو كان له جنة، وأصابه الكبر"، إن قيل: ولم قال: "وأصابه الكبر" ولم يقل: "وكبر" ؟ في قوله: "وأصابه الكبر تنبيه على معنى التأثير والنكاية فيه، كقول الشاعر:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى..(١)

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ الآية : (٢٦٧)- سورة البقرة .

الطيب يقال تارة باعتبار الحاسة، وباعتبار العقل تارة، والخبيث في نقيضه، والأظهر أن المعني به هاهنا المعقول الذي هو الحلال، فقد روى: «ثلاث إذا كن في التاجر طاب كسبه، لا يعيب إذا اشترى، ولا يمدح إذا باع، ولا يكذب»، وروي: لا يحلف.

١- هذا شطر بيت قاله عمرو بن قميئة ، والبيت :

رمتني بنات الدهر من حيث لاأرى ... فكيف بمن يرمى وليس برام

وبعده : فلو أنها نبل إذا لاتقيتها ... ولكنني أرمى بغير سهام

ويرويان للبيد بن ربيعة أيضاً ...

مخطوط كتاب : الدر الفريد وبيت القصيد - ج : ٣- ص ٣٢٤ .

وقال - عليه الصلاة والسلام:

«**إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه**»[١]، وأصل التيمم قصد اليم أي لجة البحر، ثم صار في التعارف القصد نحو، ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾[٢]، ويممته، وأممته، قيل هما واحد وقال الخليل: أممته: قصدته من أمامه، ويممته: قصدته من أي جهه كان، والإغماض والتغميض غض البصر، ويستعمل في الترخص كالإغضاء، ذكر تعالى فيماتقدم فضل النفقة في سبيله، وحث عليها، وقبح المنة، ونهى عنها، وحث في هذا أن يكون الإنفاق من طيبات الكسب، قيل: من أجوده، بدلالة ما روي أنه لما أمر بالصدقة، جاء قوم من أهل المدينة من صدقة التمر بالحشف، ومن الطعام بالزوان، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣]، وقيل: الطيبات تتناول مع ذلك الحلال، وحقيقة الطيب من الكسب ماليس فيه ارتكاب محظور واكتساب محجور، بل منح العقل والشرع تناوله، ودخل في قوله: "ما كسبتم" كل ما يناله الإنسان بربيح أو أجرة عمل، وفي قوله: ﴿**مِمَّا أَخْرَجْنَا**﴾ أنواع الحبوب والثمار والمعادن، وتخصيص المكتسب دون الموروث لأن الإنسان مما يكتسبه أضن منه مما يرثه، فإذاً الموروث معقول من فحواه.

إن قيل: ما فائدة : لكم؟

قيل: تنبيه أن المقصود بإتخاذ هذه الأشياء نفعنا، ليبلغنا بها إلى سعادة الدارين، كقوله

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج :٦ ص٣١، ٤٢، ١٢٧، وأخرجه النسائي فى سننه فى كتاب البيوع من حديث عائشة - ج :٧- ص٢٤١، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج :١- ص٣٤٧، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج رقم ٢٢٢٤، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج : ٩- ص٣٠٨.

٢ - سورة المائدة : الآية رقم (٦) ، سورة النساء: الآية رقم (٤٣).

٣- ذكر السيوطي سبب نزول هذه الآية في ماروله الحاكم والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن البراء قال : نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، كنا أصحاب نخل ، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته ، وكان ناس ممن لايرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الصيص والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله « يأأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم » .. الآية . كما أورد السيوطي أيضاً ماروله أبو داود والنسائي والحاكم عن سهل من حنيف قال : كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها في الصدقة ، فنزلت : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، وماروله الحاكم عن جابر قال : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر بصاع من تمر ، فجاء رجل بتمر ردئ ، فنزل القرآن : « يأأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم » الآية ، وماروله ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون به فأنزل الله هذه الآية. أسباب النزول - للسيوطي - ص ٣٥ ، ص ٣٦ ط . دار المنار بالقاهرة .

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[١]، ويجوز أن يتضمن مع ذلك أن الذى تجب فيه الزكاة، وهو ما قصد به قوام الإنسان دون ما قصد به البهائم كالحشيش ونحوه، وقوله: ﴿أَنفِقُوا﴾ عام في الواجب والتطوع..

إن قيل: لم قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ ولم يقل: (ولا تنفقوا الخبيث) مع أن اللفظ كان أوجز؟

قيل: لأن القبيح من الإنسان أن يقصد الخبيث أي الرديء من جملة ما في يده، فيخصه[٢] بالإنفاق في سبيل الله، فأما إنفاق الرديء لمن ليس له غير ذلك، أو لمن لا يقصده خصوصاً فغير مذموم.

قوله - عز وجل :

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية : (٢٦٨) - سورة البقرة .

الفقر أربعة: فقر الحسنات في الآخرة، وفقر القناعة في الدنيا، وفقر المقتني، وفقرها جميعاً.، والغني بحسبه، فمن حصل له في الدنيا فقد القناعة والمقتني، فهو الفقير المطلق على سبيل الذم، ولا يقال له غني بوجه وهو المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام «**كاد الفقر أن يكون كفراً**»[٣]، ومن فقد

---

١ - سورة البقرة : الآية (٢٩).

٢ - في (و - ج) فيحصنه وهو خطأ من الناسخ.

٣ - الحديث أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال فى باب : « الفقر الاضطراري » في الحديث رقم ١٦٦٨٢ وأورده العجلوني في كشف الخفاء - ج : ٢- ص١٠٨، وقال : في سنده يزيد الرقاشي ضعيف ، ورواه الطبراني عن أنس مرفوعا ، وأخرجه السيوطي في جامع الأحاديث والحديث عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كاد الحسد أن يغلب القدر ، وكاد الفقر أن يكون كفراً » . أخرجه أبو نعيم فى الحلي... ج ٣ - ص٥٣، وابن عدي في الكامل ج ٧ - حديث رقم ٢٦٩٢، وهو ضعيف وفيه يحي بن اليمان العجلي الكوفي ، وهو سريع النسيان وحديثه خطأ عن الثوري . وقد أورده الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن - ص٦٤١.

لقناعة دون القنية، فهو الغني بالمجاز فقير بالحقيقة،

ولهذا قال: قد يكثر المال والإنسان مفتقر[١].

وقيل لبعضهم: أفلانٌ غني؟ فقال: لا أدري غناه، ولكنه كثير المال، ومن فقد القنية دون القناعة، إنه يقال له فقير وغني، وكلاهما يقالان على طريق المدح، فقد قيل:**ليس الغني بكثرة العرض وإنما لغني غني القلب**"[٢]، والمشهور من الفقر عند العامة الحاجة وأصله كثير الفقار، ومن قولهم: فقرته، حو كبدته، وبطنته، وبهذا النظر سمى الحاجة والداهية فاقرة، نحو: **﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾**[٣]، الفحش والفحشاء كل منكر من المقال والفعال وإن كان قد خصها بعضهم هاهنا بالبخل، كقول شاعر:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي

عَقِيلَةَ مالَ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ[٤]

فقوله: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾**، قيل: عنى فقر الآخرة، وهو أن يخيل إليه أن لا جزاء ولا نوراً، وقيل: هو بأن يخوفه الفقر في آخر عمره.

إن قيل: على أي وجه يتصور وعد الشيطان؟

قيل: إن ذلك تسليط النفس ووساوسه، ولهذا قال هاهنا في الشيطان: **﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾**، ال في غيرها: **﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾**[٥] لما جريا مجرى واحداً،

- هذا عجز بيت وصدره:

العيش لاعيش إلا ما قنعت به

و في التمثيل والمحاضرة للثعالبي بدون نسبة-ص٨٥، وهو أيضاً في نهاية الأرب ج-٣-ص٨٤، كما أورده الراغب في مفردات الفاظ القرآن بدون نسبة ص٦١٦.

- هذا حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) أخرجه البخاري في صحيحه ج١١-ص٢٢١، وأخرجه الطبراني الأوسط، ورجاله رجال الصحيح وأبو يعلي وأحمد ج-٢-ص٣١٥، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ج--١-ص٢٤٠ وقد أورده الراغب في كتاب المفردات ص٥٩٧:ص٦١٥، ص٦٤٢.

- سورة القيامة - الآية : (٢٥).

- البيت لطرفة بن العبد ، وهو في ديوانه - ص٥٨، وأورده الطبري فى ج : ٣-ص١٥٤، وأورده القرطبي فى تفسيره -ج:٢-ص١٦٢، وأورده أبو عبيد في مجاز القرآن - ج :٢- ص٣٠٨، وورد فى شواهد الكشاف - ص ١٠٣.

- سورة يوسف : الآية (٥٣).

قال: ﴿أن لاَّ تعبُدُوا الشيْطَانَ﴾[١]، وقال في أخرى: ﴿أفرأيت من اتَّخذَ إلههُ هواهُ﴾[٢] الآية.

إن قيل:

من حق مقابلة اللفظ في قوله ﴿الشيْطانُ يعِدُكمُ الفقرَ ويأمُرُكم بالفحْشاءِ﴾ أن يقول (والله يعدكم لغنى)، ويأمركم بالمعروف أو بالبر، فليست المغفرة مقابلة للفقر، ولا الفضل للفحشاء وإن كان مقابلاً ه، فلم لم يذكر في : (الله يأمركم)، والله يأمركم، والله في الحقيقة يأمر، فأما الشيطان فهو المسؤول الموسوس؟

قيل: قابل الفقر بالمغفرة والفضل، والفضل أعم من الغنى، لأنه يتناوله وغيره، فبين أنه يعد الغنى وزيادات فضل، فأتى في مقابلة وعد الشيطان بالمغفرة، أنه يغفر مع ذلك انقيادكم للشيطان سائر الذنوب، ولما كان أمر الشيطان بالفحشاء إنما هو لأجل وعده بالفقر، لأن من خاف بخل بماله، البخل سبب ارتكاب سائر الفواحش، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام: «**وأي داء أدوى من البخل؟**»[٣]، صار مستغنى أن يذكر في مقابله: ﴿ويأمُرُكم بالفحْشاءِ﴾ بما ذكر من قوله: ﴿ومغفرةً منْهُ وفضْلاً﴾، لأن أمر الله تعالى بالخيرات والحسنات معلوم، وإنما المجهول أمر الشيطان، إذ كان أمره يخفى على الجهال، وإنما يعرفه أولوا الألباب..

---

١ - سورة يس : الآية (٦٠).

٢ - سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٣- الحديث رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (من سيدكم يابني مسلمة ؟ قالوا : سيدنا جد بن قيس ، إلا أنه رجل فيه بخل ، فقال صلى الله عليه وسلم : (وأى داء أدوى من البخل !؟) بل سيدكم بشر بن البراء ، أخرجه الحاكم فى المستدرك ح : ٣ ص٢١٩، وقال : صحيح علي شرط مسلم، وأقره الذهبي ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٦٥.

قوله - عز وجل :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

الآية (٢٦٩)-سورة البقرة .

قد تقدم أن الحكمة معرفة الموجودات، وفعل الخيرات بقدر طاقة البشر، وذاك عام فيما يدرك بالعقل وبالوحي، وإن كان قد خص في بعض المواضع بما يدرك بالعقل في نحو قوله: **﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾**[١]، فقول ابن عباس: "الحكمة هاهنا: علم القرآن، ناسخه، ومحكمه، ومتشابهه"[٢].

وقول ابن زيد: "إنها علم آياته وحكمه ومتشابه"، وقولُ السدى أنها النبوة، وقول إبراهيم: إنها الفهم، وقول غيرهم إنها الخشية كلها صحيح، وإشارة إلى أبعاضها، ومن قال: عنى بالخير الجنة، ومن قال: هو العلم الظاهر والباطن فصحيح، والحكيم يقال بمعنى الفاعل والمفعول نحو: **﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾**[٣] أي محكم، ثم بين أن حقيقة ذلك لا يتذكرها إلا أولوا الألباب، وقد تقدم حقيقة اللب وماله من المزية على مقتضى لفظ العقل، وإليه أشير بقوله: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾**[٤]، وأما من قال: "كل مكلف ذو لب" حاصل له، فبعيد عن معرفة حقيقته، وما تقدم يغني عن بسط القول فيه هاهنا.

---

١ - سورة البقرة : الآية (١٥١).

٢ - أورد القرطبى اختلاف العلماء في معنى الحكمة، فأورد قول السدي بأنها النبوة ، وقول ابن عباس بأنها المعرفة بالقرآن فقهه، ونسخه ، ومحكمه ومتشابهه وغريبه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وقول قتادة ومجاهد بأنها العقل فى الدين ، وقول مالك بن انس بأنها المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له ، وقال الربيع بن أنس : الحكمة : الخشية ، وقال إبراهيم النخعى : الحكمة : الفهم في القرآن ، وقال زيد بن أسلم ، وقال الحسن : الحكمة : الورع. ثم علق القرطبى بقوله :« وهذه الأقوال كلها ماعدا السدى والربيع والحسن قريب بعضها من بعض ، لأن الحكمة مصدر من الإحكام ، وهو الإتقان في قول أو فعل فكل ماذكر فهو نوع من الحكمة التى هي الجنس ، فكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه حكمة ، وكل ماذكر من التفضيل فهو حكمة) تفسير القرطبى - ج٢ -ص١٢٥٢، وأورده ابن كثير بهذا المعنى في تفسيره ج -١-ص٣٢٢ .

٣ - سورة الدخان: الآية (٤).

٤ - سورة ق : الآية (٣٧).

قوله - عز وجل :

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾

الآية (٢٧٠)-سورة البقرة .

إن قيل: كيف قال: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾** ، ثم قال: **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾**، ثم رجع إلى ذكر النفقة، وذلك كلمات متباينة في النظم متفاوتة في السرد؟ قيل: بل ذلك في نهاية حسن النظم، فإنه تعالى لما بين فضل الإنفاق في سبيله، وحث عليه حذرنا من الجنوح إلى الشيطان وإلى شرور النفس، وحثنا على الاعتماد على الحق بقوله: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾** الآية، ثم بين بقوله : **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾** أن ذلك أمر يعرفه المتخصص بالحكمة التي يؤثر الله بها من يشاء، ثم رجع إلى ذكر النفقة، وبين أن ذلك موضوع عند من لا يسهو أولا ينسى، وصار ذلك الحكمة مع كونه متعلقاً بما تقدم، كالاستطراد والتنويه بذكرها والحث على معرفتها والتخصيص بها..

إن قيل: ما وجه تعقيب الإنفاق بالنذر، ووجه الآيتين بقوله: **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾** بعدهما؟

قيل: النذر عقد الإنسان على نفسه فعل البر بشرط أو بغير شرط، ولما كان فعل الخيرات ضربين مفروغاً منه ومعزوماً عليه بين أن كلا الأمرين لا يخفى عليه، وذلك كلام متضمن للوعد والوعيد، وقال بعضهم: ليس النذر هاهنا ما يلتزمه الإنسان بالتطوع فقط، بل كل ما التزمه بالعقل أو بالشرع فنذر، وقيل الإشارة بالنذر إلى التطوع وبالإنفاق إلى الواجب، ثم بين أن من ظلم نفسه بتقصيره فيما يلزمه من ذلك أو ظلم غيره، فماله أنصار، وهو جمع نصير نحو: شريف، وأشراف،.وفي ذلك تنبيه على ما قال:

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(١).

١- سورة غافر - الآية : (١٨).

قوله - عز وجل :

﴿إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الآية (٢٧١) - سورة البقرة .

خفى الشئ صار في خفية، والخفاء ما يستر به كالغطاء، وخفيته: أزلت خفاءه وذلك إذا أظهرته، وأخفيته أوليته ما دون القوادم من الريش،.. قال الخليل: لأنها تخفى إذا وقع الطائر قد أثنى الله تعالى على إبداء الصدقات بقوله: **﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾**، وقال ابن عباس: هذا في صدقة التطوع، فأما الفرض، فإظهاره أفضل، لئلايتهم، وقال الحسن وقتادة: إخفاء جميعه أفضل، ومن الناس من يحتج بذلك في جواز إعطاء الصدقات في الصامت والناطق الفقراء دون الإمام، لقوله: **﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾**، وقال بعضهم: ليس القصد بذلك إعطاء الفقراء يداً بيد، بل القصد إخفاؤه، فإنك إن آتيت الساعي فقد آتيتهم لأن يده يدهم في الحكم، وبين أن إخفاء الصدقة أحمد، لأن قوله: "خير" إن جعلته في تقدير "افعل" فتفصيله ظاهر، وإن جعلته في تقدير: "فعل"، فالخير أبلغ معنى من مقتضى نعم، ولا قال في الإخفاء "فهو خير لكم"، فأكده بلكم، ثم قال: **﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾**، ولم يصف الإبداء بذلك، ثم قال: **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** تنبيهاً أنه إن أخفى لا يخفى عليه ولا يضل عنه، ويؤكد فضل إخفائه قوله-عليه الصلاة والسلام «**سبعة يظلهم** الله **في ظل عرشه،.. وذكر رجلاً تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تصدقت به يمينه..**»(١)، وقوله: **﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾** قرئ مكسور النون والعين، وكسر النون

---

١ - الحديث أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد - ج : ٢- ص ٢١٨، وأخرجه ابن حجر العسقلانى في فتح البارى - ج :٢- ص١٤٤. وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى في باب : ماجاء في المتحابين فى الله ص٩٥٢، وأخرجه الشيخان عن أبي هريرة ، والبخارى في ص ٨٦- كتاب الحدود ، وفى ص ١٩ باب : فضل من ترك الفواحش، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب : الزكاة ص١٢ ، وفى باب : فضل إخفاء الصدقة - حدث رقم ١٩- ص٣٠.

اتباع لكسر العين، وقريء بفتح النون وكسر العين، وقرئ بسكون العين وكسر النون وتشديد الميم ويتخفيف الميم أيضاً، والسكون بعيد لالتقاء الساكنين، وليس أحدهما حرف مدولين[1]، والتخفيف كذلك لحذف لام الفعل أو الميم من ما، وكلاهما لا ينقاس، وقوله: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ إذا جزم فعطف على موضع الفاء، وإذا رفع فعطف على موضع الفاء، وإذا رفع فعطف على ما بعد الفاء نحو: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾[2]..

إن قيل : ولم قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾؟ فأدخل فيه من قبل (قد): قال بعضهم : من زائدة،وقيل تنبيهاً أنه لا يكفر جميع المعاصي، لأنه يكفر الصغائر بشرط اجتناب الكبائر عند قوم ويكفر الكل عن المسلمين بشرط اجتناب الكفر إن شاء عند قوم..

---

١ - قرأ بفتح النون وكسر العين كلٍ من ابن عامر ، وحمزة، والكسائي ، وخلف ، والأعمش ، وقرأء بكسر النون وسكون العين كل من أبي عمرو ، ونافع ، وعاصم ، وقالون ، وأبي جعفر ، واليزيدي ، والحسن ، وشعبة ... معجم القراءات القرآنية - إعداد الدكتور / عبد العال سالم مكرم - الدكتور / أحمد مختار عمر - ج : ١- ص ٢١١،٢١٠ - الطبعة الأولي - سنة ١٩٨٢.

٢ - سورة الأعراف - الآية (١٨٦).

قوله - عز وجل :

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الآية :(٢٧٢)- سورة البقرة .

إن قيل: ما وجه اتباع هذه الآية لما تقدم؟

قيل: روى عن النبي ﷺ إنه والمؤمنين تحرجوا من مواساة الكافرين ومواصلة أقاربهم منهم، حتى إن النبي ﷺ سأله يهودي، فقال: لاحق لك، وإن "أسماء بنت أبي بكر" امتنعت من مواساة جدها وامرأته، وإن الأنصار امتنعوا من الإنفاق على أصهارهم من الكفار، فأنزل الله تعالى ذلك تنبيهاً أن ليس عليك هداهم، وأن يهتدي الكافر، وإنما عليك أن تهديهم أي تدعوهم إلى الهدى على الوجه المأمور به - تنبيهاً أنه لا يجب أن تمتنع من مواساتهم[1] لذلك، ومن الناس من قال: هذا كان عاماً في جميع الصدقات، فرضها ونفلها، ثم نسخت الفريضة بقوله:
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[2].. الآية، ومنهم من قال: هو مخصوص في النافلة دون الواجبة، وإليه ذهب ابن عمر والحسن، وروي أبو حنيفة أنه لما أنزل الله :**﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾** تصدق الناس على الكفار من غير الفريضة، وقيل: عنى بالهداية الغنى، أي ليس عليك أن تهديهم، وإنما عليك مواساتهم، فإن الله يغني من يشاء وتسمية الغنى، هداية على طريقة العرب في نحو قولهم:

١- أورد السيوطى فى سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام ، فنزلت: (ليس عليك هداهم، الآية فأمر بالتصدق على كل من يسأل من كل دين ». كما اورد السيوطى ماروواه النسائى والحاكم والبزار والطبرانى وغيرهم ماروى عن ابن عباس قوله:« كانوا يكرهون أن يخضعوا لأنسابهم من المشركين ، فسألوا فرخص لهم ، فنزلت هذه الآية »، أسباب النزول - ص٣٦ -ط - دار المنار - القاهرة ، وكذلك أورد القرطبي ماذكره النقاشي من أن النبى صلي الله عليه وسلم أتى بصدقات ، فجاءه يهودى فقال أعطنى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من صدقة المسلمين شئ» فذهب اليهودى غير بعيد، فنزلت : « ليس عليك هداهم» فدعاه الرسول صلي الله عليه وسلم فأعطاه ، ثم نسخ الله ذلك بآية الصدقات ، تفسير القرطبي ج ٢-ص١٢٥٩.

٢ - سورة التوبة : الآية (٦٠).

«رشدت واهتديت» لمن ظفر، و«غويت» لمن خاب وخسر، وعلى هذا قال الشاعر:

"ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً"[١].

وقيل: ليس لقوله: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**﴾ تعلق بالإنفاق، وإنما هو تسلية للنبي ﷺ، وتنبيه أنك إن أمرت أن تكثر حثهم على الإنفاق، فليس يرجع عليك ملامة في تقصيرهم، كقوله: ﴿**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[٢]، وقوله: ﴿**وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ**﴾[٤]، وقوله: ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ كقوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ**﴾[٥] وقوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ**﴾[٦]، وقوله: ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ**﴾، أي: أهل دينكم.

قال سفيان بن عيينة:

بين أن ما تنفقوا من صدقة فلأنفسكم، وقوله: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾[٧] يعني: أهل دينكم- تنبيهاً أن حكم الفرض من الصدقة بخلاف حكم التطوع، فإن الفرض لأهل دينكم دون الكافرين، وقال غير معناه: ما تنفقونه فإنه يحصل لكم ثوابه سواء أوصلتم إلى مؤمن أو كافر، وقوله: ﴿**وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾، قيل: هي جملة في موضع الحال، كأنه قال:

١- هذا عجز بيت قاله الشاعر المرقش الأصغر وشطره الأول :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغولا يعدم علي الغى لائماً

وقد ورد فى ديوان المفضليات - ص٥٠٣ - وفى شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف - ص٤٦٠، ٤٦١ وخزانة الأدب للبغدادي - ج : ٤- ص٥٨٩، ٥٩٠، وورد في التلويح فى شرح الفصيح للهروى - ص٣ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبرى - ج : ١٦- ص١٠، وفى ديوان الحطيئة ، ص٢٩٢، وورد في إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس - ج : ١- ص٢٨٢ تحقيق الدكتور زهيد غازى .

٢ - سورة يونس : الآية (٩٩).

٣ - سورة البقرة : الآية (١١٩).

٤ - سورة النور : الآية (٥٤).

٥ - سورة يونس : الآية (٩٩).

٦ - سورة الأنعام : الآية (٣٥).

٧- سورة النساء : الآية (٢٩).

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ﴾ إذ لم تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، أي إذا قصدتم به وجهه، وقيل: ذلك جملة معطوفة على جملة، ومعناه: "**ما تنفقوا من خير فلأنفسكم وأنتم تقصدون به قصدكم به وجهه فقط دون عوض**"..

إن قيل: ما معنى قوله: **﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾** وهذا معناه كمعنى قوله: **﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾**، ما ذكره النبي ﷺ حيث يقول: «**اللهم اجعل لمنفق خلفاً، ولممسك تلفاً**»[(١)]، ويعني به المنفق حيث ما يجب، وكما يجب، لا المنفق في عبارة وخسارة، وقوله: **﴿وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾**، وهو تعالى يجعل لكم بالواحد سبع مائة، كما ذكره في الآية المتقدمة، والوجه هاهنا قيل معناه القصد والجهة، وقيل معناه القصد به الذات، نحو النفس، ومعناه: يقصد به ذات الله ، لا طلب جزاء، ولا خوف عقاب، ولا غير ذلك من الوجوه التي يقصدها أبناء الدنيا بالإنفاق..

قوله - عز وجل :

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

الآية :(٢٧٣)—سورة البقرة .

العفة : حبس النفس عن فضول الشهوات الرديئة من المأكل، والمنكح، والاقتصار علي البلغة التي لابد من المشار إليها بقوله تعالى:**﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾**[(٢)].

١- الحديث متفق عليه وأورده ابن حجر العسقلانى في فتح البارى كتاب الزكاة باب قول الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) - ج: ٥ ص٤١ ولفظه : حدثنا اسماعيل حدثني أخي ، عن سليمان عن معاوية بن أبي مزرد، عن أبي الحباب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مامن يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فتقول أحدهما :(اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) كما أخرجه مسلم فى الزكاة عن القاسم بن زكريا وأخرجه النسائى فى عشرة النساء عن محمد بن نصر ، وفى الملائكة عن عباس بن محمد ، وهو في فتح البارى ج٥ - ص٤١ كما أورده النووى في رياض الصالحين فى باب «الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالي» ص١٩١.

٢ - سورة طه : الآية (١١٨).

ويقول النبي ﷺ الله فيما يرويه سفيان:

«أربع من جاوزهن، ففيه الحساب: ما سد الجوعة، وكف العطشة، وستر العورة، وأكن البدن»[(١)]..

ويدخل في العفة الجود، لأنه قد قيل: الجود ضربان: أن يكون بمافي يدك متبرعاً، وأن يكون عما في يد غيرك متورعاً، والزهد يقاربه إلا الزهد، يقال اعتباراً بترك عرض الدنيا، والعفة تقال اعتباراً بحبس النفس عن الشهوات، وتتلازمان والعفافة بقية ما في الضرع، كأنه قدر يمكن التعفف به، والإلحاف استشعار المسألة والاستقصاء فيها وتذرعها، يقال: لحفته: أي ألبسته إلحافاً، ككسوته، أي ألبسته كساءً، والوسم والسيما تتقاربان لكن الوسم علامة محسوسة كسمة البعير، والسيما علامة متفرسة، وأصلها من السوم، أي طلب الكلأ وطلب المبيع، وسوم الماشية أن تطلب لها المرعى وإن كان قد يستعمل في إرسالها.

إن قيل: بم يتعلق قوله: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ**﴾؟

قيل: هو على ما ذكر سنين بدل من قوله: ﴿**لأَنفُسِكُمْ**﴾، فقد ذكر أنه يعني بأنفسكم أهل دينكم، فصار الفقراء بعضهم، فصح أن يبدل منه بدل البعض من الكل، وقيل: يتعلق بقوله: ﴿**وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ**﴾، أي ما تنفقون لهم إلا تقرباً إلى الله عز وجل-، فمعلوم أن من خص بنفقته هؤلاء، فإنه لم يقصد إلا وجه الله، وقيل: ذلك يتعلق بفعل مضمر يدل عليه: ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ**﴾، أوبقوله: ﴿**يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**﴾، أي يوف إليكم، ويوسع لأجل الفقراء إشارة إلى ما قال- عليه الصلاة والسلام: «**إنما تُنصرون بضعفائكم وتُمطرون وترزقون**»[(٢)].

١- لم أجده.

٢- الحديث رواه الزبيدى فى الإتحاف في باب الإخلاص، وروى أن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه - ظن أن له فضلاً علي من هو دونه من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم -، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما نصر الله عز وجل - هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم،» وروى قول العراقي : رواه النسائى ، وهو عند البخارى بلفظ : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » ورواه الحافظ أبو بكر البرقانى فى صحيحه متصلاً عن مصعب بن سعد عن أبيه عن أبي الدرداء رفعه: « أبغونى الضعفاء، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم. ورواه أبو داود بإسناد جيد ، ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريق عاصم بن على عن محمد بن طلحة بن مصرف عن أبيه عن مصعب بن سعد قال : رأي سعد أن له فضلاً علي من هودونه، فقال النبى - صلي الله عليه وسلم : « إنما ينصر الله هذه الامة بضعفائها بدعواتهم وصلواتهم وإخلاصهم » .

وقال بعض الناس : اللام تتعلق بقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ المذكور من بعد، وهذا لا يصح، لأن ما يتعلق بمعمول حرف الشرط لا يقدم عليه، وكذلك ما يتعلق بما بعد حروف العطف، وقد تقدم الكلام في الحصر والإحصار، وأن الإحصار أعم من الحصر، فإن الحصر يقال في منع العدو، والإحصار يقال فيه وفي منع الذي يكون من ذات الإنسان من العقل، أو الهوى، أو المرض، أو الخوف، فكل حصر إحصار، وليس كل إحصار حصراً، ولأجل عموم الإحصار قال قتادة وابن زيد: "منعوا أنفسهم من التجارة خوفاً من الكفار"، وقال السدي: "منعهم الكفار بالخوف، وقيل: منعهم المرض، وقيل: حملوا على الحصر..، وقوله: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾ أي : ذهاباً لمنع العدو إياهم، وقيل: لمنع الله لهم وإلزامهم أنفسهم المرابطة في سبيله، ولم ينف عنهم القدرة، ولكن بين أن إيمانهم وأحوالهم تمنعهم عن الإخلال عما هم بصدده، كقولك: "أمرني الأمير بكذا، فلا أستطيع أن أخل به"، وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾، أي الجاهل بحالهم، وقيل: إن ذلك فيمن له استغناء في الظاهر وبه فقرٌ في الباطن أو فقر إلى الله لمعرفته بحقائق الأمور، وقوله: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾، أي تتفرس فيهم أحوالهم، وذلك مما يدل على أن للفراسة حكماً صادقاً، وعليه دل قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(١)، وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾(٢)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله**»(٣)

إن قيل: ما وجه ذكر ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في ثلاثة مواضع متقاربة وتعليق كل واحد بحكم غير حكم الآخر، قيل: إنه بين أولاً ما ابتغى به الإنسان وجه الله، فنفعه راجع إلى نفسه، وبين في الثاني أنه وإن لم يقصد به وجه الله خالصاً، بل قصد به طلب ثواب، أو اتقاء من نار، أو غير ذلك من وجوه المصالح، فله ما قصده، وآتاهم الثواب في الثالث، حيث ذكر الإنفاق للفقراء الذين أحصروا،

---

١ - سورة محمد : الآية (٣٠).

٢ - سورة الفتح : الآية (٢٩).

٣- الحديث عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله) أخرجه الطبرانى ، وإسناده حسن وهو فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - ج : ١٠ - ص٢٧١، كما أورده الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن - ص٨٧١.

فقال: (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم)، إشارة إلى ما قال:

(أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت، ولا أذن سمعت).[(١)]

قوله - عز وجل :

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية (٢٧٤)-سورة البقرة .

قد تقدم أن إنفاق الأموال عند بعضهم ليس إنفاق المقتنيات فقط، بل كل ما خص الله بـه الإنسان من النفس والبدن في العبادة والعلم والجاه وغير ذلك، لكن الأظهر أنه انفاق المقتنيات، وروي أنه لما نزل ذلك، كان مع أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فقيل له في ذلك ، [(٢)] فقال: "أردت أن أستوجب من الله ما وعد به الذين يفعلون ذلك"، والإنفاق في سبيل الله ضربان، ضربٌ ظاهر، وهو الصدقة على الفقراء، وضرب غير ظاهر، وهو الإنفاق في المباحات إذا كان متناولاً من حيث يجب ومنفقاً على ما يجب وكما يجب، وقد تقدم ما قال بعضهم أن مباحات الأولياء كلها فرائض، فعني بقوله: علانيةً ما عرفه الناس أنه صدقة، وبالسر مالايعرفه صدقة إلا أولوا البصائر، وإلى هذا أشار من قال إنها نزلت في النفقة على الخيل، فإن الإنفاق على الخيل في الظاهر ليس بقربةٍ، وقوله:﴿ **بِاللَّيْلِ**﴾ إشارة إلى نحو ما روي أن بعض الأنصار نزل به ضيف، وكان عنده طعام طفيف، فقدمه إليه في الظلمة بالليل يري أنه يؤاكله وهو يؤثر به حتى أثنى الله عليه، والقصد بالآية في الجملة نفقة من لا يرائي، أن لا يداجي، وإنما يُقصد به مرضاة الله فقط..

١- الحديث سبق تخريجه - ص (١٢٦)

٢- أورده السيوطى فى أسباب النزول بسنده إلى الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس قال : نزلت هذه الأية في علي بن أبي طالب ، كانت معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً ، وبالنهار درهماً ، وسراً درهماً ، وعلانية درهماً كما أورد ماأخرجه ابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال : «نزلت هذه الآية فى عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان فى نفقتهما في جيش العسرة »، أسباب النزول - السيوطي - ص٣٦، وكذا أورد ابن كثير ما أخرجه إبن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت فى على بن أبى طالب ومارواه ابن جرير عن طريق عبد الوهاب بن مجاهد ، كما أورد مايوضح نزولها فى أصحاب الخيل من طريق ابن شهاب عن ابن عباس فيما رواه ابن أبى حاتم وأبو أمامة وابن المسيب ومكحول - تفسير القرآن العظيم ج -١- ص٣٢٦.

قوله -عز وجل :

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية (٢٧٥) - سورة البقرة.

الخبط: الضرب على غير استقامة، كخبط البعير بيده، والرجل الشجر بعصاه، وقيل لمس الشيطان الإنسان الخبط والتخبط، لكون أفعال المتخبط على غير استقامة، والخباط سمة على غير استواء، والسلف من الأفعال المضايفة، ويراعى فيه معنى التقدم، يقال: أصم سالفه، والسالفة من الإنسان لتقدمها على ما دونها من الأعضاء إذا اعتبر من الأعلى، وأسلفته في المال، وسلافة الخمر صفوها الذي يتقدم خروجه من العصير، والعود الرجوع، وأصله من العود، فعاد: رجع إلى عوده، أي أصله، وسمي البعير المسن عوداً، لأنه لما كان غاية سنها ذلك كأنه عاد إليه، وبيان ذلك أن الغرض والغاية بالذات شئ واحد، لأن الغاية هي بلوغ الغرض، وكان عرض الإنسان بناء دارما، فبناها على ما بوأها عاد بفعله إلى غرضه، فبناها على ما نواها الذي كان منه، وعلى هذا سمي الثوب لكونه ثابياً إلى ما كان الغرض من الغزل، وبهذاالنظر قال: **﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾**[1] فسمي انتهاء الإنسان الذي هو الهرم "**أرذل العمر**"، وعلى هذا قال: **﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾**[2]، فسمي ذلك رجوعاً لما كان الغرض من الإنسان تلك الغاية، وسمي العادة عادة، لكونها معاداً للإنسان فيما يتعاطاه أو لكونها عائداً إلى الإنسان، ولهذا قال: **إن التخلق يأتي دونه الخلق** وهو يقال.. للبربط عود[3] وللمتحرية عود.

١- سورة الحج - الآية : (٥) .

٢ - سورة المائدة : الآية (٤٨).

٣ - البربط: العود من آلات الموسيقى. ومعناه صدر البط، والجمع برابط.. المعجم الوسيط ج:١-ص٤٦.

كما يقال للنبيد شراب، واستعارة اسم الجنس والنوع لبعض منهما من أجل الكناية أحد ما يجب أن يراعى في الاشتقاق، والربا الزيادة على رأس المال من الربوة على ما تقدم، لكن في تعارف العرب هو لدفع دين بزيادة أو لزيادة ثمن لزيادة في الأجل، وصار في شريعتنا اسماً لذلك، ولبيع الأجناس الستة بعضها ببعض متفاضلاً ولما يجري مجراه على مقتضى العلة على حسب إختلاف الآية الثالثة، وقال بعض الفقهاء: البيع والربا لفظان عامان نظراً منهم إلى مقتضى، وقال بعضهم: هما مجملان، نظراً منهم إلى اعتبار شرائط فيهما لم تكن العرب تعتبرها، فصارت الأعراب لا تعرفها من دون المراجعة إلى صاحب الشرع، وكلا القولين صحيح بنظر ونظر، فإنهما عامان من وجه، ومجملان من وجه، ولذلك وصفهما الشافعي بالصفتين، فظن كثير من أصحابه أن قوله اختلف في ذلك، وروي في تفسير الآية أن المربى يقوم من قبره يوم القيامة مجنوناً، وأنه في المحشر يصرع ويوطأ بالأرجل إلى أن يحاسب الله الخلائق، ثم يدخل النار، وفي قراءة ابن مسعود: "**لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم**"،[1] وقيل: معناه: من سوى بينهما يخرج في الآخرة من حد الأبرار إلى حد الذين اتبعهم الشيطان وكانوا من الغاوين، كما قال الله تعالى: **﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾**[2]، وقيل: هو تشبيه من لم يفرق بين البيع والربا مع شدة تضادهما وتباين ما بينهما في أن البيع سبب العدل والعمارة للعالم، والربا سبب الجور وخراب العالم فنبه أن قبح الربا مركوز في العقول، بحيث أن من سوى بينه وبين البيع فقد بلغ به الجهل إلى حد الجنون، وقوله: **﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ﴾**، أي من انتهى بعد الوعظ، فما أخذه من قبل ملكه، لا اعتراض عليه، ولكن أمره في الآخرة إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، وقيل: بل معناه: لا يؤخذ به في الدنيا ولا في الآخرة، ومعنى: **﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾** على طريق الوعد له والسكون منه وأنه قد خرج من حزب الشيطان إلى حزب الله، كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾**[3].

١- هى قراءة عبد الله بن مسعود ، وقد أوردها أبو حيان فى تفسير البحر المحيط - ج :٢-ص٣٢٣ ، كما أوردها القرطبي في تفسيره - ج :٣- ص٣٥٤، وأوردها معجم القراءات القرآنية - ج : ١- ص ٢١٥ - إعداد : الدكتور / عبد العال سالم مكرم ، والدكتور / أحمد مختار عمر . ط : مطبوعات جامعة الكويت - سنة ١٩٨٢.

٢ - سورة النساء: الآية (٣٨).

٣ - سورة المائدة : الآية (٥٥).

وكقوله: **(الصوم لي وأنا أجزي به)**،[1] وقوله: (ومن عاد)، قيل: من عاد إلى تحليله وقيل: إلى تحليله أو إلى فعله من غير استحلال، وقوله ﴿**يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ مما يدل أن للشيطان تأثيراً في الإنسان بخلاف ما زعمت المعتزلة، حيث قالوا أن لا تأثير في الإنسان للشيطان إلا بالوسوسة، قالوا: وهو أن يغلب عليه من المره السوداء الضعف والقرع ما يحدث في المجنون، فمن قِبَل الله أومن قبل ذاته، وقال الجبائي: "**لو كان الشيطان يتخبطه بمسه لوجب أن يخبط كل واحد، فقد ثبتت عداوته للصالحين، ولوجب أن يسلب الإنسان ما في داره من أثاثه ومتاعه، فكان يحمل متاعهم إلى المسئ الكاذب**"، وقال أبو هاشم: "**لو قدر على ذلك لقدر على الصوت الرفيع، فكان يفشي سر المؤمنين ويضرب بينهم**". فنقول وبالله التوفيق: إن أول ما في قولهم هذا إبطالهم لنحو ما حكي عن أيوب: ﴿**مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾[2]، وعن موسى: ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾[3]، ولا يكذبهما تعالى فيما قال، وقال: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[4]، وقال مخبراً عن الشيطان: ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ**﴾[5] واستثنى الله تعالى أولياءه بقوله: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[6]، هذا مع غيره من الآيات الباهرة الظاهرة، فإن قيل: على أي وجه يكون سلطانه؟.

---

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج :٢ -ص ٢٨ كما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، والنسائى في سننه كما أورده السيوطي فى الدر المنثور - ج :١- ص١٨٠ ، كما أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين - ص٢٢، ٢٣ ، وأورده المتقى الهندى فى كنز العمال - حديث رقم : ٢٣٦٢٨ ، حديث رقم : ٤٣٦١٢ ونص الحديث : (عن أبي هريرة أن النبى - صلي الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب ولايجهل ، فإن شاتمهُ أحد أو قاتله فليقل : إنى امرؤ صائم ، إنى امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه).

٢ - سورة ص : الآية (٤١).

٣ - سورة القصص : الآية (١٥).

٤ - سورة يوسف : الآية (٥).

٥ - سورة النساء: الآية (١١٩).

٦ - سورة الحجر : الآية (٤٢).

قيل: على الوجهين اللذين ذكرهما الله، أحدهما بالوسوسة، وهو أن يلقي في روع الإنسان أمراً ما يصير داعياً له إلى فعل يريده ويختاره، وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[1].

والثاني : بدخوله في خلال جسده، وإياه عنى بقوله: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى دمه»[2]، وما قالوه من أن الشيطان لو قدر على خبط الإنسان لسرق ثيابه فلجهلهم بأمر الشيطان وجهة عداوته للإنسان وخصائص فعله إلا أننا نرى أن الحيات والعقارب تعادينا ولا تسرق أمتعتنا، وقد تقدم في ذكر السحر أن السحرة والشيطان لا يمكنها أن تفعل كل فعل كما ظنته المعتزلة، ولا أن تؤثر في كل واحد، وإنما تقدر على أفعال مخصوصة في أقوام ضعاف القلوب ومختلي العقول قليلي العبادة، وإذا أثرت أثرت تأثيراً ضعيفاً، ويقوى ذلك ما روي في قصة خالد بن الوليد أنه لما وجهه النبي ﷺ لهدم العُزى تصور أنه خيال كان يفزع منه غيره إذا أبصره ويدبر عنه، فأقدم خالد لقوة قلبه وشدة شكيمته في الدين، فهدمه، وإلى تخويف الشيطان الإنسان يرجع قوله مخبراً عن قوم هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[3]، ولولا تلبيس الشيطان عليهم لما أقاموا على عبادة أجسام أموات وأشباح جماد، وقد وصف الله سبحانه ضعف سلطان الشيطان علي المؤمن فقال: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4]، الآية... واستبعاد المعتزلة تأثير الشيطان، إنما هو لخروجهم بتحديقهم عن حد العامة في التزام ما تلزمهم الشريعة الإقرار به، وقصورهم بسوء تصورهم وفساد طريقتهم عن إدراك حقائق ما وردت به الشريعة حسب ما أدركه الحكماء الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5]، فصاروا في كثير من ذلك كما قالوا: "لا مال أبقيت، ولا حرك أبقيت".

---

١ - سورة الناس : الآيتان (٤).

٢ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده إلى ثابت البناني فيما يرويه عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم مع امرأة من نسائه فمر رجل فقال : يافلان هذه امرأتي ، فقال: يارسول الله : من كنت أظن به فإني لم أكن أظن بك قال إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم - مسند الإمام أحمد - ج : ٣- ص١٥٦ وأورده القرطبي في تفسيره ج:١-ص٣٠١ ، ٣١١، ج :٢٠ -ص٢٦٣، وأورده الزبيدى فى الإتحاف ج :٥ص٣٠٥، ج:٦-ص٢٧٣،٤، ج :٧ ص٢٦٩، ٢٨٣، ٢٩...

٣ - سورة هود : الآية (٥٤).

٤ - سورة المجادلة : الآية (١٠).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٦٩).

قوله - عز وجل :

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ الآية (٢٧٦)- سورة البقرة.

المحق نقصان الشئ حالاً فحالاً بحيث تخفى تفاصيله، يقال: محقه، فالمحق ومنه قيل: المحاق لآخر الشهر، وتربية الصدقات في الدنيا أن يثمر مال صاحبها، وذلك أدنى غنى النفس، ويدخر له لواحد سبع مائه ثم قد يزيد زيادة بلا حساب كما وعد، وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ. «**إن الله يقبل الصدقات، ولا يقبل منها إلا الطيب، ويربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد**»..(١)

قيل: ما الفرق بين الربا والبيع وكل واحد منهما أخذ ربحاً على رأس المال؟

قيل: الفرق بينهما ظاهر، وذاك أنه قد تقدم أن الناس مفتقر بعضهم إلى بعض وإن كل واحد قائم بأمر آخرين، فلو أمروا أن لا يأخذ بعضهم ربحاً على رأس ماله، لرغبوا عن التجارة لضياع سعيهم، فكان يتعذر لأحدنا أن يتحصل له في حالة واحدة أشياء محمولة من آفاق متباينة، والبائع يأخذ ما يأخذه من غير عوض ولا سعي، بل بتضييق فضلات ماله على المحتاجين من حيث لا يلحقه ضرر، فصار ذلك منه أكل مال الناس بالباطل المنهي عنه بقوله: **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾**(٢) ولأن المواساة واجبة بالشرع والعقل، فلو أبيح للناس الربا مع الشح الذي جبلوا عليه(٣) لأدى إلى سد باب المعروف وإلى أن لا يوقي الإنسان شح نفسه المذكور في قوله: **﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**(٤)

١- الحديث أورده الإمام أحمد في مسنده - ج : ٢- ص٤٠٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ج :١ ص٣٦٥، وأورده القرطبي في تفسيره - ج :٨-ص٢٥١، وأورده ابن عدي في الكامل في الضعفاء -ج :٤- ص١٦٤٦.

٢ - سورة البقرة : الآية (١٨٨).

٣ - في (و - ج) جبلوا عنه وهو خطأ من الناسخ.

٤ - سورة الحشر - الآية :(٩) ، وسورة التغابن - الآية :(١٦).

فإنه كان يدعو إلى أن يبخل، ويخله يدعوه إلى منع الزكاة وترك المواساة، وذلك يؤدي به إلى حرص على تناول المال من كل وجه، كالسرقة، والخيانة، والغصب، وعلى هذا قال جعفر بن محمد: "**إنما حرم الله الربا ليتقارض الناس**" وروي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ: «**مكتوب على باب الجنة : القرض بثمانية عشر، والصدقة بعشر أمثالها**»[1].

قال جعفر:

"**لأن المستقرض لا يأتيك إلا وهو محتاج، والصدقة ربما وقعت في يد الغني**".

إن قيل: لما قال: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ ولم يقل: كل كافر وهو تعالى لا يحبهما جميعاً؟

قيل هو تنبيهاً على معنى لطيف، وهو أن الربا يدعو الإنسان إلى ترك الصدقة والزكاة وترك مواساة الناس، وإلى أن يأخذ مال الغير بالباطل، كما أن فعل الصدقة يدعو إلي الاستكثار من الخير، ولهذا قيل: عودا مراً ما اعتاد، ومتى تعود الإنسان فعل الشرور يصير ذلك مانعاً له عن الخيرات ومن الصدقة التي تطهر النفس، فنبه الله بقوله: ﴿**لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ أن المرابي يؤدي به رباه إلى أن يصير كفاراً أثيماً وهما بناءان للمبالغة، فإذا صار كذلك، فإنه لا يكاد يتوب، وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التوابين في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[2]، فهذا وجه تخصيص بناء المبالغة في ذلك.

١- الحديث أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده - ج :١-ص٧٢، كما أورده ابن قدامة في المغني في كتاب البيوع- باب القرض فيه: رواه بن ماجة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأيت ليلة أسرى بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت ياجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة.) المغني - ج:٤-ص٥٨٦- ط دار الغد العربي.

٢- سورة البقرة - الآية : (٢٢٢).

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية : (٢٧٧)-سورة البقرة .

قد تقدم أن الإيمان في الأصل هو التصديق، ولا يكون التصديق إلا عن تحقيق، والتحقيق يقتضي العلم، فإذاً: الإيمان مقتضٍ للعلم، وهو وإن كان في التعارف للعلم والعمل بحسبه، ففي الأصل، للإعتقاد النفسي، ولهذا قيل ما جاء الإيمان في القرآن إلا مقروناً بالعمل الصالح، ومما يؤكد ذلك خبر جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، لم يذكر النبي ﷺ الله في تفصيله شيئاً من الأعمال، فإذاً قول من قال: ليست الأعمال البدنية من الإيمان، فصحيح على وجه، وقول من قال: هي من الإيمان فصحيح على وجه، ولكن لا يعتد بعلم لا يضامه العمل، وما أصدق في ذلك قول الشاعر:

لا يطمع المرء أن تجتاب غمرته　　　بالقول إلا له جسراً له العمل[1]

وأتبع قوله **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وإن كانا غير خارجين عن عمل الصالحات تخصيصاً لهما لكون إحداهما أشرف العبادة البدنية، والأخرى العبادة المالية، وفائدة تعقيب آية الربا بهذه الآية تنبيه على منافاة ما يستحق بهذه الأعمال، وما يستحق بتعاطي الربا..

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

الآية (٢٧٨) سورة البقرة .

أمر تعالى بالاقتصار من الربا على رأس المال بقوله: **﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾**، وقيل معناه:

١- الرواية الصحيحة للبيت هي :-

لايطمع ان يجتاب غمرته　　　بالقول مالم يكن جسراً له العملُ

معلوماً وقوعه، فبين أنَّ "إنْ" هاهنا لم يكن لوقوع شبهه في إيمانهم.

قوله – عز وجل :

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ الآية (٢٧٩)–سورة البقرة.

الحرب معلوم، والحرب السلب، لكون ذلك واقعاً فيها، وسمي بعض آلاتها الحربة. والأصل في الحربة اسم الفعلة. والتحريب إثارتها. والمحراب: قيل سمي لكونه موضع محاربة النفس والشيطان، وتسمية أشرف البقاع بالمحراب تشبيه لمحراب الصلاة بالإضافة إلى غيره من الأمكنة. والحرباء: دويبة تتلقى الشمس كأنها تحاربها. والحرباء: مسمار تشبيهاً بالدويبة في الهيئة، كقولهم: ضبةٌ وكلبٌ تشبيهاً بالضب والكلب.

ومعنى الآية: إن لم تفعلوا أمر الله ، ولم تنقادوا له بعد، يزول الأمر بتركه، فأنتم في حكم المحاربين. قال ابن عباس: يقتضي ذلك أن المربي يستتاب، فإن تاب، وإلا قوتل، ولا يقتضي كفرهم، فإن المحاربة قد تطلق على ما دون الكفر، كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** (١)، اتفق الفقهاء أن ذلك حكم المسلمين، ونبه بقوله: **﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾** أن من ترك ذلك، فلابد أن يرد إليه رأس المال لا يظلمهم الناس بأن يفوزوا بأصول مالهم، ولا يظلمونهم بأن يأخذوا زيادة على أصل مالهم. وقرىء (فآذنوا) (٢) أي : أعلموا ذلك غيركم، وذلك يقتضي معنى (فأذنوا)، لأنه لا يكون الإنسان مؤذناً حتى يكون آذناً.

وفي قوله: (ولاتظلمون) مادل عليه قوله –عليه الصلاة والسلام– **«مطل الغنى ظلم»** (٣)، وقوله إلى الواحد يحل عرضه وعقوبته فإحلال عرضه التغليظ عليه بالمطالبة وعقوبته حبسه.

---

١ – سورة المائدة – الآية : (٣٣).

٢ – قرأ بهذا الوجه كل من حمزة، وعاصم، والاعمش، وشعبة، وطلحة.. معجم القراءات القرآنية–ج:١–ص٢١٧.

٣ – أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري في كتاب في الاستقراض باب (مطل الغني ظلم) وذلك فيما أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مطل المغني ظلم) ج:٧–ص٤٢٦. كما أورده في كتاب الحوالة رواية عن أي هريرة أيضاً–ج:٧–ص٢٥٩، كما أخرجه مسلم في البيوع، وأخرجه النسائي أيضاً وأخرجه الترمذي وابن ماجة والنسائي من رواية سفيان ابن عينية.

ذروا العمل به، وكلاهما يصح له اللفظ، فيحمل عليهما. وروي أن النبي ﷺ قال في خطبته بمكة: «**ألا إن كل ربا كان في الجاهلية، فهو موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب**»(١) وروي أن أهل الطائف صالحوا على أن لهم رباهم في الناس، فلما أسلموا امتنع بنو المغيرة من دفع الربا، وترافعوا في ذلك إلى عتاب بن أسيد عامل النبي ﷺ على مكة، فكتب في ذلك إلى النبي ﷺ، فكتب عليه الصلاة والسلام بالآية.(٢) ونبه تعالى بالآية أن المربي غير متقٍ لله، فإن تقواه اتقاء معاصيه من المحظورات العقلية والشرعية، وقد تقدم أن تعاطي الفعل يدعو إلى جنسه خيراً كان أو شراً، فمن اتقاه في شئ ما فهو أقرب إلى أن يتقيه في غيره..

إن قيل: كيف قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، ثم قال: ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ ؟

قيل: سماهم مؤمنين لإقرارهم بالإيمان، ثم بين بقوله: ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ أن من شرط الإيمان التزام أحكامه، فإن (فإن كنتم مؤمنين) فلابد من التزام ذلك، وقيل: معناه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ قولاً التزموا ذلك إن كنتم مؤمنين فعلاً، وهذا يرجع إلى الأول، وقال مقاتل: معنى: ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ إذ كنتم مؤمنين، ووجه قوله: إنَّ (إنْ): مترددة فيما يتحقق وقوعه، وفيما لا يتحقق، و(إذْ): تقال فيما كان

١- الحديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب البيوع - باب : وضع الربا من حديث سليمان بن عمرو عن أبيه قال (سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول : (ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع ، لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون، ألا وإن كل دم من دم الجاهلية موضوع ، وأول دم أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ، وقال : اللهم هل بلغت ، قالوا : نعم ثلاث مرات قال : (اللهم اشهد ثلاث مرات) كما أخرجه الترمذي في تفسير القرآن حديث رقم ٣٠٨٧ وقال : حسن صحيح . كما أخرجه بن ماجة في المناسك حديث رقم ٣٠٥٥ باب : (الخطبة يوم النحر) ونسبة المنذري للنسائي أيضاً وأخرجه أبو داود حديث رقم ١٩٠٥ باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرجه مسلم في الحج حديث رقم ١٢١٨ ، وأخرجه النسائي مختصراً في الحج حديث رقم ٢٧١٣ باب : الكراهية في الثياب المصبغة للمحرم وأورده الدارمي في سننه ج :٢ ض٢٤٦، كما أورده الطبري في تفسيره ، ج : ٣ ص٧٢ والقرطبي في تفسيره ج :٣ ص٣٥٦، ص٣٦٥ وأورده ابن كثير في تفسيره ج :١ ، ص٤٩٠، والسيوطي في الدر المنثور ج :١ - ص٣٦٧.

٢- ذكر السيوطي في أسباب النزول مأخرجه أبو يعلي في مسنده وابن مندة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف ، وفي بني المغيرة ، وكان بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله ، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة ، فقال بنو المغيرة . أما جعلنا أشقى الناس بالربا ، ووضع الناس غيرنا ، فقال بنو عمرو : صولحنا أن لنا ربانا ، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها ، كما ذكر السيوطي وأخرجه ابن جرير عن عكرمة قال . نزلت هذه الآية في ثقيف ، منهم مسعود ، وحبيب ، وربيعه ، وبنو عمرو ، وبنو عمير . أسباب النزول - السيوطي - ص ٣٧،٣٦ -ط : دار المنار - القاهرة .

قوله - عز وجل :
﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
الآية (٢٨٠) - سورة البقرة .

كان هاهنا بمعنى وقع، أي وإن وقع معسر، وقيل: هي ناقصة، وتقديره وإن كان ذو عسرة غريماً لكم، فحذف الخير لكون المعنى مفهوماً، وهذا أجود، فإن التامة أكثر ما يعلق بها الأحداث دون الأشخاص، نحو: كان الخروج كقولك: اتفق للخروج، ولا تقول كان زيد، وأنفق زيد، وقيل: قراءة أُبي: (وإن كان ذا عسرة)[١] . وقوله: فنظرة إلى ميسرة) أي: فعليكم انتظار، فقرأ الحسن: (فنظرة) بسكون الظاء[٢]. وقرئ مناظرة[٣] نحو : فاقرة، وكاذبة.

واختلف هل يجب الانتظار في رأس مال الربا أو في كل دين؟ فمنهم من قال: النص يقتضي ذلك في كل، فإنه تمم حكم الربا، ثم ذكر اعتبار من عليه دين رباً كان أو غيره، وهو قول ابن عباس، والضحاك، والحسين. ويؤكد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً كَانَ في ظِلِّ الله، أو في كَنَفِ الله يَوْمَ القِيَامَةِ.»** وقال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ شَدَّدَ عَلَى امْرِئٍ في التقَاضِي إذا كَانَ مُعْسِراً، شَدَّدَ اللهُعليه في قبره.»**

وقال شريح وابراهيم، وروى عن ابن عباس أن ذلك في الربا خاصته والتصدق على المعسر ترك رأس المال عليه، نحو قوله في القصاص: **﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾**[٤]، وقوله: **﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾**[٥] أي تتصدقوا، فأدغم، وقرئ: (تصدقوا) بتخفيف الصاد على حذف إحدى التاء ين بدلالة الأخرى عليه، وقرئ: (ميسُرة)[٦] بضم السين، وذلك لغتان نحو: مشرُبة، ومشرَبة وقرئ مجاهد (ميسرة)، ولم يجوزه البصريون لعدم مفعل في كلامهم، وذكر الكوفيون ألفاظاً يسيرة من ذلك ليوم ردع أو فعال مكرم.

١- قرأ بهذا الوجه أيضاً كل من عبد الله بن مسعود ، وابن عباس، وعثمان، والمعتمر، وحجاج الوراق. معجم القراءات القرآنية ج:١ ص٢١٨.

٢- قرأ بهذا الوجه أيضاً كل من أبي رجاء، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، معجم القراءات القرآنية ج:١ ص٢١٨.

٣- قرأ بهذا الوجه عطاء. نفس المرجع السابق - ص٢١٨.

٤- سورة المائدة - الآية: (٤٥).

٥- سورة النساء - الآية:(٩٢).

٦- قرأ بهذا الوجه كل من نافع، وابن محيصن، ومجاهد ، وشيبة، وعطاء، والحسن، وأبي رجاء وحيد بن قيس، نفس المرجع- ص٢١٩.

وقوله - عز وجل :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

الآية (٢٨١) - سورة البقرة .

قال ابن عباس:

هي آخر آية نزلت من القرآن،(١) فقال جبريل للنبي ﷺ :"**ضعها في رأس الثمانين والمائتين من سورة البقرة، وقد تقدم الكلام في الفرق بين**" :(اتقوا الله)، (واتقوا ربكم)، **﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾** وما يجري مجراه؟ ومعنى الرجوع فليس على تصور رجوع إلى مكان بعد المقارنة كيف يكون ذلك وقد قال الله تعالى:**﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾**(٢)، وإنما ذلك رجوع، إما على ما ذكرنا في العود آنفاً، وإما على تصور خلقة أبانا المشار إليه بقوله:**﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾**(٣)، وعلى هذا: **﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾**(٤)، وقوله : **﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾**(٥) ، وقوله: **﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾**(٦) وتوفية كل نفس ما كسبت جزاءها، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، كقوله تعالى: **﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾**(٧) الآية،وقوله تعالى:**﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**، أي : لا ينقص ثوابهم، ولا يزاد عقابهم..

---

١ - أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في كتاب التفسير- باب: (اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) قال حدثنا سفيان، عن عاصم، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (آخر آية نزلت عن النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا) فتح الباري ج:١٢ص٥٣٦ . وكذا أخرجه الطبري عن طرق جماعة من التابعين وزاد عن ابن جريج قال: يقولون: إنه مكث بعدها تسع ليال، ونحوه لإبن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

٢ - سورة المجادلة : الآية (٧).

٣ - سورة الأعراف : الآية (١٧٢).

٤ - سورة الأنبياء : الآية (١٠٤).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢١٠)، سورة آل عمران : الآية (١٠٩)، سورة الحديد : الآية (٥).

٦ - سورة هود: الآية (١٢٣).

٧ - سورة الأنبياء : الآية (٤٧).

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢٨٢) سورة البقرة..

دنت الرجل : أخذت منه ديناً، وأدنته: جعلته داينا، وذلك بأن تعطيه ديناً، والتداين والمداينة تدافع ذلك، والبخس والنخسْ يتقاربان، لكن النخس أن يصيب بدنه، أي مكان كان والبخس أن يصيب عينه، وعنه استعير بخس حقه، كقولهم عورحقه، وتباخسوا في البيع تغابنوا كأن كل واحد يبخس صاحبه عما يريده منه باحتياله، والسفه خفة في العقل ومقتضياته، ولهذا يقال: "**سفيه الرأي**"، وسفيه اللسان"، و"زمام سفيه" علي التشبيه..

والسآمة ملك يورث الضجر، والصغر خلاف الكبر، وأصله أن يستعمل في المقدار، ثم يستعمل في الأحوال، ومنه صغر صغراً أو صغاراً إذا تحاقر لإحتمال ضيم والقسط النصيب على سبيل العدالة، فإن قيل: فإذا كان القسط ما يقول، فكيف قيل: قسط إذا جار؟

قيل: معنى قسط أخذ قسط غيره، وذلك عدل، فصار قسط وأقسط في التناول والمناولة، كقولهم عطاء، وأعطى..

إن قيل: لم قال: **﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾**، وتداينتم ينبئ عن الدين والمدين، والتداين يقال في

المجازاة، فبين بلفظ الدين المراد والمقصود في هذا المكان أنه لما عقب بقوله: فاكتبوه، ذكر لفظ الدين، ليبين أنه هو الذي حث على كتبه، وكتب ذلك واجب عند الربيع، وإليه ذهب عامة الفقهاء، ومنهم من قال: هو في السلم خاصة، وحقيقة: (اكتبوه) حث على الاعتراف به وحفظه، فإن الكتاب خليفة اللسان، واللسان خليفة القلب، فلما قال: فاكتبوه، فقد حث على غاية ما يكون في ذلك من الاحتياط، وقوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، قيل: واجب على كل حال على كل كاتب، وقيل: واجب على الكفاية كالجهاد، وهو الصحيح، والكتابة بين المتابعين وإن كانت غير واجبة، فقد تجب على الكاتب إذا أتوه، كما أن الصلاة النافلة وإن لم تكن واجبة على فاعلها، فقد تجب علي العالم- تنبيهاً إذا أتاه مستفتي، وقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ حث على بذل جهده في مراعاة شروطه مما قد لا يعرفه المستكتب، وقوله: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، أي: ليقر، ولولا وجوب الحكم بإملائه، لم يكن إملاؤه أولى من إملاء غيره، ولهذا قال: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ وذلك نظير قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ [1]، لما كان قولهن مقبولاً، وعلى هذا قوله: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾، إن قيل: لم جمع بين لفظ (الله) ولفظ (الرب) في قوله: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾؟ قيل: إن لفظ الله يقال اعتباراً بالوله إليه أو العبادة له، ولفظ "**الرب**" يقال اعتباراً بكونه تعالى مربياً لعباده ومنعماً عليهم، وقد تقدم أن الإنسان يعرف الله ربا قبل أن يعرفه معبوداً وذلك بمعرفة نعمه يتوصل إلى معرفته، فجمع هاهنا بين اللفظين، كأنه قال: "**اتقوه معتبرين بذاته ومعتبرين بنعمه**"، وأما تقديم لفظ (الله) على (الرب)، فقد تقدم في بيان قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [2]، ولأن مراقبة ذاته تعالى أبلغ وأشرف من اعتبار نعمه، فكأنه قيل: "إن لم تلاحظوه، فلاحظوا نعمه اللازمة لكم"، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي مبذراً، لقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [3]، وقيل: عنى بالسفيه النساء، وبالضعيف الصغير، وبالذي لا يستطيع أن يمل هو المغلوب على عقله، ومنهم من حمل السفيه والضعيف على شئ واحد، وقال أو زائده، وذلك ظاهر الفساد في اللغة، وقوله: ﴿وَلِيُّهُ﴾ أي: ولي أحد هؤلاء الثلاثة، ولا يجوز أن

---

١ - سورة البقرة : الآية (٢٢٨).

٢ - سورة الفاتحة : الآية (٢).

٣ - سورة النساء : الآية (٥).

يكون ولي الحق كما قال بعضهم، لأن قوله لا يؤثر، إذ هو مدع.

وقوله: ﴿ **بِالْعَدْلِ** ﴾حث على تحريه لصاحب الحق وللمولى عليه، وقوله: ﴿ **شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ** ﴾ قال بعضهم: تقتضي هذه الإضافة الإيمان والحرية والبلوغ لتخصيص الرجال، ويقتضي "**من ترضون من الشهداء**" العدالة، لأن المقصد من الاستشهاد إقامة الشهادة، أما شهادة العبيد والصبيان، وشهادة النساء في غير، وشهادة الأعمى والفاسق وغير ذلك من أحكام الشهادة، فكتب الفقه به أولى، وقوله: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ** ﴾ أي وليشهد رجل وامرأتان، وقوله: ﴿ **فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ** ﴾ أي تذكر الأخرى إذا نسيت، وقال سفيان بن عينية: يجعلها كذكر في الحكم.. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿ **أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ** ﴾، وذلك يقتضي أن يكون القصد بالاستشهاد الضلال، قيل: قد قال سيبويه في ذلك: لما كان الضلال سبب الاذكار، وهو متقدم عليه، صار لتعلق كل واحد منهما بالآخر في حكم واحد، قال : ومثل ذلك من قال أعددت هذا الخشب ليميل الحائط فأدغمه. قال الفراء: تقديره: فتذكرها إن ضلت، لكن لما قدم أن -فتح، فصار متعلقاً بما قبله، وهذا طريق في مسائل، وقرأ حمزة (أن تضل)، وقرئ **(أن تُضل)**[1] من أضللت، لتقارب ضل، وأضل تقارب نسيت وأنسيت، وقيل: (أن تضل) أي تضيع شهادتها مالم تضامها الأخرى إشارة إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام: «**أما نقصان عقلهن فشهادتهن على النصف من شهادة الرجال**»[2].

وقوله: ﴿ **وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا** ﴾ قال قتادة والربيع: "**إذا ما دعوا لتحمل الشهادة**"، وقال مجاهد: لإقامتها، وقيل: لهما، وهو الصحيح، وقال بعضهم: لا يجوز أن تكون للتحمل، لأنه حينئذ لا يكون شاهداً، وهذا سوء تصور منه، ألا ترى أنه قال: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ** ﴾؟

---

١ - قرأ بهذا الوجه كل من الجحدري، وعيسى بن عمران، وقرأ أن (تُضِلَّ) كلٌ من الجحدري والنقاش. معجم القراءات القرآنية-ج:١-ص٢٢٣.

٢- الحديث أخرجه الإمام مسلم من حديث ابن عمر ومن حديث أبي هريرة كذلك ، ولفظه : (تمكث الليالي ماتصلي وتفطر في شهر رمضان فهذا نقصان دينها ، كما أخرجه أبو داود في مسنده من حديث عبد الله بن عمر - حديث رقم : ٤٦٧٩، كما أخرجه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - في كتاب الحيض ، وذكر قول ابن منده : ذكر بعضهم هذا الحديث ولايثبت بوجه من الوجوه، وقال في قريب من هذا المعني ماتفق عليه من حديث أبي سعيد قال : « أليس إذا حاضت لم تصل ولم تقم فذلك من نقصان دينها ، » كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور -- ج : ١- ص٣٧١.

فسماهما شهيدين، قيل: إن استشهد وبين قوله: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ إن قليل الدين وكثيره يستحب كتابته، وبين علة ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي أعدل ، وأقوم للشهادة أي أثبت، ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي أبعد من أن تقع شبهة، ثم استثنى ما كان حاضرة، وخفف الأمر فيما لا أجل فيه وما لا يكون له ثباتٌ في مكان كما الدور والعقار، نحو الطعام والشراب، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾- قيل: "هو يرجع إلى الأول دون ما يكون تجارة حاضرة، وقيل: يرجع إلى الكل حتى قال بعضهم يشهد على سامع حتى على ناقة.

قيل وقوله: "﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرئ بفتح الراء "لا يضارر"[(١)] بأن يدعي وهو مشغول، عن ابن مسعود ومجاهد، وقيل: هو يضار، أي: لا يمتنع الكاتب من الكتابة، والشهيد من إقامة الشهادة عن الحسين وقتادة وابن زيد، لئلا يؤدي إلى ابطال الحقوق، وقوله: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ خطاب للجميع على سبيل الوعيد، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إعادة للوصية، إن قيل: كيف قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وكرر لفظ (الله) ثلاث متواليات ولم يعدل إلى الكناية، وهل ذلك في استقباح الإعادة لولا شرف لفظ (الله).

كقول الشاعر : « **فما للنوى جد النوى قطع النوى** »[(٢)]

حتي قيل : « سلط الله على هذا البيت شاة ترعى منه النوى » .

وكقول الآخر :

بجهل كجهل السيف والسيف منتضي ... وحلم كحلم السيف والسيف مغمد[(٣)]

فاسترذل البيت لإعادة لفظ « السيف » مراراً ... قيل : إن ذلك بعيد عن الآية ، فإن البيت الأول استقبح لا لإعادة النوى فقط ، بل له ، ولأن قوله « جذ النوى قطع النوى» بمنزلة واحدة ، ولهذا الباب

---

١ - قرأ بفتح الراء « ولايضارر» ابن كثير ، ومجاهد ، والحسن ، وعمر ، والضحاك ، وابن مسعود انظر : إتحاف الفضلاء- ص١٥٨- إعراب القرآن - للنحاس - ج :١-ص٣٠١ - البحر المحيط ج :٢-ص٣٠٣ ، ٣٥٤ - تفسير الطبري - ج :٦- ص٨٧، ٨٨ ، الكشاف - ج : ١- ١٦٩ - معجم القراءات القرآنية - ج : ١- ص٢٢٦، وأوردها الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص٥٠٤.

٢- لم أهتد إلى نسبته .

٣ - لم أعثر عليه.

قانون يعرف به المستقبح من المستحسن، وهو أن كل تكرير على طريق تعظيم الأمر وتحقيره في جمل مواليات كل جملة، ومنها مستقلة بنفسها، فذلك غير مستقبح، وإذا كان ذلك في جمله واحدة أو في جمل في معنى واحد، أو لم يكن فيه التعظيم أو التحقير، فذلك مستقبح، وهذا ظاهر في الآية والأبيات المذكورة، فإن قوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ جمل في معان مفترقة، فإن الأول: حثٌّ على تقوى الله، والثاني: تذكير بنعمه، والثالث: تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد وقصد لعظيم كل واحد من هذه الأحكام، فأعيد لفظ (الله) فيها..

فأما البيت الثاني: فهو جملة واحدة، لأن قوله: كجهل السيف في موضع لقوله: يجهل، وكذلك قوله: "**والسيف مغمد**" جاء لقوله: الحلم للسيف، وعلى قول الآخر:

"**لا أرى الموت يسبق الموت شئ**"[1]

فإن قوله: (**يسبق الموت**) "**مفعول ثان**" لقوله: (**لا أرى**)، والكلام كله جملةٌ واحدةٌ، وهذا ظاهر..

١- هذا شطر بيت وتمامه :

لاأرى الموت يسبق الموت شئ   نغص الموت ذا الغني والفقيرا

وهو من قصيدة لعدي بن زيد، وقيل لابنه سوادة بن عدي وينسب أيضاً لامية بن أبي الصلت والصحيح القول الأول ، وهو من قصيدة أولها :

طال ليلي أراقب التنويرا   أرقب الليل بالصباح بصيرا

ديوان عدي بن زيد – ص ٦٥.

وعدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من بني امرئ القيس ابن زيد مناة بني تميم انظر : الكتاب – لسيبويه – ج :١- ص٣٠-أمالي ابن الشجري – ج : ١- ص ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٤٣ – الخصائص - ج : ٣- ص ٤٣ ,٥٣ شواهد المغني – ص ٢٩٦ – خزانة الأدب – ج :٢ –ص٥٣٤، ج :٤ –ص٥٥٢ ، ج :١- ص١٨٣ ، ٣٧٩ – إملاء العكبري – ج : ١- ص٥٤ ، لسان العرب – مادة : (نغص) – ومغني اللبيب – ص٥٠٠ – ومعاني القرآن – للأخفش – ج :١- ص ٢١٢- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالي – لأبي النصر السمرقندي المعروف بالحدادي – ص ٢٩٨ ، شرح أدب الكاتب – للجواليقي – ص ١١٤ – إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس – ج : ١- ص ٣١٠ ، ٣١١ – إعراب القرآن – المنسوب للزجاج – ج : ٢- ص٩١٣ ، واستشهد به غير منسوب في تفسير الطبري – ج : ٤- ص ٤٢ ، ومغني اللبيب – رقم ٨٤٢.

قوله - عز وجل :

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

الآية (٢٨٣) - سورة البقرة .

الرهن: حبس السلعة بحق، ثم يستعمل في غيره على طريق التشبيه، واؤتمن: أخذه واستوفاة كقولهم اكتحل واغتسل إذا استوفى ذلك، وقيل: رَهْن، ورُهْن، ورُهُن فرهُن، نحو ثمُر، ورهُن على التخفيف[١]، قيل: رهان، كقولهم: ثمار، وكلاب، وقال بعضهم: ليس الرهان إلا في المخاطرة، وحكم الرهن ثابت في الحضر والسفر عند عامة الفقهاء، وبعضهم خص حكمه بالسفر عند عدم الكاتب، وقرأ ابن عباس: **(فلم تجدوا كتاباً ..)**[٢] أي صحيفة ودواتاً، وقوله: "**فرهان**" أي فليدفع رهاناً، أو فليوجد رهاناً، واشتراط كونها مقبوضة تنبيه أن الرهن لا يثبت حكمه مالم يكن مقبوضاً لأمرين.

أحدهما: أن ذلك معطوف على الشهادة، فكما أن الشرط في الشهادة معتبر كذلك هاهنا.

والثاني: أن حكم الرهن مأخوذ من هذه الآية، وقد أجازه بهذه الصفة، فيجب أن تعتبر الصفة فيه، وأما حكم ما يجوز رهنه وما لا يجوز، وما يصححه ويفسده، فكتب الفقه أولى به، وقوله: **﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾** يحث من يؤتمن على حفظ الأمانة، كقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾**[٣]، وحذر غاية التحذير بقوله: **﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾**، وقوله: **﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾** خطاب لمن عليه الحق، وللشاهد جميعاً، لأن الشهادة إعلام، ويقال للإقرار شهادة، ولهذا قال تعالى: **﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾**[٤]، وكما أن كتمان الشهادة محرم، فما هو منه بسبب

---

١ - قرأ (فرهان) بضم الراء والهاء (فرُهُنٌ) كل من : ابن كثير، وأبي عمر، وابن محيصن، واليزيدي، وابن عباس، وقرأها بضم الراء وتسكين الهاء (فرُهْنٌ) كل من عاصم، وابن كثير، وأبي عمرو. معجم القراءات القرآنية ج-١-ص٢٢٧.

٢ - قرأ بهذا الوجه ابن عباس ، ومجاهد ، وأبي ، وأبو العالية ، وعكرمة ، والضحاك بن مزاحم. انظر : إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس - ج : ١-ص٣٠٢ ، والبحر المحيط - ج : ٢- ص٣٥٥، وتفسير الطبري - ج : ٦- ص ٩٤ ، الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج : ٣- ص٤٠٧ ، الكشاف - للزمخشري - ج : ١- ص ١٦٩ ، معجم القراءات القرآنية - ج : ١- ص٢٢٧.

٣ - سورة النساء : الآية (٥٨).

٤ - سورة النساء: الآية (١٣٥).

محرم كالتأخر عن إقامتها عن تحملها في بعض الأحوال، وقوله: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾، أي يأثم بذلك قلبه، ويجوز أن يكون معناه: "إنما يكتم الشهادة، ومن يكتم لأنه قد أثم قلبه" قيل فحمله ذلك على ارتكاب المحارم، واحتقاب المآثم، وإضافة الإثم إلى القلب مبالغة في الذم، فالقلب مقر البر والإثم، ولهذا قال: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[1]، وقال بعضهم: "**في آية الدين صلاح للدين والدنيا**"، فالإنسان بمراعاة ما أرشده الله إليه فيهما يبعد عن جحود الحق الذي هو سبب التنازع، والتنازع سبب كل شر، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2]، ومن هذه الوجه منع من البيعات المجهولة وجهل المدة وسائر الأشياء المؤدية إلى المنازعة، أوجب الإشهاد من أوجبه، لأن كل ما يؤدي إلى فساد فحسم مادته واجب..

قوله - عز وجل :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية (٢٨٤) - سورة البقرة .

قد تقدم ما هو جواب عن سؤال من قال: لم قال الله: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ودلالة خطابه تقتضي أن ليس له السماوات والأرض، وقال بعض الصوفية في قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيه أنه لا يجب الاشتغال بهما، بل يجب الاشتغال بمن أوجدهما وملكهما- تنبيهاً أن من تركها وأقبل عليه ملكه إياهما وما هو أفضل منهما، وإياه قصد بقوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾[3]، إن قيل: ما وجه نظم هذه الآية مع ما قبلها؟ قيل: إنه لما فرغ من حكم الإيمان والعبادة والأحكام المذكورة في هذه السورة، ختمها بالموعظة، ونبه على وجوب تفويض الأمر إليه، ولما كانت حقيقة العبادة متعلقة بالقلب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "**أخلص يكفك القليل من العمل**"،[4] وهو أحد ما أفاد قوله- عليه الصلاة والسلام: «**البر ما اطمأن إليه**

---

١ - سورة التغابن : الآية (١١).

٢ - سورة الأنفال : الآية (٤٦).

٣ - سورة فصلت : الآية (٣٧).

٤- الحديث سبق تخريجه في ص ٢١٨

القلب»[1] وقوله: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾، كقوله: ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[3]..

إن قيل: هذه الآيات تقتضي أن يكون الإنسان مؤاخذاً بما تتحرك به الخواطر، وقول النبي- عليه الصلاة والسلام ينافيه في الظاهر «**إن الله تجاوز عن أمتي عما حدثت به أنفسها**»[4]، وكذلك قوله: **من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه...**[5]

قيل: قد تقدم إن أول ما يعرض من حديث النفس السابح، ثم الخاطر، ثم الإرادة والهم، ثم العزم، وإن السابح والخاطر متجافي عنهما بكل وجه، وأنه متى صار نية، فذلك عمل مأخوذ به، وعلى هذا قال تعالى: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾[6] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[7]، وألهمه متى كانت من وسوسة الشيطان وتصدي الإنسان لدفعها وقمعها فهو المتجافي عنها، بل هو الموعود بالإثابة على دفاعها، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**جاهدوا أهواكم كما تجاهدون أعداكم**»،[8] ومتى كانت نفسٌ وإجماع من النفس، فذلك فعل منه، ولذلك قال بعض الصالحين: "**عليكم**

١- الحديث سبق تخريجه في ص

٢- سورة الرعد - الآية : (١٠) .

٣- سورة البقرة - الآية : (٢٣٥).

٤- الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة في كتاب : (الإيمان)، ونصه :« إن الله - عز وجل - تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها مالم تعمل أو تكلم به » ، كما أخرجه الإمام البخاري في صحيحة في كتاب (الطلاق)- ج :٦- ص١٦٩ ، كما أخرجه النسائي في سننه في كتاب الطلاق - باب : (من طلق في نفسه) - ج ؛ ٦- ص١٥٦ ، ١٥٧، كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج : ١- ص ٣٧٥، كما أخرجه أبو حيان في البحر المحيط - ج :٢- ص ٧٥٠ -ط : دار الفكر .

٥- الحديث : (من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرة إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة أو يمحوها الله ولايهلك على الله تعالى إلا هالك). أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس عن النبي - صلي الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه ج :١- ص٢٧٩ ،ص٣٦١ ، ج :٢- ص٢٣٤ كما أخرجه الزبيدي في الإتحاف ، ج :٧-ص٢٩٣ ، وأخرجه السيوطي في الدرالمنثور - ج : ٣- ص٦٤.

٦- سورة الأنعام : الآية : (١٢٠).

٧- سورة الأنعام - الآية : (١٥١)

٨- الحديث سبق تخريجه في ص ٤٤٨

بحفظ الهمة، فإنها أول ما تظهر من الإنسان، وهي تقدمة الأشياء"، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لينظر أحدكم ما يتمنى، فإنه لا يدري ما كتب له**»[1]، ومن تصور هذه الجملة علم أن قول من قال هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ وجعل علة النسخ أن حديث النفس وما يهجس فيها غير مقدور على صرفه، فإنما استعمل لفظ النسخ في معنى التخصيص، فأما أنه أمر بما لا يقدر عليه، ثم نسخ، فمحال، وعلى هذا ما روي أنه قيل لابن عباس إن ابن عمر يبكي لقوله: ﴿**وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ**﴾ فقال ابن عباس: "رحم الله **ابن عمر، لقد وجد المسلمون منها ما وجدوا**"، حتى نزل ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[2]، فإنه عنى أن هذه الآية مخصصة ومبينة للأولى، ونبه بقوله: ﴿**فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ**﴾ على سعة قدرته وعدله وفضله، ثم من الذي يغفر له والذي لا يغفر له لا يعقل من ظاهر الآية[3].

١- الحديث أخرجه المتقي الهندى فى كنز العمال - ج ٢ حديث رقم : ٣٢٢٤ ، ولفظه : لينظر أحدكم ما الذي يتمني فإنه لايدري ماكتب له من أمنيته .

٢- أورد السيوطي في أسباب النزول ما أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال : « لما نزلت الآية : (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) اشتد ذلك على الصحابة فأتوا رسول الله - صلي الله عليه وسلم ، ثم جثوا على الركب ، فقالوا : قد أنزل عليك هذه الآية ولانطيقها ، فقال : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ، سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها - (آمن الرسول) الآية ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل : (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) إلى آخرها ، وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه أسباب النزول - ص ٣٧.

وأورد ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن الزهري أنه سمع سعيد بن مرجانة يقول : « كنت عند ابن عمر ، فتلا هذه الآية : (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه) فقال : « والله لئن واخذنا الله بهذا لتهلكن ، ثم بكى حتي سمع نشيجه ، فقمت حتى أتيت ابن عباس ، فذكرت له ماقال ابن عمر ومافعل حين تلاها ، فقال : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري لقد وجد المسلمون حين نزلت مثل ماوجد فأنزل الله : (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري - كتاب التفسير - ج : ١٢- ص ٥٣٨ - ط : دار الغد العربي - العباسية .

٣ - أورد الدكتور مصطفى زيد رد ابن الانباري لدعوى النسخ في هذه الآية بأن الآية خبر، والنسخ إنما يدخل على الأمر والنهي، كما أورد قول أبي جعفر النحاس الذي يعتمد على أن الآية خبر، ويؤول قول مدعي النسخ: (فنسخ ذلك قوله تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) بقوله: أي نسخ ما وقع بقلوبهم منه، أي أزاله ورفعه. وهذا ما يؤكد بطلان دعوى النسخ على الآية، وما يتفق مع ما ذهب إليه الراغب في رأيه من عدم وقوع النسخ فيها. النسخ في القرآن الكريم- ج:٢-ص٦٠٨.

كل نبي كتاب مفرد، بل في الأنبياء من استعبد بكتاب الله من يقدمه، وقوله: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾، أي : يقولون ذلك، ولم يعن أنهم يتفوهون به فقط، بل يعتقدون ويتحرون مقتضاه بخلاف اليهود والنصارى، حيث آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، ولأن تابع الحق والحقيقه هو الذي يعرفه، ومن عرفه تبعه حيث وجده، فالحق من حيثما هو حق لا يخالف بعضه بعضاً، وإنما الباطل هو الذي يتناقض ولا يتطابق، ومن هذا الوجه قال:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[1]..

وإذا كانت الأنبياء على الحق، فلا يعاند بعضهم بعضاً، إذ لا معاندة في الحق..

إن قيل: لم قال: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ وبين تستعمل في شيئين فصاعداً، فكيف قال: ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾؟ أيتناول الجنس على طريق الجملة والتفصيل ولذلك لا يستعمل إلا في الاستفهام والنفي فنبه بذكره هاهنا أنه لا يفرق بينهم لاعلى طريق الجملة وعلى طريق التفصيل..

وقال في الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[2]الآية..

وقوله : ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سمعنا قولك، وأطعنا أمرك بخلاف من قال: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[3]، وقوله: ﴿غُفْرَانَكَ﴾ أي: "أنزل غفرانك"، أو نسألك غفرانك، واغفر لنا غفرانك، وكل ذلك متقارب، "وإليك المصير" اعتراف بما وعدهم بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾[4].

١- سورة النساء : الآية (٨٢).

٢ - سورة النساء - الآية : (١٥٠).

٣ - سورة البقرة - الآية : (٩٣) ، وسورة النساء - الآية : (٤٦) .

٤- سورة هود : الآية (١٢٣).

قوله - عز وجل :

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ الآية :(٢٨٦) - سورة البقرة .

القدرة والجهد والاستطاعة قد تقدم الكلام فيها، وكسبت واكتسبت قد يجريان مجرى واحداً، ويقال لما أخذته لنفسك ولغيرك كسبت، ولهذا قد يُعَدَّى إلى مفعولين، فيقال: "**كسبت فلاناً كذا**"، واستقبح: "**اكتسبته كذا**"، والاكتساب لا يقال إلا لما استفدته لنفسك، فكل إكتساب كسب، وليس كل كسب اكتساباً، ولهذا نظائر في اللغة نحو: "**خبر، وطبخ، وشوى**" إذا فعل ذلك لنفسه أو فعله لغيره، ويقال: "**اختبز، واطبخ، واشتوى**" إذا فعل ذلك لنفسه..

والإصر: الثقل، وأصله من أصره إذا عطفه، وقيل للعهد والرحم وكل ما يوجب عليك حماية ما إصر، وكل آصر عاطف لمن مر به، والإصار كساءٌ يجعل فيه حشيش، فيثنى على السنام[(١)] بين الله تعالى أنه كلف عبده دون ما تنوء به قدرته، فإن الوسع هو القدرة على أكثر من قدر المكلف، وقوله: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾** قيل. عنى بالكسب ما عمله من الخير، وبالاكتساب ما عمله من الشر، وقيل: عنى بالكسب ما يفعله الإنسان من فعل خير وجلْب نفع من حيثما يجوز إلى غيره، والاكتساب ما يحصله لنفسه من نفع يجوز تناوله، فنبه أن ما يفعله الإنسان من نفع غيره فله الثواب، وليس عليه فيه الحساب، وأن ما يحصله لنفسه وإن كان متناولاً من حيثما يجوز على الوجه الذي يجوز. فعليه فيه الحساب يؤيده ما ذكرنا من الفرق بين كسب واكتسب، وقوله: **﴿لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾**، فإنه عنى النسيان الذي هو الترك أو ذهاب الذكر الذي الإنسان سببه لقلة مراعاته، وكذا الخطأ إنما أراد به ما يكون سبب حصوله، وقد تقدم الكلام في حقيقتهما، وقوله: **﴿مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾** يعني: ما يثقل

---

١ - قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن. الإصر: عقد الشئ وحبسه بقهره، يقال: أصرته، فهو مأصور، والمأصر والمأصر: محبس السفينة، قال الله تعالى: (ويضع عنهم اصرهم) (الأعراف الآية : ١٥٧) أي الأمور التي تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات، وعن الوصول إلى الثواب، والأيصر: كساء يشد فيه الحشيش فيثنى على السنام ليمكن ركوبه. مفردات ألفاظ القرآن- ص٧٨.

حمله من الأمور الشاقة التي كلف كثيراً منها بني إسرائيل، كقتل الأنفس، وقال بعضهم: يجوز أن يستعبدنا الله تعالى سؤاله أن لا يفعل ما يعلم أنه لا يفعله..

إن قيل: ما الفرق بين العفو والغفران والرحمة؟ وما وجه هذه الترتيب؟

قيل: العفو: إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنوب، وكشف الإحسان الذي غطى به، والرحمة إفاضة الإحسان عليه، وقد علم أن الثاني أبلغ من الأول، والثالث أبلغ من الثاني...

وقوله: ﴿ **أَنتَ مَوْلَانَا** ﴾ كقوله: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾، فنصرة الله للمؤمنين على وجهين، أحدهما: من حث الحجة، وقد فعل.

والثاني: من المداولة التي قال: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[2]، وهذا هو المسؤول أن يجعل لنا عليهم دولة، ولا يجعل لهم علينا دولة، ووجه ثالث، وهو أن الله قد نصر المؤمنين كافة، حجة وملجأ، ومعونةً وظهوراً على الدين كله، لكن قد يلحق المسلم غلبةً من جهة كافر، وهو المشار إليه بقول أمير المؤمنين -رضي الله عنه: «**إن للباطل جولة ثم يضمحل**»، فكأن الاستعاذة بالله أن يقينا من هذه الجولة من الكفار.. هـ.هـ.هـ.

"تم بحمد الله تفسير سورة البقرة"

---

١ - سورة البقرة : الآية (٢٥٧).

٢ - سورة آل عمران : الآية (١٤٠).

فهـــرس الآيات القـــرآنـية

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(١) ﴿ سورة الفاتحة ﴾		
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾	١	٤٧ ، ٥٠ ، ٥١
﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾	٢	٥ ، ٥٢ ، ٥٤
﴿ مالك يوم الدين ﴾	٤	٥٥
﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾	٥	٥٧
﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾	٦	٦٠
﴿ صراط الذين أنعمت عليهـــم ﴾	٧	٦٤
﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾	٧	٦٦ ، ٦٨
(٢) ﴿ سورة البقرة ﴾		
﴿ آلـم ﴾	١	٤٤ ، ٧٠
﴿ ذلك الكتاب ﴾	٢	٤٤ ، ٧٥
﴿ لا ريب فـــيه ﴾	٢	٧٦
﴿ هدى للمتقين ﴾	٢	٧٦ ، ٤٩٠
﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾	٣	٧٩
﴿ ويقيمون الصـــلاة ﴾	٣	٨١ ، ٤٩٣
﴿ ومما رزقناهم ينفقـون ﴾	٣	٤٤٤
﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾	٤	٨٣ ، ٨٥
﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾	٤	٨٠
﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾	٥	٨٤
﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون	٦	٨٧
﴿ سواء عليهم ءأنذرتهم ﴾	٦	٨٩
﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيـــم ﴾	٧	٨٩

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ومن الـناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ومـا هـم بمؤمنين﴾	٨	٨٠، ٩٣
﴿يخـادعـون الله والذين ءامنوا ومـا يخـدعـون إلا أنفسـهم ومـا يشعرون﴾	٩	٩٥
﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾	٩	٩٨
﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضـــاً﴾	١٠	٩٨
﴿ولهم عـــذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾	١٠	٩٩
﴿وإذا قيـل لـهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾	١١	١٠٠
﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشـعرون﴾	١٢	١٠٠
﴿وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا أنؤمن كماءامن السفهاء﴾	١٣	١٠١
﴿وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا﴾	١٤	١٠٢
﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معـكم إنما نحـن مستهزءون﴾	١٤	٨٠
﴿الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾	١٥	١٠٣
﴿في طغيانهم يعمهون﴾	١٥	١٠٥
﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى .... مهتدين﴾	١٦	١٠٥
﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾	١٦	١٠٦
﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهـــم﴾	١٧	١٠٦
﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾	١٨	١٠٧، ٣٦٩
﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾	١٩	١٠٧
﴿يكاد البرق يخطف أبصارهـــم﴾	٢٠	١٠٧
﴿وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾	٢٠	١٠٩
﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾	٢١	١٠٩

الآيــــــــــة	رقم الآيــة	رقم الصفحة
﴿ الذي جعل لكم الأرض فـراشـاوالسمـاء بناء وأنزل من السمـاء مـــاءً ﴾	٢٢	١٥٨ ، ١١١
﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾	٢٢	١١٣
﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾	٢٣	١١٥ ، ٤٣
﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾	٢٣	١١٧
﴿ فـإن لم تفـعلوا ولن تفـعلوا فـاتقـوا النار التي وقـودها الناس والحجارة ﴾	٢٤	١١٩
﴿ وبشـر الذين ءامنوا وعملوا الصـالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهـــار ﴾	٢٥	١٢٢
﴿ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾	٢٥	١٢٣
﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾	٢٥	١٢٧
﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مـا بعوضة فمـا فوقهـا ﴾	٢٦	١٢٨،١٢٤
﴿ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضـل بـه إلا الفاسـقين ﴾	٢٦	١٣٠
﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ﴾	٢٧	١٣١
﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ﴾	٢٨	١٣٤
﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء ﴾	٢٩	٥٦٤ ، ٤٢٩ ،١٣٥
﴿ وإذ قال ربك للمـلائكة إني جاعل في الأرض خليفـة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾	٣٠	١٣٨
﴿ إني جاعل في الأرض خليفـة قالوا أتجعل فيهـا من يفسد فيهـا ويسفك الدماء ﴾	٣٠	١٥٤ ،٣٥
﴿ وعلم أدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة إن كنتم صادقين ﴾	٣١	١٤٢
﴿ قالوا سبحانك لا علـم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾	٣٢	١٤٢

رقم الصفحة	رقم الآيـة	الآيـــــــــة
١٤٢	٣٣	﴿ قال يا أدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم وما كنتم تكتمون ﴾
١٤٨	٣٤	﴿ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس ... من الكافرين ﴾
١٥٢	٣٥	﴿ وقلنا يا أدم اسكن أنت وزوجك الجنة .... من الظالمين ﴾
١٥٦	٣٦	﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه ... ومتاع إلى حين ﴾
١٦٠ ، ٣٠٩	٣٧	﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾
١٦٣	٣٨	﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى ... ولا هم يحزنون ﴾
١٦٦	٣٩	﴿ والذين كفروا وكذبوا بأياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾
١٦٧ ، ٣٤٤	٤٠	﴿ يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾
١٦٩	٤١	﴿ وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ﴾
١٧١	٤٢	﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾
١٧٣	٤٣	﴿ وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾
١٧٤، ١٧٦، ٢٥٣	٤٤	﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾
١٧٧، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٨٦	٤٥	﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾
١١٦ ، ١٧٨	٤٦	﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾
١٧٩، ٣٤٤	٤٧	﴿ يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾
١٨١	٤٨	﴿ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ﴾
٣٠٨	٤٨	﴿ ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾

الآيــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ وإذ نجيناكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾.....	٤٩	١٨٣
﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا ءال فرعون وأنتم تنظرون ﴾..	٥٠	١٨٧
﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾..........	٥١	١٨٩
﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشـكرون ﴾..........	٥٢	١٩٠
﴿ وإذ ءاتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾........	٥٣	١٩١
﴿ وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾....................................	٥٤	١٩٢
﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾............	٥٥	١٩٥
﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾....................	٥٥	١٩٩
﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾....................	٥٦	١٩٩
﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى . . . يظلمون ﴾....................................	٥٧	١٩٩
﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ﴾.......	٥٨	٢٠٢
﴿ وادخلوا الباب سجدا ﴾..............................	٥٨	٢٠٥
﴿ وقولوا حطة ﴾........................	٥٨	٣٤
﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴾..................	٥٩	٢٠٤
﴿ إذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾............	٦٠	٢٠٦
﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ...... وكانوا يعتدون ﴾....................	٦١	٢١٠، ٢١١
﴿ إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين.............. ....ولا هم يحزنون ﴾....................................	٦٢	٢١٣
﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور . . .لعلكم تتقون. ﴾..	٦٣	٢١٦

الآيــــــــة	رقم الآيــة	رقم الصفحة
﴿ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾............	٦٤	٢١٧
﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾..	٦٥	٢١٩
﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾.........	٦٦	٢٢١
﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... من الجاهلين﴾..	٦٧	٢٢٢
﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ... وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾.........	٦٨، ٦٩، ٧٠	٢٤٤، ٢٥٥، ٢٢٧
﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ... وما كادوا يفعلون﴾..	٧١	٢٢٨
﴿وإذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها ... لعلكم تعقلون﴾..................	٧٢، ٧٣	٢٢٩
﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة﴾..............	٧٤	٢٣٢
﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم .... وهم يعلمون﴾................	٧٥	٢٣٥
﴿وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا .... أفلا تعقلون﴾....	٧٦	٢٣٦
﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾............	٧٧	٢٣٨
﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلايظنون﴾..	٧٨	٢٣٨
﴿وإن هم إلا يظنون﴾..	٧٨	١٧٨
﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم .. وويل لهم مما يكسبون﴾.	٧٩	٢٤٠
﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾........................	٨٠	٢٤٢، ٣٢٥
﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة﴾........................	٨١	٢٤٣، ٢٤٥
﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾..	٨٢	٢٤٥
﴿وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾............	٨٣	٢٤٥

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم﴾...........................	٨٤	٢٤٨
﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفســـكم﴾..................................	٨٥	٢٤٩
﴿وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾................................	٨٥	٢٥٢
﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾.........................	٨٥	٢٥٧
﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالأخرة﴾........................	٨٦	٢٥٣
﴿ولقد ءاتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل﴾.............	٨٧	٢٥٥
﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون﴾......	٨٨	٢٥٦ ، ٩١
﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾.................	٨٩	٣٤٠ ،٢٥٧
﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾.....................................	٨٩	٣٤٠
﴿بئسما اشتروا به أنفسهم .... وللكافرين عذاب مهين﴾..........	٩٠	٢٥٨
﴿وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله﴾..................................	٩١	٢٥٩
﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾..	٩٢	٢٦١
﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾............................	٩٣	٢٦٢
﴿وقالوا سمعنا وعصينا﴾..	٩٣	٥٩٨
﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾..................................	٩٣	٢٠٧
﴿قل إن كانت لكم الدار الأخرة عند الله خالصة﴾...................	٩٤	٢٦٤
﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾..........	٩٥	٢٦٦
﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشـركوا﴾.......	٩٦	٢٦٧
﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك﴾.......................	٩٧	٢٦٩
﴿من كان عدوا لله وملائكته ورســله وجبريل﴾......................	٩٨	٢٧٠
﴿ولقد أنزلنا إليك ءايات بينات ومايكفر بها إلا الفاســقون﴾.	٩٩	٢٧١
﴿أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون﴾...	١٠٠	٢٧٢

الآيــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم﴾	١٠١	٢٧٢
﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾	١٠٢	٢٧٣
﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾	١٠٢	٩
﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾	١٠٢	٢٨٠
﴿ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾	١٠٣	٢٨١
﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا﴾	١٠٤	٢٨١
﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾	١٠٥	٢٨٢
﴿ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها﴾	١٠٦	٢٨٣
﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾	١٠٧	٢٨٨
﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾	١٠٨	٢٨٩
﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم﴾	١٠٩	٢٩١
﴿فاعفوا واصفحوا﴾	١٠٩	٢٩٢
﴿وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة﴾	١١٠	٢٩٢
﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾	١١١	٢٩٣ ، ٢٦٥
﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾	١١٢	٢٩٣، ٢٩٤
﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾	١١٣	٢٩٦
﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾	١١٤	٢٩٧
﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾	١١٥	١٦، ٢٩٨، ٣٢٨
﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون﴾	١١٦	٣٠٠
﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾	١١٧	٣٠٢
﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا ءاية﴾	١١٨	٣٠٣، ٣٠٧

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا﴾	١١٩	٣٠٥
﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾	١١٩	٥٧٢
﴿ولن ترضى عنك اليهود﴾	١٢٠	٣٠٥، ٤٤٧
﴿الذين ءاتيناهم الكتاب﴾	١٢١	٣٠٧
﴿يتلونه حق تلاوته﴾	١٢١	١٧٥
﴿يابني اسرائيل اذكروا نعمتي﴾	١٢٢	٣٠٨
﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾	١٢٣	٣٠٨، ٥٢١
﴿ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾	١٢٣	٣٠٨
﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهــن﴾	١٢٤	٣٠٨، ١٦١
﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾	١٢٥	٣١١
﴿أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين﴾	١٢٥	٣١
﴿واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا﴾	١٢٦	٣١٢
﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد﴾	١٢٧	٣١٤
﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾	١٢٨	٣١٥، ٣١٨
﴿ربنا وابعث فيهم رســولا﴾	١٢٩	٣١٦، ٣٤٣
﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾	١٣٠	٣١٧
﴿إذ قال له ربه أســلم﴾	١٣١	٣١٨
﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾	١٣٢	٣١٩
﴿أم كنتم شـــهداء﴾	١٣٣	٣٢٠
﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾	١٣٣	٥٨
﴿تلك أمة قد خلت لها﴾	١٣٤	٣٢١
﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى﴾	١٣٥	٣٢٢
﴿قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا﴾	١٣٦	٣٢٢

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿فإن ءامنوا بمثل ما ءامنتم به﴾	١٣٧	٣٢٣
﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾	١٣٨	٣٢٤ ، ٤٤٠
﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا﴾	١٣٩	٣٢٥
﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل﴾	١٤٠	٣٢٦
﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت﴾	١٤١	٣٢٧
﴿سيقول السفهاء من الناس﴾	١٤٢	٣٢٧ ، ٣٤٠
﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾	١٤٣	٢٦، ٢٨٦ ، ٣٢٨
﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾	١٤٣	٣٣١
﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾	١٤٤	٣٤٤
﴿ولئن أتيت الذين أوتو الكتاب﴾	١٤٥	٣٣٦ ، ٣٣٧
﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾	١٤٥	٣٣٨
﴿الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه﴾	١٤٦	٣٣٧
﴿كما يعرفون أبناءهم﴾	١٤٦	٢٥٨
﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾	١٤٧	٧٦ ، ٣٣٨
﴿ولكل وجهة هو موليها فاســـــتبقوا الخيرات﴾	١٤٨	٣٣٩
﴿ومن حيث خرجت فول وجهك﴾	١٤٩، ١٥٠	٢٩٩، ٣٤٠، ٣٤١
﴿لئلا يكون للناس عليكــم حجة﴾	١٥٠	٣٤١
﴿فولوا وجوهكـــم﴾	١٥٠	٣٤٥
﴿كما أرسلنا فيكم رســولا﴾	١٥١	٣٤٣
﴿ويعلمكم الكتاب الحكمة﴾	١٥١	٥٦٧
﴿فاذكروني أذكركم﴾	١٥٢	١٦٩،٣٤٤
﴿يا أيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر﴾	١٥٣	٣٤٦

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله ﴾	١٥٤	٣٤٧
﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف ﴾	١٥٥	٣٥٠
﴿ والذين إذا أصابتهم مصيبة ﴾	١٥٦	٣٥٣
﴿ إنا لله وإنا إليه راجعــــون ﴾	١٥٦	٣٥٣
﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ﴾	١٥٧	٣٥٤
﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾	١٥٨	٣٥٥
﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ﴾	١٥٩	٣٥٦
﴿ اولئك يلعنهم الله ﴾	١٥٩	٣٥٨
﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا ﴾	١٦٠	٣٥٧
﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴾	١٦١، ١٦٢	٣٥٨
﴿ والاهكم إله واحد ﴾	١٦٣	٣٥٨
﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾	١٦٤	٣٥٩
﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾	١٦٥	٣٦١
﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا ﴾	١٦٦	٣٦٣
﴿ وقال الذين اتبعــوا ﴾	١٦٧	٣٦٤
﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ﴾	١٦٨	٢٠١، ٣٦٥، ٣٧٠
﴿ إنما يأمركم بالسـوء والفحشــاء ﴾	١٦٩	٣٦٦
﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾	١٦٩	٥٢٦
﴿ وإذا قيل لهم اتبـــعوا ما أنزل الله ﴾	١٧٠	٣٦٧
﴿ ومثل الذين كفروا ﴾	١٧١	٦، ٣٦٩، ٥٥٧
﴿ صم بكم عمــــي ﴾	١٧١	٣٦٩
﴿ يأأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ﴾	١٧٢	٢٠٠؛ ٣٧٠
﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾	١٧٢	٢٠١

الآيــــة	رقم الآيــة	رقم الصفحة
﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾..	١٧٣	٣٧٠
﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله﴾..................................	١٧٤	٣٧٢
﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾..............................	١٧٥	٣٧٤
﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحـــق﴾.......	١٧٦	٣٧٥
﴿ليس البر أن تولوا وجوهـــكم﴾.......	١٧٧	١٧٤، ٣٧٥، ٤٠٢
﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾.......	١٧٧	٤٤٣
﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص﴾.......	١٧٨	٣٨٠
﴿ولكم في القصاص حياة﴾.......	١٧٩	٣٨١
﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية﴾...	١٨٠	٣٨٢، ٤٤٤
﴿فمن بدله بعد ما ســمعه﴾.......	١٨١	٣٨٣
﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما﴾.......	١٨٢	١٩، ٣٨٤
﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيــام﴾.......	١٨٣	٣٠، ٣٨٥
﴿أياماً معدودات فمن كان منكم مريضــا﴾.......	١٨٤	٣٨٨
﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان﴾.......	١٨٥	٣٨٧، ٣٩١
﴿يريد الله بكم اليسر﴾.......	١٨٥	٢٨٨
﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾.......	١٨٦	٣٩٥
﴿أحل لكم ليلة الصـــيام﴾.......	١٨٧	٣٨٧، ٣٩٧
﴿ثم أتموا الصيام الى الليل﴾.......	١٨٧	٤١٢
﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.......	١٨٨	١٧٢، ٤٠٠، ٥٨١
﴿يســألونك عن الأهلة﴾.......	١٨٩	٤٠١
﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾.......	١٨٩	٢٠٤
﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾.......	١٩٠	٤٠٤
﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾.......	١٩١	٤٠٥

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾.......	١٩١	٤٠٦
﴿فإن انتهوا فإن الله غفور رحيـــم﴾.......	١٩٢	٤٠٧
﴿وقاتلوهـم حتى لا تكون فتنـــة﴾.......	١٩٣	٤٠٨، ٤٠٦
﴿الشهر الحرام بالشـهر الحـــرام﴾.......	١٩٤	٤٠٨
﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾.......	١٩٤	١٠٣، ٢٠٧، ٢٥١
﴿وانفقوا في سـبيل الله﴾.......	١٩٥	٤١٠
﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾.......	١٩٦	٤١٢
﴿تلك عشـــرة كاملة﴾.......	١٩٦	٣٠٨
﴿الحج أشـهر معلومات﴾.......	١٩٧	٤١٦، ٤٧٢
﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾.......	١٩٨	٤١٩
﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾.......	١٩٨	٤٢٢
﴿ثم أفيضـوا من حيث أفاض الناس﴾.......	١٩٩	٤٢١
﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله﴾.......	٢٠٠	٤٢٣
﴿ومنهم من يقول ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة﴾.......	٢٠١	٤٢٥
﴿أولئك لهم نصيب مما كسـبوا﴾.......	٢٠٢	٤٢٥
﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾.......	٢٠٣	٤٢٦
﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾.......	٢٠٤	٤٢٧
﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾.......	٢٠٥	٤٢٨
﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾.......	٢٠٦	٤٢٩
﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾.......	٢٠٧	٤٣٠
﴿يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة﴾.......	٢٠٨	٤٣٢
﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾.......	٢٠٨	٢٥٤
﴿فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات﴾.......	٢٠٩	٤٣٣، ٤٣٦

الآيــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾.......	٢١٠	٢٠٠، ٤٣٤
﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾.......	٢١٠	٥٨٧
﴿سل بني إســــرائيل﴾.......	٢١١	٤٣٦
﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾.......	٢١٢	٤٣٦
﴿كان الناس أمة واحدة﴾.......	٢١٣	٤٤٠
﴿أم حســبتم أن تدخلوا الجنة﴾.......	٢١٤	٤٤٢
﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾.......	٢١٥	٤٤٤
﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾.......	٢١٦	٤٤٥
﴿وعســى أن تكرهوا شيئا﴾.......	٢١٦	٢٨٧
﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾.......	٢١٧	٤٤٦
﴿إن الذين ءامنوا والذين هاجروا﴾.......	٢١٨	٤٤٨
﴿يسألونك عن الخمر والميســر﴾.......	٢١٩	٣٢ ، ٤٤٩
﴿قل فيهما إثم كبير﴾.......	٢١٩	٢٥٠
﴿والله يعلم المفســد من المصلح﴾.......	٢٢٠	٤١٨
﴿في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى﴾.......	٢٢٠	٤٥٣
﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾.......................................	٢٢١	٤٥٤
﴿ولا تنكحوا المشركين﴾.......	٢٢١	٣٣
﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾.......	٢٢١	٤٥٤
﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾.......	٢٢٢	٤٥٦
﴿إن الله يحب التوابين﴾.......	٢٢٢	١٤٠،١٦١،١٧٣،٥٢١،٥٨٢
﴿نساؤكم حرث لكـم﴾.......	٢٢٣	٤٥٨
﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾.......	٢٢٤	٤٦٠
﴿والله ســميع عليم﴾.......	٢٢٤	٤١٨

الآيــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾.......	٢٢٥	٤٦١
﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾.......	٢٢٦	٤٦٣
﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾.......	٢٢٧	١٢، ٤٦٥
﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ﴾.......	٢٢٨	٤٦٥
﴿ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله ﴾.......	٢٢٨	٥٨٩
﴿ وبعولتهن أحق بردهن ﴾.......	٢٢٨	٤٧٢
﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف ﴾.......	٢٢٩	٤٧١
﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾.......	٢٣٠	٤٧٢،٤٧٥
﴿ ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ﴾.......	٢٣١	٤٦٩
﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف ﴾.......	٢٣١،٢٣٢	٤٧٦، ٤٧٨
﴿ والوالدت يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾.......	٢٣٣	٤٨٠
﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجـــا ﴾.......	٢٣٤	٤٨٤
﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾.......	٢٣٥	٤٨٧
﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾.......	٢٣٥	٥٩٥
﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النســـاء ﴾.......	٢٣٦	٤٨٩
﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾.......	٢٣٧	٤٩١
﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾.......	٢٣٧	١٧٩
﴿ حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾.......	٢٣٨	٤٩٢
﴿ وقوموا لله قانتين ﴾.......	٢٣٨	٣٠٠
﴿ فإن خفتم فرجالاً أوركبانا ﴾.......	٢٣٩	٤٩٤
﴿ وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج ﴾.......	٢٤٠	٤٨٤
﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ﴾.......	٢٤٠	٤٩٥
﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقـــين ﴾.......	٢٤١	٤٩٠، ٤٩٧

الآيــــة	رقم الآيــة	رقم الصفحة
﴿كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تعقلون﴾.......	٢٤٢	٤٩٨
﴿ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾.......	٢٤٣	٤٩٩
﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾.......	٢٤٣	٥١٤
﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾.......	٢٤٤	٥٠١
﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا﴾.......	٢٤٥	٢٠١، ٤٣٩،٥٠٢،٥٢١،٥٤٨
﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل﴾.......	٢٤٦	٥٠٤
﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا﴾.......	٢٤٧	٥٠٧
﴿وقال لهم نبيهم إن أية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾.......	٢٤٨	٥٠٩
﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر﴾.......	٢٤٩	٥١١
﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا﴾.......	٢٥٠	٥١٣
﴿فهزموهم بإذن الله﴾.......	٢٥١	٥١٣
﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾.......	٢٥١	٣١
﴿تلك ءايات الله نتلوها عليك بالحـق﴾.......	٢٥٢	٥١٥
﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾.......	٢٥٣	٥١٦
﴿يأأيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل﴾.......	٢٥٤	٥٢٠
﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.......	٢٥٥	٥٢٣
﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.......	٢٥٦	٥٢٩
﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾.......	٢٥٦	٥٨
﴿الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾.......	٢٥٧	٥٣٢، ٦٠٠
﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾.......	٢٥٨	٥٣٦
﴿ربي الذي يحي ويميت﴾.......	٢٥٨	٥٤٦
﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق﴾.......	٢٥٨	٥٤٢
﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾.......	٢٥٩	٥٤٠، ٥٤٢

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى﴾	٢٦٠	٥٤٢، ٥٤٤
﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سـبيل الله﴾	٢٦١	٣٦٩، ٥٤٨
﴿الذين ينفقون أموالهم﴾	٢٦٢	٥٥١
﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعهـا أذى﴾	٢٦٣	٥٥٢
﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾	٢٦٤	٥٥٥
﴿ومثل الذين ينفقـون أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾	٢٦٥	٥٥٧
﴿أيود أحدكم أن تكون له جنـة﴾	٢٦٦	٥٥٩
﴿يأيها الذين ءامنوا أنفقوا من طيبات﴾	٢٦٧	٥٦٢
﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾	٢٦٨	٥٦٤
﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾	٢٦٨	١٨٩
﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾	٢٦٩	٥٦٧
﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خير كثيرا﴾	٢٦٩	٢٥،٣٦،٣١٧،٥٨٠
﴿وما أنفقتـم من نفقة﴾	٢٧٠	٥٦٨
﴿إن تبدو الصدقات فنعماً هي﴾	٢٧١	٥٦٩
﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾	٢٧٢	٦٢، ٣٠٥، ٥٧١
﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾	٢٧٣	٥٧٣
﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهـار﴾	٢٧٤	٥٧٦
﴿الذين يأكلون الربا﴾	٢٧٥	٥٧٧
﴿يمحق الله الربا ويربي الصـدقات﴾	٢٧٦	٥٨١
﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾	٢٧٧	٥٨٣
﴿يأيها الذين ءامنـوا اتقوا الله﴾	٢٧٨	٥٤،١١٠،٥٨٣
﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب﴾	٢٧٩	٥٨٥
﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾	٢٨٠	٥٨٦

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ واتقـوا يوما ترجعـون فيه الى الله ﴾	٢٨١	٥٨٧
﴿ يأيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدين ﴾	٢٨٢	٥٨٨
﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً ﴾	٢٨٣	٥٩٣
﴿ ومن يكتمها فإنه ءاثم قلبه ﴾	٢٨٣	٣٢٦
﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾	٢٨٤	٥٩٤
﴿ اءمن الرســول بما أنزل إليه من ربه ﴾	٢٨٥	٥٩٧
﴿ لا يكلف الله نفســا إلا وســعها ﴾	٢٨٦	٥٩٩
﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾	٢٨٦	٣٢٧
﴿ ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾	٢٨٦	٣٢٩
(٣) ﴿ سورة آل عمران ﴾		
﴿ وما يعلـم تأويــله إلا الله ﴾	٧	٣٣
﴿ قل للذين كفروا سـتغلبون ﴾	١٢	٢٧٠
﴿ زين للناس حب الشــهوات ﴾	١٤	٤٣٦
﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾	١٥	١٤٢
﴿ شــهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾	١٨	٥٣
﴿ إن الدين عند الله الإسـلام ﴾	١٩	٥٧، ٢٩٤، ٣٣٩، ٤٣٣
﴿ فقل أســلمت وجهي لله ﴾	٢٠	٢٩٤
﴿ فبشـــــرهم بعذاب أليم ﴾	٢١	٤٢٩
﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾	٢٦	٥٦، ٥٠٨
﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾	٢٨، ٣٠	٤٨٨
﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾	٣٠	٢٩٢
﴿ إن الله اصطفى ءادم ونوحا ﴾	٣٣	١٨٤

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾	٣٤	١٨٤
﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾	٣٦	٤٦٩
﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾	٥٠	٣٢٩
﴿ ومكروا ومكـر الله ﴾	٥٤	٤٠٩
﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ﴾	٦٤	٣٣٠
﴿ إن الذين يشترون بعهد الله ﴾	٧٧	١٣١
﴿ ويقولون هـو من عند الله ﴾	٧٨	١٩٥
﴿ وإذ أخذ الله ميثـاق النبيين ﴾	٨١	١٣١
﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا ﴾	٨٥	٢١٥، ٣٣٩
﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾	٩٢	٦٥، ٣٧٧
﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل ﴾	٩٣	٣١
﴿ فيهءايات بينات مقام إبراهيم ﴾	٩٧	٣١١
﴿ يأأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾	١٠٢	٧٨، ٤٣٢
﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾	١٠٣	١٧٣، ١٣٢
﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾	١٠٥	٤٤٢
﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾	١٠٩	٥٨٧
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾	١١٠	٢٦، ١٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٦١
﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ﴾	١١٧	١٠٨، ٣٦٩
﴿ لا يألونكم خبالاً ﴾	١١٨	٤٦٣
﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾	١٣١	١١٩
﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾	١٣٣	٣٣٩
﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ﴾	١٣٥	١٩٢
﴿ هذا بيـان للنـاس ﴾	١٣٨	٩

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾	١٤٠	٦٠٠
﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ﴾	١٤٦	٣١
﴿ ياأيها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا ﴾	١٥٦	٥٠٠
﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾	١٥٩	٤٦٥
﴿ وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾	١٦٤	٦٧
﴿ يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم ﴾	١٦٧	٨٠ ، ٢٤١
﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾	١٦٩	٣١٩
﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾	١٦٩	١١٧
﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ﴾	١٨٣	٣١
﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب ﴾	١٨٦	٤٥٧
﴿ إن في خلق السـموات والأرض ﴾	١٩٠	١١٢
﴿ بعضـكم من بعض ﴾	١٩٥	٤٥٣
﴿ وإن من أهل الكتاب ﴾	١٩٩	٢٣٤
(٤) ﴿ سورة النساء ﴾		
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾	١	٥٤،١١،١٢٠
﴿ وءاتوا اليتـامى أموالهـم ﴾	٢	٤٥٣
﴿ فإن طبن لكم عن شـيء ﴾	٤	٤٧٣
﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾	٥	٣٥٧، ٥٨٩
﴿ ومن كان غنيـا ﴾	٦	٣٢
﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾	١٠	٣٢، ٣٧٣ ، ٤٥٣
﴿ فعسى أن تكرهوا شيئا ﴾	١٩	٤٤٥

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾	٢٠	٤٧٤
﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم﴾	٢٦	٣٩٥
﴿يريد الله أن يخفف عنـــكم﴾	٢٨	٢٨٨
﴿ولا تقتلوا أنفســكم﴾	٢٩	٥٧٢،٤١٠،١٩٣،٢٤٩
﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾	٣١	٤٥١
﴿الرجال قوامون على النســاء﴾	٣٤	٤٧٠
﴿واعبدا الله ولا تشركوا به شيئا﴾	٣٦	٥
﴿ومن يكن الشـــيطان له قرينا﴾	٣٨	٥٧٨
﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾	٤٢	٢٣
﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾	٤٣	٤٥١،١٥٣
﴿فتيمموا صعيدا طيبا﴾	٤٣	٥٦٣
﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم﴾	٤٦	٢٨١
﴿سمعنا وعصينا﴾	٤٦	٥٩٨
﴿فقدءاتينا ءال إبراهيم الكتاب والحكمة وءاتيناهم ملكا عظيما﴾.	٥٤	٥١٤
﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها﴾	٥٨	٥٩٣
﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾........	٦٩	٥٢٢
﴿ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصـــلاة﴾.......	٧٧	٤٠٥
﴿قل متاع الدنيا قليل﴾	٧٧	٣١٣،٢٤١
﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾..........	٧٨	٤٩٩
﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾	٧٩	٢١
﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾	٨٠	٩٦
﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾...........	٨٢	٥٩٨
﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن﴾	٨٣	١٩

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ ولو ردوه الى الرسـول والى أولى الأمر منهـم ﴾....................	٨٣	٤١٥،٢٥
﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ﴾................	٩٥	٣٣
﴿ فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيـما ﴾..................	٩٥	١٧٩
﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصـــلاة ﴾......................	١٠١	٤٩٥
﴿ إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴾.	١٠٢	٤٥٧
﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا ﴾........................	١٠٣	٤٩٥
﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾..	١١٠	١٩٢
﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ﴾..	١١٢	٢٤٠
﴿ وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾............	١١٣	٣٣٢
﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريد ﴾........	١١٧	٤٧٠
﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾..	١٢٥	٥٢٠
﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾..	١٣١	٣٨٨
﴿ يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ﴾.....	١٣٥	٥٩٣،٣٣٠
﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾..	١٣٦	٥٩٧،٣٢٥،٢٨،٨
﴿ إذا سمعتم ءايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم ﴾..	١٤٠	١٠٤
﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾...	١٤٢	٩٧
﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل ﴾...	١٤٥	١٢١
﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورســـله ﴾..	١٥٠	٥٩٨

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾	١٥٣	١٩٨،٢٩٠،٣٠٣
﴿ أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾	١٥٣	٣٠٤
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بأيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾	١٥٥	١٣١
﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾	١٥٥	٢٥٧
﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾	١٦٠	٣١
﴿ لكن الراسخون في العـلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك ﴾	١٦٢	٣٤
﴿ والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ﴾	١٦٢	٨١
﴿ يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾	١٧٦	٩

(٥) ﴿ سورة المائدة ﴾

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾	٣	٢٧٦،٣٣٣
﴿ والمحصـنات من المؤمنات ﴾	٥	٣٣،٤٥٤
﴿ إذا قمتـم الى الصّـلاة ﴾	٦	٤٢٣
﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر ﴾	٦	٤٩٠
﴿ فتيمموا صعيدا طيـبا ﴾	٦	٥٦٣
﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾	٦	٣٢٩
﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسـرائيل ﴾	١٢	١٦٨، ٢١٦
﴿ فبما نقضـهم ميثاقهـم ﴾	١٣	١٣١
﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية	١٣	٩٠
﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾	١٨	٢٦٥

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾	٢٠	١٦٩، ١٨٠
﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾	٢١	٢٠٤
﴿واتل عليهم نبأ ابني ءادم﴾	٢٧	٣١
﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾	٢٧	٧٨
﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾	٣٠	٣٨٨
﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾	٣٣	٤٣٢، ٥٨٥
﴿يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله﴾	٣٥	٥٤، ١١٠، ٤٤٩
﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾	٣٥	٨٥
﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾	٤٥	٣١
﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾	٤٨	٤٦، ٣٢٩
﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾	٤٨	٥١٨
﴿ليبلوكم﴾	٤٨	١٨٥
﴿إلى الله مرجعكم﴾	٤٨	٥٧٧
﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾	٥١	١٨٣
﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر﴾	٥٢	٢٥٧
﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾	٥٤	٤٩، ٥٣٣
﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾	٥٥	٥٧٨
﴿الذين يقيمون الصلاة﴾	٥٥	٨١
﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا﴾	٥٧	٢٨٢
﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾	٥٧	٢٨٣
﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾	٦٠	٦٨
﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾	٦٠	٢٢٠
﴿وإذا جاؤكم قالوا ءامنا﴾	٦١	٩٤

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ بل يداه مبسوطتـــان ﴾	٦٤	٧
﴿ وليزيدن كثيرا منهم ﴾	٦٤	٩٩
﴿ ولو أنهم أقاموا التـــوراة ﴾	٦٦	٨١
﴿ والله يعصمك من الناس ﴾	٦٧	٢٧٦
﴿ وليزيدن كـــــثيرا منهم ﴾	٦٨	٩٩
﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾	٧٧	٣٠٦
﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾	٨٩	٤٦٢
﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾	٩٠	٢٠٥، ٣٢
﴿ فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾	٩٠	١٥٣
﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ﴾	٩١	٢٧٩
﴿ أو عدل ذلك صيـــاما	٩٥	١٨١
﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾	٩٩	٣٠٥
﴿ يأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم ﴾	١٠٥	١٧٦
﴿ أنزل علينا مائدة من الســـــماء ﴾	١١٤	٣٠٤
﴿ ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلاهين من دون الله ﴾	١١٦	٣٢١

(٦) ﴿ سورة الأنعام ﴾

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾	١	٥٣٣،١١٢
﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾	٩	١٣٩
﴿ والله ربنا ما كنا مشركـــين ﴾	٢٣	٢٣
﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾	٣٥	٥٧٢
﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ﴾	٣٨	١١

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ما فرطنا من الكتاب من شيء﴾................................	٣٨	٢٥،٣٣٠،٣٩٢
﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾..............................	٤٣	١٠٠،٤٣٦
﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾..	٤٤	٢٥٧
﴿فإذا هم مبلســـــــون﴾..	٤٤	١٤٩
﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم﴾......................	٥١	٧٨
﴿لعلهم يتقـــــون﴾..	٥١	٧٨
﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾..	٥٦	٣٠٦
﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾................................	٦٣	٥٣٣
﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾..........................	٧٥	٨٤،٣٠٣
﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا﴾......................	٧٩	٢٩٤
﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة والنبـــوة﴾......................	٨٩	٣٣٧
﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾..................................	٩٠	٣٨،٦١
﴿لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾..........................	٩٤	٣٦٣
﴿لا تدركه الأبصار﴾...	١٠٣	١٢
﴿كذلك زينا لكل أمة عملهــم﴾......................................	١٠٨	٤٣٧
﴿ونذرهم في طغيانهم يعهمون﴾..	١١٠	١٠٥
﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾......................	١١٢	٢٧٤،٥٣٥
﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا﴾...	١١٥	٣٠٩
﴿وذروا ظاهـر الاثم وباطـنه ﴾...	١٢٠	٥٩٥
﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به﴾........................	١٢٢	١٣٤،١٣٥،٢٥٥،٥٠٠،٥٤٤
﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾..	١٢٤	٥٠٨
﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾...........................	١٢٥	١٧٤،٥٠٤، ٥٣٩
﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها﴾......................................	١٤٠	٢٤٩

الآيــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها ﴾..........................	١٤٦	٣٢٩
﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم ﴾..	١٥١	٥
﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾........................	١٥١	٥٩٥
﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾..	١٥٢	٤٥٣
﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾..	١٥٢	٤٧٦
﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾..................	١٥٣	٥ ، ٦٣
﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾..................................	١٦٠	٢٤٣ ، ٥٤٨
﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾..	١٦٤	٣٢١،٣٢٧،٤٩٦
﴿ ليبلوكم ﴾...	١٦٥	١٨٥
﴿ سورة الأعراف ﴾ (٧)		
﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ﴾.........	٢	٧٦
﴿ فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرســـلين ﴾..................	٦	٣٧٣
﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه ﴾..................	١٢	١٦
﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالديــــــن ﴾..................	٢٠	١٥١،١٥٦
﴿ إني لكما لمن الناصحين ﴾..	٢١	١٥٦
﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاســــرين ﴾..................	٢٣	١٦٠
﴿ يابني ءادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾	٢٧	١٥٩
﴿ كما بدأكم تعودون ﴾..	٢٩	٣٥٤، ٤٣٥

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ ولا تسرفوا ﴾	٣١	١٧٩
﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾.....	٣٢	٢٠١
﴿ قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾......	٣٢	٣٧١
﴿ فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنـون ﴾............	٣٥	٧٨
﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله ﴾................................	٤٣	٦٢
﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ﴾............................	٤٤	٢٤٣
﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبـــل ﴾	٥٣	٣٤
﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾................	٥٤	٤٣٥
﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحهـا ﴾	٥٦	٢٠٧،١٠٠
﴿ بشرا بين يدي رحمته ﴾................................	٥٧	٥٤١
﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾........................	٦٩	١٣٩
﴿ خلفاء من بعد عــاد ﴾................................	٧٤	١٣٩
﴿ أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾...............	٨٠	٤٥٩
﴿ ولا تفسـدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنـــين ﴾...........	٨٥	١٠٠
﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾............................	٩٩	٩٧
﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾............................	١١٦	٢٧٦،٢٧٤
﴿ وجاءوا بســحر عظيم ﴾................................	١١٦	٢٧٥
﴿ ويستخلفكم في الأرض ﴾................................	١٢٩	١٥٤،٣٥
﴿ لئن كشــفت عناالرجز ﴾................................	١٣٤	٢٠٥
﴿ وإذا أنجيناكم منءال فرعون ﴾................................	١٤١	١٨٦

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾..............................	١٤٢	١٨٩
﴿ قال رب أرني أنظر إليك ﴾....................................	١٤٣	١٩٧، ٥٤٦
﴿ وخر موسى صعقا ﴾..	١٤٣	١٩٩
﴿ ساصرف عن ءاياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل ءاية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ،وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بأياتنا وكانوا عنها غافلـــــين ﴾..	١٤٦	٩١
﴿ إنا هدنا إليك ﴾..............	١٥٦	٢١٣، ٢٩٣
﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾..	١٥٧	٢٥٨، ٣٢٩، ٣٣٨
﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾..	١٦٠	٢٠٠، ٢٠١
﴿ وادخلوا الباب ســــــجدا ﴾..................................	١٦١	٢٠٥
﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾......................	١٦٨	١٨٥، ١٨٦، ٢٤٣
﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ﴾................	١٧١	٢١٧
﴿ وإذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم ﴾........................	١٧٢	١٣١، ٣٥٠، ٤٤٠، ٤٥٥، ٥٨٧
﴿ ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ﴾..................................	١٧٦	٢٥٤
﴿ من يهد الله فهو المهتـــدي ﴾..	١٧٨	٣٠٦
﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾...	١٧٩	٢٢٠
﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾...	١٨٠	٣٩٦
﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾........	١٨٦	٥٧٠
﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾..	١٨٩	٩٣
﴿ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴾.......................... .	١٩٣	٨٩
﴿ إن الذين عند ربك ﴾..	٢٠٦	١١٧

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿٨﴾ ﴿ سورة الأنفال ﴾		
﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم ءاياته زادتهم إيمانـــا ﴾	٢	٣٩٧, ٣٢٤، ٨٩، ٧٩، ٢٥
﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾	٣	٨١
﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾	٣	٤٤٤، ٨١
﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾	٧	١٨٩
﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سـميع عليم ﴾	١٧	١٨٥، ٢٢، ٢١
﴿ استجيبوا لله وللرســول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾	٢٤	٥٤٤، ٣٤٨، ١٣٤
﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾	٣١	٤٣
﴿ إن كان هذا هو الحـــق ﴾	٣٢	٧٥
﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ﴾	٣٤	٤٤٧
﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾	٣٨	٤٠٧
﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾	٤٦	٥٩٤
﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾	٥٥	٢٢١
﴿ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهـم ﴾	٥٧	١٠
﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ﴾	٥٨	١٠
﴿ لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾	٦٠	٢١٩
﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهـم ﴾	٦٣	١٣٢

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٩) ﴿ سورة التــوبة ﴾		
﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾..........................	٥	٢٩١
﴿ إنما المشركون نجـــــس ﴾..........................	٢٨	٢٠٤
﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾..........................	٣٢	١٥٠
﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾.	٣٤	١٧٧
﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾..........................	٣٤	٤٢٩
﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ﴾..........	٣٦	٤١٦
﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة ﴾..........	٣٦	٤١٧،٤٠٤
﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾..........................	٣٧	٤٠٣،٢٨٣،١١
﴿ لا تحـزن إن الله معنـــــا ﴾..........................	٤٠	٥٩
﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾..........................	٤٩	٢٩٦
﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيـاة الدنيـــا ﴾..........................	٥٥	١٥٥، ٢٥٤
﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾..........................	٦٠	٥٧١
﴿ نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾..........	٦٧	١٠٧، ٢٧١
﴿ فأعقبهم الله نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعـــدوه ﴾..........................	٧٧	٢٤٤
﴿ سخر الله منهم ﴾..........................	٧٩	١٠٤
﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيـــم ﴾..........................	١٠٠	٦٥
﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بهـــا ﴾..........	١٠٣	٥٥٨،٤١٨
﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾..........	١٠٨	٤٥٨

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير﴾	١٠٩	٣١٢
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله﴾	١١١	١٠٥،١١٦،١٧٣،٢٠١، ٢٩٥، ٤١١،٤٣٠،٥٢٠،٥٢١
﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴾	١١٢	١٦١
﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾	١١٣	٣٠٥
﴿يأيها الذين ءامنــوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾	١١٩	٥٤، ١١٠
﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا﴾	١٢٤	٧٧
﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافــرون﴾	١٢٥	٧٧،٩٩،٢٠٥
(١٠) ﴿سورة يونس﴾		
﴿هو الذي جعل السماء ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾	٥	٤٠١
﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾	٧	٢٥٤
﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾	٩	٦١ ، ٦٣
﴿ائت بقرءان غير هذا أو بدله﴾	١٥	٤٤
﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾	٢٤	٤٢٥
﴿والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾	٢٥	٣٣١ ، ٤٣٢
﴿للذين أحسنوا الحسني وزيادة﴾	٢٦	١٧٩
﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت............ فسيقولون الله﴾	٣١	١١٥
﴿فماذا بعد الحق إلا الضــلال﴾	٣٢	٢٨٦

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ وادعو من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾................	٣٨	٤٣
﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾....................................	٣٩	١٠٠
﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾...............	٤٩	٥٠٠
﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنـــون ﴾...............	٦٢	٢٦، ١٦٥
﴿ ربنا اطمـــس على أموالهم	٨٨	٦٩
﴿ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ﴾..................................	٨٩	٦٩
﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾........................	٩٢	١٨٨
﴿ ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات ﴾...	٩٣	٤٤١
﴿ لما ءامنوا اكشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حـــين ﴾..	٩٨	١٥٩،٤٨٩،٥٣٥
﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنـــين ﴾........................	٩٩	٥٧٢
(١١) ﴿ سورة هـــود ﴾		
﴿ فأتوا بعشر ســـور مثله مفتريات ﴾..................................	١٣	٧٤
﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾............................	٤٦	١٨٤
﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾..................................	٤٦	٣٣٨
﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بســوء ﴾..........................	٥٤	٥٨٠
﴿ واســـتعمركم فيها ﴾...	٦١	٣٥،١٣٩،١٥٥،٣١٥،٤٢٩
﴿ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ﴾............................	٨٨	١٧٦
﴿ فاســـتقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾..............................	١١٢	٦٧
﴿ ولو شـــاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾...........................	١١٨	٥١٨
﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾..........	١٢٠	٥١٥
﴿ وإليه يرجع الأمر كله ﴾...	١٢٣	٥٨٧،٥٩٨

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(١٢) ﴿ سورة يوسف ﴾		
﴿ قرآنـا عربيـا ﴾	٢	٤٤
﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾	٥	٥٧٩
﴿ إن هذا إلا مـلك كريم ﴾	٣١	١٣٨
﴿ إني أراني أعصر خمرا ﴾	٣٦	٩٤
﴿ ولكن أكثر الناس لا يشـكرون ﴾	٣٨	٥٠١
﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أيها الصديق أفتنا في سـبع بقرات سمان يأكلهن سـبع عجاف ﴾	٤٥،٤٦	١٤٠
﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾	٥٣	٣٨٥،٣٩٩
﴿ وأســال القرية ﴾	٨٢	٥٤٣
﴿ وخروا له سجدا ﴾	١٠٠	١٤٨
﴿ توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾	١٠١	٢٩٤،٣١٥،٤٣٣
﴿ وكأين من ءاية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضــون ﴾	١٠٥	١٦٦
﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشــركون ﴾	١٠٦	١١٤،١٨٩،٢٦٧،٥٥٩
﴿ قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾	١٠٨	٨٥،٣٢٣،٣٩٣
﴿ ما كان حديثاً يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾	١١١	٢٥، ٣٩٢
(١٣) ﴿ سورة الرعد ﴾		
﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقــلون ﴾	٤	٢٧
﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾	٦	٢٤٣

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ ولكل قوم هاد ﴾	٧	٦١
﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شـــديد المحال ﴾	١٣	٩٧ ، ١٩٨
﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ﴾	١٥	٣٠١
﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾	١٧	٦٢ ، ١١٢
﴿ ويخشون ربهم ويخافون سوء الحســاب ﴾	٢١	١٦٥
﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا ﴾	٢٦	٢٢٦
﴿ الذين ءامنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾	٢٨	٩٥
﴿ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبي لهم وحسن مئاب ﴾	٢٩	٣٨ ، ١٦٦
﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحســاب ﴾	٤٠	٣٠٥
(١٤) ﴿ سورة إبراهيم ﴾		
﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾	٤	٢٧
﴿ ولقد أرسلنا موسى بأياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى الـــنور ﴾	٥	٥٣٤
﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾	١٨	٥٥٦
﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ﴾	٢٢	١٨٩
﴿ ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ﴾	٢٢	٣٦٣
﴿ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في الســماء ﴾	٢٤	١١٣
﴿ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ﴾	٢٥	١٥٩

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البـــوار﴾	٢٨	٨٩
﴿ولاخلال﴾	٣١	٥٢١
﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصــوها﴾	٣٤	٦٤ ، ٣٤٥
﴿واجنبنى وبني أن نعبد الأصنام﴾	٣٥	٣٢٠
﴿فمن تبعني فانه مني﴾	٣٦	١٨٤
﴿وأفئدتهـــم هواء﴾	٤٣	٤١٩
(١٥) ﴿سورة الحجر﴾		
﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾	٢	٢٥٢
﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾	٤٠	٥٨
﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾	٤٢	٥٨،٣٩٦،٥٧٩
﴿نبئ عبـــادى أني أنا الغفور الرحيم﴾	٤٩	١٤٢
﴿فوربك لنسألنهم أجمعين - عما كانوا يعملون﴾	٩٢،٩٣	٢٣
(١٦) ﴿سورة النحل﴾		
﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾	١٨	٦٤، ٣٤٥
﴿أســـاطير الأولين﴾	٢٤	٤٣
﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغـير علـــم﴾	٢٥	١٧٠
﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾	٢٦	٤٣٤

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول كن فيكون﴾	٤٠	٢١٩، ٤٣٥
﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾	٤٤	٣٨
﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾	٥٠	١٦٥
﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾	٥٣	٤٩، ٥٢
﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾	٦٢	٤٧٠
﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليـــم﴾	٦٣	٤٣٠
﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لأية لقوم يسمعون﴾	٦٥	١١٢
﴿وأوحى ربك الى النحل﴾	٦٨	٦٠
﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾	٧٢	٣٠١
﴿ســرابيل تقيكم الحـر﴾	٨١	١٢١
﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾	٨٩	٣٣٠
﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءى ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾	٩٠	٣٩،١٧٩،٢١٨،٤١١،٤٥٦
﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾	١٠٢	٥١٧
﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لســان عربي مـبين﴾	١٠٣	٧٤
﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾	١٠٦	٥٣١
﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾	١٠٨	٩٠، ٩٢
﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا﴾	١٢٠	٣٢١، ٤٢٢
﴿شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾	١٢١	٣١٨، ٣٤٥
﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنـــيفا﴾	١٢٣	٣١٠

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾	١٢٥	٢٤٧،٤٠٤،٣٩٣،٨٥
﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾........................	١٢٨	٧٨
(١٧) ﴿سورة الإسراء﴾		
﴿إنه كان عبدا شكورا﴾...	٣	٣٤٥
﴿وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب﴾..	٤	٣٠٢
﴿إن هذا القران يهدي للتي هي أقـوم﴾.......................................	٩	٦١
﴿وكان الإنسان عجولا﴾...	١١	١٥٥
﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾...	١٣	٥٤٤ ،٣٢٧
﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾..	١٥	٤٩٦،٣٢٧،٣٢١
﴿وقضى ربك ألا تعبدو إلا إياه ... فتلقى في جهنم ملوما مدحـــــورا﴾..	٢٣–٣٩	٣٠٢،٢٩
﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾..	٢٤	٢١٢
﴿ولا تبذر تبذيرا﴾...	٢٦	١٧٩
﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميســـــورا﴾..	٢٨	٥٥٤
﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾.........	٢٩	٤١١
﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشـــــــة﴾....................................	٣٢	١٥٣ ،٣١
﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾...............................	٣٤	٤٥٣ ،١٥٣
﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾..	٤٤	٥١٥،٣٠١،٥٣،٤٩ ،٤٢
﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾...	٤٦	٩٠

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿إن تتبعون إلا رجلا مســـحورا﴾..................................	٤٧	٢٧٧
﴿ولقد فضلنا بعض النبين على بعض وءاتينا داود زبورا﴾............	٥٥	٥١٧
﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾................................	٥٧	٤٨٨،٤٤٩،٢٩٥،١٦٥،١١١
﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾...	٦٧	٢٨٨
﴿ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البرو البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾..................	٧٠	١٨٠،١٧٩،٣٥
﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾..	٧١	٣٠٩
﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾.....	٧٢	٩٩
﴿أقم الصلاة لدلوك الشـمس الى غسـق الليل وقرءان الفجر﴾...	٧٨	٤٩٢،٨١
﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾...	٨٢	٣٠٧ ، ٧٧
﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾..........	٨٥	٥٢٨ ،٤٣٥
﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوابمثل هذا القرآن﴾...	٨٨	١٢١ ،٤٣
﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾...................	٩٠	٣٠٤
﴿ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتـابا نقرؤه﴾..................	٩٣	٢٩٠
﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما﴾.........	٩٧	٢٣
﴿ولقد ءاتينا موسى تسع ءايات بينات﴾............................	١٠١	٢٦١
﴿وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾........	١٠٦	٤٩٤ ، ٣٩٢
﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾	١١٠	٥٠
(١٨) ﴿سورة الكهف﴾		
﴿إنهم فتية ءامنوا بربهم وزدناهم هدى﴾............................	١٣	٢٠٩

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾	١٤	٢٠٩
﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ﴾	٢٤،٢٣	٢٢٧
﴿ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهــه ﴾	٢٨	٤٩
﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾	٢٨	٩٠
﴿ إلا إبليـــس كان من الجن ففســق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولـــياء من دوني ﴾	٥٠	١٥٠ ، ٢٧١
﴿ ويوم يقول نادوا شـــــركاءي ﴾	٥٢	٣٧٣
﴿ ورءا المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعـــوها ﴾	٥٣	٢٣
﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ﴾	٥٩	٥٤٣
﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾	٦٦	٢٠٩
﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبـــرا ﴾	٦٨،٦٧	٣٥٣
﴿ جدارا يريد أن ينقـــــض ﴾	٧٧	١٥٢
﴿ وأما من ءامن وعمل صالحا ﴾	٨٨	٢٢
﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾	١٠٣	١٣٣
﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾	١٠٤	١٠٠
﴿ قل لو كان البحر مدادا لكمات ربي ﴾	١٠٩	٣٠٩
﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـــدا ﴾	١١٠	٢٦٧، ٣١٩

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(١٩) ﴿ سورة مريم ﴾		
﴿ إني نذرت للرحمن صوما ﴾	٢٦	٣٨٥
﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا ﴾	٣١	٣٠
﴿ نرث الأرض ومن عليها ﴾	٤٠	٥٦
﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾	٤٤	١٥٧
﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبين من ذرية أدم وممن حملنا مع نـوح ﴾	٥٨	٦٦
﴿ هدينا واجتبينا ﴾	٥٨	٣٣٧
﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾	٥٩	٣٧٥
﴿ هل تعلم له سميا ﴾	٦٥	٤٨
﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾	٧١	٢٣
﴿ ونمد له من العذاب مدا ﴾	٧٩	١٠٤
﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدا ﴾	٩٣	٥٧، ٥٨، ٣٩٦
(٢٠) ﴿ سورة طـه ﴾		
﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾	١٧	٢٥٠
﴿ اذهب الى فرعون إنه طغى ﴾	٢٤	١٥١
﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾	٤١	٢٤٦
﴿ فقـولا له قولا لينـا ﴾	٤٤	٢٤٧
﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾	٤٩	١٤، ١٥٢

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾	٥٠	١٤ ، ٦٠
﴿فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا﴾	٧٧	١٨٧
﴿وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا﴾	٩٧	٩٧
﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾	١٠٨	١٤٨
﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا﴾	١٠٩	١٨٢
﴿قرءانا عربيا﴾	١١٣	٤٤
﴿ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾	١١٤	٢٣٩
﴿ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسى﴾	١١٥	١٥٤
﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾	١١٨	٥٧٣
﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾	١٢٠	١٥٦
﴿قال كذلك أتتك ءاياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾	١٢٦	١٧٥
﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾	١٣٣	٤٤
(٢١) ﴿سورة الأنبياء﴾		
﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾	٢٨	١٨٢، ٥٢٧
﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾	٣٥	١٨٥، ٣٥٢
﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾	٤٧	٥٨٧
﴿ولقد ءاتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾	٤٨	١٩١
﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾	٤٩	٨٠
﴿قال بل فعله كبيرهـــم هذا﴾	٦٣	١٧
﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾	٧٣	٦١، ٦٢
﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾	٩٦	٩

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾.............	١٠١	٢٣
﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾....................................	١٠٤	٥٨٧
(٢٢) ﴿سورة الحج﴾		
﴿يا أيها الناس اتـقوا ربــكم﴾.................................	١	١٢٠، ١١٠؛٥٤
﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير﴾.	٤	٦٠
﴿ومنكم من يرد الى أرذل العمر﴾............................	٥	٥٧٧
﴿إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشــركوا﴾....................................	١٧	٢٦٧
﴿يسجد لله من في السموات ومن في الأرض﴾................	١٨	١٤٨
﴿والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾..................	١٨	٢٣٤
﴿وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد﴾..........	٢٤	٨٥،٦١،٣٩
﴿سواء العاكف فيه والباد﴾...................................	٢٥	٣٩٧
﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.............................	٢٦	٣٠٩
﴿وأذن في الناس بالحــج﴾...................................	٢٧	٤٢٠
﴿ليشــهدوا منافع لهــم﴾............................	٢٨	٤٢٠
﴿فاجتنبوا الرجــس من الأوثـان﴾...........................	٣٠	٢٨٢
﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان ســـحيق﴾.................................	٣١	٢٩٨،٢٥٢
﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وبشر المخبتين﴾....................................	٣٤	٣٠
﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾......................................	٣٥	٤٤٤،٨١

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات﴾	٤٠	٣١ ، ٥١٤
﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾	٤٦	٩٢
﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.....	٤٦	٥٣٣
﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾	٥٢	٢٣٩
﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله ءاياته﴾	٥٢	٢٨٣
﴿الملك يومئذ لله﴾	٥٦	٥٦
﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾............	٥٧	١٦٦
﴿وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه﴾..............................	٧٣	١٢٩
﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾............................	٧٥	٥١٧
﴿واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾...........................	٧٧	١١١
﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾	٧٨	٨٥، ٥٠٢
﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾........................	٧٨	٣١٠
(٢٣) ﴿سورة المؤمنون﴾		
﴿قد أفلح المؤمنـــون﴾	١	١٦١
﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾..	٢	١٤٨
﴿أولئك هم الوارثون﴾..	١٠	١٦١
﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾................................	١١	١٦١
﴿فتربصوا به حتى حين﴾..	٢٥	٤٦٣
﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾..	٤٠	٣١٣

الآيـــــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات﴾	٥٦،٥٥	٤٣٩،١٠٣
﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾	٧١	٣٠٤
﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾	١٠١	٢٣
﴿ومن يدع مع الله إلها ءاخر لا برهان له به﴾	١١٧	١١٤
(٢٤) ﴿سورة النور﴾		
﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾	٢	٤٦٨
﴿فاجلدوهم ثمـانين جـــــلدة﴾	٤	٣٩٠
﴿وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا﴾	٥،٤	٢٧١،١٢
﴿فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾	١٣	٢٣٧
﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾	٢١	٥٣٥
﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم﴾	٢٢	٤٦٣
﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾	٢٥	١٢٩
﴿ولقد أنزلنا إليكم ءايات مبينات﴾	٣٤	٩
﴿يهدي الله لنوره من يشـــــاء﴾	٣٥	٦٢
﴿والله يرزق من يشاء بغير حســاب	٣٨	٤٣٨
﴿والذين كفروا أعمالهم كســـراب بقيعة﴾	٣٩	٢٩٢،٣٦٤
﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾	٤٠	٥٢٣ ، ٢٢
﴿يقلب الله الليل والنهار﴾	٤٤	٣٥٩
﴿فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتهم﴾	٥٤	٥٧٢
﴿ليستخلفنهم في الارض﴾	٥٥	٣٥
﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾	٦٣	٢٨٢

الآيــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٢٥) ﴿ سورة الفرقان ﴾		
﴿أســـاطير الأولين﴾	٥	٤٣
﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾	١٢	٢٣
﴿دعوا هنالك ثبورا﴾	١٣	٢٣
﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾	٢٣	٢٩٢،٣٦٤،٤٢٦،٤٣٤،٤٤٧
﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا﴾	٢٤	٤٣٨
﴿إن هم إلا كالأنعـــام﴾	٤٤	٢٢١
﴿بشرا بين يدي رحمته﴾	٤٨	٥٤١
﴿وهو الذي جعل الليل والنهـار خلفــة﴾	٦٢	٣٥٩
﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾	٦٣	٥٨ ، ٣٩٦
﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾	٦٧	٤١١
﴿ومن يفعل ذلك يلق آثاما﴾	٦٨	٤٥٩
﴿يضاعـف له العذاب﴾	٦٩	٢٥٩
(٢٦) ﴿ سورة الشعراء ﴾		
﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾	٢٠	٦٧
﴿فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى﴾	٦١	١٨٧
﴿إن معي ربي﴾	٦٢	٥٩
﴿فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾	٦٣	٢٦ ، ١٨٧
﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾	٨٤	٣١٨
﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾	٨٨	٣٦٣

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾	٨٩	٣١٥
﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾	١٣٧	١١٠
﴿إنما أنت من المسحرين﴾	١٥٣	٢٧٧
﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾	١٩٤،١٩٣	٥١٧
﴿بلسان عربي مبين﴾	١٩٥	٩
﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾	٢٢١	٢٧٤
﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾	٢٢٢	٢٧٤
(٢٧) ﴿سورة النمل﴾		
﴿الذين يقيمون الصلاة﴾	٣	٨١
﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينالهم أعمالهم فهم يعمهون﴾....	٤	٤٣٦ ، ٤٣٧
﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء ... الى فرعون وقومه﴾....	١٢	٢٦١
﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾	٢٤	٤٣٧
﴿ومكروا مكرا﴾	٥٠	٩٧
﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾	٥٩	٥٢
﴿أمن جعل الأرض قرارا﴾	٦١	١٥٨
﴿بشرا بين يدي رحمته﴾	٦٣	٥٤١
﴿وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم﴾	٨١	٦٢
﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾....	٨٢	٥

الآيــــــة	رقم الآيــة	رقم الصفحة
(٢٨) ﴿ سورة القصص ﴾		
﴿إن فرعـون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهـــم﴾	٤	١٨٦
﴿فالتقطه ءال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾	٨	٧٧
﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾	١٠	٤١٩
﴿هذا من عمل الشـــيطان﴾	١٥	٥٧٩
﴿ربي إني لما أنزلت الى من خير فقير﴾	٢٤	٥٢٠
﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكم سلطانا﴾	٣٥	٥١٤
﴿وجعلنـــاهم أئـمة يدعونـه الى النار﴾	٤١	٣٠٩
﴿ومما رزقناهم﴾	٥٤	٨١
﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾	٥٦	٦٢
﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾	٧٣	٢٩٣
﴿ونزعنا من كل أمة شهيدا﴾	٧٥	١١٨
﴿وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة﴾	٧٧	٣٣٩، ٤٢٥
﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾	٧٧	٤٢٥
﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾	٨٨	٢٩٤
(٢٩) ﴿ سورة العنكبوت ﴾		
﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون﴾ ...	١، ٢	٣٥٢، ٤٠٦
﴿يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾	٢٥	٣٥٨، ٣٦٣

الآيـــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾	٣٨	٤٣٧
﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾	٤١	١٢٩
﴿وما يعقلها إلا العالمـــون﴾	٤٣	٢٨
﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾	٤٥	١٧٧، ٣٤٦، ٤٩٤
﴿وقالوا لولا أنزل عليه ءايات من ربه قل إنما الأيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾.	٥٠، ٥١	٤٣، ٣٠٤
﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافـــرين﴾	٥٤	٢٩٦
﴿ذوقوا ما كنتم تعمـــــلون﴾	٥٥	١٢٤
﴿وإن الدار الأخرة لهي الحيوان﴾	٦٤	٨٦، ٩٩، ١٩٤، ٢٦٩، ٣٥٢، ٤٣٨
﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما ءامنا ويتخطف الناس من حولهم﴾........	٦٧	٣١١
﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾	٦٩	٦١، ٥٠٢
(٣٠) ﴿سورة الروم﴾		
﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بأيات الله﴾........	١٠	٢٤٤
﴿حين تمسـون وحين تصبحـون﴾	١٧	١٥٩
﴿أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمـــة﴾	٢١	٤٥٤
﴿وهو أهون عليه﴾........................	٢٧	١٣٥
﴿اضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم كخيفتكم أنفسكم﴾........................	٢٨	٦

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾...............	٣٠	٣٢٤،٤٤،٤٩
﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا﴾..............................	٥١	٣٣٧
(٣١) ﴿سورة لقمان﴾		
﴿الذين يقيمون الصلاة﴾..	٤	٨١
﴿يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ...... ولا تمش في الأرض مرحـــا﴾..	١٣-١٨	٣١ ، ٤٥١
﴿اشكر لي ولوالديك﴾..	١٤	٥١
﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾.............................	٢٠	٦٥
﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾....................................	٢٢	٢٩٤
﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام مانفدت كلمات الله﴾......	٢٧	٤٢
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾....................................	٣٣	١٢،١١،٥٤
﴿واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شـــيئا﴾..	٣٣	١٨٢
(٣٢) ﴿سورة السجدة﴾		
﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾........................	١١	٢٠ ، ٣٣٢، ٤٣٥
﴿يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾.....................................	١٦	١١١
﴿ومما رزقنـــاهم﴾...	١٦	٨١
﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾......................	١٧	٣٦، ١٢٣، ١٢٦

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٣٣) ﴿ سورة الأحزاب ﴾		
﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾	٥	٢٤٤
﴿ وإذ أخذنا من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيســـى ﴾	٧	١٣١
﴿ قل لن ينفكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ﴾	١٦	٤٩٩
﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم ﴾	١٩	١٩
﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيــرا ﴾	٣٣	٤٥٨،١٢٧
﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾	٣٧	٣٤٢
﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾	٤٣	٥١
﴿ يا أيها الذين ءامنوا إذا نكحتم المؤمنات .... من عدة تعتدونهـــا ﴾	٤٩	٤٦٧
﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله ﴾	٧٠	١١٠،٥٤
﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنهـــا ﴾	٧٢	١٦١
(٣٤) ﴿ سورة سبأ ﴾		
﴿ اعملوا ءال داوود شكرا وقليل من عبادي الشــكور ﴾......	١٣	٥٥٩،٥٠١،٣٥٦،٣٤٥،٥٢

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٣٥) ﴿ سورة فاطـر ﴾		
﴿أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسـنا ﴾................	٨	١٠٠
﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾..................	٨	٣٠٥
﴿ولا تزر وازرة وزر أخـــرى ﴾..................	١٨	٤٩٦،٣٢٧،٣٢١
﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾..................	٢٤	١١
﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾..................	٢٨	٣٤٣
﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه منهم مقتصد ومنهم سابق في الخيرات ﴾..................	٣٢	٦٤، ١٢٠
﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾..................	٣٤	١٦٥
﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾..............	٣٧	١٩٩
﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾..................	٤١	٥٢٣
(٣٦) ﴿ سورة يــس ﴾		
﴿إنما تنذر من اتبع الذكـر ﴾..................	١١	٤٧٦
﴿وخشى الرحمن بالغيب ﴾..................	١١	٨٠
﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾..................	١٢	٢٥
﴿وكل في فلك يسبحون ﴾..................	٤٠	٥٤٠
﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾..................	٤٧	١٠٢
﴿إلى ربهم ينسـلون ﴾..................	٥١	٤٢٨

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ألم أعهد اليكم يابني ءادم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبـين﴾	٦٠	٥٣٤، ٥٣٠، ٥٦٦
﴿وما علمناه الشعر ما ينبغي له﴾	٦٩	٤٦
﴿مما عـملت أيـدينا﴾	٧١	٢٤٠

(٣٧) ﴿ سورة الصافات ﴾

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿احشرو الذين ظلموا وأزواجهم﴾	٢٢	١٢٧، ٢٧٩
﴿فاهدوهم الى صراط الجحيم﴾	٢٣	٦٠
﴿وقفوهم إنهم مسئولون ومالكم لا تناصرون﴾	٢٤، ٢٥	١٨٢
﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾	٢٧	٢٣
﴿لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون﴾	٤٧	٢٦
﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾	١٠٦	١٨٦
﴿أصطفى البنات على البنين﴾	١٥٣	٤٧٠
﴿وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون﴾	١٦٥،١٦٦	١٤٠

(٣٨) ﴿ سورة ص ﴾

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾	٢٢	١٧
﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾	٢٦	١٨٩،٣٠٦،٣٦٥، ٥٣٠
﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبرواءاياته وليتذكر أولوا الألباب﴾	٢٩	١٢، ٣٦، ٣٧
﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾	٣٩	٤٣٩
﴿مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾	٤١	٥٧٩

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾	٧١، ٧٢	١٩٢
﴿لما خلقت بيدي﴾	٧٥	٢٤٠
﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾	٨٢، ٨٣	٣١٨
(٣٩) ﴿سورة الزمر﴾		
﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾	٥	٣٥٩
﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾	٦	٨٤
﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾	٦	١٩٢
﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾	٧	٣٢١، ٣٢٧
﴿إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾	١٥	١٠٦، ١٣٣، ٢١٨
﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾	١٨	٣٩
﴿أفمن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾	٢٢	٨٥
﴿قرءانا عربيـا﴾	٢٨	٤٤
﴿ورجلا سلما لرجل﴾	٢٩	٣١٥
﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾	٤٢	٢٠
﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾	٦٤	٥٩
﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾	٦٨	١٩٨
﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا﴾	٧٣	٧٨

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٤٠) ﴿ سورة غافر ﴾		
﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾	١١	١٣٥
﴿ لمن الملك اليوم ﴾	١٦	٥٦
﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾	١٨	٥٦٨
﴿ ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾	٤٠	٣٨
﴿ فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾	٤٠	٤٣٩
﴿ مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني الى النار ﴾	٤١	٤٥٥
﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾	٤٦	٣٥٠،١٨٤،١٢١
﴿ إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا ﴾	٥١	٤١٥
﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾	٦٠	٣٩٦
﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾	٦١	٥٠١
(٤١) ﴿ سورة فصلت ﴾		
﴿ قرءانا عربيا ﴾	٣	٤٤
﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ... وبينك حجاب ﴾	٥	٢٥٧،٩١
﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾	٦، ٧	٣٠
﴿ ثم استوى الى السماء ﴾	١١	١٣٧
﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾	١٢	٣٠٢
﴿ أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾	١٣	١٩٨
﴿ أما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾	١٧	٦١ ، ٥٣٩

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾	٢٥	٤٣٧
﴿ وقالوا الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغـلبون ﴾........	٢٦	٧٤،٤٣
﴿ ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾........	٣٠	١٦٥
﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾........	٣٤	٢٤٣
﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾.......	٣٧	٤٩
﴿ اعملوا ما شئتم ﴾........	٤٠	٢١٣
﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من ين يديه ولا من خلفه ﴾.....	٤٢،٤١	٧٠، ٤٥

(٤٢) ﴿ سورة الشورى ﴾

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ قرءانا عربيـــا ﴾........	٧	٤٤
﴿ ليس كمثله شــيء ﴾........	١١	١١٤، ١٦
﴿ شرع لكم من الذين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ... ولا تتفرقوا فيه ﴾........	١٣	٣٠
﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾........	١٦	٣٤١
﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾........	١٧	٨٤
﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ﴾........	٢٣	٨٥
﴿ ومما رزقناهـــم ﴾........	٣٨	٨١
﴿ وجزاؤا سيئة سيئة مثلها ﴾........	٤٠	١٠٣
﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ... إنه على حكيم ﴾.......	٥١	١٤٣، ٨٣
﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾........	٥٢	٢٥٥
﴿ وإنك لتهـدي إلى صراط مستـقيم ﴾........	٥٢	٦٢

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٤٣) ﴿سورة الزخرف﴾		
﴿قرءانا عربيـــا﴾	٣	٤٤
﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾	١١	١٠٧
﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجه مسوداوهو كظيــم﴾	١٧	٤٧٠
﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾	١٩	٤٧٠
﴿إنا وجدنا ءاباءنا على أمة وإنا على ءاثارهم مهتدون﴾	٢٢	٣٢٧
﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾	٢٨	٣١٠
﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾	٣٢	٢٠٩، ٢٢٣
﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ... سقفا من فضة﴾	٣٣	٤٣٨
﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾	٣٦	٢٧٤، ٥٣٥
﴿وقالوا يا أيها الســاحر ادع لنا ربك﴾	٤٩	٢٧٦
﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾	٦٧	١٥٨، ٢٦٣
﴿وفها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾	٧١	٤٣٩
﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾	٨٤	٣٢٨
﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلــمون﴾	٨٦	٤٠، ٧٩
﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾	٨٧	١١١

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٤٤) ﴿ سورة الدخان ﴾		
﴿ إنا أنزلناه في ليلة مـباركة ﴾	٣	٣٩٢
﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾	٤	٥٦٧
﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ﴾	١٧	٢٧٧
﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهـــين ﴾	٢٥،٢٦،٢٧	٢٦
﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾	٣٨	٤٧٧
﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيا ﴾	٤١	١٨٢
﴿ ذق إنك أنت العزيز الكـــريم ﴾	٤٩	٥٣٩
(٤٥) ﴿ سورة الجاثية ﴾		
﴿ من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ﴾	١٠	٢٥٤
﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾	١٨	٣٠٦
﴿ أفرءيت من اتخذ إلهه هـــواه ﴾	٢٣	٣٠٦ ، ٥٦٦
﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾	٢٣	٩٠ ، ٩٢
﴿ إن هـم إلا يظنـــون ﴾	٢٤	١٧٨ ، ٢٣٩
(٤٦) ﴿ سورة الأحقاف ﴾		
﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾	١٥	٤٨١

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿هذا عارض ممطرنا﴾	٢٤	٤٣٥
﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾	٣٥	٥١٥ ، ٥١٦
(٤٧) ﴿سورة محمد﴾		
﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾	١	٣٦٤
﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ...... حتى تضع الحرب أوزارها﴾	٤	٤٠٨
﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم﴾	٤ ، ٥	٦٢
﴿ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ ...	١١	٥٣٤
﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾	١٢	٢٢٠
﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك﴾	١٣	٤٠٦
﴿واتبعوا أهواءهم﴾	١٤	١٥٥، ٢٩١
﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم﴾	١٧	٣٩،٦١،٦٢،٧٨،٢٠٩،١٦٨، ٥٣٣،
﴿أم على قلوب أقفالها﴾	٢٤	٩٠
﴿الشيطان سول لهم﴾	٢٥	٤٣٧
﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾	٣٠	٥٧٥
﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾	٣١	٣٥٠، ٣٥٢
﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾	٣٨	٥٥٣

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٤٨) ﴿ سورة الفتح ﴾		
﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾	١	٢٥٧
﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾	١٠	٩٦
﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾	١٠	١٣١
﴿ والهدى معــكوفا ﴾	٢٥	٣٩٨
﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ... لعذبنا الذين كفروا ﴾...	٢٥	٦
﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾	٢٦	٣٢٥
﴿سيماهم في وجوههم ﴾	٢٩	٥٧٥
(٤٩) ﴿ سورة الحجرات ﴾		
﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعــض ﴾	٢	٢٨٢
﴿ إنما المؤمــنون إخــوة ﴾	١٠	٤٥٣
﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾	١٣	١٢٠، ٤٢٣
﴿ قالت الأعراب ءامنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾	١٤	٢٩٤
﴿ لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم ﴾............	١٧	٢٢

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٥٠) ﴿ سورة ق ﴾		
﴿ وأحيينا به بلدة ميتا ﴾	١١	١٣٤
﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾	١٦	٣٩٥
﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾	٣٧	٩٢ ، ٥٦٧
﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾	٣٧	٥٠
(٥١) ﴿ سورة الذاريات ﴾		
﴿ وإن الدين لواقع ﴾	٦	٥٧
﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾	١٤	٢٧٦
﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	٢١	٣١٧
﴿ وفي السماء رزقكم ﴾	٢٢	٨١
﴿ فأخذتهم الصاعقة ﴾	٤٤	١٩٨
﴿ والسماء بنيناها بأييد ﴾	٤٧	٢٤٠
﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾	٤٩	١٢٧
﴿ أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾	٥٣	٣٠٤
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾	٥٦	٥٧ ، ١٣٩
(٥٢) ﴿ سورة الطور ﴾		
﴿ وأمددناهم بفاكهة ﴾	٢٢	١٠٣

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾	٢٥	٢٣
﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾	٤٨	٣٤٧
(٥٣) ﴿ سورة النجم ﴾		
﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾	١١	١٩٧
﴿ ولقد رءاه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ﴾	١٤،١٣	١٩٧
﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾	١٧	١٩٧
﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾	٢١	٤٧٠
﴿ وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾	٢٨	١٧٨
﴿ ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾	٣١	٢٩٢
﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾	٣٢	١٧٣
﴿ وابراهيم الذي وفى ﴾	٣٧	٣١٠
﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾	٣٩	١٨٢، ٢٢
(٥٤) ﴿ سورة القمر ﴾		
﴿ تجري بأعيننا ﴾	١٤	٧
﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر ﴾	٤٧	٦٧
﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾	٥٥،٥٤	١٩٦

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٥٥) ﴿ سورة الرحمن ﴾		
﴿الرحمن علم القرءان﴾	٢،١	٤٣٤
﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾	٩	٨١
﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾	١٥	١٠٣
﴿يخرج منهما اللؤلؤ﴾	٢٢	٤٧٥
﴿ويبقى وجه ربك﴾	٢٧	٢٩٤
﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان﴾	٣٩	٢٣
(٥٦) ﴿ سورة الواقعة ﴾		
﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما﴾		
﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾	٢٥	١٩
﴿وننشئكم في مالا تعلمون﴾	٣٣	٢٦
﴿أفرءيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾	٦١	١٢٥
﴿ ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾	٦٣، ٦٤	٤٥٨
﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾	٦٤	٥٤٧
	٨٢	٨١
(٥٧) ﴿ سورة الحديد ﴾		
﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾	٣	٥٢٨
﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾	٥	٥٨٧

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿ وءامنوا بالله ورسوله ﴾	٧	٢٢
﴿ ما لكم لا تؤمنون ﴾	٨	٥٠٧
﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾	١١	٢٠١، ٤٣٩، ٥٤٨
﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ ..	١٢	١٠٧
﴿ نقتبس من نوركم ﴾	١٣	١٠٦
﴿ اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها ﴾	١٧	١٣٤
﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد . . . ثم يكون حطاما ﴾	٢٠	٤٣٧
﴿ ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ﴾	٢٥	٥١٤
﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾	٢٥	٨٤
﴿ وليعلم الله من ينصره ﴾	٢٥	١٣٩
﴿ وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾	٢٦	٣١٠
﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا لله ﴾	٢٨	١١٠، ١٢٠
﴿ ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾	٢٨	٦١، ٥٣٣
(٥٨) ﴿ سورة المجادلة ﴾		
﴿ إن الذين يحادون الله ﴾	٥، ٢٠	٣٢٣، ٣٩٧
﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾	٧	٥٨٧
﴿ ويقولون في أنفسهم ﴾	٨	٩٤
﴿ إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين ءامنوا ﴾	١٠	٥٨٠

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
﴿أولئك حزب الشيطان﴾	١٩	٢٥٤، ٥٣٤
﴿يوادون من حاد الله﴾	٢٢	٤٥٤
﴿أولئك حزب الله﴾	٢٢	١٣٩
(٥٩) ﴿سورة الحشر﴾		
﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾	٢	١٣٧، ٤٣٤
﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾	٨	٤٠٦
﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾	٩	٣٧٧
﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾	٩	٥٨١
﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله﴾	١٨	٥٤، ١١٠، ١٢٠
﴿ولا تكونوا كالذين نسو الله فأنساهم أنفسهم﴾	١٩	٥٥، ٢٥٦
﴿لو أنزلنا هذا القرءان على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾	٢١	٢٣٤
﴿الخالق البارىء المصور﴾	٢٤	١٩٢
﴿يسبح له مافي السموات والأرض﴾	٢٤	٥٣
(٦٠) ﴿سورة الصف﴾		
﴿لم تقولون مالا تفعلون﴾	٢	١٧٦
﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾	٦	٣١٦
﴿من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾	١٤	٢١٤

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٦١) ﴿ سورة الجمعة ﴾		
﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾	٢	٦٧
﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾	٥	٢٢٠
﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾	٩	٤٢٠
﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا﴾	١٠	٤٢٣
﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾	١١	١٧٧
(٦٢) ﴿ سورة المنافقون ﴾		
﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾	١	٤٠،١٠٠،١١٧،٢٤٩،٤٢٨
﴿ذلك بأنهم ءامنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم﴾	٣	٩١
﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ ..	٦	٨٩
﴿وأنفقوا من ما رزقناكم﴾	١٠	٨١ ، ٤٤٤
(٦٣) ﴿ سورة التغابن ﴾		
﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾	١١	٦٢
﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾	١٦	٥٨١

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٦٤) ﴿ سورة الطلاق ﴾		
﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ﴾	١	٤٠ ، ٤٨٠
﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾	١	٤٧٥
﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ..	٢، ٣	١٢٠
﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما ءاتاها ﴾	٧	٤٨٢
﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ﴾	٨	٥٤٣
﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾	١٢	٣٦٠
﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾	١٢	٥٢٧
(٦٥) ﴿ سورة التحريم ﴾		
﴿ نبأني العليم الخبير ﴾	٣	١٤٢
﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾	٤	١١
﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾	٦	٤٩٧
﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾	٦	١١٦، ١٥١ ، ٢٢٠
﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾	١٢	٢٥٥
(٦٦) ﴿ سورة الملك ﴾		
﴿ الذي خلق سبع سموات ﴾	٣	٥٢٥
﴿ وإليه النشور ﴾	١٥	٥٤١

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٦٧) ﴿ سورة القلم ﴾		
﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾	١٠	٤٦٠
﴿ هماز مشـاء بنميـــم ﴾	١١	٤٢٨
﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾	٤٢	١٢
﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين ﴾.....	٤٤، ٤٥	٩٧
﴿ ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾	٤٨	٥١٦
(٦٨) ﴿ سورة الحاقة ﴾		
﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾	١١	١٠٤
﴿ ما أغنى عني ماليـــه ﴾	٢٨	٢٥٤
﴿ لا يأكله إلا الخاطئون ﴾	٣٧	٢٤٤
﴿ وما هو بقول شاعر ﴾	٤١	٤٦
(٦٩) ﴿ سورة المعارج ﴾		
﴿ إن الإنسان خلق هلوعا ﴾	١٩	٥٥٨
﴿ إذا مسه الشر جزوعا ﴾	٢٠	٥٥٨
﴿ وإذا مسه الخير منوعا ﴾	٢١	٥٥٨
﴿ إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾	٢٢،٢٣	١٦١
﴿ أولئك في جنات مكرمون ﴾	٣٥	١٦٢

الآيـــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٧٠) ﴿ سورة نوح ﴾		
﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾	١٥	٥٠١
(٧١) ﴿ سورة المزمل ﴾		
﴿قم الليـل إلا قلـــيلا﴾	٢	٣٣٦
﴿إن لك في النار سبحاً طويلا﴾	٧	١٤٠
﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾	٢٠	٥١٢،١١٦
﴿وءاخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾	٢٠	٤٢٠
(٧٢) ﴿ سورة المدثـر ﴾		
﴿وثـيابك فطهـر﴾	٤	١٢٧
﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾	٤٩	٥٠٧
(٧٣) ﴿ سورة القيامة ﴾		
﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾	١٦	٢٣٩
﴿تظـــن أن يفعل بها فاقرة﴾	٢٥	٥٦٥ ، ١١٦

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٧٤) ﴿سورة الانسان﴾		
﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾	١	١٥٩
﴿إنا هديناه السبيل﴾	٣	٦١
﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾	٩	٣٧٧، ٥٥٨
﴿ولا تطع منهم ءاثما أو كفورا﴾	٢٤	٤٩٠
(٧٥) ﴿سورة المرسلات﴾		
﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا﴾	٢٦،٢٥	١٥٨
﴿هذا يوم لا ينطقــــون﴾	٣٥	٢٣
﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾	٣٦	٣٧٤
(٧٦) ﴿سورة النازعات﴾		
﴿اذهب الى فرعـون إنه طغـــى﴾	١٧	١٥١
﴿ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها﴾	٢٧	١٣٦
﴿رفع سـمكها فسواها﴾	٢٨	١٣٦
﴿والأرض بعد ذلك دحاهـــا﴾	٣٠	١٣٦
﴿أخــرج منها ماءها ومرعاها﴾	٣١	١٣٦
﴿فأما من طغى وءاثر الحياة الدنيا﴾	٣٨،٣٧	٢٥٤
﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾	٤١،٤٠	١٦٥، ٥٣٠

الآيــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٧٧) ﴿ سورة عبس ﴾		
﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه﴾	٣٤ ، ٣٥	١٨٢
(٧٨) ﴿ سورة الإنفطار ﴾		
﴿إن الأبرار لفي نعيم ﴾	١٣	٣٧٦
﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾	١٩	٥٦
(٧٩) ﴿ سورة المطففين ﴾		
﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾	٤ ، ٥	١٧٨
﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾	١٤	٩٠
﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾	٢٢	٣٧٦
﴿ فاليوم الذين ءامنوا من الكفار يضحكون﴾	٣٤	١٠٤
(٨٠) ﴿ سورة الانشقاق ﴾		
﴿ وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾	٣ ، ٤	٥٦٠
﴿ فبشرهم بعذاب أليم﴾	٢٤	١٢٢ ، ٢٤٠

الآيــــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٨١) ﴿ سورة البروج ﴾		
﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾	١٠	٢٥٤
(٨٢) ﴿ سورة الأعلى ﴾		
﴿والذي قدر فهدى﴾	٣	٦٠
﴿قد أفلح من تزكى﴾	١٤	٣١، ٤٧٩
﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾	١٥	٣١
﴿إن هذا لفي الصحف الأولى - صحف إبراهيم وموسى﴾	١٨، ١٩	٣١
(٨٣) ﴿ سورة الفجر ﴾		
﴿إن ربك لبالمرصاد﴾	١٤	٤١٨
﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾	٢٢	٤٣٤
(٨٤) ﴿ سورة البلد ﴾		
﴿وهديناه النجدين﴾	١٠	٦١

الآيــــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٨٥) ﴿ سورة الشمس ﴾		
﴿ والقمر إذا تلاها ﴾	٢	٢٧٣
﴿ قد أفلح من زكاها ﴾	٩	٤٧٩،٣٣٠،٩١
﴿ وقد خاب من دساها ﴾	١٠	١٠٥،٤٩
(٨٦) ﴿ سورة الضحى ﴾		
﴿ ألم يجدك يتيما فأوى ﴾	٦	٢٤٦
﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾	٧	٤٢٠ ، ٦٧
﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾	١٠	٥٥٤
(٨٧) ﴿ سورة القدر ﴾		
﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾	١	٣٩٢
(٨٨) ﴿ سورة البنية ﴾		
﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله ﴾	٥	٦٥
﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾	٧	١٨٠ ، ١٢٠ ، ٦٥
﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن ... ورضوا عنه ﴾	٨	٦٥

الآيـــــة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
(٨٩) ﴿ سورة الزلزلة ﴾		
﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾	٥	٦٠
﴿ فمن يعمل مثال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾...	٧، ٨	٢٩٢ ، ٤٤٤
(٩٠) ﴿ سورة التكاثر ﴾		
﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾	٧	١٩٦
﴿ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴾	٨	٧٣
(٩١) ﴿ سورة الناس ﴾		
﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾	٤	٥٨.

فهرس
الأحاديث النبوية

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
١	- أبغض الحلال عند الله الطلاق	٤٧٣
٢	- أتانى ملكان فقعد أحدهما عند رأسة والآخر عند رجله	٢٧٥
٣	- اتقوا الغضب فإنه جمرة.	٦٦
٤	- اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله.	٥٧٥
٥	- أحلت لى ساعة من النهار.	٤٠٦ ، ٤٤٧
٦	- أخلص يكفيك القليل من العمل.	٣١٨ ، ٣٩٠ ، ٥٣١ ، ٥٩٤
٧	أخوف ما أخاف على أمتى.	٨٤
٨	- إذا تقر ب الناس الى خالقهم بالصلاة.	٩٠
٩	- إذا حلف أحدكم على شئ فرأى غيره	٤٦٠
١٠	- إذا صام أحدكم فلا يجهل	٤١٨
١١	- أربع من جاوزهن ففيه الحساب	٥٧٤
١٢	- الأرواح جنود مجندة	٣٤٩ ، ٥١١
١٣	- استفت قلبك وإن أفتوك	٩٢
١٤	- استقيموا ولن تحصوا	٦٧
١٥	- الإسلام يجب ما قبله	٤٠٧
١٦	- أشهر الحج شوال وذو القعدة	٤١٧
١٧	- أصبحت مؤمناً حقاً	١٥
١٨	- اصنعوا كل شئ إلا الجماع	٤٥٧
١٩	- أعتقها فإنها مؤمنة	٧٩
٢٠	- أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت	١٢٦ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٧٦
٢١	- أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك	٥٠٢
٢٢	- أعطيت أمتى ما لم يعط أحد	٣٥٣
٢٣	- أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه	٥٥

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
٢٤	- اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٣٤٠ ، ٤٦
٢٥	- الأعمال بالنيات	٥٣١ ، ٣١٨ ، ٩٧
٢٦	- أفشوا السلام بينكم تدخلوا جنة ربكم	٢٢٨
٢٧	- أكثر أهل الجنة البله	٤٢٧
٢٨	- أكرموا عمتكم النخلة	٥٦٠
٢٩	- أكون سمعه الذي يسمع به	٥٢٦
٣٠	- ألا إن كل ربافى الجاهلية فهو موضوع	٥٨٤
٣١	- اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة	٣٥٢
٣٢	- أما الزيادة فلا	٤٧٤
٣٣	- أما نقصان عقلهن فشهادتهن	٥٩٠
٣٤	- والامتنان بالمعروف فان ذلك يبطل الشكر	٥٥١
٣٥	- أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	٤٣٢، ٧٩
٣٦	- إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذ بات	١٧
٣٧	- أنا دعوة أبى إبراهيم	٣١٦
٣٨	- أنا سيد ولد أدم ولافخر	٥١٧
٣٩	- إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه	٥٦٣
٤٠	- إن الله تجاوز عن أمتى عما حدثت به نفسها	٥٩٥
٤١	- إن الله تعالى أذهب عنكم	٤٢٣
٤٢	- إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم	٤٦٢
٤٣	- إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد	٣٤٩
٤٤	- إن الله عز وجل لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم	٣٧٢
٤٥	- إن الله لا يقبل نافلة	٨٢
٤٦	- إ ن الله لما خلق العقل قال له أقبل	٤٩٨ ، ١٤٢

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
٤٧	- إن الله يقبل الصدقات	٥٨١
٤٨	- أنا مدينة العلم وعلىٌ بابها	٤٠٢،٢٠٤
٤٩	- إن أهل الجنةلايبولون ولا يتغوطون	١٢٥
٥٠	- إن تتصدق وأنت صحيح شحيح	٣٧٧
٥١	- إن تصدقت بحديقتى	٥٠٣
٥٢	- إن روح القدس نفث في روعى	٨٣
٥٣	- إ ن الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى دمه	٥٨٠
٥٤	- انظر الى من هو دونك	١٦٧
٥٥	- إن علما لا يقال ككنز لا ينفق منه	٨٢
٥٦	- إن الغضب من الشيطان	٦٦
٥٧	- إن فى أمتى لمروعين	٨٣
٥٨	- إن فى الإنسان مضغة	٤٦٢
٥٩	- إنك لعريض الوساد	٣٩٩
٦٠	- إنكن ناقصات الدين والعقول	٤٦٩
٦١	- إنما أهلك من قبلكم	٢٢٥
٦٢	- إنما تنصرون بضعفائم وتمطرون	٥٧٤
٦٣	- إنما مثلى ومثل الأنبياء	١٧٠
٦٤	- إن مكة حرمها الله عز وجل	٤٠٦
٦٥	- إن من البيان لسحرا	٢٢٥
٦٦	- إن المؤمن إذا أذنب ذنباً	٩٠
٦٧	- إن الميت ليرد على جماعة من الأموات	٣٤٩
٦٨	- إنهم يدخلون الجنة قبل آخرين	٦٤
٦٩	- إن يك فى هذه الأمة محدث	٨٣

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
٧٠	- أوتيت جوامع الكلم	٢٦
٧١	- أى الصلاة أفضل	٣٠٠
٧٢	- أيؤذيك هو أم رأسك	٤١٣
٧٣	- بعثت بالحنفية السهلة	٣٢٩
٧٤	- بين يدى الساعة سنون خداعة	٩٥
٧٥	- ترون ربكم عز وجل كما ترون القمر ليلة البدر	١٩٦
٧٦	- تعس عبد الدينار	٥٨
٧٧	- تناكحوا تكاثروا	٤٥٩
٧٨	- ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق	٤٧٧
٧٩	- ثلاثة لا يجدون ريح الجنة	٥٥٦
٨٠	- جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر	٥٠٢
٨١	- جاهدا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم	٤٤٨، ٥٠٢، ٥٩٥
٨٢	- جرد مرد مكحول	١٢٥
٨٣	- جعلت لي الارض مسجدا وطهورا	٢٩٧
٨٤	- جهادك هواك	٥٠١
٨٥	- حافظوا على الصلوات وصلاة العصر	٤٩٣
٨٦	- حفت الجنة بالمكاره	٤٤٣
٨٧	- دعى الصلاة أيام إقرائك	٤٦٦
٨٨	- رأس الدين الورع	٣٨٦
٨٩	- رأيت ربى فى بعض طرقات المدينة	١٩٦
٩٠	- رأيت نسمة أدم	٣٥٠
٩١	- رب ذي طمرين لايؤبه به لو أقسم على الله لأبره	٣٩٦
٩٢	- رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر	٥٦، ٤٤٥، ٤٤٨

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
٩٣	- رفع عن أمتى الخطأ والنسيان	١٧٥ ، ٢٠٣
٩٤	- روى أنه لما قدم مضارى نجران	٢٩٦
٩٥	- سائل العلماء وخالط الكبراء	٣٢٤
٩٦	- سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه	٥٦٩
٩٧	- سمعا لربى وطاعة	٤٧٨
٩٨	- سميت محمداوأحمد وخاتما	١٤
٩٩	- الشرك أخفى فيكم من دبيب النملة	٥٥٩
١٠٠	- شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	٤٩٣
١٠١	- شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى	٥٢٢
١٠٢	- شيبتنى هود وأخواتها	٦٧
١٠٣	- صيام شهر الصبر وثلاثة أيام	١٧٧
١٠٤	- ضرب الله مثلا صراطا مستقيما	٦٣
١٠٥	- عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل	٥٣١
١٠٦	- الغنى غنى النفس	٥٥٢
١٠٧	- فاستقم كما أمرت	٦٧
١٠٨	- فضلت على الأنبياء بست	٥١٦
١٠٩	- فقد كانت أحداكن تلبث سنة ثم ترمى ببعرة	٤٩٦
١١٠	- فكنت موضع اللبنة	٣٣٣
١١١	- قال: بل للأبد	٥٠٦
١١٢	- قال فى الجارية التى أشارت إلى السماء إنها مؤمنة	٢٤
١١٣	- كادت أمتى تكون أنبياء	٢٦ ، ٤٣
١١٤	- كاد الفقر أن يكون كفرا	٥٦٤
١١٥	- لاتترائى نارهما	٤٥٥

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
١١٦	- لاترفع عصاك عن أهلك	٢٠٨
١١٧	- لاتقاطعوا ولا تدابروا	١٣٢
١١٨	- لاتقوم الساعة حتى تظهر التحوت	٥٦٠
١١٩	- لا حتى تذوقى عسيلته	٤٧٥
١٢٠	- لا رضاعة بعد الحولين	٤٨٢
١٢١	- لاصفر	٢٢٦
١٢٢	- لاعيش إلا عيش الآخرة	٨٦
١٢٣	- لاوصية لوارث	٣٨٣
١٢٤	- لا يقبل الله صدقة وذو رحم محتاج	٣٧٩
١٢٥	- لايقبل منه صرف ولاعدل	١٨١
١٢٦	- لعن الله عشرة ، مشتريها وبائعها	٤٥١
١٢٧	- لما خلق الله الرحم قال أنا الرحمن	٥١
١٢٨	- لما خلق الله العقل	١٤١
١٢٩	- لما خلق الله المعيشة جعل البركة فى الحرث والنسل	٤٢٩
١٣٠	- لو أن لابن أدم واديين من مال لابتغى ثالثا	٢٨٤ ، ٥١٢
١٣١	- ليس شئ أحب الى الله من الحمد	٥٣
١٣٢	- لينظر أحدكم ما يتمنى فإنه لايدرى ما كتب له	٥٩٦
١٣٣	- ماتوا وهم فى النار	٢١٥
١٣٤	- ما السموات السبع فى جنب الكرسى إلا كحلقة	٥٢٥
١٣٥	- ما لا عين رأت ولا أذن سمعت	١٦٨ ، ٥٥٠
١٣٦	- ماالذى شيبك يا رسول الله	٦٧
١٣٧	- ما يمنعكم ورسول الله بين أظهراكم	٨٠
١٣٨	- المتشبع بما لا ينل كلابس ثوبى زور	٥٥٦

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
١٣٩	- المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله	٤٤٨
١٤٠	- مطل الغنى ظلم	٥٨٥
١٤١	- مكتوب على باب الجنة القرض بثمانية عشر	٥٨٢
١٤٢	- من اجتهد فأخطأ فله أجر	٢٠٣
١٤٣	- من اجتهد فأصاب فله أجران	٦٧
١٤٤	- من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٢٦٦
١٤٥	- من أزلت إليه نعمة فليشكرها	١٥٦
١٤٦	-من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته	٣٥٤
١٤٧	- من أعطى عطية وهو طيب النفس بها بورك فيها	٥٥١
١٤٨	- من أنظر معسرا كان فى ظل الله	٥٨٦
١٤٩	- من حج ولم يرفث ولم يفسق	٤٢٦
١٥٠	- من حفظ القرءان ثم نسيه لقى الله وهو أجزم	١٧٥
١٥١	- من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار	٣٥٦
١٥٢	- من سن سنة حسنة فله أجرها	٢٤١
١٥٣	-من سن سنة سيئة فعليه وزرها	٣٨٣
١٥٤	- من سن سنة فى الإسلام	١٧٠
١٥٥	- من شدد على امرئ فى التقاضى إذا كان معسرا	٥٨٦
١٥٦	- من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل	٣٣٥
١٥٧	- من صلى ركعتين مقبلا بقلبه	٨١
١٥٨	- من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر ماله وأهله	٤٩٣
١٥٩	- من فسر القرءان برأيه فأصاب فقد أخطأ	٣٧
١٦٠	- من فسر القرءان برأيه فليتبوأ مقعده	٣٧
١٦١	-من قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ودمه	١٦٨

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
١٦٢	- من قال لا إله إلا الله مخلصا	٧٩
١٦٣	- من لاحياء له فلا إيمان له	١٢٨
١٦٤	- من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله	٤٥١
١٦٥	- من مات على دين عيسى قبل أن يسمع بى	٢١٥
١٦٦	- من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة	٥٩٥
١٦٧	- من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه	٧٧
١٦٨	- المؤمن مألف ولا خير فيمن لا يؤلف	١٣٢
١٦٩	- نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها	١٠
١٧٠	- نعم الرجل منهم خريم	٤٥٨
١٧١	- نية المؤمن خير من عمله	٩٧
١٧٢	- هذا شهر الصبر	٣٨٦
١٧٣	- هذا مصرع فلان غدا وهذا مصرع فلان	٢٣٦
١٧٤	- هذان حرام على ذكور أمتى	١٥٤
١٧٥	- هل وجدتم ما وعد ربكم حقا	٣٤٩
١٧٦	- والإثم ماحاك فى صدرك	٢٥١
١٧٧	- وأى داء أدوى من البخل	٥٦٦ ، ٩٩
١٧٨	- والذى نفسى بيده إن فيها أكلا وشربا	١٢٦
١٧٩	- والذى نفس محمد بيده لو لم يستثنوا	٢٢٧
١٨٠	- ياعلى إذا تقرب الناس إلى خالقهم بالصلاة والصوم	٤٩٩
١٨١	- يقول الله عز وجل الصوم لى وأنا أجزى به	٣٩٠

فهرس الأبيات الشعرية

(فهـــرس الأبيات الشعرية)

م	البيت		قائله	الصفحة
	{حــــرف الألــــف}			
١	إذا أثنى عليك المرء يوماً	كفاه من تعرضك الثناء	أمية بن أبى الصلت	٣٣٦
٢	وإنما أمهات الناس من أوعية	مستودعات وللأحساب آباءُ	-	٤٨٢
٣	فليس الرزق عن طلب حثيث	ولكن ألق دلوك فى الدلاءِ	أبو الأسود	٤٠٠
٤	ليس من مات فاستراح بميت	إنما الميت ميت الأحياءِ	عدي بن علاء	٥٠٠
٥	ليس يعطيك للرجاء ولا للخو	ف ولكن يلذ طعم العطاءِ	بشار بن برد	٣٧٧
٦	والحوت يسبح فى السما	ء كسبحه في الماء	ابن هرمة	٤١
	{حــــرف البــــاء}			
٧	يا مرسل الريح جنوبا وصبا	إن غضبت قيس فزدها غضباً	الأخطل	٦٩
٨	وإن أتوك فقالوا إنها نصف	فإن أمثل نصفيها الذى ذهبا	-	٢٢٥
٩	قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم	شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا	الحطيئة	٤٣٢
١٠	حبانا به جدنا والإله	وضرب لنا جذم صائبُ	-	١٠
١١	وقد جعلت قلوص بنى سهيل	من الأكوار مرتعها قريبُ	رجل بن بحتر	٤١٣
١٢	أما عظامها فبيض	وأما جلدها فصليب	علقمة	٩١
١٣	فلابنة حطان بن عوف منازل	كما رقش العنوان فى الرق كاتب	الاخنس بن شهاب التغلبي	١٠٨
١٤	تخف بهم بيض الوجوه وعصبة	كراسى بالأحداث حين تنوبُ	-	٥٢٤
١٥	وما مثله فى الناس إلا مملكاً	أبو أمه حي وأبوه يقاربهُ	الفرزدق	٦
١٦	رعته الفيافي بعدما كان حقبة	رعاها وماء الروض ينهل ساكبهْ	أبو تمام	٦٣
١٧	أخوك الذى إن ربته قال إنما	أريت وإن عاتبته لان جانبه	بشار بن برد	٧٥
١٨	وما الحسب الموروث لادر دره	بمحتسب إلا بآخر مكتسبْ	ابن الرومى	٥٠٨
١٩	إذا الغصن لم يثمر وإن كان شعبة	من الثمرات اعتده الناس في الحطب	ابن الرومي	٥٠٨
٢٠	تخرصاً وأحاديثا ملفقة	ليست بنبع إذا عدت ولاغرب	أبو تمام	٩١
٢١	من كان فى الدنيا بغير حبيب	فحياته فيها حياة غريب	ديك الجن	٩٢

م	البيت		قائله	الصفحة
٢٢	ما كان في صور الجنان لآدم	لو لم تكن حواء من مرغوب	ديك الجن	٩٣
٢٣	قد كان في الفردوس يشكو وحشة	فيها فلم يأنس بغير حبيب	ديك الجن	٩٣
٢٤	ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم	بهن فلول من قراع الكتائب	النابغة	٣٤٢
	{حـــرف التـــاء}			
٢٥	بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم	ولم يكثر القتلى بها حيت سلُّتِ	الفرزدق	٥٩
٢٦	جهلت ولم تعلم بأنك جاهل	وذاك لعمرى من تمام الجهالة	–	١٠٢
	{حـــرف الحـــاء}			
٢٧	ألم تر أن جمع القوم يخشى	وأن حريم واحدهم مباحُ	ناهض الكلابى	٥٠٠
٢٨	تجلي غطاء الرأس عني ولم يكد	غطاء فؤادى ينجلى أو يستريحُ	–	٣٦٤
	{حـــرف الـــدال}			
٢٩	ففي كل شئ له آية	تدل على أنه الواحد	أبو العتاهة	٥٣
٣٠	إن الكريم من تلفّت حوله	فإن اللئيم دائم الطرف أقودُ	حاتم الطائى	١٥٠، ٤٢٧
٣١	بجهل كجهل السيف والسيف منتضى	وحلم كحلم السيف و السيف مغمدُ	–	١٦٤، ٥٩١
٣٢	إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد	بفضل الغنى ألفيت مالك حامدُ	حاتم الطائى	٤٥٢
٣٣	فثم الفتى كل الفتى كان بينه	وبين المراجى نفنف متباعدُ	–	١٧٥
٣٤	وقد أسمعت لو ناديت حيا	ولكن لا حياة لمن تنادى	كثير عزة	١٣٤
٣٥	والصبر بالأرواح يعرف فضله	صبر الملوك وليس بالأجساد	أبو تمام	٢١٠
٣٦	أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى	عقيلة مال الفاحش المتشدد	طرفه بن العبد	٥٦٥
٣٧	إنك لو ذقت الكسى بالأكباد	لما تركت الضب يعدو بالوادِ	–	٣٦٥
٣٨	وليس على الله بمستنكر	أن يُجمع العالم فى واحد	أبو نواس	٣٢١
	{حـــرف الـــراء}			
٣٩	لا أرى الموت يسبق الموت شئ	نغص الموت ذا الغني والفقيرا	عدى بن زيد	١٦٤
٤٠	كما أسلم السلك من نظمه	لآلى منحدرات صغارا	–	١٩٢

م	البيت		قائله	الصفحة
٤١	إن الليالى والأيام لو بحثت	عن عيب نفسهما لم تكتم الخبرا	–	٤٣٣
٤٢	تغلغل حيث لم يبلغ شراب	ولاحزن ولم يبلغ سرورُ	عبيد الله	٢٦٣
٤٣	قضى الله فى بعض المكاره للفتى	برشد وفي بعض الهوي ما يحاذرُ	حميد بن ثور	٤٤٦
٤٤	مخلفون ويقضى الله أمر هموا	وهم بغيب وفى عمياء ما شعرواُ	الأخطل	١١٨
٤٥	إنما نعمة المرء متعة	وحياة المرء ثوب مستعارف	الأقوه الأودى	٤٠٦
٤٦	جمالية تعتلى بالردف	إذا كذب الآثمات الهجيرُ	الأعشى	٢٥٠
٤٧	ولى مائح لم يورد الماء قبله	معل وأشطان الطوى كثيرُ	العجير السلوى	٤٠٠
٤٨	وأراك تفرى ما خلقت وبعـ	ض القوم يخلق ثم لايفرى	زهير بن سلمى	١١٠
٤٩	النازلين بكل معترك	والطيبون معاقد الأرز	الخرنق بنت هفان	٣٧٨
٥٠	والستر دون الفاحشات ولا	يلقاك دون الخير من ستر	زهير بن أبى سلمي	٤٨٧
٥١	يضع الزيارة حيث لايزرى بنا	شرف المزور ولايحسب الزّوّر	حميد بن ثور	٥٣٦
٥٢	إذا الليل عن بشر تخلى رميته	بأمثال أبصار النساء القواري	–	٥٤٢
٥٣	ويسلب قوماً آخرين به	الله من ذا يستعمر وبارى	–	٥٠٤
٥٤	إلى الحول ثم اسم السلام عليكما	ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر	لبيد بن ربيعة	٤٧
	حـــرف السـيـن			
٥٥	كأن الخلق رُكب فى مثال	له جس وأنت عليه رأسُ	أبو العتاهية	٥٠٦
٥٦	الناس جسم وإمام الهدي	رأس وأنت العين فى الرأس	العكوك	٢٧٢
	حـــرف الضـــاد			
٥٧	يارب ذى ضغن علي فارض	له قرق كقرء الحائض	–	٤٦٦
	حـــرف العــين			
٥٨	مريضات أدبات التهادى كأنما	تخاف علي أحشائها أن تقطعا	السعيد	٤١٠
٥٩	فالنفس راغبة إذا رغبتها	وإذا ترد إلى قليل تقنعُ	أبو ذؤيب	٢٨٦
٦٠	فإن نك أهملنا فأضعف بسعينا	وإن نك أجبرنا ففيم نتعتعُ	أبو تمام	٤٦

م	البيت		قائله	الصفحة
٦١	فإذا هم طعموا فألأم طاعم	وإذا هم جاعوا فشر جياع	رجل جاهلى	١٧٠
٦٢	قالت ولم تصد لقيل الخناهلا	فقد أبلغت إسماعى	–	٢١٧
٦٣	وخيل قد دلفت لها بخيل	تحية بينهم ضربٌ وجميعُ	عمرو بن معد يكرب	٦١٠
	حرف القاف			
٦٤	عمرى لقد نصح الزمان وإنه	لمن العجائب ناصح لايشفقُ	أبو تمام	٣٦٦
٦٥	وإنى فى بثى ثنائك جاهداً	وقد علمت أضعاف ذاك الخلائقُ	–	٥٦٧
٦٦	كمن قال إن الثلج أبيض بارد	وأن شهاب النار أحمر حارقُ	–	٥١٧
٦٧	وهذا وهذا بنيان كلاهما	لمن هو رائى ولمن هو ذائق	–	٥١٦
٦٨	إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت	له من عدو فى ثياب صديق	أبو نواس	٣٦٦
٦٩	لأن أرجى عند العرى بالخلق	وأجترى من كثير الزاد العلق	محمد بن بشير	٥٥٤
٧٠	خير وأكرم لي من أن ترى منن	معقودة للئام الناس فى عنقى	محمد بن بشير	٥٥٤
	حرف الكاف			
٧١	ويقبح من سؤال الشئ عندى	فتفعله فيحسن منك ذاكا	أبو نواس	٥٨
٧٢	نالوا السماء فأمسكوا بعنانها	حتي إذا كانوا هناك استمسكوا	–	١١٢
٧٣	فتي ملك اللذات أن تعتبدنه	وما كل ذى لب لهن بمالك	أبو العتاهية	٢١٠
	حرف اللام			
٧٤	قد تخللت مسلك الروح مني	وذا سُمي الخليل خليلا	بشار	٥١٠
٧٥	وجاعل الشمس مصراً لاخفاء به	بين النهار وبين الليل قد فصلا	عدي	٥١٢
٧٦	أصبحت لا رجلاً يغدو لمطلبه	ولاقعيدة بيت تحسن العملا	أبو نصر بن نباته	٤٦٧
٧٧	ولم أر كالمعروف أما مذاقه	فحلو وأما وجهه فجميلُ	أبو تمام	٤٧١
٧٨	جزى الله بالخيرات ما فعلا بكم	وأبلاها خير البلاء الذي يبلوُ	زهير بن سلمى	١٨٥
٧٩	أرى العمر كنزاً ناقصاً كل ليله	وما تنقص الأيام والدهر ينقلُ	طرفه بن العبد	٢٦٩
٨٠	ليس العطاء من الفضول سماحة	حتي تجود وما لديك قليلُ	المقتنع الكندي	٥٥٠

م	البيت		قائله	الصفحة
٨١	ماروضة من رياض الخزن معشبة	خضراء جاد عليها مسبل هطلُ	الأعشى	٥٠٨
٨٢	ربما تجزع النفوس من الأمـ	ـر له فرجه كحل العقالِ	آمية بن أبى الصلت	١٢٨
٨٣	لايطمع المرء أن تجتاب غمرته	بالقل إن له جسراً من العمل	أبو تمام	٥٨٣
٨٤	إن التى ناولتنى فرددتها	قُتلَت قُتلَت ، فهاتها لم تقتلِ	حسان بن ثابت	١١٣
٨٥	وما المرء مادامت حشاشة نفسه	بمدرك أطراف الخطوب ولا آل	امريء القيس	١
٨٦	جهلت ولم تعلم بأنك جاهل	وذاك لعمرى من تمام الجهالةِ	–	١٠٢
	حـــرف الـمــيـم			
٨٧	ثقال الحفان والحلوم رحاهم	رحي الماء يكتالون كيلا عذمزما	–	٤١
٨٨	لايكتمن ذاك الطبيبا	ولا الصديق سرك المكتوما	–	٥٢٠
٨٩	لعلى إن مالت بي الريح ميلة	علي بن أبي دبان أن يتندما	ثابت قطنة	٤٨٦
٩٠	تسلف الجار شرباً وهى حاتمة	ولا يبيت على أعناقهم قسمُ	–	٤٦٠
٩١	إذا كان الشباب يعد شيباً	وهماً فالحياة هي الحمام	المتنبى	٣٥١
٩٢	لاتنه عن خلق وتأتى مثلة	عار عليك إذا فعلت عظيمُ	أبو الأسود	١٧٦
٩٣	ترى الأرض منا بالفضاء مريضة	معضلة منا بجمع عرمرم	أوس	٢٧٨
٩٤	ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم	وهل بطن عمرو غير سبر لمطعم	–	٣١٣
٩٥	أعطيت مالم تعطه ولو انقضى	حسن اللقاء حرمت من لم تحرم	أبو تمام	٢١
٩٦	الريح يبكى شجوها	والبرق يلمع فى غمامه	يزيد بن مفرع	٣٢
٩٧	أناة فإن لم يغن عقب بعدها	وعيداً فإن لم تغن أغنت عزائمه	–	٤٠٤
٩٨	فسقى ديارك غير مفسدها	صوب الربيع وديمة تهمى	طرفه بن العبد	١٠٨
٩٩	رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى	فكيف بمن يرمي وليس برامى	عمرو بن قتيبه	٥٠٢
١٠٠	إذا أيقظتك حروب العدا	فنبه لها عمراً ثم نمْ	بشار بن برد	٥٢٤
	حـــرف الـنـــون			
١٠١	ألا لا يجهلن أحد علينا	فنجهل فوق جهل الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	٢٠٩

م	البيت		قائله	الصفحة
١٠٢	ومن أعظم الرزء فيما أرى	بقاء البنات وموت البنين	البحتري	١٨٦
١٠٣	حولى بكل مكان منهم خلق	تخطى إذا جئت فى استفهامهم بمنِ	المتنبى	٢٢١
١٠٤	ما بالمدينة دار غير واحدة	دار الخليفة إلا دار مروان	الفرزدق	٣٤٢
١٠٥	فأشربتها الأقران حتى وقصتها	بقرح وقد ألقين كل جنين	لص أسدى	٢٦٣
١٠٦	ولقد أمر على اللئيم يسبنى	فمضيت ثمة قلت لايعنينى	شمر بن عمرو الحنفى	٢٦٠
١٠٧	يقول إذا درأت لها وضينى	أهذا دينه. أبداً ودينى	المثقب العبدي	٣٥٧
١٠٨	أخذت بحبل من حباك محمد	أمنت به من طارق الحدثان	أبو نواس	٥٢١
١٠٩	فقلت كفى لك رهن بالرضا	فوضع الكف موضع اليمين	–	٤٦٠
١١٠	ومنعك للندى بجميل قول	أحب إلى من بذل ومنّة	–	٥٥٣
	حرف الهاء			
١١١	إذا جلست عند الإمام كأنها	بها رفقة من ساعة تستحيلها	الفرزدق	٥٤١
١١٢	ولا تدفننى بالفلاة فإننى	أخاف إذا ما مت ألا أذوقها	أبو محجن الثقفى	٤٧١
١١٣	أفتلك أم وحشية مسبوعة	خذلت وهادية الصوار قوامها	الأخنس بن شهاب	١٠٨
١١٤	بحر يجود بمالة وبجاهه	والجواد كل الجود بذل الجاه	مسلم بن الوليد	٨٢
	حرف الياء			
١١٥	يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم	وترمى النويي بالمقترين المراقيا	إياس بن القايف	٥٥٣
١١٦	مطيات السرور فويق عشر	إلى عشرين ثم قف المطاياً	ابن طاهر	١٤ ، ٥٦١

(فهـــرس أنصاف الأبيات)

أ - الأعجــاز

م	العجـــز	قائلـه	الصفحة
	[حــرف الحـــاء]		
١	وكنت في نعمائه سابحا		٥٤٢
٢	إذا هبت لقارئها الرياح	تأبط شراً	٤٦٦
	[حــرف الـــدال]		
٣	ونجعل نجوانا نجاة من العدا	–	١٨٣
٤	خذها خذيف فأنت السيد الصمد	–	٩٦
٥	والجود بالنفس أقصى غاية الجود	مسلم بن الوليد	٨٢
٦	وتقيم سالفة العدو الأصيد	–	٤٢٧
٧	وجرح للسان كجرح اليد	امرؤ القيس	١٦٠
	[حــرف الـــراء]		
٨	وفلاح يسوق لها حمارا	عمرو بن أحمد الباهلي	٨٦
٩	كما ألغيت في الدية الحوارا	ذو الرمة	٤٦١
١٠	ويوماً شهدناه سليماً وعامراً	–	١٨٢
١١	ونرجو النجاة بعد عاد وحميرا	لبيد	٨٦
١٢	عطاياه يحصى قبل إحصائها القطرُ	دعبل الخزاعي	٤٣٨
١٣	وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا	الأخطل	٢٣
١٤	فإن جلهم أوكلهم بقرُ	أبو تمام	٢٦٥
١٥	وما ذنبه إن عافت الماء باقرُه	الأعشى الكبير	٢٢٢
١٦	داهية قد صغرت من الكبر	النابغة الذبياني	٤٨٩
١٧	ألقت ذكاء يمينها في كافر	ثعلبة بن صغير المازني	٨٧
١٨	ترى الأكم فيه سجداً للحوافر	زيد الخيل	١٤٨
١٩	كالكرم إذا نادى من الكافور	–	٩٧

م	العجـــز	قائلـه	الصفحة
	[حـــرف العـــين]		
٢٠	وبعد عطائك المائة الرتاعا	القطامي	٤٧
٢١	له من عدو مثل ذلك شافعُ	النابغة	١٨١
٢٢	تحية بينهم ضرب وجيع	عمرو بن معد يكرب	١٢٢
٢٣	لقد نطقت بطلاً على الأفارع	النابغة الذبياني	١٧٢
	[حـــرف القـــاف]		
٢٤	قالا جناحاه لرجليه الحقا	-	٢٦٢
٢٥	نجوت وهذا تحملين طليق	يزيد من مفرغ	٢٥٠
٢٦	ألقيت ليلة خبت الرهط الرواقي	تأبط شراً	١٨٣
٢٧	واغترفي من تربها الأدق	-	٥٥٥
	[حـــرف الكـــاف]		
٢٨	كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا	أبو الأسود الدؤلي	٢٧٢
٢٩	يبرك الناس ويفخرونكا	رؤبة بن العجاج	١٧٤
	[حـــرف اللام]		
٣٠	ويرى فيحسبه القتيل قتيلا	-	٤٢١
٣١	لا يستطيع بها الفراد مقيلا	الراعي النميري	٥٠٦
٣٢	كما قسم الترب الصبي المقابل	-	٥٥٥
٣٣	دويهية تصغر منها الأنامل	لبيد	٢٨٩
٣٤	كأنك تعطيه الذي أنت سائله	زهير بن أبي سلمى	١٩٠
٣٥	إنما الدنيا كظل زائل	ابن الزيات	٦٤
٣٦	ولابد دون الشهد من إبر النحل	المتنبي	٢٤٣
٣٧	أقر كما قر الخليلة للبعل	-	١٥٠

م	العجـــز	قائلــه	الصفحة
	[حـــرف الميـــم]		
٣٨	ومن يغو لا يعدم على الغي لائما	المرقش الأصغر	٥٧٢
٣٩	فواحدهم في الورى عالم	—	١٨٠
٤٠	وما ليل المطي بنائم	جرير	٢١
٤١	خلاص الخمر من نسج الفدام	المتنبي	٢٦٤
٤٢	والكلم الأصيل كأرغب الكلم	طرفة بن العبد	١٦٠
	[حـــرف النـــون]		
٤٣	فقلنا أحسني ملأ جهينا	ابن عبد العزيز الجهيني	٥٠٥
٤٤	فنجهل فوق جهل الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	٩٦
٤٥	إذا الناس ناس والزمان زمان	عرقلة الكلبي	١٠١
٤٦	كأن الخلق في تمثال إنسان	أبو نواس	٤٢١
	[حـــرف الهـــاء]		
٤٧	وكيف أذكر من لست أنساه	أحد الصوفية	٣٤٤

(فهـــرس أنصاف الأبيات)

ب - الصـــدور

م	الصـــدر	قائلـه	الصفحة
١	أأن ترسمت من خرقاء منزلة	ذو الرمة	٧٢
٢	أري الماء أفياء الظلال عشية	–	٤٦٣
٣	ألا أيها الزاجري أحضر الوغى	طرفة بن العبد	٢٤٦
٤	ألم تر أن الله أعطاك سورة	النابغة	١١٦
٥	امتلأ الحوض وقال قطني	–	٢٦٢،٩٤
٦	إن تصدق الطير ننك لميسا	ابن عباس	٤١٧
٧	باسم الذي في كل سورة اسمه	رؤبة بن العجاج	٤٨
٨	بكرت تلومك بعد وهن في الندى	ابن خمرة النهشلي	٢٢٤
٩	بلغنا السماء بأحسابنا	–	١٠٨
١٠	جزيناك ضعف الود	أبو ذؤيب الهذلي	٥٠٣
١١	درس المنا بمتالع فأبان	لبيد بن ربيعة	١٦
١٢	رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى	عمرو بن قميئة	٥٦٢
١٣	طافت ثلاثاً بين يوم وليلة	–	٥٨٦
١٤	فاقطع لبانة من تعرض وصله	لبيد / في المعلقة	
١٥	فلست بإنسي ولكن الملاك	علقمة بن عبدة	١٣٨
١٦	فما للنوى جذ النوى قطع النوى	–	٥٩١
١٧	قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا	–	١٣٠
١٨	كذبتك عينك أم رأيت بواسط	الأخطل	٢٨٩
١٩	كل امريء راجع يوماً بشهية	–	٥٠٥
٢٠	كل امريء مقاتل عن طوقه	–	٣٨٨
٢١	كل امريء يبدي الذي في خلقه	–	[illegible]
٢٢	كلوا في بعض بطنكم تعفوا	–	[illegible]
٢٣	لا أري الموت يسبق الموت شيء	عدي بن زيد	[illegible]
٢٤	نبال كستها ريشها مضرحية	–	٣٠
٢٥	وصاعد في هضاب المجد يطلعها	البحتري	١٥٨

فهـــرس الأمـــثال

مسلسل	المثل	رقم الصفحة
١-	- إجعل سرك فى وعاء غير سرب	٥١٠
٢-	- أحشفا وسوء كيلة	١٨
٣-	- أخدع من ضب	٩٥
٤-	- تسمع بالمعيدى خير من أن تراه	٨٨
٥-	- الصيف ضيعت اللبن	١٨
٦-	- يداك أوكتا وفوك نفخ	٢١

فهـــرس الأعـــلام

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة الوارد بها
(أ)	
إبراهيم عليه السلام	١٧ ، ٤٢ ، ١٦١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٦٧ .
ابليس	١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ٢٧١
أبى بن كعب	٢١٢ ، ٢٤٦ ، ٤٤٠ ، ٥٨٦
أحمد	١٤ ، ٦٢ ، ٩٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٩٧ ، ٢١٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٤٠٣
الأخفش	٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٢٤٦ ، ٣٣٧ ، ٥٠٧
آدم	١١٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ٢٠٠
إسحق	١٤٩ ، ٣٢٢
أسماء بنت أبى بكر	٥٧١
إسماعيل عليه السلام	٣١٤ ، ٣٢٢
الأصم	٣٨٩ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤١٨ ، ٤٨٥ ، ٥٤٥
أبو أمامة الباهلى	٥٨٢
الأوزاعى	٤٧٤
أيوب	١٤٩ ، ٥٧٩
(ب)	
البراء	٤٩٣
أبو بكر الصديق	٣٧ ، ٥٢٨ ، ٥٧٨

الاسم	الصفحة الوارد بها
أبو بكر النقاش	٥٤٥
البلخي	٩٢ ، ٢٣٣
(ث)	
ثابت بن قيس	
(ج)	
جابر	٤٨١ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢
الجاحظ	٣٨١
الجبائى	٦٨ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٦٠ ، ٢٣٣ ، ٥٧٩
جبريل	١٦ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ١٤٣ ، ١٨٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠،
	٢٧١ ، ٤٣٤ ، ٤٧٧ ، ٥١٧ ، ٥٨٧،
ابن جريج	٧٤ ، ١٨٦ ، ٢٣٤ ، ٢٦٣
جعفر الصادق	٥٤ ، ٦٩ ، ١٩٣ ، ٢٦٧ ، ٥٨٢
أبو جمعة	٧٩
(ح)	
حارثة	١٥
ابن حبيش	٣٩٣
حذيفة	٤٧٤
الحسن بن على	٦٨ ، ٧٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ٢٣٥ ، ٣٠٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ،
	٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٣٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٧٤ ، ٤٨٥
	٤٨٨، ٥٣٤ ، ٥٧١ ، ٥٨٦
الحسين بن على	٥٠٠ ، ٥٨٦ ، ٥٩١
أبوحنيفة	٩٤ ، ٢٦٧ ، ٣٩٣ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٦٢
	٤٦٣، ٤٦٤ ، ٤٨٥ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٥٧١

الاسم	الصفحة الوارد بها
(خ)	
خريم	٤٥٨
الخضر	٥ ، ١٤ ، ٢٠٩
الخليل	٥٦٩
(د)	
داود عليه السلام	٥١٣
ابن داود	٤٦٧
(ذ)	
أبو ذر الغفارى	١٧٤ ، ٣٧٦ ، ٥٢٥
(ر)	
الربيع بن أنس	٧٥ ، ٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٣٠٥ ، ٣٧١ ، ٣٨٤ ، ٥٨٩، ٥٩٠
(ز)	
الزبيرى	٧٥ ، ٢٣٥، ٢٤٤
الزجاج	٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ٣٣٤ ، ٤٨٦
زيد بن ثابت	٤٩٢
زيد بن مسلم	٤٤٣ ، ٤٨٨
ابن زيد	٢٣٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٥٣٠ ، ٣٧١ ، ٥١٢ ، ٥٣٠ ، ٥٧٥ ، ٥٩١،
(س)	
السدى	١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٦٣ ، ٣١١ ، ٣٢٨ ، ٤٤٠ ، ٥٠٠، ٥١٢ ، ٥٣٠ ، ٥٧٥

الاسم	الصفحة الوارد بها
سعيد بن جبير	٦٩ , ٤٦١ , ٤٧٤ , ٤٨٨ , ٤٩٨ , ٥٢٩
سعيد المسيب	٢١٥ , ٤٦٤ , ٤٧٤ , ٤٧٥
أبو سعيد الخدرى	٢١٥ , ٢٤٠
سفيان بن عينية	٥٧٢ , ٥٩٠ , ٥٧٤ , ٥٩٠
سلمان الفارسى	١٠٠ , ٢١٥ , ٢٧٧ , ٤٣٩
ابن سلمة	٥٥
سليمان عليه السلام	٢٧٧ , ٤٣٩ , ٥٣٧
سيبويه	٤ , ٤٠ , ٤٩ , ٧٢ , ٩٤ , ٣٣٧ , ٥٩٠
ابن سرين	١١٢
(ش)	
الشافعى	٤٠ , ٢٨٧ ٣٧١ , ٣٨٠ , ٣٨٩ , ٣٩٣ , ٤١٢ , ٤١٣ , ٤١٤ ٤١٧، ٤٢٦ , ٤٦٢ , ٤٦٤ , ٤٦٦ , ٤٦٧ , ٤٧٣ , ٤٧٩. ٤٨٥ , ٤٩٠ , ٤٩١
شداد بن أوس	٥٣٧
شريح	٥٨٦
الشعبي	٣٨٩ , ٤٨٥ , ٤٨٨
شعيب عليه السلام	١٧٦
(ص)	
صهيب بن سيار	٤٣١
(ض)	
الضحاك بن مزاحم	٥٠٠، ٥٣٠ , ٥٨٦

الاسم	الصفحة الوارد بها
(ط)	
طالوت	٥٠٧، ٥٠٩، ٥١١
طاوس بن كيسان	٣٨٣، ٣٨٤، ٤١٤، ٤٧٤
(ع)	
أبو العالية	٢١٨، ٢٤٨، ٤٩٨، ٥٢٩
عائشة رضى الله عنها	٢٨٤، ٣٥٥، ٤١٤، ٤٢١
ابن عباس	٣٤، ٥٢، ٥٤، ٥٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٨٢، ٨٥، ٨٨، ١٠٢، ١١٢، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٤٩، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٥٠، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٧، ٤٢١، ٤٤٠، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥١٢، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٧
أبو العباس	٥٠٧
عبدالله بن سلام	١٠٢
أبو عبيد	٣٧٤
أبو عبيدة	٤٧، ٧٤، ٧٥، ١١٣، ٣٠٩، ٣٤٢
عثمان بن عفان	٢٣٩
عدي بن حاتم	٣٩٩
عزير	٢٦٧، ٣٠٠
عطاء	٧٩، ٣١١، ٣٨٧، ٤١٤، ٤٥٢، ٤٦٤

الاسم	الصفحة الوارد بها
عطية بن الأسود	٣٩٢
على بن أبى طالب	١١ ، ٣٩ ، ٦٣ ، ٩٠ ، ١٨٥ ، ٢٦٦ ، ٣٤٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣، ٤٣٩ ، ٤٧٣ ، ٥١٠
أبو على الغنوى	٦٨ ، ٨٧
عمر بن الخطاب	٨٣ ، ١٨٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣٥٤ ، ٣٩٨ ، ٤٤٣ ، ٤٦٤، ٥٢٩ ، ٥٦١
عمر بن عبدالعزيز	٥٥٤
ابن عمر	٤١٤ ، ٤٦٤ ، ٤٧٣ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٥٧١ ، ٥٩٦
عيسى عليه السلام	٣١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩، ٥١٧ ، ٥٣٥ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦
(ف)	
الفراء	٦٨ ، ٧٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٣٠٩ ، ٥٦٢
فرعون	١٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٣٥٠
(ق)	
قتادة	٩٩ ، ١٠٦ ، ٢٠٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٥ ، ٣٧١، ٣٨٧ ، ٤٦٤ ، ٥١٢ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٧٥ ، ٥٩٠
قرة بن خالد	٤٢٨
قطرب	٧٠ ، ٧٤ ، ٢٤٦
(ك)	
الكسائى	١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٤٦
كعب بن عجرة	٤١٣

الاسم	الصفحة الوارد بها
(ل)	
لبيد	١٠٨
اللحيانى	١٩
الليث	٤٩٠
ابن أبى ليلى	٤٩٠
(م)	
ماروت	٢٧٨
مالك بن أنس	٣٨٠ ، ٤٢٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٩٠
المبرد	٤٨٦
مجاهد	٥٤ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٨٢، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، ٣٥٠، ٤٢١ ، ٤٨٨ ، ٥٩١
محمد صلى الله عليه وسلم	٦٢ ، ١١٨ ، ١٧٠ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢١٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٩٦، ٣١٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٥٣٥
ابن مسعود	٣٣ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٧٥ ، ٣٠٧ ، ٣٨٩ ، ٤٦٤ ، ٤٩٧، ٥١٠ ، ٥٧٨
أبو مسلم الأصفهانى	٢٣٣ ، ٣٩١
أبو المطيع البلخي	٤١٨
معاذ بن جبل	٣٨٧
المفضل بن سلمة	٥٥
موسي عليه السلام	٥ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ٩٧ ، ١٤٣ ، ١٦٩ ، ١٩١ ، ١٩٣، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٣٣٥، ٣٩٥ ، ٥١٤ ، ٥٢١ ، ٥٤٦

الاسم	الصفحة الوارد بها
ميكائيل	١٦ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
(ن)	
ناجية بن جندب	٤١٣
نمرود	٥٣٧ ، ٥٣٩
نوح عليه السلام	١١٠ ، ٤٤١
(هـ)	
هاروت	٢٧٨
هارون عليه السلام	٦٨ ، ٦٩
هشام بن عروة	٥٥١
أبو هاشم	٥٧٩
ابن هرمة	٤١
(و)	
أبو وائل	٢٤٤
وابصة	٣٧٦
ابن وهب	٢٣٠
(ي)	
يعقوب عليه السلام	٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧
يوسف عليه السلام	٥٣ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ٢٩٤ ، ٤٣٣
يونس عليه السلام	٥١٦

تم بحمد الله تعالى

تفسير الراغب الأصفهاني

من أول سورة آل عمران وحتى نهاية الآية (١١٣)
من سورة النساء

دراسة وتحقيقا
رسالة دكتوراه

د. عادل بن علي الشدي
عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود

الجزء الأول

مدار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مدار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص . ب : ٣٣١٠

□ البريد الالكتروني : pop@dar-alwatan.com

□ موقعنا على الانترنت : www.madar-alwatan.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن كلام الباري - جلّ وعزّ - هو أشرف كلام عُنيت بتدبره العقول، وبُذلت في تفهّمه ومعرفة مدلولات خطابه الأعمار والأوقات. وقد أنزل الله - عز وجل - كتابه ليُتدبّر، وليكون ذكرى لأولي الألباب: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٩.

وإن من توفيق الله ـ عز وجل ـ وحسن تقديره أن هيَّأ لي أسباب دراسة العلم الشرعي، ولاسيما العلوم المتصلة بالقرآن الكريم، ومن أجلّها وأعظمها نفعاً علم التفسير.

وقد يسَّر الله لي الحصول على مخطوط لتفسير الراغب الأصفهاني أثناء زيارتي للمكتبة السليمانية بتركيا في أوائل عام ١٤١٦هـ، فشرعت في قراءته، فألفيته تفسيراً نافعاً غزير الفوائد مشبعاً بالنكات والتقريرات، ولاسيّما في مجال المعاني والمترادفات والتراكيب اللغوية والصيغ البلاغية. وبعد الاستخارة والاستشارة عزمت على التقدم بدراسة وتحقيق جزء من هذا التفسير؛ لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى تحت عنوان:

تفسير الراغب الأصفهاني

من أول سورة آل عمران وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء دراسةً وتحقيقاً.

أسباب اختياري لتفسير الراغب الأصفهاني:

١ ـ أنّه لم يسبق أن حُقق هذا الجزء من المخطوط وأُخرج لطلاب العلم، بل ظل حبيس مكتبات المخطوطات، فرأيت أنَّ إخراجه محققاً عمل يستحق بذل الجهد والوقت فيه.

٢ ـ تبحّر الراغب الأصفهاني في علوم البلاغة والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان، حتى إن كتابه [مفردات ألفاظ القرآن] لا يكاد يستغني عنه متخصص في التفسير وعلوم القرآن. وقد توسَّع ـ رحمه الله ـ في تفسيره المخطوط في استخدام هذه العلوم للتوصل من خلالها إلى فهم آي القرآن والاستدلال على مراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ حسب الطاقة، محاولاً استنباط بعض اللطائف التفسيريَّة، التي لا تكاد توجد عند غيره من المفسرين بالرأي مدعومة بقوة حجته وسعة اطلاعه ورسوخ قدمه في علوم اللغة العربية.

٣ ـ أنَّ العمل على تحقيق تفسير الراغب الأصفهاني يستلزم البحث في مجموعة متنوعة من العلوم، وهذا ما يوفّر للباحث فرصة عظيمة لتنمية معارفه بعلوم: العقيدة؛ والتفسير وأصوله، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة، والقراءات، والنحو والصرف، والبلاغة، والمعاني، والشعر؛ وكل هذه العلوم استعان بها الراغب أثناء تفسيره لآي كتاب الله. وبالتالي فإن رجوع الباحث إلى أمهات الكتب في هذه الفنون والنهل منها يقوّي بناءه العلمي، ويزيده رسوخاً، ولاسيَّما في مقتبل حياته العلمية.

٤ ـ مكانة الراغب الأصفهاني وشهرته العلمية، ولاسيَّما من خلال كتابيه: [مفردات ألفاظ القرآن]و[الذريعة إلى مكارم

الشريعة] فإذا أضفنا إلى ذلك أن وفاته تقدمت على وفاة كثير من المفسرين بالرأي كالزمخشري (ت ٥٢٨هـ)، وابن عطيـة (٥٤١هـ)، والقـرطبـي (٦٧١هـ)، وأبـي حيّـان (٧٧٤هـ) وغيرهم مما يُعطي لتفسيره قيمة علميّة تشجع أي باحث على تحقيقه والعمل فيه.

٥ ـ الحرص على الارتباط بكتاب الله ـ عز وجل ـ لعظم أجر تلاوته وتدبره وتفهّم معانيه، فكان الاشتغال بمخطوط يتعلق بتفسير القرآن الكريم لأربع سنوات متصلة فرصة مباركة للنهل من علومه ومحاولة الانتظام في سلك أهله، الذين هم أهل الله وخاصته، وتلك أمنيّة كانت تراودني، وكان لها دور كبير في اختياري لموضوع هذه الرسالة.

خطة البحث:

قسمت البحث في هذه الرسالة إلى قسمين :

أولاً: قسم الدراسة:

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول: حياته الشخصية:

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عصره.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته.

المطلب الثالث: وفاته.

الفصل الثاني: حياته العلمية:

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: طلبه للعلم وشيوخه.

المطلب الثاني: تلامذته.

المطلب الثالث: آثاره العلمية.

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : آثاره العلمية المطبوعة .

المبحث الثاني : آثاره العلمية المخطوطة .

المبحث الثالث : آثاره العلمية المفقودة .

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.

الفصل الثالث: دراسة تحليلية للكتاب المحقق:

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: نسبته.

المطلب الثاني: أهميته.

المطلب الثالث: منهجه في كتابه (من خلال الجزء المحقق).

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مصادر الراغب الأصفهاني في تفسيره.

أولاً: المصادر العامة.

ثانياً: المصادر الخاصة.

المبحث الثاني: تحديد نوعية تفسير الراغب الأصفهاني.

المبحث الثالث: محاور منهج الراغب الأصفهاني في التفسير.

وفيه سبعة محاور

المحور الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المحور الثاني: السنة النبوية في تفسيره.

المحور الثالث: أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره.

المحور الرابع: العربية في تفسيره.

المحور الخامس: مجالات النظر في تفسيره.

المحور السادس: مسائل العقيدة في تفسيره.

المحور السابع: مسائل الفقه في تفسيره.

المطلب الرابع: موضوعاته، ودراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة (من خلال الجزء المحقق).

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: مقارنة بين منهج الزمخشري والراغب في التفسير.

المبحث الثاني: مقارنة بين منهج ابن عطية والراغب في التفسير.

المبحث الثالث: مقارنة بين منهج البغوي والراغب في التفسير.

المطلب الخامس: النسخ الخطية وتوصيفها.

❊ ❊ ❊

وقد كان في تقديري أن تكون الدراسة التحليلية المقارنة بكتب التفسير المشابهة قبل المطلب المتعلق بمنهجه في كتابه، لكنِّي عدلت عن ذلك، فقدمت المطلب المتعلق بمنهجه قبل المطلب المتعلق بالدراسة التحليلية المقارنة مع كتب التفسير المشابهة، لكثرة الإحالة على المطلب المتعلق بمنهجه في المطلب المتعلق بالمقارنة مع كتب التفسير المشابهة، ولرغبتي في تحاشي التكرار بذكر الأمثلة في أكثر من موضع.

ثانياً: قسم التحقيق:

وقد كان عملي فيه على النحو الآتي:

١ ـ قمت بنسخ المخطوط، وضبط نصِّه وفق قواعد الإملاء المتعارف عليها، حيث كان الناسخ يكتب بعض الكلمات على خلاف تلك القواعد.

وأثناء اشتغالي بنسخ المخطوط قسمت الكلام إلى فقرات وجمل، مستعيناً في ذلك بعلامات الترقيم المعروفة.

٢ ـ وضعت خطًا مائلًا هكذا (/) للدلالة على موضع ابتداء الصفحة في المخطوط، وأضع بحذائه في الهامش رقم اللوحة والوجه منها.

٣ ـ أثبتُّ الآيات القرآنية من المصحف الشريف وفق الرسم العثماني، وجعلت الآية بين قوسين ﴿﴾، وذكرت اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

وقد صوَّبت ما أخطأ الناسخ في كتابته من الآيات دون الإشارة إلى ذلك في الهامش.

٤ ـ قمت بتوثيق القراءات المختلفة التي ذكرها الراغب، وذلك بنسبتها إلى أصحابها بعد الرجوع إلى كتب القراءات المعتمدة، كما قمت بالرجوع إلى الكتب التي عُنيت بأسباب النزول وغيرها من كتب التفسير والحديث طلباً لتوثيق أسباب النزول التي ذكرها الراغب.

٥ ـ خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها،

وذلك بالرجوع إلى المصادر الحديثية الأصلية، إضافة إلى كتب التفسير المسندة. وقد اجتهدت في تخريج الأحاديث من معظم المصادر المتوفرة لدي، ولو كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما. وقد ندّ عليَّ نزرٌ يسير من الأحاديث لم أقف على تخريجها في المصادر المتوفرة لديّ.

أما بالنسبة للحكم على الأحاديث، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني لا أتعرض للحكم عليه لصحة أحاديث هذين الكتابين وتلقي الأمة لهما بالقبول.

وإذا كان الحديث في غير الصحيحين فإنني أحاول ـ قدر الإمكان ـ إثبات كلام أهل العلم ونقاد الأسانيد حول هذا الحديث من حيث الصحة أو الضعف، فإذا وجدت كلاماً للمتقدمين حول الحديث فإنني أكتفي به، فإن لم أجد أثبتُّ ما أجده من كلام المتأخرين في الحكم على الحديث، وأحياناً أجمع بينهما زيادة في التوثيق.

وقد لاحظت أثناء النسخ أن الناسخ يُغفل التصلية والتسليم أحياناً عند ذكر النبي ﷺ، وقد يرمز لها اختصاراً، فكنت أقوم بإثباتها كاملة دون الإشارة في الهامش إلى ذلك.

وقد جعلت الأحاديث النبوية بين حاصرتين: « ». وقُمتُّ بتسويد نصِّها لتتميز عن الآثار والنصوص الأخرى التي يذكرها المؤلف في المتن.

٦ ـ خرَّجت الآثار الواردة في المخطوط عن الصحابة

والتابعين، بقدر الطاقة، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير المسندة: كتفسير: ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعبد بن حميد، والنسائي، وعبدالرزاق، وغيرهم، ثم أذكر تخريج الأثر من كتب الحديث الأصلية، ثم من كتب التفسير غير المسندة كتفسير ابن كثير، وابن الجوزي، والقرطبي، وغيرهم.

٧ ـ لاحظت أثناء تخريجي للأحاديث والآثار أن الراغب كثيراً ما يوردها بالمعنى دون الالتزام باللفظ الذي وردت به، فكنت أثبتُ تخريج هذه الأحاديث والآثار من أقرب الألفاظ، وإن كان هناك اختلاف في اللفظ مادام المعنى متَّفقاً.

٨ ـ تتبّعت الأبيات الشعرية والأمثال الوارد ذكرها في المخطوط، واجتهدت في نسبتها إلى قائليها، والكتب التي أوردتها بقدر الطاقة، وربما مـرّت عليّ الأيام المتوالية في البحث عن شطر بيت أو عجزه في مظانه، فلا أعثر عليه إلا بعد قراءة المئات من الصفحات، وربما لا أعثر عليه بعد ذلك، والله المستعان.

٩ ـ شرحت كثيراً من الألفاظ الغريبة والمصطلحات التي ذكرها الراغب، وكان اعتمادي في ذلك على المصادر الأصليَّة في اللغة وكتب الغريب في القرآن والسنة. وقد كنت أكتفي أحياناً بشرح الراغب لها في تفسيره إذا كان الشرح وافياً والمعنى قريباً من الأفهام.

وكنت - أحياناً - أعلّق على بعض القضايا اللغوية والنحوية والبلاغية - حسب الحاجة - معتمداً على المصادر الأصلية في كل فن من تلك الفنون.

١٠ - قمت بالتعليق على كثير من المواضع التي رأيتها تحتاج إلى تعليق، وذلك لبيان مشكل، أو كشف غامض، أو إزالة لبس، أو تصويب خطأ، أو زيادة فائدة، أو تأييد رأي ذهب إليه الراغب أو مخالفته، فقمت بنقل آراء من يوافقه أو يخالفه من المفسرين.

ولم ألتزم التعليق على كل قضية في المخطوط خوفاً من إثقال الحواشي بما لا يخدم مجال البحث، كما أشرت في كثير من المواضع إلى الفقرات التي نقلها بعض المفسرين عن تفسير الراغب الأصفهاني زيادة في توثيق النص وبيان مكانة تفسير الراغب لدى من جاء بعده من المفسرين.

١١ - ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في المخطوط ترجمة مختصرة، وقد تركت الترجمة لبعض الأعلام لشهرتهم: كالأنبياء والملائكة، أو لعدم وجود ذكر لهم في كتب التراجم المتوفرة لدي، وقد اكتفيت بترجمة العَلَم عند أوّل موضع يرد فيه من التحقيق، فإذا تكرر ذكر العَلَم بعد ذلك فإني لا أشير إلى موضع ترجمته السابق، لكثرة ذكر بعض الأعلام وتوالي ذلك في الورقة الواحدة أكثر من مرة في بعض الأحيان، ولعدم إثقال الحواشي، ولوجود فهرس تفصيلي للأعلام في آخر الرسالة يمكن من خلاله العثور على مكان الترجمة بسهولة.

١٢ ـ تتبَّعت ما ذكره الراغب من أقوال عن غيره من العلماء، فوثَّقت معظمها بالرجوع إلى كتب أصحابها إن وجدت، أو إلى المصادر التي ذكرت تلك النقول عنهم. وقد استغرق منِّي ذلك جهداً ووقتاً كبيرين بسبب عقلية الراغب الموسوعية وسعة اطلاعه وكثرة نقوله في فنون متعددة من العلم. وفات عليَّ شيءٌ يسير من ذلك، لكون كتب من نقل عنهم مفقودة، ولعدم إشارة المراجع التي بين يديّ إلى هذه النقول في مظانها.

١٣ ـ وثّقت كثيراً من المسائل الفقهية التي ذكرها الراغب من الكتب المعتمدة لكل مذهب من المذاهب التي أشار إليها، وقد حرصت على عدم التوسع والاستقصاء في ذلك، لعدم إطالة الحواشي بما ليس من صُلب البحث. وإذا لم يُشر إلى مذهب من المذاهب فإنِّي لا ألتزم البحث في ذلك.

١٤ ـ ذكرت تعريفاً موجزاً بالأماكن والقبائل والفِرق والمذاهب التي ورد ذكرها في المخطوط، وذلك بالرجوع إلى الكتب المختصة في ذلك. واستثنيت من ذلك ما كان مشهوراً بحيث تغني شهرته عن التعريف به، وكذا ما لم أقف له على ذكر في المصادر المتوفرة لديَّ.

١٥ ـ قمت بعمل اثني عشر فهرساً لتيسير البحث في الرسالة هي:

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبويّة.

٣ ـ فهرس الآثار .

٤ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم .

٥ ـ فهرس الأشعار .

٦ ـ فهرس القبائل والجماعات .

٧ ـ فهرس الأماكن والمواضع والبلدان .

٨ ـ فهرس الفرق والمذاهب والأديان .

٩ ـ فهرس الكلمات الغريبة المفسّرة .

١٠ - فهرس الفوائد النحوية واللغويّة والبلاغيّة .

١١ - فهرس المصادر والمراجع .

١٢ - فهرس الموضوعات .

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ من أهم الصعوبات التي واجهتها في قسم الدراسة أن المصادر التي ترجمت للمؤلف كانت شديدة الاختصار شحيحة المعلومات إلى درجة كبيرة، وخصوصاً فيما يتعلق بحياته الشخصية مما تطلّب مني وقتاً طويلًا في البحث عن معلومات متناثرة هنا وهناك حول المؤلف، وأدَّى إلى رجوعي إلى العديد من المصادر، وتصفحها بدقة دون طائل في أغلب الأحيان، وذلك جهد غير منظور، لا يدركه إلا من كابده من الباحثين .

ومن الصعوبات التي واجهتها : خوض المؤلف في علوم شتى، وعدم تقيده بتخصص محدد - كعادة العلماء السابقين ذوي الثقافة الموسوعية - مما يستلزم الرجوع إلى كتب كل فن خاض فيه، وتوثيق المعلومات التي يوردها من خلال الكتب المعتمدة في ذلك الفن .

كما أن من الصعوبات التي واجهتها: نقل المؤلف عن بعض أئمة المعتزلة، الذين تعتبر كتبهم في التفسير في حكم المفقودة، مما يتطلب تتبُّع هذه الأقوال عند المفسرين، الذين قد يهتمون بإيراد أقوال أئمة المعتزلة ولو في مواضع وسور أخرى، غير تلك التي ذكر المؤلف أقوالهم عندها، وما يتبع ذلك من الجهد طلباً للتوثيق العلمي بقدر الطاقة.

وما عدا ذلك فلم تكن هناك صعوبات تذكر، ولله الحمد والمنّة.

وفي ختام هذه المقدمة فإنني أشكر الله ـ عز وجل ـ على ما أنعم به عليّ من النعم العظيمة والآلاء الجسيمة، وما وفق إليه من تيسير إنجاز هذا البحث.

كما أتوجه إلى والدي بالشكر الجزيل على رعايته لي، وَحَدَبِهِ عليَّ ونصحه وتوجيهه وإرشاده، فقد كان بعد الله سبباً رئيساً، يدفعني دوماً إلى مواصلة طلب العلم والنهل منه. فجزاه الله عنِّي خير ما جزى والداً عن أبنائه، وأسأل الله أن يوفّقني إلى برّه والإحسان له فيما بقي من عمري، وأن يجعلني دوماً عند حسن ظنه.

كما أسأل الله أن يغفر لجدّي/ أحمد بن علي الشدي الذي توفّي أثناء إعداد هذه الرسالة، وكم كان ـ رحمه الله ـ يدفعني للمضي قدماً في المجال العلمي، ويتساءل عن موعد مناقشة هذه الرسالة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنّي خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي على قبوله الإشراف على هذه الرسالة رغم كثرة مشاغله، وما غمرني به من حسن الرعاية وكريم التواضع، فقد فتح لي قلبه ومنزله ومكتبته، وسارع دوماً بالإجابة على استفساراتي، ولم يتبرم بكثرة اتصالاتي وزياراتي، التي توالت عليه حتى في أوقات الإجازات الرسمية، فجزاه الله عنّي خير الجزاء وأوفاه.

والشكر موصول للشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين:

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي

٢ ـ وفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن صادق البيرة

على قبولهما مناقشة هذه الرسالة، وإفادتي بتوجيهاتهما وملاحظاتهما القيمة.

كما أشكر كل من قدّم لي نصحاً أو توجيهاً أو مساعدة في الحصول على صور المخطوطات وفي المراجعة والتصحيح، فلهم منِّي جزيل الشكر والتقدير.

وأخص منهم أخي الشيخ/ سعود بن إبراهيم الشريم، وأخي الدكتور/ محمد بن تركي التركي، وأخي الأستاذ/ عبدالله بن عبدالحميد الأثري على دورهم في حصولي على صور المخطوطات، التي احتجتها أثناء البحث.

كما أشكر الأستاذ الدكتور/ أحمد حسن فرحات على سعة صدره وتجاوبه معي أثناء المكالمات الهاتفية التي أجريتها معه والتي أفادتني في قسم الدراسة، والشكر موصول

للدكتور/ إقبال فرحات، والدكتور/ شلواح المطيري على مبادرتهما بتزويدي بنسخة من رسالتيهما للدكتوراه حول الراغب الأصفهاني بمجرد طلبي، فجزاهما الله عنّي خيراً.

وأشكر إخواني الكرام الأساتذة: أحمد المزيد، وعبدالرزاق طاهر، وجمال صاولي، ومحمد بن عبدالرحمن ابن محمود، وعمر السُلمي على دورهم في حصولي على مراجع قيمة ومعلومات مفيدة سهَّلت لي مهمتي.

والشكر الجزيل لأخي الأستاذ/ خالد أبو صالح على دوره في المراجعة والتصحيح بجهد متواصل ونشاط دائم، وللأخ محمد عوض على قيامه بطباعة هذه الرسالة وإخراجها بهذا الشكل، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء وأوفاه.

كما لا يفوتني أن أشكر زوجتي وأبنائي على ما وفّروه لي من أجواءٍ معينة على البحث العلمي، وما عانوه معي من السهر والتعب.

وختاماً: فلوالدتي حقٌّ عليَّ عظيم، فقد كانت دوماً تلهج بالدعاء لي بالتوفيق والفلاح، أسأل الله أن يعظم أجرها ويجزل مثوبتها ويجزيها عنِّي خيراً.

وبعد: فهذا هو جُهد المقل وبضاعة المقصِّر، أقدّمه بعد أربع سنوات من العمل المتواصل، وحسبي أنِّي لم أدّخر جهداً في سبيل إتقان عملي، وأسأل الله القبول والسداد والهدى والرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

حياته الشخصية

وفيه مطالب:

* المطلب الأول : عصـــــره
* المطلب الثاني: ولادته ونشأته
* المطلب الثالث: وفـــاتـه

المطلب الأول

عصـــــره

شهد القرن الرابع الهجري ـ وهو القرن الذي يُرجّح أن الراغب الأصفهاني ولد بعد مضي نصفه الأوّل ـ توالي ظهور الدويلات الصغيرة التي تنسلخ عن الخلافة العباسيّة مكرسة حالة الفرقة والانقسام، التي أضعفت المسلمين سياسيًّا وعسكريًّا في ذلك العصر.

ويذكر ابن كثير في أحداث سنة ٣٢٤هـ أن: «أمر الخلافة ضعف فيها جدًّا.. واستقل نواب الأطراف بالتصرُّف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها.. وأما بقيّة الأطراف: فالبصرة مع ابن رائق يولّي فيها من شاء، وخوزستان إلى أبي عبدالله البريدي. وقد غلب ابن ياقوت على مملكة تستر، وأمر فارس إلى عماد الدولة بن بويه... وكرمان بيد محمد بن إلياس، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، وبلاد أفريقيّة والمغرب في يد القائم بأمر الله بن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد الناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة وحجر في يد أبي طاهر القرمطي..»[١].

وقد كانت العلاقات بين هذه الدويلات الناشئة متوترة وعدائيّة في الغالب، وظهرت النزاعات العسكريّة بين البويهيين والسامانيين[٢]

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٩٦) بتصرف يسير.

(٢) انظر: والكامل لابن الأثير (٧/ ١٠٨).

وبين السامانيين والغزنويين[1]، وبين البويهيين والحمدانيين[2].

وهذا الأمر ولّد حالة من عدم الاستقرار السياسي، جعلت حكام هذه الدويلات يعملون السيف في الناس بالبطش والترهيب؛ لتثبيت أركان حكمهم، وردع الموالين لأعدائهم، خوفاً من زوال سلطانهم واجتثاث كياناتهم.

وكانت أبرز هذه الدويلات [دولة بني بويه][3] التي تأسست سنة ٣٢٠هـ، واستمر حكمها حتى سنة ٤٤٧هـ، وسيطرت خلال هذه الفترة على بلاد فارس المترامية الأطراف ومنها: أصفهان التي ينتمي إليها: [الراغب الأصفهاني]، بل بلغ من قوتها أن أخضعت العراق وعاصمة الخلافة [بغداد] لسيطرتها في عام ٣٣٤هـ على يد معز الدولة بن بويه[4]، وأصبح الخليفة في بغداد مجرد رمز يتحكم

---

(١) انظر: الكامل (٧/ ١٩٦)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: الكامل (٨/ ١٠) و(٧/ ٩٢)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٢٦).

(٣) ينتسب بنو [بويه] إلى بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك، ورغم نسبهم الفارسي العريق، فقد كان أبو شجاع بن بويه والد الإخوة الثلاثة عماد الدولة الحسن وركن الدولة الحسين ومعز الدولة أحمد فقيراً مدقعاً يعمل بصيد السمك، حتى قيّض الله لأبنائه الاتصال بملك يقال له مرداويج فأكرمهم، واستعمل أحدهم وهو عماد الدولة على الكرخ ثم استولى عماد الدولة على أصفهان وأذربيجان وبلداناً كثيرة، وبذلك نشأت دولة بني بويه. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٨٥).

(٤) واستمر حكم [معز الدولة] حتى توفي سنة ٣٥٦هـ فخلفه ابنه [بختيار] الذي مال إلى حياة اللهو والترف، فاضطربت أمور دولته حتى استولى ابن عمه [عضد الدولة] على الحكم، وقبض على بختيار سنة [٣٦٤هـ] واستمر حكمه حتى توفي سنة [٣٧٢هـ] فخلفه ابن المرزبان أبو كاليجار ولقبه [صمصام الدولة] ولم يستتب الأمر له طويلًا، إذ وثب على الملك أخوه [شرف الدولة] سنة [٣٧٦هـ]، واعتقله في إحدى قلاع فارس، =

فيه البويهيون، وصار لحكام بني بويه القدرة على عزل الخليفة، بل وتأديبه وسجنه إذا لزم الأمر.

ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٣٣٤هـ أنّ: «معز الدولة [البويهي] حضر - في بغداد - إلى مجلس الخليفة العباسي [المستكفي بالله]، فجلس على سرير بين يدي الخليفة، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة، فأنزلاه عن كرسيّه، وسحباه، فعلقت عمامته في حلقه، ونهض معز الدولة، وسيق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأُحضر [أبو القاسم بن المقتدر] فبويع بالخلافة وسُملت عينا [المستكفي]، وأُودع السجن، فلم يزل به

= وبعد وفاة [شرف الدولة] سنة [٣٧٩هـ] تولى الأمر [بهاء الدولة] مع منافسة شديدة من قبل [فخر الدولة البويهي]، الذي كانت له الري وهمذان وأصبهان، وكان طامعاً في الاستيلاء على العراق بتشجيع من وزيره: الصاحب بن عبّاد الكاتب المشهور؛ ولم يكد [بهاء الدولة] ينتصر على [فخر الدولة] حتى بدأت المعارك بينه وبين [صمصام الدولة]، الذي سُلب الحكم منه سنة [٣٧٦هـ] ولم تنقطع هذه المعارك إلا بمقتل [صمصام الدولة] في سنة [٣٨٨هـ]، «ولم يكن في ملوك بني بويه أظلم من [بهاء الدولة] ولا أقبح سيرة منه» وقد توفي سنة ٤٠٣هـ فخلفه ابنه أبو شجاع [سلطان الدولة] الذي غادر بغداد سنة [٤١١هـ] قاصداً الأهواز، واستخلف أخاه [مشرف الدولة] وفي سنة [٤١٦هـ] دخل [جلال الدولة البويهي] بغداد وتسلّم الأمر فيها على ضعف وسوء تدبير أدى إلى تزايد نفوذ الأتراك، حتى باتوا يتدخلون في تولية سلاطين بني بويه وعزلهم، وتعرض [جلال الدولة] للإخراج من بغداد، ثم إعادته إليها أكثر من مرة على يد الأجناد من الترك. وبعد وفاة جلال الدولة سنة [٤٣٥هـ] سارع أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة إلى بغداد، فاستولى على حكم الدولة البويهيّة فيها وفي سنة [٤٤٠هـ] توفي أبو كاليجار، وتولى الملك بعده ولده [الملك الرحيم أبو نصر] الذي سقطت الدولة البويهيّة في عهده سنة [٤٤٧هـ] فكان آخر ملوكها. انظر: الكامل (٨/ ٤٤ وما بعدها)، والبداية والنهاية / ١١/ ٢٢٥ وما بعدها).

مسجوناً حتى كانت وفاته في سنة [٣٣٨هـ]»[١].

«ثم بويع لأبي القاسم بن المقتدر بالخلافة وسمّي [المطيع لله] وضعف أمر الخلافة جدًّا حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير أيضاً، وإنما يكون له كاتب على إقطاعه، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة [البويهي][٢]، واستمر الحكام من بني بويه على هذه الحال من الهيمنة على الخلافة وعاصمتها[٣]، حتى بدأ شأنهم يضعف بكثرة النزاعات على الحكم فيما بينهم[٤]، فاستطاع السلاجقة الأتراك أن يوطدوا أمر دولتهم على انقاض دولة بني بويه، وتوّج ذلك بدخول [طغرلبك] إلى بغداد، وتسلّمه زمام الأمر والنهي فيها، واعتقاله [الملك الرحيم] آخر ملوك بني بويه»[٥].

وكان السلاجقة قبل ذلك قد استولوا على [أصفهان] والري وجرجان وطبرستان وخوارزم وأذربيجان[٦]؛ واستمر [طغرلبك] في الحكم حتى توفي سنة [٤٥٥هـ]، فخلفه ابن أخيه [ألب أرسلان]

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٦) بتصرف يسير. والكامل (٦/ ٣١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، بتصرف يسير.

(٣) في سنة ٣٦٣هـ عزل البويهيون الخليفة العباسي المطيع لله وولّوها للطائع بالله، وفي سنة ٣٨١هـ عزل البويهيون الطائع لله عن الخلافة وولّوها القادر بالله. انظر: الكامل (٧/ ٥٣) و(٧/ ١٤٧).

(٤) انظر: الكامل (٧/ ٢٣٧) و(٧/ ١٣٨) و(٧/ ١٩٢) و(٧/ ٣٢٨) و(٧/ ٣٤٩) و(٨/ ٣٨).

(٥) انظر: الكامل (٨/ ٧٠، ٧١)، والبداية والنهاية (١٢/ ٧١)، وقد كانت مدة ولاية البويهيين على بغداد وعاصمة الخلافة قريب المائة وعشر سنين.

(٦) انظر: الكامل (٨/ ٣٠ و٣٣ و٣٤ و٥٤)، والبداية والنهاية (١١/ ١٢/ ٥٣ و٥٤ و٦٦).

حتى توفي سنة [٤٦٥هـ]، وخلفه ابنه [ملك شاه]، الذي توسع ملكه حتى شمل حلب وترمذ واليمن وبلاد ما وراء النهر، وكانت وفاته سنة ٤٨٥هـ.

في ظل هذه الصراعات السياسيّة والعسكرية في مناطق العراق وأصفهان وبلاد فارس وتنازع هذه الدويلات مع بعضها البعض من جهة، وتنازع ملوك هذه الدويلات وتطاحنهم على الحكم من جهة أخرى، نشأ [الراغب الأصفهاني] في هذه البيئة غير المستقرة سياسيًّا.

وفي تلك الفترة «انتشرت مذاهب الرافضة في عامّة بلاد المغرب، ومصر، والشام، وديار بكر، والكوفة، والبصرة، وبغداد وجميع العراق، وبلاد خراسان، وما وراء النهر، مع بلاد الحجاز، واليمن، والبحرين وكان الحكم في أغلب هذه الأقاليم لهم كالفاطميين وبني بويه وغيرهم»(١)، مما حدا ببعض الباحثين إلى تسمية القرن الرابع الهجري بـ: «عصر الحكم الرافضي»(٢).

وقد عُرف [البويهيون] الذين عاش [الراغب الأصفهاني] في ظل حكمهم أكثر حياته بالتشيع لآل البيت ونصرة مذهب الرافضة، حتى قال عنهم ابن كثير: «وكلهم فيهم تشيّع ورفض»(٣).

ويذكر ابن كثير في أحداث سنة ٣٤٧هـ أن البلاد: «امتلأت

---

(١) انظر: الخطط للمقريزي ٣/ ٣٠٥.
(٢) الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير، شلواح المطيري ص (٦).
(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٢٨).

رفضاً وسبًّا للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان، وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثر السبّ والتكفير منهم للصحابة»[١].

وفي سنة ٣٥١هـ «رفع المنافقون رؤوسهم في بغداد، وقامت الدولة الرافضة، وكتبوا على أبواب المساجد: لعنة معاوية. ولعنة من غصب فاطمة حقها من فدك ـ يعنون أبا بكر الصديق ـ. ولعنة من أخرج العباس من الشورى ـ يعنون عمر بن الخطاب ـ. ولعنة من نفى أبا ذر ـ يعنون عثمان بن عفان ـ فمسحته أهل السنة في الليل، فأمر معز الدولة ـ البويهي ـ بإعادته. فأشار عليه الوزير المهلبي أن يكتب: «ألا لعنة الله على الظالمين لآل محمد، ولعنة معاوية فقط»[٢].

فهذا النص يوضح مدى تبني معز الدولة البويهي لمذهب الشيعة، وتأييده لمعتقد الروافض إلى الحد الذي دفعه إلى إقرار كتابة لعن الخلفاء الثلاثة ومعاوية ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ على أبواب المساجد، متحديًا بذلك أهل السنة والجماعة، الذين كانوا يشكلون إذ ذاك غالبية أهل بغداد، ومع ذلك فلم يستطيعوا منع هذه الكتابات المسيئة للصحابة، ولم يقدروا على محوها إلا بالليل خفية، بسبب تأييد حكام بني بويه لمذهب الرافضة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٤٧، ٢٤٨).
(٢) انظر: العبر، للذهبي ٢/ ٨٦ بتصرف يسير. وانظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٥٦).

وكانت الفتنة تقع بين أهل السنة والرافضة فيقتل كثير من الخلق من الفريقين نتيجة استعلان الرافضة بمذهبهم وسبهم للصحابة[1] ركوناً إلى تأييد البويهيين لهم.

واستمر الشيعة في إظهار بدعتهم يوم العاشر من شهر الله المحرم كل سنة بالبكاء والنواح على الحسين بن علي[2] رضي الله عنه، وكانوا قبل [بني بويه] لا يجرؤون على ذلك.

وكان حكام بني بويه يُظهرون المغالاة في التشيّع، حتى إن منهم من كان يمشي حافياً قبل أن يصل إلى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه نحو فرسخ، وكذا يفعل عند مشهد الحسين بن علي[3] رضي الله عنه، وكان عامتهم يُدفن بعد موته في مشهد علي بن أبي طالب[4] رضي الله عنه، وعلى الرغم من هذه الحالة السياسيّة المضطربة، فقد شهد القرن الرابع الهجري نهضة علميّة وفكريّة كبيرة، ساعد عليها تنافس الحكام في تقريب العلماء وأرباب الأدب والشعراء والمتكلمين، وإجزال العطاء لهم، وتشجيعهم على التأليف والتدريس[5].

وبالتالي فإن الاضطرابات السياسيّة لم تؤثر على الحركة العلميّة في ذلك العصر ـ باستثناء اضطرار بعض العلماء والمفكرين إلى عدم الجهر برأيهم في بعض المذاهب، التي يرون بطلانها بسبب اعتناق

---

(١) انظر: البداية والنهاية، أحداث سنة ٣٤٨هـ، وسنة ٣٥١هـ (١١/ ٢٤٨) (١١/ ٢٥٧).
(٢) انظر: البداية والنهاية (٦/ ٢٨٦).
(٣) وهو: جلال الدولة. انظر: الكامل (٨/ ٢٧).
(٤) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٣٢٨).
(٥) انظر: تاريخ الأدب العباسي، نيكلسون، صفاء خلوصي، ص (٣٧).

حكام تلك الأقاليم لها.

وهكذا فقد انضمت إلى العراق مراكز أخرى للحياة العلمية والفكريّة: كمصر وبلاد الشام والمغرب والأندلس، وتميّز جنوبي بلاد فارس، ومنه [أصبهان] موطن [الراغب]، التي كانت تسمّى [عش العلماء] لكثرتهم فيها والرّي وخراسان وما وراء النهر بنهضة علمية قوية في ذلك العصر(١)؛ ففي الشام اجتمع في بلاط سيف الدولة الحمداني من الشعراء: المتنبي، وابن نباتة، والسعدي، وأبو فراس الحمداني، وأبو الفرج الببغاء، والسري الرفاء، ومن اللغويين ابن خالويه وابن جني(٢). وقام أبو الفرج الأصفهاني بتقديم كتابه الشهير: الأغاني، لسيف الدولة(٣) لمعرفته بتشجيعه للأدباء ومن في حكمهم، وإلى جانب الشعراء والأدباء وأهل اللغة، اجتمع في بلاط سيف الدولة كبار الفلاسفة كالفارابي، والأطباء الذين بلغوا أربعة وعشرين طبيبًا كما ذكر ابن أصيبعة، مما جعل بلاطه أزهى بلاطٍ في عصره»(٤).

وفي المقابل كان للبويهيين في العراق وبلاد فارس أثر كبير في النهضة العلمية في مجال التأليف والتدريس، وكانت [الرّي] عاصمة للقسم الشمالي من بلاد فارس في العهد البويهي، والذي يضم

---

(١) انظر: ظهر الإسلام، لأحمد أمين، (١/ ١٦١ - ٣١٠).

(٢) انظر: تاريخ الأدب العباسي، نيكلسون، ص (٤١).

(٣) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر: ظهر الإسلام، أحمد أمين، (١/ ١٨٦، ١٨٧).

كرمان والري وهمذان وأصبهان[1] ـ التي يُقال بأن الاسكندر بناها ـ وأن أصلها بالفارسيّة شاهان أي مجمع العساكر[2].

وينقل أحمد أمين عن المقدسي أن «أصبهان مدينة كبيرة عامرة آهلة، كثيرة الخيرات، أهل سنة وجماعة وأدب وبلاغة، كم أخرجت من مقرئ وأديب وفقيه ولبيب»[3].

وقد برز عضد الدولة من بين حكام الدولة البويهيّة في مجال تشجيع الحركة العلميّة والأدبيّة، وإقامة العمران، وتشييد المشافي، وأخذ النحو واللغة عن أبي علي الفارسي النحوي الشهير، وزيَّن بلاطه بالأدباء والشعراء الذين قصدوه من كل مكان[4].

كما برز ابن العميد كبير وزراء بني بويه في وقت [ركن الدولة] واشتهر ببلاغته ونثره المتميّز بجمال التصوير ودقة التعبير حتى ظهر القول المشهور: «ختمت البلاغة بابن العميد»[5]. وكان أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد يكتب عنده، ويلازمه حتى لُقِّب بالصاحب بن عبَّاد، وكانت إقامته في أصفهان، وآل به الأمر إلى أن تولى الوزارة [لمؤيد الدولة]، ثم لأخيه [فخر الدولة]. وكان [الصاحب] مولعاً بالسجع، نظَّم الشعر وقرّب الشعراء والكتاب، حتى لقد

---

(١) انظر: المصدر السابق، (١/ ٢١٩).
(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٤٨، ٤٩)، ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصبهاني.
(٣) انظر: ظهر الإسلام (١/ ٢٢٠).
(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٤٧، ٢٤٨).
(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٤٨)، وانظر: يتيمة الدهر، للثعالبي (٣/ ٣٢).

ذكر الثعالبي أكثر من عشرين شاعراً وعالماً يزينون بلاطه في الرّي وأصبهان وجرجان، منهم: القاضي الجرجاني وأبو بكر الخوارزمي وأبو العباس الضبي وأبو سعيد الرستمي، وأبو دلف الخزرجي وآخرون[(١)]؛ ومع اعتقاد [الصاحب] لمذهب الاعتزال وتشجيعه للتشيّع؛ فإنه قد تبحر في العلوم الشرعيّة والأدبيّة، ولم يضيّق على أهل المذاهب الأخرى، الذين لا يتفقون معه في اعتزاله[(٢)].

وهكذا فقد كانت جهود [عضد الدولة] و[ابن العميد] و[الصاحب ابن عبَّاد] واضحة في تشجيع النهضة العلميّة إبّان حكم الدولة البويهية، حتى «إنهم قد جعلوا هذا القسم من فارس في منتهى الخصب العلمي والأدبي، إذ كان كل واحد منهم على إمارته أو وزارته عالماً أديباً، يرى أول ما يجب عليه أن يزيِّن بلاطه ومجلسه بالعلماء والأدباء»[(٣)].

وقد شهد عصر الراغب الأصفهاني تراجع مذهب المعتزلة وانحسار مدّه، ولا سيّما بعد إعلان [أبي الحسن الأشعري] في سنة [٣٣٠هـ] رجوعه عنه، ومخالفته لشيخ المعتزلة في وقته [أبي علي الجبَّائي] الذي مكث الأشعري يتتلمذ على يديه أربعين سنة[(٤)].

واستمر نجم المعتزلة في أفول مع تكاثر المؤيدين لمذهب أبي الحسن الأشعري: كالباقلاني وأبي حامد الإسفراييني وابن فورك

---

(١) انظر: يتيمة الدهر، للثعالبي، (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).
(٢) انظر: ظهر الإسلام (١/ ٢٤٩).
(٣) انظر: ظهر الإسلام (١/ ٢٤٧).
(٤) انظر: تاريخ الأدب العباسي، ص (١٧٩).

وأبي المعالي الجويني إمام الحرمين وأبي حامد الغزالي[1]، بل و[الراغب الأصفهاني] نفسه حيث كان ينصر مذهب الأشاعرة في كتبه المختلفة، حتى وصل الأمر في أوائل القرن الخامس الهجري إلى استتابة الخليفة العباسي [القادر بالله] فقهاء المعتزلة وإظهارهم الرجوع عن الاعتزال[2]. وإلى قراءة كتاب بدار الخلافة في بغداد في مذهب أهل السنة، وفيه: «إن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم»[3] وكان بعض القضاة يستتيب من ذُكر عنه الاعتزال[4].

وفي سنة ٤٢٠هـ «جُمع القضاة والعلماء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه [القادر بالله] فيه.. تفسيق من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي وعبدالعزيز الكتاني.. وأُخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه»[5].

وفي سنة ٤٥٦هـ «هجم قوم من أصحاب عبدالصمد على أبي علي بن الوليد المدرس للمعتزلة فسبّوه وشتموه، لامتناعه من الصلاة في الجامع ولتدريسه مذهب المعتزلة، وأهانوه وجرّوه، ولُعِنت المعتزلة في جامع المنصور»[6] وكان الناس يسيئون الظن بمن يتردد على أشياخ المعتزلة ولو كان من العلماء المبرزين، كما نقموا على

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (١٦).
(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٧).
(٣) ذكر ذلك ابن كثير في أحداث سنة ٤٠٩هـ. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٨).
(٤) المصدر السابق (١٢/ ٨) حيث أورد قصة استتابة القاضي ابن أبي الشوارب للمصيري عمّا ذُكر عنه من الاعتزال في سنة ٤١٧هـ.
(٥) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٨) بتصرف يسير.
(٦) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٩٧) بتصرف يسير.

أبي الوفاء بن عقيل، وهو من كبراء الحنابلة بتردده على أبي علي بن الوليد المعتزلي[1]، الذي كان شيخاً للمعتزلة، فأنكر عليه أهل السنة تدريس المذهب، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفي سنة ٤٧٨هـ[2].

ومع ذلك فقد خلَّف المعتزلة ـ أثناء فترة علو أمرهم واشتهاره باعتناق الخليفة المأمون لمذهبهم، وحمل الناس عليه - إرثاً علميًّا كبيراً، ولاسيما مع نبوغ بعض أشياخهم في علوم اللغة والبيان والنحو والإعراب إلى الحد الذي جعل مفسراً شهيراً كالراغب الأصفهاني يكثر من النقل عن أئمتهم: كالجبّائي والنّظام وأبي الهذيل العلّاف والبلخي وأبي مسلم الأصفهاني والجاحظ وغيرهم، على سبيل المناقشة والرد حيناً، وعلى سبيل التأييد والاستشهاد في أحايين أخرى، كما سيأتي بيانه لاحقاً.

ومن الواضح أن عصر [الراغب الأصفهاني] قد شهد ظهوراً واضحاً لمذهب [الأشاعرة]، ولاسيما مع تبنِّي كثير من العلماء المبرزين له، وتأييدهم إياه، بل وتشنيعهم على مخالفيه[3].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١٠٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١٣٧).

(٣) من ذلك ما وقع في سنة ٤٦٩هـ حين قدم أبو نصر بن أبي القاسم القشيري بغداد، فجلس يعظ الناس في المدرسة النظاميّة ـ التي بناها نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه. فقرر القشيري للناس مذهب الأشعري ونصره، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وساعده أبو سعد الصوفي ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، الذي كان يتولى التدريس بالنظامية، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة، ويسأله المعونة عليهم، وذهب أتباعه والمتعصبون له إلى شيخ الحنابلة في وقته أبي جعفر بن أبي موسى وهو في مسجده، فدافع عنه آخرون، واقتتل الناس بسبب ذلك، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة. انظر: الكامل (٨/ ١٢٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٢٢).

ورغم ذلك فقد بقي لأهل السنة والجماعة أهل الأثر والاتباع للسلف الصالح مكانتهم المرموقة، واحترام أولي الأمر من العلماء والحكام لهم وعدم قبولهم لطعن العامّة في مذهبهم(١). وكان لتأييد الخليفة العباسي [القادر بالله] الذي تولى الخلافة من سنة ٣٧١هـ إلى سنة ٤٢٢هـ(٢) وابنه [القائم بالله] الذي تولى الخلافة

---

(١) يذكر ابن كثير في أحداث سنة ٤٦٩هـ أن الخليفة قد جمع في أعقاب كلام القشيري على الحنابلة ورميه إياهم بالتجسيم ـ بين أطراف القضيّة عند الوزير نظام الملك، فأقبل الوزير على أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة يعظمه في الفعال والمقال، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مدرّس النظامية يعتذر إليه فقال: أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب.. ثم قبّل رأس أبي جعفر. فقال له أبو جعفر: صدقت إلا أنك لما كنت فقيراً لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان ونظام الملك وشبعت أبديت ما كان مختفياً في نفسك. وقام أبو سعد الصوفي وقبل رأس أبي جعفر أيضاً. وتلطّف به فالتفت إليه مغضباً وقال: أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، وأما أنت فصاحب لهو وسماع وتغيير، فمن زاحمك منا على باطلك؟ ثم قال: أيها الوزير: أنّى تصلح بيننا ونحن نوجب ما نعتقده وهم يحرمون ويكفرون؟ وهذا جدّ الخليفة القائم والقادر قد أظهرا اعتقادهما للناس على رءوس الأشهاد على مذهب أهل السنة والجماعة والسلف ونحن على ذلك. فأرسل الوزير إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يعلّمه بما جرى، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصاً أبا جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة، وبعد عدّة أشهر ورد كتاب من نظام الملك إلى أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه الذي شكا فيه الحنابلة، وجاء الرد: بأنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ـ يعني في الاعتقاد ـ ومحله معروف عند الأئمة والناس وقدره معلوم في السُّنّة.
انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٢٣).

(٢) قال عنه ابن كثير: كان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء في ذلك الزمان، وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد وصنف قصيدة في فضائل الصحابة.. وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس و.. وكان.. محبًا للسنة وأهلها مبغضاً للبدعة وأهلها.
انظر: البداية والنهاية (١١/ ٣٣٠) و (١٢/ ٣٤) بتصرف يسير.
وذكر في موضع آخر أنه صنّف كتاباً فيه الرد على أهل البدع وتفسيق من قال بخلق=

بعد أبيه حتى سنة ٤٦٧هـ[1] مذهب أهل السنة والجماعة واعتقادهما إياه أثر في تعزيزه وانتشاره في ذلك العصر.

وبعد هذه الإشارات الموجزة إلى عصر [الراغب الأصفهاني] والظروف المحيطة به سياسيًا وعلميًا ننتقل بالحديث إلى درجة أكثر التصاقاً بالحياة الشخصيّة للراغب الأصفهاني مولداً ونشأةً.. وبالله التوفيق.

* * *

= القرآن وجمع القضاة العلماء في دار الخلافة وأخذ خطوطهم بالموافقة على ما سمعوه. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٨).

وذكر في موضع ثالث أنه أحضر فقهاء المعتزلة واستتابهم فأظهروا الرجوع عن الاعتزال والبراءة منه (١٢/ ٧).

(١) قال عنه ابن كثير: «وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة»، البداية والنهاية (١٢/ ١١٧).

المطلب الثاني

ولادته ونشأته

«الراغب الأصفهاني» علم مشهور بكنيته ولقبه، وقد اختلف في اسمه على أقوال أصحّها وأشهرها أنّه:

الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني. وهو ما ذهب إليه الذهبي(١) والفيروز آبادي(٢)؛ وتبعهما في ذلك أكثر من ترجم للراغب(٣).

في حين أسقط البيهقي اسمه الأوّل عند ترجمته فقال: «الحكيم أبو القاسم بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني»(٤).

أما السيوطي فإنه يترجم له فيقول: «المفضل بن محمد الأصفهاني»(٥) وقد تبعه الداودي في طبقاته(٦)، وإن لم يصرح بذلك.

وفي فهرس المكتبة التيموريّة هو: «الحسين بن المفضل بن محمد الأصفهاني الملقب بالراغب»(٧).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص (٩١).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (١٣/ ٤٥). وكشف الظنون (٥/ ٣١١) و«كنوز الأجداد» لمحمد كرد علي ص (٢٦٥)، والأعلام ـ للزركلي (٢/ ٢٥٥)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٤/ ٥٩)، و«تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة د. رمضان عبدالتواب وآخر (٥/ ٢٠٩)، و«تاريخ آداب اللغة العربية» (٣/ ٤٥).

(٤) انظر: «تاريخ حكماء الإسلام» ص (١١٢).

(٥) انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص (٢/ ٣٩٧).

(٦) انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٢٩).

(٧) انظر: فهرس المكتبة التيموريّة (٣/ ١٠٨)، وفي نزهة الأرواح «الفضل» بدل «المفضل»=

ويعاني كل باحثٍ في حياة الراغب الأصفهاني من مشكلة قلّة المعلومات المتوفرة عنه إلى حد الندرة، بل إن جميع المصادر التي ترجمت له ـ على قلتها ـ لا تذكر تاريخ ولادته ولا مكانها[1]، وإن كان يرجِّح أنه عاش في «أصفهان» التي يُنسب إليها[2].

وتشير بعض المصادر إلى أن الراغب نزل بغداد وأقام بها، فقد قال حاجي خليفة: «الحسين بن محمد بن مفضل الإمام أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني نزيل بغداد»[3].

وتذكر «الموسوعة العربية الميسرة» أن الراغب عاش ببغداد، وأن أصله من أصفهان[4].

= وهو خلاف المشهور. انظر: نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة لشمس الدين الشهرزوري (٢/ ٤٤).

(١) انظر على سبيل المثال: تاريخ حكماء الإسلام ـ لظهير الدين البيهقي ص (١١٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٢٠)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٩٧)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص (٩١)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٣٦)، و(٥/ ٣١١) والأعلام ـ للزركلي (٢/ ٢٥٥)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٥٩)، وتاريخ الأدب العربي (٥/ ٢٠٩)، وكنوز الأجداد ص(٢٥٦)، وتاريخ آداب اللغة العربيّة (٣/ ٤٧)، ودائرة المعارف الإسلاميّة، مادة: الراغب.

(٢) عثر الأستاذ محمد عدنان الجوهري على نسخة نادرة لكتاب «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني، بينما كان يُفهرس مكتبة أحد هواة جمع المخطوطات النادرة بدمشق، وقد جاء النص الصريح في الصفحة الأخيرة منها: بأن النسخ كان في «محرم من شهور سنة تسع وأربعمائة». وقد كُتب تعليق متأخر على الحاشية ذُكر فيه أن هذا الكتاب بخط الراغب الأصفهاني، وأنه وُلد في مستهل رجب من شهور سنة ثلاث وأربعون (كذا) وثلاثمائة في قصبة أصبهان صانها الله. انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد الحادي والستون ـ الجزء الأوّل ـ يناير ١٩٨٦م.

(٣) انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٥/ ٣١١).

(٤) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، (٥/ ٨٥٤).

ويزداد الإشكال حين يفتش الباحث عن ترجمة له في «أخبار أصفهان» لأبي نعيم الأصبهاني فلا يُعثر لها على أثر، وفي «تاريخ بغداد» فيعود بخُفي حُنين، ويبحث عنه بين الأدباء في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي فلا يظفر ببغيته[1]، وكذلك الأمر بالنسبة «لشذرات الذهب» لابن العماد، و «العبر» للذهبي، و «خريدة القصر» للعماد الأصفهاني، وليس حظه من الترجمة في «طبقات الشافعيّة» للسبكي بأحسن من حظه فيما سبق.

وقل مثل ذلك بالنسبة لـ «المنتظم» لابن الجوزي، و «حلية الأولياء» لأبي نعيم، و «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، و «البداية والنهاية» لابن كثير، و «إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين» لعبد الباقي اليماني؛ بل وحتى الأعيان الذين حظوا بالذكر في «الوفيات» لابن خلكان، و «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي لم يُتح للراغب أن يكون منهم.

وعلى الرغم من الاحتفاء الواضح من قبل مؤرخي الشيعة بالراغب الأصفهاني حيث ترجم له الخوانساري[2]، وأغا برزك الطهراني[3]، والعاملي[4]، وعباس القمّي[5]، والطبرسي[6]

(١) على الرغم من أن الخوانساري صاحب «روضات الجنات» أن ذكر الراغب قد ورد في معجم الأدباء!! انظر: روضات الجنات (٣/ ١٩٧).
(٢) انظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ص (٢٤٩).
(٣) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٥/ ٤٥).
(٤) انظر: أعيان الشيعة، ص (٢٧ و ٢٢٠).
(٥) انظر: سفينة البحار (١/ ٢٥٨).
(٦) في كتابه «أسرار الإمامة» نقلًا عن «أعيان الشيعة» للعاملي، ولم أستطع الوقوف عليه.

إلا أن المعلومات عنه كانت شحيحة لدرجة أن هذه التراجم لا تكاد تضيف إلى الباحث شيئاً يُذكر حول حياته الشخصيّة.

ومن هنا فقد تساءل معظم من تعرّض لترجمته من المعاصرين عن السّر الكامن وراء ندرة الترجمة له، والتجاهل الكبير الذي عُومِل به الراغب الأصفهاني(١).

وقد اجتهد كلٌّ منهم في استنباط الأسباب المؤدية لذلك؛ فمنهم من عزاه إلى عدم اتصاله برجال السلطة وغشيان بلاطهم وتقلُّد الوظائف العامَّة، فقال: «لاتصال العلماء والأدباء برجال السلطان وتصرُّفهم لهم في القضاء والعمالات، أو تقرُّبهم منهم بالمنادمة والتأديب والشعر دخل كبير في استفاضة شهرتهم، وتناقل آرائهم وتآليفهم، وكم من عظيم لم يتول قضاءً ولا عملًا للدولة بقي على خمول لا يكاد يُشعرُ به، ولا يعرفه غير بعض أبناء حيّه. ومنهم على ما يظهر الراغب الأصفهاني، لم يُترجم له حتى أصحاب الطبقات من أهل مذهبه»(٢).

---

(١) ومنهم على سبيل المثال: الأستاذ محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد» ص (٢٦٨)، والدكتور أبو اليزيد العجمي عند تحقيقه كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني ص (١٩)، والدكتور عمر الساريسي في كتابه «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» ص (٤٦)، وله بحث منشور في مجلة «مجمع اللغة العربية الأردني» - العددان ١١-١٢ - ربيع الأول - رجب ١٤٠١هـ بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» ص (٤٣)، والدكتور أحمد حسن فرحات في كتابه «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة» للراغب الأصفهاني ص (١١).

(٢) انظر: كنوز الأجداد، محمد كرد علي، ص (٢٥٦).

ومنهم من عزاه إلى التهمة الباطلة التي ألصقت به بالتشيّع لآل البيت، بسبب احتفاله البيّن بأقوال الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخدام كلمة [عليه السلام] و [كرم الله وجهه] عند ذكره في كثير من المواضع، مما أفقده اهتمام علماء أهل السنة والجماعة، ولاسيما أصحاب التراجم منهم(١).

ومنهم من عزاه إلى تواضعه وعدم حديثه عن نفسه وحياته الشخصيّة في ثنايا كتبه(٢)، ويشهد لذلك قول الراغب: «وأعوذ بالله أن أكون ممن مدح نفسه وزكّاها فعابها بذلك وهجاها، وممن أزرى بعقله بفعله»(٣)، وقوله: «كتبت إلى أبي القاسم أبي العلاء أبياتاً أستعير منه شعر عمران بن حطّان» ثم ذكر الأبيات وعلّق على ذلك بقوله: «والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما خاطبته به، أعوذ بالله أن أكون ممن يزري بعقله بتضمين مصنفاته شعر نفسه»(٤).

وبالتالي، فإن تواضع الراغب، ورغبته في خمول الذكر؛ ترفعاً

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٤٨)، وبحث منشور للدكتور عمر الساريسي بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ العددان (١١-١٢) ١٤٠١هـ، ص (٧٣).

(٢) انظر: مقدمة «المفردات» لصفوان داوودي، ص (١٤). وانظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، د. عمر الساريسي، ص (٤٨)، وقد أضاف إلى ذلك احتمال كون اشتغاله بالفكر الفلسفي وقد كانت العامّة كما يقول ـ تقف من أمثاله موقف الريبة والشك سبباً للتجاهل أو لفقدانه عطف الأحزاب السياسية التي كانت تقوم على أساس فكري أو ديني لعدم وضوح انتسابه إلى إحدى الفرق الإسلاميّة وضوحاً يكفل له الترجمة في حلقاتهم.

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، للراغب الأصفهاني، (١/ ٧).

(٤) انظر: محاضرات الأدباء (١/ ١١٩، ١٢٠).

بنفسه عن تضمين مؤلفاته حديثاً عن نفسه، أفقد المترجمين له مصدراً هامّاً يمكن أن يستمدوا منه المعلومات الموثقة عن حياته الشخصيّة.

وفي حقيقة الأمر فإن هذه الأسباب باستثناء الأول منها لا ترقى إلى درجة تفسير التجاهل، الذي تعرض له عَلَمٌ كالراغب الأصفهاني. فأمّا تُهمة التشيُّع فلم تكن قويّة لدرجة اشتباه الأمر على أصحاب كتب التراجم من علماء أهل السنة، وقد رأينا الذهبي والسيوطي والفيروز آبادي وظهير الدين البيهقي وغيرهم يُترجمون للراغب، وينسبونه للسُّنَّة، ولا يتعرَّضون إلى هذه التُّهمة من قريب أو بعيد، مما يدل على بطلانها وعدم تأثيرها على ترجمة الراغب عندهم[1]. على أن بعض الشيعة حاول أن يرجِّح تشيّع الراغب، ليكسب عالماً مميّزاً إلى صفوف مذهبه، وقد أدخل الوهم عليه وعلى أمثاله كثرة سلامه وترضيّه على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلفظ [عليه السلام] و[كرم الله وجهه]، ولذلك فقد قال حسن بن علي الطبرسي في ترجمته: «كان من حكماء الشيعة الإماميّة»[2]، وقد أنكر ذلك مجموعة من علماء الشيعة، الذين ترجموا للراغب الأصفهاني، ومنهم: الخوانساري الذي جزم بأن الراغب من الشافعية، ورجَّح أنه كان أشعريَّ الأصول، وأنكر كونه من الشيعة لعدم موافقته لهم

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠، ١٢١)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٩٧)، والبلغة (٩١)، وتاريخ حكماء الإسلام (١١٢).

(٢) في كتابه «أسرار الإمامة» ولم أستطع الوقوف على الكتاب رغم اجتهادي في البحث عنه، وقد نقل هذا القول عنه الميرزا عبدالله في كتابه «رياض العلماء وحياض الفضلاء» (٢/ ١٧٢) وأغا برزك الطهراني في «طبقات أعلام الشيعة» في الجزء المسمى «الثقات العيون في سادس القرون» ص (٨٢)، والعاملي في «أعيان الشيعة» (٢٢١).

في جملة الضروريات في أصول المذهب وفروعه[1].

وقال أغا برزك الطهراني: «اختلف في كونه شيعيًّا، والعامّة صرّحوا بكونه من عامّة المعتزلة، وكذا بعض الخاصّة، ولكن الشيخ حسن بن علي الطبرسي صاحب «كامل بهائي» صرّح في آخر كتابه «أسرار الإمامة» أنه من حكماء الشيعة الإمامية»[2].

ويكفي لردِّ هذه التُّهمة مطالعة رسالة الراغب الأصفهاني في الاعتقاد، التي شرح فيها المعتقد الحق، الذي يدين به، ومما جاء في هذه الرسالة قوله: «والفرق المبتدعة الذين هم كالأصول للفرق الاثنين والسبعين سبعة: المشبهة، ونفاة الصفات، والقدريّة، والمرجئة، والخوارج، والمخلوقيّة، والمتشيعة؛ فالمشبهة ضلَّت في ذات الله، ونفاة الصفات ضلَّت في صفات الله، والقدرية في أفعاله، والخوارج في الوعيد، والمرجئة في الإيمان، والمخلوقيّة في القرآن، والمتشيعة في الإمامة.. والفرقة الناجية هم أهل السُّنَّة والجماعة الذين اقتدوا بالصحابة»[3].

وممّا جاء في هذه الرسالة أيضاً قول الراغب الأصفهاني: «وأذكر الحق الذي كان عليه أعيان السلف من الصحابة والتابعين قبل أن حدثت البدع من قوم يخذلون الدين، ويزعمون أنهم أنصاره، ويخربون ويوهمون أنهم عمَّاره، ويُطفئون نوره، ويُخيلون أنهم

(١) انظر: روضات الجنات، للخوانساري، ص (٢٤٨).
(٢) انظر: طبقات أعلام الشيعة «الثقات العيون في سادس القرون» ص (٨٢).
(٣) انظر: رسالة في الاعتقاد، للراغب، تحقيق: د. شمران العجلي، ص (٢٥).

يوقدون ناره، ويرفعون مناره، وأعظمهم آفة فرقتان: فرقة تدب في ضرّاء وتسر حسواً في ارتغاء، تظهر موالاة أمير المؤمنين وبها إضلال المؤمنين، يتوصلون بمدحه وإظهار محبته إلى ذمّ الصحابة وأزواج النبي ﷺ الذين رضي الله عنهم...»[1].

وأمّا القول: بأن سبب التجاهل لترجمة الراغب يعود إلى تواضعه وعدم حديثه عن نفسه في ثنايا كتبه، فإن كثيراً من علماء الإسلام على مرّ العصور قد اشتركوا مع الراغب في هذه الصفة، ومع ذلك فقد حظوا بترجمة وافية لحياتهم الشخصيّة، وهذا أمر لا يخفى.

على أن باحثاً معاصراً هو الدكتور إحسان عباس كان له رأي آخر مفاده «أن الأمر ليس من قبيل التجاهل، وإلا فكيف وصل ذكره إلى البيهقي؟ لابد أن تكون هنالك مصادر سابقة للبيهقي قد عرّفت به، ولكنها لم تصلنا، ولعل لزومه لأصفهان وعدم مبارحتها ـ فيما أُقدِّر ـ قد جعله بعيداً عن (دائرة الضوء)»[2].

وهذا رأي له وجاهته، لكنه لا يُغيِّرُ شيئاً من الحقيقة الماثلة أمام الباحث عن شخصية الراغب الأصفهاني.

ومع ذلك فإن الذي يظهر أن شُحَّ المعلومات المتعلقة بحياته يعود إلى سببين اثنين:

أوّلهما: أن عقيدته التي يؤمن بها تخالف عقيدة حُكَّام عصره،

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، للراغب ـ رسالة ماجستير، بتحقيق: أختر لقمان، ص (٤٣).

(٢) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العددان ٢٣-٢٤ (ربيع الأول ـ رمضان ١٤٠٤هـ) في مقال بعنوان «تعليقان» ص (١٩٧).

الذين كانت لهم السلطة على أصفهان وما حولها، فالدولة البويهيّة التي عاش الراغب في عصرها كانت تعتنق المذهب الشيعي، وأما الراغب فقد كان سنيًا أشعريًا؛ ومن هنا فقد أُبعد الراغب عن المناصب العلميّة والإدارية، وتمَّ تجاهله والحضّ من منزلته، يوضح ذلك هذا النص الذي ذكره الراغب في «رسالة مراتب العلوم»: «... وما كان لي في الكشف في ذلك إلا أمران: أحدهما: أن أعلمه أن لا يعتمد في الحكايات من لا يقيد كلامه. والثاني: أنه قيل لبعض الصالحين: فلان يُسيء ظنه بك فدعه يثقل به ميزانك، فقال: لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار إخواني، ولكن طال تعجُّبي من ذلك الشيخ الفاضل حرسه الله لأمور رأيتها منه طريفة، أحدها: إنكاره عليّ التفوه بلفظ «القوة» اعتلالاً بأن هذه اللفظة يستعملها ذوو الفلسفة، وأن أقول بدله «القدرة» كأنه لم يعلم ما بينهما من الفرق في تعارف عوامٍّ الناس فضلًا عن خواصِّهم، ثم ما كان من إبهاماته وتعريضاته، بل تصريحاته تنفق منه على أشياعه وأتباعه بالوضع عنّي والغض منّي وازدياده بعد المقال مقالاً لما رأى مني في مجاوبته جملًا ثقالاً...»[1].

ويتضح من هذا النص أن الراغب كان يواجه بحملة انتقاص تهدف إلى الغض من منزلته، وقد طالت هذه الحملة من التعريض إلى التصريح، وازدادت حدّتها، فلما لم يجد الراغب من يدافع عنه سارع للدفاع عن نفسه، وسواءً أكان مصدر هذه الحملة حُكام

(١) انظر: مخطوط رسالة في مراتب العلوم، للراغب الأصفهاني، مكتبة أسعد أفندي، استانبول، رقم ٣٦٥٤.

عصره من بني بويه أو بعض علماء عصره وتلاميذهم؛ فإن أجواء هذه الحملة تشي بموافقة السُّلطة عليها وعدم الوقوف في وجهها، بدليل أن الراغب يتهيَّب ممن تزعَّم هذه الحملة عليه، رغم تصريحا بانتقاص الراغب، والغض من قدره، واستمراره على ذلك، فترى الراغب عند ذكره يجلّه ويقدره ويدعو له، فيقول: «ولكن طال تعجبُّي من ذلك الشيخ الفاضل، حرسه الله».

وأما السبب الثاني: الذي يفسر ندرة المعلومات عن حياة الراغب الشخصيّة: فهو أن الراغب لم يُوفَّق ـ فيما يبدو ـ إلى تلاميذ ينشرون علمه بين الناس، ويكتبون عن شيخهم وحياته وسمته وأخلاقه؛ بل إن كلَّ مُطالِع لتراجم العلماء، الذين خلَّفوا عصر الراغب، وعاشوا في أصفهان وما حولها، لا يجد أيَّ ذكر للراغب الأصفهاني في قائمة شيوخهم؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى انصرافه للتأليف وانشغاله بالتصنيف في العلوم المختلفة وعدم اهتمامه الكافي بمجالس الدرس التي يتحلّق فيها التلاميذ، ومن هنا فقد زادت مصنفاته على العشرين، وتنوَّعت فنونها ما بين اللغة والأدب والبلاغة، والعقيدة، والتفسير وعلوم القرآن، والأخلاق والحكمة والسلوك، وفي المقابل قلّ تلاميذه إلى درجة انعدام المبرزين منهم، الذين يُشتهر أمرهم، ويُشار إليهم بالبنان.

وبناءً على ما سبق، فإن البحث عن تاريخ محدد لمولد الراغب، ومعلومات محددة عن نشأته لا يمكن أن يوصَّل إلى نتيجة علميّة ترضي الباحث، إلا أننا يمكن أن نتلمَّس من خلال كتبه المختلفة

خبر جديد عن الراغب يعثُر عليه الباحث ـ الذي أطال النظر والبحث فيما كتب عن الراغب ـ يحمل علامة استفهام كبيرة، وهذا ما حصل إزاء ما ذكر محقق كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»(١) للراغب الأصفهاني من أن الراغب قد ولي القضاء مكرهاً عليه، وأقام ببغداد خمس سنين واستقر بمرسية واستقضى فيها، ثم استعفى، وخرج منها فارّاً إلى المرية، فأقام بها وقبل قضاءها على كُرهٍ، ولما كانت وقعة «قُتُنْدَةَ» بثغر الأندلس شهدها غازياً واستشهد فيها»(٢) وقد أحال الباحث توثيقاً لهذه المعلومة إلى «الأعلام» للزركلي، إلا أن الرجوع إلى «الأعلام» أوصل إلى نتيجة مفادها أن هذه المعلومات لا تخصّ الراغب الأصفهاني من قريب أو بعيد، بل تتعلق بالحسين بن محمد ابن سكّرة المتوفى سنة ٥١٤هـ»(٣).

وقد وقع محقق كتاب «مجمع البلاغة» للراغب في وهم آخر حيث ذكر في كتاب له بعنوان «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» أنه وجد على الورقة الأولى من مخطوط «حل متشابهات القرآن»، كلاماً لكاتبٍ وصفه بالمتسرِّع، وفيه أنّ المؤلف ـ أي الراغب ـ هو

---

(١) هو الدكتور: أبو اليزيد العجمي، وقد صدر الكتاب في طبعته الأولى بتحقيقه عن دار الصحوة بالقاهرة عام ١٤٠٥هـ. وانظر طبعات الكتاب ص (٨٠) من هذه الرسالة.

(٢) المصدر السابق، ص (٢١).

(٣) انظر: الأعلام، للزركلي، (٢/ ٢٥٥). وقد حذف الدكتور أبو اليزيد العجمي هذا الخبر من الطبعة الثانية لكتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» التي صدرت عن دار الصحوة بالقاهرة عام ١٤٠٨هـ، إلا أنه فات عليه أن يحذف ما يشير إلى هذا النقل في ص ٢٥، فقد قال: «أما مكان وفاته وكيف انتهت حياته فلم يتعرض لها سوى العاملي. .» وسوى صاحب الأعلام حيث ذكر كما سبق «ولما كانت وقعة قتندة بثغر الأندلس شهدها غازياً واستشهد فيها».

أبو محمد بن الحسين الأصفهاني، وأنه «تصدَّى للوعظ والتدريس والتأليف، وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات عجيبة، وله رحلة للهند وغيره، وأنه لما رجع إلى نيسابور مات في الطريق سنة ستٍّ وأربعمائة، فنُقِلَ لنيسابور ودُفِنَ بها»[1].

ونظراً لأهميّة المعلومات التي تحتوي عليها هذه الإشارة المختصرة من الكاتب، فقد اجتهدت في الحصول على مخطوط كتاب «حل متشابهات القرآن» الذي أشار إليه الباحث، وهو يحمل الرقم (١٨٠) في مكتبة راغب باشا بإستانبول، وبالفعل فقد تمكَّنتُ من الحصول عليه أثناء زيارتي للمكتبة السليمانية بإستانبول، وبمجرد تفحُّص الورقة الأولى توصَّلت إلى أن هذا الرقم المشار إليه آنفاً يشمل رسالتين للراغب: «حل متشابهات القرآن» و«تفصيل النشأتين»، كما يشمل رسالة بعنوان «حل متشابهات الحديث» لابن فورك، وقد كانت الإشارة التي سطَّرها الكاتب تخص ابن فورك أبا محمد بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة ٤٠٦هـ[2]، ولا علاقة للراغب الأصفهاني بها.

كتب ترجمت للراغب الأصفهاني:

١- «تاريخ حكماء الإسلام» - ظهير الدين البيهقي (ولد ٤٩٩هـ) - تحقيق محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي - دمشق ١٩٤٦م، ص (١١٢).

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٣٣).

(٢) وقد أسعدني أن أطلع بعد ذلك على ما توصل إليه باحث آخر هو الدكتور شلواح المطيري في رسالته للماجستير بعنوان «الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن» حيث توصل إلى هذه النتيجة أيضاً.

٢- «سير أعلام النبلاء» ـ الذهبي ـ الرسالة ـ بيروت، (ج ١٨، ص ١٢٠) ـ ط ١، ١٩٦٥م.

٣- «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» ـ للسيوطي ـ ٣٦٩ ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية.

٤- «كشف الظنون عن أسامي الفنون» ـ حاجي خليفة ـ منشورات ـ مكتبة المثنى ـ بغداد.

٥- «البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة» ـ الفيروز آبادي ـ ٦٩، ص (٧٩) ـ تحقيق محمد المصري - الكويت - جمعية إحياء التراث الإسلامي.

٦- «الأعلام» ـ الزركلي ـ طبعة دار العلم، ١٩٧٦ (٢/ ٢٧٩).

٧- «معجم المؤلفين» ـ عمر رضا كحالة ـ (٥/ ٥٩) - دار إحياء التراث - بيروت.

٨- «تاريخ الأدب العربي» ـ بروكلمان ـ (٥/ ٢٠٩)، ترجمة د. رمضان عبدالتواب وآخر، دار المعارف ـ مصر.

٩- «كنوز الأجداد» ـ محمد كرد علي ـ (٢٦٨) - دار الفكر - دمشق.

١٠- «تاريخ آداب اللغة العربية» ـ جرجي زيدان ـ (٣/ ٤٤-٤٧) ـ دار الهلال.

١١- «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» ـ محمد باقر الموسوي ـ الخوانساري الشيعي، ص (٢٤٩) ـ طهران.

١٢- «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ـ أغا برزك الطهراني ـ (٥/ ٤٥).

١٣- «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» ـ أحمد بن مصطفى الشهير بـ: طاش كبرى زاده (٢/ ٧٠). تحقيق: كامل بكري - دار الكتب الحديثة - القاهرة.

١٤- «أعيان الشيعة» ـ محسن الأمين الحسيني العاملي الشيعي ـ ط ١، ١٩٤٨م، دمشق، ص (٢٧/ ٢٢٠)، مطبعة ابن زيدون.
١٥- «دائرة المعارف الإسلامية»ـ مادة: الراغب، ترجمة أحمد الشنتناوي - القاهرة.
١٦- «الإتقان في علوم القرآن» ـ السيوطي (١/ ٧٢)، تحقيق فؤاد زمرلي - بيروت - دار الكتاب العربي.
١٧- «رياض العلماء وحياض الفضلاء» ـ الميرزا عبدالله أفندي الأصبهاني (٢/ ١٧٢)، تحقيق السيد أحمد الحسيني - مطبعة الخيام - إيران.
١٨- «سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار» ـ عباس القمِّي (١/ ٥٢٨) - بيروت مؤسسة الوفاء.
١٩- «الوافي بالوفيات»، للصفدي. (١٣/ ٤٥) - ألمانيا.
٢٠- «أسرار الإمامة» ـ حسن بن علي الطبرسي.
٢١- «طبقات المفسرين» ـ للداودي، (٢/ ٣٢٩) - دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٢- «معجم المطبوعات العربية» ـ يوسف سركيس ـ مطبعة سركيس ـ مصر، ١٩٢٨م، ص (٩٢١).
٢٣- «الموسوعة العربيّة الموسعة» ـ دار القلم ومؤسسة فرانكلين ـ القاهرة، ١٩٦٥م، ص (٨٥٤).
٢٤- «القاموس الإسلامي» ـ أحمد عطيّة الله ـ مكتبة النهضة العربيّة، القاهرة، ١٩٦٦م، (٢/ ٤٧٢).
٢٥- «فهرس المكتبة الخديويّة التيموريّة» ـ (٤/ ٢٥٤، ٢١٦، ٢١٧)، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.
٢٦- «نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة» ـ لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، (٢/ ٤٤) - الهند - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

رسائل علمية وتحقيقات لكتب الراغب الأصفهاني:

١- «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» ـ د. عمر الساريسي ـ ط ١، مكتبة الأقصى ـ الأردن.

٢- «الراغب الأصفهاني وجهوده في تفسير القرآن الكريم من خلال كتاب (المفردات)» رسالة ماجستير ـ شلواح بن لويحق المطيري ـ الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة.

٣- «الراغب الأصفهاني ومنهجه في المفردات» ـ رسالة ماجستير ـ عباس محمد أحمد ـ كلية الآداب ـ الإسكندرية، ١٩٧١م.

٤- «الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير مع تحقيق تفسيره: سورة البقرة» ـ رسالة دكتوراه: محمد إقبال أحمد فرحات ـ جامعة الزيتونة ـ تونس.

٥- «مجمع البلاغة» ـ للراغب الأصفهاني ـ تحقيق د. عمر الساريسي ـ مكتبة الأقصى ـ الأردن، ١٤٠٦هـ.

٦- «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة» ـ للراغب ـ تحقيق: د. أحمد حسن فرحات ـ دار الدعوة ـ الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٧- «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ـ للراغب الأصفهاني ـ تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي ـ دار الصحوة ـ القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ.

٨- «المفردات في غريب القرآن» ـ للراغب ـ تحقيق: د. صفوان عدنان داوودي ـ دار القلم ـ دمشق، ط ١.

٩- «رسالة في الاعتقاد» ـ للراغب الأصفهاني ـ رسالة ماجستير ـ أختر جمال محمد لقمان ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى.

١٠- «رسالة في الاعتقاد» ـ للراغب ـ تحقيق: د. شمران العجلي ـ طبع مؤسسة الأشرف ـ بيروت.

***

المطلب الثالث

وفــــاتــه

حين يصل البحث في حياة الراغب الأصفهاني إلى: وفاته فإنه يصطدم بالاضطراب الشديد في تحديد تاريخ وفاته، لدرجة لا يمكن التوفيق فيها بين الأقوال المتعارضة، التي يصل الاختلاف بينها إلى قرنٍ كاملٍ من الزمان!!

ففي حين يذكر السيوطي في «بغية الوعاة» أن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة(١)، أي في حدود الفترة من ٤٠٠ إلى ٤١٠هـ تقريباً، نجد صاحب «كشف الظنون» يذكر أن وفاته كانت في سنة ٥٠٢هـ(٢)، ويوافقه على ذلك كلٌّ من «بروكلمان»(٣) و «خير الدين الزركلي»(٤) و «عمر رضا كحالة»(٥) و «الخوانساري»(٦) و «عباس القمّي»(٧) و «أغا برزك الطهراني»(٨) ....

---

(١) انظر: بغية الوعاة، ص ٣٩٧.

(٢) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (٢/ ١٧٧٣)، عند ذكره لكتاب «مفردات القرآن»، وعند ذكر «تفسير الراغب» و«تفصيل النشأتين»، عاد ليذكر أن وفاته كانت في رأس المائة الخامسة. (٢/ ٤٨٨ و ١/ ٣١٧).

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي (٣/ ٢٠٩).

(٤) انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٥) انظر: معجم المؤلفين (٤/ ٥٩).

(٦) انظر: روضات الجنات (٣/ ١٩٧).

(٧) انظر: «الكنى والألقاب» لعباس القمّي، (٢/ ٢٤).

(٨) انظر: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (٢٠/ ١٢٨)، ويظهر التناقض جليًا حين يورد تواريخ متضاربة لوفاته في مواضع أخرى من كتابه حيث ذكر في: (٨/ ٩٥)، أن وفاته كانت سنة ٣٢٢هـ، وهذا قول لم يُسبق إليه مطلقاً، وفي: (١/ ٢٨)، ينقل عن كتاب «أخبار البشر» أنه توفي سنة ٥٦٥هـ.

و «العاملي»[1] وآخرون[2].

ويؤيد قول السيوطي بأن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة من الهجرة «محمد كرد علي»[3] وبعض المحققين المعاصرين، الذين تتبَّعوا مراحل حياة الراغب الأصفهاني، وبعض الإشارات المبثوثة في ثنايا كتبه[4]. وأنكروا أن يكون الراغب قد توفي سنة ٥٠٢هـ لاسيما وأن الإمام أبا حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ كان يستحسن كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ويحمله معه في أسفاره، كما ذكر ذلك حاجي خليفة في «كشف الظنون»[5] و «المتوفى عام ٥٠٥هـ يصعب في العقل أن يحمل مصنفاً لمعاصر له توفي قبله بثلاث سنوات فقط»[6]،

---

(١) انظر «أعيان الشيعة» لمحسن الأمين العاملي، مطبعة الإتقان، ٢٧/ ٢٢٠.

(٢) منهم: «دائرة المعارف الإسلامية» نشرة إبراهيم زكي خورشيد، مادة: الراغب (٩/ ٤٧٣)، و«تاريخ الآداب العربيّة» لجرجي زيدان (٣/ ٤٥)، و «الموسوعة العربيّة» ص (٨٥٤)، و «القاموس الإسلامي» (٢/ ٤٧٢)، ومحقق «الذريعة إلى مكارم الشريعة» د. أبو اليزيد العجمي ص (٢٥)، والدكتور أحمد حسن فرحات في «مقدمة جامع التفاسير» ص (١٢).

(٣) محقق كتاب «تاريخ الحكماء للبيهقي» وقد أشار في إحدى حواشيه إلى أن وفاة الراغب كانت سنة ٤٠٢هـ في أصح الروايات (ص ١١٢)، إلا أنه عاد في كتابه «كنوز الأجداد» فذكر أن وفاة الراغب كانت سنة ٥٠٢هـ. انظر: كنوز الأجداد، ص (٢٥٦).

(٤) ومن هؤلاء الدكتور عمر الساريسي في كتابه «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» ص (٤٥). والدكتور شلواح المطيري في رسالته للماجستير وهي بعنوان «الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن» ص (٣٠). والدكتور إحسان عباس في مقال نشر بمجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد رمضان ١٤٠٤هـ، ص (١٩٧). والأستاذ محمد عدنان الجوهري، في مقال نشر له بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الحادي والستون، الجزء الأول، يناير ١٩٨٦م، ص (١٩١).

(٥) انظر: «كشف الظنون» (١/ ٨٢٧).

(٦) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٤٣).

ولاسيما إذا كان في منزلة أبي حامد الغزالي[1].

وبين هذين القولين يظهر قول ثالث يتبنّاه «الذهبي» مفاده أن «الراغب» كان حيّاً في سنة ٤٥٠هـ، حيث ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ضمن الطبقة الرابعة والعشرين أي في حدود سنة ٤٥٠هـ وقال: «لم أظفر له بوفاة ولا ترجمة، وكان إن شاء الله في هذا الوقت حيًّا»[2].

ولاشك أنه في مثل هذه الحالات التي ينعدم فيها اليقين لا يستطيع الباحث أن يجزم بتأريخ يقطع بصحته، وحينئذٍ تكثر الاجتهادات، التي قد يجانبها الصواب في أحيان كثيرة، ولا يبقى إلا التدقيق والتمحيص والاستقراء المتأني لكتب «الراغب» ـ على صعوبة ذلك ومشقته ـ علّ الباحث يقف على نصٍّ، يقوّي أيّاً من هذه الأقوال، وينصره.

فأمّا القول بأن وفاة الراغب كانت في سنة ٥٠٢هـ فقد جاء الاعتراض عليه من وجوه:

الأوّل: أن أحداً من المتقدمين لم ينص على ذلك، وإنما ذكره «حاجي خليفة»[3] ثم أيّد هذا القول «بروكلمان»[4] فتابعه على ذلك جمهور المعاصرين، ممن تقدم ذكرهم[5].

---

(١) انظر: بحث منشور بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» للدكتور عمر الساريسي، بمجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني في يناير ١٩٨١م، ص (٦٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، (١٨/ ١٢١).

(٣) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٧٧٣).

(٤) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢٠٩).

(٥) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٤٣).

ولعل «حاجي خليفة» قد وقع في خطأ، حيث لم يدرك إشارة «السيوطي» بأن «الراغب» توفي في أوائل المائة الخامسة[1]، فظنه يقصد سنة ٥٠٠هـ وما بعدها مع أن المائة الخامسة تبدأ من سنة ٤٠٠هـ.

الثاني: ما ذُكر أن الإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ كان يستصحب معه في أسفاره كتاب «الذريعة» للراغب الأصفهاني، على التفصيل المشار إليه آنفاً.

الثالث: نص الراغب على لقائه ببعض معاصري الصاحب بن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥هـ[2]، كأبي القاسم بن أبي العلاء[3]، وعبدالصمد بن بابك[4]، فإذا كان بعض معاصري الراغب الأصفهاني شهدوا أواسط القرن الرابع وأواخره، فهل يمكن أن تتأخر وفاته إلى أوائل القرن السادس؟![5].

قال الراغب الأصفهاني: «كتبت إلى أبي القاسم بن أبي العلاء أبياتاً أستعير منه «شعر عمران بن حطّان» ـ إلى أن قال ـ والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما خاطبته به»[6].

والتصريح من الراغب بأنه قد كتب لأبي القاسم بن أبي العلاء

---

(١) انظر: بغية الوعاة، ص (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٧/ ١٦٩)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٣٣٥).

(٣) ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر فذكر أنه: غانم بن أبي علي بن أبي العلاء الأصفهاني، شاعر ملء ثوبه.. وذكر أنه من شعراء الصاحب بن عبّاد. انظر: يتيمة الدهر (٣/ ٣٢٤).

(٤) شاعر مشهور قدم على الصاحب بن عباد، انظر: ترجمته في «الكامل» لابن الأثير (٧/ ٣٠٣).

(٥) انظر: مقال بعنوان «تعليقات» للدكتور إحسان عباس، نشر بمجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، عدد رمضان، ١٤٠٤هـ، ص (١٩٧).

(٦) انظر: محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني (١/ ١١٩، ١٢٠).

وخاطبه يقطع بمعاصرته له، وكونه يكاتبه مستعيراً منه كتاباً يدل على توطّد الصداقة، وأبو القاسم بن أبي العلاء كان من شعراء الصاحب ابن عبّاد، فقد ذكر الثعالبي أن أبا القاسم بن العلاء وصف داراً للصاحب بن عبّاد بناها بأصفهان، وكان مما قاله فيها:

دار تمكَّنت المباهج فيها نطقت سعود العالمين بفيها[1]

ولما توفي الصاحب بن عبّاد رثاه أبو القاسم بن أبي العلاء[2]، وقال الراغب الأصفهاني في موضع آخر: «أنشد أبو القاسم بن أبي العلاء يوماً شعراً كاتب به رئيساً، وكنّا سمعناه منه قبل، فعوتب في ذلك، فقال: أنا نظمته أقلّد به من أشاء»[3].

فهذا النص يدل على كثرة مجالسته لابن أبي العلاء، والرئيس الذي كاتبه ابن أبي العلاء بهذا الشعر لا يبعد أن يكون: الصاحب ابن عبّاد، لكثرة تردده عليه، ومدحه إياه.

ويشير «الراغب» إلى حادثة وقعت لأحد شعراء «الصاحب بن عبّاد» وهو: عبدالصمد بن بابك، بما يدل على معاصرته له، فيقول: «وحدثني أبو سعيد بن مرداس أنه قعد مع جماعة فيهم ابن بابك تحت عريش كرم يشربون..»[4].

وابن بابك أحد شعراء «الصاحب بن عبّاد»، ويذكره ابن الأثير

---

(١) انظر: يتيمة الدهر (٣/ ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٢٩).

(٣) انظر: محاضرات الأدباء (١/ ٨٦).

(٤) انظر: محاضرات الأدباء (٢/ ٧٠٦).

في وفيات سنة ٤١٠هـ، فيقول: وعبدالصمد بن بابك أبو القاسم الشاعر وفد على الصاحب بن عبّاد، فقال: أنت ابن بابك؟ فقال: أنا ابن بابك، فاستحسن قوله[١].

ويؤكد الراغب أن بعض معاصريه قد التقى بالصاحب بن عبّاد، فيقول: «وتكلّم بعض أهل زماننا عند الصاحب، فسأله عن شيء، فقال: لا أطال الله بقاءك. فقال: لا وأطال الله بقاءك. فقال بعضهم: ما رأينا واواً أحسن موقعاً من واوك»[٢].

الرابع: النص الصريح في آخر ورقة من مخطوط «مفردات غريب القرآن» للراغب الأصفهاني على أن تاريخ النسخ كان في سنة ٤٠٩هـ[٣]، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الراغب الأصفهاني ذكر في مقدمة هذا الكتاب «المفردات في ألفاظ القرآن» كتاباً آخر له، هو «الذريعة إلى مكارم الشريعة» فقال: «وأشرت في كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة . . . . . .»[٤].

وأنه قد قال في آخر كتاب «الذريعة» مشيراً إلى كبر سنه، وبلوغه سن الشيخوخة: «فسهِّل يا ربِّ المجاز، ويسرِّ لي الجواز، فقد حان حصادي وإن لم يصلح فسادي ولم يحصل رشادي»[٥].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، ص (٧/ ٣٠٣).
(٢) انظر: محاضرات الأدباء، ص (١/ ٦٨).
(٣) انظر: صورة الورقة الأخيرة من المخطوط في الصفحات التالية.
(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، بتحقيق: د. صفوان داوودي، دمشق، ص (٥٤).
(٥) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٤٢٦).

فحينئذٍ نجزم بأن الراغب الأصفهاني قد تعدّى سنّ الشباب، ووصل إلى سن الكهولة قبل سنة ٤٠٩هـ، بدليل تصنيفه لكتاب «الذريعة»، ومن قبله كتاب «تحقيق البيان في تأويل القرآن» قبل كتابه «المفردات»، الذي عثر الأستاذ محمد عدنان الجوهرجي[١] على نسخة خطيّة له، بينما كان يفهرس مكتبة الأستاذ محمد لطفي الخطيب أحد هواة جمع الكتب والمخطوطات النادرة في دمشق، وقد وصفها بأنها «بحالة جيّدة»، أما الخط فهو مهمل التنقيط أحياناً، وقد وقفت هذه النسخة «سميحان بنت السلطان سليم الأوّل» على مكتبة مسجد أبي أيوب الأنصاري، وكانت سنة الوقف عام ٩٧١هـ، والصفحة الأخيرة من الكتاب جاء فيها: «تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله وحده ونعم المعين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم».

«وفي محرم من شهور سنة تسع وأربع مائة» ثم هناك سماع في الصفحات الأخيرة من الكتاب كُتبت سنة ٥١٢هـ.

---

(١) انظر: مقال بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، يناير ١٩٨٦م.

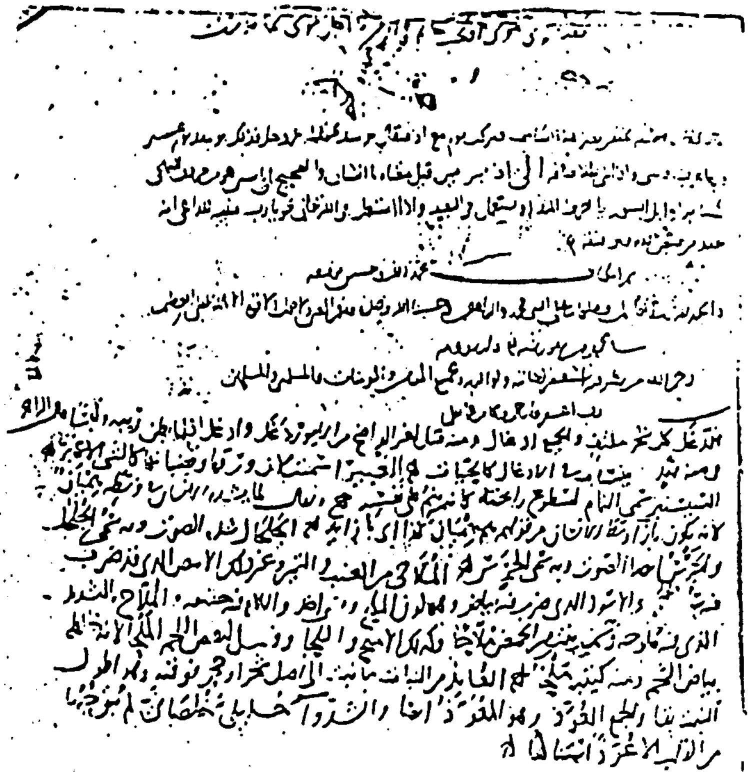

الصفحة الأخيرة من المخطوط وفيها :

«تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه، . والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله وحده ونعم المعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، في محرم من شهور سنة تسع وأربعمائة» .

الخامس: وجود تعليق متأخر على حاشية مخطوطة « مفردات ألفاظ القرآن»، المذكورة في الفقرة السابعة، ينصُّ على أن «هذا الكتاب بخط الراغب الأصفهاني، وأنه ولد في مستهل شهر رجب من شهور سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة في قصبة أصبهان، صانها الله، وتوفي في ربيع الآخر من شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة»[١]، وهو ما وجده بخط أبي السعادات[٢].

فهذا النصُّ يحدد تاريخ ومكان مولد الراغب الأصفهاني ووفاته كذلك، ولكنه بخط كاتب مجهول، متأخر عن تأريخ نسخ المخطوط، وبالتالي فإنه لا يمكن قبوله والأخذ به.

وعلى الرغم من قوّة الأدلة على عدم صحة التأريخ لوفاته في سنة ٥٠٢هـ وما بعدها، إلا أن هذا لا يعني الإقرار والتسليم بأن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة، كما أشار «السيوطي» ومن وافقه من الباحثين، ولاسيما المتأخرين الذين حددوا وفاته فيما بين ٤٠٠ - ٤١٠هـ عند بعضهم[٣]، و ٤١٢هـ عند البعض الآخر[٤]، وفريق ثالث اكتفى بالتأكيد على كونها أوائل القرن الخامس الهجري[٥]؛

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص ٤٥.
(٤) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، يناير ١٩٨٦م، مقال بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني».
(٥) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، رسالة ماجستير، للباحث شلواح المطيري، ص ٣٠.

وذلك بأن مقالة «الذهبي» بأن «الراغب الأصفهاني» كان حيّاً في عام ٤٥٠هـ قد استوقفتني كثيراً، وتساءلت: ما الذي يدفع مؤرخاً عُرف بالتثبُّت كالذهبي إلى مثل هذا القول لو لم يكن لديه قرائن ترجِّح ما ذهب إليه؟

ومن هنا فقد اجتهدت في البحث في سائر كتب الراغب الأصفهاني، التي صنفها في الأدب والبلاغة وفي الأخلاق والسلوك، لعلي أجد إشارات إلى بعض الأعلام، تزيد الأمر وضوحاً، بيد أنّي رجعت من ذلك بخُفّي حُنين، إلا أن عدم الترجمة للراغب الأصفهاني في مصنفات شهيرة توفي أصحابها بعد مرور العقد الأوّل من القرن الخامس الهجري - وهو الوقت الذي يُفترض أصحاب القول الثاني أن الراغب الأصفهاني قد تُوفِّي فيه ـ يعضد ـ ولو بطريقة غير مباشرة ـ ما رجحه الذهبي من أن وفاته تأخرت إلى ما بعد سنة ٤٥٠هـ، فأبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ)[١] لم يُترجم للراغب في «أخبار أصبهان» على الرغم من انتسابه إلى «أصبهان»، واستشهار مصنفاته.

والخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ)[٢] لم يذكر الراغب في «تاريخ بغداد»، على الرغم من أن الراغب قد دخلها وعاش فيها، كما تشير بعض المصادر[٣].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٤٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: كشف الظنون (٥/ ٣١١) والموسوعة العربية الميسرة (٥/ ٨٥٤).

وفي حين أن الراغب قد ذكر ابن مسكويه في أحد كتبه[1] فإن ابن مسكويه المتوفى سنة (٤٢١هـ)[2] لم يذكر الراغب في مصنفاته.

وأبو منصور الثعالبي المتوفى سنة (٤٢٩هـ)[3]، الذي صنف كتاباً فريداً يؤرِّخ فيه للأدب في عصره هو «يتيمة الدهر»، ومع ذلك لم يذكر أحد أشهر أدباء عصره صاحب «المحاضرات» و «مجمع البلاغة».

وأبو الحسن الماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ)[4] صاحب التصانيف المشهورة في الأخلاق والآداب و «أدب الدنيا والدين» و «الأحكام السلطانية»، لا يذكر الراغب الأصفهاني ولا شيئاً من كتبه في الأخلاق والحكمة، مثل: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» و «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين».

وعلى الرغم من أن هذه المؤشرات لا تكفي للترجيح في مثل هذه المسألة، إلا أن عبارة الذهبي التي تنص على أن الراغب الأصفهاني كان حيًّا في حدود سنة (٤٥٠هـ). ويمكن أن تُعدّ أقرب ما قيل في هذه القضية، ولا سيما أنها لا تتعارض مع أدلة أصحاب القول الثاني المرجح، بأن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة، وهي تُفسِّر لنا بطريقة منطقية أسباب عدم ذكر الراغب في المصنفات، التي تُترجِمُ لأمثاله بسبب أن أصحابها قد تُوفوا قبل وفاة الراغب الأصفهاني. والله أعلم.

---

(١) انظر: مجمع البلاغة، ص (٣٤٤).

(٢) انظر: معجم الأدباء (٢/ ٤٩).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٤٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٨٥).

الفصل الثاني

حياته العلمية

وفيه مطالب:

* المطلب الأول : طلبه للعلم وشيوخه
* المطلب الثاني: تلاميذه
* المطلب الثالث: آثاره العلمية
* المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه

المطلب الأول

طلبه للعلم وشيوخه

صفحة أخرى مجهولة من صفحات حياة الراغب الأصفهاني، تلك هي صفحة طلبه للعلم وشيوخه الذين تلقى عنهم، فجميع المصادر المتاحة للباحثين لا تذكر شيئاً يتعلق بسيرته العلميّة، وعمّن تلقى من علماء عصره.

وفي مثل هذه الحالات التي ينعدم فيها الخبر الموثق يلجأ الباحث إلى الحدس والتخمين والتوقُّع، المبنّي على بعض الإشارات، التي قد لا يُلقي لها بالاً لو توافرت لديه المعلومات الخاصة بالحياة العلميّة للراغب الأصفهاني.

ومن هذا الباب يُلاحظ أن الراغب كان في طلبه للعلم ذا نزعة منفتحة، تميل للأخذ من كل علم بطرفٍ، دون طلب الاستقصاء فيه، يقول في كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» في فصل جعل عنوانه: الحث على تناول البلغة من كل علم والاقتصار عليه: «.. فحقه أن يجعل أنواع العلوم كزادٍ موضوع في منازل السفر، فيتناول منه في كل منزل قدر البُلغة، لا يُعرِّج على تقصّيه واستفراغ ما فيه، فتقصّي الإنسان نوعاً واحداً من العلوم على الاستقصار يستفرغ عمراً، بل أعماراً، ثم لا يُدرك قعره، ولا يُسبر غوره»[1]، وهذه النزعة جعلت الراغب موسوعيَّ الثقافة مساهماً في مجالات مختلفة من العلوم: لغة

---

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٢٣٦).

وأدباً وبلاغة من جهة، وعقيدة وتفسيراً وأخلاقاً وسلوكاً من جهة أخرى. وما ذاك إلا لأنه في مسيرته العلميّة وأثناء طلبه للعلم قد تنقل بين العلوم المختلفة، وأحسب أن هذا الأمر قد أثّر عليه من جهتين:

أولاهما: أنه لم ينل البروز المطلق في فنٍّ من الفنون، التي خاض فيها - باستثناء «المفردات في ألفاظ القرآن» - وإن كان قد برع في جميعها، لكنه كان يستطيع التميّز أكثر لو كان تركيزه منصبّاً على تخصص واحدٍ من العلوم، كما كان أغلب علماء عصره يفعلون.

وثانيهما: وقوعه في بعض الأخطاء والتناقضات، التي تُستغرب على عالمٍ مثله، فتراه واعظاً مؤثراً للآخرة على الدنيا، داعياً إلى الاشتغال الدائم بالعبادة والذكر وتطهير النفس، ودحر الهوى، والبعد عن الرذائل وسفاسف الأمور في بعض كتبه: كـ «الذريعة» و «تفصيل النشأتين»، وتراه في المقابل مكثراً لذكر أمور السخف والمجون والغزل غير العفيف شعراً ونثراً في كتب أخرى له: كالمحاضرات ومجمع البلاغة على التفصيل، الذي سيأتي بيانه عند الحديث عن كل كتاب من هذه الكتب، ضمن آثاره العلميّة[1].

وبينما تراه ينص على أن عقيدته التي يدين الله بها، هي ما كان عليه السلف الصالح: «كمالك بن أنس والليث بن سعد والأوزاعي وسفيان الثوري وابن عُيينة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة

(١) انظر: ص (٧٣) وما بعدها من هذا البحث.

الأخيار»[١]، إذا بك تراه في مواضع أخرى من كتبه قد سارع إلى تأويل بعض الصفات، وصرفها عن ظاهرها، خلافاً لمذهب الأئمة الذين نصّ عليهم[٢]، وتراه وقد نقل أقوالاً منكرة لبعض غلاة المتصوفة، دون أن يُعلّق عليها معترضاً ومنكراً[٣].

وفيما يتعلق بشيوخه، فيمكن أن يكون الراغب قد أخذ عن:

* أبي منصور الجبّان: محمد بن علي بن عمر الرازي، عالم اللغة الشهير، صاحب كتاب «الشامل» في اللغة، قال السيوطي: «الشامل في اللغة قُرئ عليه سنة ست عشرة وأربعمائة»[٤]، والفضل في هذه المعلومة يعود للأستاذ صفوان داوودي محقق كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» حيث رجَّح ذلك لسببين هما:

«أولاً: أنه كان معاصراً للراغب وفي طبقة قبل طبقته، إذ إنه أدرك الصاحب بن عبّاد[٥]، والراغب لم يدركه مجالسة. ثانياً: أن الراغب نقل عنه باسمه في كتابه «المفردات»[٦]، فأظنه حضر دروسه في كتاب «الشامل»، لأنهما كانا في أصبهان»[٧].

---

(١) انظر: رسالة الاعتقاد، للراغب، ص (٦١).
(٢) انظر: ص (٢٧٥ - ٢٧٨) من هذا البحث.
(٣) انظر: ص (٢٧٩، ٢٨٠) من هذا البحث.
(٤) انظر: بغية الوعاة، (١/ ١٨٥).
(٥) انظر: إنباه الرواة (٤/ ١٧٦)، ومعجم الأدباء (١٨/ ٢٦٠).
(٦) انظر: المفردات، ص (٣١٧).
(٧) انظر: مقدمة المفردات، ص (٨).

* كما أن الراغب ينقل أحياناً عن ابن مسكويه[1]، أبي علي الخازن أحمد بن يعقوب بن مسكويه صاحب «خريدة القصر» المتوفى سنة ٤٢١هـ[2]، ولذا فاحتمال تلقيه عنه قائم لتعاصرهما مع تقدم وفاة ابن مسكويه عنه، ونقل الراغب عنه مصرّحاً باسمه.

* كما أن معاصرته لأبي بكر بن فورك الأصبهاني المتوفى سنة (٤٠٦هـ)[3]، وكونهما ينتسبان إلى بلد واحد مع اهتمامهما بالتفسير والأدب والنحو، يُشير إلى احتماليّة أخذ الراغب الأصفهاني عن ابن فورك الأصبهاني أيضاً المعاصر له، ولكن في طبقة أقدم من طبقته.

* * *

---

(١) انظر: مجمع البلاغة، ٢/ ٧٣٦. والراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة، ص (٣٤).

(٢) انظر: معجم الأدباء (٢/ ٤٩).

(٣) انظر: العِبر، للذهبي (٢/ ٢١٣).

المطلب الثاني

تلاميذه

لا تشير المصادر التي بين أيدي الباحثين في حياة الراغب الأصفهاني إلى أي معلومة تتعلق بتلاميذه، أو بأحد منهم، ولذلك فإنه يتعذر إيراد أي اسم فيما يتعلق بتلاميذ الراغب الأصفهاني، ومع ذلك فإنه يمكن لنا أن نلاحظ أن الراغب كان له تلاميذ، يرجعون إليه في الكثير من المسائل، التي تَعرضُ لهم، ويطلبون رأيه فيها، فمن ذلك قوله في مقدمة «رسالة في الاعتقاد»: «سألت أيها الأخ الفاضل. . أن أعمل رسالة أبيّن فيها أنواع الاعتقادات، التي يُحكمُ بها على الإنسان بالإيمان والكفر. . وقد استخرت الله تعالى في ذلك، وعملتُ ما اقترحتَه»[١].

ويبدو أن انشغال الراغب بالتأليف قد أثَّر عليه سلباً من حيث قلة التلاميذ النجباء، الذين يتلقون عنه ويدرسون على يديه، ولعلَّ من أسباب عزوف الراغب عن التدريس ومخالطة التلاميذ بكثرة، أنه لا يتفق في عقيدته مع حكام عصره من بني بويه، كما أسلفت[٢]. ولهذا فقد كان يكتفي بالتأليف صيانة لنفسه ومعتقده، والله أعلم.

ويستوقف الباحث في هذا المجال كثرة رفع الراغب الأصفهاني كتبه ومؤلفاته لمن أسماه: بالأستاذ والشيخ، مع التبجيل الواضح له،

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٥).

(٢) انظر: ص (٤١) من هذا البحث.

مما يعني أنه يرفع كتبه إلى رجل من ذوي المكانة الاجتماعية المميزة في عصره، يقول الراغب في مقدمة رسالته في «مراتب العلوم»: «قصدي في هذه الرسالة أن أبيّن للأستاذ، أدام الله تأييده - مراتب علوم الشريعة وأعمالها بالقول المجمل، ليعلم من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي..»[1]، ويظهر مع الاحترام الواضح لهذا الأستاذ، الذي يقدم له رسالته؛ أنه يقصد تعليمه «من أين يبتدئ وإلى أن ينتهي في العلوم» وقبول ذلك الأستاذ لرسالة الراغب يدل على موافقته على أن يتتلمذ على يديه، ويتعلم منه.

وفي رسائل أخرى يقول الراغب: «وقد عملتُ ذلك للأستاذ الكريم - أيده الله - لما رأيته معنيّاً باكتساب الإنسانية الموصلة إلى السعادتين»[2]، «ولما رأيت الأستاذ - حرسه الله - سالكاً طريق أسلافه في مراعاة الحسب.. أحببت أن أعرّفه بالقوانين الصحيحة والواضحة؛ أن الفضيلة الكاملة والسعادة المتناهية في تحلية النفس بالعلوم النافعة..»[3].

فالراغب يُحب أن يُعرّف ويعلّم هذا الأستاذ بالقوانين الواضحة؛ أن الفضيلة والسعادة في تعلم العلم واكتسابه.

وفي رسالة أخرى يقول الراغب: «كنا تذاكرنا - أطال الله بقاء الشيخ الفاضل، وأدام تأييده - في لفظ (الواحد) و (الأحد)

---

(١) انظر: رسالة في مراتب العلوم، مخطوط رقم ٣٦٥٤/ ٤، مكتبة أسعد أفندي، إستانبول، ق ١.

(٢) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، المقدمة ص (٥٠).

(٣) انظر: رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم، مخطوط، ٣٦٥٤/ ١، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول، ق ١.

وتحقيقهما، فسأل أن أُثبت ذلك كتابة، ففعلت»[1].

وهنا نلحظ أن الراغب كان يتذاكر العلم مع ذلك الشيخ، وأن للراغب منزلة كبيرة عند ذلك الشيخ، تحمله على أن يسأله إثبات ما قاله كتابة، ليستفيد منه طلاب العلم، فيجيبه الراغب إلى ما سأل.

بل إن الراغب ينبري للخوض في قضيةٍ بلغه أن الحاضرين عند ذلك الشيخ تناقشوا فيها، فيقول فيها رأيه كتابة، ويهديه إلى ذلك الشيخ: «بلغني ما جرى بحضرة الشيخ - أطال الله بقاءه - من ذكر مخالطة الناس ومجانبتهم، وأن الحاضرين عنده اختلفوا... فأحببت أن أجعل ذلك كتاباً، أذكر فيه نكت ما قاله العلماء والحكماء، وأجعله هدية إليه»[2].

وهذا يدلّ على منزلة ذلك الشيخ عند الراغب الأصفهاني، واهتمامه الشديد بأمره؛ ولعل الراغب رأى فيه - مع كونه من علية القوم وذوي الجاه فيهم - قبولاً لآرائه، وتقديراً لمكانته، فأحبَّ أن يواصله بالتوجيه والكتابة، طمعاً في ترغيبه في الفضائل ومعالي الأمور، التي لا ينزع إليها كثير من ذوي الجاه والسلطان.

ولكن هل بين أيدينا ما يُشير إلى شخصيّة ذلك الأستاذ أو الشيخ، الذي أكثر الراغب من إهداء كتبه إليه؟

---

(١) انظر: رسالة ذكر الواحد الأحد، مخطوط، رقم ٣٦٥٤/ ٢، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.
(٢) انظر: رسالة في أدب مخالطة الناس، مخطوط، رقم ٣٦٥٤/ ٣، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.

لقد حاول أحد الباحثين[1] أن يؤكد أن المقصود هو: الأستاذ الرئيس أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي، المتوفى سنة ٣٩٩هـ، والذي تولىّ الوزارة لفخر الدولة البويهي بعد وفاة الصاحب بن عبّاد سنة ٣٨٥هـ[2]. واستند في ذلك على أن الراغب أورد بيتاً في «مجمع البلاغة»، ونسبه لـ: «الأستاذ الرئيس أحمد بن إبراهيم»، وذلك عند ذكره لهذا البيت:

لا تحسبنّ دموعي البيض غير دمي وإنما نفسي الحامي يصعّده[3]

ومن الواضح أن هذا الاستنتاج لا يعدو الظنّ والتخمين، الذي لا يرقى إلى درجة رجحان الظن وغلبته، ذلك أن لقب: (الأستاذ الرئيس) ليس حكراً على أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي، بل كان غيره يلقَّب به أيضاً، لما فيه من الإشارة لمعنى العلم - المنصوص عليه بكلمة: الأستاذ - والقيادة - المنصوص عليها بكلمة الرئيس - ومع علم هذا الباحث بذلك بدلالة قوله:

«ولقد عرف هذا اللقب لغير هذا الوزير أيضاً، إذ كان أبو الفضل ابن العميد، كبير وزراء بني بويه، يلقَّب بالأستاذ الرئيس»[4].

ويبدو أن كلمة «الأستاذ» كانت ذات دلالة على منصب مرموق في الحكم، وبذلك يكنى المتنبي عن كافور، وهو يمدحه، وقد عُرف بالأستاذ:

---

(١) هو الدكتور عمر الساريسي. انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٣٥).

(٢) انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢/ ١٠٥).

(٣) انظر: مجمع البلاغة، ص (٢/ ٦٨١).

(٤) انظر: وفيات الأعيان (٥/ ١٠٤) وفيه: «وكان يقال له: الأستاذ» ولم أجد ذكر الرئيس.

مَدَّى بلّغ الأستاذ أقصاه ربُّه   ونفسٌ له لم ترض إلا التناهيا(١)

وإذا ذكرت في موضع الفضل في العلم والأدب فإنها تعني المركز المرموق فيهما أيضاً، ولذا يقول البحتري عن أبي تمام: «كلا والله، ذاك الرئيس الأستاذ»(٢).

إلا أنه يعود فيؤكد رأيه السابق، مستنداً إلى أن الراغب حين يذكر ابن العميد فإنه لا يصفه بـ «الأستاذ الرئيس»، بل يذكره باسمه. لكنه في المرّة الوحيدة التي ذكر فيها الوزير أحمد بن إبراهيم الضبّي وصفه بـ: «الأستاذ الرئيس أحمد بن إبراهيم»(٣).

وواضح أن هذه الملاحظة لا تنهض دليلًا على كون الراغب حين يرفع كتاباً له إلى من يسميه «بالأستاذ»، فإنه يقصد بالضرورة من وصفه عند ذكر بيت شعر ينسب له في «مجمع البلاغة» (بالأستاذ الرئيس).

وبناء على ذلك، فإن هذه الدعوى لا يمكن إثباتها بمجرد هذه الملاحظة، التي أوردها الباحث، كما أننا لا يمكن أن نجزم بردها واطرّاحها بالكلية، لأنها غير ممتنعة، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: ديوان المتنبي (٤/ ٤٣١).
(٢) انظر: أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي، ص (٦٧).
(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٣٧).

المطلب الثالث

آثاره العلميّة

خلَّف الراغب الأصفهاني تراثاً علمياً جديراً بالاحترام والتقدير؛ وقد ظهرت عناية المحققين من أهل العلم بمصنفاته، فرأينا «أبا حامد الغزالي» يستحسن كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ويحمله معه في أسفاره[1]، ورأينا «الزركشي» و «أبا حيّان» و «الطيبي» و «السمين الحلبي» و «البيضاوي» وغيرهم يكثرون من النقل عن تفسيره؛ حتى إذا جاء عصر الطباعة الحديثة رأينا اهتمام المحققين لكتب التراث بالآثار العلميّة للراغب الأصفهاني: نشراً ودراسة وتحقيقاً على النحو الذي سيأتي بيانه في هذا المطلب إن شاء الله تعالى.

ويمكن أن نقسّم البحث في الآثار العلميّة للراغب الأصفهاني إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل : آثاره العلميّة المطبوعة.

المبحث الثاني : آثاره العلميّة المخطوطة.

المبحث الثالث : آثاره العلميّة المفقودة.

***

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٨٢٧).

ويندرج في هذا الإطار الكتب التالية:

١- رسالة في الاعتقاد:

ويوجد منها النسخ الخطية التالية حسب علمي:

أ- نسخة مكتبة سعيد علي باشا بالسليمانية - إستانبول، برقم ٣٨٢/ ٣.

ب- نسخة مكتبة: تشستربني - بريطانيا.

ج - نسخة قسم المخطوطات بالجامعة الإسلاميّة، برقم ٤٩٥.

وقد قام الباحث أختر جمال لقمان بتحقيقها - على نسخة واحدة هي نسخة مكتبة سعيد باشا باستنبول - في رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى في عام ١٤٠١هـ-١٤٠٢هـ، وقد طبعت هذه الرسالة، حيث قام الدكتور شمران العجلي بتحقيقها على ثلاث نسخ خطيّة، وصدرت عن مؤسسة الأشرف في بيروت.

وتشتمل هذه الرسالة على ثمانية فصول، ابتدأها الراغب بتناول أصول الأديان، والاختلافات بين أهل الأديان عامّة، وما وقع من التفرُّق والاختلاف بين أهل الإسلام خاصّة، ثم ذكر ما عليه أهل السنة، ثم تناول معرفة الله وتوحيده وصفاته وإثبات رؤيته وما يتعلق بذلك، وذكر النبوة والمعجزات وما يتعلق بها، ثم تطرّق إلى الملائكة وأحوالهم والجن وأحوالهم، ثم انتقل إلى القرآن وتحقيق الكلام

فيه، وبعد ذلك تناول اليوم الآخر والقدر وصعوبة الوقوف على سرّه، والحكمة في خلق الله تعالى، وإثبات الإرادة والمشيئة. والفصل الثامن والأخير عقده للكلام في الإيمان والإسلام، والوعد والوعيد.

وبيّن الراغب في مقدمة هذه الرسالة السبب الحامل له على تأليفها، فيقول: «سألتَ أيها الأخ الفاضل - وفقك الله وإيانا ووقى برحمته ديننا، وقوى دنيانا - ورغبتَ رغبة صادقة أن أعمل رسالة أبيّن فيها أنواع الاعتقادات، التي يُحكَمُ بها على الإنسان بالإيمان والكفر، والهداية والضلال، وأذكر الحق الذي كان عليه أعيان السلف من الصحابة والتابعين.. وقد أسعفتك أيها الأخ بما اقترحتَ.. وقد استخرتُ الله تعالى في ذلك، وعملتُ ما اقترحته، وقنَّنتُ في ابتداء الكتاب قانوناً، كشفت به حقيقة ما ينطوي عليه كل دين من الاعتقادات النظريّة والعمليّة..»[1].

ويصل الراغب إلى إثبات ما يعتقده وما يدين به ربه سبحانه وتعالى، فيقول: «وأقول: إن هذا الذي دللت صحته في هذا الكتاب، وذكرت أنه مذهب أهل الحق هو الذي أدين الله به سرّاً وجهراً وظاهراً وباطناً، وأن ما عدا ذلك مما هو خارج الشرع من تعطيل وإلحاد وإنكار للبعث وغير ذلك من أنواع الكفر، ومما هو داخل الشرع من تشبيه وقدر وإرجاء ورفض وسائر أنواع البدع، فأنا بريئ منه ومن كل من يعتقده»[2].

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٤٣-٤٧).

(٢) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٤٧).

ويقول في موضع آخر: «فهذه جملة إذا اعتقدها المسلم يُرجى في الدين سلامته، وهي المأثورة عن الأسلاف: كمالك بن أنس والليث بن سعد والأوزاعي وسفيان الثوري وابن عيينة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة الأخيار»[١].

ويحسن هنا أن أشير إلى أن الراغب الأصفهاني ذكر هذه الرسالة باسم آخر في مقدمة كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، حيث قال:

«كنت قد أشرت فيما أمليته من كتاب «تحقيق البيان في تأويل القرآن» إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها»[٢].

وتوجد نسخة من مخطوط «تحقيق البيان في تأويل القرآن» في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وبمقابلتها على رسالة الاعتقاد يتبين اتفاقهما في الفصول والموضوعات[٣]، فهما إذاً كتاب واحد للراغب الأصفهاني[٤].

وقد ذكر رسالة «تحقيق البيان في تأويل القرآن» حاجي خليفة[٥] وبروكلمان[٦]، وأشار إلى وجودها في مكتبة العتبات المقدسة الرضوية بمشهد برقم ٥٦.

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٦١).
(٢) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٥٨).
(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص (٤٦).
(٤) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٥١).
(٥) انظر: كشف الظنون (١/ ٣٧٧).
(٦) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).

٢- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين :

وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطية متعددة منها :

أ- نسخة مكتبة : نور عثمانية كتبخانة ، برقم ٢٣٩٤ ، أخلاق وتصوف .

ب- نسخة مكتبة : راغب باشا ـ إستانبول .

ج - نسخة مكتبة : أسعد أفندي ، بالسليمانية ـ إستانبول .

د - نسخة المكتبة الخالديّة بالقدس ، رقم ٧٢ ، س ٣ .

وقد ذكره منسوباً للراغب كل من : حاجي خليفة[١] ، وأغا برزك الظهراني[٢] ، والخوانساري[٣] ، وطاش كبرى زاده[٤] ، وبروكلمان[٥] ، والزركلي[٦] .

وقد طبع الكتاب في بيروت عام ١٣١٩ هـ بعناية طاهر الجزائري[٧] ، وطبع عام ١٣٢٣ هـ بالمطبعة الحميديّة بمصر[٨] .

وطبع بعناية أحمد حسين كعكو في المطبعة العربية في حلب[٩] .

---

(١) انظر : كشف الظنون (١/ ٤٦٢) .

(٢) انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٤/ ٣٥١) وذكر أنه ينسب كذلك لابن مسكويه .

(٣) انظر : روضات الجنات (٢٤٨) .

(٤) انظر : مفتاح السعادة (٢/ ٧٩) .

(٥) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١) .

(٦) انظر : الأعلام (٢/ ٢٥٥) .

(٧) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١) .

(٨) انظر : المصدر السابق .

(٩) انظر : المصدر السابق .

وطُبع بتحقيق الدكتور عبدالمجيد النجار في بيروت سنة ١٩٨٨م، عن دار الغرب الإسلامي.

والكتاب يقع في مقدمة وثلاثة وثلاثين باباً، تتناول الإنسان وماهيته وكيفيّة خلقه ومكانته، والغرض الذي لأجله خُلق. وتفاوت الناس وتفاضلهم وأحوالهم، وتظاهر الشرع والعقل، والعبادة وأهميتها، وأنواع الفضائل، والاهتمام بالعمل للآخرة مع عدم نسيان نصيب الإنسان من الدنيا، والموت والمعاد، وما في الآخرة من ألوان السعادة.

وقد بيَّن الراغب في مقدمته مقصوده بالنشأتين والسعادتين، فقال: «هذه رسالة في تفصيل النشأتين وتحصل السعادتين، أما النشأتان: فإحداهما المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]، والثانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، وأما السعادتان: فإحداهما المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[3]، والثانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾[4]»[5].

«ومحور البحث في هذا الكتاب هو الإنسان: عناصر تركيبه،

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٦٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٥) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص (٤٩، ٥٠).

حقيقة ماهيته، ثم الغاية من وجوده، السبيل المؤدي إلى تحقيق تلك الغاية، ثم مصيره الذي ينتظره متمثلًا في الحياة الأبدية بعد الموت»[1].

٣- الذريعة إلى مكارم الشريعة:

وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطيّة متعددة منها:

أ- نسخة مكتبة: برلين، ورقمها ٣٣٤٥ oct.

ب- نسخة مكتبة: راغب باشا، إستانبول، برقم ١١٧٩.

ج - نسخة: نور عثمانية كتبخانة، برقم ٢٣٨٣.

د- نسخة: أيا صوفيا، ٢٨٩٦.

هـ- نسخة: أيا صوفيا، ٢٨٩٨.

و- نسخة: أيا صوفيا، ٤٠٢٧.

ز- نسخة: دار الكتب المصريّة، برقم (٢٢٩٩٤ ب).

وقد ذكر هذا الكتاب منسوباً للراغب الأصفهاني، حاجي خليفة[2] ـ وذكر أن أبا حامد الغزالي كان يستصحب الذريعة دائماً، ويستحسنه لنفاسته ـ وذكره كذلك بروكلمان[3]، حيث عدّ له أكثر من ١٢ نسخة مخطوطة في مكتبات العالم.

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص (٥٦).

(٢) انظر: كشف الظنون (١/ ٨٢٧).

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).

وقد أشار الراغب نفسه في مقدمة كتابه «المفردات في ألفاظ القرآن» إلى كتابه هذا «الذريعة إلى مكارم الشريعة»[1].

وأما طبعات الكتاب فيمكن حصرها فيما يلي:

أ - طبعة عام ١٢٩٩هـ، من مطبعة الوطن، بتصحيح النجار.

ب - طبعة عام ١٣٠٨هـ، من مطبعة الوطن أيضاً، بعناية عبدالهادي البولاقي.

ج - طبعة عام ١٣٢٤هـ، المطبعة الشرفيّة، وهي مصورة عن الطبعة السابقة.

د - طبعة عام ١٣٩٢هـ، عن مكتبة الكليات الأزهريّة، بعناية طه عبد الرءوف سعد.

هـ - طبعة عام ١٤٠٠هـ عن دار الكتب العلمية بيروت.

و - طبعة عام ١٤٠٥هـ، عن دار الصحوة بالقاهرة، بتحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي.

ز - طبعة عام ١٤٠٨هـ، عن دار الصحوة بالقاهرة، بتحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي، وهي الطبعة الثانية بتحقيقه.

و «الموضوع الرئيسي للكتاب هو وضع الضوابط التي تأخذ بيد الفرد؛ لتؤهله لما خُلق له من الخلافة المتضمنة للعبادة،

---

(١) انظر: المفردات، ص (٥٤).

ولحمل الأمانة، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

ولئن كان الكتاب مصنفاً ضمن كتب الأخلاق - بل من أهمها - فإنه لا يخلو من أصول التعليم ومناهج البحث والجدال والمناظرة، ولا يخلو كذلك من الحديث عن الصلة بين العقل والشرع والجبر والاختيار مما يُدخله في باب: الحكمة والعقيدة[2].

وقد أشار الراغب إلى ما شجعه على تصنيف هذا الكتاب بقوله: «ورغبني أيها الأخ الفاضل وفقك الله وأرشدك وأعاذك من شرّ نفسك - في تصنيفه ما رأيت من تشوقك أن تزيّن ما وليه الله من حسن خَلقك وخُلقك بما تتولاه من تحسين أدبك وإكمال مروءتك»[3].

كما أن الراغب بيّن مقصوده بمكارم الشريعة بقوله: «أما مكارم الشريعة فبدؤها طهارة النفس باستعمال التعلم واستعمال العفة والصبر والعدالة، ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والإحسان، فبالعلم يُتوصل إلى الحكمة، وباستعمال العفة يتوصل إلى الجود، وباستعمال الصبر تُدرك الشجاعة والحلم، وباستعمال العدالة تُصحح الأفعال، ومن حصل له ذلك فقد تذرع المكرمة المعنية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[4]، وصلح لخلافة الله تعالى، وصار من الربانيين والشهداء والصديقين»[5].

---

(١) انظر: مقدمة الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٤١).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤١)، بتصرف.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٦٠).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٥) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٩٣).

ويشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول هي :

الفصل الأول : في أحوال الإنسان وقواه وفضيلته وأخلاقه.

الفصل الثاني : في العلم والعقل والنطق وما يتعلق بها وما يضادها.

الفصل الثالث : فيما يتعلق بالقوى الشهويّة.

الفصل الرابع : فيما يتعلق بالقوى الغضبيّة.

الفصل الخامس : في العدالة والظلم والمحبة والبغض.

الفصل السادس: فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والإنفاق والجود والبخل.

الفصل السابع : في ذكر الأفعال.

وتحت كل فصل منها يتطرق الراغب إلى جملة من الموضوعات المهمّة، التي يحشدها تحت كل فصل من الفصول بشمولية قلَّ نظيرها في الكتب المشابهة؛ فمن ذلك ما أورده من الموضوعات تحت الفصل الثاني: في العلم والعقل والنطق وما يتعلق بها وما يضادها، حيث حشد تحت هذا الفصل الموضوعات التالية: فضيلة العقل، أنواع العقل، المكتسب من العقل الدنيوي والأخروي، منازل العقل، جلالة العقل، وشرف العلم، الفرق بين العلم والعقل، توابع العقل، ثمرة العقل، كون العقل والرسل هادين الخلق إلى الحق، تعذر إدراك العلوم النبويّة على من لم يتدرب في العلوم العقلية، الإيمان والإسلام والتقوى والبرّ، في أنواع الجهل، في معنى قول النبي ﷺ «الإيمان بضع وسبعون باباً»، كون العلم

مركوزاً في نفوس الناس؛ حصر أنواع المعلومات، ما يُعرف به فضيلة العلوم، استحسان معرفة أنواع العلوم، الحثُّ على تناول البلغة من كل علم والاقتصار عليه، ما يجب على المتعلِّم أن يتحراه مع المعلم، ما يجب على المعلم أن يتحراه مع المتعلمين منه، وجوب منع الجهلة عن حقائق العلوم، والاقتصار بهم على قدر أفهامهم، وجوب ضبط المتصدين للعلم ومضرة إهمال ذلك، ذكر من يصلح لوعظ العامّة، كراهية الجدال للعامّة وذمّه على كل حال، الوجوه التي يقع فيها الشبهة والخلاف، بيان اختلاف الناس في الأديان والمذاهب، النطق والصمت، الصدق ومدحه، والكذب وذمه، أنواع الكذب، والسبب الداعي إليه، الذكر الحسن من المدح والثناء، الشكر، الغيبة والنميمة، الكلام المستقبح، المزاح والضحك، الحلف[1].

وتحت كل موضوع من هذه المواضيع يفصّل الراغب القول، مع ذكر الفروق اللغويّة بين الألفاظ والنقول المؤيدة لآرائه، مما يدل بجلاء على رياديته في علم الأخلاق، ومعرفته بخبايا النفس البشريّة، التي لا تصلح إلا بالتزام الشرع واتباع طريقه.

٤ - مفردات ألفاظ القرآن:

وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطيّة متعددة، منها:

أ - نسخة مكتبة: أيا صوفيا، ورقمها ١٩٢٠، السليمانية، إستانبول.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٦٥).

ب - نسخة: مكتبة راغب باشا، بإستانبول، ورقمها ١٤٤٨.
ج - نسخة: مكتبة كوبرلي وزير، بإستانبول، ورقمها ١٥٧٧.
د - نسخة: مكتبة محمد أفندي، السليمانية، إستانبول، ورقمها ٣/١٥١٣.
هـ - نسخة: مكتبة أحمد الثالث، إستانبول، ورقمها ٧٥٥٣/ أ/ ٢٧٤٨.
و - نسخة: مكتبة جامعة استانبول، ورقمها ٥١٥.
ز - نسخة: مكتبة الحرم المكي الشريف، ورقمها ١٣٧، تفسير.
ح - نسخة: المكتبة المحموديّة، بالمدينة المنورة، ورقمها ٢٠١٩.
ط - نسخة: مكتبة عارف حكمت، بالمدينة المنورة، ورقمها ٤٧/ ٢٢٣.
ي - نسخة: المكتبة المحموديّة، بالمدينة المنورة، ورقمها ٢١٨.

وقد طبع كتاب المفردات عدّة طبعات على التفصيل الآتي:

١- طبع لأول مرّة سنة ١٢٨٧هـ.
٢- المطبعة الأدبيّة بالقاهرة في سنة ١٣٠٦هـ.
٣- مطبعة الحريّة بالقاهرة في سنة ١٣٢٢هـ.
٤- مطبعة الخشاب بالقاهرة على هامش كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري في سنة ١٣٢٢هـ.
٥- قام محمد الزهري الغمراوي في القاهرة بطباعته في سنة ١٣٢٤هـ.
٦- طبع في إيران ـ طهران بعناية حسن المصطفوي.

٧- المطبعة الميمنيّة بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ.

٨- مطبعة الحلبي بالقاهرة بعناية محمد سيد كيلاني في عام ١٣٦١هـ.

٩- المطبعة الفنيّة الحديثة بالقاهرة بعناية الدكتور محمد أحمد خلف الله في سنة ١٩٧٠م.

١٠- دار الفكر ببيروت بعناية نديم مرعشلي سنة ١٩٧٢م.

١١- دار القلم بدمشق بتحقيق الدكتور صفوان عدنان داوودي في سنة (١٤١٢هـ) الطبعة الأولى.

وقد حظى كتاب «المفردات» للراغب بثناء العلماء واهتمامهم، فالزركشي يعدّه من أحسن ما أُلف في غريب القرآن[١]، وكذلك السيوطي[٢]، ووصفه الفيروز آبادي بالتميّز، فقال عنه: «المفردات: لا نظير له في معناه»[٣]، وقال عنه حاجي خليفة: «وهو نافع في كل علم من علوم الشرع»[٤]، وهذا يدّل على أهميّة كتاب المفردات في بابه وتميّزه، الذي لاحظه وشهد به كل من اطلع عليه من العلماء المتقدمين والمتأخرين.

وقد صدّر الراغب كتابه بمقدمة أوضح فيها منهجه فيه، فقال: «وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى، فيه مفردات

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، (١/ ٣٩٤).
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٧٠).
(٣) انظر: البلغة، ص (٩١).
(٤) انظر: كشف الظنون، ص (٢/ ١٧٧٣).

ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوّله الألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبراً فيه أوائل حروفه الأصليّة، دون الزوائد والإشارة فيه إلى المناسبات، التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات»[١].

و «الراغب يجمع المفردات القرآنية في أسر تحددها حدود الاشتقاق اللغوي بعضها إلى بعض، وبعد أن يبيّن المعنى العام للمصدر الذي اشتقت منه، يشرح كل مفردة في سياقها من آيتها، وبذلك يجمع بين المعنى العام لها من أسرة الاشتقاق والمعنى الخاص من السياق، وبذلك يكون قد رسم لنفسه منهاجاً خاصًّا في تناول غريب القرآن، يكاد لم يسبقه أحد قبله إليه»[٢].

وقد لاحظ الزركشي هذه الميزة التي ينفرد بها الراغب في مفرداته، فأشار إليها قائلًا: «اعلم أن القرآن قسمان: أحدهما: ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد.. وما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ في لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به (الراغب) كثيراً في كتاب (المفردات)، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق»[٣].

وقد قسّم الراغب كتابه إلى ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص (٥٥).
(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٨٣).
(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣١٢، ٣١٣).

المعجم، ويأتي في كل باب بالمفردة الواردة في القرآن، والتي تبدأ بحرفه مجردة عن الأحرف الزائدة، فيذكر الأصل اللغوي لهذه المفردة، وما يشتق منه مستدلاً على ذلك بشواهد من الشعر وكلام العرب، ويورد الآيات القرآنية التي ذكرت هذه المفردة، مع شرح لمعنى هذه المفردة في سياقها من الآية.

ويراعي الراغب ترتيب المفردات المتفقة في حرفها الأوّل، داخل الباب الواحد بالنظر إلى الحرفين الأوّلين من كل مفردة.

وحين ننظر على سبيل المثال إلى ما أورده في باب الهاء حول كلمة: هدى، نجده يقول:

«هدى: الهداية دلالة بلطف، ومنه الهديّة، وهوادي الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها، وخُصّ ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاءً بأهديت. نحو: أهديت الهديّة، وهديت إلى البيت، إن قيل: كيف جعل الهداية دلالة بلطف، وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[(١)]، و﴿وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[(٢)]، قيل: ذلك استُعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم، مبالغة في المعنى، كقوله: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[(٣)]، وقول الشاعر:

. . . . تحية بينهم ضرب وجيع»[(٤)].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤.
(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٢٤.
(٤) انظر: المفردات، ص (٨٣٥).

وفي باب الألف يبيّن معنى الإثم، فيقول: «الإِثم والإِثام: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب. وجمعه: آثام، ولتضمنه لمعنى البطء، قال الشاعر:

جمالية تغتلي بالرَّوادف إذا كذب الأثمات الهجيرا

وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]، أي في تناولهما إبطاء عن الخيرات، وقد: أثم إثماً وأثاماً، فهم آثِمٌ أثم وأثيم، وتأثَّم خرج من إثمه، كقولهم: تحوَّب وتحرّج، خرج من حوبه وحرجه: أي ضيقه. وتسمية الكذب إثماً لكون الكذب من جملة الإثم.. وقوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[2] أي حملته عزته على فعل ما يؤثمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[3] أي عذاباً، فسمّاه أثاماً لما كان منه..»[4].

٥ - محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء.

وقد طُبِعَ الكتاب عدّة طبعات على التفصيل الآتي:

١ - مطبعة بولاق ـ القاهرة، عام ١٢٨٤هـ.

٢ - المطبعة العثمانية ـ القاهرة، عام ١٢٨٧هـ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.
(٤) انظر: المفردات، ص (٦٣). وانظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص (٩١ - ٩٣).

٣- مطبعة جمعيّة المعارف - القاهرة، عام ١٣٠٥هـ.
٤- المطبعة الشرفية - القاهرة، عام ١٣١٠هـ.
٥- مطبعة السعادة - القاهرة، عام ١٣٢٤هـ.
٦- المطبعة العامرة - القاهرة، عام ١٣٢٦هـ.
٧- مطبعة الهلال - مصر، عام ١٩٠٢م، وهي طبعة مختصرة في اثني عشر باباً فقط، بعناية إبراهيم زيدان.
٨- وزارة الثقافة بمصر، عام ١٩٦٠م، وهي طبعة مختصرة في تسعة عشر باباً فقط، بعناية أنور الجندي.
٩- مكتبة الحياة - بيروت، عام ١٩٦٠م، في مجلدين بدون تحقيق ولا عناية.

وقد نال كتاب «المحاضرات» للراغب الأصفهاني شهرة كبيرة في أوساط الأدباء والشعراء، حتى عدّه حاجي خليفة العمدة في فن المحاضرات والأدب[١]، وبلغت شهرته حدّاً جعلت بعض المستشرقين يترجمه إلى اللغات الأوربيّة[٢]، ويصفه بعض الباحثين بأنه خزانة أدب وشعر وحكم وأمثال[٣].

وعن سبب تأليفه يقول الراغب: «فإن سيدنا - عمَّر الله بمكانه مرابع الكرم - أحبّ أن أختار له مما صنَّفتُ من نكت الأخبار ومن عيون الأشعار ومن غيرهما من الكتب فصولاً في محاضرات الأدباء

---

(١) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٦٠٩).
(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١٠)، ودائرة المعارف الإسلامية (٩/ ٤٧٤) حيث جاءت الإشارة إلى أن فلوجل قد ترجمه إلى اللغات الأوربيّة.
(٣) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان (٣/ ٤٥).

ومحاورات الشعراء والبلغاء.. ففعلت ذلك إيجاباً له.. وقد ضمّنت ذلك طرفاً من الأبيات الرائعة والأخبار الشائقة.. من شاء وجد فيه ناسكاً يعظه ويبكيه، ومن شاء صادف فيه فاتكاً يضحكه ويلهيه..

الجد والهزل في توشيح لحمتها
والنبل والسخف والأشجان والطرب»[١]

وتتضح الغاية التعليميّة التي قصد الراغب أن يصل إليها بمحاضراته من النص السابق، ومن كثرة تمهيده للصيغ اللغويّة والتراكيب الأدبية، التي يكثر منها بعبارة: «تقول في كذا وكذا».

ثم يورد ما يريد أن يتعلمه القارئ لمحاضراته من التراكيب والصيغ[٢].

«وطريقته في التأليف فيه أن يبحث تحت الموضوع عن آية قرآنية، وحديث شريف، وأقوال حكميّة مأثورة، وأشعار مرويّة سائرة، وأمثال حيّة، ونوادر، وأخبار، كلها تصبُّ في حوض واحد، هو حوض الموضوع الذي جُمِعَتْ تحته»[٣].

وقد قسّم الراغب كتابه هذا إلى خمسة وعشرين باباً، وسمّى كلّ باب حدّاً، وتحت كلٍّ منها موضوعات متعددة تتبع له، إلا أنه توسع في أبواب السخف والمجون والهزل، وأورد في ذلك كله أقوالاً

(١) انظر: مقدمة محاضرات الأدباء، ص (٧).
(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (١٨٥).
(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٨٦).

مستنكرة، وأبياتاً فاحشة، لا تليق بأمثاله من أصحاب تفسير كتاب الله تعالى. فهل كان ذلك منه في مبدأ حياته، ثم تركه واتجه لمكارم الأمور ومعاليها، التي جاءت بها الشريعة ـ كما في كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ـ وإلى الأسباب الموصلة إلى تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة ـ كما في كتابه «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين» ـ فانشغل لأجل ذلك بكلام الله عز وجل وتفسيره وبيان معانيه؛ هذا ما أفترضه وأتوقَّعه بالنسبة لِعَلَمٍ كالراغب. وكتاب حافل كالمحاضرات فيه من نوادر الأشعار ودرر الفصاحة والبيان، ما يجعل كل أديب يفتقر إليه ويحتاج إلى مطالعته، وفيه بالمقابل توسّع في ذكر أبواب الغزل والفحش والمجون، الذي يتنافى مع الخلق الرفيع والتدين الحق.

٦- مجمع البلاغة، وتسمّيه بعض المصادر «أفانين البلاغة»:

وتُوجد لهذا الكتاب نسختان خطيّتان، فيما أعلم:

أولاهما: نسخة مكتبة مسجد السلطان أحمد الثالث بإستانبول وتحمل الرقم ٢٥٠٠، ويوجد منها نسخة مصورة بمعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة، وتحمل رقم ٧١٦ أدب.

والثانية: نسخة أخرى بمكتبة مسجد السلطان أحمد الثالث بإستانبول، وتحمل رقم ٢٣٩٠.

وقد طُبِعَ هذا الكتاب مرّة واحدة، فيما أعلم بتحقيق الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي، ونشرته في جزأين مكتبة الأقصى

بالأردن عام ١٤٠٦هـ.

وقد بيّن الراغب سبب تأليف الكتاب وموضوعه، فقال في مقدمته: «ولما رأيتك - حرس الله جميل الفضل بك - مائلًا إلى الألفاظ المونقة، والمعاني الغضَّة المورقة، والبدائع من الكلم التي تقصر عن درجة المتعمق المتكلّف، وتتجاوز مرتبة العيّ المُسَفسِف، تتبعت نوادر الأشعار وغررها، فما عثرت عليه من واسطة فِقَرٍ انتخبتها، وما انتهيت إليه من أعلام حِبَرٍ اقتنصتها وجمعتها، وما وجدته في كلام البلغاء من لفظ يُعدّ في السحر الحلال والعذب الزلال ضممته إليه، فعملت من ذلك كتاباً مبوباً سميته «مجمع البلاغة». . وليس هذا الكتاب إلا لمن تجاوز المنزلة الدنيا في البلاغة، وعرف الاستعارات وأنواع المجازات»(١).

وقد كان جانب الاهتمام باللغة واضحاً جدّاً في «مجمع البلاغة»، مع العناية الفائقة بمفردات اللغة، وتراكيبها، وشرحها شرحاً معجميًّا وافياً، يتضمن إظهار الفروق الدقيقة بما يدل على تبحر في اللغة كبير(٢).

ويظهر أن «الراغب الأصفهاني قد صنف كتابه «المحاضرات» أولاً، وحينما عقد العزم على تأليف «مجمع البلاغة» اختار مادته من مادة المحاضرات، مختصراً منه ما استطاع إلى ذلك

(١) انظر: مجمع البلاغة، ص (١/ ٣٦، ٣٧).
(٢) انظر: مقدمة محقق مجمع البلاغة، ص (١٨). و «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب»، ص (٨٨).

سبيلًا»[1].

وقد قسَّم الراغب كتابه إلى حدود وأبواب ستة عشر منها[2]:

الحد الأوّل	: حدّ العقل وضده وما يتعلق بهما.
الحد الثاني	: حد النطق.
الحد الثالث	: في الإباء والرفعة والضعة والأخلاق المحمودة والمذمومة والولاية والسيادة وما يتعلق بهما.
الحد الرابع	: في المال والرغبة فيه والآمال والهمم والتكسب والجدّ وما يتعلق بهما.
الحد الخامس	: في الاستعطاء والعطاء وما يتعلق بهما.
الحد السادس	: في الحرب وأربابها وآلاتها وما يقرب منها وما يتعلق بها.
الحد السابع	: في المودة وأنواعها وما يضادهما.
الحد الثامن	: في الحسن والقبح والشباب والشيب.
الحد التاسع	: في القرابة وشرف الأبوة ودنائتها والدعوة وأحوالها.
الحد العاشر	:

(١) انظر: مقدمة مجمع البلاغة، ص (٢١)، بتصرف يسير.
(٢) لم يخل الراغب هذا الكتاب أيضاً من أبواب السخف، والمجون ولذلك فإني آثرت عدم إيراد ها هنا.

الحد الحادي عشر :

الحد الثاني عشر : في المشي والسير ووصف المفاوز .

الحد الثالث عشر : في التقوى والتدين والدهر وتقلبه وأحواله من الهم والصبر والمرض والموت .

الحد الرابع عشر : في السماء والكواكب والملوين والحر والبرد والأمطار والرياح والنبات والأشجار والنيران والأبنية .

الحد الخامس عشر : في الحيوان .

الحد السادس عشر : في فنون مختلفة .

ويكفي للتدليل على عنايته بالجانب اللغوي والبلاغي ـ إلى الحدّ الذي يجعل كتابه هذا ثروة علميّة لأهل اللغة وأرباب الفصاحة والبيان ـ أن نطالع بإمعان هذا المثال، والذي يتكرر أمثاله كثيراً في كل موضوع يطرقه الراغب في «مجمع البلاغة» .

فعند كلامه عن الفقر في الحدّ الرابع من كتابه يقول : «الفقر : يقال : افتقر وأقترو أقفر ، وأصله : أن يبيت في قفرٍ بغير زاد ، وأخفق ، وأملق ، وأفلس ، وأبلس ، وأقوى ، وأصفى ، وهو فقير وقير مسكين قتين صعلوك ضريك مُعدم مُصْرِم مُزهَّد منقَّذ ومجروز جرزه الدهر ، ومسكين كافح مرقع ، وقد زمر وفقر وترب أي لصق بالتراب ، وأرمل وأنفض : ذهب طعامه ، وقيل : النُّفاض يُقَطِّر الحَلَب أي

من ذهب زاده قطر إبله، فيجلبها للبيع. هو في عيش أشكل، وعيش ناصب، وعيش رَمَاقَ، وضَعْفٍ، وخفف، وقشف. في ثوب من العيش ليس بالفضفاض، وهو صفر المباءة نحو خالي الدار. أصبحت بين خصاصة وتجمل، هو حال ترشفت الليالي ماءها. تتبعت الجلائف ماله. حل على ماله دهر غشوم، تمسّك بذ ناب عيش، صَفْرُ اليدين مرحّل الزاد.. حاله إذا استُشِفت أرقُّ من الزجاج هو في غموض أمرٍ، وخمول ذكر، وضيق معيشة، وقلّة عدد ناهضة، وفي أقبح إضافة، وأوتح فاقة.

ومركوبه رجلاه والثوب جلده
واشعث ذو طمرين شملال

هو بين طيلسان ابن حرب وخُفّي حُنين، كفقير عليه ثوبٌ رثٌّ أخصب من منزله ظهر الطريق.. تميس في جلبابه المسكنة، مريض الحال، فلان يكثر ذم الزمان، كناية عن الفقر.. أتاني والبؤس رادف رحله، والفقر مُزمَّلٌ في ثوبه..»[1].

***

(١) انظر: مجمع البلاغة، ص (١/ ٣٣٢ - ٣٣٤).

المبحث الثاني: آثاره العلمية المخطوطة

يسّر الله لي حين زرت المكتبة السليمانية بإستانبول أن أطلع على مخطوط يحمل رقم ٣٦٥٤ أسعد أفندي[١]، ويحوي هذا المخطوط أربع رسائل، جاء النص على أنها من تصنيف الراغب الأصفهاني لم يسبق طبعها، على التفصيل التالي:

١ - رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم:

وتقع في عشر ورقات، ومسطرتها (١٧) سطراً بالخط الفارسي. وتنقسم إلى سبعة فصول، تحدث في أولها عن فضل الإنسان على سائر الحيوان، وفي الثاني عن الفضيلة، وفي الثالث عن العقل، وفي الرابع عن أنواع العقل، وفي الخامس عن أنواع المعارف المكتسبة، وفي السادس عن أفضل العلوم وأنفعها، وفي السابع عمّا يحتاج إليه طالب العلم وكيفيّة تعلّمه.

وبيّن الراغب سبب تصنيف هذه الرسالة، فيقول: «ولما رأيت الأستاذ - حرسه الله - سالكاً طريق أسلافه في مراعاة الحسب، محبًّا بطبعه اكتساب الأدب.. أحببت أن أُعرِّفه بالقوانين الصحيحة الواضحة أن الفضيلة الكاملة والسعادة المتناهية في تحلية النفس بالعلوم النافعة عاجلًا وآجلًا»[٢].

(١) وقد اطلع على هذا المخطوط قبلي كلٌّ من الدكتور عمر الساريسي والدكتور شلواح المطيري وأثبتا ذلك في كتابيهما عن الراغب الأصفهاني. انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة ص (٦٥)، والراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير ص (٦١).

(٢) انظر: مقدمة رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم، مخطوط رقم ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية.

٢- رسالة في ذكر الواحد الأحد:

وهي الرسالة الثانية في المخطوط رقم ٣٦٥٤ بمكتبة أسعد أفندي ـ السليمانية إستانبول ـ وهي رسالة صغيرة جدّاً تقع في ثلاث ورقات فقط، وموضوعها شرح هذين الاسمين من أسمائه تعالى (الواحد) و (الأحد).

وبيّن الراغب في بدايتها مناسبة تأليفها فيقول: «كنا تذاكرنا - أطال الله بقاء الشيخ الفاضل، وأدام تأييده - في لفظ الواحد والأحد، فسأل أن أثبت ذلك كتابة، ففعلت إيجاباً»[١].

٣- رسالة في آداب مخالطة الناس:

وهي الثالثة ضمن المخطوط ذي الرقم ٣٦٥٤ أسعد أفندي، وتقع في ١٩ ورقة، وموضوعها عن مخالطة الناس واعتزالهم والمحبة والصداقة، وما يتعلق بها من صفات الصديق وعيوبه.

وقد قسّم الراغب رسالته إلى مقدّمة واثني عشر باباً، وبيّن في مقدمته سبب تصنيفها، فقال: «بلغني ما جرى بحضرة الشيخ - أطال الله بقاءه - من ذكر مخالطة الناس ومجانبتهم.. ثم اختلفوا في الصداقة، هل في معناها وجود أم هي لفظ على غير معنى، وكما قال بعض القدماء وقد سئل عن الصديق، فقال: هو اسم على غير معنى حيوان غير موجود، وإن كان لمعناها وجود هل هي مرغوب إليها أم مرغوب

(١) انظر: مقدمة رسالة في ذكر الواحد الأحد، مخطوط رقم ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية.

عنها. . فأحببت أن أجعل ذلك كتاباً، أذكر فيه نكت ما قال العلماء والحكماء، وأجعله له هديّة»[1].

٤ - رسالة في مراتب العلوم:

وهي الرسالة الأخيرة ضمن مجموع رسائل الراغب ذي الرقم ٣٦٥٤ بمكتبة أسعد أفندي ـ السليمانية.

وتقع الرسالة في سبع ورقات، وتتألف من مقدمة وثلاثة أبواب. الباب الأول: علوم الديانة، والثاني في الأعمال الدنيويّة، والثالث في العلم والعمل.

وقد بيّن الراغب في مقدمتها: أن بيان مراتب علوم الشريعة وأعمالها هو الغرض الأساسي الذي رمى إليه عند تأليفه لهذه الرسالة، فقال: «قصدي في هذه الرسالة أن أبيّن للأستاذ - أدام الله تأييده - مراتب علوم الشريعة وأعمالها بالقول المجمل، ليعلم من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي»[2].

ومن آثار الراغب الأصفهاني المخطوطة التي تضاف إلى هذه الرسائل الأربع ما يلي:

٥ - تفسير القرآن:

وسوف أؤجل الكلام عن هذا الأثر العلمي الهام للراغب

---

(١) انظر: مقدمة رسالة في آداب مخالطة الناس، مخطوط رقم ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية.

(٢) انظر: مقدمة رسالة في مراتب العلوم، مخطوط ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانيّة.

الأصفهاني، لأن الفصل الثالث من هذه الرسالة مخصص بالكامل للحديث عنه[1].

٦- تحقيق البيان عن تأويل القرآن:

وقد أشار إليه الراغب الأصفهاني في مقدمة كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»[2]، وذكره بروكلمان[3] مشيراً إلى وجوده في مكتبة: العتبات المقدسة الرضوية بمشهد تحت رقم ٥٦.

ويقع هذا المخطوط أصلًا في ١٦٩ ورقة، لم يبق منها سوى ١٥٢، والصفحات المفقودة تقع أصلًا في أوّل الكتاب.. وكُتِبَ بخطٍّ نسخي واضح.. وفي الصفحة واحد وعشرون سطراً.. ويختتم بالعبارة التالية التي تدل على تاريخ النسخ: «تم في ذي الحجة سنة تسع وسبعين وستمائة حامداً مصليّاً»[4].

---

(١) انظر: ص (١٢٠) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٥٨)، حيث قال: «كنت قد أشرت فيما أمليته من كتاب (تحقيق البيان في تأويل القرآن) إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها».

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).

(٤) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٥١) وما بعدها. وقد ذكر أن الصفحات المنقوصة من المخطوط قداستوعبت الفصول الثلاثة الأولى، وشيئاً من موضوعات الفصل الرابع، ومن ثم يأتي الفصل الخامس عن كتاب الله واختلاف الناس فيه، والبيان في وصفه بأنه مخلوق أو غير مخلوق.. وفي الفصل السادس يتحدث عن اليوم الآخر ومتعلقاته، والفصل السابع في ذكر القدر وصعوبة الوقوف على سرّه. وتحقيق الإرادة والمشيئة. والفصل الثامن في الإيمان والإسلام والوعد والوعيد، وقد اعتمدت على ما ذكره الدكتور عمر الساريسي في كتابه: «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» للمقارنة بين فصول مخطوط «تحقيق البيان» الذي لم يتيسر لي الاطلاع عليه، وبين فصول «رسالة الاعتقاد» التي صدرت بتحقيق د. شمران العجلي.

وحين نقابل بين هذا المخطوط ومخطوط رسالة في الاعتقاد للراغب الأصفهاني، والذي سبقت الإشارة إليه[١]، نلحظ التطابق التام بينهما، مما يجعل الباحث يجزم بكونهما كتاباً واحداً للراغب الأصفهاني.

يقول أحد الباحثين عن «تحقيق البيان في تأويل القرآن»: «وقد اطلعت على نسخة مخطوطة لهذا الكتاب بالجامعة الإسلامية، وبقراءتها تبيّن لي أنها للمخطوط المحقق الذي أسماه محققه: «رسالة في الاعتقاد»[٢]، وذلك لاتفاقهما في الفصول والموضوعات»[٣].

٧- درّة التنزيل وغرّة التأويل:

وتوجد له النسخ الخطيّة التالية:

أ - نسخة رقم ١٧٦ مكتبة أسعد أفندي - السليمانية - إستانبول.

ب - نسخة رقم ١٨٠ مكتبة راغب باشا في إستانبول باسم «حل متشابهات القرآن».

ج - نسخة رقم ٢٥ مكتبة خسرو باشا - السليمانية - إستانبول - باسم «تفسير المتشابهات».

---

(١) انظر: ص (٧٤) من هذه الرسالة.

(٢) المخطوط رقم ٣/٣٨٢، مكتبة علي سعيد باشا - السليمانية - إستانبول، وتوجد منه نسخة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحمل رقم ٤٩٥.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير، للباحث شلواح المطيري، ص (٤٦). وقد توصل الدكتور عمر الساريسي إلى النتيجة نفسها. انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٥١).

د - نسخة رقم ٧ تفسير مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية باسم «أسرار التأويل وغرّة التنزيل» وهي مصورة من المخطوط رقم (٧٨٤) بالمتحف البريطاني.

هـ- نسخة رقم ١٧٤٨/ أ/ ٨٥٠ مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث (طوبقبواي سراي) إستانبول.

و- نسخة رقم ١٧٤٩/ ر/ ١٨٣٠ مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث (طوبقبواي سراي) إستانبول.

وكل هذه النسخ تنسب الكتاب صراحة إلى الراغب الأصفهاني، وإن اختلفت فيما بينها على عنوان الكتاب، لكن مضمونه يتفق فيما بينها.

وقد طُبِعَ هذا الكتاب منسوباً لمؤلف آخر هو الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ[(١)]، وقد نسبه للخطيب الإسكافي، ياقوت في «معجم الأدباء»[(٢)]، وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطيّة تنسبه للخطيب الإسكافي[(٣)]. أما السيوطي فقد نسبه في «الإتقان»[(٤)] لأبي عبدالله الرازي.

ويستدل المؤيدون لنسبة هذا الكتاب للراغب الأصفهاني بأدلة منها[(٥)]:

---

(١) صدر من دار الآفاق الحديثة ببيروت سنة ١٩٧٣م وطُبع قبل ذلك بمطبعة الخانجي عام ١٩٠٨م.

(٢) انظر: معجم الأدباء (٨/ ٢١٤).

(٣) انظر: على سبيل المثال النسخة رقم ١٣٣ تفسير مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

(٤) انظر الإتقان (١/ ٥٣، ٢٣٢).

(٥) ومنهم الدكتور عمر الساريسي في بحث له بعنوان «تحقيق نسبة كتاب درة التنزيل وغرّة التأويل».

١- وجود النسبة الصريحة إلى الراغب الأصفهاني على جميع النسخ الخطيّة المشار إليها آنفاً[١].

٢- إشارة بعض المصادر إلى هذا الكتاب من ضمن مؤلفات الراغب الأصفهاني، فقد جاءت الإشارة إليه عند البيهقي[٢] وحاجي خليفة[٣] وبروكلمان[٤].

٣- إن الراغب الأصفهاني قد أشار بنفسه إلى كتابه هذا في كتاب آخر له، هو «مفردات في ألفاظ القرآن».

حيث يقول في مقدمته: «وأُتبع هذا الكتاب -إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل- بكتاب يُنبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينهما من الفروق الغامضة، فبذلك يُعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من إخوانه، نحو ذلك: القلب مرّة والفؤاد مرّة، والصدر مرّة، ونحو ذكره تعالى في عقب قصة: «إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» وفي أخرى «لقوم يتفكرون» وفي أخرى «لقوم يعلمون» وفي أخرى «لقوم يفقهون» وفي أخرى «لأولى الأبصار» وفي أخرى «لذي حجر» وفي أخرى «لأولى النهى» ونحو ذلك مما

---

(١) انظر: الصفحة السابقة.

(٢) انظر: تاريخ حكماء الإسلام ص (١٢٢).

(٣) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٣٩).

(٤) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).

يعده من لا يُحق الحق ولا يُبطل الباطل أنه باب واحد»[1].

فالراغب أشار إلى كتاب له يُعنى فيه بالألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وتحقيق ما بينها من الفروق التي تخفى على الكثيرين، ويرى هؤلاء المؤيدون لنسبه كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» للراغب أنه قد وفى بما وعد به، كما فعل على سبيل المثال في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]، والآية الثانية بعدها: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[3]، والآية الثالثة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4]»[5].

٤- إن الراغب أشار في «درّة التنزيل وغرّة التأويل» إلى كتاب آخر له، هو «جامع التفسير»، فقال عند كلامه عن سورة (الكافرون): «إن سأل سائل عن التكرار في هذه السورة؟ فالجواب أن يقال: إنا قد أجبنا في (جامع التفسير) عن ذلك بأجوبة كثيرة..»[6]، وقد وجد على غلاف إحدى نسخ تفسير الراغب اسم «جامع التفسير»، وهي النسخة ذات الرقم ٢١٢ في مكتبة أيا صوفيا بإستانبول[7].

---

(١) انظر: مقدمة المفردات ص (٥٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٥) انظر: درة التأويل ـ المطبوع منسوباً للإسكافي ص (٦٨). وانظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٦).

(٦) انظر: درة التأويل ـ المطبوع منسوباً للإسكافي ص (٣٠٥).

(٧) انظر: ص (٣٨٩، ٣٩٠) من هذه الرسالة.

وقد وردت الإشارة أيضاً في «درّة التنزيل» إلى كتابين آخرين، تنسبهما بعض المصادر للراغب الأصفهاني، ففي مقدمة النسخة الخطية المنسوبة للراغب باسم «حل متشابهات القرآن»، وتحمل الرقم ١٨٠ بمكتبة راغب باشا بإستانبول، نجد قوله: «وذلك بعد ما عملت من كتاب (المعاني الأكبر) وأمليت من (احتجاج القرّاء)».

وقد ذكر حاجي خليفة هذين الكتابين، ونسبهما إلى الراغب الأصفهاني[١].

٥- وضوح أسلوب الراغب الأصفهاني في كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل»: «ذلك أنه يغوص فيه كما عوَّدنا في أعماق اللغة، فيحدِّد ما بين المتشابهات من فروق، تدِق على الكثيرين، ويستخدم الشعر في التمثيل على شرح بعض المعاني»[٢].

٦- إن المقابلة بيّن كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» المطبوع باسم الخطيب الإسكافي وبين المخطوطات التي تنسب الكتاب للراغب الأصفهاني بأسماء متقاربة مثل «أسرار التأويل وغرّة التنزيل»، «حل متشابهات القرآن» وغيرها تظهر التطابق التام بينها في العبارات والألفاظ والترتيب والآيات، التي تم التعرُّض لها. والاختلافات اليسيرة جدّا بينها لا تعدو الاختلافات العاديّة بين نُسخ الكتاب الواحد[٣]. وبالتالي فالكتاب يجب أن ينسب

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٣٩).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٧).

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن ص ١٤٥، ومجلة اللغة=

لمؤلفه الحقيقي، وهو الراغب الأصفهاني، وليس الخطيب الإسكافي.

فهذه هي أدلة القائلين بنسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» إلى الراغب الأصفهاني.

إلا أن باحثاً آخر نشر مقالاً مطوّلاً عنوانه «كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل لا تصح نسبته إلى الراغب الأصفهاني»[١] ناقش فيه أدلة من ينسب الكتاب للراغب الأصفهاني، وأبطلها من وجهة نظره، وخلص إلى نسبة الكتاب إلى أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن المفضل الأصفهاني الملقب بـ «قوام السنّة» المتوفى سنة ٥٣٥هـ، وأن «سبب نسبة الكتاب في بعض نسخه الخطيّة إلى الراغب يعود للاشتراك بينه وبين المؤلف الحقيقي في معظم الاسم والكنية، فالراغب هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني. والمؤلف الحقيقي هو: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن المفضل الأصفهاني، فهما يختلفان بالاسم الأوّل، ويتفقان ببقية الاسم والكنية»[٢].

وممّا جاء في مناقشته للدليل الأوّل وهو: وجود النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني على أغلفة بعض النسخ الخطية، «أن هذا يصلح فرضاً قابلًا للبحث والدراسة، وقد يصح بعد الدراسة أو لا يصح»[٣]،

= العربيّة الأردني، العدد المزدوج ٣-٤ لعام ١٣٩٩هـ ص (٩٧)، مقال بعنوان «تحقيق نسبة كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل» للدكتور عمر الساريسي.

(١) وهو الدكتور أحمد حسن فرحات، وقد نُشر المقال في مجلة الشريعة والدراسات الإسلاميّة، العدد ١٥ جمادى الأولى ١٤١٠هـ ص (٢٣).

(٢) المصدر السابق ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق ص (٣١).

ثم يشير إلى أن بعض النسخ تنسب الكتاب للفخر الرازي، مثل نسخة مكتبة كوبيرلي وزير برقم ١٥٥ تفسير، ويلاحظ الباحث كثرة الاختلاف في اسم الكتاب بين النسخ الخطيّة، وكونها ترجع إلى المكتبات التركيّة باستثناء نسخة المتحف البريطاني، التي يحتمل أيضاً أنها تعود إلى أصل تركي. وهذا كلّه يقوّي الشك في صحة النسبة التي كتبها النسّاخ على أغلفة النسخ الخطيّة، وأنها إنما وقعت من «قبيل الالتباس الذي يحدث عادة عند النساخ نتيجة التشابه والاشتراك في أسماء المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم، ومن ثمَّ فلا يصلح دليلًا على نسبة الكتاب إلى الراغب»[١].

كما أن بعض النسخ الخطيّة تنسب الكتاب صراحة للخطيب الإسكافي، كما في النسخة الخطيّة ذات الرقم (١٣٣) تفسير، في مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة. فمجرد وجود اسم المؤلف على غلاف النسخة الخطيّة لا يثبت صحة نسبة الكتاب إليه، وأما كون بعض المصادر تذكر الكتاب منسوباً للراغب الأصفهاني، فلا شك أن أصحابها قد اعتمدوا على تلك النسخ الخطيّة، التي تنسب الكتاب للراغب الأصفهاني، فأثبتوا ذلك في كتبهم بدليل أن أحدهم وهو: «حاجي خليفة» يذكر هذا الكتاب منسوباً للراغب الأصفهاني مرّة[٢]، وللفخر الرازي مرّة أخرى[٣]، وكذلك فعل «بروكلمان»، فقد ذكر الكتاب منسوباً للراغب

---

(١) المصدر السابق ص (٧٩).
(٢) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٣٩).
(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٧٣٩).

مرّة[1]، ومنسوباً للفخر الرازي مرّة أخرى[2]، بل إن بعض المصادر تنسب الكتاب للخطيب الإسكافي أو الرازي فقط، ولا تذكر نسبته للراغب الأصفهاني مطلقاً، كما فعل الزركشي[3] والسيوطي[4] وياقوت[5]، وهكذا، فإن الزعم بأن مجرد ذكر الكتاب في بعض المصادر منسوباً للراغب الأصفهاني ينهض دليلًا على صحة هذا القول لا يصمد أمام النقد، فكما أن بعض المصادر نسبته للراغب، فبعضها قد نسبته لغيره.

وأمّا القول بأن الراغب الأصفهاني قد أشار إلى كتابه هذا في مصنف آخر له هو «المفردات» فيرُدّ عليه بأن الراغب ذكر في كتابه «المفردات» كتاباً آخر له يختلف في العنوان والموضوع عن كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» فعنوانه «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة» وهو يختلف اختلافاً جذريًا مع عنوان الكتاب الذي نحن بصدده[6]، وهذا الاختلاف في العنوان يعود إلى اختلاف في الموضوع، «فكتاب تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد» هو أولاً: كتاب في الألفاظ المترادفة، التي يظن الناس عدم وجود فروق بينها، ومن ثمّ يمكن استعمالها بمعنى واحد، وقد مثّل لها الراغب بـ «القلب» و «الفؤاد» و «الصدر». . وأما كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» فهو في بيان الآيات المتشابهة

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).
(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٥٠٦).
(٣) البرهان (١/ ٢٠٦).
(٤) انظر: الإتقان (١/ ٢٢٣٢).
(٥) انظر: معجم الأدباء (٨/ ٢١٤).
(٦) انظر: بحث الدكتور أحمد حسن فرحات بعنوان «كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» ص (٣٤).

تشابهاً لفظيًا، وليس هو من باب «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة» . . فالألفاظ المترادفة تختلف في اللفظ وتشترك في المعنى، أما «درّة التنزيل» فهو في الآيات المتشابهة في اللفظ والمختلفة في المعنى، نتيجة لاختلاف السياق، الذي وردت فيه، ومن ثم فهناك اختلاف كبير بين موضوعي الكتابين»[1] .

ويؤكد ذلك الرجوع إلى المثال الذي أشار إليه القائلون بنسبة الكتاب للراغب الأصفهاني، المتعلق بقوله تعالى في الآيات ٩٧، ٩٨، ٩٩ من سورة الأنعام ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ ﴾ ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾، وفي الثالثة: ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾، ذلك أن الكلام في «درّة التنزيل»[2] ينصب على بيان الحكمة من قوله: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ بعد ذكر آيات نبهت على معرفة الله تعالى، وهو أشرف معلوم، وعلى بيان الحكمة من قوله: ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ تنبيهاً على تنقُّل الإنسان من حال إلى حال، من عدم إلى وجود، ومن مكان إلى مكان، من صُلب إلى رحم، ومن بطن أمٍ إلى ظهر الأرض، ومن ظهر الأرض إلى بطنها، فأصحاب الفقه والبصيرة هم الذين يستدلون بانتقال الإنسان من موت إلى حياة، ومن حياة إلى موت، يستدلون بذلك على انتقاله من القبر إلى المحشر، ومن الموت إلى الحياة الآخرة، فناسب حينئذٍ أن يقول: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ .

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣٥) بتصرف يسير.

(٢) انظر: (ص ٦٨) من «درّة التنزيل» المنسوب للخطيب الإسكافي.

ويذكر كذلك الحكمة من قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بعد ما عدد نعمه على خلقه وما وسّعه من رزقه، وهذا كلّه يستدعي الإيمان به، المشتمل على شكر نعمته، فلذلك كانت الآيات في ذلك معرضة لمن آمن بالله، فلذلك قال في الأخيرة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وبناءً على ما سبق فإننا لا نلاحظ أثراً لذكر الفروق الدقيقة الغامضة في الألفاظ المترادفة، بل نلاحظ عناية ببيان الحكمة في ختم الآية أو الآيات بما يناسب ما جاء في سياقها من المعاني. وأمّا بالنسبة للدليل الرابع من أدلة القائلين بنسبة الكتاب للراغب، وهو أنه ذكر فيه كتاباً آخر له هو «جامع التفسير»، وقد وجد هذا الاسم في النسخة الخطية ذات الرقم (٢١٢) في مكتبة أيا صوفيا بإستانبول، فقد ناقشه الباحث المشار إليه آنفاً[١] من وجوه.

أولها: أن تفسير الراغب لم يرد فيه ما يشير إلى أن المؤلف بنفسه قد سمّاه «جامع التفسير»، وهناك نسخ أخرى لتفسيره، بعضها باسم «تفسير القرآن العظيم» للعالم العلّامة الراغب الأصفهاني[٢]، وبعضها باسم «تفسير الراغب» الأصفهاني[٣]، ولم يذكر اسم «جامع التفسير» له أي مصدر من المصادر المعتمدة، ولذلك فإن تسميته بـ«جامع التفسير» يبدو أنه من عمل بعض النساخ، ولا يُعتد به في مجال إثبات أن المؤلف سمّى كتابه بهذا الاسم.

---

(١) الدكتور أحمد حسن فرحات.
(٢) انظر: بحث بعنوان «كتاب درّة التنزيل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» ص (٤٢).
(٣) نسخة أيا صوفيا ١٧١، السليمانية ـ إستانبول.

وأما كون «حاجي خليفة» يذكر كتاب «المعاني الأكبر» وكتاب «احتجاج القرّاء» وينسبهما للراغب الأصفهاني، فالذي يظهر أنه فعل ذلك نتيجة لرؤيته للنسخ الخطيّة لكتاب «أسرار التنزيل» و «حل متشابهات القرآن» المنسوب للراغب الأصفهاني، والتي جاء في مقدمتها ذكر هذين الكتابين، وبالتالي فإن استناده على مجرد نسبة الكتاب للراغب من قِبَلِ أحد النساخ لا ينهض دليلًا كافياً للجزم بصحة تلك الفرضيّة؛ بدليل أن «حاجي خليفة» نفسه عاد فنسب كتاب «درّة التنزيل» إلى الفخر الرازي[1]، فهل يُقال حينئذ: بأن كتابي «المعاني الأكبر» و «احتجاج القرّاء» للفخر الرازي.

ويستدل القائلون بنسبة كتاب «درّة التنزيل» للراغب الأصفهاني إلى أن أسلوب الراغب الأصفهاني واضح فيه، وهي دعوى يمكن معارضتها بضدها ما لم يقم دليل واضح على تأييدها. والاحتجاج بأنه «يغوص كما عودنا في أعماق اللغة ويستخدم الشعر في التمثيل على شرح بعض المعاني»[2] فهو أمر تعودنا عليه من كثير من العلماء، وليس الراغب وحده «وهو كلام عام ينطبق على كتب الراغب وعلى غيرها، ولا يمكن الاعتماد عليه في صحة إثبات الكتب لمؤلفيها أو نفيها»[3].

«ولا شك بأن الناظر في أسلوب «درّة التنزيل» وفي أسلوب كتب

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٣٩).
(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٧).
(٣) انظر: بحث بعنوان «كتاب درّة التنزيل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» ص (٤٣).

الراغب يجد أن كتب الراغب أعلى بياناً وأكثر إشراقاً وأشد إحكاماً»[1] بل إن في مقدمة «درّة التنزيل» حديثاً من قبل المؤلف عن نفسه، لا يستخدمه الراغب أبداً في أيٍّ من كتبه التي بين أيدينا، وقد لاحظ القائلون بنسبة الكتاب للراغب الأصفهاني ذلك، واستغربوه، ولكنهم حاولوا تأويله بوجوه مختلفة من مثل قوله: «ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاناً»، وقوله: «جردت لحرف أشكالها مبرداً»[2].

وأما بالنسبة للتطابق بين الكتاب المطبوع منسوباً للخطيب الإسكافي والنسخ الخطيّة المنسوبة للراغب الأصفهاني، فهذا يدل على خطأ النسبة لأحدهما أو لكليهما معاً، وأن للكتاب مؤلفاً آخر غير المذكورين، وليس هذا مجال بحثنا.

وقد حصلت على النسخة الخطيّة ذات الرقم (١٨٠) في مكتبة راغب باشا بإستانبول، وتحمل اسم «حل متشابهات القرآن» للراغب الأصفهاني، وقمت بمقابلتها على كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» للخطيب الإسكافي، فظهر التطابق التام بينهما واضحاً جليّاً باستثناء بعض الاختلافات اليسيرة، التي تحدث بين النسخ الخطيّة المختلفة لكتاب واحد. والحاصل أن هناك شكًّا كبيراً في صحة نسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» للراغب الأصفهاني، والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الكتاب ليس من مصنّفات الراغب الأصفهاني.

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٤٤).
(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٩).

المبحث الثالث: آثاره العلميّة المفقودة

١- أصول الاشتقاق:

أشار إليه الراغب في كتابه «مفردات في ألفاظ القرآن»، فقال: «والجيدر: القصير. اشتق ذلك من الجدار، وزيد فيه حرف على سبيل التهكم، حسبما بيّناه في (أصول الاشتقاق)»(١).

٢- تحقيق البيان في تأويل القرآن:

أشار إليه الراغب في مقدمة كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، فقال: «كنت قد أشرت فيما أمليته من كتاب «تحقيق البيان في تأويل القرآن» إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها»(٢)، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب «رسالة في الاعتقاد»، الذي طُبع بتحقيق د. شمران العجلي(٣).

٣- الرسالة المنبهة على فوائد القرآن:

أشار إليها الراغب في كتابه «مفردات في ألفاظ القرآن» فقال في مقدمته: «كنت قد ذكرت في «الرسالة المنبهة على فوائد القرآن» أن الله تعالى كما جعل النبوة بنبوة نبينا مختتمة، وجعل شرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكمّلة متمّمة.. جعل كتابه المنزل عليه متضمناً لثمرة كتبه..»(٤).

---

(١) انظر: المفردات، مادة: جدر ص (١٨٩).

(٢) انظر: مقدمة «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص (٥٨).

(٣) انظر: ص (٧٤) من هذه الرسالة.

(٤) انظر: مقدمة المفردات ص (٥٣).

٤- رسالة مفردة لشرح حديث «ستفترق أمتي»:

أشار إليها الراغب في كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» فقال: «وقد روي الخبر في ذلك على وجهين: أحدهما: «**ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»[١] وفي الخبر الآخر: «**كلها في الجنة إلا واحدة، وهم الزنادقة**»[٢]، وهذان خبران لا يمتنع أن يكونا صحيحين، ولكن على نظرين ومعنيين، وقد ذُكر ذلك وبُيّن في رسالة مفردة»[٣].

٥- عيون الأشعار:

أشار إليه الراغب في مقدمة كتاب «محاضرات الأدباء» فقال: «فإن سيدنا -عمَّر الله بمكانه مرابع الكرم- أحب أن أختار له مما صنَّفت من «نكت الأخبار» ومن «عيون الأشعار» ومن غيرهما من الكتب فصولاً في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء»[٤].

---

(١) هذا الحديث روي بألفاظ مختلفة مرفوعاً عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وسعد، وعبدالله بن عمرو، وأنس بن مالك، ومعاوية بن أبي سفيان، وعوف بن مالك رضي الله عنهم. أما حديث أبو هريرة فقد أخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٦). والترمذي رقم (٢٦٤٠)، كتاب الإيمان وقال: حسن صحيح، وابن ماجه رقم (٣٩٩١) كتاب الفتن. وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (٢٠٣، ٢٠٤، ١٤٩٢).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ العقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٠١)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٦٧)، وقال الألباني: موضوع بهذا اللفظ انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٠٣٥).

(٣) انظر: الذريعة ص (٢٦٦).

(٤) انظر: مقدمة محاضرات الأدباء ص (١/ ٧) بتصرف يسير.

وأشار إليه في كتاب «مجمع البلاغة» فقال: «وللأدباء أشعار كثيرة في الهرّ اخترت صدراً منها في عيون الأشعار»[1].

٦- نكت الأخبار:

أشار إليه الراغب في مقدمة «محاضرات الأدباء»[2].

٧- شرف التصوف:

أشار إليه الراغب عندتفسيره للآية (٣٧) من سورة البقرة، فقال: «ولكل فرقة مقامات معدودة، يترتب بعضها على بعض، وهذه مسألة كبيرة، قد أحكمتها في كتاب: «شرف التصوف»، وبيّنتُ تخصيص كل مقام»[3] وتشترك هذه الكتب السابقة في أن الراغب بنفسه قد ذكرها في كتب أخرى له، بالإضافة إلى كتاب «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد»، الذي وعد به في مقدمة كتابه «المفردات»[4]، ولكنه لم يذكر في مواضع أخرى من كتبه إن كان قد ألّفه بالفعل أم لا؟ ولذلك لم أذكره ضمن آثاره العلميّة المفقودة لاحتمال أن الراغب لم يؤلف ذلك الكتاب الذي وعد به.

وقد ذكرت بعض المصادر كتباً أخرى، نسبتها للراغب الأصفهاني على التفصيل الآتي:

---

(١) انظر: مجمع البلاغة ص (٧٩٩).

(٢) انظر: مقدمة محاضرات الأدباء ص (١/ ٧).

(٣) انظر: تفسير الراغب، مخطوط ق (٤٢). وانظر: ق (٥٠). وانظر نص عبارته في الصفحة السابقة هامش رقم ٤.

(٤) انظر: مقدمة المفردات ص (٥٥).

١ - أخلاق الراغب :

ورد ذكره عند «بروكلمان»، وأشار إلى نسخة خطيّة منه في برلين برقم ٥٣٩٢[١].

٢ - احتجاج القرّاء :

ذكره حاجي خليفة[٢]، ويظهر أنه اعتمد في إثباته على ما ورد في مقدمة «حل متشابهات القرآن»[٣] المنسوب للراغب الأصفهاني من ذكر لكتاب «احتجاج القرّاء»، وقد سبق الحديث عن نسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل»، الذي يسمى في بعض نسخه «حل متشابهات القرآن»، وأن في نسبته إلى الراغب الأصفهاني شكّاً كبيراً[٤].

٣- أدب الشطرنج :

ذكره بروكلمان[٥]، ونسبه للراغب الأصفهاني.

٤ - كلمات الصحابة :

أشار إليه ظهير الدين البيهقي[٦] منسوباً إلى الراغب الأصفهاني.

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).
(٢) انظر : كشف الظنون (١/ ١٥).
(٣) مخطوط رقم ١٨٠ مكتبة راغب باشا ـ استانبول.
(٤) انظر : ص (١٠٠) من هذه الرسالة.
(٥) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).
(٦) انظر : تاريخ حكماء الإسلام ص (١٢).

٥- مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت :

وقد تناول فيه كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكيت بالتهذيب والاختصار مع العناية بالجوانب الأدبية بأسلوب مقتضب دون إغراق في التفصيلات الأدبية، وهو لا يزال مخطوطاً، وقد أشار إليه الأستاذ شلواح المطيري في رسالته عن الراغب الأصفهاني، وذكر أن له نسخة خطيّة في مركز البحوث الإسلاميّة بجامعة أم القرى برقم (٣١٦)، مصوراً عن المكتبة التيمورية برقم (١٣٧)[١].

٦- المعاني الأكبر :

ذكره حاجي خليفة[٢]، ويظهر أنه اعتمد في نسبته إلى الراغب إلى نسخة خطيّة تنسب للراغب من كتاب «حل متشابهات القرآن»[٣]، ورد في مقدمتها بلسان المصنف ذكر كتاب «المعاني الأكبر» منسوباً للمصنف.

وقد سبق الحديث عن نسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» الذي يسمّى في بعض نسخه «حل متشابهات القرآن»، وأن في نسبته للراغب الأصفهاني شكّا كبيراً[٤].

* * *

(١) انظر : الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن ص (٤٠). وانظر : مقدمة «المفردات» ص (١١).

(٢) انظر : كشف الظنون (٢/ ١٧٢٩).

(٣) انظر : مخطوط رقم ١٨٠ مكتبة راغب باشا ـ إستانبول.

(٤) انظر : ص (١٠٥ - ١٠٧) من هذه الرسالة.

المطلب الرابع

ثناء العلماء عليه

١ - قال عنه ظهير الدين البيهقي:

«كان من حكماء الإسلام، وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في مصنفاته.. وكان حظه من المعقولات أكثر»[(١)].

٢- قال عنه الذهبي:

«العلّامة الماهر، والمحقق الباهر، كان من أذكياء المتكلمين»[(٢)].

٣- وذكر فخر الدين الرازي:

«أن الراغب من أئمة السُّنَّة، وقرنه بالغزالي»[(٣)].

٤- وقال السيوطي:

«وقد كان في ظنّي أن الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من «القواعد الصغرى» لابن عبدالسلام ما نصّه: ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول: أن أبا القاسم الراغب من أئمة السُّنة، وقرنه بالغزالي، وهي فائدة حسنة، فإن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي»[(٤)].

---

(١) انظر: تاريخ حكماء الإسلام ص (١١٢).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠، ١٢١).
(٣) انظر: أساس التقديس ص (١٧).
(٤) انظر: بغية الوعاة ص (٢/ ٢٩٧).

٥- وقال عنه الصفدي:

«أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، متحقق بغير فن من العلم، وله تصانيف تدل على تحقيقه، وسعة دائرته في العلوم، وتمكُّنه منها»[(١)].

٦- وقال عنه محمد كرد علي:

«كان صاحب لغة وعربيّة وحديث وشعر وكتابة وأخلاق وحكمة.. عارف بعلوم الأوائل»[(٢)].

٧- وقال عنه الزركلي:

«أديب من الحكماء العلماء»[(٣)].

٨- وقال عنه عمر رضا كحالة:

«أديب لغوي حكيم مفسر»[(٤)].

وأما بالنسبة لأصحاب كتب التراجم من الشيعة فقد أكثروا من ذكره والثناء عليه، ومنهم:

٩- الخوانساري:

حيث قال عنه: «الإمام الأديب والحافظ العجيب، صاحب اللغة والعربيّة والحديث والشعر والكتابة والأخلاق والحكمة

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات (١٣/ ٤٥).

(٢) انظر: كنوز الأجداد ص ٢٥٦.

(٣) انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٤) معجم المؤلفين (٤/ ٥٩).

والكلام وعلوم الأوائل، وغير ذلك، فَضْلُه أشهر من أن يُوصف، ووصفه أرفع من أن يُعرف»[1].

١٠ - وقال عنه عباس القمّي:

«صاحب اللغة، والعربيّة، والحديث، والشعر، والأدب»[2].

١١ - وقال عنه الميرزا عبدالله أفندي:

«العالم الفاضل، الأديب المفسّر، اللغوي المتكلم، الحكيم الصوفي، كان من مشاهير حكماء الإسلام»[3].

***

(١) انظر: روضات الجنات للخوانساري (٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: سفينة البحار لعباس القميّ (١/ ٢٥٨).

(٣) انظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء للميرزا عبدالله أفندي (٢/ ١٧٢).

الفصل الثالث

دراسة تحليلية للكتاب المحقق

وفيه مطالب:

* المطلب الأول : نسبته
* المطلب الثاني : أهميته
* المطلب الثالث : منهجه في كتابه من خلال الجزء المحقق
* المطلب الرابع : دراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة من خلال الجزء المحقق
* المطلب الخامس : النسخ الخطية وتوصيفها

المطلب الأوّل

نســــبته

يمكن القطع بصحة نسبة هذا التفسير للراغب الأصفهاني لأدّلة كثيرة منها:

أولاً: اطلاع مجموعة من الأئمة عليه وإثباتهم نسبته للراغب الأصفهاني، فمن هؤلاء:

١ - الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ):

صاحب «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» حيث قال: «الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهاني.. له التفسير الكبير في عشرة أسفار، غاية في التحقيق، وله المفردات لا نظير لها في معناها»[١].

٢- الإمام الزركشي (٧٩٤هـ):

صاحب «البرهان في علوم القرآن»، وقدذكر ما يفيد اطلاعه على تفسيره وصحة نسبته عنده إلى الراغب الأصفهاني فقال: «ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة: الظنّ أعمّ ألفاظ الشك واليقين، وهو اسم لما حصل عن أمارة..»[٢].

---

(١) انظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص (٩١).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٣٩).

٣- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ):

صاحب كتاب «كشف الظنون» حيث ذكر تفسير الراغب الأصفهاني، ثم وصفه بما يُثبت اطلاعه عليه، فقال: «هو تفسير أوّله (الحمد لله على آلائه..)»[(١)].

وهي بداية مخطوط تفسير الراغب الأصفهاني الذي بين أيدينا[(٢)].

ثانياً: نقل مجموعة من المفسرين عن تفسير الراغب الأصفهاني، وتصريحهم بالنقل عنه، وبالرجوع إلى التفسير الذي بين أيدينا نجد التطابق، فمن هؤلاء:

١- الإمام شرف الدين الطيبي:

المتوفى سنة ٧٤٣هـ، حيث صنّف حاشية على كتاب «الكشاف» للزمخشري، وسمّاها «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب»، وقد أحصيت فيها أكثر من تسعين موضعاً - في سورتي النساء والمائدة فقط - نقل فيها عن الراغب الأصفهاني مصرِّحاً باسمه، وبمطابقة نقولاته بما في تفسير الراغب المخطوط وجدتها متطابقة[(٣)].

فمن ذلك:

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٤٤٧).

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، مخطوط برقم ١٧١، بمكتبة أيا صوفيا بجامع السليمانية في إستانبول.

(٣) انظر على سبيل المثال الفقرات: (١٩، ٨٣، ١٧٨، ١٨٦، ١٩٥، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٠٦، ٥٢١، ٥٣٤، ٥٣٨، ٦٦٩، ٧٠٦، ٧١٦، ٧٤٥، ٨٧٤) من فتوح الغيب، للطيبي، رسالة دكتوراه للباحث صالح الناصر، كلية القرآن، الجامعة الإسلامية.

(أ) قول الطيبي عن «الراغب: أفضى فلان إلى فلان أي وصل إلى فضاءٍ منه، أي سعة غير محظورة. فمن الفقهاء من جعل ذلك عبارة عن الخلوة، حصل معها المسيس أو لم يحصل، ومنهم من جعله كناية عن المسيس، وإليه ذهب ابن عباس ومجاهد، ونبَّه أن المهر بإزاء ذلك المعنى، وقد نلتموه منهن فلا حقَّ لكم إذاً عليهنّ»[1].

وهذا النقل يتطابق مع ما ذكره الراغب أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

(ب) نقل الطيبي عن الراغب أنه قال: «التزكية: إما بالفعل، وهو أن يتحرَّى الإنسان ما فيه تطهير بدنه، وذلك يصح أن ينسب إلى العبد، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، وإلى من يأمره بفعله، كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[4]، وإما بالقول، وذلك بالإخبار عنه بذلك ومدحه به، ومحظور على الإنسان أن يفعل ذلك بنفسه لا بالشرع فقط، بل بمقتضى العقل أيضاً من غير داع إلى ذلك. فالتزكية في الحقيقة هي الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان، ولا يعرف ذلك إلا الله، ولهذا قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[5]»[6].

---

(١) انظر: فتوح الغيب (١/ ٦٠) الفقرة ١٩٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢١. وانظر: كلام الراغب ص (١١٥٦) من هذه الرسالة.

(٣) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٦) انظر: فتوح الغيب (١/ ١٢٠) الفقرة رقم ٣٨٤.

وهذا النقل مطابق لما ذكره الراغب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾[١] مع اختصار يسير قام به «الطيبي»[٢].

(ج) نقل الطيبي عن الراغب قوله: «القول البليغ إذا اعتبر بنفسه فهو ما يجمع أوصافاً ثلاثة: أن يكون صواباً، وطبقاً للمعنى المقصود به، لا زائداً ولا ناقصاً عنه، وصدقاً في نفسه. وإذا اعتبر بالمقول له والقائل فهو الذي يقصد به قائله الحق، ويجد من المقول له قبولاً، ويكون وروده في الموضع الذي يجب أن يورد فيه»[٣].

وقد قال الراغب هذا الكلام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[٤] مع تصرفٍ يسير للطيبي في نقله عنه[٥].

٢- الإمام أبو حيّان:

المتوفى سنة ٧٤٥هـ صاحب تفسير «البحر المحيط»، حيث نقل عن الراغب الأصفهاني في أكثر من عشرين موضعاً في تفسيره لسورتي آل عمران والنساء[٦]. ومن أمثلة ذلك:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٢) انظر: ص (١٢٧٠) من هذه الرسالة.

(٣) انظر: فتوح الغيب (١/ ١٣٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٥) انظر: ص (١٢٩٧) من هذه الرسالة.

(٦) وقد أثبت هذه النقول أثناء التحقيق في مواضعها من التفسير.

(أ) قال أبو حيّان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[1] ما نصّه: «قال الراغب: ووصف الإنسان بأنه خُلِقَ ضعيفاً إنما هو باعتباره بالملأ الأعلى، نحو ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾[2]، أو باعتباره بنفسه دون ما يعتريه من فيض الله ومعونته، أو اعتباراً بكثرة حاجاته وافتقار بعضهم إلى بعض، أو اعتباراً بمبدئه ومنتهاه، كما قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[3] فأما إذا اعتبر بعقله وما أعطاه من القوة التي يتمكن بها من خلافة الله في أرضه، ويبلغ بها في الآخرة إلى جواره تعالى، فهو أقوى ما في هذا العالم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[4]»[5].

وهذا الكلام موجود بنصّه في تفسير الراغب لهذه الآية من سورة النساء[6].

(ب) نقل أبو حيّان عن الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[7] فقال ما نصّه:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٥) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٦) انظر: ص (١٢٠٠، ١٢٠١) من هذه الرسالة.

(٧) سورة النساء، الآية: ٦٩.

«وقال الراغب: قسَّم الله المؤمنين في هذه الآية أربعة أقسام، وجعل لهم أربعة منازل، بعضها دون بعض، وحثَّ كافة الناس أن لا يتأخروا عن منزل واحد منهم. الأوّل: الأنبياء الذين تمدهم قوّة الإلهية، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من قريب، ولذلك قال تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[1]، والثاني: الصِّدِّيقون وهم الذين يزاحمون[2]، الأنبياء في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيد..»[3].

واستمر أبو حيّان في النقل الحرفي عن الراغب لخمسة أسطر إضافة للأسطر السابقة.

وبالرجوع إلى تفسير الراغب وجدت هذا الكلام بنصّه دون اختلافٍ يُذكر[4].

(ج) وعند تفسير أبي حيّانٍ لقوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾[5] قال ما نصّه:

«قال الراغب: الركس والنكس والرذل. والركس أبلغ من النكس، لأن النكس ما جُعل أسفله أعلاه، والركس أصله ما رجع رجيعاً بعد أن كان طعاماً، فهو كالرجس، ووصف أعمالهم به،

---

(١) سورة النجم، الآية: ١٢.

(٢) هكذا وردت في «البحر المحيط» وأما في مخطوط «تفسير الراغب» فهي: يُتاخمون.

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٤) انظر: ص (١٣١١، ١٣١٢) من هذه الرسالة.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٨.

كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[(1)] وأركسه أبلغ من ركسه كما أن أسقاه أبلغ من سقاه»[(2)].

وما نقله أبو حيّان عن الراغب موجود بنصّه في تفسير الراغب مع اختلاف يسير لا يُذكر[(3)].

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تُثبت نقل أبي حيّان عن تفسير الراغب، الذي بين أيدينا، لا يتّسع المقام للإتيان عليها جميعاً[(4)].

٣- الإمام الزركشي:

حيث نقل عن تفسير الراغب مصرّحاً بالنسبة إليه في عدّة مواضع على التفصيل التالي:

(أ) قال الزركشي: «قال الراغب في مقدمة تفسيره: وذهب عامّة المتكلمين إلى أن القرآن يجب أن يكون معلوماً، وإلا لأدى إلى إبطال فائدة الانتفاع به، وحملوا قوله ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ بالعطف على قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وقوله: (يقولون) جملة حالية»[(5)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٢٦).

(٣) انظر: ص (١٣٧٣) من هذه الرسالة.

(٤) انظر على سبيل المثال الصفحات (٣/ ٤٠، ١٠٢، ٢٣٦، ٢٨١، ٢٩٨، ٣١٤) من البحر المحيط وقارنها بالصفحات: (٨١٨، ٩٤٦، ١١٩٧، ١٢٧٠، ١٣٠٧، ١٣٣٤، ١٣٣٥) من هذه الرسالة.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٠٤).

وبالعودة إلى المخطوط وجدنا ما قاله الزركشي منسوباً إلى الراغب، موجوداً بنصّه في «فصل في أنه هل في القرآن ما لا تعلم الأمّة تأويله»[1].

(ب) قال الزركشي: «وقال الراغب في مقدمة تفسيره: اختُلِفَ في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فمنهم من بالغ ومنع الكلام..»[2] . . . إلخ. وواصل نقل خمسة أسطر تقريباً.

وبالعودة إلى المخطوط نجد الراغب يقول ما نصّه: «اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض يشدد في ذلك، وقال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن..»[3] إلخ. ثم واصل بنفس ما نقله الزركشي عنه مع تصرُّف يسير جدّاً للزركشي.

(ج) قال الزركشي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾: قال الراغب في تفسيره: كيف هنا استخبار لا استفهام، والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً، ولا يقتضي علم المستخبر، والاستفهام بخلاف ذلك»[4].

---

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢ بمكتبة أيا صوفيا ق ١٣.
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦).
(٣) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ١٤.
(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٨٤).

وبالرجوع إلى المخطوط وجدنا الراغب يقول ما نصّه: «كيف هاهنا استخبار لا استفهام، والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً، ولا يقتضي جهل المستخبر، والاستفهام بخلاف ذلك»[(١)].

(د) قال الزركشي: «ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة: الظّن أعم ألفاظ الشك واليقين، وهو اسم لما حصل عن أمارة، فمتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّاً لم تتجاوز حدّ الوهم، وأنّه متى قوي استعمل فيه (أنّ) المشدّدة، و (أنْ) فيه المخففة منها، ومتى ضعف استعمل معه (إن) و (إنّ) المختصة بالمعدومين من الفعل والقول، نحو: ظننت أن أخرج؛ وأن يخرج؛ فالظّن إذا كان بالمعنى الأول محمود، وإذا كان بالمعنى الثاني فمذموم، فمن الأوّل ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[(٢)]، ومن الثاني: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[(٤)]»[(٥)].

وبالرجوع إلى المخطوط نجد العبارة مع تصرف يسير للزركشي، حيث بدأها الراغب بقوله: «قدتقدم الكلام في الظّن، وأنه أعمّ ألفاظ الشك واليقين، وأنه اسم لما يحصل عن أمارة، فمتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّاً لم تتجاوز حدّ الوهم..»[(٦)] إلى

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ٥٤-٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٦.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢٨.
(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٣٩).
(٦) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ٦٤.

أن انتهت العبارة بمثل ما نقل الزركشي عنه .

وهكذا فإن تفسير الراغب الأصفهاني كان أحد مصادر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ في كتابه «البرهان»، كما نص الدكتور يوسف المرعشلي محقق كتاب «البرهان في علوم القرآن» حيث يقول : «فمن مصادر علوم القرآن التي أكثر الزركشي من الاعتماد عليها، وصرّح بها تلك الكتب المؤلفة في (علوم القرآن) قبله، وكان العلماء يضمونها في مقدمات تفاسيرهم، كما فعل الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره «جامع البيان»، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٥هـ) في تفسيره»(١) .

٤- الإمام السيوطي :

حيث نقل جزءاً من مقدمة الراغب الأصفهاني لتفسيره، تحت عنوان «في شرف علم التفسير» وذلك في كتابه «الإتقان» واعتبر تفسير الراغب من تفاسير غير المحدّثين(٢) .

ثالثاً: النسبة الصريحة إلى أبي القاسم الراغب في أوّل ورقة من مخطوط تفسير الراغب، الذي بين أيدينا، حيث جاء فيها ما نصّه :

«قال الشيخ أبو القاسم الراغب ـ رحمه الله تعالى ـ: القصد من هذا الإملاء إن نفّس الله في العمر، ووقانا نوب الدهر، وهو مرجو

---

(١) انظر : مقدمة البرهان في علوم القرآن (١/ ٧٥).

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣)، و(٢/ ٤٣٢، ٤٣٣) وقارن بما ذكره الراغب بعنوان «في شرف علم التفسير» في مقدمة «جامع التفاسير» للراغب بتحقيق د. أحمد حسن فرحات ص (٩١).

أن يسعفنا بالأمرين . . »[1] .

رابعاً: إحالة الراغب الأصفهاني في تفسيره الذي بين أيدينا على كتاب آخر له مقطوع بصحة نسبته إليه، ألا وهو: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» حيث قال:

«من ترك تحرّي موالاة الله وفعل ما أدى إلى موالاة الشيطان تارة بالإرادات الرديّة والخواطر الفاسدة حسب ما ذُكر في كتاب (الذريعة إلى مكارم الشريعة)»[2] .

خامساً: تطابُقُ كثير من مواضع هذا التفسير المخطوط مع مواضع من كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» المقطوع بنسبته للراغب الأصفهاني، وأورد للدلالة على ذلك الأمثلة التالية:

(أ) قال الراغب في التفسير: «قوله عز وجل: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الهداية دلالة بلطف، ومنه الهديّة، وهوادي الوحش إنما هو متقدماتها لكونها هادية لسائرها، وخص ما كان دلالة بفعلت نحو هديته الطريق، وما كان من الإعطاء بأفعلت نحو: أهديت الهديّة، وأهديت إلى البيت، ولما تصور العروس على وجهين قيل فيه: هديت وأهديت، فإن قيل: كيف جعلت (الهدي) دلالة بلطف، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وقال تعالى:

---

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢ مكتبة أيا صوفيا ق ١، ونسخة أخرى برقم ١٧١ مكتبة أيا صوفيا بعنوان «تفسير القرآن» ق ١ .

(٢) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٨٤ مكتبة ولي الدين جار الله ق ٢٩٨ عند تفسيره للآية رقم (١١٩) من سورة النساء .

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ قيل : إن ذلك على حسب استعمالهم اللفظ للتهكم ، كما قال :

وخيل قد دلفت له بخيل   تحية بينهم ضرب وجيع»[1]

وحين ننظر إلى مادة (هدى) في كتاب «المفردات» للراغب الأصفهاني ، نجد العبارة تتكرر بنصها حيث يقول :

«هدى : الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهداية ، وهوادي الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها ، وخُص ما كان دلالة بهديت ، وما كان إعطاء بأهديت نحو : أهديت الهدية ، وهديت إلى البيت ، إن قيل كيف جعل الهداية دلالة بلطف ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾؟! قيل : ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم ، مبالغة في المعنى ، كقوله : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وقول الشاعر :

.... تحية بينهم ضرب وجيع»[2]

ولا شكَّ أن هذا التطابق يدلّ على صحّة نسبة الكلام الأوّل إلى صاحب الكلام الثاني ، وهو الراغب الأصفهاني في الحالتين .

وقد اقتصرت على هذا الجزء من معنى الهداية لعدم الإطالة ، وإلا فالتطابُقُ مستمرٌ لأكثر من صفحتين بين ما في التفسير المخطوط وما في المفردات .

---

(١) انظر : مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢ مكتبة أيا صوفيا ق ٢٤ .
(٢) انظر : المفردات ، مادة : هدى ، ص (٨٣٥) .

(ب) مثل آخر:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ما نصّه: «الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر تبديه على خلاف ما تخفيه، ومنه قيل: خَدَعَ الضَّبُّ إذا استتر في جحره، واستعمال ذلك فيه لما اعتقدوا في الضب أنه يُعِدُّ عقرباً تلدغ من يُدخِلُ يده في جحره، حتى قالوا: العقرب بواب الضب، ولاعتقاد الخديعة فيه قالوا: أخدع من ضبٍّ، وطريق خادع مخالف لما يقتضيه ظاهره، والمخدع كأنك جعلته خادعاً، لمن رام تناول ما فيه، لأنه بيت في بيت..»[1].

وعند الرجوع إلى العبارة في مادة خدع في كتاب الراغب «مفردات ألفاظ القرآن» نجدها بنصها وحروفها مع تقديم وتأخير يسير حيث قال: «خدع: الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه.. إلى أن قال.. وقيل: خَدَعَ الضبُّ أي استتر في جحره، واستعمال ذلك في الضب أنه يُعِدّ عقرباً تلدغ من يُدْخِلُ يديه في جحره، حتى قيل: العقرب بواب الضب وحاجبُهُ، ولاعتقاد الخديعة فيه قيل: أخدع في ضب، وطريق خادع وخيدع مضلّ كأنه يخدع سالكه، والمخدع بيت في بيت كأنه بانيه جعله خادعاً لمن رام تناول ما فيه»[2].

(ج) مثال ثالث: قال الراغب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، أيا صوفيا ق ٣٩.
(٢) انظر: المفردات، مادة: خدع، ص (١٤٣).

﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ما نصّه: «الرّب في الأصل التربية، يقال: ربّه وربّاه. فسمّى الرّاب ربًّا لزيادة معنى تُصور منه، قيل: لأن يَربني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربّني رجل من هوزان. فربُّ العالمين هو المتكفِّل بمصلحتهم..»(١).

وفي المفردات ما نصّه:

«الربُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال: ربّه وربّاه وربّبه، وقيل: لأن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إلي من أن يرُبَّنِي رجل من هوزان، فالرّب مصدر مستعار للفاعل، ولا يُقال الرب مطلقاً إلا لله المتكفل بمصلحة الموجودات..»(٢).

وهكذا فالأمثلة متكاثرة تدلّ على تطابق العبارات في مواضع متعددة من التفسير المخطوط وكتاب «المفردات» للراغب الأصفهاني.

وبناء على ما سبق من الأدلّة يمكن الجزم بصحة نسبة التفسير إلى الراغب الأصفهاني، والله أعلم.

***

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ٢١.
(٢) انظر: المفردات، مادة: ربّ، ص (١٨٤).

المطلب الثاني

أهميته

يستمدُّ كل كتاب أهميته بالدرجة الأولى من أهميّة مؤلفه وشهرته في فنّه، وتلقي العلماء مؤلفاته بالقبول. ولا تكاد تخلو مكتبة طالب علم ـ ولاسيما في مجال التفسير ـ من كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني، وذلك لشموله وتبّحر مؤلفه ـ بشكل واضح ـ في علوم اللغة وتراكيب ألفاظها ومفرداتها؛ لكن الباحث يصطدم بالاختصار الشديد الذي أملته طبيعة الكتاب ـ حيث يُعنى بشرح معاني الألفاظ والمفردات الغريبة التي ترد في القرآن ـ مما يحرم مطالعيه من متابعة النكت البلاغيّة والتقريرات التفسيريّة التي برع فيها الراغب الأصفهاني رحمه الله.

ومن هنا تنبع أهميّة «تفسير الراغب الأصفهاني» حيث إنه قد قابل ذلك الاختصار ـ المطلوب ـ في كتابه «المفردات» بإطناب وتوسع ـ مطلوب أيضاً ـ في تفسيره الذي بين أيدينا، ومما يؤكد أهميّة هذا التفسير ما يلي:

١ - تبحّر الراغب الأصفهاني في علوم البلاغة والنحو، والاشتقاق والمعاني، وقد ضمّن تفسيره خلاصة خبرته ودرايته بهذه العلوم بتوسُّع وإطناب.

وكان مسلكه بعد إيراد الآية أن يبدأ بالألفاظ، فيرجعها إلى أصولها اللغويّة التي اشتقت منها، ويستدل على ذلك بطريقة متميّزة، جعلت ناقداً حصيفاً كالزركشي يقول مبيّنا تفرد الراغب الأصفهاني بقدر زائدٍ على أهل اللغة:

«اعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم: لم يرد.. وما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ في لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به «الراغب» كثيراً في كتاب «المفردات»، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق»[1]، ولقد كانت عناية الراغب باقتناص قيد زائد على أهل اللغة من السياق، توضح مدلول اللفظ ومعناه أشدّ وضوحاً في تفسيره منها في كتاب «المفردات»، بسبب توسعه فيه وإطنابه في بيان مدلولات الألفاظ.

٢- إكثار «الراغب الأصفهاني» في تفسيره من النقل عن أئمة اللغة ومجموعة من المفسرين، الذين تعتبر كتبهم في حكم المفقودة، مما يجعل تفسير الراغب مصدراً هامّاً للباحثين، الذين يريدون توثيق أقوال أولئك المفسرين، ولاسيّما أنه أكثرمن النقل عن أئمة المعتزلة معارضاً أومؤيّداً، فمن هؤلاء: النظام[2] (ت ٢٣١هـ)،

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣١٣).
(٢) وسوف تأتي تراجمهم في قسم التحقيق من هذه الرسالة.

وأبو علي الجبّائي (ت ٣٠٣هـ)، وأبو القاسم البلخي (ت٣١٩هـ)، وأبو هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ)، وابن بحر: أبو مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢هـ).

٣- يحتوي تفسير الراغب على جملة طيبة من الفوائد والنكت واللطائف التفسيريّة، التي لا تكاد توجد عند غيره من المفسرين، يتفرَّد بها لظهور شخصيته العلميّة، ورسوخ قدمه في علم التفسير، ويدعمها بقوة حجته وحسن استدلاله وسعة اطلاعه على آراء من سبقه من المفسرين.

٤- أن «تفسير الراغب الأصفهاني» لم يُحقق ويُطبع قبل ذلك، بل ظل حبيس المكتبات مخطوطاً[1]، في حين أن ما فيه من الجهد الذي بذله مؤلفه يفوق جهده في كتابه «المفردات» على أهميته، بل ويفوق كثيراً من كتب التفسير اللاحقة له، التي وجدت من يخدمها بالنشر والتحقيق ويخرجها مطبوعة. وبالتالي فإن لتحقيقه وإخراجه مطبوعاً أهميّة خاصّة عند طلاب العلم، ولاسيما المختصين بعلم التفسير.

٥- تقدم وفاة الراغب الأصفهاني على كثير من المفسرين المشهورين: فالزمخشري صاحب «الكشاف» توفي سنة ٥٣٨هـ، وابن عطيّة صاحب «المحرر الوجيز» توفي سنة ٥٤١هـ، والقرطبي

(١) باستثناء تحقيق د. أحمد حسن فرحات لمقدمة التفسير مع تفسير سورة الفاتحة وأول خمس آيات من سورة البقرة. وقد صدر ذلك في كتاب عنوانه «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة».

صاحب «الجامع لأحكام القرآن» توفي سنة ٦٧١هـ، وأبو حيّان صاحب «البحر المحيط» توفي سنة ٧٤٥هـ، ولاشك أن المفسّـر لا يكتسب الأهميّة لتفسيره بمجرد تقدُّم وفاته على من بعده من المفسرين، ولكن حين يقترن ذلك بمميزات أخرى سبقت الإشارة إلى طرفٍ منها: كالتبحر في علوم اللغة، والرسوخ في علم التفسير، وكثرة النقول عمن سبقه، فإنه والحال هذه يستحق التقديم، ويكتسب الأهميّة لتفسيره، والله أعلم.

***

المطلب الثالث

منهجه في كتابه «من خلال الجزء المحقق»

المبحث الأول: مصادر الراغب الأصفهاني في تفسيره

اعتاد الباحثون في مناهج العلماء أن يمهدوا لذلك بمقدمة تتعلق بالمصادر، فالتعرف على مصادر عالم في كتاب ما يعدُّ الخطوة الأولى في تحديد منهجه في كتابه، حيث يقوم الباحث بجمع وحصر وتصنيف تلك المصادر، ثم يقوم بتوزيعها على العلوم والفنون المختلفة.

ومن خلال هذا التصنيف والحصر، يستطيع الباحث تكوين رؤية أوليّة عن هذا المؤلّف، من حيث: اطلاعه وإلمامه بالعلوم والفنون ذات العلاقة بالكتاب موضوع الدراسة، وكذلك من حيث: قدرته وبراعته في استخدام تلك المصادر والاستفادة منها في تشكيل عمل خاص ذي منهجية علمية محددة، دون أن يطغى مصدر على آخر، أو يكون العمل مجرد محاكاة وترديد لما قاله السابقون.

والناظر في تفسير الراغب الأصفهاني يلحظ تنوُّعاً في المصادر العامة، التي ضمَّنها كتابه. فالقرآن الكريم يعتبر مصدراً رئيسيًّا للراغب في تفسيره، والسنة النبوية كذلك لها حضورها في التفسير، وأقوال مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن اشتهروا بالتصنيف في التفسير مذكورة، وأقوال أئمة اللغة والمعاني والنحو

تشكل خصوصية لهذا التفسير، وهناك مصادر الراغب المتعلقة بأسباب النزول والقراءات والفقه وغيرها، إضافة إلى رصيده الشخصي من أقوال الحكماء والأدباء والمتكلمة والمتصوفة، وكذلك من الأمثال العربية والأقوال المأثورة.

إن هذا التنوع والشمول في مصادر الراغب يشير إلى المنهج الذي ارتضاه الراغب في تفسيره، وهو منهج الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول، حيث استفاد الراغب من مصادر التفسير بالمأثور، ولكنه ـ في الوقت نفسه ـ لم يهمل جانب المعقول الذي ظهر جليًّا من خلال المناقشات والردود والجمع بين الأقوال وتخطئة بعضها، وترجيح بعضها على بعض، والدخول في مناقشات حادة مع بعض المفسرين وأهل اللغة، مما أظهر الشخصية العلمية المتميزة لهذا العالم.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنه مع هذا التنوع والتوسع والشمول في استعانة الراغب بكل ما يخدم كتابه من علوم وفنون مختلفة، إلا أنه في أغلب الأحيان لا ينصُّ على مصادره الخاصة، فإما أن يذكر القول منسوباً إلى صاحبه دون المصدر، وإما أن يكتفي بذكر القول دون الإشارة إلى صاحبه أو المصدر، ومن هنا فقد رأيت تقسيم تلك المصادر إلى: مصادر عامة، ومصادر خاصة.

* * *

أولاً: المصادر العامة:

١ - القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[١] أي يشبه بعضه بعضاً في الآي والحروف، ويصدق بعضه بعضاً، فليس فيه اختلاف أو تناقض[٢].

ومن هنا كان لابد لمن يتناول تفسير القرآن أن يكون حافظاً له، مستحضراً لآياته كلما احتاج إلى ذلك، لأن خير ما يفسَّر به القرآن هو القرآن نفسه، كما قال ابن كثير رحمه الله: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصحَّ الطريق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد بُسِطَ في موضع آخر[٣].

ولقد كان الراغب موفَّقاً في نهله من معين القرآن الكريم، فكان يفسّر الآية بذكر نظائرها في القرآن، وكان يجمع ما تكرر في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وكان أيضاً يذكر المعاني المتعددة للمفردة الواحدة، معتمداً في ذلك على ورودها في عدة مواضع من القرآن الكريم، وقد ساعده على ذلك قوة حافظته، واستحضاره ما يريد من آيات الكتاب العزيز، وبراعته في معرفة مفردات القرآن الكريم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ١٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤).

ومعانيها، حيث إنه ألّف في ذلك كتاباً ضخماً وهو كتاب «المفردات»، وسوف نبحث هذا الموضوع بإسهاب عند الحديث عن المنهج.

٢- السنة النبوية:

لم يهمل الراغب السنة النبوية في كتابه، لأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع، وقد بيّنت كثيراً من أحكام الكتاب العزيز المجملة: كالصلاة مثلًا، وحين تعرَّض لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾[1]، ذكرقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾[2]، ثم نقل عن ابن عباس أنه قال: «الآيتان متضمنتان لأوقات الصلاة مجملة، وأن السنة شرحتها»[3]، ولذلك لجأ الراغب إلى الاستدلال بالسنة النبوية في كثير من المواضع، كلما سنحت له الفرصة.

ولكن الراغب وهو العالم المدقق الخبير بالقرآن وعلوم اللغة والبيان، لم يكن بنفس المستوى في الحديث النبوي، فلم يعتنِ به عنايته بالقرآن واللغة، ولذلك كثر في كتابه ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذا قورنت بمجموع الأحاديث التي ذكرها في هذا القسم موضوع الدراسة بل كان ـ أحياناً ـ ينسب للنبيّ ﷺ ما لا أصل له مرفوعاً، وإنما هو من قسم الموقوف على الصحابة، أو المقطوع على التابعين، وقد بلغ عدد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا القسم المحقق ٥٧ حديثاً، من مجموع ١٦٣ حديثاً.

ومع أنه أورد جملة لا بأس بها من الأحاديث الصحيحة، إلا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٣) الرسالة ص (١٤٢٤).

أنه لم يهتم بجانب عزو تلك الأحاديث وتخريجها من مصادرها، فلم يعز أيَّ حديث إلى كتاب من كتب السنة في الجزء الذي أسند إلي تحقيقه، ولم يتعرض لأقوال نقاد الحديث وأهل الجرح والتعديل في أيِّ حديث ذكره، مما يدلّ على قلة بضاعته في هذا الشأن.

وتفصيل القول في ذلك سيكون عند الحديث عن منهج الراغب في تفسيره.

٣- أقوال الصحابة:

اهتم الراغب اهتماماً كبيراً بذكر أقوال الصحابة عند كل آية وردت أقوالهم فيها، والغالب أنه كان يذكر اسم الصحابي صاحب القول، ولكنه لم يذكرإلا أقوال أعيان الصحابة، حيث لم يتعد من ذكر أقوالهم من الصحابة اثني عشر صحابيًا، وكانت نسبة ذكر أقوالهم متفاوتة، فمنهم من أكثر عنهم النقل: كابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومنهم من كان نقله عنهم قليلًا: كأبي هريرة وجابربن عبدالله وزيد بن ثابت وعائشة رضي الله عنهم. وفيما يلي حصرٌ لعدد المرات التي نقل فيها الراغب أقوال كل صحابي:

الصحابي	عدد المرات
١- عبدالله بن عباس	٦١
٢- علي بن أبي طالب	١٢
٣- عمر بن الخطاب	١١
٤- عبدالله بن مسعود	٥
٥- عبدالله بن عمر	٤

الصحابي	عدد المرات
٦- عائشة	٣
٧- أبو هريرة	٢
٨- أبو بكر الصديق	٢
٩- زيد بن ثابت	٢
١٠- جابر بن عبدالله	١
١١- حسان بن ثابت	١

وهناك أقوال أخرى كثيرة، ذكرها الراغب في تفسيره، دون نسبتها إلى أصحابها من الصحابة، وعند التوثيق تبين أنها أقوال الصحابة، وقد ذكرت في الحاشية المصادر التي نصَّت على ذلك.

ولم يُشِرِ الراغب إلى مصادره التي استقى منها أقوال الصحابة، وبالرجوع إلى كتب التفسير المسندة: كجامع البيان للطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، يمكن القول بأن الراغب الأصفهاني قد وفّق في نسبة معظم هذه الأقوال التي ذكرها منسوبة إلى أصحابها، وقد وهم في بعض المواضع القليلة جدًّا، فنسب القول إلى غير قائله، وتفصيل ذلك سيكون عند الحديث عن منهج الراغب في تفسيره.

٤- أقوال التابعين:

يوازي اهتمام الراغب بذكر أقوال الصحابة اهتمامه بذكر أقوال التابعين، لأنهم تلامذة الصحابة، الذين أخذوا عنهم، ونهلوا من معينهم، فكان يذكر أقوالهم بعد أقوال الصحابة، وربما اكتفى

بذكر أقوال التابعين إذا لم تكن لديه أقوال للصحابة .

وما قيل عن طريقة الراغب في ذكر أقوال الصحابة يقال هنا في أقوال التابعين، فالغالب أنه كان يذكر اسم صاحب القول من التابعين، وكان ذكره لأقوالهم تختلف قلة وكثرة على التفصيل التالي :

التابعي	عدد المرات
١- الحسن البصري	٤٥
٢- قتادة	٣١
٣- مجاهد بن جبر	٢٦
٤- السدي	١٥
٥- الربيع	١٠
٦- الضحاك	٥
٧- ابن زيد	٥
٨- ابن جريج	٥
٩- ابن جبير	٥
١٠- عطاء بن أبي رباح	٤
١١- زيد بن أسلم	٤
١٢- أبو العالية	٣
١٣- سعيد بن المسيب	٢
١٤- سفيان الثوري	٢
١٥- الأوزاعي	٢
١٦- سفيان بن غيينة	٢

التابعي	عدد المرات
١٧- طاووس	١
١٨- مكحول	١
١٩- مسروق	١
٢٠- إبراهيم النخعي	١
٢١- شريح القاضي	١
٢٢- مقاتل	١
٢٣- وهب بن منبه	١
٢٤- محمد بن جعفر	١
٢٥- جعفر بن محمد	١

وقد ذكر الراغب أقوالاً أخرى دون النصّ على أصحابها، كأن يقول: وقيل كذا، وقيل كذا. وعند التوثيق والنظر في كتب التفسير تبين أن أصحاب هذه الأقوال من التابعين.

وكما فعل الراغب في أقوال الصحابة، فإنه لم يُشِـرْ إلى مصادره التي استقى منها أقوال التابعين، ولكنه ـ أيضاً ـ وُفِّق في نسبة الأقوال التي نصَّ على أصحابها إلا في بعض المواضع القليلة، وتفصيل القول في ذلك سيكون عند الحديث عن منهج الراغب في تفسيره.

ثانياً: المصادر الخاصة:

على الرغم مما تقرر من أن الراغب لا يكاد يذكر مصادره إلا نادراً، فقد أمكنني الوقوف على عدد من المصادر التي استفاد منها الراغب

ونقل عنها في تفسيره، وذلك من خلال وجود هذه النقول بعينها في تلك المصادر إذا كانت مطبوعة، أو ذكر بعض العلماء لمصدر القول إذا كان غير مطبوع، مما يؤكد رجوع الراغب إلى هذه المصادر والنقل عنها.

ومما يجب التنبيه عليه هنا: أن الراغب لا يلتزم الدقة في النقل عمن استشهد بأقوالهم، حيث كان يتصرف في كلامهم، بالاختصار تارة، وبذكره بالمعنى تارة أخرى، وسوف يتضح ذلك من خلال ذكر بعض الأمثلة عند كل مصدر من المصادر.

١- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

ذكر الراغب قول الخليل عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(١)] فقال: قال الخليل: التمحيصُ: التخليص عن العبد، يقال: مَحِّص عنا ذنوبنا.

والذي في العين قال الخليل: المَحْصُ: خلوص الشي، محصتُه محصاً: خلّصته من كلّ عيب.. والتمحيصُ التطهير من الذنوب»[(٢)].

٢- كتاب معاني القرآن للأخفش (ت ٢١٠هـ):

قال الراغب: «والراجع إليه من قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾[(٣)] أحد شيئين: إما محذوف، أي جاءكم رسول

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

(٢) العين (٣/ ١٢٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

به، وإما لأن قوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ هو في المعنى الكتاب، فاستغنى به عن الضمير، كقولك: الذي أتاني لا أضرب عمراً إذا كان عمروٌ هو الذي أتاه، وهذا أجازه الأخفش»[1].

قال الأخفش: «وإن شئت جعلت خبر (ما) ﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ تريد: لما آتيتكم كتابٌ وحكمة، وتكون (من) زائدة»[2].

٣- معاني القرآن للفرّاء (ت ٢٠٧هـ):

(أ) قال الراغب عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[3] «اللهم: تقديره عند سيبويه: يا الله.. وعند الفرّاء تقديره: يا الله امنا بخير»[4].

وهذا القول مذكور في معاني القرآن للفرّاء على ما ذكر الراغب[5].

(ب) ونقل الراغب قول الفرّاء عند قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6] فقال: «..وقول الفرّاء: اصطفاؤهم: اختيار دينهم»[7]، وهذا القول موجود في معاني القرآن للفرّاء حيث قال: «يقال: اصطفى دينهم

---

(١) انظر الرسالة ص (٦٧٧).
(٢) معاني القرآن (١/ ٤١٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٤) الرسالة ص (٤٨٨، ٤٨٩).
(٥) انظر: معاني القرآن، للفراء (١/ ٢٠٣).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٧) الرسالة ص (٥٢٣).

على جميع الأديان»[1] . وفيه تصرف من الراغب .

(ج) ونقل الراغب قول الفرّاء عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾[2] فقال : «قال الفرّاء : قُرِئَ تَذْخرون خفيفة»[3] . والقول موجود في معاني القرآن على ما ذكر الراغب[4] .

(د) ونقل الراغب قول الفرّاء عند قوله تعالى : ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[5] فقال : «وقال الفرّاء : يقال حَسَسْتُ ، وحَسِسْتُ وحسيت وأحست»[6] .

وقد اختصر الراغب كلام الفرّاء وتمام كلامه : « . . فإذا قلت حَسَسْتُ بغير ألف فهي في معنى الإفناء والقتل ، من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾[7] . والحسُّ أيضاً العطف والرقة . . وسمعت بعض العرب يقول : ما رأيت عُقَيليًا إلا حَسَسْتُ له ، وحَسِسْتُ لغة . والعرب تقول : من أين حَسَيْت هذا الخبر؟ يريدون : من أين تخبَّرته؟ وربما قالوا : حسيت بالخبر وأحسيت به . . وقد تقول العرب : ما أَحَسْتُ بهم أحداً فيحذفون السين الأولى»[8] .

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٠٧) .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .
(٣) الرسالة ص (٥٧١) .
(٤) انظر : معاني القرآن (١/ ٢١٥) .
(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٥٢ .
(٦) الرسالة ص (٥٨١) .
(٧) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .
(٨) معاني القرآن (١/ ٢١٦ ، ٢١٧) . وانظر : أقوالاً أخرى عن الفرّاء وتوثيقها من كتاب معاني القرآن في هذه الرسالة ، ص : (٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٧٨٨ ، ٨٠٥ ، ٩١٧ ، ١١٩٣ ، ١٣٥٣ ، ١٣٨٢) .

٤- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ):

ذكر الراغب قول ابن قتيبة عند قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[١] فقال: «وقال القتيبي: يضاعف للمرة ويضعّفُ للتكثير»[٢].

والذي في غريب القرآن ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ أي يؤتي مثلها مرات، ولو قال: يضعِّفها لكان مرة واحدة[٣]، ويبدو أن عبارة الراغب قد تصحَّفت في التفسير، مما أدى إلى قلب المعنى، فجعل يضعّف للتكثير، ويضاعف للمرة، يدلّ على ذلك أن الراغب قال في المفردات: «قال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضَعَّفتُ»[٤].

٥- مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ):

(أ) ذكر الراغب قول أبي عبيدة عند قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٥] فقال: «وقال أبو عبيدة: كتاب الله»[٦]. وهذا القول موجود في مجاز القرآن على ما ذكر الراغب[٧].

(ب) وذكر الراغب قول أبي عبيدة عند قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٢) الرسالة ص (١٢٤٢).
(٣) تفسير غريب القرآن ص (١٢٧).
(٤) المفردات ص (٥٠٨).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٦) الرسالة ص (٥٣٧).
(٧) مجاز القرآن (١/ ٩١).

لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾[1] فقال: «وقال أبو عبيدة: عنى ببعض الذي حرّم الكلّ، واحتجَّ بقوله:

أو يرتبط بعض النفوس حمامها»[2].

وهذا الكلام ذكره الراغب مختصراً، فقد قال أبو عبيدة: «بعضٌ يكون شيئاً من الشيء، ويكون كلَّ الشيء. قال لبيد بن ربيعة:

تـرّاكُ أمكنـةٍ إذا لـم أرضهـا أو يَعْتَلِق بعض النفوس حمامُها

فلا يكون الحُمام ينزل ببعض النفوس، فيُذهب البعضَ، ولكنه يأتي على الجميع»[3].

(ج) وذكر الراغب قول أبي عبيدة عند قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[4] فقال: «وقول أبي عبيدة: الحواريون صفوة الأنبياء»[5]، والقول مذكور في مجاز القرآن على ما ذكر الراغب[6].

٦- كتاب سيبويه (ت ١٨٨هـ):

(أ) ذكر الراغب قول سيبويه عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[7] فقال: اللهم: تقديره عند سيبويه يا الله، والميمان بدل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٥٠).
(٢) الرسالة ص (٥٧٨).
(٣) مجاز القرآن (١/ ٩٤).
(٤) سورة آل عمران، الآية: (٥٢).
(٥) الرسالة ص (٥٨٤).
(٦) مجاز القرآن (١/ ٩٥).
(٧) سورة آل عمران، الآية: (٢٦).

من يا، ولا يستعمل ذلك إلا في هذه اللفظة فقط»[1].

ونصّ كلام سيبويه في الكتاب: «وقال الخليل ـ رحمه الله ـ اللهم نداء، والميم هنا بدل يا.. فقد صرفوا هذا الاسم على وجوه لكثرته في كلامهم، ولأن له حالاً ليست لغيره»[2] وتصرُّفُ الراغب في الكلام ظاهرٌ.

(ب) وذكر الراغب قول سيبويه عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[3] فقال: «.. وعلى هذا حمل سيبويه الآية، وقال: وسألته ـ يعني الخليل ـ عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ فقال: ما هاهنا بمنزلة (الذي) ودخلتها اللام كما دخلت على (إن) حين قلت: والله لئن فعلت لأفعلن»[4]. وهذا الكلام مذكور في كتاب سيبويه بنحو ما ذكر الراغب[5].

٧- معاني القرآن للزجاج (ت ٣١١هـ):

نقل الراغب أقوال الزجاج في كثير من مواضع كتابه، ومن ذلك:

(أ) ذكر قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[6] فنقل قول أبي عبيدة، ثم قال: «وقال الزجاج: هذا فاسد، لأن البعض لا يكون بمعنى الكل، وعنى لبيد ببعض

---

(١) الرسالة ص (٤٨٨، ٤٨٩).

(٢) الكتاب (٢/ ١٩٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٤) الرسالة ص (٦٧٨، ٦٧٩).

(٥) الكتاب (٣/ ١٠٧).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

النفوس نفسه خاصة فعَرَّض، ولأن عيسى حلَّل بعض المحرمات، وهو الذي كانوا حَرَّموا على أنفسهم»[١].

وقد تصرف الراغب في نقل عبارة الزجاج، واختصرها، حيث قال الزجاج ما نصّه: «وهذا مستحيل في اللغة وفي التفسير وما عليه العمل، فأما استحالته في اللغة، فإن البعض والجزء لا يكون الكلَّ، وأنشد في ذلك أبو عبيدة بيتاً غلط في معناه وهو قول لبيد:

تـراك منـزلـة إذا لـم أرضهـا ... أو يعتلق بعض النفوس حِمامها

قال: المعنى: «أو يعتلق كلّ النفوس حمامها» وهذا كلام تستعمله الناس، يقول القائل: بعضنا يعرفك، يريد أنا أعرفك، فهذا إنما هو تبعيض صحيح، وإنما جاءهم عيسى بتحليل ما كان حراماً عليهم، قال الله عز وجل: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[٢] وهي نحو الشحوم وما يتبعها في التحريم، فأما أن يكون أحلَّ لهم القتل والسرقة والزنا فمحال»[٣].

(ب) ونقل الراغب قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[٤] فقال: «وقال الزجاج: الرَّبَّاني: منسوب إلى الربِّ، لكن يزيد فيه ألف ونون للمبالغة في النسبة، كما زِيْدَ في لحياني وجماني»[٥].

---

(١) الرسالة ص (٥٧٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٥) الرسالة ص (٦٦٨).

والذي في معاني القرآن للزجاج: «والربانيون: أرباب العلم والبيان، أي كونوا أصحاب علم، وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما زيد في لحياني وجماني»[1].

(ج) ونقل الراغب قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2] فقال: «وقال الزجاج: أحسن من تأويلكم من غير ردٍّ إلى كتاب الله والسنة»[3]. ونصُّ الزجاج في المعاني: «أي أن ردَّكم ما اختلفتم فيه إلى ما أتى من عند الله، وترككم التحارب خير وأحسن تأويلًا لكم، أي أحسن عاقبةً لكم، وجائز أن يكون أحسن تأويلًا: أي أحسن من تأوُّلكم أنفسكم، دون ردّكم إياه إلى الكتاب والسنة»[4]، وتصرف الراغب واختصارُهُ من الكلام ظاهر[5].

٨- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ):

يبدو أن الراغب استفاد من كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وإن كان لم يشر إلى ذلك، وقد ظهر ذلك من خلال التشابه الواضح في عرض بعض قضايا التأويل واللغة. فمثلًا عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[6] قال الراغب: «وتعالَ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) الرسالة، ص (١٢٩٠).
(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨).
(٥) انظر نماذج أخرى من استدلال الراغب بكلام الزجاج وتوثيقها من كتاب معاني القرآن وإعرابه في هذه الرسالة، ص (٥٢٣، ٨٠٣، ٩٤٠، ١٠٣٤، ١٣٥٧، ١٣٦٤).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

قال أهل اللغة: أصله أن يدعو إلى مكان رفيع، ثم جُعِلَ عاماً في الدعاء إلى كل مكان»[1].

وهذا المعنى نفسه ذكره ابن قتيبة في «تأويل المشكل» فبعد أن نقل قول الفرّاء قال: «هو من العلوّ، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرفٍ: تعال، أي اهبط، وإنما أصلها الصعود»[2].

مثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[3] قال الراغب: وقوله: أكفرتم تقديره: فيقال: أكفرتم، وحذف القول من نحو ذلك كثير نحو: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾[5]، أي يقولون»[6].

وهذا الكلام نفسه عند ابن قتيبة في «تأويل المشكل» حيث قال: «﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ والمعنى: فيقال لهم: أكفرتم؟ وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ والمعنى: يقولون: ربنا أبصرنا»[7].

---

(١) الرسالة ص (٦٠٥).
(٢) تأويل مشكل القرآن ص (٥٥٦).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٥) سورة السجدة، الآية: ١٢.
(٦) الرسالة ص (٧٨٤).
(٧) تأويل مشكل القرآن ص (٢١٦).

مثال ثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾[1] قال الراغب: وفي موضع آخر: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2] وذلك أنك إذا بلغت الكبر فقد بلغك الكبر»[3]. وكلام الراغب يعتبر شرحاً لكلام ابن قتيبة في المشكل، حيث قال: «قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي بلغته[4].

فهذه الأمثلة جميعاً تشير إلى استفادة الراغب من كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وكونه مصدراً له في تفسيره، يؤكد ذلك معرفة الراغب بابن قتيبة وكتابه تفسير غريب القرآن كما سبق بيانه.

٩- المقتضب للمبرد (ت ٢٨٥هـ):

ذكر الراغب قول المبرد عند قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾[5] فقال: «وقال المبرد: هو دعاء عليهم»[6].

وقد ذكر الراغب خلاصة كلام المبرد في المقتضب، وتمام كلامه: «وقد أجاز قوم أن يضعوا (فعل) في موضعها، كما نقول: إن ضربتني ضربتك.. وتأولوا هذه الآية من القرآن على هذا القول، وهي قوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾، وليس الأمر عندنا كما

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.
(٢) سورة مريم، الآية: ٨.
(٣) الرسالة ص (٥٤٤).
(٤) تأويل مشكل القران ص (١٩٥).
(٥) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٦) الرسالة ص (١٣٨٣).

قالوا، ولكن مخرجها ـ والله أعلم إذا قرئت هكذا ـ الدعاءُ كما تقول: لُعِنُوا، قُطِعَتْ أيديهم»[1].

١٠- كتاب الفروق لأبي هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ):

لم يشر الراغب إلى أبي هلال العسكري ولا إلى كتابه «الفروق» ولو مرة واحدة، ومع ذلك فإن الباحث يرجح معرفة الراغب لكتاب «الفروق»، واستفادته منه، وذلك للأسباب التالية:

أولًا: أن أبا هلال العسكري متقدم على الراغب، فقد توفي سنة ٤٠٠هـ.

ثانياً: إكثار الراغب من ذكر الفروق بين الكلمات في كتابه، ومنها كثير من الفروق التي ذكرها العسكري في كتابه.

ثالثاً: تطابُقُ رؤية الاثنين في ظاهرة الترادف اللغوي، فإنهما لا يكادان يسلِّمان بأن هناك ترادفاً لغويًا ألبتة.

رابعاً: تشابه كلام الراغب مع كلام العسكري في بعض ما ذكر من الفروق: ككلامهما في الفرق بين التأويل والتفسير، فقد قال الراغب في مقدمة جامع التفاسير: «والتفسير أكثره يُستعملُ في مفردات الألفاظ، والتأويل يستعمل أكثره في الجمل»[2].

وعند العسكري: الفرق بين التأويل والتفسير: «أن التفسير هو الإخبار عن إفراد آحاد الجملة، والتأويل: الإخبار بمعنى الكلام»[3].

---

(١) المقتضب (٤/ ١٢٤).

(٢) مقدمة جامع التفاسير ص (٤٧).

(٣) الفروق ص (٦٢).

وانظر كلامهما في الفرق بين الإفضال والإحسان[1]، والفرق بين السرعة والعجلة[2].

١١- تفسير الجبّائي (ت ٣٠٣هـ):

نقل الراغب عن الجبائي في مواضع كثيرة من كتابه، فكان يقول: وقال الجبائي. أو: وقول الجبائي. ثم يذكر كلامه، ويردّ عليه غالباً، ولم يُشِرْ إلى أن كلامه هذا من التفسير، وقد رجَّح الباحث أن يكون مصدر الراغب في ذلك هو تفسير الجبائي لما يلي:

أولاً: أن الكلام يتعلق بتفسير القرآن، فأقرب المصادر في ذلك هي كتب التفسير.

ثانياً: أن من ترجم للجبائي ذكر أنه كان من كبار مفسِّري المعتزلة، وذكروا من مصنفاته: كتاب في تفسير القرآن[3].

ثالثاً: أن بعض العلماء ذكروا نفس الأقوال، التي ذكرها الراغب عن الجبائي، ونسبوها للجبائي في تفسيره، وهذا دليل على أن مصدر الراغب في هذه النقول هو تفسير الجبائي، مثال ذلك ما ذكره الراغب عن الجبائي في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ قال: «وقال الجبائي: يجوز أن كان رزقاً يأتيها به غير زكريا من حيث لا يعلمه»[4].

---

(١) ص (٩٨٧) من هذه الرسالة.

(٢) ص (٩٩٩) من هذه الرسالة.

(٣) انظر ترجمته (ص٤٣٨). وقد ذكر ابن عساكر أن الإمام أبا الحسن الأشعري ردّ على تفسير الجبائي في كتابه المسمى: «تفسير القرآن، والردّ على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان، ونقض ما حرّفه الجبائي والبلخي في تأليفهما» انظر: تبيين كذب المفتري ص (١٣٦، ١٣٧).

(٤) الرسالة ص (٥٣٣).

وهذا القول عن الجبائي ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره، ثم قال: «وهذا مجموع ما قاله الجبائي في تفسيره، وهو في غاية الضعف»[1].

١٢- تفسير الأصم (ت ٢٠٠هـ):

ذكر الراغب كلام الأصم في كثير من المواضع[2]، وردَّ عليه في بعضها، وقد أشار مترجموه في ترجمته أن له تفسيراً على طريقة المعتزلة[3].

ومن المواضع التي نقل فيها عنه ما يلي:

(أ) عند تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[4]. نقل عن الأصم قوله: «المحكمات ما حججه ظاهرة، والمتشابه ما حججه غامضة»[5].

(ب) قال الراغب: «وقال الأصم: سُمِّي عيسى كلمة، لأنه تعالى خلق كلمة فجعل منها عيسى، كما خلق آدم من تراب، وسائر الناس من نطفة»[6].

(ج) عند تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

---

(١) مفاتيح الغيب (٨/ ٢٨).
(٢) انظر: الرسالة، ص: (٥٩٠، ٧٣٤، ٩٣٥، ١١٨٦، ١٢٢٧، ١٢٨٩، ١٣٩٠).
(٣) انظر: ترجمته ص (٤٢١) من هذه الرسالة.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٥) انظر: ص (٤٢١) من هذه الرسالة.
(٦) انظر: ص (٥٦١) من هذه الرسالة.

كُن فَيَكُونُ﴾[1]، قال: «وقال الأصم: عادة الله جارية فيما أخبر عن كونه أن يقول في وقت ما يحدثه: كن. كخلقه لآدم. كما قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ قال له: كن. لما أراد إحداثه تنبيهاً لهم. وكذلك لما أخبر أنه سيبعث نبيًّا خلقه من غير ذكر. قال له: كن. لما أراد إحداثه»[2].

١٣- كتاب النظم للجرجاني (من علماء القرن الرابع):

وهذا الكتاب ذكره الراغب في تفسيره عند كلامه عن قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[3] فقال: «وقال الجرجاني في كتاب النظم: تقديره: إن جاؤوكم حصرت صدورهم. فحذف (إن). قال: والفعل الماضي يقع في الشرط موقع المستقبل»[4].

١٤- تفسير ابن بحر (ت ٣٢٢هـ):

ذكر مترجمو ابن بحر أن له تفسيراً على طريقة المعتزلة، اسمه «جامع التأويل لمحكم التنزيل»[5]، وقد نقل الراغب عن ابن بحر كثيراً من أقواله في التفسير مما يؤكد رجوعه إلى كتابه هذا[6].

ومن ذلك ما يلي:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.
(٢) انظر: ص (٥٦٨) من هذه الرسالة.
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٤) الرسالة ص (١٣٨٣).
(٥) انظر: ترجمته في الرسالة ص (٨٥٧).
(٦) انظر: هذه الرسالة، ص: (٨٥٧، ٩١٧، ١٢١٥، ١٣٤١، ١٤٢٦، ١٤٣٥).

(أ) عند تفسيره للآية رقم (١٠٥) من سورة النساء، قال الراغب: «قال ابن بحر: يجوز أن تكون هذه الآية راجعة إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[1] فبيّن أنهم مع إظهارهم الإيمان بما أُنزِل على الأنبياء يصدون عمّا يُدعون إليه من حكم الكتاب»[2].

(ب) عند تفسيره للآية رقم (١١٢) من سورة النساء، قال الراغب: «قال ابن بحر: إن ذلك يرجع إلى المنافقين الذين حكى..»[3].

(ج) عند تفسيره للآية رقم (١١٣) من سورة النساء ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾، قال الراغب: «وذكر ابن بحر وجهين: أحدهما: لولا فضل الله بما أنزله من الكتاب والحكمة لهمَّ الكافرون بإضلاله وإدخاله معهم في عبادة الأصنام.. والثاني: أن الإضلال عبارة عن الإهلاك»[4].

هناك مصادر أخرى للراغب استفاد منها في كتابه، ونقل عن أصحابها، في مجال التفسير، أو اللغة أو الفقه، إلا أنه لم يعيّن تلك المصادر، ولم يترجح لي شيء منها، لذلك فسوف أذكر أصحاب هذه النقول لكونهم أصحاب تلك المصادر، دون تحديد أي كتاب لهم، فمن هؤلاء:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٢) انظر: هذه الرسالة ص (١٤٢٦).

(٣) انظر: هذه الرسالة ص (١٤٣٣).

(٤) انظر: هذه الرسالة ص (١٤٣٥).

١٥- ١- البلخي المعتزلي[١].

١٦- ٢- الجاحظ المعتزلي[٢].

١٧- ٣- النظّام المعتزلي[٣].

١٨- ٤- أبو الهذيل العلاف المعتزلي[٤].

١٩- ٥- الكسائي[٥].

٢٠- ٦- مؤرج[٦].

٢١- ٧- الأصمعي[٧].

٢٢- ٨- الشافعي[٨].

٢٣- ٩- ابن داود[٩].

٢٤- ١٠- ابن الأعرابي[١٠].

٢٥- ١١- مالك بن أنس[١١].

---

(١) انظر: قوله وترجمته ص (٤٩٢)، وله قول آخر ص (٥٢٣).
(٢) انظر: قوله وترجمته ص (٥٦١).
(٣) انظر: قوله وترجمته ص (٥٦٢).
(٤) انظر: قوله وترجمته ص (٥٦٨).
(٥) انظر: قوله وترجمته ص (٦٤٣)، وله قول آخر ص (٦٤٥).
(٦) انظر: قوله وترجمته ص (٦٦٨).
(٧) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٤).
(٨) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٣)، وانظر: بقية أقواله ص (١١٥٨، ١١٨٣، ١١٨٦).
(٩) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٤).
(١٠) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٤).
(١١) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٦)، وانظر: بقية أقواله ص (١١٨٣، ١١٨٦، ١١٨٩، ١٢٢٧، ١٣٩٧).

٢٦- ١٢- قطرب[١].

٢٧- ١٣- أبو حنيفة[٢].

٢٨- ١٤- أبو علي الفسوي[٣].

٢٩- ١٥- علي بن موسى القمّي[٤].

***

(١) انظر: قوله وترجمته ص (١١٣٢).

(٢) انظر: ترجمته ص (١١١٠)، وانظر: أقواله وأقوال أصحابه ص (١١١٠، ١١٥٨، ١١٧٥، ١١٧٩، ١١٨٣، ١٢١٩).

(٣) انظر: قوله وترجمته ص (١٣٨٤).

(٤) انظر: قوله وترجمته ص (١٣٩٠، ١٣٩١).

المبحث الثاني: تحديد نوعية تفسير الراغب

هناك نوعان من التفسير؛ تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، فإلى أي النوعين ينتمي تفسير الراغب الأصفهاني؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل لابد من معرفة طبيعة هذين النوعين من التفسير، وما يشتمل عليه كل منهما من مزايا وضوابط، وما يفترق فيه كل منهما عن الآخر.

فالتفسير بالمأثور يشمل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وبما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك بما ورد عن التابعين من أقوال في التفسير[1].

أما التفسير بالرأي فهو قسمان: قسم جائز، وقسم مذموم. فالجائز عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر.

أما المذموم من التفسير بالرأي فهو تفسير القرآن بالهوى والتخمين والظن دون الرجوع إلى الأدلة الشرعية من القرآن والسنة، ودون السير وفق قوانين اللغة العربية، فيفسر القرآن مع جهالته بقوانين اللغة وأصول الشريعة، ويخوض فيما استأثر الله بعلمه من الأمور

(١) التفسير والمفسرون (١/ ١٥٢).

الغيبية، ويقطع بأن مراد الله كذا وكذا دون حجة واضحة، ويجعل مذهبه الفاسد أصلًا والتفسير تابعاً له، فيحتال في التأويل حتى يتوافق مع مذهبه وعقيدته بكل ما أمكنه[1].

وإذا نظرنا إلى ما قاله الراغب في قضية المأثور والرأي، وجدنا أنه يأخذ مذهباً وسطاً في ذلك، فيقول: اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علمٍ الخوض فيه؟ فبعضٌ شدّد في ذلك، وقال: لا يجوز لأحدٍ تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متَّسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روي له عن النبيّ ﷺ، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين. . . .

وذكر آخرون أن من كان ذا أدبٍ وسيع فموسَّع له أن يفسره، فالعقلاء الأدباء فوضى فضاً[2] في معرفة الأغراض، واحتجوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

وذكر بعض المحققين أن المذهبين هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكلٍّ أحدٍ الخوض فيه فقد عرَّضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى:

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٥).

(٢) فوضى فضاً: أي شركاء متساوون. انظر اللسان (٧/ ٢١٠).

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

﴿ لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

ثم ذكر الراغب بعد ذلك العلوم، التي هي لازمة لكل من تعاطى تفسير كتاب الله تعالى، وقسمها إلى علوم لفظية وعقلية وموهبية :

فالأول : معرفة الألفاظ، وهو علم اللغة .

والثاني : مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، وهو الاشتقاق .

والثالث : معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتصاريف والإعراب، وهو النحو .

والرابع : ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات .

والخامس : ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاصيص التي تنطوي عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار .

والسادس : معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمل والمفسر، والقياسات الشرعية، والمواضع التي يصح فيها القياس، والتي لا يصح، وهو علم أصول الفقه .

والسابع : أحكام الدين وآدابه وآداب السياسات الثلاث، التي هي سياسة النفس والأقارب والرعية، مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد .

والثامن : معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونات وغير ذلك، وهو علم الكلام.

والتاسع : علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله من عمل بما علم.

ثم قال الراغب: فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسر، ولا تتم صناعة إلا بها هي هذه العشرة: علم اللغة والاشتقاق والنحو والقراءات والسير، والحديث وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه، ومن نقص عن بعض ذلك مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، وأحس من نفسه في ذلك بنقصه واستعان بأربابه واقتبس منهم، واستضاء بأقوالهم لم يكن ـ إن شاء الله ـ من المفسرين برأيهم[1]. فإن القائل بالرأي هاهنا من لم تجتمع عنده الآلات التي يستعان بها في ذلك، ففسَّره وقال فيه تخميناً وظنًّا[2] اهـ.

إذا نظرنا إلى تفسير الراغب في ضوء ما سبق أمكن القول بأنه من أقسام التفسير بالرأي الجائز، لأنه وإن احتوى على خصال التفسير بالمأثور من تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، إلا أنه لم يكتفِ بذلك في تفسيره، ولم يلتزم به في كل آية قام بتفسيرها، ولم يورد أقوال جميع الصحابة في التفسير، بل ذكر أقوال أعيانهم

(١) أي برأيهم المذموم.

(٢) مقدمة جامع التفاسير، للراغب ص (٩٣-٩٦).

الذين لم يتعدوا اثني عشر صحابيًّا فقط .

وهو ليس من قبيل التفسير بالرأي المذموم، لأنه لم يفسر القرآن بالهوى والظن والتخمين، وإنما فسَّره في ضوء معرفته بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، مسترشداً في بعض الأحيان بأقوال الصحابة والتابعين، سائراً على قوانين اللغة، كما أنه التزم ببقية العلوم المساعدة للمفسر، المخرجة له عن كونه مفسراً بالرأي المذموم.

* * *

المبحث الثالث: محاور منهج الراغب في التفسير

يمكن البحث في منهج الراغب من خلال المحاور التالية :

المحور الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

المحور الثاني : السنة النبويّة في تفسيره .

المحور الثالث : أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره

المحور الرابع : العربيّة في تفسيره .

المحور الخامس : مجالات النظر في تفسيره .

المحور السادس : مسائل العقيدة في تفسيره .

المحور السابع : مسائل الفقه في تفسيره .

* * *

اهتم الراغب كثيراً بهذا النوع من التفسير بالمأثور، علماً منه بأهمية وحاجة المفسِّر إليه، فكان يفسِّر الآية بذكر نظائرها في القرآن، ويستدل بالقرآن على تعدد المعاني للكلمة الواحدة، ويحمل المجمل على المبين ليفسر به، وكذلك يحمل المطلق على المقيد، بل كان يجمع ما يُتوهم أنه مختلف من خلال القرآن نفسه، أو يقرر قواعد لغوية، وأساليب بلاغية معتمداً على القرآن. وهذا يدل على براعة الرجل في الاستفادة من كتاب الله تعالى، ويدلُّ كذلك على قوة حفظه، واستحضاره لنصوص الكتاب العزيز متى ما أراد، وسوف نذكر بعض الأمثلة على كل فقرة من الفقرات السابقة، تدلُّ على اهتمام الراغب بهذا النوع من التفسير :

أولاً: تفسير الآية بذكر نظائرها:

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) . ذكر الراغب الآيات التي تشبه هذه الآية، فقال : «وقد عظّم الله موالاة الكافرين وموادتهم والركون إليهم في آيات، كقوله : ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾(٢) .

وقال : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾(٣) .

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٢٨ . انظر : الرسالة ص (٥٠٢) .

(٢) سورة المائدة، الآية : ٥١ .

(٣) سورة الممتحنة، الآية : ١ .

وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1].

وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[2].

وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[3]، وأمرنا بالإعراض عنهم، فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾[4].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾[5] ذكر الراغب نظائر هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[6].

وقوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾[7].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[8].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[9].

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾[10] قال

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٧، وانظر: الرسالة ص (٦٥٩، ٦٦٠).
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٨) سورة المؤمنون، الآية: ٨.
(٩) سورة الرعد، الآية: ٢٠.
(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

الراغب[1]: كقوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2].

وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[3].

وقوله: ﴿ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾[4].

٤- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾[5] ذكر الراغب نظائر هذه الآية من الآيات التي تدل على عدم نفع إيمان من آمن عند رؤية العذاب، أو إيمان من مات كافراً عند البعث والحساب[6]، وهي قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[7].

وقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ ﴾[8].

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾[9].

---

(١) الرسالة ص (٨٢٨، ٨٢٩).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٨.
(٦) الرسالة ص (١١٤٨).
(٧) سورة غافر، الآية: ٨٥.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.
(٩) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩، ولمزيد من معرفة الشواهد انظر: الرسالة، ص: (٥١٧، ٥٥٩، ٦٧٠، ٧٢٣، ٨١١، ٨١٧، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٨٧، ١١٩٦، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٧٨، ١٣١٥، ١٣١٩، ١٣٣٢، ١٣٤٤).

ثانياً: الاستدلال بالقرآن على تعدد معاني الكلمة الواحدة:

١ - استدل الراغب بالقرآن عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1] على أن كلمة (الرجم) تطلق على النجم المنقض، وتطلق أيضاً على الظنّ والكلام المقرّع.

قال الراغب[2]: وأصل الرجم الرمي بالرجام أي الحجارة، وقيل ذلك للنجم المنقض، لقوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾[3]، وقيل للظنّ والكلام المقرّع: رجم، ومنه ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾[4].

٢- واستدل الراغب بالقرآن على أن كلمة (الوحي) تقال للكتابة والإلهام والكلام والوساوس، وذلك عند تفسير قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾[5]. فقال[6]: قد تقدم أنواع الوحي، وأن أصله الإشارة، ويقال للكتابة وحي، وإذ هي إشارة ما، وقد يكون الوحي بالإلهام، كما يكون بضرب من الكلام، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾[7]، وقد يقال ذلك للوساوس نحو قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾[8].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٢) انظر: الرسالة ص (٥٢٨).
(٣) سورة الملك، الآية: ٥.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٦) الرسالة ص (٥٥٨).
(٧) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[١] ذكر الراغب[٢] أن الفسق يطلق على الذنب الصغير، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾[٣]. ويطلق تارة على الكفر والشرك، نحو ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[٥].

٤- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ ﴾[٦] ذكر الراغب[٧] أن الهداية تأتي في القرآن بمعنى العقل المميز، لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[٨]، وأنها تأتي بمعنى التزكية والتوفيق، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾[٩]. وأنها تأتي بمعنى دخول الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[١٠].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٢.
(٢) انظر: الرسالة ص (٦٨٥).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٨.
(٥) سورة السجدة، الآية: ٢٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٧) انظر: الرسالة ص (٦٩٤، ٦٩٥).
(٨) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٩) سورة يونس، الآية: ٩.
(١٠) سورة محمد، الآيات: ٤-٦، ولمزيد من الشواهد انظر: الرسالة، ص: (٤١٣، ٤٥٢، ٤٥٣، ٥٢٦، ٥٤٩، ٥٦٢، ٦٧٤، ٧٥٠، ١٢٥٣، ١٢٧٠، ١٣٠٧).

ثالثاً: توضيح المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات الأخرى:

١ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1] ذكر الراغب[2] ما يدل على تقييد عدم قبول توبتهم، فقال: قيل معناه لن تقبل توبتهم بعد الموت. وقيل عند الموت والمعاينة، نحو: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾[3].

٢ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4] بين الراغب بعضاً من جوانب هذا الصراط، فقال: أي الطريق المسئول أن يهدينا إياه في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[5] والمدعو إليه بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾[6]، والمأمور به في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[7].

٣ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[8] قال الراغب[9]: «وعلى قوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ يُحمَلُ قوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.
(٢) الرسالة ص (٧٠٦).
(٣) سورة النساء، الآية: ١٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.
(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٧) سورة النحل، الآية: ١٢٥. وانظر الرسالة ص (٧٥٦).
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٩) الرسالة ص (٧٣٥، ٧٣٦).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[2] ، وقوله : ﴿ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[3] .

٤- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾[4] بين الراغب أن النهي عن الجدال ليس على إطلاقه، فقال[5] : والجدال المطلق المذموم، ولهذا لم يطلقه للنبي ﷺ حتى قيده، فقال : ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[6] .

رابعاً: الجمع بين ما يُتَوَهَّم أنه مختلف من آيات الكتاب العزيز:

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[7] قال الراغب[8] : «إن قيل : لِمَ قال هاهنا : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال فيما قبله : ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[9] قيل : » ثم شرع الراغب في الجمع بين الآيتين .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[10] ذكر الراغب[11] قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٦٧ .
(٢) سورة البقرة، الآية : ١٢٥ .
(٣) سورة إبراهيم، الآية : ٣٥ .
(٤) سورة النساء، الآية : ١٠٧ .
(٥) الرسالة ص (١٤٢٧) .
(٦) سورة النحل، الآية : ١٢٥ .
(٧) سورة آل عمران، الآية : ٧١ .
(٨) الرسالة ص (٦٣٤) .
(٩) سورة آل عمران، الآية : ٦٦ .
(١٠) سورة آل عمران، الآية : ٨٦ .
(١١) الرسالة ص (٦٩٦ ، ٦٩٧) .

﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾[1] ثم قال: إن قيل: كيف نفى عن الكافر الهداية في هذه المواضع، وأثبت له في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[2]؟» ثم شرع الراغب في الإجابة على هذا التساؤل بما ينفي أيَّ تضارب بين آيات الكتاب العزيز.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[3] قال الراغب[4]: إن قيل: لِمَ وصفهم بالفرح، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[5]، ثم بين رحمه الله أنه لا تعارض بين الآيتين.

٤- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[6]. ذكر الراغب أن قوماً من الملحدة طعنوا في هاتين الآيتين، وذكروا أنهما متناقضتان، لأنه يقول في الأولى ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ويقول في الثانية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾. ثم شرع الراغب في الردّ على هؤلاء، وبيّن وَهَنَ قولهم وهَزِيلَ اعتراضِهم[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.
(٤) الرسالة ص (٩٨٤).
(٥) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٦) سورة النساء، الآيتان: ٧٨، ٧٩.
(٧) الرسالة ص (١٣٣٢ - ١٣٣٥). ولمزيد من الشواهد انظر: الرسالة، ص: (٦٦١، ٦٦٢، ٨٠٩، ١٢٣٣، ١٣٣٢، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٧٤).

القراءات في تفسير الراغب:

ذكر الراغب الأصفهاني علم القراءات ضمن العلوم التي ينبغي على المفسِّر معرفتها، وجعله مما يتعلق بذات التنزيل، وعلَّل السيوطي ذلك بكون هذا العلم وسيلةً لمعرفة كيفية النطق بالقرآن، وبه أيضاً يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض[1]. وقال أيضاً: «من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة، وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فيُظَنُّ اختلافاً وليس باختلاف، وإنما كلٌّ تفسير على قراءة، وقد تعرض السلف لذلك»[2].

فالقراءة إذن لها تأثير عظيم في اختلاف التفسير وتعدد الأقوال حتى عند المفسر الواحد.

وقد كان اهتمام الراغب الأصفهاني بالقراءات من هذا الجانب فقط، وهو جانب «الدراية». أما جانب «الرواية» فلم يعتن به عند ذكر القراءات، وقد اتضح ذلك من خلال ما يلي:

١- أنه لم يحدد طريقته في التعامل مع القراءات المختلفة من حيث القبول أو الرد.

٢- كان اهتمامه بالقراءات منصبًّا على جانب التعليل والتوجيه دون الاهتمام بثبوت القراءة من عدمه.

---

(١) الإتقان (٢/ ٤٥٠).

(٢) الإتقان (٢/ ٤٥٦).

٣- لم يُشِـرْ إلى مصادره في القراءات .

٤- لم يُشِـرْ إلى صاحب القراءة إلا نادراً .

٥- كان يورد القراءات المتواترة والشاذة معاً دون تفرقة .

٦- أكثر من ذكر القراءات الشاذة دون التنبيه على شذوذها .

ومع ذلك فقد برع الراغب في الاستفادة من القراءات بما يخدم جانب التفسير، حيث استخلص من القراءات القرآنية كثيراً من المعاني، التي ساعدت على استجلاء ما في النصّ القرآني من: سمو البلاغة، وكمال الإعجاز، وبديع النظم .

وسوف أُشير في الصفحات التالية إلى نماذج من اهتمام الراغب بالقراءات، مع استخلاص الفوائد المتعلقة بمنهجه في ذلك .

أ- الجمع بين المتواتر والشاذ دون تنبيه:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[1] ذكر الراغب بعض الأقوال، ثم قال: «وهذه الأقوال على قراءة من رفع (جنات). فأما من جرَّها فلاشك أن ذلك داخل في جملة الاستفهام، لأنه بدل من قوله (بخير)»[2]. ففي المثال قرن الراغب قراءة الرفع المتواترة، بقراءة الجر الشاذة[3] ولم يُفرِّق بينهما، بل إنه وجّه القراءة الشاذة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥ .

(٢) الرسالة ص (٤٥٦ ، ٤٥٧).

(٣) انظر: مختصر شواذ القراءات ص (١٩)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

دون تنبيه على شذوذها من ناحية الرواية .

وقد حدّد ابن الجزري ضابط القراءات الشاذة والمتواترة، فقال : «كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة، التي لا يجوز ردُّها، ولا يحلُّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى أختلَّ ركن من هذا الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح الذي عند أئمة التحقيق من السلف والخلف»[1] .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾[2] قال الراغب : «وقرئ : (ألا تكلمُ) بالرفع والنصب»[3] .

وقراءة النصب متواترة، أما قراءة الرفع فهي شاذة، لم يقرأ بها إلا ابن أبي عبلة، ومع ذلك أقرّها الراغب، ولم يشر إلى شذوذها»[4] .

ب- والراغب كثيراً ما يذكر التوجيه الإعرابي للقراءة:

١- فعند قوله : ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[5] قال : «وقرئ :

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤١ .

(٣) الرسالة ص (٥٥٠).

(٤) انظر : إعراب القراءات الشواذ (١/ ٣١٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٨ .

ويُعلّمه، عطفاً على قوله: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ﴾[1]. وبالنون عطفاً على قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ﴾[2]».

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[3] قال الراغب: «وقرئ (إني) على الاستئناف، ويكون تفسيراً للآية.. وإذا قرئ (أني) بالفتح، فعلى تقدير الجرِّ بدلاً من (آية) أو على تقدير الرفع خبر ابتداء مضمر، كأنه قال: الآية أني قد جئتكم»[4].

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾[5] قال الراغب: «بالرفع على الاستئناف، وبالنصب على العطف»[6].

ج- ذكر اختلاف المعنى لاختلاف القراءة:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[7] قال الراغب: «وإذا قرئ (تعلِّمون) فمعناه تعلّمون الناس الكتاب.. وإذا قرئ (تَعْلَمون) فمعناه: كونوا عاملين بما تعلِّمون غيركم»[8].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٤، وانظر الرسالة ص (٥٧٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٤) الرسالة ص (٥٧٦).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٦) الرسالة ص (٦٧٢).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٨) الرسالة ص (٦٧٤، ٦٧٥).

وَحِكْمَةٍ﴾[1] قال الراغب: «وأما من قرأ (لِمَا آتيتكم) بالكسر، فمعناه: أخذ الله الميثاقَ منهم لأجل الذي آتيتكم. و (ما) لا تكون هٰهنا إلا موصولة.. وقرئ (لَمَّا آتيتكم) أي أخذ الله ميثاق النبيين حين آتيتكم الكتاب»[2].

د- عدم التعليق على بعض الأقوال الشاذة حول القراءات:

١- من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[3] قال الراغب: «وروي أن الربيع قرأ (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وقال: هكذا أنزل وأخطأ الكاتب»[4]. وكان على الراغب أن يعلّق على هذا القول، ذاكراً ضعفه وخطأه، كما فعل الطبري في تفسيره[5]. أو عدم ثبوته عن مجاهد[6]، كما فعل أبو حيان في تفسيره[7]. لأنه لا يجوز التشكيك في كتبة الوحي، وردّ القراءة المتواترة لأجل ما لا يتعدى كونه اجتهاداً من بعض المفسرين.

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[8] يذكر الراغب قول من ضعّف قراءة من قرأ (الأرحام) بالخفض،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٢) الرسالة ص (٦٨٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٤) الرسالة ص (٦٨١).
(٥) جامع البيان (٦/ ٥٥٧).
(٦) الصحيح أن هذا القول عن مجاهد، وليس عن الربيع، كما ذكر الراغب.
(٧) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٣٢).
(٨) سورة النساء، الآية: ١.

ولا يعلق على هذا التضعيف، الذي شكك في قراءة متواترة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ، قرأ بها حمزة، وكان على الراغب أن يردّ على من ضعّف هذه القراءة، كما ردَّ أبو حيان على ابن عطية لجسارته على تضعيف هذه القراءة[1]. وقال النيسابوري بعد أن ذكر قول المضعّفين: «إلا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، فلا يجوز الطعن فيها، لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت»[2].

هـ- ترجيح بعض القراءات على بعض أحياناً:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾[3] قال الراغب: «وقرئ (آية بينة)[4]، وكأن قارئه نظر إلى لفظ ما أبدل منه وهو مقام إبراهيم، فلما كان مفرداً جعل الآية مفردة، والصحيح ما عليه الكافة، فالمقام مصدر، ويتناول الواحد والجمع»[5]. وقد أجاد الراغب في هذا الترجيح، لأنه رجح القراءة الثابتة المتواترة على القراءة الشاذة التي لم تثبت.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾[6] ذكر الراغب أنه قرئ (يَغُلّ) و (يُغَلّ) ثم قال: «وقرأ رجل بحضرة ابن عباس (يُغَل) فقال: بلى ويقتل، ولم يرتض قراءته.. وقال بعض

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/ ١٦٧).

(٢) تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٤) وهي قراءة ابن عباس وأهل مكة ومجاهد وسعيد، ذكره القرطبي في تفسيره (٤/ ١٣٩).

(٥) الرسالة ص (٧٣٦).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

الناس: وقراءة من قرأ (يَغُلّ) أولى، لأن كلَّ ما جاء في التنزيل من هذا النحو فمسند إلى الفاعل دون المفعول»[1].

والصحيح أن القراءتين متواترتان ثابتتان، لا يجوز الطعن في إحداهما بوجه.

و- ذكر صاحب القراءة أحياناً:

١- عند تفسير أول سورة آل عمران ﴿الٓمٓ﴾ قال الراغب: «ويروى عن عاصم وغيره سكون الميم وقطع الألف»[2].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾[3] قال الراغب: «وقرأ أبو جعفر المدني: (بما حفظ اللهَ) بالنصب»[4].

ولم يذكر الراغب غير هذين الموضعين من القسم المحقق اسم صاحب القراءة.

***

(١) الرسالة ص (٩٥٨ - ٩٦٠).
(٢) الرسالة ص (٤٠٢).
(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٤) الرسالة ص (١٢٢٢).

المحور الثاني: السنة النبوية في تفسير الراغب

على الرغم من أن الراغب الأصفهاني قد ضمَّن تفسيره قدراً لا بأس به من الأحاديث النبوية[1]، إلا أن عنايته بهذا الجانب كانت ناقصةً بالنظر إلى عنايته بالقرآن واللغة ومحاولة الوقوف على أسرار بلاغة النصّ القرآني.

وإن السبب في ذلك ـ فيما أعلم ـ هو أن الراغب لم يُوَلِّ جانب الرواية ذاك الاهتمام الذي أولاه جانب الدراية، وليس هذا في التفسير فحسب، بل في كل ما صنف الراغب من مصنفات في مختلف العلوم والفنون.

وقد ظهر هذا الضعف في جانب الحديث النبوي من خلال:

١- عدم عناية الراغب بالإسناد.

٢- عدم ذكر رواة الأحاديث عن النبي ﷺ من الصحابة غالباً.

٣- عدم تحرِّي الدقة في عزو الأقوال إلى النبي ﷺ، ولذلك كثر استشهاد الراغب بالأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٤- رفع الأحاديث الموقوفة والأقوال المقطوعة، ونسبتها إلى النبيّ ﷺ.

٥- عدم الإشارة إلى أيّ مصدر من مصادر السنة، التي خرَّجت الحديث.

٦- عدم نقل كلام نُقَّاد الحديث في التصحيح والتضعيف.

---

(١) بلغ عدد الأحاديث التي وردت في القسم المحقق من هذه الرسالة (١٦٣) حديثاً.

٧- إدخال بعض الأحاديث في بعض أحياناً، وجعلها حديثاً واحداً.

٨- رواية الأحاديث بالمعنى، وعدم التقيد باللفظ.

ولكن الراغب نجح من خلال ما أورده من أحاديث في خدمة جانب التفسير، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: الاستشهاد بالحديث على معنى الآية وتأكيده:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾(١) قال الراغب: «وقيل: تعزُّ من تشاء بأن تصونه عن تمكينه من الملك في الدنيا، وتذلُّ من تشاء بإعطائه ذلك، وهذا التفسير على النظر إلى ما قال عليه الصلاة والسلام: «**ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرة وندامة إلى يوم القيامة**»(٢).

ولا يخفى بُعْدُ هذا القول الذي لم أجده عند غير الراغب، حيث إنه يؤدي إلى اتهام خلفاء المسلمين بأن الله تعالى قد أراد إذلالهم بتمكينهم من الملك في الدنيا، وهذا لا يقول به أحد.

كذلك فإن الحديث الذي ذكره الراغب ليس له تعلّق ظاهر بالآية، فالآية عامة، والحديث خاص بموضوع الإمارة.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾(٣) قال الراغب: «ولا حرج في مداراة الكافر، حيث يُخاف شره، أو يُرجى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) الرسالة ص (٤٩٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

صلاحه، فقد رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه استأذن عليه بعض الناس، فقال: «**بئس أخو العشيرة هو**» فلما دخل أكرمه، وسألته عائشة بعد خروجه، فقال: «**إن شرَّ الناس من يُكْرَمُ اتقاء لسانه**»[1] وهذا من الاستشهاد بالحديث على معنى الآية.

٣- ومن تأكيد معنى الآية بالحديث أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾[2] قال الراغب: «أي أربابهن، وذلك يقتضي أن لا يصحّ تزوُّج الأمة إلا بإذن أهلها، يُقوِّي ذلك قوله ﷺ: «**إذا تزوج العبد بغير إذن سيده فهو عاهر**»[3].

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[4] ذكر الراغب الحديث المفسِّر للاستطاعة، وهو قول النبيّ ﷺ: «**الاستطاعة: الزاد والراحلة**»[5].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[6] ذكر الراغب قول من فسَّر ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ بقوله ﷺ لمعاذ: «**هل تدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. فقال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**» ثم قرأ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. وهذا من تفسير

---

(١) الرسالة ص (٥١٠).
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٥.
(٣) الرسالة ص (١١٨٨).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٥) الرسالة ص (٧٣٩).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

القرآن بالسنة، وإن كان قوله: «ثم قرأ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ غير ثابت»[1].

٣- ومن تفسير القرآن بالسنة ما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾[2] حيث قال: «قيل: في قوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ﴾ قولان: أحدهما: أن ذلك حثّ على أن يغيّر الإنسان على نفسه قبل أن يُنكرَ على غيره، وهو خطاب للعامة.

الثاني: ما قال أبو ثعلبة الخشني وقد سئل عن هذه الآية، فقال: سألت عنها خبيراً، لقد سألت رسول الله ﷺ فقال: «**ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيت شحّاً مطاعاً، وهوىً متّبعاً، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك العوام**»[3].

٤- ومن تفسير القرآن بالسنة ما ذكره الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ﴾[4] قال الراغب: «وقد اُخْتُلِفَ في العدد الذي يجوز أن ينتهي إليه في النكاح، فمذهب عامة الفقهاء أنه لا يجوز مجاوزة الأربع، ومذهب بعض الشيعة أنه يجوز بلا عدد كالسراري.. وذهب بعضهم ممن لا يعرف شرط الكلام إلى أن المباح منهن

---

(١) الرسالة ص (٧٦١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٥. وقد استشهد بها الراغب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(٣) الرسالة ص (٧٧٦).

(٤) سورة النساء، الآية: ٣.

تسع . . وهذه الأقوال المتقدمة يبطلها ما رُوِيَ أنه لما نزلت هذه الآية كانت تحت قيس بن الحارث ثمان نسوة، فقال له النبيّ ﷺ: «خلّ سبيل أربع» وكذا قال لابن مسعود الثقفي»[1]، فقد فسّر الراغب الآية بالحديث، وجعله فيصلًا في القضية، وحاكماً على جميع الأقوال السابقة.

٥- ومن هذا الباب أيضاً ما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[2] قال: أي قبل الموت بدلالة قوله ﷺ: «إن الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب» قيل: يا رسول الله وما وقوع الحجاب؟ قال: «موت النفس مشركة»[3].

أما المآخذ الثمانية التي ذكرتها، فإن أربعة منها لا تحتاج إلى شواهد، وهي: عدم العناية بالأسانيد، وعدم ذكر الرواة من الصحابة، وعدم الإشارة إلى مصادر السنة، وعدم الاستشهاد بكلام علماء الحديث حول التصحيح والتضعيف.

فهذه الملاحظات الأربع عامة في كل الأحاديث التي ذكرها الراغب، إلا في جانب ذكر الرواة، فقد نصَّ الراغب على بعض الرواة في مواضع معدودة[4].

أما المآخذ الأربعة الأخرى، فهي كالتالي:

---

(١) الرسالة ص (١٠٩٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٣) الرسالة ص (١١٤٦).

(٤) كما في حديث أبي ثعلبة الخشني ص (٧٧٦) من هذه الرسالة، وحديث شداد بن أوس ص (١٢٣٢) من هذه الرسالة.

أ- الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة:

١- ذكر الراغب أن النبيّ ﷺ قال: «**إذا أتاكم عني حديث يدلُّ على هدى، ويكفُّ عن ردى، فأقبلوه، قلتُه أو لم أقلْه فإني قلتُه**». ولم أجد حديثاً بهذا اللفظ عن النبي ﷺ، وإنما ورد نحوه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا أعرفنّ أحدكم متكئاً يأتيه الحديث من حديثي، فيقول: اتل عليَّ قرآناً، وما أتاكم من خير عني قلته أو لم أقله فأنا أقوله، وما أتاكم من شرٍّ فإني لا أقول الشَّرَّ**»، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٨) وقال: منكر بمرة.

وروى البزار نحوه مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حدّثتم عني حديثاً فوافق الحقَّ فأنا قلته**» قال البزار: ما عرفت أشعث (أحد الرواة) قال الحافظ ابن حجر في مختصر زوائد مسند البزار (١/ ١٢٧) «قلت: هو معروف بالضعف. قال البخاري: منكر الحديث»(١).

٢- ومن الأحاديث الضعيفة التي استدل بها الراغب في تفسيره، قوله ﷺ: «**إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**»(٢) وهذا الحديث رواه البيهقي في سننه والبزار وابن المبارك في الزهد والقضاعي في مسند الشهاب من طريق أبي عقيل، عن محمد بن سوقة، عن ابن المنكدر، عن جابر مرفوعاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٦٢): «فيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل، وهو كذَّاب» وضعَّفه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٢٥٩ - فيض القدير) وقال المناوي:

---

(١) انظر: الرسالة ص (٦٦٦).

(٢) انظر: الرسالة ص (٧٤١).

وفيه اضطراب في الصحابي: أهو جابر أو عائشة أو عمر. ورجح البخاري في التاريخ إرساله. اهـ.

٣- ومن الأحاديث الموضوعة التي أوردها الراغب في تفسيره، ما ذكره عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق الأرواح قبل الأجسام بكذا سنة**»[١]، وهذا الحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٤١٠)، وأورده السيوطي في اللآلىء (١/ ٣٨٣) وقال: عبدالله وأبو كذابان، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٣٦٨)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة» رقم (٣٨٢) وقال: «رواه الأزدي عن علي مرفوعاً، وفي إسناده عبدالله بن أيوب بن أبي علاج عن أبيه، وهما كذَّابان».

٤- ومن الأحاديث الضعيفة التي ذكرها الراغب، قوله ﷺ: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»[٢]، وهذا الحديث ذكره العراقي في تخريج «الإحياء» (٣/ ٧ - هامش الإحياء) وقال: «أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر، وقال: «هذا إسناد فيه ضعف». وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٢٤) وقال: «قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عيلة».

٥- ومن الأحاديث الضعيفة كذلك في تفسير الراغب، قوله ﷺ: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[٣]، وقد ضعَّف

---

(١) انظر الرسالة ص (١٠٧٢).

(٢) الرسالة ص (٥١٣).

(٣) الرسالة ص (٧٦٥).

جميع طرقه الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠)، وضعفه كذلك ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٢٥٢)، وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٥٨).

٦- ومن الأحاديث الباطلة التي ذكرها الراغب في تفسيره، قوله ﷺ: «**إن الله يحاسب عباده بقدر عقولهم**»[١] ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ١٨٥) ونقل عن ابن معين وأبي حاتم أنهما قالا: هذا باطل.

ب- رفع الأحاديث الموقوفة والأقوال المقطوعة ونسبتها إلى النبي ﷺ:

١- من الأحاديث الموقوفة التي ذكرها الراغب مرفوعة إلى النبي ﷺ قوله: «**بيع الأمة طلاقها**»[٢]، فقد روي هذا الحديث موقوفاً على ابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وسعيد بن المسيب وأُبي ابن كعب وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك، ولم أجده مرفوعاً.

٢- ومما رفعه أيضاً قوله ﷺ: «**لا صغيرة مع إصرار**»[٣] فهذا الحديث لا يصحّ مرفوعاً إلى النبي ﷺ. رواه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً، وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٧) وقال: «خبر منكر».

---

(١) انظر: الرسالة ص (١٣٦٦).
(٢) الرسالة ص (١١٧٤).
(٣) الرسالة ص (١٢١٢).

إلا أنه ثبت موقوفاً على ابن عباسٍ رضي الله عنه، أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما.

٣- ومن هذا الباب أيضاً ما عزاه الراغب إلى النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ثلاث يؤدين إلى البرّ والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم**»[١]، والصواب أنه من كلام ميمون بن مهران.

٤- ومن ذلك أيضاً قوله: «وقد روي عن النبيّ ﷺ أن رجلًا جاءه فقال: هل للقاتل توبة؟ فقال: «**نعم**»، ثم جاءه آخر فسأله عن ذلك فقال: «**لا توبة له**»...» والصواب أنه موقوف على ابن عباس[٢].

٥- ومن ذلك أيضاً ما عزاه للنبي ﷺ أنه قال: «**من تناول شيئاً فهو له**»، والصواب أنه ليس من كلام النبي ﷺ، بل هو كلام منسوب للكلبي أو مقاتل أو النقاش على ما ذكر المفسرون[٣].

ج - إدخال بعض الأحاديث في بعض أحياناً وجعلها حديثاً واحداً أو العكس:

١- مثال ذلك ما رواه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدَّ الله أعلاها للمجاهدين في سبيله**»[٤]، فقال رجل: ما الدرجة؟ فقال عليه

---

(١) انظر: الرسالة ص (١٢٤٨).
(٢) انظر: الرسالة ص (١٤٠١).
(٣) انظر: الرسالة ص (٩٥٨).
(٤) انظر: الرسالة ص (١٤١٠).

الصلاة والسلام: «**أما إنها ليست بعتبة**». فالحديث إلى قوله: «في سبيله» تام أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما الزيادة التي ذكرها الراغب فهي قطعة من حديث آخر، أخرجه النسائي وأحمد من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ارموا، من بلغ العدوَّ بسهمٍ، رفعه الله به درجة**» قال ابن النحّام: يا رسول الله! وما الدرجة؟ قال: «**أما إنها ليست بعتبة أمك**»(١).

٢- وعكس ذلك أن الراغب قسم حديثاً واحداً، وجعله حديثين، فقال: «وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تراءى ناراهما**»، وقال: «**أنا بريءٌ من كل مسلم مع مشرك**».

والصواب أنهما حديث واحد عن جرير بن عبدالله البجلي، عن النبي ﷺ قال: «**أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**». قالوا: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «**لا تراءى ناراهما**»(٢).

د- رواية الأحاديث بالمعنى:

١- ذكر قوله ﷺ: «أنا بريءٌ من كل مسلم مع مشرك» ولفظ الحديث كما تقدم في المثال السابق.

٢- ذكر قوله تعالى في الحديث القدسي: «**من آذى لي وليًّا فقد آذاني**»(٣)، وقد قال البخاري هذا الحديث بلفظ: «**من عادى لي**

---

(١) انظر: الرسالة ص (١٤١١).
(٢) انظر: هذه الرسالة ص (٥٠٣).
(٣) الرسالة ص (٩٩٨).

وليًّا فقد آذنته بالحرب»، ورواه أبو نعيم في الحلية وأبو يعلى في مسنده بلفظ: «**من آذى لي وليًّا فقد استحل محاربتي**»، وعلى كلا اللفظين فقد ذكره الراغب بالمعنى[1].

٣- ذكر قوله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظلِّ عرشه، يوم لا ظل إلا ظله**»، ولفظ الحديث: «**سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله**»[2].

٤- ذكر قوله ﷺ: «**استحيوا من الله، كما تستحيون من أحدكم**»، ولفظ الحديث: «. . **أوصيك أن تستحي من الله عز وجل، كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**»[3].

أسباب النزول في تفسير الراغب:

ذكر الراغب علم أسباب النزول من ضمن العلوم التي ينبغي على المفسِّر معرفتها والإلمام بها[4]. وكذلك اشترط السيوطي على المفسِّر معرفة هذا العلم: «إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه، بحسب ما أنزلت فيه»[5].

وقال السيوطي أيضاً: «لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال: لا فائدة له، لجريانه مجرى التاريخ، ومن فوائده: الوقوف

---

(١) الرسالة ص (٩٩٨).
(٢) الرسالة ص (١٢٨١).
(٣) انظر: الرسالة ص (١٤٢٩).
(٤) انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٩٥).
(٥) الإتقان (٢/ ٤٥٠).

على المعنى أو إزالة الإشكال. قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها[1]، وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها، فزال عنهم الإشكال»[2].

وكما أن لأسباب النزول فوائد، فإن للجهل بها مضارّاً، وربما أدَّى الجهل بها إلى عواقب وخيمة، كما حدث مع الخوارج، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يرى أنهم شرار الخلق، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين[3].

ويتضح منهج الراغب في أسباب النزول من خلال النقاط التالية:

أ- لم يهتم الراغب بأسباب النزول من ناحية الرواية، فلم يذكر أسانيد الروايات التي ذكرها في أسباب النزول، ولم يفرِّق بين ما صحَّ وما لم يصحّ من هذه الأسباب، وهذا حكم عام في كل ما يتعلَّق بالرواية والإسناد.

ب- والراغب يشير غالباً إلى تعدُّد الأقوال في أسباب النزول:

---

(١) هذا الإطلاق غير سديد، فإن هناك كثيراً من الآيات التي ليس لها سبب نزول، ومع ذلك قام العلماء بتفسيرها وبيان معانيها، وكلام ابن دقيق العيد وابن تيمية أضبط.

(٢) أسباب النزول، للسيوطي ص (١٢). وقد ذكر السيوطي فوائد أخرى لأسباب النزول في كتاب «الإتقان» منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. ومنها: أن اللفظ قد يكون عاما، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته. انظر الإتقان (١/ ١٢٠).

(٣) انظر: مقدمة العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر (١/ ١٣).

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[١] قال الراغب: قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ رأى جماعة من اليهود فدعاهم فقالوا: على أيّ ملة أنت يا محمد؟ قال: «على ملة إبراهيم» فقالوا: إن إبراهيم كان يهوديًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: كان ذلك في سبب اليهوديين الذين رجمهما النبي ﷺ، ودعا بالتوراة فقرأ منها آية الرجم.

وقيل: كان في سبب نبوته وتكذيبهم إياه[٢].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٣]. قال الراغب: سبب نزولها أن قوماً لم يحضروا بدراً كانوا يقولون: ليت لنا يوماً مثله حتى نجاهد.

وقيل: سببه أن قوماً سألوا النبيَّ ﷺ أن يأذن لهم أن يأتوا المشركين في رحالهم ويقاتلوهم، فقال: «لم أؤمر بذلك»[٤].

٣- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[٥] ذكر الراغب فيها سببين لنزولها[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٢) انظر: الرسالة ص (٤٨١، ٤٨٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٤٣).

(٤) انظر: الرسالة ص (٨٨٨، ٨٨٩).

(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٨٦).

(٦) انظر: الرسالة ص (١٠٢٨، ١٠٢٩).

٤- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾[(١)] قال الراغب: واختُلِفَ في سبب نزول هذه الآية. ثم ذكر خمسة أسباب لنزولها[(٢)].

٥- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾[(٣)] ذكر الراغب فيها سببين لنزولها[(٤)].

ج- والراغب يرى أن الآية يمكن أن تنزل في أكثر من سبب:

فعند قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[(٥)] قال الراغب: والآية من تمام القصة المتقدمة، وقول من قال: نزل في حاطب بن أبي بلتعة، حيث اختصم مع الزبير بن العوّام في سبب الماء إلى النبي ﷺ، فحكم للزبير، فسخط حاطب، فإنه يجوز أن شأن نزوله هذه الحال، ويجوز أن يكون قد نزل فيهما[(٦)].

د- والراغب لا يرجح بين أسباب النزول غالباً:

وقد يرجح أحيانا، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[(٧)] قال الراغب: نزل ذلك في عثمان بن طلحة رضي الله عنه لمّا أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، فأمره الله أن يردّه إليه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٢) انظر: الرسالة ص (١٣٧٤ - ١٣٧٦).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٤) الرسالة ص (١٣٩٩، ١٤٠٠).

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٦) الرسالة ص (١٣٠٤ - ١٣٠٦).

(٧) سورة النساء، الآية: ٥٨.

وقال زيد ومكحول: نزل في ولاة الأمر.

قال ابن عباس: في كل مؤتمن على شيء، وهو أصحّ، فإنه عام[1].

هـ- وإذا تعددت أسباب النزول بحيث لا يستطيع الترجيح بينها، يفسّر الآية تفسيراً عاماً بعيداً عن أسباب النزول.

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾[2]، ذكر الراغب فيها خمسة أقوال، ثم قال: وجملة الأمر أن الناس كانوا اختلفوا في فئة من المنافقين فئتين، أمّنهم بعضهم، ووالاهم بعضهم، فقال تعالى: ما لكم قد صرتم فئتين مختلفتين فيهم، وقد خذلهم الله، فبين أن لاسبيل لهم بعد أن أضلهم الله[3].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾[4] ذكر الراغب ثلاثة أسباب لنزولها، ثم قال: وجملة الأمر أنه لما ذكر فيما تقدم من له عذر بأحد الأمرين اللذين ذكرهما، ذكر ههٰنا فرقة لا عذر لهم، كانوا يظهرون الإسلام، ثم يرجعون إلى عبادة الأصنام[5].

و- وقد يلجأ الراغب إلى أسباب النزول للفصل بين الأقوال المختلفة: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ

---

(١) الرسالة ص (١٢٨٢، ١٢٨٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٣) الرسالة ص (١٣٧٤ - ١٣٧٦).

(٤) سورة النساء، الآية: ٩١.

(٥) الرسالة ص (١٣٨٦، ١٣٨٧).

﴿أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] ذكر الراغب أقوالاً للملاحدة والمعتزلة، ثم قال: «ثم إذا تؤمِّل مورد الكلام، وسبب نزول الآية بان أن لا تعلُّق لأحد الفريقين بالآية على وجه يثلج صدراً أو يزيل شكّاً»[2]، ثم ذكر سبب نزول الآية.

ز- والراغب يطبق قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3] قال الراغب: «والآية تتناول اليهود والنصارى وإن كانت واردةً في اليهود»[4].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[5] قال الراغب: «(الذين كفروا) عام. وإن كان قد قال السُّدِّيُّ: عنى به عبدالله بن أُبي وأصحابه»[6].

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾[7] ذكر كافة المفسرين: أن المسلمين لما خرجوا إلى حمراء الأسد أو بدر الصغرى لم يلقوا قتالاً، فصادفوا هناك سوقاً فاشتروا منه ما ربحوا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٢) الرسالة ص (١٣٣٥).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.
(٤) الرسالة ص (٤٨١).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.
(٦) الرسالة ص (٩٤٢).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٧٤.

فيه، فكان ذلك هو النعمة والفضل اللذين ذكر الله. إلا أن الراغب لم يرتض هذا التفسير المعتمد على سبب نزول الآية، وقال: «والمقصود بهذه النعمة والفضل أعظم مما قال بعض المفسرين من أن المسلمين لما حضروا بدراً الصغرى، ولم يحضروا للموعد، صادفوا بها سوقاً، فاشتروا ما ربحوا فيه، فكان ذلك هو الفضل والنعمة، فإن أرباح التجارة الدنيوية أدون من أن يكون مقتصراً عليها في مقابلة المتوكلين على الله، الراضين عن الله تعالى، المرضي عنهم»[1].

٤- وقد مرَّ أن الراغب رجَّح قول ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2] بأنها نزلت في كل مؤتمن على شيء، فقال: وهو أصحُّ فإنه عام[3].

٥- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾[4] ذكر الراغب أنها نزلت في رجل من بني ضمرة كان مريضاً، فقال: أخرجوني، فأشرف في الطريق. وقيل: إنه أخذ يمينه بشماله وقال: قد بايعتك يا رسول الله، فبيّن تعالى أن المهاجر وإن لم يبلغ المقصد، فله بذلك ثواب. ثم قال الراغب: وكذا من نوى خيراً وعاقه عائق عن إتمامه[5].

***

(١) الرسالة ص (٩٩٠، ٩٩١).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٣) انظر: الرسالة ص (١٢٨٣).
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٠.
(٥) الرسالة ص (١٤١٥، ١٤١٦).

المحور الثالث: أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الراغب

لقد ذكر العلماء أن تفسير الصحابة والتابعين هو من التفسير بالمأثور، الذي يرجع إليه بعد الرجوع إلى القرآن والسنة، إلا أنهم اختلفوا في حُجِّية أقوالهم في التفسير على ما سأبينه إن شاء الله تعالى.

قال ابن كثير في تفسيره: «والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: أجتهد رأيي. فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله**»[1] وهذا الحديث في المسند والسنن بإسناد جيد، كما هو مقرر في موضعه، وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختُّصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماءهم وكبراءهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.. قال عبدالله بن مسعود: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٥٩٢) كتاب الأقضية. والترمذي رقم (١٣٢٧، ١٣٢٨) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. والنسائي وأحمد في المسند (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢) والبيهقي في سننه (١٠/ ١١٤) وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم (٨٨١).

لأتيته. وقال الأعمش: عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

وقال أبو عبدالله السُّلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»(١) قال عبدالله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.. فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود، أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة، وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعَمَّرَ بعده عبدالله بن عباس ستًّا وثلاثين سنة، فما ظنُّك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟!»(٢).

ثم قال رحمه الله: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين: كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير.. ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب،

---

(١) أخرجها بهذا اللفظ أحمد في المسند (١/ ٢٦٦، ٣٢٨، ٣٣٥)، وفي فضائل الصحابة رقم (١٨٥٨)، وابن حبان رقم (٧٠٥٥ - إحسان)، والطبراني في الكبير رقم (١٠٦١٤)، وهو في الصحيحين دون زيادة «وعلمه التأويل» أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم (١٤٣). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل ابن عباس رقم (٢٤٧٧) ولفظ مسلم: «اللهم فقهه».

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٤).

وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين»[1].

حجية تفسير الصحابة:

يرى بعض العلماء أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حجة، وله حكم المرفوع، وبذلك صرح الحاكم في المستدرك وغيره[2]، وقد تعقب الحافظ ابن حجر كلام الحاكم، فقال: «والحق أن ضابط ما يفسِّر الصحابي ـ رضي الله عنه ـ إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا منقولاً عن لسان العرب، فحكمه الرفع، وإلا فلا، كالإخبار عن الأمور الماضية: من بدء الخلق وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية، كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها، فيُحْكَمُ لها بالرفع.

وأما إذا فسر آية تتعلق بحكم شرعي، فيُحتمل أن يكون ذلك مستفاداً عن النبي ﷺ، وعن القواعد، فلا يجزم برفعه. وكذا إذا فسَّر مفرداً، فهذا نقل عن اللسان خاصة فلا يجزم برفعه، وهذا التحرير الذي حررناه هو معتمد كثير من كبار الأئمة كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي وأبي جعفر الطبري، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر بن مردويه في تفسيره المسند، وابن عبد البر في آخرين»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٤).

(٢) انظر: المستدرك (١/ ٢٧-١٢٣-٥٤٢)، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص (٢٠).

(٣) النكت على مقدمة ابن الصلاح (٢/ ٥٣١-٥٣٣). وانظر: فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار ص (٣٣).

حجية تفسير التابعين:

نقل الحافظ ابن كثير عن شعبة بن الحجاج وغيره أنه قال: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ ثم علق ابن كثير على هذا الرأي بقوله: يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح. أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك»[١].

وإذا رجعنا إلى تفسير الراغب وجدنا سيلًا كبيراً من أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وقد ذكرت في المصادر كلَّ من نقل الراغب قوله من الصحابة والتابعين مرتبين حسب عدد المرات التي وردت فيها أقوالهم، بادءًا بمن أكثر عنهم النقل، منتهياً بمن نقل عنهم مرةً واحدة.

ويمكن تصوّر منهج الراغب في استدلاله بأقوال الصحابة والتابعين من خلال النقاط التالية:

أولاً: الراغب يذكر تعدد أقوال الصحابة والتابعين في الآية:

وهذا واضح في معظم الآيات، التي أورد الراغب فيها أقوالاً للصحابة أو التابعين، وهو في نقله لأقوال هؤلاء قد يصرح باسم صاحب القول، وقد لا يصرح به، حتى ولو كانت هذه الأقوال

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥).

جميعاً سِيقت في آية واحدة.

١- مثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾[1] ذكر الراغب اختلاف العلماء في حدّ القنطار، فقال: «اختلفوا في حدّه، فقيل: هي أربعون أوقية، وقال الحسن: ألف ومائتا دينار، وقيل: ملءُ مَسْك ثورٍ ذهباً، وعلى ذلك عن ابن عباس، وبعضهم: حدّه يتغيَّر»[2].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] ذكر الراغب في ذلك سبعة أقوال:

الأول : له أسلم من في السمٰوات طوعاً.. وعامة أهل الأرض كرهاً.

الثاني : أسلم المؤمنون له طوعاً، والكافرون كرهاً.

الثالث : عن قتادة: أسلم المؤمنون له طوعاً في حال الصحة والأمن، والكافرون كرهاً عند الموت.

الرابع : عنى بالكره من قوتل وأُلجئَ إلى أن يؤمن.

الخامس : عن أبي العالية ومجاهد: أن كلًّا أقر بخلقه إياهم وإن أشركوا معه.

السادس : عن ابن عباس: أسلموا بأحوالهم الناطقة عنهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) الرسالة ص (٤٤٩، ٤٥٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

السابع : عن بعض الصوفية[1].

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾[2].

قال الراغب: «قيل: بكة هي المسجد، ومكة: الحرم. وقيل: بكة هي البيت. وقيل: هي بطن الحرم، وقال مجاهد: هما واحد»[3].

٤- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[4] قال الراغب: واختُلِف في الآية على أقوال:

الأول : أنه عنى من ليس بوارث من أولي القربى، وذلك على الاستحباب، فإما أن يعطوا، أو يقال لهم قول معروف. وقيل: يجمع لهم بين الأمرين.

الثاني : قال مجاهد: هو واجب، لكن يعطوْن على قدر ما تطيب به نفس الورثة، إذ كانوا وارثين. قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس وهم يقسمون على الأقارب واليتامى والمساكين من الورق والفضة، فإذا صاروا إلى الأرضين والرقيق ونحوها، قالوا لهم قولاً معروفاً. أي قالوا لهم: بُورِك فيكم.

---

(١) الرسالة ص (٦٨٦ - ٦٨٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

(٣) الرسالة ص (٧٢٥).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨.

الثالث : أن أولي القربى ضربان: وارث يعطى، وغير وارث. فيقال له قول معروف.

الرابع : يعطى الحاضر البالغ، ويُتحرى في أمر الغائب والصغير، قول معروف أي مصلحة.

الخامس : قال زيد بن أسلم: هذا شيء أمر به الموصي في الوقت الذي يوصي.

السادس : أن ذلك كان في الورثة واجباً، فنسخته آية الميراث[1].

٥- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[2] ذكر الراغب في الآية أربعة أقوال: منها قول عن ابن عباس رضي الله عنه[3].

ثانياً: الراغب يناقش القول، ويحكم عليه، ويرجِّح بعض الأقوال على بعض:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾[4] صحَّح الراغب قول الحسن بقوله: «وقول الحسن: الأكمه: الأعمى. صحيح» وعلَّل ذلك بقوله: «وكل كَمَه عمى، وإن لم يكن كل عمىً كمهًا»[5].

---

(١) الرسالة ص (١١١١ - ١١١٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩.

(٣) الرسالة ص (١١١٤، ١١١٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٥) الرسالة ص (٥٧١).

٢- وعند قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾(١) قال الراغب: «وقول الربيع وأبي العالية: ﴿كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ هي: لا إله إلا الله. صحيح، لأن أبلغ العدالة التوحيد، وهي الكلمة التي يجب أن يتساوى الناس فيها..»(٢).

٣- وعند قوله تعالى: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾(٣) قال الراغب: «وأما كفرهم بعد إيمانهم، فقد قال الحسن: بعد إظهارهم الإيمان بالنفاق. وقال قتادة: كفروا بالارتداد بعد الإسلام، وقيل: بعد الإقرار الذي اقتضاه قوله تعالى: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾(٤) وقيل: كفروا بالنبي ﷺ بعد أن أقروا به قبل بعثته، وعموم اللفظ يقتضي كل ذلك، ولاتنافي بينها»(٥).

٤- وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾(٦) قال الراغب: «وقول الحسن: إنه عنى بالذين كفروا اليهود والنصارى. وقول السُّدِّي: إنه أراد المشركين؛ أبا سفيان وأصحابه، وكلاهما صحيح، فاللفظ عام ومطاوعتهما تردّ على الأعقاب وتورث الخسران»(٧).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٢) الرسالة ص (٦١٢، ٦١٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٥) الرسالة ص (٧٨٣، ٧٨٤).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.
(٧) الرسالة ص (٩٠٦).

٥- وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾[(١)] ذكر الراغب في القول السادس: إن ذلك كان في الورثة واجباً، فنسخته آية الميراث. ثم قال الراغب: «والصحيح أنه ليس بمنسوخ»[(٢)]. والقول بالنسخ مروي عن سعيد بن المسيب والضحاك وأبي مالك، ورواية عن ابن عباس رضي الله عنه.

٦- وعند قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[(٣)] ذكر الراغب أقوالاً عن ابن عباس ومجاهد والسدي والحسن، ثم قال: «وكلّ ذلك تصحُّ إرادته بالميثاق»[(٤)].

٧- عند قوله: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[(٥)] قال الراغب: «قال ابن جريج: نزل ذلك في عثمان بن طلحة.. وقال زيد ومكحول: نزل في ولاة الأمر، قال ابن عباس: في كل مؤتمن على شيء، وهو أصحُّ، فإنه عام»[(٦)].

ثالثاً: والراغب يميل إلى التفسير بالعموم وعدم التخصيص ما أمكن:

ولذلك فإنه يرجِّح قولاً على قول، بسبب عموم الأول وخصوص الثاني.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨.
(٢) الرسالة ص (١١١٣).
(٣) سورة النساء، الآية: ٢١.
(٤) الرسالة ص (١١٥٧، ١١٥٨).
(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٦) الرسالة ص (١٢٨٢، ١٢٨٣).

١- عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1] ذكر الراغب «قول زيد بن أسلم: إن المستغفرين بالأسحار هم الذين يشهدون الصبح في جماعة. ثم قال: وذلك داخل في عموم الآية»[2].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[3]. قال الراغب: «وقول الحسن ومجاهد والربيع: إن الرحمة ههٰنا النبوة. وقول ابن جريج: هي القرآن. صحيحان، لأن كليهما داخلان في الرحمة، ولاشك أن من أعطيهما فقد خُصَّ برحمة منه. وكذلك قول من قال: عنى بالرحمة الحسنى المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[4]. وقول من قال: عنى به الوقوف على حقائق كلامه، الذي خصَّ به خواصّ عباده الموصوفين بقوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[5]، فكلٌّ ذلك داخلٌ في عموم رحمته»[6].

٣- عند قوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[7] قال الراغب: «قيل: عنى من أهل بيتهم ومن العرب. وقال بعضهم: ليس هذا بسائغ، إذا لم يخصَّ أهل بيته به، ولا العرب خاصة، بل هو مبعوث إلى العالمين. ثم قال الراغب: فالوجه في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي من البشر، وذاك أن كل ما أوجده الله في هذا العالم لا يأخذ نفعه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.
(٢) الرسالة ص (٤٦٢).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١.
(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٢.
(٦) الرسالة ص (٦٥٠).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

إلا مما بينه وبين المأخوذ منه ملائمة ما، وذلك حكم مستمر في كلّ شيء»[1].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[2] قال الراغب: وقد قيل: مخالفتهم أنهم دعوا إلى التحصُّن بالمدينة، فأبوا إلا الخروج، وقيل: لاختيارهم الفداء يوم بدر، وقيل: لمخالفة الرماة. قال الراغب: «والأولى أن يكون عامًّا في جميعها»[3].

٥- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾[4] ذكر الراغب ثلاثة أقوال في تفسير الخبيث والطيِّب، ثم قال: «وكلُّ هذه الأقوال إشارات إلى ما يقتضيه عموم الخبيث والطيِّب»[5].

٦- وعند قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[6] قال الراغب: «فإن قيل: فليس اتباع الشهوات مذموماً في كلّ حال؛ بل منها ما هو محمود، قيل: قد قال بعض المتكلمين وبعض المفسرين: عنى بذلك بعض الشهوات. وقال بعضهم: عنى من يتبع الشهوات كلها». ثم اختار الراغب العموم فقال: «والصحيح أن اتباع الشهوة في كل حالٍ مذموم، لأن ذلك هو الائتمار لها من حيث ما دعت. .»[7].

---

(١) الرسالة ص (٩٦٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٣) الرسالة ص (٩٧٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢.

(٥) الرسالة ص (١٠٨٢، ١٠٨٣).

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٧) الرسالة ص (١١٩٥، ١١٩٦).

٧- في المثال السابع من الفقرة السابقة علّل الراغب تصحيح قول ابن عباسٍ رضي الله عنه بكونه عامًّا، وهذا يدل على اتجاهه إلى العموم في التفسير، وقد ذكرت في أسباب النزول أن الراغب كان يميل إلى قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذكرت على ذلك عدة أمثلة.

رابعاً: الجمع والتأليف بين الأقوال إذا وجد لذلك مجالاً وعدم تضعيفها إلا إذا لم يوجد لها مساغ في الرواية واللغة:

فمن ذلك ما يلي:

١- عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١] قال الراغب: «قال الحسن وابن جريج: كانت اليهود عاملوا العرب، فلما أسلموا امتنعوا من ردِّ أموالهم، وقالوا: لا يحقُّ لكم بعد أن دخلتم في الإسلام. وقيل معناه: ليس علينا سبيل لكوننا أبناء الله وأحباءه، ومن عدانا عبيد لنا..» ثم قال الراغب: «وهذه أقوال متقاربة»[٢].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[٣] ذكر الراغب أقوالاً عن الزجاج ومؤرج وابن زيد وابن جبير، ثم قال: «وهذا كلّه ألفاظ مختلفة عُني بها معنى واحد»[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٢) الرسالة ص (٦٥٥، ٦٥٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٤) الرسالة ص (٦٦٨ - ٦٧٠).

٣- وعند قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾(١) قال الراغب: «والقائمة: العادلة. وقال مقاتل: مطيعة. وقال بعضهم: مسلمة. وهذا كلّه واحد، فإن العادل لا يكون عادلاً حتى يكون مسلماً مطيعاً، والمطيع لا يكون مطيعاً حتى يكون مسلماً عادلاً»(٢).

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾(٣). قال الراغب في قوله: ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾: وقول السُّدِّي: ادفعوا بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا. وقول غيره: رابطوا بالقيام على الجبل إن لم تقاتلوا. وقول غيرهما: احضروا موضع الحرب. ليست بأقوال مختلفة في المعنى، كما قدره بعض النقلة، وإلا ذلك اختلاف عبارات وتغيير أمثلة لمقصد واحد»(٤).

٥- وعند قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٥). قال الراغب: والرقيب: قال مجاهد: هو الحفيظ. وقال ابن زيد: عليم. وكلاهما صحيح، فحافظ الشيء يقتضي أن يكون عالماً به، ليمكنه أن يحفظه(٦).

٦- وعند قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(٧) ذكر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.
(٢) الرسالة ص (٨٠٤).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٤) الرسالة ص (٩٧٣، ٩٧٤).
(٥) سورة النساء، الآية: ١.
(٦) الرسالة ص (١٠٨١).
(٧) سورة النساء، الآية: ٩.

الراغب في الآية أربعة أقوال، ثم قال: «وكل هذه الأقوال يصحُّ أن تكون مرادة بالآية»، ثم أخذ يجمع بين هذه الأقوال[1].

٧- وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[2] ذكر الراغب خمسة أقوال: منها قول ابن عباس وأبي هريرة وبعض الشيعة، ثم قال: وكل هذه الأقوال صحيح، ومراد بالآية. ثم أخذ في تبيين علّة الجمع بين هذه الأقوال[3].

٨- وضعَّف الراغب قول مجاهد في الأكمه، فعند قوله تعالى: ﴿ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ ﴾[4] صحَّح الراغب قول الحسن، ثم قال: وقول مجاهد: «الأكمه الذي لا يبصر بالليل دون النهار، فليس بشيء»[5]، وذلك لأنه لا يمكن الجمع بينه وبين قول الحسن.

خامساً: والراغب كثيراً ما يوجّه القول، ويذكر علّته، ويبين أحياناً سبب اختلاف الأقوال:

١- فعند قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾[6] الآية. قال الراغب: «واختُلِفَ في هذا الحبّ من الذي زيَّنه؟.. فقال بعضهم: الله عز وجل زيَّنه». ثم ذكر علة هذا القول، فقال: «وذلك لنظره إلى القوة المشتهية أو المشتهى، ولقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى

---

(١) الرسالة ص (١١١٤، ١١١٥).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) الرسالة ص (١٢٨٦، ١٢٨٧).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٥) الرسالة ص (٥٧١).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

﴿ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[1] وإليه ذهب عمر .

قال بعضهم : «زيَّنها الشيطان ، وإلى هذا ذهب الحسن ، فيقول : كيف زيَّنها الله وهو يذمُّها؟

ومنهم من قال : «زيَّن الله منها ما يحسن تناوله ، وزيَّن الشيطان ما يقبح» . ثم أخذ في تبيين علة هذا القول[2] .

٢- وعند قوله تعالى : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] ذكر الراغب قول من قال : ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عنى به عيسى عليه السلام ، وهو قول جمهور العلماء ، ثم أخذ الراغب في تعليل هذا القول وتوجيهه ، فقال : «وتسمية عيسى بالكلمة قيل : لكونه موجداً بكن ، وقيل : سُمي بذلك لكلامه في صغره»[4] .

٣- وعند قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾[5] قال الراغب : «واختلف في بناء البيت ، فقال مجاهد وقتادة : هو أول بيت بُنِيَ في الأرض . وقال عليّ : أول بيت وُضع للعبادة» . ثم ذكر الراغب سبب هذا الخلاف بقوله : «وهذا الاختلاف لاختلاف التقدير في الآية ، لأنه على الثاني : إن أول بيت وُضِعَ للناس مباركاً وهدى للعالمين للذي ببكة» .

(١) سورة الكهف، الآية : ٧.
(٢) الرسالة ص (٤٥٤ ، ٤٥٥).
(٣) سورة آل عمران، الآية : ٣٩.
(٤) الرسالة ص (٥٣٨).
(٥) سورة آل عمران، الآية : ٩٦.

ثم ذكر الراغب اختلافهم في قوله: ﴿أَوَّلَ﴾ وتوجيه كل قول، فقال: «ثم اختلفوا في معنى أول، فمنهم من اعتبر ذلك بالشرف والمنزلة، فكأنه قيل: أشرف بيت، وعلى ذلك قال مجاهد: هو قوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

ومنهم من اعتبر أوليته بالزمان. قال: أوَّل بيت بعد الطوفان، وهو الذي قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[2] . . . »[3].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[4] قال الراغب: «وقول قتادة وابن زيد: النِّحلة الفريضة، فنظر منهم إلى حكم الآية، لا إلى موضوع اللفظ والاشتقاق»[5].

٥- وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[6] ذكر الراغب علَّة بعض الأقوال، فقال: «وقول عطاء: حفيظاً. وقول ابن جبير: شهيداً. فإشارة إلى هذا المعنى. وقيل: ﴿حَسِيبًا﴾ أي كافياً من قولهم: أحسبني هذا الشيء - أي كفاني - حتى قلت حسبي. ومن قال ذلك جعله من باب: الداعي السميع أي المسمع»[7].

***

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٣) الرسالة ص (٧٢٨ - ٧٣٠).
(٤) سورة النساء، الآية: ٤.
(٥) الرسالة ص (١٠٩٦).
(٦) سورة النساء، الآية: ٨٦.
(٧) الرسالة ص (١٣٧١).

لا يحتاج القارئ إلى تقليب عدة صفحات في تفسير الراغب، ليتبين مدى اعتناء الراغب بلغة القرآن، وحرصه على حضورها المميز في كل آية يتناولها بالتفسير والبيان، ولا غرابة في ذلك، فالراغب لغوي وأديب من الطراز الأول، والقرآن الكريم نزل بلسان العرب، فكان من الطبيعي أن يفزع الراغب إلى لغة العرب في إيضاح كلام الباري سبحانه وتعالى، وبخاصة في الآيات التي لا يوجد لها نظائر في القرآن، أو مرويات عن النبي ﷺ أو آثار عن الصحابة والتابعين.

ويمكن معرفة مدى عناية الراغب بالعربية واعتداده بها من خلال النقاط التالية:

أولاً: بيانه للمفردات القرآنية.

ثانياً: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق.

ثالثاً: عنايته بالفروق اللغوية.

رابعاً: عنايته بالتعليل اللغوي.

خامساً: إيراده أقوال اللغويين والنحاة.

سادساً: قدرته على النقد اللغوي.

سابعاً: عنايته بالنحو والإعراب.

ثامناً: عنايته بالبلاغة.

أولاً: بيانه للمفردات القرآنية:

أولى الراغب المفردات القرآنية عناية فائقة، كخطوة أولى في تفسير النصّ القرآني، إذ لا يمكن معرفة المراد بالآية دون فهم مفرداتها، ولذلك فقد كان الراغب كثيراً ما يمهّد لتفسير الآية ببيان بعض مفرداتها اللغوية، ومن ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١) بدأ الراغب تفسير هذه الآية بما يلي:

«الزيغ: الميل عن الاستقامة إلى حد الجانبين، ومنه زاغ البصر، وزاغت الشمس عن كبد السماء، وزاغ قلبه. وزاع وزال ومال تتقارب، لكن زاغ لا تقال إلا فيما كان عن حقٍّ إلى باطل..»(٢).

٢- وعند قوله تعالى: ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾(٣) قال الراغب: «الغرّ: الأثر الظاهر من الشيء، ومنه الغُرَّة. والغرار: حدّ السيف اعتباراً بالأثر.. وغرُّ الثوب أثر كسره، يقال: اطو عليّ غرَّه، واستعير للخديعة، فقيل: غرَّه واغترَّه.. وسمى الدنيا والشيطان غروراً، لكونهما غارين للإنسان. والغرّ: المغرور. والغرر: الخطر المتقدم كأنه الذي به يغتر، وأما غرَّ الطائر الفرخَ. فاستعارة من الصوت الذي يكون منه عند زقّه. والغرغرة: ترديد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) الرسالة ص (٤١٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

الصوت من الحلق . . والغرى : قطع الأديم»[1] .

ومن الملاحظ في هذا المثال أن الراغب لا يكتفي ببيان معنى المفردة القرآنية في الآية ، بل يذكر استعمالاتها مطلقاً على سبيل الحقيقة ، أو على سبيل الاستعارة والمجاز .

٣- وعند قوله تعالى : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾[2] ، قال الراغب : الولوج : الدخول في مضيق ، فهو أخصُّ من الدخول . يقال : تولج الظبي ولولجه : بناء بين يدي فناء القوم كالمدخل إليه . واستعير الوليجة لبطانة الرجل كالدَّخيل . وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، يتناول تعاقُب أحدهما الآخر ، والزيادة من كلّ واحد منهما في الآخر ، وقد فسِّر بهما[3] .

٤- وعند قوله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4] مهّد الراغب لتفسير الآيتين بذكر بعض المعاني اللغوية ، فكان مما قال : الهيئة : الحالة المحسوسة التي تحدث للشيء ، والهيّ : الحسن الهيئة . ومنها : أخذ المهايأة فيما يتراضى به على وجه التخمين .

والنفخ : جعل الريح في الشيء ومنه النفخة ، وعنه استعير نفخة الصور . والنفخة للورم تشبيهاً بما ينفخ فيه . والنفاخة : للحجاة .

---

(١) الرسالة ص (٤٨٥ - ٤٨٧) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٧ .

(٣) الرسالة ص (٤٩٨ ، ٤٩٩) .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان : ٤٨ ، ٤٩ .

والادخار: افتعال من الذّخر، وهو إعداد الشيء لنائبة..
والأكمه: الذي ولد أعمى[1].

٥- وتظهر ثقافة الراغب بشكل ملحوظ حينما يستدل على ما يذكره من معاني المفردات بالآيات القرآنية والشعر العربي القديم، فعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] قال الراغب: البطانة في الثوب بإزار الظهارة، ويستعمل لمن اختصصته كالشعار والدثار. ويقال: لبستُ فلاناً إذا اختصصته. وعلى ذلك قوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾[3]، وألوتُ في الحاجة: قصّرت. وألوت فلاناً ألواً أي أوليته تقصيراً بحسب الجهد.. ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ ﴾[4] أي لا يقصروا. آلى: أي حلف.. والخبال: الفساد الذي يلحق ذات الحيوان، يقال: في قوائم الفرس خبل وخبال أي فساد من جهة الاضطراب، وفلان مختبل الرأي. وقول زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يُخلبوا

أي إن طلب المال منهم إفساد شيء من إبلهم فعلوا.

والعنت: تحري المشقة.. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾[5]
وأكمة عنوت: صعبة المسلك[6].

---

(١) الرسالة ص (٥٧٠).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.
(٤) سورة النور، الآية: ٢٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.
(٦) الرسالة ص (٨٢٠).

٦- ويلجأ الراغب إلى كلام العرب أيضاً عندما تختلف عبارات المفسرين في المراد ببعض المفردات القرآنية، فعند قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[1] قال الراغب: «البروج: بيوت في قصور، وبها شبّه بروج السماء وسميت بها.. وقد حمل البروج في الآية على القصور، فيكون معناه كقول الأسود ابن يعفر:

ولو كنت في غمدان يحرس بابه أراجيلُ أُحبوشٍ وأسودُ ألفُ
إذاً لأتتني حيث كنت منيتي يخبُّ بها حادٍ لإثري قائفُ

وحُمِل على بروج السماء، فيكون كقول زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقها ولو نال أسباب السماء بسُلّم

فعلى هذا وصف البروج بالمشيَّدة على طريق التشبيه»[2].

٧- ومن اهتمام الراغب بالمفردات ذكره اللغات المختلفة للمفردة، مثال ذلك قوله: «ولدن: فيه لغات: قيل: لدُن، ولُدن بضمتين، ولَدَن بفتحتين، ولَدْن بالسكون مع فتح اللام وضمه، وقيل بكسر النون، وقيل: لدُ بحذف النون، ولدى»[3].

وعند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4] قال الراغب: «وقيل: وفّى لغة نجد، وأوفى لغة الحجاز، وقيل:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٢) الرسالة ص (١٣٣٠، ١٣٣١).
(٣) الرسالة ص (٤٣٢، ٤٣٣).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

هما كمحمد وأحمد»[1].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] قال الراغب: «وأهل الحجاز يقولون: فتنته وأهل نجد يقولون أفتنته ففتن فتوناً»[3].

ثانياً: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق:

للراغب الأصفهاني باع واسع، وتميز كبير في تحديد الأصول اللغوية للمفردات واشتقاقاتها، وفي معرفة الاستعمالات المختلفة للمفردة، وهذا ـ بلا شك ـ يزيد في بيان معنى المفردات ويوضحها، وسوف نورد بعض الأمثلة التي توضِّح عناية الراغب بذلك.

١ - عند قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[4] قال الراغب: «الحبوط: فساد العمل، وأصله من الحبط، أي فساد بطون الماشية من مأكل الربيع، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم**»[5]. فالراغب هنا يذكر أصل الحبوط، ويستدل لذلك من السُّنة النبوية المطهرة، مما يزيد كلامه توثيقاً.

٢- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ

---

(١) الرسالة ص (٦٥٦، ٦٥٧).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠١.
(٣) الرسالة ص (١٤١٦).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٢.
(٥) الرسالة ص (٤٧٩).

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[١] قال الراغب: «الأصل في الصدر الجارحة، فاستعير لصدر المجلس والكتاب والكلام، وصدره إذا أصاب صدره، أو قصد نحو ظهره وكتفه، وإذا عُدي بعن اقتضى الانصراف عنه. والمصدر يقال للمصدر اللفظي. والموضع الصدر ولزمانه، والصِّدار: الصُّدرة يغطى بها الصدر على بناء الدثار واللباس. ويقال له الصدرة»[٢].

٣- والراغب يتعرض كذلك لبيان الاختلاف في اشتقاق الكلمة، ويذكر أقوال العلماء في ذلك، فعند قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾[٣] قال الراغب: الذرية: قيل: من ذرأ الله الخلق، فترك همزه نحو رزيّة وبريّة ونبي وخابية وملك من رزأ وبرأ ونبأ وخبأ وملأك. وقيل: بل هو من ذرو الريح، وأصله ذُرُّية. وقيل: هي فعلية من الذرّ نحو قمرية. ويقال: ذرية للواحد والجمع، ويقال للأصل والنسل. قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[٤] أي إياهم. ويقال للنساء الذراري. قال عليه الصلاة والسلام: «**حجوا بالذراري**..» أي بالنساء»[٥]. والراغب كما يظهر لا يترك دليلًا يؤيد قوله، سواء كان من القرآن أو السُّنة إلا ويذكره داعماً به رأيه، ومؤيداً به قوله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

(٢) الرسالة ص (٥١٣، ٥١٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٤) سورة يسٓ، الآية: ٤١.

(٥) الرسالة ص (٥٢٥، ٥٢٦).

٤- وعند قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[١] قال الراغب: الغلام يجوز أن يكون أصلًا في بابه، وعنه أخذ الاغتلام، لكون المغتلم شبيهاً به في المعنى المخصوص. ويجوز أن يجعل الغليم وهو منبع الماء من ذلك. وسُمِي الغلام لكونه ذا رونق، ولذلك يقال: فلان عليه ماء الشباب.

والعقر: أصل البنّية للدار والإنسان، وعقرته أي أصبت عقره أي أصل بنيته، وذلك يقتضي معنى القتل، ثم سُمِّي الجرح - أي جرح كان - عقراً، وسمى الخمر عقاراً، لكونهما كالعاقر للإنسان، وجعل بناؤه بناء الأرواء كالخمار والكباد. والمعاقرة: المشاربة، كأنه يطلب كل واحد منهما عقر صاحبه بإسكاره، وامرأة عاقر كأنها تعقر النسل لإفسادها ماء الفحل، وجعل العقر اسماً للدية، وكنى به عن بذل البضع»[٢].

وكل هذه المعاني التي ذكرها الراغب للفظ «العقر» متقاربة، تدور حول إصابة الأصل حقيقة كان أو مجازاً.

٥- وعند قوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[٣] قال الراغب: «والمشاورة: استخراج صائب الرأي عن الغير، واشتقاقه من شور العسل، وشرت الدابة وشورتها»[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٢) الرسالة ص (٥٤٣، ٥٤٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) الرسالة ص (٩٤٩).

٦- وعند قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾(١) بيّن الراغب اختلاف العلماء في اشتقاق الزبور، فقال: «الزبور هو الكتاب، لقول الشاعر:

كخط زبور في عسيب يماني

قيل: قد قال بعضهم: الزبور هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام، الشرعية. والكتاب في تعارُف القرآن ما يتضمن الأحكام، ولهذا جاء في عامة القرآن (كتاب وحكمة)، ففصل بينهما لهذا، واستعمل الكتابة في معنى الإيجاب، فعلى هذا اشتقاقه من زبرت الشيء أي حكمته. وقيل: الزبور اسم لما أجمل ولم يفصّل، والكتاب يقال لما قد فصّل، واشتقاقه من الزُّبرة أي القطعة من الحديد، التي تركت بحالها، وعلى هذا قال الشاعر:

وما السيف إلا زبرة لو تركتها على الحالة الأولى لما كان يقطع

وقيل: الزبور هاهنا اسم للزاجر من قولهم: زبرته أي زجرته»(٢).

٧- وعند قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾(٣) قال الراغب: «فالنِّحلة: العطية التي لا يطلب بها عوض، وأصله - عندي - من النَّحل، فكأن نحلته: أعطيته عطية النَّحل.. وقول قتادة وابن زيد: النِّحلة الفريضة، فنظر منهم إلى حكم الآية، لا إلى موضوع اللفظ والاشتقاق»(٤)، وقول الراغب

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤.
(٢) الرسالة ص (١٠٢٢، ١٠٢٣).
(٣) سورة النساء، الآية: ٤.
(٤) الرسالة ص (١٠٩٥، ١٠٩٦).

في هذا المثال: «وأصله عندي» إشارة إلى اعتداده بنفسه، وأنه قد بلغ مرتبة أئمة اللغة، الذين يؤخذ بأقوالهم، ويعتدُّ بكلامهم وخلافهم.

٨- وعند قوله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾(١) قال الراغب: «أصل السداد إزالة الاختلال، يقال: سددت الخرق إذا ردمته، والسهم إذا قوَّمته، والفقر إذا أزلته. والسداد ما يُسَدّ به، والسداد يقال في معنى الفاعل وفي معنى المفعول، ورجل سديد متردد بين المعنيين، فإنه مسدّد من قبل متبوعه، مسدّدٌ لتابعه»(٢).

٩- وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾(٣) قال الراغب: «السكر هو من السَّكْر أي سدّ مجرى الماء، وذلك لسدّ البخار الصاعد من المعدة قوة الفهم ـ وسكرت الريح: أي سكنت، تشبيهاً بسكون الماء إذا سدّ مجراه، وكذلك سُكِّرت أبصارنا: أي سدّ مجراها. والسكر قد يقال لما يعرض من الهوى والشباب والغنى.. ويقال: سكارى وسكرى.

والغائط: المنهبط من الأرض فكنَّى به عن الحدث، كالنجو في كونه للمرتفع من الأرض، وكالعذرة للفناء، والحش للبستان، والكنيف للحظيرة..»(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩.

(٢) الرسالة ص (١١١٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٤) الرسالة ص (١٢٥٠، ١٢٥١).

ثالثاً: عنايته بالفروق اللغوية:

اهتم الراغب بالفروق اللغوية اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الأصل عنده أن تكون الألفاظ مختلفة بحسب اختلاف المعاني، ولذلك كثر ذكره للفروق بين المفردات، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله حينما فرَّق بين الحق والصدق: «والحقُّ أبلغ من الصدق، لأن كلَّ صدق حق، وليس كلّ حقٍّ صدقاً»[(١)].

٢- وقال في الفرق بين الصورة والصبغة: «الصورة من صيرته أي أحلته، وهي هيئة معقولة أو محسوسة. والصبغة نحوها، إلا أن أكثر ما يستعمل في المحسوسة»[(٢)].

٣- وقال في الفرق بين الذنب والجُرم: «والذنب والجرم واحد، لكن الجرم يقال اعتباراً بالاكتساب تشبيهاً باجترام الثمرة، والذنب يقال اعتباراً بما يستحق به في الآخرة، مأخوذ من الذنَب.. وقيل سُمي الذنب اعتباراً بذنوب الإنسان منه أي نصيبه»[(٣)].

٤- وعند تفريقه بين التولِّي والإعراض قال: تولى الشيء أن تليه، فإذا عدي بعن صار لترك ذلك.

والإعراض في الأصل أن تجعل عرضك إليه أي جانبك. ومنه قيل: اعرض لك الصيد فارمه..»[(٤)].

---

(١) الرسالة ص (٤٠٦).
(٢) الرسالة ص (٤١١).
(٣) الرسالة ص (٤٣٨).
(٤) الرسالة ص (٤٨٣، ٤٨٤).

٥- وقال: «التلاوة والتنزيل والقصّ متقارب، لكن يقال: التلاوة: اعتباراً بمساوقة بعض الكلام بعضاً بالولاء.

والإنزال: اعتباراً بإخبار الأعلى الأدون، والأرفع للأوضع. والقص: اعتباراً باقتطاع الخبر على ما هو عليه»(١).

٦- ويضعِّف الراغب قول من قال: إن المعارف مكتسبة بسبب عدم إدراكهم الفرق بين لفظين، فيقول: «وقول من قال: الآية تدلُّ على أن المعارف مكتسبة بقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، فبعيد عن تصوُّر الفرق بين قولهم: يشعر، ويعلم»(٢).

٧- وقال: «والمسارعة والمبادرة والعجلة تتقارب، لكن السرعة أعمها، والمبادرة لا تكاد تُستَعمل إلا في البدن، والعجلة أكثر ما تُستعمل فيما يُتحرى عن غير فكر وروية، أو في إمضاء العزيمة قبل استكمال الرويَّة، ولهذا يقال: العجلة من الشيطان»(٣).

٨- وقال: «والفرق بين الاكتفاء والاستغناء أن الاكتفاء ما فيه سدّ الخلة، وسع أو ضاق، والاستغناء ما فيه السَّعة، فهو أعم»(٤).

٩- وقال في الفرق بين الخشية والتقوى: «الخشية: الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم، ولذلك وصف به العلماء في قوله تعالى:

---

(١) الرسالة ص (٥٩٨).
(٢) الرسالة ص (٦٢٨).
(٣) الرسالة ص (٨٠٨).
(٤) الرسالة ص (٨٤٠).

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[1] . والتقوى : جعل العبد نفسه في وقاية مما يخشاه، ولذلك قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] . فالخشية مبدأ التقوى، والتقوى غاية الخشية»[3] .

١٠- وفرّق الراغب بين المولى والنصير بقوله : «قيل : المولى هو الذي يتولَّى حفظ الشيء في كلّ حال، والنصير هو الذي ينصره إذا حزبه أمر، فكان الوليّ هو النصير في كل حال، والنصير هو المولى في حال دون حال»[4] .

١١- الراغب يذكر أحياناً تعدد الأقوال في الفروق، كما فعل عند ذكره الفرق بين الدرجات والمغفرة والرحمة، حيث قال : «قيل : إن المغفرة تُقال اعتباراً بإزالة الذنوب، والرحمة تقال اعتباراً بإيجاب التوبة وإدخال الجنة، والدرجات هي المنازل الرفيعة بعد إدخال الجنة.

وقيل : إن الرحمة هي أن يتوب عليه من الذنب، وإن كان بعد تبكيتٍ وعقاب. والمغفرة هي أن يستر ذنوبه فلا تبكيت به، والدرجات هي أن يجعل لكل واحدٍ درجة بقدر ما يليق به، وهي المعبرة عنها بالغُرُفات»[5] .

---

(١) سورة فاطر، الآية : ٢٨ .
(٢) سورة البقرة، الآية : ٢١ .
(٣) الرسالة ص (١١١٦).
(٤) الرسالة ص (١٣٢٤).
(٥) الرسالة ص (١٤٠٩، ١٤١٠).

رابعاً: عنايته بالتعليل اللغوي:

مما يتميَّز به الراغب الأصفهاني عنايته بالتعليل اللغوي، فهو لا يكاد يذكر شيئاً إلا ويذكر معه علته، أو فائدته، أو الحكمة منه، ومن الأمثلة على ذلك:

أ - تعليل التكرار:

١- قال الراغب: «وإنما كرر قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١] لأنه لما ذكر ما تقدم دليلًا على كون عيسى مخلوقاً، وكونه تعالى خالقاً نبه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أن لا معبود سواه، وأنه العزيز في نقمته، الحكيم في أمره، لا حاجة به إلى ولد، ولا حكمة تقتضي ذلك»[٢].

٢- ويذكر الراغب مرة أخرى علّة تكرار قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣] بقوله: «فإن قيل: ما وجه تكرار ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية؟ قيل: لما كان منتهى إدراك الإنسان للبارئ تعالى أن يعرف الموجودات، فيعلم أنه ليس إياها، ولا مشبَّها لشيء منها، صارت صفات التنزيه له أشرف من صفات التمجيد له، إذ كان عامة صفات التمجيد في ألفاظها مشاركة يصحُّ وصف العباد بها، ولأجل ذلك عظم ما ورد من صفاته على لفظ النفي، ونحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٤] قيل في

(١) في الآية: ٢، والآية: ٦، من سورة آل عمران.
(٢) الرسالة ص (٤١٢).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

سورة الإخلاص: إنها تعدل ثلث القرآن، لكونها تنزيهاً محضاً. ثم أبلغ ما يوصف به التنزيه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فتكريره هاهنا لأمرين: أحدهما: لكون الثاني قطعاً للحكم كقولك: أشهد أن زيداً خارج وهو خارج. والثاني: لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه، إذ قد يوصف بهما المخلوق»[١].

وفي هذا المثال والذي قبله تتجلى قدرة الراغب اللغوية، حيث ذكر عللاً مختلفة لتكرار شيء واحد، حمله على ذلك اختلاف سياق الآيات في الموضعين.

٣- ومن تعليل التكرار ما ذكره الراغب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢] بقوله: «تكرير الاصطفاء قيل لمعنيين: الأول: فرغها لعبادته وأغناها عن الكسب. والثاني: أن جعلها أمًّا لعيسى وآية له.

قيل: الأول: الاصطفاء الذي هو الاجتباء، والثاني: الاصطفاء الذي هو سبيل الهداية»[٣].

٤- ومن تعليل التكرار ما ذكره الراغب بقوله: «والكلام في تكرير ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾[٤] ودخول الفاء في الأخيرة منه صعب، وقد

---

(١) الرسالة ص (٤٦٦، ٤٦٧).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.
(٣) الرسالة ص (٥٥١، ٥٥٢).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

قال الزَّجَّاج: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ مكرَّر لطول القصة. قال: والعرب تعيد إذا طالت القصة (حسبت) وما أشبهها، إعلاماً أن الذي جرى متَّصل بالأول. . » ثم ذكر الراغب رأيه في هذه المسألة»[1].

٥- وقال الراغب: «إن قيل: فما فائدة قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ بعد أن قال: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[2]؟ قيل: وقد قال بعضهم ذلك على التوكيد»، ثم ذكر الراغب قوله في هذه المسألة[3].

ب - تعليل التقديم والتأخير:

١ - عند قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾[4] قال الراغب: «وقدَّم الذين أوتوا الكتاب، لأن الحجةَّ تلزمهم من وجهين: من الوجه الذي يلزم الأُميِّين. ومن وجه أنهم يدّعون الإيمان بإبراهيم وغيره. . »[5].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[6] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ قدم الإخفاء على الإبداء، ومن البادي يُتَوصّل إلى الخافي؟ . . قيل: لما كان العلم يظهر في النفس، ثم يبرز بالقول أو بالكتاب صار الخافي سبباً للبادي، فنبَّه

(١) الرسالة ص (١٠٣٣، ١٠٣٤).
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.
(٣) الرسالة ص (١٣٧٩).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.
(٥) الرسالة ص (٤٧٣).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

بذلك أنه يعلم الشيء منا قبل أن نظهره، وأنه يستوي عنده السرُّ والجهر»(١).

٣- وعند قوله تعالى: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(٢) قال الراغب: «إن قيل: كيف أخّر هذا الذكر لمريم عن ذكر قصتها؟ قيل: لما ذكر آيتها قرن بها آية زكريا وعبادته، ثم أتبعها بعبادة مريم متمماً لقصتها، لئلا يحتاج إلى قطع قصة زكريا، فيكون قد قرن ذكر الآية بالآية، والعبادة بالعبادة»(٣).

جـ- تعليل التخصيص:

١- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٤) قال الراغب: «وتخصيص الأرض والسماء لكون ذكرهما أهول بالإضافة إلينا، وفيه دلالة على كل شيء»(٥).

٢- وعند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٦) قال الراغب: «والفائدة في العدول عن الخطاب إلى الخبر، وتخصيص لفظ (الله) بذلك تنبيهٌ أن الذي اختُصصنا بعبادته هذا فعله..»(٧).

٣- وعند قوله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ

---

(١) الرسالة ص (٥١٤، ٥١٥).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.
(٣) الرسالة ص (٥٥٧).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥.
(٥) الرسالة ص (٤١٢).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩.
(٧) الرسالة ص (٤٣٥).

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1] قال الراغب: «وتخصيص الأسحار لكون العبادة فيها أشقّ، والقلوب أحضر وأرقّ»[2].

فهذه أمثلة ثلاث في تعليل التخصيص فيما لا يتجاوز سبع عشرة آية من سورة آل عمران، وهذا دليل على عناية الراغب بهذا الجانب.

٤- وعند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ خصَّ اليد، وفيما ذكره عنهم أفعال بغيرها من الجوارح؟ قيل: لما كان اليد هو الآلة الصانعة المختصَّة بالإنسان، فإنه لما كفى كل واحد من الحيوانات بما احتاج إليه من الأسلحة والملابس، وسخَّره لاستعمالها في الدفع عن نفسه، وخلق الإنسان عارياً من كل ذلك، جعل له الرؤية واليد الصانعة، ليعلم برؤيته، ويعمل بيده فوق ما أعطى الحيوانات، فلما كان لليد هذه الخصوصية صارت تُخصّ بإضافة عمل الجملة إليها»[4].

د - تعليل الحذف:

١- عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[5] قال الراغب: «إن قيل: ما فائدة حذف الجزاء في هذا المكان ونحوه من قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[6]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.
(٢) الرسالة ص (٤٦١).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.
(٤) الرسالة ص (١٠١٨، ١٠١٩).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

وقوله: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2]؟ قيل: لمَّا أراد أن ينبِّه أن الإنسان لا يُبخس حظه فيما يفعل من خير، ولا يزاد عليه في جزاء ما يفعل من شرٍّ، ذكر نفس الفعل دون الجزاء، تنبيهاً له أن فعله متوفّى بالجزاء حتى كأنه هو..»[3].

٢- عند قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4] قال الراغب: «ما سئل عنه بكيف محذوف، كأنه قيل: كيف حالهم أو قولهم وافتراؤهم؟ فحذف لدلالة الكلام عليه كحذفه في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾[5] ومعناه: كيف حالهم إذا جُوزُوا بفعلهم؟»[6].

٣- قال الراغب: «إن قيل: لِمَ ذكر في الخلق وفي إحياء الموتى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[7] ولم يذكر في غيرهما؟ قيل: لكون هذين الفعلين إلهيين، لم يجعل للمخلوقين إليهما سبيلًا، بخلاف النفخ والمداواة، والإخبار ببعض الغيب، فقد جعل للإنسان كثيراً من المداواة، وجعل لهم شيئاً من الإخبار بالغيب كالفراسة والإلهام، ولم يجعل

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.
(٣) الرسالة ص (٥١٨).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.
(٥) سورة محمد، الآية: ٢٧.
(٦) الرسالة ص (٤٨٧).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

لهم الخلق ولا إحياء الموتى، فنبه بقوله: ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أن ذلك فعل في الحقيقة صادر منه تعالى»[1].

هـ - تعليل اختيار الألفاظ:

١- قال الراغب: «وإنما قال: ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾[2] لأنه لما كانت الهبة ضربين: هبة عن عوض، وهبة لا عن عوض، نبّه بقوله: ﴿ لَّدُنكَ ﴾ أن هذه الهبة اعتراف أنه بتفضُّله يدرك ما يدرك من الدنيا والآخرة، نحو قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[3].

٢- قال الراغب: «إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾[4]؟ وفي قصة زكريا ﴿ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[5]؟ قيل: لما كان الخلق أخصّ من الفعل خصّه بما هو إبداع الفعل فيما هو أقرب إلى المعتاد في إيجاده»[6].

٣- ذكر الراغب تعليل اختلاف بعض الألفاظ في آيتين متشابهتين الأولى في سورة البقرة[7].

والثانية في سورة آل عمران[8] فقال: «يقال: كيف قال هاهنا

---

(١) الرسالة ص (٥٧٤، ٥٧٥).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٣. وانظر: الرسالة ص (٤٣٤).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.
(٦) الرسالة ص (٥٦٩).
(٧) الآية رقم (١٣٦).
(٨) الآية رقم (٨٤).

﴿قُلْ﴾، وهناك ﴿قُولُوٓاْ﴾، وذكر هاهنا ﴿عَلَيْنَا﴾ وثم ﴿إِلَيْنَا﴾، وذكر هناك ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ وترك ما أوتي هاهنا؟» ثم ذكر الراغب الجواب على هذه التساؤلات كلّها[1].

٤- عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ خصّ لفظ (ظلام) الذي هو للتكثير في نفس الظلم في هذا المكان، ولم يقل على ما قال في قوله: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[3] الذي هو يقتضي نفي الظلم قليله وكثيره؟ قيل: إنما خصّ ذلك لأنه لما كان في الدنيا قد يظن بمن يعذب غيره عذاباً شديداً، أنه ظلّام قبل أن يُفحص عن حال جرمه بين تعالى ذنبهم، وأنه إذا عاقبهم عقوبة شديدة فليس بظلّام لهم، وإن كان قد يُظن في الدنيا بمن يفعل ذلك أنه ظلّام، تعالى الله عن الظلم»[4].

خامساً: إيراده أقوال اللغويين والنحاة:

ومن عناية الراغب الأصفهاني بلغة القرآن استشهاده بأقوال اللغويين والنحاة، وذكره لكلامهم في المعاني أو الإعراب أو فيما يتعلق بفنون البلاغة واللغة الأخرى، وفيما يلي حصر بعدد المرات التي ذكر فيها الراغب أقوال أهل اللغة مبتدئاً بمن نقل عنه أكثر منتهياً بالأقل:

---

(١) الرسالة ص (٦٨٩).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٤) الرسالة ص (١٠١٩، ١٠٢٠).

١- الفرّاء	١٧ مرة
٢- الزجّاج	١٠ مرات
٣- أبو عبيدة	٤ مرات
٤- الخليل	٣ مرات
٥- سيبويه	٣ مرات
٦- الكسائي	مرتين
٧- المبرد	مرتين
٨- ابن قتيبة	مرة
٩- الأخفش	مرة
١٠- مؤرج	مرة
١١- الجاحظ	مرة
١٢- ابن الأعرابي	مرة
١٣- قطرب	مرة
١٤- الأصمعي	مرة
١٥- الجرجاني	مرة
١٦- أبو علي الفسوي	مرة

وقد تبيَّن لي من خلال مطابقة ما ذكره الراغب عن بعض هؤلاء العلماء بما سطَّروه في كتبهم ؛ أن الراغب ينقل عن هؤلاء بالمعنى، ولا يلتزم النقل عنهم حرفيًّا، ولعله ينقل من ذاكرته دون الرجوع إلى كتب هؤلاء الأئمة.

مثال ذلك ما ذكره الراغب عن الفرّاء في معنى الإحساس قال:

«وقال الفرّاء: يقال: حَسَسْتُ وحسِسْتُ، وحسِيتُ وأحستُ»، وهذه الكلمات لم يوردها الفرّاء لمعنى واحد، كما ذكر الراغب، وإنما أوردها لعدة معانٍ، فقد قال: «حَسَسْتُ في معنى الإفناء والقتل. حسِسْتُ وحَسَسْتُ في معنى العطف والرقة. أَحْسَسْتُ وأَحَسْتُ، وأحسيتُ وحسيتُ: الخبر بالخبر علمت»[1].

ونقولات الراغب عن هؤلاء الأئمة تدل على غزارة علمه، وسعة اطلاعه، واهتمامه بما كتبه سابقوه في شتى مجالات المعرفة، ومنها علوم اللغة وفنونها المختلفة.

والراغب لم يكن ناقلًا عن هؤلاء فحسب، بل كان مفسِّراً لكلامهم، ذاكراً علَّته، مناقشاً لأقوالهم، ناقداً لها أحياناً، فهو ينقل عن هؤلاء الأئمة نقل العالم الخبير والناقد البصير، وهذا ما سوف نتناوله بالبحث في المبحث التالي.

سادساً: قدرته على النقد اللغوي:

للراغب قدرة فائقة في مجال اللغة على مناقشة أقوال الغير، والحكم عليها، والترجيح بينها، وذكر العلة، سواء في تصحيح القول أو تضعيفه، وهو غالباً يوفِّق بين الأقوال، ولا يردّ القول إلا إذا لم يجد ما يشهد له من الأدلة الصحيحة: سمعية كانت، أم عقلية، أم لغوية، ويمكن تلمُّس قدرة الراغب على النقد اللغوي من خلال تتبُّع الأمثلة التالية:

---

(١) معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢١٦، ٢١٧). وانظر: اختصار الراغب لكلام الفرّاء في موضع آخر من الرسالة ص (٨٠٥). وتصرُّفه في قول الخليل ص (٨٨٢) من الرسالة.

١- قال الراغب في أول كلامه على سورة آل عمران: «الأصل في حروف التَّهجي السكون، وكان حكم الميم حكم غيره، لكن حُرِّكَ لالتقاء الساكنين، وفُتِحَ استثقالاً للكسرة فيه من أجل الياء قبله. ومن قال: إنما فُتِحَ لأنه أُلْقِيَ عليه حركة الهمزة فخطأ، لأن هذه الهمزة تسقط في الدرج إلا في قولهم: يا الله. والهمزة التي تلقي حركتها على ما قبلها هي الثابتة في الوصل والوقف. نحو: مَنَ ابوك؟ إذا قلت: من أبوك؟ فيروى عن عاصم وغيره سكون الميم وقطع الألف، وليس ذلك بصحيح عند النحويين، لكون الألف فيه للوصل»[1].

فالراغب في هذا المثال ضعف قول الفرّاء القائل بأن الميم في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ إنما فتحت لأنه أُلقِي عليها حركة الهمزة من لفظ الجلالة (الله)، ولم يكتف الراغب بتخطئة القول، بل ذكر سبب ردّه له ورفضه إياه.

ثم ذكر الراغب قراءة عاصم وغيره من القراء لقوله: ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ﴾ بسكون الميم وقطع الألف، ونظراً لأن الأمر يتناول قراءة متواترة، كان الراغب حريصاً عندما قال: «وليس ذلك بصحيح عند النحويين» فلم يُطْلِق القول بعدم الصحة، لأنه من المعلوم أن القراءة إذا ثبتت بالتواتر عن النبي ﷺ أو عن قراء الصحابة، فلا عبرة بتضعيف النحويين لها.

٢- وناقش الراغب قولاً آخر للفرّاء، وذلك عند قوله تعالى:

---

(١) الرسالة ص (٤٠١، ٤٠٢).

﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾[1] فقال: إن قيل: ما وجه ذلك وقد كانوا ثلاثة أمثالهم، فقد رُوِيَ أن المشركين كانوا تسعمائة وخمسين إلى ألف، والمسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشرة؟ قيل: في ذلك أقوال: أحدها: ما قاله الفرّاء: وهو أن يقول الرجل لغيره: أحتاج إلى مثلك، أي أحتاج إليك وإلى آخر، وعلى هذا أحتاج إلى مثليك، يكون محتاجاً إلى ثلاثة، فكأنه قيل: يرونهم ثلاثة أمثالهم، وهذا لا يساعده اللفظ، لأنه لو كان كما يقول لقال: يرونهم ومثليهم»[2].

٣- والراغب قد يعرض للقضية بما فيها من مناقشات العلماء لآراء بعضهم البعض، دون أن يُرجِّح رأياً على آخر، كما فعل في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[3] قال: «اللهم تقديره عند سيبويه يا الله، والميمان بدل من ياء، ولا يستعمل ذلك إلا في هذه اللفظة فقط.

وعند الفرّاء تقديره: يا الله أمنا بخير، فجُعِلا بمنزلة لفظ واحد، وحذف الهمزة منه كقولهم: هلم. وأصله هل أم. وقال البصريون: لو كان كما ذكر الفرّاء لاستغنى به عن جواب الشرط، إذا قيل: يا الله أمنا بخير لكون ذلك مكرراً»[4].

ويظهر من هذا المثال استيعاب الراغب لأقوال العلماء في

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣.
(٢) الرسالة ص (٤٤٤، ٤٤٥).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٤) الرسالة ص (٤٨٨ - ٤٩٠).

المسألة، وأدلة كل فريق منهم، وهذا الاستيعاب والمعرفة من الأمور اللازمة لكل ناقد في أي فرع من فروع المعرفة، وإلا فكيف يحكم على الأقوال، ويناقشها، ويفاضل بينها من يجهلها، أو يجهل بعضها، أو يجهل أدلتها وقواعدها.

٤- ومن ذلك أيضاً ما ذكره الراغب من تضعيف الزّجّاج لقول أبي عبيدة، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(١). قال الراغب: «وقال أبو عبيدة: عنى ببعض الذي حُرِّم الكلّ، واحتجَّ بقوله:

أو يرتبط بعض النفوس حمامها.

وقال الزجاج: هذا فاسد، لأن البعض لا يكون بمعنى الكل، وعنى لبيد ببعض النفوس نفسه خاصة فعرَّض، لأن عيسى حلَّل بعض المحرمات، وهو الذي كانوا حرَّموا على أنفسهم»(٢).

٥- والراغب كثيراً ما يعلِّل أقوال اللغويين، ويستدلُّ لها، ومن ذلك:

قال الراغب: «وقول أبي عبيدة: الحواريون صفوة الأنبياء. فنظر منه إلى حواري عيسى عليه السلام، وإلى قول النبي ﷺ»(٣).

وقال الراغب: «وقوله: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾(٤) في موضع الحال عند الفرّاء. قال: وتقديره: قد حصرت صدورهم. وتقوّى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.
(٢) الرسالة ص (٥٧٨، ٥٧٩).
(٣) الرسالة ص (٥٨٤، ٥٨٥).
(٤) سورة النساء، الآية: ٩٠.

ذلك بقراءة الحسن (أو جاؤوكم حَصِرةً صدورهم)»[1].

٦- والراغب لا يقوم بتضعيف القول ـ في الغالب، إلا ويذكر علَّة تضعيفه ـ مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[2] نقل الراغب عن المبرد قوله: «لا يكون (أن) في كلامهم مقتضياً (للا) وإنما تقدير ذلك: كراهة أن يؤتى أحد، وجعل المعنى كما تقدم.

وعقَّب الراغب على كلام المبرد بقوله: «وهذا التقدير بعيد، لأجل أن أحداً هنا يختصُّ بالنفي وما في معناه وعلى تقديره، ويكون مستعملًا في الإيجاب. على أن بعض النحويين ذكروا أن أحداً هاهنا هو المستعمل في الإثبات في نحو ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3].

٧- ومما يدل على أن الراغب لا يلجأ إلى تضعيف القول إذا كان هناك ما يشهد له، ما ذكره عن الفرّاء في قوله تعالى: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[4]، فقد ذكر الراغب أن قوله: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ كلام تام، أي لا يستوون. ثم قال: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أي منهم أمة قائمة. ورأي الراغب هذا هو اختيار ابن جرير والزجاج والنحاس. ثم قال الراغب: «وقال الفرّاء: ذكر أمة قائمة وحذف الأخرى، كقول الشاعر:

فما أدري أرشد طلابها

---

(١) الرسالة ص (١٣٨٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الإخلاص، الآية: ١. وانظر الرسالة ص (٦٤٤، ٦٤٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

وتقديره أم غي» ومع أن الراغب لا يرى هذا القول، إلا أنه وجّهه قائلًا: «وما قاله إنما يصح إذا جعل ﴿أُمَّةٌ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿۞ لَيۡسُواْ﴾، أو جعل الواو فيه كالواو في (أكلوني البراغيث) ويجعل ﴿أُمَّةٌ﴾ اسم ليس، وتكون المفاضلة بين أمة قائمة وأمة غير قائمة»(١).

٨- وقد يُعرِّض الراغب للقول ولا يُضعفه، ولكنه يختار غيره، كما فعل مع قول الزجاج في قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾(٢) قال الراغب: «وقد قال الزجاج: لا تحسبن. مكرّر لطول القصة. قال: والعرب تعيد إذا طالت القصة حسبت وما أشبهها، إعلاماً أن الذي جرى متصل بالأول، تقول: لا تظن زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا فلا تظنه صادقاً. وقيل: الفاء زائدة».

ثم قال الراغب: «والوجه في ذلك عندي أن قوله: لا تحسبن. على الخبر، وتقدير الكلام فيه، وذلك إشارة إلى يوم القيامة بعد أن يدخل الكفار النار، ويقال لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾(٣). والمعنى: والله إنك لا تحسبهم حينئذٍ أنهم بمفازة من العذاب. أي لهم سبيل إلى الخلاص، فلا تحسبنهم الآن، وهذا نهي والأول خبر»(٤).

٩- وقد يضعِّف الراغب القول ـ أحياناً ـ دون ذكر سبب وعلة

(١) الرسالة ص (٨٠٤ - ٨٠٦).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨ .
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨ .
(٤) الرسالة ص (١٠٣٤).

التضعيف، فقد قال عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾[1] الآية. . : «وقال قطرب: الكلالة لمن عدا الأبوين والأخ وليس بشيء. .»[2].

١٠- وقد يضعِّف القول بسبب عدم وروده عن اللغويين، كما في قول الجرجاني عند قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[3] قال: «وقال الجرجاني في كتاب النظم: تقديره (جاءوكم حصرت صدورهم) فحذف (إن). والفعل الماضي يقع في الشرط موقع المستقبل. وفيما ادعاه من إضمار (إن)، عهدة، فما أرى أهل اللغة يطابقونه عليه»[4].

سابعاً: عنايته بالنحو والإعراب:

ذكر الراغب علم النحو ضمن العلوم التي شرط على المفسر معرفتها، فهو من العلوم اللازمة في فهم القرآن ومعرفة تفسيره وأحكامه ومعانيه، وقد أشار الإمام مكي بن أبي طالب إلى أهمية الإعراب في تفسير كلام الله تعالى بقوله: «فإني رأيت أفضل علم صُرِفَتْ إليه الهمم، وتعبت فيه الخواطر، وسارع إليه ذوو العقول علم كتاب الله تعالى، إذ هو الصراط المستقيم والدين المبين والحبل المتين»[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢.
(٢) الرسالة ص (١١٣٢، ١١٣٣).
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٤) الرسالة ص (١٣٨٣).
(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن ص (٦٣).

ثم قال: «ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه يحتاج معرفة إعرابه، والوقوف على تصرُّف حركاته وسواكنه؛ ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على إحكام اللفظ به، مطلعاً على المعاني التي تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد»(١).

وقد ظهر جليًا في تفسير الراغب أثر الإعراب في اختلاف المعنى والتفسير، وسوف نسوق لذلك بعض الأمثلة، التي توضح هذا الأثر، والتي تبين مدى اهتمام الراغب وعنايته بعلم النحو:

١- قال الراغب: «إن قيل: ما معنى ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾(٢)؟ وذلك يقتضي جواز نبي ليس بصالح، قيل: قوله ﴿مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ متعلق بمضمر، أي وهو من الصالحين، وذلك مما أكّد به قوله: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾(٣)، ومعناه: من أولاد الصالحين»(٤).

تبيّن من هذا المثال أثر الإعراب في معنى الآية، وأنه لولا القول بتعلق الآية بمضمر لاقتضى جواز وجود نبي ليس بصالح، وهذا يبين أن النحو عند الراغب خادم للمعنى القرآني، لذلك فإننا لا نجد

---

(١) مشكل إعراب القرآن ص (٦٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.
(٤) الرسالة ص (٥٤٢، ٥٤٣).

الراغب ينساق وراء الصناعة النحوية، فيصطدم مع المعاني القرآنية المقررة، وإنما يعالج قضايا النحو من الناحية التي تخدم تفسير القرآن، وتبرز معانيه.

٢- وعند قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[(١)] أشار الراغب إلى أن المعنى في هذا المثال لم يختلف باختلاف الإعراب، فقال: «و ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هاهنا جارٍ مجرى (الذين) و ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ صلته. وقيل: بل هو تابع لأنتم، جارٍ مجرى عطف البيان. و ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ هو الخبر. والمعنى لا يتغير باختلاف التقديرين[(٢)].

٣- ومن ذلك ما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[(٣)] قال الراغب بعد أن ذكر بعض الأقوال في معنى الآية: «وقيل إن توبتهم غير مقبولة في حال ما هم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان. فالواو في قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ على هذا واو الحال»[(٤)].

٤- ومن ذلك أيضاً قال الراغب: «وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[(٥)] لم يجزمه، لأنه إذا جُعِلَ جواباً اقتضى أن النصرة عنهم ممنوعة في حال المقابلة فقط. وإذا رُفِعَ اقتضى أنهم ممنوعون عنها في كل حال»[(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.
(٢) الرسالة ص (٦٢١).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.
(٤) الرسالة ص (٧٠٨).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١١.
(٦) الرسالة ص (٧٩٧، ٧٩٨).

٥- ومن آثار اختلاف المعنى لاختلاف الإعراب: ما ذكره الراغب عند تفسير الآية الأولى من سورة النساء بقوله: «إن قيل: ما وجه عطف الأرحام على الله، والتقوى في الحقيقة من الله ومن عذابه، لا من الرحم، وقد كان الوجه أن يقال: اتقوا الله في الأرحام أو للأرحام؟ قيل: أجيب عن ذلك بأوجه».

ثم ذكر الراغب ثلاثة أوجه مختلفة في الآية، كان سبب اختلافها هو اختلاف العلماء في تقدير المحذوف، فمنهم من قال: المعنى: اتقوا عقوبة الله، واتقوا عقوبة قطع الأرحام.

ومنهم من قال: المعنى: اتقوا الله في الرحم. فحذف الجار، وأقيم حرف العطف مقامه.

ومنهم من قال: المعنى: اتقوا الله، وقوا الأرحام(١).

٦- والراغب يذكر بعض القواعد النحوية أثناء تناوله للآيات بالإعراب، ومن ذلك:

أ- قوله: «وإنما يجوز البدل فيما إذا كان بدل بقدر المبدل منه، فأما إذا نقص فليس إلا الاستئناف نحو: مررت بثلاثة: صريعٌ وجريحٌ»(٢).

ب- قوله: إن قيل: لِمَ رفع (يكون)(٣) ولَمْ ينصب على جواب الأمر؟ قيل: جواب الأمر يجب أن يكون غيره، نحو: ائتني فأكرمك.

---

(١) الرسالة ص (١٠٧٥، ١٠٧٦).

(٢) الرسالة ص (٤٤٤).

(٣) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

وتقديره: ائتني فإنك إن تأتني أكرمك. ولو جعل (فيكون) جواباً لكان تقديره: كن فإنك إن تكن تكن، وهذا لا يصح، لأن معنى الجواب معنى الشرط، وإذا رفع فتقديره: فهو يكون»(١).

ج- قوله: «والتمييز على ثلاثة أضرب: الأول أن يدل ما قبله على عدد فلا يجمع، نحو: عشرون درهماً.

والثاني: أن يشتبه، فلابد من جمع إذا أريد الجمع، نحو قولهم: أفره القوم عبيداً.

والثالث: أن يستوي الواحد والجمع، لكونه معلوماً منهما المعنى على حد نحو قولهم: فلان أحسن القوم عيناً، لأنه يعلم أن القوم لم يشتركوا في عين واحدة»(٢).

د- قوله: «والفرق بين العطف والنصب على الصرف هو أنه إذا كان عطفاً يراد حصول الفعلين مجتمعين كانا أو مفترقين، وإذا نصب فالمراد حصول الفعلين معاً ونفيهما معاً»(٣).

٦- وكما هي عادة الراغب في النقد والتمحيص، فإنه ربما رجّح أحد الأوجه الإعرابية على غيره، وربما ضعَّف أحد الأوجه، وكذلك فإنه ربما ردَّ على بعض النحويين أثناء تناوله الآية بالإعراب.

---

(١) الرسالة ص (٦٠٢، ٦٠٣).

(٢) الرسالة ص (١٠٩٨).

(٣) الرسالة ص (٨٨٧).

أ- فمثال ترجيحه أحد الأوجه الإعرابية قوله: «وقوله: ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾[1] مفعول ﴿تَجِدُ﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ معطوف عليه، كأنه قيل: وما عملت من سوء محضراً و ﴿تَوَدُّ﴾ في موضع الحال.

وقيل: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ استئناف، إما جزاء، وتودّ جوابه، وعلى هذا لو قرئ (تود) بالفتح أو بالكسر لجاز. وإما أن يكون متضمناً لمعنى الشرط، وإن لم يكن في تقدير الجزم نحو: الذي يأتيني له درهم، والأولى أن يكون معطوفاً كما تقدم»[2].

ب- ومثال تضعيفه أحد الأوجه الإعرابية ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾[3] بقوله: «إن قيل: كيف يصحُّ أن يكون ﴿تُؤْمِنُوٓا۟﴾ مفعوله ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ وقد عُدِّي إلى قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ و ﴿ءَامَنَ﴾ لا يصح أن يُعدَّى إلى مفعولين بغير حرف العطف؟ قيل: إن اللام تتعلّق به لا على حدّ المفعول به، وتقدير الكلام: لا تُقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع. وقوله من قال: اللام زائدة نحو ﴿رَدِفَ لَكُم﴾[4] فبعيد، لأن ﴿ءَامَنَ﴾ هذا لا يتعدى إلا بالجار»[5].

ومثال ذلك أيضاً تضعيفه أحد الأوجه الإعرابية في قوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٢) الرسالة ص (٥١٦). ونظر: ترجيحه لأحد الأوجه الإعرابية ص (١٠٣٤، ١٠٣٥).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.
(٤) سورة النمل، الآية: ٧٢.
(٥) الرسالة ص (٦٣٩، ٦٤٠).

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] فبعد أن ذكر وجهين إعرابيين سكت عنهما، ذكر وجهاً ثالثاً بقوله: «وقال بعضهم: تقديره: لا تنكحوا ما نكح آباؤكم إنه كان فاحشة، وهذا لا يصحّ من أجل اللفظ، فإن ما يتصل بما بعد أن لا يقدّم عليه، ولا تقول: عمراً إن زيداً يضرب، وتعني أن زيداً يضرب عمراً»[2].

ج- ومثال ردّه على بعض النحويين قوله: «وإدخال الواو في قوله: ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾[3] لعموم المعنى، ومعناه: لا يقبل منهم ذلك، وإن أخرجه للقربة في الدنيا، إذ كان لا يتقبل الله إلا من المتقين، ويجوز أن يعنى ذلك في الآخرة، ومعناه: لو ملك ذلك فأخرجه لم يكن ينفعه، وليست الواو بزائدة، كما ظن بعضهم، لأنه حينئذٍ يسقط معنى عموم الحالين»[4].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾[5] قال الراغب: «وقال بعض النحويين: ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ مرفوع رفعاً صحيحاً وتقديره: فلا يضركم، وحذف الفاء كقول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله يشكرها».

ثم قال الراغب: «وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر»[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٢.
(٢) الرسالة ص (١١٦٠، ١١٦١).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.
(٤) الرسالة ص (٧٠٨، ٧٠٩).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٦) الرسالة ص (٨٣١، ٨٣٢).

ثامناً: عنايته بالبلاغة:

اهتم الراغب بالبلاغة القرآنية، كما اهتم بغيرها من علوم القرآن، غير أن الراغب لم يكثر من الحديث عن أوجه البلاغة القرآنية، بحيث تطغى على مهمته كمفسر، فإن مهمة المفسر الأولى هي بيان المعاني القرآنية والأحكام الربانية، وعلوم اللغة الأخرى لابد أن تكون خادمة لهذا المقصد، غير منفصلة عنه أو طاغية عليه، فليس القرآن كتاب بلاغة أو إعراب، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد وإصلاح.

وقد ذكرتُ في مبحث التعليل اللغوي أنواعاً من التعليلات البلاغية، مثل: تعليل التكرار، تعليل التقديم والتأخير، تعليل التخصيص، تعليل الحذف، تعليل اختيار الألفاظ.

وسوف أذكر هنا بعض الأمثلة الأخرى، التي تبيِّن عناية الراغب ببلاغة النصّ القرآني، وتشير إلى تطرُّقه إلى بعض المصطلحات البلاغية، وقضايا البلاغة التي تشير إلى إعجاز القرآن وحسن نظمه.

١- ذكر الراغب الاعتراض كصورة من الصور البلاغية، فقال: «فقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[١] اعتراض بين بعض الجملة وبعضها تسديداً لها، وجواباً لهم.

وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾[٢] جواب لهم، والاعتراض

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

بين المتصلين من الجملة بما فيه تحقيق لمقتضاها من بلاغات كلامهم، وعلى ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُوْلَٰٓئِكَ﴾[1] فقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فصل بين اسم إن وخبره، لتحقيق مقتضى الكلام»[2].

٢- وذكر الراغب أن قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3] بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ الآيتين[4]. وقوله: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5] من الاعتراض المسمى في كتب البلاغة: الالتفات»[6].

٣- وذكر الراغب الالتفات مرة أخرى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[7] فقال: «وفصل بين بعض هذا الحكم وبعضه بفصلين: أحدهما قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. والثاني: حكم الأمة، كيف ينبغي أن تكون صفتها حتى يجوز التزوُّج بها. ومثل هذا الاعتراض يسمى في البلاغة الالتفات»[8].

٤- وأشار الراغب في بعض المواضع إلى خروج الاستفهام عن

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٣٠، ٣١.
(٢) الرسالة ص (٦٤١، ٦٤٢).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٠، ٩١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.
(٦) الرسالة ص (٧٢٢).
(٧) سورة النساء، الآية: ٢٥.
(٨) الرسالة ص (١١٨٥).

معناه إلى معانٍ أخرى، فقد قال عند قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[1] «ولفظ (كيف) وإن كان استفهاماً، فالقصد به النفي هاهنا، وعلى هذا قول الشاعر:

ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم ....

فأدخل الباء في خبر هل، لما أراد معنى ليس»[2].

٥- وقال أيضاً: وقوله ﴿ لِمَ ﴾[3] وإن كان أصله استفهاماً، فالمقصد به هاهنا الإنكار، والتنبيه أن لا جواب لهم»[4].

٦- عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ الآية[5]، قال: معنى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾: لا تحسبوا. واستعارة الاستفهام للنهي، مبالغة في المعنى»[6].

٧- والراغب يذكر فوائد بعض الحروف البلاغية، كما في قوله: «ودخول الفاء في قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴾[7] لتضمُّن الكلام معنى الجزاء، كأنه قيل: إن تابوا وأصلحوا يغفر لهم»[8].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٢) الرسالة ص (٦٩٧، ٦٩٨).
(٣) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٩٨.
(٤) الرسالة ص (٧٤٧).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.
(٦) الرسالة ص (٨٨٤).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.
(٨) الرسالة ص (٧٠٥).

٨- وقال أيضاً: «وإدخال الواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[١] لعموم المعنى، ومعناه: لا يقبل منهم ذلك، وإن أخرجه للقربة في الدنيا، إذ كان لا يتقبل الله إلا من المتقين»[٢].

٩- وذكر الراغب التقابل عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[٣]. قال الراغب: «إن قيل: المقابلة في الاثنين غير صحيحة، فإن التقابل الصحيح أن يكون المذكور في الثانية عكس المذكور في الأولى، وليس قوله: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ عكساً لقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ قيل: مراعاة التقابلُ على ضربين: تقابلُ اللفظ، وتقابل المعنى، وهو أفضلهما عند أصحاب المعاني، فالتقابلُ حاصل من حيث المعنى»[٤].

١٠- وذكر الراغب التقابل أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[٥] فقال: «السراء والضراء إشارة إلى حالي السعة والضيق، كاليسر والعسر، وإلى حالي السرور والاغتمام، وقد فُسِّر بهما، واللفظ يتناولهما، فإن السراء يقابلها الغم، والضراء يقابلها النفع، فأخذ اللفظان المختلفا التقابل، ليدل كلّ واحد على

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩١.
(٢) الرسالة ص (٧٠٨، ٧٠٩).
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.
(٤) الرسالة ص (٧٨٦).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

مقابله، وهذا من دقائق إيجازات البلاغة»[1].

١١- وعند قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[2]، فرّق الراغب بين الاستخبار والاستفهام[3]، فقال: «إن قيل: كان الوجه أن يقال: ألستم قد كفرتم؟ فلفظ الاستفهام في القرآن محمول على الإنكار، والإنكار متى تجرَّد عن حرف النفي، يكون للنفي نحو قوله: ﴿قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾[4] وإذا كان للإثبات قرن به حرف النفي؟ قيل: الألف في الأصل للاستخبار. والاستخبار أعم من الاستفهام، وكلّ استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً، والمستخبر قد يقصد إلى أخذ إقرار المستخبَر، أو إلى إلجائه إلى الإقرار بما ينكره. وقوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ استخبار على هذا الوجه، وتقريع لهم، وعلى ذلك قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[5].

١٢- عند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[6] ذكر الراغب وجهاً بلاغيًا لقوله: ﴿كُنتُمْ﴾ بدلاً من (أنتم)، فأشار إلى «أن ما تشارك فيه الأصول الثلاث: الماضي والحال والمستقبل، لا فرق بين أن تقول: كنت كذا أو أنت كذا، لأن القصد ليس إلى تخصيص الزمان، بل إلى ذكر ثبوت ذلك الشيء، وأيًا من ذلك ذكرت، فإنه لا يقتضي من حيث اللفظ نفي الآخر، وإذا كان كذلك كان أولى

---

(١) الرسالة ص (٨٥٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٣) انظر: الرسالة ص (٧٨٧، ٧٨٨).

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الألفاظ بمثله (كان) لأنه يقتضي الحصول، ولا يقتضي تغيير الشيء من حيث اللفظ، ولهذا أورد تعالى جُلَّ أوصافه على ذلك، نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١).

١٣- وتعرَّض الراغب لصحة الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٢) عندما تساءل: إن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولا يصح في الإثبات أن يقال: اعتصمت إلا بحبل فلان، والاستثناء في الإثبات لا يكون إلا من لفظ عام؟

قيل: إن قوله: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾(٣) مقتضٍ لمعنى العموم، كأنه قيل: بكل حال. فصحَّ أن يقال: إلا بحبلٍ(٤).

١٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾(٥) ذكر الراغب بلاغة لفظ الإفراد بقوله: «ولفظ الإفراد أولى في هذا الموضع، لأنه يتضمن أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ويتضمَّن أنهم يؤمنون بتفاصيل كل كتاب بخلاف من قال فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾(٦).

١٥- وذكر الراغب الاستعارة عند قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾(٧) فذكر قولاً بأن ذلك على الاستعارة، وضَرْبٌ من

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٦. وانظر: الرسالة ص (٧٩٠ - ٧٩٢).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٤) الرسالة ص (٨٠٢، ٨٠٣).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٠. وانظر: الرسالة ص (٨٢٧).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

التهكُّم في كلامهم، كقوله:

تحية بينهم ضرب وجيع»[1].

١٦- وذكر الاستعارة أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[2] فقال: «ومنهم من جعله استعارة لطمأنينة جأشهم وزوال خوفهم..»[3].

١٧- وذكر الاستعارة كذلك عند قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[4] فقال: «الخبيث مستعار للعمل السيء، والطيب للعمل الصالح، تشبيهاً للذكر المسموع بالنشر المشموم»[5].

١٨- وقال الراغب: «وقوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[6] استعارة متناهية في وصول الألم إلى الباطن، وعلى ذلك استعير لهم الطعام في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[7] وذكر مع الذوق المس في قوله: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾[8] تنبيهاً أن ذلك استعارة»[9].

---

(١) الرسالة ص (٩٢٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) الرسالة ص (٩٣٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٥) الرسالة ص (١٠٠٧، ١٠٠٨).

(٦) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٧) سورة المزمل، الآية: ١٣.

(٨) سورة القمر، الآية: ٤٨.

(٩) الرسالة ص (١٢٨٠).

تعددت مجالات النظر في تفسير الراغب الأصفهاني، وأعني بذلك استخدام العقل في فهم كثير من معاني الآيات القرآنية وأسرارها، ولم يكن ذلك إلا بعد النظر والتأمُّل والتدبُّر في تلك الآيات، ويمكن الحديث عن مجالات النظر في تفسير الراغب من خلال النقاط التالية :

أولاً : مكانة العقل عند الراغب .

ثانياً : استخدامه للقياس والقضايا المنطقية :

ثالثاً : نظره في حكمة الترتيب .

رابعاً : حرصُه على دفع توهُّم التعارُض بين أدلة الوحي .

خامساً : قدرته على السبر والتقسيم .

أولاً: مكانة العقل في تفسير الراغب:

جعل الراغب معرفة الأدلة العقلية شرطاً من شروط المفسر، وجعل أيضاً العقل صنو الشرع في هداية الإنسان، حيث ذكر في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾(١) أن للإنسان هاديين : الشرع والعقل كالأصل للشرع، فبيَّن تعالى أن الذي أتاكم به من الشرع لو كان من عند غير الله لكان مقتضى العقل يخالفه، فلما لم يوجدبينه وبين العقل منافاة علم أنه من عند الله»(٢) .

---

(١) سورة النساء، الآية : ٨٢ .

(٢) الرسالة ص (١٣٤٩) .

وبيَّن الراغب أنه لا يمكن أن يكون هناك اختلافاً أو تعارضاً بين العقل الصحيح والنصِّ الصريح، فقال: «فإن قيل: فقد ورد في الشرع أشياء يقتضي العقل خلافها. قيل: كلا، فإن جميع ما ورد به الشرع لا ينفك من وجهين: إما شيء يحكم به العقل لكونه حسناً مثل استعمال إلٰه.. الجملة وعبادة الربّ، أو يكون غير مهتدٍ إلى معرفته لا أنه يستقبحه، فيبين الشرع حسنه، وذلك كأعداد الصلوات وهيئاتها وأركانها في كونها عبادة على وجه دون وجه.

وأما أن يأتي الشرع بشيء قدقضى العقل بكونه قبيحاً فليس ذلك بموجود. وبعض الناس تصوَّر أشياء ينفر الطبع منها: لعادات جارية أو اعتقادات فاسدة، ولم يفرِّقوا بينه وبين حكم العقل، فظنوا أن العقل حكم بضدِّ الشرع كذبح البهائم»[1].

غير أن الراغب بيّن بعد قليل أن العقل وحده لا يستطيع هداية البشر، فقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]: «فالذي هدانا إلى البلوغ إلى ثوابه فضلان: فضل العقل، وفضل الشرع، وعنى هاهنا بالفضل الشرع دون العقل، وبيّن أنه لولا ما أنعم به على الناس من رسوله وكتابه لما اهتدى من خلائقه بالعقل المجرد إلا قليل من الناس»[3].

وجعل الراغب اتباع العقل موازياً لاتباع الشرع، فقد ذكر أنه:

---

(١) الرسالة ص (١٣٥٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) الرسالة ص (١٣٥٥).

«لا يجب على الإنسان أن يتبع الهوى، بل يفعل ما يقتضيه العقل والشرع»[1].

وجعل آيات الله شاملة للحجج والبراهين العقلية، فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[2] قال الراغب: «لم يعن بآيات الله كتابه فقط، بل كل آية دالة عليه: عقلية كانت أم سمعية، فهي كل شيء له عبرة»[3].

ثانياً: استخدامه القياس العقلي والقضايا المنطقية:

مما يدل على احتفال الراغب بالنظر استخدامه القياس العقلي في مواضع من تفسيره، منها:

١- عند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4] قال الراغب: «وفي الآية تنبيه على قياس، نتيجته أن الله لا يحب اليهود بوجه، وبيانه أن الله يحب المتقين، ومن لا يوفي بعهده فليس بمتقٍ، واليهود غير موفين، فإذن لا يحبهم الله»[5].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[6] قال الراغب: «وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي بعد أن كنتم على دين إبراهيم، أو بعد أن

(١) الرسالة ص (١١٥٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤.
(٣) الرسالة ص (٤١٠).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.
(٥) الرسالة ص (٦٥٨).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

اتبعتم النبيَّ فيما دعاكم إليه. وهذا كلام يقتضي قياساً بيانه: النبيّ لا يأمر المسلمين بالكفر، وهذه مقدمة دلَّ عليها قوله: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾، لأن هذا الإنكار يقتضي أبلغ نفي، والأمر باتخاذ النبيين والملائكة أرباباً أمرٌ بالكفر، فإذن لا يكون ذلك من الأنبياء»[1].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[2] قال الراغب: «والآيتان تضمنتا إلزاماً، هو جارٍ مجرى قياسين شرطيين، اقتضيا الحرص على القتل في سبيل الله، وبيانه ما أقول: إن قتلتم في سبيل الله أو متم فيه حصلت لكم المغفرة والرحمة، تنبيهاً أنه أوجبهما للثواب، ولمَّا عنى في الثانية الموت المطلق، والقتل العارض، قدَّم أبيَنَهما عندهم إذ لابد منه. فكأنه قيل: إن حصل ما لابد منه بوجهٍ وهو الموت حتف الأنف، أو ما هو عارض، وعندكم أنه قد يكون منه خلاص وهو القتل، فالحشر لا محالة حاصل»[3].

٤- ومن القضايا العقلية المنطقية التي أوردها الراغب ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4] بقوله: «أي من تولى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته، فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبب إليه بتولّيه عنه، فمحالٌ أن يحبه، فصار تقديره: إنكم إذ كفرتم بالإعراض عنه وعن رسوله

---

(١) الرسالة ص (٦٧٥، ٦٧٦).
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.
(٣) الرسالة ص (٩٤٦، ٩٤٧).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

فإنه لا يحبكم، وفي ذلك إبطال دعواهم حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[(1)]».

ثالثاً: نظره في حكمة الترتيب:

اعتنى الراغب في تفسيره بمعرفة حكمة الترتيب بين الآيات، وذكر تعلق الآية بما قبلها، وهو لا يتكلم في ذلك إلا على الآيات، التي قد تخفى حكمة تعلقها بما قبلها، أما الآيات الظاهرة الارتباط بما قبلها، فإنه لا يتكلم عنها، ومن ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(2)] قال الراغب: «إن قيل: ما تعلق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: لما عُرّفنا أنه مالك الكل والقادر عليه نهانا عن موالاة من يعاديه»[(3)].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآية[(4)] قال الراغب: «إن قيل: كيف تعلق هذه الآية بما قبلها، وما قبلها حكاية حكى الله عن نفسه، وهو ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(5)] وهذه حكاية حكاها عن عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾؟ قيل: تقديره: وبعث رسولاً

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨. وانظر: الرسالة ص (٥٢٠، ٥٢١).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
(٣) الرسالة ص (٥١٢).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.

يقول: أني قد جئتكم، ودلَّ على إضمار القول ذكر الرسول، وترك ذكر مريم، وابتدأ بإرسال عيسى، وما قال له، وذكر معجزاته»[1].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[2] قال الراغب: «إن قيل: وما وجه إيراد هذا القول في هذا الموضع؟ قيل: إنه لما بيّن تعالى ما اقتضى عدالته، وعقبه بذكر التبرؤ من ظلمهم بيّن بهذا القول استغناءه عن الظلم، وأن الظلم يتحراه من يروم ما لغيره، ومحالٌ أن يعتقد في مالك الكل ومن منه البدء وإليه العود الظلم»[3].

٤- قال الراغب: «إن قيل: كيف تعلق قوله: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4] بما قبله؟ قيل: إن ذلك قضية حذف بعضها، تقديرها: ومن أحسن يجزه الله، فإنه سيجزي الشاكرين»[5].

٥- قال الراغب: فأيُّ تعلُّق لقوله: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[6]؟ قيل: هذا الكلام فيه إيجاز، كأنه قيل: الذين ينفقون رياء الناس زيَّن لهم الشيطان الذين هم قرناؤهم»[7].

٦- وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) الرسالة ص (٥٧٤).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.
(٣) الرسالة ص (٧٨٩، ٧٩٠).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٥) الرسالة ص (٨٩٢).
(٦) سورة النساء، الآية: ٣٨.
(٧) الرسالة ص (١٢٣٩).

﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾[1] قال الراغب: «فإن قيل: فما وجه تعلُّق هذه الآية بما قبلها والإتيان بحكم التيمم عقب ما تقدَّم؟ قيل: لما أمر فيما تقدم بالعبادة بقوله: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[2] وأعظم العبادة الصلاة، ولا تصحّ بغير طهارة بيّن عقيبها حكم ما يطهِّر، وحكم ما ينوب منابه إذا فُقِدَ»[3].

٧- وعند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[4] قال الراغب: «إن قيل: ما وجه تعلّق هذه الآية بما تقدم؟ قيل: لما ذكر فيما تقدم أحوال الذين يتحاكمون إلى الطاغوت، ويتركون كتاب الله ورسوله، ويقاتلون في سبيل الطاغوت، وذكر الذين يخشون الناس ومقالهم عندما نالهم من حسنة أو سيئة.. نبههم تعالى في هذه الآية أن كل ذلك لقلة تدبرهم، وأنهم لو تدبروا لعلموا أن ذلك حق، نزل عليهم من الله»[5].

٨- وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ الآية[6]، قال الراغب: «وفي اتصال هذه الآية بما قبلها صعوبة» ثم أخذ في بيان حكمة هذا الاتصال[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٣) الرسالة ص (١٢٥٧).
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٥) الرسالة ص (١٣٥٠، ١٣٥١).
(٦) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٧) الرسالة ص (١٣٨٠، ١٣٨١).

رابعاً: حرصه على دفع توهُّم التعارُض بين أدلة الوحي:

اهتمَّ الراغب بدرء ما قد يظنه البعض تعارضاً بين آيات الكتاب العزيز، مبيّناً أن أدلة الوحي لا يمكن أن تتعارض، أو يبطل بعضها حكم البعض، لأنها تنزيل من حكيم حميد، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[(١)] قال الراغب: «إن قيل: كيف قال: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾[(٢)] قيل: جملة الأمر أن ليس في ذلك منافاة، إذ ليس كل متوفى يكون مقتولاً. وقد قال الفرّاء: معناه: ورافعك إليّ ومتوفيك فقدّم وأخّر»[(٣)].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[(٤)] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال فيما قبله: ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٥)]؟ قيل: الذي نفى عنهم ما ادّعوه من كون إبراهيم يهوديًا أو نصرانيًا، وليس ذلك في كتابهم، وما أثبت لهم هاهنا وقفوا عليه من كتابهم من أمر النبيّ ﷺ فجحدوه، وهذا غاية الذم، إذ جحدوا ما علموا، وادعوا ما جهلوا»[(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧.
(٣) الرسالة ص (٥٩٠، ٥٩١).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.
(٦) الرسالة ص (٦٣٤).

٣- عند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾(١) ذكر الراغب بعض الآيات التي تنفي هدايته للكافر، ثم تساءل: «إن قيل: كيف نفى عن الكافر الهداية في هذه المواضع، وأثبت له في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾(٢) قيل: المثبت لهم هاهنا هو العقل والتمييز دون الأخرى، التي لا تحصل إلا بعد الاهتداء بهذا، وهذه تارة تثبت للكافر، إذا أريد أنه مطبوع عليها، ومعرض لاستعماله إياها، وتارة تنفى عنه بمعنى أنه لم يستعملها، ولم يحصل قبوله على ما يجب، فكأنه في حكم ما لم يعط»(٣).

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٤) قال الراغب: «فإن قيل: كيف حثّ هاهنا على الأمر بالمعروف، وقال في غيره: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾(٥)؟ قيل: في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قولان: أحدهما أن ذلك حثّ على أن يغيّر الإنسان على نفسه، قبل أن ينكره على غيره، وهو خطاب للعامة. والثاني: ما قال أبو ثعلبة الخشني..»(٦).

٥- عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٣) الرسالة ص (٦٩٦، ٦٩٧).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.
(٦) الرسالة ص (٧٧٥، ٧٧٦).

مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾(١) قال الراغب: «إن قيل: كيف قال النبيّ ﷺ: «الاختلاف في أمتي رحمة» مع ذكر من ذم الاختلاف؟ قيل: الاختلاف ضربان: اختلاف في الأصول الجارية من الطرق مجرى طريق الشرق من طريق الغرب، وذلك هو المذموم، فإن ما عدا الجهة المأمور بسلوكها مؤدٍّ إلى الباطل، وإلى هذا يوجَّه قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٢)، والثاني: اختلاف في الفروع الجارية من الطرق مجرى بُنيَّات طريق إلى مقصد واحد، يسلكها كلٌّ على حسب اجتهاده، ومقصد جميعهم واحد، فإن إباحة الله سلوك كلّ واحدٍ من تلك الطرق فسحة لهم ورحمة»(٣).

٦- عند قوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(٤) قال الراغب: «إن قيل: لِمَ وصفهم بالفرح، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾(٥)؟ قيل: الفرح تجاوز الحدّ في السرور بالملاذّ، ولما كانت الملاذّ الدنيوية غير متنافس فيها ذم الفرحين، ولما كانت الملاذّ الأخروية متنافساً فيها، كما قال: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(٦) أباح لهم الفرح، حتى قال: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾(٧)».

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٣) الرسالة ص (٧٧٩، ٧٨٠).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.
(٥) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٦) سورة المطففين، الآية: ٢٦.
(٧) سورة يونس، الآية: ٥٨. وانظر: الرسالة ص (٩٨٤، ٩٨٥).

٧- وبيّن الراغب عدم التعارض بين قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[١]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[٢] وسوف نشير إلى ذلك في المبحث الأخير[٣].

٨- قال الراغب: «إن قيل: كيف قال: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾[٤] فنفى نفياً مطلقاً، وقد أثبت للكفار سبيلاً، فقال: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾[٦]؟ قيل: اسم الجنس إذا أطلق فليس يتناول إلا الصحيح، ولهذا يقال: لا صلاة إلا بكذا، وقالوا: فلان ليس برجل. لما كان أخلاق الرجل تتناول للكامل، فلذلك لا يعدُّ قائل ذلك كاذباً»[٧].

خامساً: قدرته على السبر والتقسيم:

تميَّز الراغب بقدرة فائقة على: السبر والتقسيم، وتنظيم الأفكار، وترتيبها من خلال نقاط محددة، تعمل على لَمّ أطراف القضية، وعدم تشعبها مما لا تشتت ذهن القارئ بين موضوعات، لا صدر لها ولا عجز. ومن الأمثلة على ذلك:

١- تقسيماته للمحكم والمتشابه، وقد سبق الحديث عن ذلك[٨].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٣) الرسالة ص (١٣٣٣ - ١٣٣٥).
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٨.
(٥) سورة النساء، الآية: ٧٦.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٧) الرسالة ص (١٣٧٤).
(٨) انظر: الرسالة ص (٤١٣ - ٤٢٠) وما بعدها.

٢- تقسيمه لنعم الله تعالى على عباده إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الأدون وذلك عروض الدنيا .

والثاني : الأوسط وهي الجنة ونعيمها .

والثالث : الأعلى وهو رضوان الله[١] .

٣- تقسيمه لمنازل الإسلام إلى ثلاث منازل :

الأولى : الاعتراف الذي يحقن الدم .

الثانية : أن يكون مع الاعتراف اعتقاد صحيح ، وفاءً بالفعل .

الثالثة : أن يكون مع ذلك استسلام فيما يجري عليه من قضاء الله[٢] .

٤- تقسيماته للموالاة المشروعة والممنوعة[٣] .

٥- تقسيمه للبس الحق بالباطل على ثلاثة أوجه :

الأول : أن يحرف الحق ، فيُجعل في صورة الباطل .

الثاني : أن يزيِّن الباطل ، فيُجعل في صورة الحق .

الثالث : أن لا يميِّز أحدهما عن الآخر مع الإِمكان[٤] .

٦- تقسيمه لمكالمة الله عبده ، ولسماع الناس كلام الله تعالى[٥] .

---

(١) الرسالة ص (٤٥٧) .

(٢) الرسالة ص (٤٦٨) .

(٣) الرسالة ص (٥٠٣ - ٥٠٥) .

(٤) الرسالة ص (٦٣١) .

(٥) الرسالة ص (٦٦١ ، ٦٦٢) .

٧- تقسيمه للهداية على أربعة أضرب :

الأول : الهداية التي عمَّ بها كل مكلّف ، وهي إعطاؤه العقل المميز بين الخير والشر ، وبين الصدق والكذب .

الثاني : زيادة الهدى التي تأتي بقدر استعمال الأول .

الثالث : التزكية لأعمالهم ، أو توفيقه في أحوالهم .

الرابع : إدخال الجنة[١] .

٨- تقسيمه للكذب على ضربين : الأول : اختراع قصة لا أصل لها ، والثاني : الزيادة والتغيير فيما له أصل . قال : «والأول أعظمهما»[٢] .

٩- تقسيمه لتمام استطاعة العبادة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : استطاعة نفسية ، وهي المعرفة بها أو التمكُّن من معرفتها .

الثاني : استطاعة بدنية ، وهي أن يكون صحيح البدن ، قادراً على إقامتها .

والثالث : استطاعة من خارج ، وهي وجود الآلة التي بها يتمكَّن من فعلها[٣] .

(١) الرسالة ص (٦٩٤، ٦٩٥).
(٢) الرسالة ص (٧٢٣).
(٣) الرسالة ص (٧٣٩).

١٠- تقسيمه لدرجات إنكار المنكر إلى ثلاثة أقسام:

الأول: للسلاطين وهو الخاص باليد.

والثاني: للعلماء وهو الخاص باللسان.

والثالث: للعامة وهو الخاص بالقلب(١).

١١- تقسيمه للتفرُّق على ثلاثة أضرب: تفرق بالأبدان، وتفرق بالأقوال والأفعال، وتفرق بالاعتقادات(٢).

١٢- تقسيمه لمنازل الناس في الإنفاق على أربعة أضرب: ضرب لا ينفق في حالي السَّعة والضيق، وضرب ينفق في حال الضيق دون السعة، وضرب ينفق في السعة دون الضيق، وضرب ينفق في الحالين(٣).

***

(١) وقد بينت عدم دقة هذا التقسيم في الحاشية. انظر: الرسالة ص (٧٧٥).

(٢) الرسالة ص (٧٧٨).

(٣) الرسالة ص (٨٥٩، ٨٦٠). وانظر: بعض التقسيمات الأخرى ص (٩٩٥، ١٠٢٩، ١٢٨٥، ١٢٨٨).

لم يحفل القسم المحقق من هذا التفسير في هذه الرسالة بكثير من مسائل الاعتقاد، التي يستطيع الباحث من خلالها تكوين رؤية كاملة عن منهج الراغب الأصفهاني في مسائل الاعتقاد، ولكن يمكن من خلال هذا القسم تناول بعض القضايا التالية:

أولاً: موقفه من الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة:

يرى الراغب أن أخبار الآحاد يُحتجُّ بها في مسائل العقيدة، التي عبَّر عنها بباب الدين والعلم إلا فيما ترده العقول الصحيحة، قال الراغب: «وما قالوه بأن هذا من أخبار الآحاد فلا يقبل فيما هو من باب الدين والعلم، فإن أخبار الآحاد تردّ فيما تعافه العقول الصحيحة»[1]، وتقييد الراغب ذلك بالعقول الصحيحة، صحَّح قوله، لأن العقل الصحيح لا يمكن أن يخالف النصَّ الصريح، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2].

ثانياً: منزلة العمل من الإيمان عند الراغب:

عند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ أخَّر الإيمان بالله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قيل:

---

(١) الرسالة ص (١٢٦٨، ١٢٦٩). وانظر الكلام حول الاحتجاج بخبر الآحاد في: الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٠٦) وما بعدها، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص (٤٢).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الإيمان هاهنا ليس هو الإقرار بالله فقط، بل هو الوفاء بشروطه، والقيام بشرائعه، الذي هو تمام الإيمان وكماله»[1]. فالراغب يرى أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأنها من كمال الإيمان ومستلزماته، وصرّح في موضع آخر أن الأعمال من شروط الإيمان، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] قال: «ونبّه بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أن من شروط الإيمان رفض الوهن والحزن وأنتم مؤمنون، فواجب أن لا تهنوا ولا تحزنوا، سيما والعلوُّ لكم»[3].

ثالثاً: إثبات بعض الصفات:

١ - صفة المحبة:

أثبت الراغب صفة المحبة لله عز وجل، فقد قال عند قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[4]: «فإن قيل: وكيف علقه بالرأفة؟ قيل: تنبيهاً لمكان المحب من حبيبه، ولهذا قال النبيّ عليه الصلاة والسلام مخبراً عن الله: «**لا يزال العبد يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**» الخبر[5].

ثم قال الراغب عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) الرسالة ص (٧٩٥، ٧٩٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٣) الرسالة ص (٨٧٥، ٨٧٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٥) الرسالة ص (٥١٨، ٥١٩).

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] أي من تولى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته، فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبب إليه بتولّيه عنه، فمحال أن يحبه»[2].

٢- صفة المكر:

تكلَّم الراغب على صفة المكر عند قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[3] فقال: المكر في الأصل حيلة يجلب بها الإنسان إلى مفسدة، وحيلة قد تقال فيما يجلب به إلى مصلحة، وقد يقال في ذلك: المكر والخديعة اعتباراً بظاهر الفعل دون المقصد.

والحكيم قد يفعل ما صورته صورة المكر، ولكن قصده المصلحة لا المفسدة، وعلى هذا سئل بعض المحققين عن مكر الله فأنشد:

ويقبح من سواك الشيء عندي   وتفعله فيحسن منك ذاكا

فإذن مكر الله قد يكون تارة فعلًا يقصد به مصلحة، ويكون تارة جزاء المكر، ويكون تارة بأن لا يقبح مكرهم في أعينهم، وذلك بانقطاع التوفيق عنهم، وتزيين ذلك في أعينهم، حتى كأنه زينه في أعينهم ومكر بهم. ويكون تارة بإعطائهم ما يريدون من دنياهم، فإذا أعطاهم واستعملوا على غير ما يحب، فكأنه مكر بهم،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.
(٢) الرسالة ص (٥٢٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

واستدرجهم من حيث لا يعلمون»[1].

٣- صفة الشكر:

أثبت الراغب صفة الشكر لله تعالى، وأنه تعالى يشكر عبده على إحسانه. وردَّ على الجبَّائي في إنكاره لهذه الصفة[2].

رابعاً: تأويل بعض الصفات:

خالف الراغب مذهب أهل السنة والجماعة بتأويله صفة اليدين لله تعالى، فقال في قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3] «أي نعمه متوالية»[4]، وكذلك أوَّل الراغب صفة الغضب، وهي من الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة لله تعالى بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، قال الراغب: «وقوله: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[5] أي استحقوا عقاباً منه»[6]. فأوَّل الراغب صفة الغضب باستحقاق العقاب، وذكر ذلك بوضوح عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[7] قال الراغب: «وقد تقدَّم أن القصد بغضبه تعالى إلى إنزال عقابه دون تغير حال يعتري ذاته، تعالى الله

---

(١) الرسالة ص (٥٨٧، ٥٨٨).
(٢) الرسالة ص (٨١١، ٨١٢).
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٤) الرسالة ص (٩٢٦).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٦) الرسالة ص (٨٠١).
(٧) سورة النساء، الآية: ٩٣.

عن التغيرات»[1].

وأهل السنة والجماعة حينما يثبتون لله هذه الصفة لا يقولون: إنها تقتضي تغيُّر حال يعتري ذاته تعالى، كما يحدث للإنسان، فيثبتون ما أثبته تعالى لنفسه، ولا يشبهونه بمخلوقاته، تعالى الله عن ذلك.

والراغب بذلك يوافق الأشاعرة في إثبات بعض الصفات وتأويل البعض، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون جميع صفات الله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق بعظمته وجلاله سبحانه وتعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[2] قال الراغب: «استجاب: أراد إجابتهم»[3]. والصواب أن استجاب هاهنا بمعنى أجاب، كما ذكر الطبري وابن عطية وأبو حيان وابن كثير، وليس هناك داعٍ لتأويل ذلك بالإرادة.

خامساً: كلامه في النبوة والمعجزات:

قال الراغب: «إن الأنبياء لم يختلفوا في أصول ما دعوا إليه، بل كلهم لسان واحد في الدعاء إلى التوحيد، وأصول الاعتقادات والعبادات وسائر جمل الشريعة، وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ﴾ الآية[4].

---

(١) الرسالة ص (١٤٠٢).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٣) الرسالة ص (١٠٥٣).
(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وكلّ واحد منهم معتقد لما اعتقده الآخر، ومبلغ ذلك مثل ما بلغه الآخر.

ثم شريعة النبي ﷺ جامعة لأصول شرائع من تقدَّمه، ولذلك قيل له: خاتم الأنبياء»[١].

ويرى الراغب أن النبوة لا تجوز في النساء، فإنه ما أوحى الله إلى امرأة وحي النبوة، فلذلك قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾[٢].

وفرّق الراغب بين معجزات الأنبياء، وما يجريه الله على أيدي البشر العاديين من أفعال مدهشة، وذلك عند حديثه عن معجزات نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، فبين أن أفعال البشر قد تكون معتمدة على تجربة أو اعتبار أمر، ولا تكون في كل وقت وعلى كل حال ولا في دفعة واحدة، وما كان يفعله عيسى كان بخلاف فعل البشر، فلهذا كان معجزة»[٣].

ومن الأخطاء البيّنة التي وقع فيها الراغب في هذا الباب ترديد كلام غلاة الصوفيّة، الذين يرون أنهم يمكنهم الاستغناء عن القرآن والسنة عند الوصول إلى مرتبة معيّنة من العبوديّة، فعندقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[٤] قال الراغب: «إن

---

(١) الرسالة ص (١٢٤٥).

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٩. وانظر: الرسالة ص (٥٥٤).

(٣) الرسالة ص (٥٧٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

قيل: لِمَ قال أولاً: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾[1] ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ وجعل بين الكلمتين ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2]؟ قيل: لما كان القصد في عبادة الله إلى الاعتصام به، ولاسبيل إلى ذلك إلا بالتقوى عقبه بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ولما كان حقيقة التقوى فعل الطاعات، ولا سبيل للإنسان إلى معرفة ذلك إلا بحبل الله أي كتابه ورسله، أَمَرَ أَن يعتصموا بحبله، ليتوصَّلوا إلى تقواه، ومن تقواه إلى الاعتصام به، ومن توصَّل إلى الاعتصام ثم إلى التوكل، ثم إلى الإسلام، استغنى حينئذٍ عن الوسائط، الذين هم حبل الله، ويصير ممن قال ﷺ فيه حكاية عن الله: «**فإذا أحببته كنت سمعه**»[3].

وهذا الكلام ظاهر الغلو، بين البطلان، فإن الله تعالى قال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[4] أي الموت، والعبادة لا تصحّ إلا بشرطين، هما: الإخلاص لله، ومتابعة الشرع. أي متابعة الوسائط التي ذكر الراغب، وهي الكتب والرسل. قال ابن القيم: الأعمال أربعة: واحد مقبول، وثلاثة مردودة: فالمقبول ما كان خالصاً وللسُّنَّة موافقاً، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما.. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[5].
قال الفضيل بن عياض: «هو أخلص العمل وأصوبه، فسُئِل عن معنى ذلك، فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٣) الرسالة ص (٧٦٥ - ٧٦٧).
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٥) سورة الملك، الآية: ٢.

يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة»[1].

سادساً: كلامه في الشرك والكفر:

تكلَّم الراغب عن الشرك فقسمه إلى قسمين:

«الشرك الأكبر، قال: وهو إثبات صانع غير الله.

والثاني: الرياء»[2].

وقد ذكرت في هذا الموضع قصور تلك العبارة، التي حصرت الشرك الأكبر في إثبات صانع غير الله، وذكرت ما قاله بعض العلماء المحققين في بيان الشرك الأكبر والأصغر[3]، والشرك عند الراغب له صور متعددة، وهو غير مقصور على اتخاذ الأنداد أرباباً من دون الله، تبين ذلك من قوله: «إن قيل: كيف قال: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4] وكلاهما أفاد ما أفاد قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[5]؟ قيل: ليس كذلك، فإن الشرك بالله قد يكون في غيرالعبادة، ألا ترى أن النبيَّ ﷺ قال: «**الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء**»[6].

ومن ذلك قول القائل: لولا الديك لأتانا اللصّ، وقال تعالى:

---

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٢/ ٥٤٩).

(٢) الرسالة ص (١٢٣١، ١٢٣٢).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٦٨، ٣٧٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٦) انظر تخريج الحديث في ص ٦١٦ من هذه الرسالة.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقد شرط ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا هو الكفر، فأما المملوك إذا اتخذ صاحبه ربًّا لا أنه معبود فليس بمنهي عنه»[2].

أما الكفر فقد قال الراغب: «وقيل: الكفر كفران: كفر تام، وهو إنكار الوحدانية أو ما يجري مجراه، وكفر ناقص، وهو الإخلال ببعض العبادات، التي هي أركان الدين والصلاة والزكاة والحج. ولهذا قال ﷺ: «**من ترك الصلاة فقد كفر**»[3].

وما قيل في الشرك يقال هاهنا، وهو قصور عبارة الراغب في تعريف الكفر الأكبر، وقصره على إنكار الوحدانية أو ما يجري مجراه، فإن الذي ذكره هذا هو نوع واحد من أنواع الكفر الأكبر. قال ابن القيم: «وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق»[4].

سابعاً: ردوده على الفرق والطوائف:

تبيَّن من خلال القسم المحقّق في تفسير الراغب اعتناؤه بإيراد أقوال بعض الفرق والطوائف، المخالفة لأقوال مفسري أهل

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.
(٢) الرسالة ص (٦١٥ - ٦١٧).
(٣) الرسالة ص (٧٤٤).
(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٦٤).

السُنَّة، وقيامه بالرد عليها، مبيناً فسادها، وقد نالت المعتزلة النصيب الأوفر من ذكر أقوالهم والردّ عليهم، وهناك بعض الردود القليلة على الشيعة والملاحدة، وسوف أورد بعض الأمثلة التي تبين عناية الراغب بهذا الجانب:

١- عند قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[١] قال الراغب: وقال الجبَّائي: يجوز أن كان رزقاً يأتيها به غير زكريا حيث لا يعلمه» وردعليه بقوله: «ولو كان الأمر على ما ذكر، لما أعاد الله ذكره تعجباً من أمرها. وقوله: ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أنه ليس كما ذكر»[٢].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣] ردّ الراغب قول الجبائي: «إنما يجوز أن يكون أوحى إليها معجزة لزكريا، أو توطئة لنبوة المسيح» بقوله: «وقوله هذا إيماءً لمذهبهم أن المعجزات والوحي لا تصحّ إلا في أزمنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك دفعٌ منه لكرامة الأولياء[٤].

٣- وردّ الراغب قول الأصم: «سُمِّي عيسى كلمة، لأنه تعالى خلق كلمة فجعل منها عيسى، كما خلق آدم من تراب، وسائر الناس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) الرسالة ص (٥٣٣، ٥٣٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٤) الرسالة ص (٥٥٤، ٥٥٥).

من نطفة». قال الراغب: «وهذا كما ترى»[1].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾[2] نقل الراغب قول الجبّائي قال: «فلن يكفروه. مجاز في هذا الموضع، لأن وصف الله بأنه يشكر مجاز» وردّ ذلك بقوله: «وقوله ذلك لتصوُّره الشكر على وجه واحد، والشكر باعتبار الشاكر والمشكور على ثلاثة أوجه.. ولعله تصوُّر أن الشكر لا يكون إلا بالقول، ومن الأدون للأعلى، وذلك فاسد، لقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[3] فجعل الشكر معمولاً، ووصْفِه بأن شكور وشاكر»[4].

٥- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[5] ردّ الراغب على المعتزلة قولهم في الروح، حيث قال: «وأما متأخرو المعتزلة الذين لم يتجاوزوا منزلي الحسّ والوهم، ولم يروا الروح إلا ريحاً أو عرضاً، فبعضهم قال: يعني أحياء يوم القيامة، ووصفهم بذلك في الحال، لقرب يوم القيامة عند الله، كقوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾[6] ومعنى (عند ربهم) أي في علم الله. وقال بعضهم: أحياء بالذكر. وبعضهم قال: أحياء بالإيمان، وإرادة هذه المعاني بالآية غير ممتنعة، فإن المؤمنين أحياء

---

(١) الرسالة ص (٥٦١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٥.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٤) الرسالة ص (٨١١ - ٨١٣).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٦) سورة النحل، الآية: ١.

بكل ذلك كما قالوا، ولكنهم مع ذلك أحياء بالأرواح على ما ورد به الخبر. وزعمهم أن ما ورد من الأخبار في أرواح الشهداء ليس بصحيح، فإن العقل لا يقتضي ذلك، فهم إن عنوا العقول الصدئة التي عناها من قال: فلان لم يؤت من العقل إلا مقدار ما يلزم به حجة الله فقد صدقوا. وإن عنوا العقول المجلوة السليمة من دَرَن الهوى... فليس كما ظنوا. ومن زعم أن القول بحياة الأرواح يؤدي إلى القول بالرجعة، فوهم فاسد»[1].

٦- وردَّ الراغب قولاً لابن بحر المعتزلي بأنه عدولٌ عن سنن السلف[2].

٧- وردَّ الراغب قول الشيعة في جواز الجمع بين أكثر من أربع من النساء، قال: «ومذهب بعض الشيعة أنه يجوز بلا عدد كالسراري، قال: الآية ليست بتوقيف، بل هي إباحة كقولك: تناول ما أحببت واحداً واثنين وثلاثة، وإن تخصيص بعض مقتضى العموم على طريق التبيين لا يقتضي الاقتصار عليه.

وذهب بعضهم ممن لا يعرف شرط الكلام إلى أن المباح منهن تسع. وقال: الواو تقتضي الجمع، فصار كقولك: اثنين وثلاثاً وأربعاً وذلك تسع.. وهذا فاسد. أما أولاً فإن العدول عن ذكر الشيء بلفظة واحدة إلى لفظين؛ إما أن يكون لغرض نحو ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[3] لمَّا خالف بين حكميهما أورده بلفظين، أو

---

(١) الرسالة ص (٩٨١ - ٩٨٣).

(٢) الرسالة ص (١١٤٢، ١١٤٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

يكون ذلك للعيّ والاستدراك عن نسيان، وكلام الله تعالى منزه عن ذلك . . »، ثم بيَّن الراغب بطلان هذا القول بالسُّنة الصحيحة عن النبي ﷺ[1].

٨- وردّ الراغب على الملاحدة الذين زعموا أن هناك تناقضاً بين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2] وقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[3]، فبين أنه ليس هناك تناقض بين آيات القرآن، وإنما الآفة في فهم هؤلاء وعقولهم.

قال الراغب: «فأما طعن الملاحدة فظاهر الوهن، وذلك أن الحسنة والسيئة من الألفاظ المشتركة، كالحيوان الذي يقع على الإنسان والفرس والحمار، أو من الأسماء المختلفة كالعين. ولو أن قائلًا قال: الحيوان متكلِّم والحيوان غير متكلِّم، وأراد بالأول الإنسان، وبالثاني الفرس والحمار، لم يكن متناقضاً. وكذلك إذا قيل: العين في الوجه، والعين ليست في الوجه، وأراد بالأولى الجارحة، وبالثانية عين الميزان أو السحاب، فكذلك الآية إذا أريد بالحسنة والسيئة في الآية الثانية غير الذي أريد في الآية الأولى، وفي هذا قناعة لإبطال هزيل هذا المعترض»[4].

---

(١) الرسالة ص (١٠٨٨ - ١٠٩١).
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٤) الرسالة ص (١٣٣٣ - ١٣٣٥).

حفل القسم المحقق من تفسير الراغب الذي تضمنته هذه الرسالة بكثير من مسائل الفقه، التي أورد الراغب فيها أقوال الفقهاء، إلا أن أغلب المهتمين بتراث الراغب الأصفهاني لم يدرجوه ضمن مذهب فقهي معين، وحجتهم في ذلك أنه لم يصرِّح بمذهبه الفقهي، ولم يستخدم عبارات أرباب المذاهب الفقهية مثل: قال أصحابنا، أو ذهب أصحابنا إلى كذا. وكذلك، لأن المصنفين في طبقات المذاهب لم يجعله أي منهم ضمن طبقات ورجال مذهبه.

وأيًّا ما كان الأمر، فإننا سوف نعرض لبعض الملامح التي تشير إلى طريقة الراغب الأصفهاني في عرض المسائل الفقهية، وذلك من خلال الأمثلة التي تضمنها هذا القسم من تفسير الراغب:

أولاً: عناية الراغب بأقوال الفقهاء:

تشير بعض عبارات الراغب ونقولاته إلى عنايته بكلام الفقهاء وأقوالهم، فعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(١) قال الراغب بعد أن ذكر شروط الاستطاعة وحدودها: «ولم تتناول الآية العبد، لأنه لا ملك له في قول جلّ الفقهاء، وفي قول بعضهم: سيده أولى بما في يده، وله أن يمنعه باتفاق، وكذا المرأة إذا لم يكن لها محرم، هذا قول الفقهاء»(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) الرسالة ص (٧٤٠).

ومما يدل على إلمام الراغب بكلام الفقهاء، ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ الآية[1]. قال الراغب: «وقوله: ﴿ مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ لاخلاف أنه صفة لربائبكم، وأنه لا يحرم التزوُّج بهن إلا بالدخول بأمهاتهن. واختُلِفَ هل يرجع إلى قوله: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ ﴾ مع كونه شرطاً في الربائب». فذكر الراغب قول عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عمرو وابن مسعود، ثم قال: «وحكي عن زيد أنه فصل بين أن يطلقها قبل الدخول أوتموت عنه. ولم يحرّم بالطلاق وحرّم بالموت، وأجرى الموت مجرى الدخول، كما جعل الفقهاء في استقرار المهر.

وذهب عامة الفقهاء إلى أن لا فرق بين تحريم ربيبتك في حجرك كانت أو لم تكن، إلا ما حكى إسماعيل بن إسحاق..»[2].

ثانياً: ترجيحه بين الأقوال:

الغالب على الراغب أنه يذكر أقوال الفقهاء وأدلتهم، مع ترجيح القول الذي يراه، مثال ذلك:

١- فقد رجّح مذهب فقهاء أهل السنة في عدم جواز الجمع بين أكثر من أربع نسوة، وردّ على فقهاء الشيعة القائلين بجواز ذلك[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) الرسالة ص (١١٦٦ - ١١٦٨).

(٣) الرسالة ص (١٠٨٨ - ١٠٩١).

٢- ورجّح الراغب عدم وجوب النكاح، وردّ على أهل الظاهر القائلين بالوجوب. قال الراغب: «واستدل أهل الظاهر بالآية على وجوب النكاح، واستدل بها بعض الفقهاء على أنه غير واجب، وبيان هذا أن (ما) في قوله ﴿فَأَنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾[1] إما أن يكون عبارة عن المنكوحة، أو عن الزمان، أو عن العدد، فلا يصح الأول، لأن (ما) لا يعبر به عن أعيان العقلاء مجرداً، ولا عن العدد، لأنه محالٌ أن يعني نكاح العدد، وإن عنى المعدود فالكلام راجع إلى أن يكون عبارة عن العقلاء، فيجب أن يكون عبارة عن الزمان، فكأنه قال: اعقدوا وقت ما يطيب لكم، والمخالف يوجبه، طاب لنا أو لم يطب»[2].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[3] قال الراغب: «واختلفوا هل الإيمان شرط فيه؟ فقال الحسن ومالك: هو شرط تقديره: إن كان المقتول خطأً مؤمناً. قال مالك: ولا كفارة في قتل الذمي. ومنهم من قال: الآية واردة فيمن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد، فأسلم ثم قتله مسلم من غير حرب. قالوا: وكان هذا في زمن الرسول ﷺ، فأما بعد فقد أمروا بقتالهم، ومنهم من قال: عنى بالميثاق الذمة: إما بالعهد، أو الاستئمان.

والظاهر أن كلَّ قتل في عهدٍ جائزٍ بين المسلمين ففيه الدية والكفارة»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) الرسالة ص (١٠٩١، ١٠٩٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٤) الرسالة ص (١٣٩٧، ١٣٩٨).

٤ - ورجّح الراغب ظاهر الآية على ما قاله بعض الفقهاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[1] فقال: «ودلَّت الآية على أنه يجوز لها أن تهب صداقها إذا كانت بالغة، خلافاً لما قال مالك: إن ذلك إلى وليِّها.

وللأوزاعي حيث قال: لا يجوز لها حتى تلد، أو يحول عليها الحول في بيت زوجها.

ولليث بن سعد حيث قال: ولا يجوز عتق ذات الزوج ولا هبتها، إلا في اليسير من غير إذن زوجها»[2].

ثالثاً: انتصاره للشافعي والشافعية:

انتصر الراغب لأقوال الشافعية في بعض القضايا الفقهية والأصولية، وهي:

١ - انتصاره للشافعية في مسألة دلالة الخطاب: عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] قال الراغب: «واستدلَّ بعض الحنفية بهذه الآية على فساد بعض ما يدعيه الشافعية من دلالة الخطاب، فقال: لو كان ذلك صحيحاً لكان يجوز أكل الربا إذا لم يكن أضعافاً. وهذا لا يكون دلالة عليهم أولى، لأنه لَمّا زهّدنا في الكثير، فلأن نزهد في القليل أولى، على أن القضية بذلك على مقتضى العموم، فمجيءُ ما ترك

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤.

(٢) الرسالة ص (١٠٩٦، ١٠٩٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

دلالة خطابه في بعض المواضع لا يفسد هذا الأصل، كمجيء لفظ عام ترك عمومه»[1].

٢- وانتصر الراغب للشافعي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾[2] قال الراغب: «وقول الشافعي معناه: أن لا يكثر عيالكم، وقد ذهب إلى هذا التأويل: زيد بن أسلم، وأجازه الأصمعي وابن الأعرابي، ومنه قيل: فلان يعول عشرة. وقال ابن داود: غلط الشافعي، لأن أصحاب الإماء في العيال كصاحب الإزواج. وابن داود لم يتصور ما قاله الشافعي، وذاك أنه لم يرد إلا ما أراد غيره من حقيقة المعنى، وإنما تحرى اشتقاق اللفظ، ولم يرد بالعيال الأولاد، وإنما أراد النساء، فقد يسمى كل من تمونه العيال، وإن لم يكن أولاداً»[3].

٣- وانتصر الراغب لقول الشافعي في حمل النكاح على العقد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4] قال الراغب: «اختلفوا في النكاح هاهنا، فحمله أصحاب أبي حنيفة على الجماع، وقال: هو حقيقة فيه، فحرَّموا كلّ امرأة باضعها الأب حلالاً أو حراماً على الابن. وحمله الشافعي على العقد، وقال: هو حقيقة فيه، ولم يحرِّم من النساء على الابن إلا ما تزوَّج بها أبوه دون من زنى بها.

---

(١) الرسالة ص (٨٥٢).
(٢) سورة النساء، الآية: ٣.
(٣) الرسالة ص (١٠٩٣ - ١٠٩٥).
(٤) سورة النساء، الآية: ٢٢.

والصحيح أنه للعقد، لأن أسماء الجماع والفرج والغائط في لسانهم كنايات . . »[1] .

رابعاً: عذر المجتهد:

يرى الراغب أن المجتهد معذور في مسائل الاجتهاد، فعند قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[2] قال الراغب: «وروي أنه خرج مقداد في سريته، فمرَّ برجل في غنيمات، فقال: إني مسلم. فلم يلتفت إلى قوله، فقتله وأخذ غنيماته، فلما رجع إلى النبي ﷺ أنكره، فقال: «**هلَّا شققت عن قلبه**». والآية تدل على أن المجتهد في مسائل الاجتهاد معذور، ولولا ذلك لما قارّه النبي ﷺ»[3] .

خامساً: قوله في القياس والاجتهاد والاستنباط:

والراغب من القائلين بالقياس الشرعي، المبني على الاجتهاد والاستنباط عند عدم الدليل من الكتاب أو السنة، قال: « . . جعل الله أحكامه ثلاثة أقسام: مثبتًا بالكتاب، ومثبتاً بالسُّنَّة، وعليهما دلَّ قوله: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[4] . ومثبتاً بالاجتهاد دون الاستنباط، وهو ما يردّ إلى الكتاب وسنَّة نبيه. قال: فالردُّ إليهما، هو البناء على حكمهما، وهذا هو القياس الشرعي»[5] .

---

(١) الرسالة ص (١١٥٨، ١١٥٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٣) الرسالة ص (١٤٠٣، ١٤٠٤).

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٥) الرسالة ص (١٢٨٩).

المطلب الرابع

موضوعاته، ودراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة من خلال الجزء المحقق

تمهيد:

أود من خلال هذا التمهيد الإشارة إلى أمرين مهمين هما:

أولًا: موضوعاته:

يسير المفسِّر دائماً مع النصّ القرآني، إذ بيان معانيه وإيضاح غوامضه هو الموضوع الأول للمفسر، بعكس المصنفين في الفنون الأخرى، الذين يمكن تحديد موضوعاتهم بدقة من خلال توجههم إلى قضية ما أ،و تركيزهم على موضوع محدد، ومع ذلك فقد تميّز الراغب الأصفهاني أثناء تفسيره بتركيزه على موضوعات معينة من مثل:

١ ـ توضيح معاني الألفاظ الغريبة في النص القرآني وإرجاعها إلى أصولها الاشتقاقيّة.

٢ ـ الفروق اللغويّة بين الألفاظ القرآنية.

٣ ـ النكات البلاغيّة المستنبطة من النظم القرآني.

٤ ـ إيضاح معنى الآية بذكر نظائرها، بمعنى أنه يسعى للتركيز على موضوع تفسير القرآن بالقرآن، وما يشمله من ذكر لاختلاف القراءات، وأثر ذلك في اختلاف التفسير.

٥ ـ أسباب النزول: وقد أولى الراغب عنايته لهذا الموضوع، وأشار إلى تعدد الأقوال في سبب نزول آية والجمع بينها، أو الترجيح

حسب ما يظهر له.

٦ ـ اللغة والإعراب: وهو من الموضوعات التي تستهوي الراغب كثيراً، فلا يكاد يُغادر آية دون أن يُعرّج على ما فيها من وجوه الإعراب المختلفة، أو ذكر أقوال اللغويين والنحاة فيها، مع الاستشهاد بالشعر والأمثال وأقوال العرب في هذا السياق.

٧ ـ المسائل الفقهية: يتعرض الراغب كثيراً لهذا الموضوع، ولكن دون تعمق في البحث، بل يكتفي بذكر الحكم الفقهي، وأحياناً ينسبه إلى صاحبه ويعقب بذكر أقوالٍ لفقهاء آخرين في المسألة مع ترجيحه لما يراه.

٨ ـ الردّ على المخالفين وبيان وجه الصواب:

وهذا الموضوع استغرق من الراغب قدراً كبيراً من تفسيره، فهو يرد أحياناً على الشبهات التي يعرضها مبيّناً أدلة أصحابها، ثم ينقضها مدعّماً رأيه بالحجة القوية، وهو يصيغ هذه الشبه والردود عليها في قالب استفهامي غالباً على طريقة: فإن قال قائل. . . ؟ قيل له: كذا وكذا، ويتطرق من خلال هذا الموضوع إلى بيان إحكام القرآن وإعجاز نظمه وتمام المعاني فيه بما لا مزيد عليه.

٩ ـ إشارات المتصوفة: لم يُخلِ الراغب تفسيره من هذا الموضوع، وإن كان واضحاً أنه لا يُعدّ كلام المتصوفة تفسيراً، بل يذكره لأغراض التهذيب والتربية للنفوس، وإن كان يشتطُّ في هذا الموضوع أحياناً، فيذكر بعض الشطحات المنكرة، منسوبة إلى بعض

المتصوفة دون ردّ عليها أو إنكار لها.

ثانياً: وقع اختياري على ثلاثة تفاسير لأقوم بالمقارنة بينها وبين تفسير الراغب، وهي:

١ ـ «تفسير الكشاف» لمؤلفه أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، المتوفى سنة ٥٢٨هـ.

٢ ـ «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة ٥٤٦هـ.

٣ ـ «معالم التنزيل» للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦هـ.

وقد وقع الاختيار على هذه التفاسير لسببين:

الأول: أن أصحابها يُعدُّون من طبقة الراغب الأصفهاني، فوفياتهم مقاربة في تأريخها لوفاة الراغب الأصفهاني.

الثاني: أن هناك أوجهاً للتشابه بين تفسير الراغب وبين هذه التفاسير، كما سيتضح ذلك من خلال المقارنة، وسوف تتناول المقارنة الأوجه التالية:

أولًا: المقارنة في جانب التفسير بالمأثور، وتشمل:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ تناوُل القراءات القرآنية.

٣ ـ تفسير القرآن بالسُّنَّة.

٤ ـ ذكر أسباب النزول.

٥ ـ ذكر أقوال الصحابة والتابعين في التفسير.

ثانياً: المقارنة في جانب اللغة والنحو.
ثالثاً: المقارنة في مسائل الفقه.
رابعاً: المقارنة في مسائل العقيدة.

وقبل أن أبدأ في المقارنة أحبُّ أن أُشير مجدداً إلى أن منهج الراغب الأصفهاني يتلخص في النقاط التالية.

١ ـ الاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن، وذلك عن طريق تفسير الآية بذكر نظائرها، والاستدلال بالقرآن على تعدد معاني الكلمة الواحدة، وتوضيح المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات الأخرى، والجمع بين ما يُتوهّم أنه مختلف من آيات الكتاب العزيز.

٢ ـ الاهتمام بذكر اختلاف القراءات لتأثيرها في اختلاف التفسير، ومعرفة سبب تعدد الأقوال عند المفسّر الواحد.

٣ ـ كان اهتمام الراغب بالقراءات من ناحية الدراية فقط دون الرواية، أي من ناحية تأثير اختلاف الروايات في المعنى، وذكر التوجيه الإعرابي للقراءة، دون البحث في ثبوت القراءة من عدمها، وتواترها من شذوذها.

٤ ـ الاعتناء بالسنة النبوية من خلال الاستشهاد بالحديث على معنى الآية، وتأكيده وتفسير القرآن بالسنة. ويؤخذ عليه الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة[(١)].

٥ ـ الاهتمام بذكر أسباب نزول الآيات، والإشارة إلى تعدد

---

(١) بلغ عدد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا القسم المحقق ٥٧ حديثاً من مجموع ١٦٣ حديثاً ذكرها الراغب.

الأقوال في سبب نزول الآية . ويؤخذ عليه عدم التعرض لدراسة ما ورد في أسباب النزول من ناحية ثبوته من عدمه .

٦ ـ زيادة الاهتمام باللغة والإعراب، وتمثَّل ذلك في ذكر معاني المفردات، وإرجاع الكلمات إلى أصولها الاشتقاقية، والاستشهاد بالشعر العربي، وذكر أقوال اللغويين وأوجه الإعراب المختلفة مع ذكر الراجح من ذلك .

٧ ـ التعرض لكثير من مسائل الفقه، وتناولها من خلال ذكر أقوال الفقهاء والترجيح بينها، إلا أن عدم تخصص الراغب في هذا العلم واضح من خلال عدم ذكره لأدلة كل فريق، وإهمال كثير من الأقوال المعتبرة .

٨ ـ قلة التعرُّض لمسائل الاعتقاد وبخاصة في الأسماء والصفات، على أنه يغلب عليه تأويل الصفات، كما هو الحال عند الأشعرية .

المبحث الأول: مقارنة بين منهج الزمخشري والراغب في التفسير:

أولاً : التفسير بالمأثور بين الزمخشري والراغب

على الرغم من أن ما يغلب على تفسير الزمخشري هو التفسير بالرأي، إلا أن فيه شيئاً من التفسير بالمأثور، يمكن تقييمه في النقاط التالية:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن:

فسر الزمخشري القرآن بالقرآن في كثير من الآيات:

أ ـ ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾[١]، استشهد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾[٢].

ب ـ وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[٣]، قال: (من) في قوله: (من الله) مثله في قوله: ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾، ثم قال: وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾[٤].

جـ ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾[٥].

قال: وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٩، وانظر: الكشاف (١/ ٣٣٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٧، وانظر الكشاف (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٣.

﴿ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

د- وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[2].

ذكر الزمخشري أن معنى قوله: ﴿ولو افتدى به﴾، أي: بمثله، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾[3].

هـ- وعند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4] قال: كقوله: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[5].

و- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾[6] قال: تعريض بكذبهم، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[7].

ز- وعند قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[8]، ذكر أن معناه كمعنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[9].

ح- وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٨، وانظر: الكشاف (١/ ٣٧٠).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩١.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٧، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٣، ٣٨٤).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٤).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩٥.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٦).
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٩) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٩).

﴿وَرَابِطُوا۟﴾[1]. ذكر قوله تعالى: ﴿.. وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2].

ط - والزمخشري قد يفسر الاية بذكر نظائرها كما فعل الراغب، فعند قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، قال: وقد كرّر ذلك في القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[4]، ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[5]. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ..﴾ الآية[6].

وقد يبدو الأمر طبيعيًّا إذا كانت الآيات القرآنية لا تمس مذهب الزمخشري الاعتزالي، أما إذا كانت تمس مذهبه الاعتزالي كآيات الصفات، فإنه يجعلها من المتشابهات، ويردها إلى الآيات المحكمات، التي يرى أنها توافق مذهبه. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[7]: «(محكمات): أحكمت عبارتها، بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه. (متشابهات): محتملات. ﴿هن أم الكتاب﴾ أي أصل الكتاب، تحمل المتشابهات عليها وتردّ إليها. ومثل ذلك:

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠..

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠، وانظر: الكشاف (١/ ٤٦٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ٢٢، وانظر: الكشاف (١/ ٣٥١).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧.

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[١]. ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٢]. ﴿ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[٣]. ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[٤]. فانظر كيف جعل قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ الذي يدل عنده على نفي رؤية الله تعالى هو المحكم، وجعل قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ متشابهاً.

٢ ـ القراءات:

تميز الزمخشري عن الراغب في باب القراءات من حيث كثرة القراءات التي أوردها في كتابه، وكذلك في أنه كان كثيراً ما يذكر صاحب القراءة بخلاف الراغب، الذي لم يكن يذكر أصحاب القراءات. فعند قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾[٥]. قال الزمخشري: يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين... والدليل عليه قراءة نافع: (ترونهم)... وقرأ ابن مصرف (يرونهم) على البناء للمفعول بالياء والتاء[٦].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[٧] قال: بمعنى وضمَّها إليه، وجعله كافلًا لها وضامناً لمصالحها، ويؤيدها قراءة أُبَيّ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦، وانظر: الكشاف (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

(٦) انظر: الكشاف (١/ ٣٤١).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(وأكفلها) من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾[1]، وعند قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[2]، قال الزمخشري: وقُرِئ (يؤده) بكسر الهاء والوصل، وبكسرها بغير وصل، وبسكونها. وقرأ يحيى بن وثاب: (تئمنه) بكسر التاء. (ودمت) بكسر الدال[3]. والزمخشري يشير إلى اختلاف الإعراب تبعاً لاختلاف القراءة، كما كان الراغب يفعل، فقد قال: «وقُرِئ: ﴿فئة تقاتل﴾ ﴿وأخرى كافرة﴾ بالجر على البدل من فئتين، وبالنصب على الاختصاص، أو على الحال من الضمير في ﴿التقتا﴾[4].

وفي قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾[5]، قال الزمخشري: قراءة من قرأ (جنَّات) بالجر على البدل من خير[6].

والزمخشري كالراغب في إيراده القراءات المنسوبة لبعض الصحابة والتابعين، كعبدالله بن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما، دون تمييز ما ثبت منها عنهم مما لم يثبت. فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ..﴾[7] الآية.

اعتمد الزمخشري على تقوية الوجه التفسيري الرابع للآية

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٣، وانظر: الكشاف (١/ ٣٥٨).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.
(٣) الكشاف (١/ ٣٧٥).
(٤) الكشاف (١/ ٣٤١).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥.
(٦) الكشاف (١/ ٣٤٣).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

بقراءة أُبيّ وابن مسعود دون التعرُّض لثبوتها[1].

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[2] قال: وقرأ سعيد بن جبير (لَمّا) بالتشديد، بمعنى حين آتيتكم»[3]، ولم يتعرض لثبوت هذه القراءة عن ابن جبير.

وعند قوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، قال: «تنزلهم. وقرأ عبدالله (للمؤمنين)، بمعنى: تسوي لهم وتهيىء[5].

٣ ـ الاستشهاد بالسُّنة النبويَّة:

لم يخل تفسير الزمخشري من الاستشهاد بالأحاديث النبوية، بل إن استشهاد الزمخشري بالحديث أكثر من الراغب[6]، فهو يرى أن السّنة تفسر القرآن، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[7] قال: «فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء؟ قلت: المعنى أنه بيّـن كل شيء من أمور الدين حيث كان؛ نصًّا على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع الرسول ﷺ وطاعته»[8].

---

(١) الكشاف (١/ ٣٧٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) الكشاف (١/ ٣٧٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢١.

(٥) الكشاف (١/ ٤٠٩).

(٦) خرّج الحافظ الزيلعي أحاديث الكشاف فبلغت (١٥٧٠) حديثاً وأثراً. واختصره واستدرك عليه الحافظ ابن حجر فبلغ عدد الأحاديث والآثار (١٦٨٧) حديثاً وأثراً. انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للحافظ الزيلعي (١/ ٩) و(٤/ ٣٤١) والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر المطبوع في آخر تفسير الكشاف.

(٧) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٨) الكشاف (٢/ ٦٢٨).

ومن الأمثلة على استشهاد الزمخشري بالحديث: ذكره لحديث النبي ﷺ لما سئل عن أول مسجد وضع للناس؟ فقال: «**المسجد الحرام، ثم بيت المقدس**» وسئل كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**»[1]، ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2]. وذكر كذلك عند تفسير هذه الآية والتي تليها قوله ﷺ: «**حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وقرة عيني في الصلاة**»[3].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[4] ذكر الزمخشري عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «**هدايا الولاة غلول**»[5].

ويتشابه كلٌّ من الراغب الأصفهاني والزمخشري في كونهما لا يذكران مصادر ما يوردانه من أحاديث، ولا رواتها، ولا درجاتها من حيث الصحة والضعف، كذلك فإن الزمخشري ـ كالراغب ـ أورد كثيراً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة مع نسبتها إلى النبي ﷺ، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء رقم (٣٣٦٦) ومسلم، كتاب المساجد رقم (٥٢٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧. وانظر الكشاف (١/ ٣٨٦).

(٣) صحَّ هذا الحديث بدون قوله: «ثلاث» فقد أخرجه النسائي (٧/ ٦١) كتاب عشرة النساء، باب حبّ النساء. وأحمد في المسند (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠)، والبيهقي في سننه (٧/ ٧٨). قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ١٥٠، ١٥٢): صحَّ عنه ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «حبب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة». هذا لفظ الحديث. من رواه «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث». فقد وهم، ولم يقل ﷺ: «ثلاث».

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٥) أخرجه بلفظ: «هدايا الأمراء غلول» الطبراني في الأوسط رقم (٢١٤٨، ٢١٤٩) مجمع البحرين. والبيهقي في سننه (١٠/ ١٣٨) وعزاه الحافظ ابن حجر لهما ولابن عدي وسنيد بن داود في تفسيره وضعفه. انظر تلخيص الحبير (٤/ ٣٠٨).

﴿ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ذكر عدة أحاديث لا تصح عن رسول الله ﷺ، منها قوله: «**من مات ولم يحج، فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا**»[(١)].

قال: وروي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم، فقال: «**إن الله كتب عليكم الحج، فحجوا**» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون، وكفرت به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نحجُّه»[(٢)].

ومن الأحاديث التي لا تصحّ عن النبي ﷺ ما ذكره الزمخشري[(٣)] عند قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ حيث ذكر أن النبي ﷺ قال: «**القرآن حبل الله المتين، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة الرّدّ، من قال به صدق، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم**»[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب التغليظ في ترك الحج رقم (٨١٢) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبدالله ـ أحد رواته ـ مجهول. والحارث يضعَّف في الحديث. وذكر الحافظ ابن كثير تضعيف العلماء لهذا الحديث في تفسيره (١/ ٣٦٥)، وأفاد أنه صحَّ موقوفاً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠١) وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الضّحاك مرفوعاً. فهو مرسل.

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٣٩٤).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن رقم (٢٩٠٦) وأحمد في المسند (١/ ٩١) والدارمي في سننه. كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن رقم (٣٣٣٢). قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده=

٤ ـ أسباب النزول:

اهتم الزمخشري بذكر أسباب نزول الآيات، وقد تشابه منهجه مع منهج الراغب في عدم اهتمامه بهذا الجانب من ناحية الأسانيد والرواية، وكذلك في ذكر تعدد الأقوال في أسباب النزول، وكذلك في عدم ترجيحه بين الأقوال في شأن أسباب النزول، بل كان يكتفي بذكر هذه الأقوال دون ترجيح.

فعند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾(١) قال الزمخشري: وذلك أن رسول الله ﷺ دخل مدراسهم، فدعاهم، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ قال: على ملة إبراهيم. قالا: إن إبراهيم كان يهوديًّا. قال لهما: إن بيننا وبينكم التوراة، فهلموا إليها. فأبيا.

وقيل: نزلت في الرجم، وقد اختلفوا فيه(٢).

ففي هذا المثال اكتفى الزمخشري بذكر تعدد الأقوال في أسباب

= مجهول، وفي الحارث مقال. وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص (٤٥ ـ ٥٦): «لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرىء حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما إنه تعمد الكذب في الحديث فلا، والله أعلم، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وقد وهم بعضهم في رفعه». والحديث ورد من طريق آخر رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٤)، وفي مسند الشاميين رقم (٢٢٠٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٥): فيه عمرو بن واقد وهو متروك.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٢) الكشاف (١/ ٣٤٨).

النزول دون التنبيه على ثبوت هذا السبب عن النبي ﷺ أم لا، ودون الترجيح بين القولين، اللذين ذكرا سببين مختلفين لنزول الآية.

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾(١) ذكر الزمخشري بعض الروايات في ذلك دون الحكم عليها أو الترجيح بينها(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾(٣) ذكر الزمخشري ثلاث روايات في سبب نزول الآية، ولم يحكم عليها، أو يرجِّح بينها(٤).

وهذا يدل على التشابه الواضح بينه وبين الراغب في هذه الجزئية المتعلقة بالتفسير بالمأثور.

٥ ـ أقوال الصحابة والتابعين:

اهتم الراغب بذكر أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره أكثر من اهتمام الزمخشري بذلك، فالزمخشري نظراً لاعتزاله كان لا يعوّل كثيراً على الروايات المأثورة عن الصحابة والتابعين، لأنه يعلم أن هذه الروايات لن تؤدي إلى نصرة مذهب المعتزلة، بل هي مدحضة لها، دامغة لأصولها، ولذلك اعتد الزمخشري برأيه كثيراً، وأعرض عن ذكر الروايات المأثورة عن الصحابة والتابعين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٤٢٢، ٤٢٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٤٣٤).

مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[١] تعرّض الراغب لبعض أقوال التابعين في المحكم والمتشابه[٢]، أما الزمخشري فلم يذكر في ذلك قولاً لأحد[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٤] ذكر الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿طوعاً وكرهاً﴾ ستة أقوال عن ابن عباس، وقتادة وأبي العالية ومجاهد والحسن ومطر الوراق[٥]. أما الزمخشري فلم يذكر في ذلك قولاً واحداً[٦].

وأحياناً يشير الزمخشري إلى الأقوال دون ذكر أصحابها، فيقول: وقيل كذا. وقيل كذا. كما فعل في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ . . . ﴾[٧] الآية.

قال الزمخشري: «﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي مستوفي أجلك. . . وقيل: قابضك من الأرض. . . وقيل: مميتك في وقتك بعد النزول

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) انظر الرسالة (ص ٤٢٠، ٤٢١).
(٣) انظر الكشاف (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٥) انظر الرسالة (ص ٦٨٦، ٦٨٧).
(٦) انظر الكشاف (١/ ٣٨٠).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

من السماء، ورافعك الآن. وقيل: متوفي نفسك بالنوم»[1].

أما الراغب فقد قال: «وقال الربيع: توفاه ووفاته: النوم. وقال غيرهما: آخذك وافياً لم ينقص منك شيء. وقال الحسن: وفاة الرفع لا وفاة الموت. وقال ابن عباس ووهب: وفاة موت، فإنه أماته ثم أحياه فرفعه»[2].

وبهذا يتبين تفوُّق الراغب على الزمخشري في جانب ذكر أقوال الصحابة والتابعين وتعيين صاحب القول، أما الزمخشري فقد أهمل - إلى حد كبير - هذا الجانب المهم من جوانب التفسير بالمأثور.

ثانياً: مسائل اللغة والنحو بين الزمخشري والراغب:

الزمخشري لغوي لا يُشَقُّ له غبار، وأديب بارع واسع الاطلاع، قال عنه ياقوت: «كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل، متفنناً في علوم شتى»[3].

ولذلك فقد أولى الزمخشري عناية فائقة بالمفردات القرآنية وأصولها اللغوية والاشتقاقية، وكذلك اعتنى بالنحو والإعراب وعلوم البلاغة والاستشهاد بالشعر العربي.

واعتنى الزمخشري كذلك بالمترادفات، وفرق بينها تفرقة معنوية دقيقة، مما يدل على طول باعه وتمكُّنه اللغوي. مثال ذلك

---

(١) الكشاف (١/ ٣٦٦، ٣٦٧).

(٢) الرسالة (ص ٥٩١، ٥٩٢).

(٣) معجم الأدباء (٩/ ١٢٦).

قوله: «واستعفَّ أبلغ من عفَّ، كأنه طالب زيادة العفة» وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾[1].

والزمخشري في ذلك كله يشبه الراغب الأصفهاني في العناية باللغة والاعتماد عليها في تفسير كلام الباري سبحانه وتعالى.

غير أننا نلحظ فروقاً بين هذين الإمامين في جانب الاعتماد على اللغة، نجملها فيما يلي:

١ ـ كانت عناية الراغب بالمفردات اللغوية وأصولها الاشتقاقية أكثر من الزمخشري.

٢ ـ كانت عناية الراغب بإيراد أقوال اللغويين أكثر من الزمخشري.

٣ ـ كانت عناية الراغب بالفروق اللغوية أكثر من الزمخشري.

٤ ـ كانت عناية الزمخشري بالنحو والإعراب والوجوه النحوية أكثر من الراغب.

٥ ـ كانت عناية الزمخشري بالبلاغة أكثر من الراغب.

٦ ـ كانت عناية الراغب والزمخشري بالاستشهادات الشعرية متساوية تقريباً. ومن خلال الأمثلة التالية يتبيَّن ما ذكرتُ من فروق:

١ ـ عند قوله عز وجل: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦. وانظر: الكشاف (١/ ٤٧٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.

ذكر الراغب معاني وأصول الكلمات التالية: الهيئة، والنفخ، والادّخار، والأكمه[١].

أما الزمخشري فلم يذكر إلا معنى الأكمه فقط[٢].

٢ ـ عند قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[٣] ذكر الراغب في معنى ﴿أن يؤتى﴾ ما قاله الكسائي والفرّاء والمبرّد[٤]، بينما لم يذكر الزمخشري قول أيٍّ منهم[٥].

٣ ـ بالنظر إلى جميع الأمثلة التي أوردتها للاستدلال على اهتمام الراغب بالفروق اللغوية، وجدت أن الزمخشري لم يتعرض لأي منها مما يدل على تفوُّق الراغب في هذا المجال أيضاً.

٤ ـ عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾[٦]. قال الراغب: وإعراب (الذين) إما نصب على البدل من (الذين نافقوا) أو رفع على خبر الابتداء المضمر، أو بدل من الضمير في (يكتمون)[٧].

وقال الزمخشري: (الذين قالوا) في إعرابه أوجه: أن يكون نصباً على الذم، أو على الردّ على (الذين نافقوا)، أو رفعاً على (هم

---

(١) انظر الرسالة ص (٥٧٠، ٥٧١).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٦٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٤) انظر: الرسالة ص (٦٤٣، ٦٤٤).

(٥) انظر: الكشاف (١/ ٣٧٣)..

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٧) الرسالة ص (٩٧٧).

الذين قالوا)، أو على الإبدال من واو (يكتمون)، ويجوز أن يكون مجروراً بدلاً من الضمير في (بأفواههم) أو (قلوبهم) كقوله: على جوده لَضَنَّ بالماء حاتمُ[(١)] .

ففي هذا المثال نجد أن الراغب يذكر ثلاثة أوجه إعرابية، بينما يذكر الزمخشري خمسة أوجه.

٥ ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ﴾[(٢)] .

قال الراغب: «الطَّول: سعة في العطية، وهو أخصُّ من النيل، فإن النيل يقال في القليل والكثير، والطَّول لا يقال إلا فيما يزيد على غيره. . .»[(٣)] .

وقال الزمخشري: الطَّول: الفضل. يقال: لفلان على فلان طَوْل، أي زيادة وفضل، وقد أطاله طَوْلاً، فهو طائل، قال:

لقد زادني حبًّا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرىء غير طائل[(٤)]

ففي هذا المثال نلحظ استدلال الزمخشري بالشعر، في حين أن الراغب اكتفى ببيان المعنى دون اللجوء إلى الشعر.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾[(٥)] ذكر الزمخشري قول الفرزدق:

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٤٣٨).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٣) انظر الرسالة ص (١١٨٢).

(٤) انظر الكشاف (١/ ٤٩٩).

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٤.

وذات حليل أنكحَتْها رماحُنا حلالٌ لمن يبني بها لم تُطَلَّقِ[1]

ولم يذكره الراغب.

وذكر الراغب عند قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[2] قول الشاعر:

يا أيها الماتح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

ولم يذكره الزمخشري[3].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾[4] ذكر الراغب قول الشاعر:

أناة فإن لم تُغْنِ عقب بعدها وعيدٌ فإن لم تغن أغنت عزائمه

ولم يذكره الزمخشري[5].

ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين الزمخشري والراغب:

لم يقصد الراغب من تأليف كتاب في التفسير أن ينتصر لعقيدته، التي تميل إلىِ المذهب الأشعري، ولذلك لم يكن يتناول مسائل الاعتقاد، إلا إذا اقتضى تفسير الآية ذلك، وكذلك كان تناول الراغب لهذه المسائل يتَّسم بالإيجاز الشديد، غير أنه في بعض الأحيان كان يطيل النَّفَسَ، إذا كان المقام يقتضي الردّ على نظار الفرق

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٤٩٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) انظر الكشاف (١/ ٤٩٧). والرسالة ص (١١٧٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٥) انظر الكشاف (١/ ٥٠٥). والرسالة ص (١١٢٤).

وبخاصة المعتزلة والملاحدة.

أما الزمخشري فقد كتب تفسيره في ضوء عقيدة المعتزلة، بل إن الهدف الأساسي في تأليف هذا التفسير هو الانتصار لمذهب المعتزلة، والدفاع عن أصولهم الخمسة، والدعوة لأقوالهم وآرائهم، وقد أبان الزمخشري إلى هذا المقصد في مقدمة تفسيره، فقال: «ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إليَّ في تفسير آية، فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجُّب، واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك. حتى اجتمعوا إليَّ مقترحين أن أُملي عليهم (الكشف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل) فاستعفيت، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد...»(١).

ولهذه الظروف المذهبية التي كانت سبباً في تأليف كشاف الزمخشري، نجد أنه انتصر انتصاراً كبيراً لهذه العقيدة الاعتزالية، ونافح عنها، وردّ على خصومها، ورماهم بالجهل والضلال، وأخذ في تأويل آيات الكتاب العزيز، وصرفها عن معانيها حتى تتفق مع هذه العقيدة. وسوف أذكر بعض الأمثلة، التي توضح الفرق بين منهجي الراغب والزمخشري في مسائل الاعتقاد.

١ ـ عند قوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١) انظر مقدمة الكشاف ص (س).

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١) قصر الزمخشري أولي العلم في الآية على علماء المعتزلة وحدهم، وأخرج من سواهم، فقال: «فإن قلت: ما المراد بأولي العلم الذين عظَّمهم هذا التعظيم، حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟ قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة، وهم علماء العدل والتوحيد»(٢).

قال ابن المُنَيِّر في حاشيته على الكشاف: «تلميح بالمعتزلة، حيث سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، لكن الإنصاف التعميم، حتى يشمل أهل السنة والجماعة»(٣).

ويحسن التنبيه هنا أن العدل والتوحيد عند المعتزلة ليسا على حقيقتهما، فالعدل عندهم هو قولهم: إن الله لا يخلق الشرَّ، وإن العباد يخلقون أفعالهم. أما التوحيد عندهم فهو نفي صفات الله تعالى، التي أثبتها لنفسه(٤).

أما الراغب الأصفهاني فإنه لم يخصّ طائفة من العلماء دون طائفة، كما فعل الزمخشري(٥).

والزمخشري مولع بذكر أصول المعتزلة الخمسة، وبخاصة العدل والتوحيد، وهما كما سبق يتضمنان نفي صفات الله تعالى،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) الكشاف (١/ ٣٤٤).

(٣) حاشية ابن المنير على الكشاف (١/ ٣٤٤).

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٥) انظر الرسالة ص (٤٦٥).

والقول بأن العباد يخلقون أفعالهم، فتراه يذكر هذه الأصول عند كل مناسبة، بل إنه يذكرها بغير مناسبة كذلك. مثال ذلك قوله في تفسير آخر الآية السابقة: ﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل. يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر، الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله(1).

ثم قال: «وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾(2) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ توحيد. وقوله: ﴿قائماً بالقسط﴾ تعديل، فإذا أردفه قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين».

ثم عـرَّض الزمخشري بأهل السنة، فقال: «وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجَوْرِ، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بيِّنٌ كما ترى. وقُرِئا مفتوحين على أن الثاني بدل من الأول، كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل هو المبدل منه في المعنى، فكان بياناً صريحاً، لأن دين الله هو التوحيد والعدل.

وقُرِىءَ الأول بالكسر والثاني بالفتح، على أن الفعل واقع على

(1) انظر الكشاف (1/ 344).
(2) سورة آل عمران، الآية: 19.

(إن) وما بينهما اعتراض مؤكَّد، وهذا أيضاً شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد، فترى القراءات كلها معتضدة على ذلك... فإن قلت: لَمِ كرر قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾؟ قلت: ذكره أولاً للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانياً بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل. ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام، وهو التوحيد والعدل»[1].

وهكذا، فإن الزمخشري يستخدم كل مهاراته ومعرفته في اللغة والإعراب والقراءات والتفسير لإثبات أصول معتقده، فهو يجعل التفسير تابعاً لهذا المعتقد، وإن أداه ذلك إلى صرف الكلام عن حقائقه بغير حجة أو برهان.

وقد ردّ ابن المُنَيِّر على الزمخشري كلامه السابق، فقال: «هذا تعريض بخروج أهل السُّنَّة من ربقة الإسلام، بل تصريح، وما ينقم منهم ألا أن صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، بأنهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر، لا يُضامّون في رؤيته، ولأنهم وحّدوا الله حقَّ توحيده،

(١) الكشاف (١/ ٣٤٥، ٣٤٦).

فشهدوا أن لا إله إلا هو، ولا خالق لهم ولأفعالهم إلا هو . . . هذا إيمان القوم وتوحيدهم، لا كقوم يغيرون في وجه النصوص، فيجحدون الرؤية التي يظهر أن جحدهم لها سبب في حرمانهم إياها، ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله في مخلوقاته، فيزعمون أنهم يخلقون لأنفسهم ما شاؤوا من الأفعال على خلاف مشيئة ربهم، محادّة ومعاندة لله في ملكه، ثم بعد ذلك يتسترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد»[1].

٣ـ ومن تعريض الزمخشري بأهل السنة قوله عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[2]. قال: «ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب، وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل، كما طمعت المجبرة والحشوية»[3]. وهذا الكلام يشير إلى أصل المعتزلة الثالث المسمى: «الوعد والوعيد» وهذا الأصل يتضمن خلود أهل الكبائر في النار. أما أهل السنة فإنهم قالوا: «يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأن يخرج أهل الكبائر من النار، فلا يُخلّد فيها من أهل التوحيد أحداً»[4].

وقال الإمام الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد في النار،

---

(١) حاشية ابن المنير على الكشاف (١/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

(٣) الكشاف (١/ ٢٤٩).

(٤) منهاج السنة لابن تيمية (١/ ٣٢٨).

لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه؛ إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر - عز وجل - في كتابه ﴿ . . . وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١) الآية. وإن شاء عذبهم بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته . . . »(٢).

وبالنظر إلى ما ذكره الراغب الأصفهاني في هذه المواضع من تفسيره، نجد أنه لم يتعرض لهذه المسائل الاعتقادية، التي أقحمها الزمخشري في تفسيره إقحاماً.

٤ - ومن باب نفي صفات الله تعالى ما ذكره الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٣). حيث قال: «محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم»(٤). وهذا تحريف ظاهر ونفي لما أثبته الله تعالى لنفسه من أنه يحب عباده المؤمنين، ويحبه عباده المؤمنون.

أما الراغب فقد أثبت هذه الصفة لله تعالى ولم يؤولها(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) العقيدة الطحاوية ص (٢٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٤) الكشاف (١/ ٣٥٣).

(٥) أشرت إلى ذلك عند الحديث عن منهجه في مسائل الاعتقاد من خلال كلامه في آية أخرى، أما هذه الآية فيبدو أن الناسخ قد أسقط كلام الراغب فيها.

٥ ـ ويظهر تعسف الزمخشري في تأويل النصوص حتى تتفق مع مذهبه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1].

فيقول: فإن قلت: قد ثبت أن الله ـ عز وجل ـ يغفر الشرك لمن تاب منه، وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة. فما وجه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ قلت: الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين إلى قوله تعالى: ﴿لمن يشاء﴾ كأنه قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك، على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب[2]!!

وقد تعجب ابن المُنَيِّر من هذا التأويل، وردّ عليه قائلًا: «عقيدة أهل السُّنَّة أن الشرك غير مغفور ألبتة، وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفر له، هذا مع عدم التوبة، وأما مع التوبة فكلاهما مغفور، والآية إنما وردت فيمن لم يتب، ولم يذكر فيها توبة كما ترى، فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك، وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بالمشيئة كما ترى» ثم أخذ ابن المُنَيِّر يرد على الزمخشري قوله مبيّناً ضعفه وتهافته[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) انظر الكشاف (١/ ٥١٩، ٥٢٠).

(٣) انظر حاشية الموضع السابق.

أما الراغب الأصفهاني فقد ردّ على المعتزلة في هذا الموضع، وبيّن ضعف قولهم ورجّح قول أهل السُّنَّة[1].

رابعاً: مسائل الفقة بين الزمخشري والراغب:

ذكرت عند الحديث عن منهج الراغب في مسائل الفقه: أن أحداً من المصنفين لم يدرج الراغب ضمن مذهب فقهي معين، ومع ذلك فقد تعرّض الراغب لكثير من المسائل الفقهية، وتكلم فيها بما يدل على معرفة تامة بمذاهب الفقهاء، واختلاف أقوالهم، وكان في الغالب يرجح قولاً من هذه الأقوال، وكان ينتصر في كثير من الأحيان للمذهب الشافعي، ويؤيد القياس الشرعي المبني على الاجتهاد والاستنباط.

أما الزمخشري فهو حنفي المذهب، صرح بذلك في قوله:

وأسند ديني واعتقادي ومذهبي
إلى حنفاء أختارهم وحنايفا
حنيفية أديانهم حنفية
مذاهبهم لا يبتغون الزعانفا[2]

ويقول كذلك مادحاً مذهبه متعصِّباً له: «رضي الله عن العلماء الخاشين من الله وحسابه.. جمعوا إلى الدين الحنيفي العلم الحنفي»[3].

---

(١) انظر هذه الرسالة (ص ١٢٦٦ - ١٢٦٩).
(٢) انظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن للدكتور مصطفى الصاوي الجويني (ص ١٧٩).
(٣) المصدر السابق (ص ١٧٩).

ولكن إذا نظرنا إلى منهج كل من الراغب والزمخشري في مسائل الفقه من خلال كتابيهما في التفسير، نجد أن الراغب تميَّز عن الزمخشري بذكر اختلاف أقوال الفقهاء، مع نسبة كل قول إلى صاحبه، أما الزمخشري فقد أهمل ذلك في الغالب، ولم يُشْرِ إلى اختلاف الفقهاء إلا نادراً.

مثال ذلك:

١ - عند قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[١]. ذكر الراغب قول أصحاب أبي حنيفة، فقال: «فاستدلّ بهذه الآية أصحاب الإمام أبي حنيفة على توريث ذوي الأرحام. وقالوا: الأخوال والخالات وأولاد البنات من الأقربين»[٢].

بينما لم يُشرِ الزمخشري إلى أي مذهب في ذلك[٣].

٢ - عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٤] أشار الراغب إلى مذاهب الفقهاء في معنى النكاح في الآية، فقال: «اختلفوا في النكاح ههنا، فحمله أصحاب أبي حنيفة على الجماع، وقال: هو حقيقة فيه، فحرموا كل امرأة باضعها الأب حلالاً أو حراماً على الابن. وحمله الشافعي على

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧.

(٢) انظر: الرسالة ص (١١١٠).

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٤٧٦، ٤٧٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٢.

العقد، وقال: هو حقيقة فيه. . . »[1].

أما الزمخشري فلم يُشِرْ إلى شيء من ذلك[2].

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[3] ذكر الراغب قول الإمام مالك والإمام أبي حنيفة في مسألة سبي الزوجين معاً أو مفترقين، قال: «وظاهر ذلك يقتضي أن الزوجين إذا سُبِيَا معاً أو مفترقين فإن النكاح يبطل، كما قال مالك. بخلاف ما قال أبو حنيفة حيث قال: إذا سُبِيَا معاً لا يبطل النكاح»[4].

أما الزمخشري فلم يتعرَّض لشيء من ذلك[5].

وحتى في المواضع التي تعرض فيها الزمخشري لأقوال الفقهاء، نجد الراغب في هذه المواضع قد زاد من الأقوال على ما ذكره الزمخشري.

٤ ـ فعند قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[6]. ذكر الزمخشري مذهب الشافعي وأبي حنيفة في

---

(١) انظر: الرسالة ص (١١٥٨).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٢، ٤٩٣).

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٤) انظر: الرسالة ص (١١٧٥).

(٥) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٧).

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٥.

جواز نكاح الأَمَةِ[1]. أما الراغب فقد ذكر قول الشافعي وأبي حنيفة ومالك ـ رحمهم الله ـ[2].

٥ ـ وعند قوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ من الآية نفسها، قال الزمخشري: «الظاهر أن لا يجوز نكاح الأَمَةِ الكتابية، وهو مذهب أهل الحجاز. وعند أهل العراق يجوز نكاحها، ونكاح الأمة المؤمنة أفضل، فحملوه على الفضل لا على الوجوب»[3]. أما الراغب فقد ذكر أقوال الأئمة وأسماءهم فقال: «وقال الحسن ومجاهد والثوري وأبو حنيفة: هو على الاستحباب، فأجازوا التَّزوُّج بالأمة الكتابية. وقال مالك والشافعي والأوزاعي: لا يجوز نكاح الأمة الكتابية»[4]. فكان كلام الراغب في ذلك أتم من كلام الزمخشري.

ومن صور الاختلاف بين منهجي الراغب والزمخشري في مسائل الفقه: أن الزمخشري إذا ذكر أقوال الفقهاء لا يرجِّح بينها في الغالب، إلا في النادر، فيرجِّح قولاً من هذه الأقوال، كما فعل في المثال السابق، حيث رجَّح قول أهل الحجاز.

أما الراغب فإنه يرجِّح بين الأقوال الفقهية غالباً، وقد ذكرت الأمثلة على ذلك عند الحديث عن منهج الراغب في مسائل الفقه.

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٩).

(٢) انظر هذه الرسالة ص (١١٨٣).

(٣) الكشاف (١/ ٥٠٠).

(٤) انظر هذه الرسالة ص (١١٨٦).

المبحث الثاني

مقارنة بين منهجي الراغب وابن عطية في التفسير

إن أول ما يلفت نظر الباحث المقارن بين منهجي الراغب وابن عطية في تفسيريهما هو التشابه الواضح في طريقة التفسير ونوعيته، فكلاهما جمع في منهجه بين المأثور والرأي، ويمكن القول بأن تفسير الراغب وتفسير ابن عطية من نوع التفسير بالرأي الجائز، فابن عطية كالراغب يفسر القرآن بالقرآن، وبما ورد عن رسول الله ﷺ، وبما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم. ويذكر كذلك القراءات وأسباب النزول، ويعتمد في التفسير كذلك على لغة العرب وأشعارها، فيلجأ كثيراً إلى علم النحو والإعراب في حل بعض القضايا اللغوية التي تؤثر في التفسير بإيضاح المعنى تارة، وبالنص على وجه معين من عدة أوجه تارة، وبتضعيف بعض الأوجه تارة أخرى. ويمكن المقارنة بين منهجي الراغب وابن عطية في التفسير من خلال ما يلي:

أولًا: التفسير بالمأثور بين ابن عطية والراغب:

١ - تفسير القرآن بالقرآن:

يتشابه تفسير ابن عطية مع تفسير الراغب في جعل القرآن الكريم أهم مصادر التفسير، إلا أن أغلب استدلالات ابن عطية بالقرآن كانت لبيان وتجلية معاني المفردات اللغوية دون المعنى العام للآية.

١ ـ فعند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[١] يذكر ابن عطية الفرق بين معنى الحرث في هذه الآية ومعناه في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾[٢].

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٣].

قال ابن عطية: «أصل شهد في كلام العرب: حضر، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[٤] فاستدل بالقرآن على تفسير كلمة شهد[٥].

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[٦]. استدل ابن عطية بالقرآن على إضمار القول، فقال: «وهذا على إضمار القول، كأنه قال: ﴿فنادته الملائكة﴾ فقالت. وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ ﴾[٧] على قراءة من كسر الألف»[٨].

٤ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[٩] قال: معناه: تخلطون، تقول: لبَست الأمر بفتح الباء بمعنى خلطه. ومنه

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨. وانظر تفسير ابن عطية (٣/ ٣٦).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٥) انظر تفسير ابن عطية (٣/ ٤٠).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٧) سورة القمر، الآية: ١٠.
(٨) تفسير ابن عطية (٣/ ٧٢).
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[1].

٢ - القراءات:

يختلف منهج ابن عطية عن منهج الراغب الأصفهاني في الاستشهاد بالقراءات القرآنية، فالراغب لم يحدد منهجه في التعامل مع هذه القراءات، أما ابن عطية، فقد أوضح منهجه في ذلك بقوله: «وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذّها، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ»[2].

ويوضح ابن عطية موقفه من المتواتر والشاذ، فيقول: «ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يُصلَّى، لأنها ثبتت بالإجماع، وأما شاذ القراءات فلا يُصلّى به، وذلك لأنه لم يُجمع الناس عليه»[3] فالإجماع إذن هو حجة ابن عطية في ثبوت صحة القراءة من شذوذها، والقراءة الثابتة المجمع عليها يُتعبَّد بها ويُصلّى بها عند ابن عطية، أما القراءة الشاذة فلا يُصلّى بها عنده.

وبيّن ابن عطية رأيه كذلك في القراءات المروية عن بعض الصحابة: كابن مسعود، فقال: «فأما ابن مسعود فأبى أن يزال مصحفه فترك، ولكن أبى العلماء قراءته سدًّا للذريعة، ولأنه رُوِي أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير، فظنها قوم من التلاوة فتخلط

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩. وانظر تفسير ابن عطية (٣/ ١٢١).
(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٥).
(٣) تفسير ابن عطية (١/ ٣٢).

الأمر فيه»[1].

أما الراغب الأصفهاني فلم يحدد موقفه من هذه القراءات المروية عن الصحابة، بل كان يذكرها دون أن يبيّن موقفه من الاحتجاج بها.

وتميَّز ابن عطية عن الراغب كذلك في باب القراءات بأنه كان ينصّ على صاحب القراءة، فعند قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾. قال ابن عطية: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿ستغلبون وتحشرون﴾ بالتاء من فوق و(يرونهم) بالياء من تحت. وحكى أبان عن عاصم (ترونهم) بالتاء من فوق مضمومة.

وقرأ نافع ثلاثتهن بالتاء من فوق.

وقرأ حمزة ثلاثتهن بالياء من تحت.

وبكلِّ قراءة من هذه قرأ جمهور من العلماء.

وقرأ ابن عباس وطلحة بن مصرف وأبو حيوة: (يرونهم) بالياء المضمومة.

وقرأ أبو عبدالرحمن بالتاء من فوق مضمومة»[2].

ولم تقتصر براعة ابن عطية في مجال القراءات على الإحاطة والعزو، ولكنه برع كذلك في مجال التوجيه بما يخدم المعنى الذي هو

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ٣١، ٣٢).

(٢) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٧).

الأساس والمقصد من علم التفسير. فيعلق مثلًا على من قال في تفسير هذه الآية: «أي قل لهؤلاء اليهود سيغلبون يعني قريشاً». بقوله: وهذا التأويل إنما يستقيم على قراءة (سيغلبون ويحشرون) بالياء من تحت. ومن قرأ بالتاء فمعنى الآية: قل للكفار جميعاً هذه الألفاظ. ومن قرأ بالياء من تحت فالمعنى: قل لهم كلاماً هذا معناه، ويحتمل قراءة التاء التأويل الذي ذكرناه آنفاً؛ أي قل لليهود ستغلب قريش، ورجَّح أبو علي قراءة التاء على المواجهة»[1].

ثم قال ابن عطية: «فمن قرأ (ترونهم) بالتاء من فوق، فهي مخاطبة لجميع المؤمنين، إذ قد رأى ذلك جمهور منهم، والهاء والميم في (ترونهم) تجمع المشركين. وفي (مثليهم) تجمع المؤمنين. ومن قرأ بالياء من تحت فالمعنى: يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلي جمع المؤمنين. ومن رأى أن الخطاب لجميع الكفار، ومن رأى أنه لليهود فالآية عنده داخلة فيما أُمر محمد ـ عليه السلام ـ أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم، وتبييناً لصورة الوعيد المتقدم في أنهم سيغلبون. فمن قرأ بالياء من تحت فالمعنى: يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفاز مثلي جمع المؤمنين. ومن قرأ بالتاء فالمعنى: لو حضرتم أو إن كنتم حضرتم، وساغت العبارة لوضوح الأمر في نفسه، ووقوع اليقين به لكل إنسان في ذلك العصر. ومن قرأ بضم التاء أو الياء فكان المعنى: إن اعتقاد

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٨).

التضعيف في جميع الكفار إنما كان تخميناً وظنًّا لا يقيناً»[1].

والحق أن الراغب وإن كانت له جهود في توجيه القراءات والاستفادة منها في مجال التفسير وجلاء المعنى، إلا أن ابن عطية قد تفوّق عليه في ذلك، حيث إنه كان دقيقاً إلى أبعد حدّ في جمعه للقراءات، وتوجيهها توجيهاً سديداً بما يخدم النص القرآني، ويجلي معانيه، ويدفع التعارض عن آياته.

والذي يؤخذ على ابن عطية في هذا الباب هو جسارته على ردّ بعض القراءات الصحيحة المتواترة الثابتة بالإجماع، وهو بذلك يخالف منهجه الذي بينه في مقدمة كتابه، ففي تفسير سورة النساء ردّ ابن عطية قراءة حمزة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ﴾[2] بالخفض فقال: «وقرأ حمزة وجماعة من العلماء (والأرحامِ) بالخفض عطفاً على الضمير. والمعنى عندهم: أنها يُتساءل بها كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم. هكذا فسَّرها الحسن وإبراهيم النخعي ومجاهد. وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمر مخفوض». ثم قال: «ويردّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان:

أحدهما: أن ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحضّ على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها.

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

والوجه الثاني: أن في ذكرها على ذلك تقريراً للتساؤل بها، والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يردُّ ذلك في قوله عليه السلام: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**[1]»[2].

ومع أن الراغب لم يقع فيما وقع فيه ابن عطية من تضعيف قراءة حمزة إلا أنه ساق قول من ضعّف قراءته ولم يردّ عليه أو يبيّن رأيه في ذلك. وليته سلك مسلك من صحّح هذه القراءة، وحمل على مضعِّفيها كما فعل أبو حيان، حيث حمل على ابن عطية لجسارته على تضعيف هذه القراءة[3]. وقال النيسابوري بعد أن ذكر قول المضعِّفين: «إلا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت»[4].

٣ - الاستشهاد بالسنة النبوية:

ويتشابه المنهجان كذلك في الاستشهاد بالحديث النبوي في التفسير، وإن كان ابن عطية أكثر استدلالاً بالحديث من الراغب، ولم يقتصر ابن عطية على الأحاديث الصحيحة والحسنة، بل أورد كذلك الضعيف وربما الموضوع، شأنه في ذلك شأن الراغب، وذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً، حديث رقم (٦١٠٨). وأخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، حديث رقم (٣).

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٨، ٩).

(٣) البحر المحيط (٣/ ١٦٧).

(٤) تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١).

ابن عطية الأحاديث محذوفة الأسانيد كالراغب، وحذف كذلك اسم الصحابي راوي الحديث في الغالب، وذكره في مواضع، ولم يذكر مصادر ما يورده من أحاديث، ولا مدى صحتها إلا في النادر، حيث كان يشير إلى بعض المصادر كالصحيحين مثلًا، وربما علَّق على بعض الأحاديث وبعض الرواة.

ومن المواضع التي استشهد فيها ابن عطية بالأحاديث الصحيحة:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[(١)] ذكر ابن عطية وجهاً من التفسير، مفاده أن المراد وضع إبراهيم لقواعد البيت، فقال: «ويحتمل أن يريد وضع إبراهيم عليه السلام»، ثم قال: «ويؤيد هذا التأويل ما قال أبو ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ مسجدٍ وضع أول؟ قال: «**المسجد الحرام**». قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**»[(٢)]. ثم قال: «فيظهر من هذا أنهما من وضع إبراهيم جميعاً»[(٣)]. ففي هذا المثال رجَّح ابن عطية أحد الأوجه التفسيرية، معتمداً في ذلك على السنة النبوية الصحيحة.

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.
(٢) تقدم تخريجه ص (٣٠٤).
(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٦٣).

ٱلنَّاسِۗ﴾[1]. قال ابن عطية: ووردت في كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب أحاديث. . . ومنه قوله عليه السلام: «**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[2]. وذكر حديثين آخرين[3].

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[4] ذكر ابن عطية[5] أن الآية عامة تتناول علماء هذه الأمة، واستدل على ذلك بقوله ﷺ: «**من سُئِلَ عن علم فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار**»[6].

٤ ـ وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[7] قال ابن عطية[8]: وقوله: (منها). . . وقيل: من يمينه فخلق منه حواء، ويعضد هذا القول

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم (٦١١٤)، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث رقم (١٠٧).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٥) تفسير ابن عطية (٣/ ٣١٣).

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، حديث رقم (٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، حديث رقم (٢٦٤٩). وقال الترمذي: حديث حسن.

(٧) سورة النساء، الآية: ١.

(٨) تفسير ابن عطية (٤/ ٧).

الحديث الصحيح في قوله عليه السلام: «إن المرأة خُلِقَت من ضِلَع»[(١)].

ومن المواضع التي ذكر فيها أسماء رواة الأحاديث من الصحابة:

١ ـ الحديث الذي ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[(٢)] حيث قال: وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ خطب فقال: ... وذكر الحديث» ثم قال: وروى نحو هذا الحديث ابن عباس قال النبي ﷺ: ... فذكره»[(٣)].

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[(٤)] الآية. ذكر بعض الأحاديث عن عمر بن الخطاب ويعلى بن أمية وابن عباس رضي الله عنهم[(٥)].

وابن عطية بذلك يتميّز عن الراغب، لأن المواضع التي ذكر فيها ابن عطية الرواة أكثر مما ذكره الراغب.

ومن المواضع التي نصَّ فيها ابن عطية على المصادر التي خرّجت الحديث ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، حديث رقم (٣٣٣١)، وأخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم (٦٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٨٥، ٢٨٦).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠١.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦).

﴿بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾[1] قال: وقالت فرقة: الإحصان في الآية: التَّزوُّج، إلا أن الحدَّ واجب على الأَمَةِ المسلمة بالسُّنَّة، وهي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري أنه قيل: يا رسول الله. . . فذكر الحديث[2].

ومن المواضع التي تكلم فيها على الأحاديث ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[3] حيث ذكر حديثاً عن النبي ﷺ في تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة. ثم قال: «وضعَّف قوم هذا الحديث، لأن إبراهيم بن يزيد الخوزي تكلم فيه ابن معين وغيره، والحديث مستغن عن طريق إبراهيم»[4].

وهذا أيضاً مما تميز به ابن عطية عن الراغب، الذي لم يظهر في تفسيره ما يدل على اطلاعه على كلام علماء الحديث وأئمة الجرح والتعديل.

ومن الأحاديث الضعيفة التي أوردها ابن عطية في تفسيره[5] قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما أصرَّ من استغفر**» رواه الترمذي، وقال: غريب وليس إسناده بالقوي[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٨٦، ٨٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٠).

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٦).

(٦) انظر: سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب (١٠٧) حديث رقم (٣٥٥٩). ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٤).

ومن الأحاديث التي قيل: إنها موضوعة. وقيل: إنها ضعيفة. ما روي أن النبي ﷺ قال: «**خلاف أمتي رحمة**»[(١)] وقد استشهد به ابن عطية في تفسيره[(٢)].

وقوله ﷺ: «**لا توبة مع إصرار**» أورده ابن عطية هكذا[(٣)] ولم أجده بهذا اللفظ، ورد بنحوه عن ابن عباس مرفوعاً: «**لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار**» بسند ضعيف[(٤)].

٤ - أسباب النزول:

يتشابه منهج ابن عطية مع منهج الراغب في ذكر أسباب النزول من النواحي التالية:

١ ـ حذف الأسانيد المتعلقة بروايات أسباب النزول.

٢ ـ عدم التعرض لهذه الروايات من جهة الثبوت أو عدمه.

٣ ـ ذكر تعدد الأقوال في سبب النزول.

---

(١) ذكر السيوطي هذا الحديث في الجامع الصغير رقم (٢٨٨) وقال: رواه نصر المقدسي في «الحجة» والبيهقي في «الرسالة الأشعرية» بغير سند، وأورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرمين وغيرهم، ولعله خُرِّج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا. وأورد المناوي في فيض القدير عن السبكي أنه قال: «ليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع»، وقال ابن قيم الجوزية: «روي هذا الحديث عن طرق عن جابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمر، ولم يثبت منها شيء». أعلام الموقعين (٢/ ٢٢٣) وانظر في ذلك: حديث «اختلاف أمتي رحمة» رواية ودراية للدكتور سعود الفنيسان.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٨٣).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٦).

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٥/ ٢٨٧) حديث رقم (٧٩١٤)، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٤٤، ٤٥)، وفي سنده أبو شيبة الخراساني، قال في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٧): أتى بخبر منكر. فذكر هذا الحديث.

٤ ـ القول بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ويتفوق ابن عطية على الراغب في أنه قد يرجّح بعض أسباب النزول، وقد يُضعّف بعضها، أما الراغب فقد كان يكتفي بسردها دون ترجيح، فعند قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[1]. قال ابن عطية:

«هذا هو تفسير الجمهور لهذه الآية، وأنها غزوة أحد، في الخرجة إلى حمراء الأسد، وشذَّ مجاهد ـ رحمه الله ـ فقال: إن هذه الآية من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2] إنما نزلت في خروج النبي ﷺ إلى بدر الصغرى... والصواب ما قاله الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد»[3].

فابن عطية يذكر هنا الخلاف في سبب نزول الآية، ويُضعّف قول مجاهد، ويُرجّح قول الجمهور.

أما الراغب فإنه اكتفى بالإشارة إلى قول بعض المفسرين: إنها نزلت في غزوة بدر الصغرى، ولم يتعرض لقول الجمهور: إنها في غزوة حمراء الأسد[4].

وعند قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٩٨، ٢٩٩).

(٤) انظر: الرسالة ص (٩٩٠، ٩٩١).

﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾[1] قال ابن عطية: واختلف المتأولون فيمن المراد بالمنافقين؟ فقال ابن عباس: هم قوم كانوا بمكة فكتبوا إلى أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة: أنهم قد آمنوا، وتركوا الهجرة، وأقاموا بين أظهر الكفار، ثم سافر قوم منهم إلى الشام، فأعطتهم قريش بضاعات، وقالوا لهم: إنكم لا تخافون أصحاب محمد، لأنكم تخدعونهم بإظهار الإيمان لهم، فاتصل خبرهم بالمدينة، فاختلف المؤمنون فيهم، فقالت طائفة: نخرج إلى أعداء الله المنافقين. وقالت طائفة: بل هم مؤمنون، لا سبيل لنا إليهم. فنزلت الآية.

وقال مجاهد: بل نزلت في قوم جاءوا إلى المدينة من مكة فأظهروا الإسلام. ثم قالوا: لنا بضاعات بمكة، فانصرفوا إليها وأبطنوا الكفر، فاختلف فيهم أصحاب النبي ﷺ». قال ابن عطية بعد أن ذكر هذين القولين: «وهذان القولان يعضدهما ما في آخر الآية»[2]. ثم ذكر ثلاثة أقوال أخرى في سبب نزول الآية، الذي يحدد هؤلاء المنافقين، فهذه خمسة أسباب ذكرها ابن عطية في آية واحدة، وحاول ترجيح قولين منها بمرجّح رآه في الآية نفسها.

ومع أن الراغب ذكر هذه الأقوال الخمسة في سبب نزول الآية، إلا أنه لم يُرجِّح شيئاً منها[3].

وفي قضية عموم اللفظ وخصوص السبب عند قوله تعالى:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ١٩٨).

(٣) انظر: الرسالة ص (١٣٧٥، ١٣٧٦).

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[1]. يذكر ابن عطية قولين في سبب نزول الآية، ثم يقول بعد ذلك: «وعلى التعليقين فالكلام عام اللفظ خاصُّ المعنى، لأنا نقطع أن الله تبارك وتعالى قد أراد من بعض خلقه ألا يطيعوا»[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[3].

قال ابن عطية: «والآية تتناول المؤمنين والأسرى وحواضر الشرك إلى يوم القيامة»[4]. أي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهو بذلك يتفق مع الراغب، كما أوضحت عند الحديث عن هذه المسألة من منهجه.

٥ - الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين:

وكما اعتنى الراغب الأصفهاني بذكر أقوال كبار الصحابة والتابعين، فإننا نجد مزيداً من تلك العناية عند ابن عطية، مما يدلّ على تفوقه على الراغب في معرفة أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، وإحاطته بها.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ١٦٤، ١٦٥).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٤) تفسير ابن عطية (٤/ ١٧٦).

فعند قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

قال ابن عطية: واختلف الناس في معنى قوله: ﴿كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ فقال الحسن وقتادة وعطاء ومجاهد وغيرهم: هذه وصف حال كانت في الجاهلية. . . وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن، وإن الأمن في الإسلام كما كان في الجاهلية، والإسلام زاد البيت شرفاً وتوقيراً، فلا يعرض أحد بمكة لقاتل وليّه، إلا أنه يجب على المسلمين ألا يبايعوا ذلك الجاني، ولا يكلّموه، ولا يؤوه، حتى يتبرّم فيخرج من الحرم فيُقام عليه الحد.

وقال بمثل هذا عبيد بن عمير، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح والسُّدِّي وغيرهم[2].

وعند قوله: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًاۚ﴾ قال: ذهبت فرقة من العلماء إلى قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًاۚ﴾ كلام عام لا يتفسر بزادٍ وراحلة ولا غير ذلك، بل إذا كان مستطيعاً غير شاق على نفسه، فقد وجب عليه الحج. قال ذلك ابن الزبير والضحاك. وقال الحسن: من وجد شيئاً يبلغه فقد استطاع إليه سبيلًا. وقال عكرمة: استطاعة السبيل: الصحة. وقال ابن عباس: من ملك ثلاثمائة درهم فهو السبيل إليه[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) تفسر ابن عطية (٣/ ١٦٨).

(٣) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧١).

وفي موضع آخر من تفسير الآية ساق ابن عطية طائفة من أقوال الصحابة والتابعين، فقال: وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس: المعنى: من زعم أن الحج ليس بفرض عليه. وقال مثله الضحاك وعطاء وعمران القطان والحسن ومجاهد... وقال ابن عمر وجماعة من العلماء: معنى الآية: من كفر بالله واليوم الآخر، وهذا قريب من الأول، وقال ابن زيد: معنى الآية: من كفر بهذه الآيات التي في البيت.

وقال السُّدِّي وجماعة من أهل العلم: معنى الآية: ومن كفر بأن وجد ما يحج به ثم لم يحج. قال السُّدِّي: من كان بهذه الحال فهو كافر»[(١)].

فإذا نظرنا إلى ما أورده الراغب من أقوال في هذه الآية تبيَّن الفرق حيث إنه لم يذكر إلا قول ابن عباس فقط في معنى الكفر في الآية[(٢)].

ويتشابه ابن عطية مع الراغب في تعليقه على ما يورده من أقوال، واختياره بعضها، وتضعيف بعضها، إذا رأى ما يوجب ذلك. فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[(٣)] قال ابن عطية: اختلف المتأولون في كيف يترتب كفر بعد إيمان، ثم زيادة كفر؟! فقال

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٥).

(٢) انظر: الرسالة ص (٧٤٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

الحسن وقتادة وغيرهما: «الآية في اليهود، كفروا بعيسى بعد الإيمان بموسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ. وفي هذا القول اضطراب، لأن الذي كفر بعيسى بعد الإيمان بموسى ليس بالذي كفر بمحمد ﷺ»، ثم قال بعد ذلك: «وتحتمل الآية ـ عندي ـ أن تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر، وجعل ذلك جزاء لجريمتهم ونكايتهم في الدين»(١). وقد تقدم الكلام على ترجيح الراغب بين الأقوال(٢).

ثانياً: مسائل اللغة والنحو بين ابن عطية والراغب:

يتّفق منهجا ابن عطية والراغب على أن تفسير القرآن الكريم لابد أن يقوم على أساسٍ من اللغة والنحو، وأن اللغة العربية وما تشتمل عليه من بيان لمعنى المفردات وإعراب للكلمات وتصريف للمشتقات تعتبر من أهم ما يعتمد عليه المفسِّر لكلام الله تعالى، إذ كيف يتجرأ على كلام الله تعالى الذي نزل بلسان عربي مبين من هو جاهل بلغة العرب وألفاظها وتصاريفها؟

ويمكن تلمس أوجه التشابه بين منهجي ابن عطية والراغب في الاعتماد على اللغة والنحو في تفسير كلام الله تعالى من خلال النقاط التالية:

١ ـ الاهتمام بمعاني الألفاظ وشرح مدلول المفردات، ولذلك قال ابن عطية في مقدمة تفسيره: «وقصدت تتبع الألفاظ، حتى

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٥٤، ١٥٥).

(٢) الرسالة ص (٢٨٨).

لا يقع طَفْر[1] كما في كثير من كتب المفسرين»[2].

٢ ـ الاهتمام بذكر أقوال كبار اللغويين وتعيينهم.

٣ ـ الإكثار من الشواهد الشعرية.

٤ ـ العناية والاهتمام بالإعراب، وذكر الوجوه الإعرابية، والترجيح بينها مع الإشارة إلى تأثير ذلك في معنى الآية وتفسيرها.

٥ ـ الاهتمام بتوجيه القراءات القرآنية توجيهاً نحويًا إعرابيًا، ولذلك فقد ضعّف قراءة متواترة ـ كما سبق ـ بسبب ما رآه ضعفاً في التوجيه الإعرابي.

وللاستدلال على ما سبق من تفسير ابن عطية نكتفي بذكر مثالين اثنين:

الأول: عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[3].

قال ابن عطية: المعنى: ولكن يقول: كونوا ربانيين. وهو جمع رباني. واختلف النحاة في هذه النسبة؛ فقال قوم: هو منسوب إلى الرب... وزيدت الألف والنون مبالغة، كما قالوا: لحياني وشعراني في النسبة إلى اللحية والشعر.

وقال قوم: «الرباني منسوب إلى الربان، وهو معلّم الناس

---

(١) الطَّفر: الوثوبُ في ارتفاع. والطفرة من اللبن أن يكثف أعلاه ويرقّ أسفله. والمراد هنا: الخلل الواقع في كثير من كتب المفسرين. انظر: لسان العرب (٤/ ٥٠٢).

(٢) تفسير ابن عطيّة (١/ ٥).

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٧٩ - ٨١.

وعالمهم السائس لأمرهم، مأخوذٌ من ربّ يربّ إذا أصلح وربى. وزيدت فيه هذه النون كما زيدت في غضبان وعطشان. ثم نسب إليه رباني».

ثم ذكر ابن عطية بعد ذلك أقوال العلماء في معنى الرباني في الآية، ثم عمد إلى الإعراب فقال: «وقوله: (بما كنتم) معناه: بسبب كونكم عالمين دارسين. فما مصدرية. ولا يجوز أن تكون موصولة، لأن العائد الذي كان يلزم لم يكن بدّ أن يتضمنه (كنتم تعلمون)، ولا يصح شيء من ذلك، لأن كان قد استوفت خبرها ظاهراً، وهو (تعلمون). وكذلك (تعلمون) قد استوفى مفعوله، وهو (الكتاب) ظاهراً، فلم يبق إلا أن (ما) مصدرية، إذ لا يمكن عائد، وتُعَلِّمون بمعنى تعرفون، فهي متعدية إلى مفعول واحد».

ثم ذكر بعض القراءات وتوجيهها الإعرابي، فقال: «وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (تَعْلَمون) بسكون العين، وتخفيف اللام، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (تُعلّمون) مُثقَّلًا بضم التاء وكسر اللام. وهذا على تعدية الفعل بالتضعيف. والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف تقديره: (تعلمون الناس الكتاب)». ثم ذكر قولاً حكاه الطبري، فقال عنه: «وهو قول يفسده إعراب الآية» وهذا يبين شدة اعتداده بالعربية، ثم قال: «وقرأ حمزة وغيره: (لِمَا) بكسر اللام، وهي لام الجر. والتقدير: لأجل ما آتيتكم، إذ أنتم القادة والرؤوس... و(ما) في هذه القراءة

بمعنى (الذي) الموصولة، والعائد إليها من الصلة تقديره (آتيناكموه) و(مِن) لبيان الجنس.

وقوله: ﴿ثم جاءكم﴾ الآية جملة معطوفة على الصلة، ولابد في هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول.

فتقديره عند سيبويه: (رسول به مصدق لما معكم)... وأما أبو الحسن الأخفش قال: قوله تعالى: ﴿لما معكم﴾ هو العائد عنده على الموصول، إذ هو في المعنى بمنزلة الضمير الذي قدّر سيبويه.

وكذلك قال الأخفش في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1] ... وسيبويه ـ رحمه الله ـ لا يرى أن يضع المظهر موقع المضمر، كما يراه أبو الحسن. واللام في (لتؤمنن) هي اللام المتعلقة للقسم الذي تضمنه أخذ الميثاق. وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار والمجرور، وذلك جائز[2].

الثاني: عند قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾[3].

قال ابن عطية: «والمراغم: المتحوّل والمذهب، كذا قال ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم. ومنه قول النابغة الجعدي:

كطودٍ يلاذُ بأركانه   عزيز المراغم والمذهب

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٢) انظر تفسير ابن عطية (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

وقول الآخر:

إلى بلدٍ غير داني المحل ... بعيد المراغم والمضطرب

وقال مجاهد: المراغم: المتزحزح عما يكره.

وقال ابن زيد: المراغم: المهاجر.

وقال السُّدِّي: المراغم: المبتغي المعيشة.

وعلق ابن عطية على ما سبق بقوله: «وهذا كله تفسير بالمعنى، فأما الخاصُّ باللفظة، فإن المراغم موضع المراغمة، وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين أنف صاحبه، بأن يغلبه على مراده».

ثم ذكر أقوال العلماء في معاني السعة، وأردف ذلك بقوله: «والمشبه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل، . . .

ونحو هذا المعنى قول الشاعر:

لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض

ومنه قول الآخر:

وكنت إذا خليل رام قطعي ... وجدت واري منفسحاً عريضاً(١)

وإذا نظرنا إلى تفسير الراغب لهذه الآية نجد أنه ذكر معنى المراغم فقال: المراغم: المتحرك، إما من الرغام أي التراب. وقيل: هو من رغم أنفه إذا غضب، والمراد به قريب من قول الشاعر:

إذا كنت في دارٍ يهينك أهلها ... ولم تك ممنوعاً بها فتحول(٢)

---

(١) تفسير ابن عطية (٤/ ٢٢٧ـ٢٢٩).

(٢) انظر الرسالة ص (١٤١٥).

فلم يذكر الراغب أقوال العلماء في معنى المراغم.

والبيت الذي استدل به ليست فيه اللفظة ذاتها، وكذلك فإنه لم يذكر معنى السعة، مما يدل على تميز ابن عطية في التوسع والإحاطة بالأقوال والشواهد.

ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين ابن عطية والراغب:

يتشابه منهج كل من ابن عطية والراغب في تناول مسائل الاعتقاد، وخاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات، حيث إن كلًّا منهما يرى وجوب تأويل بعض صفات الله ـ عز وجل ـ الذاتية والخبرية، خوفاً من الوقوع في التشبيه. وهما بذلك قد وقعا في التشبيه أولاً وفي التأويل ثانياً، لأن صفات الله تعالى لا تشبه ولا تماثل صفات المخلوقين.

أما ابن عطية فقد كان واضحاً في ميله إلى المذهب الأشعري في باب الاعتقاد، فطالما استشهد في تفسيره بكلام الأشعري وبأقوال الباقلاني وأبي المعالي الجويني وغيرهم من أقطاب الأشاعرة[1]، ومع ذلك يصفهم بالحُذّاق وقد يطلق على مذهبهم أنه مذهب الجمهور[2].

---

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن (ص ١٢٣).

(٢) سيأتي النقل عنه بما يثبت ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل.

فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري ـ وهو من أجلّ التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً ـ ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام، الذين قرروا أصولهم بطرقٍ من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السّنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يُعطى كل ذي حق حقَّه، ويُعرَف أن هذا من جملة التفسير على المذهب، فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسَّروا الآية بقولٍ آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا»(١).

وإذا كان الراغب قد أوّل صفة اليدين لله تعالى في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾(٢) بقوله: «أي نعمه متوالية». وأوّل صفة الغضب باستحقاق العقاب، فإن ابن عطية زاد على ذلك

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٦١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

فوصف مذهب سلف الأمة بالاضطراب، وصرَّح بأن تأويل الصفات هو مذهب جمهور الأمة وحُذَّاقها!! فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قال ابن عطية: «العقيدة في هذا المعنى نفي التشبيه عن الله تعالى، وأنه ليس بجسم ولا له جارحة، ولا يُشبَّه ولا يُكيَّف ولا يُتحيَّز، ولا تحلُّه الحوادث ـ تعالى الله عما يقول المبطلون ـ ثم اختلف العلماء فيما ينبغي أن يُعتقد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿بِيَدَىَّ﴾[1] و﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[2] و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3] و﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾[4] و﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[5] و﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[6] و﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[7] ونحو هذا. فقال فريق من العلماء منهم الشعبي وابن المسيب وسفيان: نؤمن بهذه الأشياء ونقرُّ كما نصَّها الله تعالى، ولا يعن لتفسيرها ولا يشقق النظر فيها.

قال ابن عطية: «وهذا قول يضطرب، لأن القائلين به يجمعون على أنها ليست على ظاهرها في كلام العرب، فإذا فعلوا هذا

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.
(٢) سورة يس، الآية: ٧١.
(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٤) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٥) سورة القمر، الآية: ١٤.
(٦) سورة الطور، الآية: ٤٨.
(٧) سورة القصص، الآية: ٨٨.

فقد نُظروا. وصار السكوت على الأمر بعد هذا مما يوهم العوام ويتيه الجهلة.

وقال جمهور الأمة: بل تُفسَّر هذه الأمور على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة، وغير ذلك من أفانين كلام العرب، فقالوا: في العين والأعين: إنها عبارة عن العلم والإدراك، كما يقال: فلان من فلان بمرأى ومسمع، إذا كان يُعنى بأموره، وإن كان غائباً عنه.

وقالوا في الوجه: إنها عبارة عن الذات وصفاتها.

وقالوا في اليد واليدين: إنها تأتي مرة بمعنى القدرة، كما تقول العرب، لا يد لي بكذا، ومرة بمعنى النعمة، كما يقال: لفلان عند فلانٍ يد. وتكون بمعنى الملك كما يقال: يد فلان على أرضه.

وهذه المعاني إذا وردت عن الله تبارك وتعالى عبَّر عنها باليد أو بالأيدي أو اليدين، استعمالاً لفصاحة العرب، ولما في ذلك من الإيجاز، هذا مذهب أبي المعالي والحُذّاق».

ثم قال: «والظاهر أن قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[(١)] عبارة عن إنعامه على الجملة، وعبّر عنه بيدين جرياً على طريقة العرب في قولهم: فلان ينفق بكلتي يديه. ومنه قول الشاعر، وهو الأعشى:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

يداك يدا مجدٍ فكفٌّ مفيدة وكف إذا ما ضن بالمال تنفق»[١]

وهذا النقل عن ابن عطية فيه كثير من الاضطراب والخلط، ويكفي في بيان ذلك أنه ذكر من جملة القائلين بالإثبات الشعبي وابن المسيب وسفيان الثوري، وحسبك بهم علماً وفضلًا واتباعاً للسنة، ثم مع ذلك وصف قولهم بالاضطراب! ولم يذكر من المؤولين ـ وهم جمهور الأمة على زعمه ـ إلا أبا المعالي الجويني، وهو من متكلمي الأشعرية المشهورين، ثم وصف قوله بأنه قول الحذاق! فأي حذقٍ في قولٍ لم يقل به أحد من الصحابة أو التابعين، الذين هم خير القرون بعد النبي ﷺ؟!

وليس المقصود هنا الردّ على ابن عطية في تأويله صفات الله ـ عز وجل ـ، إنما المقصود هو إثبات التشابه بين منهجه ومنهج الراغب في تأويل بعض الصفات، وإخراجها عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ أخرى: لغوية أو مجازية، بحسب ما ورد عن العرب في لغتهم.

رابعاً: مسائل الفقه بين ابن عطية والراغب:

إذا كان مذهب الراغب الفقهي قد لفّه الغموض كما لفَّ كثيراً من جوانب شخصيته، فإن الأمر بخلاف ذلك عند ابن عطية،

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

فهو من فقهاء المالكية المشهورين بالأندلس[1].

ويختلف تناول ابن عطية للمسائل الفقهية عن تناول الراغب، لأن الراغب وإن كان يتمتع بثقافة فقهية ومعرفة بالأقوال، إلا أنها ثقافة عامة غير متخصصة، ولذلك فإن المطالع لكلام الراغب في المسائل الفقهية المبثوثة في تفسيره لا يشعر أنه يقرأ كلام فقيه متخصص في هذا الجانب من العلم.

أما ابن عطية فالأمر بخلاف ذلك، فالمطالع لكلامه حول مسائل الفقه التي حواها تفسيره يشعر أنه أمام فقيه متخصص في الفقه المالكي مع إلمامه بثقافة عامة في فقه المذاهب الأخرى. فهو ينقل عن «الموطأ» للإمام مالك، و«المختصر» لعبدالله بن عبدالحكم، و«المدونة» لسحنون بن سعيد، و«الواضحة» لعبدالملك بن حبيب الأندلسي، و«التفريع» في مسائل الفقه لأبي القاسم بن الجلَّاب، و«العتبية» لمحمد بن أحمد بن عبدالعزيز العتبي الأندلسي، وكلها من كتب المالكية[2]. أما الراغب الأصفهاني فإنه لم يذكر أي كتاب من كتب الفقه، وإنما كان يكتفي بذكر الأقوال، وتوضيح الخلاف، واختيار ما يراه راجحاً، أو ذكرها دون ترجيح.

وفي حين أن الراغب لا يظهر من كلامه ميلًا إلى مذهب من

---

(١) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص (١٢٩).
(٢) انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن (ص ١٢٠، ١٢١).

المذاهب الفقهية المعروفة، نجد أن اعتداد ابن عطية بالمذهب المالكي واضح في كلامه، حيث كان يبدأ دائماً بذكر قول الإمام مالك أو المالكية، مع تفصيل القول في ذلك، وذكر مصادره من كتب المذهب، وقد يكتفي بذلك، فلا يتعرض لخلاف المذاهب الأخرى، وقد يستطرد متعرضاً لخلاف المذاهب الأخرى على سبيل الإيجاز. وقد يقوم بالتوفيق بين الأقوال إذا كان هناك مجال لذلك.

فعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾(١) بدأ بذكر قول مالك ـ رحمه الله ـ فقال: «وقال مالك رحمه الله: الحج كلّه في كتاب الله، فأما الصلاة والزكاة فهي من جملة الذي فسَّره النبي عليه السلام»(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ حاول ابن عطية جمع الأقوال، لتتوافق مع قول مالك ـ رحمه الله ـ فقال بعد أن ذكر كلام المفسرين في حدود الاستطاعة: وقال مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ في سماع أشهب من العتبية. وفي كتاب محمد، وقد قيل له: أتقول: إن السبيل الزاد والراحلة؟ فقال: لا والله! قد يجد زاداً وراحلة ولا يقدر على مسير، وآخر يقدر أن يمشي راجلًا، وربّ صغير أجلد من كبير، فلا صفة في هذا أبين مما قال الله تعالى.

قال ابن عطية: وهذا أنبل كلام، وجميع ما حكي عن العلماء

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) تفسير ابن عطية (٣/ ١٦٩).

لا يخالف بعضه بعضاً؛ الزاد والراحلة على الأغلب من أمر الناس في البعد، وأنهم أصحاء غير مستطيعين للمشي على الأقدام، والاستطاعة متى تحصلت عامة في ذلك وغيره، فإذا فرضنا رجلًا مستطيعاً للسفر ماشياً معتاداً لذلك، وهو ممن يسأل الناس في إقامته ويعيش من خدمتهم وسؤالهم ووجد صحابة، فالحج عليه واجب دون زادٍ ولا راحلة، وهذه من الأمور التي يتصرف فيها فقه الحال»[1].

وابن عطية أراد بذلك ترجيح مذهب إمامه مالك ـ رحمه الله ـ ولكنَّ نَفْي الخلاف في المسألة فيه نظر، فالخلاف قائم، أشار إليه ابن رشد بقوله: «واختلفوا في تفصيل الاستطاعة بالبدن والمال. فقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد، وهو قول ابن عباس وعمر بن الخطاب: إن من شرط ذلك الزاد والراحلة. وقال مالك: من استطاع المشي فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب في حقه، بل يجب عليه الحج. وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستطاعة، إذا كان ممن يمكنه الاكتساب في طريقه ولو بالسؤال. والسبب في هذا الخلاف معارضة الأثر الوارد في تفسير الاستطاعة لعموم لفظها. وذلك أنه ورد أثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه سئل ما الاستطاعة فقال: «**الزاد والراحلة**» فحمل أبو حنيفة والشافعي ذلك على كل مكلف. وحمله مالك على من لا يستطيع المشي، ولا له قوة على

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧١ ـ ١٧٢).

الاكتساب في طريقه»[1].

ثم تعرض ابن عطية لمسألة فقهية أخرى فقال: واختلف الناس هل وجوب الحج على الفور أو على التراخي؟ على قولين، ولمالك ـ رحمه الله ـ مسائل تقتضي القولين:

قال في المجموعة فيمن أراد الحج ومنعه أبواه: لا يجهل عليهما في حجة الفريضة، وليستأذنهما العام والعامين، فهذا على التراخي.

وقال في كتاب ابن المواز: لا يحج أحد إلا بإذن أبويه إلا الفريضة، فليخرج وليدعهما، فهذا على الفور.

وقال مالك في المرأة يموت عنها زوجها فتريد الخروج إلى الحج: لا تخرج في أيام عدتها. قال الشيخ أبو الحسن اللخمي: فجعله على التراخي.

قال ابن عطية: وهذا استقراء فيه نظر. واختلف قول مالك ـ رحمه الله ـ فيمن يخرج إلى الحج على أن يسأل الناس جائياً وذاهباً، ممن ليست تلك عادته في إقامته.

فروى عنه ابن وهب أنه قال: لا بأس بذلك.

قيل له: فإن مات في الطريق قال: حسابه على الله.

وروى عنه ابن القاسم أنه قال: لا أرى للذين لا يجدون ما ينفقون أن يخرجوا إلى الحج والغزو ويسألون، وإني لأكره ذلك،

(١) بداية المجتهد (١/ ٢٣٣).

لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾[1].

قال ابن القاسم: وكره مالك أن يحج النساء في البحر، لأنها كشفة، وكره أن يحج أحد في البحر إلا مثل أهل الأندلس، الذين لا يجدون منه بدًّا.

وقال في كتاب محمد وغيره: قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾[2] وما أسمع للبحر ذكراً».

ويبدو أن ابن عطية لم يرتض كراهة مالك ركوب البحر، فقال: «وهذا تأنيس من مالك ـ رحمه الله ـ لسقوط لفظة البحر، وليس تقتضي الآية سقوط البحر» ثم ذكر حديثاً فيه بشارة من النبي ﷺ بركوب البحر للغزو في سبيل الله، ثم قال: «ولا فرق بين الغزو والحج»[3].

ففي هذا المثال تظهر إحاطة ابن عطية ـ رحمه الله ـ بالفقه المالكي، ومصادره ورجاله، ومعرفته بتعدد أقوال صاحب المذهب في المسألة الواحدة. ويظهر كذلك من خلال اعتراضه على كراهة الإمام مالك ـ رحمه الله ـ لركوب البحر في الحج ـ ولو من طرفٍ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٣) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

خفي - على تميزه، واجتهاده في الوصول إلى الصواب، ولو عن طريق مخالفة المذهب.

وأما ذكره لخلاف المذاهب فيظهر من خلال تعرُّضه لمسألة حج المرأة بدون محرم، إذ يقول: «ولا حجَّ على المرأة إلا إذا كان معها ذو محرم، واختلف إذا عدمته، هل يجب الحج بما هو في معناه من نساء ثقات يصطحبن في القافلة أو رجال ثقات؟ فقال الحسن البصري وإبراهيم النخعي وابن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو حنيفة وأصحابه: المحرم من السبيل، ولا حج عليها إلا مع ذي محرم.

وهذا وقوف مع لفظ الحديث.

وقال مالك: تخرج مع جماعة نساء.

وقال الشافعي: تخرج مع حرة ثقة مسلمة.

وقال ابن سيرين: تخرج مع رجل ثقة من المسلمين.

وقال الأوزاعي: تخرج مع قوم عدول، وتتخذ سلّماً تصعد عليه وتنزل، ولا يقربها رجل.

وهذه الأقوال راعت معنى الحديث»[1].

ويبدو أن ابن عطية لم يرد الانتصار لمذهبه المالكي في كل مسألة، لأنه يعلم أنه يكتب في مجال التفسير لا في مجال الفقه، وليس من وظيفة المفسّر الاستطراد والتطويل في ذكر الأحكام الفقهية أو

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٤).

الانتصار للمذهب، والردّ على المخالفين في مسائل الفقه، التي يعد أكثرها من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد.

ومع ذلك فابن عطية لا يألو جهداً في تضعيف ما يراه مخالفاً للنصوص من المذاهب الفقهية.

فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[1] ضعّف ابن عطية مذهب أهل الظاهر بقوله: «وأهل الظاهر يرون القصر في كل سفر يخرج عن الحاضرة، وهي من حيث تؤتى الجمعة، وهذا قول ضعيف»[2]. وهو بذلك يتشابه مع الراغب في تضعيف ما لا دليل عليه من الشرع أو العقل، غير أن حرية ابن عطية في الفكر والنظر كانت مقيدة بعض الشيء بمذهبه الفقهي، أما الراغب فلم يحدّ من حريته وانطلاقه شيء.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠١.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٢٣٢).

المبحث الثالث

مقارنة بين منهجي الراغب والبغوي في التفسير

يختلف منهج الإمام البغوي في تفسيره عن منهج الراغب في أنه أقرب إلى التفسير بالمأثور من تفسير الراغب، ولذلك فقد فضّله شيخ الإسلام ابن تيمية على غيره من التفاسير بعد تفسير الطبري، وذلك حين سئل ـ رحمه الله ـ عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة: الزمخشري أو القرطبي أم البغوي أم غير هؤلاء؟ فأجاب ـ رحمه الله ـ بأن أصح التفاسير التي في أيدي الناس تفسير محمد بن جرير الطبري، ثم قال: «وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة: البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك»[1].

فتفسير البغوي إذن يمتاز بسلامته من البدع، وخلوّه من الأحاديث الموضوعة، وندرة الأحاديث الضعيفة فيه، وقد وصفه الإمام الخازن في مقدمة تفسيره بأنه: «من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها، وأنبلها وأسناها، جامع للصحيح من الأقاويل، عارٍ عن الشبه والتصحيف والتبديل، محلّى بالأحاديث النبوية،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٤٠٤).

مطرّز بالأحكام الشرعية، موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة، مرصّع بأحسن الإشارات، مخرّج بأوضح العبارات، مفرّغ في قالب الجمال بأفصح مقال»[١].

أما إذا أردنا المقارنة بين منهج البغوي ومنهج الراغب في تفسيريهما، فيمكن ذلك من خلال المقارنات التالية:

أولاً: التفسير بالمأثور بين البغوي والراغب:

ذكرت أن تفسير البغوي أقرب إلى التفسير بالمأثور من تفسير الراغب، وذلك لأن البغوي كان يعتمد اعتماداً كليًّا على أركان التفسير بالمأثور في شرح آيات الكتاب العزيز، فكان يلجأ أولاً إلى القرآن، لأن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، ثم إلى السنة، ثم إلى أقوال الصحابة والتابعين، ولم يكن يستخدم الرأي في تفسير القرآن، أو يعارض التفاسير الواردة عن الصحابة والتابعين، فينفرد عنهم برأي جديد، وكذلك فإن سلامة معتقده وبخاصة في باب الأسماء والصفات جعلت لتفسيره منزلة رفيعة في أوساط علماء أهل السنة والجماعة.

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن:

أما لجوء البغوي إلى تفسير القرآن بالقرآن فشواهد ذلك كثيرة جدًّا:

فعند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣).

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[1] قال البغوي: «وإنما قال: ﴿هن أم الكتاب﴾ ولم يقل أمهات الكتاب، لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، وكلام الله واحد. وقيل معناه: كلّ آية منهن أم الكتاب، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[2] أي كل واحدٍ منهما آية»[3].

وفي الآية نفسها قام البغوي بدرء التعارض عن آيات الكتاب العزيز في باب المحكم والمتشابه عن طريق ذكر الآيات والتوفيق بينها، فقال: «فإن قيل: كيف فرّق ههنا بين المحكم والمتشابه، وقد جعل كلّ القرآن محكماً في موضع آخر، فقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[4]. وجعله كلّه متشابهاً في موضع آخر، فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[5]؟ قيل: حيث جعل الكل محكماً أراد أن الكلّ حق، ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن. وجعل هاهنا بعضه محكماً وبعضه متشابهاً»[6].

وطريقة البغوي في ذلك تشبه طريقة الراغب، الذي حرص على التوفيق بين أدلة الوحي ودفع أي شبهة توجب تعارضاً بينها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٣) معالم التنزيل (٢/ ٨).

(٤) سورة هود، الآية: ١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٦) معالم التنزيل (٢/ ٨).

وفي الآية نفسها فسر البغوي القرآن بالقرآن، فعند قوله تعالى: ﴿ابتغاء تأويله﴾ قال البغوي[1]: و﴿ابتغاء تأويله﴾: تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾[2].

فهذه أمثلة ثلاثة في آية واحدة لجأ فيها البغوي إلى الكتاب العزيز، لتوضيح معنى أو تفسير كلمة أو درء شبهة، مما يدل على عنايته بهذا الجانب في تفسير كلام الله تعالى.

٢ ـ القراءات:

تعرّض البغوي للقراءات من غير إسراف، وبخاصة إذا كانت القراءة الأخرى تؤثر في اختلاف المعنى، فكان يذكر القراءات، ويبيّن اختلاف المعنى والوجه الإعرابي تبعاً لذلك الاختلاف، وقد أوضح منهجه في مقدمة كتابه حيث قال: «وقد ذكرت في الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة، واختياراتهم على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المروزي ـ رحمه الله ـ تلاوة ورواية. قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي. قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية، وهم:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع.

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٠).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٨.

وأبو عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن المدنيان.
وأبو معبد عبدالله بن كثير الداري المكي.
وأبو عمران عبدالله بن عامر الشامي.
وأبو عمرو زبّان بن العلاء المازني.
وأبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصريان.
وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي.
وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات.
وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون».

ثم ذكر البغوي شيوخ هؤلاء من الصحابة والتابعين، ثم قال: «فذكرت قراءات هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها»[١].

ويتميّز منهج البغوي عن منهج الراغب في باب القراءات بعدم ذكره للقراءات الشاذة، والاكتفاء بما هو مجمع عليه، وكذلك بالنصّ على صاحب القراءة، ويتشابهان فيما سوى ذلك من ناحية الاقتصاد في ذكر القراءات، والاستفادة من ذكرها في التنبيه على اختلاف المعنى والإعراب وغير ذلك.

فعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾[٢] قال البغوي: «قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفاً على قوله: (ثم يقول) فيكون مردوداً على البشر.

(١) معالم التنزيل (١/ ٣٨).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم، فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير، وما لا يليق بحال التفسير»[1] . ولذلك فقد تميز منهجه عن الراغب بما يلي:

١ ـ أنه كان يذكر الأحاديث بأسانيدها رواية منه عن شيوخه إلى النبي ﷺ، وهذه فضيلة عظمى حُرِمَ منها الراغب وغيره ممن لا عناية لهم بالأسانيد.

٢ ـ أنه نزّه كتابه عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلك فضيلة أخرى عَرِيَ عنها تفسير الراغب، حيث لم يلتزم الراغب بذكر الصحيح والمقبول.

٣ ـ أنه اعتمد على الحديث في التفسير، ولم يتجاوزه إلى غيره إلا في حالة عدم وجود ما يصلح للرواية والاستشهاد.

٤ ـ أنه كان يذكر أحياناً بعض من خرج الحديث من أصحاب الكتب المشهورة كالبخاري ومسلم.

فعند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] روى البغوي عدة أحاديث بإسناده، فقال: أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن أبي حمزة، سمعت

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٣٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

زهدم بن مضرب، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، وقال: «**إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن**»(١).

وبهذا الإسناد عن علي بن الجعد، أخبرنا شعبة وأبو معاوية، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»(٢).

ثم ذكر البغوي وجهاً آخر في تفسير الآية، فقال: «وقيل: «للناس» صلة قوله: «أخرجت» معناه: ما أخرج الله للناس أمة خيراً من أمة محمد ﷺ» ثم روى بإسناده ما يدل على ذلك من الحديث الشريف، فقال: أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن حبيش المقري، أنا علي بن زنجويه، أخبرنا سلمة بن شبيب، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن بهز بن حكيم، عن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (٣٦٥٠) ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رقم (٢٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلًا» رقم (٣٦٧٣). ومسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رقم (٢٥٤٠).

أبيه، عن جده، أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال: «**إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله عز وجل**»[(١)].

ثم ذكر البغوي أربعة أحاديث أخرى بإسناده، تدور حول هذا المعنى[(٢)].

وعند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾[(٣)] روى في ذلك حديثاً، فقال: «أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالعزيز بن عبدالله، أنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشدّ القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد[(٤)].

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: أخبرنا محمد بن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم (٣٠٠١)، وقال: هذا حديث حسن. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ رقم (٤٢٨٨). والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٩٠، ٩١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا» رقم (٤٠٥٤) وفي اللباس، باب الثياب البيض رقم (٥٨٢٦). ورواه مسلم في الفضائل، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد رقم (٢٣٠٦).

بشر، وأبو أسامة، عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن سعد ـ يعني ـ ابن أبي وقاص قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني جبريل وميكائيل»[1].

٤ ـ أسباب النزول:

يعتبر اللجوء إلى أسباب النزول من أركان التفسير بالمأثور، فإذا كان سبب النزول وارداً عن النبي ﷺ فهو من جملة التفسير بالسنة، وإن كان وارداً عن الصحابة، فإما أن يأخذ حكم الرفع إذا كان لا مجال فيه للاجتهاد، أو يكون من باب التفسير بأقوال الصحابة والتابعين.

ولقد كانت عناية البغوي بأسباب النزول أكثر من الراغب، وتميز عنه بذكر الأسانيد أحياناً، وكذلك بكثرة الروايات في أسباب نزول الآية الواحدة، وكذلك بحرصه على إثبات كل ما ورد في أسباب النزول، وإن كانت الروايات في ذلك يعتريها الضعف من ناحية الإسناد.

فعند قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾[2].

قال البغوي: «قال مقاتل: أراد مشركي مكة...

(١) أخرجه مسلم في الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ رقم (٢٣٠٦).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

وقال بعضهم: المراد بهذه الآية: اليهود.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن يهود أهل المدينة قالوا لما هَزَمَ رسول الله ﷺ المشركين يوم بدر: هذا ـ والله ـ النبيُّ الذي بشرنا به موسى، لا تردُّ له راية، وأرادوا اتباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة له أخرى، فلما كان يوم أحد، ونكب أصحاب رسول الله ﷺ شكّوا، فغلب عليهم الشقاء، فلم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة ليستفزهم، فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية»(١).

فهذا السبب من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متَّهم، تركه ابن معين وابن مهدي، وقال ابن حبان: «وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، لا يحلّ الاحتجاج به»(٢).

ويبدو أن البغوي أورد أقوال الكلبي التي يشهد لها غيرها، ولم يجعله عمدةً في التفسير، وقد قال ابن عدي: «له غير ما ذكرت أحاديث صالحة، وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير،

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٢، ١٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٣/ ٥٧٠).

وليس لأحدٍ أطول من تفسيره، وحدّث عنه ثقات من الناس، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير»[١].

وقد دعم البغوي رواية الكلبي برواية أخرى قال: «وقال محمد بن إسحاق عن رجاله، ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أيضاً: أنه لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: «يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم، فقد عرفتم أني نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم» فقالوا: يا محمد! لا يغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، وإنا والله لو قاتلناك لعرفت أنّا نحن الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ ﴾[٢]. والمستفاد من ذلك هو اهتمام البغوي بذكر أسباب النزول، شأنه في ذلك شأن الراغب، إلا أنه امتاز عن الراغب بذكر مصدر الرواية، وإن كان لم يستطع التخلُّص من الروايات الضعيفة، لأن أغلب الروايات في ذلك ليس لها إسناد قائم.

٥ ـ أقوال الصحابة والتابعين:

وكعادة أصحاب التفسير بالمأثور اهتم البغوي بذكر أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وكانت عادته أن يبدأ بذكر أقوالهم

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ٥٧٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

ثم يستدل لها بما يسوقه من روايات عن النبي ﷺ، وهو بذلك يشير إلى أن أقوال هؤلاء في التفسير لا تخرج عما جاء عن النبي ﷺ في السنة الصحيحة.

وقد امتاز منهج البغوي عن منهج الراغب في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين من جهة أنه روى هذه الأقوال من حفظه مسندة إلى أصحابها، ومع أنه حذف الأسانيد في تفسيره، إلا أنه ذكرها في مقدمة كتابه، حيث قال: «وما نقلت فيه من التفسير عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - حبر هذه الأمة، ومن بعده من التابعين وأئمة السلف مثل مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتادة وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم والكلبي، والضحاك، ومقاتل بن حيّان، ومقاتل بن سليمان، والسُّدّي، وغيرهم، فأكثرها مما أخبرنا به الشيخ أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي، فيما قرأته عليه، عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله».

ثم عدَّد البغوي أسانيد أبي إسحاق الثعلبي إلى هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم، ثم قال: «فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة، وهي مسموعة من طرق سواها، تركت ذكرها حذراً من الإطالة، وربما حكيت عنهم وعن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد، بل أذكر أسانيد بعضها في موضعه

من الكتاب إن شاء الله تعالى»[1].

وللاستشهاد على اهتمام البغوي بذكر أقوال الصحابة والتابعين في التفسير نورد على ذلك بعض الأمثلة.

١ - عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾[2] قال البغوي: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: جمع قنطار. واختلفوا فيه، فقال الربيع بن أنس: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض. وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه -: القنطار: ألف ومائتا أوقية. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - والضحاك: ألف ومائتا مثقال. وعنهما رواية أخرى: اثنا عشر ألف درهم، وألف دينار دية أحدكم.

وعن الحسن: القنطار: دية أحدكم.

وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مائة ألف، ومائة منٍّ، ومائة رطل، ومائة مثقال، ومائة درهم.

وقال سعيد بن المسيب وقتادة: ثمانون ألفاً.

وقال مجاهد: سبعون ألفاً.

وعن السدي: أربعة آلاف مثقال.

وقال الحكم: القنطار: ما بين السماء والأرض من مال.

وقال أبو نضرة: ملء مَسْكِ ثور ذهباً أو فضة.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ قال الضحاك: المحصنة المحكمة.

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٣٤-٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

وقال قتادة: هي الكثيرة المنضدة، بعضها فوق بعض.

وقال يمان: المدفونة.

وقال السُّدِّي: المضروبة المنقوشة، حتى صارت دراهم ودنانير، ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الخيل جمع لا واحد له من لفظه، واحدها فرس، كالقوم والنساء ونحوهما. (المسوَّمة) قال مجاهد: المطهمة الحسان.

وقال عكرمة: تسويمها حسنها.

وقال سعيد بن جبير: هي الراعية.

وقال الحسن وأبو عبيدة: هي المعلّمة من السيماء، والسيماء: العلامة.

ثم منهم من قال: سيماها: الشبه واللون، وهو قول قتادة.

وقيل: الكي»[1]. وهنا يبدو واضحاً ـ بعد ذكر هذه الأمثلة ـ فرق مهم بين الراغب والبغوي في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وهو أن الراغب كان كثيراً ما يرجح بين هذه الأقوال، ويختار الراجح عنده منها، أما البغوي فلم يكن يفعل ذلك في الغالب، بل كان يكتفي بذكر الأقوال دون الترجيح بينها.

ثانياً: اللغة والنحو بين البغوي والراغب:

لم يحفل تفسير البغوي بمزيد اهتمام بقضايا اللغة والنحو،

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٥).

التي اهتم بها المفسرون للقرآن بالرأي الجائز: كالراغب وابن عطية وغيرهما، ومع ذلك فقد تعرّض البغوي لبعض المسائل اللغوية والوجوه الإعرابية، وذكر بعض أقوال أهل اللغة في ثنايا كتابه، ولكنه لم يشر إلى منهجه في ذلك في مقدمة كتابه كما فعل مع أركان التفسير بالمأثور.

ولا شك أن الراغب الأصفهاني أطول يداً وأكثر باعاً من البغوي في هذا الباب، إلا أن طبيعة تفسير كل منهما، ومنهجه تحتم على أحدهما الاهتمام الزائد بقضايا اللغة والنحو، وتحتم على الآخر عدم الإكثار من ذلك.

فمن الإشارات النحوية التي أوردها البغوي في تفسيره:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾[١] قال البغوي: «ومحل (أن) رفع على إضمار (هي). وقال الزجاج: رفع بالابتداء. وقيل: محله نصب بنزع حرف الصفة، معناه: بأن لا نعبد إلا الله.

وقيل: محله خفض بدلاً من الكلمة، أي تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله»[٢].

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾[٣] قال البغوي: «نصب على القطع، قاله الكسائي. وقال المبرد: مصدر أي لأثيبنهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) معالم التنزيل (٢/ ٥٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

ثواباً»[1].

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[2] قال البغوي: نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم كتاب الله. وقيل: نصب على الإغراء. أي: الزموا كتاب الله عليكم»[3].

أما ذكره أقوال أهل اللغة، فقد ذكر في الأمثلة السابقة أقوالاً إعرابية للزّجاج والكسائي والمبرّد، وذكر لهم أقوالاً في التفسير، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾[4] فقد ذكر قول الفرَّاء في معنى (المقنطرة) قال: «وقال الفرَّاء: المضعَّفة».

وذكر قول أبي عبيدة في معنى (المسوَّمة) قال: «هي المعلّمة»[5].

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ذكر قول المؤرج، قال: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوبية. كان في الأصل ربيٌّ، فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني.

وذكر قول المبرّد قال: هم أرباب العلم، سُمّوا به لأنهم يربون

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٥٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) معالم التنزيل (٢/ ١٩٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٥) معالم التنزيل (٢/ ١٥).

العلم، ويقومون به، ويُربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها. وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربَّه يربُّه، واحدها: (ربّان) كما قالوا: ريّان وعطشان وشبعان وعريان، ثم ضمت إليه ياء النسبة، كما قالوا: لحياني ورقباني»[1]. فهذه الإشارات اللغوية السابقة وإن كانت قليلة في تفسير البغوي مقارنة بتفسير الراغب، إلا أنها تدل على أهمية هذا الجانب اللغوي في تفسير كلام الباري تعالى، ووجوب معرفة المفسّر لقواعد وأحكام اللغة، التي نزل بها القرآن، وأهمية معرفة آراء اللغويين وأقوالهم في التفسير والإعراب.

ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين البغوي والراغب:

أما مسائل الاعتقاد فهي مختلفة التناوُل كذلك بين البغوي والراغب، فالبغوي من مدرسة أهل الحديث، الذين هم أئمة مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، والراغب من أهل الرأي، الذين يميلون إلى المذهب الأشعري، وبخاصة في مسائل الأسماء والصفات. ولذلك أوَّل الراغب بعض صفات الله تعالى، وأخرجها عن مدلولاتها الحقيقية، أما البغوي فقد أثبت هذه الصفات لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله سبحانه، فعند قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[2] قال: ويد الله صفة من صفاته كالسمع والبصر

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٦٠، ٦١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

والوجه، وقال جلّ ذكره: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»[2] والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السّلف من أهل السُّنَّة في هذه الصفات: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيف»[3].

وقد أوضح البغوي عقيدته في الأسماء والصفات في كتابه «شرح السُّنة»، وذلك عند كلامه على حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**» قالوا: يا رسول الله آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها**». قال البغوي: هذا حديث حسن[4]، وأخرجه مسلم[5] من رواية عبدالله بن عمرو رضي الله عنه... والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب والسُّنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك والفرح» ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسُّنة على هذه الصفات، ثم قال: «فهذه

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٧).

(٣) معالم التنزيل (٣/ ٧٧).

(٤) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، حديث رقم (٢١٤٠).

(٥) في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، حديث رقم (٢٦٥٤).

ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها، معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1] وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السُّنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم، فقال عز وجل: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[2].

وقال سفيان بن عيينة: كلّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عليه، ليس لأحدٍ أن يفسّره إلا الله عز وجل ورسله.

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[3] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً. وأمر به أن يخرج من المجلس.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقال:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

أمروها كما جاءت بلا كيف.

وقال الزهري: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

وقال بعض السلف: قدمُ الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم.

قال أبو العالية: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[1]: ارتفع فسوّى خلقهن.

وقال مجاهد: استوى: علا على العرش»[2].

رابعاً: مسائل الفقه بين البغوي والراغب:

يشبه المقال هنا ما قيل عند المقارنة بين الراغب وابن عطية، فالراغب لا ينتمي إلى مذهب فقهي معين، أما البغوي فهو من أئمة الشافعية الكبار، وقد ألف في الفقه كتاب «التهذيب» وهو من أجل كتب المذهب الشافعي.

وثقافة الراغب في الفقه ثقافة عامة غير متخصصة كما ذكرت، أما البغوي فثقافته الفقهية متخصصة، نظراً لإمامته في هذا الفن أيضاً.

ويتميز منهج البغوي عن منهج الراغب في تناول مسائل الفقه بذكر أدلة كل فريق يورد قوله، وقد ساعده على ذلك ثروته الحديثية الضخمة، التي كان يوظّفها ببراعة، لتكون خادماً له في مختلف مجالات المعرفة: كالتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٢) شرح السنة (١/ ١٦٥ ـ ١٧١).

ويتميَّز كذلك عن الراغب بالتوسُّع في ذكر المسائل الفقهية، التي يوردها في حين أن الراغب كان يجملها.

ومع هذا التخصُّص المذهبي لدى البغوي إلا أننا لا نلحظ أي تعصُّب للمذهب عند ذكر الخلاف بين المذاهب، بل كان في الغالب يذكر الخلاف دون ترجيح قول على قول، إلا أنه كان يبدأ دائماً بذكر مذهبه، ثم يقول: وعند مالك كذا باختصار، أو: وعند أبي حنيفة كذا باختصار.

فعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] قال البغوي: «والاستطاعة نوعان: أحدهما: أن يكون مستطيعاً بنفسه. والآخر أن يكون مستطيعاً بغيره.

أما الاستطاعة بنفسه؛ أن يكون قادراً بنفسه على الذهاب، ووجد الزاد والراحلة» ثم ساق بسنده عن محمد بن عباد بن جعفر، قال: قعدنا إلى عبدالله بن عمر فسمعته يقول: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ما الحاجّ؟ قال: «**الشعث التفل**»، فقام رجل آخر، فقال: يا رسول الله أيُّ الحج أفضل؟ قال: «**العجُّ والثجُّ**»، فقام رجل آخر، فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «**زادٌ وراحلة**»[2].

وتفصيله أن يجد راحلة تصلح لمثله، ووجد الزاد للذهاب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٩٩٨) كتاب التفسير (سورة آل عمران). وابن ماجه رقم (٢٨٩٦) كتاب المناسك، والدارقطني (٢/ ٢١٧) كتاب الحج. والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٤). وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم ابن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه». وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٢١): طرقه كلها ضعيفة.

والرجوع، فاضلاً عن نفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه، وعن ديْنٍ يكون عليه، ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت، فإن خرجوا قبله أو أخروا الخروج إلى وقت لا يصلون إلا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج في ذلك الوقت، ويشترط أن يكون الطريق آمناً، فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب شيئاً لا يلزمه، ويشترط أن تكون المنازل المأهولة معمورة، يجد فيها الزاد والماء، فإن كان زمان جدوبة تفـرَّق أهلها أو غارت مياهها، فلا يلزمه ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي، أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج، ويستحب لو فعل، وعند مالك يلزمه.

أما الاستطاعة بالغير هو: أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه، بأن كان زَمِناً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكّنه أن يستأجر من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر، أو لم يكن له مال لكن بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صِدقَه، لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة، ويقال في العرف: فلان مستطيع لبناء دار وإن كان لا يفعله بنفسه، إنما يفعله بماله أو بأعوانه.

وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة، وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال.

وحجة من أوجبه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سليمان بن يسار، عن عبدالله بن عباس، أنه قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم[(١)]»[(٢)].

وعند قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[(٣)] ذكر البغوي بعض المسائل الفقهية على طريقته التي أشرت إليها، ومن ذلك أنه قال: واعلم أن الله تعالى علّق زوال الحَجْرِ عن الصغير، وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرّشد، فالبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة: اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء، واثنان تختصان بالنساء: فما يشترك فيه الرجال والنساء أحدهما: السن، والثاني: الاحتلام، أما السن فإذا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم (١٥١٣)، وفي كتاب جزاء الصيد، باب الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة رقم (١٨٥٤). وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة رقم (١٣٣٤).

(٢) معالم التنزيل (٢/ ٧٢ ـ ٧٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦.

استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاماً كان أو جارية، لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عُيينة عن عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عُرِضْتُ على رسول الله ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فردني، ثم عُرِضْتُ عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني(١)، قال نافع: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبدالعزيز، فقال: هذا فرق بين المقاتلة والذرية، وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة، ومن لم يبلغها في الذرية، وهذا قول أكثر أهل العلم.

وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة، وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة.

وأما الاحتلام: فنعني به نزول المني، سواء كان بالاحتلام أو بالجماع، أو غيرهما، فإذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان. حُكم ببلوغه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ وقال النبي ﷺ لمعاذ في الجزية حين بعثه إلى اليمن: «خذ من كل حالم ديناراً»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم رقم (٢٦٦٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ رقم (١٨٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب في زكاة السائمة رقم (١٥٧٦)، والترمذي في الزكاة، باب ما جاء في زكاة البقر، رقم (٦٢٣) وقال الترمذي: حديث حسن. وأخرجه النسائي في=

وأما الإنبات، وهو نبات الشعر الخشن حول الفرج: فهو بلوغ في أولاد المشركين، لما رُوي عن عطية القرظي قال: كنت من سبي قريظة، فكانوا ينظرون، فمن أنبت الشعر قُتل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت ممن لم ينبت(١).

وهل يكون ذلك بلوغاً في أولاد المسلمين؟ فيه قولان، أحدهما: يكون بلوغاً كما في أولاد الكفار، والثاني: لا يكون بلوغاً، لأنه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع إلى آبائهم، وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم، ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم، فجعل الإنبات الذي هو أمارة البلوغ بلوغاً في حقهم.

وأما ما يختص بالنساء: فالحيض والحَبَل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يُحكم ببلوغها، وكذلك إذا وَلَدَتْ يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر، لأنها أقل مدة الحمل.

وأما الرّشد: فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله، فالصلاح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبذراً، والتبذير: هو أن

= الزكاة، باب زكاة البقر (٥/ ٢٦)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣٠، ٢٣٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٩٨) وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب الغلام يصيب الحدّ، رقم (٤٤٠٤)، والترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في النزول على الحكم، رقم (١٥٨٤)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الحدود، باب من لم يجب عليه الحد رقم (٢٥٤١)، وأحمد في المسند (٤/ ٣١٠).

ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يُحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع، فإذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله، دام الحجر عليه، ولا يدفع إليه ماله ولا ينفذ تصرفه.

وعند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ إذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه، وإن كان مفسداً في دينه، وإذا كان مفسداً لماله قال: لا يدفع إليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة، غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله. والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه، لأن الله تعالى قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[1]، أمر بدفع المال إليهم بعد البلوغ وإيناس الرشد، والفاسق لا يكون رشيداً وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة، وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد، فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن.

وإذا بلغ وأونس منه الرشد، زال الحجر عنه، ودفع إليه المال رجلًا كان أو امرأة، تزوج أو لم يتزوج.

وعند مالك رحمه الله تعالى: إن كانت امرأة لا يُدفع المال إليها ما لم تتزوج، فإذا تزوجت دُفِعَ إليها، ولكن لا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج، ما لم تكبر وتُجرّب.

فإذا بلغ الصبي رشيداً وزال الحجر عنه ثم عاد سفيهاً، نظر: فإن عاد مبذراً لماله حجر عليه، وإن عاد مفسداً في دينه فعلى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

وجهين: أحدهما: يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه إذا بلغ بهذه الصفة، والثاني: لا يعاد، لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء.

وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال، والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبدالله بن جعفر ابتاع أرضاً سبخة بستين ألف درهم، فقال علي: لآتين عثمان فلأحجرن عليك. فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك، فقال الزبير: أنا شريكك في بيعتك، فأتى علي عثمان وقال: احجر على هذا، فقال الزبير: أنا شريكه، فقال عثمان: كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير، فكان ذلك اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه[1].

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٧).

المطلب الخامس

النسخ الخطيّة وتوصيفها

على الرغم من ذكر كتب فهارس المخطوطات نسخاً متعددة لتفسير الراغب الأصفهاني، إلا أن الباحث توصل بعد الاطلاع والتدقيق إلى أن النسخ الخطيّة لتفسير الراغب يمكن حصرها فيما يلي:

١ - نسخة مكتبة «ولي الدين جار الله» وتحمل رقم (٨٤) ضمن مخطوطات المكتبة السليمانية باستانبول. وتقع في (٣٥٦) ورقة ومسطرتها (٢١) سطراً، بخط نسخي جيد، ومقروء من بدايتها وحتى الورقة رقم (٢٢٩) بداية من تفسير الآية (٨٨) من سورة آل عمران، حيث يصبح عدد الأسطر (٢٧) مع تكبير حجم الآيات عن تفسيرها، حتى الورقة رقم (٢٧٣) وبعد ذلك يعود عدد الأسطر إلى (٢١) سطراً ابتداءً من تفسيره للآية رقم (٦٣) من سورة النساء، وحتى نهاية المخطوط بتفسيره للآية الأخيرة من سورة المائدة. وجاء بخط الناسخ في آخر ورقة منها: «رأيت فيه بحاراً، أمواجها تتلاطم، وأفواجاً فوائدها تتصادم، وأودعت سمعي من دقائق معانيه الرائقة ما أنساني سماع الأغاني من المطربات الغواني».

وهناك نقش على الورقة رقم (٣٥٥) جاء فيه: «وقف هذا الكتاب أبو عبدالله ولي الدين جار الله بشرط أن لا يخرج من خزينة جامع السلطان محمد القسطنطينيّة».

وتبدأ هذه النسخة من تفسيره للبسملة في أوّل سورة الفاتحة،

حيث نفتقد مقدمة الراغب لتفسيره، وتبدأ هذه النسخة بقوله: «فإذا قولك: زيد حسن. لفظ مشترك يصح أن يُعنى به: أن هذا اللفظ حسن، وأن يُعنى به أن المسمى به حسن».

ويوجد مصورة (ميكروفيلميّة) من هذه النسخة في مكتبة (معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة تحمل رقم ٩٨ تفسير، وفي الملاحظات التي سبقت هذه النسخة المصورة كتب بأنها نسخت في القرن السادس. ورغم عدم وجود نص على تاريخ النسخ، إلا أن جملة من القرائن دفعت بعثة المعهد إلى تدوين هذا التأريخ المتوقع للنسخ، مثل عدم انتظام اللحق في آخر كل ورقة، بل يوجد أحياناً، ويفقد أحياناً أخرى في حين أن انتظام اللحق قد تعارف عليه النساخ منذ القرن الثامن الهجري، كما أن شكل الحروف وطريقة كتابتها ـ ولاسيما في الآيات ـ يؤكد ما توصلت إليه بعثة المعهد من تحديد تاريخ النسخ بالقرن السادس الهجري.

ويوجد من هذه النسخة مصورة (ميكرو فيلميّة) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ١١١٤، وعنوان: «الدرر والتأويل في مصابيح التنزيل»، وقد ورد ذكر هذه المصورة الميكروفيلمية في فهرس علوم القرآن في إصدارات جامعة أم القرى عام ١٤٠٦هـ (٢/ ١٥٦)، وتتطابق هذه النسخة ذات الرقم (٨٤) ولي الدين جار الله، مع بقيّة النسخ الأخرى، التي جاء النص فيها على أنها من إملاء الراغب الأصفهاني. والله أعلم.

٢- نسخة تحمل رقم (٢١٢) أيا صوفيا بجامع السليمانية

باستانبول. وتحمل اسم «جامع التفسير» وتقع في (١٦٠) ورقة، ومسطرتها (٢٥) سطراً بخط نسخي جميل، وبدايتها: «الحمد لله على آلائه» وفي أولها النص على نسبة الكتاب للراغب: «قال أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء إن نفّس الله في العمر، ووقانا نوب الدهر، وهو المرجو أن يسعفنا بالأمرين: أن نبيّـن من تفسير القرآن وتأويله نكتاً بارعة» وعلى الورقة الأولى كُتب: «القطعة الأولى من تفسير الإمام أبي القاسم الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى».

وتنتهي هذه النسخة بنهاية تفسيره للآية رقم (٢٢٣) من سورة البقرة ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية.

٣- نسخة تحمل الرقم (١٧١) أيا صوفيا بجامع السليمانية استانبول. وتقع في (٦٩) ورقة ومسطرتها (١٥) سطراً، بخطٍّ فارسي واضح، وعنوانها «تفسير القرآن» وفي الصفحة الأولى كتب «تفسير الراغب الأصفهاني على سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة» وتبتدئ بـ: «الحمد لله على آلائه..» وجاء فيها النص على تأليف الراغب لها «قال الشيخ أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء...».

٤- نسخة تحمل رقم (٦٩) فيض الله أفندي باستانبول، وتقع في (١٦٠) ورقة ومسطرتها (   ) سطراً، بخط رائق جميل، يبدو أنه متأخر.. ويظهر أنها منسوخة عن المخطوط رقم (٢١٢) أيا صوفيا المشار إليه آنفاً. للتطابق التام بينهما في البداية والنهاية، حيث تنتهي بنهاية تفسيره لقوله تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ الآية ٢٢٣ من سورة البقرة.

وفي الورقة الأولى منها النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني «قال الشيخ أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء. . . ».

٥- نسخة برقم(١٦١٦) طوبقبواي سراي[١] وتقع في (٦٧) ورقة، ومسطرتها (١٩) سطراً، وعدد الكلمات في السطر ما بين ٥-٧ كلمات فقط بخط فارسي جميل، يظهر الاعتناء به، وعنوانها: «النكات القرآنية» وقد جاءفي أولها النسبة الصريحة للراغب «قال الشيخ أبو القاسم: القصد في هذا الإملاء. . . » وتشتمل هذه النسخة على مقدمة التفسير للراغب، وتفسيره لسورة الفاتحة وللآيات الخمس الأولى من سورة البقرة حتى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ سورة البقرة الآية الخامسة.

ويُلاحظ التطابق التام بين هذه النسخ الخمس فيما يتعلق بالأجزاء المشتركة فيما بينها، ففي حين نجد نسخة «ولي الدين جار الله» (٨٤) تتطابق مع نسختي أيا صوفيا ذات الرقم(٢١٢) ونسخة فيض الله أفندي ذات الرقم (٦٩) من بدايتها وحتى الآية (٢٢٣) من سورة البقرة، ونجد كذلك أنها تتطابق مع الجزء اليسير المشترك بينها وبين نسخة أيا صوفيا ذات الرقم (١٧٢) ونسخة طوبقبواي سراي ذات الرقم (١٦١٦)، والمشتمل على تفسير سورة الفاتحة والآيات الخمس الأوّل من سورة البقرة.

---

(١) وقد قام الدكتور أحمد حسن فرحات بتحقيقها ونشرها بعنوان «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة» وصدر الكتاب عن دار الدعوة بالكويت عام ١٤٠٥هـ.

وتنفرد نسخة «ولي الدين جار الله» بتفسير الراغب الأصفهاني للآية ٢٢٤ من سورة البقرة وما بعدها حتى نهاية سورة المائدة.

نسخ أخرى نُسبت للراغب، وليست له:

١ - نسخة مكتبة كوبرلي وزير برقم (١٠٠)، وقد ذكرها الدكتور رمضان ششن في فهرسه لمخطوطات مكتبة كوبرلي وزير، وألحق مع الدلالة على مكانها البيانات التالية: (الجزء الأول من تفسير القرآن الكريم، النسخة المفصلة، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني..) وآخره ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ سورة البقرة، آية (٢٢٥) وجاء في قيد الفراغ منه: «تم الجزء الأوّل.. وكان ذلك في عاشر رجب سنة أربع وثلاثين وستمائة خدمة أقل عبيد الله محمد بن موسى الأموى».

وقد تمكَّنت من الحصول على صورة من هذه النسخة المخطوطة من تركيا بعد جهود كبيرة، وبعد الاطلاع عليها تبيّن لي أنها لا تمتّ إلى تفسير الراغب الأصفهاني بصلة، فهي تختلف اختلافاً جذريًّا مع سائر النسخ الأخرى لتفسير الراغب في كلماتها وجُملها ومنهج صاحبها في التفسير.

كما أنني قارنت بين مواضع متعددة منها وبين ما يماثلها في «المفردات» للراغب الأصفهاني فلم أجد أي تقارب بينهما بعكس النسخ الأخرى الثابتة الشبه للراغب، التي تتطابق فيما بينها وتتحد العبارة بينها وبين عبارة الراغب في «المفردات».

٢- نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله، ذات الرقم(٨٦) ويوجد منها مصوة (ميكروفيلمية) بمكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة بالقاهرة وتحمل الرقم(٩٩) تفسير، ومصورة (ميكروفيلمية) أخرى في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (١١١٥).

وتبدأ هذه النسخة من أول سورة يوسف، وتنتهي بنهاية سورة الأحزاب، والصحيح أنها ليست للراغب الأصفهاني، بل لعالم أصفهاني آخر، وهو شمس الدين محمود بن أبي القاسم الأصفهاني، المتوفى سنة ٧٤٩هـ، وهي قطعة من تفسيره: «أنوار الحقائق الربانيّة»[١] وقد جاء في آخر تفسيره لسورة يوسف ما نصّه:

«فرغ من تأليف تفسير سورة يوسف عليه السلام وقت العصر من يوم الأربعاء ثاني عشر من شهر شوّال سنة ست وأربعين وسبعمائة، العبد الضعيف المفتقر إلى ربه اللطيف محمود بن أبي القاسم بن أحمد الشافعي الأصفهاني».

٣- نسخة مكتبة يوسف أغا بمدينة قونيه بتركيا، وتقع في (٢٥٩) ورقة نُسخت سنة (٦٨٥هـ). وحينما كنت أهم بطلبها للاطلاع عليها إذ بي أعثر على كتابة لأحد الباحثين الذين اطلعوا عليها قال فيها:

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٧٠).

«نسبت بعض المصادر للراغب مخطوطاً في التفسير، يوجد في مكتبة يوسف أغا تحت رقم(١٩) وقد سافرت للاطلاع على هذا المخطوط، فوجدت أنه ليس للراغب الأصفهاني، وهو تفسير يحتوي على النصف الأوّل من القرآن الكريم»[١].

٤- نسخة المكتبة القادريّة ببغداد، أو ذات الرقم (٦٠) تحت اسم «جامع التفاسير» وقد ذكرها الأستاذ عماد عبدالسلام في الآثار الخطيّة في المكتبة القادريّة (١/ ٨٦) وقد اطلع عليها أحد الباحثين ثم كتب الملاحظة التالية:

«وهي نسخة حسنة مكتوبة بخط نسخي دقيق، ترقى إلى القرن الثاني عشر، ولكن عند المقابلة تبيّن لي أنها لا تخص الراغب لا من قريب ولا من بعيد»[٢].

٥- نسخة مصورة في المكتبة المركزيّة لجامعة بغداد، وتشتمل على تفسير الآيات من أوّل سورة (المؤمنون) وتقع في (٢٢٤)، ولكن لم يتم العثور عليها، ووجد مكانها فارغاً، طبقاً لما قاله الباحث: محمد إقبال فرحات[٣].

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، للباحث شلواح اللويحق المطيري، ص (٢٠١).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير، للباحث محمد إقبال أحمد فرحات، ص (٣٣).

(٣) المصدر السابق، ص (٣٣).

٦- نسخة مكتبة فيض الله أفندي رقم (٦٢) و(٦٣) وقد جاء ذكرها في الفهرس الشامل للتراث الصادر عن مؤسسة آل البيت بالأردن (١/ ١٢٥) ولكن اتضح بالاطلاع عليها عدم صحة نسبتها إلى الراغب الأصفهاني، واختلافها كليّاً عن النسخ التي ثبتت نسبتها إليه.

٧- نسخة مكتبة الحرم المكي ذات الرقم (١٣٧) تفسير. وقد ذكرها لي أحد الباحثين[١] فسارعت بطلبها من أخي الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم إمام وخطيب الحرم المكي، فبادر مشكوراً بإحضارها لي فإذا بها نسخة خطيّة لكتاب «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني وتقع في (٢٩٤) ورقة، وتاريخ نسخها متأخر، إذ يرجع إلى سنة ١١٩٤هـ.

***

(١) الأستاذ علي بن عبدالعزيز الشبل المحاضر بكلية أصول الدين بالرياض.

صور لنماذج من مخطوطات
تفسير الراغب الأصفهاني

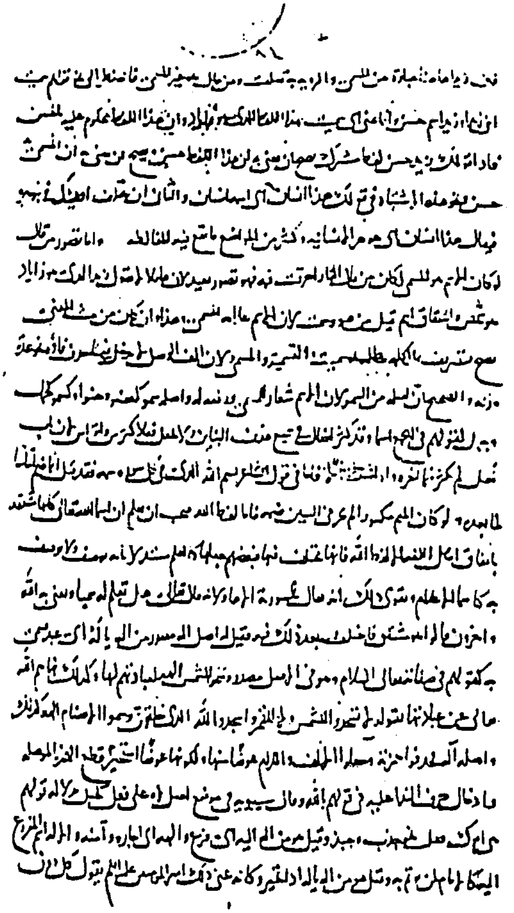

صورة للصفحة الأولى من نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله ٨٤

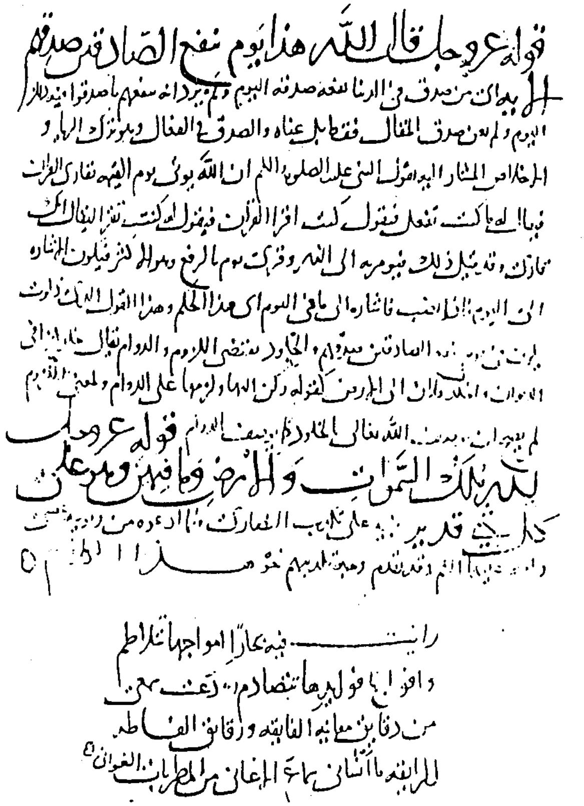

قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

قوله عز وجل لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

صورة للصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله ٨٤

سورة آل عمران
بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل
من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان

صورة لبداية تفسير سورة آل
عمران (بداية القسم المحقق)
من نسخة مكتبة ولي الدين
جار الله رقم ٨٤

وإثما مبينا
قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما
يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما

صورة للورقة الأخيرة من
القسم المحقق من نسخة
مكتبة ولي الدين جار الله
رقم ٨٤

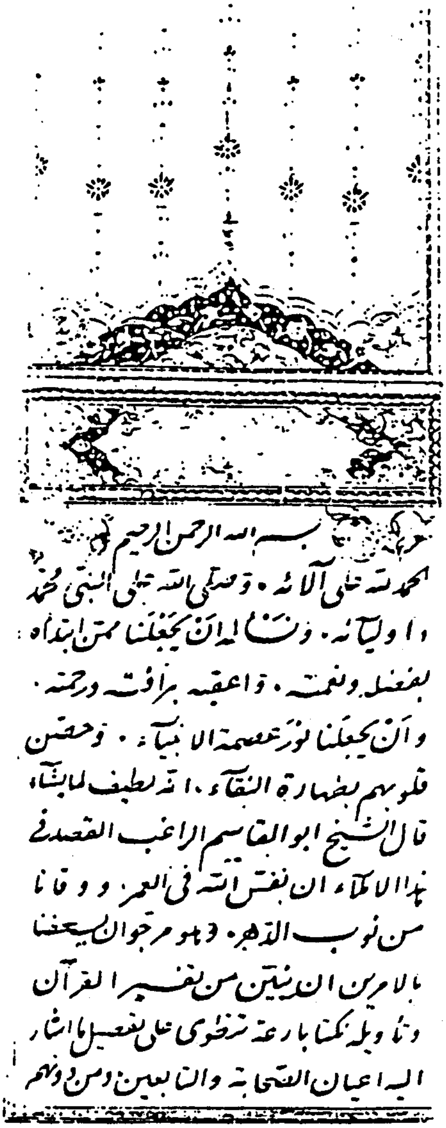

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على آلائه . وصلى الله على النبي محمد
وأوليائه . ونسأله أن يجعلنا ممن ابتداه
بفضل ونعمته . وأعقبه برأفته ورحمته .
وأن يجعلنا نور عصمة الأنبياء . وحصن
قلوبهم بطهارة النقاء . انه لطيف لما يشاء .
قال الشيخ أبو القاسم الراغب القصد في
هذا الإملاء أن نفس الله في العمر . ووقانا
من نوب الدهر . وهو مرجو أن يسعفنا
بالأمرين أن نبين من تفسير القرآن
وتأويله نكتا بارعة تنطوي على تفصيل ما أشار
إليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونهم

صورة للصفحة الأولى من
نسخة مكتبة : آياصوفيا
رقم ١٧١

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على آلائه وصلى الله على النبي محمد وأوليائه ونسأله أن
يجعلنا ممن ابتداه بفضله ونعمته وأعقبه برأفته ورحمته وأن يجعلنا ممن
عليه نور عصمة الأنبياء وحصن قلوبهم بطهارة النقاء انه لطيف
لما يشاء قال الشيخ أبو القسم الراغب رحمه الله تعالى القصد
في هذا الإملاء ان نفس الله في العمر ووقانا من نوب الدهر وهو مرجو
ان يسعفنا بالأمرين ان نبين من تفسير القرآن وتأويله نكتا بارعة
تنطوي على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونهم
من السلف المتقدمين رحمهم الله بجملة ونبين [illegible] ما يكشف
عند السرو يلج به الصدر وفقنا الله لمرضاته برحمته وجعل سعينا مشكورا
وفعلنا في الدارين محمودا [illegible] يستجلب به التوفيق ومنتهاه
[illegible] لا بد من بيانها في صدر الكتاب فصل في بيان ما يقع به الاشتباه
من الكلام المفرد والمركب الكلام ضربان مفرد ومركب فالمفرد هو المسمى
بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحي يسمى بذلك
فأما بالوضع الأول فكله يسمى اسما ويحق ان صار ثلاثة أقسام لأن
الكلام إما أن يكون مخبرا عنه وهو الملقب بالاسم وإما خبرا
وهو الملقب بالفعل وإما رابطا بينهما وهو الملقب بالحرف [illegible] القسمة
لا تقتضي غير ذلك وما كان من الخبر نحو فاعل ومفعيل والنحويون
يسمونه اسما اعتبارا بأحكام لفظية لأنه يدخله ما يدخل الاسم
من التنوين والجر وحروفه والألف واللام ويخبر عنه والكوفيون

صورة للصفحة الأولى من نسخة:
مكتبة ايا صوفيا ٢١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه، وصلى الله على النبي محمد وآله وأوليائه
ونسأله أن يجعلنا ممن ابتداه بفضله ونعمه
واعتصم بالله ورحمته، وأن يجعلنا ممن سبق
عليه تبعاً عصمة الأنبياء، وحسّن قلوبهم بنعمة
النقاء، إنه لطيف لما يشاء. قال الشيخ أبو القاسم
الراغب: القصد في هذا الإملاء أن نفس الله
في العمر وكفانا من نوب الدهر، وهو مرجو
أن يستقفنا بالأمرين أن نبين من تفسير
القرآن وتأويله نكتاً بارعة تنطوي على تفصيل
ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين
ومن دونهم من السلف المتقدمين رحمهم الله

بجملة وتبيين من ذلك ما ينبئ عنه الشرع
ويشهد به العقل، وفقنا الله لمرضاته برحمته
وجعل سعينا مستوفاً له، وجعلنا في الدارين
محموداً. والمنتهى بحسب مبتدأ التوفيق ومنتهاه
فصل. مما لا بد من بيانها في مبتدأ الكتاب
فصل في بيان ما يقع فيه الاشتباه
من الكلام المفرد والمركب. الكلام ضربان
مفرد ومركب. فالمفرد المسمى بالاسم والفعل
والحرف، وذلك بالوضع الأول [illegible] حتى سمي
ذلك، فأما بالوضع الأول فكله يسمى اسماً
ولكن صار لكثرة اقسامه ثلاثة: أن الكلام إما أن
يكون مخبراً عنه وهو الملقب بالاسم، وإما خبراً
وهو الملقب بالفعل، وإما رابطاً بينهما وهو
الملقب بالحرف، هذه القسمة لا يقتضي غير ذلك
فما كان من الخبر [illegible] والنحويون
يسمونه اسماً اعتباراً بأخذ من لفظه لأنه يدخله
ما يدخل الأسماء من التنوين والجر وحرف
الألف واللام ويخبر عنه [illegible] يسمونه
الفعل الدائم، أما الفعل فاعتباراً بالمعنى وهو

صورة للصفحة الأولى من
نسخة مكتبة : طوبقبواي
سراي رقم ١٦١٦

ثانيا : قسم التحقيق

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ * اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[1].

الأصل في حروف التهجي السكون[2]، وكان حكم الميم حكم غيره لكن حُرِّك لالتقاء الساكنين، وفُتِح استثقالاً للكسرة فيه من أجل الياء قبله[3]، ومن قال: إنما فُتِحَ لأنه أُلقِيَ عليه حركة الهمزة[4] فخطأ؛ لأن هذه الهمزة تسقط في الدَّرْج إلا في قولهم: يا ألله، والهمزة التي تُلقى حركتها على ما قبلها هي

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١-٤.

(٢) انظر: كتاب سيبويه (٣/ ٢٦٥)، والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٤٠).

(٣) انظر: كتاب سيبويه (٤/ ١٥٤)، والحجة (٢/ ٣٤٠)، وكشف المشكلات لجامع العلوم الأصبهاني (١/ ٢٠٩).

(٤) القائل هو الفرَّاء كما في معاني القرآن (١/ ٩) وحكاه عنه جامع العلوم الأصبهاني في كشف المشكلات (١/ ٢٠٩)، ونسبه النحاس إلى الكسائي، ودافع الزمخشري عن هذا القول. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٣- ٣٥٤)، والكشاف للزمخشري (١/ ٣٣٥).

الثابتة في الوصل والوقف، نحـو: مَنَ ابـوك؟ إذا قلت: منْ أَبوك؟[1].

وَرُوِيَ عن عاصم[2] وغيره[3] سكونُ الميم وقطعُ الألف[4]، وليس ذلك بصحيح عند النحويين، لكون الألف فيه للوصل[5]، وأما موضع إعراب ﴿الٓمٓ﴾ فمبتدأ وخبره مضمر، أو خبرٌ مبتدؤه

---

(١) انظر: الحجة (٢/ ٣٤١)، وكشف المشكلات (١/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) عاصم: ابن بَهْدَلة بن أبي النَّجُود الأسدي مولاهم الكوفي، أبو بكر المقرئ، صدوق له أوهام، حجة في القراءات، وحديثه في الصحيحين مقرون، من السادسة، توفي سنة ١٢٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص (٢٨٥).

(٣) كالأعشى والبرجمي والرؤاسي. انظر: المبسوط في القراءات العشر، ص (١٤٠) والغاية في القراءات العشر ص (٢٠٨) كلاهما لابن مهران الأصبهاني. والبحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٨٩).

(٤) انظر: الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن علي الشيرازي (١/ ٣٦٠)، والمبسوط ص (١٤٠). ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٣). وقال ابن مجاهد: والمعروف عن عاصم ﴿الٓمٓ * اللَّهُ﴾ موصولة. وحفص عن عاصم ﴿المَ * اللَّهُ﴾ مفتوحة الميم غير مهموزة الألف. انظر السبعة ص (٢٠٠) وقال الزّجّاج: والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عيّاش وأبي عمرو فتح الميم. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٣).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٠٧-٣٠٨). ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٩).

مضمر، ودلَّ على المحذوف منه قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[1] فصار كقوله: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وقال بعضهم: ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ وخبره ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[2]، ونسب تعالى التنزيل إلى الحروف، تنبيهاً أنه منها، وأن عجزَكُمْ عن الإِتيان بمثله[3] دلالة لكم أنه كلام الله دون كلام الخلق. وقد تقدَّم أن أهل اللغة قالوا: الكتاب سُمِّيَ لكتب الحروف بعضها إلى بعض، أي ضمُّها. وقيل: سُمِّيَ المعنى الثابت كتاباً تشبيهاً بالمكتوب[4]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٦). والبحر المحيط (٢/ ٣٩١).

(٢) ذكر العكبري ثلاثة أوجه في إعراب قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ أحدها: الجر على القسم. والثاني النصب. والوجه الثالث «موضعها رفع بأنها مبتدأ وما بعدها الخبر». وهو ما أشار إليه الراغب، انظر: إملاء ما منّ به الرحمٰن (١/ ١٠). وقد ذكر النحاس هذا الوجه وهو الرفع واقتصر عليه، انظر إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٤) وانظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب (١/ ١٤٨)، والبحر المحيط لأبي حيّان (٢/ ٣٩٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٦).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (١/ ٢٠٩).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص (٦٩٨) وما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في تفسيره ق (١١ مخطوط).

[١٩٦/أ] ﴿كِتَبٍ﴾[(١)]، ويقال: لكل مُوجَبٍ كتاب[(٢)]. /

ورُوي أنه نزل ذلك في وفد نجران[(٣)] الذين أتوا النبي ﷺ[(٤)]، فخاصموا في عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال النبي ﷺ: «ألستم تعلمون أن الله حيٌّ لا يموت، وأن عيسى يموت، وأن الله لا يخفى عليه شيء، وقد كان عيسى يخفى عليه أشياء، وأن عيسى صُوِّر في الرحم كيف شاء الله؟» - نبههم بذلك أنه لا يصحّ أن يكون عيسى مع كونه بهذه الصفات إلـٰهاً - فأنزل الله تعالى الآية[(٥)].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٢) انظر: العين للخليل بن أحمد (٥/ ٣٤١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٥٨ - ١٥٩) والمفردات ص (٦٩٩ - ٧٠٢).

(٣) نجران: مدينة بالحجاز من شق اليمن، سميت بنجران بن زيد بن يشجب ابن يعرب وهو أول من نزلها. وتقع جنوب المملكة العربية السعودية على مسافة (٩١٠) أكيال جنوب شرقي مكة. انظر: معجم ما استعجم (٤/ ١٢٩٨)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شرّاب ص (٢٨٦).

(٤) وذلك عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، وكانوا نحواً من ستين رجلًا. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٥٤)، البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٤٨).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٨٧) عن الربيع وساق القصة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذا إسناد=

فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1] ليس بدعوى يحتاج فيها إلى دلالة من خارج، بل هو في نفسه دلالة لازمة وحجة واضحة، فإن معنى قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ أي هو الذي يحقُّ له العبادة، أي الذي تَأْلَهُ الأشياء إليه[2]، وكان الكفار يقولون: الأشياء ثلاثة: عابد غير معبود، ومعبود عابد، ومعبود غير عابد؛ وهو الله تعالى.

فبيّن تعالى بهذا أن المستحق للعبادة على الإطلاق هو الذي لا إلٰه إلا هو، وأكّد ذلك بقوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، والحيّ في صفات الله معناه الذي لا يجوز عليه الموتُ، وبه حياة كلِّ حي، وإذا استُعْمِل في غيره فعلى معنى قبول الحياة منه تعالى[3]. والقيُّوم: هو القائم بحفظ كل شيء، والمعطي له ما به قوامه[4]، وهو المعنى المذكور

= مرسل. وأما سياق قصة وفد نجران فسيأتي ذكره عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ الآية ٥٩ من سورة آل عمران.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٢) أي تفزع إليه وتلوذ به. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٢٦)، والمفردات ص (٨٢، ٨٣)، وانظر: لمعنى [الإله] لسان العرب لابن منظور مادة [أله] (١٣/ ٤٦٨)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص (١٦٠٣).

(٣) انظر: تفسير جامع البيان للطبري (٦/ ١٥٦)، والمفردات ص (٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٩١).

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٧٨)، جامع البيان للطبري (٦/ ١٥٧)، =

في قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[2].

والحقُّ أبلغُ من الصدق، لأن كل صدق حقٌّ، وليس كلُّ حقٍّ صدقًا[3]، ويتناول الأحكام والواجبات من حقوق الله وحقوق الناس. والصدق من أخبار الأمم السالفة والآنفة، والحقُّ الذي هو الجدُّ. والتوراة عند الكوفيين تَفْعَلَة[4] وليس في كلام العرب تَفْعَلَة بوجه، وإنما هو تَفْعُلَة نحو تَتْفُلَة[5] وتفعِلة نحو تكرِمة[6].

= معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٧٤)، المفردات ص (٦٩١)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٠٢).

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٣) انظر: المفردات ص (٤٧٨).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٠)، والتفسير الكبير للرازي (٧/ ٣٨). وانظر رأي الكوفيين في: معاني القرآن للزّجّاج (١/ ٣٧٤-٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٥).

(٥) في الأصل: تفعلة وهو تصحيف والصواب ما أثبته.

(٦) ما ذكره من خلو كلام العرب من وزن «تَفْعَلَة» يعارضه ما ذكره سيبويه حيث قال: «ويكون على تَفْعَلَة وهو قليل، قالوا: «تَتْفَلَة». انظر كتاب سيبويه (٤/ ٢٧١). كما أن حصره أوزان هذه الحروف متوالية في الوزنين الذين ذكرهما لا يؤيده واقع اللغة، فقد ذكر سيبويه في الكتاب (٢/ ٢٧١) من=

وقيل: أَصله تَفْعِلَة، فعدل عن الكسرة إلى الفتحة[1].

وعند البصريين هي فَوْعَلَة نحو: حَوْقَلَة، وصَوْمَعَة. فأُبدل من الواو تاء، كما أبدل في تَوْصِيَةٍ وتَيْقُورٍ[2] من الوقار[3].

والإِنجيل: إِفْعِيلٌ من النجل، والنجل مستعمل في الأصل وفي الولد[4].

= ذلك أربعة أوزان، وذكر الفيروز آبادي في القاموس مادة «تفل» أن في التتفل والتتفلة سبع لغات، وقد ذَكَرَ الفتحَ أيضاً ابنُ سيده في المخصص (١٦/ ١١٠).

(١) هذا أحد الوجهين الذين ذكرا عن الكوفيين، وذلك كما قالوا في جارية: جاراة، وفي ناصية: ناصاة. انظر: كتاب سيبويه (٢/ ٢٧١)، والمخصَّص (١٦/ ١١٠)، والقاموس مادة «تفل».

(٢) انظر: كتاب سيبويه (٤/ ٣٣٢-٣٣٣). والقاموس مادة «وقر».

(٣) انظر مذهب البصريين في: معاني القرآن للزّجاج (١/ ٣٧٥)، وسر صناعة الإِعراب ص (١٤٦)، والزاهر للأنباري (١/ ١٦٨).

(٤) انظر: العين للخليل (٦/ ١٢٤)، ومعاني القرآن للزّجاج (١/ ٣٧٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٩٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٤٩)، والتفسير الكبير (٧/ ١٣٨). ويرى بعض أهل اللغة أن «الإنجيل» مما عرَّبته العرب وليس بمشتق، وإنما هو لفظ سرياني. انظر: المعرب للجواليقي ص (١٢٣)، و الكشاف (١/ ٣٣٥)، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي ص (٤٨).

إن قيل : لِمَ قال : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾؟

قيل : قد يقال : (نزّل) و (أنزل) بمعنى . لكن خصَّ الكتاب بالتنزيل لأمرين :

أحدهما : أن هذا الكتاب لما كان حكمُهُ مؤبدًا ، والتنزيل بناء المبالغة خُصَّ به تنبيهًا على هذا المعنى ، وليس ذلك حكم الكتابين قبل .

والثاني : أن هذا الكتاب أُنزل شيئًا فشيئًا ، والكتابين أُنزل كل واحد منهما جملة(١) .

وقوله : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعني الكتب المتقدمة(٢) ، وخُصَّ التوراة والإنجيل/ بالذكر ، وإن كانا قد دخلا في عموم ما بين يديه تشريفًا لهما . [١٩٦/ب]

و ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال للمُنزِّل أو للمنزَّل(٣) .

---

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، انظر : الوسيط للواحدي (١/ ٤١٢) . والكشاف للزمخشري (١/ ٣٣٦) . وزاد المسير (١/ ٣٤٩) ، والتفسير الكبير (٧/ ١٣٦) . وقد ردَّ هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٣٩٣) والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٣/ ١٤٧-١٤٨) .

(٢) انظر : جامع البيان (٦/ ١٦١) ، والوسيط (١/ ٤١٢) ، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠) ، والتفسير الكبير (٧/ ١٣٧) ، والتحرير والتنوير (٣/ ١٤٨) .

(٣) انظر : المحرر الوجيز (٣/ ٩) ، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٢) . وقيل : انتصاب مصدقاً على أنه بدل من موضع «بالحق» . وقيل : حال من الضمير المجرور . انظر البحر المحيط الموضع السابق .

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[(١)] أي أنزل في كتبه ما يُفرِّق به بين الحقِّ والباطل في الاعتقادات، والخيرِ والشرِّ في الأفعال، نحو قوله: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[(٢)] وكلُّ كتابٍ لله فرقان[(٣)]، وقيل: الفرقان مخصوص به القرآن خاصة[(٤)]، وتخصيصه بالذكر بعدما تقدَّم تنبيهٌ على إثبات المعنيين له[(٥)]، كقوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[(٦)].

إن قيل: كيف يكون القرآنُ مُصدِّقًا لما بين يديه، وهو ناسخٌ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) وهو ما ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان. انظر: الكشاف (١/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٤).

(٤) وهو قول قتادة والربيع، كما في جامع البيان (٦/ ١٦٣) وزاد المسير (١/ ٣٥٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٥). واختاره الواحدي والطاهر بن عاشور. انظر: الوسيط (١/ ٤١٢)، التحرير والتنوير (٣/ ١٥٠). وردَّ هذا القول ابن جرير الطبري واختار أن يكون معنى الفرقان في هذا الموضع: فصل الله بين نبيّه محمد ﷺ والذين حاجّوه في أمر عيسى، وفي غير ذلك من أموره. انظر: جامع البيان (٦/ ١٦٤) وهو ما ذهب إليه ابن إسحاق، كما رواه عنه ابن المنذر في تفسيره. انظر: تفسير ابن المنذر المخطوط بهامش تفسير ابن أبي حاتم (ق ٤).

(٥) والمعنيان هما: الهدى والفرق بين الحق والباطل.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

لعامة أحكامه؟

قيل: تصديقهُ إياه تحقيقهُ أنه من جهة الله، ومطابقته إياه في كونه داعيًا إلى التوحيد وفعل الخير ونحو ذلك، وإلى أنواع العبادات دون قدرها وهيكلها وكيف إيقاعها[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[2].

لم يعنِ بآيات الله كتابه فقط، بل كل آية دالة عليه: عقلية كانت أم سمعية، ففي كلِّ شيء له عبرة[3]، ونبَّه أنه لا يتهيَّأ لأحد منعه من عذاب من أراد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ

---

(١) أورد الرازي هذا التساؤل، وأجاب عنه بنحو ما قال الراغب، إلا أنه زاد فقال: «إذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ﷺ، ودالَّة على أن أحكامها تثبت إلى حين بعثه، وأنها تصير منسوخة عند نزول القرآن، كانت موافقة للقرآن، وكان القرآن مصدِّقاً لها». انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ١٦٤)، والكشاف (١/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٤).

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾[1] .

الصورة من صَيَّرته أي أحلته، وهي هيئة معقولة أو محسوسة[2] . والصبغة نحوها[3] ، إلا أن أكثر ما يستعمل في المحسوسة . إن قيل : كيف قال في موضع : ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾[4] على لفظ الماضي، وقال هاهنا بلفظ الاستقبال؟ قيل : أما أولاً فلا اعتبار بالأزمنة في أفعاله تعالى، وإنما استعمال الألفاظ فيه الدالة على الأزمنة بحسب اللغات، وأيضاً فقوله: صوَّركم إنما هو على سبيل التقدير، وأن فعله تعالى في حكم ما قد فرغ منه، كقوله : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[5] ، وقوله : يصوِّر على حسب ما يظهر لنا حالاً، فحالاً[6] ،

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٥، ٦ .

(٢) قال في المفردات : الصورة. . . ضربان : أحدهما : محسوسٌ يدركه الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثيرٌ من الحيوان كصورة الإنسان والفرس. والثاني: معقولٌ يدركه الخاصة دون العامة، كالصورة التي اختصَّ بها الإنسان من العقل والرَّوِيَّة. انظر: المفردات ص (٤٩٧)باختصار، وانظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٠).

(٣) انظر معنى الصبغة: عند تفسير الراغب للآية (١٣٨) من سورة البقرة ق (١٠١ ـ مخطوط)، والمفردات ص (٤٧٥)، وتاج العروس للزبيدي (٢٢/ ٥١٦).

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٤ .

(٥) سورة النحل، الآية: ١ .

(٦) نقل أبو حيان هذه الفقرة كاملة، ونسبها إلى الراغب، انظر: البحر المحيط=

إن قيل: لِمَ قال: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[1] ولم يقل: هو عالم بكل شيء؟ قيل: لأن الوصف بأنه «لا يخفى عليه شيء» أبلغ من قوله «يعلم» في الأصل[2]، وإن كان استعمال اللفظتين فيه يفيدان معنىً واحدًا، وتخصيص الأرض والسماء لكون ذكرهما أهول بالإضافة إلينا، وفيه دلالة على كل شيء[3]، وإنما كرَّر قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأنه لما ذكر ما تقدم دليلًا على كون عيسى مخلوقًا، وكونه تعالى خالقًا نبّه بقوله:
[١٩٧/أ] ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أن لا/ معبود سواه[4]، وأنه العزيز في نقمته، الحكيم في أمره، لا حاجة به إلى ولد، ولا حكمة تقتضي ذلك.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[5].

= (٢/ ٣٩٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٢) لعله يقصد بالأصل الدلالة على الحقيقة وعدم احتمال إرادة غيرها.

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٥)، والتحرير والتنوير (٣/ ١٥١).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ١٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٦).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

الزيغ: الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين، ومنه زاغ البصرُ، وزاغت الشمسُ عن كبد السماء، وزاغ قلبُه(١)، وزاغ وزال وما [ل](٢) تتقاربُ، لكن زاغ لا تُقال إلا فيما كان عن حقٍّ إلى باطلٍ(٣)، والتأويل: آخر الشيء ومآله(٤)، وقد تقدم الفرق بينه وبين التفسير(٥).

والمحكم قد وُصف به القرآن على وجهين:

أحدهما: عام في جميعه، نحو ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾(٦) وقوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾(٧) ويعني بذلك المتقن، نحو: بناء محكم، وعقد محكم.

والثاني: ما وُصِفَ به بعض الكتاب المذكور في قوله: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ وهو ما لا يصعب على العالم معرفته لفظًا أو معنىً،

---

(١) انظر: العين (٤/ ٤٣٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٤٠-٤١)، والمخصص (٩/ ٢٥)، والمفردات ص (٣٨٧).

(٢) ساقطة من الأصل والتصويب من تاج العروس (٢٢/ ٤٩٧).

(٣) نقل الزبيدي هذه الفقرة عن الراغب. انظر: تاج العروس (٢٢/ ٤٩٧).

(٤) انظر: العين للخليل ابن أحمد(٨/ ٣٦٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٦٢)، والصاحبي لابن فارس ص (٣١٤-٣١٥).

(٥) انظر مقدمة جامع التفاسير: للراغب بتحقيق: د. أحمد حسن فرحات ص ٤٧، حيث عقد الراغب فصلًا في الفرق بين التفسير والتأويل.

(٦) سورة هود، الآية: ١.

(٧) سورة يونس، الآية: ١.

وقيل: ما لا يحتاج العالم في معرفته إلى تكلُّف نظر، وعكسُهُ المتشابه[1]، والكلامُ في أحوال المحكم والمتشابه مشكلٌ[2]، ولابُدَّ من إيراد جملةٍ ينكشف بها ذلك، فيُقال وبالله التوفيق: الكلام من جهة الإِحكام والتشابه على ضربين:

أحدهما: ما يرجع إلى ذات المحكم والمتشابه في نفسه.

والثاني: مايرجع إلى أمر مايعرض لهما. فالأول على أربعة أضرب:

أحدها: مُحكم من جهة اللفظ والمعنى، نحو قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[3] [4].

---

(١) القولان متقاربان من حيث المعنى، فما لا يصعب على العالم معرفته لا يحتاج فيه إلى تكلف نظر، وهذا القول نسبه الطبري إلى جابر بن عبدالله بن رئاب، وقال عنه: إنه أشبه بتأويل الآية، وخلاصته أن المحكم ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه بعكس ذلك. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٩).

(٢) وذلك لاختلاف عبارات السلف في تحديد معنى المحكم والمتشابه. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٤ وما بعدها)، زاد المسير (١/ ٣٥٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٤) فسّر ابن عباس قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ بقوله: هي الثلاث الآيات من ههنا ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ثلاث آيات. والتي في بني إسرائيل ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾=

الثاني: متشابه من جهتيهما، نحو قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾(1) (2).

والثالث: متشابهٌ في اللفظ مُحكمٌ في المعنى، نحو قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾(3) (4).

= إلى آخر الآيات. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٤). وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس. انظر: تفسير عبد بن حميد المخطوط (ق ٥). وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٢/ ٦) ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا من تفسير ابن المنذر.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) الصحيح أن هذه الآية ليست من المتشابه، فمعناها معلومٌ، ولفظها ظاهرٌ، قال ابن كثير في تفسيره لها: يقول تعالى: يوسِّع قلبه للتوحيد والإيمان به، وكذا قال أبو مالك وغير واحد، وهو ظاهر. انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٦٦) وانظر: جامع البيان (١٢/ ٩٨)، وتفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ١٤٢).

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٤) يُثبتُ أهل السنة والجماعة أن الله يجيْ يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ انظر: «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني (ص ١٩) و«الحجة في بيان المحجة» لقوام السنة (٢/ ١٢٤) و«الرد على الجهمية» للدارمي (ص ٧٢)؛ «رسالة إلى أهل الثغر» للأشعري (ص ٢٢٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٩١)، (٥/ ٣٩١). وعلى=

والرابع: متشابهٌ في المعنى مُحكمٌ في اللفظ، نحو: الساعة، والملائكة.

وقد تجعل هذه الأقسام ثلاثة: أحدها: محكمٌ على الإطلاق، ومتشابهٌ على الإطلاق[1]، ومحكم من وجه. والمتشابه ضربان: أحدهما: من جهة اللفظ، والآخر: من جهة المعنى، والمتشابه من جهة اللفظ ضربان: أحدهما: يرجع إلى مفردات الألفاظ، وذلك إما من جهة غرابة اللفظ، نحو (الأبّ)[2] ونحو (يَزِفّون)[3]،

= هذا فلفظ الآية محكمٌ كما هو معناها.

(١) هذا الكلام قد يوهم بأن الراغب يرى أن في القرآن ما لا يُعْلَمُ معناه على الإطلاق بسبب كونه متشابهاً من جهة اللفظ والمعنى، والصحيح أنه لا يرى ذلك، فقد بين في مواضع أخرى: أن المتشابه ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، وأنه ما يعلم معناه مجملًا لا مفصلًا؛ كعلم الساعة، وخروج الدابة وكيفيتها. انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٧) والمفردات ص (٤٤٤).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]. والأبّ: المرعى المتهيىء للرعي والجز. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ١٣)، ومجمل اللغة ص (٣٧) والمفردات ص (٥٩).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٤]. قال أبو عبيدة: تقول العرب للنعامة: تزفُّ، وهو أول عدوها، وآخر مشيها، وجاءني الرجل يزفُّ زفيف النعامة أي من شدة سرعته. انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٠٩) والمفردات ص (٣٨٠).

وإما من تَشَارُكٍ في اللفظ: كاليد والعين والوجه. الثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركب/، وذلك ثلاثة أضرب: [١٩٧/ب]

أحدها: اختصار الكلام نحو ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾(١). والثاني: تطويله نحو ﴿كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢). والثالث: إغلاق نظمه، نحو: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ * قَيِّمًا﴾(٣).

والمتشابه من جهة المعنى ضربان:

أحدها: دقة المعنى، كأوصاف الباري تعالى(٤)، وأوصاف

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١. وذلك لاجتماع الكاف الدالة على التشبيه مع كلمة: مثله الدالة على نفس المعنى، ولم يقل ليس مثله شيء. انظر: المفردات ص (٤٤٤)، ومقدمة جامع التفاسير ص (٣٧).

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١-٢. قال الراغب: تقديره: الكتابَ قيِّما ولم يجعل له عوجاً. انظر: المفردات ص (٤٤٤).

(٤) صفات الله عز وجل ليست من المتشابه الذي لا يُعْلم معناه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: «من قال: إن هذا من المتشابه، وإنه لا يُفهم معناه. فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك: فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة؛ لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاماً لا =

القيامة[1]. والثاني: ترك الترتيب، نحو قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[2].

= يفهم أحد معناه، وإنما قالوا: كلمات لها معانٍ صحيحة» انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٤). وقال في موضع آخر: «والصواب ما عليه أئمة الهدى، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتّبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والإيمان، والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات... فهذا أحد الوجهين، وهو منع أن تكون هذه من المتشابه» مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠٥). وانظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٧٩٥)، ومنهج دراسات لآيات الأسماء والصفات (ص ٢٣)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٤٨٨)؛ وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنّة (١/ ٤١٣)، ومذهب أهل التفويض (ص٣٠٦)، وموقف ابن تيميّة من الأشاعرة (٣/ ١١٢٢).

(١) أوصاف القيامة الواردة في الكتاب والسنة يجب الإيمان بوقوعها حقيقة دون تأويل أو تفويض أو تحريف، وإن كانت الكيفية التي تحدث بها غير معلومة لنا، لأن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا. ولذا فإن «مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها: كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفًّا صفًّا، وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك» هو تأويل ما أخبر الله به من أوصاف القيامة. انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٨) وشرح العقيدة الطحاوية ص (٢٢٢، ٢٩٧).

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٥. وترك الترتيب هنا أنه أخّر قوله: ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾=

وما يرجع إلى اللفظ والمعنى معًا، فأقسامه بحسب تركيب بعض وجوه اللفظ مع بعض وجوه المعنى، نحو: غرابة اللفظ مع دقة المعنى، وذلك ستة أقسام، وأما المتشابه من جهة ما يعرض للفظ فخمسة أقسام: أحدها: من جهة الكمية: كالعموم والخصوص[(١)]، والثاني: من طريق الكيفية: كالوجوب والندب[(٢)]، والثالث: من جهة الزمان: كالناسخ والمنسوخ[(٣)]، والرابع: من جهة المكان: كالمواضع، والأمور التي نزلت فيها، نحو قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[(٤)]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[(٥)]، فإنه يحتاج في معرفة ذلك

= في التلاوة مع أنها مقدمة في التقدير. قال ابن جرير الطبري: معنى الكلام: ولولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم، فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم، لأذن الله لكم أيها المؤمنون في دخول مكة. انظر: جامع البيان (٢٢/ ٢٥٠).

(١) مثّل الراغب لذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]. انظر: المفردات ص (٤٤٤).

(٢) مثّل الراغب لذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]. المفردات ص (٤٤٤).

(٣) مثّل الراغب لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. المفردات ص (٤٤٤).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

إلى معرفة عادتهم في الجاهلية[(١)]، والخامس: من جهة الإضافة، وهي الشروط التي بها يصح الفعلُ أو يفسدُ: كشروط العبادات والأنكحة[(٢)]، وهذه الجملة من المحكم والمتشابه إذ تُصُوِّرَتْ عُلم أن جميع ما يذكره المفسرون لا يخرج منها، نحو قول من قال: المتشابه نحو ﴿الٓمٓ﴾ وما أشبهه[(٣)]، وقول مجاهد[(٤)]: المحكم ما فيه الحلال والحرام، والمتشابه ما سواه[(٥)]. وقول

---

(١) أعاد الراغب ذكر هذين المثالين في المفردات ص (٤٤٤).

(٢) كرَّر الراغب ذكر هذا القسم في المفردات ص (٤٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩٤) بسنده عن مقاتل، ونسبه لمقاتل أيضاً ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧)، وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل.

(٤) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المقرئ المفسر الإمام، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، أخذ التفسير عن ابن عباس، روى عن أبي هريرة وجابر وابن عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وُلِدَ بمكة سنة ٢١ هـ وتوفي بالكوفة سنة ١٠٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢)، تقريب التهذيب ص (٥٢٠)، طبقات المفسرين (٢/ ٣٠٥).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ١٧٧)، وابن خيرون في «تفسير مجاهد» ص (٢٤٨)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٥ ـ مخطوط). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٥٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧).

قتادة[١]: المحكمُ الناسخُ الذي يُعملُ به، والمتشابه: المنسوخُ[٢]. وقول الأصم[٣]: المحكمات ما حججهُ ظاهرةٌ، والمتشابه ما حججهُ غامضةٌ[٤]. وقول غيرهم: المحكم ما أُجْمع على تأويله،

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي البصري أبو الخطاب المفسّر المحدِّث الفقيه، ثقة ثبت، روى عن أنس بن مالك، اشتهر بقوة حفظه، له: التفسير والناسخ والمنسوخ، ولد سنة ٦١هـ، وتوفى سنة ١١٨هـ بواسط في الطاعون. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١)، تقريب التهذيب ص (٤٥٣)، طبقات المفسرين (٢/ ٤٧).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ١٧٥) وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم دون إسناد، فقال: وروي عن عكرمة ومجاهد والضحاك ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والسدي قالوا: المحكم الذي يُعْمَل به. وأخرجه ابن المنذر في تفسيره، بسنده عن الضحاك وقتادة. انظر: تفسير ابن المنذر (ق ٥ ـ مخطوط) وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره بسنده إلى الضحاك. انظر: تفسير عبد بن حميد المخطوط بهامش تفسير ابن أبي حاتم (ق ٥). وأورده ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٥٠).

(٣) عبدالرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي، ذكره القاضي عبدالجبار في طبقات المعتزلة، وعدّه ابن حجر في طبقة أبي الهذيل العلّاف، له تفسير على طريقة المعتزلة، ينقل عنه الرازي في تفسيره. توفي سنة ٢٠٠هـ وقيل ٢٠١هـ، انظر: الفهرست لابن النديم ص (٢٩٨)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٢)، لسان الميزان (٣/ ٤٢٧)، طبقات المفسرين (١/ ٢٧٤).

(٤) ذكر هذا القول فخر الدين الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٤٨) ونسبه للأصم.

والمتشابه ما اختلف فيه[1]، فكلٌّ هذه الأقوال مثالاتٌ لبعض ما انطوت عليه هذه الجملة. ثم جميع ما ذكرنا من المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا مرية فيه أنْ لا سبيل إلى المراد بتأويله، وهو بعض ما تَعْرِضُ فيه الشبهة من جهة المعنى كمجيء الساعة، وحقيقة ذاته[2]. وضرب لا خلاف أن للإنسان سبيلًا إلى معرفته، وذلك ما كان اشتباهه من جهة ما يعرض له من عموم وخصوص ووجوب وندب وغير ذلك مما تقدم ذكره، وكذا ما تعرض فيه الشبهة من جهة غرابة اللفظ، وما هو مترددٌ بين الأمرين، يجوز أن يُختَصَّ بمعرفته بعض الراسخين في العلم[3]/ نحو علي[4] [١٩٨/أ]

(١) ينسب هذا القول إلى جعفر بن محمد، ومحمد بن جعفر بن الزبير والشافعي، وابن الأنباري وابن خويز منداد. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٧)، وزاد المسير (١/ ٣٥١)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٦).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التأويل الذي اختصَّ الله به فحقيقة ذاته وصفاته، كما قال مالك: والكيف مجهول، فإذا قالوا: ما حقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره، قيل: هذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله». مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١٢).

(٣) الراسخون في العلم هم: «الذين تمكَّنوا في علم الكتاب، ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى، بحيث لا تُروَّج عليهم الشبه». انظر: التحرير والتنوير (٣/ ١٦٤).

(٤) أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي، ابن عم =

وابن عباس[1] وغيرهما مما قال النبي ﷺ: «**اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل**»[2]. وهذه الجملة إذا تُصوِّرت

= رسول الله ﷺ وزوج ابنته، رابع الخلفاء الراشدين، أول من آمن بالنبي ﷺ من الصبيان، وُلد بمكة سنة ٢٣ قبل الهجرة، واستشهد سنة ٤٠ هـ. انظر: حلية الأولياء (١/ ٦١)، الإصابة (٤/ ٤٦٤)، التقريب ص (٤٠٢).

(١) **أبو العباس** عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، وترجمان القرآن، لازم رسول الله ﷺ وأكثر من الرواية عنه، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، تُوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ. انظر: حلية الأولياء (١/ ٣١٤)، والإصابة (٤/ ١٢١). (٣/ ٣٣١)، و التقريب ص (٣٠٩).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥) وابن حبان رقم (٧٠٥٥). وأخرجه بنحوه البخاري في «العلم»، باب قول النبي ﷺ: «**اللهم علِّمه الكتاب**» رقم (٧٥) وفي الوضوء رقم (١٤٣) باب وضع الماء عند الخلاء. وفي فضائل الصحابة رقم (٣٧٥٦) باب «ذكر ابن عباس رضي الله عنهما. وفي الاعتصام رقم (٧٢٧٠) وأخرجه بنحوه مسلم رقم (٢٤٧٧) في «فضائل الصحابة» باب فضائل عبدالله بن عباس والترمذي رقم (٣٨٢٤) في المناقب، باب مناقب عبدالله بن عباس. وابن ماجه رقم (١٦٦) في المقدمة باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ. والنسائي رقم (٦٦) في فضائل الصحابة.

عُلِم أن من رأى الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] واستأنف ما بعده فلنظره إلى الضرب الأول من المتشابه، ومن وصل ذلك وجعل قوله: ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ عالمين به، فلنظره إلى الضرب الثاني[2]، والأظهر من الآية القول الأول[3]، وما قال بعضهم: إنه لو جاز أن يخاطبنا ثم لا يُعرِّفنا مراده، لجاز أن يخاطبنا بكلام الزنج والروم[4]، فالجواب عنه: أن كلام الروم والزنج لا يُعْلَمُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) هذه الفقرة بكاملها من قوله: «وقد تجعل هذه الأقسام ثلاثة، أحدها محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه» حتى هذا الموضع، والتي شغلت ثمانية وعشرين سطراً من المخطوط، ذكرها الراغب بكاملها في كتابه المفردات ص (٤٤٣-٤٤٥) مع اختلاف يسير في الألفاظ. كما نقلها السيوطي في الإتقان (٢/ ٥)، ونسبها إلى الراغب في المفردات.

(٣) يلاحظ أن الراغب رجّح هنا الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، بينما ذكر هذا القول والقول الآخر في المفردات ص ٤٤٥، وجوَّزهما معاً دون ترجيح بينهما. وهو بهذا الترجيح يختار قول ابن عباس في رواية طاوس عنه، كما في تفسير ابن المنذر، وقول عائشة وابن مسعود وأبي والحسن وعروة بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز وطاوس وأبي نهيك الأسدي وغيرهم، وهو أيضاً قول ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٠١)، تفسير ابن المنذر (ق ٧ ـ مخطوط)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٠).

(٤) انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٦)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٥). =

منه المراد مجملًا، ولا مفصلًا، والمتشابه يُعلم منه مراده مجملًا وإن لم نعلمه مفصلًا، لأن كل آية قد فسَّرها المفسرون على أوجه، فمعلوم أن المراد لا يخرج منه، ثم تعيين مراد الله تعالى منها غير معلوم، وهذا ظاهر(١). على أنه لم يكن يمتنع أن يكلفنا تعالى

= والزنج: جيل من السودان، يتميز بالجلد الأسود والشعر المجعد والشفة الغليظة والأنف الأفطس، يسكن حول خط الاستواء، وتمتد بلادهم من المغرب إلى الحبشة. والروم: جيل معروف، واحدهم رومي، ينتمون إلى رجل اسمه روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٥٨)، والقاموس المحيط ١٤٤١، وتاج العروس ١٦/ ٣٠٧، وسبائك الذهب ص (٣٠، ٣٤)، ونهاية الأرب ص (٣٦).

(١) وأجود من هذا الجواب قول ابن كثير: «ومن العلماء من فصَّل هذا المقام قال: «التأويل يُطلق ويُراد به في القرآن معنيان: أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد. فإن أُريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة، لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ أي بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء=

تلاوة أحرف لا نعرف معناها، فيثيبنا على تلاوتها، كما يُكلِّفنا أفعالاً لا نعرف وجه الحكمة فيها، ليثيبنا عليها[1]، فالتلاوة فعل يختصُّ باللسان، ومن جعل قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ معطوفًا جعل قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ في موضع الحال للمعطوف دون المعطوف عليه، كما في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[2] حال للمعطوف دون المعطوف عليه.

إن قيل: لِمَ خص الراسخين بأنهم يقولون آمنا به؟ قيل: لأن معرفة ما للإنسان سبيل إلى معرفته مما لا سبيل له إلى معرفته هو من علوم الراسخين، لأن الحكماء[3] هم الذين يُميّزون بين ما يمكن علمه وما لا يمكن أن يُعلم، وما الذي يُدرك إن طُلب

= على كنه ما هي عليه. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٨)، ولعله يشير بقوله: «ومن العلماء» إلى شيخ الإسلام ابن تيمية حيث تكلم بهذا الكلام في مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٨، ٢٨٩).

(١) وقد مثّل الراغب لذلك ببعض الحركات التي تحصل في كثير من العبادات في الصلاة والحج، قال: وعلى ذلك حمل قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي أنهم أُمِروا بالتفوه بهذه اللفظة. انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٨).

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٣) انظر في هذا المعنى: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٩١)، والمفردات ص (٢٤٩)، والحكماء: هم الفلاسفة. انظر: المعجم الفلسفي (١/ ٤٩٣)، والمعجم الوسيط (١/ ١٩٠). والراغب يقصد بالحكماء هنا: الراسخين في العلم من علماء المسلمين.

والذي لا يُدرك، وعلى أيِّ غاية يجب أن يقف طالب العلم، وأي مكان يتجاوزه، وهذا أشرف منزلة للحكماء، ولذلك قالت عائشة[1] رضي الله عنها: «من رسوخ علمهم الإيمان بمحكمه ومتشابهه وإن لم يعلموا تأويله»[2] إن قيل: ما فائدة الإتيان بالمتشابه في القرآن؟[3] قيل: فوائد جمة، منها: أن يبيِّن تشريف العلماء بتميُّزهم عن غيرهم، ومنها: رياضة العقول في تعرُّفها، ومنها: استحقاق الثواب بتعبِ الفكر فيه، ومنها: إظهارُ شرف

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق، هي أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، كانت أفقه نساء الأمة، وفضائلها مشهورة، توفيت سنة ٥٧ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٣)، الإصابة (٨/ ٢٣١)، تقريب التهذيب ص (٧٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر، ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا منه.

(٣) عقد الراغب في مقدمة جامع التفاسير فصلًا في بيان حكمة الله تعالى في جعله بعض الآيات متشابهاً. انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٩)، وقد تعرَّض بعض المفسرين: كالزمخشري وابن الجوزي والرازي وأبي حيان لفائدة الإتيان بالمتشابه في القرآن، فذكروا نحواً مما ذكره الراغب، وزادوا عليه. انظر: الكشاف (١/ ٣٣٨)، زاد المسير (١/ ٣٥١)، التفسير الكبير (٧/ ١٤٩)، البحر المحيط (٢/ ٣٩٨).

الفكر، ليعلم أنه لم يجعل الإنسان عبثًا، ومنها: حثُّ من أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[1] على أن يتدبره، لأنهم إذا سمعوا ما في ظاهر[ه][2] التنافي تأملوه طلبًا لردِّه، فيصير ذلك سببًا أن يعرفوه لمعرفتهم بإعجازهم ولزوم الحجة به، ومنها: أن يصير سببًا لاعتراف الإنسان بعجزه ومعرفة نقصه، ومنها: أن يصير الناسُ/ تبعًا للأنبياء وأُولي الأمر الذين حثّ [١٩٨/ب] على اتباعهم بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[3] وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾[4] فذمٌ لهم بأنهم لزيغهم يتحرّون طلب الفتنة[5]، وقدّم

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٢) في الأصل: ظاهر. والصواب ما أثبته.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧. والزيغ: الميل عن الاستقامة. انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٤١)، والمفردات ص (٣٨٧) والمعجم الوسيط ص (٤٠٧). أما معنى الزيغ في الآية، فقد ذكر المفسرون أنه العناد والشك والميل عن الهدى. انظر: جامع البيان (٦/ ١٨٣)، زاد المسير (١/ ٣٥٣)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٩).

(٥) قال ابن الجوزي: وفي المراد بالفتنة هٰهنا ثلاثة أقوال، أحدها: أنها الكفر، قاله السدي والربيع ومقاتل وابن قتيبة. والثاني: الشبهات، قاله مجاهد. والثالث: إفساد ذات البين، قاله الزجاج. انظر: زاد المسير (١/ ٣٥٤)،=

ذكر الفتنة تنبيهاً أن قصدهم إلى إيقاع الفتنة قبل طلب تأويله، وهذا القصد باتفاق أهل العقول كلها مذموم، فإن قيل: هب أن اتباع طلب الفتنة مذموم. فكيف ذُمُّوا بابتغاء تأويله؟ قيل: طلب التأويل من نفس المتشابه مذموم، إذ لا سبيل إلى تبيُّنه منه، وإنما طلب الحق يجب أن يكون بردِّه إلى المحكم[1] وإلى الرسولِ وإلى أولي الأمر، حسب ما نبّه عليه تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[2] الآية. وكلٌّ له حالتان: أحدهما: أن يكون تابعًا على طريق التأكيد، فلا يُحذف منه ضمير ما أُكِّد به، نحو: مررت بالقوم كلِّهم. والثاني: أن تجعلَه مُخبرًا عنه، فيصحُّ الحذف منه إيجازًا، نحو: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾[3]، وفي

= والبحر المحيط (٢/ ٤٠٠).

(١) قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، «وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك، فإنه معنيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بدعةً فمال قلبه إليها، تأويلًا منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاجّ به، وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات، إرادة منه بذلك اللّبس على أهل الحق من المؤمنين، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائناً من كان». انظر: جامع البيان (٦/ ١٩٨).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٨.

قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] على هذا.

والتذكُّر هاهنا: هو الاتعاظ، ولم يجعل ذلك إلا لصفو الخلائق، لما تقدم أن معرفة ما يصح أن يُطلب ويُعلم مما لا يصحُّ فيه ذلك أشرفُ منزلة في العلم.

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[2] الوهاب[3]: قيل معناه: لا تزغ قلوبنا عن الثواب في الآخرة[4]، وقيل: لا تنسبها إلى الزيغ، ولا تحكم عليها بذلك[5]. وقيل: لا تفعل بنا من الإكرام ما يؤدي إلى الزيغ، فكأن الإزاغة إعطاء الخيرات الدنيوية المثبطة عن الخيرات الأخروية المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[6] ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من وسع

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) وهو قول أبي علي الجبائي المعتزلي. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٢).
(٥) وهو قول الكعبي من المعتزلة. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٥٦).
(٦) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

عليه دنياه ولم يعلم أنه مُكر به، فهو مخدوع عن عقله»[1]، وقيل معناه: لا تكلفنا أمرًا شاقًّا: كقتل النفس، والخروج من الديار[2] المذكورين في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[3]. وقيل: معناه لا تمنعنا التوفيق[4]، فجعل منع التوفيق إزاغة للقلوب من حيث إنه يؤدي إليها[5]، إشارة إلى ما قيل: أقطع ما يكون المجتهد إذا

---

(١) ذكره الراغب في المفردات ص (١٤٦) وهو في ربيع الأبرار للزمخشري (١/ ٤٥).

(٢) وهو قول الأصم والزمخشري من المعتزلة، واستحسنه الزجاج. انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٩)، والكشاف (١/ ٣٣٩)، والتفسير الكبير (٧/ ١٥٦).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٤) وهو قولٌ للجبّائي المعتزلي والقاضي عبدالجبار المعتزلي والزمخشري. انظر: الكشاف (١/ ٣٣٩)، والتفسير الكبير (٧/ ١٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٢).

(٥) ما ذكره الراغب من أقوال في معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة في نسبة الأفعال إلى الله تعالى من خير أو شر، وأنه تعالى خالقها، وهذه الآية حجة لأهل السنة والجماعة على القدرية والمعتزلة، ولهذا فقد صرف المعتزلة لفظ الآية عن ظاهره وأتوا بتأويلات منتحلة. أما أهل السنة فقد أجمعوا على أن الله تعالى يهدي من يشاء فضلًا، ويضل من يشاء عدلاً، ولذلك فقد فسروا هذه الآية بظاهرها فقالوا: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي: لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه. =

[١٩٩/أ] خذله التوفيق، وإياه قصد الشاعر/ بقوله:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده[(١)]

ونحو قوله: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ ما روي أن النبي ﷺ كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك» فقالت له عائشة: وهل تُقلّب القلوب؟ فقال: «إن قلوب العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء»[(٢)].

والهبة: تمليك الشيء غيره من غير ثمن[(٣)]. ولدُنْ: فيه

= انظر: شرح الطحاوية ص (٢٣٢ وما بعدها)، وجامع البيان (٦/ ٢١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٠١) وتفسير السمعاني (١/ ٢٩٦)، وتفسير زاد المسير (١/ ٣٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٩).

(١) البيت ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: المحاضرات (٢/ ٤٥٣)، ومجمع البلاغة (١/ ٣٦٩). وهو في الديوان المجموع له ص (٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٩١، ٢٥١)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٢٢٤) وله شاهد من حديث أم سلمة، أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٢)، والطبري في جامع البيان (٦/ ٢١٤) والترمذي في سننه رقم (٣٥٢٢) وقال الترمذي: حديث حسن. وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة رقم (٢٢٣).

(٣) الهبة في اللغة: التبرع. وفي الشرع: تمليك العين بلا عوض. انظر: المفردات=

لغات[1]، قيل: لَدُنْ، ولُدُن بضمتين، ولَدَن بفتحتين، ولَدْن بالسكون مع فتح اللام وضمه، وقيل: بكسر النون، وقيل: لدُ بحذف النون، ولدى، ونبه تعالى بقوله: ﴿هَبْ لَنَا﴾ أن من حق العبد أن لا يلفت له إلى شيء من العمل وطلب العوض به، بل يرجو رجاء المفاليس الطالبين للتفضل والهبة لا العوض[2]،

= ص (٨٨٤)، واللسان (١/ ٨٠٣)، والتعريفات للجرجاني ص (٢٥٦).

(١) قال النحّاس: «فيها تسع لغات: لغة أهل الحجاز (لَدُنْ) ويُقال (لَدَن) بإسكان النون و(لَدِن) بكسرها قال الفرّاء: «بعض بني تميم يقول (لَد) قال العجاج: من لَدُ شَوْلاً فإلى اتلائها» وحكى الكسائي (لَدَ يا هذا) وحكى أبو حاتم (لَدْ) بإسكان الدال، قال الفرّاء: ربيعة تقول: من لَدْنِ يا هذا، بإسكان الدال وكسر النون، وأسد يقولون: (لُدُنْ) بضم اللّام والدال وإسكان النون، وحكى أبو حاتم (لَدْنُ يا هذا) بضم اللام وإسكان الدال، ويُقال لَدى بمعنى لَدَن. انظر: إعراب القرآن (١/ ٣٥٨). وانظر: اللسان (١٣/ ٣٨٣)، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ص (٢٠٨)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/ ٢٤٠)، والقاموس ص (١٥٨٧)، والمفردات ص (٧٣٩).

(٢) أشار إلى هذا المعنى بعض المفسرين. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٠٣). ويشهد لهذا المعنى قول النبي ﷺ: **«لن ينجي أحداً منكم عملُهُ» فقال رجل: ولا إياك يا رسول الله؟ قال: «ولا إياي، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة»، أخرجه البخاري في الرقاق رقم (٦٤٦٣)** باب القصد والمداومة على العمل، ومسلم في صفات المنافقين رقم (٢٨١٦)،=

وإنما قال: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ لأنه لما كانت الهبة ضربين: هبة عن عوض، وهبة لا عن عوض. نبَّه بقوله: ﴿لَّدُنكَ﴾ أن هذه الهبة اعترافٌ أن بتفضله يُدرك ما يُدرك في الدنيا والآخرة، نحو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[2] إن قيل: كيف قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقد وقع فيه ريب الملحدة[3] والمغلطة[4] حتى حكى الله تعالى في إبطالهم إياه ما حكى؟ قيل: قد تقدّم في مبتدأ سورة

= باب لن يدخل أحد الجنة بعمله. عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٣) الملحد: الطاعن في الدين، المائل عنه، والجمع ملاحدة، وملحدون. والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب: فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه ولا يبطله. انظر: المفردات ص (٧٣٧)، القاموس المحيط ص (٤٠٤)، المعجم الوسيط ص (٨١٧).

(٤) المغلِّطة: الذين ينسبون الغلط إلى القرآن. يقال: غلَّطه وأغلطه: إذا نسبه إلى الغلط، والغلط خلاف الإصابة. انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٩٠)، ولسان العرب (٧/ ٣٦٣)، والمعجم الوسيط ص (٦٥٨).

البقرة الفرق بين الريب والإرابة[1]، وأن الذي وقع منهم الإرابة لا الريب[2]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ يصح أن يكون [استئنافًا][3] من الله، وأن يكون من جملة قولهم، والحكاية عنهم[4]، والفائدة في العدول عن الخطاب إلى الخبر، وتخصيص لفظ «الله» بذلك تنبيهٌ أن الذي اختُصِصْنا بعبادته هذا فعله، ولم يُرد بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ في جمعنا فقط، بل في كل وعْدٍ، فإن ذلك كالعلة لما قدمه، كأنه قيل: الله لا يُخلفُ

(١) ذكر الراغب خمسة أجوبة لذلك التساؤل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في سورة البقرة: الأول: أن ذلك نفي على معنى النهي، نحو قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ والثاني: أنه يقال: رابني كذا إذا تحققت منه الريبة. وأرابني: أوهمني الريبة. والثالث: أن يقال: هذا لا ريب فيه، والقصد إلى أنه حقّ، تنبيها إلى أن الريب يرتفع عنه عند التدبر والتأمل. والرابع: أنه لا ريب فيه في كونه مؤلفاً من حروف التهجي، وقد عجزتم عن معارضته. والخامس: لا ريب فيه للمتقين. انظر: تفسير سورة البقرة للراغب (ق ١١ ـ مخطوط)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٤)، والتحرير والتنوير (٣/ ١٧١).

(٢) هذا هو الوجه الثاني مما تقدم ذكره.

(٣) في الأصل: «استئناف»، وما أثبته هو الصواب.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، والتفسير الكبير (٧/ ١٥٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٤).

الميعاد، وقد وعدنا أن يجمعنا ليوم لا ريب فيه، فإذًا هو جامعنا لا محالة.

إن قيل: لِمَ قال: ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾، ولم يقل (في)؟ قيل: لأنه أراد بقوله جامع الناس: حافظُهم ومحصيهم لذلك اليوم، كما قال: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾(١)، وكقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٢).

[١٩٩/أ] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ/ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾(٣) بيّن أن أعراض الدنيا وإن كانت نافعة في بعض الأمور الدنيا، فليست مغنيةً عن الكافرين يوم القيامة، كقوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾(٤) فإن قيل: فهل يغني عن المسلم حتى خصَّ الكافرين في هذا المكان؟ قيل: بلىٰ، لأنه إذا تحرى في ذلك أحكامه كان أحد معاونه في وصوله(٥)، ولذلك قال: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(٦) وقوله: ﴿عَنْهُمْ﴾ لاقتضاء

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٢٨.

(٥) تصحفت في الأصل إلى (أصوله) والصواب ما أثبته.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧٧.

الكلام معنى الدفع، كأنه قال: لن يُغني ذلك دافعًا عنهم[1]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[2] كقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾[3].

قوله عز وجل: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[4] الدأب: العادة التي عليها يدوم صاحبها، وهو أخص من العادة، ومنه أدأب في سيره[5]، ولذلك قال الفرَّاء[6]: الدأب لزوم الحال التي فيها[7].

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٢٢٢)، زاد المسير (١/ ٣٥٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٠٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١.

(٥) انظر معنى الدأب في: «العين»(٨/ ٨٥)، معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، مجاز القرآن (١/ ٨٧)، والمخصَّص لابن سيده (١٢/ ٧٤).

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي أبو زكريا، نزيل بغداد، النحوي المشهور صدوق، مولى بني أسد، إمام الكوفيين في النحو واللغة والأدب، من كتبه: «معاني القرآن» و«المصادر» و«المذكر والمؤنث»، وُلِد سنة ١٤٤ هـ، وتُوفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢)، التقريب ص (٥٩٠)، طبقات المفسرين (٢/ ٣٦٧).

(٧) لم أجد هذا القول المنسوب للفراء في «معاني القرآن»، وقد نسبه إليه أبو حيان وعزاه إلى كتاب «المصادر» للفراء. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٠٦).

وقال ابن عباس: هو الصنع[1]، لأن الدأب يقتضي الصنع. وقال أبو علي الجبَّائي[2]: الدأب طول الكون في الشيء كافة، ككون آل فرعون في النار[3]. والذنب والجرم واحد، لكن الجرم يقال اعتباراً بالاكتساب، تشبيها باجترام الثمرة[4]، والذنب يقال اعتبارًا بما يستحق به في آخره، مأخوذ من الذنَب، وعلى هذا قيل له: التبعة، وبنحوه سُميت العقوبة عقوبة، وقيل: سُمي الذنب اعتبارًا بذَنَوب الإنسان منه، أي نصيبه[5].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٢٤). وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٣). وأخرجه ابن المنذر في تفسيره بسنده عن الضحاك، أنه قال: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾: كفعل. انظر: تفسير ابن المنذر (ق ٩ - مخطوط) وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٠) ثم قال: وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السكن الجبَّائي البصري، إليه تنسب الطائفة الجبائية، من كبار مفسِّري المعتزلة، انتهت إليه رئاستهم في البصرة، من مصنفاته: تفسير القرآن، متشابه القرآن، تُوفي بالبصرة سنة ٣٠٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٨)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٢٥)، وطبقات المفسرين (٢/ ١٩١).

(٣) ذكر هذا القول فخر الدين الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٦٢) ولم ينسبه إلى أحد.

(٤) اجترام الثمرة: قطعها. لسان العرب (١٢/ ٩٠).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٤٦) ٢/ ٣٦١)، والمخصص (١٣/ ٧)، والمفردات ص (١٩٢، ٣٣١).

إن قيل: بِمَ يتعلق قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؟ قيل في ذلك: الوجه الأول: أن يتعلق بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾: كحال متقدمي آل فرعون. الثاني: بقوله: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾. الثالث: بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وتقديره: إن دأب الذين كفروا كدأب آل فرعون، وتكون ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾ حالاً للذين. والرابع: أن يجعل قوله: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ غير داخل في صلة ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فتتعلق به كأنه كذّب آل فرعون والذين من قبلهم. الخامس: أن يتصل بمحذوف تقديره: دأبهم في كفرهم، واستحقاق عذابهم كدأب آل فرعون(١).

قوله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾(٢)/ قال ابن عباس وقتادة وابن إسحاق(٣): [٢٠٠/أ]

---

(١) قال ابن عطية: والكاف في قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع رفع، التقدير: دأبهم كدأب، ويصح أن يكون الكاف في موضع نصب. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٦)، وذكر السمين الحلبي هذين الوجهين، وعدَّ في الوجه الثاني -وهو النصب- تسعة أقوال ضمنها الخمسة المذكورة هنا. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٤٠٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن كوتان المدني، مولى قيس بن مخرمة، يكنى أبا بكر، وقيل أبا عبدالله، إمام أهل المغازي، صدوق يُدلِّس من=

لما قتل من قتل يوم بدر[1] جمع النبي ﷺ اليهود، فدعاهم إلى الإسلام، وحذرهم مثل ما نزل بقريش[2]، فأبوا، وقالوا: لسنا كقريش الأغمار[3] إن حاربتنا لتعرفن حالنا، فأنزل الله عز وجل الآية[4]، فقوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يصح أن يكون يعني

= صغار الخامسة، رُمي بالتشيّع والقدر، ولد سنة ٨٠ هـ بالمدينة، وتُوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨)، والتقريب ص (٤٦٧).

(١) بدر: اسم بئرٍ وعنده وقعت المعركة المشهورة باسمه في السنة الثانية من الهجرة، وهي الآن بلدة كبيرة عامرة على بعد ١٥٠ كيلًا من المدينة المنورة تقريباً، انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢٣١) والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص (٤٤).

(٢) قريش: قبيلة عظيمة منها المصطفى ﷺ، وقريش هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وموطنها الأصلي مكة المكرمة، ثم تفرَّقت في الأقطار الإسلامية، ولا يزال لهم بقايا في مكة والطائف. انظر: جمهرة النسب للكلبي ص (٢١)، ومعجم قبائل الحجاز ص (٤١٩).

(٣) الأغمار: جمع غُمر بالضم، وهو من لم يُجرِّب الأمور. انظر: مجمل اللغة ص (٥٣٦)، والقاموس المحيط ص (٥٨٠)، ومختار الصحاح ص (٤٨٠).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٢٧)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٧٣) عن ابن، عباس وذكره محمد=

الفريقين: اليهود والمشركين[1]، كقوله: ﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2] ففسر الذين كفروا في الآيتين بهما جميعًا[3]، وقُرئ (ستُغلبون) و (سيغلبون)[4]، أما بالياء فنحو ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟﴾[5] وقوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾[6] وأما بالتاء، فنحو ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[7]، وقيل: عنى بالذين كفروا

= بن إسحاق في مغازيه فيما أورده ابن هشام في السيرة عنه (٣/ ٦٩)، والواحدي في أسباب النزول ص (٩٨)، وقد ورد ذلك أيضاً من رواية عكرمة وقتادة. أما رواية عكرمة فرواها ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٢٨) وابن المنذر في تفسيره (ق ٩ ـ مخطوط)، وأما رواية قتادة فرواها ابن جرير (٦/ ٢٢٨) وابن أبي حاتم في تفسير القران العظيم (٢/ ٦٠٤).

(١) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٧) ونسبه إلى أبي علي الفارسي في الحجة. ورجحه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٣) في الأصل: ففسر الذين كفروا في الآية في الآيتين بهما جميعاً. ولا يصح معناه، ولعله خطأ من الناسخ.

(٤) قرأ حمزة والكسائي: «سيُغلبون ويحشرون». انظر: التلخيص ص (٢٣٠) والمبسوط ص (١٤٠)، والغاية ص (٢٠٩)، وزاد صاحب المبسوط والغاية خلفاً، وقرأ الباقون ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ١٤.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨١. وموضع الشاهد قوله تعالى في آخر الآية: =

اليهود[1]. وقوله: ستُغلبون، للمشركين، فعلى هذا لا يكون إلا بالياء.

إن قيل: كيف أطلق هذا الحكم وقد كان منهم من آمن؟ قيل: إن الحشر إلى النار متعلّق بوجود الكفر منهم، وإذا ارتفع الكفر ارتفع به الحكم، وقوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ يجوز أن يكون من جملة ما أُمِرَ به أن يقال لهم، ويجوز أن يكون استئنافَ كلامٍ منه تعالى[2].

قوله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[3]

= ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾.

(١) اختاره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٢٧، ٢٢٩) واستدل عليه بالأثر السابق في سبب نزول الآية وغيره، وقد نسبه أبو حيان في البحر المحيط إلى الفراء، وابن الأنباري. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤١٠). والصواب أن الفراء لم يختر هذا القول، بل ساقه والقول الآخر، وذكر أن من قرأ: (سيغلبون) بالياء ذهب إلى مخاطبة اليهود. ومن قرأ (ستغلبون) بالتاء جعل اليهود والمشركين داخلين في الخطاب. انظر: معاني القرآن (١/ ١٩١).

(٢) نقل أبو حيان هذا القول، ونسبه إلى الراغب. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

العبرة: ما يُعبر به من الجهل إلى العلم، ومن الحسِّ إلى العقل، وأصله من عبور النهر، ومنه: العِبارة؛ لأنها جُعلت كالمعبر، لتأدية المعنى من نفس القائل إلى نفس السامع، وخُصَّ التعبير بتفسير الرؤيا، وباعتبار المَرْأُونَ بالشبح، وجعل العَبْرة للدمعة السائلة، وأصله فَعْله مِن عبر[١]، وقوله: ﴿فِئَةٌ﴾ يجوز رفعه على الاستئناف على تقدير: منهم فئة، والجر على البدلِ، والنصب على الحال، ونحوه مما يجوز فيه الأوجه الثلاثة[٢] قول الشاعر:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت[٣]

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٨)، والصحاح (٢/ ٧٣٢-٧٣٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٠٧-٢١٠)، والمفردات ص (٥٤٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ١٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٨)، حيث أشاروا جميعاً إلى هذه الأوجه الثلاثة، وجوّزوها من حيث اللغة، وقد قرأ بالخفض الحسن ومجاهد وحميد، وهي قراءة شاذة وقرأ بالنصب ابن السَّمَيفَع وابن أبي عبلة، وقراءة الجمهور بالرفع. انظر: مختصر القراءات لابن خالويه ص (١٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٩)، والمبسوط ص (١٤٠)، والغاية ص (٢٠٩) والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣٨). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٠)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٤٣)، والجامع لأحكام القرآن القرطبي (٤/ ٢٥)، والدر المصون (٣/ ٤٤).

(٣) البيت لكثيّر عزة، انظر: ديوانه (ص ٩٩). وانظر: كتاب سيبويه (١/ =

وإنما يجوز البدل فيما إذا كان بدلٌ بقدر المبدَل منه، فأما إذا نقص فليس إلا الاستئناف، نحو مررت بثلاثة: صريعٌ وجريحٌ[(١)].

والآية معطوفة على ما تقدم تقديره: وقل لهم قد كان لهم آية،

[٢٠٠/ب] وقُرئ/ (ترونهم) بالتاء[(٢)] على أن يكون خطابًا لليهود، أي ترون المشركين مثلي المسلمين في العدد، ويرون بالياء أي يرون[(٣)] المسلمون الكافرين مثليهم[(٤)]. إن قيل: ما وجه ذلك وقد كانوا

= ٤٣٣)، والمقتضب (٤/ ٢٩٠)، والخزانة للبغدادي (٢/ ٣٧٦).

(١) قال سيبويه: «مررت بأربعة؛ صريعٌ وجريحٌ، لأن الصريع والجريح غير الأربعة، فصار على قولك: منهم صريع ومنهم جريح. انظر: كتاب سيبويه (١/ ٤٣١- ٤٣٤)، والمقتضب (٤/ ٢٩٠-٢٩٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٣٨١)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٠)، والمغني ص (٦١٤، ٦١٥).

(٢) قرأ بها نافع ويعقوب، انظر: التلخيص ص (٢٣)، والمبسوط ص (١٤١)، والغاية ص (٢٠٩)، وزاد صاحب المبسوط: أبا جعفر، وزاد في الغاية: سهلًا: أبا حاتم السجستاني.

(٣) الأولى: (يرى)، لأنه مسند لفاعل ظاهر وهو: (المسلمون)، ولهذا قدّرها جامع العلوم الأصبهاني في كشف المشكلات (١/ ٢١٨).

(٤) قال ابن جرير الطبري: اختلفت القرأةُ في قراءة ذلك، فقرأته قرأة أهل المدينة ﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالتاء بمعنى: قد كان لكم أيها اليهود عبرة في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة، ترون المشركين مثلي المؤمنين رأي العين، يريد بذلك عظتهم. . . وقرأ ذلك عامة أهل الكوفة والبصرة=

ثلاثة أمثالهم، فقد رُوي أن المشركين كانوا تسعمائة وخمسين إلى ألف، والمسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشرة؟ قيل في ذلك أقوال: **أحدها**: ما قاله الفرّاء: وهو أن يقول الرجل لغيره: احتاج إلى مثلك، أي احتاج إليك وإلى آخر، وعلى هذا احتاج إلى مثليك يكون محتاجاً إلى ثلاثة[1]، فكأنه قيل: يرونهم ثلاثة أمثالهم، وهذا لا يساعده اللفظ، لأنه لو كان كما يقول لقال: يرونهم ومثليهم. **والثاني**: ما قاله ابن عباس: إن الله عز وجل [أرى][2] المسلمين أن المشركين هم ستمائة وكسر[3].

= وبعض المكيين ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ بالياء بمعنى: يرى المسلمون الذين يقاتلون في سبيل الله الجماعة الكافرة مثلي المسلمين في القدر. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٣٣).

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩٤). وقد خطّأ الزّجّاج الفراء في هذا القول، وأبطله في اللغة وفي المعنى. انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨١). وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٢٦-٢٧)، حيث نقل قول الفرّاء، وردّ عليه بقوله: «والمعنى على خلاف ما قال واللغة، والذي أوقع الفرّاء في هذا: أنّ المشركين كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين يوم بدر، فتوهَّم أنه لا يجوز أن يكونوا يرونهم إلا على عدتهم، وهذا بعيد، وليس المعنى عليه؛ وإنّما أراهم الله على غير عدتهم لجهتين: إحداهما: أنه رأى الصلاح في ذلك، لأن المؤمنين تقوى قلوبهم بذلك، والأخرى: أنه آية للنبي ﷺ».

(٢) ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٣) الثابت عن ابن عباس أنه قال: فإن المؤمنين كانوا يومئذٍ ثلاثمائة وثلاثة=

وكان[1] قد أخبر أن المائة من المسلمين تغلب المائتين، فأراهم المشركين على قدر ما أعلمهم، ليقوِّي قلوبهم، وأرى المشركين أن المسلمين أقل من ذلك. ومع ذلك ألقى في قلوبهم الرعب،

= عشر رجلًا، وكان المشركون مثليهم. فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾، وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة، فأيد الله المؤمنين. أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٣)، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال الطبري بعد ذكره لرواية ابن عباس رضي الله عنه: وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر. وأشار ابن كثير رحمه الله إلى ضعف هذا القول أيضاً، فقال: «وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور أن المشركين كانوا بين تسعمائة إلى ألف». والذي يظهر أن الراغب قد فهم كلام ابن عباس على غير وجهه، فابن عباس جزم بأن المشركين كانوا ستمائة وكسر حقيقة، ولم يرهم الله ذلك على غير الحقيقة لتقوية قلوبهم كما ذكر الراغب. أما صاحب هذا القول الذي ذكره الراغب فهو الزجاج، حيث نقل الراغب هنا عباراته مع تصرف يسير. انظر: معانى القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٢)، وقد ذكر ابن عطية هذا القول أيضاً، ونسبه إلى الزجاج. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٠).

(١) في الأصل: «وقد كان قد» والأصح ما أثبته.

فكانوا يرون عددًا قليلًا ورعبًا كثيرًا، وعلى هذا [قال][1] تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾[2]، والثالث: أنهم يرونهم مثليهم في الجلادة، أي يرى كل واحد منهم أنه أجلد من الآخر بمثلين، وذلك كقولك: رأيت فلانًا مثلي فلان، فتكون المماثلة راجعة إلى الجلادة[3]، لا إلى العدد، وعلى هذا قد حمل قوله عز وجل: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾[4] أي في القوة والعُدد، لا في الكثرة والعَدد، (ويُري) هاهنا مُتَعَدٍّ إلى مفعول واحد بدلالة تعليقه بالعين وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ ﴾ أي يُكثر تأييده، يقال: إدتُه، أَئِيده، أيْدًا، نحو: بعتهُ. أبيعه، بيعًا، وآيدتُه على التكثير، لكن أيّدت أكثر استعمالاً.[5]

ونصر الله على وجهين[6]: أحدهما بالحجة. والثاني بالغلبة،

---

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

(٣) الجلادة هي الصلابة والصبر على المكروه. انظر: مختار الصحاح ص (١٠٧)، والمعجم الوسيط ص (١٢٩).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.

(٥) انظر: مجمل اللغة ص (٦٢)، والمفردات ص (٩٧)، والقاموس المحيط ص (٣٣٩).

(٦) ذكر هذين الوجهين: الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٦٧)، وأبو حيان=

وقوله ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فإنه يعني به البصائر لا الجارحة المذكورة[1] في قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2] ويعني أن في ذلك اعتبارًا للذين هم بخلاف من وصفهم بقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾[3].

قوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ / عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[4]. [٢٠١/ب]

القنطرة من المال مقدار تُعبر به الحياةُ تشبيهًا بالقنطرة[5]، وذلك غير محدود القدر في نفسِه، وإنما هو بحسب الإضافةِ كالغِنَى، فربَّ إنسان يستغنى بالقليل وآخر لا يستغنى بالكثير،

= في البحر المحيط (٢/ ٤١٣)، والألوسي في «روح المعاني» (٣/ ٩٨) ولكنه ضعَّف الوجه الأول.

(١) انظر معاني البصر في: مجمل اللغة ص (٧٨)، والمفردات ص (١٢٧)، والقاموس المحيط ص (٤٤٨).

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨، ١٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٥) القَنْطرة: هي الجسر. انظر: الصحاح (٢/ ٧٩٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٣٧٦)، والقاموس المحيط ص (٥٩٩).

ولِما قلنا اختلفوا في حده فقيل: هي أربعون أوقية[1]، وقال الحسن[2]: ألف ومائتا دينار[3]، وقيل: مِلْءُ مَسْكِ[4] ثورٍ ذهباً[5]،

(١) وهو قول ابن سيده في المحكم (٦/ ٣٨٥)، وذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٤)، ونسبه إلى مكي وابن سيده في المحكم. أما مكي فقد قال في العمدة في غريب القرآن (ص ٩٧): القنطار ثمانون ألف درهم، وقيل: ملء جلد ثور. وقال في تفسير المشكل من غريب القرآن ص (١٢٥): القنطار: ألف مثقال. وقيل: مائة رطل. وقيل: ملء مسك ثور ذهباً. وقيل: ثمانية آلاف مثقال.

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، كان يُرسل كثيراً ويُدلِّس، رأى عثمان وعليًّا وطلحة وعائشة رضي الله عنهم، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملًا، وُلد سنة ٢١ هـ وتُوفي سنة ١١٠ هـ. انظر: حلية الأولياء (٢/ ١٣١)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، التقريب ص (١٦٠)، التهذيب (٢/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٩)، وابن المنذر في تفسيره (ق ١١ ـ مخطوط).

(٤) المَسْك: الإهاب أي الجلد. انظر: مجمل اللغة ص (٦٦٥)، والمفردات ص (٧٦٩)، وطلبة الطلبة لأبي حفص عمر بن محمد النسفي ص (١٤٧).

(٥) وهذا قول أبي نضرة وأبي سعيد، أما رواية أبي نضرة فقد أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم عن أبي نضرة عن أبي سعيد (٢/ ٦٠٩)، وابن المنذر في تفسيره (ق ١١ ـ مخطوط). وأما رواية أبي سعيد فقد أخرجها البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣). وابن أبي حاتم في تفسير القران العظيم (٢/ ٦٠٩).

وعلى ذلك عن ابن عباس[1]، وبعضهم: حدّه يتغير[2] كاختلافهم في حدِّ الغِنَى، و ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: المجموعة قناطر قناطر[3]، كقولهم: دراهم مدرهمة، ودنانير مُدَنَّرة[4]، [5] ﴿وَٱلْخَيْلِ﴾ في

---

(١) الوارد عن ابن عباس رضي الله عنه تحديد القنطار إما بألف ومائتي دينار، ومن الفضة ألف ومائتا مثقال؛ أخرج ذلك ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣). وإما باثني عشر ألف درهم أو ألف دينار، أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣)، وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨).

(٢) وهذا قول الربيع بن أنس وأبي عبيدة، أما رواية الربيع فقد أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٩)، وأما قول أبي عبيدة فذكره في مجاز القرآن (١/ ٨٨)، وأشار إليه الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٩)، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٥)، واختار ابن جرير الطبري هذا القول أيضاً، حيث قال: «فالصواب من ذلك أن يقال: هو المال الكثير، ولا يُحَدّ قدر وزنه بحدٍّ على تعسفٍ».

(٣) في المفردات قال: المجموعة قنطاراً قنطاراً. انظر: المفردات ص (٦٧٧)، وفي الأصل: قناطراً قناطراً. والصواب ما أثبته.

(٤) انظر في ذلك: الجمهرة (١/ ٢٤١) و(٢/ ٣٧٣، ٣٩٤) و(٣/ ٣٤٠)، والصحاح (٢/ ٧٩٦) والمفردات ص (٦٧٧)، والمعرب للجواليقي ص (٥١٦)، والكليات لأبي البقاء ص (٣٥٥، ٧٣٣).

(٥) ذكر الراغب هذه الفقرة التي تناولت الكلام على حدِّ القنطار بتمامها في:

الأصل للأفراس والفرسان، وإن كان يستعمل في كل واحد مفردًا، نحو: «يا خيل الله اركبي»[1]، وذلك للفرسان، وقول النبي ﷺ: «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق»[2]، فكأنه سُمّي بذلك لما فيه من الخيلاء، فقد قيل: لا يركب أحدٌ فرسًا إلا

= المفردات مع اختلاف يسير. انظر: المفردات ص (٦٧٧). ولمعرفة جميع أقوال المفسرين في تحديد القنطار. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٤٤-٢٤٩)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٨، ٦٠٩)، تفسير ابن المنذر (ق ١١ ـ مخطوط) تفسير عبد بن حميد (ق ١١ ـ مخطوط)، النكت والعيون (١/ ٣٧٦)، المحرر الوجيز (٣/ ٣٢)، زاد المسير (١/ ٣٥٩). البحر المحيط (٢/ ٤١٤-٤١٥).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٨٧) من طريق محمد بن إسحاق مرسلًا. وقال أبو داود في سننه (٢/ ٥٥) باب «في النداء عند النفير: «يا خيل الله اركبي». وأورد حديث سمرة بن جندب قال: أما بعد فإن النبي ﷺ سمّى خيلنا «خيل الله». وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٧٩) وقال: رواه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ، وابن عائذ في المغازي.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة رقم (١٥٧٤) باب في زكاة السائمة. والترمذي في الزكاة رقم (٦٢٠) باب زكاة الذهب والورِق. وابن ماجه في الزكاة رقم (١٧٩٠) باب زكاة الورِق. والنسائي (٥/ ٣٧) في الزكاة، باب زكاة الورِق. وأحمد في المسند (١/ ٩٢)، وابن خزيمة رقم (٢٢٨٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً، وحسّنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٣٢٧). ونقل الترمذي عن البخاري تصحيحه.

رأى في نفسه خُيَلاءَ، وأصل ذلك من خلتُ، وهو ظنٌّ يَقْرب من الكذبِ، ومنه الخيال. والأخيل: الشَّقِرَّاقُ[(١)]، لكونه متلونًا يخال في كل وقت أن له لونًا آخر[(٢)]، ولذلك قيل:

كـأبي بـراقِـش كـلَّ لَـوْ نِ لـونــه يتخيَّـلُ[(٣)]

و ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المرسلة في الرعي[(٤)]، وقيل: المُعلَّمة في

---

(١) الشقراق: بفتح الشين وكسر القاف وتشديد الراء ـ وفيه لغات أخرى؛ طائر صغير مرقط بخضرة وحمرة وبياض وسواد، كقدر الهدهد، والعرب تتشاءم به. انظر: حياة الحيوان للدميري (١/ ٦٠٥)، وتاج العروس (٢٥/ ٥٠٠).

(٢) انظر: مجالس ثعلب (٢/ ٣٥٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٥-٢٣٦)، والمخصّص (٦/ ١٣٥).

(٣) القائل هو الأسدي، كما في اللسان (٦/ ٢٦٥)، والبيت في الصحاح (٣/ ٩٩٥)، والمفردات ص (٣٠٤)، واللسان (٦/ ٢٦٥)، والتاج (١٧/ ٧٥) وفيه: «أبو براقش: طائر صغير بري كالقنفذ، أعلى ريشه أغبر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود، فإذا هُيِّج انتفش، فتغيَّر لونه ألواناً شتَّى».

(٤) هذا قول سعيد بن جبير ومجاهد في رواية الضحاك والسُّدي والربيع ومقاتل، وهو أحد قولي ابن عباس رضي الله عنه. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٥١- ٢٥٢)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١٠- ٦١١)، تفسير ابن المنذر (ق ١١ - مخطوط)، النكت والعيون (١/ ٣٧٧)، زاد المسير (١/ ٣٦٠).

الحرب[1]، يقال: سمىً بالقصر وسيمياء بالمدِّ[2]، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾[3]، قال الشاعر:

.... له سيمياء لا تَشُقُّ على البصرِ[4]

وقال مجاهد: المسوَّمة: المطهمة[5] ....

---

(١) وهو قول ابن عباس وقتادة. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١١)، والنكت والعيون (١/ ٣٧٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٥)، وزاد المسير (١/ ٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٣).

(٢) في المدِّ لغتان إحداهما: سيماء، والأخرى سيمياء بزيادة ياء بعد الميم، وهي التي ذكرها المؤلف هنا، وقد ذكر اللغتين في المفردات ص (٤٣٨)، وانظر: الجمهرة (٣/ ٤٠٨).

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٤) البيت لأسيد بن عنقاء الفزاري، وقيل: هو لعويف القوافي. وتمام البيت:

غلام رماه الله بالحسن يافعاً ... له سيمياء لا تشقُّ على البصر

انظر: الأغاني (١٧/ ١١٧)، والصحاح (٥/ ١٩٥٦)، واللسان (١٢/ ٣١٢، ٣١٣).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١١٧)، وابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٥٢، ٢٥٣)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٥)، وزاد المسير (١/ ٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٣)، والدر المنثور (٢/ ١٩) ولفظه: المطهمة الحسان. والمطهمة: قال ابن فارس: المُطَهَّم: هو الجميل التام الخلق من الناس والأفراس. =

كأنه جعل التضمير[1] لها تسويمًا، كما جُعل (سنّاً) و (صنعًا) في قولهم: (مسنونة) و (مصنوعة)[2]. والنعم أصل الإبل. فإذا قيل: الأنعام. فقد يتناول الأزواج الثمانية[3]. والشهوة تُقال تارة للقوة المشتهية، نحو فلان خامد الشهوة، وتارة لانبعاث تلك القوة، وتارة للطعام المشتهى، فيقال هذا شهوتي[4]، واختُلف في هذا الحب مَنِ الذي زيّنه؟ مع أنه لا خلاف أنّ الله عز وجل خالقُ القوةِ المشتهية، وخالقُ المشتهى، فقال بعضهم: الله عزّ وجل زينه، وذلك لنظره إلى القوة المشتهية أو المشتهى، ولقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ وإليه ذهب عمر[5]

= انظر: مجمل اللغة ص (٤٥٣)، والقاموس المحيط ص (١٤٦٤).

(١) في الأصل: للتضمير. والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ١٠٢)، والصحاح (٥/ ١٩٥٥)، والمفردات ص (٤٣٨).

(٣) وهي المذكورة في سورة الأنعام في الآيتين (١٤٣، ١٤٤): اثنان من الإبل، واثنان من البقر، واثنان من الضأن، واثنان من المعز. وانظر معنى الأنعام في: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٢٠٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٤٦)، والمفردات ص (٨١٤، ٨١٥).

(٤) انظر: معاني الشهوة في: المفردات ص (٤٦٨، ٤٦٩)، ومختار الصحاح ص (٣٥٠)، ولسان العرب (١٤/ ٤٤٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٥٨).

(٥) هو أبو حفص عمر بن الخطاب نفيل العدوي القرشي، أسلم بمكة بعد=

فإنه روي أنه لما سمع هذه الآية قال: ربنا إنك زيّنت هذه وبيّنت أن ما بعدها خير منها، فاجعل لعمر وآل عمر الذي هو خير منها[1]، وقال بعضهم: زيّنها الشيطان، وإلى هذا ذهب الحسن[2]، فيقول: كيف زينها الله وهو يذمّها؟ ومنهم من قال: زيّن الله منها ما يحسن/ تناوله، وزين الشيطان ما يقبح[3]، فإن [٢٠١/ب] الله عز وجل خلق الإنسان وقوته المشتهية ومشتهياته[4] وأُمر أن

= دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، جم المناقب، تولى الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنهما، استشهد سنة ٢٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٨)، والتقريب ص (٤١٢)، والإصابة (٤/ ٤٨٤).

(١) أخرج هذا الأثر بنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٧)، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ص (١٧٠) وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٥)، والكشاف (١/ ٣٤٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١)، وزاد المسير (١/ ٢٢٨)، وروح المعاني (٣/ ٩٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٧)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وحده في الدر المنثور (٢/ ١٨)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٥)، والكشاف (١/ ٣٤٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢)، وزاد المسير (١/ ٢٢٨)، وروح المعاني (٣/ ٩٩).

(٣) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧٤). وابو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٣) ولم ينسباه إلى أحد.

(٤) في الأصل: ومشتهائه. والصواب ما أثبته.

يتناول منها على الوجه الذي يجب قدر ما يجب في الوقت الذي يجب، ويجعل ذلك ذريعة إلى التوصل به إلى الآخرة، وقيّض له شيطانًا يغرّه فحذّره منه، فمن راعى أمره وتناول ما أُبيح له فإنه قد لا يتعدى إلى ما زينه الشيطان(١)، وقد تقدّم الكلام في بعض ذلك في قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾(٢).

قوله عز وجل: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٣) منتهى المنبأ قيل هو قوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ وقيل(٤) هو ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وقيل: هو آخر الآية، وهذه الأقوال على قراءة من رفع (جنّات)، فأما من جرّها(٥) فلاشك أن ذلك داخل في جملة الاستفهام، لأنه

---

(١) قال أبو الليث السمرقندي في تفسيره «بحر العلوم» (١/ ٢٥٠): «فأما التزيين من الله تعالى فهو على وجهين؛ يكون على جهة الامتحان للمؤمنين مع العصمة، وقد يكون للكفار على جهة العقوبة مع الخذلان. وأما التزيين من الشيطان فهو على جهة الوسوسة».

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢، وانظر: تفسير الراغب لسورة البقرة ق (١٤١) مخطوط.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٤) في الأصل: «وقوله» وما أثبته هو الذي يقتضيه السياق.

(٥) وهي قراءة يعقوب، كما ذكر ابن خالويه في مختصر القراءات ص (١٩)، =

بدل من قوله (بخير). وقال بعضهم[١]: يجوز أن تكون جنات نصبًا بدلاً من موضع بخير، كقولك: مررت برجلٍ زيدًا[٢]، وقوله: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قد تقدم، وقد نبّه بهذه الآية على نعمه الثلاثة[٣]، الأول: وهي الأدون، وذلك عروض الدنيا[٤]، والثاني: الأوسط: وهو الجنة ونعيمها، والثالث: الأعلى، وهو رضوان الله المشار إليه بقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[٥]، وقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٧]، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٨]

= وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٧) والسمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٦٧) وانظر: شواذ القراءات ص (١٩).

(١) وهذا وجه في قراءة يعقوب أيضاً، كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٧).

(٢) انظر أوجه إعراب هذه الآية في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦١)، ومُشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥١، ١٥٢) والدر المصون (٣/ ٦٥)، وتفسير البحر المحيط (٢/ ٤١٧)، وروح المعاني (٣/ ١٠١).

(٣) هكذا في الأصل، والأولى «الثلاث» لأن المعدود «نعمة» مؤنث.

(٤) وهي التي ذكرت في الآية السابقة.

(٥) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

أي بهممهم وإرادتهم، فهو يجازيهم بحسب ما يستحقونه[١].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ جرّ صفة للعباد، أو رفع على تقدير: هم الذين، أو نصب على المدح[٣]، وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ ليس يعني أن ذلك منهم بالقول فقط، بل باعتقادهم وفعلهم[٤].

---

(١) وعن هذه الآية يقول أبو حيان: بدأ أولاً بذكر المقرّ، وهو الجنات التي قال فيها: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». ثم انتقل من ذكرها إلى ذكر ما يحصل به الأنس التامّ من الأزواج المطهرة، ثم انتقل من ذلك إلى ما هو أعظم الأشياء، وهو رضا الله عنهم، فحصل بمجموع ذلك اللذة الجسمانية والفرح الروحاني، حيث علم برضا الله عنه». انظر: البحر المحيط (٢/ ٤١٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦.

(٣) انظر تلك الأوجه في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٥)، وإعراب القرآن (١/ ٣٦١)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٢)، والكشاف (١/ ٢٤٣) والدر المصون (٣/ ٦٩).

(٤) لأن الإيمان عند أهل السنة هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. انظر: الإيمان لابن أبي شيبة ص (٢٠)، ولمعة الاعتقاد ص (١٨٧). وقال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٣/ ١٨٤، =

إن قيل: ما فائدة: (اغفر لنا ذنوبنا)؟ قيل: أما على مذهب الوعيديين[1] فسؤال ما هو من حكمه أن يفعل ما هو بالمؤمنين سئل أو لم يسأل[2]، وقيل: هو فعل ما يقتضي الغفران والوقاية

= ١٨٥): «وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ عطف بيان «للذين اتقوا»، وصفهم بالتقوى وبالتوجُّه إلى الله تعالى بطلب المغفرة... في قولهم: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، وإنما يجري كذلك إذا سعى الداعي في وسائل الإجابة وترقبها بأسبابها التي ترشد إليها التقوى، فلا يجازى هذا الجزاء من قال ذلك بفمه ولم يعمل له».

(١) الوعيديون: هم الذين يقولون بخلود أصحاب الكبائر من الموحدين في النار، ويُنكرون الشفاعة لقولهم بنفاذ وعيد الله دون استثناء. وسمّوا وعيديّة ويُراد بهم الخوارج والمعتزلة على الخصوص، على أن الخوارج يقولون بكفر أصحاب الكبائر، أما المعتزلة فيقولون: إنهم في منزلة بين المنزلتين أي الإيمان والكفر، وفي الآخرة يخلّدون في النار. انظر: أصول الدين للبغدادي ص (٢٤٢)، ومنهاج السنّة لابن تيميّة (٦/ ٣٠٢)، ومصطلحات علم الكلام الإسلامي (٢/ ١٤٥٨).

(٢) هذا القول يغضُّ من شأن الدعاء، ويؤدي إلى ترك الدعاء اعتماداً على النصوص العامة، التي تبين مغفرة الله تعالى للمؤمنين، ونصره لهم، ودفاعه عنهم. وأحوال النبي ﷺ وصحابته وسلف الأمة تدفع هذا الفهم، فقد كان نبيُّ الله ﷺ واثقاً من نصر الله وتأييده ومغفرته له، ومع ذلك كان يكثر من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل: أن ينزل عليه نصره، ويمده بتأييده، ويثبت قلبه.

من النار، وهو الإقلاع، وإن كان متعلقًا بالقول. وقيل: هو مسألةُ لطفٍ، لا يفعله الله بالعبد إلا إذا سأله(١).

[٢٠٢/أ] قوله عز وجل: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ / وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾(٢) قد تقدَّم وصفُ الصَّبرِ ومنازله، وأن كل منزل هو أعلى فثوابه أعلى، وأن أرفعه صبرُ العارف الذي هو الرضى والتسليم(٣)، والصادقون: هم الذين صدقوا في الاعتقاد والقول والعمل، وذلك غاية الإيمان(٤)، والقانت:

---

(١) هذه الأقوال التي ساقها الراغب لم أجد أحداً من سلف الأمة؛ لا من الصحابة ولا التابعين قال بها، ولذلك فإن مفسري أهل السنة: كالطبري وابن كثير فسروا الآية بظاهرها، وعلى حسب ما تقتضيه اللغة. قال الطبري: ومعنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: الذين يقولون: إننا صدّقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ يقول: فاستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها. ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ادفع عنا عذابك إيانا بالنار أن تعذبنا بها. وإنما معنى ذلك: لا تعذبنا يا ربنا بالنار. وبنحو ذلك شرح الآية البغوي وابن كثير. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٦٣، ٢٦٤)، وروح المعاني (٢/ ١٦) وتفسير القران العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٣) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]. انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٩ ـ مخطوط).

(٤) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧٨).

الدائم العبادة في السرِّ والجهر[1]، والمنفقون: عُني به: في الفرائض والنوافل[2]، ومن المال والبدن، والمستغفرون: طالبو الغفران بإتيانهم بالطاعات، وتخصيصُ الأسحار لكون العبادة فيها أشقَّ والقلوب أحضر وأرق[3]. وروى جعفر بن محمد[4]: أنّ من صلى من الليل، ثم استغفر في آخره سبعين مرة، كُتب من المستغفرين

---

(١) انظر معاني القنوت في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٨، ٣٨٥)، والمفردات ص (٦٨٤، ٦٨٥)، ومختار الصحاح ص (٥٥٢)، والقاموس المحيط ص (٢٠٢).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٣٨): والإنفاق معناه في سبيل الله ومظان الأجر كالصلة للرحم وغيرها، ولا يختص هذا الإنفاق بالزكاة المفروضة.

(٣) ذكر نحواً من هذا المعنى: أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٨)، والبيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٢)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ١٦)، والألوسي في روح المعاني (٣/ ١٠٢).

(٤) هو أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المعروف بالصادق، صدوق إمام فقيه، أحد الأئمة الأعلام، وُلد سنة ثمانين، ومات سنة (١٤٨)، قال مالك: اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال؛ إما مصلٍّ، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدِّث إلا على طهارة. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥)، والتهذيب (٢/ ١٠٣)، والتقريب ص (١٤١).

بالأسحار[١]، وروي أن ابن عمر[٢] كان يصلّي فإذا أسحر قعد يستغفر[٣]، وقال زيد بن أسلم[٤]: المستغفرين بالأسحار هم الذين يشهدون الصبح في جماعة[٥]، وذلك داخل في عموم الآية،

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠)، وعزاه إلى ابن جرير وحده.

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نُفيل العَدوي القُرشي، ولد بعد ثلاث سنوات من بعثة رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدراً وأحداً لصغر سنّه، كان من أشد الناس اتباعاً للأثر، وأحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، توفِّي سنة ٧٣ هـ. انظر: التهذيب (٥/ ٣٢٦)، والإصابة (٢/ ٣٤٧)، وتقريب التهذيب ص (٣١٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦١٦)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠)، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا من تفسير ابن المنذر.

(٤) هو زيد بن أسلم العدوي المدني، ثقة عالم، وكان يُرسل، فقيه مفسِّر، حدّث عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، له كتاب في التفسير، توفي سنة ١٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦)، والتهذيب (٣/ ٣٩٥)، والتقريب ص (٢٢٢).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦١٥، ٦١٦)، وذكره الماوردي في النكت =

فإن شاهد الصبح في جماعة يستحق الصبح[1].

قال عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] الشاهد بالشيء يقتضي حضوره بعلمه، والإنباء عنه، والحكم بما عليه، ولهذا تُفسَّر الشهادةُ[3] تارة بالحضور، وتارة بالعلم، وتارة بالإعلام، وتارة بالحكم[4]. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾[5]، وشهادة المدعي بما يدعيه لا تقتضي زيادة على دعواه، مع أن هذه الشهادة

= والعيون (١/ ٣٧٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٩)، والألوسي في روح المعاني (٣/ ١٠٢).

(١) قال أبو حيان: وهذا الذي فسّروه كلّه متقارب. البحر المحيط (٢/ ٤١٩).
وقال ابن جرير الطبري: «وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قول من قال: هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها، وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل أن يكون معناه: تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة، غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء». انظر: جامع البيان (٦/ ٢٦٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) في الأصل: (بالشهادة) والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: معاني الشهادة في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٥)، والمفردات ص (٤٦٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٥٠).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

إن كانت للجاحدين فغير مقبولة، وإن كانت للمؤمنين به ففضلة؟ وهل يكفي النبي ﷺ إذا طولب بالدلالة أن يقول: الله شاهد لي بذلك؟ قيل: الشاهد العالم بالشيء، المبيّن لغيره، وأصدق شاهد من يعلم المشهود عند الدلالة المنبئة عن صدقه، وعن كون الأمر على ما شهد به[١]، والبارئ عز وجل لما جعل في كل شيء تنبُّؤاً عن وحدانيته صار له في كل شيء لسان يشهد أنه واحد، وهذا ظاهر[٢]،

(١) أشار إلى ذلك الزجاج في معاني القرآن، فقال: «لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله عز وجل قد دلَّ على توحيده بجميع ما خلق، فبيَّن أنه لا يقدر أحد أن ينشىء شيئاً واحداً مما أنشأ». انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٥)، والوسيط (١/ ٤٢٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤١٩). وقال الرازي: والشاهد الحقيقي ليس إلا الله، وذلك لأنه تعالى هو الذي خلق الأشياء، وجعلها دلائل على توحيده، ولولا تلك الدلائل لما صحّت الشهادة، ثم بعد ذلك نصب تلك الدلائل، وهو الذي وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل، ولولا تلك الدلائل التي نصبها الله تعالى وهدى إليها لعجزوا عن التوصل بها إلى معرفة التوحيد. وإذا كان الأمر كذلك كان الشاهد على الوحدانية ليس إلا الله وحده، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٧٨).

(٢) قال الراغب في المفردات: فشهادة الله تعالى بوحدانيته هي إيجاد ما يدلُّ على وحدانيته في العلم وفي نفوسنا، كما قال الشاعر:

وفي كلِّ شيءٍ له آية ... تـدلّ على أنـه واحـدُ

قال بعض الحكماء: إن الله تعالى لمّا شهد لنفسه، كانت شهادته أن أنطق=

وبيَّن بقوله: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[1] أنهم قد عرفوا ذلك وينبئون عنه، فإن الأدلة التي يذكرها العلماء، وتأتي بها الملائكة والأنبياء شهادة منهم، فحثّهم الله تعالى بهذا القول على التأمُّل، ليعرفوا صحة ما شهدوه[2]، وكذا الآية كأنه [قال][3] لنبيِّه: لا تستوحش من تكذيب الكافرين/ لك، فقد أبدى الله عز وجل [٢٠٢/ب] من الآيات ما ينبئ أنه تعالى شاهد لك بصدق دعواك. وقوله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أي هو تعالى مراعٍ للعدالة بكل حال، وذلك حالٌ مؤكّدة[4].

= كلَّ شيء كما نطق بالشهادة له. انظر: المفردات ص (٤٦٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) قال الراغب في المفردات: وشهادة الملائكة بذلك هو إظهارهم أفعالاً يؤمرون بها، وهي المدلول عليها بقوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وشهادة أولي العلم: اطلاعهم على تلك الحكم وإقرارهم بذلك. انظر: المفردات ص (٤٦٦). وقال الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧٩): «وأما شهادة الملائكة وأولي العلم، فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته».

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٢)، والكشاف (١/ ٣٤٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤١)، والتفسير الكبير (٧/ ١٧٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٠). والحال المؤكدة هي التي تبين كيفية أزلية أي دائمة مستمرة. وصاحب الحال في الآية: ﴿هُوَ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما ذكره مكي. انظر: إعراب القرآن=

فإن قيل: ما وجه تكرير ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية؟ قيل: لما كان منتهى إدراك الإنسان للبارئ تعالى أن يعرف الموجودات، فيعلم أنه ليس إياها ولا مشبَّهًا بشيء منها، صار صفات التنزيه له أشرف من صفات التمجيد له، إذ كان عامة صفات التمجيد في ألفاظها مشاركة(١)، يصح وصف العباد بها، ولأجل ذلك عظم ما ورد من صفاته على لفظ النفي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ

= للنحاس (١/ ٣٦٢)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٢)، والمفصل مع شرحه التخمير (١/ ١٣٥-٤٣٧).

(١) هذه المشاركة لا تدل على المماثلة، فهي مشاركة في الألفاظ فقط، فعِلْمُ الله ليس كعلم البشر، وقدرته ليست كقدرة البشر، واستواؤه ليس كاستواء البشر، «فإذا قيل: علم الله وكلام الله ونزوله واستواؤه ووجوده وحياته ونحو ذلك، لم يدل ذلك على ما يشركه فيه أحد من المخلوقين بطريق الأولى، لم يدل ذلك على مماثلة الغير له في ذلك... فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره، ولا كلامه مثل كلام غيره، ولا استواؤه مثل استواء غيره، ولا نزوله مثل نزول غيره، ولا حياته مثل حياة غيره، ولهذا كان مذهب السلف والأئمة: إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات... فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن يُفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها: كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها؛ فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته». انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣٢٩، ٣٣٠)، والتدمريّة ص (٢٠-٣٠)، ومنهاج السنّة (٢/ ١١٧)، والجواب الصحيح (٤/ ٤٤-٤٦)، ونقض التأسيس (١/ ٣٧٨-٣٨٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٦٢).

﴿وَلَا نَوۡمٌ﴾[1] قيل في سورة الإخلاص: «إنها تعدل ثلث القرآن»[2]، لكونها تنزيهًا محضًا، فإن لفظي: الأحد[3] والصمد[4] ـ وإن كانا على صورة الإثبات ـ فنفي للتثنية والتشبيه[5]، ثم أبلغ ما يوصف به من التنزيه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فتكريره هاهنا لأمرين: أحدهما: لكون الثاني قطعًا للحكم؛ كقولك: أشهد أن زيدًا خارج وهو خارج. والثاني: لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه، إذ قد يوصف بهما المخلوق[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) ورد ذلك عن النبي ﷺ. أخرجه البخاري في «فضائل القرآن» باب فضل ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ رقم (٥٠١٣)، وفي «الأيمان والنذور»، باب كيف كانت يمين رسول الله ﷺ رقم (٦٦٤٣)، وفي «التوحيد»، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله رقم (٧٣٧٤). وأخرجه مسلم في «صلاة المسافرين»، باب فضل قراءة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ رقم (٨١٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) الأحد: هو المتفرد بصفاته الذي لا مثل له ولا شبه. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٠)، والمفردات ص (٦٦، ٦٧).

(٤) الصمد: السيِّد الذي يُصْمَدُ إليه في الأمر أي يُقْصَدُ. انظر: مجاز القرآن (٢/ ٣١٦)، والمفردات ص (٤٩٢)، ومختار الصحاح ص (٣٦٩).

(٥) قال ابن تيمية: فالاسم «الصمد» يتضمَّن صفات الكمال، والاسم «الأحد» يتضمَّن نفي المثل. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣٢٩).

(٦) نقل هذه الفقرة التي تناولت تكرير قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بكاملها أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٢٤)، ونسبها للراغب. وانظر في نفس=

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[(١)] قد تقدَّم وجوه الدين[(٢)]، وأن للإسلام ثلاث منازل[(٣)]: **الأول**: الاعتراف الذي يحقنُ الدمَ. **والثاني**: أن يكون مع الاعتراف اعتقادٌ صحيحٌ ووفاءٌ[(٤)] بالفعل. **والثالث**: أن يكون مع ذلك استسلامٌ فيما يجري عليه من

= القضية: التفسير الكبير (٧/ ١٨٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧)، وروح المعاني (٣/ ١٠٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) قال ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٧٣) ومعنى الدين في هذا الموضع: «الطاعة والذلة» وقال الراغب في المفردات ص (٣٢٣): «والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملّة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة». وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٤).

(٣) انظر تفسير الراغب (ق/ ٩٠) لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ...﴾ [البقرة: ١١٢]. فقد ذكر هذه المنازل الثلاث إلا أنه دمجها في ضربين فقط، وقد فعل الشيء نفسه في المفردات كما سيأتي.

(٤) في الأصل (وفا) والصواب ما أثبته وهو الموافق لما ذكره الراغب في آية البقرة وفي المفردات.

قضاءِ الله، وهو المسؤول بقوله عز وجل: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾[1] وغاية الإنسان في ذلك أن يكون كإبراهيم حين قيل له: أسلم، ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] بيَّن تعالى أن حقيقة طاعة الإنسان بحسب ما يكون منه من الاستسلام في المنازل الثلاث[3]، وقد قُرِئ ﴿أن الدِّينَ﴾[4] بالفتح، فيصح أن يكون بدلاً من الأول، واستغني عن الضمير الراجع إلى الله لإعادة ذكره، ويجوز أن يتعلَّق بفعل مضمر دلّ عليه الأول، ومن قرأ (شَهِدَ الله إنه)[5]

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٣) في المفردات جعل الراغب الإسلام على ضربين، وليس على ثلاث منازل، حيث دمج المنزلة الثانية في الثالثة، فقال: والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذُكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. انظر: المفردات ص (٤٢٣). وانظر معاني الإسلام في: جامع البيان (٦/ ٢٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١٨)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٢)، وزاد المسير (١/ ٣٦٣).

(٤) قرأ بذلك ابن عباس والكسائي ومحمد بن عيسى الأصبهاني. انظر: المبسوط ص (١٤١)، والغاية لابن مهران ص (٢١٠)، والتلخيص ص (٢٣١) وحجة القراءات لابن زنجلة ص (١٥٧)، ومعاني القراءات للأزهري ص ٩٧، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٤).

(٥) هو ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٦٨)، والبحر=

[٢٠٣/أ] فشهد يعمل في قوله ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ و إنه كالعلة(١)، و/ قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾(٢) كقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾(٣) والكلام فيه قد تقدم(٤).

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٥).

---

(١) قال الزجاج: «وأكثر القراءات: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بفتح الألف في ﴿أَنَّهُۥ﴾، وقد رويت بالكسر عن ابن عباس، وروي أن ﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ بفتح الألف. والأكثر فتح «أنه» وكسر ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾. ومن قرأ «إنه» بالكسر فالمعنى: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، وأنه لا إله إلا هو. والأجود الفتح كما وصفنا في الأول، لأن الكلام والتوحيد والنداء بالأذان: (أشهد أن لا إله إلا الله)». ورجح قراءة الجمهور أيضاً: ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٨)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٥). وانظر إعراب الآية وتوجيه القراءات في: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٤٩)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٢)، والكشاف (١/ ٣٤٥)، والمغني لابن هشام (٢/ ٨٣٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٤) وذلك عند تفسيره لهذه الآية من سورة البقرة، انظر: تفسير الراغب (ق ١٤١ ـ مخطوط).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

الوجه: العضو المعروف، وعبّر به عن الجملة، وقيل: هو القصد[1]، نحو وجهي إلى فلان[2]، والذين أوتوا الكتاب: قيل هو عام فيمن نزل إليهم الكتاب[3]، والأمِّيُّون مَنْ سواهم من اليهود ومن النصارى ومن العرب[4]. إن قيل: كيف يصحُّ

---

(١) قال الزجاج: «ومعنى: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ أي قصدت بعبادتي إلى الله جل ثناؤه، وأقررت أنه لا إله غيره». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٨).

(٢) انظر معاني الوجه في: معاني القرآن (١/ ٣٨٨، ٣٨٩)، والمفردات ص (٨٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٧).

(٣) هذا القول ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٠) ونسبه إلى بعض المتأخرين، أما أغلب المفسرين فقد قالوا في الذين أوتوا الكتاب: إنهم اليهود أو النصارى أو هما معاً. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٨١)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٠)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٤)، حيث نقل الاتفاق على أنهم اليهود والنصارى في هذه الآية، وزاد المسير (١/ ٣٦٤)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٩). ونقل الاتفاق أيضاً على أنهم اليهود والنصارى.

(٤) جعله اليهود والنصارى من الأميين لم أجد من وافقه عليه من المفسرين، بل جميعهم على أن الأميين في الآية هم من لاكتاب لهم كمشركي العرب. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٨١)، ومعاني القرآن (١/ ٣٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٢٥٤)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٤)، وزاد المسير (١/ ٤٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٩).

الاقتصار في المحاجّة[1] على أن يقول: تقبل ما أقوله أم تردّه، فإن رددتَه أعرضت عنك؟ قيل: المحاجّة ضربان: ضرب للاستهداء وضربٌ للعناد. ولما كان الله قد بيَّن لهم الأدلة، وبين أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال حينئذٍ: إن عاندوك فعرفهم مخالفتك لهم، وهذا كما يقال لمن أوضحت له الحجة: إن قبلتَ وإلا أعرضنا عنك[2]. وقال بعضهم: إنما نبَّه بهذه الآية على الحجةِ اللازمة لهم، ووجه ذلك أنه قال: قل لهم: إني توجهت إلى الله بعبادة. فهل تُنكرون كونه معبودًا، فإنه لا يمكنهم إنكار ذلك إذ كان وجوب عبادته والتوحّد له محمودًا عند الكلِّ، وإنما اختلافهم في غيره[3]، فَبَيَّنْ أنهم إن أسلموا للحجة فقد اهتدوا، فإن

---

(١) قال الراغب في المفردات: «والمحاجَّة: أن يطلب كلّ واحد أن يردّ الآخر عن حجته ومحجَّته». انظر: المفردات ص (٢١٩). وانظر: بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٣١، ٤٣٢).

(٢) قال الألوسي في روح المعاني (٣/ ١٠٨): «وفيه إشارة إلى أن الجدال معهم ليس في موقعه، لأنه إنما يكون في أمر خفي، والذي جادلوا به أمر مكشوف، وحكم حاله معروف، وهو الدين القويم، فلا تكون المحاجة والمجادلة إلا مكابرة، وحينئذٍ يكون هذا القول إعراضاً عن مجادلتهم».
وانظر: جامع البيان (٦/ ٢٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١٩)، والكشاف (١/ ٣٤٦، ٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣).
وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٣).

(٣) فاليهود يدّعون التشبيه والتجسيم، والنصارى يدّعون إلهية المسيح =

حجتَك لازمة ـ وليس لهم ما يدّعونه حجة، وفي ذلك اهتداؤهم[1].

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي إن أبوا أن ينقادوا للحجة فليس عليك إلا البلاغ، كقولك: ليس عليك هداهم ونحوه، وقدَّم الذين أوتوا الكتاب، لأن الحجة تلزمهم من وجهين: من الوجه الذي يلزم الأميين[2]، ومن وجه أنهم يدَّعون الإيمانَ بإبراهيم وغيره، وعلى هذا قال إبراهيم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[3] وقوله:

= عليه السلام، والمشركون يدعون وجوب عبادة الأوثان، فهؤلاء هم المدّعون، فعليهم الإثبات. انظر: روح المعاني (٣/ ١٠٨).

(١) ذكر هذا الوجه الثاني في تفسير الآية الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٣٨٨) فقال: «والمعنى أن الله عز وجلّ أمر النبيَّ ﷺ أن يحتجَّ على أهل الكتاب والمشركين بأنه اتبع أمر الله الذي هم أجمعون مقرّون بأنه خالقهم، فدعاهم إلى ما أقرّوا به، وأراهم الدلالات والآيات التي قد شرحنا ذكرها بأنه رسوله ﷺ». وانظر هذا الوجه أيضاً في: الكشاف (١/ ٣٤٧)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، وروح المعاني (٣/ ١٠٨).

(٢) وهو اعتقادهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

(٣) أورد الرازي في التفسير الكبير هذا الوجه من الاستدلال وقال: ذكره أبو مسلم الأصفهاني، وكان مما قال: فأمر الله تعالى محمداً ﷺ بأن يتبع ملته، فقال: =

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: أي عارف بمقاصدهم، وقوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ معطوف على التاء [في][1] ﴿أَسْلَمْتُ﴾، ولم يحتج إلى تأكيد الضمير، كما أُكِّد في قولهم: خرجت أنا وزيد. للفصل[2] القائم مقام التأكيد[3]، وحذف الياء من قوله ﴿ٱتَّبَعَنِۗ﴾ لدلالة الكسْرِ عليه[4].

= ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ﴾ [النحل: ١٢٣]، ثم إنه تعالى أمر محمداً في هذا الموضع أن يقول كقول إبراهيم ﷺ، حيث قال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. أي أعرضت عن كل معبود سوى الله تعالى، وقصدته بالعبادة، وأخلصت له، فتقدير الآية كأنه تعالى قال: فإن نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل: أنا مستمسك بطريقة إبراهيم، وأنتم معترفون بأن طريقته حقة، بعيدة عن كل شبهة وتهمة، فكان هذا من باب التمسك بالإلزامات، وداخلًا تحت قوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٨٤).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) في الأصل: للقصد. والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: أوجه إعراب: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ في: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٣)، والكشاف (١/ ٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، والدر المصون (٣/ ٩٠، ٩١)، .

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٣)، والدر المصون (٣/ ٩٢). وقال ابن زنجلة في حجة القراءات=

قوله عز وجل: / ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١) هذا تعريض ببني إسرائيل(٢)، وذاك لأن أبا عبيدة بن الجراح قال: قلت: يا رسول الله، من أشد الناس عذابًا يوم القيامة؟ قال: «**من قتل نبيًّا أو رجلًا أمر بمعروف ونهى عن منكر**»، ثم قرأ الآية، وقال: «**يا أبا عبيدة قتل بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا في ساعة من صدر النهار، فقام مائة واثنا عشر رجلًا من عُبَّادهم، فأمروهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقُتِلُوا جميعهم آخر النهار**»(٣). [٢٠٣/ب]

= ص (١٥٨): «قرأ نافع وأبو عمرو: «ومن اتبعني» بياء في الوصل، وحجتهما أنها ياء المتكلم، كما تقول: (من كلَّمني) فلا تحذف الياء. وقرأ الباقون بحذف الياء. وأصل «اتبعني»: «اتبعي»، ولكن النون زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الياء. وانظر كذلك: المحرر الوجيز (٣/ ٤٣، ٤٤)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، وروح المعاني (٣/ ١٠٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) وهو أيضاً توبيخ للمعاصرين لرسول الله ﷺ بمساوىء أسلافهم، كما ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٤٥).

(٣) أخرجه البزار في مسنده «البحر الزخار» (٤/ ١١٠) رقم (١٢٨٥) ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ، إلا من هذا=

إن قيل: لِمَ أعيد يقتلون ولم يقل: ويقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون؟ فقل: لأمرين: أحدهما تفظيعًا لشأنهم، والثاني: أنه يجوز أن يكون أحد القتلين تفويت الروح والآخر الإهانة وإماتة[1] الذكر، وذلك كثير في كلامهم[2]. إن قيل: لِمَ قال: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وقتلهم لا يكون بحق على وجه حتى يحتاج إلى تقييده بذلك؟ قيل: قوله ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ليس يتعلق بقوله ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، بل هو من صفة الذين يكفرون، كأنه قال: هم يقتلون، وهم غير محقين، ووصفهم بذلك من أنهم

= الوجه عن أبي عبيدة، ولا نعلم له طريقاً عن أبي عبيدة غير هذا الطريق، ولم أسمع أحداً سمَّى أبا الحسن الذي روى عنه محمد بن حمير ـ أحد رجال الإسناد ـ. وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٨٥، ٢٨٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٢) وقال: وفيه من لم أعرفه، اثنان.

(١) في الأصل: والإماتة، والصواب ما أثبته، وقد نقل هذه الجملة أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٠).

(٢) ذكر هذين الوجهين أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٠)، وذكر الوجه الثاني السمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ٩٤)، وذكر أبو حيان وجهاً ثالثاً وهو اختلاف ترتب العذاب بالنسبة على من وقع به الفعل، فقتل الأنبياء أعظم من قتل من يأمر بالمعروف من غير الأنبياء، فجعل القتل بسبب اختلاف مرتبته كأنهما فعلان مختلفان. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣٠)، وروح المعاني (٣/ ١٠٩).

غير محقين في جميع أحوالهم(١)، وتخصيص(٢) أنها للاستقبال في قوله: ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾ كتخصيصه في قوله: ﴿ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ﴾(٣)، قد تقدَّم الكلام فيه(٤)، وكذلك قد تقدم تخصيصُ لفظ البشارة في العذاب، مع كونه موضوعًا لما يسر(٥)،

---

(١) أشار إلى هذا المعنى أبو المظفر السمعاني في تفسيره حيث قال: «إنما قال: ﴿ بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ تأكيداً، لأن قتل النبيين لا ينقسم إلى الحق والباطل».
وقال الطاهر بن عاشور: وقوله: ﴿ بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ ظرف مستقر في موضع الحال المؤكدة لمضمون جملة ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾، إذ لا يكون قتل النبيين إلا بغير حق». انظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٠٤)، والتفسير الكبير (٣/ ٩٥، ٩٦)، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٠٦).

(٢) في الأصل (وتخيص) والصواب ما أثبته.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٤) قال الراغب في تفسير هذه الآية من سورة البقرة: إن قيل: كيف قيل للخلف: ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ﴾ وكان القتل من السلف لا منهم؟ قيل: لما كان من عادة العرب أن ينسبوا إلى أنفسهم على طريق الفخر مآثر آبائهم فتقول: فعلنا كذا، متصورين بصورتهم، خوطبوا أيضاً في نسبة مثالبهم إليهم على هذا الوجه. انظر: تفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٧٦ ـ مخطوط).
وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٠٥)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٠)، وروح المعاني (٣/ ١٠٩).

(٥) قال الراغب عند تفسيره لقوله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

فإن قيل: ما فائدة قوله ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؟ قيل: عنى بذلك وجود الفضيلة المختصة بالإنسان في النبيين، والآمرين بالقسط[1]، وذلك نحو قولهم: فلان هو إنسان، وعلى ذلك قول الشاعر:

.... إذ الناسُ ناس والزمان يَعِزُّ به[2]

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥] فإن قيل: فإذا كانت البشارة للأخبار السارة، فما وجه قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ قيل: إن مثل ذلك قد يستعمل على سبيل التهكم نحو: تحيّةٌ بينهم ضربٌ وجيع تنبيهاً أن السارَّ لهم: الإخبار بالعذاب الأليم، فما الظنُّ بما وراءه؟. انظر: تفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٢٩ ـ مخطوط)، وقال الماوردي بعد أن ذكر نحواً من كلام الراغب: وفي تسميتها بذلك وجهان: أحدهما: لأنها تغير بشرة الوجه بالسرور في الخير، وبالغم في الشر. والثاني: لأنها خبر يستقبل به البشرة. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٢). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦)، وزاد المسير (١/ ٥٢).

(١) ومن هنا استدلَّ الحسن رحمه الله بهذه الآية على أن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوف تلي منزلته في العظم منزلة الأنبياء. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٨٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٠).

(٢) البيت في المحاضرات للراغب ص (٢٥٥)، ومجمع البلاغة ص (٥٠٣) بغير نسبة. وانظر: بهجة المجالس (٢/ ٧٩٨)، مع اختلاف يسير في الرواية. وذكر الراغب أن ابن عباس قال: . . . لقد شكت قوم عادٍ في زمانهم، إذ قد وجدوا في خزائنهم سهماً مكتوباً عليه:

قوله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[1] الحبوط: فساد العمل، وأصله من الحَبِطِ، أي فساد بطون الماشية من مأكل الربيع[2]، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ**»[3].

يعني بقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: هم الذين يكفرون ويقتلون[4].

= بلاد بها كنّا ونحن نحبها إذ الناس ناس والبلاد بلاد

انظر: المحاضرات ص (٢٥٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٢.

(٢) قال ابن الأثير: «حبطت الدابة حَبَطاً بالتحريك، إذا أصابت مرعىً طيباً، فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت» النهاية (١/ ٣٣١). وانظر: «العين» (٣/ ١٧٤)، والصحاح (٣/ ١١١٨)، والمخصص (٧/ ١٧٢)، (٨/ ١٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب «يستقبل الإمام القوم» رقم (٩٢١) وفي الزكاة، باب «الصدقة على اليتامى» رقم (١٤٦٥) وفي الرقاق، باب «ما يحذر من زهرة الدنيا» رقم (٦٤٢٧). وأخرجه مسلم في الزكاة، باب «تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا» رقم (١٠٥٢). وأخرجه النسائي في الزكاة، باب «الصدقة على اليتيم» (٥/ ٩٠). وابن ماجه في «الفتن» باب «فتنة المال» رقم (٣٩٩٥)، وأحمد في المسند (٣/ ٧، ٢١، ٩١). وقوله: أويُلم: أي يقرب من القتل. انظر: النهاية (٤/ ٢٧٢).

(٤) في الأصل: فيقولون، والسياق يقتضي ما أثبته.

بطلت في الدنيا والآخرة أعمالهم، أما في الدنيا فلأنهم لم يحصّلوا منها محمدةً، وأما في الآخرة فلم يحصّلوا منها مثوبة، وذلك [٢٠٤/أ] نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ/ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(١).

إن قيل: لم قال: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ولو قال: ما لهم من ناصر كان ذلك عامًا لكونه نكرة منفية؟ قيل: لما كان القصد بهذه الآيات تثبيت الوحدانية ونفي الكثرات، نبّه بلفظ الجمع على أن ناصر الناس واحد، فكأنه قال: ما للناس ناصرون، بل لهم ناصر واحدٌ، فيجب أن يُطلب مرضاته ويُتحرى مرسوماته، وذلك نحو قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ(٢) غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾(٣) و ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾(٤)، وما أشبه ذلك من الآيات.(٥)

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) في الأصل: من إله، وأثبت نصَّ الآية من المصحف.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧١.

(٥) وهناك علة أخرى للإتيان بلفظ الجمع هنا ذكرها أبو حيان حيث قال: «مجيء الجمع هنا أحسن من مجيء الإفراد، لأنه رأس آية، ولأنه بإزاء من للمؤمنين من الشفعاء الذين هم الملائكة والأنبياء وصالحو المؤمنين، أي ليس لهم كأمثال هؤلاء» انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣١)، وروح المعاني (٣/ ١١٠).

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] الحكم: القضية التي تردع المبطل، ومنه حَكَمَةُ اللجام[2]، والآية تتناول اليهود والنصارى وإن كانت واردةً في اليهود، قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ رأى جماعةً من اليهود فدعاهم، فقالوا: على أي ملةٍ أنت يا محمد؟ قال: «على ملّة إبراهيم» فقالوا: إن إبراهيم كان يهوديًا. فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]، وقيل: كان ذلك في سبب اليهوديين اللذين رجمهما النبي ﷺ، وقالت اليهود: إن ذلك ليس في التوراة، فأكذبهم النبي ﷺ، ودعا بالتوراة، فقرأ منها آيةَ الرجم[4]، وقيل: كان في سبب نبوته وتكذيبهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٢) حكَمةُ لجام الفرس: ما أحاط بحنكيه، سُمي به لأنها تمنعه من الجري. انظر: العين (٣/ ٦٧) ومقاييس اللغة (٢/ ٩١) والمخصص (٦/ ١٨٩)، والمفردات ص (٢٤٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٨٨، ٢٨٩) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٢)، وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٢١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٨)، وزاد المسير (١/ ٣٦٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٥٠).

(٤) ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه، ولكنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه. والكلبي هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر =

إياه[1]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ وإن كان لفظه عامًّا فمعناه خاص، لأنه ليس كلهم فعلوا ذلك، ألا ترى إلى قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[2]، [3] إن قيل: لِمَ قال: ﴿مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، ثم قال: ﴿كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾، وهل الأول هو الثاني أم غيره؟ قيل: قد قال بعضهم: الأول والثاني

= الكوفي مُتَّهمٌ بالكذب، واتفق العلماء على عدم الاحتجاج بحديثه. انظر: التقريب ص (٤٧٩). وانظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٣)، وأسباب النزول للواحدي ص (١٠٠)، وزاد المسير (١/ ٣٦٦). والتفسير الكبير (٧/ ١٨٨)، وروح المعاني (٣/ ١١١)، والمشهور أن الآية التي نزلت في قصة رجم اليهوديين هي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤]، وسوف يأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله.

(١) وهذا قول قتادة رحمه الله، فقد أخرج ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٩٠) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٣) وابن المنذر في تفسيره (ق-١٥ - مخطوط) عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية قال: هم اليهود، دعوا إلى كتاب الله وإلى نبيه وهم يجدونه مكتوباً عندهم، ثم يتولون وهم معرضون. وهو قول مقاتل بن سليمان أيضاً، انظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٦)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧) والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٣) أشار إلى ذلك ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٩٠) وذكره الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٨٨).

واحد، وهما التوراة، لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾[1] الآية، وذكرها باللفظين تعظيمًا لها[2]، وقيل: عنى بالأول التوراة، وبالثاني القرآن وغيره من كتبه، تنبيهًا أن كل كتاب يقضي بصحة ما هو فيه[3].

وقيل: عنى بالذين أوتوا الكتاب: الذين أُعطوا حظًّا من المعرفة بكتاب الله، أي كتاب كان من كتبه[4]. إن قيل: هل بين التولّي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

(٢) وهو قول ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٨٨، ٢٨٩) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٢)، ورجحه الطبري (٦/ ٢٩٢)، وقال ابن الجوزي: وهو قول الأكثرين. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١) والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧). والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٣).

(٣) وهو قول الحسن وقتادة وابن جريج، انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٢)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٠٥)، والوسيط (١/ ٤٢٤)، وتفسير البغوي (٢/ ٢١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٣).

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٤) وقال: قاله ابن عطية، وبدأ به الزمخشري. أهـ. وبعد الرجوع إلى الكشاف وجدت أن الزمخشري بدأ بقول الأكثرين، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، ثم ذكر هذا القول بعده. انظر: الكشاف (١/ ٣٤٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وأنوار=

والإعراض فرق؟[1] وهل المعرضون هم المتولون أم غيرهم؟ قيل: تولّي الشيء أن تليه، فإذا عُدّي بعن صار لترك ذلك[2]، [٢٠٤/ب] والإعراض في الأصل أن تجعل عِرضك إليه، أي جانبك[3]، ومنه قيل: / أعرض لك الصيدفارمه[4] فيجوز أن يعني بالتولّي تولّي فريق من الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب؛ وبالإعراض جماعتهم، ويجوز أن يكون التولّي والإعراض[5] جميعًا للفريق، فيكون معنى التولي عنه ترك موالاته.

والإعراض يكون بالبدن، وذلك لئلا يحتجّ عليهم إذا حضروا فيلزمهم حجة. وعلى ذلك قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ

= التنزيل (١/ ١٥٣).

(١) في الأصل (وفرق) بزيادة الواو، والصواب ما أثبتّه.

(٢) قال الجوهري: «تولى العمل: أي تقلده، وتولى عنه: أعرض» انظر: الصحاح (٦/ ٢٥٢٩)، والمفردات ص (٨٨٦)، واللسان (١٥/ ٤١٤).

(٣) انظر: الصحاح (٣/ ١٠٨٤)، والمقاييس (٤/ ٢٧١-٢٧٢)، واللسان (٧/ ١٨٥)، والتاج (١٨/ ٤١٠).

(٤) قال الراغب في المفردات: فإذا قيل: أعرض لي كذا. أي عرضه فأمكن تناوله. وقال ابن منظور: وأعرض لك الخير إذا أمكنك، يقال: أعرض لك الظبي ـ أي أمكنك من عرضه، إذا ولأّك عرضه ـ فارمه» انظر: المفردات ص (٥٥٩)، واللسان (٧/ ١٨٥)، والتاج (٨/ ٤١٠).

(٥) في الأصل: والاعتراض والصواب ما أثبته.

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1]، [2].

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[3] قد تقدَّم الكلام فيما حُكِيَ عن أهل الكتاب بقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[4]، [5] والذي غرّهم ما حُكى عنهم من قوله عز وجل: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[6] والغرُّ: الأثر الظاهر من

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٨.

(٢) انظر معاني التولي والإعراض في الآية في: النكت والعيون (١/ ٣٨٣)، والوسيط (١/ ٤٢٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤)، والدر المصون (٣/ ٩٥)، وعمدة الحفاظ (٣/ ٦٩)، و(٤/ ٣٩٤)، وروح المعاني (٣/ ١١١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٥) قال الراغب في تفسيره لهذه الآية من سورة البقرة: ووجه الآية أن اليهود اختلفت، فبعض قال: «نعذب بعدد الأيام التي عبد أصحابنا فيها العجل. وبعض قال: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذَّب مكان كل ألف سنة من الدنيا يوماً من الآخرة. وبعض قال: إن ما بين طرفي جهنم أربعون سنة، وإذا خلا العدد انقضى الأجل، ولا عذاب حينئذٍ» انظر تفسير الراغب (ق ٧٠ ـ مخطوط). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٥).

(٦) سورة المائدة، الآية: ١٨.

الشيء، ومنه الغُرَّة[١]، والغرار حد السيف اعتبارًا بالأثر، ولهذا سُمّي أثره السيف[٢]، وغرُّ الثوبِ أثرُ كسره[٣]، يقال: اطوِ على غَرِّة[٤]، واستعير للخديعة، فقيل: غرّه واغترّه كقولهم: طواه إذا خدعه، وسُمِّيَ الدنيا والشيطان غرورًا، لكونهما غارين للإنسان، والغِرُّ المغرور، والغُرَر الخطر المتقدم، كأنه الذي به يُغتر، وأما غرَّ الطائرُ الفرخَ فاستعارة من الصوت الذي يكون منه عند زقّه[٥]، والغرغرة: ترديد الصوت من الحلق، فجعل لفظه مرددًا على

(١) والغُرَّة: البياض من كل شيء، ولها معانٍ كثيرة. انظر: تاج العروس (١٣/ ٢١٧).

(٢) هكذا في الأصل. وقال في المفردات: وغرار السيف: أي حدّه. انظر: المفردات ص (٦٠٣)، وعمدة الحفاظ (٣/ ١٨٩).

(٣) في الأصل: الثواب. وهو تصحيف، والصواب: الثوب. وكسر الثوب ما يظهر من طرائفة بسبب الثني. قال الزبيدي: «وكلُّ شيءٍ متثنٍّ في ثوب أو جلد غرٌّ». وكسر الجلد يكون من السِّمَن. انظر: التاج (١٣/ ٢٢٧، ٢٣٤)، واللسان (٥/ ١٩).

(٤) قال في اللسان بعد أن فسَّر الغرّ بالطي والكسر، يقال: اطو الثوبَ على غرِّه الأول كما كان مطويًّا» وأصل هذه العبارة كلام لرؤبة كما في العين أنه قال لثوب خزّ نُشر عنده: «اطوه على غرّه» انظر: العين (٤/ ٣٤٥).

(٥) قال الجوهري: «زقّ الطائر فرخه يزقُّه: أي أطعمه بفيه» انظر: الصحاح (٤/ ١٤٩١).

سبيل الحكاية، كحكاية كثير من الأصوات[١].

والفُري: قطع الأديم، واستعير للكذب، استعارة الخلق والاختلاق له[٢].

إن قيل: هل علموا أنهم كاذبون فيما يقولون؟ قيل: إمّا أنهم علموا واغتروا برئاستهم وأعراضهم الدنيوية، أو تمكنوا من علمه فلم يتحرّوه اغترارًا بما هم بصدده، وعلى كلا الوجهين يستحقون الذم.

قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٣] ما سُئل عنه بكيف محذوف[٤]، كأنه قيل: كيف حالهم أو قولهم وافتراؤهم، فحُذف لدلالة الكلام عليه[٥]، كحذفه في قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا

(١) انظر معنى غرّ ومشتقاتها في: العين (٤/ ٣٤٥-٣٤٧)، والصحاح (٢/ ٧٦٧-٧٧٠)، والمفردات ص (٦٠٣، ٦٠٤)، واللسان (٥/ ١١-٢٢)، والدّر المصون (٣/ ٩٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٠) والمفردات ص (٦٣٤، ٦٣٥)، ومختار الصحاح ص (٥٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٤) في الأصل: محدود. وأثبتُّ ما يقتضيه السياق.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٣)، وزاد المسير (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٥).

تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ومعناه: كيف حالهم إذا جوزوا بفعلهم، ولم يُظلموا في بخس ما استوجبوا من ثواب، أو زيادة ما استحقوا من عقاب، ودلّ بالآية أن الكفار لا تغفر ذنوبهم، وعلى ذلك ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[1] الآية، وقد تقدم معنى قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ/ [٢٠٥/أ] كُلُّ نَفْسٍ﴾[2] في سورة البقرة[3].

وقوله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] اللهم: تقديره عند سيبويه[5] يا الله،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ الآية: ٢٨١.
حيث قال: «وتوفية كلّ نفس ما كسبت: جزاؤها، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر، كقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٤٧]. انظر: تفسير الراغب (ق ١٩٢ ـ مخطوط). وانظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٦)، ومجمل اللغة ص (٧٥٨)، والمفردات ص (٨٧٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٥) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن أدد. أخذ النحو عن الخليل والأخفش وأبي زيد الأنصاري=

والميمان بدل من ياء، ولا يستعمل ذلك إلا في هذه اللفظة فقط[1].

وعند الفرّاء تقديره: يا الله امنا بخير، فجعلا بمنزلة لفظ واحد، وحذف الهمزة منه، كقولهم: هلّم، وأصله: هل أم[2]،

= إمام النحو له [الكتاب] في النحو الذي لم يسبقه إليه أحد، ولد سنة ١٤٧ هـ، وتوفي بفارس سنة ١٧٩ هـ وقيل ١٨٠ هـ.
انظر: الفهرست لابن النديم ص (٨١)، وطبقات النحويين واللغويين ص (٦٦)، ونزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري ص (٥٤)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٢٢٩).

(١) قال سيبويه: «وقال الخليل - رحمه الله -: اللهم نداء، والميم هنا بدل من يا... فقد صرفوا هذا الاسم على وجوه لكثرته في كلامهم، ولأن له حالاً ليست لغيره» انظر: الكتاب (٢/ ١٩٧). وقال الزجاج: وزعم سيبويه أن هذا الاسم لا يوصف، لأنه قد ضُمت إليه الميم، فقال في قوله: جلّ وعز: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أن ﴿فَاطِرَ﴾ منصوب على النداء. وكذلك ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾، ولكن لم يذكره في كتابه. ثم قال: والقول عندي أن ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ صفة الله، وأن ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كذلك، وذلك أن الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه «يا»، فلا تمنع الصفة مع الميم كما لا تمنع مع «يا». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٤). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٩/ ٥٠) ففيه ردٌّ على الزجاج وتصويب لما قاله سيبويه.

(٢) قال الفراء بعد أن ذكر قول من قال من النحويين: إن الميم في (اللهمَّ) خلف من «يا»: «ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الأسماء إلا مخففة مثل الفم، وابنم، وهم. ونرى أنها كانت كلمة ضم إليها أُمّ، =

وقال البصريون: لو كان كما ذكر الفرّاء لاستغنى به عن جواب الشرط. إذا قيل: يا الله امنا بخير. لكون ذلك مكررًا[1].

والنزع: جذب الشيء من الشيء، وفصله عنه، ومنه المنازعة، وسُمِّي الشوق نَزَّاعًا ونزوعًا لما تُصوِّر في ذلك أن المحبوب ينزع قلب المحب منه، والنزع ضربان: نزع إلى الشيء وهو الاشتياق، ونزع عنه، وهو الكفُّ، وقيل للغريب: نزيع، لكونه منزوعًا عن مسقط رأسه، أو لكونه نازعًا إليه، أي مشتاقًا، وقيل لمن يشبه أعمامه وأخواله: نزيع. لنزع الشبه منهم، أو لكونه منزوعًا بالشبه عنهم، وسمي السهم مِنْزَعًا والنَّزْعَةُ: الموضع من رأس الأقرع، لكون شعره نزيعًا عنه[2]، وقد تقدَّم الكلام في المُلك،

= تريد: يا الله امَّنا بخير، فكثرت في الكلام فاختلطت، فالرفعة التي في الهاء من همزة أُمّ لما تركت انتقلت إلى ما قبلها، ونرى أن قول العرب: هلّم إلينا مثلها. . . . » معاني القرآن (١/ ٢٠٣). وقال الطاهر بن عاشور: وزعم الفراء أن «اللهم» مختزل من اسم الجلالة، وجملة أصلها: «يا الله امّ» أي أقبل علينا بخير، وكل ذلك تكلف لا دليل عليه» انظر: التحرير والتنوير (٣/ ٢١٢).

(١) انظر الخلاف في هذه المسألة، وحجة كل فريق في: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (١/ ٣٤٠-٣٤٦). وانظر: جامع البيان (٦/ ٢٩٥-٢٩٩). والتحرير والتنوير (٣/ ٤٩، ٥٠).

(٢) انظر معاني (نزع) ومشتقاتها في: العين (١/ ٣٥٧-٣٥٨)، والصحاح=

والمِلك[1] وأن المُلكَ كالنوع للمِلكِ، فإن كلّ مِلك مُلك ما، وليس كل مُلْك مِلْكاً، وقد عظَّم الله أمره، وقرن بالكتاب والنبوة ذكره[2]، فقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[3]، وقال: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾[4] وقيل: الدين أسٌّ والمُلك حارس، لكون أحدهما غير مستغنٍ عن الآخر من وجه، وقد يسمى المتسلط ملِكًا وإن كان على ضربٍ من المجاز، وعلى هذا قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[5]، فسماه ملكًا مع كونه غاصبًا[6].

= (٣/ ١٢٨٩ - ١٢٩٠)، والمفردات ص (٧٩٨) واللسان (١/ ٣٤٩-٣٥٢).

(١) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ من سورة الفاتحة انظر: تفسير الراغب (ق ٤ ـ مخطوط).

(٢) قال الراغب: «والمِلْك ضربان: مِلْك هو التملك والتولي، ومِلْك هو القوة على ذلك تولى أم لم يتولّ... والمُلك: الحقُّ الدائم لله، فلذلك قال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١] وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] فالملك: ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم، والمِلْك كالجنس للمُلْك. فكلُّ مُلْك مِلْكٌ، وليس كلّ مِلْكٍ مُلْكاً» المفردات ص (٧٧٤، ٧٧٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٦) انظر معاني المُلك ومشتقاتها في: مجمل اللغة ص (٦٧٤)، والمفردات=

واختُلفَ: هل يؤتى الملك الفاسق والكافر؟ فمنهم من قال: لا يُؤْتاهما. وإليه ذهب البلخي[1] والجبائي[2]، وذلك لنظرهم إلى المُلك الأول، ولاعتبار قوله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]. ومنهم من قال: يُؤْتاهما ذلك، وذلك لنظرهم إلى الثاني الذي هو التسلُّط، وكون ذلك أحد الأغراض الدنيوية[4]، ولهذا قال

= ص (٧٧٤، ٧٧٥)، ومختار الصحاح ص (٦٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٦، ٤٣٧).

(١) في الأصل: بلخي، والبلخي: عبدالله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي الحنفي من متكلمي المعتزلة البغداديين، أقام ببغداد مدة طويلة، واشتهرت بها كتبه، ثم عاد إلى بلخ، فأقام بها إلى حين وفاته. له التفسير الكبير للقرآن العظيم، توفي سنة ٣١٩ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٤)، ولسان الميزان (٣/ ٢٥٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٢٩).

(٢) ذكر فخر الدين الرازي قول الجبائي والمعتزلة في التفسير الكبير (٨/ ٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٤) وهذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة، فالإيتاء في الآية هو الإيتاء الكوني القدري، وهو لا يدلُّ على محبة الله عز وجل لتولية الفاسق أو الكافر أو رضائه بذلك، بل يدل على أنه شاء ذلك وقدَّره كوناً، وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر، التي ذكرها شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية، فقال: «وأما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله=

ربُّنا: ﴿إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَالًا﴾[1]، والأظهر في الآية أنه يعني الملكَ، الحقيقيَّ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[2] فأضافه إلى/ نفسه تعظيمًا له [والملك][3] [٢٠٥/ب] المطلق هو الملك الإلهي، الذي لا جور فيه بوجه، ولذلك قرنه بالعزِّ والذُّلِّ، وإخراج الحي من الميت، والميت من الحي، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وإعطاء الرزق، ونبَّه بقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أن الملك في الحقيقة له، وما لغيره عارية مستردة، ولم يعن بالملك هاهنا[4] سياسة العامة فقط، بل ملك الإنسان على قواه وهواه، فقد قيل: لا يصلح لسياسة الناس من لا يصلح

= سبحانه»، ثم قال: «لا يكون في ملكه ما لا يريد». انظر: العقيدة الواسطية بشرح الفوزان (ص ١٦٣)، وقال الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٧): «واعلم أن هذا الموضع مقام بحث مهم، لأن حصول الملك للظالم إما أن يقال: إنه وقع لا عن فاعل، وإنما حصل بفعل ذلك المتغلِّب، أو إنما حصل بالأسباب الربانية، والأول نفي للصانع، والثاني باطل، لأن كل أحد يريد تحصيل الملك والدولة لنفسه ولا يتيسّر له ألبتة، فلم يبق إلا أن يقال: بأن ملك الظالمين إنما حصل بإتيان الله تعالى، وهذا الكلام ظاهر».

(١) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٣) غير واضح بالأصل، والراجح ما أثبته بمقتضى السياق.

(٤) المذكور في قوله: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾.

لسياسة نفسه. وقيل لبعضهم: من الملك؟ فقال: من ملك هواه فقهره، وقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ أي تُعزه بإعطائه الملك، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ باسترجاعه منه أو حرمانه إياه[1]، وقيل: تُعزُّ من تشاء بأن تصونه عن تمكينه من الملك في الدنيا، وتذل من تشاء بإعطائه ذلك[2]، وهذا التفسير على النظر إلى ما قال عليه الصلاة والسلام: «ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرة وندامة إلى يوم القيامة»[3] وما قال أبو بكر[4] رضي الله عنه:

---

(١) وهذا قول ابن جرير الطبري، انظر: جامع البيان (٦/ ٣٠١).

(٢) لم أجد هذا القول الذي ذكره الراغب فيما بين يديّ من كتب التفسير، فلعله رأي تفرَّد به، وسياق الآيات يأبى هذا التفسير، فقد نزلت هذه الآيات في المهاجرين والأنصار، الذين أعزهم الله عز وجل بالملك والسلطان بعد الإيمان والتوحيد ونصرة دين الله تعالى ورسوله ﷺ. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٨)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، وتفسير القران العظيم لابن كثير ١/ ٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، «باب ما يكره من الحرص على الإمارة» رقم (٧١٤٨) ولفظه: «إنكم ستحرصون على الإمارة. . .» والنسائي، كتاب البيعة، باب «ما يكره من الحرص على الإمارة» (٧/ ١٦٢) وكتاب آداب القضاة، باب النهي عن مسألة الإمارة (٨/ ٢٢٥، ٢٢٦) وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٨، ٤٧٦).

(٤) هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مرّة التيمي أبو بكر بن أبي قحافة، الصدّيق الأكبر أفضل الصحابة على الإطلاق، خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأولى سنة ١٣هـ، وله ثلاث=

«إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، إن الرجل إذا ملك زهَّده الله فيما في يده، ورغَّبه فيما في يد غيره، ونقصه شطر أجله وأُشرب[1] قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويتسخَّط الكثير، فإذا وجبت نفسه حاسبه الله فأشدَّ حسابه وأقلّ غفره»[2] وقال بعض المفسرين: أمر نبيه في هذه الآية أن يدعوه، بأن يُحوِّل عِزَّ فارس إلى العرب[3]، وخصّص الملك بالنبوة، فقال معناه: تؤتي النبوة من تشاء وتصرفها عمن تشاء[4]. وقيل قوله: ﴿تُعِزُّ

= وستون سنة، صحب النبي ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات. انظر: التهذيب (١/ ٣١٥)، التقريب ص (٣١٣)، الإصابة (٣/ ١٤٤).

(١) في الأصل (وأشرف) والتصويب من محاضرات الأدباء ص (٧٤).

(٢) انظر: محاضرات الأدباء ص (٧٤)، وقد ذكر أنه لما تولى الخلافة خطب فقال هذا الكلام، ولم أقف عليه عند غير الراغب.

(٣) روى ذلك قتادة فقال: ذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ سأل ربَّه جلَّ ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ إلى ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٤)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٤)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٧).

(٤) وهو قول ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن، انظر: جامع البيان (٦/ ٣٠٠، ٣٠١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٤، ٦٢٥)، =

مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ ليس براجع إلى المُلك، وإنما معناه: من يشاء بطاعته، ويُذِلّ من يشاء بمعصيته[1]، والأظهر أن يكون ذلك عامًّا في كل عزّ وذلّ دنيويًّا كان أو أخرويًّا[2]، إن قيل: كيف قال: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ والخير والشر بيده؟ فقيل في ذلك أجوبة:

الأول: أراد الخير والشر[3]، لكن الآية لما كانت في الحمد والشكر لا للحكم ذكر الخير، إذ هو المشكور عليه[4]، وعلى ذلك

= والنكت والعيون (١/ ٣٨٤)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٧).

(١) ذكر المفسرون هذا القول، ولم ينسبوه لأحد. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٠٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٧).

(٢) يؤيد ذلك ما ذكره أبو حيان في البحر المحيط، فبعد أن ذكر أقوال المفسرين في تفسير الإعزاز والإذلال التي تجاوزت العشرة، قال: «وينبغي حمل هذه الأقاويل على التمثيل، لأنه لا مخصّص في الآية، بل الذي يقع به العز والذل مسكوت عنه». انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣٧)، وروح المعاني (٣/ ١١٤).

(٣) انظر هذا القول في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٠)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨)، وروح المعاني (٣/ ١١٥).

(٤) نقل أبو حيان هذه الجملة في البحر المحيط (٢/ ٤٣٨)، ونسبها للراغب.

قوله ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[1] ، وفيه تعليمنا كيف نمدح أبناء جنسنا بأن نذكر أشرف خصالهم[2] .

والثاني : أنه نصٌّ على المعظّم ليُفهم منه الضد الآخر[3] ، كقوله : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾[4] ، وكقول الشاعر :

فما أدري إذا يممتُ وجهاً أريدُ الخير أيُّهما يليني[5]

والثالث : أنه أراد بالخير : الخير والشر ، وسمَّاهما خيراً ، لأنه ليس في العالم شرٌّ خالص ، كما أن فيه خيراً/ خالصاً ، وذاك أن ما [٢٠٦/أ] هو شر لكذا هو خير لكذا ، فالخير والشر يصدق عليهما الوصف بالخير من هذه الجهة ، ولا يصدق عليهما الوصف بالشر ، فلو قال بيده الشرُّ ، لم يدخل فيه الخير[6] . ووصْفُه بالقدرة على كل

---

(١) سورة الشعراء، الآية : ٨٠ .

(٢) لو قال : وفيه تعليمنا كيف نمدحه تعالى ، ونثني عليه ، كان أولى . ولذلك عمّم أبو حيان الجملة ، فقال في البحر المحيط (٢/ ٤٣٨) : وفي الاقتصار على ذكر الخير تعليم لنا كيف نمدح بأن نذكر أفضل الخصال .

(٣) انظر هذا القول في : النكت والعيون (١/ ٣٨٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨) .

(٤) سورة النحل، الآية : ٨١ .

(٥) البيت للمثقّب العبدي ، واسمه عائذ بن محصن بن ثعلبة ، وقد ذكره السيوطي في «شرح شواهد المغني» (١/ ١٩١) ونسبه إليه .

(٦) انظر هذا القول في : الكشاف (١/ ٣٥٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٤)، =

شيء في آخر الآية تنبيه على أنه أراد الأمرين، فإن سعة القدرة تقتضيهما[1].

قوله عز وجل: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

الولوج: الدخُول في مضيقٍ، فهو أخصُّ من الدخول. يقال: تَوْلَجُ الظّبي[3]، والوَلَجَة: بناء بين يدي فناء القوم، كالمدخل إليه[4]. واستعير الوليجة لبطانة الرجل[5] كالدَّخيل[6] وإيلاج

= والتحرير والتنوير (٣/ ٢١٤).

(١) قال البيضاوي في «أنوار التنزيل: فنبه على أن الشرّ أيضاً بيده بقول: ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾. انظر: أنوار التنزيل (١/ ١٥٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

(٣) تَوْلَجُ الظبَي كِنَاسُه. انظر: العين (٦/ ١٨٢)، و(٥/ ٣١٢) «والكناس: مولج للوحش يستكنُّ فيه من الحر والصّر، ثم يذهب إذا أمسى، فإذا صار مألفاً فهو تَوْلَجُهُ».

(٤) في القاموس: والولَجة: كهف تستتر فيه المارّة من مطرٍ وغيره. وفي اللسان والتاج: «الولجُ والولجة: شيء يكون بين يدي فناء القوم». انظر: اللسان (٢/ ٤٠٠)، والقاموس ص (٢٦٧)، والتاج (٦/ ٢٦٤).

(٥) انظر: العين (٥/ ٣١٢)، و(٦/ ١٨٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٥)، والصحاح (١/ ٣٤٧)، والمفردات ص (٨٨٢، ٨٨٣).

(٦) قال محمد بن أبي بكر الرازي: ودخيل الرجل الذي يداخله في أموره=

الليل في النهار والنهار في الليل، يتناول تعاقبَ أحدهما الآخر[1]، والزيادةَ من كلٍّ واحد منهما في الآخر[2]، وقد فُسِّر بهما.

وقوله: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[3] يتناول خروج الإنسان من النطفة، نحو: ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾[4]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾[5]، وهذا هو

= ويختصُّ به. انظر: مختار الصحاح ص (٢٠١)، وقد رُسمت الكلمة في الأصل [كالدخلل] والأظهر ما أثبتّه.

(١) القول بأن قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يعني تعاقبهما، ذكره بعض المفسرين على جهة الاحتمال، ونسبه بعضهم إلى بعض المتأخرين. انظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨).

(٢) هذا قول المفسرين قاطبة: قال الواحدي في الوسيط (١/ ٤٢٧): قال جميع المفسرين: «تجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر» وهو قول ابن عباس ومجاهد، وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن وقتادة وابن زيد وابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٠٢-٣٠٤)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٥)، وبحر العلوم (١/ ٢٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥١)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

الذي قال الضَّحَّاك[1] والسُّدي[2] وابن زيد[3]: الدَّجاجة من

---

(١) رواية الضحاك أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٥)، وذكرها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم دون إسناد (٢/ ٦٢٦). والضحاك هو: أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي الخراساني، صدوق كثير الإرسال، كان من أوعية العلم، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، له كتاب في التفسير. توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ وقيل سنة ١٠٢هـ. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٥)، التهذيب (٤/ ٤٥٣)، التقريب ص (٢٨٠)، طبقات المفسرين (١/ ٢٢٢).

(٢) رواية السدي أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٥) وذكرها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم دون إسناد (٢/ ٦٢٧). وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٢).

والسُّدِّي هو: أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدّي الحجازي، ثم الكوفي صدوق يهم ورُمِي بالتشيع، روى عن أنس وابن عباس ورأى ابن عمر والحسن بن علي وأبا هريرة وأبا سعيد، وروى عنه شعبة والثوري وأبو عوانة وغيرهم، صاحب: «التفسير» و«المغازي» و«السيرة» تُوفي سنة ١٢٨هـ وقيل سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، التهذيب (١/ ٣١٣)، التقريب ص (١٠٨)، طبقات المفسرين (١/ ١٠٩).

(٣) رواية ابن زيد أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٦). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣٨).

وابن زيد هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، ضعيف اشتهر بالرواية في التفسير عن أبيه، ومحمد بن المنكدر، قال عنه الذهبي: فيه لين. توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء =

البيض، والبيض من الدجاج. وقال الحسن: عنى إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[1]، وقال بعضهم: يتناول ذلك كل شيء من الأركان، إذا استحال إلى غيره، ولهذا قال السدي: يخرج النخلة من النواة، والنواة من النخلة[2]، والأظهر في قوله: الحي من الميت. تصور اثنين. وقد قيل: عنى بذلك شيئاً واحداً تتغير به الحال، فيكون ميتاً ثم يحيا، وحيّاً فيموت، كقولك: جاء من فلان أسد، وليس الأسد إلا هو[3]، وقد تقدم الكلام في قوله ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[4].

= (٨/ ٣٠٩)، والتهذيب (٦/ ١٧٧)، التقريب ص (٣٤٠)، وطبقات المفسرين (١/ ٢٧١).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٦، ٣٠٧)، وابن المنذر في تفسيره (ق ١٧ ـ مخطوط) وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٥)، وزاد المسير (١/ ٣٧٠). والقول الأول هو قول الجمهور، كما قال ابن الجوزي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٨) بإسناده عن السدي، عن أبي مالك، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٦) بإسناده عن عكرمة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧) إلى ابن جرير الطبري عن عكرمة، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٩) إلى أبي مالك أيضاً.

(٣) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٢/ ٤٣٩) ولم ينسبه إلى أحد.

(٤) قال الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ من سورة البقرة، الآية: [٢١٢]: «أعطاه بلا حساب: إذا أعطاه أكثر مما=

قوله عز وجل: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(١) .

قد عظم الله موالاة الكافرين وموادّتهم والركون إليهم في آيات كقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾(٢) وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾(٣) وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ/ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(٤) وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾(٥) وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾(٦) وأمرنا بالإعراض عنهم، فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾(٧) وقال عليه الصلاة والسلام: [٢٠٦/أ]

= يستحق، أو أقل مما يستحق، والأول هو المقصود هٰهنا، وهو المشار إليه بالإحسان». انظر: تفسير الراغب (ق ١٣٩ ـ مخطوط).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١ .

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١ .

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٨ .

(٦) سورة هود، الآية: ١١٣ .

(٧) سورة النجم، الآية: ٢٩ .

«لاتراءى ناراهما[1]» وقال: «أنا بريءٌ من كل مسلم مع مشرك»[2]

إن قيل: ما وجه جواز مواصلتهم والاستعانة بهم واتخاذهم عبيداً، وذلك ضربٌ من الموالاة، فالجواب من أوجهٍ:

الأول: أن هذه الآيات تقتضي المنع [من][3] موالاتهم، إلا ما خُصّ، وفُسِحَ لنا فيه[4].

---

(١) لفظ الحديث عن جرير بن عبدالله البجليّ عن النبي ﷺ قال: «**أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**». قالوا: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «**لا تراءى ناراهما**» أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، رقم (٢٦٤٥). والترمذي، كتاب السير، باب كراهية المقام بين أظهر المشركين رقم (١٦٠٤)، والنسائي في كتاب القسامة، باب القود بغير حديدة (٨/ ٣٦)، وأخرجه الترمذي في العلل الكبير (٤٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٢٣٣)، والطبراني في الكبير (٢٢٦١-٢٢٦٤)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣١) و (٩/ ١٤٢). وانظر: ضعيف الترمذي للألباني (٢٧٣). قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٦٩ ـ هامش الإحياء»: قال البخاري: الصحيح أنه مرسل. اهـ. وصححه الألباني في الإرواء (٥/ ٢٩).

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) كلُّ ما رخّصَ فيه الشرع من التعاملات مع الكفار: كبيعهم، وشرائهم، والاستعانة بهم، واتخاذهم خدماً، والعدل فيهم لا يسمى موالاة، بل هي معاملات جائزة، رخص فيها الشرع، ولذلك قال ابن الجوزي عند تفسيره=

والثاني: أن الموالاة المطلقة هي أن تواليهم في جميع الأمور، فأما في شيء دون شيء فليس ذلك بموالاة[1].

الثالث: أن يكون ذلك مخصوصاً في الموالاة الدينية[2].

الرابع: أن الموالاة على ضربين: موالاة الأرفع للأوضع، وذلك

= لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾: قال المفسرون: «وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برّهم، وإن كانت الموالاة منقطعة عنهم» زاد المسير (٨/ ٢٣٧)، وأشار الحافظ ابن حجر في الفتح أن البر والصلة والإحسان للمشرك لا يستلزم التحابب والتواد المنهي عنه، انظر: فتح الباري (٥/ ٢٣٣).

(١) الصحيح أن الموالاة لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ فموالاة غير الله ورسوله والذين آمنوا ولو في شيءٍ دون شيء لا تجوز، لأن الآية حصرت الموالاة «بإنما» في هؤلاء، ولأن الموالاة في الأصل تعني المحبة والقرب والأخوة، وهذه مرتفعة عن الكفار. ويختلف حكم موالاة غير المؤمنين بحسب طبيعة تلك الموالاة، فمنها ما هو كفر، ومنها ما ليس بكفر، انظر في ذلك: جامع البيان (٦/ ٣١٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٦٨).

(٢) وهذا الوجه أيضاً لم يفرِّق بين الموالاة وبين المعاملات، التي أجازها الشرع مع الكفار، وهي لا تدخل ضمن الموالاة كما تقدم بيانه.

باستخدامه إياه ورعايته والحماية عليه، وموالاة الأوضع للأرفع وذلك بالخدمة. والذي نُهي عنه المسلم جزماً هو أن يوالي الكافر موالاة الأوضع للأرفع بالخدمة له والاستعانة به استعانة الذليل بالعزيز، لا أن يستعين به استعانة العزيز بالذليل والمخدوم بالخادم، فذلك مرخَّص فيه[1]، وذاك لما قال النبي ﷺ: «**الإسلام يعلو ولا يُعلى**»[2] ومن هذا رُخِّص أن ننكح منهم دون أن ينكحوا

---

(١) أغلب المفسرين فسَّروا الآية على عمومها، ولم يفصّلوا القول في أوجه وأحكام الموالاة، ومن هؤلاء ابن جرير الطبري فقد قال في تفسير الآية: «وهذا نهي من الله عز وجلّ المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً. . . ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين». وقال صاحب الكشاف: «نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام، أو غير ذلك من الأسباب التي يُتصادق بها ويُتعا شر». وقال الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء، يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين». وعلى هذا الضرب من الكلام سار أغلب المفسرين. انظر: جامع البيان (٦/ ٣١٣)، والوسيط (١/ ٤٢٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، والكشاف (١/ ٣٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٧)، وفصّل أبو حيان بعض الشيء في البحر المحيط (٢/ ٤٤٠، ٤٤١).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب اللقطة، باب ذكر من صار مسلماً بإسلام أبويه (٦/ ٢٠٥)، والدارقطني في سننه، كتاب النكاح، باب المهر=

فينا[١]، وأن نملك أرقاءهم ولا يملكوا أرقاءنا[٢]، وأن نرثهم في قول من يرى ذلك، ولا يرثونا بوجه[٣]، ثم قد يكره لمن لم

= (٣/ ٢٥٢)، وأخرجه الروياني (٢/ ٢٧) رقم (٧٨٢). وانظر الروايات في تغليق التعليق على صحيح البخاري (٢/ ٤٨٩). وحسّنه ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٢٢٠)، والسيوطي في الجامع الصغير (٣/ ١٧٩ - فيض القدير).

(١) لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥] وقد نقل ابن كثير الإجماع على أن المسلم يتزوّج النصرانية، ولا يتزوج النصراني مسلمة. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٤٤).

(٢) لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

(٣) قال الجصّاص في أحكام القرآن (٢/ ١٠١، ١٠٢): فأما ميراث المسلم من الكافر، فإن الأئمة من الصحابة متفقون على نفي التوارث بينهما، وهو قول عامة التابعين وفقهاء الأمصار. وروى شعبة عن عمرو بن أبي حكيم، عن ابن باباه، عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال: كان معاذ بن جبل باليمن، فارتفعوا إليه في يهودي مات وترك أخاه مسلماً، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الإسلام يزيد ولا ينقص**» وروى ابن شهاب عن داود بن أبي هند قال: قال مسروق: ما أحدث في الإسلام قضية أعجب من قضية قضاها معاوية. قال: كان يورِّث المسلم من اليهودي والنصراني، ولا يورِّث اليهودي والنصراني من مسلم. قال: فقضى به أهل الشام. قال داود: فلما قدم عمر بن عبدالعزيز رَدَّهم إلى الأمر الأول. ثم ذكر الجصّاص قوله ﷺ: «**لا يتوارث أهل ملتين شتى**»=

يَقِرّ[1] في الإسلام المصاهرة إليهم، والاستعانة في المهن بهم تفادياً أن يُغروه، وذلك ما قال عليه الصلاة والسلام لحذيفة[2] لما تزوج بمشركة: «**دعها فإنها لا تحصنك**»[3]، بل

= وفي لفظ: «**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**». ثم قال: «فهذه الأخبار تمنع توريث المسلم من الكافر والكافر من المسلم، ولم يرو عن النبي ﷺ خلافه، فهو ثابت الحكم في إسقاط التوارث بينهما».

(١) يقرّ: أي ينهل ويستقر. انظر: لسان العرب (٥/ ٨٣، ٨٤).

(٢) حذيفة بن اليمان واسم اليمان حُسيل بن جابر بن ربيعة بن فروة بن الحارث بن عيسى، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، أراد وأبوه شهود بدرٍ فصدّهما المشركون، شهد أحداً والخندق وما بعدها، صح في (مسلم) عنه أن رسول الله ﷺ أخبره بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات سنة ٣٦هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ١٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦١)، والتقريب ص (١٥٤)، والإصابة (٢/ ٣٩).

(٣) الوارد عن حذيفة رضي الله عنه أنه تزوج يهودية، فكتب إليه عمر: خلِّ سبيلها، فكتب إليه: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن. أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤/ ٣٦٧) والبيهقي في سننه (٧/ ١٧٢) وصححه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٤). ولعل الراغب أراد الاحتجاج بقصة كعب بن مالك، فقد ذكر الجصَّاص في أحكام القرآن (١/ ٣٣٤)=

لذلك قال: «مثل الجليس الصالح كمثل الداريِّ[1] إن لا يحذك من عطره تَعَلَّقَك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القَيْن إن لا يحرقك بشرره يؤذك بدخانه»[2]، وقال بعض الحكماء:

= قال: وربما احتج بعض القائلين بهذه المقالة بما روي عن علي بن أبي طلحة قال: أراد كعب بن مالك أن يتزوج امرأة من أهل الكتاب، فسأل رسول الله ﷺ فنهاه، وقال: «**إنها لا تحصنك**» قال: فظاهر النهي يقتضي الفساد ـ أي فساد النكاح ـ فيقال: إن هذا حديث مقطوع من هذا الطريق، ولا يجوز الاعتراض بمثله على ظاهر القرآن في إيجاب نسخه ولا تخصيصه، وإن ثبت فجائز أن يكون على وجه الكراهية، كما روي عن عمر من كراهته لحذيفة تزويج اليهودية لا على وجه التحريم، ويدل عليه قوله: «**إنها لا تحصنك**» ونفي التحصين غير موجب لفساد النكاح، لأن الصغيرة لا تحصنه، وكذلك الأمة ويجوز نكاحهما. اهـ. وحديث كعب بن مالك الذي ذكره الجصاص رواه أبو داود في المراسيل ص (١٨١) رقم (٢٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٥٣٦)، والدارقطني في السنن (٣/ ١٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٠٣)رقم (٢٠٥).

(١) **الداري**: هو العطّار منسوب إلى دارين، فرضَةٍ بالبحرين، بها سوق يحمل المسك من الهند إليها. انظر: القاموس المحيط ص (٥٠٤).

(٢) هذا اللفظ ذكره الرامهرمزي في كتاب الأمثال ص (١١٣) رقم (٧٨) من حديث بريد رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود، كتاب الآداب، باب من يؤمر أن يجلس، رقم (٤٨٢٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٠٤-٤٠٨)، =

«إياك ومجالسة الشرير، فإن طبعك يسرق من طبعه، وأنت لا تدري»، وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[1] إياس من الموالاة التي أثبتها بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[2] ونحوه، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ فرخصه في إظهار الموالاة باللسان دون القلب، حيث يحصل تقية، كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[3] ولا حرج في مداراة الكافر حيث يُخاف شرّه، أو يُرجى صلاحه[4]، فقد روي عن النبي/ [٢٠٧/ب]

= والطيالسي ص (٧٠) رقم (٥١٥)، والحميدي (٢/ ٣٣٩) رقم (٧٧٠)، وأبو الشيخ في كتاب الأمثال ص (٣٧٧) رقم (٣٢٥)، جميعهم من حديث أبي موسى الأشعري. وأبو يعلى في مسنده رقم (٤٢٩٥)، وفيه «العطار» بدلاً من «الداري»، والحديث متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ آخر، أخرجه البخاري «كتاب البيوع»، باب في العطار وبيع المسك رقم (٢١٠١)، ومسلم في كتاب البر، باب استحباب مجالسة الصالحين رقم (٢٦٢٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٤) قال الجصّاص في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: يعني أن تخافوا تلف النفس وبعض الأعضاء، فتتقوهم بإظهار الموالاة من غير اعتقاد لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من أهل العلم. أحكام القرآن (٢/ ٨). وانظر: جامع البيان (٦/ ٣١٣)، =

ﷺ أنه استأذن عليه بعض الناس، فقال: «بئس أخو العشيرة هو»، فلما دخل أكرمه، وسألته عائشة بعد خروجه، فقال: «إن شر الناس من يُكرم اتقاء لسانه»[1]. واختلف هل يجوز الإفصاح بالحق في حال التَّقيَّة؟ فأجاز ذلك بعضهم استدلالاً بما روى الحسن: أن مسيلمة الكذاب[2] أخذ رجلين من أصحاب رسول

= والوسيط (١/ ٤٢٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، وزاد المسير (١/ ٣٧٢)، وابن كثير (١/ ٣٣٧).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الآداب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم (٦١٣٢)، وباب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب رقم (٦٠٥٤)، وباب المداراة مع الناس رقم (٦١٣١). وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه رقم (٢٥٩١). وأبو داود، كتاب الآداب، باب في حسن العشرة، رقم (٤٧٩٢). والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المداراة، رقم (١٩٩٦) وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد في المسند (٦/ ١٥٨). والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٣٨)، وعبد بن حميد في المنتخب رقم (١٥٠٩). وابن حبان في صحيحه رقم (٤٥٣٨)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٣٢٠) رقم (٧٦١٨)، والحميدي رقم (٢٤٩).

(٢) مسيلمة الكذاب: بن حبيب الحنفي الكذاب، أبو ثمامة من أهل اليمامة، ادعى النبوة، وصنع أسجاعاً يعارض فيها القرآن بزعمه، وقوي أمره في اليمامة بعد وفاة النبي ﷺ، فارتد قومه، وتابعوه فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش لمحاربته، فنصر الله المسلمين، وقُتِلَ مسيلمة=

الله ﷺ، فقال لأحدهما: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فخلّاه، ثم دعا الآخر، فقال له ذلك، فأبى أن يقوله فقتله، فقيل ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**أما المقتول فمضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضيلة، فهنيئاً له. وأما الآخر فأخذ برخصة الله، فلا تبعة عليه**»[(١)] وجملة الأمر أن الإفصاح عند التَّقيَّة[(٢)] إيفاءً بالحق، مستحسن حيث كان فيه نفعٌ ديني، فأما إذا لم يكن في ذلك نفع ديني بوجه، فالعدول إلى كلمة الكفر على وجه التعريض أولى[(٣)]،

= الكذاب وكثير من اتباعه في حديقة الموت في السنة الحادية عشرة من الهجرة. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٩٤) و(٣/ ١٠٥) وتاريخ الأمم والملوك (٣/ ٤٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ١٩).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجهاد، باب «ما قالوا في المشركين يدعون المسلمين إلى غير ما ينبغي» (١٢/ ٣٥٧-٣٥٨) رقم (١٣٠٨٣)، عن الحسن البصري مرسلًا.

(٢) التَّقيَّة من الوقاية وهي: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والتَّقيَّةُ: خوف القتل. انظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٩٦) المفردات ص (٨٨١).

(٣) اختلف العلماء في حكم التقية: فمنهم من منعها ورأى أنها كانت في أول الإسلام وفي حال الضعف، وهذا قول معاذ بن جبل ومجاهد وسعيد بن جبير، ومنهم من أجازها عند الخوف على النفس أو المال، وهو قول جمهور العلماء، وهؤلاء اختلفوا فيمن يُتقى منه، فمنهم من قصر ذلك على الكفار، وهذا القول نصره البغوي والرازي، ومنهم من توسّع في ذلك، فقال: يتقى من كل قادر غالب، يكره غيره بجورٍ منه. ويشمل=

[إن][1] قيل: ما تعلق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: لما عرّفنا أنه مالك الكل والقادر عليه نهانا عن موالاة من يعاديه، وقوله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ فالحذر: الاحتراز من السطوة[2]، وذلك على ضربين: أحدهما: حذر الإنسان إياه برؤية ذنوبه[3]، وإليه قصد بقوله: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[4]، والثاني: حذره برؤية تقصيره في طاعته، وإياه قصد بهذه الآية، وعلى هذا ذكر التقوى، فقال في موضع: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ ﴾[5]، وفي موضع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[6]. قال الحسن: من رحمته أن

= ذلك الكفار وجَوَرة الرؤساء والسّلابة وأهل الجاه في الحواضر، حتى زوج المرأة فقد قال مالك: إنه قد يكره، وهذا مذهب الشافعي ومالك وغيرهما. انظر أقوال العلماء في ذلك في: جامع البيان (٦/ ٣١٤-٣١٦)، وأحكام القرآن للجصّاص (٢/ ٩)، والوسيط (١/ ٤٢٨) ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، والكشاف (١/ ٣٥١)، وزاد المسير (١/ ٣٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٣)، وروح المعاني (٣/ ١٢٥).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) انظر: المفردات ص (٢٢٣)، ومختار الصحاح ص (١٢٧)، والدر المصون (٣/ ١١٣).

(٣) في الأصل: دونه. والسياق يقتضي ما ذكرته.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

حذرهم نفسه[1]، ولتحذيره إياهم قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[2] فإنه حذّرنا، بخلاف ما يفعل الماكر، وإلى مقتضى معناه أشار العرب بقول: أعذر من أنذر[3]، وفائدة قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾ في هذا المكان أنه لما ذكر قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بيَّن أنكم وإن اتقيتموهم فاحذروا الله، فإنه يحذركم أن توالوهم[4] بقلوبكم[5].

قوله عز وجل: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[6] الأصل في الصّدر: الجارحة، فاستعير لصدر المجلس والكتاب والكلام، وصدره إذا أصاب صدره، أو قصد نحو ظهره، وكتفه، وإذا عُدِّي بعن اقتضى الانصراف عنه، والصدر يقال للمصدر اللفظي ولموضع الصّدر، ولزمانه، والصِّدار الصُّدْرَة[7] يُغطى

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٣٢)، وابن المنذر في تفسيره (ق١٩ ـ مخطوط).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

(٣) أي أقام العذر من خوَّف قبل الفعل. انظر: جمهرة الأمثال (١/ ١٦٢).

(٤) في الأصل «توالوه» والسياق يقتضي ما ذكرته.

(٥) أشار إلى هذا المعنى: ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٦/ ٣١٧)، والبيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٥).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

(٧) في الأصل: التغيره: وليس له معنى، وما أثبته هو المنصوص عليه في=

[٢٠٧/ب] بها الصّدر على بناء الدِّثار واللباس[(١)]، / ويقال له الصّدْرَة[(٢)]، ولما نهى تعالى عن موالاة الكفار ـ وذلك يكون بالقلب قبل أن يكون بالجوارح ـ حذرهم أن يوالوهم بقلوبهم، فيكونوا كمن وصفهم بقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى ﴾[(٣)]، وكمن وصفهم بقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ ﴾[(٤)] الآية، بيّن أنه لا يخفى عليه ذلك، بل لا يخفى عليه ما في السموات والأرض، وهو قادر عليهم، وإذا كان قادراً وعالماً بالسرائر فحقٌّ أن يُحْذَرَ.

إن قيل: لِمَ قدّم[(٥)] الإخفاء على الإبداء، ومن البادي يُتَوَصَّل إلى الخافي، وقضيّة المتمدّح أن يقول فلان لا يفوتني: مشىٰ أو عدىٰ ولا يكاد يُقال: عدىٰ أو مشىٰ؟ قيل: لما كان العلم يظهر في النفس، ثم يبرز بالقول أو بالكتاب صار الخافي سبباً للبادي،

= كتب اللغة.

(١) يعني أنه من اسم الآلة الذي على بناء فِعَال بكسر الفاء. انظر: المساعد في شرح تسهيل الفوائد (٢/ ٦٣٨).

(٢) انظر معاني هذه المادة في: العين (٧/ ٩٤/ ٩٥) والصحاح (٢/ ٧٠٨، ٧٠٩)، والمفردات ص (٤٧٧، ٤٧٨)، والتاج (١٢/ ٢٩٣-٣٠٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٥) في المخطوط (لم قال قدّم)، فحذفتُ [قال] لأنها زائدة.

فنبّه بذلك أنه يعلم الشيء منا قبل أن نُظهره، وأنه يستوي عنده السر والجهرُ، وعلى هذا قال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾[1]، وقال: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[2]، فقدم السرَّ في هذا الموضع، وقال في موضع: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[3] فقدم الإبداء تنبيهاً أنهما عنده سواء[4].

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[5].

تقديره: يحذركم نفسَه يومَ تجد[6]، أو اذكر يومَ تجد[7]،

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٤) انظر في سبب تقديم الإخفاء على الإبداء في هذه الآية: البحر المحيط (٢/ ٤٤٣، ٤٤٤)، والدر المصون (٣/ ١١٤)، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٢٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٦) وهو قول الزجاج كما في معاني القرآن (١/ ٣٩٧). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٤)، والدر المصون (٣/ ١١٤).

(٧) ذكر هذا التقدير ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣١٩) قال: «وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: واذكر يوم تجد»، وذكره أيضاً=

أو الله على كل شيء قدير يوم تجد[1]، وقوله: ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مفعول تجد، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ معطوف عليه، كأنه قيل: وما عملت من سوء محضراً، وتودّ: في موضع الحال[2]، وقيل: ما عملت من سوء استئناف[3]، إما جزاء وتود جوابه، وعلى هذا لو قرئ ﴿تَوَدُّ﴾ بالفتح أو بالكسر لجاز[4]، وإما أن يكون بمعنى الذي متضمناً لمعنى [الشرط][5]،

= مكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥) وجوّزه، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٤٤). وانظر: الدر المصون (٣/ ١١٥) وروح المعاني (٣/ ١٢٧).

(١) ذكر هذا التقدير مكّي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥) وجوّزه، ونقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٤٤). وانظر: الدر المصون (٣/ ١١٤)، وروح المعاني (٣/ ١٢٧).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٤)، والدر المصون (٣/ ١١٧) وروح المعاني (٣/ ١٢٦).

(٣) ممن جوّز الاستئناف: الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٠٦، ٢٠٧) وانظر: الدر المصون (٣/ ١١٧).

(٤) هذا من جهة النحو، أما من جهة القراءة فلم أجد من قرأ بها كذلك. وقال النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٦٦): ولو كانت (ما) منقطعة من الأولى على أن تكون شرطاً وتعطف جملة على جملة لم يجز إلا أن تجزم (تودّ) «ولا نعلم أحداً قرأ به، وإن كان جائزاً في النحو». وانظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٥) ما بين المعكوفين إضافة يقتضيها السياق.

وإن لم يكن في تقدير الجزم، نحو: الذي يأتيني له درهم[1]، والأولى أن يكون معطوفاً كما تقدَّم[2]، ووجودُ الأنفس ما عملت: تصوره لها من حيث لا يخفى عليها، ونحوه مما دل على ذلك قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[4] فاستنساخه وإحصاؤه: إذكارهم به حتى يعلموه[5]، فإن من صفة

---

(١) تكون (ما) شرطية وحينئذٍ يجزم جوابها، أو يكون في محل جزم. وإذا كان جملة اسمية وجب دخول الفاء عليها، وتكون (موصولة) بمعنى الذي، فإذا كانت مبتدأ وكان خبرها جملة اسمية جاز دخول الفاء على خبرها، وليس بواجب، و(ما) في هذا الحكم مثل (الذى)، انظر: الكتاب (٣/ ١٠٢، ١٠٣)، والمساعد (١/ ٢٤٤، ٢٤٥)، والمغني ص (٦٤٠، ٦٤١، ٧١٨).

(٢) وإلى هذا العطف ذهب الطبري في جامع البيان (٦/ ٣١٩) وغيره. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٧).

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٦.

(٥) قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، فما رأى من أعماله حسناً سرَّه ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغصَّه وودَّ لو أنه تبرأ منه، وأن يكون بينهما أمد بعيد» اهـ. وانظر هذا الوجه أيضاً في: الوسيط (١/ ٤٢٨)، =

علم الإنسان أن تحصل صورة المعلوم في قلبه وثبوت الصورة في القلب أوكد كتابة، ويجوز أن يكون معنى ﴿تَجِدُ كُلُّ/ نَفْسٍ مَّا [٢٠٨/أ] عَمِلَتْ﴾، أي جزاء ما عملت من خير وشر[١]. إن قيل: ما فائدة حذف الجزاء في هذا المكان ونحوه من قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[٢]، وقوله: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٤]؟ قيل: لما أراد أن ينبِّه أن الإنسان لا يُبخس حظه فيما يفعل من خير، ولا يُزاد عليه في جزاء ما يفعل من شر، ذكر نفس الفعل دون الجزاء؛ تنبيهاً له أن فعله مستوفى بالجزاء، حتى كأنه هو، كقولك: زيد هو أبوه بعينه. إذا أريد المبالغة في التشبيه به، وإعادة قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[٥]، توكيد واستظهار عليهم[٦]، فإن قيل: وكيف علَّقه بالرأفةِ؟ قيل:

= والتفسير الكبير (٨/ ١٥).

(١) انظر هذا الوجه في: بحر العلوم (١/ ٢٦١)، وزاد المسير (١/ ٣٧٢)، والتفسير الكبير (٨/ ١٥)، وروح المعاني (٣/ ١٢٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٦) انظر: التفسير الكبير (٨/ ١٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٨)، وأنوار=

تنبيهاً لأمن[1] المحبوب من حبيبه[2]، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام مخبراً عن الله: «لا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[3] الخبر.

= التنزيل (١/ ١٥٥)، وروح المعاني (٣/ ١٢٨) قال: «قيل: ذكره أولاً للمنع عن موالاة الكفار، وهنا حثاً على عمل الخير، والمنع من عمل السوء مطلقاً. . . . وقد يقال: إنه تكرار لما سبق وإعادة له، لكن لا للتأكيد فقط، بل لإفادة ما يفيده». وانظر: التحرير والتنوير (٣/ ٢٢٤).

(١) في الأصل: «أمن» والأقرب ما أثبته لدلالة السياق عليه.

(٢) أشار إلى هذا المعنى ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٥٨)، وانظر في ذلك: بحر العلوم (١/ ٢٦١)، وفيه قول ابن عباس رضي الله عنه قال: يعني بالمؤمنين خاصة وهو رحيم بهم، حيث قصر الرحمة على المؤمنين، وهو يشبه قول الراغب: تنبيهاً لمكان المحبوب من حبيبه، ففيه نفس القصر. وهناك قول آخر، وهو أن الآية عامة، وأنه سبحانه رؤوف حتى بالذين يعملون السيئات حيث لم يعجّل بعقوبتهم. انظر: المصادر السابقة، والتفسير الكبير (٨/ ١٥، ١٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٨)، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٦) و (١٠/ ٢١٩)، والبغوي في شرح السنة، كتاب الدعوات، باب التقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل والذكر (٥/ ١٩) رقم (١٢٤٨) وقال: هذا حديث=

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[1]، هذا إلزام كالأول، لكنه أعمّ، لأن طاعته أعمّ من اتباعه[2]، إذ قد يكون الإنسان مطيعاً لغيره، ثم لا يكون متبعاً له في أفعاله[3]، وذكر ها هنا الرسول تنبيهاً أن كلّ من كان رسولاً من جهة فطاعته واجبة، ثم قال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾، أي من تولى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبّب إليه بتولّيه عنه، فمحال أن يحبه، فصار تقديره: إنكم إذا كفرتم بالإعراض عنه وعن

= صحيح، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٠): هذا الحديث تفرّد بإخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب - أي الستة - ... وهو من غرائب الصحيح.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) المذكور في قوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] ويلاحظ خلو المخطوط من ذكر هذه الآية وتفسيرها، ولعلها سقطت من الناسخ بدلالة إشارة الراغب إليها هنا.

(٣) ذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ تأكيد للأمر الأول، وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ انظر: تفسير السمعاني (١/ ٣١١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٩)، ويرى الألوسي أن الأمر باتباعه يدخل في الأمر بطاعته دخولاً أوليًا، وهذا ما أشار إليه الراغب. انظر: روح المعاني (٣/ ١٣٠).

رسوله، فإنه لا يحبكم[1]. وفي ذلك إبطال دعواهم، حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[2]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تنبيه أنه ينقطع عنهم[3] توفيقه، وبانقطاع توفيقه عنهم يضلون ويعمهون[4].

قوله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

قد تقدَّم الكلام في معنى الاصطفاء[6]، وأن ذلك منه تعالى

---

(١) أثبت الراغب هنا صفة المحبة لله عز وجل، وأنه تعالى يُحِبُّ ويُحَبُّ، وهذه الصفة حاول بعض المفسرين تأويلها وصرفها إلى معانٍ أخرى، كما فعل الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٥٣)، فقد قال: «محبة الله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم»، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه. فصفة المحبة لله تعالى ثابتة، وهي غير صفة الرضى والإرادة. وانظر: جامع البيان (٦/ ٣٢٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٨).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٣) في الأصل: عنه. والصواب ما أثبته، ويدل عليه سياق الكلام.

(٤) وذلك ثابت بكتاب الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۞ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]. قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٥٨): ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: أي سبيلًا إلى الخير.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٦) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: ١٣٠]=

على وجهين: **أحدهما**: على سبيل الثواب بحسب الاستحقاق. **والثاني**: على سبيل التفضيل والابتداء بالترشيح، الذي يؤدي إلى العمل المرضي(١)، وذلك على ضربين: **أحدهما**: أن يكون ذلك/ [٢٠٨/ب] على سبيل الاجتباء، وهو أن تفيض العناية الإلهية عليه، فيجعله على نهاية الكمال بلا اجتهاد منه، ويجعله سبباً لتخريج غيره، وذلك للأنبياء ومن داناهم من الأولياء(٢). **الثاني**: على سبيل الاهتداء، وهو أن يوفّقه برسله ليتبلَّغ درجة فدرجة على سبيل

= من سورة البقرة. انظر: تفسير الراغب (ق ٩٨ ـ مخطوط).

(١) انظر: المفردات ص (٤٨٨).

(٢) الصواب أن مرتبة الاجتباء التام التي فسّرها الراغب بقوله: هو أن تفيض العناية الإلهية عليه، فيجعله على نهاية الكمال بلا اجتهاد منه... الخ. خاصة بالأنبياء دون غيرهم من طوائف البشر الآخرين، فجَعْلُ الراغب للأولياء نصيباً من هذه المرتبة فيه توجُّه صوفي، يؤدي إلى القول بإمكانية بلوغ بعض البشر رضا الله ومحبته وجنته بلا اجتهادٍ منهم. قال الخراز: «أهل الخاصة الذين هم المرادون، اجتباهم مولاهم، فأكمل لهم النعمة، وهيّأ لهم الكرامة، فأسقط عنهم حركات الطلب. والاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد، وهذا حال المحبوب المراد، يبادئه الحق بمنَحِه ومواهبه من غير سابق كسب منه». وهذا الاجتباء بالمفهوم الصوفي يؤدي إلى تقسيم الدين إلى: شريعة وحقيقة، فالشريعة للعوام، والحقيقة لأهل التصوف، وهذا من الجهل المخالف لدين الله تعالى. انظر: تلبيس إبليس ص (٣٢٤-٣٢٥)، والمعجم الصوفي ص (١٢).

الاكتساب، حتى يقرب من هؤلاء لتحمُّل المشاق، وذلك للحكماء ومن داناهم من المؤمنين(١)، ويقال فيهما الاصطفاء، ولوجود هذين الطريقين، قال تعالى: ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(٢) وقول الفرّاء: اصطفاؤهم اختيار دينهم(٣). وقول الزَّجَّاج والجبّائي: اختيارهم للنبوة(٤). وقول البلخي: هو تفضيلهم على غيرهم بما أولاهم من الأمور الجليلة(٥)، كل ذلك

---

(١) وهذه المرتبة هي التي تنتظم سلك الأولياء على خلاف ما ذكر الراغب، لأن ولاية الله لا تُنال إلا بطاعته والاجتهاد في عبادته وتقواه حق التقوى، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] فكل من كان تقياً كان لله وليًا، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٣)، النكت والعيون (٢/ ٤٤٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٠٤).

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٧). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٨٦) ونسبه للفراء وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٥) أنه قول ابن عباس والفراء.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٩). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٨٦) ونسبه للزجاج. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٥) وذكر أنه قول الحسن ومجاهد ومقاتل.

(٥) ذكر هذا القول الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٦) ولم ينسبه لأحد. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٥).

داخل في الاصطفاء، وقد تقدم الكلام في الآلِ[1] وأنه أخصُّ من الأهل[2]، فإن الآل يتناول الأخِصَّاء الذين يَجْرُون من الإنسان مجرى ذاته، ولهذا يقال لذات الإنسان ولخصائص عشيرته: الآل. ولم يتناول آل محمد الكافرين من ذويه[3]، وعنى بالمذكورين

(١) في الأصل: «الأول» وما أثبته هو الصواب.

(٢) قال الراغب في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩]: «والآل: قيل: هو مقلوب عن الأهل، كالماء عن الموه، ويصغر على أُهيل، كما أن الماء مصغّر على مويه، إلا أنه خصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل مكة، وزمان كذا. وقيل: هو اسم للشخص. ويصغر على أوَيْل وهو قول الكسائي» انظر: تفسير الراغب (ق ٥٠ ـ مخطوط).

(٣) قال الراغب: ويُستعمل ـ أي لفظ الآل ـ فيمن اختص بالإنسان اختصاص ذاته به؛ إما بقرابة قريبة، أو بموالاة دينية أو كالدينية، فقد أجرى الموالاة الدينية مجرى القرابة واللحمة، حتى قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وقال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال في نوح وابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] . . . وقيل لمحمد بن جعفر: إن ناساً يقولون: المسلمون كلهم آل النبي، فقال: كذبوا وصدقوا. قيل: فما معنى كذبوا وصدقوا؟ قال: «كذبوا: إن الناس على ما هم من التقصير في دينهم هم آل النبي، وصدقوا أنهم آله إذا قاموا بشريطة شريعته، فمن ضيع الشريعة فليس منه وإن قَرُبَ نسبه، ومن حافظ على شريعته فهو منه وإن بَعُدَ نسبه» تفسير الراغب (ق ٥١ ـ مخطوط).

في هذه الآية جُملةَ مَنْ[1] فضلهم في قوله: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[2] الآية، فذكر اثني عشر نبيًّا، وسنذكر إذا انتهينا إليه تخصيصهم بالذكر، وكيف رُتبوا هذا الترتيب، ومخالفة ذكرهم في الترتيب لأزمنتهم.

إن [قيل][3]: كيف تعلُّق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: تعلُّقها بها من وجهين. **أحدهما**: أنه لما أمرهم تعالى باتباع نبينا وهم يُقرُّون بوجوب اتباع الذين ذكرهم، بيّن أن جماعتهم في كونهم متساوين في النبوة سواء، وأن الذي دلَّ على وجوب اتباع [هـؤلاء يـدلُّ على وجوبِ اتباع][4] سائرهم، **والثاني**: أنه نبَّه أن اصطفاءه تعالى لهؤلاء لكونهم مطيعين له، مستحقين لمحبته بذلك.

قوله عز وجل: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5]
الذرية: قيل: من ذرأ الله الخلق فترك همزه نحو روية وبرية ونبى

---

(١) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٣.
(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.
(٤) ما بين المعكوفين ساقط من المخطوط والسياق يقتضيه.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

وخابية[١] وملك[٢] من روأ وأنبأ وخبأ ومَلأك، وقيل: بل هو من ذَرْو الريح، وأصله ذُرُّويَة، وقيل: هي فُعْلِيَّة من الذر نحو قمرية، ويُقال: ذرية للواحد والجمع، ويقال للأصل والنسل، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾[٣] أي اياهم، ويُقال للنساء: الذراري[٤]، قال عليه الصلاة والسلام: «**حجوا بالذراري، ولا تأكلوا مالها وتذروا/ أرباقها[٥] في أعناقها**»[٦] أي بالنساء، [٢٠٩/أ]

---

(١) الخابية: الجرة الكبيرة... «تركوا همزتها كما تركوا همزة البرية والذرية تخفيفاً لكثرة الاستعمال» انظر: التاج (١/ ٢٠٧).

(٢) قال الراغب: «الملك أَصله: ملأَك، مقلوب عن مألك» تفسير سورة البقرة، الآية: ٣٠. (ق ٣٨ـ مخطوط) وانظر: المنصف (٢/ ١٠٢- ١٠٤)، والصحاح (٤/ ١٦١١).

(٣) سورة يس، الآية: ٤١.

(٤) انظر معاني الذرية واشتقاقها في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٩، ٤٠٠)، والمفردات ص (٣٢٧، ٣٢٨)، والدر المصون (٣/ ١٢٨).

(٥) أرباقها: أي حبالها وقلائدها. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١/ ٣٩٦)، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ١٥٧)، ولسان العرب (١٠/ ١١٢).

(٦) أورده الهروي في «غريب الحديث» (٢/ ٩٢)، وابن الأثير في النهاية (٢/ ١٥٧)، وهو من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٧٠-٤٧١)، والفاكهي في أخبار مكة (١/ ٣٨٦)، وذكره ابن حجر في «الإصابة» (١٣/ ١٤٧) في ترجمة بنت محرز وقال: =

فأما الصبيان فلا أرباق في أعناقها؛ إذ لا حج عليهم، قوله: ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني في الموالاة الدينية[1]، لقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[2] وقوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾[3] وقوله لنوح: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[4] ردًّا عليه لما قال[5] في الكناية عن هذا العدو[6].

والضعة: الخساسة، في مقابلة الرفعة، ولذلك استعير صعود الجبل وبلوغ السماء ونحو ذلك للرفعة، والوقوع في الثرى ونحوه للضعة[7].

= سنده جيد.

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٣٢٧، ٣٢٨)، والنكت والعيون، (١/ ٣٨٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٩)، والكشاف (١/ ٣٥٥).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٥) وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ويبدو أن في الكلام سقطاً، وقد امتد السقط ليشمل تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٧٤)، والمقاييس (٦/ ١١٧، ١١٨)، والمخصص (٣/ ٩٢).

والرجيم: المرجوم، وأصل الرجم: الرمي بالرجام أي الحجارة، وقيل ذلك للنجم المنقض، لقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾[1] وقيل للظن والكلام المقرّع: رجم[2]، ومنه ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾[3].

وقوله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾[4] أي وضعت حملها، وأنّثها على المعنى[5]، وقولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ لكون الأنثى ناقصة العقل والدين[6]، ولهذا قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ ولأنه

---

(١) سورة الملك، الآية: ٥.

(٢) انظر في معاني الرجم: العين (٦/ ١٢٠)، وتهذيب اللغة (١١/ ٦٨)، والصحاح (٥/ ١٩٢٨).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٥) قال السمين الحلبي: «الضمير في ﴿وَضَعَتْهَا﴾ يعود على «ما» من حيث المعنى، لأن الذي في بطنها أنثى في علم الله تعالى، فعاد الضمير على معناها دون لفظها. وقيل: إنما أنّثه حملًا على معنى النسمة أو الحبْلة أو النفس. قاله الزمخشري». الدرُّ المصون (٣/ ١٣٢)، وانظر: جامع البيان (٦/ ٣٣٣)، والكشاف (١/ ٣٥٥).

(٦) إشارة إلى قول النبي ﷺ للنساء: «... وما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم=

روي أنه لم يكن يستصلح للتحرير[١] من قبل إلا الذكور[٢]، وبيّن بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ أن إخبارها بذلك[٣] لم يكن على سبيل الإعلام، بل على معنى أن الله أعلم بمآلها، وحقيقة أحوالها[٤]، وذلك يحتمل أن يكون من قولها، وأن يكون من قوله

= تصم؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها» أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم رقم (٣٠٤). ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) التحرير: جعل الإنسان حرًّا. والمراد بالتحرير هنا هو الخلوص للعبادة والخدمة. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٠١)، والمفردات ص (٢٢٤، ٢٢٥)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٧)، وزاد المسير (١/ ٣٧٦).

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٣٥) بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ قال: وإنما كانوا يحرّرون الغلمان. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٦٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧).

(٣) أي بقولها: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾.

(٤) من كون الأنثى لا تصلح للتحرير لما يعتريها من حيض ونفاس وعدم قدرة على الخدمة في الكنيسة أو مصاحبة الرهبان، فقالت ذلك اعتذاراً لربّها من عدم وفائها بما نذرت. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٣٤، ٣٣٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٧)، وزاد المسير (١/ ٣٧٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧).

تعالى، وإذا قرئ (بما وَضَعتُ)[1] فإخبار عن قولها على سبيل التوجُّع، إذ لم يكن ما في بطنها على ما أحبّت[2]، وفائدة قوله: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ قيل: هو أن هذا الاسم في لغتهم اقتضى معنى التحرير[3]، وتضرَّعت امرأة عمران إلى الله تعالى أن يحفظها وذريتها من الشيطان، الذي قال: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4] لكون الأنثى أطوع له، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مولود يولد إلا والشيطان ينال منه طَعْنةً، ولها يستهلُّ الصبيُّ[5] إلا ما كان من مريم وابنها، فإنها لما وضعتها قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ**

---

(١) هي قراءة ابن عامر ويعقوب وأبي بكر بإسكان العين وضم التاء، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء. انظر: حجة القراءات ص (١٦٠)، المبسوط ص (١٤٢)، والغاية ص (٢١٠)، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٩).

(٢) انظر هذا المعنى في: الكشاف (١/ ٣٥٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٦٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧)، والدر المصون (٣/ ١٣٥).

(٣) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: يعني خادم الرب في لغتهم. تفسير القرطبي (٤/ ٦٨). وقال البقاعي: «ومعنى هذا الاسم بلسانهم العابدة» نظم الدرر (٢/ ٧٢). وانظر: بحر العلوم (١/ ٢٦٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٧)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٣٧٢).

(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٥) استهلَّ الصبي: أي رفع صوته بالبكاء. القاموس المحيط ص (١٣٨٥).

﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1] فضُرب[2] دونها حجاب»[3]، ونبّه بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾[4] إنك تسمع نذري، وتعلم حالي ونيتي، فتقبّل مني ما قلت.

قوله عز وجل: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا/ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[5] [٢٠٩/ب] القبالة: الكفالة، فقوله: (تقبّلها) قيل: تكفَّل تربيتها[6]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) في الأصل: «تضرب»، والصواب ما أثبته من جامع البيان (٦/ ٣٣٩).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٣٩) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٣٨)، والبخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ رقم (٣٤٣١)، وأخرجه أيضاً في التفسير، باب: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ رقم (٤٥٤٨). وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام رقم (٢٣٦٦).

(٤) وذلك في الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٦) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٣١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٩)، والدر المصون (٣/ ١٣٩).

وقيل: رضيها[١]، ولفظ التقبّل يقتضيهما، قال الحسن: قبوله إياها أنه صانها عن كل أذى[٢]، وقبول مصدر قبل، نحو: وضوء وطهور، ولما كان تقبّل وقبل يتقاربان جمع بين التقبّل والقبول، تنبيهاً أنه جمع من الأمرين التقبُّل الذي يقتضي الرضا والإثابة، وقيل: القبول من قولهم: فلان عليه قبول. إذا أحبّه من رآه[٣]، وقوله: ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا ﴾ أي ربّاها تربية حسنة[٤]. وتقدير الكلام: أنبتها فنبتت نباتاً[٥]، وروي أن أمّها لما وضعتها

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٨)، والوسيط (١/ ٤٣١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٣)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٧).

(٢) ذكر القرطبي وأبو حيان في تفسيريهما قول الحسن مغايراً لما ذكر الراغب، فقالا: قال الحسن: معنى التقبُّل أنه ما عذَّبها ساعة قط. وهو يؤدي إلى معنى الصيانة، وكأن الراغب ذكر معناه. انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٩).

(٣) انظر معاني القبول في: العين (٥/ ١٦٨) ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠١)، والمفردات ص (٦٥٣، ٦٥٤)، والنهاية (٤/ ٨)، والدر المصون (٣/ ١٣٩، ١٤٠).

(٤) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٨)، والكشاف (١/ ٣٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٦٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٠).

(٥) ذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٣) والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣١٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٠).

لفّتها في خرقة، وبعثت بها إلى مسجد بيت المقدس[1] فقال: زكريَّا: أنا أحقُّ بها، لأن خالتها تحتي، وقالت الأحبار: لو تركت لأحقِّ الناس بها لتُرِكت لأمِّها التي وضعتها، فاختصموا فيها فتقارعوا، فقرعهم زكريا[2]، واختُلف في الرزق، فقيل: إنه كان يوجد عندها طعام الشتاء في الصيف، وطعام الصيف في الشتاء، من غير أن كان يدخل إليها آدمي[3]. وقال الجبّائي: يجوز أن كان

---

(١) سُمِّي بيت المقدس لأنه الموضع الذي يُتقدَّس فيه من الذنوب، يقال: بيت المقدِس والبيت المقدّس، وبيت القُدُس، بضم الدال وسكونها، والقدس المدينة المقدسة المعروفة بفلسطين، وفيها المسجد الأقصى. انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٣).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٣٩) عن السدّي. وأخرجه البيهقي في السنن (١٠/ ٢٨٦، ٢٨٧) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥) وعزاه للبيهقي في السنن.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري (٦/ ٣٥٤) رقم (٦٩٢٠، ٦٩٣٢) عن الضحاك، ورقم (٦٩٢٧) عن مجاهد، ورقم (٦٩٢٨) عن قتادة، ورقم (٦٩٣٠) عن الربيع، ورقم (٦٩٣١) عن السدّي، ورقم (٦٩٣٣) عن ابن عباس، ورقم (٦٩٣٤) عن ابن إسحاق. وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (ق ٢٢ ـ مخطوط) وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٠) عن عكرمة. وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٠) وعزاه لمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء، =

رزقاً يأتيها به غير زكريا من حيث لا يعلمه[1]، ولو كان الأمر على ما ذكر لما أعاد الله ذكره تعجباً من أمرها، وقوله: ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أنه ليس كما ذكر[2]، وقال بعضهم: كان ذلك فيضاً من الله يأتيها من العلم والحكمة من غير تعليم آدميّ[3]، فسماه رزقاً، وهذا أعجب من إتيانها الطعام في غير آنه، لمن عرف فضيلة العلم، واللفظ محتمل، ثم بيَّن تعالى[4] أن ذلك ليس

= وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي.

(١) ذكر قول الجبائي فخر الدين الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٢٨) ثم قال: «هذا مجموع ما قاله الجبائي في تفسيره، وهو في غاية الضعف» قلت: وما ذكره جارٍ على مذهب المعتزلة في إنكار كرامات الأولياء وخوارق العادات. وذكر هذا القول أيضاً الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٨٨).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٦٩): «وقولها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ دليل على أنه ليس من جلب بشر، وهكذا تلقى زكريا المعنى، وإلا فليس كان يقنع بهذا الجواب».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٤٠) الرواية الثانية عن مجاهد، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٠) عن مجاهد، وعزاه لابن أبي حاتم، ثم قال: والأول أصح، وفيه دلالة على كرامات الأولياء، وقال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦١): «وأبعد من فسَّر الرزق هنا بأنه فيض، كان يأتيها من الله من العلم والحكمة من غير تعليم آدمي، فسماه رزقاً. وقال الراغب: واللفظ محتمل».

(٤) بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. والراغب هنا يوافق ابن=

بعجيب، فرزق الله للعباد على وجوه تقصر عنها معرفة الناس.

قوله عز وجل: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1] هنالك: يقع على الزمان والمكان، وإن كان المكان أملك له، يقال: هنا، وهناك، وهنالك، كقولك: ذا، وذاك، وذلك[2]، ولما رأى زكريا من أحوال مريم تلك العجائب، وكان به حاجة إلى الولد مع كبر سنه ووهن من عظامه، سأله أن يهب له ذرية طيبة، أي صالحة، واستعمال الطيب في الصالح: كاستعمال الخبيث في ضده، في نحو قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ/ [٢١٠/أ] لِلْخَبِيثِينَ﴾[3]، على أن في الطيب زيادة معنى على الصالح[4] وقوله:

= جرير الطبري في أن هذه الجملة هي من قول الله تعالى، بعد أن قطع كلام مريم، وليست حكاية عن قول مريم، بعد أن قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، انظر: جامع البيان (٦/ ٣٥٩، والنكت والعيون (١/ ٣٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٧، ١٥٨)، وإملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٣٢)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١٣٧)، والمساعد (١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٣) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٤) نقل هذه الفقرة بنصِّها أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٣)، ونسبها للراغب. وانظر معاني قوله تعالى: ﴿طَيِّبَةً﴾ في: جامع البيان (٦/ ٣٦١)، =

﴿مِن لَّدُنكَ﴾ أي من نعمك وفضلك الإلهي، وذاك أن إيجاد الأشياء وإن كان كلها بقدرته وفضله فعلى ضربين: إبداع، وهو الذي لم يجعل لغيره إليه سبيلا، لا للملائكة ولا للناس، وفِعْل جَعَلَ للروحانيّ أو الجسمانيّ إليه سبيلًا، فبين بقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ أنه يسأل ما يتفرَّد بإيجاده[1]، وقوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي مجيب لمن دعاك على الشرائط التي بها تُدعى، وقد تقدَّم الكلام في شرائط الدعاء[2] في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[3].

= ففسر الطيبة بالمباركة، وروى في ذلك أثراً عن السُّدي. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٩)، وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (١/ ٣١٤)، وزاد المسير (١/ ٣٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٢).

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٣): «ولما كان ذلك يكاد يكون على سبيل ما لا تسبب فيه؛ لا من الوالد لكبر سنه، ولا من الوالدة لكونها عاقراً لا تلد، فكان وجوده كالوجود بغير سبب أتى هبة محضة منسوبة إلى الله تعالى بقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ أي من جهة محض قدرتك من غير توسط سبب» وقد تقدّم كلام الراغب على ﴿لَّدُنكَ﴾ عند تفسيره للآية الثامنة من هذه السورة. انظر: ص (٤٣٣) من هذه الرسالة.

(٢) وهي كما ذكرها: الدعاء بأحسن الأسماء، وإخلاص النية، وإظهار الافتقار، وعدم الرغبة فيما ينزّه الأكابر عن مسألة مثله، أو ما يستعان به على معاداته، والعلم بأن نعمته فيما يمنعه من دنياه كنعمته فيما أعطاه وخوَّله. انظر: تفسير الراغب (ق ١٢٥ ـ مخطوط).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] المحراب: قيل: سُمّي بذلك لأنه موقع محاربة الشيطان والهوى، وقيل: لكون الإنسان حريباً من أشغال الدنيا[2]. وقيل: الأصل فيه أنه موضع حريبة الرجل أي ماله، وذلك أنه كان اسماً لصدر المجلس، ثم لمَّا اتُّخذت المساجد سمي به منها ذلك الموضع[3]، وقوله: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ قيل: هي كلمةُ الإيمان، وهو قول قتادة[4]، وقال أبو عبيدة[5]: كتاب

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٢) يقال: حَرَبه حرباً كطلبَه طَلَباً: سلب ماله، فهو محروب وحريب. انظر القاموس ص (٩٣) وقيل: حَرِب حَرَباً، من باب تعب: أي أخذ جميع ماله. انظر: لسان العرب (١/ ٣٠٣، ٣٠٤).

(٣) انظر: العين (٣/ ٢١٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢١-٢٣)، والمقاييس (٢/ ٤٨)، والمفردات ص (٢٢٥)، والقاموس المحيط ص (٩٣).

(٤) لم أجد هذا القول لقتادة، والمروي عنه بأسانيد مختلفة أنه فسَّر الكلمة هنا بعيسى ابن مريم، وهو يتَّفق بذلك مع أصحاب القول الثابت الذين ذكرهم الراغب. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧٢) وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٠)، وزاد المسير (١/ ٣٨٣).

(٥) معمر بن المثنّى التيمي مولاهم البصري النحوي اللغوي صدوق إخباري رُمي برأي الخوارج، ولد بالبصرة سنة ١١٠هـ من مصنفاته: =

الله[1]، وقال غيرهما: عنى به عيسى، وتسمية عيسى بالكلمة قيل: لكونه موجداً بكن[2]، المذكور في قوله: ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]، وقيل: سُمّي بذلك لكلامه في صغره[4]، والسيد

= (مجاز القرآن) و (غريب القرآن) و (معاني القرآن) و (غريب الحديث) توفي سنة ٢٠٩هـ وقيل ٢٠٨هـ، وقد قارب المائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٢)، والتهذيب (١٠/ ٢٤٦)، والتقريب ص (٥٤١)، وطبقات المفسرين (٢/ ٣٢٦).

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩١)، وذكره ابن المنذر في تفسيره بسنده عن أبي عبيدة (ق ٢٣ ـ مخطوط)، وذكره أيضاً الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٦) وقد شنع ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٧٣، ٣٧٤) على صاحب هذا القول، فقال: وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى قوله: ﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ بكتاب من الله، من قول العرب: أنشدني فلان كلمة كذا؛ يراد به: قصيدة كذا؛ جهلًا منه بتأويل الكلمة، واجتراءً على ترجمة القرآن برأيه».

(٢) وهو قول ابن عباس والسُّدي وقتادة والحسن وعكرمة ومجاهد وأبي الشعثاء والربيع بن أنس والضحاك وجمهور العلماء، كما قال ابن كثير. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧١-٣٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٠)، وزاد المسير (١/ ٣٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٦)، وفتح القدير (١/ ٣٧٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٤) قال الفخر الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٣٢): «والثاني أنه تكلّم في=

السايس لسواد الناس، أي معظمهم، ولهذا يقال: سيد العبد، ولا يقال: سيد الثوب[1]، وقيل: سيداً أي عالماً وتقيًا وحليماً[2]، وذلك من شروط السيادة، فمن لم يوجد [فيه][3] ذلك فسيادته زور. وقال بعض الصوفية[4]: قوله: ﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي

= الطفولية، وآتاه الله الكتاب في زمان الطفولية، فكان في كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً، فسمي كلمة بهذا التأويل، وهو مثل ما يقال: فلان جود وإقبال؛ إذا كان كاملًا فيهما».

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٣٤، ٣٥)، والمقاييس (٣/ ١١٤)، والمخصص (٢/ ١٥٨)، والمفردات ص (٤٣٢).

(٢) وهو قول ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وسفيان وسعيد ابن المسيب انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧٥، ٣٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢، ٦٤٣)، وزاد المسير (١/ ٣٨٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٦). وأقوال هؤلاء الذين ذكرناهم متفاوتة حول الصفات الثلاث، التي ذكرها الراغب، وهي العلم والتقوى والحلم، فمنهم من جمعها جميعاً في قوله كقتادة، ومنهم من اقتصر على اثنتين، ومنهم على واحدة.

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) الصوفية: أرجح الأقوال في هذه التسمية، هي النسبة إلى لبس الصوف. والصوفية مذهب امتزجت فيه عدة تيارات ما بين إسلامي كالزهد، وما بين تيارات فلسفية أخرى هندية، ونصرانية وغيرها، أخطرها القول=

﴿ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ تنبيه أنه قل ما يأتي الإنسان توفيق وفيض إلهي إلا بالالتجاء إليه[1]. والحَصُور: يُقال تارة في معنى المفعول، وتارة في معنى الفاعل، فيجوز أن يكون هو الذي حصر نفسه، ويجوز أن يقال حصره علمه وعقله[2]، وقد روي أنه كان ممنوعاً من قبل الله تعالى عن النساء، وأنه كان معه مثل هدب الملاءة[3]،

= بالحلول والاتحاد. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٣٦٩)، واللمع للطوسي ص (٤٠-٤١)، والتعرف للكلاباذي ص (١٠).

(١) انظر: لطائف الإشارات للقشيري (١/ ٢٥٢) حيث قال: «وفيه إشارة إلى أن من له إلى الملوك حاجة فعليه بملازمة الباب إلى وقت الإجابة، ويُقال: حكم الله سبحانه أنه إنما يُقبل بالإجابة على من هو معانق لخدمته، فأمّا من أعرض عن الطاعة ألقاه في ذلّ الوحشة».

(٢) انظر: العين (٣/ ١١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٦، ٤٠٧)، والمفردات ص (٢٣٨) والبحر المحيط (٢/ ٤٦٧).

(٣) كان معه مثل هُدْب الملاءة: أي أن متاعه رخو مثل طرف الثوب، لا يغني عن النساء شيئاً. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٤٩).
وهذا الأثر روي مرفوعاً وموقوفاً، أما المرفوع فقد أخرجه ابن جرير الطبري (٦/ ٣٧٧) وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص. وقال الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤١) غريب جدًا، والموقوف أصح إسناداً من المرفوع.
وروي موقوفاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن مسعود، وهو قول سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، =

والأول أشبه باستحقاق المدح[1]، وقرئ: (نادته)، و(ناداه)[2]، نحو ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[3] و(يعرج)[4]، وروي أن عبدالله[5]

= والحسن وابن زيد. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧٧-٣٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٠، ٣٩١)، وزاد المسير، (١/ ٣٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤١)، والدر المنثور (٢/ ٣٩، ٤٠) وحكم السيوطي على الموقوف بأنه أقوى إسناداً من المرفوع. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٧٦): «وأجمع من يُعتمد بقوله من المفسرين على أن هذه الصفة ليحيى عليه السلام إنما هي الامتناع من وطء النساء، إلا ما حكى مكي من قول من قال: إنه الحصور عن الذنوب، أي لا يأتيها».

(١) قال البغوي في تفسير معالم التنزيل (٢/ ٣٥): وفيه قول آخر: إن الحصور هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين: أحدهما: لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء. والثاني: أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف: «فناداه»، والباقون: «فنادته»، انظر: حجة القراءات ص (١٦٢)، والمبسوط ص (١٤٢)، والتلخيص ص (٢٣٢)، والغاية ص (٢١١).

(٣) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٤) قرأ الكسائي وحده: «يعرج» بالياء، والباقون بالتاء، انظر: المبسوط ص (٣٨١)، والغاية ص (٤١٨)، والتلخيص ص (٤٤٥).

(٥) أبو عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهرة، من السابقين إلى الإسلام، من كبار علماء الصحابة =

[٢١٠/ب] ذكّر/ الملائكة في كل القرآن[١]، وقال أبو عبيدة[٢]: وذلك خلاف الكفار، حيث أنّثوا الملائكة، وقالوا: بنات الله. وليس تأنيث العرب الملائكة، وتعيير الله إياهم لتأنيث اللفظ، إنما ذلك لجعلهم إياها له بنات[٣]، إن قيل: ما معنى ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وذلك

= وقرائهم، جمّ المناقب، شهد بدراً وبيعة الرضوان، والمشاهد كلّها، وكان صاحب سواك النبي ﷺ ونعليه. سكن الكوفة وتوفي بها سنة ٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١)، والتهذيب (٦/ ٢٧)، التقريب ص (٣٢٣)، والإصابة (٤/ ١٩٨).

(١) يريد أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ: «فناداه الملائكة» بحذف تاء التأنيث من الفعل، وقد رويت هذه القراءة عن ابن عباس أيضاً. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٦٣-٣٦٥) وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٣) والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٤).

(٢) هكذا في الأصل، ولم أجد هذا الكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ولا أحداً نسبه إليه، وإنما نسب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، كما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٤)، ولعل الناسخ قد زاد تاءً متطرفة.

(٣) يريد أن تأنيث الملائكة في قراءة الجمهور إنما هو من تأنيث جمع التكسير مراعاة للفظه لا لمعناه، وكأنه أراد بذلك الردّ على اختيار أبي عبيد قراءة التذكير، مستدلاً بأنها تخالف مذهب الكفار. وقال الفرَّاء: «وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقرأ بالتذكير والتأنيث، وكذلك فعله =

يقتضي جواز نبي ليس بصالح؟! قيل: قوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ متعلق بمضمر، أي وهو من الصالحين، وذلك مما أكد به قوله: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾[1]، ومعناه من أولاد الصالحين[2].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[3] الغلام يجوز أن يكون أصلًا في بابه، وعنه أخذ الاغتلام، لكون المغتلم شبيها به في المعنى المخصوص، ويجوز أن يجعل الغيلم - وهو منبع الماء - من ذلك، وسُمّي الغلام لكونه ذا رونق، ولذلك يُقال: فلان عليه ماء الشباب[4]، والعقر: أصل البنية للدار والإنسان، وعقرته

= الملائكة وما أشبههم من الجمع يؤنَّث ويذكَّر... وكلّ صواب، فمن ذكَّر ذهب إلى معنى التذكير، ومن أنث فلتأنيث الاسم، وأن الجماعة من الرجال والنساء وغيرهم يقع عليه التأنيث»: معاني القرآن (١/ ٢١٠)، وانظر ردّ النحاس على أبي عبيدة في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٧٣)، وانظر: الحجة لأبي علي (٢/ ٣٥٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٤).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٦٠)، والتفسير الكبير (٨/ ٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٨، ٤٦٩)، وروح المعاني (٣/ ١٤٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٤) انظر: العين (٤/ ٤٢٢، ٤٢٤)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٤١، ١٤٢، ١٤٥)، والصحاح (٥/ ١٩٩٧)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧)، والمخصص=

أي أصبت عُقره، أي أصل بنيته، وذلك يقتضي معنى القتل، ثم سُمّي الجرح - أي جرح كان - عقراً، وسُمّي الخمر عُقاراً لكونها كالعاقر للإنسان. وجُعل بناؤه بناء الإرواء[1] كالخُمار[2] والكُباد[3] والمعاقرة: المشاربة، كأنه يطلب كل واحد منهما عَقْر صاحبه بإسكاره. وامرأة عاقر كأنها تعقر[4] النسل، لإفسادها ماء الفحل، وجعل العُقْر اسماً للدية، وكنّى به عن بذل البضع[5]، وقال ها هنا: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ وفي موضع آخر: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[6]، وذاك أنك إذا بلغتَ الكبر فقد بلغك الكبرُ[7]،

= (١٠/ ٣٨)، ولسان العرب (١٢/ ٤٤٠).

(١) يريد أن المصدر الدال على داء يكون على وزن فُعَال بضم أوله وتخفيف ثانيه: كالسعال، والدوار، والعطاس. انظر: شرح الشافية للرضي (١/ ١٥٤)، والمساعد (٢/ ٦٢١).

(٢) الخمار: ألم الخمر وصداعها وأذاها. القاموس ص (٤٩٥) وانظر المخصص (١١/ ١٠١).

(٣) الكباد: «وجع الكبد» انظر المخصص (٥/ ٧٨).

(٤) في الأصل: «تعقرُه»، بزيادة هاء في آخره. والصواب حذفها.

(٥) انظر معاني هذه المادة في: العين (١/ ١٤٩-١٥٢)، وتهذيب اللغة (١/ ٢١٥)، والصحاح (٢/ ٧٥٣-٧٥٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٨)، والمفردات ص (٥٧٧)، والدر المصون (٣/ ١٦١، ١٦٢).

(٦) سورة مريم، الآية: ٨.

(٧) نقل أبو حيان هذه العبارة في البحر المحيط (٢/ ٤٧٠)، ونسبها للراغب.

نحو أدركني الجهدُ وأدركتُ الجهدَ[1]، ولا يقال: أدركني المكان، لأن حقيقة إدراك المكان من الإنسان دون المكان، وإدراك الجهد والكبر مجاز في الطرفين[2]، فصار انتساب كل واحد منهما إلى

---

(١) قال ابن جرير الطبري: وقيل: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾، وقد قال في موضع آخر: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ﴾، لأن ما بلغك فقد بلغته، وإنما معناه: قد كبرت، وهو كقول القائل: «قد بلغني الجهد» بمعنى: إني في جهد» جامع البيان (٦/ ٣٨١، ٣٨٢) وكلام الراغب يشبه هذا الكلام.

(٢) **المجاز لغة**: خلاف الحقيقة، واصطلاحاً: استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع دالاً عليه ثانياً نسبة وعلاقة بين مدلولي الحقيقة والمجاز. انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبدالسلام ص (١٨) والقاموس ص (٦٥١)، وقد قسم العلماء ـ القائلون بالمجاز ـ المجاز إلى ثلاثة أقسام: أحدها: ما طرفاه حقيقتان نحو: أنبت المطرُ البقلَ. والثاني: ما طرفاه مجازيان نحو: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦]، وأشار الراغب إلى أن قوله تعالى: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ من هذا القسم. والثالث: ما كان أحد طرفيه مجازاً دون الآخر، نحو ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، وقد اختلف العلماء في وقوع المجاز في القرآن واللغة، فمنهم من قال: لا مجاز مطلقاً لا في القرآن ولا في اللغة، ومنهم من أثبته فيهما، ومنهم من أثبته في أحدهما دون الآخر. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٤٠٠-٤٩٧)، وهي رسالة في الحقيقة والمجاز. والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٣٧٧)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٣٦). ومنع جواز المجاز للشنقيطي.

الآخر سواء، وقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ليس بإنكار لقدرة الله، بل لما كانت عادته تعالى في إيجاد الأولاد أن لا يكونوا من الهَرِم والعاقِر، أراد التعرّف أن ذلك هل يحصل وهما باقيان على حالتيهما، أو يكون بإعادة الشباب إليهما، أو يكون ذلك من امرأة أخرى أو يحصل ذلك على سبيل لم تجر به العادة[1]؟ وقال بعضهم: إنما قال أنَّى يكونُ لي ذلك؟ استعظاماً لنعمة الله، [٢١١/أ] كقولك: من لي بكذا؟ ومن/ أين لي كذا[2]؟ وقال بعضهم: قال ذلك لأنه لما سمع نداء المَلك قدّر أن ذلك وسوسة من الشيطان[3]، واستبعد بعضهم ذلك[4]، وقال: إن الأنبياء لا يشتبه عليهم ما يكون من قِبَل الملائكة بما يكون من قِبَل الشيطان[5]، وقوله:

---

(١) على هذا التفسير يكون الاستفهام على بابه. وهذا قول الحسن والأصمّ.

(٢) وعلى هذا التفسير فالاستفهام أريد به معنى الاستبعاد أو التهويل.

(٣) وعلى هذا الوجه يكون الاستفهام للإنكار والتكذيب بمعنى لا يكون ذلك. انظر: شرح التلخيص ص (٨٧، ٨٨)، وهذا قول عكرمة والسُّدي.

(٤) نقل أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٩) إنكار القاضي عبدالجبار لذلك، فقال: «قال القاضي: لو اشتبه على الرسل كلام الملك بكلام الشيطان لم يبق الوثوق بجميع الشرائع».

(٥) انظر هذه الأقوال جميعاً في: جامع البيان (٦/ ٣٨٢، ٣٨٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٨٩)، والكشاف (١/ ٣٦٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٨)، وزاد المسير (١/ ٣٨٤)، والجامع لأحكام القرآن=

﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ ﴾ . على الجواب الأول : أي أنه يهب لك الولد وأنت بحالتك[1] ، وعلى الثاني : أن نعمته في خلق ذلك كنعمته في غيره ، وعلى الثالث : إن تعجّبت من ذلك فتعجَّب من سائر أفعاله المبدعة ، فإن خلقه لذلك كخلقه لما يشاء[2] .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[3] العشي : من لدن غروب الشمس إلى انقضاء صَدْر الليل ، وخصّ العشاء بالطعام المتناول فيه ، وتعشى تناول العشاء وعَشِي صار في عشا[4] لظلمةِ عينه[5] ، وآية في وزنها

= (٤/ ٧٩) ، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٩) ، وشرح التلخيص ص (٨٧) .

(١) نقل أبو حيان هذه العبارة في البحر المحيط (٢/ ٤٧٠) ، ونسبها للراغب .

(٢) انظر هذه الأوجه في : جامع البيان (٦/ ٣٨٣) ، والكشاف (١/ ٣٦٠) ، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٩) ، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٠) ، والدر المصون (٣/ ١٦٢ ، ١٦٣) ، وروح المعاني (٣/ ١٥٠) ، وفتح القدير (١/ ٣٧٥) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٤١ .

(٤) العشا مقصورة : سوء البصر بالليل والنهار أو العمى . القاموس ص (١٦٩١) .

(٥) انظر معاني هذه المادة في : العين (٢/ ١٨٨) ، والجمهرة (٣/ ٦٣) ، وتهذيب اللغة (٣/ ٥٨) ، والصحاح (٦/ ٢٤٢٦) ومقاييس اللغة (٤/ ٣٢٢) ، والمفردات ص (٥٦٧) .

ثلاثة أقوال: **الأول**: أنها فَعلة، وحق مثله أن يُجعل لامه معتلًّا نحو: حياة ونواة، ونظيرها راية، **والثاني**: فِعلة إلا أنها قلبت كراهية التضعيف، نحو طائي في طَيْئِيٍّ، والثالث: فاعلة، وأصلها آيِية فخَففَ وذلك ضعيف لقولهم في تصغيرها أيَيَّة، ولو كانت فاعلة لقيل: أويّـة[1]، **والرمز**: الإشارة بالشفة والغمز بالعين والحاجب[2]، **والإبكار**: مصدر أبكر، يُقال: أبكر وبكَر وبكَّر وابتكر، والبُكرة من وقت طلوع الفجر إلى ضحوة النهار[3]، وقوله: ﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ قيل: طلب علامة لوقت الحمل، فجعل تعالى أن لا يمكنه مكالمة الناس إلا إيماءً مع تمكنه من ذكر الله[4]، وقيل: بل سأله أن يبين له قربة يجعلها شكراً لما خوَّله،

---

(١) انظر: الكتاب (٤/ ٣٩٨) والتعليقة (٥/ ١٠٦)، وشرح الشافية للرضي (٣/ ١١٨) وجامع البيان (٦/ ٣٨٤).

(٢) انظر: العين (٧/ ٣٦٦)، والجمهرة لابن دريد (٣/ ٣٢٥) والصحاح (٣/ ٨٨٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩) والمفردات ص (٣٦٣) والدر المصون (٣/ ١٦٥).

(٣) انظر: العين (٥/ ٣٦٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩)، والنكت والعيون (١/ ٣٩١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨١)، وزاد المسير (١/ ٣٨٦)، والمفردات ص (١٤٠)، والدر المصون (٣/ ١٦٨).

(٤) وهو قول قتادة، والربيع وجبير بن نفير والسدّي. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٨٦، ٣٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٥)، =

فأمره أن يجعل شكره الاشتغال بالعبادة، وترك مكالمة الناس إلا رمزاً ثلاثة أيام[1]، وهو المذكور في قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[2]، وفي هذا دليل أن في ذكر اليوم أو الليلة غنىً عن ذكر الآخر عند الإطلاق[3]، وإذا أُريد الخلاف بُيّن حينئذ نحو ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ﴾[4]، وعلى هذا الآية عبارة عن الفريضة، فإن زكريا سأل

= والنكت والعيون (١/ ٣٩١)، والمحرر الوجيز (١/ ٨٠)، وزاد المسير (١/ ٣٨٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٣).

(١) ذكر هذا الوجه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٧١) ولم ينسبه إلى أحد.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٠.

(٣) قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ١٦٤): قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ الصحيح أن هذا النحو ـ وهو ما كان من الأزمنة يستغرق جميعه الحدثَ الواقع فيه ـ منصوب على الظرف، خلافاً للكوفيين، فإنهم ينصبونه نصب المفعول به. وقيل: وثم معطوف محذوف، تقديره: ثلاثة أيام ولياليها، فحذف، كقوله تعالى: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [سورة النحل: ٨١] ونظائره، يدل على ذلك قوله في سورة مريم ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، وقد يقال: إنه يؤخذ المجموع من المجموع، فلا حاجة إلى ادعاء حذف، فإنا على هذا التقدير الذي ذكرتموه نحتاج إلى تقدير معطوف في الآية الأخرى تقديره: ثلاث ليالٍ وأيامها» اهـ. وما ذكره الراغب أحسن.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٧. ونصّها: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾.

أن يفرض عليه فرضاً يجعله شكراً له[1]، وتسبيحه: قيل هو الصلاة، وسميت الصلاة سُبحة[2]، وقوله: ﴿بِٱلْعَشِيِّ[3] وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ قيل: عنى في هذه الأيام الثلاث، ولم يعنِ التسبيح في طرفي النهار فقط، بل إنما[4] أراد إدامة العبادة في هذه الأيام[5]، وقرئ ألاَّ تكلم بالرفع والنصب[6]، نحو: ﴿وَحَسِبُوٓاْ

---

(١) في الأصل: «لك»، ولعل الأظهر ما أثبته.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٢٥)، والنهاية (٢/ ٣٣١)، واللسان (٢/ ٤٧١-٤٧٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٣).

(٣) قال أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣١٧): وأما العشي: ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٩١)، والوسيط (١/ ٤٣٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨١)، وزاد المسير (١/ ٣٨٦)، وقد تقدم معنى الإبكار.

(٤) في الأصل: «إذا» والسياق يقتضي ما أثبته، وقد نقل أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٧٣) هكذا: «قال الراغب: لم يعن التسبيح طرفي النهار فقط، بل إدامة العبادة في هذه الأيام».

(٥) على هذا القول لا يكون لذكر العشي والإبكار فائدة، وهناك أقوال أخرى أولى من ذلك، منها ما ذكره أبو حيان بعد ذكره لقول الراغب، قال: «وقال غيره: يدل على أن المراد بالتسبيح الصلاة: ذكره العشي والإبكار، فكأنه قال: اذكر ربك في جميع هذه الأيام والليالي، وصلِّ طرفي النهار». البحر المحيط (٢/ ٤٧٣).

(٦) قال السمين الحلبي: قوله: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ أنْ وما في حيّزها في محلِّ رفعٍ، =

﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالرفع والنصب[1].

قوله عز وجل: / ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] تكرير الاصطفاء قيل لمعنيين: **الأول** فرّغها لعبادته وأغناها عن الكسب، **والثاني** أن جعلها أمّاً لعيسى وآية له[3]، وقيل **الأول** الاصطفاء الذي هو [٢١١/ب]

= خبراً لقوله: ﴿ءَايَتُكَ﴾ أي آيتك عدم كلامك للناس. والجمهور على نصب «تُكلّم» بأن المصدرية، وقرأ ابن أبي عبلة (ت ١٥٢هـ) برفعه، وفيه وجهان، أحدهما: أن تكون أن مخففةً من الثقيلة، واسمها حينئذٍ ضمير شأنٍ محذوف، والجملة المنفية بعدها في محل رفع خبراً لـ«أنْ» ومثله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: ٨٩] ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١]، ووقع الفاصل بين أنْ والفعل الواقع خبرها بحرف نفي، ولكن يُضْعِفُ كونها مخففة عدم وقوعها بعد فعل يقين. والثاني: أن تكون الناصبة حُملت على «ما» أختِها. ومثله ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وأنْ وما في حَيِّزِها أيضاً في محل رفع خبراً لـ«آيتك». الدر المصون (٣/ ١٦٤)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٧١).

(١) قرأها بالرفع: أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأها الباقون بالنصب. انظر: حجة القراءات ص (٢٣٣)، والمبسوط ص (١٦٣)، والتلخيص ص (٢٥٠)، والنشر (٢/ ٢٥٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٢)، واختاره الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٦٢)، واستحسنه أبو حيان في البحر=

الاجتباء. والثاني الاصطفاء الذي هو على سبيل الهداية[1]، وقد تقدَّم ذكرهما آنفاً. وتطهيرها قيل: من الحيض[2]، وقيل: من نجاسة الكفر[3]، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾[4].

وقول الملائكة لها قيل: كان بالإلهام[5]، فإنه ما أوحى الله إلى

= المحيط (٢/ ٣٧٦).

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري والزجاج وابن كثير والبيضاوي. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٩٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٣) وأنوار التنزيل (١/ ١٥٩).

(٢) وهو قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٢)، ونسبه للزجاج. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٧) عن ابن عباس أن التطهير من الحيض فقط.

(٣) وهو قول مجاهد والحسن وابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٩٣، ٤٠٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٢)، وزاد المسير (١/ ٣٨٧)، وفتح القدير (١/ ٣٧٦).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) قال الألوسي في روح المعاني (٣/ ١٥٤): «وقيل: إن الملائكة عليهم السلام ألهموها ذلك، ولا يخفىٰ أن تفسير القول بالإلهام وإسناده إلى الملائكة خلاف الظاهر، وإن كان لا يمنع من أن يكون بواسطتهم أيضاً، على أنه قول لا يعضده خبر أصلًا».

امرأة وحي النبوة(١)، فلذلك قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا

(١) ولذلك قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] قال: وحياً جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوّة أن أرضعي موسى. جامع البيان (٦/ ٥١٩). وقد بيّن العلماء أن النبوة والرسالة خاصة بمن يصطفيهم الله تعالى من الرجال فقط دون النساء والملائكة، وفي ذلك يقول ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾: «يقول تعالى ذكره وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، لا نساء ولا ملائكة»، ونقل البغوي في تفسير معالم التنزيل عن الحسن أنه قال: لم يبعث الله نبياً من بدو، ولا من الجن ولا من النساء. وقال الحافظ ابن كثير: يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، كما دلَّ عليه سياق هذه الآية الكريمة، وأن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع، وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل، وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيّات، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية. وبأن الملك جاء إلى مريم وبشرها بعيسى عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ * يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وهذا القدر حاصل لهن، ولكن لا يلزم من هذا أن يكنَّ نبيات بذلك. فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لا شك فيه، ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرده أم لا؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري=

﴿رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم﴾[1] وقيل: بل قد أوحي إليهن ولكن لم يبعثن رسلًا[2]، وقال الجبّائي: إنما يجوز أن يكون أوحي إليها معجزة لزكريا أو توطئة لنبوة المسيح[3]، وقوله هذا إيماءً لمذهبهم[4] أن

= عنهم أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صِدِّيقات، كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران، حيث قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدّيقية، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صِدّيقة بنص القرآن» اهـ. وقال أبو حيان في البحر المحيط: «والجمهور على أنه لم ينبأ امرأة» انظر: جامع البيان (١٦/ ٢٩٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٨٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧، ٤٧٨).

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٩، والأنبياء، الآية: ٧.

(٢) على قول من ذهب إلى نبوة مريم، وهو قول ضعيف كما سبق، ولأن تكليم الملائكة لها لا يستلزم نبوتها، فقد ثبت أن الملائكة كلموا من ليس بنبي إجماعاً، فقد روى مسلم في صحيحه رقم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنهم كلموا رجلًا خرج لزيارة أخ له في الله تعالى، وأخبروه أن الله سبحانه يحبه كحبه لأخيه فيه، ولم يقل أحد بنبوته. انظر: روح المعاني (٣/ ١٥٤)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٨٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٩).

(٣) قال الزمخشري: «روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا، أو إرهاصاً لنبوة عيسى». الكشاف (١/ ٣٦١) وانظر: تنزيه القرآن عن المطاعن ص (٦٥).

(٤) في الأصل: إنما لنا مذهبهم، ولا يستقيم به المعنى.

المعجزات والوحي لا تصح إلا في أزمنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك دفع منه لكرامة الأولياء[1]، وقوله: ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، قيل: هو على العموم[3]، وقيل: عنى اللاتي في زمانها[4].

---

(١) قال أبو حيان بعد أن ذكر هذا القول: «وهذا مذهب المعتزلة، لأن الخارق للعادة عندهم، لا يكون على يد غير نبي، إلا إن كان في وقته نبي، أو انتظر بعث نبي، فيكون ذلك الخارق مقدمة بين يدي بعثه ذلك النبي» اهـ. وأورد على هذا القول أنه «بعيد جدًّا، إذ لم يقع الكلام مع زكريا عليه السلام، ولم يقترن ذلك بالتحدي أيضاً، فكيف يكون معجزة له؟» انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٧٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٩)، وروح المعاني (٣/ ١٥٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣) قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي على نساء أهل دهرها، وجائز أن يكون على نساء العالمين كلهم، أي اختارك لعيسى على نساء العالمين كلهم، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساء العالمين» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠).

(٤) وهذا قول ابن جريج والطبري والزمخشري انظر: جامع البيان (٦/ ٣٩٣، ٤٠٠)، والكشاف (١/ ٣٦٢). وانظر القولين في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٧، ٣١٨)، وزاد المسير (١/ ٣٨٧) والمحرر الوجيز (٣/ ٨٢، ٨٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٧)، وفتح القدير (١/ ٣٧٦)، وروح المعاني (٣/ ١٥٥).

قوله عز وجل: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[(١)] القنوت: إدامة الطاعة صلاة كانت أو غيرها من العبادات، ولهذا قال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾[(٢)]، فجعل من جملة القنوت[(٣)]، وتقديم السجود على الركوع، قيل: لكونه كذلك في شريعتهم[(٤)]، وقيل: تنبيهًا أن الواو لا تقتضي الترتيب[(٥)]، وقيل: عنى بالسجود الصلاة، لقوله: ﴿ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾[(٦)] وعنى بالركوع الشكر، لقوله تعالى في قصة داود: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[(٧)] أي شاكراً، وهذا تخصيص للركوع بحال مقترنة به[(٨)]، وقيل: نبّه بقوله: ﴿ وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي كوني

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) انظر: العين (٥/ ١٢٩)، والجمهرة (٢/ ٢٦)، والصحاح (١/ ٢٦١)، والمفردات ص (٦٨٤، ٦٨٥)، والنهاية (٤/ ١١١)، واللسان (٢/ ٧٣).

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٧٨) ونسبه إلى أبي موسى الدمشقي.

(٥) اختلف في الواو هل تفيد الترتيب، والمشهور أنها لا تفيده. انظر: كتاب سيبويه (٤/ ٢١٦)، والمقتضب (١/ ١٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٩٠-٩٣)، ومغني اللبيب ص (٤٦٣، ٤٦٤).

(٦) سورة ق، الآية: ٤٠.

(٧) سورة صٓ، الآية: ٢٤.

(٨) انظر فيما سلف: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠)، ورجح الزجاج =

مع العابدين والمصلين[1]، وخصّها بفضل إيجابٍ اقتضاه قوله: ﴿ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى﴾ إن[2] قيل: كيف أخّر هذا الذكر لمريم عن ذكر قصتها؟ قيل: لما ذكر آيتها قرن بها آية زكريا وعبادته، ثم أتبعها بعبادة مريم متمماً لقصتها؛ لئلا يحتاج إلى قطع قصة زكريا، فيكون قد قرن ذكر الآية بالآية والعبادة بالعبادة[3].

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

= الثاني من تلك الأقوال. والنكت والعيون (١/ ٣٩٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٤) وزاد المسير (١/ ٣٨٨)، وقال أبو حيان في البحر المحيط: «والجواب أن السجود لما كانت الهيئة التي هي أقرب ما يكون العبد فيها إلى الله قدِّم وإن كان متأخراً في الفعل على الركوع، فيكون إذ ذاك التقديم بالشرف» وانظر: أنوار التنزيل (١/ ١٥٩٠)، وفتح القدير (١/ ٣٧٦)، وروح المعاني (٣/ ١٥٧).

(١) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٧)، والكشاف (١/ ٣٦٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٨)، وروح المعاني (٣/ ١٥٧).

(٢) في الأصل: إني. والصواب ما أثبته.

(٣) قال أبو حيان: «والمعلَّم به قصتان، قصة مريم، وقصة زكريا، فنبه على قصة مريم إذ هي المقصودة بالإخبار أولاً، وإنما جاءت قصة زكريا على سبيل الاستطراد، ولاندراج بعض قصة زكريا في ذكر من يكفل، فما خلت من تنبيه على قصة ومعنى» البحر المحيط (٢/ ٤٧٩).

[٢١٢/أ] ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾[١] قد تقدَّم أنواع الوحي، وأن أصله/ الإشارة، ويقال للكتابة: وحي، إذ هي إشارة ما، وقد يكون الوحي بالإلهام[٢] كما يكون بضرب من الكلام، وعلى ذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾[٣] وقد يقال ذلك للوساوس نحو قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾[٤] وكثيراً ما يشبه الوساوس بالإلهام، فلا يُميز بينهما إلا أولو العقول الراجحة[٥]، والقلم: القص من الصلب كالظفر وكعب الرمح والقصب، ويقال للمقلوم: قِلْم، كقولهم للمنقوضِ: نِقْض،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٢) قال ابن الأثير: الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخصّ به من يشاء من عباده. النهاية (٤/ ٢٨٢).

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٥) انظر معاني الوحي في: العين (٣/ ٣٢٠)، والجمهرة (٣/ ٢٣٦)، والمفردات ص (٨٥٨، ٨٥٩)، وعمدة الحفاظ (٤/ ٢٩١-٢٩٢). وجمع ابن الأثير معاني الوحي فقال: «وقد تكرر ذكر الوحي في الحديث، ويقع: على الكتابة، والإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي» النهاية (٥/ ١٦٣). وانظر: الدر المصون (٣/ ١٧٢، ١٧٣)، وعمدة الحفاظ (٤/ ٣٣٥- ٣٣٦). وتشبيه الراغب للوسواس بالإلهام فيه نظر لاختلاف مصدر كلٍّ منهما عن الآخر.

وخُص ذلك بما يكتب به[1] وبالقَدَح[2]، وأكّد بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾[3] أن هذا مما أبلغت من الغيب، لقوله عز وجل في قصة موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[4] وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾[5] ومقارعتهم عليها: قال قتادة: كانوا من حرصهم على كفالتها يتقارعون عليها لفضلها[6]، وقيل: لتدافعهم إشفاقاً من أزمة كانوا فيها[7].

---

(١) ذكر الراغب هذا الكلام عن القلم في المفردات ص (٦٨٣)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠، ٤١١).

(٢) القِدْح: واحد قداح وهي التي يقترع بها. انظر: تفسير غريب القرآن (١/ ١٠٥)، والتهذيب (٩/ ١٨)، والمقاييس (٥/ ٦٧)، والمخصص (١٣/ ٢٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٤) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٥.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٠) بلفظ: كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم، فتشاحّ عليها بنو إسرائيل، فاقترعوا فيها أيهم يكفلها، فقرعهم زكريا. قال الماوردي: وهذا قول ابن عباس وعكرمة والحسن والربيع. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٣) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٣).

(٧) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٣) ونسبه لسعيد=

قوله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾(١) تسمية عيسى بالكلمة لقوله: ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢)(٣) ولفظة كن وإن كانت(٤) للأمر فموضوعة للإبداع(٥)، وذاك أن فعل الله ضربان: عادي وإبداعي فالعادي(٦) ويسميه قوم الطبعي: هو الذي أجرى الله تعالى به العادة أن يكون في زمان ومكان، ومن أصل، وعلى وجه مخصوص وشيئاً بعد شيء، كخلقة الولد من النطفة والزرع من البذر. والإبداعي: ما يوجده

= وذكره أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن فقال: «وقيل إنما اختصموا في كفالتها، لأنهم قد أصابهم قحط وأزمة، وكانت تضيق بهم النفقة، فاستهموا على كفالتها تدافعاً، حتى إن من خرج سهمه هو الذي يعولها وينفق عليها، والأول أصح وأشهر» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٩).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٣) وهذا قول ابن عباس وقتادة، كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩). وانظر: جامع البيان (٦/ ٤١١-٤١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٦، ٨٧). والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(٤) في الأصل: «كان»، والصواب ما أثبته.

(٥) أشار الراغب في المفردات إلى أن ذلك هو استعمال كثير من المتكلمين. المفردات ص (٧٣١).

(٦) في الأصل رسمت هكذا (عادتي وإبداعي فالعادتي) ولعل الصواب ما أثبته.

دفعة من غير حاجة إلى زمان ولا من أصل كخلق آدم بل كخلق العالم. وعبّر عن ذلك بكن إذ كان أسرع مفعول فيما بيننا ما كان قولاً وأعم الألفاظ معنى الكون مع وجازة لفظ، وعلى ذلك قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١] وقال الأصمّ: سُمّي عيسى كلمة، لأنه تعالى خلق كلمة، فجعل منها عيسى، كما خلق آدم من تراب، وسائر الناس من نطفة، وهذا كما ترى[٢]، وقال الجاحظ[٣]: وصفه بذلك من حيث إنه تقدم الإخبار به وبشارته في الكتب المتقدمة[٤]، وهذا كما سَمَّى وعده

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٢) أي باطل وهو يتماشى مع مذهب المعتزلة في إنكار صفات الله تعالى ومنها صفة الكلام.

(٣) هو عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ العلامة المتبحر في اللغة والأدب، له تصانيف كثيرة عدها ابن النديم في مائة وسبعين ونيف، منها: نظم القرآن، والمسائل في القرآن، والبيان والتبيين، والبخلاء، وهو معتزلي المذهب، أخذ عن النظّام. قال الذهبي: كان من أئمة البدع، توفي بالبصرة سنة ٢٥٥هـ، وقد جاوز التسعين من العمر. انظر: الفهرست لابن النديم ص (٢٩١)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦)، وطبقات المفسرين (٢/ ١٦).

(٤) ذكر هذا القول: ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٨٧)، والرازي في التفسير الكبير (٨/ ٣٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٨٠)، واستدل على ذلك بما في التوراة: أتانا الله من سيناء، وأشرق من ساعر، واستعلن=

كلمة بقوله: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[1] وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[2] وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾[3] وقيل سُمّي كلمة لكونه متكلماً في المهد[4]، وخُصّ بذلك لفظ الكلمة للمبالغة: كوصف الفاعل بالمصدر، وقال/ النظّام[5]: جعل ذلك لقباً له [٢١٢/ب]
لا لمعنى أشار إليه[6]، وسُمّي مسيحاً، لأنه مُسِحَ بالبركة[7].

= من جبال فاران. قال.. وساعر: «هو الموضع الذي بعث منه المسيح».

(١) سورة غافر، الآية: ٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

(٤) ذكره الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٣٢) ولم ينسبه لأحد.

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار مولى آل الحارث بن عباد الضّبْعي البصري المتكلم، شيخ المعتزلة، له كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة، ذكرها ابن النديم، تكلم في القدر، وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحدٍ من جهنم، قال الذهبي: ولم يكن النظّام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفّره جماعة، وهو شيخ الجاحظ، مات في خلافة المعتصم سنة ٢٣١هـ. انظر: الفهرست ص (٢٨٧، ٢٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١)، ولسان الميزان (١/ ١٦٤).

(٦) ذكر هذا المعنى أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٨٠)، ولم ينسبه إلى أحد. قال: «وقيل سمّاه الله بذلك كما سمّى من شاء من سائر خلقه بما شاء من الأسماء، فيكون على هذا علماً موضوعاً له، لم تلحظ فيه جهة مناسبة».

(٧) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤١٤) بسنده عن سعيد، وذكره=

وقيل: لأنه ماسحاً للأرض لسياحته(١) فيها، وقيل: لأنه مُسِحَ بالجمال(٢)، وعنى بذلك الجمال النفسي والبدني جميعاً، من الأخلاق الجميلة والفضائل الكثيرة، نحو قول النبي ﷺ في جرير(٣) «عليه مِسحة مَلَك»(٤)، وقيل: لأنه كان ممسوحاً بالدّهن

= الماوردي وابن الجوزي وعزواه إلى الحسن وسعيد، وذكره السمعاني وعزاه للحسن وقتادة. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٩)، وزاد المسير (١/ ٣٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥١) بسنده إلى يحيى بن عبدالرحمن الثقفي أن عيسى ابن مريم كان سائحاً، ولذلك سمّي المسيح. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩)، وعزاه لثعلب، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٤). وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٨١).

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٩) ولم ينسبه لأحد. ونقل عن أبي الهيثم، قال: المسيح ضد المسيخ. يقال: مسحه الله أي خلقه خلقاً حسناً مباركاً، وانظر عمدة الحفاظ (٤/ ١٠١).

(٣) هو أبو عمرو جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة البجلي صحابي مشهور، بعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخَلَصَةِ فهدمها، قال رضي الله عنه: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسّم» وكان جرير جميلًا، قال عنه عمر بن الخطاب: هو يوسف هذه الأمة توفي سنة ٥١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٠)، الإصابة (١/ ٢٣٢)، والتهذيب (٢/ ٧٣)، والتقريب ص (١٣٩).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٠) والطبراني في الكبير (٢/ ٢٩١)، والحميدي=

لمّا وُلِد[1] وقيل: سُمّي به لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص[2] لهما[3]، وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل، كأنه سُمّي به لأنه كان يمسح الأكمه والأبرص فيبرأ[4]. والجاه مقلوب عن الوجه[5]،

= في مسنده (٢/ ٣٥٠)، رقم (٨٠٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٢): وفيه محمد بن السائب الكلبي، وهو كذّاب. قلت: عنى بذلك رواية الطبراني فإنها من هذا الطريق. أما رواية أحمد والحميدي فمن طرق أخرى، ورجالهما ثقات.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩)، ونسبه إلى أبي سليمان الدمشقي، وذكره الألوسي في روح المعاني (٣/ ١٦١)، ونسبه إلى الجبائي. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٣٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(٢) أخمص القدم: هو تجويف في باطن القدم لا يمس الأرض. انظر: القاموس المحيط ص (٧٩٧)، والمصباح المنير ص (٧٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩) وقال: رواه عطاء عن ابن عباس. وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(٤) هو قول ابن عباس رضي الله عنه ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩) وقال: رواه الضحاك عن ابن عباس. وعزاه السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣١٩) إلى ابن عباس أيضاً. وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٨٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨١)، والمقاييس (٥/ ٣٢٢)، والمفردات ص (٧٦٧)، والنهاية (٤/ ٣٢٦).

(٥) وهذا من تقديم العين على الفاء نحو: (أيس) في (يئس)، و(أينق) في (أنوق)، انظر: المساعد (٤/ ٢١١).

لكن الوجه يقال في الحظوة وفي العضو، والجاه لا يقال إلا في الحظوة[١]، ووجاهته: ما خُصّ به من أوصافه المعلومة، والقرب من الله تعالى في الدنيا: التخصيص بالصفات التي هي من صفاته تعالى كالكرم والعفو والمغفرة[٢]، وفي الآخرة أن يصير في جواره[٣]، وقد تقدم ذلك[٤].

قوله عز وجل: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[٥] تكليمه النّاس في المهد: ما أنبأ عنه تعالى بقوله:

---

(١) انظر: العين (٤/ ٦٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٥١-٣٥٣)، والصحاح (٦/ ٢٢٥٤، ٢٢٥٥). والحظوة: بالضم والكسر: المكانة والحظُّ من الرزق. انظر القاموس المحيط ص (١٦٤٥).

(٢) كان الأولى للراغب رحمه الله أن يقيد ذلك بأنه على نحوٍ يليق بعيسى عليه السلام كبشر، فصفات الله تعالى أجلّ وأكمل من صفات المخلوق، فصفات المخلوق على نحو يليق به، وصفات الخالق تعالى على نحو يليق به سبحانه، وقد سبق الكلام على ذلك. انظر: هذه الرسالة ص (٤٦٦) هامش (٢).

(٣) انظر أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ في: جامع البيان (٦/ ٤١٥، ٤١٦)، وبحر العلوم (١/ ٢٦٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٨) وزاد المسير (١/ ٣٩٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٠).

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ٧٤، ق ١٦٩ مخطوط).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٦.

﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[1] الآية، وذلك من الأفعال الإلٰهية، حيث جعل لطفلٍ عقلًا وعلماً وكلاماً، وقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ قيل: معناه كلامه في حال طفولته وكهولته سواء[2]. وقيل؛ يكلمهم طفلًا، وبعد نزوله من السماء كهلًا، لأنه رفع قبل أن اكتهل[3]، وقيل: يُكلم الناس في المهد بكلام الكهول عقلًا[4]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي هومن جملة المذكورين في قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5] وموضع: ويكلّم، نصب[6]، كقول الشاعر:

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) اختار هذا القول الزمخشري، فقال: «ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء، من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء» الكشاف (١/ ٣٦٤)، وقال قتادة والربيع: يكلمهم صغيراً وكبيراً. انظر: جامع البيان (٦/ ٤١٩) والمحرر الوجيز (٣/ ٨٩).

(٣) وهذا قول ابن زيد. انظر: جامع البيان (٦/ ٤٢٠)، ومعاني القرآن وإعرابه، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٩)، وزاد المسير (١/ ٣٩١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٣).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٤) ولم ينسبه إلى أحد.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٧)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٠).

.... يقصر يمشي ويطول باركا[1]

أي ماشياً.

قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] القضاء: الفصل، وذلك إما بالتدبير، وإما بالقول، وإما بالفعل، فالأول لا يصح على الله عز وجل إلا بمعنى الحكم[3] إذ كان التدبير: التفكُّر في الشيء وارتياد الصلاح فيه، وذلك لمن كان ناقص العلم، فقوله: قضى، ها هنا إما للقول، وإما للفعل، أولهما جميعاً[4]، ومعنى قوله: كن أي يبدعه. على ما تقدم[5]،

---

(١) لم أهتد إلى قائله.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٣) ولذلك فسّر الإمام مجاهد وتابعه الطبري قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣] قال: يقضيه وحده. انظر: جامع البيان (١٥/ ١٨، ١٩).

(٤) انظر: المفردات ص (٦٧٤-٦٧٦) وتفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٩٣ ـ مخطوط) والنهاية (٤/ ٧٨).

(٥) وذهب الراغب إلى أن استخدام لفظ (كن) لعموم معناه واختصار لفظه. انظر: تفسير سورة البقرة، الآية: ١١٧ (ق ٩٣ ـ مخطوط) وانظر: تفسير أبي السعود: (إرشاد العقل السليم) (١/ ١٥١).

وقال الأصم: عادة الله جارية فيما أخبر عن كونه؛ أن يقول في [٢١٣/أ] وقت ما يحدثه كن كخلقه لآدم/ كما قال للملائكة ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾[١] قال له: كن. لما أراد إحداثه تنبيهاً لهم، وكذلك لمّا أخبر أنه سيبعث نبياً خلقه من غير ذكر، قال له: كن لما أراد إحداثه، وذلك ليعرف الملائكة انتهاء الأجل ونزوله[٢] وقال أبو الهذيل[٣] إن ذلك قوله يقوله عند كل مكوّن، وحكي عنه أنه يجري مجرى الإرادة[٤]، ....

---

(١) سورة صٓ، الآية: ٧١.

(٢) في الأصل: (ونزول)، بدون هاء.

(٣) هو محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف، مولى عبدالقيس، رأس المعتزلة، ومصنف الكتب الكثيرة في مذاهبهم، زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة، وقال: هما الله. وُلد سنة إحدى وثلاثين ومائة، ويقال: سنة أربع وثلاثين. قال الذهبي: ولم يكن أبو الهذيل بالتقي، وقال ابن قتيبة: كان كذّاباً أفاكاً، وطال عمره وجاوز التسعين، ومات في سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر: الفهرست لابن النديم ص (٢٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢)، ولسان الميزان (٥/ ٤٠٧، ٤٠٨).

(٤) وهذا على مذهبهم في إنكار صفات الله تعالى ومنها صفة الكلام، ويُلاحظ أن الراغب ينقل عن المعتزلة أقوالهم، ولا يقوم بتمحيصها وتمييز ما يقبل منها وما يرد. وأهل السنة يُجرون هذه الآية على ظاهرها ويثبتون أن الله تعالى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون حقيقة. قال شيخ الإسلام=

فقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾[(١)] تعجبٌ منها لما ذكره لها من أمره بها، وكيف لا تتعجب وأمرها أبدع من أمر زكريا، فأجابها بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، فمن وقف عليه جعل ما بعده كالتفسير له، [ومن][(٢)] وصل: فمعناه أن الله كذا قضى أو كذا يفعل. إن قيل: لم قال ها هنا: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وفي قصة زكريا: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[(٣)]؟ قيل: لما كان الخلق أخص من الفعل خصه، بما هو إبداع، وذكر الفعل فيما هو أقرب إلى المعتاد في إيجاده[(٤)].

= ابن تيمية: وكذلك تنازعوا في الأول ـ وهو خطاب التكوين ـ هل هو خطاب حقيقي أم هو عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة؟ والأول هو المشهور عند المنتسبين إلى السنة. ثم قال رحمه الله: «فالذي يقال له: كن هو الذي يراد، وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت وتميز في العلم والتقدير، ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره» وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه إذا قدَّر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: كن. أي مرة واحدة فيكون أي فيوجد على وفق ما أراد».
انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ١٨٢، ١٨٥) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٥٣)، وانظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/ ٥١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٤) انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٨٤)، وتفسير إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٧).

قوله عز وجل: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] الهيئة: الحالة المحسوسة التي تحدث للشيء، والهيء: الحسن الهيئة، ومنها أخذ المهايأة فيما يتراضى به على وجه التخمين[2]، والنفخ: جعل الريح في الشيء ومنه النفخة، وعنه استعير نفخة الصور، والنفخة للورم تشبيهاً بما ينفخ فيه، والنُّفَّاخة للحجاة[3]، والادخار: افتعال من الذَّخر وهو إعداد الشيء لنائبةٍ[4] قال

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) انظر؛ العين (٤/ ١٠٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٨٥)، والمفردات ص (٨٥٠)، والكليات ص (٩٦٢).

(٣) قال ابن منظور: والنّفاخة: الحجاة التي ترتفع فوق الماء. لسان العرب (٣/ ٦٤). وانظر معاني النفخ في: الصحاح (١/ ٤٣٤)، والمفردات ص (٨١٦)، والتاج (٧/ ٣٥٨-٣٦١).

(٤) في الأصل: كنايته والصواب ما أثبته. قال في المفردات: وادخرته: إذا أعددته للعقبى. انظر في معنى الادخار: تهذيب اللغة (٧/ ٣٢١)، والمفردات ص (٣٢٦)، ولسان العرب (٤/ ٣٠٢)، وتاج العروس (١١/ ٣٦٢- ٣٦٥).

الفرّاء: قُرئ (تَذْخرون) خفيفة[1]، وقال بعض العرب: (تذخرون) فعوقب بين الذال والدال نحو تدَّكر وتذَّكر[2]. والأكمه: الذي وُلِد أعمى[3]، وقول الحسن: الأكمه الأعمى[4] صحيح، وكل كَمَه عمى، وإن لم يكن كل عمى كمهاً، وقول مجاهد: الأكمه الذي لا يبصر بالليل دون النهار[5]، فليس بشيء[6]،

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٥، ٢١٦)، وشرح الشافية للرضي (٣/ ٢٢٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٠)، ولسان العرب (٤/ ٣٠٢)، وشرح الملوكي ص (٣٢٢-٣٢٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٣)، وتفسير غريب القرآن (١/ ١٠٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٢)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٩). والمفردات ص (٧٢٦).

(٤) في الأصل: (العمى) والصواب ما أثبته. وهذا القول أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٢٩) وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٥) عن الحسن دون إسناد، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢) وقال: ذكره ابن جريج عن ابن عباس ومعمر عن قتادة، وبه قال الحسن والسدي.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢)، وعزاه لمجاهد والضحاك، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٤، ٣٤٥).

(٦) قال الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٠، ٤٣١): فأما ما قال عكرمة من أن «الكمه» العمش، وما قاله مجاهد من أنه سوء البصر بالليل، فلا معنى=

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يجوز أن يعني بحال طفوليته[١] إن قيل: كيف ذكر الكتاب، ثم عطف عليه التوراة والإنجيل، وهما من جملة الكتاب؟ قيل: قالوا: عنى بالكتاب القراءة والكتابة[٢]، وعُلِّم تعليماً إلاهياً في حال الطفولية[٣]، وقيل: عنى بالكتاب
[٢١٢/ب] كتب الله المنزلة وخصص التوراة و/ الإنجيل كتخصيص ذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تفضيلًا لهم[٤]، وقد تقدّم الفرق

= لهما، لأن الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل إلى معارضته فيها، ولو كان مما احتج به عيسى على بني إسرائيل في نبوته أنه يبرئ الأعمش أو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بأن يقولوا: وما في هذا لك من الحجة، وفينا خلق ممن يعالج ذلك، وليسوا لله أنبياء ولا رسلًا، ففي ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من أن الأكمه هو الأعمى، الذي لا يبصر شيئاً لا ليلًا ولا نهاراً»اهـ.

(١) الطفولية والطفولة: صغر السن. انظر: القاموس ص (١٣٢٦).

(٢) قال ابن جرير الطبري: وهو الخط الذي يخطه بيده. جامع البيان (٦/ ٤٢٢) وهو قول ابن جريج. انظر: معالم التنزيل (٢/ ٣٩) وزاد المسير (١/ ٣٩١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٤). ونسبه لابن عباس أيضاً.

(٣) البحر المحيط (٢/ ٤٨٤) قال: «وتعليمه إياها قيل بالإلهام، وقيل بالوحي، وقيل بالتوفيق والهداية للتعلم».

(٤) وهذا من ذكر الخاص بعد العام «للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات...» التلخيص ص (١١٩).

بين الكتاب والحكمة[1]، وقرئ و(يُعلّمه)[2] عطفاً على قوله: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ﴾[3]، وبالنون عطفاً على قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ﴾[4]، وقوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ عطف على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾ وقيل تقديره: ويجعله رسولاً[5].

---

(١) قال الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]: «تعليمهم الكتاب: أي تعريفهم حقائقه لا ألفاظه فقط، ثم بتعليمهم الكتاب يوصلهم إلى إفادة الحكمة، وهي أشرف منزلة العلم» انظر: تفسير الراغب (ق ٩٨ ـ مخطوط).

(٢) قال ابن زنجلة: قرأ عاصم ونافع: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بالياء إخبار عن الله أنه يعلمه الكتاب وحجتهما قوله قبلها: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ...﴾ وقرأ الباقون (ونعلمه) بالنون أي نحن نعلمه. وحجتهم قوله قبلها: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾. حجة القراءات ص (١٦٣). وانظر: المبسوط ص (٤٣) وزاد على عاصم ونافعٍ أبا جعفر ويعقوب. والتلخيص ص (٢٣٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٥) وهذا هو اختيار الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣). وقيل: حال. والتقدير: ويكلمهم رسولاً. وجوّز العكبري أن يكون مصدراً بمعنى الرسالة، وعلى ذلك فهو إما مصدر في موضع الحال، أو مفعول معطوف على الكتاب. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٩)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٠) وإملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٣٥).

إن قيل: كيف تعلق هذه الآية بما قبلها، وما قبلها حكاية حكى الله عن نفسه، وهو: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وهذه حكاية حكاها عن عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾ قيل: تقديره: وبعث رسولاً يقول: إني قد جئتكم، ودل على إضمار القول ذكر الرسول وترك ذكر مريم، وابتدأ بإرسال عيسى، وما قال له، وذكر معجزاته[1]. إن قيل: لِمَ ذكر في الخلق وفي إحياء الموتى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ولم يذكر في غيرهما؟ قيل: لكون هذين الفعلين إلاهيين، لم يجعل للمخلوقين إليهما سبيلًا، بخلاف النفخ والمداواة والإخبار ببعض الغيب، فقد جعل للإنسان كثيراً من المداواة، وجعل لهم شيئاً من الإخبار بالغيب كالفِراسة[2]

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٢٣)، وقال الزجاج: «ونصب ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على وجهين أحدهما: ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل. والاختيار عندي والله أعلم: ويكلم الناس رسولاً إلى بني إسرائيل، والدليل على ذلك أنه قال: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فالمعنى - والله أعلم - ويكلمهم رسولاً بأني قد جئتكم بآية من ربكم» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣). وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٩) والمحرر الوجيز (٣/ ٦٢).

(٢) الفِراسة: بكسر الفاء التفرّس في الشيء وإصابة النظر فيه، يقال: إن فلاناً لفارس بذلك الأمر إذا كان عالماً به، ويقال: هو يتفرّس. إذا كان يتثبت وينظر. انظر: مجمل اللغة ص (٥٦٢)، والتعريفات ص (١٦٦)، =

والإلهام[1] ولم يجعل لهم الخلق ولا إحياء الموتى، فنبَّه بقوله: ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أن ذلك فعل في الحقيقة صادر منه تعالى[2]، وإن كان يظهر من غيره كالفِراسة والمداواة، وإن كانا قد يحصلان من سائر البشر، فذلك قد يكون باعتماد على تجربة واعتبار أمر، ولا يكون في كل وقت وعلى كل حال، ولا في دفعة واحدة، وما كان يفعله عيسى كان بخلاف فعل البشر، فلهذا كان معجزة[3]،

= ولسان العرب (٦/ ١٥٩). وقال ابن القيم: «وسببها ـ أي الفراسة ـ: نور يقذفه الله في قلب عبده، يُفرّق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب. وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة.. وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً، فهو أحدُّ فراسة» مدارج السالكين (٢/ ٥٠٤).

(١) الإلهام: إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يبعث صاحبه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ٢٨٢)، والمعجم الوسيط ص (٨٤٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٨٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٩).

(٣) قال الحافظ ابن كثير: بعث الله كلّ نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار، وحيرّت كل سحّار، =

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أنّ المؤمن هو الذي يتفكر في ذلك، فتحصل له الآية، وقُرىء إنيّ على الاستئناف[1]، ويكون تفسيراً للآية، كما أن قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾[2] تفسير للوعد، وإذا قرىء أنّي بالفتح، فعلى تقدير الجرّ بدلاً من آية[3] أو على قَدرِ الرفع خبر ابتداء مضمر، كأنه [قال][4]: الآية

= فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار، انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار، وأما عيسى عليه السلام، فبُعث في زمان الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحدٍ إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد. . . » تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٥).

(١) قرأها بكسر الهمزة نافع وحده، وقرأها الباقون بالفتح. انظر: المبسوط ص (١٤٣)، والغاية ص (٢١٢)، والتلخيص ص (٢٣٩).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

(٣) قال ابن زنجلة: «قرأ نافع: «إني أخلق لكم» بكسر الألف على الاستئناف. وقرأ الباقون «أني» بالفتح، وحجتهم أنها بدل من قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال الزجاج: «أني» في موضع جر على البدل من «آية». المعنى: جئتكم بأني أخلق لكم من الطين». حجة القراءات ص (١٦٤). وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣).

(٤) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

أني قد جئتكم[1].

قوله عز وجل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2] فقوله: ومصدقاً معطوف على ما دلّ عليه قوله: بآية من ربكم أني قد جئتكم مستصحباً آية، ومصدقاً، كقولك: جئتك بما تُحب ومكرماً لك، وليس بمعطوف على وجيهاً ولا رسولاً، لقوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أني أحقق/ ما أتيت [٢١٤/أ] به من التوراة، فيكون ذلك معدوداً من جملة معجزاته[3].

وقال[4] قتادة والربيع[5] ....

(١) أشار إلى هذا الوجه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

(٣) قال الفراء: نصبت (مصدقاً) على فعل جئت، كأنه قال: وجئتكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة، وليس نصبه بتابع لقوله (وجيهاً)، لأنه لو كان كذلك لكان (ومصدقاً لما بين يديه). معاني القرآن (١/ ٢١٦) وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥)، وإعراب القرآن (١/ ٣٨٠)، والدر المصون (٣/ ٢٠١).

(٤) بدأ الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

(٥) هو الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني، صدوق له أوهام، ورُمِي بالتشيّع، مفسّر البصرة ومحدّثها، روى التفسير عن شيخه أبي العالية، =

وابن جريج[1]: كان المحرَّم عليهم في شريعة موسى لحوم الإبل والأشياء من الطير والحيتان، فأحلَّها عيسى لهم[2]، وقال أبو عبيدة[3]: عنى ببعض الذي حُرِّم الكل، واحتج بقوله:

= لقي عبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله، وروى عن أنس بن مالك، توفي سنة ١٤٠هـ وقيل سنة ١٣٩هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨)، وتقريب التهذيب ص (٢٠٥)، وطبقات المفسرين (١/ ١٧٢).

(١) هو أبو الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلِّس ويرسل، فقيه الحرم المكي وأول من صنف التصانيف في العلم، مولى أمية بن خالد ولد سنة ثمانين، حدّث عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة ونافع بن عمر وغيرهم. قال الذهبي: الرجل في نفسه ثقة حافظ، لكنه يدلس بلفظ «عن» و«قال»، وقد كان صاحب تعبد وتهجد، وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ. مات سنة خمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٢)، والتهذيب (٦/ ٤٠٣)، والتقريب ص (٣٦٣).

(٢) أما رواية قتادة فأخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٩)، وانظر: زاد المسير (١/ ٣٩٣). وأما رواية الربيع فأخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٧). وأما رواية ابن جريج فأخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٩٤). ونقل قول أبي عبيدة هذا: أبو المظفر السمعاني في=

.... أو يرتبط بعض النفوس حمامها[1]

وقال الزجّاج[2]: هذا فاسد، لأن البعض [لا يكون][3] بمعنى الكل، وعنى لبيد ببعض النفوس نفسه خاصة فعرّض، ولأن عيسى حلّل بعض المحرمات، وهو الذي كانوا حرّموا على أنفسهم[4]،

= تفسير القرآن (١/ ٣٢٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٤١) وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٩٠).

(١) هذا عجز بيت للبيد وتمامه:

تَـرَّاكُ أمكنـةٍ إذا لم أرضهـا ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها

انظر: ديوان لبيد ص (١٧٥)، والمعلقات السبع ص (١٥٩)، والمعلقات العشر ص (١٠٢)، ومجاز القرآن (١/ ٩٤)، (٢/ ٢٠٥)، ومجالس ثعلب (١/ ٥٠)، (٢/ ٣٦٨، ٣٦٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥) ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٣)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٩٠).

(٢) هو إبراهيم بن السّريّ بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، كان يخرط الزُّجاج، ثم مال إلى النحو فلزم (المبّرد) وأخذ عنه وعن (ثعلب)، من كتبه: (معاني القرآن) (الاشتقاق) ولد سنة ٢٤١هـ ببغداد، وتوفي بها سنة ٣١١هـ. انظر: الفهرست ص (٩٥)، وتاريخ بغداد (٦/ ٨٩)، وطبقات المفسرين (١/ ٩).

(٣) ليست في الأصل والصواب ما أثبته. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٥).

(٤) تصرف الراغب ـ رحمه الله ـ في نقل كلام الزجاج وعبارته: «. . . وهذا مستحيل في اللغة والتفسير وما عليه العمل، فأما استحالته في اللغة، =

وقوله: ولأحل معطوف على موضع ومصدقاً[١] لأن تقديره: لأُصدِّق ولأُحل، كقولك: جئتك متعذراً[٢] ولأطيِّب قلبك، وعلى ذلك تقدير قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[٣].

وقوله: ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ ﴾ في قراءة عبدالله (آيات) في الموضعين[٤]، وإنما لم يقل: من ربي أو ربنا. لأن ذلك أخص من المخاطبين، وقوله: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ قيل: وحِّدوا الله، وتقواه أخص من توحيده، إذ هي مبنيّة عليه، ودعاؤه إلى طاعته دعاء

= فإن البعض والجزء لا يكون الكلَّ. وأنشد في ذلك أبو عبيدة بيتاً غلط في معناه، . . . قال: المعنى: «أو يعتلق كل النفوس حمامها»، وهذا كلام تستعمله الناس. يقول القائل: بعضنا يعرفك، يريد: أنا أعرفك، فهذا إنما هو تبعيض صحيح، وإنما جاءهم عيسى بتحليل ما كان حراماً عليهم، قال الله عز وجل: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء، الآية: ١٦٠]، وهي نحو الشحوم وما يتبعها في التحريم، فأما أن يكون أحلَّ لهم القتل والسرقة والزنا فمحال». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥).

(١) انظر أوجه إعراب «ولأُحل» في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٦) والبحر المحيط (٢/ ٤٩١)، والدر المصون (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: معتذراً.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٩٣، ٩٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٨، ٤٠).

فيما دعاهم إليه من تقوى الله .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[(١)] لما وصف عيسى نفسه بأفعال إلهية ، وأتى على ما ذكر ، وكان قد قال : ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ خطر له ما فعلته جماعة من النصارى ، وهو اتخاذهم إياه معبودهم ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ ولم يقل : ربنا ، ليكون أبعد من التأويل فيما ادعوه ، وأمر بأن يُعبَد الله وحده ، وقال : ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ تنبيها أن العدول عن ذلك ليس بالمستقيم[(٢)] .

قوله عز وجل : ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[(٣)] الإحساس : الوجود بالحاسة ، وحسّه : قتله ، كأنه أصاب حسه نحو قلبه وبطنه ، وقال الفرّاء : يقال حَسَسْت ، وحسِسْت ، وحسِيت وأحسْتُ[(٤)] ، فأما حَسَسْته

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥١ .

(٢) انظر : جامع البيان (٦/ ٤٤١) ، والبحر المحيط (٣/ ٩٩ ، ١٠٠) ، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٢) ، وأنوار التنزيل (١/ ١٦١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٠) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٥٢ .

(٤) اختصر الراغب ما نقله عن الفراء ، فقد ذكر الفراء هذه الكلمات ، ولكنه لم يوردها لمعنى واحد ، وتفصيل ما ذكره كما يلي : حَسَسْتُ : في معنى =

فأصبتُه بحاستي[1] نحو: عِنته ويديتُه[2] أي أصبتُه بهما، فأما حسِسْت، فنحو علمت وفهمت، وأمّا[3] حسيت فبقلب إحدى السينين ياء، وأما أَحَسْتُ فبحذف إحداهما نحو: ظَلْتُ في ظَلِلْتُ[4]، وكلا اللغتين تحريا للتخفيف[5]، وإنما قال:
[٢١٤/ب] ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ ﴾ دون عَلِمَ تنبيهاً/ أنه ظهر منهم الكفر ظهوراً بادياً لذي الحاسة فضلًا لذي العقل[6]، وقوله: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي

= الإفناء والقتل. حَسِسْتُ وحَسَسْتُ: في معنى العطف والرقة. أحسستُ وأَحَسْتُ وأَحْسَيْتُ وحَسِيتُ: الخبر وبالخبر علمت. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٦، ٢١٧).

(١) يبدو أنه أخذ هذا من قول ابن السكّيت (الحسُّ...: مصدر حَسَسْت الدابّة، تهذيب اللغة (٣/ ٤٠٥)، والمشوف المعلم (١/ ١٩٠).

(٢) الغالب على (يديته) ضربت يده لا ضربته بيدي، ولعله أخذه من قولهم «إن فلاناً لذوحال يبدي به ويبوع أي يبسط به يده وباعه». انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٤٠)، وأساس البلاغة ص (٥١٢).

(٣) في الأصل «فأما» والمناسب للسياق ما أثبته.

(٤) انظر: المنصف (٣/ ٨٤)، وشرح التصريح على التوضيح (٢/ ٣٩٧).

(٥) انظر: معنى «حس» في: العين (٣/ ١٥)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٠٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢١٦، ٢١٧)، ومجاز القرآن (١/ ٩٤)، ومجالس ثعلب (٢/ ٤١٨)، وجامع البيان (٦/ ٤٤٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤١٦)، والمفردات ص (٢٣١، ٢٣٢).

(٦) انظر: الكشاف (١/ ٣٦٥).

متوجهاً إلى الله[1]، وقيل: مع الله[2] نحو الذود إلى الذود إبل[3]، وقيل: لله[4]، نحو ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾[5] والوجه هو الأول، والأنصار جمع نصير، نحو: أشهاد في جمع شهيد، والحواريون قيل: سُمُّوا لبياض ثيابهم[6]، عن ابن جبير[7]، وقال بعضهم:

---

(١) ذكر هذا الوجه الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٦٦) فقال: . . . أو يتعلق بمحذوف حالاً من الياء، أي من أنصاري ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه. وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٤).

(٢) وهذا قول السدي وابن جريج واستحسنه الفراء واختاره الطبري. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٨)، وجامع البيان (٦/ ٤٤٣، ٤٤٤)، واستبعد ذلك الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٦).

(٣) نسب هذا القول إلى العرب الفراء في معاني القرآن (١/ ٢١٨)، وابن جرير في جامع البيان (٦/ ٤٤٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٤٢).

(٤) وهو قول أبي علي الفارسي. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٤).

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٤٩) عن سعيد بن جبير، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٩) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٥)، وزاد المسير (١/ ٣٩٤).

(٧) هو أبو عبدالله سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه، من أكثر التابعين علماً ومنزلة، تتلمذ على عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، رضي الله عنهم، وهو من أوائل مفسّري القرآن، قتله الحجاج بن=

عنى ببياض ثيابهم نقاء نفوسهم[1]، نحو ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[2]، وقولهم: فلان طاهر الثوب، وفي ضده: دنس الثوب، وقيل: كانوا قصّارين[3] يبيعون الثياب[4]، وقال بعضهم: عنى أنهم كانوا يُطهِّرون نفوس الناس[5]، وقول النبي ﷺ: «**الزبير**[6] **ابن عمتي وحواريّ**»[7] تشبيهاً بهم، وقول أبي عبيدة: الحواريون صفوة

= يوسف ظلماً سنة ٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)، والتقريب ص (٢٣٤)، والتهذيب (٤/ ١١)، وطبقات المفسرين (١/ ١٨٨).

(١) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٥) ونسبه لقتادة.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٤.

(٣) القصَّار والمقصِّر: مُحَوِّر الثياب ومبيِّضها. انظر: تاج العروس (١٣/ ٤٣١).

(٤) وهو قول ابن أبي نجيح انظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٠) والنكت والعيون (١/ ٣٩٥)، وزاد المسير (١/ ٣٩٤).

(٥) قال ابن عطية: «والحواريون قوم مرَّ بهم عيسى عليه السلام، فدعاهم إلى نصره واتباع ملته فأجابوه، وقاموا بذلك خير قيام وصبروا في ذات الله» المحرر الوجيز (٣/ ١٠١) وهذا هو أقرب ما وجدت لما ذكر الراغب.

(٦) هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، أمّه صفية بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله ﷺ، أسلم بمكة، وشهد المشاهد كلها، قتل سنة ٣٦هـ بعد منصرفه من وقعة الجمل وعمره ست وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤١)، والإصابة (٢/ ٤٥٧)، والتقريب ص (٢١٤).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير، رقم (٣٧١٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة =

الأنبياء(١) فنظر منه إلى حواري عيسى عليه السلام، وإلى قول النبي ﷺ(٢)، وقد تقدَّم القول في الإيمان والإسلام(٣)، وعنى بالإسلام ها هنا الاستسلام لله عز وجل، كقول إبراهيم: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٤).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾(٥).

= والزبير، رقم (٢٤١٥). والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الزبير رقم (٣٧٤٤)، وابن ماجه في المقدمة رقم (١٢٢) نحوه. وأحمد في المسند (٣/ ٣١٤).

(١) مجاز القرآن (١/ ٩٥).

(٢) قال ابن كثير: والصحيح أن الحواري: الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «لكل نبيّ حواري وحواريّ الزبير». انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٥). وهذا الحديث الذي ذكره ابن كثير أخرجه البخاري في أخبار الآحاد، باب بعث النبي ﷺ للزبير طليعة وحده (١٣/ ٢٣٩) رقم (٧٢٦١). ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير (٤/ ١٨٧٩) رقم (٢٤١٥). وأحمد في المسند (٣/ ٣٦٥).

(٣) انظر: تفسير الراغب (ق ١٨ وق ٩٩ ـ مخطوط).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٣.

الاتّباع: الاقتداء بالمُتّبَع[1]، وهو أخصُّ من الإجابة، إذ قد يكون مجيباً من لا يكون تابعاً، وإنما قال: ﴿ربنا﴾. ولم يقل: ربّ العباد. لأن الموضع موضع اعتراف وشكر، لا الإخبار عما عليه الشيء في نفسه، فلذلك خصّ ربنا، وقد تقدم أن الشاهد هو المخبر عن الشيء مشاهدة: إما حسّاً أو عقلًا، وأنه استعير للشهادة في الأحكام[2]، والشاهدون ها هنا هم الذين على طريقة من قال فيهم: ﴿ لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[3]، ونبه بقوله: ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أنهم منهم[4]، وقوله: ﴿ربنا﴾

(١) انظر: العين (٢/ ٧٨)، والصحاح (٣/ ١١٩٠)، والمقاييس (١/ ٣٦٢).

(٢) تقدم الكلام على معاني الشهادة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية: ١٨ من سورة آل عمران. انظر ص (٤٩) من هذا البحث.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) قال أبو حيان: ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ هم محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ، ومحمد ﷺ يشهد لهم بالصدق، روى ذلك عكرمة عن ابن عباس. أو من آمن قبلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. أو الأنبياء... قاله مقاتل. أو الشاهدون للأنبياء بالتصديق، قاله الزجاج، أو الشاهدون لنصرة رسلك، أو الشاهدون بالحق عندك...» البحر المحيط (٢/ ٤٩٥). واختار الطبري العموم فقال: يقول: «فأثبت أسماءنا مع الذين شهدوا بالحق، وأقروا لك بالتوحيد، وصدقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك...» جامع البيان (٦/ ٤٥٢)، وانظر: معاني القرآن=

متصل بالحكاية عنهم، وأخبرنا تعالى بذلك لنقتدي بهم في متابعة النبي ﷺ والتضرُّع إلى الله في طلب الثواب كما طلبوه.

قوله عز وجل: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1]

المكر في الأصل: حيلة يُجلب بها الإنسان إلى مفسدة، وحيلة قد تقال فيما يُجلب به إلى مصلحة[2]، وقد يُقال في ذلك المكر والخديعة اعتباراً بظاهر الفعل دون المقصد[3]، والحكيم قد يفعل ما صورته صورة المكر، ولكن قصده المصلحة لا المفسدة، وعلى هذا سئل بعض المحققين[4] عن مكر الله فأنشد:

= وإعرابه (١/ ٤١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

(٢) قال الراغب في المفردات ص (٧٧٢): «المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميلٍ، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾. ومذموم، وهو أن يتحرى به فعلَ قبيح. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]... وقال في الأمرين: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠].

(٣) انظر معاني المكر في: العين (١/ ١١٥)، (٣/ ٢٩٧)، (٥/ ٣٧٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢١٨)، ومجاز القرآن (١/ ٩٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٨)، والصحاح (٢/ ٨١٩)، (٣/ ١٢٠١)، والتاج (٤/ ١٤٧)، (٢٠/ ٤٨٣).

(٤) هو الجنيد، كما صرح به أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٩٦).

ويقبح من سواك الشيء عندي وتَفْعَلُه فيحسن منك ذاكا[1]

فإذن مكر الله قد يكون تارة فعلًا يُقصد به مصلحة، ويكون تارة جزاء المكر[2]، ويكون تارة/ بأن لا يقبِّح مكرهم في عينهم، وذاك [٢١٥/أ] بانقطاع التوفيق عنهم وتزيين ذلك في أعينهم، حتى كأنه زيَّنه في أعينهم ومكر بهم، ويكون تارة بإعطائهم ما يريدون من دنياهم، فإذا أعطاهم واستعملوه على غير ما يحب، فكأنه مكر بهم[3]،

---

(١) البيت في المحاضرات للراغب الأصفهاني (٢/ ٤٥٣)، (٣/ ٤٩)، وقد نسبه الراغب للمتنبي وليس في ديوانه. وانظر: رموز الكنوز لعز الدين الرسعني الحنبلي (١/ ١٢٤، ١٢٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٩٦).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستهزاء والمكر، بأن يظهر الإنسان الخير والمراد شر فهذا إذا كان على وجه جحد الحق وظلم الخلق فهو ذنب محرم، وأما إذا كان جزاء على من فعل ذلك بمثل فعله كان عدلاً حسناً... فإن الجزاء من جنس العمل. وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾، كما قال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، وكذلك جزاء المتعدي بمثل فعله، فإن الجزاء من جنس العمل، وهذا من العدل الحسن، وهو مكرٌ وكيد إذا كان يُظهر له خلال ما يبطن» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٤٧١). وانظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٩)، ومدارك التنزيل (١/ ٢٥٨).

(٣) قال بيان الحق النيسابوري: «فالمكر ابتداؤه منا: إرادة أن نوقع الممكور به في شره. وتمامه: يكون بتدبير خفي لا يُطلع عليه. فهو من الله التدبير الخفي في ضربٍ يناله المستحق على وجه لم يحتسبه». وضح البرهان في=

واستدرجهم من حيث لا يعلمون[1]، ولأجله قال: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[2] وهذا من المعنى الذي اقتضى الذي قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[3] وقال الكلبي[4]: مكرهم كان تدبيرهم في قتل عيسى ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أنه ألقى شبه عيسى

= مشكلات القرآن (١/ ٢٤٤). وهذا الكلام يشمل معنى التزيين الذي ذكره الراغب.

(١) قال الزجاج: «المكر من الخلائق خبّ وخداع، والمكر من الله المجازاة على ذلك، فسمي باسم ذلك لأنه مجازاة عليه، كما قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] فجعل مجازاتهم على الاستهزاء بالعذاب لفظه لفظ الاستهزاء... وجائز أن يكون مكر الله استدراجهم من حيث لا يعلمون...» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٩)، وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٨)، وجامع البيان (٦/ ٤٥٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٦).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٤) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي الكوفي النسّابة المفسر، متهم بالكذب ورُمي بالرفض. قال البخاري: تركه يحيى وابن مهدي، وقال الجوزجاني: كذاب ساقط. وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه. وقال النسائي والساجي والدارقطني: متروك. مات بالكوفة سنة ١٤٦هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٥٦)، والتهذيب (٩/ ١٧٨)، والتقريب ص (٤٧٩).

على رجل كان يقال له يهودا عهد لقتل عيسى، فدخل بيتاً فظن أن عيسى عليه الصلاة السلام فيه فتبعه القوم فصلبوه[1]، وقال الأصمّ: مكره بهم أن سلّط عليهم فارساً[2]، فقتلوهم، وسبوا ذراريهم[3]، لقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[5] إن قيل: كيف قال: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾[6]؟ قيل: جملة الأمر أن ليس في

---

(١) هذا قول عامة المفسرين انظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٣، ٤٥٤)، وقد رواه ابن جرير بسنده عن السدي. وابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٠، ٦٦١)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٣)، وزاد المسير (١/ ٣٩٥)، وقد عزاه ابن الجوزي لابن عباس. ومدارك التنزيل للنسفي (١/ ٢٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٦).

(٢) فارس: أمّة من الناس وهم الفُرس، وفارس: بلد ذو جبل، والنسب إليه فارسيّ والجمع فُرس، وهو الآن بلاد إيران. انظر: لسان العرب (٦/ ١٦٢) والمعجم الوسيط ص (٦٨١).

(٣) ذكر هذا الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٥٩) ولم ينسبه لأحد.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

ذلك منافاة، إذ ليس كل متوفى يكون مقتولاً. وقد قال الفرّاء: معناه: ورافعك إليّ ومتوفيك، فقدّم وأخّر[١]. وقال الربيع: توفّاه، ووفاته النوم[٢]. وقال غيرهما: آخذك وافياً لم ينقص منك شيء[٣]. وقال الحسن: وفاة الرفع، لا وفاة الموت[٤]. وقال ابن

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٩)، وذكره عن الفراء الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٧) ونسبه للفراء والزجاج. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٠)، وذكره ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٤٥٨) ولم ينسبه إلى أحد، وساقه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦١) بسنده إلى قتادة.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٥٥)، وذكره أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٢٤)، ونسبه للربيع، وعزاه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦) لأكثر المفسرين.

(٣) ذكره صاحب البحر المحيط (٢/ ٤٩٧) ولم ينسبه لأحد، وهذا القول لا يخالف القول الذي بعده، بل هما قول واحد، فالله تعالى أخذه، أي رفعه وافياً لم ينقص منه شيء. يوضح ذلك قول ابن الجوزي رحمه الله: «وفي هذا التوفي قولان. أحدهما: أنه الرفع إلى السماء، والثاني: أنه الموت، فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً، من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفيك» قابضك من الأرض وافياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً. هذا قول الحسن وابن جريج وابن قتيبة واختاره الفراء».
انظر: معاني القرآن (١/ ٢١٩)، والفراء حكى القولين، ولم يرجح أحدهما.

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٥-٤٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٧)، =

عباس ووهب[١]: وفاة موت، فإنه أماته ثم أحياه فرفعه[٢].
وقال بعضهم: معنى متوفيك آخذك عن هواك، ورافعك إليّ عن شهوتك، ولم يكن ذلك رفعاً مكانيًّا، وإنما هو رفعة المحل[٣]،

= والبحر المحيط (٢/ ٤٩٧): وهو قول الحسن وابن جريج وابن زيد والضحاك، ومطر الوراق، ومحمد بن جعفر بن الزبير.

(١) هو أبو عبدالله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني، ثقة، من مسلمة أهل الكتاب، تابعي كثير الأخبار ولا سيما الإسرائيليات، وبعض ما يرويه غريب منكر، وهذا مما أُخذ عليه، وهو صاحب صلاح وعبادة، أدرك عدداً من الصحابة، وأسند عنهم: كابن عباس وجابر والنعمان بن بشير، وُلد سنة ٣٤هـ وتُوفي بصنعاء سنة ١١٠هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤)، والتهذيب (١١/ ١٦٦)، والتقريب ص (٥٨٥).

(٢) رواية ابن عباس أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٥٧)، وذكرها البخاري في التفسير، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦).
ورواية ابن وهب أخرجها ابن جرير في تفسير جامع البيان (٦/ ٤٥٧) بسنده إلى وهب بن منبه قال: «توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه». وذكره السمعاني في تفسير القرآن عن وهب (١/ ٣٢٤)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦).

(٣) هذا من تفسير الصوفية، وأشار إلى نحو هذا المعنى القشيري في لطائفه، حيث قال: «الإشارة فيه: إني متوفيك عنك، وقابضك منك، ورافعك من نعوت البشرية، ومطهّرك من إرادتك بالكلية، حتى تكون مصرفاً بنا=

وإن كان قد رُفع إلى السماء، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1] وتطهيره من الكافرين إخراجه من بينهم، وقيل: تخليصه من قتلهم، لأن ذلك طهرة[2] منه، وقوله: ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي فوقهم بالبرهان والحجة[3]، وقال ابن زيد: عنى أنه جعل النصارى فوق اليهود في العِزّة[4]، فقد جعل لهم[5] مملكة ولم يجعلها لليهود، وقيل: عنى بقوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾:

= لنا، ولا يكون عليك من اختيارك شيء، ويكون إسبال التولي عليك قائماً عليك» لطائف الإشارات (١/ ٢٥٧، ٢٥٨). وقد نسب أبو حيّان هذا القول بنصّه إلى الراغب، مع أن الراغب قد صدّره بقوله: (وقال بعضهم). انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٧).

(١) سورة مريم، الآية: ٥٧.

(٢) انظر: القولين في: جامع البيان (٦/ ٤٦١، ٤٦٢)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٦)، والكشاف (١/ ٣٦٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٧)، والقولان متقاربان، لأن تخليصه من قتلهم كان بإخراجه من بينهم.

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٥)، ونسبه أبو حيان للحسن. البحر المحيط (٢/ ٤٩٧).

(٤) جامع البيان (٦/ ٤٦٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٧). ونسبه ابن جرير وابن الجوزي لابن زيد.

(٥) في الأصل: (لكم) وهو خطأ، والصواب ما أثبتّه.

من اتبع نبينا عليه الصلاة والسلام منهم[1]، فإن من لم يتبعه بعد بعثته فهو في الحقيقة غير تابع لعيسى[2]، وقيل: معنى قوله:

(١) ذكر هذا القول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٦٢، ٤٦٣) بأسانيده عن قتادة والربيع وابن جريج والسدي والحسن، وذكره عنهم أيضاً ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٢، ٦٦٣)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨١)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٥)، وزاد المسير (١/ ٣٩٧).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: وهذا وقع، فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبدالله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة... فلمّا بعث الله محمداً ﷺ، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض، إذ قد صدّقوا الرسول النبيّ الأمي العربي خاتم الرسل، وسيد ولد آدم على الإطلاق، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملّته وطريقته مما قد حرّفوا وبدّلوا، ثم لو لم يكن شيئاً من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يبدل ولا يغير إلى قيام الساعة، ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين، فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، واجتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى وقصروا قيصر، وسلبوهما كنوزهما، وأُنفِقَتْ في سبيل الله، كما أخبرهم=

فوقهم: أي يوم القيامة في الجنة، إذ هم في الغرفات آمنون، / [٢١٥/ب] والذين كفروا في أسفل السافلين، وحينئذ تتعلق [إلى][1] بما[2] تقدّم[3]، وقد تقدّم الكلام في الرجوع إلى الله.

قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[4] تعذيب الله الكفار

= بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] فلهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقًّا سلبوا النصارى بلاد الشام، وألجأوهم إلى الروم، فلجأوا إلى مدينتهم القسطنطينية، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة...» تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦، ٣٤٧).

(١) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) في الأصل: (كما) والصواب ما أثبته.

(٣) قال أبو حيان: «الظاهر أن «إلى» تتعلق بمحذوف، وهو العامل في «فوق» وهو المفعول الثاني لجاعل، إذ معنى «جاعل» هنا: مصير، فالمعنى: كائنين فوقهم إلى يوم القيامة. وهذا على أن الفوقية مجاز. وأما إن كانت الفوقية حقيقة، وهي الفوقية بالجنة، فلا تتعلق «إلى» بذلك المحذوف، بل بما تقدم من «متوفيك» أو من «رافعك» أو من «مطهرك»، إذ يصح تعلقه بكل واحد منها». انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢١٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٦.

والأشرار في الدنيا ضربان: ضرب عرفوه عذاباً كالأمراض والخسف والمسخ وتسليط المؤمنين عليهم، وضرب حسبوه نعمة وهو في الحقيقة نقمة، وذلك كتمكينهم من مال وجاه وسائر أعراض الدنيا، التي حظهم منها الهموم والغموم، وإياه عنى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾[١].

قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] الإيمان: فعل ما يقتضي الأمن من عذاب الله[٣]، والصَّلاح: فعل ما يقتضي الصلح بينه وبين الله عز وجل[٤]، والتوفية: إعطاؤه ما لا ينقص عما يقابله،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٣) وذلك شامل لأفعال القلوب من التصديق والانقياد والمحبة، وأفعال الجوارح من أداء الفرائض وترك النواهي، قال الراغب: «ويُراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح» المفردات ص (٩١).

(٤) قال الراغب: الصلاح: ضدّ الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة. قال تعالى: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في=

والإيفاء الزيادة عليه[١]، إن قيل: كان من حق المقابلة أنه لما عاقب ذكر الكافرين بقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أن يذكر ها هنا ما ينافيه فيقول: والله وليُّ المؤمنين. ونحو ذلك من الكلام لا قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قيل: إن قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من صفة الذين كفروا، ونبّه بالصفتين جميعاً، أعنى هذه وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ على كون المؤمنين منصورين ومحبوبين، وقد دلّ على ذلك من فحوى الكلام في هذه الآية وغيرها من الآيات، وفي قوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تنبيه أنه لا يظلم خلقه، فمن لا يحب شيئاً لا يتعاطاه مع استغنائه عنه، إن قيل: ما وجه إعادة ذكر عذاب الكافرين وثواب المؤمن العاقل الصالح في هذا المكان؟ قيل: إن ذلك مقترن بمخاطبته عيسى، وهو قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وتقديره: الذين كفروا بك، آمنوا بك. لكن حُذِف ذلك اختصاراً[٢].

= مواضع كثيرة. ثم قال: والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس. المفردات ص (٤٨٩).

(١) قال الراغب: وتوفية الشيء: بذله وافياً، واستيفاؤه: تناوله وافياً. المفردات ص (٨٧٨). وانظر: مجمل اللغة ص (٧٥٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٩) والقاموس ص (١٧٣١).

(٢) قال أبو حيان: قيل يحتمل أن يكون خاصًا؛ أي كفروا بك وجحدوا نبوتك، والظاهر العموم. البحر المحيط (٢/ ٤٩٨).

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1] التلاوة والتنزيل والقص متقارب، لكن يقال: التلاوة اعتباراً بمساوقة بعض الكلام بعضاً بالولاء، والإنزال اعتباراً بإخبار الأعلى الأدون، والأرفع للأوضع، والقَصُّ اعتباراً باقتطاع الخبر/ على ما هو به، وقصُّ أثره[2]. والحكيم: [٢١٦/أ] المحكم، إشارة إلى قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[3]، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل، كأنه ناطق بالحكمة وفاعل لها، لا لاقتضائه إياها[4]، وقوله: ذلك: مبتدأ، ونتلوه: خبره، وقيل: ذلك تقديره: الذي، ونتلوه: صلته، والخبر قوله من الآيات[5] وتلاوته:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.

(٢) انظر: المشوف المعلم (١/ ١٢٧)، (٢/ ٦٤١)، والغريبين (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٥٦)، والمفردات ص (١٦٧، ١٦٨، ٦٧١، ٧٩٩)، وتاج العروس (١٨/ ٩٨، ٩٩).

(٣) سورة هود، الآية: ١.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ١١١)، والصحاح (٥/ ١٩٠١)، والمفردات ص (٢٤٨، ٢٤٩).

(٥) قال السمين الحلبي بعد أن ساق هذا الوجه: جوّز ذلك الزجاج وتبعه الزمخشري، وهذا مذهب الكوفيين، وأما البصريون، فلا يجيزون أن يكون اسم من أسماء الإشارة موصولاً، إلا «ذا» خاصة بشروط...» الدر المصون (٣/ ٢١٧). وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢١، =

إنزاله[1]، ويجوز أن تُجعل تلاوة جبريل والنبي ﷺ وأوليائه تلاوة لمّا كان بأمره[2]، فأفعال أوليائه قد تنسب إليه، كقوله[3] عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[4]، وقوله في موضع آخر: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[5].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[6] لما ذكر تعالى مكان عيسى من الفضيلة، وما آتاه من المنزلة، كَذَّبَ النصارى فيما ادعوه من بنوته،

= ٤٢٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٢)، والكشاف (١/ ٣٦٧)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٣٧).

(١) لم أجد أحداً من المفسرين أو أهل اللغة ذكر أن التلاوة بمعنى الإنزال. وذكر ابن جرير الطبري أن التلوَّ في كلام العرب له معنيان أحدهما: التتبع كما يقال: تلوت فلاناً، إذا مشيت خلفه وتبعت أثره. والآخر: القراءة والدراسة، كما تقول فلان يتلو القرآن. جامع البيان (٢/ ٤١١). وذكر هذين المعنيين أيضاً أبو بكر السجستاني في غريب القرآن ص (١٤١).

(٢) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه، وهو الذي عليه عامة المفسرين، انظر: جامع البيان (٦/ ٤٦٦)، والوسيط (١/ ٤٤٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٧).

(٣) في الأصل قوله والصواب ما أثبته.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

وبيّن كيفية خلقه من غير ذكر. إن قيل: كيف يكون عيسى مثل آدم وآدم لم يضمّه رحِم؟ قيل: إن ذلك تكذيبٌ للنصارى فيما ادعوه، وذلك أن أهل نجران قالوا: ما رأينا ابناً بلا أب[1]، فأنزل الله ذلك تبيينا: أن ليس أمر عيسى بأعجب من أمر آدم، إذ هو لم يُخْلق من ذكر ولا أنثى[2] وعلى نحوه دلّ قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[3] إن قيل: لِمَ قال: ﴿عند الله﴾. أهو يشبهه عند الله دون غيره؟ قيل: عنى بقوله: ﴿عند الله﴾. في حكمه، وأن ذلك لا يشق عليه كما لم يشق عليه أن خلق آدم من غير أبوين[4]، إن قيل: ما معنى قوله:

---

(١) أورد هذه القصة ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٦٩-٤٧١) بسنده عن قتادة والسدي ومحمد بن جعفر بن الزبير وابن زيد. وذكرها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٥) عن محمد بن إسحاق، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٠٨) وزاد المسير (١/ ٣٩٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٠).

(٢) انظر في ذلك: جامع البيان (٦/ ٤٦٧-٤٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٦)، وزاد المسير (١/ ٣٩٨)، والتفسير الكبير(٨/ ٦٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٨).

(٣) سورة يسٓ، الآية: ٨١.

(٤) وهذا ما أشار إليه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٦٧، ٤٦٨)=

كن بعد أن خلقه من تراب؟ قيل: معناه كن إنساناً حيّاً ناطقاً، وهو لم يكن كذلك، بل كان دهراً جسداً ملقى لا روح فيه. على ما رُوي في الخبر، ثم جُعل فيه الروح[1]، وجعل كن عبارة

وقال ابن عطية: ﴿ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ عبارة عن الحق في نفسه، أي هذا هو الأمر فيما غاب عنكم. المحرر الوجيز (٣/ ١٠٩)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٠١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥).

(١) يشير الراغب رحمه الله إلى خبر ابن عباس الطويل في بدء الخليقة، وهو ما رواه الطبري في جامع البيان (١/ ٤٥٥-٤٥٧) بسنده عن ابن عباس وفيه: «فقال الله للملائكة الذين معه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بعثنا عليهم لذلك!! فقال: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يقول: إني قد اطّلعت من قلب إبليس على ما لم تطّلعوا عليه من كِبره واغتراره. قال: ثم أمر بتربة آدم فرُفعت، فخلق الله آدم من طين لازب ـ واللازبُ: اللزج الصلب، من حمأ مسنونٍ ـ منتن. قال: وإنما كان حمأً مسنوناً بعد التراب. قال: فخلق منه آدم بيده، فمكث أربعين ليلة جسداً ملقىً. فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل ـ أي فيصوّت ـ قال: فهو قول الله: ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤] يقول: كالشيء المنفوخ الذي ليس بمصمت. قال: ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل من دبره ويخرج من فيه. ثم يقول: لست شيئاً ـ للصلصلة ـ ولشيء ما خُلقت، لئن سُلّطت عليك لأهلكنك، ولئن سلِّطت عليَّ لأعصينك. قال: فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة=

عن إيجاد الصورة التي بها صار الإنسان إنساناً[١]، وعلى هذا قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] فالمقول له الجسد، وقد تقدم الكلام في كن[٣]، إن قيل: لِمَ قال: ﴿فيكون﴾ ولم يقل فكان؟ قيل: يكون عبارة عن حال كونه، وحكاية الحال هكذا يُخرجُ نحو قولهم: فلان قال أمس كذا فيُفعل به كذا[٤]، إن قيل: لِمَ رُفِعَ يكون ولم يُنصب على جواب الأمر؟ قيل: جواب الأمر يجب أن يكون غيره، نحو: ائتني

= من قِبَل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً. . .» الخبر وذكر ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٢، ٧٣) هذا الخبر من رواية ابن جرير وقال: وهذا الإسناد إلى ابن عباس يُروي به تفسير مشهور. وقد روى هذا الخبر مختصراً أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أنس أيضاً وأبي بصرة ص (٣٧٣، ٣٧٤) رقم (١٠٣٣، ١٠٣٨).

(١) انظر: الوسيط (١/ ٤٤٣)، والكشاف (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، وقد نقل أبو حيان عبارة الراغب، ونسبها إليه.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٣) انظر: الرسالة ص (٥٦٧، ٥٦٨).

(٤) قال السمين الحلبي: وقوله: «فيكون» يجوز أن يكون على بابه من كونه مستقبلًا. والمعنى: فيكون كما يأمر الله، حكاية للحال التي يكون عليها آدم. ويجوز أن يكون «فيكون» بمعنى: «فكان»، وعلى هذا أكثر المفسرين والنحويين، وبهذا فسَّره ابن عباس رضي الله عنه. الدر المصون (٣/ ٢٢٠، ٢٢١). وانظر: جامع البيان (٦/ ٤٧٢). وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٢) والكشاف (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢).

فأكرمك، وتقديره: ائتني فإنك إن تأتني أكرمك، ولو جُعل[1] فيكون جواباً لكان، تقديره كن، فإنك إن تكن تكن، وهذا لا يصح/ لأن معنى الجواب معنى الشرط، وإذا رُفِعَ فتقديره: فهو [٢١٦/ب] يكون.

قوله عز وجل: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[2] الامتراء: استخراج الرأي للشك العارض، ويُجعل عبارة عن الشك[3]، وإنما قال: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ولم يقل ممترياً، ليكون فيه ذمٌّ من شك في عيسى[4]، وقوله ﴿الحق﴾ خبر مبتدأ محذوف[5]، أو مبتدأ وخبره من ربك[6]، ونبّه أن الحق في

---

(١) في الأصل (ولو جعك) وهو من خطأ الناسخ والصواب ما أثبته.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٧٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٢)، ومجمل اللغة ص (٦٦٣)، وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني ص (٤٣٤). والمفردات ص (٧٦٦)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، وقد نقل أبو حيان كلام الراغب عن الامتراء، ونسبه إليه.

(٤) نقل أبو حيان هذه العبارة كذلك، ونسبها للراغب. البحر المحيط (٢/ ٥٠٢).

(٥) وهذا اختيار الفراء كما في معاني القرآن (١/ ٢٢٠). وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٢)، وإعراب القرآن لمكي (١/ ١٦١).

(٦) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٢، ٢٢٣).

ذلك، بل في الأمور كلها ما يكون مصدره من الله تعالى، وقوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ وإن كان خطاباً للنبي ﷺ، فالمقصد به عام.

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[١] أصل البهل: ترك الشيء غير مراعى[٢]، من قولهم بهلْتُ الناقة[٣]: تركتها بلا صرار[٤]، واللعن: الطرد[٥]، وقد يستعمل البهل بمعنى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) نقل السمين الحلبي هذا القول ونسبه للراغب. الدر المصون (٣/ ٢٢٧).

(٣) قال الخليل: «باهلت فلاناً أي: دعونا على الظالم منا. وبهلته: لعنته. وابتهل إلى الله في الدعاء، أي جد واجتهد، . . . والباهل: الناقة التي ليست بمصرورة، لبنها مباح. . .» العين (٤/ ٥٤-٥٥)، ومجاز القرآن (١/ ٩٦)، والغريبين ص (٢٢٦، ٢٢٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٣).

(٤) الصِّرار: هو خيط يُشَدُّ فوق الخَلِفِ والتَّوْدِية لئلا يرضعها ولدها. مختار الصحاح ص (٣٦٠). والخَلِف: بوزن الكَتِف: المخاضُ وهي الحوامل من النوق. مختار الصحاح ص (١٨٦). والتودية: خشبة تشدُّ على خلف الناقة إذا صُرّت. القاموس ص (١٧٢٩).

(٥) انظر: مجالس ثعلب (٢/ ٤٧٥)، والصحاح (٥/ ٢١٩٦)، ومجمل اللغة ص (٦٤٥) والمفردات ص (٧٤١).

اللعن[1]، وقد تقدّم أن لعن الله قد يكون بمنع التوفيق عن الكافر وتركه وشؤمه، وهذا نهاية الخذلان، وتَعَالَ[2]: قال أهل اللغة أصله أن يدعو إلى مكان رفيع، ثم جُعِلَ عامًّا في الدعاء إلى كل مكان[3]، والأولى أنه[4] دعاء الإنسان إلى ما فيه علو منزلة: إما على الحقيقة، وإما على سبيل الفضول، كقولهم: هلّم إلى السعادة[5]، وقوله: ﴿حاجّك فيه﴾ أي في كون عيسى عند الله كآدم[6]، وقيل في قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٦)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٦)، والغريبين ص (٢٢٦) ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٣).

(٢) في الأصل: (تعالى) والصواب ما أثبتّه، لأنه فعل أمر مبني على حذف حرف العلة. وفي العين (٢/ ٢٤٧): وتقول: يا رجل تعالَهْ. الهاء صلة. فإذا وصلت طرحت الهاء، فتقول: تعال يا رجل. . .».

(٣) انظر: المقاييس (٤/ ١١٨)، والمفردات ص (٥٨٢، ٥٨٣).

(٤) في الأصل: (أن) والصواب ما أثبتّه.

(٥) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٨٥)، والمفردات ص (٥٨٤)، والدر المصون (٣/ ٢٢٦).

(٦) وهذا قول قتادة، ومحمد بن جعفر بن الزبير، والربيع. انظر: جامع البيان (٦/ ٤٧٣، ٤٧٥) وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٨)، والوسيط (١/ ٤٤٤)، وزاد المسير (١/ ٣٩٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٣).

ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[(١)(٢)] ، وكلا القولين واحد في التحقيق، لأن كليهما في أمر عيسى، والآية نزلت في نصارى نجران، إذ عارضوا النبي ﷺ في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام[(٣)]، ويقال: لما نزلت أخذ النبي ﷺ بيد الحسن[(٤)] والحسين[(٥)] ....

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٠.

(٢) جوّز الطبري هذا الوجه في جامع البيان (٦/ ٤٧٤). وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١٠)، وزاد المسير (١/ ٣٩٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٣).

(٣) ذكر ابن أبي حاتم في تفسير القران العظيم (٢/ ٦٦٨) بإسناده عن ابن جريج قال: قال لي ابن كثير: أما الذين دعوا إلى الابتهال فالنصارى. وقال الماوردي: والذين دعاهم النبي ﷺ هم نصارى نجران. النكت والعيون (١/ ٣٩٨).

(٤) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وريحانته وقد صحبه وحفظ عنه، وهو أحد سيدي شباب أهل الجنة، كان أشبه الناس بالنبي ﷺ، أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين عام الجماعة، حين تنازل لمعاوية عن الخلافة سنة ٤١هـ، ولد في السنة الثالثة من الهجرة، ومات شهيداً بالسّم سنة ٤٩هـ، وهو ابن سبع وأربعين سنة، وقيل بل مات سنة ٥٠هـ، وقيل بعدها، انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥)، والإصابة (٢/ ٦٠)، والتهذيب (٧/ ٢٩٥)، والتقريب ص (١٦٢).

(٥) هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبدالله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وأحد سيدي شباب أهل الجنة حفظ عن رسول الله ﷺ، وكانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج إلى العراق، فشهد مع أبيه موقعة=

وعلي وفاطمة[1]. ثم دعا النصارى إلى المباهلة فأحجموا، وقال بعضهم لبعض: إن باهلتموه اضطرم[2] الوادي عليكم ناراً، فلم يبق نصراني ولا نصرانية[3]. وقال بعضهم: وفي هذا إشارة إلى

= الجمل وصفّين وقتال الخوارج، وبقي معه إلى أن قُتل، ثمّ مع أخيه إلى أن سلّم الأمر إلى معاوية. ولد في السنة الرابعة من الهجرة، واستشهد يوم عاشوراء سنة ٦١هـ، وله ست وخمسون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٠)، والإصابة (٢/ ٦٧)، والتهذيب (٢/ ٣٤٥)، والتقريب: ص (١٦٧).

(١) هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ الهاشمية رضي الله عنها وأرضاها، أم الحسن وكانت تُكنى أم أبيها ولقبها الزهراء، كانت أصغر بنات النبي ﷺ وأحبّهن إليه، تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة، فولدت له الحسن والحسين، وهي إحدى أربع نساء هنّ سيدات نساء أهل الجنّة أسرّ لها رسول الله ﷺ بقرب حلول أجله وبأنها أول أهل بيته لحوقاً به، وأخبرها أنها سيّدة نساء العالمين، توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، في شهر رمضان من سنة إحدى عشرة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨)، والإصابة (٨/ ٢٦٢)، والتهذيب (١٢/ ٤٤٠)، والتقريب ص (٧٥١).

(٢) اضطرم: أي التهب واشتعل. انظر مختار الصحاح ص (٣٨٠).

(٣) قصة المباهلة، رواها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٧) عن الربيع والشعبي والحسن والسدّي مرفوعاً. ورواها أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص (٢٩٧، ٢٩٨). وأوردها البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٥) من حديث سلمة بن يشوع عن أبيه عن جده. وهذه الطريق ذكرها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧١) عن البيهقي به، ثم قال: فيه فوائد=

ظهور بطلان الدعاوى الكاذبة عند أهل الحقائق[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2] أي أن ما قصّ الله عليكم من أمر عيسى هو الحق، / وأن المستحق لعبادته هو الله، لا إله غيره، وأن لا عزّة ولا عزّ ولا حُكم ولا حِكمة إلا له تعالى في الحقيقة، فهو الذي لا تلحقه ذِلّة ولا تعتريه جهالة، وكل من حصل له شيء من العزّ[3] والحكم[4] فمنه مستفاد. والقصص: كل خبر مقتطع [٢١٧/أ]

= كثيرة، وفيه غرابة. وحديث الملاعنة لوفد نجران دون ذكر سبب النزول ثبت من طريق أخرى منها ما رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (٨/ ٩٣) رقم (٤٣٨٠). ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٤) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٢) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

(١) هذا من إشارات الصوفية، وقد أشار إلى هذا المعنى القشيري فقال: والإشارة في هذه الآية: لمن نزلت حالته عن أحوال الصديقين، فإنه إذا ظهرت أنوارهمُ انخنست آثار هؤلاء، فلا إقرار، ولا عنهم آثار. لطائف الإشارات (١/ ٢٥٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

(٣) انظر معاني العز والعزة والعزيز في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤)، وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني ص (٥٦)، والمفردات ص (٥٦٣)، والقاموس ص (٦٦٤، ٦٦٥).

(٤) انظر معاني الحكم والحكمة والحكيم في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤)، =

على وجهته من قولهم: قصصت أثره، وقصصتُ الظفر، وهو اسم للمقصوص: كالقبض والنقص، للمقبوض والمنقوص[1]، وظاهر قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أبلغ من قولنا: وما إله، لاستغراقه[2]، ولا يصح جرّ لفظ الله على البدل من إله، لأن من هذه لا تدخل إلا على كل نكرة غير موجبة، فإذن لا يكون إلا رفعاً رداً على موضع ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾[3]، وأعاد ذكر الله ظاهراً على

= وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني ص (١٩٩، ٢٠٢) والمفردات ص (٢٤٨، ٢٤٩)، والقاموس ص (١٤١٥، ١٤١٦).

(١) قال ابن منظور: «والقصص: الخبر المقصوص. بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه» لسان العرب (٧/ ٧٤). وقال أبو حيان: «والقصص: مصدر، أو فَعَل بمعنى مفعول أي المقصوص كالقبض بمعنى المقبوض». البحر المحيط (٢/ ٥٠٩). وانظر: تهذيب اللغة (٨/ ٢٥٦)، والصحاح (٣/ ١٠٥١، ١٠٥٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٩)، ومجيءُ فَعَل بمعنى مفعول قليل غير مقيس. انظر المساعد (٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤)، والكشاف (١/ ٣٧٠)، والدر المصون (٣/ ٢٢٩).

(٣) الأولى جعله خبراً للمبتدأ (إله) لأن (من) زائدة لاستغراق الجنس، وهذا الوجه هو الذي بدأ به مكّي، واقتصر عليه أبو البقاء. وقول الراغب: (لا يكون إلا رفعاً): يرد عليه ما ذكره النحاس من أن النصب على الاستثناء جائز. وقول أبي حيان: «ويجوز في العربية في نحو هذا التركيب نصب ما بعد (إلاّ) نحو: ما من شجاع إلا زيداً. ولم يُقرأ بالنصب في هذه الآية=

طريق التعظيم، وخص ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ تنبيهاً أنه تعالى مستغن عن التكثر بالولد على ما تقدم، وفيه تنبيه أنه أظهر عزته عما ينسب إليه من الولد بما قدمه من الحجة، وأنه حكيم لا يفعل ما ينافي حكمته، واتخاذ الولد مما ينافي حكمته[1].

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2] أي إن أعرضوا عن الإصغاء إلى الحق والتزامه، وعن الإجابة إلى المباهلة، فإن حالهم في كونهم مفسدين ظاهرة، وعقوبتهم واجبة، فهو تعالى معاقبهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3] قال محمد بن جعفر[4] والحسن والسدّي: عنى بأهل الكتاب هاهنا

= وإن كان جائزاً في العربية النصب على الاستثناء» انظر: إعراب القرآن للنحّاس (١/ ٣٨٣)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦١، ١٦٢)، وإملاء ما منّ به الرحمن ص (١٣٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٥).

(١) كما في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٤) هو محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الهاشمي يروي عن أبيه=

نصارى نجران[1]، وقال قتادة والربيع: عنى يهود المدينة[2]، وقيل: عنى الفريقين[3]، لقوله في ذمهما: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ

= جعفر الصادق، تُكُلِّم فيه. قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه. كان سيداً مهيباً عاقلًا فارساً شجاعاً. دعا إلى البيعة في أول خلافة المأمون، وبويع له بمكة سنة مائتين، فحج حينئذٍ المعتصم وهو أمير وظفر به، ولكنه لم يؤذه وصحبه إلى بغداد. مات بجرجان في شهر شعبان سنة ثلاث ومائتين. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٤)، ولسان الميزان (٥/ ١١١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٨٤) بسنده إلى محمد بن جعفر والسدي. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٩) ونسبه للحسن والسدي وابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠) ونسبه للسدي ومقاتل.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٨٣) بسنده عن قتادة والربيع، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٩)، ونسبه لقتادة والربيع وابن جريج. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١١٣).

(٣) قال الطبري: «وإنما قلنا: عنى بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أهل الكتابين، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب، ولم يخصّص جلّ ثناؤه بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بعضاً دون بعض، فليس بأن يكون موجَّهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة، بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل. . . وإذا لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر، لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح، فالواجب=

﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]. و﴿سَوَآءٍ﴾ وسوى: وسط، ويعني به العدل[2]، وقول الربيع وأبي العالية[3] ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ هي لا إلٰه إلا الله[4]، فصحيح، لأن أبلغ العدالة التوحيد، وهي

= أن يكون كلّ كتابي معنياً به، لأن إفراد العبادة لله وحده وإخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منهيٍّ من خلق الله» اهـ. جامع البيان (٦/ ٤٨٥). وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) قال الفراء: «وهي في قراءة عبدالله (كلمة عدل بيننا وبينكم) وقد يقال في معنى (عدل): (سِوَى وسُوًى). معاني القرآن (١/ ٢٢٠). وانظر: العين (٧/ ٣٢٦، ٣٢٧)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٠٩، ٤١٠). ومجاز القرآن (١/ ٩٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤).

(٣) هو رفيع بن مهران الرياحي بالولاء البصري، من كبار التابعين، ثقة كثير الإرسال، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، روى عن علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابة، حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعُد صيته. قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية. مات سنة ٩٠ أو ٩٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧)، والتهذيب (٣/ ٢٨٤)، والتقريب ص (٢١٠)، وطبقات المفسرين (١/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٨٨) بسنده عن الربيع عن أبي العالية. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٩) بسنده عن الربيع عن أبي العالية، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز =

الكلمة التي يجب أن يتساوى الناس فيها، وفي [أن][1] يكونوا عابدين غير معبودين، بخلاف ما ادعته النصارى، ونبّه بقوله: لا نشرك أن قولهم يقتضي الشرك، وإن كانوا منكرين أنهم مشركون، وموضع ألا نعبد خفضٌ بدلٌ من كلمةٍ، أو رفعٌ على أنه خبر ابتداء مضمر، كأنه قيل: وهي ألاّ نعبد[2]، ولو رُفع سواء، نحو قوله ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[3] جاز[4]

= (٣/ ١١٣) وقال: وجمهور المفسرين على أن الكلمة هي ما فسّر بعد.
وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠): فأما الكلمة فقال المفسرون: هي لا إله إلا الله. وانظر: الدر المصون (٣/ ٢٣١).

(١) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) ذكر هذين الوجهين: الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٢٠) والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٥)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٨٣) ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢). وحكى الفراء وجهاً ثالثاً وهو الجزم، فقال: ولو جزمت المعطوف لصلح على التوهم، لأن الكلام مجزوم لو لم تكن فيه «أن» كما تقول: تعالوا لا نقل إلا خيراً. وذكر مكي هذا الوجه أيضاً. وذكر السمين الحلبي في إعراب (أن لا نعبد إلا الله) ستة أوجه، انظر: الدر المصون (٣/ ٢٣٣).

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٤) لم أجد سوى وجهين فقط في إعراب سواء، الأول: الجر على الصفة لكلمة، والثاني: النصب على المصدرية أو الحالية. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٣)، ومشكل إعراب =

[٢١٧/ب] وكذلك يجوز/ رفع ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾(١) على معنى: أنه لا نعبد. وقال بعض الصوفية: نبهّنا الله تعالى بهذه الآية على طريق التعبد، وأن لا نقصد بسرنا سواه عند عبادته، ولا نفزع في شيء من الحاجات إلى غيره(٢)، فنكون كمن وصفه النبي ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم»(٣)، إن قيل: فأي حجة في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾ قيل: إنه تعالى أدبنا بأن المعاند متى لزمته الحجة وبانت له المحجة فليس إلا التقضي منه(٤) وترك

= القرآن (١/ ١٦٢) والبحر المحيط (٢/ ٥٠٦)، والدر المصون (٣/ ٢٣٢).

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٠٧): وجوّزوا أن يكون الكلام تم عند قوله: ﴿سَوَاءٍ﴾، وارتفاع ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ على الابتداء.

(٢) وهذا من إشارات الصوفية. قال القشيري: «وقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾: لا تطالع بسرِّك مخلوقاً، وكما لا يكون غيره معبودك، فينبغي أن لا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك». لطائف الإشارات (١/ ٢٦٠). وهو نفس المعنى الذي ذكره الراغب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب «الحراسة في الغزو في سبيل الله» رقم (٢٨٨٦) وفي كتاب الرقاق، باب «ما يتقىٰ من فتنة المال» رقم (٦٤٣٥). ورواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب «في المكثرين» رقم (٤١٣٥). والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٤) رقم (٢٥٩٧). و (٤/ ٢٣٦) رقم (٤٠٧٣). والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٥٩) مطولاً. والخطيب في تاريخه (٨/ ٥٣) جميعهم من حديث أبي هريرة.

(٤) التقضي منه: أي الانتهاء منه. انظر: القاموس ص (١٧٠٨)، والمعجم=

محجته وملاحاته[1]. إن قيل: كيف قال: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وكلاهما أفاد ما أفاد قوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؟ قيل: ليس كذلك، فإن الشرك بالله قد يكون في غير العبادة[2]، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «الشرك

= الوسيط ص (٧٤٣).

(١) ملاحاته: الملاحاة: المخاصمة والمنازعة. النهاية (٤/ ٢٤٣) وقال أبو السعود في إرشاد العقل السليم: «تنبيه: انظر إلى ما رُوعي في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في المحاجّة، حيث بين أولاً أحوال عيسى عليه السلام، وما توارد عليه من الأطوار المنافية للإلهية، ثم ذكر كيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام، فلما ظهر عنادهم دُعوا إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا إلى ما اتفق عليه عيسى عليه السلام والإنجيل، وسائر الأنبياء والكتب، ثم لما ظهر عدم إحداثه أيضاً أمر بأن يقال لهم: اشهدوا بأنا مسلمون». إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٧، ٤٨).

(٢) كالشرك في الربوبية، وهو نوعان: أحدهما: شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون والفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، ومنه شرك أهل وحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني وابن الفارض، ومنه شرك من عطّل أسماء الرب وأوصافه من غلاة الجهمية والرافضة. والثاني: شرك من جعل مع الله إلهاً آخر، وإن لم يعطل أسماءه وصفاته: كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة. ومن=

أخفى فيكم من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»[١]، من ذلك قول القائل: لولا الديك لأتانا اللص، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٣]، فقد شرط من دون الله

= هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم. وهناك أيضاً قسم آخر وهو الشرك في توحيد الأسماء والصفات، وهو أسهل من الشرك في الربوبية، وهو نوعان: أحدهما: تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة. الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق، كاشتقاقهم اللات من الإله. والعُزى من العزيز، انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهّاب ص (٢٧، ٢٨).

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٢٨٦)، وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر الصديق رقم (١٧). وأخرجه أحمد بنحوه (٤/ ٤٠٣) من حديث أبي موسى. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٩): ورواته إلى أبي علي محتجٌ بهم في الصحيح. وأبو علي وثقه ابن حبان، ولم أر أحداً جرحه. ورواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٨). والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩١) من طرق أخرى، وقال الحاكم بعد ذكر رواية عائشة: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

وهذا هو الكفر، فأما المملوك إذا اتخذ صاحبه رباً لا أنه معبود فليس بمنهي عنه[1].

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[2] قال ابن عباس والحسن والسدّي: اجتمع أحبار اليهود ونصارى نجران عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا في إبراهيم، فقالت اليهود: ما كان إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيًا[3]، فأبطل الله دعواهما، وبيّن أن ذلك محال، لأن المتقدم لا يكون

---

(١) لأن ربّ كل شي: مالكه ومستحقه أو صاحبه. فيقال: ربُّ الدار وربُّ الفرس: لصاحبهما. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]. ولا يُقال: الرب مطلقاً (باللام) إلا لله تعالى. انظر: المفردات ص (٣٣٦)، والقاموس ص (١١١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٩٠) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٩، ٤٠٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١٥) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٢)، ونسبه لابن عباس والحسن والسدّي. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٢)، وعزاه لابن إسحاق والطبري والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

منسوباً إلى المتأخِّر ومقتدياً به[1]، إن قيل: فإن اليهود والنصارى لم يدّعوا أكثر من أن شريعتنا مساوية لشريعة إبراهيم، وهذا قد ادعاه المسلمون، فإن أمكننا أن نلزمهم ذلك أمكنهم أن يعارضوا بمثله، قيل: إنّا لم ندّع أن إبراهيم منسوب في الشريعة إلى محمد ﷺ كما ادعوه، وإنما قلنا كان حنيفاً مسلماً، والحنيف المستقيم والمائل إلى الحق[2]، والمسلم المطيع والمستسلم للحق[3]، وهذا من الأسماء التي يتخصص بها كلُّ ذي حق[4]، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٨٩، ٤٩٠)، والوسيط (١/ ٤٤٧)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٢٩) والمحرر الوجيز (٣/ ١١٦) وتفسير أبي السعود (٢/ ٤٨).

(٢) قال ابن قتيبة: «الحنيف: المستقيم. وقيل للأعرج: حنيف، نظراً له إلى السلامة. تفسير غريب القرآن ص (٦٤) وانظر: جامع البيان (٣/ ١٠٤، ١٠٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤١٩)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٠٩، ١١٠).

(٣) انظر: العين (٧/ ٢٦٦)، والمقاييس (٣/ ٩٠)، والمفردات ص (٤٢٣)، ومختار الصحاح ص (٣١١).

(٤) قال النحاس: «فمعنى الحنيف عند العرب: المائل إلى الإسلام على الحقيقة... ومعنى مسلم في اللغة: متذلل لأمر الله منطاع له. ومعنى مؤمن: مصدق لما جاء من عند الله قابل له، عامل به في كل الأوقات، فهذا مما لا يدفع أنه دين كل نبي وملك صالح» إعراب القرآن (١/ ٣٨٤، ٣٨٥).

﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، واليهود منسوب إلى يهودا[2]؛ والنصارى إلى ناصرة[3]، وهما نسبتان حصلتا بعد إبراهيم، فكذبوا في نسبته إليهما، ثم المسلمون موافقون/ لإبراهيم في كثير [٢١٨/] من الأحكام: كحج البيت، والختان، والمضمضة وغير ذلك، وهم يخالفونه في أكثر ذلك، وأيضاً فقد ورد في القرآن أن شريعتنا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) يهوذا: قال الجواليقي: «ويهود أعجمي معرب، وهم منسوبون إلى يهوذا ابن يعقوب، فسموا اليهود، وعُرِّبت بالدال. وقيل: هو عربي، وسُمّي يهوديّاً لتوبته...» المعرب ص (٦٥٠). وانظر: الجمهرة (٢/ ٣٠٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٨٧، ٣٨٨) والمخصص (١٣/ ١٠٣) والزاهر (٢/ ٢١٤)، حيث ذكر أنه عربي، وسُميّ يهوديّاً لتوبته.

(٣) ناصرة: قرية بالشام تنسب إليها النصرانية، وقيل اسمها نصرانة، ونصورية. انظر: العين (٧/ ١٠٩)، والزاهر (٢/ ٢١٣، ٢١٤)، والأضداد لابن الأنباري ص (٣٤١)، والمخصص (١٣/ ١٠٣) والجمهرة (٢/ ٣٥٩) ومعجم ما استعجم (٤/ ١٣١٠). والقاموس ص (٦٢١، ٦٢٢). وقد ذكر الراغب الأصفهاني قولاً آخر في نسبة اليهودية والنصرانية قال: «قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكان اسم مدح، ثم صار نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح. كما أن النصارى في الأصل من قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم». المفردات ص (٨٤٧).

موافقة لشريعته فيما حكى[1]، وهذا ظاهر، ونبّه بقوله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن ما يقولونه ويفعلونه بخلاف مقتضى العقل، وأن العقل يزجر عن اتباع دعوى بلا حجة.

قوله عز وجل: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] ها للتنبيه عمّا يضلّ عنه الإنسان أو يغفل، تقول ها أنا ذا. تنبيهاً لمن غفل عنك[3]، **فإن قيل**: فهب أن الإنسان يغفل عن غيره، فكيف يغفل عن نفسه، حتى يقال: ها أنتم؟ قيل: فليس حقيقة ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ تنبيه المخاطب على وجود ذاته، وإنما هو تنبيه على أحواله التي غفل عنها، فالإنسان قد يغفل عن كثير من معايبه لشغفه بنفسه، فيحتاج أن ينبّه عليه، ولهذا لا يقتصر على قوله:

---

(١) ولذلك أمرنا الله عز وجل باتباع ملته في القرآن فقال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]. وبيّن أن الإعراض عن ملته سفه وضلال، وذلك في قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [البقرة: ١٣٠].

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٣) انظر: العين (٤/ ١٠٢، ١٠٣) والكتاب (٢/ ٣٥٤، ٣٥٥)، وشرح المفصّل لابن يعيش (٨/ ١١٣، ١١٤)، ومغني اللبيب ص (٤٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٠).

﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ حتى يُضم إليه حالة ما، مّما غفلوا عنه، وفي الآية تنبيه على حالة غفلوا عنها، وهي أنهم حاجّوا فيما لا علم لهم به، ولم ترد به التوراة والإنجيل، فيقول: هب أنكم تحتجون فيما ورد به كتب الله المتقدمة فلِمَ تحتجون فيما ليس كذلك[1]؟ ونبّه أن المحاجّة إعلام الحجة، ومن لا يعرفها فكيف يُعَرِّفُها؟ وفي قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ استدعاءٌ لأن يسمعوا، كقولك لمن أخبرته بشيء لا يعلمه: اسمع فإني أعلم ما لا تعلم[2]، و ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ هاهنا جار مجرى الذين و ﴿ حَٰجَجْتُمْ ﴾ صلته[3]، وقيل: بل هو تابع لأنتم جار مجرى عطف البيان، و ﴿ حَٰجَجْتُمْ ﴾ هو الخبر[4]، والمعنى لا يتغير باختلاف التقديرين.

قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5] أنكر الله عليهم محاجتهم في

---

(١) قال أبو حيان: «ولم ينبّه المخاطب هنا على وجود ذاته، بل نبّه على حالٍ غفل عنها لشغفه بما التبس به، وتلك الحالة هي أنهم حاجّوا فيما لا يعلمون، ولم ترد به التوراة والإنجيل. فيقول لهم: هب أنكم...» وذكر كلام الراغب، ولم ينسبه إليه في هذا الموضع. البحر المحيط (٢/ ٥١٠).

(٢) ذكر أبو حيان كلام الراغب هنا، ولم ينسبه إليه. البحر المحيط (٢/ ٥١١).

(٣) ذكر هذا الوجه الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٧١). وقال أبو حيان بعد أن ذكره: «وهذا على رأي الكوفيين». البحر المحيط (٢/ ٥١١).

(٤) ذكر هذا الوجه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥١٠) ولم ينسبه لأحد.

(٥) وهذه الآية ونحوها ـ مما وقع فيه ضمير المخاطب مبتدأ قبل اسم إشارة=

إبراهيم، واستجهلهم فيما ادعوه، وأنه كان على إحدى الملتين اليهودية والنصرانية، وبتّ الحكم على كونه حنيفاً مسلماً على ما تقدم، ثم بيّن أنه لم يكن من المشركين؛ تنبيهاً أن اليهود والنصارى فيما ابتدعوه وادعوه مشركون.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا
[٢١٨/ب] ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ/ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] قد تقدم معنى الولاية والاتباع، وأنه تارة يكون بالسنن وتارة يكون بالاعتقاد[2]. وهذا الثاني هو المراد، ومعنى الآية أن أصدق الناس موالاة لإبراهيم من تبعه في اعتقاده وأفعاله، وهذا النبي والذين آمنوا هم المتبعون له، فإذن هم أحق[3] به، فعلى قوله: ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

= بعده ما يصلح خبراً للمبتدأ ـ اختلف فيه، فقال الكوفيون: اسم الإشارة منادى، وحرف النداء محذوف، وقيل: اسم الإشارة موصول بمعنى الذين وهو خبر، وما بعده صلته. ولا يجيز البصريون مجيئ اسم الإشارة موصولاً. وقد وجّه البصريون هذه الآيات ونحوها توجيهات عدة منها أن اسم الإشارة وما بعده جملة حالية أو مستأنفة. انظر: الكتاب (٢/ ٢٣٠)، والمقتضب (٤/٢٥٨، ٢٥٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤٢، ٢٤٣)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٠٢، ١٠٣). وإملاء ما منّ به الرحمن (١/ ٤٨) والمساعد (٢/ ٤٨٤، ٤٨٥)، [سورة آل عمران: ٦٧].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٢) انظر: ص (٥٠٥) هامش رقم (١) من هذه الرسالة.

(٣) انظر على سبيل المثال: جامع البيان (٦/ ٤٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه=

مبتدأ محذوف الخبر[1]، وقيل: عنى بقوله الذين اتّبعوه: المتّبعون له في زمانه[2]، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ معطوف عليه[3]. إن قيل: لِمَ أفرد ذكر النبي ﷺ عن المؤمنين؟ قيل: لأنه هو المقصود بالولاية، والمؤمنون غير الذين آمنوا وهم تابعوه، ويجوز أن يُجعل المؤمنون عاماً، ويكون إفراد النبي ﷺ تعظيماً له كإفراد جبريل وميكائيل عن الملائكة[4]، وقدّم ذكره تشريفاً له، كقوله:

= (١/ ٤٢٧)، والوسيط (١/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٤، ١٦٥).

(١) أشار أبو حيّان إلى هذا الوجه من الإعراب قائلًا: «ومن أعرب «وهذا النبي والذين آمنوا» مبتدأ والخبر: هم المتبعون، له فقد تكلف إضماراً لا ضرورة تدعو إليه». البحر المحيط (٢/ ٥١٢).

(٢) ذهب إلى ذلك السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٥١)، وقال أبو حيان: ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يشمل كل من اتبعه في زمانه وغير زمانه، فيدخل فيه متبعوه في زمان الفترات. البحر المحيط (٢/ ٥١٢). وانظر: الكشاف (١/ ٣٧١). وحكى الألوسي القولين في روح المعاني (٣/ ١٩٧).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٤، ١٦٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٠٩). وذكر أبو حيان نحواً من هذا الكلام، ونسبه إلى علي بن عيسى. البحر المحيط (٢/ ٥١٢).

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ﴾[1] فقدّم ذكرهما، وإن كانا من جملة النبيين، وإنما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل: وليهم. تنبيهاً أن موالاة الله تعالى تُستحق بالإيمان، وأنها ليست بمقصورة على من تقدم ذكرهم، بل ذلك لكل مؤمن في كل وقت[2]، والولي هاهنا يُحتَمَلُ على وجهين: أحدهما: أن يكون بمعنى الفاعل[3]، ولما ذكر حال إبراهيم ومشاحّة[4] الناس في الانتساب إليه نبّه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنّ إبراهيم استحق منزلته[5] والثاني: أن يكون بمعنى الموالى، أي المؤمنون هم الذين يوالون الله، فأما الكفار فيوالون الشيطان[6]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

(٢) ذكر هذا المعنى الألوسي في روح المعاني (٣/ ١٩٧).

(٣) أي الموالي باللام المكسورة.

(٤) المشاحّة: الضِّنَّة والتنافس والحرص على الغلبة. القاموس ص (٢٨٩). والمعجم الوسيط ص (٤٧٤).

(٥) وهي ولاية الله له، يوضح هذا المعنى ما قاله الطاهر بن عاشور: «وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تذييل أي هؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم، والله وليُّ إبراهيم والذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، لأن التذييل يشمل المذيّل قطعاً، ثم يشمل غيره تكميلًا...» التحرير والتنوير (٣/ ٢٧٨).

(٦) لم أجد أحداً من المفسرين وافق الراغب على هذا التقسيم الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وإنما اقتصروا على الوجه الأول مما ذكر.

﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[2] الطائفة: جمع طائف وهو الذي يطوف، وذلك اعتباراً بطوافهم بالبيت وغيره من متعبداتهم، ولطوافهم في أسفارهم، ثم سُمِّي كل جمع طائفة؛ طافوا أو لم يطوفوا، كتسميتهم بالرفقة؛ ترافقوا أو لم يترافقوا[3]. والإضلال: فعل ما يحصل عنده الضلال، ويقال ذلك له لقَصْدِ الفاعل ذلك أولاً، لأنه يقال مفازة مضلة[4]، كما يقال: أضلني فضللت، ويقال: أضلّه، سواء فعل ذلك بِدعًا[5] أو بغيره، كما يقال: أضلّه الشيطان، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

(٣) انظر: العين (٧/ ٤٥٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٤٥)، والمقاييس (٣/ ٤٣٢)، وقال الراغب في المفردات ص (٥٣٢): «والطائفة إذا أريد بها الجمع فجَمْعُ طائف، وإذا أريد بها الواحد، فيصحّ أن يكون جمعاً، ويكنىٰ به عن الواحد، ويصحُّ أن يُجعل كراويةٍ وعلّامة ونحو ذلك».

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ٤٦٦)، والمصباح المنير ص (١٨٨).

(٥) بدعاً: أي بغير احتذاءٍ واقتداءٍ بأحد. انظر: المفردات ص (١١٠)، والقاموس ص (٩٠٦).

﴿مِن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾[1] لكن الإضلال متى كان/ معه الضلال لا يصح أن يُنفى، فيقال: ما أضلّ المؤمن، [٢١٩/أ]
ويقال تارة الشيطان، وإذا لم يكن معه الضلال صحّ النفي فيه والإثبات جميعاً، ويقال تارة: الشيطان أضلّ المؤمن ولم يضلّ[2].

والود ضرب من المحبة، ويستعمل في معنى التمني، فمتى قُصدَ به التمني استُعمل معه: أن، وتارة: لو، يقول: وددت

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) هذه الفقرة تحتاج إلى توضيح، وقد فصّل الراغب الكلام في معنى (الإضلال) في المفردات، أسوقه باختصار ليتضح المعنى. قال الراغب: الإضلال ضربان: أحدهما: أن يكون سببه الضلال، وذلك على وجهين: إما بأن يضل عنك الشيء كقولك: أضللت البعير. وإما بأن تحكم بضلاله. والثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال وهو أن يُزيّن للإنسان الباطل ليضل. وإضلال الله تعالى للإنسان على وجهين: أحدهما: أن يكون سببه الضلال، وهو أن يضلّ الإنسان فيحكم الله تعالى عليه بذلك في الدنيا، ويعدل به إلى طريق النار. والثاني: أن الله تعالى وضع جِبّلة الإنسان على هيئةٍ إذا راعىٰ طريقاً محموداً كان أو مذموماً ألِفه واستطابه ولزمه. وهذه القوة في الإنسان فعل إلهي، وكل شيء يكون سبباً في فعل صح نسبة ذلك الفعل إليه، فصحّ أن يُنسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه. ولِما قلناه جعَلَ الإضلال المنسوب إلى نفسه للكافر والفاسق دون المؤمن، بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن. انظر: المفردات ص (٥١١) باختصار.

لو خرجت، ولا يجوز إدخال لو فيه إذا أُريد معه المحبة[1]، وإذا كان بمعنى المحبة يتعلق بالأزمنة الثلاثة، وإذا كان للتمني فليس إلا للاستقبال[2]. بيّن تعالى أن طائفة من اليهود والنصارى يتمنون أن يفعلوا ما يؤدي المسلمين إلى ضلالهم وهلاكهم، وكل ما يفعلونه يؤديهم إلى هلاك أنفسهم[3]، ثم بيّن أنهم لا يشعرون

---

(١) انظر الأفعال لابن القوطية (٣/ ٣٢٥)، والمفردات ص (٨٦٠).

(٢) «نقل أبو حيان عن الرمّاني خلاف ذلك، وهو أن «ودَّ» إذا كان بمعنى تمنى، صلح للماضي والحال والمستقبل، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح للماضي، لأن الإرادة كاستدعاء الفعل». البحر المحيط (٢/ ٥١٣).

(٣) اختار الطبري أن يكون الإضلال هنا: الإهلاك، واستدل على ذلك ببيت الأخطل:

كنتَ القَذَى في مَوْجِ أكدَرَ مُزْبدٍ قذَفَ الأتيُّ به فضلَّ ضلالاً

وببيت النابغة: فآب مُضلّوه بعينٍ جَليَّةٍ

وقد ردَّ ابن عطية ذلك، فقال: وهذا تفسيرٌ غير خاص باللفظة، وإنما اطّرد هذا الضلال في الآية، وفي البيتين اقترن به هلاك. وأما أن تفسَّر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٠، ٥٠١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، وقال أبو حيان: «ومعنى: (يضلونكم) يردونكم إلى كفركم، قاله ابن عباس. . . وقال غير ابن عطية: الضلال في اللغة: الهلاك من قولهم: «ضل اللبن في الماء إذا صار مستهلكاً فيه. وقيل معناه: يوقعونكم في الضلال، ويلقون إليكم ما يشككونكم به في=

أنهم يضلون أنفسهم، وإنما قال: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ مبالغة في ذمهم، وأنهم افتقدوا المنفعة بحواسهم[1]، كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ وقول من قال: الآية تدل على أن المعارف مكتسبة بقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، فبعيد عن تصور الفرق بين قولهم: يشعر ويعلم[2]، ورُوي في سبب نزول هذه الآية: أن قوماً من اليهود دعوا عمّار بن ياسر[3] ....

= دينكم، قاله أبو علي». البحر المحيط (٢/ ٥١٣). والذي أراه أن اللفظ يحتمل المعنيين، إذ ليس هناك دليل يدل على قصره على أحدهما، والكفر يؤدي إلى الهلاك، فهما متلازمان، وقد أحسن الراغب في جمعه بينهما.

(١) ذكر أبو حيان عبارة الراغب دون نسبتها إليه. البحر المحيط (٢/ ٥١٤).
سورة البقرة، الآية: ١٨.

(٢) ذكر الراغب هذا المعنى في المفردات، فقال: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ونحو ذلك. معناه: لا تدركونه بالحواس. وفي كثير مما جاء فيه ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يعقلون لم يكن يجوز، إذا كان كثير مما لا يكون محسوساً قد يكون معقولاً. المفردات ص (٤٥٦). وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي وما يعلمون. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٢)، والوسيط (١/ ٤٤٩). والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٠).

(٣) هو عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن ثعلبة بن عوف العنسي أبو اليقظان، حليف بن مخزوم، وأمّه سميّة، صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين إلى الإسلام، عُذّب هو وأبوه وأمّه في الله، حتى بشرهم النبي ﷺ بقوله: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» وفيه نزل قوله=

وحذيفة بن اليمان إلى اليهودية(١).

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾(٢) الشهادة: الإخبار بالشيء عن مشاهدة: إما ببصر، أو ببصيرة، ثم يُعبّر بها عن المعرفة المقتضية لصحة ما يدعي، وإن كان المدعى عليه منكراً بلسانه كقولك لخصمك: أنت تشهد أن الأمر بخلاف ما تذكره(٣). فقوله: ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ منهم من خصَّ، فقال: عنى بذلك الآيات المنزلة على محمد ﷺ(٤)،

= تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل، الآية: ١٠٦] شهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها، قتل بصفين سنة ٣٧هـ، وله ثلاث وتسعون سنة، وقد أخبر النبيّ ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦)، والإصابة (٤/ ٤٧٣)، وتقريب التهذيب ص (٤٠٨).

(١) ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩). ونقل أبو حيان إجماع المفسرين على ذلك. البحر المحيط (٢/ ٥١٣). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٠.

(٣) انظر معنى الشهادة في: مجاز القرآن ص (٩٦)، والمفردات ص (٤٦٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، والقاموس ص (٣٧٢).

(٤) كانشقاق القمر، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى وغير ذلك. قال ابن عطية: «وتحتمل الآية أن يريد بالآيات ما ظهر على يدي محمد عليه الصلاة والسلام من تعجيز العرب، والإعلام بالغيوب، وتكلم الجمادات، وغير=

ومنهم من قال: عنى الآيات التي تدل من الكتابين على صحة نبوة محمد ﷺ[1] ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يعني شهادة بالقلب دون اللسان، أو عنى ما يكون من شهادتهم ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾[2]، وقيل: معناه: وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب: لم تلبسون الحق بالباطل، تنبيهاً أنهم يفعلون ذلك حماية على رياستهم وعصبيّة لملّتهم، لا جهلًا بالحق، بل هم يعلمون[3].

= ذلك». انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٤).

(١) وهذا قول الطبري. وذكر أبو حيان أنه قول ابن عباس وقتادة والسدي والربيع وابن جريج. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٩). وهناك قول ثالث وهو أنّ آيات الله المذكورة في الآية هي القرآن. انظر: الوسيط (١/ ٤٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠) وذكر ابن عطية أن هذا المعنى قاله قتادة وابن جريج والسدي. وهذا يخالف ما أشار إليه أبو حيان. وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥١٤).

(٢) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٣) وسبب الخلاف ما قاله أبو حيان: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: جملة حالية... ومتعلق الشهادة محذوف، يقدَّر على حسب تفسير الآيات، فيُقدَّر بما يناسب ما فُسّرت به، فلذلك قال قتادة والسدّي والربيع: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ =

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1] لبس الحق بالبطل على ثلاثة أوجه[2]: الأول: أن يُحرّف الحق، فيُجعل في صورة/ الباطل. والثاني: أن يُزين الباطل، فيُجعل في صورة الحق. الثالث: أن لا يُميّز أحدهما عن الآخر مع الإمكان، وقد فُسّرت الآية على الأوجه الثلاثة. قال الحسن وابن زيد: هو تحريف التوراة والإنجيل[3]، [٢١٩/ب]

= بما يدلّ على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة. وقيل: يشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها، وقيل بما عليكم من الحجة، وقيل: إن كتبكم حق ولا تتبعون ما أنزل فيها، وقيل: بصحتها إذا خلوتم، فيكون (تشهدون) بمعنى تُقرّون وتعترفون. وقال الراغب: أو عنى ما يكون من شهادتهم ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾، وقيل: ﴿تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ تنكرون كون القرآن معجزاً، ثم تشهدون بقلوبكم وعقولكم أنه معجز». البحر المحيط (٢/ ٥١٤، ٥١٥). وانظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٢، ٥٠٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٠)، والكشاف (١/ ٣٧٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٩)، وفتح القدير (١/ ٣٩٠). أما الوجه الأخير الذي ذكره الراغب فلم أجد له ذكراً في كتب التفسير.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

(٢) انظر معاني اللبس في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٢٤)، والمفردات ص (٧٣٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٠٥) بسنده عن ابن زيد، =

وقال بعضهم: هو الكفر بمحمد ﷺ [مع][1] المعرفة بصدقه[2]، وقيل: هو ما ذكره تعالى من بعدُ في قول بعضهم لبعض ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾[3]، وأما كتمانهم الحق فما كتموه من صفات النبي ﷺ التي دَلّ عليها إشارات التوراة والإنجيل[4]، وقد نهى النبي ﷺ عن كتمان العلم بقوله: «من

= وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٥)، ونسباه للحسن وابن زيد. والبحر المحيط (٢/ ٥١٥).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) قال ابن جرير الطبري: «كان خلطهم الحق بالباطل: إظهارهم بألسنتهم التصديق بمحمد ﷺ وما جاء به من عند الله غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية». انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٤)، وذكر هذا القول أيضاً: الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١) وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٥)، وقال: رُوي عن ابن عباس. وجعل ابن كثير رحمه الله هذا القول تفسيراً للآية، ولم يسُق غيره. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٢). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥١٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٢. وهذا القول ذكره ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٥٠٤) بسنده عن ابن عباس. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، ونسبه لابن عباس وقتادة. وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢١)، وزاد المسير (١/ ٤٠٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٥).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٠١)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٩)، وفتح القدير (١/ ٣٩١).

سُئل عن علم فكتمه. . .» الخبر[1]، وعنى بالآية كتمانه مع وجوب إظهاره: فأما صيانة الحكمة عمن لا يستحقها؛ إما لقصوره عن الوقوف عليها، أو خوفاً أن يجعلها ذريعة إلى فساد، فذلك واجب[2]، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعرفون الحق

(١) أخرجه أبو داود ـ كتاب العلم ـ باب «كراهية منع العلم» رقم (٣٦٥٨)، والترمذي ـ كتاب العلم ـ باب «ما جاء في كتمان العلم» رقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه ـ في المقدمة ـ باب «من سُئل عن علم فكتمه» رقم (٢٦٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥)، والطيالسي رقم (٢٥٣٤). وابن أبي شيبة (٩/ ٥٥) رقم (٦٥٠٤). والطبراني في الأوسط رقم (٢٢٩٠، ٣٣٢٢، ٣٥٢٩، ٣٩٢١) وفي الصحيحين رقم (١٦٠، ٣١٥، ٤٥٢). وابن حبان رقم (٩٥). والحاكم في المستدرك (١/ ١٠١) من طرق عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تُجمع ويُذاكر فيها. وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي. وقال الترمذي: إسناده حسن. وقال العُقيلي في الضعفاء (١/ ٧٤): إسناده صالح. وقال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد» ص (١١): والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة، لكنه صالح.

(٢) ولذلك قال عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله. ذكره البخاري في كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا. بدون إسناد. وقال الحافظ في الفتح: ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم. قال: وممن كره التحديث=

الذي تكتمونه، والتلبيس الذي تأتونه.

إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقال فيما قبله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]؟ قيل: الذي نفى عنهم ما ادعوه من كون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً، وليس ذلك في كتابهم، وما أثبت لهم هاهنا وقفوا عليه[2] من كتابهم من أمر النبي ﷺ فجحدوه، وهذا غاية الذّم، إذ جحدوا ما علموا، وادعوا ما جهلوا.

= ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة... وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العُرنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ماكان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي. وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يُخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب. فتح الباري (١/ ٢٧٢). وانظر: جامع بيان العلم وفضله، باب «آفة العلم وغائلته وإضاعته، وكراهية وضعه عند من ليس بأهله» (١/ ٤٤٢-٤٥٤) فقد ذكر في ذلك نقولاً حسنة عن أئمة السلف منها ما ساقه بسنده عن كثير بن مرة الحضرمي أنه قال: «إن عليك في علمك حقًّا، كما أن عليك في مالك حقًّا، لا تحدِّث العلم غير أهله فتجهل، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحُدِّث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك».

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٢) في الأصل: (عليهم) والصواب ما أثبته.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] الوجه: أصله الجارحة، ولما كان هو أول ما يستقبلك، وأشرف ما في البدن، تارة يُستعملُ في أشرف الشيء، فيقال: هذا وجه كذا؟ وتارة في مبدئه، نحو: وجه النهار[2].

وقوله: ﴿ءَامِنُوا۟﴾ أي أظهروا الإيمان، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي آمنوا بمحمد ﷺ. والطائفة التي قالت ذلك قال قتادة والربيع: هم اليهود بعضهم لبعض[3]، وقال الحسن:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

(٢) تقدم ذكر معنى الوجه ص (٤٧١) من هذه الرسالة. وقال الطبري: ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني أول النهار، وسُمى أوله وجهاً له، لأنه أحسنه، وأول ما يواجه الناظر فيراه منه، كما يقال لأول الثوب «وجهه»، وكما قال ربيع بن زياد:

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتَنا بوجهِ نهار

جامع البيان (٦/ ٥٠٩) وهو قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٩)، والعين (٤/ ٦٦)، ومجاز القرآن (١/ ٩٦)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٠٦)، وزاد المسير (١/ ٤٠٥).

(٣) جامع البيان (٦/ ٥٠٧)، وقد ذكره بسنده عن أبي مالك. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، ونسبه للسدي وابن زيد. وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٣)، ونسبه لقتادة والسدي والربيع وأبي مالك. وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وزاد المسير=

يهود خيبر، قالوا: ليهود المدينة[1] فخصّص. ومعنى الآية قيل: إن النبي ﷺ صلى صلاة الفجر إلى بيت المقدس، ثم نسخ الله ذلك في آخر النهار، فقال: آمنوا بصلاتهم وجه النهار إلى بيت المقدس، [٢٢٠/أ] واكفروا بصلاتهم في آخر النهار إلى الكعبة، لعلهم يتركون/ إذا رأوا التواءكم عليهم[2]، وعبّر عما فعله المسلمون بالإنزال إليهم، لا أنهم أقرّوا بأن ذلك منزل، ولكن على حسب ما قاله المسلمون واعتقدوه، وقيل: ليس القصد في الحقيقة إلى صدر النهار وآخره، بل لما عجزوا عن صرف المؤمنين عن موافقة النبي ﷺ مكاشفة، قالوا: إذاً مروهم[3] بأن يساعدوهم مرّة ويخالفوهم مرّة؛ ليحتالوا على صرفهم عن اتباعه بذلك[4]، فحذّر الله المؤمنين منهم

= (١/ ٤٠٥).

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٢٢) ونسبه للحسن، وانظر: التفسير الكبير (٨/ ٨٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٧).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩، ١١٠)، ونسبه لمجاهد ومقاتل والكلبي. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٤)، والكشاف (١/ ٣٧٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١١)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٧).

(٣) في الأصل: مجوهم. ولا يتضح له معنى.

(٤) أي أنهم قالوا: نُصدِّقه في البعض ونُكذِّبه في البعض، حتى يقول النّاس: =

ليحترزوا. [و][1] منهم من حمل وجه النهار وآخره على مجازٍ آخر، فقال: معناه آمنوا في الظاهر، واكفروا به في الحقيقة[2]، وذلك هو المُعبَّر عنه بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3] الآية، وقيل: فيه وجه رابع، وهو أن علماء اليهود وكانوا قد حدّثوا قبل بعثة النبي ﷺ بأخبار له وُجِدَت على ما أَخبروا به، ثم لما رأوا رياستهم تبطل به ندموا، فقال بعضهم لبعض: قد أخبرنا اليهود بما أخبرنا، فإن كذّبناه دفعة اتهمونا، ولكن نؤمن ببعض، ونكفر

= صدّقوه فيما كان صادقاً، وكذّبوه فيما كان كاذباً فيستريبون بحاله. ويكون وجه النهار وآخره بمعنى البعض على هذا القول. انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣١، ٣٣٢).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) قال أبو حيان: والمراد بآمنوا: أظهِروا الإيمان، ولا يمكن أن يُراد به التصديق. وفي قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حذف أي على زعمهم. وإلا فهم يُكذِّبون ولا يُصدِّقون أن الله أنزل شيئاً على المؤمنين. البحر المحيط (٢/ ٥١٧). وهذا القول ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٠٦، ٥٠٧)، ونسبه لقتادة والحسن وأبي مالك والسدي. وذكره أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩) قال: «قال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عُرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به آخر النهار...». انظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٣، ٥٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤، ٧٦.

ببعض، أي نوهمهم أولاً أنّا نظنّه صادقا ثم يكذبونه[1]، فهذا معنى ﴿ءَامِنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾.

ولإظهارهم الإيمان طورًا والكفر طورًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾[2] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] في قوله ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ قولان: أحدهما: أن يتصل بقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾[4]. والثاني:

---

(١) وهو قول الأصم من المعتزلة، كما حكى الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٨٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٣. وهذه الآية قال عنها القرطبي: «وهذه الآية أشكلُ ما في السورة»، ونقل السمين الحلبي عن الواحدي أنه قال: «وهذه الآية من مشكلات القرآن، وأصعبه تفسيراً، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية، فلم أجد قولاً يطّرد في هذه الآية من أولها إلى آخرها، مع بيان المعنى وصحة النظم» انظر: الجامع لأحكام القرآن(٤/ ١١٢)، والدّر المصون (٣/ ٢٦٠).

(٤) انظر هذا الوجه في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٢) وجامع البيان (٦/ ٥١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٦)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢).

أن يتصل بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾[1] فإذا جعلته متصلًا بقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ فتقديره: ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد، لكن حُذف الجار لكثرة حذفه مع أن[2]. إن قيل: كيف يصح أن يكون ﴿تُؤْمِنُوٓا۟﴾ مفعوله ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ وقد عُدّي إلى قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ و ﴿ءَامَنَ﴾ لا يصحُّ أن يُعدى إلى مفعولين بغير حرف

---

(١) فيكون المعنى: قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. انظر هذا الوجه في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٢)، وجامع البيان (٦/ ٥١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٧) ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) انظر المصادر السابق ذكرها في الوجه الأول. وقد رجح الطبري هذا القول، فقال: وأولى الأقوال من ذلك بالصواب أن يكون قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ معترضاً به، وسائر الكلام متسق على سياق واحد، فيكون تأويله حينئذٍ: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بمعنى: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم... فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ سوى قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾...» جامع البيان (٦/ ٥١٥، ٥١٦). وذهب إلى ذلك أيضاً الواحدي في الوسيط (١/ ٤٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٥٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥١٨)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٣). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢٤، ١٢٥).

العطف؟ قيل: إنّ اللّام تتعلق به، لا على حدّ المفعول به، وتقدير الكلام: لا تُقرُّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع[1]، وقول من قال: اللام زائدة، نحو ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾[2] فبعيد، لأن آمن هنا لا يتعدى إلا بالجار[3].

وفي قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾[4] على هذا[5]

---

(١) ذكر السمين الحلبي عن الفارسي قال: وقال الفارسي: الإيمان لا يتعدى إلى مفعولين، فلا يتعلق أيضاً بجارَّيْن، وقد تَعَلَّقَ بالجار المحذوف من قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ فلا يتعلق باللام في قوله: ﴿ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ إلا أن يُحمل الإيمان على معناه فيتعدى إلى مفعولين، ويكون المعنى: ولا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم كما تقول: أقررت لزيد بألف، فتكون اللام متعلقة بالمعنى ولا تكون زائدة على حدِّ ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾، و ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾. قال السمين: فهذا تصريح من أبي علي بأنه ضمَّن آمن معنى أقرَّ. الدّر المصون (٣/ ٢٥١، ٢٥٢)، وانظر قول الفارسي في الحجة (٢/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٢) سورة النمل، الآية: ٧٢.

(٣) يُقال: آمن به، وآمن له. أي صدّق: انظر الغريبين (١/ ٩٣)، والقول بأن اللام زائدة هو قول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١١). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢) تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٤) والدر المصون (٣/ ٢٥٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٥) أي على هذا القول السابق الذي فيه (تؤمنوا) بمعنى تُقرّوا.

قولان: أحدهما: لا تُقِرُّوا أن أحداً عرف محمّدًا كما/ قد عرفتموه. [٢٢٠/ب]
والثاني: أن خُصّ أحدٌ من العلوم والكرامات بمثل ما خُصصتم.
وقوله ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ أي أو أن يجعل الله للمسلمين حُجةً يحاجونكم بها عند الله[1]، فأكذبهم الله تعالى في الأمرين جميعاً وردّ عليهم، أما في الأول فبقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ تنبيهاً أن ذلك يعطيه من يشاء، نحو ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أمّا في الثاني، وهو قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ فبقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[2].

فقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾ اعتراضٌ بين بعض الجملة وبعضها، تسديداً لها وجواباً لهم، وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) هذا أحد وجوه تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾، انظره وبقية الأوجه في: جامع البيان (٦/ ٥١٢-٥١٦)، وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٣)، معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٢)، والكشاف (١/ ٣٧٣، ٣٧٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٨، ١٢٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٨- ٥٢٠)، والدر المصون (٣/ ٢٥٨-٢٦٠).

(٢) قال أبو حيان: «هذا توكيد لمعنى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وفي ذلك تكذيب لليهود، حيث قالوا: شريعة موسى مؤبدة، ولن يؤتي الله أحداً مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة. فالفضل هو بيد الله أي متصرف فيه...» البحر المحيط (٢/ ٥٢١).

جواب لهم. والاعتراضُ بين المتصلين من الجملة بما فيه تحقيق لمقتضاها، أو ردٌّ لها من بلاغاتِ كلامهم[1]، وعلى ذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ . . ﴾[2] فقوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ فصلٌ بين اسم إنَّ وخبره، لتحقيق مقتضى الكلام، والثاني: وهو أن يجعل أن متصلًا بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾، ويكون كلام اليهود قد انقطع عند قوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا

(١) انظر فائدة الاعتراض في شرح التلخيص ص (١١٦، ١١٧) وقال الزمخشري: «فإن قلت: فما معنى الاعتراض؟ قلت: معناه أن الهدى هدى الله، من شاء أن يلطف به حتى يُسلمِ أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك، ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيّكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين. وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ يريد الهداية والتوفيق» الكشاف (١/ ٣٧٤). وأحسن منه قول أبي حيّان: «ومعنى الاعتراض على هذه الأوجه أنه أخبر تعالى بأن ما راموا من الكيد والخداع بقولهم: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ ﴾ الآية لا يجدي شيئاً، ولا يصدّ عن إيمان من أراد الله إيمانه، لأن الهدى هو هدى الله، فليس لأحد أن يحصّله لأحد أو أن ينفيه عن أحد» البحر المحيط (٢/ ٥٢٠). وإنما كان كلام أبي حيان أحسن من كلام الزمخشري، لأن الزمخشري لم يشر إلى إضلال الله من يشاء، تبعاً للمعتزلة الذين يقولون بأن الله تعالى لا يُضلُّ أحداً، والعبد هو الذي يخلق الضلال والشر لنفسه ولغيره.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٣٠، ٣١.

﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ وفيه أوجه، **الأول**: ما قاله الكسائي(١) والفرّاء وهو: أنَّ أنْ هاهنا تقتضي معنى لا، كما تقتضيه في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾(٢) ومعناه: البيان بيان الله(٣)، وقد بين أن لا يُخَصَّ أحد من الأمم بمثل ماخُصِصْتم به أيها المؤمنون،

---

(١) هو علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي بالولاء، الكوفي أبو الحسن الكسائي، إمام في القراءات واللغة والنحو، من تصانيفه: «معاني القرآن»، و«القراءات»، توفي بالري سنة ١٨٩هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٣)، وطبقات النحويين ص (١٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٣١).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٣) قال الفراء: ويقال: قد انقطع كلام اليهود عند قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ثم صار الكلام من قوله: قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. وجاءت (أن) لأن في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾ مثل قوله: إن البيان بيان الله، فقد بين أنه لا يؤتىٰ أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. وصلحت (أحد) لأن معنى (أن) معنى (لا)، كما قال تبارك وتعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ...﴾ معناه: لا تضلون...»، وقال الكسائي: «المعنى: يبين الله لكم لئلا تضلوا». معاني القرآن (١/ ٢٢٢، ٢٢٣) وانظر: (١/ ٢٩٧، ٣٦٦)، ومعاني القرآن للكسائي ص (١٢٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٠، ٤٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣١١، ٣١٢).

إذ دين الإسلام أكمل الأديان، ومصون عن الإفراط والتفريط.

وقد تقدّم أن شريعة الله قبل نبينا عليه الصلاة والسلام كانت في حكم النشوء والتكميل، وبه عليه الصلاة والسلام كَمُلت[1]، ولهذا قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[3] ويقوي أن معنى ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ لا يؤتى قول الحسن: إن معناه: فلن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أيها المؤمنون[4].

قال المبرّد[5]: لا يكون أن في كلامهم مقتضياً للا، وإنما تقدير

---

(١) بيّن الراغب وسطية الإسلام وصيانته عن الإفراط والتفريط واعتداله في كل الأمور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ من سورة البقرة. انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٣ ـ مخطوط).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) «لم أجد هذا القول منسوباً للحسن إلا فيما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٦)، فذكر أن كلام اليهود تام عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، والباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيء من قولهم، وتقديره: قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد...» قال ابن الجوزي: هذا معنى قول الحسن وسعيد بن جبير. وذكر ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم هذا القول عن السدّي. انظر: جامع البيان (٦/ ٥١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٨١).

(٥) هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس البصري، شيخ أهل النحو، وحافظ علم العربية، ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ، وتوفي=

ذلك: كراهة أن يؤتى أحد، وجعل المعنى كما تقدم[1]، وهذا التقدير بعيد، لأجل أن أحداً هذا يختص بالنفي وما في معناه، وعلى تقديره، ويكون مستعملًا في الإيجاب[2]. على أن بعض النحويين ذكروا أن أحداً هاهنا هو المستعمل في الإثبات في نحو قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3]. وقوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ تقديره عند الفرّاء: حتى يحاجّوكم أو إلى أن يحاجّوكم[4]، وذلك على سبيل التبعيد، وعلى قول الكسائي: معطوف/ على قوله أن يؤتى [٢٢١/أ] على تقدير أو أن يحاجوكم. وحُكي أنه في قراءة عبدالله: أن[5]،

= ببغداد سنة ٢٨٦هـ. له مصنفات كثيرة زادت على الأربعين، ومنها: «الكامل»، و«المقتضب»، و«إعراب القرآن»، و«الاشتقاق». انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠)، ووفيات الأعيان (١/ ٤٩٥)، وطبقات المفسرين (٢/ ٢٧١)، وبغية الوعاة (١/ ٢٦٩).

(١) نسب هذا القول للمبرد الزجاج في إعراب القرآن (١/ ٤٣١)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٥١١).

(٢) وقال أبو حيان بعد أن حكى قول المبرِّد: ويحتاج إلى تقدير عامل فيه، ويصعب تقديره، إذ قبله جملة، لا يظهر تعليل النسبة فيها بكراهة الإيتاء المذكور. البحر المحيط (٢/ ٥١٩).

(٣) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٣). وفيه (إلاّ) وليس (إلى) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٣، ١١٤).

(٥) قال ابن عطية: وقرأ ابن مسعود: (أن يُحاجّوكم) بدل (أو) المحرر =

وذكر بعضهم أن قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ متعلق بفعل مضمر، وتقدير الكلام: قل إن الهدى هدى الله، فلا تجحدوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو أن يحاجّوكم، فإن الله عنده الفضل يؤتيه من يشاء[1]، فهذه ثلاثة أوجه في قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ إذا لم يُجعل متعلقاً بما تقدم[2]، وذكر بعض المفسرين أن قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ كلّه خطاب الله المؤمنين، لا حكاية عن الكفار[3]، وذَكَر في تفسيره

= الوجيز (٣/ ١٢٩).

(١) قال الزمخشري: «ويجوز أن ينتصب ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ بفعل مضمر يدلُّ عليه قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، كأنه قيل: إن الهدى هدى الله، فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، لأن قولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا» الكشاف (١/ ٣٧٤). قال أبو حيان: «وهو بعيد، لأن فيه حذف النهي ومعموله، ولم يحفظ ذلك من لسانهم». البحر المحيط (٢/ ٥١٩). وقال السمين الحلبي بعد أن ذكر كلام الزمخشري وتعقيب أبي حيان عليه: قلت: متى دلَّ على العامل دليل جاز حذفه على أي حالة كان. الدر المصون (٣/ ٢٥٤).

(٢) انظر إعراب هذه الآية في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٧، ٣٨٨)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤١١)، وللفراء (١/ ٢٩٧، ٣٦٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠، ٤٣١)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٢٩٢، ٢٩٣)، وكشف المشكلات (١/ ١٦٢، ٢٣٨، ٢٣٩)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٨-٥٢١).

(٣) قال القرطبي: ويحتمل أن تكون الآية خطاباً للمؤمنين من الله تعالى على=

أوجهًا: الأول: أن يكون تقديره: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى. ويكون ذلك تبييناً أن هذه الشريعة أكمل الشرائع على ما تقدم. والثاني: أن يكون ذلك حثًّا على موالاة المؤمنين، ونهياً عن مخالطة الكافرين، نحو: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[1] أو نحوها من الآيات. والثالث: أن يكون فيه مع المعنى المتقدم حثٌّ على أن لا يصاحب المؤمن من لا تكون طريقتُه طريقتَه، فيُشغل عما هو بصدده[2]، وقال بعض الصوفية: لا تفشو أسرار

= جهة التثبيت لقلوبهم والتشحيذ لبصائرهم؛ لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم، والمعنى: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الفضل والدين، ولا تصدقوا أن يحاجّكم في دينكم عند ربكم من خالفكم أو يقدر على ذلك، فإن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد الله». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٤). واقتصر القشيري في إشاراته على هذا الوجه من التأويل، فقال: يحتمل أن يكون هذا ابتداء أمر من الله سبحانه للمسلمين. لطائف الإشارات (١/ ٢٦٣).

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٢) ولكن أغلب المفسرين على أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ حكاية عن قول الطائفة المذكورة من أهل الكتاب. وقد بالغ ابن عطية فقال: «ولا خلاف بين أهل التأويل أن هذا القول من كلام الطائفة» المحرر الوجيز (٣/ ١٢٤)، وردّ ذلك الإطلاق أبو حيّان قائلًا: «وليس كذلك، بل من المفسرين من ذهب إلى أن ذلك من كلام الله، =

الحق إلى غير أهله، ولا تُصدِّقوا بظهور كرامة على غير المحافظين على ظاهر الشريعة، إبطالاً لمن يدّعي الوصول إليه بلا مشقة يتحمّلها وعبادة يتكلّفها[1]، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ تنبيه على سعة غناه وجوده وعلمه بما يأتيه ويدعه[2]، فلا يتهم فيما يفعله ويذره.

قوله عز وجل: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]

الاختصاص: انفراد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة[4]، والفضل في الإعطاء: الزيادة على المستحق الذي هو العدل[5]،

= يثبت به قلوب المؤمنين...» البحر المحيط (٢/ ٥١٨).

(١) أشار القشيري إلى بعض هذا المعنى فقال: والإشارة فيه: ألا تعاشروا الأضداد، ولا تفشوا أسراركم للأجانب. لطائف الإشارات (١/ ٢٦٣).

(٢) في الأصل: (ويدعيه) والصواب ما أثبته.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.

(٤) قال الراغب: والتخصيص والاختصاص، والخصوصية والتخصُّص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم والتعمُّم والتعميم. المفردات ص (٢٨٤)، وانظر: جامع البيان (٢/ ٤٧١). والبحر المحيط (١/ ٥١٠)، وعمدة الحفاظ (١/ ٥٨٤).

(٥) انظر معاني الفضل وأقسامه في: مجمل اللغة ص (٥٦٩)، والمفردات ص (٦٣٩)، والقاموس ص (١٣٤٨).

وهو المعبر عنه بالإحسان[1] في قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[2] ولأنه من تمام قوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ تنبيهاً أنه إذا كان واسعاً وعالماً، فسعته تقتضي أن يوسِّع على عباده، وعلمه يقتضي أن لا يحرم رحمته مستحقها، وفضله يقتضي أن يتجاوز تحري العدالة إلى تحري الإفضال، وهو أن يفضل على غير مستحقيه، وإلا لم يكن فضل عظيم[3]، وقول[4] الحسن ومجاهد والربيع: إن الرحمة هاهنا النبوة[5]. وقول ابن جريج: هي

---

(١) قال ابن فارس: والإفضال: الإحسان. مجمل اللغة ص (٥٦٩).

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) انظر: جامع البيان (٢/ ٤٧١) و(٦/ ٥١٨)، وبحر العلوم (١/ ٢٧٧)، والتفسير الكبير (٨/ ٨٧، ٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٣)، وروح المعاني (٣/ ٢٠٢).

(٤) في الأصل: (وقال) والصواب ما أثبته لدلالة السياق بعده.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١٧) بسنده عن مجاهد. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٢) بسنده عن مجاهد. وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١٨) بسنده عن الربيع. وقال ابن أبي حاتم في القرآن العظيم (٢/ ٦٨٣) وروي عن الربيع بن أنس مثل ذلك. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٢)، ونسبه للحسن ومجاهد والربيع. وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٨) ونسبه لمجاهد، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٥)، ونسبه للحسن ومجاهد، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٢١) ونسبه للثلاثة.

القران[1]، صحيحان[2]. لأن كليهما داخلان في الرحمة، ولا شك أن من أعطيهما فقد خُصَّ برحمةٍ منه، وكذلك قول من قال: عنى بالرحمة الحسنى المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾[3] وقول من قال: عنى به الوقوف على حقائق كلامه، الذي خص به خواص عباده[4] الموصوفين بقوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾[5]، فكل/ ذلك داخل في عموم رحمته[6]. [٢٢١/ب]

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١٨) بسنده عن ابن جريج. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٢) والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٢١)، ونسبوه لابن جريج.

(٢) في الأصل: (صحيحا) بحذف النون والصواب ما أثبته.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١. ولم أجد ذكراً لهذا القول فيما لديّ من تفاسير.

(٤) هذا من إشارات الصوفية، وإلى هذا المعنى أشار القشيري بقوله: «ويقال: يختص برحمته من يشاء بالفهم عنه، فيما يكاشفه به من الأسرار، ويلقيه إليه من فنون التعريفات» لطائف الإشارات (١/ ٢٦٣).

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٢.

(٦) أشار أبو حيان إلى عموم الرحمة في الآية بقوله: «والرحمة هنا عامة بجميع أنواعها. أو النبوة والحكمة والنصرة، اختصَّ الله بها محمداً ﷺ، قاله علي، والباقر، ومجاهد، والزجاج. أو الإسلام قاله ابن عباس. أو القرآن، أو النبي ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهو نبي =

إن قيل: ما فائدة ترك التبيين في نحو قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، وإبهام القول فيه؟ قيل: الفائدة في ذلك أن يبقى رجاء الراجي وخوف الخائف الممدح بهما في قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[(١)]، وليقطع بذلك ملاحظات المجاهدات، وليبين أن الإنسان وإن بذل غاية الجهد في العبادة، فرحمته هي التي تنقذه[(٢)]، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة أحد بعمله»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته»[(٣)].

= الرحمة، أقوال خمسة أظهرها الأول». البحر المحيط (١/ ٥١٠).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٧. وذكر هذا الجزء من القول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٥)، ونسبه إلى أبي عثمان.

(٢) أشار ابن جرير إلى هذا المعنى عند تفسير للآية (١٠٥) من سورة البقرة فقال: «وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تعريض من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب: أن الذي آتى نبيَّه محمداً ﷺ والمؤمنين به من الهداية تفضُّلٌ منه، وأن نعمه لا تدرك بالأماني، ولكنها مواهب منه، يختصُّ بها من يشاء من خلقه. وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فإنه خبر من الله جلَّ ثناؤه عن أن كلَّ خيرٍ ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداءً وتفضلاً منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه» جامع البيان (٢/ ٤٧١).

(٣) ثبت من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما. أما حديث عائشة فأخرجه البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب القصد والمداومة على العمل، =

قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١)، يقال: دُمْتَ تدوم ودِمْتَ تَدَامُ(٢)، وقال بعضهم: مِت ودِمت، وكل يقول: تدوم وتموت(٣)،

= رقم (٦٤٦٧). ومسلم ـ كتاب صفات المنافقين ـ باب لن يدخل الجنة أحد بعمله، ورقم (٢٨١٨). وأما حديث أبي هريرة فقد تقدم تخريجه ص (٢٨) من هذه الرسالة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٢) قال ابن دريد: «... فمن قال: مِتَّ قال: يمات...، ومن قال: دِمْتَ قال: يَدام...» الجمهرة (٣/ ٤٨٥).

(٣) قال كراع النمل: «وليس في السالم من الأفعال على مثال فَعِل يَفْعُل إلا فضل يفضُل، ... فأما المعتل فمتّ تموت، ودمت تدوم...» المنتخب (٢/ ٥٦٠، ٥٦١). وانظر: الكتاب (٤/ ٣٤٣)، والمفردات ص (٣٢٢)، والمخصص (٦/ ١١٩)، والمشوف المعلم (١/ ٢٧٩)، قد ذكر النحّاس أن في توجيه مِتّ ـ بالكسر ـ قولين: ـ قوله سيبويه: «أنه شاذ جاء على مِتَّ تموت...». ـ قول الكوفيين الذين قالوا: «من قال: مِتَّ قال: يمات، مثل خفت تخاف. ومن قال مُت قال: يموت...». واستحسن النحّاس قولهم. انظر: إعراب القرآن (١/ ٤١٥). وأما ابن جني فجوّز أن تكون هذه المسألة من تداخل لغات العرب وشرح ذلك بقوله: «... فيكون بعضهم يقوله: مِتَّ تمات، وبعضم يقول: مُتَّ تموت، ثم سمع من أهل=

وقوله قائماً. قال قتادة: قائماً بالتقاضي والمطالبة[1]، وقال السدّي: بالاجتماع معه[2]، وقال غيرهما: القائم بالشيء: المواظب على الشيء، المجتهد في حفظه[3]، نحو قوله: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[4] وذلك يدخل فيه ما تقدم من الأقوال، وقد تقدم الكلام في القنطار[5]، ولما ذكر الله تَبَجُّحَ[6] اليهود بأنهم أوتوا ما لم

= لغةِ الماضي، وسمع من أهل لغة أخرى المضارع، فتركبت من ذلك لغة أخرى» المنصف (١/ ٢٥٦).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٣)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٠، ٥٢١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٣) عن السدي قال: يعترف بأمانته ما دمت قائماً على رأسه. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٤)، والدر المنثور (٢/ ٧٧).

(٣) وهذا قول مجاهد وابن قتيبة. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٢٠)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩). ومن المفسرين من جعل قول مجاهد وقتادة قولاً واحداً، لأن المواظبة تكون في التقاضي والمطالبة. انظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٥) انظر: ص (٤٤٨) من هذه الرسالة.

(٦) في الأصل: (تجح)، بسقوط حرف الباء والصواب ما أثبتّه.

يُؤت أحد، أكذبهم الله فذكر خيانتهم، لكن فصَّلهم لِمَا كان من جملتهم من له أمانة، وقال قائل: عنى بالذين يؤدون الأمانة المسلمين منهم، مثل عبدالله بن سلام وأشكاله(١)، ورد عليه بعض الناس، وقال: إن الآية نزلت بعد إسلام عبدالله، وهذا الرادّ يتصور أن أهل لا يُطلق على من أسلموا، وليس الأمر كذلك، بل حقيقة أهل الكتاب يتناول من لا يُنكر صدقاً ولا يجحد حقًّا، ولا يتناول من بقي بعد بعثة النبي ﷺ على دينه ولم يتبعه إلا مجازاً(٢)، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾(٣)

---

(١) وهذا القول ينسب إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ قال: يعني عبدالله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه. . . » انظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٦)، وزاد المسير (١/ ٤٠٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٣). وعبدالله بن سلام الإسرائيلي، هو أبو يوسف. وقيل: أبو الحارث حليف بني الخزرج. وقيل: اسمه الحصين، فسمّاه النبي ﷺ عبدالله، صحابي مشهور له أحاديث وفضل، مات بالمدينة سنة ٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٣)، (والإصابة ٤/ ١٠٢)، والتقريب ص (٣٠٧).

(٢) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وقد خاطبهم القرآن بذلك بعد تكذيبهم لرسول الله ﷺ وكفرهم به وتحريفهم كتابهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠، ٧١].

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

أي يخونون، ويقولون: لنا إصابة أموال العرب لشركهم، وإلى هذا ذهب ابن عباس [فقد قال له رجل:][1] إنا نمر بأهل الكتاب فنأكل من طعامهم، ونذبح لهم الدجاج، فقال: وتقولون كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، لا يجوز إلا بطيب النفس[2]. قال الحسن وابن جريج: كانت اليهود عاملوا العرب، فلمّا أسلموا امتنعوا من ردِّ أموالهم، وقالوا: / لا يحق لكم بعد [٢٢٢/أ] أن دخلتم في الإسلام[3]، وقيل معناه: ليس علينا سبيل لكوننا أبناء الله وأحباءه، ومن عدانا عبيدٌ لنا، ومالهم مالنا فلا حرج

---

(١) ما بين المعكوفين غير موجود بالأصل والسياق يقتضيه. والقصة التي ورد فيها هذا الحوار بينهما مشهورة، والرجل، ذكر عبدالرزاق أنه: صعصعة بن معاوية. وذكر ابن أبي حاتم أن اسمه صعصعة بن يزيد، وذكره الطبري باسم صعصعة. انظر: المصادر التالية:

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن (١/ ١٢٣، ١٢٤)، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٣، ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٤). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٣٣)، والكشاف (١/ ٣٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٤)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٤) بسنديهما عن ابن جريج. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٣) والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٥٦) عن الحسن وابن جريج ومقاتل. وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٢٥).

علينا في تناوله[1]، وهذه أقوال متقاربة، وكانوا قد زعموا أن ذلك دين شرعه الله لهم[2]، فأكذبهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[3]، وذكر أنهم يعلمون أن الأمر بخلاف ما يقولون تعظيماً لكذبهم.

قوله عز وجل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4] عهده: يصِحُّ أن يُقدّر مضافاً إلى الفاعل، وأن يكون مضافاً إلى المفعول[5]، فالإنسان مدعو إلى الوفاء بهما، وقيل: وفّى لغة

---

(١) أشار الرازي إلى هذا القول في التفسير الكبير (٨/ ٩١).

(٢) فقد روي عن السدّي وابن جريج وغيرهما أن طائفة من أهل الكتاب ادعت أن في التوراة إحلالاً لهم أموال الأميين، كذباً منها، وهي عالمة بكذبها. انظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٦)، وزاد المسير (١/ ٤١٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٥) قال السمين الحلبي: و«بعهده» يجوز أن يكون المصدر مضافاً لفاعله، على أن الضمير يعود على «مَنْ» أو إلى مفعوله على أنه يعود على «الله». الدر المصون (٣/ ٢٦٩، ٢٧٠). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٢٦)، وفتح القدير (١/ ٣٩٣). وقال الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٦): والهاء في قوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ عائدة على اسم الله في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾.

نجد[١]، وأوفى لغة الحجاز[٢]، وقيل: هما كمحمد وأحمد[٣].

و ﴿بَلَىٰ﴾ قيل: هو إضراب عن الأوّل، أي بلى عليهم سبيل، فيكون وقفاً[٤]، وقيل: فيه مع الإضراب عن الأوّل اعتمادٌ على الثاني، نحو أن يُقال: قدم فلان. فتقول بلى[٥] طلب كذا فلا يوقف عليه.

---

(١) نجد: النجد من الأرض قفافها وصلابتها، وما غلظ وارتفع واستوى. ونجد علم على بلاد واسعة في جزيرة العرب. وحدود نجد: ما سال من سروات الحجاز شرقاً ومن الناحية الشمالية العراق ومشارف الشام، ومن الناحية الجنوبية الربع الخالي، ومن الناحية الشرقية الأحساء وجوفها. انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز ص (٢١٧-٢١٨).

(٢) الحجاز: مكة والمدينة والطائف ومَخَاليفُها، سميت بذلك لأنها حجزت بين نجد وتهامة، أو بين نجدٍ والسَّراة. القاموس المحيط ص (٦٥٣). وانظر: معجم البلدان (٢/ ٢١٨).

(٣) انظر: العين (٨/ ٤٠٩)، والجمهرة (١/ ١٨٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٩)، والكشاف (١/ ٣٧٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٦)، وفتح القدير (١/ ٣٩٣).

(٥) ذكر الفخر الرازي هذا الوجه ولم ينسبه لأحدٍ، فقال: والثاني: أن كلمة «بلى» كلمة تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده، وذلك لأن قولهم: ليس علينا فيما نفعل جناح. قائم مقام قولهم: نحن أحباء الله تعالى، فذكر الله تعالى أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى لا غيرهم. =

إن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ بعد قوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾؟ قيل: فيه وجهان: أحدهما: أي يُجعلُ التقوى عامّاً، وإذا جعلت التقوى خاصًّا فلأنها هي المقصودة. إن قيل لِمَ: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ولم يقل: يحبهم؟ قيل: تنبيهاً أن محبته إياهم لأجل التقوى[١]، فإنك إذا قلت: جاءني يزيد الظريف فأكرمته، لم يقتضِ صريح اللفظ أن إكرامك إياه لظرفه، وفي الآية تنبيه على قياسٍ نتيجتُه أن الله تعالى لا يحبُّ اليهود بوجهٍ، وبيانه أن الله يحب المتقين، ومن لا يوف بعهده [فليس بِمُتَّقٍ][٢]، واليهود غير موفين، فإذن لا يحبُّهم الله.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] عهد الله متضمن لكلِّ عهد عَهِد إليهم بما ركبَّه تعالى في عقولهم، وما عهد إليهم على لسان أنبيائهم، ولما أخذه الإنسان على نفسه من أمرِ التزمه بنذرٍ، أو يمين، أو حلف، أو عقد مما لا يلزمه من جهة الشرع بغير التزام[٤]،

= وعلى هذا الوجه فإنه لا يحسن الوقف على «بلى». التفسير الكبير (٨/ ٩١).

(١) قال أبو حيّان: وأتى بلفظ المتقين عامًّا تشريفاً للتقوى وحضًّا عليها. البحر المحيط (٢/ ٥٢٦).

(٢) ليست بالأصل، ولا يستقيم السياق إلا بها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٤) قال الراغب في المفردات ص (٥٩٢): «وعهد الله تارة يكون بما ركّزه في=

وقد تقدم[1] في قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[2] أنه لم يعن به القلة المعتبرة بإضافة بعض الأثمانِ إلى بعض، بل ذلك باعتبار منافع الدنيا بمنافع الآخرة، فذمّ الله تعالى من توصَّل إلى نفع عاجل بإضاعة عهد الله[3]، ولكون الوفاء سبباً لعامة الصلاح، والغدر سبباً لعامة الفساد، / عظَّم الله أمرهما، وأعاد في عدة مواضع [٢٢٢/ب] ذكرهما، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[4]، وقال: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾[5] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

= عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبالسنةِ رسلُه، وتارة بما نلتزمه، وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجري مجراها...».

(١) انظر: تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١] (ق ٤٥ ـ مخطوط).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩. وانظر تفسير الراغب (ق ٦٩ ـ مخطوط).

(٣) قال الراغب: وليس استعمال «القلة» في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لأجل اعتبار ثمنين من أعراض الدنيا، كما تصوَّر بعض الناس فاعترض على الآية، وقال: ذلك يقتضي جواز اشتراء الثمن الكثير بآيات الله، بل جعل الاعتبار هٰهنا بمنافع الدنيا والآخرة. وقد علمنا أن منفعة الدنيا طفيفة إذا اعتبرت بمنفعة الآخرة، وإذا كان كذلك فمن اشترى بآيات الله منافع الدنيا وترك منافع الآخرة فقد خسر خسراناً مبيناً. تفسير الراغب (ق ٤٥ ـ مخطوط).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[1] وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾[2].

وكذلك عظّم أمر الأيمان لذلك، فقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف على يمين فاجرة؛ ليقتطع بها مال امرئٍ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان»[4]، وبيّن تعالى أن من تحرّى غدراً آثر به الحياة

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٤) أخرجه البخاري ـ كتاب «المساقاة» ـ باب «الخصومة في البئر» رقم (٢٣٥٦)، وأخرجه في كتاب «الخصومات» باب «الخصوم بعضهم في بعض» رقم (٢٤١٦)، وأخرجه مسلم ـ كتاب «الأيمان»، باب «وعيد من اقتطع من مسلم بيمين فاجرة بالنار» رقم (١٣٨). وأبو داود «كتاب الأيمان» باب فيمن حلف يميناً ليقتطع بها مالاً لأحد، رقم (٣٢٤٣). والترمذي ـ كتاب البيوع ـ باب اليمين الفاجرة ليقتطع بها مال المسلم رقم (١٢٦٩). وابن ماجه في «الأحكام» ـ باب من حلف على يمين فاجرة، رقم (٢٣٢٣). وأحمد في المسند (١/ ٣٧٧، ٤١٦، ٤٤٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣) رقم (٩٥)، والطيالسي رقم (٢٦٢، ١٠٥٠، ١٠٥١)، وأبو يعلى في مسنده (٥١١٤، ٥١٩٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٨٤)، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٠٨٤، ٥٠٨٦)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٧٨) جميعهم من حديث أبي هريرة.

الدنيا فذلك بأنه لا خلاق له في الآخرة، أي لا معرفة له بها، ولا نصيب له فيها، تنبيهاً على ما قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[٢] فمكالمة الله للعبد قسمان: مكالمته إياه في الآخرة، وذلك على أضرب: **الأول**: مكالمته إياه من غير واسطة[٣]، وذلك كحال موسى عليه الصلاة والسلام[٤]، حيث وصفه بقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٥]. **والثاني**: مكالمته إياه بواسطة بشرية، وذلك لمن وصفهم بقوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٦]، والناس في سماع كلام الله تعالى على أضرب: **الأول**: من يسمع كلامه ويعقل معناه ويعمل بمقتضاه، وهم الذين ذكرهم بقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[٧]. **والثاني**: من يسمعه [و][٨] يعقله ولا يعمل به، وهم

---

(١) سورة الروم، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٣) هذه أقسام مكالمة الله للعبد في الدنيا، ويبدو أن هناك سقطاً وقع فيه الناسخ، تضمن الكلام على مكالمة الله للعبد في الآخرة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٤).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٧) سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٨) سقط حرف الواو من الأصل والسياق يقتضيه.

الذين ذكرهم بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[1]. والثالث: من يسمعه ولا يعقله ولا يعمل به، الذين ذكرهم بقوله: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾[2]، وأكثر المفسرين حملوا قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ على الآخرة، فقال بعضهم: عنى أنه لا يكلمهم كلاماً يسرُّهم، وأما ما يسوؤهم فبلى[3]، فقد قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقال بعضهم: لا يكلِّم[5] الكفار بوجه، وإنما يسائلهم بلسان الملائكة[6]، ....

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٨.

(٣) هذا القول مرويّ عن ابن عباس كما ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١١) عن ابن عباس أنه قال: لا يكلمهم الله كلام خير، وهو قول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٨). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٤)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (١/ ٦٦٧)، (٢/ ٥٢٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٤).

(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

(٥) في الأصل: (لا يكلمهم)، والصواب ما أثبته.

(٦) وهو قول الزجاج كما أشار أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٢٦)، وحكى الزجاج القولين في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٤). والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٤). وذكر ابن الجوزي هذا القول في زاد=

وقال بعض المفسرين[١] : يتناول ذلك في الدنيا والآخرة، فإنه تعالى يُكلم أولياءه في الدنيا لانتفاعهم بما يسمعونه من كتابه وسائر آياته وآثار صنائعه، ومن لم ينتفعوا بعظاته لم يحصل منه لهم مكالمة[٢]، ولهذا قال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[٣] وقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ فنظر الله إلى العبد يكون في الدنيا بإفاضة النعمة، وفي الآخرة بالإثابة[٤]،

المسير (١/ ٤١١) فقال: وإن قلنا إنها - أي الآية - في اليهود والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلًا. وانظر: التفسير الكبير (٨/ ٩٣). والبحر المحيط (١/ ٦٦٧).

(١) في الأصل: وقال بعض المفسرين قال.

(٢) أشار الألوسي إلى هذا القول في تفسيره فقال: «وقيل المراد أنهم لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته، ولا يخفىٰ بُعدُه» روح المعاني (٣/ ٢٠٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٤) قال الراغب في المفردات: ونظر الله تعالى إلى عباده هو إحسانه إليهم وإفاضة نعمه عليهم. المفردات ص (٨١٣). وقصر صفة النظر على الإحسان، فيه نوع من التأويل المخالف لمذهب السلف، لأنه تفسير خلا عن إثبات الصفة. والأولى شرح المعنى المنفي هنا في الآية، وهو أن الله تعالى لا يعطف على من كانت هذه حالهم بخير، مقتاً منه تعالى لهم، وهو تفسير بالمقتضي ودلالة الصفة. وهذا هو الذي ذكره أئمة التفسير الذين لا يجاوزون النصَّ والأثر في تفسيرهم. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٢٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٤)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٨٦٩).

ولما كانت نعمة الله الدنيوية عامة للمسلم والكافر، [و][1] نعمته
[٢٢٣/أ] الأخروية محرمة/ على الكافر، قال: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
فخصّ[2]، وأما التزكيةُ فقد تكون في الدنيا بتوفيقه وإرشاده إلى ما يزداد به العبد بصيرة وفي الآخرة بالإثابة، وكل ذلك ممنوع من الكافر[3]، ثم قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، تنبيهاً أن ثمرة منع هذه الأشياء إيجاب العذاب لهم، أو تنبيهاً أنهم مع منعه إيّاهم هذه النعم، يجعل لهم زيادة في العذاب الأليم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]

---

(١) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٢) انظر أقوال المفسرين: جامع البيان (٦/ ٥٢٨)، وبحر العلوم (١/ ٢٧٩)، والوسيط (١/ ٤٥٣)، تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٦) وروح المعاني (٣/ ٢٠٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٢٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٨)، وزاد المسير (١/ ٤١١) والبحر المحيط (٢/ ٥٢٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

اللّيّ: من لويت يده، وعنهم[1] لويت الغريم ليًّا وليّاناً، فتَلْتُه عن حقه بمطلة، وليّ الألسنة: قيل تحريف اللسان عمّا في القلب، وهو الكذب، وقيل: هو التنطُّع والتجمُّل بالكلام لتشبيهه بغيره، وقيل: ليّهم بألسنتهم: تحريفهم بالتأويل الباطل[2]، وكما ذم تعالى بعضهم بقلة الوفاء بعهد الله ذم بعضهم بالكذب على الله تعالى، الذي هو أفظع كذب وأشنعه، وعنى بالكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المعني بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3]، وبالكتاب الثاني التوراة، ونفى أن يكون ذلك من الكتاب الذي هو المنزل[4] ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي من حكمه وإنزاله، إن قيل: ما فائدة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ بعد قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أفاد أنهم يشبِّهون ويروون ذلك، وهذا تعريض منهم، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تصريح منهم بالكذب، فوصفهم بأنهم يكذبون

---

(١) كذا في الأصل: ويبدو أنه يقصد أهل العربيّة.

(٢) انظر: العين (٨/ ٣٦٣)، ومجاز القرآن (١/ ٩٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٧)، وجامع البيان (٦/ ٥٣٦)، والمفردات ص (٧٥٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٣٥) والبحر المحيط (٢/ ٥٢٨).

تعريضاً وتصريحاً، أو تلاوة وتأويلاً[1]، وفي هذا دلالة أن إيهام الكذب قبيح، كما أن التصريح به قبيح، وأيضاً فإن الشيء قد يقال هو من عند الله ولا يكون من الكتاب، فإن كلَّ صواب وحكمة فمن عند الله، وإن لم يكن منزّلاً في كتاب، وعلى ذلك قال النبي ﷺ: **«إذا أتاكم عني حديث يدلُّ على هدى ويكف عن ردى فاقبلوه، قلته أو لم أقله، فإني قلته»**[2]، وفائدة ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) قال الزمخشري: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ تأكيد لقوله: هو من الكتاب، وزيادة تشنيع عليهم، وتسجيل بالكذب، ودلالة على أنهم لا يُعرضون، ولا يُوَرّون، وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا، وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم، ويأسهم من الآخرة. الكشاف (١/ ٣٧٧).

(٢) ذكر الذهبي نحو هذا الحديث في سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٨) في ترجمة أبي معشر السندي قال: «يحيي بن بكير عن أبي معشر، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لا أعرفنَّ أحدكم متكئاً يأتيه الحديث من حديثي فيقول: اتلُ عليَّ قرآناً، ما أتاكم من خير عني قلتُه أو لم أقلْه، فأنا أقوله، وما أتاكم من شرٍّ فإني لا أقول الشرَّ» قال الذهبي: هذا منكر بمرة، وله شاهد رواه يحيي بن آدم عن ابن أبي ذئب عن المقبري». وروى البزار نحوه مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حُدِّثتم عني حديثاً فوافق الحقَّ فأنا قلتُه» قال البزار: ما عرفت أشعث ـ أحد الرواة ـ قال الحافظ ابن حجر: قلت: هو معروف بالضعف قال البخاري: منكر الحديث. انظر: مختصر زوائد مسند البزار للحافظ ابن=

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بعد الذي تقدم ذكره تنبيهٌ أن كلا الأمرين منهم كذب؛ لَيُّ الألسنة، وقولهم: هو من عند الله، وإعلام أن ليس كذبهم/ [٢٢٣/ب] مخصوصاً بهذين فقط، بل هم كَذَبة كقولك: فلان تقوَّل عليَّ كذا وهو كاذب، ثم قال: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تشنيعاً عليهم، وأنهم غير معذورين بوجه إذ قد يعذر الإنسان في بعض ما يظنُّه، ومن كذب عامدًا إليه وعالماً به وهو يقصد به استجلاب نفع دنيوي فهو مستحقٌّ للذمّ.

قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[1] البشر

= حجر (١/ ١٢٧)، وكشف الأستار رقم (١٨٨)، ومجمع الزوائد (١/ ١٥٥). وأما الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٦٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٩٧)، (٥/ ٤٢٥)، والبزار كما في كشف الأستار رقم (١٨٧) فسياقه مختلف عن سياق هذا الحديث، وهو من حديث أبي حميد أو أبي أسيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به. وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٥): رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح وحسّن الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة رقم (٧٣٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

يستوي فيه الواحد والجمع لكونه كالخلق[1]. والرباني: قيل: هو منسوب إلى الربَّان، وهو المتخصِّصُ بالعلم الذي يربُّه باستفادته وإفادته، وفعلان أكثر ما يجيء عن فَعِل للمبالغة نحو نعسان. وقال الزجاجَ: الربانيّ منسوب إلى الربّ، لكن زيد فيه ألف ونون للمبالغة في النسبة، كما زيد في: لحياني وجمّاني[2] قال مؤرّج[3]: هو لفظة في الأصل سريانية وأخلِق بذلك فقلّ ما يوجد في

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٣٨)، والمفردات ص (١٢٤).

(٢) الذي في معاني القرآن: «والربانيون: أرباب العلم والبيان. أي كونوا أصحاب علم، وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما قالوا للكبير اللحية: لحياني، ولذي الجمة الوافرة: جماني» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥) وانظر: تفسير أبي السعود (٢/ ٥٢)، والجمة من الإنسان: «مجتمع شعر ناصيته، يقال هي التي تبلغ المنكبين» المصباح المنير ص (٦١) وانظر: المجمل ص (١١٩)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٦٥-٦٦).

(٣) في الأصل زيادة «هو» قبل «مؤرج» ولكن عليها تضبيباً خفيفاً. ومؤرج هو أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة السدوسي النحوي البصري. أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما. وكان الغالب عليه اللغة والشعر، وله عدة تصانيف منها: كتاب الأنواء، وكتاب غريب القرآن، وكتاب جماهير القبائل، وكتاب المعاني، توفي بالبصرة سنة ١٩٥هـ. انظر: الفهرست ص (٧٦)، ووفيات الأعيان (٥/ ٣٠٤)، وإنباه الرواة (٣/ ٣٢٧).

كلامهم القديم[١]، وإلى [ما][٢] قدمنا من معناه قال الحسن: معناه: كونوا علماء فقهاء[٣]، وقال ابن جبير: حكماء فقهاء[٤]، وقال ابن زيد: مدبِّري أمر الناس في الولاية بالإصلاح[٥]، وقال الزجاج: معلمي الناس[٦] وهذا كله ألفاظ مختلفة عن

---

(١) لم أجد من نسب هذا القول للمؤرج وإنما وجدته منسوباً لأبي عبيد، وقد نسب أبو حيان في البحر المحيط للمؤرج أن الرباني هو: «التائب لربه» انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٩)، والمعرب للجواليقي ص (٣٣٠، ٣٣١)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٩، ٥٣٠)، والتاج (٢/ ٤٦٢).

(٢) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٤١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٢) وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (ق ٤١ ـ مخطوط) وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٤٢)، وفيه قال: حكماء أتقياء. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩١) عن سعيد بن جبير، أنه قال: هم الفقهاء المعلمون. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٥)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٣).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٤٣)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨٣) لابن جرير الطبري وحده.

(٦) عبارة الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٣٥): «والربانيون أرباب العلم والبيان».

معنى واحد[١]، بيّن تعالى أنه لن يصطفي علام الغيوب لرسالته من يعلم من حاله أنه يكذب، وأن يأمر الناس أن يعبدوه، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢]، وإنما قال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ فذكر باللام لأن قولك: فلان ليس له أن يفعل كذلك. أبلغ من قولك: هو لا يفعل؛ لأن في قولك ليس له أنه ممنوع منه، إما منعاً من خارج كالقهر، وإما من داخل من جهة العقل والتزام الشرع، وقد نبّه تعالى بذلك أن الأنبياء ممنوعون عن ذلك من جهة العقل المسدّد، والحظر[٣] الوارد عليهم من قبله تعالى، لا منعاً من جهة عدم التمكن[٤]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[٥] وأما قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[٦] فإنه لما أراد تعالى المبالغة في

(١) انظر في معنى الرباني: جامع البيان (٦/ ٥٤٣، ٥٤٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٧٩)، ومجمل اللغة ص (١١٩)، والصحاح (١/ ١٣٠)، والمفردات ص (٣٣٦، ٣٣٧)، والمعرب للجواليقي ص (٣٣٠، ٣٣١)، والنهاية (٢/ ١٨١)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٦٥-٦٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) تكررت كلمة (والحظر) في الأصل مرّتين.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٣٧)، والتفسير الكبير (٨/ ٩٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٨).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٦) سورة مريم، الآية: ٣٥.

النفي أخرج الكلام هذا المخرج، تنبيهاً أن الحكمة تمنع من ذلك، وإن كان منزّهاً عن أن يوصف بمنع على وجه[1]، وقال الجبّائي: ليس قوله: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ على سبيل/ التحريم، [٢٢٤/أ] لأن هذا محرّم على جميع الخلق، قال: ولو كان ذلك تحريماً لم يكن تكذيباً للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح، لأن من ادعى على إنسان قولاً، فقال: فلان لا يحلُّ له كذا. لا يكون مكذّباً لدعواه، قال: وإنما أراد الله بهذا القول تكذيبهم[2]، وما قاله فيه قصور نظر، فإن النصارى أقرُّوا بأن المسيح لم يكن يدعي ما لم يكن له أن يدعي، فإذا أقروا بذلك، وبيّن تعالى أن ليس له ولا لأحد من البشر أن يقول ذلك، كان فيه إلزام واضح، وكأنّه قيل: قد ثبت أن المسيح لم يكن يدعي ما ليس له دعواه، وثبت أنه كان بشراً بما تقدم في هذه السورة وغيرها، ولم يكن لأحد يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله. وإن المسيح قد أوتي الكتاب والنبوة، فإذن محال أن يدعو أحداً إلى

---

(١) وهذا التركيب ـ كما قال أبو حيان ـ معناه الانتفاء، وهو تارة يدل من جهة المعنى على الزجر نحو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٢٠]. وتارة على التعجيز كما في قوله: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ [النمل: ٦٠]، وتارة على التنزيه كهذه الآية. انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧٩).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٧٧).

عبادته، وقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ بالرفع على الاستئناف[(١)] وبالنصب على العطف[(٢)]، أي لا يجتمع الأمران: إثبات النبوة، وقوله: ﴿كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[(٣)]، يعني: ولكن يقولوا: كونوا ربانيين، حكماء أولياء لله[(٤)]. فقد قيل: إن لم يكن العلماء أولياء لله فليس لله في الأرض ولي، وقيل: كونوا متخصصين بالله تخصصاً تُنسبون إليه، وتوصفون بعامة أوصافه نحو الجواد والودود والرحيم. وقيل: كونوا من المتخصصين بالله الذين وُصِفوا بقوله: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**»[(٥)]، الخبر[(٦)].

---

(١) قال أبو حيان: «وقرأ الجمهور: ثم يقول بالنصب عطفاً على ﴿أَن يُؤۡتِيَهُ﴾، وقرأ شبل عن ابن كثير ومحبوب عن أبي عمرو بالرفع على القطع. أي ثم هو يقول. البحر المحيط (٢/ ٥٢٩). وانظر: حجة القراءات ص (١٦٨).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٠)، والكشاف (١/ ٣٧٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٢).

(٥) نسب الراغب هذا القول إلى أبي حنيفة، انظر: محاضرات الأدباء ص (١٢).

(٦) انظر تخريجه ص (٧٦٧، ٩٩٨).

وقيل: كونوا متخصصين بالله غير ملتفتين إلى الوسائط[1] كأبي بكر لما قال حين موت النبي ﷺ، واضطربت أسرار عامة الناس: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»[2]، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ..﴾[3] الآية، وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أي بكونكم عالمين أو معلّمين على حسب القراءتين في تعلمون وتُعلّمون[4]، ولا تحتاج لفظة ما هاهنا إلى ضمير، كما هو في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[5]، لكونه في

(١) قضية التخصيص بالله تتفق مع من قال إن الرباني منسوبٌ إلى الرب بزيادة ألف ونون للمبالغة، والمعنى أنهم متخصصون بعلم الرب، أي يعلمون الشريعة وصفات الرب تعالى. انظر: الوسيط (١/ ٤٥٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٣٩)، والدر المصون (٣/ ٢٧٦) وعمدة الحفاظ (٢/ ٦٥)، وفتح القدير (١/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته ـ رقم (٤٤٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «بما كنتم تَعْلَمون الكتاب» بالتخفيف أي بعلمكم الكتاب. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف «بما كنتم تُعلِّمون» بالتشديد. انظر: حجة القراءات ص (١٦٧)، والمبسوط ص (١٤٥)، والتلخيص ص (٢٣٤)، والغاية ص (٢١٥)، والنشر (٢/ ٢٤٠).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

تقدير أن[1]، ومعنى ﴿تَعْلَمُون الكتابَ﴾ أي تعرفونه[2] كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾[3]، وإذا قرئ تُعَلِّمُون فمعناه تعلمون الناس الكتاب[4]، وقوله: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ مما يصح/ أن [٢٢٤/ب] يوصف به العلم والمعلم، ومعنى ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أي كونوا معلمي

---

(١) قال السمين الحلبي: «و «ما» مصدرية، وظاهر كلام الشيخ أنه يجوز أن تكون غير ذلك، فإنه قال: «وما الظاهر أنها مصدرية» فهذا يجوِّز غير ذلك. وجوازه فيه بعد وهو أن تكون موصولة، وحينئذٍ تحتاج إلى عائد وهو مقدَّر، أي بسبب الذي تعلّمون به الكتاب، وقد نقص شرطٌ وهو اتحاد المتعلق، فلذلك لم يظهر جعلها غير مصدرية. الدر المصون (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٣٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٤) قال ابن زنجلة: تعلّمون بالتشديد من قولك: علَّمت زيداً الكتاب أُعلِّمه تعليماً. والمعنى: تعلّمون الناس الكتاب. وحجتهم أن (تعلّمون) أبلغ في المدح من (تَعْلَمون)، لأن المعلِّم لا يكون معلماً حتى يكون عالماً بما يعلّمه الناس قبل تعليمه، وربما كان عالماً ليس بمعلم، وقد روي عن مجاهد أنه قال: «ما عَلّموه حتى عَلِمُوه». حجة القراءات ص (١٦٧، ١٦٨). وانظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٥)، والدر المصون (٣/ ٢٧٧).

الخير بما علمتم، أو كونوا حكماء علماء عاملين بما علمتم، فإن الحكيم في الحقيقة من عمل بما علم، وكان محكماً لعمله إحكامه لعلمه. وإذا قرئ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمون﴾ فمعناه كونوا عاملين بما تعلِّمون غيركم[1] إشارة إلى فحوى قوله: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قرئ مرفوعاً على الاستئناف، ومنصوباً[4] على ردِّه إلى قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾. وفي قراءة عبدالله: ولن يأمركم[5]، وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

---

(١) انظر أقوال المفسرين في ذلك في: جامع البيان (٦/ ٥٤٥، ٥٤٦)، والوسيط (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٣٩، ١٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي وعاصم برواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر: «ولا يأمرُكم» بالرفع. وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وخلف وعاصم برواية حفص وحماد ويحيى عن أبي بكر «ولا يأمرَكم» بالنصب. المبسوط ص (١٤٥، ١٤٦)، وانظر: حجة القراءات ص (١٦٨)، والتلخيص ص (٢٣٤)، والغاية ص (٢١٥)، والنشر (٢/ ٢٤٠).

(٥) في الأصل: ولا أن يأمركم. ولكن اتفقت كتب التفسير على أن قراءة=

أي بعد أن كنتم على دين إبراهيم، أو بعد أن تبعتم النبي فيما دعاكم إليه، وهذا كلام يقتضي قياساً بيانه: النبي لا يأمر المسلمين بالكفر، وهذه[1] مقدمة دلّ عليها قوله: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾، لأن هذا الإنكار يقتضي أبلغ نفي والأمر باتخاذ النبيين والملائكة أرباباً أمرٌ[2] بالكفر، فإذن لا يكون ذلك من الأنبياء[3].

= عبدالله بن مسعود (ولن يأمركم)، وأنكر الطبري، وورود ذلك عن ابن مسعود، وقال: إنه خبر غير صحيح سنده. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤١)، والكشاف (١/ ٣٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣١) وهذه القراءة ـ إن ثبتت ـ تؤيد قراءة من قرأ الآية بالرفع على الاستئناف، قال ابن جرير: واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها، وهي (ولن يأمركم) فاستدلوا بدخول «لن» على انقطاع الكلام عما قبله، وابتداء خبر مستأنف. قالوا: فلما صيرّ مكان «لن» في قراءتنا «لا» وجبت قراءته بالرفع. جامع البيان (٦/ ٥٤٧) وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٤). ورجح الطبري القراءة بالنصب، والصواب من ذلك ما قاله أبو حيان في الآية التي قبلها، قال: «وتكلموا في ترجيح أحد القراءتين على الأخرى، وقد تقدم أني لا أرى شيئاً من هذه التراجيح، لأنها كلها منقولة متواترة قرآناً، فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى» البحر المحيط (٢/ ٥٣٠).

(١) في الأصل: (وهذا) والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: (أمراً) والصواب الرفع.

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٩)، والكشاف (١/ ٣٧٨)، والجامع لأحكام=

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1] قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ إذا قرئ بالفتح[2] فلفظة ما تحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون موصولاً وتقديره: ما أتيتكموه، كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[3] أي بعثه الله، والراجع إليه من قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾[4] أحد شيئين: إما محذوف، أي جاءكم رسول به[5] وإما لأن قوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ هو في المعنى: الكتاب

= القرآن (٤/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٦)، وفتح القدير (١/ ٣٩٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) قرأ حمزة وحده (لِما آتيتكم) وقرأ الباقون بفتح اللام، وكلهم خففوا الميم. المبسوط ص (١٤٦) وانظر: حجة القراءات ص (١٦٨)، والنشر (٢/ ٢٤١).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٥) قال السمين الحلبي: وقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ عطف على الصلة، وحينئذٍ فلابد من رابط يربط هذه الجملة بما قبلها، فإن المعطوف على الصلة صلة. واختلفوا في ذلك، فذهب بعضهم إلى أنه محذوف =

فاستغنى به عن الضمير، كقولك: الذي أتاني لا أضرب عمراً. إذا كان عمرو هو الذي أتاه، وهذا أجازه الأخفش[1]، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2] أي لا يضيع أجرهم، وجاز ذلك لما كان من يتقي ويصبر هم المحسنون. والوجه الثاني[3]: أن تكون ما للجزاء وتكون مفعولاً من ﴿ءَاتَيۡتُكُم﴾، و﴿جَآءَكُمۡ﴾ في موضع الجزم معطوف عليه، واللام الداخلة على (ما) هي الموطئة للقسم،

= تقديره: «ثم جاءكم رسول به» فحذف «به» لطول الكلام، ولدلالة المعنى عليه، وهذا لا يجوز، لأنه متى جرّ العائد لم يحذف إلا بشروط تقدمت هي مفقودة هنا. الدر المصون (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(١) في معاني القرآن (١/ ٤١٣) والأخفش هو: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي بالولاء، أبو الحسن النحوي اللغوي، تتلمذ على سيبويه والخليل ابن أحمد، وله تصانيف منها «معاني القرآن» و«الأوسط» و«كتاب المقاييس في النحو» و«كتاب تفسير معاني القرآن»، مات سنة ٢١١هـ، بعد الفراء، وقيل: سنة ٢١٥هـ. انظر: الفهرست ص (٨٢، ٨٣)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٨٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٨)، وبغية الوعاة (٥٩٠، ٥٩١).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٣) ذكر الوجهين الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٦، ٤٣٧) وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٥)، وجامع البيان (٦/ ٥٥٠- ٥٥٢)، وحجة القراءات ص (١٦٨، ١٦٩)، والدر المصون (٣/ ٢٨٤).

والتي في/ ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ للقسم كاللامين في قوله تعالى: [٢٢٥/أ]
﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ﴾[١]، وعلى هذا حمل سيبويه الآية[٢]، وقال: وسألته ـ يعني الخليل[٣] ـ عن قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ فقال ما هاهنا بمنزلة الذي، ودخلتها اللام كما دخلت على إنْ حين قلت: لئن فعلت لأفعلن[٤]. وعنى بقوله: إن ما بمنزلة الذي، أنه اسم لا حرف، كما هو حرف في قوله: ﴿لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾[٥]، ولم يرد أنها موصولة كالذي[٦]، وإنما لم يجعله كالذي لعدم الضمير الراجع إليه في قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٦.

(٢) انظر: كتاب سيبويه (٣/ ١٠٧، ١٠٨).

(٣) هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي اللغوي، واضع علم العروض وأستاذ سيبويه، كان من الزهاد في الدنيا المنقطعين إلى العلم، حدّث عن عاصم الأحول وغيره، وكان شاعراً مقلًا. من مؤلفاته: «كتاب العين» «كتاب النغم» «كتاب العروض» «كتاب الشواهد» «كتاب الإيقاع». توفي بالبصرة سنة ١٧٠هـ وعمره أربع وسبعون سنة. انظر: الفهرست ص (٦٧)، ووفيات الأعيان (١/ ١٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩)، ومعجم المؤلفين (٤/ ١١٢).

(٤) كتاب سيبويه (٣/ ١٠٧).

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٣٥.

(٦) ذكر السمين الحلبي هذا الكلام عن أبي علي الفارسي. قال: «قال أبو علي: لم يرد الخليل إنها بمنزلة (الذي) كونها موصولة، بل أنها اسم كما أن (الذي) اسم. الدر المصون (٣/ ٢٨٦، ٢٨٧).

رَسُولٌ﴾ فإن قيل: فمن جعل ما موصولاً في قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ وجب أن يكون ابتداء، فما خبره؟ قيل: خبره ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ راجع إلى ما، وفي قوله: ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ إلى الرسول، ولا يجوز أن يرجع في قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ إلى الرسول أيضاً، لأنه يبقى المبتدأ بلا عائد إليه، فأما من جعل ما جرًّا فلا يحتاج إلى ضمير، لأنه حينئذٍ مفعول، والمفعول لا يحتاج إلى ضمير يرجع إليه[١]، وأما من قرأ لِما أتيتكم بالكسر فمعناه: أخذ الله الميثاق منهم لأجل الذي آتيتكم، و ما لا تكون هاهنا إلا موصولة، والكلام في رجوع الضمير إليه قد تقدم[٢] وقُرئ لمّا آتيتكم[٣] أي أخذ الله ميثاق

(١) وأجاز الأخفش في إعراب الآية وجهاً آخر، وهو أن تكون (من) زائدة، و(كتاب وحكمة) خبر المبتدأ (ما)، انظر: معاني القرآن له (١/ ٤١٣)، وانظر إعراب هذه الآية في: المقتضب (٢/ ٣٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٦، ٤٣٧)، والأصول لابن السراج (٣/ ٢٧٠)، وإعراب القرآن (١/ ٣٩٢)، والحجة لأبي علي (٢/ ٢٧٤-٤٧٨)، والمحتسب (١/ ١٦٤، ١٦٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٥-١٦٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٢، ٥٣٣).

(٣) قال أبو حيان: وقرأ سعيد بن جبير والحسن (لَمّا) بتشديد الميم. البحر المحيط (٢/ ٥٣٢)، وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٧) والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٦)، والدر المصون (٣/ ٢٩٠).

النبيين حين آتيتكم الكتاب، ثم جاءكم رسول، ولما ذُكر حكى لفظ الميثاق المأخوذ عليهم [في][1] قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. واختلف فيمن أخذ عليه الميثاق، فقال بعضهم: أخذ من الذين منهم الأنبياء، وتقدير الكلام أخذ الله ميثاق أمم النبيين[2]، ورُوي أن الربيع قرأ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب. وقال: هكذا أنزل وأخطأ الكاتب، ألا ترى أنه قال: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾[3]،

(١) في الأصل (وقوله)، والصواب ما أثبته.

(٢) وهو قول مجاهد والربيع، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٣، ٥٥٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٢)، والكشاف (١/ ٣٧٩) وأنوار التنزيل (١/ ١٦٧).

(٣) أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٥٤) بسنده إلى الربيع أنه كان يقرؤها (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) قال: وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب. أما الذي روي عنه أنه خطأ الكاتب فهو مجاهد رحمه الله، فقد قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٥٣). ولم يعن مجاهد رحمه الله ـ كما ذكر الشيخ محمود شاكر في حاشيته على الطبري ـ بقوله: أخطأ الكاتب أنه وضع ذلك من عند نفسه، لأن حدوث ذلك ممتنع، فكتاب الله عز وجل منقول إلينا بالتواتر جيلًا عن جيل، فهو محفوظ في الصدور قبل أن يكتب في المصاحف. وإنما أراد مجاهد رحمه الله أن الكاتب كتب القراءة التي كانت=

وحُكي أنه هكذا في قراءة ابن مسعود[1]، وقال بعضهم: أخذ ميثاق النبيين أن يُبشِّر المتقدِّم بالمتأخر، ويُصدِّق المتأخرُ

= قبل العرضة الأخيرة، وترك قراءة ابن مسعود وهي القراءة التي كانت في العرضة الأخيرة. ولا يشك الباحث المنصف في خطأ كلام مجاهد والربيع رحمهما الله، إذ لا يجوز التشكيك في كتبة الوحي لأجل ما لا يتعدى كونه اجتهاداً من بعض المفسرين، ولذلك فإن أغلب المفسرين قد أعرضوا عن هذا القول ولم يثبتوه في كتبهم، بل إنهم تركوه ولم يشيروا إليه. وقد ردّ قول مجاهد والربيع بعض أئمة التفسير منهم ابن جرير الطبري حيث قال: «ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء، لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين، فسواء قال قائل «لم يأخذ ذلك منها ربُّها» أو قال: «لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت» وقد نصَّ الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه، » لأنهما جميعاً خبران من الله عنها: أحدهما: أنه أخذ منها والآخر منهما أنه أمرها بتبليغه، فإذا جاز الشك في أحدهما جاز في الآخر»اهـ. وابن جرير الطبري رحمه الله يبين بذلك أن هذا القول مع كونه خطأ فإنه يفتح الباب لكلّ مشكك ومرتاب، ليتكلم في كتاب الله عز وجل بغير علم، لأنه إذا جاز التشكيك في أي قضية من قضايا الوحي الثابتة جاز التشكيك في غيرها من قضاياه. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٧)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٤٢)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٢).

(١) ورد ذلك في كلام مجاهد السابق. جامع البيان (٦/ ٥٥٣) وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤٢).

المتقدم[1]، وأن يخبروا كلهم بكون محمد خاتم النبيين، قال السدي: ما بُعث نبي من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه لتؤمنن بمحمد إن خرج وهو حي[2]، وفي هذا تنبيه أن كل زمان بالشريعة التي خصه الله بها أولى، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لو كان موسى حيًّا لما وسعه إلا اتباعي**»[3]، والصحيح أن العهد مأخوذ من الفريقين من الرسل والمرسل إليهم، لكن خصَّ الأنبياء بالذكر لكونهم [٢٢٥/ب] الرؤوس/ وكون الأمة تبعاً لهم، وكذلك خصَّ النبي في كثير من المخاطبة التي تشاركه فيها أمته نحو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾[4]،

---

(١) وهذا قول ابن عباس وعلي بن أبي طالب وقتادة وطاوس والسدي والحسن. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٥-٥٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦، ٣٣٧)، وزاد المسير (١/ ٤١٤، ٤١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٧)، والدر المنثور (٢/ ٨٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨٤)، وعزاه إليهما.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٨٧)، وعبدالرزاق في المصنف (٦/ ١١٣)، (١١/ ٣١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٩/ ٤٧)، والدارمي (١/ ١١٥)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله رقم (١٤٩٧)، وحسنه الشيخ الألباني لطرقه في «الإرواء» رقم (١٥٨٩).

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.

ولأنه إذا أخذ الميثاق على الأنبياء فقد أخذ على أممهم لمشاركتهم أنبياءهم في عامة ما شرع لهم[١]، وأما كيفية أخذ هذا العهد، فقد قيل: كان ذلك بقول وأمرٍ من الله للأنبياء بأن يخبروا قومهم بذلك، وقد قيل: إن ذلك بما ضمنّه عقولهم أن الحق حيث ما وجد يجب أن يتبع، ولما أخبر الله تعالى في الآية المتقدمة أن ليس لأحد ما ادعاه من قوله: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ ﴾[٢] ذكر هاهنا أنه تعالى لم يُخلِ الأنبياء مع كونهم مأمونين على الغيب من أخذ ميثاقهم بمظاهرة البعض البعض، وقوله: ﴿ فَٱشْهَدُوا۟ ﴾ قيل معناه اعلموا، فإن الشهادة وقت التحمل هو العلم، ووقت الإقامة هو الإخبار[٣]، وقوله[٤]: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ على حد ما تقدم في قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٦)، والوسيط (١/ ٤٥٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦، ٣٣٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٢)، والكشاف (١/ ٣٧٩)، المحرر الوجيز (٣/ ١٤٢، ١٤٣)، والتفسير الكبير (٨/ ١٠١)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٣) انظر معنى «فاشهدوا» في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٦).

(٤) تكررت في الأصل كلمة: (وقوله).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

قوله عز وجل: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1]

لما كان الفسق هو الخروج عن أمر الله وطاعته، وكان بين أدنى منزلة وبين أقصاها بون بعيد صار له منازل كثيرة، فيطلق تارة على الذنب الصغير، نحو قوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾[2]، وتارة على الكفر والشرك، نحو ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾[3]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾[4]، وعلى هذا استعمال الفاسقين هاهنا[5]، ودخول الفاء في قوله فأولئك لتضمن مَن معنى الشرط[6].

قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[7] حمل ﴿أَسْلَمَ﴾ على الاستسلام وعلى الاعتقاد والإقرار باللسان،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٠.

(٥) انظر معنى الفسق في: المفردات ص (٦٣٦)، والقاموس ص (١١٨٥)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ١٩٢، ١٩٣).

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٢)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٦)، والدر المصون (٣/ ٢٩٥).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

والتزام الأحكام[(١)]، وقيل في ذلك أقوال: **الأول**: له أسلم من في السمٰوات طوعاً، وهو أن علّمهم بوحدانية الله وصفاته ضرورة لا استدلال، وعامّة أهل الأرض كرهاً بمعنى أن الحجة أكرهتهم وألجأتهم[(٢)] كقولك: الدلالة أكرهتني على القول بهذه المسائل، وليس هذا من الكره المذموم. **الثاني**: أسلم المؤمنون له طوعاً، والكافرون كرهاً[(٣)]، إذ لم يقدروا على أن يمتنعوا/ عليه مما يريده بهم، ويقضيه عليهم. **الثالث**: عن قتادة: أسلم المؤمنون له طوعاً في حال الصحة والأمن، والكافرون كرهاً عند الموت[(٤)]، [٢٢٦/أ]

(١) انظر معنى الإسلام في: جامع البيان (٦/ ٤٨٩، ٥٦٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والمفردات ص (٤٢٣). والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

(٢) هذا القول ينسب للحسن ومطر الوراق. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٣).

(٣) وهذا قول مجاهد. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٧)، وزاد المسير (١/ ٤١٧) ونسبه إلى ابن عباس أيضاً، والمحرر الوجيز (١/ ١٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٧) والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٧)، والوسيط (١/ ٤٥٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٣)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

حيث قال: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[1]، **الرابع**: عنى بالكره من قوتل، وأُلجئ إلى أن يؤمن[2]. **الخامس**: عن أبي العالية ومجاهد أنّ كلًّا أقرّ بخلقه إياهم، وإن أشركوا معه[3]، لقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[4]. **السادس**: عن ابن عباس: أسلموا بأحوالهم الناطقة عنهم، وذلك في الذَّرْء الأول[5]، حين قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[6]

---

(١) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٢) وهذا القول ينسب إلى الحسن ومطر الوراق أيضاً. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤٩)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٦٥) بسنده عن أبي العالية ومجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٦، ٦٩٧) بسنده عن أبي العالية، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٧) وعزاه إلى مجاهد، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٧)، وقال: هذا قول أبي العالية، ورواه منصور عن مجاهد.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

(٥) **الذرء الأول**: الخلق الأول، وذلك حين أخذ عليهم الميثاق. انظر: مجمل اللغة ص (٢٦٧) والنهاية (٢/ ١٥٦)، والمعجم الوسيط ص (٣٠٩).

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢. والأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٦٥) بسنده عن ابن عباس. وانظر: النكت والعيون=

وقيل: معنى ذلك دلائلهم التي فطروا عليها، التي هي العقل والتمييز المقتضيان لإسلامهم طوعاً أو كرهاً[1]، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ۩﴾[2]. السابع: عن بعض الصوفية أن من أسلم طوعاً هو من طالع المثيب والمعاقب دون الثواب والعقاب، فأسلم رغبة ورهبة[3]، ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[4] وفي هذه الآية حجة بينة أن طاعة الله هي التي يجب أن تكون المبتغى والمطلوب،

= (١/ ٤٠٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤٨)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨)، وفتح القدير (١/ ٣٩٨).

(١) نقل أبو حيان نحواً من هذا القول، ونسبه لابن كيسان، قال: «المعنى: وله خضع من في السموات والأرض، فيما صورهم فيه ودبّرهم عليه، وما يحدث فيهم، فهم لا يمتنعون عليه كرهوا ذلك أو أحبوه، رضوا بذلك أو سخطوه» قال: وهذا معنى قول الزجاج: إن الإسلام هنا: الخضوع لنفوذ أمره في جبلتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع مما جبل عليه ولا أن يغيره. البحر المحيط (٢/ ٥٣٨). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، وذكر القرطبي نحواً من هذا القول أيضاً في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٧).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٣) انظر أقوال الصوفية على الآية في: تفسير ابن عربي (١/ ١١٨)، ولطائف الإشارات (١/ ٢٦٧)، وروح المعاني (٣/ ٢١٤).

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٥.

لأن كل ما سواه مما يتقرب إليه، فقد أسلم لله طوعاً أو كرهاً.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1] قد تقدم القول في ذلك في سورة البقرة[2] إلا أنه يقال: كيف قال هاهنا: ﴿قُلْ﴾ وهناك: ﴿قُولُوٓا۟﴾، وذكر هاهنا ﴿عَلَيْنَا﴾ وثَمَّ ﴿إِلَيْنَا﴾، وذكر هناك ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾، وترك ما أوتى هاهنا؟ والجواب: أن ﴿قُلْ﴾ هاهنا خطابٌ للنبي ﷺ بأن يعتقد ذلك ويبلّغ قومه، وهناك خطاب للأمة أن يعتقدوا وليس يأمرهم أن يبلغوا، وإنما قال هاهنا ﴿عَلَىٰٓ﴾ لأن ذلك لما كان خطاباً للنبي ﷺ، وكان واصلًا إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشرية، كان لفظ على المختص بالعلوّ أولى به، وهناك لما كان خطاباً للأمة، وقد وصل إليهم بوساطة النبي ﷺ كان لفظ إلى المختص بالإيصال/ أولى، ويجوز أن يقال: أُنزل عليه إنما يُحمل [٢٢٦/

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

(٢) في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وانظر: كلام الراغب عليها في تفسيره (ق١٠٠ ـ مخطوط).

على ما أُمر المنزَّلُ عليه أن يبلّغ غيره، وأُنزل إليه على ما خُصّ به في نفسه، وإليه نهاية الإنزال وعلى ذلك قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[1]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2] فخُصّ بإلى هاهنا لما كان مخصوصاً بالذكر الذي هو بيانُ المنزل، وهذا كلام [في الأولى][3] لا في الوجوب[4]، وأما إعادة لفظ ما أوتي هناك فلأنه لما كان لفظ الخطاب عاماً، ومن حُكْم خطاب العامة البسط دون الإيجاز بسط اللفظ، ولما كان الخطاب هاهنا خاصًّا للنبي ﷺ على ما قدمنا اكتفى فيه بالإيجاز[5]، وإن قيل: إذا كان ذلك أمراً للنبي ﷺ أن يقوله، فكيف قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾؟ قيل: إنما ذكر ذلك تنبيهاً أن أمته غير منفردين عنه في هذا الاعتقاد، وغير مكروه لهم أن يبلّغوا ذلك تبليغ النبيِّ ﷺ. فكيف فسح لهم التبجح بذلك مع كون التبجح مذموماً؟ قيل: التبجح هو إظهار الإنسان

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) ساقط من الأصل، واستدركته من نقل أبي حيان لكلام الراغب في البحر المحيط (٢/ ٥٣٩).

(٤) نقل أبو حيان هذه الفقرة بتمامها في البحر المحيط (٢/ ٥٣٩)، ونسبها للراغب.

(٥) نقل أبو حيان هذه الفقرة كذلك في البحر المحيط (٢/ ٥٣٩).

ما يتطلب به رفعةً عند الناس، وليس هذا من ذلك، بل هو إظهار التحمد المندوب إليه بقوله ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1]، وإظهار مباينة الكفار بالاعترافِ بالإسلام، وقصد أن الاستسلام في الإيمان بهم هو في الحقيقة لله تعالى لا لغيره[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] في الآية قولان: أحدهما: أن الإسلام هاهنا الاستسلام إلى الله، وتفويض الأمر إليه، وذلك أمر مراد من الناس في كل زمان ومن كل أمة وفي كل شريعة[4]، وقد

---

(١) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٢) قال الواحدي: «في هذه الآية إنكارٌ على الكفار من اليهود والنصارى فيما ذهبوا إليه من الإيمان ببعض النبيين دون بعض، وأمرٌ للنبي ﷺ وأمته أن يقولوا: آمنا بالله وبجميع الرسل، وما أنزل عليهم، لا نفرق بين جميعهم في الإيمان بهم كما فعلت اليهود والنصارى» الوسيط (١/ ٤٥٩). وانظر كلام المفسرين على هذه الآية، وعلى الفرق بينها وبين آية البقرة في: جامع البيان (٦/ ٥٦٩، ٥٧٠)، والكشاف (١/ ٣٨٠، ٣٨١)، والتفسير الكبير (٨/ ١٠٨-١١٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٤، ٥٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) انظر هذا القول في: الكشاف (١/ ٣٨١)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٩، =

تقدم أن الدين في اللغة الطاعة[1] وفي التعارف: وضع إلهي ينساق به الناس إلى النعيم الدائم[2]، فبيّن تعالى أن من تحرى طاعة وانسياقاً إلى النعيم من غير الاستسلام له على ما يأمره به، ويصرفه فيه فلن يقبل منه شيء من أعماله، وهو في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم. والثاني: أن المراد بالإسلام شريعة محمد عليه الصلاة والسلام[3]، فبيّن أن من تحرى بعد بعثته شريعة أو طاعة لله من غير متابعته في شريعته فغير مقبول منه، وهذا الوجه [٢٢٧/أ] داخل في الأول، فمعلوم أن/ من الاستسلام الانقياد لأوامر من صحّت نبوته وظهر صدقه.

قوله عز وجل: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

= ٥٤٠)، أنوار التنزيل (١/ ١٦٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٥).

(١) والدين في اللغة أيضاً: الجزاء والحساب والطاعة والمعصية والعز والذل والعادة. انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٣) وجامع البيان (١/ ١٥٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧)، والنهاية (٢/ ١٤٨، ١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ١٤٣-١٤٥) والقاموس ص (١٥٤٦).

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق ٤ ـ مخطوط).

(٣) ويروى هذا القول عن عكرمة انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٠، ٥٧١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٠).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] هذه الآية واللتان بعدها، قيل: نزلت في رجل ارتد، ثم أرسل إلى قومه: اسألوا[2] النبي ﷺ: هل لي من توبة؟ فأنزل الله تعالى ذلك، فعاد إلى الإسلام وحسن إسلامه[3]، وقيل: نزلت في اليهود، الذين اعترفوا بنبوة محمد ﷺ قبل بعثته، ثم أنكروه بعدها[4]، فعلى هذا قوله: ﴿كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ أي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٢) في الأصل: سألوا، والصواب ما أثبته.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٤٧)، والنسائي (٧/ ١٠٧) كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد، رقم (٤٠٦٨)، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٧٢، ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٠٠)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٤٧٧) كلهم من حديث ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأورده الواحدي في أسباب النزول ص (١١٤)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٤)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٩).

(٤) وهو قول الحسن ورواية عن ابن عباس أنها في أهل الكتاب، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٤، ٥٧٥) ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٩) والنكت والعيون (١/ ٤٠٨)، والكشاف (١/ ٣٨١)، وزاد المسير (١/ ٤١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٩)، وذكر أن الحسن قال: نزلت في اليهود. وأشار الطبري رحمه الله إلى قاعدة مهمة يمكن تطبيقها على كثير من الآيات التي اختلف المفسرون في أسباب نزولها، وهي إمكانية تعدد=

جحدوا بعد معرفتهم، لا أنهم ارتدوا بعد دخولهم في الإسلام، وقد تقدّم[١] أن الهداية من الله على أضرب: الهداية التي عمَّ بها[٢] كل مكلّف، وهو إعطاؤه العقل المميّز بين الخير والشر وبين الصدق والكذب، وهي المعني بقوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[٣]. والثاني: زيادة الهدى التي تأتي بقدر استعمال الأول المعنيّ بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ

= الأسباب التي نزلت من أجلها الآية، فقال رحمه الله: «وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن من أن هذه الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب على ما قال، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن. وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمدٍ ﷺ في هذه الآيات. ثم عرف عباده سنته فيهم، فيكون داخلًا في ذلك كل من كان مؤمناً بمحمد ﷺ قبل أن يبعث ثم كفر به بعد أن بُعث، وكل من كان كافراً ثم أسلم على عهده ﷺ، ثم ارتد وهو حي عن إسلامه، فيكون معنيًّا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله»اهـ. جامع البيان (٦/ ٥٧٥، ٥٧٦).

(١) انظر: تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (ق ٥،٦ ـ مخطوط).

(٢) في الأصل: (بهل) والصواب ما أثبته.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٧.

هُدًى﴾[1] . **والثالث** : التزكية لأعمالهم أو توفيقه في أحوالهم ، وهو المعني بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾[2] ، **والرابع** : إدخال الجنّة المعني بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[3] والله تعالى لا يؤتي هؤلاء[4] شيئاً من ذلك[5] ، أما الثاني والثالث والرابع فلأنهم لا يستحقونه إذ لم يهتدوا بالأول . وأما الأول فلأنهم قد أتاهم ما أمكنهم الاهتداء به ، ومن أُوتي من الهداية ما فيه من الكفاية فلم يهتد به ،

---

(١) سورة محمد ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٩ .

(٣) سورة محمد ، الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٤) أي الذين كفروا بعد إيمانهم .

(٥) ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ مراتب الهداية فقال : «فأما مراتب الهدى فأربعة : إحداها : الهدى العام ، وهو هداية كلّ نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها ، وهذا أعم مراتبه . المرتبة الثانية : الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده ، وهذا خاص بالمكلفين ، وهذه المرتبة أخصُّ من المرتبة الأولى وأعمُّ من الثالثة . المرتبة الثالثة : الهداية المستلزمة للاهتداء ، وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدى وإرادته ، والقدرة عليه للعبد ، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل . المرتبة الرابعة : الهداية ليوم المعاد إلى طريق الجنة والنار» . شفاء العليل ص (٦٥) . وقد استفاد ابن القيم في هذا التقسيم من كلام الراغب عن الهداية ومراتبها في المفردات ص ٨٣٥ .

فالزيادة لا تغني ما لم تكن على سبيل القهر المنافي للتكليف، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾[1] الآية، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ تنبيهاً أن الهداية من الله، والظلم من العبد، يتنافيان ولا يجتمعان، فإن الظلم ترك الاهتداء، ومن يُهدى ويترك الاهتداء عناداً لا سبيل إلى هدايته إلا قهراً، وعلى هذا قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾[2] إن قيل[3]: / [٢٢٧/ب] كيف نفى عن الكافر الهداية في هذه المواضع، وأثبت له في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾[4] قيل: المثبت لهم هاهنا هو العقل والتمييز دون الأخرى، التي لا تحصل إلا بعد الاهتداء[5] بهذا، وهذه تارة تُثبت للكافر إذا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٨.

(٣) تكررت كلمة: (قيل) في الأصل.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٥) فالهداية المثبتة هنا هي هداية الإرشاد والبيان للمكلفين، قال ابن القيم: «وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق، وإن كانت شرطاً فيه أو جزء سبب، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبب، بل قد يتخلَّف عنه المقتضي؛ إما لعدم كمال السبب أو لوجود مانع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وقال: ﴿وَمَا=

أريد أنه مطبوع عليها ومعرض لاستعماله إياها، وتارة تُنفى عنه، بمعنى أنه لم يستعملها، ولم يحصل قبوله على ما يحب، فكأنه في حكم ما لم يُعط. وقوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فهو على لفظ الاستقبال، ومعناه لا يفعل به ذلك ثانياً، إذ قد أتاه ما فيه الكفاية[1]، ولفظ كيف وإن كان استفهاماً، فالقصد به

= كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه، وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها، فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه» ثم قال رحمه الله: «وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ونفى عنه ملك الهداية الموجبة وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾...» «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» ص (٧٩، ٨٠).
وكلام ابن القيم هنا تلخيص لكلام الراغب عن الهداية في المفردات ص ٨٣٥.

(١) أورد القرطبي على ذلك تساؤلاً فقال: يقال: ظاهر الآية أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله، ومن كان ظالماً لا يهديه الله، وقد رأينا كثيراً من المرتدين قد أسلموا وهداهم الله، وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم. قيل له: معناه: لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم، ولا يُقبِلُون على الإسلام، فأما إذا أسلموا وتابوا، فقد وفقهم الله لذلك. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٩، ١٣٠).

النفي هاهنا[1]، وعلى هذا قول الشاعر:

.... ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم[2]

فأدخل الباء في خبر هل لما أراد معنى ليس، إن قيل: على ماذا عطف قوله: ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ فإن ظاهره من حيث المعنى أنه معطوف على قوله ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾، لا يصح عطف الفعل على الاسم، ولا يصح أن يكون معطوفاً[3] على قوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ﴾، لأنه لم يرد كيف يهدي الله قوماً هكذا وكيف شهدوا أن الرسول حق؟ قيل: في ذلك وجهان: أحدهما: أن يكون تقديره بعد إيمانهم وإن شهدوا، فيكون أن مقدراً[4]، كما هو في قول الشاعر:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٠٠).

(٢) هذا عجز بيت للفرزدق وتمامه:

تقول إذا أقلولي عليها وأقردت ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم

انظر: ديوانه ص (٢/ ٨٦٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٦٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ٣٦٤)، و(٩/ ٢٦، ٢٧٩)، والمنصف (٣/ ٦٧، ٢٢٥)، والتخمير (١/ ٢٩١)، واللسان (١٥/ ٢٠٠)، والمغني ص (٤٥٩)، والمساعد (١/ ٢٨٧).

(٣) من قوله: «على قوله بعد إيمانهم» إلى هنا تكرر في الأصل.

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٣٨١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٢)، وإملاء ما منَّ=

للبس عباءةٍ وتقرّ عيني[1] ....

إلا أن إضمار أن في البيت أظهر لانتصاب تقر، والثاني: أن يكون ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ في موضع الحال. أي وقد شهدوا[2]، نحو قوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾[3] وقول الشاعر:

تقول وصكَّت نحرها بيمينها[4] ....

وقوله: ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أي أنه سيبعث، وأنه منتظر[5].

= به الرحمن (١/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٠٢).

(١) هذا صدر بيت لميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية، وتمام البيت:

لَلبس عباءة وتقرّ عيني ... أحبّ إليّ من لبس الشفوف

وهو في الكتاب (٣/ ٤٥)، والمقتضب (٢/ ٢٧)، والمحتسب (١/ ٣٢٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤١٨)، و(٣/ ٣٢٧)، والمغني ص (٣٥٢، ٣٧٣، ٤٧٢، ٦٢٣، ٧١٥).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٨٢)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٠١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٠.

(٤) هذا صدر بيت للهذلول بن كعب العنبري، وتمامه:

.... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

انظر: الحماسة لأبي تمام (١/ ٣٥٣).

(٥) هذا التفسير على القول بأن الآية نزلت في اليهود، أما على القول بأنها نزلت في النفر الذين ارتدوا، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي=

قوله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾[1] قد تقدّم الكلام في ذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾[2] إلا أنه بتَّ الحكم، ثَمَّ قال: ﴿عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ﴾ لِمَا كان ذلك حكماً على قوم ماتوا على الكفر، وقال هاهنا: ﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾ لما كان حكماً على قوم باقين يرجى صلاحهم تنبيهاً على تضمُّن معنى الشرط، لأن ذلك لهم إن ماتوا على الكفر[3].

[٢٢٨/أ] قوله عز وجل: / ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[4] إن قيل: لِمَ اقتصر هاهنا على التوبة والإصلاح، وقال في البقرة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾[5] أن

= ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ أي قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول، ووضَحَ لهم الأمر، ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٩).

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦١. وانظر: تفسير الراغب (ق ١١٢ ـ مخطوط).

(٣) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٤١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٠. وقد اكتفى الراغب بذكر أوّل الآية وموضع الشاهد فيها قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾.

يُعَفِّي[1] المذنب ما تقدّم من ذنبه بما يُوفَّ عليه من أفعاله الخير، وكان من ذنب الأحبار الذين ذكرهم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾[2]، أن قالوا للناس: ليس في التوراة ما يدل على نبوة محمد، فصار من تمام توبتهم أن يبينوا للناس ما كتموه[3]، ولما لم يكن في الموضعين ها هنا ذلك اقتصر في توبتهم على الإصلاح. وإنما أتبع التوبة في

---

(١) يعفي: أي يمحو ويطمس. انظر: لسان العرب (١٥/ ٧٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٣) أشار ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى وجوب البيان على من كانت توبته من جهة الاعتقادات الفاسدة، فقال: «فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة بمحض اتباع السنة، ولا يكتفي منهم بذلك أيضاً حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة، وإذ التوبة من ذنب هي بفعل ضده، ولهذا شرط الله تعالى في توبة الكاتمين ما أنزل الله من البينات والهدى البيان، لأن ذنبهم لما كان بالكتمان، كانت توبتهم منه بالبيان. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]. وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم، لأن ذاك كتم الحق، وهذا كتمه ودعا إلى خلافه، فكل مبتدع كاتم ولا ينعكس». مدارج السالكين (١/ ٣٩٣، ٣٩٤). وقيل إن معنى قوله: (وأصلحوا) في سورة آل عمران هو البيان وذلك بإظهارهم للناس أنهم كانوا على ضلال، وهذا قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٠) وزاد المسير (١/ ٤١٨).

عامة المواضع الإصلاح، فإن التوبة راجعة في الأصل إلى الاعتقاد والإصلاح إلى الأعمال. وكلاهما مرادان[1]، وعلى ذلك اتباع عمل الصالحات بعد[2] الإيمان في كل موضع ذُكِرَا معاً. إن قيل: لِمَ قال ها هنا: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] وقال ثَمَّ: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]؟ قيل: كل واحدة من الصفتين؛ أعني ٱلتَّوَّاب

(١) وفي ذلك قال ابن القيم رحمه الله: «لما كان التائب قد رجع إلى الله بالاعتذار والإقلاع عن معصيته، كان من تتمة ذلك: رجوعه إليه بالاجتهاد والنصح في طاعته كما قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠] فلا تنفع توبة وبطالة، ولابد من توبة وعمل صالح، وترك لما يكره، وفعلٍ لما يحب، تخلٍّ عن معصيته، وتحلٍّ بطاعته» مدارج السالكين (١/ ٤٦٨).

(٢) في هذا الموضع من الأصل أقحم الناسخ ثمانية عشر سطراً فصلت المعنى، وهي متقدِّمة عن موضعها، ومحلُّها التأخير بمقدار ستة وثلاثين سطراً ـ كما سيتبيّن في موضعه ـ وهذا ما يؤكد أن الناسخ لهذه النسخة قدَّم أثناء النسخ لوحاً عن موضعه على لوحين والصواب أن يكونا قبله. وبناء على ذلك فقد أخَّرت ما حقه التأخير، وقدّمت ما حقه التقديم، حتى اتصل الكلام واتسق، ومن ذلك تقديمي الكلام من بداية لفظ (الإيمان) وهو في الأصل بعد الثمانية عشر سطراً المقحمة في غير موضعها، وكذلك أخّرت هذه الأسطر المقحمة إلى موضعها، وسوف أشير إلى ذلك بعد قليل.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

والغفـور يتضمَّن الأخـرى، لكن التوّاب أخصّ والغفور أعمّ، فذكر حيث ما ذكر أعظم الذنبين الضلال والإضلال التوّاب، وحيث ما ذكر أصغرهما ـ وهو الضلال دون الإضلال ـ ذكر الغفور[1]. إن قيل: لِمَ قال ههنا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ ولم يقل ثمَّ؟ قيل: لما وصف ههنا قوماً كان منهم إيمان متقدّم، ثم حصل منهم كفر بعد إيمانهم، قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ ليبيّن أن الإيمان المتقدّم لا ينفعهم إذ قد أحبطوه وأبطلوه، وأن الذي يُعتدُّ به هو ما يفعلونه من بعد[2]، ....

(١) في الأصل: (العفو)، والصواب ما أثبته.

(٢) ليس هذا موضع اتفاق بين العلماء، بل هناك بعض المحققين ذهب إلى أن الإيمان المتقدم الذي حُبِطَ بالردة يمكن أن يعود بالتوبة الصادقة، وهذه مسألة تتعلق بحكم من أحكام التوبة، وهو: أن العبد إذا تاب من الذنب، فهل يرجع إلى ما كان عليه قبل الذنب من الدرجة التي حطّه عنها الذنب أو لا يرجع إليها؟ قال النووي: ومن حجَّ ثم ارتدّ ثم أسلم لم يلزمه الحج، بل يجزئه حجته السابقة عندنا. وقال أبو حنيفة وآخرون: يلزمه الحج، ومبنى الخلاف على أن الردة متى تحبط العمل؛ فعندهم تحبطه في الحال، سواء أسلم بعدها أم لا، فيصير كمن لم يحج، وعندنا لا تحبطه إلا إذا اتصلت بالموت، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ المجموع شرح المهذب (٧/ ٩).
وقال الإمام ابن القيم: اختُلفَ في ذلك. فقالت طائفة: يرجع إلى درجته، لأن التوبة تجبُّ الذنب بالكلية، وتصيّره كأن لم يكن، والمقتضي=

ولما لم يكن ثمّ كفر بعد إيمان متقدّم استغنى عن ذكر ﴿بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾.

= لدرجته: ما معه من الإيمان والعمل الصالح، فعاد إليها بالتوبة...، وقالت طائفة: لا يعود إلى درجته وحاله، لأنه لم يكن في وقوف، وإنما كان في صعود، فبالذنب صار في نزول وهبوط، فإذا تاب نقص عليه ذلك القدر الذي كان مستعداً به للترقي. قال ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يحكي هذا الخلاف ثم قال: والصحيح أن من التائبين من لا يعود إلى درجته، ومنهم من يعود إليها، ومنهم من يعود إلى أعلى منها، فيصير خيراً مما كان قبل الذنب... وهذا بحسب حال التائب بعد توبته وجدّه وعزمه وحذره وتشميره، فإن كان ذلك أعظم مما كان له قبل الذنب عاد خيراً مما كان وأعلى درجة. وإن كان مثله عاد إلى مثل حاله، وإن كان دونه لم يعد إلى درجته، وكان منحطًا عنها، وهذا الذي ذكره هو فصل النزاع في هذه المسألة» مدارج السالكين (١/ ٣١٧، ٣١٨). وقال ابن القيم أيضاً في الوابل الصيب: فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعود إلى ثواب العمل؟ قيل: إن كان عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية، فإنه لا ينقلب صالحاً بالتوبة، بل حسْبُ التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه. وأما إن عمله لله تعالى خالصاً ثم عرض له عجب ورياء أو تحدث به ثم تاب من ذلك وندم، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط، وقد يقال: إنه لا يعود بل يستأنف العمل، والمسألة مبنية على أصل وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردها أو لا يحبطه إلا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه. فإن قلنا: تحبط العمل بنفسها فمتى أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام. وإن قلنا: لا يحبط

ودخول الفاء في قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴾ لتضمُّن الكلام معنى الجزاء[1]، كأنه قيل: إن تابوا وأصلحوا يُغْفَرْ لهم[2].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن

= العمل إلا إذا مات مرتداً، فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله... ولم يزل في نفسي من هذه المسألة، ولم أزل حريصاً على الصواب فيها، وما رأيت أحداً شفى فيها. والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم، وبه المستعان ولا قوة إلا به ـ أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ويكون الحكم فيها للغالب، وهو لقهر المغلوب ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن، فإذا غلبت على العبد الحسنات، رفعت حسناته الكثيرة سيئاته، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تربي وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقد سأل حكيم بن حزام رضي الله عنه النبيَّ ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك هل يثاب عليه؟ فقال النبيّ ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير» فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة، فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحاً صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته...» الوابل الصيب ص (٢٢، ٢٣).

(١) في الأصل: (الجواز) ولا يصح معناه.

(٢) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٦).

﴿تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[1] قيل: معناه لن تُقبل توبتهم بعد الموت[2]، وقيل: عند الموت والمعاينة[3]، نحو ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[4] وقيل: توبتهم المتقدّمة فإن تلك أحبطها الكفر المتعقب[5]، وقيل: نزل في قوم ارتدوا،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٢) وهذا مروي عن مجاهد انظر: زاد المسير (١/ ٤١٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢). وقد ردَّ الطبري ذلك قائلًا: «أنكرنا ذلك، لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة». جامع البيان (٦/ ٥٨٣).

(٣) وهذا قول الحسن وقتادة والسدي، وهو مروي عن مجاهد أيضاً، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٨، ٥٧٩)، والوسيط (١/ ٤٦١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٥)، وزاد المسير (١/ ٤١٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٩)، وقد ردَّ ابن جرير الطبري هذا القول أيضاً مبيّناً أنه لا خلاف في أن كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين، أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة وسائر الأحكام مما يدل على صحة إسلامه. جامع البيان (٦/ ٥٨٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٥) وهذا مروي عن عكرمة وابن جريج انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٠، ٥٨١) والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢). قال الطبري: «وأما قول من زعم أن معنى ذلك: التوبة التي كانت قبل الكفر فقول لا معنى له، لأن الله عز وجل=

وقالوا: إنا إذا رجعنا قبل توبتنا. وظنوا أن ذلك منهم توبة، فبيّن تعالى أن هذه النية غير مقبولة، وأنها ضلالة[1]، وقيل: معناه: لا تكون منهم توبة مقبولة[2]، كقول الشاعر:

على لاحب لا يُهْتَدَىٰ بمناره[3] ....

أي[4] لا يكون فيه منار فيهتدى به، وهذا إخبار عن علمه

= لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر، ثم كفر بعد إيمان، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان، فلم يتقدّم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه. . .» جامع البيان (٦/ ٥٨٣).

(١) وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه: لن تقبل توبتهم، لأنها توبة غير خالصة، إذ هم مرتدون، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، وفي ضمائرهم الكفر. البحر المحيط (٢/ ٥٤٢).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٨٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢).

(٣) هذا صدر بيت لامرئ القيس وتمامه:

على لاحبٍ لا يهتدى لمناره   إذا سافه العود النباطي جرجرا

انظر: ديوان امرئ القيس بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ص(٦٦)، والمنتخب (٢/ ٦٥٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ٧٠)، (١٣/ ٩٢)، (١٤/ ١٩٨)، وأساس البلاغة ص (٢٢٥)، والبحر المحيط (١/ ٢٠٦، ٣٤٨، ٤٢٠)، وتاج العروس (٢٣/ ٤٧٢). ويُروَى (لمناره) باللام بدل الباء. واللاحب: الطريق الواضح. انظر: اللسان (٩/ ١٦٥).

(٤) في الأصل (أن) والصواب ما أثبته.

تعالى بحالهم، وقيل: إن توبتهم غير مقبولة في حالِ ما هم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان، فالواو في قوله: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ على هذا واو الحال[1].

[٢٢٩/أ] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ/ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[2].

الفدية: بذل شيء احتراساً من أذى، ومنه فداء الأسير. وقولهم: فديتك[3]. وإدخال الواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾

---

(١) قال أبو حيان: «وذكر الراغب قولاً أن الواو في «وأولئك» واو الحال، والمعنى: لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان. انتهى هذا القول. وينبو عن هذا المعنى هذا التركيب، إذ لو أريد هذا المعنى لم يؤت باسم الإشارة»اهـ. البحر المحيط (٢/ ٥٤٣). وذكر السمين الحلبي في هذه الواو ثلاثة أوجه: أحدها أن تكون في محل رفعٍ عطفاً على خبر إنَّ. أي: إنَّ الذين كفروا لن تُقبل توبتهم، وإنهم أولئكَ هم الضالون. الثاني: أن تُجعلَ معطوفة على الجملة المؤكدة بإن. وحينئذٍ فلا محلَّ لها من الإعراب؛ لعطفها على ما لا محلّ له. الثالث: قال: وهو أغربها أن تكون واو الحال، فالجملة بعدها نصب على الحال... قاله الراغب. انظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٣) انظر: المنقوص والممدود للفرّاء ص (٢٥، ٢٦)، وتهذيب اللغة =

لعموم المعنى، ومعناه لا يقبل منهم ذلك، وإن أخرجه على وجه القُرْبة في الدنيا، إذ كان لا يتقبّل الله إلا من المتقين[1]، ويجوز أن يعني ذلك في الآخرة، ومعناه: لو ملك ذلك فأخرجه لم يكن ينفعه، وليست الواو بزائدة كما ظن بعضهم[2]، لأنه

= (١٤/ ٢٠٠) وفيه: «ويقولون: فديته بأبي وأمي، وفديته بمالي، كأنه اشتريته به، وخلصته به. . .» والفروق ص (٣٣٠)، والمغرب في ترتيب المعرب ص (٣٥٣)، والنهاية (٣/ ٤٢١).

(١) قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف موقع قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾؟ قلت: هو كلام محمول على المعنى، كأنه قِيل: فلن تقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً» الكشاف (١/ ٣٨٣، ٣٨٤). قال أبو حيان بعد أن نقل كلام الزمخشري: «وهذا المعنى ينبو عنه هذا التركيب ولا يحتمله، والذي يقتضيه هذا التركيب وينبغي أن يحمله عليه: أن الله تعالى أخبر أن من مات كافراً لا يقبل منه ما يملأ الأرض من ذهب على كلِّ حالٍ يقصدها، ولو في حالة الافتداء به من العذاب. . .» البحر المحيط (٢/ ٥٤٣) وانظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٧).

(٢) هذا القول عزاه الزُجّاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤١) إلى بعض النحويين ولم يسمه، كما عزاه النحاس في معاني القرآن (١/ ٤٣٧) لبعض أهل اللغة دون تحديد أيضاً. وممن قال بهذا القول بعد الراغب: أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٩). وذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٢/ ٥٤٣)، وضعفه، ولم ينسبه إلى قائل، وكذلك فعل ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٥٦). وقد اختلف النحويون في جواز زيادة الواو. =

حينئذ يسقط معنى عموم الحالين، وملء الأرض - قيل: هو مقدار ما يملأ الأرض[1]، وقيل: معناه كل ما يتعامل به في الأرض من الذهب، وذلك حسم لطمع من مات على كفره في رحمته. وقيل: وهذه الآية والتي قبلها كالآيتين في سورة النساء ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ[2]...﴾ إلى آخر الآيتين[3].

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن

= فمذهب جمهور البصريين عدم الجواز، ووجّهوا النصوص التي استدلَّ بها غيرهم بغير الزيادة. ومذهب الكوفيين جواز ذلك في جواب (لما أن) و(حتى إذا). انظر: كتاب سيبويه (٣/ ١٠٣)، والفرّاء (١/ ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ٢٢٦، ٢٣٦)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣٠٦، ٣٠٧)، والمقتضب (٢/ ٨٠)، ومجالس ثعلب ص (٥٩)، وجامع البيان (٦/ ٥٨٦)، والإنصاف، المسألة (٦٤)، وشرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٩٣، ٩٤).

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٤)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٣٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٣)، والمقاييس (٥/ ٣٤٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٢)، وجامع البيان (٤/ ١٣٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٩)، وفتح القدير (١/ ٣٩٩).

شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[1] البر: التوسُّع في فعل الخير[2]، وقد تقدّم في قوله: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾[3] إن البر ينسب إلى العبد تارة، وذلك إذا أطاع الله، وإلى الله تارة إذا أنعم على العبد[4]، وقد حُمِلَ ههنا على الأمرين، فقيل: البر من الله الثواب[5]، وقيل: الجنة[6]، وقيل: الطاعة[7]، ومن الناس من اعتبر ذلك في المال فقط[8]، فالإنسان محبٌّ للمال بالطبع، ولهذا قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) انظر: الغريبين (١/ ١٥٣)، والمفردات ص (١١٤)، والبحر المحيط (١/ ٣٣٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ٤٦ ـ مخطوط).

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٨)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٤٠)، ولم ينسبه إلى أحد.

(٦) وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون والسُّديِّ ومسروق ابن الأجدع وابن جرير الطبري، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٩)، وزاد المسير (١/ ٤٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٦).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٠)، والقرطبي في الجامع (٤/ ١٣٣)، ونسباه إلى عطية العوفي. وذكره الزّجّاج عن بعضهم في معاني القرآن (١/ ٤٤٣)، ونسبه إلى الزّجّاج أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٤٦)، وذكره الماوردي في النكت والعيون، ولم ينسبه لأحد. (١/ ٤٠٨).

(٨) وهو قول قتادة والحسن. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٧، ٥٨٨).

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1]، ثم منهم من قال: هذا خطاب للأغنياء، ولذلك قال الحسن: عنى الزكاة الواجبة وما فرض في الأموال خاصة[2]، ومنهم من قال: خطاب للكل، وحثٌّ لهم على ما قدروا عليه من الإنفاق[3]، وكمن مَدَحَ بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[4]، ولذلك لما نزلت هذه الآية جاء زيد بن حارثة[5] بفرس، فقال: هذا مما أحبَّه الله، وقد جعلته في سبيل الله، فحمل

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٢) ذكره عن الحسن الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢١)، ونسبه إلى ابن عباس والحسن والضحاك. والقرطبي في الجامع (٤/ ١٣٣)وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٤٦).

(٣) وهو فهم عامة الصحابة، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٨، ٥٨٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٩)، والوسيط (١/ ٤٦٣، ٤٦٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٧)، وزاد المسير (١/ ٤٢١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٢، ١٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٦) وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٠).

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة مولى رسول الله ﷺ، صاحبي جليل مشهور من أول الناس إسلاماً، زوّجه رسول الله ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش، وقد نزل القرآن باسمه في سورة الأحزاب، استُشهدَ يوم مؤتة في حياة النبي ﷺ سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦)، والإصابة (١/ ٥٦٣)، والتقريب ص (٢٢٢).

عليه رسول الله ﷺ أسامة[(١)][(٢)]، ومنهم من اعتبر ذلك في متاع الحياة الدنيا كله، فقال: لن تنالوا البرَّ إلا بالإنفاق، وبذل الجاه والبدن والنفس، قال: وذلك حثٌّ على جميع المحامد، فإن من تشجَّع وبذل المهجة في طاعة الله فقد أنفق ما[(٣)] أحب[(٤)]،

---

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو محمد، حبّ رسول الله ﷺ وابن حبّه، ولاه النبي ﷺ جيش العسرة وفيه كبار الصحابة، تُوفيِّ سنة ٥٤هـ وهو ابن خمس وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦)، والتهذيب (١/ ٢٠٨)، والتقريب ص (٩٨).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن (١/ ١٢٦) عن معمر عن أيوب. والطبري في جامع البيان (٦/ ٥٩٢) عن عبدالرزاق به. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٠٤) من طريق آخر عن محمد بن المنكدر. وهو حديث مرسل. انظر تعليق الشيخ أحمد شاكر عليه في حاشية جامع البيان (٦/ ٥٩٢) رقم (٢).

(٣) بداية من لفظ (ما أحب) هو الجزء الذي تقدّم والمشار إليه سابقاً، وقد أخَّرته إلى موضعه الصحيح من الكلام، والله أعلم.

(٤) وهذا ما فهمه أبو ذر رضي الله عنه من الآية الكريمة، فقد ذكر ابن جرير الطبري في جامع البيان أثراً بإسناده إلى ميمون بن مهران؛ أن رجلًا سأل أبا ذر: أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل، والصدقة شيء عجب. فقال: يا أبا ذر، لقد تركت شيئاً هو أوثق عملي في نفسي، لا أراك ذكرته! قال: ماهو؟ قال: الصيام. فقال: قربة وليس هناك. وتلا هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ جامع البيان (٦/ ٥٩١). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٩). وقال=

ولذلك قيل:

.... الجود بالنفس أقصى غاية الجود[1]

وقال بعضهم: أحب الأشياء إليك روحك، فأنفقها في الوصول إلى البّر. وقيل: برُّ الله لعبده اطلاعه على دقائق حكمته وحقائق المعقولات، ولا يكون ذلك إلا بترك ما تميل إليه النفوس من المحسوسات من المطعم والمنكح والملبس. وقيل: أعظم البر مجاورة البارّ وقربه، وذلك بإنفاق ما لنا في الدنيا[2]، وقوله:

= ابن عطية: «وإذا تأملت جميع الطاعات وجدتها إنفاقاً مما يحب الإنسان، إما من ماله، وإما من صحته، وإما من دعته وترفهه، وهذه كلها محبوبات» المحرر الوجيز (٣/ ١٥٨).

(١) هذا عجز بيت لمسلم بن الوليد الأنصاري، المعروف بصريع الغواني، وتمامه:

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٩٧) ونسبه إليه. وذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٣٠٥) ولم ينسبه.

(٢) هذا القول والذي قبله من تفسير الصوفية، وإلى معنى هذين القولين أشار القشيري في لطائفه بقوله: «... فمن أراد البر فلينفق مما يحبه أي البعض، ومن أراد البارَّ فلينفق جميع ما يحبه، ومن أنفق محبوبه في الدنيا، وجد مطلوبه من الحق تعالى، ومن كان مربوطاً بحظوظ نفسه لم يحظ بقرب ربّه. ويقال: إذا كنت لا تصل إلى البر إلا بإنفاق محبوبك فمتى تصل إلى البارِّ وأنت تؤثر عليه حظوظك». لطائف الإشارات (١/ ٢٧٠) وأما ما ذكره الراغب من ترك ما تميل إليه النفوس من المحسوسات من المطعم=

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ أي مجازيكم، ولدلالة ذلك على المجازاة جُعِلَ جواباً للشرط[1].

قوله تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2]، كان اليهود أنكروا تحليل النبي ﷺ لحوم الإبل، وقالوا: إنها كانت محرّمة على إبراهيم على ما نطقت[3] به التوراة، فكذّبهم تعالى، وذكر أنها كانت محلّلة عليه وعلى أولاده إلى أن حرّمها إسرائيل على نفسه، وهو يعقوب، وأمرهم بإحضار التوراة، فامتنعوا، ولم يجسروا على ذلك،

= والمنكح والملبس، فهذا ليس على إطلاقه، والله تعالى لم يأمرنا بترك ذلك بالكلية ولا رسوله ﷺ، بل إن الرسول ﷺ لما أخبر عن بعض أصحابه أن أحدهم قال: إني أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: إني أقوم ولا أفتر، وقال ثالث: وأنا لا أتزوّج النساء، غضب رسول الله ﷺ من مقالتهم وقال: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح رقم (٥٠٦٣). ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه. رقم (١٤٠٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٥٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

(٣) في الأصل (نطق)، والسياق يقتضي ما أثبته.

لصدق ما أخبر تعالى به[1]، وسبب تحريمه ذلك - قيل: إنما كان مرضاً أورثه لحم الإبل فتركه، وحرّمه على نفسه تحريم المريض طعاماً لا يوافقه، لا تحريم شرع[2]. وقال ابن عباس والحسن: أصابه عرق النَّسا[3]، فنذر أن يترك إن عافاه الله أشهى طعام إليه تقرباً إلى الله تعالى، وتحريم اليهود ذلك كان اقتداء منهم به[4]،

---

(١) هذه القصة وردت في: الوسيط (١/ ٤٦٤)، وأسباب النزول ص (١١٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣) من رواية أبي روق وابن الكلبي. قال أبو حيان: «وروي أنهم لم يتجاسروا عن الإتيان بالتوراة، لظهور افتضاحهم بإتيانها، بل بُهِتُوا، وذلك كعادتهم في كثير من أحوالهم». البحر المحيط (٣/ ٥).

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس والضّحّاك والسّديّ انظر: جامع البيان (٧/ ٧-١٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٩)، والوسيط (١/ ٤٦٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٧)، وزاد المسير (١/ ٤٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٤)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦١).

(٣) عرق النسا: عرق يخرج من الورك، فيستبطن الفخذ، ويمتد من الورك إلى العرقوب. انظر: المقصور والممدود ص (١٨) والمجموع المغيث (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٤) أما قول ابن عباس فأخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن (١/ ١٢٦)، والطبري في جامع البيان (٧/ ١٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٠٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٥)، وابن كثير في تفسير القرآن=

وقيل: إنه لما حرّم على نفسه حرّم الله عليهم[1]، ولذلك قال: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ ﴾[2] في الآية حجة عليهم على هذا في جواز النسخ، لأنه حرَّم عليهم ما كان مباحاً في شريعة إبراهيم[3]. إن قيل: كيف حرَّم هو على نفسه ما كان

= العظيم (١/ ٣٦١) وقال: وهكذا قال الضّحاك والسّدّيّ. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٦٩). وأما قول الحسن فرواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٤). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١٠)، والبحر المحيط (٣/ ٤).

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٦٨) عن الحسن قال: حرّم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبُّداً لله تعالى، فسأل ربه أن يجيز له ذلك فحرّمه الله على ولده.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٠.

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير كلاماً مهمًّا حول قضية النسخ، قال فيه: «لما تقدّم بيان الرّدّ على النصارى، واعتقادهم الباطل في المسيح، وتبيين زيف ما ذهبوا إليه، وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه... شرع في الردّ على اليهود ـ قبّحهم الله تعالى ـ وبيّن أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع. فإن الله تعالى قد نصَّ في كتابهم التوراة أن نوحاً عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دوابّ الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرّم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل وألبانها، فاتبعه بنوه في ذلك، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وأشياء أخر زيادة على ذلك، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه، وقد حرّم ذلك بعد ذلك، وكان التسرِّي على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم عليه السلام، وقد فعله إبراهيم في=

مباحاً فأقره الله عليه، وحرّم النبي ﷺ جاريته فعاتبه ومنعه؟ قيل: إن إسرائيل إما أنه حرّم على نفسه لحم الإبل، لأنه لم يكن يوافقه، وكان واجباً عليه تركه. فإن الله تعالى جعل الطعام ليتوصَّل به إلى صلاح البدن، وما يؤدي إلى فساده فواجب علينا تركه، وإما أنه حرَّم ذلك تقرُّباً[1] إلى الله كما يُحرِّم الصائم الطعام، وكما يُحرِّم المعتكف على نفسه بعض التصرُّفات[2]، ولم يكن تحريم النبي ﷺ على أحد هذين الوجهين، بل لما ذكره تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[3]، ولأن في تحريم النبي ﷺ/ [٢٢٩/ب] تضييع حق متعلق به للغير، وهو حق الجارية. وليس ذلك في فعل إسرائيل، وأيضاً فإن

= هاجر لما تسرَّى بها على سارة، وقد حُرِّم مثل هذا في التوراة عليهم، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغاً، وقد فعله يعقوب عليه السلام، ثم حُرِّم عليهم ذلك في التوراة، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم، وهذا هو النسخ بعينه. فكذلك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ما حُرِّم في التوراة، فما بالهم لم يتبعوه؟ بل كذَّبوه وخالفوه!!، وكذلك ما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين القويم والصراط المستقيم، وملة أبيه إبراهيم، فما بالهم لا يؤمنون؟» تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦١).

(١) لفظ (تقرُّباً) هو نهاية الجزء الذي تقدَّم في الأصل عن موضعه.

(٢) ذكر هذين القولين ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٦٠، ١٦١).

(٣) سورة التحريم، الآية: ١.

إسرائيل لما حرّم أشهى الطعام إليه قصد بذلك قمع الشهوة، وبنحو ذلك يهذّب الحكيم نفسه، والنبي ﷺ في تحريم جاريته تبع هوى غيره[1]، وهو مرضاة أزواجه، وذلك مكروه، فلم يقرّ عليه[2]،

---

(١) قصة تحريم النبي ﷺ لجاريته مارية أم إبراهيم، أخرجها النسائي، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة (٧/ ٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٣) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي. ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٧٦) رقم (٢٢٧٤-٢٢٧٥)، والطبراني (١١/ ٧١) رقم (١١١٣٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٩): رواه البزار بإسنادين والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم وهو ثقة.

(٢) قول الراغب: إن النبي ﷺ تبع هوى غيره، وأنه فعل مكروها فلم يقرّ عليه غير لائق. وقد وجدت أغلب المفسرين حرصوا في تفسير هذه الآية على اختيار الألفاظ، لئلا تزل أقدامهم، فيقعوا فيما يشبه انتقاصاً من مقام النبوة. قال القرطبي: ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ أي تفعل ذلك طلباً لرضاهن. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفور لما أوجب المعاتبة، رحيم برفع المؤاخذة. وقد قيل: إن ذلك كان ذنباً من الصغائر، والصحيح أنه عاتبه على ترك الأولى، وأنه لم تكن صغيرة ولا كبيرة. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٨٤). وقال أبو حيان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾: نداء إقبال وتشريف، وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ سؤال تلطّف، ولذلك قدّم قبله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ كما جاء في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] ومعنى: ﴿تُحَرِّمُ﴾ تمنع، وليس التحريم المشروع=

وذكر بعض الصوفية أن في ذلك تفضيلًا للنبي ﷺ من وجهين:

= بوحي من الله، وإنما هو امتناع لتطييب خاطر بعض من يحسن معه العشرة». البحر المحيط (٨/ ٢٨٤). ثم إن قصة تحريم النبي ﷺ لجاريته ليست سبباً متفقاً عليه في نزول الآية، بل إن المفسرين اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال: الأول: أن سبب نزولها: الموهوبة التي جاءت النبي ﷺ فقالت: إني وهبت لك نفسي. فلم يقبلها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وقد ضعّف العلماء هذا السبب سنداً ومعنى. الثاني: أنها نزلت في شأن مارية، خلا بها رسول الله ﷺ في بيت حفصة، فلما علمت عتبت عليه، فحرمها رسول الله ﷺ إرضاء لحفصة. الثالث: ثبت في الصحيحين، واللفظ للبخاري عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فتواصيت أنها وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير ـ صمغ يخرج من شجر العرفط كريه الرائحة ـ، إني أجد منك ريح مغافير. قال: «لا، ولكني شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، وقد حلفت لا تخبري أحداً» يبتغي مرضاة أزواجه. انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٨٤٤، ١٨٤٥). وهذا الأخير رجّحه ابن العربي، فقال: وإنما الصحيح أنه كان في العسل، وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، وجرى ما جرى، فحلف ألا يشربه، وأسرَّ ذلك فنزلت الآية في الجميع. ورجَّح ذلك أيضاً القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٧٩)، ونقل في ذلك كلام ابن العربي بنصه. ورجَّحه كذلك ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٧) فقال: والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل، ثم ساق الأحاديث الصحيحة في ذلك، التي رواها الإمامان البخاري ومسلم.

أحدهما: أنه لما حرّم إسرائيل على نفسه ما أحبه أمضاه، وحرّم النبي ﷺ على نفسه فعافاه. والثاني [: أن][1] بني إسرائيل ما كانوا يلتزمونه مما لم يكن قربة في الشريعة يلزمهم الوفاء به تشديداً عليهم، وعلى ذلك دل قوله: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[2] وقال ﷺ: «شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم»[3]، ورُفِعَ عن هذه الأمة ذلك فضيلة للنبي ﷺ. إن قيل: ما وجه اتصال هذه الآيات بعضها ببعض، لأنه ذكر أولاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[4] الآيتين ثم ذكر: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾[5] ثم عقبها بتحريم إسرائيل الطعام، وذم اليهود؟

= وسواء أكان سبب نزول الآية هذا أو الذي قبله، فإنه لا يدل على أن النبي ﷺ ارتكب ذنباً صغيراً أو كبيراً، لأن الله تعالى كان يُعاتبه على ترك الأولى، كما ذكر القرطبي.

(١) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته لاستقامة الكلام.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٣) أخرجه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب الحسد، رقم (٤٩٠٤)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٣٦٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٦): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير سعد بن عبدالرحمن بن أبي العمياء، وهو ثقة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

قيل: لما ذكر في الآيتين المتقدمتين ذم اليهود وغيرهم من الكفار، وبيَّن أن اتفاقهم مع كفرهم غير مقبول منهم، وصل ذلك بقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾، لئلا يقرر أن الانفاق غير مغنٍ على جميع الوجوه، فقال: وأنتم أيها المؤمنون إذا أنفقتم فإنما نقبل منكم على هذا الشرط، ثم رجع إلى ذم اليهود وتعديد ما ارتكبوه[1]، فصار قوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ بين الآيتين من الاعتراض المسمّى في كتب البلاغة الالتفات[2].

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) ولأبي حيان كلام آخر في مناسبة قوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ الآية. حيث قال: «ومناسبة هذه الآية لما قبلها والجامع بينهما؛ أنه تعالى أخبر أنه لا ينال المرء البر إلا بالإنفاق مما يحبُّ، ونبي الله إسرائيل رُوِيَ في الحديث أنه مرض مرضاً شديداً فطال سقمه، فنذر لله نذراً إن عافاه الله من سقمه أن يحرِّم أو ليحرِّمن أحبَّ الطعام والشراب إليه، وكان أحبُّ الطعام إليه لحوم الإبل، وأحبُّ الشراب ألبانها، ففعل ذلك تقرباً إلى الله، فقد اجتمعت هذه الآية وما قبلها في أن كلًّا منهما في ترك ما يحبه الإنسان وما يؤثره على سبيل التقرُّب به لله تعالى». البحر المحيط (٣/ ٣).

(٢) الالتفات: «العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلُّم أو على العكس» التعريفات ص (٥٠). وانظر: شرح التلخيص ص (٤٧، ٤٨). والكليات للكفوي ص (٦٩، ٧٠، ٢٧٣-٢٧٥).

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] الافتراء والاختلاق: افتعال للكذب الذي لا أصل له، من افتراء الأديم واختلاقه[2]، والكذب ضربان: اختراع قصة لا أصل لها وزيادة، أو تغيير فيما له أصل، والأول أعظمهما[3]، والمُفترى عليه ضربان: رفيع ووضيع. فالمفتري على الرفيع أعظم ذنباً، ثم المفتري له ضربان: عارف بالفرية، وجاهل بها، فالمفتري العارف بالفرية أوقحهما وجهاً، فبيّن الله تعالى بالآية أنهم اختلقوا الكذب على الله تعالى، الذي يعلم السّرّ وأخفى، وفعلوا ذلك بعد أن أطلع الله الناس على كذبهم، وبيّن أن متخذي ذلك في نهاية الظلم، وعلى ذلك في غير موضع: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[4].

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٤.

(٢) انظر: المنتخب (١/ ٣٤٠)، و(٢/ ٦٦٠)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٦)، وفيه: «.. خلقت الأديم إذا قدّرته وقسته؛ لتقطع به مزادة أو قربة أو خفًّا...»، و(١٥/ ٢٤٢، ٢٤٣)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٦٦، ٥٦٧)، و(٤/ ١٩٠)، والقاموس ص (١١٩٧)، والتاج (٢٥/ ٢٥٢).

(٣) انظر معاني الكذب في: مجمل اللغة ص (٦١٩)، والمفردات ص (٧٠٤، ٧٠٥)، والنهاية (٤/ ١٥٧-١٥٩)، والقاموس ص (١٦٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢١، ٩٣. وهود الآية: ١٨، وسورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] معنى قوله: قل اعتقد وأخبر أن ذلك من قول الله تعالى، وهو صادق. وحقيقة قوله: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ إقرار بأن الله قد أخبر، فإنه إذا ثبت كونه من خبره ثبت كونه صدقاً، ونبّه أن ما أخبر من قوله: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ وسائر ما تقدّم صدق، وأنه ملة إبراهيم، وأوجب عليهم اتباعه في تحنّفه[2] أي في استقامته[3]، وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بهم، كأنه قيل: أنتم مشركون في اتخاذ بعضكم بعضاً أرباباً، وإبراهيم لم يكن مشركاً، فإذن ليس دينكم دين إبراهيم[4]، وكما نفى في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[5] أنه منهم نفى في هذه الآية كونه مشركاً.

قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[6]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٥.

(٢) تقدم تفسير الحنيف ص (٦١٨) من البحث.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٢)، والبحر المحيط (٣/ ٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٩). وروح المعاني (٤/ ٤).

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٩)، وروح المعاني (٤/ ٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٦) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

قيل: بكة هي المسجد، ومكة[1] الحرم[2]، وقيل: / بكة هي [٢٣٠/أ] البيت[3]، وقيل: هي بطن الحرم[4] وقال مجاهد: هما واحد[5]

---

(١) مكة: هي البلد الأمين الذي شرفه الله، وبها البيت العتيق. ولمكة أسماء كثيرة، منها: مكة، وبكة، وأم القرى، وهي مدينة في جزيرة العرب ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠م. ويرجع تاريخ عمارتها إلى عهد إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقي ص (٣٢) وما بعدها. وآثار البلاد للقزويني ص (١١٢).

(٢) ورد ذلك عن جماعة من السلف منهم أبو مالك الغفاري، وابن شهاب الزهري، وأيده ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٣-٢٥). وممن قال بذلك أيضاً ابن القوطية في كتاب الأفعال ص (٢٧٩)، كما ذكره النحاس عن عكرمة، انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤١٠)، وزاد المسير (١/ ٤٢٥).

(٣) ورد ذلك عن عطية العوفي وابن شهاب الزهري وضمرة بن ربيعة، وقد جعله ابن جرير من لازم القول الأول، وهذا هو الظاهر إذ لا تنافي بين القولين. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٤، ٢٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤١٠)، وزاد المسير (١/ ٤٢٥).

(٤) هذا قول أبي عبيدة. انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٧).

(٥) هذا القول منسوب للضحاك، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٥)، وذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٥)، ورجحه الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٢)، حيث قال: بكة من أسماء مكة على المشهور. أما مجاهد فالمروي عنه أن بكة هي اسم للبقعة التي فيها الكعبة. انظر: زاد=

كقوله سَبَّد رأسه وسَمَّدَه[1]، أي حلقه، وضرب لازم ولازب[2]، وأصل بكة من التَّباك أي التزاحم، وذلك اعتباراً بازدحامهم لقصده، والطواف به[3]، وقيل: لبَكهِ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا

= المسير (١/ ٤٢٥)، والدر المنثور (٢/ ٩٤)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(١) في الأصل: (وشمره) وهو تصحيف. وفي المخصّص: أبو عبيد: سمّد رأسه وسبَّده، والتسبيد: أن يحلق رأسه حتى يلصقه بالجلد، ويكون التسبيد أيضاً أن يحلق الرأس ثم ينبت الشيء اليسير من الشعر»، وهو اختصار لما في غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٦٢) وهذا القول هو المختار عند الزجاج، انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٤)، وتفسير غريب القرآن ص (٣٦٩)، والزاهر (١/ ٤٩٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٥)، والمشوف المعلم (٢/ ٦٩٧). وقال ابن سيده في المخصص (١٣/ ٢٨٥) بعد أن ذكر أنهما لمعنى واحد: «... وقال بعض أهل اللغة: ليس اللزوب كاللزوم، اللزوب: تداخُل الشيء بعضه في بعض، واللزوم: المماسة والملاصقة». ثم سرد أمثلة عدة لإبدال الميم من الباء وعكسه. وانظر: (١٣/ ٢٧٤، ٢٨٤-٢٨٦).

(٣) هذا قول مجاهد كما في تفسيره ص (٢٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٩)، وانظر في هذا المعنى جامع البيان (٧/ ٢٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٤٣)، وكتاب الأفعال لابن القوطية ص (٢٧٩)، وتهذيب اللغة (٩/ ٤٦٣، ٤٦٤)، والمفردات ص (١٤٠)، والنكت والعيون (١/ ٤١٠)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٦٦).

فيه[1]، ومكة من أمتَكَّ الفصيل ما في الضرع[2]، كأنه يجمع أهل الآفاق ويؤلفهم، ولذلك سميت أم الزحم[3]. والبركة: ثبوت الخير في الشيء ثبوت الماء في البِرْكة[4]، وسميت البركة لثبوت الماء، وأصل الكلمة البرك، وبرك البعير ألقى بركه[5] وبُركاءُ

---

(١) انظر المواضع السابقة سوى جامع البيان، وتفسير مجاهد، وتفسير ابن أبي حاتم. وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٢).

(٢) قال الزجاج: امتكَّ الفصيل ما في ضرع الناقة إذا مصَّ مصًّا شديداً حتى لا يبقي فيه شيئاً. معاني القرآن (١/ ٤٤٥) وانظر: العين (٥/ ٢٨٦)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٤٣٢)، والمفردات ص (٧٧٢)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٥١٥).

(٣) أغلب المصادر القديمة تذكر أن من أسماء مكة: «رُحْمَى، وأم الرحم». بالراء لا الزاي، غير أن الفيروز آبادي ذكر في فصل الزاي من باب الميم في القاموس أن من أسمائها «الزحم، وأم زحم» وعلق عليه الشارح بقول ابن سيده: «والمعروف رحم» بالراء المهملة. انظر: المنتخب لابن الأعرابي ص (٤٠٤)، والمخصص لابن سيده (١٣/ ١٨١)، (١٥/ ١٩٤)، وأساس البلاغة للزمخشري ص (١٥٨)، والقاموس ص (١٤٣٦، ١٤٤٢).

(٤) البِرْكة بالكسر: مستنقع الماء. المعجم الوسيط ص (٥١)، وانظر في معنى (البركة): تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٩).

(٥) قال الراغب: «أصل البَرْك: صدر البعير وإن استعمل في غيره. ويقال له: البركة. وبرك البعير: ألقى بِرْكه، واعتبر منه معنى اللزوم، فقيل: ابتركوا في الحرب، أي ثبتوا ولازموا موضع الحرب، وبراكاء الحرب=

القتال ملازمته[1]، وتبارك الله تخصَّص بلزوم فعل الخيرات[2]، واختُلِف في بناء البيت، فقال مجاهد وقتادة: هو[3] أول بيت بُني في الأرض[4]، ....

= وبروكاؤها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وابتركت الدابة: وقفت وقوفاً كالبروك، وسُمّي محبس الماء بركة. والبَرَكة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء». المفردات ص (١١٩) وانظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠)، والقاموس ص (١٢٠٤)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٩، ٢١٠).

(١) قال الأزهري: «البركاء: مباحتة القتال» أي الصدق فيه والجد. تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠).

(٢) عبارة الراغب في المفردات: ص (١٢٠): «كل موضع ذكر فيه لفظ: (تبارك) فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر «تبارك». وقد فسَّر ابن عباس «تبارك» بـ«تعالى وارتفع وتعاظم». انظر تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠). وأما لفظة: «مباركاً» التي وردت في الآية فيفهم معناها من معنى البركة الذي ذكره الراغب. وقد قال الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٣٠٦): «والمبارك: ما يأتي من قبله الخير» وانظر أيضاً: الغريبين (١/ ١٥٩)، والمقاييس (١/ ٢٣٠)،، والمجموع المغيث (١/ ١٥١)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٨-٢١٠، ٢٩٤).

(٣) في الأصل (هى) والصواب ما أثبته.

(٤) أما قول مجاهد فقد أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٢١) بسنده عن مجاهد، قال: أول ما خلق الله الكعبة، ثم دحى الأرض من تحتها. وذكر قوله أيضاً: الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٤). وقول قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان=

وقال عليّ: أول بيت وُضِع للعبادة[1]، وهذا الاختلاف لاختلاف التقديرين في الآية، لأنه على الثاني: إن أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين للذي ببكة[2]، (ثم اختلفوا في معنى ﴿أَوَّلَ﴾. فمنهم من اعتبر ذلك بالشرف والمنزلة)[3]، فكأنه قيل: أشرف بيت، وعلى ذلك قال مجاهد: هو كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4]. ومنهم من اعتبر أوليته بالزمان. قال: أول

= (٧/ ٢١)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٤). وقد قال بهذا القول السدي أيضاً، انظر: جامع البيان (٧/ ٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٧). وذكر ابن كثير هذا القول في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٢)، ونسبه إلى السدي وأشار إلى تضعيفه بقوله: «وزعم السدي أنه أول بيت وُضِعَ على وجه الأرض مطلقاً، والصحيح قول علي رضي الله عنه».

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٩). وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٠٧، ٧٠٨) وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١٠). وقال ابن الجوزي: وهذا قول علي بن أبي طالب والحسن وعطاء بن السائب وآخرين. زاد المسير (١/ ٤٢٥). وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٤) والبحر المحيط (٣/ ٧)، والدر المصون (٣/ ٣١٥).

(٣) ما بين القوسين ( ) تكرر في الأصل.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠. وقول مجاهد أخرجه ابن جرير الطبري=

بيت بعد الطوفان[1]، وهو الذي قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[2]. ومنهم من قال: أول موضع اتخذته الملائكة قبلة

= في جامع البيان (٧/ ٢١). والأزرقي في «أخبار مكة» ص (٧٥) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٣)، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير الطبري والأزرقي. ولم أقف عليه في الجزء الذي وصلنا من تفسير عبد بن حميد بهامش تفسير ابن أبي حاتم المخطوط.

(١) وهذا مروي عن قتادة، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢١). وروي عن ابن عباس أنه قال: إنه أول بيت حج بعد الطوفان. انظر: البحر المحيط (٣/ ٦). وقال الألوسي: ثم المراد بالأولية: الأولية بحسب الزمان، وقيل: بحسب الشرف، ويؤيد الأول ما أخرجه الشيخان عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أول بيت وضع للناس فقال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس» فقيل: كم بينهما فقال: «أربعون سنة». واستُشْكل ذلك بأن باني المسجد الحرام إبراهيم عليه السلام، وباني الأقصى: داود ثم ابنه سليمان عليهما السلام وبين بناء إبراهيم وبنائهما مدة تزيد على الأربعين بأمثالها. وأجيب بأن الوضع غير البناء، والسؤال عن مدة ما بين وضعيهما لا عن مدة ما بين بناءيهما، فيحتمل أن واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داود وابنه عليهما السلام، ثم بنياه بعد ذلك. روح المعاني (٤/ ٥). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٨). والحديث الذي ذكره الألوسي أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب رقم (١٠) رقم (٣٣٦٦)، وفي باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ رقم (٣٤٢٥). وأخرجه مسلم في أول المساجد حديث رقم (٥٢٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

في الأرض، وروى في ذلك أخباراً[1]، وهذا لا يقتضيه الظاهر، لأنه قال: ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، فخُص بالناس، وعلى هذا اعتبروا ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ في[2] قوله: ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[3]، ونبّه بقوله: مباركاً، أن فيه ثبوت الخير والهداية[4]، وأبهم هاهنا، ثم فسره بما بعده، واختلفوا في المقام، والأمن، فمنهم من حمل المقام على المحسوس، وقال: إنه أثر قدم إبراهيم على الحجر الصلد[5].

---

(١) ذكر القرطبي عن علي بن أبي طالب قال: أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٨). وقال الألوسي: «وورد في بعض الآثار أن أول من بنى البيت الملائكة، وقد بنوه قبل آدم عليه السلام بألفي عام، وعن مجاهد وقتادة والسدي ما يؤيد ذلك، وحكي أن بناء الملائكة له كان من ياقوته حمراء، ثم بناه آدم...» روح المعاني (٤/ ٥). وانظر أقوال العلماء في أولية البيت الحرام في الدر المنثور (٢/ ٩٣).

(٢) في الأصل (و) والصواب: (في) على ما أثبته.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٩.

(٤) انظر: الغريبين (١/ ١٥٩)، ، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٠٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٣٠)، والمفردات ص (١١٩)، وزاد المسير (١/ ٤٢٥)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٨-٢١٠، ٢٩٤).

(٥) هذا مروي عن مجاهد؛ رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧١١) ثم قال: وروي عن الحسن وعمر=

ومنهم من حمله على الأحكام، وقال: هو موضع الطواف والسعي وسائر أركان الحج، ولهذا قال: ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾، ثم فسره بمقام وإن كان لفظه مفرداً[١]، ومنهم من قال: الآيات هي المعاني المضَمَّنة فيه التي يستدل بها العارف[٢]، والمقام ما تخصَّص به إبراهيم من الخُلَّة التي اكتسبها ببذل النفس والمال والولد[٣]، فعلى هذا قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ من العقوبة[٤]، وقال

= بن عبدالعزيز، وقتادة، والسدي، ومقاتل نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١١)، وزاد المسير (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٩).

(١) ورد ذلك عن السدي، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٧) قال ابن جرير: وقرأ ابن عباس: «فيه آية بينة» يعني بها مقام إبراهيم، ويراد بها: علامة واحدة. وقال القرطبي: وقرأ أهل مكة وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: «آية بينة» على التوحيد، يعني مقام إبراهيم وحده. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٩). وروى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: مقام إبراهيم: الحرم كله. وفي لفظ: الحج كله مقام إبراهيم. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد نحو ذلك. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١).

(٢) هذا من تفسير الصوفية. قال ابن عربي في تفسيره (١/ ١٢١): ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ من العلوم والمعارف والحكم والحقائق.

(٣) انظر: لطائف الإشارات (١/ ٢٧٤).

(٤) هذا مروي عن عمر وابن عباس وابن عمر وعبيد بن عمير والشعبي. =

بعض الصالحين: كنت أطوف فخطر لي قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ ترى من أي شيء يأمن؟ فسمعت هاتفاً يقول: من النار[1]. وقيل ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ من بلايا الدنيا وأعراضها التي تصيب من قال فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، ومنهم من حمل: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ على الحكم، ثم اختلفوا. فمنهم من جعله خبراً، وقال: معناه أن من دخله كان آمناً، وذلك كان في الجاهلية، لأنه لم يكن يُتعرض

= انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠-٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١، ٧١٢)، وانظر: زاد المسير (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤٠، ١٤١) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٣)، وروح المعاني (٤/ ٦، ٧).

(١) ذكر ابن عطية هذا الخبر عن النقاش عن بعض العبّاد. المحرر الوجيز (٣/ ١٦٨). والنقاش: هو محمد بن الحسن أبو بكر النقاش المقرىء المفسر، قال عنه الذهبي: «اتهم بالكذب، وقد أتى في تفسيره بطامات وفضائح، وهو في القراءات أمثل» المغني في الضعفاء (٢/ ٢٨٦)، وهذا القول مروي عن يحيى بن جعدة، وهو ثقة من الثالثة وقد أرسل عن ابن مسعود كما ذكر الحافظ في التقريب ص (٥٨٩)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٢)، والنكت والعيون (١/ ٤١١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٣)، وروح المعاني (٤/ ٧).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

لجانٍ يلتجيء إلى الحرم بوجه حتى يخرج[1]، وقال الحسن والأصمّ: من دخله يأمن الاصطلام[2]، ومنهم من حمل ذلك على التعبد، أي في حكم الله، وإن كان في نفسه وجلًا، كقولك: هذا مباح، وهذا محظور، فعلى هذا من جعل الضمير في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ للبيت قال: لا يتعرض له بوجه إلى أن يخرج، ومن جعله للحرم فمنهم من قال: من قَتَل في غير الحرم ثم دخله لم يقتصّ منه
[٢٣٠/ب] إلى أن يخرج، لكن/ لا يبايع ولا يواكل حتى يضطر إلى الخروج، وقال الحسن: يقتص من الكل، وهذا كان حكماً في الجاهلية[3]، ولم يختلفوا أنه إذا جنى في الحرم كان مأخوذاً بجنايته[4]، وعلى

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩، ٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٢)، والنكت والعيون (١/ ٤١١)، والوسيط (١/ ٤٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ١١)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٣)، والفتوحات الإلهية (١/ ٢٩٨).

(٢) الاصطلام: الاستئصال. انظر لسان العرب (١٢/ ٣٤٠).

(٣) روى قول الحسن الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٩، ٣٠)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٦٨).

(٤) قال أبو حيان: «. . . فأما في الإسلام فإن الحرم لا يعيذه، وإلى هذا ذهب عطاء ومجاهد والحسن وقتادة وغيره، فمن زنى أو سرق أو قتل أقيم عليه الحد. واستحسن كثير ممن قال هذا القول أن يُخرج من وجب عليه القتل إلى الحل فيقتل فيه. وقال ابن عباس: من أحدث حدثاً واستجار بالبيت فهو آمن، والأمر في=

قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ يحمل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾[١]، وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[٢]،

= الإسلام على ما كان في الجاهلية، فلا يعرض أحد لقاتل وليّه إلا أنه يجب على المسلمين أن لا يبايعوه، ولا يكلموه ولا يؤووه، حتى يتبرم فيخرج من الحرم، فيقام عليه الحد، وقال بمثل هذا عطاء أيضاً والشعبي، وعبيد بن عمير، والسدي، وابن جبير وغيرهم، إلا أن أكثرهم قالوا: هذا فيمن يقتل خارج الحرم ثم يعوذ بالحرم، أما من قتل فيه فيقام عليه الحد فيه. واختلف فقهاء الأمصار إذا جنى في غير الحرم، ثم التجأ إليه فقال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، وزفر، والحسن بن زياد، وأحمد في رواية حنبل عنه: إن كانت الجناية في النفس لم يقتص منه ولا يخالط. وما فيما دون النفس اقتص منه في الحرم. وقال مالك في رواية: لا يقتص منه فيه لا بقتل ولا فيما دون النفس ولا يخالط. قالوا: وانعقد الإجماع على أن من جنى فيه لا يؤمن، لأنه هتك حرمة الحرم وردَّ الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه ثم التجأ إليه. وقالوا: هذا خبر معناه الأمر أي ومن دخله فأمّنوه وهو عام فيه أو في غيره ثم دخله، لكن صدَّ الإجماع عن العمل به فيمن جنى فيه، وبقي حكم الآية مختصًّا بمن جنى خارجاً منه ثم دخله». البحر المحيط (٣/ ١١). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٩، ٣٤-٣٧)، والنكت والعيون (١/ ٤١١)، والوسيط (١/ ٤٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٨)، وزاد المسير (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤٠، ١٤١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٦١)، وروح المعاني (٤/ ٦، ٧).

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

وقوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[1]، وقُرئ ﴿ءَايَةٌ بَيِّنَةٌ﴾[2]، وكأن قارئه نظر إلى لفظ ما أُبدل منه، وهو مقام إبراهيم، فلما كان مفرداً جعل الآية مفردة، والصحيح ما عليه الكافة[3]، فالمقام[4]

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

(٢) مرَّ أن هذه قراءة ابن عباس على ما حكاه الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٦)، أو ابن عباس، وأهل مكة، ومجاهد، وسعيد بن جبير على ما حكاه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٩). وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٥)، وزاد المسير (١/ ٤٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٨).

(٤) المقام: (مفعل) من القيام، والمفعل قد يراد به الحدث فيكون اسم مصدر، وقد يراد به مكان الفعل، فيكون اسم مكان، وقد يراد به زمان الفعل فيكون اسم زمان. وتفسير مقام إبراهيم بالمصدر أي قيام إبراهيم قال به المبرد. وقال النحاس: «وقول أبي العباس: إن مقاماً بمعنى مقامات؛ لأنه مصدر». إعراب القرآن (١/ ٣٩٦)، وهو ظاهر قول النحاس أيضاً في معاني القرآن (١/ ٤٤٥). غير أن التفسيرات التي ذكرها ابن جرير وغيره ليس فيها ما يدل على أن المراد: قيام إبراهيم، بل فيها ما يدل على أن مقام إبراهيم اسم مكان للحجر المعروف الآن، أو الصفا والمروة، أو عرفة والمزدلفة والمشعر الحرام، أو كل أماكن الحج. والراجح في إعراب «مقام إبراهيم» ما اختاره الأخفش وابن جرير الطبري وأبو حيان وغيرهم وهو أنه مبتدأ خبره محذوف، والتقدير (منها مقام إبراهيم) أو (منهن مقام إبراهيم) انظر: كتاب سيبويه (١/ ٢٣٤)=

مصدر، ويتناول الواحد والجمع، فإذا اعتبر بالمحسوس فهي المناسك، وإذا اعتبر بالمعقول فأفعال إبراهيم المتقدم ذكرها.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) السبيل: إمكان الوصول إليه(٢)، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾(٣) والاستطاعة: استدعاء الطاعة، كأن النفس بالقدرة تستدعي طاعة الشيء لها، والقدرة والطاقة، والاستطاعة والجهد والوسع متقاربة، وقد

= (٤/ ٨٧-٩٠). ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤١٥)، وجامع البيان (٣/ ٣٣-٣٨)(٧/ ٢٧-٢٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٦)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٦)، والبيان (١/ ٢١٣)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٤)، والشافية ص (٢٨-٣٠)، والبحر المحيط (٣/ ٩-١١)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٣١٠، ٣١١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) هذا مروي عن ابن الزبير، والضحاك، وعطاء، وعامر، والحسن، وهو اختيار ابن جرير والنحاس. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٣-٤٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤٨). قال أبو حيان: «والظاهر أن شرطه القدرة على الوصول إليه بأي طريق من مشي، وتكفُّفٍ، وركوب بحرٍ، وإيجار نفسه للخدمة، الرجال والنساء في ذلك سواء، والمشروط مطلق الاستطاعة. البحر المحيط (٣/ ١٢).

(٣) سورة غافر، الآية: ١١.

تقدم ذلك[1]، وقولهم: لا يستطيع كذا. تارة يقال لنفي القدرة، وتارة لنفي الخفّة، فإن قوله: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾[2] أي يستثقلونه، لا لأنهم لا يقدرون عليه[3]، وتمام استطاعة العبادة

---

(١) يشير إلى كلامه في تفسير الآية ١٨٤ من سورة البقرة حيث قال: «والقدرة والاستطاعة والجهد والطاقة تتقارب، وبينهما فروق: - فالقدرة: ما يظهر من القوة بقدر العمل، لا زائداً عليه ولا ناقصاً. - والاستطاعة منها ما يصير الفعل طائعاً له بسهولة. - والوسع منها ما يسع له فعله بلا مشقة. - والجهد ما يتعاطى به الفعل بمشقة. - والطاقة منها بلوغ غاية المشقة». انظر: تفسير الراغب (ق ١٢٣ - مخطوط) وقد فرق أبو هلال العسكري بين القدرة والاستطاعة والطاقة بقريب مما ذكر المؤلف. انظر: الفروق ص (١١٩) وذكر الأزهري في معنى الجهد ما ذكره المؤلف. انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٣٧). وعامة من رجعت إليهم ممن فسروا الوسع قالوا: إنه الطاقة، ولم يفرقوا بينهما. انظر معاني هذه الكلمات في: الغريبين (١/ ٤٢٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ٩٥)، والصحاح (٣/ ١٢٩٨)، والمقاييس (٦/ ١٠٩)، والمشوف المعلم (١/ ١٧١)، وما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري ص (٧٣)، وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٢١٣).

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠١.

(٣) قال الراغب: وقد يقال: فلان لا يستطيع كذا لما يصعب عليه فعله لعدم الرياضة، وذلك يرجع إلى افتقاد الآلة أو عدم التصور، وقد يصح معه التكليف، ولا يصير الإنسان به معذوراً. وعلى هذا الوجه قال تعالى: ﴿لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧] ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] وقال: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف: ١٠١]=

ثلاث: **الأول**: استطاعة نفسية، وهي المعرفة بها، أو التمكن من معرفتها. **والثاني**: استطاعة بدنية، وهي أن يكون صحيح البدن قادراً على إقامتها. **والثالث**: استطاعة من خارج، وهي وجود الآلة التي بها يتمكن من فعلها، ومتى اجتمعت الثلاثة فقد حصل تمام الاستطاعة، وإلا فالاستطاعة معدومة أو قاصرة(١)، وقول النبي ﷺ: «**الاستطاعة: الزاد والراحلة**»(٢)

= وقد حمل ذلك على قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٢٩]. المفردات ص (٥٣٠).

(١) ذكر الراغب في المفردات أربعة أمور تتوقف عليها تمام الاستطاعة وهي: بنية مخصوصة للفاعل. وتصوُّر للفعل، ومادة قابلة لتأثيره، وآلة إن كان الفعل آليًا كالكتابة. قال: فإن الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة في إيجاده للكتابة، وكذلك يقال: فلان غير مستطيع للكتابة إذ فقد واحداً من هذه الأربعة فصاعداً، ويضاده العجز، وهو أن لا يجد أحد هذه الأربعة فصاعداً، ومتى وجد الأربعة كلها فمستطيع مطلقاً، ومتى فقدها فعاجز مطلقاً، ومتى وجد بعضها دون بعض فمستطيع من وجه عاجز من وجه، ولأن يوصف بالعجز أولى. المفردات ص (٥٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي ـ كتاب الحج ـ باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة، رقم (٨١٣)، وفي كتاب التفسير باب ومن سورة «آل عمران» رقم (٢٩٩٨)، وابن ماجه ـ كتاب المناسك ـ باب ما يوجب الحج رقم (٢٨٩٦). والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤٢) بنحوه، والبيهقي في سننه (٤/ ٣٣٠)، وابن جرير في جامع البيان (٧/ ٣٩، ٤٠)، وابن=

متناولة للخارجة دون البدنية والنفسيّة، وخصّها ﷺ بالذكر لما كان معلوماً عندهم أن بافتقاد الأُوليين لا يُكلَّف. وكأن القوم قد شكوا أن الفقير الذي تبعد مسافته، ولا يتمكن من زاد وراحلة هل يلزمه الحج؟ فراجعوه، فبيّن ﷺ لهم ذلك، ولم تتناول الآية العبد، لأنه لا ملك له في قول جُلِّ الفقهاء، وفي قول بعضهم سيده أولى بما في يده، وله أن يمنعه باتفاق[1]، وكذا المرأة إذا لم يكن لها محرم، هذا قول الفقهاء[2]، فأما الصوفية فقد قالوا: الزاد

= أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧١٣)، وابن أبي شيبة (٤/ ٩٠)، والدارقطني (٢/ ٢١٧)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٤) وهو في مسند الشافعي (١/ ٢٨٣، ٢٨٤) وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي (٣/ ١٧٧): حديث حسن وإبراهيم هو ابن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه وقال في الموضع الآخر (٥/ ٢١٠): هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه اهـ. وقال الحافظ ابن حجر عن إبراهيم في التقريب ص(٩٥): متروك الحديث من السابعة. وضعف هذا الحديث الإمام ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٢٨٨)، والألباني في إرواء الغليل (٤/ ١٦٠).

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٦، ٢٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٨٧). والبحر المحيط (٣/ ١٢).

(٢) قال الجصاص: وعندنا أن وجوب المحرم للمرأة من شرائط الحج. =

التقوى، لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] والراحلة صحةُ البدن، وقد عبر عن البدن بذلك في قوله: «إن المنبّت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[2]، وقال بعضهم: فيه مع إرادة هذا المعنى تنبيه على معنى أبلغ من ذلك البيت جنة المأوى[3]،

= أحكام القرآن (٢/ ٢٤). وقال أبو حيان: «ولا حج على المرأة إلا إذا كان معها ذو محرم، واختلف إذا عدمته، فقال الحسن والنخعي وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد وإسحاق: المحرم من السبيل، ولا حجَّ عليها إلا مع ذي محرم... وقال مالك: تخرج مع جماعة نساء. وقال الشافعي: مع حرة ثقة مسلمة.... وقال الأوزاعي مع قوم عدول...» البحر المحيط (٣/ ١٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) رواه البزار رقم (٧٤)، والبيهقي في سننه (٣/ ١٨)، وابن المبارك في الزهد رقم (١١٧٩)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (١١٤٧) من طريق أبي عقيل عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعاً. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٦٢) فيه يحيي بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب. والحديث ضعفه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٢٥٠٩ ـ فيض القدير) وقال المناوي: وفيه اضطراب في الصحابي أهو جابر أو عائشة أو عمر، ورجح البخاري في التاريخ إرساله. اهـ.

(٣) هذا التأويل من شطحات الصوفية وإشاراتهم التي ليس لها سند لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة والتابعين، فالبيت هو البيت الحرام، والحجُّ إليه معروف وهو ركن من أركان الإسلام، والاستطاعة حددها العلماء وبينوها. انظر: تلبيس إبليس ص (٣٧٢ - ٣٨٣) =

لقوله: ﴿ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾[1] ولما لم يكن للإنسان سبيل إلى ذلك إلا بحسن، عبادته صار ذلك حقًّا على الناس، ولذلك أكَّد لفظه، وخصّه بما لم يخص به شيئاً من العبادات، فقال ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وقال بعض الصوفية: في الحج إشارات اقتضت تأكيد لفظ الأمر به، وذاك أن في العقد به إشارة إلى معاقدة الولاء المعني بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2]، [٢٣١/أ] وبالتلبية إلى الإجابة له فيما دعا إليه، / وبالتجرد إلى التجرد من الدنيا، وأنه عاد كما خرج من بطن أمه، وبالوقوف إلى الوقوف ببابه، وبالسعي إلى السعي إليه، وبالطواف إلى محلِّ القربة منه[3]، قال: ولذلك حقٌّ على المسلم أن يتغير حاله بعد حجه عما كان عليه قبل، ولهذا قال ﷺ: «**من حج فلم يفسق ولم يرفث كان كيوم ولدته أمه**»[4]، يعني لم يفسق ولم يرفث بعد رجوعه من

= تحت عنوان: ذكر نبذة من كلامهم في القرآن.

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) انظر: لطائف الإشارات (١/ ٢٧٦)، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (١/ ٢٦٥ - ٢٧٢) تحت عنوان: بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية، وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة، وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره.

(٤) لفظ الحديث: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» =

الحج، ولم يعن في الحج[1]، فإن ذلك مدلول عليه بقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قال ابن عباس: من كفر بوجوب الحج عليه[3]، وعلى هذا ما ورد أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «مَنْ إن حجّ لم يَرجُ ثوابه، وإن جلس لم يخف عقابه»[4] وأما من تركه ممن يرى وجوبه لم يكن كافراً

= أخرجه البخاري - كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور، رقم (١٥٢١). وفي كتاب المحصر، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ رقم (١٨١٩، ١٨٢٠). ومسلم في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٣).

(١) لفظ الحديث ينبو عن هذا المعنى لأنه ﷺ قال: «... رجع كيوم ولدته أمه» أي رجع من الحج كيوم ولدته أمه، ولم أجد أحداً ممن تعرض لهذا الحديث بالشرح ذكر هذا المعنى. انظر: فتح الباري (٣/ ٤٧٤)، و(٤/ ٢٥)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١١٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٧)، ويروى أيضاً عن مجاهد والحسن وعمران القطان والضحاك وهو قول ابن جرير الطبري (٧/ ٥١). وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٥). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١١)، والوسيط (١/ ٤٧٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٤)، وزاد المسير (٤٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٩) وضعفه الشيخ أحمد=

وإن كان عاصياً[1]، وقيل: الكفر كفران: كفر تام، وهو إنكار الوحدانية، أو ما يجري مجراه، وكفر ناقص، وهو الإخلال ببعض العبادات، التي هي أركان الدين: كالصلاة والزكاة والحج[2]. ولهذا قال ﷺ: «**من ترك الصلاة فقد كفر**»[3]،

= شاكر في حاشيته على التفسير. ويروى موقوفاً عن ابن عباس؛ رواه الطبري (٧/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧١٥)، وموقوفاً على علي؛ رواه الطبري (٧/ ٤٩). ويروى كذلك عن مجاهد؛ رواه الطبري (٧/ ٤٨)، وسعيد بن منصور (٣/ ١٠٧٥).

(١) ولذلك قال القرطبي رحمه الله: «هذا خرج مخرج التغليظ، ولهذا قال علماؤنا: تضمنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر فالوعيد يتوجّه عليه» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٤)، وقال ابن عطية: «هذا كفر معصية» المحرر الوجيز (٣/ ١٧٥).

(٢) انظر تقسيم الكفر إلى أكبر وأصغر في: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٤١، ٤٩، ٥٤، ٥٧)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٠٧، ٢٠٨)، ومدارج السالكين (١/ ٣٦٤-٣٦٧)، وفتح الباري (١/ ٨٤).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (١٤٦٣) ولفظه: «**بكروا بالصلاة في يوم الغيم، فإنه من ترك الصلاة فقد كفر**» وثبت الحديث بلفظ آخر: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» رواه الترمذي ـ كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١) رقم (٤٦٣)، وابن ماجه ـ كتاب إقامة الصلاة ـ باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩) نحوه، وأحمد (٥/ ٣٤٦، ٣٥٥)، =

وقال ﷺ: «من مات وعليه حج الإسلام فلا عليه أن يموت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا»[1]، وإنما قال: ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تنبيهاً أن قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ليس لحاجة به، وإنما ذلك،

= والحاكم في المستدرك (١/ ٧١٦). وابن عدي في الكامل (٣/ ٨٩٦)، والدارقطني (٢/ ٥٢)، والبيهقي (٣/ ٣٦٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤/ ٣٩٥ ـ فيض القدير). والمصنف هنا يذهب إلى أن تارك الصلاة لا يكفر كفراً أكبر ينقل عن الملة، وهذا مذهب جمهور العلماء، والمسألة فيها خلاف مشهور. انظر: حاشية رد المحتار وحاشية ابن عابدين (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨)، والمقدمات الممهدات لابن رشد (١/ ١٤١)، وروضة الطالبين للنووي (٢/ ١٤٦)، والمغني لابن قدامة (٣/ ٣٥١ - ٣٥٩)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٦٣٦)، والتمهيد لابن عبدالبر (٤/ ٢٢٥)، والمحلى لابن حزم (٢/ ٢٣٦ - ٣٢٧).

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧١٢) والترمذي في سننه ـ كتاب الحج ـ باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، رقم (٨١٢) بلفظ مقارب من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً. وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال وهلال بن عبدالله مجهول، والحارث يضعّف في الحديث. وذكر ابن كثير في تفسيره كلام الترمذي، ثم قال: وقال البخاري: هلال هذا منكر الحديث. وقال ابن عدي: هذا الحديث ليس بمحفوظ. تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٥).

لحاجتهم ونفعهم، إذ هو تعالى الغني المطلق، وغيره وإن استغنى عن شيء ما فغير غني عنه تعالى في شيء من الأحوال، وهو القائم على كل شيء[(١)].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾[(٢)] الذي اقتضى مخاطبتهم بهذا إنكارهم نبوة محمد، ووجوب الحج، والآيات المقتضية لذلك من الكتب المتقدمة ومن القرآن[(٣)]، وبين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ أنكم تسترون ما لا يستتر، إذ هو لا يخفى عليه خافية[(٤)]، إن قيل: لم قال في موضع: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهاهنا قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟ قيل: الأول استدعاء إلى الحق فجعل خطابهم منه استلانة للقول، ليكونوا أقرب إلى انقيادهم، وهاهنا لمّا قصد إلى الغض منهم ذكر ﴿قُلْ﴾ تنبيهاً أنهم غير مستأهلين أن يخاطبهم بنفسه تعالى، وإن كان كلا

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٥، ١٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٦٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٨.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢)، والكشاف (١/ ٣٩٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٥).

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٣٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٥)، وقال ابن عطية: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد محض؛ أي يجزيكم به ويعاقبكم. المحرر الوجيز (٣/ ١٧٦).

الخطابين موصلاً على لسان النبي ﷺ[1]. إن قيل: لِمَ صار أهل الكتاب يطلق في القرآن تارة على سبيل الذم، وتارة على سبيل المدح، ولا نجري قولنا: أهل القرآن وأهل السنة[2] هذا المجرى؟ قيل: الكتاب لما كان قد يراد به ما افتعلوه دون ما أنزل الله نحو: ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[3]، وقد يُراد به ما أنزل الله تعالى، فيكون على سبيل الذّم لأهل الكتاب، وقد يُراد به ما أنزله الله، ويكون على سبيل التهكم، نحو قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[4] فعلى هذا لو قيل: أهل القرآن وأهل السنة على سبيل الذم والتهكم لجاز[5]، وقوله: ﴿لِمَ﴾ وإن كان أصله استفهاماً فالمقصد به هاهنا الإنكار والتنبيه؛ أن لا جواب لهم ولا عذر[6].

---

(١) ذكر أبو حيان هذا التساؤل وجوابه ملخصاً، ونسبه للراغب. البحر المحيط (٣/ ١٦).

(٢) أهل السنة: هم أهل الحق: من الصحابة، رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلًا بعد جيلٍ إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم. الفِصل لابن حزم (٢/ ٢٧١).
وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٤٦، ٣٧٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٥) ذكر أبو حيان هذا التساؤل وجوابه مختصراً ونسبه للراغب. البحر المحيط (٣/ ١٦).

(٦) من الأغراض البلاغية للاستفهام: الإنكار، وهو هنا لتوبيخ أهل الكتاب، =

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

يقال: بغيته كذا أي طلبته له، وأبغيته أعنته على بُغَائه[(٢)]، نحو لمسته كذا وألمسته، وحملته كذا وأحملته[(٣)]، والعِوج ما يدرك بالفكر من الاعوجاج، والعَوج ما يدرك بالطَّرف[(٤)]، وقوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[(٥)]، [٢٣١/ب] يعني الظلم وما يجري مجراه مما يكون في الدنيا[(٦)]، / ومعناه لا

= وبيان أن فعلهم هذا لا ينبغي أن يكون. انظر: شرح التلخيص ص (٨٧) وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٦٣)، وروح المعاني (٤/ ١٤) والتحرير والتنوير (٤/ ٢٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.

(٢) البُغاء - بالضم - الطلب. انظر: المنقوص والممدود ص (٤٧)، والغريبين (١/ ١٩٢).

(٣) هذا الكلام موجود في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٧) بألفاظ مقاربة لما هنا. وقال ابن القوطية: «ولمست الشيء لمساً: أجريت يدك عليه وأيضاً طلبته... وألمست الرجل: أعنته على ما يلتمس» كتاب الأفعال ص (٩٢). وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٣)، ومعاني القرآن وإعرابه.

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩)، ومجالس ثعلب (١/ ٨٥)، والكشاف (٣/ ٨٨)، والمشوف المعلم (١/ ٥١٢).

(٥) سورة طه، الآية: ١٠٧.

(٦) لما فرق الراغب بين العوج بكسر العين والعَوج بفتحها، وجعل الأولى مما يدرك بالفكر، والثانية مما يدرك بالطرف، أورد قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ =

= ﴿فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ وهو يخالف تلك القاعدة، لأن العوج في هذه الآية مما يدرك بالطرف، ومع ذلك جاء مكسور العين. فقد قال ابن عباس: عوجاً أي ميلًا أو وادياً. وقال قتادة: عوجاً صدعاً. وذكر ابن كثير أن ذلك قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، والضحاك، وقتادة، وغير واحد من السلف. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٦١). إلا أن الراغب ـ رحمه الله ـ أراد طرد القاعدة التي ذكرها، لذلك فسَّرَ العوج في الآية بمعنى ذهني يدرك بالفكر وهو الظلم وما يكون في الأرض. ولم أجد أحداً وافقه على هذا التأويل. وقد أورد الزمخشري في هذه الآية معنى آخر استحسنه أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٢٥٩)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٣٢٧) حيث قال: فإن قلت: قد فرقوا بين العوج والعَوج، فقالوا: العِوج بالكسر في المعاني، والعَوج بالفتح في الأعيان، والأرض عين، فكيف صحَّ فيها المكسور العين؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملامسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسوّيتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي المهندس فيها، وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على عوج في غير موضع، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك، اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني، فقيل فيه: عوج بالكسر» الكشاف (٣/ ٨٨). قلت: وأحسن من ذلك قول ابن الأثير: (عَوج) وهو بفتح العين مختصّ بكل شيء مرئي

تصُدّوا المؤمنين طالبين لطريقهم الإعوجاج، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ الشهادة تارة بالعقل نحو ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] أي عارف بعقله، وتارة بالعقد، نحو قوله: ﴿فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[2] وتارة بإقامة ذلك[3]، وقد فُسّر الآية

= كالأجسام، وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول. وقيل: الكسر يقال فيهما معاً، والأول أكثر. النهاية (٣/ ٣١٥). وقول ابن منظور: «والعِوج بكسر العين في الدّين، وفيما كان التعويجُ يكثر مثل الأرض والمعاش». لسان العرب (٢/ ٣٣٢) وقول ابن جُزي الكلبي: «المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأشخاص، والأرض شخص، فكان الأصل أن يقال فيه بالفتح وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه. التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٩).

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) قال الراغب: الشُّهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفرداً قال الله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [السجدة: ٦] لكن الشهود بالحضور المجرد أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى. . . والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر. . . وشهدت يقال على ضربين: أحدهما: جارٍ مجرى العلم، وبلفظه تقام الشهادة. ويقال: أشهد بكذا، ولا يُرضى من الشاهد أن يقول: أعلم، بل يحتاج أن يقول: أشهد. والثاني يجرى مجرى القسم=

بثلاثتها؛ فقد قيل: وأنتم عقلاء تعرفون ذلك بعقولكم[1]، قيل: وأنتم قد أخذ عليكم العهد بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ﴾[2] قيل: وأنتم شهدتم نبوته قبل بعثته[3]، وكل ذلك مراد فلا تنافي بينها.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[4] قال السديّ: نزلت في قوم من اليهود، سعوا بين أوس وخزرج بالفساد، وذكّروهم من الأحقاد والأوتار[5]، فأنزل الله تعالى ذلك، وتلاه[6] عليهم النبي ﷺ، فأحجموا عما همّوا

= فيقول: أشهد بالله أنَّ زيداً منطلق فيكون قسماً...». المفردات ص (٤٦٥، ٤٦٦) وانظر: تفسير غريب القرآن (٤١٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٧٣، ٧٤)، والزاهر (١/ ٣٢-٣٤). والبحر المحيط (٣/ ١٧).

(١) انظر: النكت والعيون (١/ ٤١٢) وزاد المسير (١/ ٤٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١. وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ الآية.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٤، ٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٨)، والوسيط (١/ ٤٧١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(٥) الأوتار: جمع وتر، وهي الجناية. انظر: لسان العرب (٥/ ٢٧٤، ٢٧٥).

(٦) في الأصل: (وتلا) والصواب ما أثبته.

به[1]، والطاعة: بذل الانقياد[2] والإجابة نحوها، غير أن الإجابة قد تكون بالقول مرة وبالفعل مرة، ومتى كانت بالفعل فهي موافقة الداعي دون الانقياد، ولهذا يقال: أجاب الله عبده، ولا يقال أطاعه[3]، وإنما خص فريقاً منهم لئلا يدخل فيه من قال فيهم: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾[4]، وعنى بالإيمان هاهنا الخوض فيه دون استكماله المعني بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[5]، فإن من بلغ هذه المنزلة فمحال أن يُردّ على عقبه، ولهذا قيل: ما رجع من رجع إلا من الطريق[6].

---

(١) وردت هذه القصة في جامع البيان (٧/ ٥٨، ٥٩)، عن السدي ومجاهد، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٩)، عن مجاهد، وأسباب النزول ص (١١٦، ١١٧)، عن عكرمة وزيد بن أسلم. والوسيط (١/ ٤٧١) عن عكرمة، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٥)، عن زيد بن أسلم والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: العين (٢/ ٢٠٩)، والصحاح (٣/ ١٢٥٥). والمفردات ص (٥٢٩).

(٣) قال أبو هلال في كتاب الفروق ص (٢٤٥): «والفرق بين الإجابة والطاعة أن الطاعة تكون من الأدنى للأعلى، لأنها في موافقة الإرادة الواقعة موقع المسألة، ولا تكون إجابة إلا بأن تفعل لموافقة الدعاء بالأمر من أجله».

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٦) كأن الراغب رحمه الله استبعد أن يخاطب كاملو الإيمان بذلك، والصحيح أن ذلك ليس ببعيد، ولا يستغرب أن يخاطب الله تعالى عباده الذين وصلوا إلى مرتبة الكمال الإيماني محذراً إياهم من الردة والفتنة والنكوص على =

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١) العصم والعصب يتقاربان، لكن العصم أبلغ، فإن معه الشدّ إمساكاً(٢)، والأعصم: الوعل المعتصم بالجبل، والعِصَام على بناء الزمام والسِّخَاب(٣)، وجمعه عُصُم(٤)، واعتصمت به واعتصمته نحو تعلقت به وتعلقته(٥)،

= الأعقاب، يدل لذلك أنه تعالى خاطب نبيه محمداً ﷺ محذراً إياه من الشرك فقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. قال ابن جرير الطبري في تفسير ذلك: لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد ليبطلنَّ عملك ولا تنال به ثواباً، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله... فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك» اهـ. جامع البيان (٢١/ ٣٢٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٢) كذا في الأصل وهو غير واضح، ولعل: الصواب (فإن فيه مع الشدِّ إمساكاً). وذلك لأنه يقال: «أعصمت القربة إذا شددتها بالوكاء». تهذيب اللغة (٢/ ٥٧)، ويقال: «اعتصم بالشيء إذا تمسّك به». انظر: كتاب الأفعال لابن القوطية ص (٢٠).

(٣) السَّخاب: كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن. انظر تاج العروس (٣/ ٤٥).

(٤) «عصام الوعاء: وكاؤه» الاشتقاق ص (١١٥).

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٠٨)، والأفعال لابن القوطية ص (٢٠، ١٩٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٤٦، ٥٤-٥٨)، وفيه أن عصب وعصم مما تبادلت فيه الباء والميم، والصحاح (٥/ ١٩٨٧)، والمفردات ص (٥٦٩، ٥٧٠)، والمشوف المعلم (١/ ٥٣٩- ٥٤٢).

والعصمة من الله على ثلاثة أضرب: عامة لكل مكلف، وهي ما يفيض له من العقل، وهدايته بالأمر والنهي والوعد والوعيد. والثانية: لمن اهتدى بالأولى، وهي التي يرغب كل مؤمن أن يجعل الله له منها حظًّا. وإياها قصد بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1]. والثالثة: للأنبياء وكيفيتها مختلف فيها[2]، والاعتصام، والتفويض، والتوكل، والإسلام - أي الاستسلام - مترتب بعضها على بعض، فالاعتصام قبل التفويض، والتفويض قبل التوكل، لأن معنى فوضت أمري إلى فلان، أي جعلت له الفوض فيه، ومعنى توكلت عليه: اعتزلت، وجعلته المعتمد[3]، وأما الإسلام فغايته ما كان من إبراهيم عليه السلام، حيث قال: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، ولكون الاعتصام أول منزلة من هذه المنازل، قال بعض الصوفية: الاعتصام

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) قال الراغب في المفردات: «وعصمة الأنبياء: حفظه إياهم أولاً بما خصَّهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، ثم بالنصرة وبتثبُّت أقدامهم ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق» المفردات ص (٥٧٠).

(٣) أي اعتزلت ما سواه وجعلته المعتمد.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

للمحجوبين[1]، فأما أهل الحقائق فهم في القبضة[2]، واستبعد

---

(١) المحجوبون: عند الصوفية هم من احتجبوا عن قرب الله بسبب من الأسباب. وعند غلاتهم: المحجوبون هم العامة. انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨٢)، والمعجم الصوفي ص (٧٤).

(٢) لم يبين الراغب رحمه الله قائل ذلك، ويبدو أنه أحد غلاة الصوفية، لأن كلامه مخالف لقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فالله تعالى أثبت له الهداية، وذاك جعله مع المحجوبين. غير أن مصادر التصوف التي بين يديَّ ليس فيها شيء من تنقص تلك المنزلة، فهذا ابن عربي يقول: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ بالانقطاع عما سواه والتمسك بالتوحيد الحقيقي ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إذ الصراط المستقيم، هو طريق الحق تعالى، كما قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]. تفسير ابن عربي (١/ ١٢٢)، وقال القشيري: إنما يعتصم بالله من وجد العصمة من الله، فأما من لم يهده الله فمتى يعتصم بالله؟ فالهداية منه في البداية توجب اعتصامك في النهاية، لا الاعتصام منك يوجب الهداية. لطائف الإشارات (١/ ٢٧٧، ٢٧٨). أما الهروي فقد قسم منزلة الاعتصام إلى ثلاث مراتب: قال: «وهو على ثلاث درجات: اعتصام العامة بالخبر، استسلاماً وإذعاناً بتصديق الوعد والوعيد، وتعظيم الأمر والنهي، وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف. واعتصام الخاصة: بالانقطاع، وهو صون الإرادة قبضاً، وإسبال الخُلُق بسطاً، ورفض العلائق عزماً، وهو التمسك بالعروة الوثقى. واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال، وهو شهود الحق تفريداً، بعد الاستحذاء له تعظيماً والاشتغال به قرباً» مدارج السالكين (١/ ٤٩٨-٥٠١). فكلام الهروي هنا يدل على تعظيم جميع مراتب الاعتصام وإن كان بعضها أفضل من بعض بخلاف=

الله تحولهم مع ظهور الآيات التي هي المعجزات العقلية، وكون الرسول المشاهد فيما بينهم الذي يظهر من المعجزات المحسوسة[1]، وقيل: معنى قوله: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ أي دلائله لا ذاته، فعلى هذا خطاب لمن في زمانه، ولمن بعده[2]، وقوله: ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي الطريق [٢٣٢/أ] المسئول أن يهدينا إليه في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[3]، / والمدعو إليه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[4]، والمأمور به في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[5].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

= كلام من ذكره الراغب، فإنه غض من شأن تلك المنزلة وجعلها للعوام المحجوبين الذين لم يصلوا إلى مرتبة أهل الحقائق.

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٦١)، والكشاف (١/ ٣٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٦)، وروح المعاني (٤/ ١٦).

(٢) قال الألوسي: «والأكثرون على تخصيص هذا الخطاب بأصحاب رسول الله ﷺ، أو الأوس والخزرج منهم، ومنهم من جعله عاماً لسائر المؤمنين وجميع الأمة، وعليه معنى كونه ﷺ فيهم: أن آثاره وشواهد نبوته فيهم، لأنها باقية حتى يأتي أمر الله». روح المعاني (٤/ ١٦).

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

﴿مُّسۡلِمُونَ﴾[1] التقوى: أن تجعل بينك وبين المعاصي ما يصير واقياً لك عن تعاطيها، فتصير واقياً لك في الآخرة عن العذاب[2]، وقال بعض الناس: التقوى من ثلاثة أوجه: تقوى من غرور الدنيا، والتقوى من النفس، والتقوى من الله. وكل واحد منها على ثلاث منازل: أما التقوى من الدنيا فأن تتقي محرماتها، ثم شبهاتها، ثم الزهد في مباحاتها[3]، وأما التقوى من النفس [. . .][4] فأن تتقي أولاً عقوبته، ثم استدراجه نحو: أن يملي للعبد ويوسع عليه فيغتر به، ثم حجابَه، نحو: أن يسأله العبد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) قال الراغب في المفردات: والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يُخاف. . .» المفردات ص (٨٨١) وانظر: النهاية (٥/ ٢١٧). وقال ابن رجب الحنبلي: «وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد ربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه» جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٨).

(٣) قال الحافظ ابن رجب: «ويدخل في التقوى الكاملة: فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات، وهو أعلى درجات التقوى». جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٩).

(٤) هنا سقط يتضمن منازل التقوى من النفس، وبداية الكلام على منازل التقوى مِن الله.

فتتباطأ إجابته فيغيّر ذلك قلبه، فمن استكمل هذه المنازل فقد اتقى الله حق تقاته[1]، وحرر ذلك بعض الصوفية على وجه آخر، وقال: التقوى على ثلاث منازل: تقوى العقوبة بالصبر عن المعاصي، وإياه قصد بقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، وتقواه بشكر آلائه، وإياه قصد بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾[3] خص لفظ الرب المنبئ عن تربيته إياه ونعمته عليه، وتقواه برؤية وحدانيته من غير تلفّت ثواب أو عقاب، وإياه قصد بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4] قال: ولهذا حيث ما ذكر ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خص المؤمنين بالمخاطبة، وحيثما ذكر ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ خص الناس الذي هو أعم اللفظتين[5]. وتقسيم التقوى على ثلاث منازل هو على حسب الظالم

---

(١) انظر في الحديث عن درجات التقوى ومنازلها: شعب الإيمان للإمام عبدالجليل القصري (١/ ٣٨٨-٣٩٧)، والرسالة القشيرية ص (١٠٥-١٠٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

(٣) سورة الحج، الآية: ١. ولقمان، الآية: ٣٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٥) وأشار إلى نحو ما سبق القشيري في لطائفه، فقال: «حق التقوى يكون على وفق الأمر، لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص... وحق التقوى رفض العصيان، ونفي النسيان، وصون العهود، وحفظ الحدود، وشهود الإلهية، والانسلاخ عن أحكام البشرية، والخمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب كل جرم وظلم، واستشعار الأنفة عن التوسل إليه بشيء من طاعتك دون صرف كرمه، والتحقق بأنه لا يقبل أحداً بعلّة، ولا يردّ=

والمقتصد والسابق[1]، وقوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ حثٌّ أن يبلغ الإنسان في ذلك مبلغ السابقين، قال عبدالله والحسن وقتادة: هو أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر[2].

= أحداً بعلة» لطائف الإشارات (١/ ٢٧٨).

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] وقد تكلم ابن القيم رحمه الله عن هؤلاء الثلاثة، وجعلهم من قسم السعداء. انظر: طريق الهجرتين ص (٢٣٤-٢٣٦).

(٢) قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رواه الطبري في جامع البيان بأسانيد مختلفة (٧/ ٦٥، ٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٢٩٤)، والطبراني في الكبير رقم (٨٥٠٣)، وصححه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦)، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩). وقول الحسن رواه ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٦٧)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣١). وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩). وقول قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٧) مقتصراً على الجملة الأولى فقط: «يطاع فلا يعصى»، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩).
وقول قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٧) مقتصراً =

وقال قتادة والربيع: الآية منسوخة[1] بقوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وقال غيرهما: بل معناهما واحد، فإن حق التقوى هو التقوى على حسب الاستطاعة[3]، واستدل بما روى

= على الجملة الأولى فقط: «يطاع فلا يعصى»، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٧٢٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩). قال ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢): «وروي عن مرة الهمداني، والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون، والحسن، وطاوس، وقتادة، وإبراهيم النخعي، وأبي سنان، والسدي نحو ذلك».

(١) قول قتادة رواه الطبري في تفسير القرآن العظيم (٧/ ٦٨، ٦٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٢)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦). وقول الربيع رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٦).

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) هذا القول مروي عن ابن عباس، وطاوس، انظر: جامع البيان (٧/ ٦٧، ٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٢)، والنكت والعيون (١/ ٤١٣)، والبحر المحيط (٢/ ٢٠)، وقال القرطبي: «وقيل إن قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لهذه الآية، والمعنى: فاتقوا الله حقَّ تقاته ما استطعتم، وهذا أصوب، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع. والجمع ممكن فهو =

معاذ[1] قال: أردفني رسول الله ﷺ، وقال: «**هل تدري حق الله على العباد؟**» قلت: الله أعلم ورسوله، فقال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»[2]، ثم قرأ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، ومن

= أولى. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ لم تنسخ، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يجاهد في سبيل الله حق جهاده، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا بالقسط ولو على أنفسكم وأبنائكم». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري الخزرجي أبو عبدالرحمن، مشهورمن أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن معلِّماً ومرشداً، مناقبه كثيرة جدًّا، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٨هـ، وعاش أربعاً وثلاثين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٣)، والإصابة (٦/ ١٠٧)، وتقريب التهذيب ص (٥٣٥).

(٢) هذه القصة ثابتة في الصحيحين وغيرهما دون قوله: ثم قرأ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ فلم أقف على هذه الزيادة فيما اطلعت عليه من طرق الحديث. والقصة رواها البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، رقم (١٢٨)، وفي كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦) وفي اللباس ـ باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم (٥٩٦٧). وفي الاستئذان ـ باب من أجاب بلبيك وسعديك، رقم (٦٢٦٧). وفي التوحيد ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ =

قال: هذا منسوخ تصور من قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ غاية الجهد من العبد، وإن ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ هو قدر العفو، فصار مقتضى ما استطعتم أخف من مقتضى حق تقاته[1]، واستقبح أبو علي الجبّائي قول من قال: الآية منسوخة، وقال: هذا جهل[2]، لأنه لا يجوز أن يبيح الله للناس أن يفعلوا بعض المعاصي وهذا تصور له وقع من قلة التثبت، فقد عُلِمَ أن فعل ما حظر الله في الشرع معصية ما دام الحظر قائماً، كتحريم الأكل والجماع بعد النوم في الصوم، ثم لما زال الحظر زال كونه معصية. فكذا تقوى الله بغاية ما بلغه الجهد لا يُمنَع أن

= أمته إلى توحيد الله، رقم (٧٣٧٣). ورواها مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٣٦٤٣). وابن ماجه في الزهد ـ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة. رقم (٤٢٩٦). وأحمد في المسند (٥/ ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢).

(١) ذكر ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير عن شيخه علي بن عبدالله أنه قال: «والاختلاف في نسخها وإحكامها يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع. والمعتقد إحكامها يرى أن (حق تقاته) أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسراً لـ(حق تقاته)، لا ناسخاً ولا مخصصاً. زاد المسير (١/ ٤٣٢).

(٢) ورمى القاضي عبدالجبار المعتزلي القائلين بالنسخ بالجهل كذلك دون التصريح بلفظ الجهل، فقد قال: «فقد روي عن بعض من لا يحصّل أنه منسوخ بقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

تُوجَبَ في وقت، فيكون تركها معصية، ثم يقتصر من الناس على مقدار الوسع، فلا يكون ترك الجهد معصية[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ حث على الاستسلام قبل الموت، وإن كان لفظه نهياً عن الموت[2] كقولهم: لا أرينك هاهنا[3]. إن قيل: هل بين قولك: لا تموتن إلا مسلماً، وقولك: إلا وأنت مسلم فرق؟ قيل: قولك مسلماً يقتضي ظاهره أن يكون الإسلام مقترناً به الموت، لا متقدماً

---

(١) قال الألوسي: «وادعى أبو علي الجبائي أن القول بالنسخ باطل لما يلزم عليه من إباحة بعض المعاصي، وتعقبه الرماني بأنه وجه قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ على أن يقوموا بالحق في الخوف والأمن لم يدخل عليه ما ذكره، لأنه لا يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله سبحانه وتعالى على كل حال، ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وأنت تعلم أن ما ذكره الجبائي إنما يخطر بالبال حتى يجاب عنه إذا فسر ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ على تقدير النسخ بما فسره هو به من ترك جميع المعاصي ونحوه، وإن لم يفسر بذلك بل فسر بما جنح إليه القائل بالنسخ، فلا يكاد يخطر ما ذكره ببال ليحتاج إلى الجواب. نعم يكون القول بإنكار النسخ حينئذٍ مبنيًا على ما ذهب إليه المعتزلة من امتناع التكليف بما لا يطاق ابتداءً كما لا يخفى». روح المعاني (٤/ ١٨).

(٢) انظر: الوسيط (١/ ٢١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٨١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠).

(٣) هذا من أمثلة سيبويه لـ«لا الناهية». انظر: الكتاب (٣/ ١٠١).

[٢٣٢/ب] عليه ولا متأخراً/ عنه، وقولك: وأنت مسلم الأظهر منه أن يكون ذلك حاصلًا من قبل، ومستصحباً في تلك الحال(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢).

حبل الله: هو الذريعة(٣) المتوصل بها إليه من القرآن والنبي والعقل والعلم(٤)، والاعتصام ضربان: اعتصام بالله بلا واسطة بشرية، وذلك للأنبياء، واعتصام بواسطة بشرية، وهو بمنزلة غيرهم من الناس، ثم منهم من يتوصل إليه بواسطة واحدة من

---

(١) ذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٠) ولم ينسبه للراغب، وقد ذكر الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) كلاماً قريباً من كلام الراغب هنا، وذلك في الفرق بين قوله تعالى في شأن أهل النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر، الآية: ٧١] وقوله جل ذكره في شأن أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾. انظر: درة التنزيل ص (٢٢٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) الذريعة: أي الوسيلة. مختار الصحاح ص (٢٢١).

(٤) قال أبو حيان: وحبل الله: العهد أو القرآن، أو الدين أو الطاعة أو إخلاص التوبة أو الجماعة أو إخلاص التوحيد أو الإسلام؛ أقوال للسلف يقرب بعضها من بعض. البحر المحيط (٣/ ٢٠).

الوسائط، كالصحابة والأولياء والحكماء، الذين لم يأخذوا الدين بالتقليد، ومنهم من يحتاج مع ذلك إلى من يعتمده في كثير من دينه[١]، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[٢]، **إن قيل**: لِمَ قال أولاً: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾[٣]، ثم قال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾[٤] وجعل بين الكلمتين و﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[٥]؟ **قيل**: لما كان القصد في

---

(١) لعل هذا المعنى هو ما أشار إليه القشيري بقوله: الاعتصام بحبله سبحانه: التمسك بآثار الواسطة العزيز صلوات الله وسلامه عليه، وذلك بالتحقق والتعلّق بالكتاب والسنة. ويصح أن يقال: الخواص يقال لهم: «اعتصموا بحبل الله». وخاص الخاص قيل لهم: «واعتصموا بالله». لطائف الإشارات (١/ ٢٧٩). يشير القشيري بذلك إلى أن الاعتصام ضربان: الأول: اعتصام بالله وهو للرسل واعتصام بحبل الله لمن دونهم. وانظر: مدارج السالكين (١/ ٤٩٥).

(٢) رواه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» رقم (١٦٦٤، ١٧٠٤، ١٧٦٠) وعزاه الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠) إلى عبد بن حميد والبزار والدارقطني في «غرائب مالك». وضعف الحافظ جميع طرقه، وضعفه كذلك ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٢٥١، ٢٥٢). وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٥٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

عبادة الله إلى الاعتصام به ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقوى عقبه بقوله: و ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ولما كان حقيقة التقوى فعل الطاعات، ولا سبيل للإنسان إلى معرفة ذلك إلا بحبل الله: أي كتابه ورسله أمر أن يعتصموا بحبله ليتوصلوا إلى تقواه، ومن تقواه إلى الاعتصام به، ومن توصل إلى الاعتصام، ثم إلى التوكل، ثم إلى الإسلام استغنى حينئذ عن الوسائط، الذين هم حبل الله[1]، ويصير

---

(١) هذا كلام غلاة الصوفية، الذين ينتهي أمرهم إلى القول بإسقاط التكاليف الشرعية، فقد فسَّر الراغب حبل الله تعالى بالكتاب والرسل، فكيف يستغني الإنسان عن الكتاب والرسل طرفة عين؟ وقد بين ابن القيم رحمه الله غلط الصوفية في هذا الباب، وأشار إلى أن منشأ خطئهم هو ظنهم أن شهود الحقيقة الكونية والفناء في توحيد الربوبية من مقامات العارفين، فقال هؤلاء: القصد من الأوراد: الجمعية على الآمر، فلماذا نشتغل عن المقصود بالوسيلة بعد الوصول إليه، والرجوع من حضرته إلى منازل السفر إليه؟ وربما أنشد بعضهم:

يطالب بالأوراد من كان غافلًا   فكيف بقلب كل أوقاته وِرْد؟

وقد قسَّم ابن القيم رحمه الله هؤلاء إلى أقسام: ـ فمنهم من أسقط الأوامر والنواهي جملة، ويرى القيام بها من باب ضبط ناموس الشرع ومصلحة العموم، فهي التي نحث أهل الغفلة على التشمير للسير، فإذا جدَّ في المسير استغنى بقربه وجمعيته عنها. ـ ومنهم من لا يرى سقوطها إلا عمن يشهد الحقيقة الكونية، ووصل إلى مقام الفناء فيها... وقد يقولون: شهود الإرادة يسقط الأمر، وفي هذا المشهد يقولون: العارف لا يستقبح قبيحة، ولا يستحسن حسنة. ـ ومنهم من يرى القيام بالأوامر والنواهي=

ممن قال ﷺ فيه حكاية عن الله: «فإذا أحببته كنت سمعه»[1]،

= واجباً إذا لم تفرق جمعيته، فإذا فرقت جمعيته رأى الجمعية أوجب منها فيزعم أنه يترك واجباً لما هو أوجب منه، وهذا أيضاً جهل وضلال. ثم قال ابن القيم رحمه الله: «ولا ريب أن من أظهر الاستغناء عن الله وطاعاته وتوثب عليه، وأورثته الطاعات جبروتاً وحجباً عن رؤيته عيوب نفسه وعمله، وكثرت حسناته في عينه، فهو أبغض الخلق إلى الله تعالى، وأبعدهم عن العبودية، وأقربهم إلى الهلاك...» مدارج السالكين (١/ ٢٦٨-٢٧٢، ٢٨٧).

(١) هذا جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه». أخرجه البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب التواضع، رقم (٦٥٠٢). وابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٨ - إحسان) رقم (٣٤٧). وقال ابن رجب: «تفرد بإخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب». انظر: جامع العلوم والحكم الحديث الثامن والثلاثون. وهذا الحديث ليس فيه أن أحداً يسعه الاستغناء عن حبل الله تعالى الذي هو كتابه ورسله، بل أوله يدل على خلاف ذلك من أن العبد كلما تقرب إلى الله عز وجل بأداء الفرائض والنوافل ازدادت محبة الله سبحانه له، وكان دعاؤه مستجاباً. قال الحافظ ابن حجر: «وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل التجلي والرياضة، فقالوا: القلب إذا كان محفوظاً مع الله كانت خواطره معصومة عن الخطأ. وتعقب ذلك=

الخبر. وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ حث على الألفة والاجتماع، الذي هو نظام الإيمان واستقامة أمور العالم، وقد فضل المحبة والألفة على الإنصاف والعدالة، لأنه يُحتاج إلى الإنصاف حيث تفقد المحبة، ولصدق محبة الأب للابن صار مؤتمناً على ماله، والألفة أحد ما شرف الله به الشريعة سيما شريعة الإسلام، ولهذا قال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾(١)، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٢)، وقال ﷺ: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»(٣)،

= أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا: لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة، والعصمة إنما هي للأنبياء، ومن عداهم فقد يخطىء، فقد كان عمر رضي الله عنه رأس الملهمين، ومع ذلك فكان ربما رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه. فمن ظن أنه يكتفي بما يقع في خاطره عما جاء به الرسول ﷺ فقد ارتكب أعظم الخطأ، وأما من بالغ منهم فقال: حدثني قلبي عن ربي. فإنه أشد خطأ، لأنه لا يأمن أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان. . .» فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) رواه البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب لا يخطب على خطبة أخيه، رقم (٥١٤٣). وفي كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم (٦٠٦٤). ورواه مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، رقم (٢٥٦٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٥، ٢٧٧، ٢٨٧، =

وقال: «من شذَّ شذَّ في النار»[1]، ولطلب الألفة شُرِع الاجتماعات في المساجد والجمع والجماعات والأعياد، وقوله: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾[2] أي على ما يؤدِّيكم إلى النار، وهو خطاب عام للمسلمين كافة، وإن كان قد جعله[3] بعضهم خاصًّا للأوس والخزرج على ما تقدم ذكره[4]، وبعضهم

= ٢٨٨). ورواه أبو داود ـ كتاب الأدب، باب «في الظن»، رقم (٤٩١٧).

(١) رواه الترمذي ـ كتاب الفتن ـ باب «ما جاء في لزوم الجماعة» رقم (٢١٦٧). والحاكم في المستدرك (١/ ١١٥، ١١٦)، والدولابي في الكنى والإسماء (٢/ ٩٢)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» رقم (١٥٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٠). وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير رقم (١٨١٨ ـ فيض القدير)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٤٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) في الأصل: (جعل)، والسياق يقتضي ما أثبته.

(٤) يشير إلى تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠] فقد نقل عن السدي أنه قال: نزلت في قوم من اليهود سعوا بين أوس وخزرج بالفساد، وذكروهم من الأحقاد والأوتار، فأنزل الله تعالى ذلك. ورجح ابن جرير الطبري أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ للأوس والخزرج. جامع البيان (٧/ ٨٥). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١٤) فقد نسب هذا القول إلى ابن إسحاق، والوسيط =

جعله للعرب[١]، وأنهم كانوا في شدة وعُري وجوع وتقاتُل بينهم، فأزال الله تعالى عنهم ذلك بالإسلام، وقد تقدّم الكلام في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣] المعروف: ما يستحسنه العقل ويرد به الشرع[٤]، والمنكر: ما يستقبحه العقل

= (١/ ٤٧٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٨).

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٤) ونسبه للحسن، وقال القرطبي: والمراد: الأوس والخزرج، والآية تعم. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٤). وعزاه أبو حيان إلى الحسن وقتادة. البحر المحيط (٣/ ٢١).

(٢) وذلك عند تفسيره للآية (٢٤٢) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، انظر: تفسير الراغب (ق ١٦٤ ـ مخطوط).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) سبق أن عرّفه المؤلف بأنه: «ما لا تنكره العقول الصحيحة» تفسير سورة البقرة (ق ١٥٢ مخطوط)، وعرفه في المفردات بأنه: اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حسنه. المفردات ص (٥٦١). وعرفه الجرجاني بأنه «كل ما يحسن في الشرع» التعريفات ص (٢٣٣). وقال الكفوي: «المعروف: كل ما سكنت إليه النفس، واستحسنته لحسنه عقلًا أو شرعًا=

ويحظره الشرع[1]، وعلى ذلك يقال للسخاء المعروف في نحو قول الشاعر:

ولم أرَ كالمعروف أمّا مذاقه　　فحلو وأمّا وجهه فجميل[2]

ويقال لهما: الحق والباطل، والحسنى والسوءى، / والصلاح [٢٣٣/أ] والفساد، والجميل والقبيح، وإنما اختلفت العبارات في ذلك بحسب اختلاف العبارات. واختُلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل ذلك واجب على كل إنسان أو على بعضهم دون بعض، فمنهم من جعله واجباً على العموم، وقال: إن مِنْ في

= أو عرفاً» الكليات ص (٨٠٤). وقد عرفه الفيروز آبادي تعريفاً قريباً من تعريف الراغب. انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٥٧).

(١) عرّف الجرجاني المنكر بأنه؛ ما لا يلائم في الشريعة. انظر التعريفات ص (٥٠) وقال الكفوي: «كل ما نفرت منه وكرهته فهو منكر» الكليات ص (٨٠٤). قلت: وتعريف الكفوي قاصر، لأنه يعم أي شيء يكرهه أي إنسان فيكون منكراً بحسب تعريفه. أما تعريف الراغب في المفردات فقد تفادى ما وقع فيه الكفوي، حيث قال: «والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة». المفردات ص (٨٢٣).

(٢) هذ البيت لأبي الضياء، وقيل: لرجل من فزاره. انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٣٠٦)، والحماسة لأبي تمام (١/ ٦٠٦).

قوله ﴿ مِّنكُمْ ﴾ للتبيين، كما هو في قوله: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ ﴾[(١)] وقال: لأن حق الناس كلهم أن يكونوا خلفاء الله في أرضه، وسُوَّاساً لبعض خلائقه، لكن السياسات ثلاث: سياسة الإنسان نفسَه، وسياسته أهلَه وما يخصّه، وسياسته بلده وصُقْعه[(٢)]، فسياسة البلد والصُّقع من وجهٍ إلى الأئمة، وهو أخذهم الناس بالقهر، ومن وجه إلى الحكماء والعلماء - فقهائهم ووعظتهم - وهو أخذهم بالوعظ، وكل ذلك فرض على الكفاية. وأما سياسةُ الإنسان نفسه فواجب على كل مكلّف على التضييق، وكذا سياسة الأهل واجبة على من يملكه[(٣)]، ومنهم من جعل ذلك فرضاً على

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٠. وإلى ذلك أشار البغوي بقوله: «﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ أي كونوا أمة؛ ﴿ مِنَ ﴾ صلة ليست للتبعيض كقوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ ﴾ لم يرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد: فاجتنبوا الأوثان». معالم التنزيل (٢/ ٨٤، ٨٥). وهذا أيضاً قول الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٥٢). وذكر الألوسي عن بعض الشيعة الإمامية أنه قال بذلك وهو الشيخ أبو جعفر. انظر: روح المعاني (٤/ ٢١).

(٢) الصُّقع: بالضم: الناحية. انظر مختار الصحاح ص (٣٦٦).

(٣) وذلك يدلُّ على اشتراط الاستطاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد شرطها النبي ﷺ بقوله: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم - كتاب الإيمان - رقم (٤٩). قال الإمام ابن كثير: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك =

الكفاية، واستدل عليه من الآية بقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾، وذلك يقتضي التبعيض[1]، واعتبر ذلك في سياسة

= واجباً على كل فرد من أفراد الأمة بحسبه...» تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٨). وقال الإمام ابن رجب بعد أن ذكر الأحاديث الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «فدلت هذه الأحاديث كلُّها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لابدَّ منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر دلَّ على ذهاب الإيمان من قلبه... وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة... فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها، لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات، ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب، وهو فرض على كل مسلم، لا يسقط عن أحد في حالٍ من الأحوال». جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٥).

(١) قال الجصّاص: «قد حوت هذه الآية معنيين؛ أحدهما: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآخر: أنه فرض على الكفاية ليس بفرض على كل أحدٍ في نفسه إذا قام به غيره، لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ وحقيقته تقتضي البعض دون البعض، فدل على أنه فرض على الكفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين» أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٨)، وذهب إلى ذلك أيضاً ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٢٩٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٥)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٥، ٦٦، ٨٠، ٨١)، وذكر الألوسي أن العلماء اتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، لم يخالف في ذلك إلا النزر. روح المعاني (٤/ ٢١).

الإنسان لغيره دون سياسته نفسه، وأجرى ذلك مجرى الجهاد وطلب العلم، وهذا أقرب على اعتبار الفقهاء، والأول أعم على اعتبار الحكماء، والذي تستحق به العقوبة هو ترك ما يلزم من حق غيرهم، وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى قوله ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[1]، وخصّ تركهم النهي عن المنكر دون الأمر بالمعروف، فإنه أعظم الأمرين إثماً، وأوكدهما وجوباً، ففعل المعروف[2] ليس بواجب على كل أحد، وترك المنكر واجب على كل حال[3]، ثم إنكار المنكر ثلاثة أضرب: إنكار باليد، وإنكار باللسان، وإنكار بالقلب. على حسب ما رُوِي عن النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[4]،

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) في الأصل: (المألوف) والصواب ما أثبته.

(٣) قال القرطبي: «أجمع المسلمون ـ فيما ذكر ابن عبدالبر ـ أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٨).

(٤) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب «كون النهي عن المنكر من الإيمان، =

فقيل: إن الأول للسلاطين، والثاني للعلماء، والثالث للعوام[1]، فإن قيل: كيف حثَّ هاهنا على الأمر بالمعروف،

= وأن الإيمان يزيد وينقص» رقم (٤٩). وأبو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب «الخطبة يوم العيد»، رقم (١١٤٠) والترمذي ـ كتاب الفتن ـ باب «في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب» رقم (٢١٧٢). وقال الترمذي: حديث حسن. وهو كذلك في تحفة الأشراف (٣/ ٣٦٨) رقم (٤٠٨٥). والنسائي ـ كتاب الإيمان ـ باب «تفاضل أهل الإيمان» (٨/ ١١١). وابن ماجه ـ كتاب إقامة الصلاة ـ باب «ما جاء في صلاة العيدين» رقم (١٢٧٥)، وأحمد في المسند (٣/ ١٠، ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤)، وعبد بن حميد رقم (٩٠٦) وأبو يعلى رقم (١٠٠٩).

(١) ذكر القرطبي هذا القول في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٩) ونسبه للعلماء دون تحديد أحدهم. وهذا القول غير سديد، وإنما المعتبر في ذلك هي المصلحة والاستطاعة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد، بل هو على الكفاية كما دلَّ عليه القرآن . . . فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته، إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته كما قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**». ثم قال رحمه الله: «وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة. . . وهنا يغلط فريقان من الناس: فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي. . . والفريق الثاني من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر. . . » مجموع فتاوى شيخ=

وقـــال في غيره: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[1]؟ قيل في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: إن ذلك حثٌّ على أن يغيّر الإنسان على نفسه قبل أن ينكره على غيره، وهو خطاب للعامة. والثاني: ما قال أبو ثعلبة الخشني[2]، وقد سئل عن هذه الآية فقال: سألت عنها خبيراً، لقد سألت رسول الله ﷺ؟ فقال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر،

= الإسلام (٢٨/ ١٢٦-١٢٨). وأما ابن عطية رحمه الله فقد أعمل القول الذي ذكره الراغب في المنكرات التي لها دوام، وأعمل القول الذي ذكره ابن تيمية في المنكرات الحادثة، فقال: «والناس في تغيير المنكر والأمر بالمعروف على مراتب، ففرض العلماء فيه تنبيه الحكام والولاة، وحملهم على جادة العلم، وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم، ولهم هي اليد، وفرض سائر الناس رفعه إلى الحكام والولاة بعد النهي عنه قولاً. وهذا في المنكر الذي له دوام، وأما إن رأى أحد نازلة بديهة من المنكر كالسلب والزنى ونحوه، فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة. . .» المحرر الوجيز (٣/ ١٨٨). وهذا القول فيما أرى أعدل الأقوال والله أعلم.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٢) أبو ثعلبة - جرهم بن ناشر الخشني -: صحابي مشهور معروف بكنيته، أسلم عام خيبر، وشهد مع رسول الله ﷺ، وروى عنه عدة أحاديث، وكان ممن بايع تحت الشجرة؛ سكن الشام واعتزل الفتنة، وتوفي رضي الله عنه سنة ٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٧)، وتقريب التهذيب ص (٦٢٧)، الإصابة (٧/ ٥٠).

فإذا رأيت شحًّا مطاعاً، وهوى متبعًا، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع عنك العوام»[1][2]، وجعل تعالى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم المفلحون، لأن من تولى إصلاح نفسه، ثم صلاح غيره بغاية وسعه، فقد زكى نفسه، وزكى غيره، وقد قال تعالى فيمن يهذب نفسه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، وقد تقدم أن الفلاح الحقيقي هو البقاء الأبدي والنعيم السرمدي[4].

---

(١) رواه أبو داود ـ كتاب الملاحم ـ باب «الأمر والنهي» رقم (٤٣٤١)، والترمذي ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب «سورة المائدة» رقم (٣٠٥٨) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه ـ كتاب الفتن ـ باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ رقم (٤٠١٤)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٩٢) كتاب آداب القاضي، والطحاوي في شرح المشكل رقم (١١٧١، ١١٧٢)، وابن حبان رقم (٣٨٥ - إحسان)، والبغوي رقم (٤١٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠)، وأشار المنذري إلى صحته في الترغيب والترهيب (٤/ ١٢٥).

(٢) قال الإمام ابن رجب: وكذلك روي عن طائفة من الصحابة في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قالوا: لم يأت تأويلها بعد، إنما تأويلها في آخر الزمان. جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٥٢).

(٣) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٤) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] للراغب (ق١٤ ـ مخطوط)، وقال الراغب في المفردات: والفلاح: الظفر وإدراك بغيةٍ، =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] التفرّق على ثلاثة أضرب: تفرّق بالأبدان، وتفرّق بالأقوال/ والأفعال، وتفرّق بالاعتقادات، وكذلك الاختلاف؛ إلا أن الأظهر في الاختلاف أن يكون بالأقوال والأفعال والاعتقادات، وفي التفرق أن يكون بالأبدان[2]، وذكر تعالى اللفظين، ليبين أن أهل الكتاب تجادلوا بكل ذلك، وعلى هذا قال ابن عباس والربيع: تفرّقوا واختلفوا في أحكام مبتدعة وأهواء متبعة بعد أن كانوا إخواناً، وإن من كان قبلهم هلكوا بالمراء والخصومات[3]، ثم ذكر ما لهم من عظيم [٢٣٣/ب]

= وذلك ضربان؛ دنيوي وأخروي، فالدنيوي: الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز... وفلاح أخروي وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل...» المفردات ص (٦٤٤، ٦٤٥). وانظر: جامع البيان (٧/ ٩١)، فقد فسّر الفلاح بالبقاء في جناته ونعيمه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٢) قال الخليل: وتفارق القوم وافترقوا: فارق بعضهم بعضاً. العين (٥/ ١٤٧) وقال الراغب: والفراق والمفارقة تكون بالأبدان أكثر. المفردات ص (٦٣٣).

(٣) تقدم أن الراغب ـ رحمه الله ـ لا يهتم بذكر الأقوال بألفاظها، وإنما يذكرها بالمعنى وهنا جمع بين قولي ابن عباس والربيع في قول واحد صاغه هو. =

العذاب في الآخرة بالنار الدائمة، وفي الدنيا بمحنها ونُوبها[(١)]، ونبه بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أن سبب استحقاقهم العذاب افتراقهم واختلافهم، تنبيهاً أنكم [إن][(٢)] فعلتم فعلهم استحققتم العذاب استحقاقهم. **إن قيل**: كيف قال النبي ﷺ: «الاختلاف في أمتي رحمة»[(٣)] مع ما ذكر من ذم الاختلاف؟

= أما قول ابن عباس رضي الله عنه فقد رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٣) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ قال: «أمر الله جلَّ ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله». ورواه كذلك ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٨)، وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٠)، وأما قول الربيع، فرواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٢)، قال: «هم أهل الكتاب؛ نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب».

(١) النوب: جمع نائبة وهي المصيبة. قال ابن منظور: «والنائبة: المصيبة، واحدة نوائب الدهر. والنائبة: النازلة، وهي النوائب والنُّوب، الأخيرة نادرة»، لسان العرب (١/ ٧٧٤).

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) هذا الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم (٢٨٨)، وعزاه لنصر المقدسي في الحجة، والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند. وقال المناوي - رحمه الله - في فيض القدير (١/ ٢١٢) في الحديث رقم (٢٨٨): هذا الحديث=

قيل: الاختلاف ضربان: اختلاف في الأصول الجارية من الطرق مجرى طريق الشرق من طريق الغرب، وذلك هو المذموم، فإن ما عدا الجهة المأمور بسلوكها مؤدٍّ إلى الباطل. وإلى هذا يوجه قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾(1). والثاني: اختلاف في الفروع الجارية من الطرق مجرى بنيّات طريق(2) إلى مقصد واحد يسلكها، كل على حسب اجتهاده، ومقصد جميعهم واحد، فإن إباحة الله سلوك كل واحد من تلك الطرق فسحة لهم ورحمة(3)، وإياه قصد بقوله:

= قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، وقال ولده المحقق أبو زرعة: رواه أيضاً آدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم بلفظ: اختلاف أصحابي. وهو مرسل ضعيف. وفي طبقات ابن سعد عن القاسم بن محمد نحوه. وممن ضعف هذا الحديث أبو محمد ابن حزم في الإحكام (٥/ ٦٤) وابن حجر والبيهقي، كما نقله عنهم العجلوني في كشف الخفاء رقم (١٥٣). وقال الألباني: لا أصل له. ولقد جهد المحدثون أن يقفوا له على سند فلم يوفَّقوا. السلسلة الضعيفة رقم (٥٧).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) بنيات الطريق: هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة. مختار الصحاح ص(٦٦).

(٣) قال الكفوي: «وما جاز من الاختلاف في القرآن هو اختلاف تلاؤم، وهو ما يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القرآن ومقادير السور والآيات والأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد. وما يمتنع عليه هو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، وما يوهم الاختلاف والتناقض وليس كذلك؛ كنفي المسألة يوم القيامة وإثباتها. . . والاختلاف في الأصول ضلال، وفي الآراء والحروب حرام، والاختلاف في الفروع هو كالاختلاف في الحلال=

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(1) .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(2) ابيضاض الوجه عبارة عن المسرة ، واسودادها عن الغم . وعلى ذلك ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ ، ثم قال : ﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾(3) .

= والحرام ونحوهما والاتفاق فيه خير قطعاً . . . والاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً ، والخلاف هو أن يكون كلاهما مختلفاً ، والاختلاف ما يستند إلى دليل ، والخلاف ما لا يستند إلى دليل ، والاختلاف من آثار الرحمة كما في الحديث المشهور ، والمراد منه الاجتهاد لا اختلاف الناس في الهمم بدليل «أمتي» والخلاف من آثار البدعة . . . » الكليات ص (٦٠ ، ٦١) . وقال الإمام ابن حزم بعد أن بين بطلان الأحاديث الدالة على أن اختلاف الأمة رحمة : «فإن قال قائل : إن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس ، أفيلحقهم هذا الذم؟ قيل له وبالله تعالى التوفيق : كلا ، ما يلحق أولئك شيء من هذا ، لأن كلَّ امرئ منهم تحرى سبيل الله ووجهة الحق ، فالمخطئ منهم مأجور أجراً واحداً لنيته الجميلة في إرادة الخير ، وقد رفع عنهم الإثم في خطئهم لأنهم لم يتعمدوه ولا قصدوه ، ولا استهانوا بطلبهم ، والمصيب مأجور منهم أجرين . الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٦٤ ، ٦٥) . وانظر : رفع الملام عن الأئمة الأعلام للشيخ تقي الدين ابن تيمية ص (٣٥-٣٦) .

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٦ .

(٣) سورة النحل ، الآيتان : ٥٨ ، ٥٩ .

وعلى ذلك قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[1]، وهذا الابيضاض والاسوداد أبلغ من المحسوسين[2]. وقال بعض المتكلمين: يحمل ذلك على المحسوس، لكونه حقيقة فيه[3]، وهذا خطأ[4]، وذلك لأنه لم يعلم أن ذلك حقيقة فيهما جميعاً، فليس الاسوداد والابيضاض أكثر من كيفية عارضة في الوجه، قلّ ذلك أم كثر،

---

(١) سورة عبس، الآية: ٤٠.

(٢) قال الزجاج: وابيضاضها: إشراقها وإسفارها، وقال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]، أسفرت واستبشرت لما تصير إليه من ثواب الله ورحمته. ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ اسودادها لما تصير إليه من العذاب. قال الله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠]. معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٣). وكثير من المفسرين قالوا بذلك. انظر: النكت والعيون (١/ ٤١٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٨٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٧).

(٣) قال الزمخشري: «فمن كان من أهل نور الحق وُسِمَ ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب» الكشاف (١/ ٣٩٩).

(٤) قال أبو حيان: «الجمهور على أن ابيضاض الوجوه واسودادها على حقيقة اللون، والبياض من النور. والسواد من الظلمة» البحر المحيط (٣/ ٢٤). وقال ابن عطية: «ويحتمل أن يكون ذلك تسويداً ينزله الله بهم على جهة التشويه والتمثيل بهم، على نحو حشرهم زرقاً...» المحرر الوجيز (٣/ ١٩٠).

ومعلوم أن من ناله غمّ شديد يعرض لوجهه - لتبرّمه[1] وتكدره - اسوداد في وجهه، وليس قلّة السواد والبياض مما يخرج اللفظ عن الحقيقة، ثم حمل الآية على هذا أولى، لأن ذلك حاصل لأهل القيامة باتفاق، سواء كانوا في الدنيا سودانا أو بيضانا[2]، وعلى ذلك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[3] وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾[4]. وأما كفرهم بعد إيمانهم فقد قال الحسن: بعد إظهارهم الإيمان بالنفاق[5]، وقال قتادة: كفروا بالارتداد بعد

---

(١) في الأصل: (لتردمه)، ولا يظهر له معنى والأولى ما أثبته.

(٢) الأولى حمل الآية على حقيقتها، وهو أن الناس سينقسمون يوم القيامة إلى فريقين؛ فريق سود الوجوه، وفريق بيض الوجوه، قال ابن جرير الطبري: «وذلك أن الله جلَّ ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين، أحدهما سوداً وجوهه، والآخر بيضاً وجوهه، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سوِّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيِّض وجهه. . . » جامع البيان (٧/ ٩٦).

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢.

(٤) سورة عبس، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٩).

الإسلام[1]، وقيل: بعد الإقرار الذي اقتضاه قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[2]. وقيل: كفروا بالنبي ﷺ بعد أن أقرّوا به قبل بعثته[3]، وعموم اللفظ يقتضي كل ذلك، ولا تنافي بينها، وقوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ تقديره: فيقال لهم: أكفرتم؟، [و][4] حذف القول من نحو ذلك كثير نحو: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾[5]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ / نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا [٢٣٤/أ]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٤)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٢) لابن جرير وعبد بن حميد. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٥) ونسبه لمجاهد.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢. وهذا قول أُبيّ بن كعب، واختاره ابن جرير الطبري انظر: جامع البيان (٧/ ٩٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣١)، والنكت والعيون (١/ ٤١٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٨٨)، وزاد المسير (١/ ٤٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٩).

(٣) وهذا قول الزجاج انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥)، ونسبه للزجاج الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٥)، وانظر: زاد المسير (١/ ٤٣٦)، واختاره الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٩٩).

(٤) سقط حرف الواو من الأصل والسياق يقتضيه.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

﴿وَسَمِعۡنَا﴾[1] أي يقولون، ولما حذف الفعل حذف معه الفاء الذي يكون جواب أما، و يوم ظرف لقوله عظيم[2]، ولا يكون عند البصريين ظرفاً لقوله عذاب، لأن الاسم إذا وُصِفَ لا يعمل عندهم[3]، إن قيل: لِمَ كرر لفظة ﴿فَفِى رَحۡمَةِ ٱللَّهِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4]؟ قيل: قال بعض النحويين: إن ذلك للتأكيد[5]، وتمكين المعنى في النفس، وقيل: في قوله: ﴿فَفِى رَحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ تمام الكلام، و ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ تنبيهاً أن ذلك لهم مؤبداً[6]،

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٢.

(٢) هكذا أعربه العكبري، وجوّز هو والزجاج والأنباري أن يكون العامل فيه هو العامل في (لهم) المحذوف، والتقدير: يثبت لهم العذاب ذلك اليوم، أو استقر لهم العذاب في يوم... وجوز ابن الأنباري أيضاً أن يكون العامل فيه فعلًا محذوفاً تقديره: اذكر يا محمد يوم تبيض وجوه. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٣)، والبيان (١/ ٢١٤)، وإملاء ما من به الرحمن (١/ ١٤٥)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/ ٢٨٤). وانظر: الصاحبي ص (٣٩٠).

(٣) انظر عدم جواز عمل المصدر الموصوف في: المساعد (٢/ ٢٢٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

(٥) قال الزجاج: وذكر «فيها» ثانية على جهة التأكيد. معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥) وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٩١)، والدر المصون (٣/ ٣٤٤)،.

(٦) انظر: الكشاف (١/ ٣٩٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨)، والدر المصون (٣/ ٣٤٥)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٠٢).

وقيل: قوله: ﴿هُمْ فِيهَا﴾ راجع إلى مقتضى قوله: ﴿ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهو المسرّة، تنبيهاً أن تلك المسرّة دائمة لا كمسرّات الدنيا التي تنقطع، وإن بقيت أسبابها. فأحوال الدنيا وإن كانت سارة متبرم منها بدوامها[1]، ولهذا قيل: لَلعافية تُمل أكثر مما يُملُّ البلاء. إن قيل: المقابلة في الاثنين غير صحيحة، فإن التقابل الصحيح أن يكون المذكور في الثانية عكس المذكور في الأولى، وليس قوله: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عكساً لقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ قيل: مراعاة التقابُل على ضربين: تقابل اللفظ، وتقابل المعنى، وهو أفضلهما عند أصحاب المعاني، فالتقابل حاصل من حيث المعنى، وعدل عن لفظ الخبر في قوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ وقوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ إشارة إلى ما يقال لهم[2]،

---

(١) الذي عليه المفسرون وأهل اللغة أن الضمير في قوله ﴿فِيهَا﴾ يعود على أقرب مذكور وهو (الرحمة)، انظر: جامع البيان (٧/ ٩٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥)، والكشاف (١/ ٣٩٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧، ٢٨)، والدر المصون (٣/ ٣٤٤، ٣٤٥). ولم أجد من وجّه الضمير إلى مقتضى قوله: ﴿ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾، وكذلك فإن هذا المقتضى مختلف فيه، كما سبق بيانه من كون هذا الابيضاض على الحقيقة أم على التمثيل.

(٢) قال أبو حيان: انظر تفاوت ما بين التقسيمين، هناك جمع لمن اسودّت وجوههم بين التعنيف بالقول والعذاب، وهنا جعلهم مستقرين في الرحمة، فالرحمة ظرف=

ونبّه أنهم يُقابلون مع العقوبة بالتبكيت[1]، وقد قيل: التبكيت أعظم العقوبتين، وأن يقال لهم: (ذوقوا)، وذلك دلالة على مبالغة الغضب عليهم[2]، **إن قيل**: كان الوجه أن يقال: ألستم قد كفرتم؟ فلفظ الاستفهام في القرآن محمول على الإنكار، والإنكار متى تجرد عن حرف النفي يكون للنفي نحو قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ وإذا كان للإثبات قرن به حرف النفي؟ **قيل**: الألف في الأصل للاستخبار، والاستخبار أعمّ من الاستفهام، وكل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً، والمستخبر قد يقصد إلى أخذ إقرار المستخبر أو إلى إلجائه إلى الإقرار بما ينكره، وقوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ استخبار على هذا الوجه، وتقريع لهم[3]، وعلى ذلك

= لهم وهي شاملتهم... وأضاف الرحمة هنا إليه، ولم يضف العذاب إلى نفسه، بل قال: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ ولما ذكر العذاب علّله بفعلهم، ولم ينصّ هنا على سبب كونهم في الرحمة. البحر المحيط (٣/ ٢٨).

(١) التبكيت: التقريع والغلبة بالحجة. انظر: القاموس المحيط ص (١٨٩).

(٢) «دلّ على ذلك استخدام الاستعارة بقوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾، حيث جعل العذاب شيئاً يدرك بحاسة الأكل والذوق، تصويراً له بصورة ما يذاق». انظر: الدر المصون (٣/ ٣٤٦).

(٣) قال ابن فارس: «الاستخبار: طلب خُبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام، وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار، لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته وربما لم=

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] قال الفراء: معناه هذه آيات الله[3]، وقد تقدم الكلام في قوله: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4]، وآيات الله يصح أن تكون الكتاب، وأن تكون جميع الآيات المسموعة والمعقولة مما يظهره الله[5]، ويكون معنى ﴿نَتْلُوهَا﴾ نُبيِّنُها بوجوه التبينات[6]، قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾

= تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم» الصاحبي ص (٢٩٢). ثم ذكر رحمه الله أن من معاني الاستخبار: التعجب والتوبيخ والتفجع، والتبكيت والتقرير والتسوية والاسترشاد، والإنكار والعرض والتحضيض والإفهام والتكثير والنفي والإخبار والتحقيق، وقد بين رحمه الله الشواهد على ذلك كله. انظر: ص (٢٩٢-٢٩٥).

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٢٨) وفيه: (يريد) بدل (معناه).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢. ويشير الراغب إلى ما أورده هنالك من قول بعضهم: إن اسم الإشارة للبعيد تكون بمعنى اسم الإشارة للقريب، وبمعنى ضمير الغائب. انظر تفسير الراغب (ق ١١ ـ مخطوط). وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٠، ١١)، جامع البيان (١/ ٢٢٥-٢٢٨).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥)، والغريبين (١/ ١١٧)، وجامع البيان (٧/ ٩٧)، وما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري ص (٢١)، وبصائر ذوي التمييز (١/ ٥٨، ٥٩)، (٢/ ٦٣-٦٦).

(٦) قال الزجاج: «نعرفك إياها» معاني القرآن (١/ ٤٥٥).

أي الحق يقارنه، أو هو الحق[1]، وفي قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ تنبيه على اعتبار ما تقدم ذكره لما اقتضى عدله في معاقبة الكفار[2].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[3] قد تقدم تفسير ذلك[4]، ونبه بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ على شيئين: أحدهما: إبطال قول من زعم أن الأشياء تبقى عناصرها فلا تفنى. والثاني: على أنه يصحُّ أن يتوهم ارتفاع الأمور كلها مع بقائه تعالى، وأنه لا يُنكر عدمها انتهاءً، كما لا يُنكر ذلك ابتداءً[5]. إن قيل: وما وجه إيراد هذا القول

---

(١) قال أبو حيان: «والباء في (بالحق) باء المصاحبة، فهي في موضع الحال من ضمير المفعول، أي ملتبسة بالحق». البحر المحيط (٣/ ٢٩)، وانظر: الكشاف (١/ ٤٠٠)، والدر المصون (٣/ ٣٤٦).

(٢) وإلى ذلك أشار الطبري بقوله: «يعني بذلك: وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء وإذاقتهم العذاب العظيم، وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه إياهم في جنته، طالباً وضع شيء مما فعل من ذلك في غير موضعه الذي هو موضعه...» جامع البيان (٧/ ٩٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.

(٤) انظر: تفسير الآية (٢٨٤) من سورة البقرة، (ق ١٩٥ ـ مخطوط) وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (ق ـ ١٣٨، ١٣٩ ـ مخطوط).

(٥) قال العلامة نظام الدين النيسابوري: «فالأول إشارة إلى أنه تعالى مبدأ المخلوقات كلها، وهذا إشارة إلى أن معاد الكل إليه». «غرائب القرآن=

[٢٣٤/ب] في هذا الموضع؟ قيل: إنه لما بيّن تعالى ما اقتضى عدالته وعقبه/ بذكر التبرؤ من ظلمهم بيّن بهذا القول استغناءه عن الظلم، وأن الظلم يتحرّاه من يروم ما لغيره، ومحال أن يُعتقدَ في مالكِ الكلِّ ومن منه البدءُ وإليه العودُ الظلمُ(١).

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢) إن قيل: لمَ قال: ﴿كُنتُمْ﴾ ولم يقل: أنتم؟ قيل: في ذلك أجوبة: **الأول**: كنتم فيما قضيت وقدرت وبنيت عليه الشرائع خير أمة بشريطة أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا(٣) عن المنكر، وتؤمنوا(٤) بالله(٥)،

= ورغائب الفرقان» لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت بعد ٨٥٠هـ) (٢/ ٢٣٢). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٧٠).

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٩٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٢/ ١٣٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) في الأصل: وتنهون، بإثبات النون والصواب حذفها.

(٤) في الأصل: وتؤمنون، بإثبات النون والصواب حذفها.

(٥) وهذا القول مروي عن مجاهد، والحسن، انظر: جامع البيان (٧/ ١٠٢، ١٠٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٤١٦)، =

فقد تقدم إن هذه الشريعة أكمل الشرائع[1]، ولهذا قال ﷺ: «أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى»[2]، والثاني: أن الإشارة بذلك إلى من آمن بالنبي ﷺ في ابتداء الإسلام، وإلى هذا ذهب عمر، وقال: هذا لأولنا، ولو شاء الله لجعله لآخرنا أيضاً. فقال: أنتم، فكنا كلنا أخياراً[3]. ويؤكّد ذلك ما روي

= والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٣)، وزاد المسير (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠)، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة؛ كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. . . » تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٠).

(١) انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٣، ١٠٤ ـ مخطوط).

(٢) رواه الطبري (٧/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٢)، ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب «سورة آل عمران»، رقم (٣٠٠١)، وابن ماجه ـ كتاب الزهد ـ باب صفة أمة محمد ﷺ، رقم (٤٢٨٨) وأحمد في المسند (٥/ ٢٥٣، ٢٥٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٤) والدارمي في سننه ـ كتاب الرقائق ـ باب قول النبي ﷺ: «أنتم خير الأمم». والحميدي في مسنده رقم (٩٠٨)، والطبراني في الأوسط رقم (٧٦٥٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧): رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٠): هذا حديث مشهور، وقد حسنه الترمذي.

(٣) أثر عمر رضي الله عنه رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٠١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٣٢) بسنديهما عن السدي=

عن عبدالله قال: جمعنا رسول الله، ونحن أربعون رجلًا، فقال: «إنكم منصورون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذلك منكم فليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر»[1]. الثالث: أن ما تشارك فيه الأحوال الثلاث: الماضي والحال والمستقبل، لا فرق بين أن تقول: كنت كذا أو أنت كذا، لأن القصد ليس إلى تخصيص الزمان، بل إلى ذكر ثبوت ذلك الشيء، وأيًّا من ذلك ذكرت، فإنه لا يقتضي من حيث اللفظ نفي الآخر، وإذا كان كذلك كان أولى الألفاظ بمثله: كان، لأنه يقتضي الحصول، ولا يقتضي تغيير ذلك الشيء من حيث اللفظ، ولهذا أورد تعالى جلّ أوصافه على ذلك، نحو ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2]، وقيل: ﴿كُنتُمْ﴾ في اللوح

= قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال عمر بن الخطاب: «لو شاء الله تعالى لقال: (أنتم) ولكن قال: (كنتم) في خاصة أصحاب محمد ﷺ، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس». وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٣)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) رواه الترمذي - كتاب الفتن - رقم (٢٢٥٧)، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٩)، والطيالسي في المسند رقم (٣٣٧، ٣٤٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢١٣)، والبيهقي في السنن (٣/ ١٨٠)، (١٠/ ٩٤) وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٦. وانظر القول السابق في: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٢٩) حيث ذكر أن إضمار (كان) في مثل هذا أو إظهارها سواء.
وانظر: جامع البيان (٧/ ١٠٦)، والنكت والعيون (١/ ٤١٦)، وزاد=

المحفوظ(١)، وهذا كالأول. إن قيل: لأي شيء وصفهم بأنهم خير أمة، وقد علم أن أشرار الناس في هذه الأمة أكثر من الأخيار، وأن كثيراً من الأمم المتقدمة كانوا خيراً من كثير هذه الأمة؟ قيل: ليس الاعتبار بأشخاص الناس، وإنما الاعتبار بما صارت الأمة به أمة، والشريعة به شريعة، وقد تقدم أن هذه الشريعة أفضل الشرائع(٢) إذا اعتبرت بها، على أنه قد قيد فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أي أنتم خير أمة على هذه الشريطة(٣) لأن قوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ في موضع الحال(٤). قال

= المسير (١/ ٤٣٩)، والدر المصون (٣/ ٣٤٧).

(١) هذا قول الفراء والزجاج، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٤١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٨)، وزاد المسير (١/ ٤٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠)، والدر المصون (٣/ ٣٤٩).

(٢) انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] (ق ـ ١٠٣، ١٠٤ ـ مخطوط).

(٣) قال الزجاج: هذا الخطاب أصله أنه خوطب به أصحاب النبي ﷺ، وهو يعم سائر أمة محمد ﷺ، والشريطة في الخيرية ما هو في الكلام، وهو قوله عز وجل: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

(٤) قال ابن عطية: وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وما بعده أحوال في موضع نصب. المحرر الوجيز (٣/ ١٩٥). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣١)، =

ابن عباس ومجاهد وأبو هريرة[(١)] : كونهم خيراً هو أنه[(٢)] لم يؤمر نبي قبله بالقتال، وقهر الناس على الدخول فيما فيه صلاحهم[(٣)] إلا هذه الأمة، فإن الله يقودهم بالسلاسل من الكفر إلى الإيمان[(٤)]، وقال غيرهم : لم يكن في أمة من الآمرين

= والدر المصون (٣/ ٣٥٠) ونسب السمين الحلبي هذا الوجه من الإعراب للراغب وابن عطية، وهناك أوجه أخرى مذكورة.

(١) أبو هريرة هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الجليل حافظ الصحابة، مشهور بكنيته، اختُلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي ﷺ، ثم لازمه وأخذ الحديث عنه، فكان أكثر الصحابة رواية عنه، توفي سنة ٥٧هـ وقيل : ٥٨هـ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨)، والإصابة (٧/ ٣٤٨)، وتقريب التهذيب ص (٦٨٠).

(٢) في الأصل (أن) والسياق يقتضي ما أثبته.

(٣) قوله : وقهر الناس على الدخول فيما فيه صلاحهم يعني بعد رفضهم دعوة الإسلام أو الإذعان لسلطان المسلمين عن طريق دفع الجزية، وبذلك يكونون قد اختاروا طريق القتال والمجابهة، لأن الله تعالى يقول ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]، فالقتال في الحقيقة ليس لإرغام الناس على الدخول في الإسلام، وإنما لإزالة رؤوس الكفر وقادة الضلال، الذين يحولون بين الناس وبين التعرف على دعوة الإسلام. وانظر في ذلك : معالم التنزيل (١/ ٣١٤) والمحرر الوجيز (٢/ ٢٨٠) والبحر المحيط (٢/ ٢٩٢).

(٤) هذا القول الذي ذكره الراغب مؤلف من أقوال ثلاثة لابن عباس =

بالمعروف، والناهين عن المنكر أكثر مما في هذه الأمة[1]، إن قيل: لم أخَّر الإيمان بالله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

= ومجاهد وأبي هريرة، جمع بينها الراغب لتشابهها في المعنى، وهذا يدل على أن الراغب رحمه الله لا يسوق الأقوال بألفاظها، وقد أشرت إلى ذلك في قسم الدراسة. فأما ابن عباس فقد قال: «في قوله تعالى: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: قال: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلوهم عليه». رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٣). وأما أبو هريرة رضي الله عنه فقد قال: «كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل حتى يدخلوا في الإسلام» رواه البخاري رقم (٤٥٥٧) كتاب التفسير، باب ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾، والطبري في جامع البيان (٧/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٣٢). وأما مجاهد رحمه الله فقد قال: في قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾: قال: على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله. رواه الطبري (٧/ ١٠٢، ١٠٣)، وعبد بن حميد في تفسيره (ق ٥٥ ـ مخطوط) بهامش تفسير ابن أبي حاتم.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فبين سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم، لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكلّ أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق. وسائر الأمم لم يأمروا كل أحدٍ بكل معروف، ولا نهوا كل أحدٍ عن كل منكر، ولا جاهدوا على ذلك...» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ١٢٣).

قيل: الإيمان هاهنا ليس هو الإقرار بالله فقط، بل هو الوفاء بشروطه والقيام بشرائعه، الذي هو تمام الإيمان وكماله[1] على ما ذكرناه فيما تقدم، وقال: ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ فقابل به المؤمنين، لأن الفسق أعم من الكفر[2]، فبيّن أن المؤمنين المخلصين قليل جدّاً، وأن أكثرهم فاسق: إما كافر، وإما منافق.

قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[3] قال ابن عباس والحسن: عنى بالأذى الكلام المؤذي[4]، وجعل بعضهم/ الآية مخصوصة في بني [٢٣٥/أ]

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٨/ ١٥٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣١)، ونظم الدرر (٢/ ١٣٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧١).

(٢) قال الراغب: فسق فلان: خرج عن حِجْر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب. إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرَّ به، ثم أخلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه. وإذا قيل للكافر الأصلي: فاسق، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة...» المفردات ص (٦٣٦) وانظر: مجمل اللغة ص (٥٦٧، ٥٦٨)، والنهاية (٣/ ٤٤٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٤) أما قول ابن عباس رضي الله عنه فقد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير=

قريظة[1]، قال: ووحد المخبر على ما أخبر به تعالى، وجعلها بعضهم عامة، وقال: إن كان ما ينال المؤمنين من الكفار كلاماً كان أو قتالاً فهو أذى عارض[2] ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، كما قال في غير موضع، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ لم يجزمه، لأنه إذا جُعِلَ جواباً اقتضى أن النصرة عنهم ممنوعة في حال المقابلة فقط،

= (١/ ٤٤٠) أنه قال: والأذى قولهم: عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة. وأما قول الحسن فقد أخرج الطبري في جامع البيان (٧/ ١٠٩) بسنده عن الحسن أنه قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ قال: تسمعون منهم كذباً على الله، يدعونكم إلى الضلالة. ونقل ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٠، ٤٤١) عن الحسن أنه قال: هو الكذب على الله.

(١) انظر: أسباب النزول ص (١١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤)، والعُجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر (٢/ ٧٣٤).
وبنو قريظة: حي من اليهود، سكنوا المدينة في الجاهلية، وكانوا بالعوالي وما حولها، ولما هاجر النبيّ ﷺ عاهدهم ألا يحاربوه أو يظاهروا عليه، ثم غدروا به في غزوة الأحزاب، فجاهدهم رسول الله ﷺ، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه. فحكم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال. انظر: معجم قبائل الحجاز ص (٤٢٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: والمراد بالأذى: الطعن باللسان، أو الدعاء إلى الضلال، فإن المسلم يتأذى بسماع ذلك، وأما لو اتفق بينهم قتال فإنهم يُخذلون. العجاب (٢/ ٧٣٥).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

وإذا رُفِعَ اقتضى أنهم ممنوعون عنها في كل حال[١]، وقال بعض النحويين: رفع ذلك ليكون كآخر سائر الآيات المتقدمة[٢]، وهذا القول هو بحسب مراعاة اللفظ دون المعنى.

قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[٣]، قيل: هي مخصوصة في بني قريظة على ما تقدم[٤]، وقيل: هو أمر وإن كان لفظه خبراً، فأمر بتذليل أهل الكتاب، وأخذ الجزية منهم على ما ذكره الفقهاء وبينوه[٥]، وقيل: هو خبر عام عن جميعهم[٦]، فإن قيل: كيف يصحُّ ذلك

---

(١) قال أبو البقاء: «... وإنما استؤنف هنا ليدل على أن الله لا ينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا». إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٦)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٠٠) والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٨٥)، والدر المصون (٣/ ٣٥٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٩)، وجامع البيان (٧/ ١١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

(٤) قال القرطبي: يعني اليهود. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤) وانظر: جامع البيان (٧/ ١١٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٨).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٩٠) وما بعدها، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٩٢٠ - ٩٢٥)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩/ ٢٠ - ٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣).

(٦) قال ابن كثير: «هكذا وقع، فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنوفهم، وكذلك=

مع أنه قد يُرى من أهل الكتاب من لا يكون في مذلّة ولا فقر، قيل: المذلّة هي التي تلزمهم ليس يجب أن تُعتبر في الأشخاص، ولا في الأعراض الدنيوية من الجاه والمال، بل يجب أن يُعتبر ذلك بالأحوال الشرعية، والعزّ والذلّ الحقيقيين، اللذين يقتضيهما الدين، وإياه قصد بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) وقد قيل: كل عز مصيره إلى ذلّ فهو ذلّ، وما يتصوره بعض الناس عزًّا من غرور الدنيا فهو المذلة عند التحقيق، وكذلك المسكنة ليست قلة المال، وإنما هي الحرص، وفقر النفس (٢)، ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الغنى غنى

= من قبلهم من يهود المدينة، بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة كلهم أذلهم الله، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين...» تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٤). وكلامه رحمه الله يدل على العموم.

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) قال ابن القيم: ومنها - أي ومن عقوبات المعاصي - أن المعصية تورث الذلَّ ولابد، فإن العزَّ كلّ العز في طاعة الله. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر، الآية: ١٠] أي فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعته. وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك. الجواب الكافي ص (٦٣) وقال أبو السعود: «واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين؛ إما على الحقيقة وإما لخوف أن تضاعف=

النفس»[١]، وقيل لحكيم: هل لفلان غنى؟ فقال: أما الغنى فلا أدري، إلا أن له مالاً كثيراً. وقال الشاعر:

قد يكثر المال والإنسان مفتقر[٢] ....

وقيل: إن ذلك على سبيل الدعاء عليهم[٣]، كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[٥]، وهذا في الحقيقة يرجع إلى الأول، فالدعاء من الله واجب، إن قيل: لم قال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[٦] فأعاد ذكر الحبل، وفصل؟ قيل: لأن الكافر يحتاج إلى حبلين أي عهدين، عهد من الله، وهو أن يكون من أهل كتاب أنزله الله، وإلا لم يكن مقرًّا على دينه بالذمة، ثم يحتاج إلى حبل من الناس،

= جزيتهم». إرشاد العقل السليم (١/ ١٠٧).

(١) رواه البخاري ـ كتاب «الرقائق» ـ باب «ما قدم من ماله فهو له» رقم (٦٤٤٦). ومسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب «ليس الغنى عن كثرة العرض» رقم (١٠٥١). ورواه الحميدي في مسنده رقم (١٠٦٣).

(٢) هذا شطر بيت من البسيط، ذكره الراغب في محاضرات الأدباء (٢/ ٥٢١) بدون عزو.

(٣) لم أجد هذا القول عند غير الراغب.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ١٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

أي أمان وعهد يبذلونه على ما بيّنه الفقهاء. والناس هاهنا خاص للمسلمين[(١)]، وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي استحقوا عقاباً منه[(٢)]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي نالهم ذلك بكفرهم[(٣)]، وقوله من بعد: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ قيل: هو بدل من الأول، فإن كفرهم ليس هو إلا عصيانهم، واعتداؤهم[(٤)]، وقيل: بل جعل الكفر علّةً لما نالهم من الذِّلة والمسكنة، وجعل عصيانهم علّة لكفرهم، وذلك أن الذنوب الصغائر إذا استمر عليها الإنسان أفضت إلى الكبائر، والكبائر تفضي إلى الكفر[(٥)]، ولهذا قال

---

(١) انظر هذا المعنى في: جامع البيان (٧/ ١١٠، ١١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٥)، والوسيط (١/ ٤٨٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٢)، والكشاف (١/ ٤٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٤).

(٢) انظر: البحر المحيط (١/ ٣٩٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١١٦، ١١٧)، والكشاف (١/ ٤٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧٢)، والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، لسليمان بن عمر العجيلي (١/ ٣٠٥).

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ١١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٨).

(٥) قال ابن عطية: «والذي أقول إن الإشارة بـ(ذلك) الأخير إنما هي إلى كفرهم وقتلهم، وذلك أن الله تعالى استدرجهم فعاقبهم على العصيان=

تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال ﷺ: «الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب»[2]، وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ تحذير لنا وتنبيه، كأنه قال: اجتنبوا

[٢٣٥/ب] المعصية، وهي التي أدّت بهم إلى الكفر المقتضي/ لعظم العقوبة[3]

إن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ولا يصح في الإثبات أن يقال: اعتصمت إلا بحبل فلان، والاستثناء في الإثبات لا يكون إلا من لفظ عام؟ قيل: إن قوله: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ مقتض لمعنى

= والاعتداء بالمصير إلى الكفر وقتل الأنبياء، وهو الذي يقول أهل العلم: إن الله تعالى يعاقب على المعصية بالإيقاع في معصية، ويجازي على الطاعة بالتوفيق إلى الطاعة...» المحرر الوجيز (٣/ ١٩٨). وانظر: الكشاف (١/ ٤٠٢).

(١) سورة الروم، الآية: ١٠.

(٢) رواه نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً تمّام في فوائده (٢/ ١١٤) رقم (١٢٩٤). وأصل الحديث عند أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي رقم (٣٣٣٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٤١٨)، وابن ماجه رقم (٤٢٤٤)، وابن حبان رقم (٩٣٠)، والحاكم (٢/ ٥١٧) بلفظ آخر.

(٣) ذكر ابن جرير الطبري أن هذه الآية: «... عظة منه لأمتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا مناهجهم، فيسلك بهم مسالكهم، ويحل بهم من نقم الله ومثلاته ما أحلّ بهم»، ثم روى عن قتادة في قوله تعالى: ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ قال: اجتنبوا المعصية والعدوان، فإن بهما أُهلك من أهلك قبلكم من الناس. جامع البيان (٧/ ١١٨).

العموم، كأنه قيل: بكل حال، فيصح أن يقال: إلا بحبلٍ[1].

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[2] الأمة: الجماعة[3]، وقد تقدم[4]، وجعلها[5] الزجاج هاهنا الاستقامة، وقال: تقديره: ذوو طريقة مستقيمة[6]، والأول أولى، لأنه لا يحتاج فيها إلى إضمار، والقائمة: العادلة[7]،

---

(١) وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع وأن الكلام تم عند قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا ﴾ انظر: جامع البيان (٧/ ١١٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٠)، والأضداد لابن الأنباري ص (٢٧٠).

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٠ ـ مخطوط).

(٥) الضمير هنا يعود على قوله تعالى: ﴿ قَآئِمَةٌ ﴾ وليس على ﴿ أُمَّةٌ ﴾ بدلالة السياق والمعنى.

(٦) قال الزجاج: «قال أهل اللغة: معنى قائمة: مستقيمة، ولم يبينوا حقيقة هذا، وذكر الأخفش المعنى ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ أي ذو أمة قائمة، والأمة: الطريقة من أممت الشيء إذا قصدته. فالمعنى والله أعلم: من أهل الكتاب أمة قائمة، أي ذوو طريقة قائمة...» معاني القرآن (١/ ٤٥٨).

(٧) هذا التفسير مروي عن مجاهد والحسن وابن جريج، انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٢، ١٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٤١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧).

وقال مقاتل[(١)] : مطيعة[(٢)] ، وقال بعضهم : مسلمة[(٣)] ، وهذا كله واحد ، فإن العادل لا يكون عادلاً حتى يكون مسلماً مطيعاً ، والمطيع لا يكون مطيعاً حتى يكون مسلما عادلاً ، والآناء : جمع إنْي كأنحاء في جمع نِحْي ، وقيل : هو جمع إِنًى نحو مِعاً وأمعاء[(٤)] ، وقوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾ كلام تام أي لا يستوون ، ثم قال : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ أي منهم أمة قائمة[(٥)] ، وقال بعضهم : تقديره :

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي أبو الحسن المفسِّر ، سكن بغداد ، له التفسير أفاد فيه من تفاسير قديمة دون ذكر الأسانيد ، كذبوه وهجروه ورُمِي بالتجسيم ، من السابعة ، توفي سنة ١٥٠هـ . انظر : التقريب ص (٥٤٥) ، والتهذيب (١٠/ ٢٧١) .

(٢) هذا التفسير مروي عن السدي . انظر : النكت والعيون (١/ ٤١٧) ، والوسيط (١/ ٤٨١) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣) ، ولم أجده منسوباً لمقاتل .

(٣) قال القرطبي : المعنى : ليس أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ . عن ابن مسعود . وقيل : المعنى : ليس المؤمنون والكافرون من أهل الكتاب سواء . . . وقال ابن عباس : قول الله عز وجل : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ من آمن مع النبي ﷺ . الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٥) .

(٤) انظر : كتاب الأزمنة ص (١٣٣) ، والمنقوص والممدود ص (١٨) ، ومجاز القرآن (١/ ١٠٢) ، والغريبين (١/ ١٠٣) . وذكر الأخفش وغيره فيه لغة أخرى وهي : إنو بالواو . انظر : معاني القرآن (١/ ٤١٨) ، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٦٣) .

(٥) هذا اختيار ابن جرير والزجاج والنحاس . انظر : جامع البيان (٧/ ١١٨-=

أي ليسوا سواء هم وأمة قائمة، يعني أمة محمد ﷺ، وإليه ذهب ابن مسعود، وقال: لا يستوي أهل الكتاب، وأمة محمد[1]، وقال الفراء: ذكر أمة قائمة، وحذف الأخرى كقول الشاعر[2]:

.... فما أدري أرشد طلابها[3]

وتقديره: أم غي[4]، وما قاله إنما يصح إذا جعل ﴿أُمَّةٌ﴾ بدلاً

= ١٢٢) ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٨)، وإعراب القرآن (١/ ٤٠١).

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥).

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي خويلد بن خالد بن محرث بن ربيد بن مخزوم المازني التميمي، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وكان من الشعراء الفحول، قدم المدينة حين وفاة النبي ﷺ، فأدرك الصلاة عليه ودفنه، شارك في فتح إفريقية، توفي سنة ٢٧هـ بمصر وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في: الإصابة (٧/ ١١٠) رقم (٩٨٨١)، وطبقات فحول الشعراء بتحقيق محمود شاكر (١/ ١٢٣)، والشعر والشعراء بتحقيق: أحمد شاكر ص (٤١٥)، ووفيات الأعيان (٦/ ١٥٥، ١٥٦) وخزانة الأدب (١/ ٤٢٢).

(٣) هذا جزء من عجز بيت لأبي ذؤيب تمامه:

عصاني إليها القلب إني لأَمْرِه ... مطيعٌ فما أدري أرشد طلابها

انظره في: ديوان الهذليين ص (٧١، ٧٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٩)، وجامع البيان (١/ ٣٢٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٧، ١٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦).

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٣٠، ٢٣١)، وقد اختصر المؤلف كلام الفراء في هذا الموضع.

من الضمير في ﴿ لَيْسُوا ﴾، أو جعل الواو فيه كالواو في أكلوني البراغيث[1]، ويجعل ﴿ أُمَّةٌ ﴾ اسم ليس[2]، وتكون المفاضلة بين أمة قائمة وأمة غير قائمة، وقوله: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ قيل: عنى به صلاة العتمة، لأنها لم تكن إلا لهذه الأمة[3]، واستدل بما رُوِيَ أن النبي ﷺ أخّر صلاة العشاء ليلة، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرونه، فقال: «**إنه ليس أحد من أهل الأديان يذكر الله في هذه الساعة غيركم**»، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4]، وقيل: عنى الصلاة بين

---

(١) والواو في هذا المثال علامة جمع وليست ضميراً. انظر: كتاب سيبويه (٣/ ٢٠٩)، والأصول لابن السراج (١/ ٧١، ١٣٦، ١٧٢)، (٢/ ٨٢) وإعراب القرآن (١/ ٥١١)، وشرح المفصّل (٧/ ٧)، والجنى الداني ص (١٧٠، ١٧١)، والدر المصون (٣/ ٣٥٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠١)، وقد خطأ ابن عطية أبا عبيدة في كون (أمة) خبر ليس. ودافع السمين الحلبي عن أبي عبيدة، وبين صحة كلامه، انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٩٩)، والدر المصون (٣/ ٣٥٥).

(٣) وهو قول عبدالله بن مسعود. انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٧، ١٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٨)، والنكت والعيون (١/ ٤١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢)، وزاد المسير (١/ ٤٤٣) وزاد نسبة هذا القول لمجاهد. والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٢٧، ١٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن=

العشائين[١]، وقيل: تلاوة القرآن بينهما[٢]، والسجود، قيل: عبارة عن الصلاة[٣]، وقوله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ كلاهما في موضع الصفة لأمة قائمة[٤].

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ

= العظيم (٣/ ٧٣٨)، والواحدي في أسباب النزول ص (١١٩) وحسّن السيوطي إسناده في الدر المنثور (٢/ ١١٦). والحديث ثبت أيضاً بدون ذكر سبب النزول. رواه البخاري-كتاب «المواقيت»، باب «النوم قبل العشاء لمن غُلب» رقم (٥٦٩). ورواه مسلم ـ كتاب المساجد ـ باب «وقت العشاء وتأخيرها» رقم (٦٣٨)، ورواه النسائي في كتاب الصلاة (١/ ٢٣٩) باب فضل صلاة العشاء.

(١) وهو قول منصور انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٩) وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢) وزاد المسير (١/ ٤٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٦).

(٢) قال ابن جرير: يعني بقوله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يقرأون كتاب الله. جامع البيان (٧/ ١٢٥) والبحر المحيط (٣/ ٣٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣١)، وللزجاج (١/ ٤٥٩)، والنكت والعيون (١/ ٤١٨)، والوسيط (١/ ٤٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢)، وزاد المسير (١/ ٤٤٤) ونسبه لمقاتل، والفراء، والزجاج.

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٠)، والتبيان (١/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧)، والدر المصون (٣/ ٣٥٦).

﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1] ذكر تعالى حال الأمّة التي تقدم ذكرها، وابتدأ بذكر الإيمان بالله، وعنى الإيمان الذي لا تصحُّ عبادة من دونه، والمسارعة والمبادرة والعجلة تتقارب، لكن السرعة أعمها[2] والمبادرة لا تكاد تستعمل إلا في البدن[3]، والعجلة أكثر ما تستعمل فيما يتحرى عن غير فكر ورويَّة، أو في إمضاء العزيمة قبل استكمال الروية[4]، ولهذا يقال: «**العجلة من الشيطان**»[5]،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

(٢) قال الراغب: السرعة: ضد البطء، ويستعمل في الأجسام والأفعال. المفردات ص (٤٠٧).

(٣) قال الأزهري: «ابتدر القوم أمراً وتبادروه، أي بادر بعضهم بعضاً إليه: أيهم يسبق إليه، فيغلب عليه...» تهذيب اللغة (١٤/ ١١٦)، وانظر: الغريبين (١/ ١٤٢).

(٤) قال الراغب: العجلة: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، ولذلك صارت مذمومة في عامة القرآن. المفردات ص (٥٤٨).

(٥) جزء من حديث رواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في التأني والعجلة، رقم (٢٠١٢)، ورواه الطبراني في الكبير رقم (٥٧٠٢)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٨٢)، والبغوي رقم (٣٥٩٨)وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ،وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبدالمهيمن بن عباس بن سهل، وضعّفه من قبل حفظه وقال العراقي: رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان» وسنده ضعيف من قبل حفظه. ورواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٠٤)، وأبو يعلى في مسنده=

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾(١) فإن قيل: لو كانت مذمومة لما قال موسى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾(٢). قيل: موسى عليه السلام أورد ذلك على سبيل الاعتذار إبانة أنه قصد فعلاً محموداً، وإن تحرى العجلة فيه، ومن قصد فعلاً محموداً فقد يعذر في وقوع ما يكره منه، والمسارعة في الخير هي أن يتدرج الإنسان في ازدياد المعرفة بفضله، واختياره والسرور بتعاطيه، وتقديمه على الأمور الدنيوية، وأن لا تؤخره عن أول وقت إمكان فعله(٣) وعلى/ ذلك قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(٤)، ومدح تعالى قوماً فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾(٥)، أي يسابقون(٦) بهممهم وأبدانهم، فلذلك كرره، ولمراعاة المسارعة وكون بعض المسارعين أعلى منزلة من بعض، قال [٢٦٢/أ]

= (٧/ ٢٤٨) من حديث أنس. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٣٧)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٤.

(٣) فرق أبو هلال العسكري بين العجلة والسرعة بنحو ما فرق الراغب بينهما. انظر: الفروق ص (٢٢٤، ٢٢٥).

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ١٠.

(٦) في الأصل: أي لا يسابقون. والصواب ما أثبته لدلالة السياق عليه.

تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، وبين تعالى في آخر الآية أن فاعل ذلك من الصالحين، والأقرب في مِن أن تكون للتبيين، وأنهم هم الصالحون[(٢)]، ولذلك قال في الأول ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾[(٤)] قُرئ بالياء ردًّا إلى قوله: ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾، وقُرئ بالتاء لإدخال المخاطبين فيهم وتغليباً للخطاب[(٥)]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

(٢) قال ابن عطية: و(مِنْ) يحسن أن تكون للتبعيض ويحسن أن تكون لبيان الجنس. المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٣) واقتصر أبو حيان على الأول. البحر المحيط (٣/ ٣٩). وقال القرطبي: ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: مع الصالحين. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٥.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص وخلف ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟... فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. انظر: المبسوط ص (١٤٦)، والغاية ص (٢١٦)، والتلخيص ص (٢٣٥)، قال ابن زنجلة عن قراءة من قرأ بالياء فيهما: وحجتهم قوله قبلها: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ.. ﴾ الآية. وكذلك: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ... ﴾ أي هؤلاء المذكورين، وسائر الخلق داخل معهم. وقرأ الباقون بالتاء فيهما، وحجتهم=

وقوله: ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ كقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾[2]، كل ذلك تنبيه على أن عمل المحسنين لا يضيع المدلول بقوله: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾[3]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾[5]، وأنهم بخلاف الكفار الذين قال فيهم: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ﴾[6] الآية. وقوله: ﴿هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾[7] الآية، وقال الجبّائي: ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ مجاز في هذا الموضع، لأن

= قوله قبلها ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾، ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن تكفروه﴾، أيها المخاطبون بهذا الخطاب. حجة القراءات ص (١٧٠، ١٧١)، ومعاني القراءات للأزهري ص (١٠٨).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٢٣. وتمام الآية: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾.

(٧) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.

وصف الله بأنه يشكر مجاز[1]، وقوله ذلك لتصوره[2] الشكر على وجه واحد[3]، والشكر باعتبار الشاكر والمشكور على ثلاثة أوجه: شكر الإنسان لمن فوقه، وذلك بالخدمة والحمد، وشكره لنظيره، وذلك بالمقابلة، وشكره لمن دونه، وذلك بالإثابة، ولذلك يمدح تعالى بأنه شكور، وقال: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[4] تنبيهاً أنه يقابله بالشكر الذي هو الثواب[5]، ولعله تصور أن الشكر لا يكون إلا بالقول، ومن الأدون للأعلى، وذلك فاسد

---

(١) اتفق المفسرون على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أي وما تفعل هذه الأمة من خير وأعمال صالحة، فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك، ولن يحرمهم إياه، بل يجزل لهم الثواب عليه. انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٢)، والوسيط (١/ ٤٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٤)، والتفسير الكبير (٨/ ١٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥).

(٢) في الأصل: (لصورة)، والصواب ما أثبته.

(٣) قال الراغب: الشكر: تصور النعمة وإظهارها... ويضاده الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها... وإذا وصف الله بالشكر فإنما يعني به إنعامه على عباده، وجزاؤه بما أقاموه من العبادة. المفردات ص (٤٦٢).

(٤) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٥) انظر في تسميته سبحانه بالشكور: «عدة الصابرين» لابن القيم، الفصل الأخير ص (٣٣٤).

لقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[1] فجعل الشكر معمولاً[2]، ووصفه بأنه شكور وشاكر[3].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾[4].

أغناه: إذا جعل له غنى، وأغنى عنه: جعل له غَنَاءً في الدفع[5]، ولما ذكر في الآية الأولى أن ما يفعله الإنسان من الخير لن يُكفَر، بيّن أن ما يعدونه خيراً إنما ينفع بعد الإيمان، فأما مع

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) قال الراغب: وقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ فقد قيل: شكراً انتصب على التمييز، ومعناه: اعملوا ما تعملونه شكراً لله. وقيل: شكراً مفعول لقوله: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ المفردات ص (٤٦١).

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]. وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]. وانظر معنى الشكر والشكور في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٨)، والزاهر (١/ ٩٦)، والمخصص (١٧/ ١٥٣)، والتاج (١٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٦. ونصها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

(٥) انظر: الكامل لابن المبرد (١/ ٣٢١)، والأفعال لابن القوطية ص (٢٩). وقال الجوهري: «الغَناء ـ بالفتح ـ النفع، والغِناء ـ بالكسر ـ السماع، والغنى ـ مقصور ـ اليسار». الصحاح (٦/ ٢٤٤٩، ٢٤٥٠).

افتقاده فلا نفع، وذكر أجلّ ما هو عندهم خير، وهو الأموال والأولاد، وأنها لا تغني عنهم، وعلى ذلك ما حكى عن الكفار: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾[1] وجعلهم أصحاب النار لملازمتهم إياها[2].

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[3] الآية. الصّر: برد يحرق النبات[4]. وقال مجاهد: هو النار[5] ....

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٨.

(٢) في الأصل: إياه والصواب ما أثبته.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٧، ونصُّها: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

(٤) هذا قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والربيع والسدي وابن زيد والضحاك والحسن وسعيد بن جبير وشرحبيل بن سعد والكافة. انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٦، ١٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٤١)، والنكت والعيون (١/ ٤١٨)، والوسيط (١/ ٤٨٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٥). وانظر: سؤالات نافع بن الأزرق ص (٦٧)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٢)، وغريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٤٤٦)، والكامل (١/ ٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٢)، وللنحاس (١/ ٤٦٤)، وغريب القرآن ص (٣١١)، وما اتفق لفظه ص (١٦١).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٧٥) بغير إسناد منسوباً إلى=

وأصله صوت النار[1]، وكأنه حكى به الصرير والصرصرة[2]، ونحوهما[3]، والآية قيل: نزلت في أبي سفيان[4] وأهل مكة

= مجاهد، ومسنداً إلى ابن عباس رضي الله عنه، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٥)، ونسبه إلى مجاهد وابن عباس أيضاً. وقد جمع ابن كثير رحمه الله بين القولين، فقال: قوله: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أي برد شديد، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع ابن أنس وغيرهم. وقال عطاء: برد وجليد. وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد (فيها صرّ) أي نار، وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد ولاسيما الجليد، يحرق الزروع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥).

(١) قال الزجاج: «فالصرُّ على هذا القول صوت لهيب النار». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦١).

(٢) في الأصل: (والصررة) ولم أجد له معنى.

(٣) قال الجوهري: «وصرَّ الجندب صريراً، وصرَّ الأخطب صرصرة، كأنهم قدروا في صوت الجندب المدّ، وفي صوت الأخطب الترجيع». الصحاح (٢/ ٧١٢). وانظر: المجموع المغيث (٢/ ٢٦٤).

(٤) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، صحابي مشهور بكنيته، والد معاوية أمير المؤمنين وأم حبيبة زوج النبي ﷺ، كان رأس المشركين يوم أحد والخندق، أسلم عام الفتح، وهو المعني بقوله ﷺ: **«ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»** شهد حنيناً والطائف، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم شهد اليرموك، وأبلى فيها بلاء حسناً، توفي في خلافة عثمان سنة ٣١هـ، وقيل: سنة ٣٤هـ. انظر: الإصابة (٣/ ٣٣٢)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤١١)، وتقريب التهذيب ص (٢٧٥).

لإنفاقهم المال في معاداة النبيّ ﷺ[1]، لما بيّن في الآية الأولى أن مالهم لا يغني عنهم، بين أن إنفاق هؤلاء مع كونه غير نافع ضار لهم، وراجع بالوبال عليهم، فمن المفسرين من قال القصد إلى تشبيه ما لهم المنفق بالحرث المحرق، وكفرهم المهلك بريح ذات صِرٍّ، لكن أخرج التشبيه ملفوفاً لا مكشوفاً، على تحقيق مطابقة لفظ المشبّه والمشبّه به[2]، وذلك نحو ما تقدم، ومنهم من قال: القصد في ذلك تشبيه أموالهم في إهلاكها إياهم بريح ذات صِرٍّ في كونها مهلكة/ لحرث قوم[3]، ثم اختلفوا في هذه [٢٣٦/ب]
النفقة، فمنهم من جعلها لما أنفقه هؤلاء وأمثالهم في معاداة

---

(١) ذكره ابن حجر في العجاب (٢/ ٧٣٩)، وأشار إليه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦١)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٨)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤١٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٤، ١٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٤١٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٤٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥، ٣٧٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧٥).

(٣) قال الزجاج: «فاعلم أن ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الريح في الزرع» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦١). وانظر: أنوار التنزيل (١/ ١٧٦)، ونظم الدرر (٢/ ١٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧٥).

المسلمين[١]، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾[٢]، ومنهم من جعلها لكل ما ينفقه الكافر[٣]، أي شيء أنفقه فإن الكافر معاقب في ذلك كله، كما أن المؤمن مثاب على ما أنفقه على أي وجه أنفقه، وعلى هذا قال ﷺ لسعد: «**إنك لتؤجر في نفقتك كلها، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك**»[٤]، ووجه ذلك أن المؤمن

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٠٥) ولم ينسبه لأحد، ونقله عن الزمخشري أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤٠). وهذا القول يناسب من قال: إن الآية نزلت في أبي سفيان وأصحابه يوم بدر عند تظاهرهم على رسول الله ﷺ. وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(٣) وهذا مروي عن مجاهد. انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٥)، والوسيط (١/ ٤٨٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، وزاد المسير (١/ ٤٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٤٠).

(٤) رواه البخاري ـ كتاب الفرائض ـ باب «ميراث البنات» رقم (٦٧٣٣). ورواه في كتاب الوصايا، باب «أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس» رقم (٢٧٤٢)، وباب «الوصية بالثلث» رقم(٢٧٤٤)، ورواه مسلم ـ كتاب الوصية ـ باب «الوصية بالثلث» رقم (١٦٢٨)، والترمذي ـ كتاب الوصايا ـ باب «ما جاء في الوصية بالثلث» رقم ٢١١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي ـ كتاب الوصايا ـ باب «الوصية بالثلث» (٦/ ٢٤١، ٢٤٢)، وابن ماجه ـ كتاب الوصايا ـ باب «الوصية بالثلث» رقم (٢٧٠٨)، وأحمد في المسند (١/ ١٧٦، ١٧٩)، والحميدي=

لا يأخذ إلا من حيث يجب على ما يجب وكما يجب، ولا يضع إلا كذلك، والكافر بخلاف ذلك، ومنهم من قال: ﴿ مَا يُنفِقُونَ﴾ عبارة عن أعمالهم كلها، لكن خصّ الإنفاق لكونه أظهر وأكثر[١]، وإنما خصّ حرث قوم ظلموا أنفسهم من أجل أن الناس فيما يصيبهم [من][٢] الجائحة ضربان: صالح لا يستحق عقوبة، فإذا نالته صار ذلك له أجراً مُدَّخراً، فكأنه لم يضع ماله، وسيِّىء يستحق عقوبة، فإذا نالته فقد ضاع ماله في الحال وفي المآل، ومنهم من قال: معنى ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي زرعوا الحرث في غير وقته[٣]، تنبيهاً أن الكفار أساءوا فيما كان ينبغي لهم أن يفعلوه إساءة هؤلاء الحرّاث في حرثهم من تقديم أو تأخير. إن قيل: كيف قال: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، وقد قيل: متى هبت الريح لم يؤثر الصِرّ؟ قيل في ذلك أجوبة: **الأول**: أن كل

= رقم (٦٦)، ومالك في الموطأ رقم (٤) كتاب الوصية، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٦٨)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٧٢٧، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٧٩، ٧٨١).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦١)، وقد نقل أبو حيان هذه الفقرة، ونسبها للراغب. البحر المحيط (٣/ ٤٠).

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) ذكر هذا القول: الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٦)، قال: ونحا إليه المهدوي، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤١).

صرٌّ لا ينفك من ريح معه، لكن التي معها الصرُّ ضعيفة بحيث لا يُحسُّ بحركتها، وإنما تمنع الصرّ إذا تحركت حركة شديدة. والثاني: أنه تعالى خصَّ ذلك تنبيهاً أن أموالهم بطلت من حيث لم يحتسبوا: كبطلان حرث هؤلاء من حيث لم يحتسبوا، فإنهم كانوا آمنين من الصِرِّ لوجود الريح. والثالث: أنه عنى بالصرّ صوت الريح[1] وشدة عصوفها، وعنى أنها أصابته الريح ففرقته، كقوله: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[2]، ونحو هذه الآية في بطلان عمل الكفار قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾[4] فإنما عقب به لأنه لما كان أخذ مال الغير وإبطاله قد يتصوره[5] من لا يعرف حقيقة الأمر بصورة الظلم بين أنه لم يظلمهم، بل هم ظلموا أنفسهم، حيث لم يضعوا مال الله حيث أمرهم[6].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/ ٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٦٠)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٠٦).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٧.

(٥) في الأصل: (يتصوّر). والهاء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٦) انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٧)، ونظم الدرر (٢/ ١٤٠).

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾[1] الآية، البطانة في الثوب بإزاء الظهارة[2]، ويستعمل لمن اختصصته[3] كالشعار والدثار[4]، ويقال: لبست فلاناً إذا اختصصته[5]، وعلى ذلك قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾[6] وألوتُ في الحاجة: قصّرت[7] [وألوت][8] فلاناً ألواً أي أوليته تقصيراً بحسب الجهد، فقولك جهداً تمييز[9] ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨. ونصُّها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

(٢) «البطانة: ما بطن من الثوب، وكان من شأن الناس إخفاؤه. والظهارة: ما ظهر، وكان من شأن الناس إبداؤه»، تهذيب اللغة (١٣/ ٣٧٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٣)، والغريبين (١/ ١٨٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٣١)، والمفردات ص (١٣١).

(٤) الشعار: «الثوب الذي يلي البدن». المشوف المعلم (١/ ٣٩٩). والدثار: «الثوب الذي يستدفأ به فوق الشعار». تهذيب اللغة (١٤/ ٨٨).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٣، ٤٤٥)، وقد وردت العبارة في المفردات ص (١٣١).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٧) انظر: الغريبين (١/ ٧٧)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥١٧)، والأفعال لابن القوطية ص (١١).

(٨) إضافة يقتضيها السياق، والعبارة في المفردات ص (٨٣).

(٩) في الأصل: (تمييزاً) ولا يصح، لأن (تمييز) خبر مبتدأ (قولك) وهو مرفوع، وما أثبته موافق لعبارة المؤلف في المفردات ص (٨٣).

ٱلْفَضْلِ﴾[1] أي لا يقصروا[2]، آلى أي حلف[3]، هو أفعل من ذلك، كأنه أزال التقصير ببذل ذلك القول، فقوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقصرون في إيصال الخبال إليكم، والخبال: الفساد، الذي يلحق ذات الحيوان، يقال: في قوائم الفرس خبل وخبال، أي فساد من جهة الاضطراب، وفلان مختبل الرأي[4]، وقول زهير[5]:

هنالك إن يستخبلوا[6] المال يخبلوا[7] ....

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) وفسر أيضاً بـ«لا يحلفوا» انظر: الغريبين (١/ ٧٥، ٧٦)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥١٧).

(٣) انظر: العين (٨/ ٣٥٦)، والمقاييس (١/ ١٢٧، ١٢٨)، والمفردات ص (٨٤).

(٤) انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٢٠٥)، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٢٤-٤٢٨)، والمشوف المعلم (١/ ٢٦٥).

(٥) هو زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح بن قرط المزني حكيم الشعراء في الجاهلية، وُلد في بلاد مزينة في نواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر من ديار نجد. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء للجمحي ص (٤١-٤٥)، والشعر والشعراء ص (٢٣-٢٥).

(٦) في الأصل: (يستحيل)، والتصويب من المفردات وغيره من المصادر التي أوردت البيت.

(٧) هذا صدر البيت وتمامه:

=

أي إن طلب المال منهم إفساد شيء من إبلهم فعلوا، والعنت تحرّي المشقة، يقال: عَنِتَ فلانٌ/ عنتاً، وأعنته غيره، وعنّته، قال [٢٣٧/أ] تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾، وأكمةٌ عنوت: صعبة المسلك[١]، وعنود والمعاندة والمعانتة يتقاربان، لكن المعاندة هي الممانعة، والمعانتة[٢]: أن يتحرى مع الممانعة مشقة[٣]، قال ابن عباس: سبب نزول هذه الآية أن قوماً صافوا جماعة من اليهود، فنهاهم الله تعالى عن ذلك[٤]، والآية تقتضي النهي عن الركون إلى من وما

= هنالك إن يُستخبلوا المال يُخبلوا وإن يُسْألوا يُعطوا وإن يَيْسروا يغلوا

ورُوي: هنالك إن يستخولوا المال يخولوا. انظر: ديوان زهير (ص ١١٢)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٧٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٢٥)، والمفردات ص (٢٧٤).

(١) انظر: الكامل (٣/ ١١٧٣، ١١٧٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٦٦)، والأفعال لابن القوطية ص (١٩٣)، والصحاح (١/ ٢٥٩).

(٢) تكررت هنا عبارة: (يتقاربان، لكن المعاندة)، وهي في السطر السابق.

(٣) انظر: المراجع السابقة، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٧-٢٨٤)، والمفردات ص (٥٨٩).

(٤) أورده ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٣٧)، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٤١)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٩)، والواحدي في أسباب النزول ص (١٢٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٩٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٧)، وابن الجوزي في=

يتحرى بك طريقة فساد: إنساناً كان أو شيطاناً أو قوة من قوى نفسك تحيد بك عن الحق، كالهوى ونحوه، وقال ﷺ: «**ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير، وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضّه عليه**»(1)، ونهى عمر عن الاستعانة بالكفار، واحتج بهذه الآية(2)،

= زاد المسير (١/ ٤٤٦)، وابن حجر في العجاب (٢/ ٧٣٩).

(١) ورد هذا الحديث من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ، فأما حديث أبي سعيد فأخرجه البخاري - كتاب الأحكام - باب «بطانة الإمام» رقم (٧١٩٨). وفي «القدر» باب «المعصوم من عصم الله» رقم (٦٦١١). وأحمد في المسند (٣/ ٨٨)، والنسائي في سننه كتاب البيعة (٧/ ١٥٨)، وأبو يعلى رقم (١٢٢٨). وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الترمذي - كتاب الزهد - باب «ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ» رقم (٢٣٦٩) وأحمد في المسند (٢/ ٢٣٧)، والنسائي في البيعة (٧/ ١٥٨)، وابن حبان رقم (٢١٠٢ - موارد) وأبو يعلى رقم (٥٩٠١) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣١) وقال الترمذي: حسن غريب، كما في تحفة الأشراف للمزي (١٠/ ٤٦٧) رقم (١٤٩٧٧). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٤٣) بسنده عن أبي دهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب: «إن هٰهنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً، فلو اتخذته كاتباً؟ فقال: قد اتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين».
وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٦)، (٣/ ٤١). والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٨)، =

وقد تقدم الكلام في أنه على أي وجه لا يصح الاستعانة بهم[1]، ونبه بالاستدلال بكلامهم على فساد اعتقادهم، وأن ذلك لا يخفى منهم، كقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[2]، وعلى نحوه قال الشاعر:

.... ولاحن بالبغضاءِ والنظرِ الشزر[3]

ثم بيّن أن مالا يبدو منهم أكثر، وأخبر بقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ﴾ أنه أظهر ما يمكنهم الاستدلال به على معاداتهم[4].

قوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[5]. العضُّ

= وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(١) انظر: هذه الرسالة ص (٩٧).

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٣) هذا شطر بيت للأخطل تمامه:

وإني صبور من سليم وعامر ... ونصر على البغضاء والنظر الشزر

انظر ديوانه ص (١٣٤).

(٤) قال الراغب: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي الدالة على وجوب الإخلاص في الدين، وموالاة المؤمنين ومعاداة الكفار. البحر المحيط (٣/ ٤٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

معروف[1]، ومنه رجل عضٌّ: شديد الخصومة[2]، كقولهم: أزوم، وفلان يأزم المأزم[3] ونيّب على كذا[4]، والعضُّ: علف الأمهار مما له مضغ شديد[5] كالنوى والقت[6] اليابس. والأنامل واحدتها أُنملــة، ولم يــأت أفعــل[7] مفــرداً إلا قــولهــم: بلــغ

---

(١) قال أبو إسحاق الحربي: «عض رجل على آخر، هو قبضه على ذراعه بأسنانه» غريب الحديث (٣/ ٢٠)، وانظر: المفردات ص (٥٧٠)، والنهاية (٣/ ٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) «العضُّ من الرجال: الداهي المنكر». تهذيب اللغة (١/ ٧٤)، وانظر: غريب الحديث للحربي (٣/ ٢٨).

(٣) الأزوم هو الذي يعضّ عضًّا شديداً. والأزوم: السنة التي تصيب الناس والشدة. والأزم: القطع بالناب وبالسكين والإمساك وترك الأكل. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٧٤)، والقاموس المحيط ص (١٣٩٠).

(٤) نيّب على كذا: عضّه بنابه، انظر: القاموس المحيط ص (٨٠)، والوسيط ص (٩٦٦).

(٥) جاء في تهذيب اللغة (١/ ٧٥): «العضُّ بالعين علف الأمصار مثل الكُسْب والنوى المرضوخ».

(٦) انظر: لسان العرب (٧/ ١٨٩).

(٧) هكذا في الأصل بدون تاء، وواضح أن وزن أنمُلَة أفعُلة بتاء التأنيث، ولعله يقصد أن «أفعل» سواء أكان مؤنثاً بالتاء أم مجرداً عنها. وفي الأنملة لغات أخرى. انظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٣٥٦، ٣٥٧)، والمخصص (٢/ ٩).

أشده[١]، وقد كثر ذلك في الجمع، نحو: أكلُب وأفلُس[٢]، ويعبر عن التأسف بقرع السن وعض الأنامل، وذلك لما نشاهد من حال المتأسف، قال الشاعر:

.... عضضت أناملي وقرعت سني[٣]

أكلت يدي لما جنته تندما[٤] ....

---

(١) اختلف في أشد، فقيل: هو مما جاء مفرداً على وزن أفعل مثل الأصبُع لغة في الإصبَع، والآنك وهو الرصاص. وقيل: هو جمع واحد شدٌّ على مثال فَلْسٍ وأفْلس، أو واحده شِدة مثل نعمة وأنعُم. انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٦٠٩)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٣٣٦، ٣٣٨) و(٢/ ١٠-١٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٦٤)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٦٦)، والصحاح (٢/ ٤٩٣)، والمخصص (٢/ ٩) و(١٥/ ٨٥).

(٢) وهو جمع قلة قياسي في كل اسم صحيح العين على وزن فَعْل، بفتح أوله وسكون ثانيه. انظر: شرح المقدمة الجزولية (٣/ ١١٠٩)، والمساعد (٣/ ٣٩٩)، والأشباه والنظائر في النحو (٣/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٣) هذا عجز بيت لأبي العتاهية، وصدره:

إذا فكّرت في ندمي عليها ... عضضت أناملي وقرعت سني

انظر: ديوانه ص (٣٧٨)، وهو في مجمع البلاغة ص (٦٥٢).

(٤) هذا شطر بيت من الطويل، أورده المؤلف في مجمع البلاغة (١/ ٨٣)، ولم ينسبه لقائل.

والغيظ هو الغضب والغم، فإن الغضب يقال فيما معه القدرة على الانتقام، والغمّ فيما ليس معه قدرة الانتقام، والغيظ فيما ليس معه تمام القدرة على الانتقام[١]، ولذلك يُستعمل في صفات الله الغضب دون الغيظ، والكتاب كله يعنى الكتب المنزلة، فوضع موضع الجمع، إما لكونه للجنس كقولك: كَثُرَ الدرهم[٢] في أيدي الناس، أو لكونه في الأصل مصدراً[٣]. ولفظ الإفراد أولى في هذا الموضع، لأنه يتضمن أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ويتضمن أنهم يؤمنون بتفاصيل كل كتاب، بخلاف من قال فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[٤]، وقوله: ﴿أولاء﴾ قيل: معناه الذين، وتحبونهم صلته،

---

(١) انظر: الفروق لأبي هلال ص (١٤١-١٤٣، ٢٩٣، ٢٩٤). وقد فرق بين الهم والغم بأن الأول هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب، وأن الغم معنى ينقبض القلب معه، ويكون لوقوع ضرر قد كان. كما فرق بين الغضب والغيظ، بأن الأول إرادة الضرر للمغضوب عليه، وبأن الغيظ يقرب من باب الغم.

(٢) في الأصل: الدراهم، والصواب ما أثبته.

(٣) قال العكبري: الكتاب هنا جنس، أي بالكتب كلها، وقيل هو واحد. التبيان (١/ ٢٨٨) وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٤٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٠.

وقيل: معناه هؤلاء، وفيه وجهان: **الأول**: أن يكون كقولك ها أنا ذا، وها أنتم هؤلاء[1]، فيكون هؤلاء خبر الابتداء، وتحبونهم في موضع الحال، وهم راجع إلى ما تقدم ذكره. **والثاني**: أن يكون هؤلاء مبتدأ ثانيا، وتحبونهم خبره، والجملة خبر للأول، كقولك: أنت زيد تحبه، ويكون هم راجعاً إلى هؤلاء[2]. ومحبتهم لهم: إرادة الإسلام لهم، لأن ثمرة المحبة [٢٣٧/ب] النصيحة/ وإرادة الخير، وبين أنهم لا يحبون ذلك لكم، لأنهم لا يريدون لكم الإسلام الذي هو الخير المحض[3]، ثم بيّن أنكم تؤمنون بكتب الله، وهم لا يؤمنون ببعض الكتاب، وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[4]، وقوله:

---

(١) ورد ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في القرآن في الآية ٦٦ من سورة آل عمران. والآية ١٠٩ من سورة النساء، والآية ٣٨ من سورة محمد.

(٢) انظر إعراب هذه الآية في معاني: القرآن للفراء (١/ ٢٣١)، والبحر المحيط (٣/ ٤٢، ٤٣)، والدر المصون (٣/ ٣٦٩) وانظر ماسبق بيانه عند تفسير الآية ٦٦ من آل عمران، ص (١٦٦) هامش رقم ٢.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٥٠)، وتفسير الوسيط (١/ ٤٨٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨١)، والبحر المحيط (٣/ ٤٣).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤.

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ ﴾[2] وقوله : ﴿ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾[3] دعاء عليهم وإيجاب ذلك لهم ، وإن لم يكن إيجاباً عليهم[4] ، وقوله : ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[5] كقوله : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[6] ، وقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[7] وقوله : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[8] ونحو ذلك . قوله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٧٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١١٩ .

(٤) قال ابن جرير الطبري : «وخرج هذا الكلام مخرج الأمر ، وهو دعاء من الله نبيّه محمداً ﷺ بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كمداً مما بهم من الغيظ على المؤمنين . . .» جامع البيان (٧/ ١٥٤) وانظر : الوسيط (١/ ٤٨٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٣) ، وذكر القرطبي وجهاً آخر في معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ قال : «المعنى أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤمنون ، فإن الموت دون ذلك ، فعلى هذا المعنى زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإغاظة . . .» .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١١٩ .

(٦) سورة طه ، الآية : ٧ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٥ .

(٨) سورة غافر ، الآية : ١٩ .

﴿مُحِيطٌ﴾[1] الحسنة: عبارة عن كل ما يستحسنه الإنسان مما يسرّه من نعمة ينالها في بدنه وماله، وجاهه، والسيئة تضادها[2]، والمسّ[3] والإصابة يُستعملان في الخير والشر، إلا أن المصيبة اختُصَّـ[ت][4] بمـا يسـوء[5]، ويقـال: ضـرّه يضره وضـارّه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٢) قال الراغب: «والحسنة يعبرَّ بها عن كل ما يسرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها، وهما من الألفاظ المشتركة: كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة: كالفرس والإنسان وغيرهما. . .» المفردات ص (٢٣٥) وانظر: تفسير غريب القرآن ص (١٠٩).

(٣) قال الراغب: «المسُّ كاللمس، لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد، واللمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وكني به عن النكاح، فقيل: مسَّها وماسَّها، . . . وكني بالمس عن الجنون. . . والمسُّ يقال لكل ما ينال الإنسان من أذى. . .» المفردات ص (٧٦٦، ٧٦٧) وانظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٢٣).

(٤) في الأصل: (اختص)، والصواب ما أثبته.

(٥) يقال: مصيبة ومصوبة ومصابة، والجمع مصايب ومصاوب، وهو الأمر المكـروه ينـزل بـالإنسـان. النهـايـة (٣/ ٥٧)، وانظر: تهـذيـب اللغـة (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٢٣)، وقال الراغب: «المصيبة أصلها الرمية، ثم اختصت بالنائبة. . . وأصاب: جاء في الخير والشر قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠]. المفردات ص (٤٩٥).

يَضيره[1]، وقُرئ: لا يَضُرُّكُم، والضمَّة فيه إتباع للضاد[2]، نحو مدُّ، ويجوز الفتح والكسر كما يجوز في مدُّ[3]، وقال بعض النحويين لا يضركم مرفوع رفعاً صحيحاً، وتقديره: فلا يضركم[4]، وحذف الفاء كقول الشاعر:

---

(١) يقال: لا ضير ولا ضرر، والمعنى واحد. انظر: الكامل (١/ ٤٢٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٥٧)، والصحاح (٢/ ٧٢٣).

(٢) قال ابن زنجلة: «قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (لا يَضِرْكم) بكسر الضاد، وحجتهم قوله: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، وكانت في الأصل «لا يضيركم» مثل يضريكم فاستثقلت الكسرة على الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الضاد فصارت: «لا يضيركم»، ودخل الجزم على الراء فالتقى ساكنان الياء والراء فطرحت الياء فصارت: «لا يَضِرْكم». وقرأ الباقون ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الضاد وتشديد الراء وضمها من: ضرَّ يضرُّ. وحجتهم أن ضرَّ في القرآن أكثر من ضارّ، واستعمال العرب (ضرَّ) أكثر من (ضارَّ)...» حجة القراءات ص (١٧١) وانظر: معاني القراءات للأزهري ص (١٠٨)، والمبسوط ص (١٤٧)، والتلخيص ص (٢٣٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: الشافية ص (٥٩)، والمساعد ص (٣٤٤-٣٤٩)، وحجة القراءات ص (١٧١، ١٧٢).

(٤) جوَّز الفراء هذا الوجه انظر: معاني القرآن (١/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٤، ٤٦٥) وذكر ابن زنجلة الوجهين عن الكسائي. حجة القراءات ص (١٧١، ١٧٢).

من يفعل الحسنات الله يشكرها[1] ....

وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر[2]، والكيد: الاحتيال[3] للغير بمكر ومقاساة[4]، وعلى سبيل تصور هذا المعنى قيل: فلان يكيد بنفسه، والمكر مثله إلا أنه أعم، لأنه قد يقال في اجتلاب المنفعة[5]، إن قيل: على أي وجه يمنع صَبرهم وتقواهم من أن

---

(١) اختلف في نسبة البيت فقيل: هو لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وقيل: لابنه عبدالرحمن، وقيل: لكعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه. وتمام البيت:

من يفعل الحسنات الله يشكرها   والشرُّ بالشر عند الناس مثلان

وهو في ديوان كعب بن مالك ص (٢٨٨)، وديوان عبدالرحمن بن حسان ص (٦١)، وكتاب سيبويه (٣/ ٦٥، ١١٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٦)، والمقتضب (٢/ ٧٠) والأصول لابن السراج (٢/ ١٩٥)، والأشباه والنظائر (٧/ ١١٤).

(٢) انظر: ضرورة الشعر ص (١١٥-١١٧)، ومجالس العلماء ص (٣٤٢)، وضرائر الشعر ص (١٦٠).

(٣) في الأصل: (الاغتيال) والصواب المثبت، وفي المفردات ص (٧٢٨): «والكيد ضرب من الاحتيال».

(٤) انظر: الفروق للعسكري ص (٢٨٣، ٢٨٥).

(٥) قال الراغب: المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] ومذموم، وهو أن يتحرى به فعل قبيح، =

يضيرهم كيدهم، قيل: من أوجه: **الأول**: من الفيض الإلهي والنصرة الموعود بها في نحو قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)]، وقوله: ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٢)]. **والثاني**: أن من عُرف منه الجد أحجم عنه العدو، كما قال رجل ضئيل أسر رجلًا قويًا، فسأله أمير المؤمنين: كيف تمكنت منه؟ فقال: وقع في قلبي أني آخذه ولا أبالي بالقتل، ووقع في قلبه أنه مأخوذ وخاف القتل، فنصرني عليه خوفه وجرأتي. **والثالث**: أن المتذرّي بالصبر[(٣)] والتقوى تتحمل نفسه الشدائد، فلا يبالى بمكايدة عدوه. **والرابع**: أن الثقة بنصر الله أعظم ناصر، والإحاطة بالشيء يقال على وجهين: **أحدهما**: في الأجسام، **والثاني**: في العلم بالشيء والقدرة عليه، فأما العلم فبأن يعلم حقيقة المحاط به ووجوده وجنسه وأوصافه، والغرض

= قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]. المفردات ص (٧٧٢). وفرق أبو هلال العسكري بين الكيد والمكر، بأن الأول أقوى من الثاني. الفروق ص (٢٨٥).

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٣) المتذري بالصبر: المحتمي به. يقال: تذرّى بالشيء: استتر به واكتنَّ، وتذرَّى بفلان: احتمى به وصار في كنفه. انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٦)، وأساس البلاغة ص (١٤٣).

المقصود منه، وعلى ذلك: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1] فصار قوله: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2] كقوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾[3]، وقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4] ونحوه[5].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6] التبوء: التمكن[7]، يقال بوّأته مكان كذا، أو بمكان كذا[8]، وقيل: في حرف/ ابن مسعود: تُبوئ [٢٣٨/أ]

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٨١، ٢٢٧.

(٥) ذكر الراغب هذا الكلام في المفردات ص (٢٦٥، ٢٦٦).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢١.

(٧) قال الراغب: بوّأت له مكاناً: سويته فتبوّأ. وباءَ فلان بدم فلان يبوء به أي ساواه. المفردات ص (١٥٨)، ولم يذكر الراغب أن من معاني التبوء التمكن، ولم أجده عند غيره. وقد قال ابن عباس: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: توطىء المؤمنين لتسكن قلوبهم» غريب القرآن في شعر العرب ص (٢٦٨). وقال ابن قتيبة: «. . . من قولك: بوّأتك منزلاً، إذا أفدتك إياه وأسكنتك» تفسير غريب القرآن ص (١٠٩)، وفسَّر أبو عبيدة التبوء بالاتخاذ. مجاز القرآن (١/ ١٠٣). ولعل (التمكن) في الأصل تصحيف عن (السكنى) وهو قريب من تفسير ابن قتيبة المتقدم.

(٨) فـ (تبوأ) مثل (استغفر) تتعدى للمفعول الثاني باللام، وقد تحذف فتتعدى=

للمؤمنين[1] ، وإذ قيل معطوف على قوله: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾[2] آية في غلبتكم ـ مع قلتكم ـ الكفار مع كثرتهم ، وآية إذ غدوت ترتاد للمؤمنين مكانا للقتال[3] ، فانكشف الحال عما كان لهم فيه آية ، ولما أمرهم بالصبر والتقوى ذكّرهم ما خوّلهم ببدر حيث صبروا واتقوا ، وبأحد حيث كان منهم ما كان ، وذاك أن النبي ﷺ شاور أصحابه حيث قصده المشركون : هل يخرج إليهم أو يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها ، وذلك هو معنى تَبَوُّئه للقتال أي موضع المشاورة ، ولهذا خصَّ المقاعد دون المقاوم ، فقال له

= إليه بلا واسطة. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٣)، والوسيط (١/ ٤٨٥)، والبحر المحيط (٣/ ٤٩).

(١) قال الزمخشري: وقرأ عبدالله: للمؤمنين. بمعنى: تسوّي لهم وتهيىء. انظر: الكشاف (١/ ٤٠٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

(٣) (إذ) وردت هنا في الآية ١٢١ ، والآية التي أشار إليها المؤلف رقمها ١٣ . فالعطف بعيد. قال أبو حيان: « . . . وهذا في غاية البعد ولولا أنه مسطور في الكتب ما ذكرته. . . وهذه تخريجات يقولها وينقلها على سبيل التجويز من لا تبصر له بلسان العرب» البحر (٣/ ٤٨). ولم أجد من نسب هذا القول إلى قائله، ولم يذكر الراغب وجهاً آخر. وقد ذكر غيره أن العامل في (إذ) محذوف، والتقدير: اذكر إذ غدوت. انظر: إعراب القرآن (١/ ٤٠٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٣)، والبيان (١/ ٢١٩)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٨).

عبدالله بن أُبيّ[١] : نقيم بالمدينة، فإن قاتلونا قاتلنا في الأزقة وإلا رجعوا عنا بالمذلة، وقال أكثرهم: نخرج إليهم، فدخل ﷺ ولبس لأمته[٢]، وأعاد عبدالله قوله، فقال ﷺ: «**ما كان لنبي أن يلبس لأمته ثم ينزعها حتى يقاتل**»[٣] فخرج النبي، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع بما يقول مؤمنهم ومنافقهم، عالم بما ينوي كل منهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا

---

(١) عبدالله بن أبّي ابن سلول، كان رأس المنافقين، ورئيس الخزرج والأوس أيضاً، كانوا قد أجمعوا على أن يجعلوه ملكاً عليهم في الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام شرق اللعين بريقه، وغاظه ذلك جداً، وهو القائل: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ في غزوة بني المصطلق ويقصد بالأذلّ رسول الله ﷺ وأتباعه، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها. وفي غزوة أحد انخذل بثلث الجيش عن رسول الله ﷺ. انظر ترجمته في: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٨)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) لأمته ولامته: درعه. انظر المصباح المنير ص (٢١٤).

(٣) رواه ابن هشام في السيرة النبوية (٣/ ٩٢). وذكره البخاري معلقاً في كتاب الاعتصام، باب (٢٨) قول الله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (١٣/ ٣٥١) فتح الباري، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٦٣، ١٦٤)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥١) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٨) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٤١).

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1] الهمّة قد تكون عزماً، وقد تكون حديث النفس من غير أن يصير عزيمة[2]، والفشل: الضعف الذي يكون من تحيّر[3] الإنسان ظهر أو لم يظهر، وقد يقال لما يظهر من الإنسان من الإحجام فشل أيضاً[4]، والطائفتان، قال المفسرون: هم بنو سلمة[5] وبنو حارثة[6]، لما رجع عبدالله همّا بالرجوع. ثم لم يفعلا[7]، وقوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٢.

(٢) قال الأزهري: «الهمة: ما هممت به من أمرٍ لتفعله» تهذيب اللغة (٥/ ٣٨١)، وانظر: الفروق ص (١٣٨، ١٣٩)، وقال الراغب: والهمُّ: ما هممت به في نفسك، وهو الأصل. المفردات ص (٨٤٥).

(٣) في الأصل: (تحيره) والصواب ما أثبته.

(٤) فسر الفشل بالجبن والضعف وذهاب القوى عند الحرب والشدة. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٠٩) وتهذيب اللغة (١١/ ٣٦٨)، والصحاح (٥/ ١٨٩٠)، والمفردات ص (٦٣٧).

(٥) بنو سلمة: بطن من الخزرج، من الأنصار، من الأزد. انظر: التعريف في الأنساب، والتنويه لذوي الأحساب ص (١٦١). وكتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام ص (٢٨٦).

(٦) بنو حارثة: حيٌّ من الأوس، نسبة إلى حارثة بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، من الأنصار أهل المدينة، كانوا يقيمون مع قومهم في العوالي وما حولها، ولهم دور بارز في الجهاد ونشر الدعوة مع النبي ﷺ. انظر: كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام ص (٢٧٤) والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر (٨/ ١١٠) ضمن الرسائل الكمالية، ومعجم قبائل الحجاز لعاتق البلادي ص (١٠٢).

(٧) قال الطبري: ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عُنِيَ بالطائفتين: بنو سلمة وبنو حارثة. جامع البيان (٧/ ١٦١، ١٦٥) وانظر: تفسير القرآن العظيم=

﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾ أي وليهما في أن عصمهما عن الانصراف، ووليهما في أن جازاهما إذ لم يفعلا ما هما به[1]، ورُوي أنه لما نزل ذلك قالت الطائفتان: ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا، وقد أخبر الله أنه ولينا[2]، ونبّه بقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أن التوكل على الله هو العاصم، وهو الفرض الأقصى من العباد في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3] بدر: اسم ماء[4] ....

= لابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٠)، والوسيط (١/ ٤٨٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٧، ٩٨)، وزاد المسير (١/ ٤٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٥).

(١) قال الحسن: هما طائفتان من الأنصار همتا أن تفشلا فعصمهما الله، فهزم الله عدوهم. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٩). وانظر: جامع البيان (٧/ ١٦٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٢٥٢، ٣٥٣) والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٠).

(٢) أخرجه البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنهما قال: فينا نزلت ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحبُّ ـ وقال سفيان مرة: وما يسرني ـ أنها لم تنزل لقول الله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾. كتاب التفسير، باب ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾، رقم (٤٥٥٨). ورواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٤٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٤) بدر: اسم بئر، وعندها وقعت المعركة المشهورة، وهي الآن=

كان لرجل يقال له: بدر[1]، فسُمي به، فصار ذلك الحرب مسمى به[2]، وجعلهم أذلة لا على الحقيقة والمصدوقة، فمن نصره الله فغير ذليل، ولكن على اعتبار العامة لقلتهم وقلّة عِدّتهم[3]، وهذه أيام تابع الله ذكرها وذكّر المسلمين بعظم ما أولاهم فيها تثبيتاً لقلوبهم، وتذكيراً بنعمه عليهم، وأمرهم بالتقوى المؤدية إلى شكرهم لها[4].

= بلدة كبيرة على بعد حوالي ١٥٠ كيلًا من المدينة المنورة. المعالم الأثيرة ص (٤٤) وانظر: معجم ما استعجم (١/ ٢٣١)، والتاج (١٠/ ١٤٠).

(١) قيل: هو بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بدر بن قريش بن يخلد ابن النضر بن كنانة، وقيل: هو رجل من بني ضمرة، سكن ذلك الموضع فنسب إليه، وقد أنكر بعض العرب أنها مسماة باسم رجل. انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢٣١)، وجامع البيان (٧/ ١٧٠، ١٧١)، والتاج (١٠/ ١٤٠).

(٢) يقصد أنه صار أيضاً علماً على المعركة التي وقعت فيه.

(٣) قال أبو حيان: «والمعنى: وأنتم أذلة في أعين غيركم، إذ كانوا أعزة في أنفسهم، وكانوا بالنسبة إلى عدوهم وجميع الكفار في أقطار الأرض عند المتأمل مغلوبين. . . والذلة التي ظهرت لغيرهم عليهم هي ما كانوا عليه من الضعف وقلة السلاح والمال والمركوب. . .» البحر المحيط (٣/ ٥١).
وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٠).

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٤١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢١٩)، والبحر المحيط (٣/ ٥١)، ونظم الدرر (٢/ ١٤٨، ١٤٩).

قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾(١) الكفاية: مقدار ما فيه سدّ خُلّة(٢)، والفرق بين الاكتفاء والاستغناء: أن الاكتفاء ما فيه سدُّ الخُلّة وسع أو ضاق، والاستغناء ما فيه السعة فهو أعم(٣)، والإمداد: اتصال الشيء بالشيء، وأصله من مد الحبل والمد يقال تارة في الماء، ومده ماء آخر، وتارة في السير، والمدة امتداد الوقت، والمادة زيادة ممتدة، والمداد المُدّ الذي هو المكيال منه(٤)، والفَوْر أصله من فارت القدر والتنور(٥)، والفور

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) نقل أبو حيان هذا المعنى للكفاية، ونسبه لابن عيسى. البحر المحيط (٣/ ٥٣)، واقتصر عليه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥١). وانظر: المفردات ص (٧١٨)، وفي المقاييس (٥/ ١٨٨) أن الكفاية: القيام بالأمر. والكفية: القوت الكافي. وانظر: أمالي ابن الشجري (١/ ٣٠٩).

(٣) لعله أخذ هذا المعنى للاستغناء من اشتقاقه من الغنى الذي هو اليسار وسعة الرزق. انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٥)، والمفردات ص (٦١٥، ٦١٦).

(٤) انظر: العين (٨/ ١٦، ١٧)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٤١٨، ٤٢٢، ٥٠٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٨٣، ٨٤)، والمقاييس (٥/ ٢٦٩). ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٠)، والبحر المحيط (٣/ ٥٣).

(٥) قال الراغب: الفور: شدة الغليان، ويقال ذلك في النار نفسها إذا هاجت، وفي=

منهم من تصور منه الوجهة والعجلة[1]، وإليه ذهب ابن عباس والحسن/ وجماعة[2]، ومنهم من تصور منه فوران الغضب، [٢٣٨/ب] وإليه ذهب مجاهد والضحاك[3]، والتسويم ترك الشيء وسومه،

= القدر وفي الغضب. المفردات ص (٦٤٧). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٢١).

(١) قال الزجاج: وقوله عز وجل: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي من وجههم معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧).

(٢) أما قول ابن عباس رضي الله عنه فقد أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٣) بسنديهما عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: من سفرهم هذا. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٩)، وذكر الماوردي في تفسير النكت والعيون (١/ ٤٢١) عن ابن عباس والحسن وقتادة أنهم قالوا: من وجههم هذا. وكذلك ذكر البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٠٠) وأما قول الحسن فقد روى ابن جرير في جامع البيان (٧/ ١٨١) أنه قال: ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: من وجههم هذا. وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٣) مسنداً إلى السدي، ثم قال: وروي عن الحسن والضحاك والربيع وقتادة مثل ذلك - أي من وجههم - غير أن الضحاك قال: من غضبهم ووجههم. وانظر: زاد المسير (١/ ٤٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٩).

(٣) أما قول مجاهد فقد رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٨٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٢١)، ونسبه لمجاهد والضحاك وأبي صالح. وانظر: زاد المسير (١/ ٤٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن=

ومنه قيل: أسعمت الإبل وسومته، والتسويم أيضاً إظهار سيماء في الشيء، وقد فُسِّر المسومة على الأمرين[1]، وقُرئ: مسوِّمَة[2] أي معلمة لأنفسها، وقد روي أنه نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق[3]، وعليهم عمائم . . . .

كثير (١/ ٣٧٩). وأما قول الضحاك فقد رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٨٣)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٦٣)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٣).

(١) انظر: العين (٧/ ٣٢٠) ومجاز القرآن (١/ ١٠٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٩، ١١٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٤٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)، والمفردات ص (٤٣٨).

(٢) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب (مسوَّمين) بفتح الواو وقرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم ويعقوب برواية رويس (مسوِّمين) بكسر الواو. انظر: حجة القراءات ص (١٧٣)، ومعاني القراءات ص (١٠٩)، والمبسوط ص (١٤٧)، والتلخيص ص (٢٣٥)، والغاية ص (٢١٧).

(٣) بُلق: جمع أبلق. يقال: فرس أبلق أي فيه سواد وبياض، انظر: الصحاح (٤/ ١٤٥١). وانظر: جامع البيان (٧/ ١٨٦-١٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٢)، والوسيط (١/ ٤٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٤)، والجامع لأحكام القران (٤/ ١٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٤).

صفر[1]، قال ابن عباس وغيره: عنى بذلك يوم بدر، قال: ولم تقاتل الملائكة إلا في ذلك اليوم[2]، وقال الحسن: أمدّهم بخمسة آلاف، لأنه عنى مع الأولين[3]، وقال غيره: بل خمسة آلاف غير الثلاثة آلاف، وكانوا ثمانية آلاف[4]، وقال بعضهم:

---

(١) اتفقت الروايات على أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق، ولكنها اختلفت في لون العمائم التي نزلت بها الملائكة يوم بدر، فقد ذكرت بعض الروايات أنها نزلت في بدر بعمائم سود ويوم أحد بعمائم حمر، وذكرت روايات أخرى أنها نزلت في بدر بعمائم صفر، وفي بعضها أنها نزلت في أحد كذلك بعمائم صفر، وفي روايات أخرى أنها نزلت في بدر بعمائم بيض أرسلوها بين أكتافهم، وقد ذكر السيوطي هذه الروايات في الدر المنثور (١٢٥، ١٢٦). وفي الحبائك في أخبار الملائك ص (١٤٣، ١٤٤، ١٦٣) ولم يوفِّق بينها.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٧٥)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٢٢)، والقرطبي في الجامع (٤/ ١٩٤)، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٩): وقال إسحاق: حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر. وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥١)، والدر المنثور (٢/ ١٢٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٢٢)، وزاد المسير (١/ ٤٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٤).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٢٢) ولم ينسبه لأحد. وقال=

إنما أمدهم بألفٍ، لقوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[1] ولم يمدهم بخمسة آلاف، بل المسلمون قالوا: إن كرز بن جابر[2] يمدّ المشركين. فأنزل الله ذلك تسكيناً للمسلمين، ثم لم يُمِدّ المشركين، فلم يمدّ الله المسلمين بهم[3]،

السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٥٤): «لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، لأنهم أجمعوا على أن عدد الملائكة يومئذٍ خمسة آلاف، فكأنه جعل ما وعدهم من ثلاثة آلاف خمسة آلاف...». وقال أبو حيان: والظاهر في هذه الأعداد إدخال الناقص في الزائد، فيكونون وعدوا بألف، ثم ضم إليه ألفان، ثم ألفان فصار خمسة ومن ضم الناقص إلى الزائد، وجعل ذلك في قصة أحد، فيكونون قد وعدوا بثمانية آلاف، أو في قصة بدر فيكونون قد وعدوا بتسعة آلاف. البحر المحيط (٣/ ٥٢).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) كرز بن جابر بن حِسل بن الأجب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي، كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم، أغار على سرح المدينة وهو مشرك، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه إلا أنه فاته وهي غزوة بدر الأولى ثم أسلم، وأمّره رسول الله ﷺ على عشرين فارساً خرجوا في طلب العرنيين، استشهد يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وكان مع خالد بن الوليد. انظر: الاستيعاب (٢٢١١)، وأسد الغابة (٤٤٤٩)، والإصابة (٥/ ٤٣٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٢). والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٥)، وتفسير ابن المنذر=

ولهذا قال: ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[2] الضمير في قوله: ﴿ جَعَلَهُ ﴾ للإمداد والوعد[3]، ونبّه أنه إنما أراد بوعدهم وإمدادهم الملائكة نعمة عليهم، وهي مسرتهم وسكون جأشهم، فأما النصر في الحقيقة فليس إلا منه بلا حاجة إلى استعانة[4]، وفيه حثٌّ أن لا يبالوا بمن تأخّر عن نصرتهم، وتنبيه أنه يعين تارة بالمدد وتارة بغير المدد، وأنه ناصر كل منصور أينما كان، وممن كان، إذ هو المسبب لجميعه، والفاعل

= مخطوط (ق ٦٣) بهامش تفسير ابن أبي حاتم.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٣) قال أبو حيان: «الظاهر أن الهاء في (جعله) عائدة على المصدر المفهوم من (يمددكم) وهو الإمداد، وجوّز أن يعود على التسويم أو على النصر أو على التنزيل أو على العدد، أو على الوعد». البحر المحيط (٣/ ٥٤) وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٢٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٣/ ٣٨٨).

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩٠). والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٤)، والتفسير الكبير (٨/ ١٨٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ٥٥)، ونظم الدرر (٢/ ١٥٠).

الذي لا يستغني فاعل عنه، ثم وصف نفسه بالعزة والحكمة، تنبيهاً أن كل عِزٍّ منه، وكل حكمة عنه.

قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾[١] الكبت[٢]: الصرع على الوجه والرد[٣]. والخيبة: حرمان البغية[٤]. وتخصيص قطع الطرف من حيث إنّ نقص الأطراف من الشيء موصّل إلى توهينه وإزالته، وعلى ذلك قال: ﴿ نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾[٥]، وقال: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾[٦]. وقيل: عنى بالأطراف

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٧.

(٢) الكبت: الإهلاك والصرف والإذلال. انظر: غريب القرآن ص (١١٠، ١١١)، والصحاح (١/ ٢٦٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٣٩٦، ٥٠٥)، والأفعال لابن القوطية ص (٢٢٦)، والمفردات ص (٦٩٥).

(٣) في الأصل: الردد بزيادة دال في آخره والصواب ما أثبته. وانظر في معنى الصرع: العين (٥/ ٣٤٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٣).

(٤) انظر: العين (٤/ ٣١٥)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٠٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٧٢)، والمفردات ص (٣٠٠).

(٥) سورة الرعد، الآية: ٤١. وسورة الأنبياء، الآية: ٤٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٣. قال الخليل في العين (٧/ ٤٠٤): «والطرف: =

أعيانهم وصناديدهم[1]. وقوله: ﴿لِيَقْطَعَ﴾ أي نصركم ليقطع[2]، أو وما النصر إلا من عند الله، ليقطع[3].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[4] هو راجع إلى قوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[5]، أي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء، وهو نجو

= الطائفة من الشيء، تقول: أصبت طرفاً من الشيء» ورأى الأزهري أن ذلك هو المراد في الآية. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٣٢١)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)، والمفردات ص (٥١٧).

(١) روى ابن جرير الطبري عن قتادة والربيع في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ قالا: «... فقطع يوم بدر طرفاً من الكفار، وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم في الشر». جامع البيان (٧/ ١٩٢)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٥، ٧٥٦)، فقد رُوِيَ ذلك عن الحسن وقتادة والربيع.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٠٦)، وجوّز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿لِيَقْطَعَ ...﴾ متعلقاً بـ(يمددكم). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٣، ١٧٤). والبحر المحيط (٣/ ٥٦).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٨)، والبحر المحيط (٣/ ٥٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

قوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[1] وقال بعضهم: ليس للنبي ﷺ أمر وإنما إليه، ونبّه أنك مأمور لا آمر، ومرتسم لا مُرسِم[2]، قيل: بل أراد النبي ﷺ أن يستغفر للمشركين[3]، وقيل: بل أراد أن يدعو عليهم بالاستئصال لما كسروا رباعيته، فقال الله ذلك[4]، وقوله: ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ لِيَقْطَعَ ﴾ وقيل: بل معناه: إلا أن يتوب

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٢، ٤٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٦)، والكشاف (١/ ٤١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٥٦).

(٣) لم أجد من ذكر هذا القول من المفسرين.

(٤) لما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كُسِرَتْ رباعيته يوم أحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «**كيف يفلح قوم شجُّوا رأس نبيّهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل**» فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، أخرجه البخاري معلقاً في كتاب المغازي، باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾. ومسلم موصولاً في الجهاد، باب غزوة أحد رقم (١٧٩١) وانظر: جامع البيان (٧/ ١٩٥- ١٩٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٣)، والوسيط (١/ ٤٩٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٥، ٣٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).

أو يعذب(١)، تنبيهاً أن أمرك تابع لأمر الله.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) بيّن بهذه الآية تحقيق ما قدّمه بأنه هو المالك للكل، وله المشيئة في غفران من شاء وتعذيب من شاء(٣).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا/ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤) إن قيل: ما اتصال هذه [٢٣٩/أ]
الآية بما قبلها؟ قيل: إنه لما نهى عن الكفر فيما تقدَّم، وقبَّح صورته، وحذَّر منه، وبيّن قدرته عليهم حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ نهى هاهنا عن تعاطي أفعال الكفرة(٥)، وقد

---

(١) جوّز الزّجّاج الوجهين انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٨)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٤)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١٤٩)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٩.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٠٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

(٥) قال القرطبي: هذا النهي عن أكل الربا اعتراض بين أثناء قصة أحد، قال ابن عطية: ولا أحفظ في ذلك شيئاً مرويًا، . . . قلت: وإنما خصّ=

تقدَّم الكلام في قُبح الربا[1]، وأما أكله أضعافاً فقد قال عطاء ومجاهد: هو أنهم كانوا في الجاهلية إذا باعوا أو أقرضوا إلى مدة ثم تأخر القضاء زادوا على أصل المال لزيادة الأجل المضروب[2]. إن قيل: لِمَ قال: ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ فجمع

= الربا بين سائر المعاصي، لأنه أذن الله فيه بالحرب في قوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾» [البقرة، الآية: ٢٧٩]. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٧). وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٨٤)، وقال أبو حيان بعد أن نقل كلام ابن عطية: «ومناسبة هذه الآية لما قبلها ومجيئها بين أثناء القصة أنه لما نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم، واستطرد لذكر قصة أحد، وكان الكفار أكثر معاملاتهم بالربا مع أمثالهم ومع المؤمنين، وهذه المعاملة مؤدية إلى مخالطة الكفار نهوا عن هذه المعاملة التي هي الربا؛ قطعاً لمخالطة الكفار ومودتهم واتخاذ أخلاء منهم...» البحر المحيط (٣/ ٥٧)، وانظر: نظم الدرر (٢/ ١٥٢).

(١) انظر: تفسير الراغب (ق ١٩١ ـ مخطوط).

(٢) قول عطاء رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٠٤)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٦٥ ـ مخطوط)، وذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لهما. وقول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٩)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٦٥ ـ مخطوط) بهامش تفسير ابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٢٨)، وعزاه لهما ولعبد بن حميد والفريابي، ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا من=

بين اللفظتين؟ قيل: قال بعضهم ذلك للتأكيد(١)، وقيل مضاعفة من الضَّعْف لا من الضِّعف، ومعناه ما تعدونه ضِعْفاً هو ضَعْفٌ أي نقص، كقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ﴾(٢) وقوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾(٣)، ومن هذا أخذ بعض المحدثين:

زيادة شيبٍ وهي نقصُ زيادتي وقوة جسمٍ وهي من قوتي ضَعْفُ(٤)

= تفسير عبد بن حميد المخطوط بهامش تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. وانظر: الوسيط (١/ ٤٩١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٢)، والبحر المحيط (٣/ ٥٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٠).

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١١١)، وقال القرطبي: «و(مضاعفة) إشارة إلى تكرار التضعيف عاماً بعد عام كما كانوا يصنعون، فدلَّت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه...» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٢).

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦. وقد ذكر الراغب هذا الكلام بعينه في المفردات ص (٥٠٩)، وانظر: بصائر ذوي التمييز» (٣/ ٤٧٨، ٤٧٩). ولم أجد هذا القول لغير الراغب.

(٤) البيت لأبي الطيب المتنبىء أحمد بن الحسين بن عبدالصمد الجعفي الكندي الشاعر المشهور. انظر: التبيان شرح الديوان (٢/ ٢٨٣)، والمفردات ص (٥٠٩).

ثُمَّ حثَّ على تقوى الله، وذكر أن ببلوغها ترجون الفلاح، واستدل بعض الحنفية بهذه الآية على فساد بعض ما يدعيه الشافعية من دلالة الخطاب، فقال: لو كان ذلك صحيحاً لكان يجوز أكل الربا إذا لم يكن أضعافاً[1]، وهذا لأن يكون دلالة عليهم أولى، لأنه لما زهَّدنا في الكثير منه فلأن نزهد في القليل أولى، على أن القضية بذلك على مقتضى العموم، فمجيء ما ترك دلالة خطابه في بعض المواضع لا يفسد هذا الأصل، كمجيء لفظ عام ترك عمومه[2]، وتكرير النهي عن الربا تفظيع لأمره، وتقبيح لشأنه.

---

(١) قال الجصّاص: «قيل في معنى ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ وجهان أحدهما: المضاعفة بالتأجيل أجلًا بعد أجل، ولكل أجل قسط من الزيادة على المال. والثاني: ما يتضاعفون به أموالهم، وفي هذا دلالة على أن المخصوص بالذكر لا يدلُّ على أن ما عداه بخلافه، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون ذكر تحريم الربا أضعافاً مضاعفة دلالة على إباحته إذا لم يكن أضعافاً مضاعفة، فلما كان ذكر الربا محظوراً بهذه الصفة وبعدمها دلَّ على فساد قوله في ذلك. . .» أحكام القرآن (٢/ ٣٧).

(٢) قال ابن عطية: وقد حرّم الله جميع أنواع الربا، فهذا هو مفهوم الخطاب، إذ المسكوت عنه من الربا في حكم المذكور. المحرر الوجيز (٣/ ٢٢٨).
وقال أبو حيان: فهذه الحال لا مفهوم لها، وليست قيداً في النهي، إذ ما لا يقع أضعافاً مضاعفة مساوٍ في التحريم لما كان أضعافاً مضاعفة. البحر المحيط (٣/ ٥٧).

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] إعداد الشيء تهيئته قبل الحاجة إليه، وإنما أراد تقديره وإيجاده، فلا حاجة به تعالى إلى الإعداد، وأصله من العدّ، وقولك: أعددت كذا لكذا، أي اعتبرت قدره بقدره[2]، إن قيل: ما وجه ذكر اتقوا النار بعد قوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾: قيل: قد تقدّم[3] أن قوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ يقال باعتبار ذاته، واتقوا النار باعتبار عقابه، فالأول للأولياء الأصفياء، ولذلك وصله بالفلاح الذي هو أعلى درجة الثواب. والثاني للمذنبين، فلذلك وصله بالرحمة[4]، ولما كانت المنزلة الأولى لا تحصل إلا لمن حصلت له المنزلة الثانية، حثّ كافة

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣١، ١٣٢.

(٢) انظر: العين (١/ ٧٩، ٨٠)، والأفعال لابن القوطية ص (١٦)، وتهذيب اللغة (١/ ٩٠)، والمفردات ص (٥٥٠).

(٣) انظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ٢٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾.

(٤) قال البقاعي: «ولما كان الفائز بالمطالب لا يوقى المعاطب قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ أي إن لم تكونوا ممن يتقيه سبحانه لذاته. نظم الدرر (٢/ ١٥٦). قلت: وهذا أحسن مما قاله أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٥٨) قال: «لما تقدم ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ والذوات لا تتقى، فإنما المتقى محذوف أو ضحه في هذه الآية: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾.

الناس على الاستعانة بتقوى عقوبته، والطاعة له ولرسوله في ترك الربا وغيره من المعاصي؛ ليصلوا إلى الرحمة[1] ذريعةً إلى الفلاح[2].

إن قيل: الفلاح لا يخرج من أن يكون رحمة، **قيل**: صحيح، ولكن الرحمة أعم من الفلاح، فكُلُّ فلاح رحمة، وليس كُلُّ رحمة فلاحاً، ومن قال في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ دلالة أن لا فاسق فيها، فليس باستدلال يوجب الركون إليه، لأن ما يصحُّ أن يشترك فيه أقوام إذا قيل: أُعِدَّ لفلان. فليس فيه أنه لم يُعدّ لغيره. ثم قد ثبت أن النار دركات، فأكثر ما في ذلك أن النار المعدَّة للكافر ليست للفاسق[3].

قوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] **إن قيل**: ما الفرق بين

---

(١) قال الراغب: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلاناً، وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة. المفردات ص (٣٤٧).

(٢) قال الراغب: «الفلاح: الظفر وإدراك بغيةٍ...» المفردات ص (٦٤٤) وقال الفيروز آبادي: «الفلاح: الفوز والنجاة والبقاء في الخير». القاموس ص (٣٠٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٢٨)، والتفسير الكبير (٩/ ٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٨)، والبحر المحيط (٣/ ٥٨)، ونظم الدرر (٢/ ١٥٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

الطول والعرض؟ وهل هما على تقديرك ووضعك كالصعود والحدور، أم هما شيئان مختلفان بالذات؟ وذاك أن الطول والعرض من خواص/ الجسم، فالطول معتبر بالجانب الذي منه [٢٣٩/ب] ينشأ وإليه ينشأ. والعرض بالجانبين الآخرين، وذلك متصور في الحائط والثوب والبيت، وقد يقال ذلك باعتبار الوضع في أشياء كثيرة، وقد وقع شبهة على من لم يتمهر في المعقولات، ولم يتجاوز منزل المحسوسات، وقال: إذا كانت الجنة في السماء الرابعة على ما رُوِيَ في الخبر(١) فكيف يكون عرضها عرض السموات؟ فجاء قوم من اليهود إلى الرسول ﷺ فقالوا: إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فأجابهم ﷺ فقال: «**سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل**»؟(٢)، وهذه

---

(١) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٣٤) بلفظ: «الجنة فوق السماء الرابعة». وورد في بعض الأخبار أنها فرق السماء السابعة. انظر: حادي الأرواح لابن القيم ص (٩٦) الباب الثالث عشر: في مكان الجنة وأين هي.

(٢) ورد هذا الخبر من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! أرأيت جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟، فقال النبي ﷺ: «**أرأيت هذا الليل قد كان، ثم ليس شيء، أين جُعِلَ؟**» قال: الله أعلم قال: «**فإن الله يفعل ما يشاء**» أخرجه ابن حبان رقم (١٠٣) كما في الإحسان (١/ ٣٠٦، ٣٠٧)، والبزار رقم (٢١٩٦ -=

معارضة تقنع العامة بما فيه المقنع، وتطلع الخاصة على ما نبّه عليه بقوله: «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت**»[1] وقد رُويَ عن ابن عباس: أن لله عوالم، هذا أحدها[2]. وقال أبو

= كشف الأستار) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٦) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٧): رجاله رجال الصحيح. وقد رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٤١، ٤٤٢)، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٠٩) بهذا اللفظ الذي ساقه المصنف من حديث سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة ـ وليس في إسناد أحمد يعلى بن مرة ـ قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخاً كبيراً قد فُنِّد. قال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلًا عن يساره. قال: قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية. فإذا كتاب صاحبي: إنك تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض... فذكر الحديث.

(١) جزء من حديث ثبت قدسيًا ونبويًا، فأما القدسي فرواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» رقم (٤٧٧٩، ٤٧٨٠)، ورواه مسلم ـ كتاب الجنة ـ رقم (٢٨٢٤)، ورواه أحمد (٢/ ٤٦٦)، والحميدي (٢/ ٤٨٠)، وأبو نعيم (٩/ ٢٦). وأما الحديث النبوي فرواه مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها ـ رقم (٢٨٢٥)، وأحمد (٥/ ٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٣).

(٢) هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، فقد ذكر الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٢) من رواية أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الجنان أربع: جنة عدن، وهي الدرجة العليا، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، وجنة المأوى، وكل جنة منها كعرض السموات والأرض لو=

مسلم بن بحر:[1] العرض هاهنا من قولهم: عرضت الشيء بالشيء في البيع، وذلك قائم مقام المساواة، والمعنى: لو عرضت الجنة بالسموات والأرض لكانتا ثمناً لها[2]، وذلك

= وصل بعضها إلى بعض» ونقل القرطبي في الجامع (٤/ ٢٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، ويوصل بعضها ببعض، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله. قال القرطبي: وهذا قول الجمهور، وذلك لا ينكر، فإن في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «**ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاة من الأرض، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض**». فهذه مخلوقات أعظم بكثير جدًّا من السموات والأرض وقدرة الله أعظم من ذلك كله». وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٠)، والتفسير الكبير (٩/ ٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٨). وأما حديث أبي ذر الذي ذكره القرطبي، فقد أخرجه الطبري في جامع البيان رقم (٥٧٩٤)، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (١١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٤، ٤٠٥)، وصححه الألباني لطرقه في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٩).

(١) هو أبو مسلم وقيل: أبو سلمة محمد بن بحر الأصفهاني، من وجوه المعتزلة وبلغائهم، وله تفسير على طريقة المعتزلة اسمه جامع التأويل لمحكم التنزيل، توفى سنة ٣٢٢هـ وهو ابن سبعين سنة. انظر: لسان الميزان (٥/ ٨٩)، وبغية الوعاة (١/ ٥٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ١٠٩)، وهدية العارفين (٢/ ٧١).

(٢) نقل الفخر الرازي هذا القول في تفسيره (٩/ ٦) ونسبه لأبي مسلم.

يفسده قوله في غير هذه الآية: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، وقال بعضهم: هو من قولهم: فلان في جاه عريض، وفي سعة ورحب[2]، وقد يقال للكبير عريض، نحو: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[3]. والمغفرة أصلها إزالة العقوبة[4]، وإن كان قد يقال لها وللإعطاء، ولمّا أمَر تعالى بالاتقاء من النار، والاتقاء منها مقتضٍ للمغفرة، وذلك منزلة التاركين للذنب، أمره في هذه الآية أن لا يقتصر على التقوى من النار، التي [هي][5] مقتضية للمغفرة، بل يتجاوز إلى طلب الجنة، فقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن (١١١، ١١٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٣٣١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٧٧)، والوجوه والنظائر (٢/ ٧٤).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥١. انظر: تفسير غريب القرآن ص (٣٩٠)، والصحاح (٣/ ١٠٨٣)، وقد ذكر المؤلف في المفردات ص (٥٦٠) في معنى الآية وجهين: «أحدهما: أن العرض هو خلاف الطول. وثانيهما: أن العرض: البدل والعوض». وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٠٤)، والكشاف (١/ ٤١٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٣٢)، والرازي في التفسير الكبير (٩/ ٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٥)، النيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٩).

(٤) الذي عليه أهل اللغة أن أصل هذه المادة: التغطية والستر. انظر: العين (٤/ ٤٠٧)، والزاهر ص (١٧/ ١٨)، والمحكم (٥/ ٢٩٤)، ومجمل اللغة ص (٥٣٣)، والنهاية (٣/ ٣٧٣).

(٥) سقطت من الأصل والصواب إثباتها.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، السّرّاء والضرّاء إشارة إلى حالي السعة والضيق، كاليسر والعسر، وإلى حالي السرور والاغتمام، وقد فُسِّر بهما[2]، واللفظ يتناولهما، فإن السراء يقابلها الغم، والضراء يقابلها النفع، فأخذ اللفظان المختلفا التقابل ليدل كل واحد على مقابله، وهذا من دقائق إيجازات البلاغة[3]، فمن نظر إلى معنى السراء قال السرور والغم، ومن نظر إلى معنى الضراء قال النفع والضر، ولما كان الناس في الإنفاق أربعة أضرب: ضرب لا ينفق في حالي السّعة والضيق، وهو اللئيم على الإطلاق، وضرب ينفق في حال الضيق دون السعة، كما قال الشاعر:

وكان غنيَّ النفس في حال فقره ... فصار فقيراً في الغنى خيفة الفقر[4]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) انظر: تفسير جامع البيان (٧/ ٢١٣، ٢١٤)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٥٩، ٣١٢)، والمفردات ص (٥٠٤)، والقاموس المحيط ص (٥٢١).

(٣) يُسمَّى هذا الضرب من البلاغة بالاحتباك، وهو من المحسنات البديعية المعنوية. قال الجرجاني: «الاحتباك وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه، كقوله: (علفتُها تبناً وماءً بارداً)». انظر: التعريفات ص (٢٩-٣٠).

(٤) البيت في مجمع البلاغة للراغب (١/ ٣٤٨) ولم ينسبه.

وضرب ينفق في السعة دون الضيق، وهو من وجه جبان يخاف الفقر، ومن وجهٍ حازم يأخذ بالوثيقة في أمور الدنيا، وضرب ينفق في الحالين، وذلك أحد رجلين: إما متهوِّر لا يتفكر في العواقب، ولا يُبالي من أين يأخذ وأين يضع، وذلك هو الموصوف بأنه من إخوان الشياطين[1]، وإما واثق بكفاية الله ينفق ما يحصل في يده اعتماداً على خزائن ربه، لكن لا يتناول إلا من حيث ما يجب وكما يجب، ولا يضع إلا كذلك، وهو الذي يتناول كل آية مُدحَ فيها المنفقون[2]. وكظم الغيظ: هو الحلم[3]، فقد قيل: الحلم[4]: كظم الغيظ، وهو والعفو منزلتان شريفتان، ولهذا قال ﷺ: «**من كظم الغيظ وهو يقدر أن**

(١) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

(٢) فرق الإمام ابن القيم بين الجواد والمسرف بقوله: «والفرق بين الجود والسرف: أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، والمسرف مبذر، وقد يصادف عطاؤه موضعه، وكثيراً لا يصادفه... فالجواد يتوخى بماله أداء الحقوق على وجه الكمال، طيبة بذلك نفسه، راضية مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى... بخلاف المبذر، فإنه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافاً لا على تقدير، ولا مراعاة مصلحة، وإن اتفقت له». الروح ص (٥٢٤، ٥٢٥).

(٣) كظم الغيظ هو تجرُّعه وحفظ النفس من إمضائه. انظر: جامع البيان (٧/ ٢١٤)، ومجمل اللغة ص (٦٢٤)، والمفردات ص (٧١٢).

(٤) قال الراغب: الحلم: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب. المفردات ص (٢٥٣).

ينفذه خيَّره الله في أي الحور شاء»(١) .

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾(٢)، / وقال: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٣)، وقال ﷺ: «**ينادي يوم القيامة مناد: من كان له أجر على الله فليقم، فيقوم العافون عن الناس**»، ثم تلا هذه الآية(٤)، والفرق بين الحلم والعفو، أن الحلم راجع إلى حال الإنسان في نفسه، والعفو إلى ما بينه وبين غيره، وإن كان قلما ينفك أحدهما عن الآخر(٥)، ووجه الآية أن الله حث في الآية الأولى [٢٤٠/أ]

---

(١) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب «من كظم غيظاً» رقم(٤٧٧٧)، ورواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب «من كظم الغيظ» رقم (٢٠٢١)، وقال: حسن غريب. ورواه ابن ماجه ـ كتاب الزهد ـ باب «الحلم» رقم (٤١٨٦)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٤٠). وأبو يعلى رقم (١٤٩٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٤١٥ ـ ٤١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٧)، والبيهقي (٨/ ١٦١) وحسنه المنذري في الترغيب (٣/ ٤٤١).

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٤) رواه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨٧)، والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي رقم (٤٩٠٧)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣١٥)، وذكره المنذري في الترغيب (٣/ ٣٠٩)، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١١): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا على ضعف يسير في بعضهم.

(٥) انظر: الفروق ص (٢١٩-٢٢١، ٢٥٩)، والروح ص (٥٤٠).

على طلب الجنة المعدة للمتقين، [ثم][1] بيّن حالهم وأفعالهم، فذكر ما دلّ على جماع مكارم الأخلاق، وهو السخاء في حالي السّرّاء والضراء والحلم والعفو، وذلك أشرف ضربي الشرع، وذاك أن الشرع ضربان: أحكام ومكارم، ولن يستكمل الإنسان مكارمه إلا بعد أن يستكمل أحكامه، فإن تحرّي أحكام الشرع من باب العدل، وتحرِّي العدالة فرض، ومكارمه من باب الإحسان، أي التفضل، وتحرِّي التفضل نفل، ولا تقبل نافلة من أهمل الفرض[2]، ولا يفضل من ترك العدل، بل لا يصح تعاطي التفضل إلا بعد العدل، فإن العدل فعل ما يجب[3]، والفضل الزيادة على ما يجب[4]، وكيف تصح الزيادة على الشيء الذي هو غير حاصل في ذاته، وبيّن تعالى أن من تخصص بمكارم الشرع فهو محسن، والله يحب المحسنين، وإحسان العبد ومحبته الله إياه هو أن يُرى متخصصاً بعامة أوصاف الله على غاية وسع

(١) ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.
(٢) قال ابن هبيرة: «إنما سميت نافلة، لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤدّ الفريضة لا تحصل النافلة». فتح الباري (١١/ ٣٥١).
(٣) جاء في لسان العرب: العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور... والعدل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق ويعدل...» لسان العرب (١١/ ٤٣٠، ٤٣١)، وانظر: الكليات ص (٦٣٩).
(٤) قال العسكري: «والفضل ما لا يكون واجباً على أحد، وإنما هو ما يتفضّل به من غير سبب يوجبه». الفروق ص (٢١٣).

البشر، فيصدق عليه أن يقال: هو جواد وكريم وحليم، وودود إلى سائر ما يصح أن يوصف به أولياء الله.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(1)

الفاحشة: ما تناهى قبحه مما يدرك بالبصر أو بالبصيرة(2)، ولكونها مستعملة فيهما قيل: فلان فاحش الطول. اعتباراً باستقباح البصر إياه، وقيل للزنى والبخل المتناهي: فاحشة. اعتباراً باستقباح البصيرة إياهما(3)، ويقال: فلان ظلم نفسه. على ثلاثة

(1) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦.

(2) انظر: تفسير جامع البيان (٧/ ٢١٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٨)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٨)، والمحكم (٣/ ٨).

(3) ذكر الراغب في المفردات الأدلة الدالة على كون الزنا والبخل فاحشة. أما الزنا فذكر قوله تعالى: ﴿ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ [النور: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [النساء: ١٩]. وأما البخل فذكر قول الشاعر، وهو طرفة بن العبد:

.... عقيلة مال الفاحش المتشدد

ثم قال: يعني به: العظيم القبح في البخل. المفردات ص (٦٢٦، ٦٢٧).

أوجه : **أحدها** : إذا جنى على نفسه جناية لا يتخطاها . **والثاني** : إذا ظلم ذويه الذين هم بمنزلة نفسه ، وعلى نحو ذلك قال الشاعر فيمن ظلم ذويه :

وما كنت إلا مثل قاطع كفِّه بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما[(١)]

وعلى هذا الوجه قد يُقال ذلك فيمن ظلم واحداً من كافة الناس ، إذا كان الناس كنفس واحدة وآحادهم كأعضائها . **والثالث** : أن ظلم الإنسان غيره لما كان وباله راجعاً إليه ، يقال فيمن ظلم غيره : قد ظلم نفسه[(٢)] ، وعامة ما ذكر تعالى : ظلموا أنفسهم . ذكره مقروناً بنفي ظلمه تعالى إياهم ، نحو : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[(٣)] ، وقد ذكر حيث نهى عن ظلم الغير تنبيهاً على المعنى المتقدم ، نحو قوله : ﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ ﴾[(٤)] ، ثم قال : ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ

---

(١) البيت للمتلمس البكرى . انظر : الحماسة البصرية (١/ ١٣٧) .

(٢) قسَّم الراغب الظلم في المفردات إلى ثلاثة أنواع : «الأول : ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى ، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق . الثاني : ظلم بينه وبين الناس . الثالث : ظلم بينه وبين نفسه . ثم قال : وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس ، فإن الإنسان أولُ ما يهمُّ بالظلم فقد ظلم نفسه . . . » المفردات ص (٥٣٧ ، ٥٣٨) .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٤٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣١ .

﴿نَفۡسَهُۥ﴾[1].

والإِصرار: الإِقامة على القبيح. مأخوذ من الصّرار[2] والصُّرَّة، كأن المصر على الذنب جعل ذنبه مصروراً على نفسه، أي معقوداً لا يجد سبيلًا إلى حله[3]، وقوله: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ في موضع الحال، أي لم يكن منهم إصراراً مع العلم[4]، واشتراط العلم أنه قد يُعذر الإِنسان مع الجهل في ارتكابه بعض المآثم، كمن تزوج أخته من الرضاعة وهو لا يعلم ذلك[5]، وهذه الآية مع الأولى مشكلة، يقال: هل قوله/ : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ﴾ صفة [٢٤٠/ب] للمتقين كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ أم استئناف حكم؟ ولم أُعيدَ ذكر الجنة منكّراً مقروناً بوصف آخر؟ ووجه ذلك أن الله تعالى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٢) الصرار: «خرقة تشدُّ على أطْباء الناقة، لئلا يرضعها فصيلها». العين (٧/ ٨٢)، والمفردات ص (٤٨١).

(٣) انظر: العين (٧/ ٨٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٨٣)، والمقاييس (٣/ ٢٨٢، ٢٨٣)، والمفردات ص (٤٨١).

(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩٣)، والبحر المحيط (٣/ ٦٥)، والدر المصون (٣/ ٣٩٧).

(٥) قال الزمخشري: والمعنى: وليسوا ممن يصرون على الذنوب، وهم عالمون بقبحها، وبالنهي عنها، وبالوعيد عليها، لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح. الكشاف (١/ ٤١٧).

لما أمر الناس بتقواه وتقوى ناره أولاً، وأمرهم بالمسارعة إلى المنزلتين أولاً: إلى طلب المغفرة التي يستحقها المتقي من النار، ثم إلى الجنة العريضة التي يستحقها المتقي من الله، ذكر بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[1] حال المتقين لله، المستحقين لتلك الجنة، وقال: هم الذين تجاوزوا تعاطي أحكام الشرع إلى تعاطي مكارمه[2]، والذين اقتدوا بالله على غاية جهدهم في اكتساب صفاته[3]، ثم ذكر حال المستغفرين لوقوع فاحشة منهم أو ظلم، وبين أن لهم جنات أدون من تلك الجنة، فقال: الذين إذا أخلوا بشيء من الواجبات ذكروا الله فأقلعوا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) الذي يظهر أنه يريد بأحكام الشرع واجباته، وبالمكارم فضائله ومستحباته. وإخراج المستحبات عن الأحكام اصطلاح غير مألوف، والمعروف أن أحكام الشرع تشمل الواجبات والمستحبات وضدّهما، كما هو معروف عند الأصوليين في الأحكام التكليفية.

(٣) لم يرد في الشرع الأمر بالاقتداء بالله تعالى في صفاته، ولا يعرف مثل هذا في كلام السلف، وإنما هو من كلام الفلاسفة، ولهذا قال بعضهم: الفلسفة هي التشبه بالخالق على قدر الطاقة. ويروون في ذلك حديثاً لا أصل له: «تخلقوا بأخلاق الله». لكن ورد الشرع بمحبة الله تعالى لبعض الصفات من نفسه ومن عباده: كالعفو والجود. انظر: شرح الطحاوية (١/ ٨٨).

مُّبۡصِرُونَ﴾[1] ولم يستمروا على فعل الشر، ثم قال: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على سبيل الاعتراض بينه وبين تمام الكلام؛ تنبيهاً أن الإِنسان لا يجب أن يلتجىء إلا إلى الله، وبين أنه [من][2] فعل ذلك لم يقتصر تعالى معه على ترك الذنب عليه، بل يجعل له جنات، وجعل هذه الجنات على أوصاف يتصورها الوهم، ويدرك مثلها الحس، وجعل للفرقة الأولى جنة لا يتصورها الوهم، ولا يحيط بها الحسّ، فإن جنّة عرضها السموات والأرض مع كونها في السماء إشارة إلى ما قاله ﷺ: «ما لا عين رأت»[3]، وذلك مما لا يتصوَّره الوهم، ولما كانت الفرقة الأولى عاملت أنفسهم وعباد الله بضرب عامل الله به عباد الله وهو الجود والحلم والعفو، سماهم هو تعالى بما استحقه، وهو المحسن، وقابلهم بمقابلةٍ يطلبها هو من العباد أن يقابلوه بها، وهي المحبة، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4] والفرقة الثانية: عاملت أنفسها وعباد الله بما لا يصح أن يوصف الله به، بل يوصف به العبد المتدارك لتقصيره، جعلهم من العَمَلة

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) تقدم تخريجه ص (٨٥٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

المستحقة للأجر، وسمى نفسه حيث ذكر مقابلة الفرقة الأولى فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وهو أعم الأسماء وأخصّها به، تنبيهاً أنهم يراعونه بالإلهية، وسمى نفسه حيث ذكر مقابلة الفرقة الثانية ربهم، تنبيهاً أنهم يراعونه بالنعمة الواصلة إليهم، التي هي سبب تربيتهم، وعلم أن منزلة الفرقة الأولى منزلة الشاكرين الموصوفين بقوله: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1]، ومنزلة الفرقة[2] الثانية منزلة الصابرين الموصوفين بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، فذكر في الشاكرين المجازاة الجارية بين الأحباء، وذكر في الصابرين الأجرة كفاءَ ما يجعل للأجراء، وإن كان قد جعلها بلا حساب، وشتّان ما بين الأجير والحبيب، وهذه من المواضع التي لم أر من تحرى مذهب التحقيق، واشتغل به مع صعوبته، غير أن ابن بحر لما انتهى إلى قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم﴾[4]، قال: إن المغفرة المذكورة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٢) كلمة الفرقة تكررت في الأصل.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

هـي المـذكـورة فـي قـولـه: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾(١)، وكـذلـك الجنـات هـي الجنـة التـي عـرضهـا السموات، وإن ذلك أجرتهم بتلك الأفعال، وهو مع أنه لم يتدبر التفصيل واختلاف المجازين والجزائين وأوصافها لم يتفكر في أن الفكرة إذا أُعيد ذكرها تُعاد معرفة، وإلا كان الثاني غير الأول، فلو كانت المغفرة والجنات هي التي تقدم ذكرها لقال المغفرة/ والجنات. [٢٤١/أ]

قـولـه تعـالـى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾(٢) **الخلاء**: المكان الذي لا ساتر فيه، من بنية وغيرها، وقد يقال للمكان الذي لا ساكن فيه، وخليته تركته في خلاء(٣)، ثم يقال لكل تَرْكٍ: تخلية حتى قيل: ناقة خلية: مخلاة عن الحلب، وامرأة خلية مخلاة عن الزوج، وسميت السفينة المتروكة تمر بذاتها خلية، وزمان خالٍ(٤) أي ماض، كأنه خلا عما كان فيه(٥)، وأصل السُّنّة من السنّ أي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٣) في القاموس: خلا المكان خُلُوًّا وخلاءً، وأخلى واستخلى: فرغ. ومكان خلاء: ما فيه أحد. القاموس ص (١٦٥٢).

(٤) في الأصل: (خالي) والصواب المثبت، لأنه منقوص مرفوع منون، ولعلّ ما في الأصل من تحريف الناسخ.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٥٦٨-٥٧٥)، والصحاح (٦/ ١٣٣٠-١٣٣١)، =

(صب الماء)[1] على وجه الأرض، وعلى التشبيه به قيل: سننت الدرع[2]، ووجه مسنون[3]، والسنّة: الطريقة المجعولة للاقتداء بها محسوسة كانت أو معقولة[4]، وعُنِي بالسنة هاهنا ما كان من القرون الأولى، أخيارهم وأشرارهم[5]، وما كان في مقابلتهم

= ومقاييس اللغة (٢/ ٢٠٤، ٢٠٥)، والمفردات ص (٢٩٨)، والقاموس ص (١٦٥٢، ١٦٥٣).

(١) في الأصل: (الصبّ الماد)، والصواب ما أثبته. وفي المقاييس (٣/ ٦٠): «... والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي... إذا أرسلته إرسالاً». وفي المفردات ص (٤٢٩): قيل: «سننت الماء أي أسلته».

(٢) أي يقال: سنَّ عليه الدرع إذا صبها. وفي المفردات ص (٤٢٩): وسنُّ الحديد: إسالته وتحديده.

(٣) قال الفيروز آبادي: «ورجل مسنون الوجه: مُمَلَّسُه، حسنُه، سهلُه، أو في جهه وأنفه طول» القاموس ص (١٥٥٨).

(٤) قال ابن الأثير: «... والأصل فيها ـ أي السنة ـ الطريقة والسيرة». النهاية (٢/ ٩) وإذا أُطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلًا، مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث». النهاية (٢/ ٤٠٩)، وقال الواحدي: السنن: جمع السنة: وهي المثال المتبع، والإمام المؤتم به

(٥) انظر معاني مادة «سنن» في: العين (٧/ ١٩٧، ١٩٨)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٠- ٣٠٦)، والمقاييس (٣/ ٦٠، ٦١)، والمفردات ص (٤٢٩)، والنهاية ص (٤٠٩- ٤١٣)، والقاموس ص (١٥٥٨).

منه تعالى ومجازاته إياهم إن خيراً فخيراً، وإن شرًّا فشرًّا في الدنيا تارة وفي الآخرة تارة، على ما بينه تعالى بكلامه، وشُوهد من أحكامه، فنبهنا على اعتبار ما جرى به سننه، وأمرنا بالسير في الأرض والنظر إليه[١]، ولم يعن بالسير السعي بالأرجل، ولا بالنظر نظر العين، فذلك غير مغنٍ بانفراده في معرفة سنة الله في الذين خلوا، وإنما عنى إجالة الخاطر فيها، والنظر بالبصيرة للمتحرين للحكم، والمنبهين على العبر[٢]، وعلى هذا قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾[٤]، وقد

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٢٨)، والوسيط (١/ ٤٩٦)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٦)، والبحر المحيط (٣/ ٦٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٥).

(٢) قال ابن عطية: «وقال تعالى: ﴿فَسِيرُوا﴾ وهذا الأمر قد يدرك بالأخبار دون السير، لأن الإخبار إنما يكون ممن سار وعاين، إذ هو مما يُدرك بحاسة البصر، وعن ذلك ينتقل خبره، فأحالهم الله على الوجه الأكمل. وقوله: ﴿فَانظُرُوا﴾ هو عند الجمهور من نظر العين. وقال قوم: هو بالفكر». المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٨). وقال أبو حيان: «... وقيل: السير هنا مجاز عن التفكر، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس. وقال الجمهور: النظر هنا من نظر العين، وقال قوم: هو بالفكر...». البحر المحيط (٣/ ٦٦).

(٣) سورة الروم، الآية: ٩. وفاطر، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٥.

حمل بعض الصوفية قوله ﷺ: «سافروا تغنموا»(١) على هذا.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٢) جعل تعالى القرآن بياناً للعامة والخاصة، فلهذا قال للناس لأنه ما من ذي فكرة استمع إليه إلا حصل منه بيان ما، وجعله هدى وموعظة للمتقين خاصة(٣)، وقد تقدم الكلام في تخصيصه هدى لهم في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٤)، فالفرق بين الهدى والموعظة: أن الهدى يقال باعتبار معرفة الشريعة وسلوك طرقها إلى ثواب الله تعالى، والوعظ يقال باعتبار معرفة الثواب والعقاب(٥)، إن

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٠٠)، والطبراني في الكبير (١١/ ٦٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ١٠٣) بألفاظ متقاربة. وأشار إلى ضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢١٠)، (٥/ ٣٢٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٨٥) في تفسير سورة العنكبوت، الآية: ٥٦. وعزاه للطبراني والقضاعي والشيرازي في الألقاب والخطيب وابن النجار والبيهقي عن ابن عمر نحوه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٣) روى ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٣٢) بسنده عن قتادة، قال: «﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ وهو هذا القرآن، جعله الله بياناً للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً».

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢. وانظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ١٢).

(٥) قال العسكري: «والهدى: بيان طريق الرشد، ليسلك دون طريق الغي». =

قيل: أيراد بذلك أنهم يهتدون ويتعظون، أم انهم يهدون ويعظـون؟ قيـل: يحتمل الوجهين، ويصحّ حمله عليهما، فهم فـي الحقيقـة يهتـدون بـه ويتعظـون، ويهـدون بـه غيـرهـم ويعظون[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحۡزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[2]، **الوَهْن والوهْيُ** يتقاربان، لكن الوهْن ضعف، والوهْي يقال فيه وفي التخرق، فهو أعم[3]. **والحزن**: ألم موجع للنفس من فوت مطلوب أو فقد محبوب[4]. **إن قيل**: كيف أُمِرَ

= الفروق ص (٢٣١). وقال الخليل: «العظة: الموعظة، وعظتُ الرجل أعظه عظة وموعظة... وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه». العين (٢/ ٢٢٨).

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٣٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٨٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٣) انظر: العين (٤/ ٩٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١١٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٣٨، ٤٨٥)، والأفعال لابن القوطية ص (٣٠٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٨٨)، والمشوف المعلم (٢/ ٨٤٤).

(٤) قال في المفردات: الحُزْن والحَزَن: خشونة في الأرض، وخشونة في النفس، لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح. المفردات ص (٢٣١). وقال=

الإنسان بأن لا يهن ولا يحزن، وليس ذلك باختياره، بل هو شيء يعرض له بالاضطرار؟ قيل: النهي في الحقيقة متوجه إلى تعاطي فعل ما يورث ذلك، وإن كان في اللفظ متناولاً للحزن والوهن، وذلك أن الحزن يعرض بأن لا يستشعر الإنسان ما عليه جُبلت الدنيا، ولا يعرف أن أموالنا وأبداننا عارية مستردَّة[1]، ولا يحتمل صغار المكاره، فيتوصَّل بها إلى احتمال ما هو أعظم منها، وعلى هذا قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾[3]؟ قيل: عنى في الاستقبال إشارة إلى نحو قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]، فيكون هذا وعداً لهم[5]،

= الفيروز آبادي: الحزن: الهم. القاموس ص (١٥٣٥)، وانظر في تعريف الحزن: العين (٣/ ١٦٠)، والجمهرة (٢/ ١٥٠)، والمحكم (٣/ ١٦٥).

(١) العارية المستردّة: كلّ ما تعطيه غيرك على أن يردّه إليك. قال ابن منظور: «وأعراه النخلة: وهب له ثمرة عامها، والعريّة: النخلة المعراة». اللسان (١٥/ ٤٩) وانظر: المعجم الوسيط ص (٦٣٦).

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٥) قال أبو حيان: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي الغالبون وأصحاب العاقبة، وهو إخبار بعلو كلمة الإسلام. قاله الجمهور وهو الظاهر. البحر المحيط (٣/ ٦٧). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٣٤)، وتفسير القرآن للسمعاني=

وقيل: أراد في الحال فإنهم الأعلون بالحجة ورجاء المغفرة[1]، إشارة إلى نحو قوله: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2] ومثله: ﴿لَا تَخَفْ/ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[3]، وسبب نزول ذلك، قيل: هو أن النبي ﷺ أمر بطلب القوم بعد يوم أحد، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهدنا بالأمس»، فاشتد على المسلمين، وقالوا: فينا جرحى، فأنزل الله تعالى ذلك[4]، ونبّه بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أن من شرط [٢٤١/ب]

= (١/ ٣٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٦).

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤١٨)، والتفسير الكبير (٩/ ١٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٨٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٦٨.

(٤) لم يذكر أحد من أهل التفسير والسير أن ذلك كان سبباً لنزول هذه الآية، والذي ذكره ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين وابن حجر في العجاب في سبب نزول هذه الآية عن الزهري، قال: كثر في أصحاب محمد ﷺ القتل والجراح، حتى خلص إلى كل امرئٍ منهم البأس، فأنزل الله القرآن، فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً كانوا قبلهم من الأمم الماضية، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٣٤)، والعجاب (٢/ ٧٥٨). وهناك أقوال أخرى في سبب نزول هذه الآية، لكنها أيضاً=

الإيمان رفض الوهن والحزن وأنتم مؤمنون، فواجب أن لا تهنوا ولا تحزنوا سيما والعلو لكم[1].

قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] الفرق بين المسّ واللمس: أن اللمس أخص، فإنه بالحاسة، والمس به وبغيره[3]، وهو ههنا

= غير ما ذكر الراغب. وأما ما ذكره الراغب من طلب النبي ﷺ للمشركين بعد أحد، فهي ما يعرف بغزوة «حمراء الأسد»، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ...﴾ [آل عمران: ١٧٢]. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٠٠-٤٠٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٤٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣١٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٤-٤٠٦).

(١) قال البقاعي: «﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إن كان الإيمان ـ وهو التصديق بكل ما يأتي عن الله ـ لكم صفة راسخة، فإنكم لا تهنون، لأنكم بين إحدى الحسنيين، كما لم يهن من سيقصّ عليكم نبأهم ممن كانوا مع الأنبياء قبلكم، لعلوكم عدوكم...». وانظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٦١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ٦٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨١)، ونظم الدرر (٢/ ١٥٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) هذا الفرق في أصل دلالة اللفظتين، وإلا فقد يستعملان بمعنى واحد. انظر: الجمهرة (٣/ ٥٠)، والصحاح (٣/ ٩٧٥، ٩٨٧)، والمقاييس =

عبارة عن الإصابة[1] والقرح أعم من الجرح، فإن الجرح إصابة الجارحة في الأصل[2]، والقرح يقال له ولما يحدث من ذاته، نحو قَرِحَ البعير إذا خرج به قَرْحَة، وهي شِبْه جرب[3]. والقرح مصدر ثم يسمى المقروح قَرِحاً[4]. والقُرْح الاسم[5]، وقال بعض أهل اللغة: القَرْح: الجراحة. والقُرْح: ألمها[6]، والدول والدور يتقاربان، لكن الدور أعم، فإن الدولة لا تقال إلا في الحظ الدنيوي[7]،

= (٥/ ٢١٠، ٢٧١)، والفروق للعسكري ص (٣٣٦).

(١) انظر: الوجوه والنظائر (٢/ ٢٢١).

(٢) قال العسكري في الفروق ص (١٤٩): «الجرح يفيد من جهة اللفظ أنه فعل بجارحة، كما أن قولك: عِنْتُه يفيد أنه من جهة اللفظ للإصابة بالعين...». وانظر: المساعد (٢/ ٥٩١).

(٣) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (٥٩).

(٤) قال الراغب: يقال: قرحتُه نحو: جرحتُه، وقَرِح: خرج به قَرْحٌ. المفردات ص (٦٦٥).

(٥) انظر: التاج (٧/ ٤٤).

(٦) نسبه ابن خالويه للكسائي. انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١٠٧)، وإعراب القراءات السبع وعللها وحججها (١/ ١١٩)، وهو رأي الفراء أيضاً، كما في معاني القرآن له (١/ ٢٣٤)، وانظر: المفردات ص (٦٦٥).

(٧) نقل أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦١) عبارة الراغب هذه في الفرق بين الدور والدول ولم ينسبها. وكذلك فعل السمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٤٠٥). ولم أجد من فرق هذا التفريق قبل المؤلف، بل إن أبا عبيدة=

وكذلك الجد، ولهذا قيل: «لا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ»[1] أي الحظوظ الدنيوية غير نافعة في القيامة[2]، نحو: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ قيل ليعرف، ولهذا تعدى إلى مفعول واحد، وقيل: إن مفعوله الثاني محذوف[4] ومتى قيل في الله: إنه علم كذا أو لم يعلمه، فليس القصد إلى إثبات علمه أو نفيه، وإنما القصد إلى إثبات ذلك الشيء أو نفيه، وإذا استعمل في غيره

= فسَّر الدائرة بالدولة، وقال: «والدوائر قد تدور، وهي الدولة، والدوائل تدول. . . » مجاز القرآن (١/ ١٦٩).

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري ـ كتاب الأذان ـ باب «الذكر بعد الصلاة» رقم (٨٤٤). ورواه أيضاً في ـ كتاب القدر ـ باب «لا مانع لما أعطى» رقم (٦٦١٥). ورواه مسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب «استحباب الذكر بعد الصلاة» رقم (٥٩٣). ورواه أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب «ما يقوله إذا سلّم» رقم (١٥٠٥). والترمذي في كتاب ـ الصلاة ـ باب «ما يقول إذا سلّم من الصلاة» رقم (٢٩٩) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الصلاة، باب «نوع آخر من القول عند انقضاء الصلاة» (٣/ ٧٠)، وأبو يعلى في المسند رقم (٨٨٢، ١١٣٧).

(٢) انظر: العين (٦/ ٧)، والزاهر (١/ ١٨-٢٤)، والمفردات ص (٨٨)، والنهاية (١/ ٢٤٤).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٨.

(٤) تقديره كما في البحر المحيط (٣/ ٦٨): «مميزين بالإيمان عن غيرهم». وانظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩٥)، والدر المصون (٣/ ٤٠٦).

فإنه يقال على الوجهين[1]، وأما الشهداء فقد قيل: هم المذكورون في قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[2]، وقال الحسن وقتادة: عنى بها المقتولين في الحرب[3]، وسُمُّوا بذلك لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[4] الآية،

---

(١) لم أجد أحداً من المفسرين وافق الراغب على ذلك، وكلام العلامة نظام الدين النيسابوري أضبط من كلام الراغب، فقد قال: فكلّ آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم، لأن التغير في علم الله محال. غرائب القرآن (٢/ ٢٦٦). والصحيح أن ما فيه علم الله كذا دالٌّ على إثبات العلم لله تعالى. ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ثم قال: «فقد دلَّت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء. . .» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٢١١). وقال ابن الجوزي: «ومعنى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي ليعلم واقعاً منهم، لأنه عالم قبل ذلك. وإنما يجازي على ما وقع» زاد المسير (١/ ٤٦٧).

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٢٠)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦٩)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ١٨٢).

(٣) روى قول قتادة ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٤٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٤). ولم أجد للحسن كلاماً في ذلك. وهذا القول ذكره أغلب المفسرين، واقتصر عليه مفسرو أهل السنة؛ الطبري وابن أبي حاتم والسمعاني والبغوي وابن كثير. ورجَّحه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

لما جعلهم أحياء عند ربهم سُمُّوا شهداء، وأصل ذلك أن غاية ما يستحقه الإنسان في الآخرة القرب من الله، وكونه عنده، ولما وعد الله القتيل في سبيله بذلك سُمي شهيداً، ونبَّه تعالى بالآية أنه غير إنصاف لمن ساوى العدو في المغالبة الدنيوية أن يحزن، فكيف بمن كان غالباً، وبين بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾[1] أن من حق العاقل أن لا يبالي بما يفوته مالاً كان أو جاهاً أو قهراً، فإن الله جعل بِنْيَةَ الدنيا على أن تكون أعراضها دولاً بين أخيارهم وأشرارهم، وليصبر الأخيار فيما يصيبهم من المحن، ويشكروا ما ينيلهم من المنح، فيصلوا بذلك إلى ثوابه[2]، وعلى ذلك ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾[3] **إن قيل**: هل يصح أن تكون الدولة[4] للكافرين على المؤمنين؟ **قيل**: يجوز ذلك إذا كانت الدولة من الحظوظ الدنيوية، التي قد يُعطى الكافر منها أكثر مما يُعطى المؤمنون[5]، قال قتادة: ولولا الدولة ما أوذي المؤمنون،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٤٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٦).

(٣) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٤) قال القرطبي: والدولة: الكرَّة. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٨).

(٥) قال الزجاج: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي نجعل الدولة في=

لكن قد يدال الكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر، ليتميّز المطيع من العاصي[1]، وقد حكم تعالى في كل ذلك أن الغلبة للمؤمنين في الحقيقة بقوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2]، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، تنبيه أنه لا ينصر الكافرين في الحقيقة، وإن تصور بعض الناس ما يعطيهم في بعض الأحوال نصرة منه، تنبيه أنه لا يظلم، فمحال أنه مع حكمه بأنه لا يحب الظالمين يفعل فعلهم[4].

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5]

المحص كالفحص، لكن الفحص يقال في إبراز/ الشيء من [٢٤٢/أ]

= وقت من الأوقات للكافرين على المؤمنين، إذا عصوا فيما يؤمرون به من محاربة الكفار، فأما إذا أطاعوا فهم منصورون أبداً، كما قال الله ـ عز وجل ـ ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. ثم قال: «... جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحّص المؤمنين بما يقع عليهم من قتل في حربهم أو ألم أو ذهاب مال...». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٠، ٤٧١).

(١) أثر قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٣٩)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٢٦)، والوسيط (١/ ٤٩٤).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦. وانظر: كلام الزجاج السابق.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٤) انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ٦٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٢)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

خلال أشياء منفصلة عنه، والمحص في إبرازه عن أشياء متصلة به[1]. قال الخليل: التمحيص: التخليص عن العبث، يقال: محّص عنا ذنوبنا[2]، والمحق هو إبطال الشيء حالاً فحالاً[3]،

---

(١) يؤيد تفريق المؤلف هذا أنهم قالوا: المطر يفحص الحصا، إذا نحّى بعضها عن بعض، وهذا لأن الحصا ينفصل بعضها عن بعض. وقالوا: محصته محصاً إذا خلّصته من كل عيب. والتمحص: التطهير من الذنوب، والذنوب والعيوب تتصل بصاحبها اتصال الصفات بموصوفها. انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٩، ٢٧١)، والمقاييس (٥/ ٣٠٠)، والمفردات ص (٧٦١).

(٢) الذي في العين (٣/ ١٢٧): «التمحيص: التطهير من الذنوب». وقال الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٧٢): «وقرأت عليه ـ يعني المبرد ـ أيضاً عن الخليل: المحصُ: التخليص. يقال: «محصت الشيء، أمحصه محصاً إذا خلصته». ولعل المؤلف تصرَّف في هذه العبارة. وانظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٤٨٣)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥٣٠)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٧١).

(٣) قال ابن الأثير: «المحْقُ: النقص والمحو والإبطال». النهاية (٤/ ٣٠٣)، والمفردات ص (٧٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٦٩)، والقاموس ص (١١٩١)، ولم أجد من ذكر قبل المؤلف أن المحق: إبطال الشيء حالا فحالا، بل المعنى الذي ذكروه يدور على النقصان والذهاب والهلاك والحرق، بدون التقييد بالتدرج. ولعل المؤلف أخذ معنى التدرج من الليالي المحاق في آخر الشهر على قول من قال إنها «ليلة خمس وست وسبع وعشرين؛ لأن القمر يطلع في آخرها، ثم يأتي الصبح فيمحق ضوء القمر» تهذيب اللغة (٤/ ٨٣)، ولا يخفى أن ذهاب ضوء القمر حينئذ مندرج. هذا وقد تبع أبو حيان في البحر (٣/ ٦٩) المؤلف في تفسيره للمحق.

والقصد بتمحيص المؤمن ما ذكره في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1]. وقوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[2] وعلى معنى المحص ما ورد من لفظ الفتنة والابتلاء، والقصد بمعنى الآية أن المؤمن والفاسق كسبيكتي ذهب: إبريز كَلِفٌ[3]، وبهرج[4] من خزف إذا فُتِنَا خلص الإبريز، وانمحق البهرج، فكما أن السبك سبب لاختيار الإبريز وإعداده في خاصّ الخزانة، وسبب لاجتواء[5] البهرج وطرحه بالمبعد، كذا التكليف سبب لاصطفاء المؤمن لكريم جوارِه، وطرد الكافر إلى حرق ناره[6]، كما قال في المؤمنين: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[7]، وقال في الكافرين: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) **الإبريز**: الذهب الخالص، والكَلْفُ: السواد في الصُّفرة. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٠٢)، والقاموس المحيط مادّة (كَلَفَ).

(٤) **البهرج** من الدراهم وغيرها: الرديْ. انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٥١٤).

(٥) **الاجتواء**: كُرْهُ الشيء لعدم ملاءمته. انظر: القاموس (١٦٤١).

(٦) أشار القشيري إلى هذا المعنى في اللطائف، فقال في تفسير هذه الآية: «اختبارات الغيب سبْك للعبد، فباختلاف الأطوار يخلصه من المشائب، فيصير كالذهب الخالص لا خبث فيه، كذلك يصفو عن العلل، فيتخلّص لله، ويمحق الكافرين في أودية التفرقة» لطائف الإشارات (١/ ٢٩٣).

(٧) سورة القمر، الآية: ٥٥.

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] معنى أم حسبتم: لا تحسبوا[3]، واستعارة الاستفهام للنهي[4]، مبالغة في المعنى[5]، و﴿أَمۡ﴾: على

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٣) قال النيسابوري في تفسيره: «فحاصل الكلام: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا بعد. وإنما أنكر هذا الحسبان، لأنه تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة، وأوجب الصبر على تحمل متاعبها، وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا، وإذا كان كذلك فمن البعيد أن يصل الإنسان إلى السعادة والجنة مع إهمال مثل هذه الطاعة» غرائب القرآن (٢/ ٢٦٨، ٢٦٩).

(٤) لم أجد في كتب البلاغة التي رجعت إليها: أن النهي من المعاني التي يفيدها الاستفهام. ولكنهم ذكروا الإنكار، وأوردوا له معنيين: **أحدهما**: التوبيخ ومعناه: ما كان ينبغي أن يكون ذلك. **وثانيها**: التكذيب أي: لم يكن ذلك. والأمثلة التي ذكروها للقسم الأول قريبة من معنى الآية. فمعنى الآية: لا ينبغي أن تظنوا أنكم ستدخلون الجنة دون أن تجاهدوا... والله أعلم. انظر: الإيضاح ص (١٤٢-١٤٣) وشروح التلخيص (٢/ ٣٠٠- ٣٠١) وشرح التلخيص لمحمد هاشم ٨٧.

(٥) نقل أبو حيان عن ابن بحر ـ أبي مسلم الأصفهاني أنه قال: «أم حسبتم: نهي وقع بلفظ الاستفهام، الذي يأتي للتبكيت، وتلخيصه: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولما يقع منكم الجهاد». البحر المحيط (٣/ ٧٢).

وجهين: معادلة للألف، ولاستئناف استفهام، ويُفسر ببل[١]، ومن النحويين[٢] من قال: لا تنفك ﴿أَمْ﴾ من أن تكون تابعاً للألف، إما ملفوظاً به أو مقدراً، وقال: وتقدير الكلام هٰهنا لما ذكر قوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾[٣] أعلمتم ذلك ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾، وقد تقدم أن كل موضع نُفي فيه علم الله فإنما هو نفي لما يتعلق به[٤]، ويدل على صحة ذلك قولهم: ما علمت أحداً

---

(١) قال السمين الحلبي: (في «أم» هذه أوجه أظهرها: أنها منقطعة مقدره بـ«بل» وهمزة الاستفهام، ويكون معناه الإنكار. وقيل: «أم» بمعنى الهمزة وحدها، ومعناه كما تقدم التوبيخ والإنكار). الدر المصون (٣/ ٤٠٩). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٧٢). وانظر: الكتاب (٣/ ١٦٩)، والمقتضب (٣/ ٢٨٦)، وحروف المعاني للزجاجي ص (٤٨)، وأمالي ابن الشجري (٣/ ١٠٦-١١٠)، والمخصص (١٤/ ٥٤)، ورصف المباني (٩٣)، والجنى الداني (٢٠٤)، والمغني (٦١).

(٢) هذا القول بهذا التعميم لم أجده فيما رجعت إليه من مراجع. وقد حُكي عن محمد بن بحر الأصفهاني ت ٣٢٢ في تفسير هذه الآية أن (أم) عديلة همزة تتقدر من معنى ما تقدم، والتقدير: أتعلمون أن التكليف يوجب الابتلاء المذكور قبل أم حسبتم...؟ فلعل المؤلف أراد (أم) في هذه الآية، والله أعلم. انظر: البحر المحيط (٣/ ٧٢)، الدر المصون (٣/ ٤٠٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٤) قال أبو حيان: «والمراد بنفي العلم انتفاء متعلقه، لأنه منتفٍ بانتفائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، المعنى: =

يخرج إلا زيدٌ، فجاز الرفع في زيد لما كان معناه ما يخرج أحد فيما علمت إلا زيد، وأما قوله: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ فمنصوب على الصرف[1]،

= لم يكن فيهم خير، لأن ما لم يتعلق به علم الله تعالى بموجود ألا يكون موجوداً أبداً». البحر المحيط (٣/ ٧١). وانظر: الكشاف (١/ ٤٢٠). وقال أحمد بن المنيِّر السكندري في تعليقه على الكشاف: «التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم خاص بعلم الله تعالى، لأنه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شيء ما عدم ذلك الشيء ضرورة أنه لا يعزب عن علمه شيء لعموم تعلقه، فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المصحح للملازمة، ولا كذلك علم آحاد المخلوقين، فإنه لا يعبر عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به، لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم للخلق...» انظر: الكشاف (١/ ٤٢٠) هامش رقم ٢. وانظر ما سبق (٣٥٥-٣٥٦).

(١) قال ابن جرير الطبري: «ونصب (ويعلم الصابرين) على الصرف. والصرف أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف، لأنه مصروف عن معنى الأول، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام. جامع البيان (٧/ ٢٤٧)، ويسمي الكوفيون الواو في مثل هذا الموضع واو الصرف، ويسميها البصريون واو المعية والفعل بعدها منصوب ـ عندهم ـ بأن مقدرة. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣-٣٤)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤١)، وإعراب القرآن (١/ ٤١٩)، والإنصاف في مسائل الخلاف المسألة (٧٥)، والنصب على الصرف هو على مذهب الكوفيين، أما على مذهب البصريين فهي منصوبة بإضمار أن بعد واو=

وقد قُرئ ﴿وَيَعْلَمْ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالجزم[1]، والفرق بين العطف والنصب على الصرف هو أنه إذا كان عطفاً يراد حصول الفعلين مجتمعين كانا أو مفترقين، وإذا نصب فالمراد حصول الفعلين معاً، ونفيهما معاً، على ذلك قول الشاعر[2]:

لاتَنْه عن خلق وتأتي مثله[3] ....

معناه لا تجمع بين الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون ﴿وَيَعْلَمَ﴾

= الجمع. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٢)، والوسيط (١/ ٤٩٨)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٧٢)، والدر المصون (٣/ ٤١١).

(١) قال ابن جرير: «وقد رُوي عن الحسن أنه كان يقرأ (ويعلمِ الصابرين) فيكسر الميم من «يعلم» لأنه كان ينوي جزمها على العطف به بعد قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾. جامع البيان (٧/ ٢٤٧). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٢)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٠).

(٢) البيت مختلف في نسبته، فقد نسبه إلى الأخطل، ونسبه الأعلم إلى أبي الأسود الدؤلي، ويروى للمتوكل الليثي، ويروى لسابق البربري ولحسان. انظر: ديوان أبي الأسود، تحقيق الدجيلي (٢٣٢-٢٣٣) وتحقيق آل ياسين (١٥٦) وقال البغدادي: «والصحيح أنه لأبي الأسود» الخزانة (٣/ ٦١٧).

(٣) انظر: الكتاب (٣/ ٤٢)، والمقتضب (٢/ ١٦)، والأصول لابن السراج (٢/ ١٦٠)، وجمل الزجاجي (١٩٩)، وحروف المعاني للزجاجي (٣٨)، والصاحبي ص (١٥٦).

معطوفاً على قوله: ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾، وذاك أنه لما ضمن للصابرين دخول الجنة في غير موضع، بين هٰهنا أن لا يدخلوها محكوماً لهم بالصبر، ولما يجاهدوا، إذ كان الصبر لا يثبت إلا بمجاهدة النفس[١]، ولم يعن بالمجاهدة الجهاد في حرب الكفار فقط، بل أراد ذلك ومجاهدة الشيطان والنفس المدلول عليها بقوله ﷺ **«جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»**[٢]، ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٤] سبب نزولها أن قوماً لم يحضروا بدراً كانوا يقولون: ليت لنا يوماً مثله، حتى نجاهد[٥]. وقيل: سببه

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٩/ ١٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٩)، ونظم الدرر (٢/ ١٦١).

(٢) لم أجده مرفوعاً ونسبه الزمخشري في «ربيع الأبرار» لمالك بن دينار. انظر: «ربيع الأبرار» (٢/ ٤٧٠).

(٣) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٣.

(٥) رُوي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والحسن، والسدي. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٤٨-٢٥٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٠، ٢٢١)، والبحر المحيط (٣/ ٧٣).

أن قوماً سألوا النبي ﷺ أن يأذن لهم أن يأتوا المشركين في رحالهم ويقاتلوهم، فقال ﷺ: «لم[1] أؤمر بذلك»[2]. والموت عبارة عن الحرب[3]، كقول الشاعر:

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا

إلى الموت إرقال الجمال المصاعب[4]

وأراد أنكم تمنيتم الحرب فلِمَ[5] تحيّرتم؟ والنظر يكنى به عن التحيّر[6]، نحو:

---

(١) في الأصل: لو. والتصويب من جامع البيان.

(٢) هذا الأثر ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ...﴾ الآية. [النساء: ٧٧].
رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٤٩، ٥٥٠). وانظر: أسباب النزول للنيسابوري ص (١٦٦، ١٦٧)، والعجاب (٢/ ٩١٧، ٩١٨).

(٣) قال أبو السعود: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أي تتمنون الحرب، فإنها من مبادي الموت. إرشاد العقل السليم (٢/ ٩٢).

(٤) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوان النابغة الذبياني ص (٤٤)، والأغاني (١١/ ١٨)، ومجمع البلاغة ص (٤٣٦).

(٥) في الأصل: (فلما)، والصواب ما أثبته.

(٦) قال الراغب: ويُستعمل النظر في التحير في الأمور، نحو قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]. وقال: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ=

.... والموت خزيان ينظر[1]

وقيل: وأنتم تنظرون إلى النبي ﷺ لكونه بين أظهركم، وذلك تبكيت لهم[2]، وقول النحويين: أراد بالموت سببه، فحذف [٢٤٢/ب] المضاف؛ فقريب[3]، وقول / أبي علي الجبائي: إنه لا يجوز أن

= ﴿لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] . . . فكلٌّ ذلك نظر عن تحيُّر دالٍّ على قلة الغَنَاء. المفردات ص (٨١٣). ولكنني لم أجد أحداً من المفسرين أشار إلى هذا المعنى عند تفسير الآية، وذهب المحققون من أهل التفسير واللغة إلى أن معنى ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ أي وأنتم بصراء، ليس بكم عمى، أو رأيتموه بمرأى منكم، ومنظر أي بقرب منكم. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٤٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٣)، والوسيط (١/ ٤٩٩)، والبحر المحيط (٣/ ٧٤).

(١) جزء من بيت لتأبط شرًا وتمامه:

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا   به كدحة والموت خزيان ينظر

انظر: الأغاني (٢١/ ١٤١)، ومجمع البلاغة (٢/ ٧٠٠).

(٢) قال ابن عطية: وحكى مكي وغيره عن قوم أنهم قالوا: المعنى: وأنتم تنظرون إلى محمد، وهذا قول ضعيف، إلا أن ينحى به إلى هذا القول، الذي ذكرته أنه النظر في أمره هل قتل؟ والاضطراب بحسب ذلك. المحرر الوجيز (٣/ ٢٤٦). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢١)، والبحر المحيط (٣/ ٧٤).

(٣) قال الطبري: ﴿تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ يعني أسباب الموت، وذلك القتال. جامع=

يتمنّوا قتل المشركين لهم، فإن قتل المشركين لهم كفر بالله، ولا يجوز للمؤمن أن يتمنّى الكفر بالله[1]، وإنما تمنّوا الموت الذي هو فعل الله في الحال، التي يكون فيها أبعد من المعاصي، فهذا تَحَيُّل لمراد القوم إنما تمنوا حرباً ليبلوا فيها بلاءً حسناً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2] رُوي أنه لما كان يوم أحد[3] نادى منادٍ: قُتِلَ مُحمّدٌ، فقال قوم: علام نقاتل وقد قُتِلَ رسول الله؟! فأنزل الله ذلك[4]، والإشارة بالمعنى إلى ما قال أبو بكر لما مات النبي ﷺ: «من كان يعبد محمداً فإنه قد مات، ومن كان

= البيان (٧/ ٢٤٨). وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٢).

(١) قال القرطبي: «وتمني الموت يرجع من المسلمين إلى تمني الشهادة، المبنية على الثبات والصبر على الجهاد، لا إلى قتل الكفار لهم، لأنه معصية وكفر ولا يجوز إرادة المعصية. الجامع (٤/ ٢٢١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) أحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو جبل أحمر بينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها. معجم البلدان (١/ ١٠٩).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٥٣-٢٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٧٧، ٧٧٨)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٤٣).

يعبد الله فإن الله حي لا يموت[(١)]، أيها القوم إن الله قد نعى إليكم نبيكم» ثم تلا الآية[(٢)]، ولفظ الاستخبار يتناول: ﴿ٱنقَلَبْتُمْ﴾، وقوله: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ تعريض بهم بأنهم يضرون أنفسهم[(٣)]. إن قيل: كيف تعلق قوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بما قبله؟ قيل: إن ذلك قضية حُذِفَ بعضُها، تقديرها: ومن أحسن يجزه الله، فإنه سيجزي الشاكرين[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(٥)]. اللام في قوله: ﴿وَمَا كَانَ

---

(١) أشار إلى هذا المعنى القشيري. وانظر: لطائف الإشارات (١/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب «مرض النبي ﷺ ووفاته» رقم (٤٤٥٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٢)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٢٨)، وليس في هذه المصادر أنه ﷺ تلا الآية.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٥٢)، تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ٧٥).

(٤) قال البقاعي: فالآية من الاحتباك: أثبت الانقلاب وعدم الضر أولاً دليلًا على حذف ضده ثانياً. والجزاء ثانياً دليلًا على حذف مثله أولاً. نظم الدرر (٢/ ١٦٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

لِنَفْسٍ﴾ على سبيل نسبة الانفعال إلى المنفعل، كقولك: الموت للنفس والنسج للثوب[1]، ولما توهَّم المنافقون أن القتل غير الموت، وأن الإنسان سيجد سبيلًا إلى الخلاص منه، ولم يتصوروا تقدير الله وأن ذلك مقضي لا انفكاك منه، حتى قالوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾[2]، بين تعالى أن الموت شيء مقضي محكوم به، وهذا معنى ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[3]، فلا تأخير له، ودلَّ على ذلك بآيات الله، نحو قوله تعالى: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾[4] وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[5]، وقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾[6]

---

(١) يبدو أن المؤلف أراد أن اللام في هذه الآية للتبيين. وإن لم يُصرح بذلك. لأن مثاله يقرب من بعض الأمثلة التي أوردها النحويون للتبيين، ومنها: جدعاً له وسحقا له. وكون اللام للتبيين صرَّح به النحاس ومكي وأبو حيان. انظر: اللامات ص (١٢٩-١٣٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤١٠)، ومشكل إعراب القرآن (١٧٥)، والبحر المحيط (٣/ ٧٦)، ومغني اللبيب (٢٩١-٢٩٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ٦١.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٨.

وقوله في هذه السورة: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾[1] وعلى ذلك قول الشاعر:

.... أن الفرار لا يزيد في الأجل[2]

ولما كان أكثر الأعمال مشتبه الصور، وإنما يتميز الخبيث من الطيب بالنيات، ولهذا قال ﷺ: «**الأعمال بالنيَّات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**»[3] الخبر. والمجاهد في سبيل الله ثلاثة: إما قاصد به الآخرة غير ملتفت إلى الدنيا؛

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٢) قبله:

قد علم المتأخرون في الوهل   إذا السيوف عرِّيت من الخلل

وهو في حماسة أبي تمام (١/ ٣٤١) بدون نسبة. وفي هامشها: «ونسبت» في لباب الآداب (٢٠٧) لشبل الفزاري. وفي مجموعة المعاني (٣٦) بدون عزو.

(٣) رواه البخاري في كتاب ـ بدء الوحي ـ باب «كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١). ورواه مسلم في كتاب ـ الإمارة ـ باب «قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وأنه يدخل في الغزو وغيره من الأعمال، رقم (١٩٠٧). ورواه أبو داود في كتاب الطلاق، باب: «فيما عنى به الطلاق والنيات» رقم (٢٢٠١). والترمذي في كتاب ـ فضائل الجهاد ـ باب «ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا» رقم (٤٦٤٦). وابن ماجه في كتاب ـ الزهد ـ باب «النية» رقم (٤٢٢٧). وأحمد في المسند (١/ ٢٥)، والبيهقي في سننه (١/ ٤١، ٢١٥، ٢٩٨)، والحميدي رقم (٢٨).

وإما قاصد عرضا دنيويًّا مراعياً فيه حكم الله على ما ورد الامر في قوله: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾(١)؛ وإما قاصد عرضاً دنيويًّا غير مراعٍ فيه حكم الله على ما دل عليه قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾(٢)، فقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾(٣) فُسِّر على الوجهين: **أحدهما**: أن لفظ الثواب هٰهنا على التوسع، وإنما هو على نحو الحرث في قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(٤) ويكون المعنى على نحو ما بينه في قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾(٥). والثاني: أن الثواب هو الذي يحصل للإنسان ولا / يلحقه فيه تبعة(٦)، فالمراد به ما ذكره في قوله: [٢٤٣/أ]

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٢) سورة هود، الآية: ١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٨.

(٦) وأغلب المفسرين على القول الأول، ولم أجد من أشار إلى الثاني، لأن في الآية تعريضاً بالفريق الذي شغلته الغنائم عن حماية ظهور المسلمين. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٦٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٥)، والوسيط (١/ ٥٠٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٥)، والمحرر الوجيز =

﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «من طلب الدنيا استعفافاً عن المسألة، وسعياً على أهله، بعثه الله ووجهه كالقمر»[2]، وقوله: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3] قد تقدم الكلام فيه[4].

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5].

كأين: بمعنى كم[6]، وأصله أي دخله الكاف، والنون في

= (٣/ ٢٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٢)، والبحر المحيط (٣/ ٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٩٤).

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠)، (٨/ ٢١٥) وقال: غريب من حديث مكحول، لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٨) رقم (١٠٣٧٤، ١٠٣٧٥). ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «العيال» ص (١١١) رقم (٣٢). وقال العراقي: رواه أبو الشيخ في «الثواب»، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) انظر: ص ٤٤٨ من هذه الرسالة.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٦) ذكر ذلك في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٧)، والصاحبي ص (٢٤٨).

آخره هو التنوين، قيل: وإذا وقف يقال كأيْ على قول من قال مررت بزيدْ، وكأيّي على قول من قال بزيدي، وقال بعض النحويين: يجوز أن يُقال كأيِّن في الوقف، لأنّه لمّا تركبا صار التنوين كحرفٍ من الكلمة، كقولهم: رعملي ولعمري[1]، والرِّبيّ: قيل: التقيّ العالم المنسوب إلى الربّ، وكذلك الرّباني وغُيِّرَ في النسبة كقولهم في أمس إمْسِيٌّ، وفي الجُمَّةِ جُمّانيّ[2]، وقيل الرِّبيّون الجماعات الكثيرة، ومنه قيل للجماعة رِبَّة، ولما يُجمع فيه القِداح رِبابة[3]، والفرق بين الوهن والضعف: أن الوهن إخلالٌ يغير

(١) انظر الكلام على (كأيّن) في: الكامل (٣/ ١٢٥١، ١٢٥٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٥، ١٧٦)، والصاحبي ص (٢٤٨)، وكشف المشكلات (١/ ٢٦٣)، وشرح المفصل (٤/ ١٣٥، ١٣٦)، ومغني اللبيب ص (٢٤٦، ٢٤٧). وانظر الأوجه الجائزة في الوقف على المكسور والمضموم في: أمالي ابن الشجري والشافية (٦٣)، والمساعد (٤/ ٣٠٣). وقلب لعمري إلى رَعَمْلي هو المسمى القلب المكاني، وتعريفه: أنه جعل حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير، نحو: أيس في يَئس. وراء في رأى. انظر: المخصص (١٤/ ٢٧-٢٨)، المساعد (٤/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) انظر: المخصص (١٣/ ٢٤١)، وتاج العروس (١٥/ ٤٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٦)، والمفردات ص (٣٣٦، ٣٣٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٥٥، ٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦٥)، ، والبحر المحيط (٣/ ٧٩)، وقد مضى تفصيل القول في (الرباني) عند تفسير الآية ٧٩ من هذه السورة. انظر: ص (٢٠٢، ٢٠٣).

الإنسان، ويُضادّه الشِّدة، والضعف اختلالٌ بنقصه ويُضادّه القوى[1]، والاستكانة: الخشوعُ والتضرّعُ للمخافة[2]، وقيل: قُتِل هو فعل مسند إلى قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾، استئناف في موضع الحال، كأنه قُتل ومعه[3]، وقال الحسن: ما قُتل نبي قط في حرب[4]، وقال بعضهم ما قال الحسن؛

(١) قال العسكري: «والفرق بين الوَهْن والضعف: أن الضعف ضدّ القوة، وهو من فعل الله تعالى، كما أن القوة من فعل الله... والوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف تقول: وهن في الأمر يهن وهْنا، وهو واهن، إذا أخذ فيه أخذ الضعيف...» الفروق ص (١٢٤، ١٢٥)، وانظر: المفردات ص (٥٠٦، ٥٠٧، ٨٨٧).

(٢) قال الطبري: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ يعني وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم. جامع البيان (٧/ ٢٦٩). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٦)، والزاهر (٢/ ٢٩٧-٢٩٩)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٧٤-٣٧٥)، والمسائل الحلبيات (٥/ ١)، والوسيط (١/ ٥٠١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٨).

(٣) قال ابن زنجلة: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (وكأين من نبي قُتِل) بضم القاف وكسر التاء، أي وكم من نبي قتل قبل محمد ﷺ ومعه ربيون كثير... وقرأ الباقون ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ﴾. انظر: حجة القراءات ص (١٧٥)، والغاية ص (٢١٨)، والمبسوط ص (١٤٨)، وغاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني العطار ص (٤٥٤).

(٤) لم أجد ذلك منسوباً للحسن إلا فيما ذكره عنه السمعاني في تفسيره=

وإن صحَّ فإنّه لا ينفي أنه قُتل في غير حرب، وقيل: إن قوله: قُتل فعل لقوله ربيون أي قُتِل جماعة منهم، فلم يهن الباقون منهم[1]، ومن قرأ: قاتل فيحتمل الوجهين[2]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]، فقد جعلهم محبوبيه تعظيماً لقدرهم، وإلى معنى المحبّة أشار بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[5]، وقال ﷺ: **«الصبر خير كلّه»**[6]، وقال: **«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»**[7].

= (١/ ٣٦٤). وقد وجدته منسوباً لسعيد بن جبير ذكره عنه عبد بن حميد في تفسيره (ق ٧٣/ ٢ ـ مخطوط) عن سعيد بن جبير، قال: «ما سمعنا أن نبيًّا قط قتل في قتال»، وذكره عن سعيد بن جبير القرطبي في الجامع (٤/ ١٤٧)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٦). وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير.

(١) رجح هذا القول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٦٤، ٢٦٥) وحسَّن ابن عطية ترجيح الطبري في المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٥). وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٩)، والحجة لأبي علي (٢/ ٣٨٦-٣٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٧٢-٧٣).

(٢) انظر: الوسيط (١/ ٥٠١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة الطور، الآية: ٣٨.

(٦) لم أجده مرفوعاً، ولكن يروى من كلام الجنيد بلفظ «الصبر مفتاح كل خير» رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠١) رقم (٩٩٩٦).

(٧) روي هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً، فقد عزاه السيوطي في الجامع الصغير=

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ . . . ﴾[1] الآية، الفرق بين الذنب[2] والإسراف[3] من وجهين: **أحدهما**: أن الإسراف تجاوز الحدِّ في فعل ما يجب، والذنبُ عامٌّ فيه وفي التقصير، فإذاً كل إسرافٍ ذنبٌ، وليس كل ذنبٍ إسرافاً. **والثاني**: أن حقيقة الذنب: التقصير وترك الأمر حتى يفوت، ثم يُؤخذ بالذنب. والذنب إذن في الأصل مقابل الإسراف، وكلاهما مذمومان، **أحدهما**: من جهة التفريط. **والآخر**: من جهة الإفراط[4]. والمحمود هو

= للديلمي عن أنس، وأشار بضعفه. فيض القدير (٤/ ٢٣٤). ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي رضي الله عنه (١/ ٧١٠). ونقل المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٣٤) عن الحافظ العراقي تضعيفه بيزيد الرقاشي. وقد ضعفه أيضاً الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٥٣٥) مرفوعاً وموقوفاً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧. ونصُّ الآية: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

(٢) قال الراغب: والذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، ويستعمل في كل فعل يُستَوخَم عقباه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يسمى الذنب تبعة، اعتباراً لما يحصل من عاقبته. المفردات ص (٣٣١). وانظر: الفروق ص (٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧).

(٣) قال الطبري: وأما الإسراف فإنه الإفراط في الشيء، يقال منه: «أسرف فلان في هذا الأمر» إذا تجاوز مقداره فأفرط. جامع البيان (٧/ ٢٧٢). وانظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٤)، والمفردات ص (٤٠٧).

(٤) ظاهرهُ أن الإسراف: إفراط، وهو القريب إلى الأصل في هذا اللفظ، ولكن=

العدالة، والقصد المنفك منهما[1]، وثباتَ القدم في الأمر اللزوم[2]، وعلى هذا قوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾[3]، وكيفيّة تثبيت الأقدام، قيل بإلطاف من جهته، وقيل بإنزال الملائكة عليهم، وذلك عام في كل نُصرةٍ ينصرُ الله بها عبده من قوّة نفسه، ومما يعينه من خارج[4]. وقيل: أشار بذلك إلى سؤال الصيانة عما يحبط ما تقدم من الأعمال[5]، وهذا السؤال نحو ما رُوي

= أباعبيدة في المجاز فسر الإسراف بالتفريط. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٤).

(١) وذكر المفسرون أن الفرق بين الذنوب والإسراف في الآية: أن الذنوب هي الصغائر، والإسراف هو الذنوب العظام. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٠٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣١)، والبحر المحيط (٣/ ٨١).

(٢) قال الراغب: «الثبات ضد الزوال يقال: ثبت يثبت ثباتاً...» المفردات ص (١٧١). وانظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٦٧).

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٤.

(٤) قال العلامة نظام الدين النيسابوري: والمراد بتثبيت الأقدام: إزالة الخوف عن قلوبهم، وإماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم، والمراد بالنصر: الأمور الزائدة على القوة والعدة والشدة؛ كإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وكإحداث أحوال سماوية أو أرضية توجب انهزامهم، كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم، وإجراء سيل في مواضع وقوفهم. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٤).

(٥) قال القشيري مشيراً إلى ذلك المعنى: «تحققوا بحقائق المعنى، فخرسوا=

عن النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»[1].

والآية هي من جملة الحكاية عن الرِّبيين، وتحقيقٌ لما قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾[2] الآية، وحثٌّ على الاقتداء بمن تقدّم في أحوالهم التي وصفوا بها، وهذه الجملة من التضرّع إلى الله وهو جِماع سؤال الخيرات، فقد سألوا الله العفو عنهم فيما كان منهم من إفراطٍ وتفريط، والحراسة في أنفسهم ونصرهم على أعدائهم. / [٢٤٣/ب]

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا...﴾[3] الآية. ذكر في ثواب الآخرة الحُسن تنبيها أن ثواب الدنيا بالإضافة إليها غير مُستحسنٍ لانقطاعه[4]، ونبّه بالآية أنّ من أراد ثوابَ الدنيا لم

= عن إظهار الدعوى، ثم نطقوا بلسان الاستغفار، ووقفوا في موقف الاستحياء كما قيل:

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام!!

لطائف الإشارات (١/ ٢٩٥).

(١) تقدم تخريجه ص (٤٣٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨. ونصها: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

(٤) قال القشيري: ولما قال: ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال في الآخرة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فوجب أن يكون لثواب الآخرة مزية عن ثواب الدنيا، حيث=

يحصل له ثواب الآخرة، وأنّ من أراد الآخرة حصلت له الدنيا والآخرة معاً(١)، وعلى هذا قال ﷺ: «**مَن كانت همّته للدنيا شتت الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له؛ ومن كانت همّته الآخرة جمع الله شمله، وجعل غِناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»(٢) وهذا المعنى الذي اقتضاه الخبر ذكره ابن

= خصَّه بوصف الحسن، وتلك المزية دوامها وتمامها وثمارها، وأنها لا يشوبها ما ينافيها، ويوقع آفة فيها. لطائف الإشارات (١/ ٢٩٦). وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٨٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٩٧).

(١) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا...﴾ [آل عمران: ١٤٥]، قال: «أي من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدّره الله له، ولم يكن له في الآخرة من نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا...» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٧).

(٢) رواه الترمذي في كتاب ـ صفة القيامة ـ رقم (٢٤٦٥)، ورواه ابن ماجه في كتاب ـ الزهد ـ باب «الهم بالدنيا» رقم (٤١٠٥) وقال البوصيري في الزوائد (٣/ ٢٧١): إسناده صحيح. ورواه أحمد في المسند (٥/ ١٨٣) والطبراني في الأوسط رقم (٥٩٨٧، ٨٨٧٧)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٦٦)، والبغوي في شرح السنة رقم (٤١٤٢). والحديث أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٩، ٩٥٠).

الرومي[1] في قوله:

وتاجر الأجر لا يزال له ... أمران في كل متجرٍ تجره
أجرٌ وحمدٌ وإنمّا قصد الـ ... أجر ولكن كلاهما اعتوره[2]

وسئل سفيان بن عيينة[3]: هل يُعطى المسلم ثواب عمله في الدنيا؟ فقال: نعم، وتلا هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4]. وقوله في قصة يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾[5] الآية، ثم

---

(١) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي مولى آل منصور، شاعر زمانه مع البحتري، له النظم العجيب والتوليد الغريب، كان رأساً في الهجاء والمديح، ولد سنة ٢٢١هـ، ومات مسموماً سنة ٢٨٣هـ. انظر: الفهرست ص (٢٧١)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٣-٢٦)«، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٥).

(٢) انظر: ديوان ابن الرومي (٣/ ٩٤٢) والبيتان في «الذريعة» للراغب ص (٤١٥)، ونسبهما لابن الرومي أيضاً. ومعنى اعتوره: تداوله. انظر القاموس ص (٥٧٤).

(٣) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغيّر حفظه بآخره، وكان ربما دلّس (ط ٢) لكن عن الثقات، محدث الحرم المكي، له كتاب في التفسير وكتاب الجامع في الحديث، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وتوفي بمكة في رجب سنة ١٩٨هـ. انظر: تقريب التهذيب ص (٢٤٥)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١١٧).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٥٦. وتمامها: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾[1] الآية.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾[2] الآية. هذا هو المعنى المذكور في قوله: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم﴾[3]، لكنه لما ذكر هناك باللفظ العام وهو أهل الكتاب الواقع على مؤمنهم وكافرهم خصَّ فريقاً منهم، **فإن قيل**: لم غيّر العبارتين[4]؟ ولم كرر ذلك؟ **قيل**: إنه عرّض في الأول بالنهي، فلما بيّن أحوال المنهيّ عن طاعتهم، ونبّه على فساد طريقتهم وإرادتهم الشر بالمسلمين أعاد النهي عن طاعتهم مصرِّحًا[5]، وهذه الطريقة يسلكها الوعظةُ المهرة، فنهي الإنسان عما يهواه إذا لم يعرف قبحه إغراءٌ بفعله،

---

(١) الآية ٥٧ من سورة يوسف وتمامها: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩. ونصها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(٤) في الأصل (العبارتان)، والصواب ما أثبته.

(٥) قال البقاعي بعد أن فسرّ الآية: وذلك ناظر إلى قوله تعالى أول ما حذَّر من مكر الكفار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وموضح أن جميع هذه الآيات شديد اتصال بعضها ببعض. نظم الدرر (٢/ ١٦٥).

فحقٌّ للواعظ أن يتوصل أولاً إلى كشف قبحه، وما يعرض فيه من الفساد، ثم يُصرِّحُ بتحريمه، والنهي عنه، وقول الحسن: إنه عنى بالذين كفروا: اليهود والنصارى(١)، وقول السدّي: إنه أراد المشركين أبا سفيان وأصحابه(٢)، فكلاهما صحيح، فاللفظ عام، ومطاوعتهما تردُّ على الأعقاب وتُورث الخسران.

قولـه تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾(٣) لما تقرر في العقول: أن المولى يَعُزُّ بحسب عِزَّة مواليه، وتقرر عند المسلمين أن الله هو العزيز في الحقيقة، وأن كل عزيز فمنه وبه يَعزُّ، وقد كان نهاهم في الآية المتقدمة عن موالاة الكفار، والدخول تحت طاعتهم [بيّن](٤) أن [من

(١) لم أجد هذا القول منسوباً للحسن، وإنما وجدته منسوباً لابن جريج، وذلك فيما رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٧٧) بسنده عن ابن جريج، قال: لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم. ورواه كذلك ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٨٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٧٤) عن ابن جريج، وكذلك السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٨٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٨)، وعزاه لهما.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠.

(٤) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

كان][1] الله مولاه فهو غني عنهم فهو خير مولى وناصر، وهذا المعنى قد نبه تعالى عليه في مواضع بألفاظ كثيرة، نحو ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3]، وفي لفظة بل تلطف وتنبيه أن من المحال أن يكون من تخصص بموالاة الله، وعرف أن العزَّ منه أن يعتمد غيره أو يقصد سواه[4].

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾[5] الآية. الرعب: استرخاء القوى وتقطُّعها من الخوف[6]، ومنه:

---

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.

(٣) سورة محمد، الآية: ١١.

(٤) قال أبو حيان: (بل) لترك الكلام الأول من غير إبطال، وأخذ في كلام غيره. والمعنى: ليس الكفار أولياء فيطاعوا في شيء، بل الله مولاكم...» البحر المحيط (٣/ ٨٢)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٨) ولطائف الإشارات (١/ ٢٩٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥١. ونصُّها: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٦) ذكر ابن فارس أن مادة الرعب أصل في ثلاثة معان: الخوف والملء والقطع، وقد رد المؤلف المعنى الأول إلى الثالث؛ لأن أحدهما سبب في الآخر. وهذا من دليل حسه اللغوي المرهف. انظر: المقاييس (٢/ ٤٠٩-٤١٠).

جارية رعبوبة[١]، ورعبت السنام قطعته[٢]، وبهذا النظر قالوا: تقطَّع نياطُ قلبه، وانخلع قلبُه، وتوزَّع خاطره[٣]، والسلطان: الحجة[٤]، وقد تقدم والمثوى: إطالة الملازمة[٥]، وقوله: ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾ أي إشراكهم[٦]،

---

(١) الرعبوبة: السمينة اللينة، والرعبوبة أيضاً القطعة من السنام. انظر: المقاييس (٢/ ٤١٠)، والمحكم (٢/ ٩٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٩)، وتهذيب اللغة (٢/ ٣٦٧، ٣٦٨)، والمفردات ص (٣٥٦)، وأساس البلاغة ص (١٦٦)، واللسان (١/ ٤٢٠).

(٣) هذه عبارات يكنى بها عن شدة الفزع. والنياط: عرق معلق به القلب. والخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر. انظر: المقاييس (٥/ ٣٧٠)، والمخصص (١٢/ ١٢٦)، وتاج العروس (١١/ ١٩٤) و(٢٠/ ١٥٦).

(٤) قال الجوهري: والسلطان: الحجة والبرهان، ولا يُجمع، لأن مجراه مجرى المصدر. الصحاح (٣/ ١١٣٣) وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٩)، والمفردات ص (٤٢٠)، وأساس البلاغة ص (٢١٧)، واللسان (٧/ ٣٢١).

(٥) قال الأزهري: «الثواء طول المقام... والمثوى الموضع الذي يقام به وجمعه: المثاوي...» تهذيب اللغة (١٥/ ١٦٦). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٩)، والصحاح (٦/ ٢٢٩٦)، والمفردات ص (١٨١)، وأساس البلاغة ص (٤٩)، واللسان (١٤/ ١٢٥).

(٦) قال أبو حيان: «الباء للسبب وما مصدرية، أي بسبب إشراكهم بالله آلهة، لم ينزل بإشراكها حجة ولا برهاناً» البحر المحيط (٣/ ٨٣)، وانظر: التبيان (١/ ٣٠١).

وقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بدل من ما الأولى، لكن بمعنى المصدر، إذ لا ضمير يرجع إليه، والثاني بمعنى الذي، إذ فيما/ بعده ضمير، ويجوز أن يكون خبر ابتداء مضمر، أو [٢٤٤/أ] على تقدير: أعني شيئا لم ينزل به سلطانا، والمعنى لا يختلف(١)، ونبّه أنه لم يجعل لهم حجة فيما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٢)، ولقوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾، ولظهور حكمه، وما شوهد

---

(١) هذه الأوجه الثلاثة التي ذكرها المؤلف في إعراب (ما) الثانية لا تخلو من تكلف. ولم أجدها لغيره، والأولى أن تكون (ما) نكرة موصوفة أو اسما موصولاً في محل نصب مفعولاً به لـ«أشركوا». ولعل كثرة ورود الإشراك في القرآن محذوف المفعول به، أوحى إلى المؤلف بأن (أشركوا) فعل لازم لا يحتاج إلى مفعول. مع أن (أشرك) وردت في القرآن في مواضع مذكورا مفعولها صريحاً أو شبه صريح، منها قوله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فياء المتكلم مفعول به، وقد بقيت نون الوقاية والكسرة الدالتان عليها. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٣٢] فالهاء مفعول به. وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام: ٨١] «(ما لم): «ما»: بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة، وهي في موضع نصب بأشركتم...» التّبيان (١/ ٥١٤). وانظر في إعراب الآية: إملاء ما منّ به الرحمن ص (١٥٣)، والتبيان (١/ ٣٠١)، والدر المصون (٣/ ٤٣٥).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

من صدقه. قال ﷺ: «نُصرتُ بالرُّعبِ»[1]، وتصديق ذلك قد شوهد، فقد كان الصناديد يقصدونه عليه السلام لمكاوحته[2] أو الاغتيال عليه، فما كانوا إلا أن يُمكِّنوا أبصارهم منه فيذِّلوا، ولمشاهدة الحالة قال فيه الشاعر:

لـو لم تكـن فيـه آيـاتٌ مبينـة كانت بداهته تُغنيك عن خبر[3]

وهذا أحد دلائل للنبوات التي يعتمدها من عرف الحقائق، وليس هذا الرعب للنبي ﷺ فقط، بل لأحزابه والمقتدين به، حتى نرى من رجح عقله وحسن في قمع الشهوة حاله مهيباً.

وجعل جهنم مثوى مذموماً بالإضافة إلى الطباع، واعتبارها بكراهتها لها[4]، ....

(١) جزء من حديث رواه البخاري، كتاب ـ التيمم ـ باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا﴾ رقم (٣٣٥). ورواه مسلم في كتاب ـ المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم (٥٢١). ورواه النسائي كتاب ـ الجهاد ـ باب «وجوب الجهاد» (٦/ ٣).

(٢) قال الفيروز آبادي: كاوحه: شاتمه وجاهره، وتكاوحا: تمارسا في الشر بينهما. القاموس ص (٣٠٥).

(٣) البيت لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه، انظر: ديوانه (١٦٠)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٨٧)، والإصابة (٤/ ٧٥).

(٤) قال أبو حيان: «بالغ في ذم مثواهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي وبئس مثوى الظالمين النار، وجعل النار مأواهم ومثواهم...» البحر=

وعلى ذلك قوله: ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ. . .﴾[2] الآية.

الحسُّ: يُقال للإصابة بالحاسّة نحو عِنْتُه ويَدَيْتُه، أي أصبته بهما، ويُقال تارة لإصابة الحاسّ نحو بطنته وظهرته، أي أصبتهما[3]، ولّما كان إصابة الحاسّة قد يتولد منه فقد الروح استُعير للقتل[4]،

= المحيط (٣/ ٨٤). وفرق القرطبي بين المثوى والمأوى، فقال: «والمثوى: المكان الذي يقام فيه، يقال: ثوى يثوي ثواءً. والمأوى: كلُّ مكان يرجع إليه شيء ليلًا أو نهاراً». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢. ونصها: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٣) ذكر ذلك الراغب في المفردات ص (٢٣١، ٢٣٢). وانظر دلالة الفعل الثلاثي (فَعَل) على الإصابة في: المساعد (٢/ ٥٩٢) وماسبق في (٣٥٤). وانظر: معاني (حسّ) في: جامع البيان (٧/ ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٨)، وتهذيب اللغة (٣/ ٤٠٥-٤١٠)، والصحاح (٣/ ٩١٦-٩١٨)، وتاج العروس (١٥/ ٥٣٥-٥٤٤).

(٤) قال الطبري: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ يعني حين تقتلونهم. جامع البيان (٧/ ٢٨٧)، وفي العين: «الحس: القتل الذريع» (٣/ ١٥). وانظر: مجاز القرآن=

وإذنه هاهنا يصح أن يكون أمره، وأن يكون تسهيله وتوفيقه[١]، والفشل: ضعف النجيزة[٢]، وذلك يكون عن الحرب، وعن السخاء، بل عن تحمل المضض كله[٣]، وجعل تعالى ميلهم إلى الغنيمة فشلًا، فإن الحرص والبخل من فشل النجيزة، وسبب نزول هذه الآية فيما رُوِيَ أن النبي ﷺ كان قد وعد المؤمنين بقهر الكفار يوم أحد، ولما صفّ الصفوف جعل أُحُداً خلف ظهره، واستقبل المدينة، وجعل عَيْنَينَ وهو جبل[٤] عن يساره، ورتّب

= (١/ ١٠٤- ١٠٥). وانظر المصادر السابقة، والوسيط (١/ ٥٠٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٥)، ولسان العرب (٦/ ٥١، ٥٢)، البحر المحيط (٣/ ٨٤).

(١) قال الطبري: وأما قوله (بإذنه) فإنه يعني: بحكمي وقضائي لكم بذلك، وتسليطي إياكم عليهم. جامع البيان (٧/ ٢٨٨).

(٢) النجيزة: الجزاء، يقال: لأنجزنَّ نجيزتك أي لأجزينَّ جزاءك. انظر: تاج العروس (١٥/ ٣٤٥).

(٣) قال الراغب: الفشل: ضعف مع جبن. المفردات ص (٦٣٧). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٨٩)، وأساس البلاغة ص (٣٤١، ٣٤٢)، والنهاية (٣/ ٤٤٩)، والقاموس ص (١٣٤٦)، والبحر المحيط (٣/ ٨٤). ويقال: أمضه الأمر: إذا بلغ منه المشقة. انظر: العين (٧/ ١٧).

(٤) عينين: أكمة صغيرة بارزة، قرب جبل أحد من جهة المدينة، بينهما مجرى وادي قناة، وهو الذي قام عليه إبليس يوم أحد، فنادى: ألا إن محمداً قد قُتل. وفيه أقام رسول الله ﷺ الرماة يوم أحد. انظر: معجم =

عليه رماة خمسين، واستعمل عليهم عبدالله بن جبير[1]، وأوعز إليهم أن قوموا في مصافِّكم، فإن رأيتمونا وقد غنمنا فلا تشاركونا، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، فلما رأوا الكفار يُهزمون، اختلفوا فبادر بعضٌ إلى المعركة، ونظر خالد بن الوليد[2] إلى الجبل وكان كميناً[3] للمشركين، فكَرَّ بالخيل، فقتل من بقي من الرماة، وانتقضت صفوف المسلمين حتى كان ما كان، فقال

= ما استعجم (٣/ ٩٨٧)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص (٢٠٤).

(١) عبدالله بن جبير بن النعمان بن أميّة الأنصاري، شهد العقبة وبدراً، واستشهد بأحد، كان أمير الرماة يومئذٍ، وهو الذي نهى الرماة عن ترك أماكنهم لطلب الغنائم فخالفوه، فثبت حتى قتل رضي الله عنه، وذلك في السنة الثالثة من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣١)، والإصابة (٤/ ٣١).

(٢) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر المخزومي القرشي، من كبار الصحابة، كان من أشراف قريش في الجاهلية وقائد فرسانها، أسلم قبل فتح مكة بسنة، فكان سيفاً من سيوف الله على أعداء الدين، وكان أميراً على قتال أهل الردّة وغيرها في الفتوح. توفي رضي الله عنه في خلافة عمر سنة ٢١هـ بمدينة حمص. انظر: الإصابة (٢/ ٢١٩)، والتقريب ص (١٩١)، والتهذيب (٣/ ١٢٤).

(٣) يقال كمن فلان يكمن كمونا: إذا استخفى في مكمن لا يُفطن له. والكمين في الحرب من هذا، وهو: أن يستخفوا في مكمن بحيث لا يفطن لهم، ثم ينهضون على العدو على غفلة منهم. انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢٩٠)، والمصباح المنير (٥٤١).

قوم: إن الله قد وعدنا نصرنا، فتغيّرت قلوبهم، فبيّن تعالى أنه قد صدقكم وعده، وأخذتم تقتلونهم إلى أن اعتراكم الفشل، ووقع بينكم تنازع، فصرفكم عنهم[(1)]، وقوله: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾[(2)] قيل: الغنيمة[(3)]، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ أي نصرة النبي في ترك المكان والمبادرة إلى القتال[(4)].

---

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٣، ١٦٤)، وجامع البيان (٧/ ٢٨١-٢٨٣، ٢٨٩-٢٩١)، وأسباب النزول ص (١٢٥، ١٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(3) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٣)، والوسيط (١/ ٥٠٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٤)، ووضح البرهان (١/ ٢٦١)، وزاد المسير (١/ ٤٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٩).

(4) هذا القول لم أجد من ذكره من المفسرين، وكأن الراغب وجّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ إلى الرماة دون غيرهم من أفراد الجيش. وقد نقل النيسابوري عن الجبائي المعتزلى نحواً من هذا القول. قال الجبائي: «إن الرماة كانوا فريقين، بعضهم فارقوا المكان أولاً لطلب الغنائم، وبعضهم بقوا هناك إلى أن أحاط بهم العدو، وعلموا أنهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلًا، فلهذا السبب جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك=

وقيل: بل عنى بمن يريد الآخرة من أقام حافظاً لما استُحفظ[1]، وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾[2] قيل: صرفهم إنما [كان][3] بمنع النُّصرة وترك إنزال الملائكة عليهم والسكينة، وبإخراج ما في قلوب الذين كفروا من الرعب، فبيّن أن لم يكن صَرْفكم عنهم خذلاناً لكم، بل كان مؤاخذة لميلكم إلى الدنيا وابتلاءً لكم[4]، كما بيّنه بقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ

= الموضع إلى موضع يتحرّزون فيه عن العدو». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨١). وكلام أبي حيّان يخالف هذا، حيث قال: «وكان الرماة خمسين، ذهب منهم نيّف على أربعين للنهب وعصوا الأمر». وقال أيضاً: «لا يقال: كيف يقال: انقسموا فيمن فشل وتنازع وعصى، لأن هذه الأفعال لم تصدر من كلهم، بل من بعضهم». البحر المحيط (٣/ ٨٥).

(١) هذا قول عامة المفسرين. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وبحر العلوم (١/ ٣٠٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٨٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٤)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٧). وروح المعاني (٤/ ٨٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٣) ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٦، ٢٩٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨١)، والبحر المحيط (٣/ ٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٩)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٧).

﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1]، وذكر أنه عفا عما كان منهم من مخالفتهم النبي ﷺ، وإخلالهم بالمركز[2]، قال الحسن: عفا عنهم، إذ لم يستأصلهم، فقد قُتل منهم من قُتل، وكُسرَ رُباعيّة[3] الرسول ﷺ[4]، وقيل: ﴿عَفَا عَنكُمْ﴾ حيث عاقبكم في عاجل الدنيا، وأفضل عليكم بذلك لكونه موعظة لكم في معاودة مثله[5]، ثم بيّن أن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٨).

(٣) قال الفيروز آبادي: الرباعية: كثُمانيّة: السنّ التي بين الثنية والناب. القاموس ص (٩٢٩).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٩٨) عن الحسن قال بعد أن صفّق بيديه: وكيف عفا عنهم، وقد قتل منهم سبعون، وقتل عم رسول الله ﷺ، وكُسرت رباعيته وشُج في وجهه؟ قال: ثم يقول: قال الله عز وجل: «قد عفوت عنكم إذ عصيتموني أن لا أكون استأصلتكم». وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٩).

(٥) لم أجد هذا القول مفرداً في شيء من كتب التفسير، وهو يرجع إلى القول الأول، لأنهم عوقبوا في الدنيا بما دون الاستئصال، وفي نهاية قول الحسن موعظة وتحذير من معاودة مثل ذلك، حيث قال: هؤلاء مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، غضاب لله، يقاتلون أعداء الله، نُهوا عن شيء فضيعوه، فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم، فأفسق الفاسقين اليوم يجترم كل كبيرة ويركب كل=

الله ذو فضل في عفوه عنكم في انهزامكم وفي صرفكم عنهم، الذي صار/ سبباً لتهذيبكم وتمحيصكم، وسبباً لأن تصيروا مجاهدين [٢٤٤/ب] في المستقبل، فيعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، فكل ما هو سبب خير وإن كُره ففضلٌ[١]، واختُلفَ في جواب ﴿إِذَا﴾ فقال الفرّاء: تقديره تنازعتم، والواو مقحمة[٢]، قال: وذلك يكثر مع إذا نحو ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾[٣] وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾[٤] أي: فتحت، وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾[٥] أي ناديناه[٦]، وقال ابن بحر: ثم صرفكم جواب، وتقديره صرفكم[٧]، وقال: ودخل ﴿ثُمَّ﴾

= داهية، ويسحب عليه ثيابه، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم. انظر المصادر السابق ذكرها.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٤، ١٦٥)، وجامع البيان (٧/ ٢٩٩)، والكشاف (١/ ٤٢٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٢) عبارة الفراء: وهذه الواو معناها السقوط. انظر: معاني القرآن (١/ ٢٣٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٦) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٨).

(٧) قال الجمل: «وإذا على بابها من كونها شرطية، وفي جوابها حينئذٍ ثلاثة أوجه: أحدها: أنه (تنازعتم) قاله الفراء، وتكون الواو زائدة. والثاني: أنه (ثم صرفكم) وثم زائدة. وهذان القولان ضعيفان جدًّا. =

في الكلام، لأنه في المعنى مثل: إذا، وكأنه رد لفظ إذا لما طال الكلام، كقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[2] فأعاد لّما لّما طال، فكذلك القول في ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ وهذا القول أستطرفه، فإني أراه تصور ثُمَّ بمعنى ثَمَّ على التقدير الذي ذكره، وقال البصريون: جوابه في هذه الأمكنة كلها محذوف[3].

قوله تعالى: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4] إذ: متعلق بقوله: ﴿عَفَا﴾ وبقوله: ﴿ذُو فَضْلٍ﴾[5]، والإصعاد: الإبعاد في الأرض، سواء كان

= والثالث: وهو الصحيح أنه محذوف، واختلفت عباراتهم في تقديره. فقدره ابن عطية (انهزمتم)، وقدره الزمخشري (منعكم نصره)، وقدره أبو البقاء: (بان لكم أمركم) . . .» «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» (١/ ٣٢٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٣) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٥٤)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٠١)، والدر المصون (٣/ ٤٣٦)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٥) قال أبو حيان: «والعامل في (إذ) اذكر. محذوفة، أوعصيتم، أو تنازعتم، =

في صعودٍ أو حدورٍ، وإن كان أصله من الصعود[1] كقولهم: تعال في أنْ صار في التعارف، قد يقال لغير معنى العلو[2]، والصعود: الذهاب في صعود[3]. ولما روى قتادة والربيع: أن

= أو فشلتم، أو عفا عنكم، أو ليبتليكم، أو صرفكم، وهذان عن الزمخشري، وما قبله عن ابن عطية، والثلاثة قبله بعيدة لطول الفصل، والأول جيد، لأن ما قبل إذ جمل مستقلة، يحسن السكوت عليها، فليس لها تعلّق إعرابي بما بعدها...» البحر المحيط (٣/ ٨٩). وانظر: الكشاف (١/ ٤٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٥)، والدر المصون (٣/ ٤٣٨).

(١) قال الراغب: والصعود والحدور لمكان الصعود والانحدار، وهما بالذات واحد، وإنما يختلفان بحسب الاعتبار بمن يمر فيهما... وأما الإصعاد فقد قيل: هو الإبعاد في الأرض، سواء كان ذلك في صعودٍ أو حدورٍ، وأصله من الصعود وهو الذهاب إلى الأمكنة المرتفعة. المفردات ص (٤٨٤).

(٢) قال الراغب: «... ثم استعمل في الإبعاد وإن لم يكن فيه اعتبار الصعود، كقولهم: تعال، فإنه في الأصل دعاءٌ إلى العلو، صار أمراً بالمجيئ، سواء كان إلى أعلى أو إلى أسفل. المفردات ص (٤٨٤).

(٣) قال القرطبي: والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح والسلاليم والدرج. الجامع (٤/ ٢٣٩). وانظر: مجاز القرآن ص (١٠٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٩)، وجامع البيان (٧/ ٣٠٠، ٣٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٨، ٤٧٩)، وتهذيب اللغة (٢/ ٦- ١٠)، والمفردات ص (٤٨٣، ٤٨٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩، ١٢٠)، واللسان (٢/ ٢٥١- ٢٥٣).

من هرب من المؤمنين ذهبوا في الوادي[١]. وروى الحسن أنهم صعدوا في الجبل[٢]، وقُرئ (تُصْعِدون) اعتباراً بالرواية الأولى و (تَصعَدون) اعتباراً بالرواية الثانية[٣]، وإنمّا ذلك باعتبار علوِّ الإنسان في أمرٍ تحرَّاه، كقولك: أبعدت في كذا، وارتقيت في كذا كل مرتقى، فكأنه قيل: إذ تبعدون في استشعار الخوف،

---

(١) روى أثر قتادة الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٤) عن قتادة. وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٩) عن قتادة والربيع.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠١)، وتفسير السمرقندي (١/ ٣٠٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٥)، والكشاف (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩١).

(٣) قال ابن جرير الطبري: واختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأ عامة قرأة الحجاز والعراق والشأم سوى الحسن البصري ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ بضم التاء وكسر العين، وبه القراءة عندنا؛ لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به واستنكارهم ما خالفه. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأه (إذ تَصْعَدون) بفتح التاء والعين. جامع البيان (٧/ ٣٠٠). وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٩)، والكشاف (١/ ٤٣١)، والتفسير الكبير (٩/ ٣٣)، وزاد بعض المفسرين على الحسن: أبا رجاء العطاردي، وأبا عبدالرحمن السلمي وقتادة واليزيدي. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٨٩).

الاستمرار على الهزيمة[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾[2] تعريض بهم في الهزيمة[3]، ونحوه. تحرّاه حسان[4] بقوله:

ترك الأحبةَ أن يُقاتل دونهم ونجا برأس طِمِرَّة وثّاب[5]

(١) هذا اختيار ابن قتيبة قال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ أي تبعدون في الهزيمة. تفسير غريب القرآن ص (١١٤)، ونسبه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٣٠٨) إلى القتيبي، وهو ابن قتيبة. واقتصر عليه الواحدي في الوسيط (١/ ٥٠٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٣) قال ابن جرير: «وأما قوله: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ فإنه يعني: ولا تعطفون على أحدٍ منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض؛ هرباً من عدوكم مصعدين في الوادي». جامع البيان (٧/ ٣٠٢). وقال الراغب: اللَّيُّ: فتلُ الحبل، يقال: لويته ألويه ليًّا، ولوى يده... ويقال: فلان لا يلوي على أحد، إذا أمعن في الهزيمة. المفردات ص (٧٥٢).

(٤) **حسان** بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، يكنى أبا الوليد، وقيل: أبا الحسام، وقيل: أبا عبدالرحمن، كان ينافح بشعره عن رسول الله ﷺ حتى قال له النبي ﷺ: «**اهجهم وجبريل معك**» عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام مثلها، وتوفي وهو ابن عشرين ومائة سنة، وكان ذلك سنة ٦٠هـ وقيل توفي سنة ٥٤هـ. انظر: الإصابة (٢/ ٥٥)، وتقريب التهذيب ص (١٥٧).

(٥) البيت في ديوان حسان بن ثابت ص (٢١٥) يعيّر به الحارث بن هشام في=

وقرأ الحسن: ﴿وَلَا تَلُوُنَ﴾[1] من ولي[2]، وقال بعضهم: هو خطأ[3]. ووجهه أن ذلك تبكيت لهمْ، وأنهم لم يلو ما وُلُّو بل أخلّوا، وقوله: ﴿يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾، أي هو بين جماعة المتأخرين منكم[4]. وروي أن رسول الله ﷺ كان يناديهم: **«يا عباد الله ارجعوا»**[5]. **إن قيل**: كيف قال ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾،

= فراره يوم بدر، وفيه (ولجام) بدل (وثاب). والطمَّرة: أنثى الفرس الجواد، وقيل: هو الفرس المستعد للعدو والوثب، وقيل: هو الطويل القوائم الخفيف. انظر: اللسان (٤/ ٥٠٣).

(١) قال السمين: وقرأ الحسن: (تَلُون) بواو واحدة، وخرجوها على أنه أَبْدل الواو همزة، ثم نقل حركة الهمزة على اللام، ثم حذف الهمزة على القاعدة، فلم يبق من الكلمة إلا الفاء وهي اللام. الدر المصون (٣/ ٤٤٠). وانظر توجيه ابن عطية لهذه القراءة في: المحرر الوجيز (٣/ ٢٦٦) وردّ أبي حيان عليه في البحر المحيط (٣/ ٨٩)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٥).

(٢) ذكر السمين الحلبي هذا الوجه فقال: والثاني أن يكون (تلُون) مضارع «ولي كذا» من الولاية، وإنما عدّى بـ«على» لأنه ضمّن معنى العطف. الدر المصون (٣/ ٤٤١).

(٣) قال ابن عطية: «والقراءة الشهيرة أقوى». المحرر الوجيز (٣/ ٢٦٦).

(٤) قال أبو عبيدة: (أخراكم): آخركم. مجاز القرآن ص (١٠٥). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٢)، والوسيط (١/ ٥٠٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٠٣) عن ابن عباس وقتادة=

والإثابة تُقال في المحبوب دون المكروه؟! قيل: قد قال بعضهم: إن ذلك يستعمل في المكروه على أحد وجهين: إمّا لأن الثواب في الأصل ما يرجع إلى الإنسان من ثمرة فعله خيراً كان أو شرّاً، ولكن تعورف في الخير، فإذا استعمل في المكروه فعلى اعتبار الأصل[1]. والثاني: أن ذلك على الاستعارة، وضرب من التهكُّم في كلامهم[2]، كقوله:

.... تحيةُ بينهم ضربٌ وجيع[3]

= والسدي. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٩٠) عن الحسن، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٣، ١٥٤) إلى من تقدم وزاد نسبته إلى عبد بن حميد. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٢٩) حيث زاد نسبته للربيع، وزاد المسير (١/ ٤٧٧).

(١) قال الفراء: الإثابة هٰهنا في معنى عقاب... وقد يقول الرجل الذي قد اجترم إليك: لئن أتيتني لأثيبنك ثوابك. معناه: لأعاقبنك. معاني القرآن (١/ ٢٣٩). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٤). وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠).

(٢) قال الرازي: «.. فإن حملنا لفظ الثواب هٰهنا على أصل اللغة استقام الكلام، وإن حملناه على مقتضى العرف كان ذلك وارداً على سبيل التهكم، كما يقال: تحيتك الضرب، وعتابك السيف...» التفسير الكبير (٩/ ٣٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٦، ٢٦٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٢)، والدر المصون (٣/ ٤٤٢)، وروح المعاني (٤/ ٩٢).

(٣) هذا عجز بيت لعمرو بن معدي كرب، وتمامه:

وقال بعض المحققين: إنما ذكر لفظ الإثابة هاهنا في الغمّ، لأن غمّهم وإن كان مكروهاً بالطبع فهو ثوابٌ من الله من وجه، لأنه كان سبب تهذيب نفوسهم، الذي بيّنه تعالى بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[(١)]، وكل أمر يؤدي بالإنسان إلى أن يجعله بحيث لا يقلقه فوت مطلوب وفقد محبوب فيا له من ثواب[(٢)]، ولهذا قال حكيم: جماع الزهادة في قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[(٣)] فقوله: ﴿غَمًّا﴾ من المفسرين

= وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

والبيت من بحر الوافر، ودلفت: زحفت. ويستشهد بهذا البيت على التنويع، «وهو ادعاء أن مسمى اللفظ نوعان: متعارف وغير متعارف على طريقة التخييل بأن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلا عنه منزلته بدون تشبيه ولا استعارة» خزانة الأدب (٩/ ٢٥٨)، والبيت في ديوان الشاعر (١٣٧)، الكتاب (٢/ ٣٢٢)، والمقتضب (٢/ ٢٠)، والخصائص (١/ ٣٦٨)، شرح أبيات سيبويه للنحاس ص (١٦٣)، وللسيرافي (٢/ ١٤٢)، والخزانة الشاهد رقم (٧٣٧).

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٢) ذكر البقاعي نحواً من هذا القول، فقال: «وسماه وإن كان في صورة العقاب باسم الثواب، لأنه سبباً للسرور، حين تبين أنه ـ أي خبر قتل الرسول ﷺ ـ خبر كاذب، وأن النبيَّ ﷺ سالم، حتى كأنهم ـ كما قال بعضهم: لم تصبهم مصيبة، فهو من الدواء بالداء». نظم الدرر (٢/ ١٦٨).

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

من اعتبر الغمّين بالمسلمين وقال : / **أحدهما** : ما وصل إلى قلوبهم [١/٢٢٥أ] من الفشل . **والثاني** : الخوف[1] . وقيل : **أحدهما** : مخالفتهم للنبي ﷺ . **والثاني** : فوت الغنيمة[2] . وقيل : ما سمعوا من قتل النبي ﷺ[3] ، وقيل : إشراف أبي سفيان عليهم[4] ، والوجه : أن كل

---

(١) وكان الخوف نتيجة إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم ، ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل . قال ابن عباس رضي الله عنه : فكان غم الهزيمة ؛ وغمهم حين أتوهم . رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٩١)، وانظر : الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٩٤) .

(٢) قال البغوي : وقيل : إنهم غموا الرسول ﷺ بمخالفة أمره ، فجازاهم الله بذلك الغمّ غمَّ القتل والهزيمة . معالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، وهذا اختيار ابن جرير الطبري . انظر : جامع البيان (٧/ ٣١٣). وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٤) .

(٣) انظر : جامع البيان (٧/ ٣٠٥ ، ٣٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٩١)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٤) .

(٤) انظر : جامع البيان (٧/ ٣٠٦-٣١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٩١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٧)،=

ذلك مراد، لأنه ليس يعني بذلك غمّين، بل غموماً كثيرة متتابعة متوالية[1] كقولهم: لبّيك[2] وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3] أي نعمه متوالية[4]، ومنهم من اعتبر أحد الغمين بالمسلمين

= والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٠)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠، ٩١).

(١) ذكر ذلك الفخر الرازي في التفسير الكبير (٩/ ٣٤)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٣).

(٢) قال ابن السكيت: «أي: إلبابا بعد إلباب، أي لزوما لطاعتك بعد لزوم، يقال: ألب بالمكان ولبَّ به إذا أقام به ولزمه» إصلاح المنطق ص (١٥٨). وقال ابن الأثير: لبيك: هو من التلبية، وهي إجابة المنادي، أي إجابتي لك يا رب... ولم يُستعمل إلا على لفظ التثنية في معنى التكرير، أي إجابة بعد إجابة. النهاية (٤/ ٢٢٢). وانظر: الزاهر (١/ ١٠٣).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) خالف الراغب بذلك مذهب أهل السنة والجماعة بتأويله صفة اليدين لله تعالى إلى معنى النعمة، موافقاً بذلك الأشاعرة في تأويل الصفات. أما أهل السنة والجماعة فيثبتون لله تعالى يدين حقيقيتين لائقتين بذاته سبحانه وتعالى، لا تشبهان ما للمخلوق من جارحة؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كثيراً. قال الطبري « ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ يقول: بل يداه مبسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه، غير مغلولتين ولا مقبوضتين» جامع البيان (١٠/ ٤٥٣). وقال شارح الطحاوية: وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات، فيتسلّط بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية كاليد والوجه. ثم نقل عن أبي حنيفة أنه قال: له يدٌ ووجه ونفس كما ذكر=

والآخر بالكافرين. فقال: أنالوكم مثل ما أنلتموهم[1]، تنبيهاً على معنى قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3] أي عالم به يخبركم به[4]، تنبيهاً على ما قال: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ

= تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يُقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة. شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٦٤)، وانظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة بشرح القاري ص (٣٦، ٣٧).

(١) هذا القول محكي عن الحسن رضي الله عنه، ذكره: الماوردي في النكت (١/ ٤٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٧٩)، والقرطبي في الجامع (٤/ ٢٤٠)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٢)، وأبو حيان في البحر (٣/ ٩١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٤) قال أبو علي الفارسي: أخذ هذه الكلمة أبو إسحاق ـ الزجاج ـ من قولهم: خبرتُ الأرض، إذا شققتَها، وفلان خبير بالشيء إذا كان عالماً به. . . قال أبو علي: وهو عندنا من الخبر الذي يُسمع، لأن معنى الخبير: العالم. تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق الزجاج ص (٤٥).

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٨.

﴿طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ. . .﴾[1] الآية.

قرئ تغشى ردًّا على لفظ أمنة، ويَغْشى إلى لفظ نُعاسًا[2]، وقُرئ كلُّه على الابتداء، وكلَّه على التأكيد[3]، وقيل: السبب في نزولها أن يوم أُحُد تواعد المشركون بالرجوع، وكان المسلمون

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤. ونصُّها: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

(٢) قال ابن زنجلة: «قرأ حمزة والكسائي: (تغشى) بالتاء والإمالة ردًّا على الـ(أمنة). . . وقرأ الباقون (يغشى) بالياء إخباراً عن النعاس. حجة القراءات ص (١٧٦). وقال الأزهري: «من قرأ بالتاء فللأمنة، ومن قرأ بالياء فللنعاس وكل ذلك جائز» معاني القراءات ص (١١١). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣١٥، ٣١٦)، والمبسوط ص (١٤٨)، والغاية ص (٢١٨)، وغاية الاختصار ص (٤٥٤)، والنشر (٢/ ٢٤٢). وزادوا جميعاً خلفاً على حمزة والكسائي.

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾. قال ابن زنجلة: «قرأ أبو عمرو: (قل إن الأمر كلُّه لله) برفع اللام وقرأ الباقون بالنصب، فمن نصب فعلى توكيد «الأمر»، ومن رفع فعلى الابتداء، ولله الخبر. . .» حجة القراءات (١٧٧). والرفع أيضاً قراءة يعقوب من العشرة. وانظر: المبسوط (١٤٨)، والتلخيص (٢٣٦)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، والحجة (٢/ ٣٩١- ٣٩٢).

متهيئين للقتال، فأنزل الله تعالى على المؤمنين أَمَنَةً[1] فنام بعضهم، ونفى عن المنافقين الأمنة، فسهروا منزعجين[2]، فمن حمل النوم على الحقيقة[3] قال: جعل ذلك رأفةً بهم[4]،

---

(١) قال ابن جرير: أمنةً وهي الأمان على أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك. ثم بين جلّ ثناؤه عن (الأمنة) التي أنزلها عليهم ما هي؟ فقال: (نعاساً) بنصب النعاس على الإبدال من الأمنة. جامع البيان (٧/ ٣١٥).

(٢) قال ابن إسحاق: أنزل الله النعاس أمنة على أهل اليقين به، فهم نيام لا يخافون، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية تخوف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة. السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٦). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣١٦-٣١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٣، ٧٩٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢١).

(٣) وهذا هو الصواب الذي عليه المفسرون كافة، انظر ماسبق، وبحر العلوم (١/ ٣٠٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٠)، والوسيط (١/ ٥٠٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ٩٢، ٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٥)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٩).

(٤) في الأصل: (لهم) والصواب ما أثبته. وقال النيسابوري: وكان في ذلك النعاس فوائد: . . . ومنها: أن الأرق والسهر يوجبان الفتور والكلال، والنعاس يجدد القوة والنشاط. . . ومنها أن الأعداء كانوا حراصاً متهالكين في قتلهم، فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من أدلّ=

وتخصيص النعاس تنبيه على صيانتهم من الحالة المذمومة من الامتلاء من النوم[1]، ومنهم من جعله استعارة لطمأنينة جأشهم، وزوال خوفهم، وذلك لما ترى من حال المطمئن، ويوصف المغموم بالسهر[2]، ومنهم من تجاوز ذلك، وقال: إنّه لمّا ذكر في الأول قوله: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[3] بيّن هاهنا أنه تعالى هذّب طائفة من المؤمنين، حتى صارت نفوسهم آمنة مطمئنة تحت قضاء الله، وهذه حالة الرضى، فقد قيل: الرضى أن يكون العبد ساكنا تحت قضاء الله، مطمئناً عند كل وارد سَرَّ أم ساء[4]، وهذه الحال ادّعاها الشاعر صادقاً أو كاذباً في قوله:

= الدلائل على حفظ الله وكلاءته معهم. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٤).

(١) لأن النعاس هو الوسن وأول النوم. انظر: النهاية (٥/ ٨١).

(٢) تقدم أن قول كافة المفسرين هو حمل النوم على الحقيقة، ولم أقف على صاحب هذا القول الآخر، إلا أن النيسابوري قال: «ومن الناس من زعم أن ذكر النعاس هٰهنا كناية عن غاية الأمن، وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير ضرورة، مع أن منه إبطال الفوائد والحكم المذكورة» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٤) وهذا أيضاً يرجع إلى القول السابق، وفيه مخالفة للكافة من أهل التأويل، وصرف للألفاظ عن مدلولها بلا حاجة.

فسرَّ ولم ابتهج وساء ولم أشتكي[1]

وقوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[2] تنبيه على خبث أنفسهم، وأنها أمّارة بالسوء، وذاك أن المنافق شرير[3]، والشرير لم تتهذب نفسه وأحواله من الغضب والشهوة والحرص وسائر الرذائل، وكأن ما معه عدو يؤذيه، ولهذا لا يمكنه أن يخلو بنفسه، لأنه لا يجد شاغلًا له، وكأنه خُلِّيَ مع أُسود وأساود[4]، وقوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ تنبيه على جهلهم وعدم معرفتهم بحكمة الله ونعمته في قهر الكفار للمسلمين في بعض الأحوال، وأنها نعمة. وظنُّهم غير الحق: ظنُّهم أن النبي ﷺ لم يَصدُقهم، ويأسهم من نصرة الله تعالى[5]، وقوله: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ أي ظن

(١) لم أقف على قائل هذا البيت.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) ذكر المفسرون أن هذه الطائفة هم المنافقون الذين لا يهمهم إلا أنفسهم، انظر: جامع البيان (٧/ ٣٢٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٠٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٠)، والوسيط (١/ ٥٠٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢).

(٤) أسود: جمع أسد، وأساود: جمع أسود والأسودُ: حيّة عظيمة من أخبث الحيات وأعظمها، انظر: النهاية (٢/ ٤١٩)، والقاموس ص (٣٧١).

(٥) قال ابن جرير: يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكًّا في أمر الله، وتكذيباً لنبيّه ﷺ، ومَحْسبةً منهم أن الله خاذل=

الكفار[1]، تنبيهاً أن هؤلاء المنافقين بعدُ في حيّز الكفار، وفي قِلَّةِ معرفتهم الله بحكمة الله تعالى، وأنهم لا يعرفون الخير والنعمة إلا المال والجاه والغلبة الدنيوية، فإذا فاتهم ذلك ساء ظنُّهم، وقوله: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾، أي: هل لنا طمع في الغلبة، تنبيهاً أنهم استشعروا اليأس الذي يستشعره القوم الكافرون[2]، فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي الغلبة في الحقيقة له ولأوليائه، فإن حزب الله هم الغالبون، وقيل: عنى بالأمر الاستئمار، أي لو شُووِرنا لأشرنا بترك هذا المورد[3]، فقال الله تعالى: ﴿ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي هو أعرف

= نبيه، ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به. جامع البيان (٧/ ٣٢٠)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٥)، والبحر المحيط (٣/ ٩٤).

(١) قال ابن جرير: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ يعني أهل الشرك (٧/ ٣٢١). وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٠٩)، والوسيط (١/ ٥٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٥).

(٢) قال الواحدي: هذا استفهام معناه الجحد، أي ليس لنا من النصر والظفر شيء كما وعدنا، بل هو للمشركين، يقولون ذلك على جهة التكذيب. الوسيط (١/ ٥٠٧). وانظر: تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (١/ ٣٠٩).

(٣) قال النيسابوري: يعنون رأي عبدالله بن أُبي، وأن النبيّ ﷺ لم يقبل قوله=

بالتدبير[1]، وقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ معناه لولا أنا أكرهنا لما خرجنا[2]، وفصلَ بين الحكايتين/ [٢٤٥/ب] عنهم، أعني ﴿هَل لَّنَا﴾ وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ بجملتين: **إحداهما**: جواب لهم، وهي قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾. **والثانية**: تنبيه على ما في ضمائرهم، وهي قوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾، ولمّا فصل بينهما أُعيد في الحكاية عنهم لفظ ﴿يَقُولُونَ﴾ لئلا تشتبه الحكاية عنهم بما هو إخبار منه تعالى[3]، ....

= حين أمره أن يسكن في المدينة ولا يخرج منها، ونظيره ما حكي عنه ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨]. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٥). وانظر: التفسير الكبير (٩/ ٣٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

(١) قال البيضاوي: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي الغلبة الحقيقية لله تعالى ولأوليائه، فإن حزب الله هم الغالبون، أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض. أنوار التنزيل (١/ ١٨٥). وانظر: زاد المسير (١/ ٤٨١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٠٧).

(٢) ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أنهم قالوا ذلك سرًّا. تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٥). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧١)، وزاد المسير (١/ ٤٨١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٧)، والبحر المحيط (٣/ ٥٠٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

(٣) قال البيضاوي: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي في أنفسهم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، وهو بدل من (يخفون)، أو استئناف على وجه البيان له. أنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

وقال بعض المعتزلة(١) : عنى بقوله : ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ أنه كقوله : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾(٢) وهذا إن كان كما قاله هذا القائل ، فقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ تصديقٌ لهم ، وقوله : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ ﴾(٣) تكذيب لهم ، وأنه محالٌ أن لا يُقتلوا مع أن قتلهم بذلك المكان جارٍ في قضائه وتقديره(٤) ، وقد حُمِلَ ذلك على وجهين : إما أنّ من قُدِّر له القتل لو لم يخرج لأتاه القتل ، وهو في مضجعه في داره(٥) ،

---

(١) المعتزلة : فرقة كلامية سميت بذلك لاعتزالهم قول الأئمة ، وادعائهم أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر ، وكان هذا الرأي قد صدر عن واصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري ، فطرده الحسن ، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة ، فقيل له ولأتباعه «معتزلة» . انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٢٠ ، ٢١ ، ١١٤ ، ١١٥) . والتبصير في الدين للإسفراييني ص (٦٣-٦٥) . واعتقادات فرق المشركين والمسلمين للرازي ص (٢٧-٢٩) . والبرهان للسكسكي ص (٤٩-٥١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ .

(٤) قال ابن عطية : الآية ردٌّ على الأقوال ، وإعلام بأن أجل كلّ امرئ إنما هو واحد ، فمن لم يقتل فهو يموت لذلك الأجل على الوجه الذي قدَّر الله تعالى . المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٢) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٣) ، النكت والعيون (١/ ٤٣١) ، والوسيط (١/ ٥٠٨) ، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٩) ، وتفسير=

والثاني: أنه لو كنتم أيها المؤمنون قعدتم في بيوتكم، ولم تخرجوا للمحاربة لخرج من قُدِّر له القتل بسبب خفي إلى مضاجعهم في الحرب أي مصارعهم فيُقتلون[١]، تنبيهاً أن قضاء الله وتقديره وعلمه لا يتغير، وأنه لا ينفع حذرٌ من قدر، وإلى هذا أشار الشاعر بقوله:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجةٌ أو تطرب[٢]

وقال الأصمّ معناه: لو كنتم أيها المنافقون في بيوتكم، ولم تخرجوا لبرز المسلمون الذين كتب عليهم أي أوجب أن يقاتلوا محتسبين[٣]، ويكون هذا ثناء من الله تعالى على من[٤] استُشهد. إن قيل: ما حقيقة الابتلاء والفصل بينه وبين المحص؟ قيل: الابتلاء

= غرائب القرآن (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٩٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٦)، ونظم الدرر (٢/ ١٧٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٠٢)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٧).

(١) وجه كافة المفسرين الخطاب في الآية إلى المنافقين، ولم أجد من ذكر أن الخطاب موجه إلى المؤمنين، كما ذكر الراغب في هذا الوجه.

(٢) البيت لأبي الشيص الخزاعي، انظر ديوانه ص (٣١).

(٣) انظر هذا الوجه في: النكت والعيون (١/ ٤٣١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٢)، والتفسير الكبير (٩/ ٤١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٩٧).

(٤) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته.

في الأصل هو ٱلاختبار، الذي يفصل به بين الخير والشر[(١)] فهو اسم الفعل مبدأ ونهاية، فمبدؤه الاختبار، ونهايته الفصل بين الخير والشر إذا استُعمل في الله تعالى، فإنّه يُراد به النهاية دون المبدأ، الذي هو التوصل إلى الفصل[(٢)]. وأما التمحيص فإزالة ما قد انفصل من الخير عن الشرّ[(٣)]. وكان المقصود به ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[(٤)]. إن قيل: على

---

(١) قال ابن منظور: «ابتلاه الله: امتحنه. . . والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاءً حسناً، وبلاءً سيئاً» لسان العرب (١٤/ ٨٤). وانظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٩٠، ٣٩١)، والصحاح (٦/ ٢٢٨٤، ٢٢٨٥)، والمفردات ص (١٤٦).

(٢) قال الراغب: «وإذا قيل ابتلىٰ فلان كذا وأبلاه، فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله، والوقوف على ما يُجهل من أمره، والثاني ظهور جودته ورداءته. . . فإذا قيل في الله تعالى: بلا كذا وأبلاه، فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله، والوقوف على ما يُجهل من أمره، إذ كان الله علّام الغيوب. . . » المفردات ص (١٤٦).

(٣) قال الأزهري: قال الليث: المحصُ: خلوصُ الشيء تقول: محصته محصاً، إذا خلّصته من كل عيب. . . والتمحيص: التطهير من الذنوب. . . والمحص في اللغة: التلخيص والتنقية. تهذيب اللغة (٤/ ٢٧١)، والصحاح (٣/ ١٠٥٦)، والمفردات ص (٧٦١)، (٧/ ٨٩، ٩٠).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٧.

ماذا عُطف قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ﴾؟ ولِمَ كرّر الابتلاء بعد أن ذكره في قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾؟ ولِمَ علّق الأول بالذات كلها، والثاني بما في الصدور؟ وما الفرق بين قوله: ما في الصدور، وبين قوله: ما في القلوب، وخصّ ما في القلوب بالتمحيص؟ قيل: أما ما عطف الابتلاء فعلى قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾، وفصل بينهما بما هو تسديد الكلام وإشباع للمعنى، وهذا جائز، وقد تقدم الكلام في نحوه، ويجوز أن يتعلق بمضمرٍ دلَّ عليه ما تقدم من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾[1]، وأما تكريره وتعليق الأول بالذات، والثاني بما في الصدور، فإن لله تعالى تكليفين: الأحكام والمكارم كما تقدم، والأحكام قبل المكارم، وجُلُّها متعلِّق بالضمائر، وعملُ الجوارح فيها قليل، فحيث

---

(١) ذكر السمين الحلبي خمسة أوجه في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ «أحدها: أنه متعلق بفعل قبله تقديره: فرض الله عليكم القتال، ولم ينصركم يوم أحد ليبتلي ما في صدوركم. وقيل: بفعل بعده أي ليبتلي فَعَل هذه الأشياء. وقيل: الواو زائدة، واللام متعلقة بما قبلها. وقيل: (وليبتلي) عطف على (ليبتلي) الأولى، وإنما كررت لطول الكلام، فعطف عليه (وليمحص) قاله ابن بحر. وقيل: هو عطف على علة محذوفة تقديره: ليقضي الله أمره وليبتلي. . .» الدر المصون (٣/ ٤٥٠، ٤٥١). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٨)، والبحر المحيط (٣/ ٩٧).

ما أراد منهم الحكم وهو الثبات في الحرب والجد بالجوارح، علّق الابتلاءَ بالجملة، وحيث ما قصد المكارم من إصلاح الضمير، من نقض الحزن ورفض الذعر ذكر الصدر، وحينما ذكر الإيمان المحض ذكر القلب، وكل موضعٍ يذكر الله في القرآن العقل، والإيمان، فإنه يخصُّ ذكر القلب، وإذا أراد[1] ذلك وسائر الفضائل والرذائل ذكر الصدور، وهذا إذا اعتُبر بالاستقراء انكشف، نحو قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3]، وقوله: ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[5]، [٢٤٦/أ] وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[6]، وقوله: ﴿فِى/ صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[7]، ولما كان التمحيص أخصَّ من الابتلاء كما تقدم خصّه بالقلب، وهذه الأحوال الثلاث يترتب بعضها على بعض، فبإصلاح العمل يُتوصل إلى إصلاح ما في الصدور

---

(١) في الأصل: (ارا) بدون دال، والصواب ما أثبته.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٧) سورة الناس، الآية: ٥.

من الشهوة والغضب، وبهما وبإصلاح ذلك يَتوصل إلى إصلاح ما في القلوب من الاعتبارات التي لا يعتريها شكّ وريب، وذلك ما يبلغه العبد، وبه يستحق اسم الخلافة لله المذكور في قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، أي عالم بجميع ما ينطوي عليه من الضمائر الطيبة والخبيثة[1]، وخصَّ الصدور دون القلب إذ هي أعم[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ..﴾[3] الآية. ....

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٢٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٧).

(٢) قال الألوسي: «... إن ذات الصدور بمعنى الأشياء التي لا تكاد تفارق الصدور لكونها حالّة فيها، بل تلازمها وتصاحبها أشمل من ذات القلوب، لصدق الأولى على الأسرار التي في القلوب وعلى القلوب أنفسها، لأن كلًّا من هذين الأمرين ملازم للصدور باعتباره حالاً فيها دون الثانية، لأنها لا تصدق إلا على الأسرار، لأنها الحالة فيها دون الصدور، فحينئذ يمكن أن يراد من ذات الصدور هذا المعنى الشامل، ويكون التعبير بها لذلك» روح المعاني (٤/ ٩٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥. ونصُّ الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

قال السدّي: هو خاصٌّ في الذين انهزموا إلى المدينة[1]. وقال عمر وبه قال الربيع وقتادة: بل في الذين ولّوا المشركين أدبارهم[2]، فيكون عامًّا فيمن أبعد ومن لم يبعد، وبيّن أن الشيطان استزلهم بخطيئة كانت منهم، قال الزجاج: إنما أذكرهم خطايا سلفت لهم، فكرهوا أن يُقتلوا قبل أن يتوبوا[3]، وقيل: بل كان منهم خطيئة صارت مسهلة لسبيل الشيطان إليهم[4]، فإن الإنسان إذا حصّن ثغره بالعمل الصالح والعلم فقد سدَّ طريق الشيطان على

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسير جامع البيان (٧/ ٣٢٨، ٣٢٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣١).

(٢) قول عمر بن الخطاب رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٢٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٧) وعزاه لابن جرير. وقول الربيع رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٢٨)، وقول قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٢٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٧) وعزاه لابن جرير وعبد بن حميد. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٣١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨١) وعبارة الزجاج: «وإنما أذكرهم الشيطان خطايا كانت لهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها».

(٤) قال النيسابوري: المعنى أنه كان قد صدر عنهم جنايات، فبواسطة تلك الجنايات، قدر الشيطان على استزلالهم في التولي. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٨)، وانظر: الكشاف (١/ ٤٣٠)، والبحر المحيط (٣/ ٩٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٠٣)، وروح المعاني (٤/ ٩٨).

نفسه، ومتى اهمل ثغره سَهَل سبيل عدوِّه إليه، وجعل له ثلمة[1] يدخل منها عليه، وذلك بأن يُفسد إرادته، وبيّن أنه تعالى عفا عنهم، وقيل: ذلك بحلمه[2] عن تعجيل عقوبتهم[3]، وقيل: بل بالغفران عنهم عاجلًا وآجلًا، وهو الصحيح، لأنه جعل علة عفوه الأمرين، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾[5] الآية.

---

(١) ثُلمة: الثُّلمة بالضم: فرجة المكسور والمهدوم. القاموس ص (١٤٠٢).

(٢) تصحفت في الأصل إلى (بحمله) والصواب ما أثبته.

(٣) ذكره ابن عطية عن ابن جريج. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٤)، واختاره السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٣١٠).

(٤) قال أبو حيان: «الجمهور على أن معنى العفو هنا هو حطُّ التبعات في الدنيا والآخرة... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي غفور الذنوب، حليم لا يعاجل بالعقوبة، وجاءت هذه الجملة كالتعليل لعفوه تعالى عن هؤلاء الذين تولوا يوم أحد...» البحر المحيط (٣/ ٩٩) وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦. ونصُّها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الذين كفروا عام[(١)]، وإن كان قد قال السدّي: عُني به عبدالله بن أُبيّ وأصحابه[(٢)]، والضرب في الأرض: الإبعاد في السفر[(٣)]، وغُزًّى: جمع غازٍ، نحو شُهّد وقُوّل في شاهد وقائل[(٤)]، وإخوانهم: من سلك طريقهم في الكفر والنفاق[(٥)]، والحسرة:

---

(١) وبذلك فسرها الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٣٠)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٦)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٩٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٩٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٨) وعزاه إليهما. وانظر: البحر المحيط (٣/ ٩٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: العين (٧/ ٣٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٦)، وتفسير غريب القرآن (١١٤)، والمنتخب (١/ ٢٨).

(٤) انظر: العين (٤/ ٤٣٤)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٢٦)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٦)، وتفسير غريب القرآن (١١٤)، وغريب القرآن للسجستاني (٣٥٤).

(٥) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٣٠)، وبحر العلوم (١/ ٣١٠)، والوسيط (١/ ٥١١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٦). «وذكر ابن عطية وأبو حيان أن المراد بالأخوة هنا هي أخوة النسب، ذلك لأن قتلى أحد كانوا من الأنصار وأكثرهم من الخزرج، ولم يكن فيهم من المهاجرين إلا أربعة...» انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٥)، والبحر المحيط (٣/ ٩٩).

الغمّ على ما فات، وأصلها الإعياء عن إدراك المطلوب، وسُمّي الغمُّ بذلك: إذ لا يفيد الإعياء[1]، وعلى هذا قيل:

.... إن ليتاً وإن لوًّا عناء[2]

إن قيل: إذا كان الإخوان هم المقول لهم، فالوجه أن يُقال: لو كنتم، لأنه يُقال: قلت لزيد: لو فعلت كذا، ولا تقول فَعَلَ وأنت تعنيه، قيل معناه: قال بعضهم لبعض لأجل إخوانهم[3]، أو يعني قالوا لبعض إخوانهم إذا ضرب بعضهم في الأرض لو كان الضاربون في الأرض عندنا. وتقدير الكلام: إذا ضربوا في الأرض فماتوا أو كانوا غُزًّى فقتلوا: لو ظَلُّوا[4] عندنا لما حدث

(١) انظر: العين (٣/ ١٣٣-١٣٤)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٧)، وغريب القرآن للسجستاني (١٨٦، ١٩٧، ٢١٢، ٤١٩).

(٢) هذا عجز بيت لأبي زيد الطائي، وتمامه:

ليت شعري وأين مني ليت إن ليتا وإن لوًّا عناء

والبيت من بحر الخفيف. هو في ديوان الشاعر (٢٤، ٥٧٨)، والجمهرة (١/ ١٢٢)، والمفردات (٧٥٠)، ومجمع البلاغة (٢/ ٦٧٦)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٥٣٨).

(٣) وتكون اللام على هذا الوجه هي التي تبين المفعول لأجله الفعل. انظر: اللامات (١٥٠-١٥٣)، وشرح التسهيل لابن مالك (٣/ ١٤٤).

(٤) تصحفت في الأصل إلى (حصلوا)، والصواب ما أثبته.

ذلك بهم[1]، وبيّن الله تعالى أن ذلك لا يثمر لهم إلا حسرة في قلوبهم مع العلم بأن الله هو المحي والمميت، وعلى نحوه قال أبو ذؤيب:

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت ... نُشيبة والطرّ أو يكذب قيلُها
ولو أنني استودعته الشمس لارتقت ... إليه المنايا عينُها أو رسولها[2]

إن قيل: لِمَ قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ ولو علّق ذلك بالسماع لكان أليق، لأن ما كان منهم قول مسموع لا فعل مرئي؟ قيل: لما كان قول الكافرين ذلك قصداً منهم إلى عمل يجادلونهم خصَّ البصر، كقولك لمن يقول شيئاً وهو يقصد به فعلًا يحاوله: أنا أرى ما يفعله[3]، إن قيل: إذا للمستقبل، وقد جُعِل ظرفاً لقوله قالوا، ولا يجوز أن يقول: جئتك إذا زرتني، فما وجه ذلك؟ قيل: إذا متى لم يُقصد به وقت معين، كان متضمّناً للشرط، فيكون الفعل الذي هو في تقدير جوابه بمعنى/ [٢٤٦/ب]

---

(١) ذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٩٩). وانظر: الكشاف (١/ ٤٣٠)، والدر المصون (٣/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٢) هذان بيتان من بحر الطويل من قصيدة لأبي ذؤيب يرثي بها ابنه (نشيبة). انظر: ديوان الهذليين (١/ ٣٣).

(٣) قال الألوسي: «وما يعلمون عام متناول لقولهم المذكور، ولمنشئه الذي هو اعتقادهم، ولما ترتب على ذلك من الأعمال، ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع. . .» روح المعاني (٤/ ١٠٤).

الاستقبال، وكأنه قيل: إن ضربتم في الأرض، أو كلما ضربتم[1] قالوا، واللام: ﴿ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ﴾ لام العاقبة[2].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ . . . ﴾[3] الآية.

يقال: مِت ومُت، والضم أقيس، والكسر كثير[4]، والآيتان

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٣-٢٤٤)، والأضداد ص (١٢١)، والمسائل البصريات (٢/ ٨٩٠)، الجنى الداني ص (٣٧٠)، وجامع البيان (٧/ ٣٣٣- ٣٣٥)، وقد ذهب الفراء والطبري إلى ما ذهب إليه المؤلف. ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٥)، وفيه توجيه آخر وهو أن (إذا) «ينوي عما مضى من الزمان وما يستقبل جميعاً. . . ولم يقل هنا: إذْ ضربوا في الأرض؛ لأنه يريد: شأنهم هذا أبداً. . . » والتبيان (١/ ٣٠٤) وفيه توجيهان آخران: أحدهما أن (إذا) تراد بها الحكاية، والثاني: أن يكون (كفروا) و(قالوا) فعلين ماضيين أريد بهما الاستقبال.

(٢) وتُسمى لام الصيرورة ولام المآل، ويؤتي بها لبيان ما يؤول إليه الأمر. انظر: اللامات (١٢٥)، والجنى الداني (٩٨، ١٢١)، وشرحه التسهيل لابن مالك (٣/ ١٣٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٠، ١٠١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٠٣، ١٠٤).

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨ ونصهما: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

(٤) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم برواية شعبة ويعقوب (مُتُّم) بضم الميم في كل القرآن. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف (مِتُّم)=

تضمنتا إلزاماً[1] هو جار مجرى قياسين شرطيين[2] اقتضيا الحرص

= بكسرها في القرآن كذلك. وقرأ حفص عن عاصم في هذين الموضعين من هذه السورة (أو مُتم)، (ولئِن مُتُّم) بضم الميم، وباقي المواضع بالكسر، وقال أبو منصور الأزهري: «القراءة العالية، واللغة الفصيحة: (مُتّ) و(مُتْنا) ومن العرب من يقول: مات يمات. ومثله: دمت أدوم، ودِمْتُ أدام، والقراءة بكسر الميم من (مِتُّ) فاشية وإن كان الضم أفشى» معاني القراءات ص (١١٢)، وحجة من ضم الميم أنه من مات يموت على مثال فَعَل يَفْعُل، مثل قال يقول ودام يَدوم، فكما يقال: قلت ودمت بضم الحرف الأول ولا يكسر كذلك ينبغي ضم الميم من (مُتّمْ)، ولهم حجة أخرى وهي أن القرّاء اتفقوا على ضم الفعل في المضارع فقرؤوا: ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ «ولو كان على اللغة الأخرى يقال: (تماتون)، و(يوم أمات)» وحجة من كسر الميم أنه يقال: مِتَّ تموت ودِمْتَ تدوم (فَعِل يَفْعُل) مثل فَضِل يَفْضُل. وأيضاً يجوز أن يقال: إنها من مِتَّ تمات مثل سَمِع يسمع، إلا أنه لم يجئ يمات في المستقبل. على عادة العرب في استعمال بعض الكلمات بلفظ وعدم قياس ما تصرف منها عليه. مثل: (رأى) همزوه في الماضي وتركوا همزه في المضارع. انظر: المبسوط (١٤٨)، والحجة (٢/ ٣٩٣-٣٩٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة (١٧٨-١٧٩)، والتلخيص (٢٣٦)، والنشر (٢/ ٢٤٤ - ٢٢٥).

(١) لعله يقصد التلازم عند المنطقيين الذي هو امتناع الانفكاك عن الشيء. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٣٠٤).

(٢) القياس عند المناطقة قسمان: استثنائي واقتراني، والاقتراني قسمان: =

على القتل في سبيل الله، وبيانه ما أقول: إن قُتلتم في سبيل الله أو متم فيه حصلت لكم المغفرة والرحمة تنبيهاً أنه أوجبهما للثواب، ولمّا عنى في الثانية الموت المطلق والقتل العارض قدم أبينهما عندهم إذ لا بد منه، فكأنه قيل: إن حصل ما لا بد منه بوجه وهو الموت حتف الأنف، أو ما هو عارض، وعندكم أنه قد يكون منه خلاص، وهو القتل، فالحشر لا محالة حاصل(١).

قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ... ﴾(٢) الآية.

= حملي وشرطي، والقياس الاقتراني الشرطي: هو المركب من القضايا الحملية البسيطة، والقضية الحملية هي التي لا يكون فيها المحمول والمحمول عليه قضيتين عند التحليل. أي عند حذف ما يدل على العلاقة بينهما. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١١٩٢، ١٢٣٦).

(١) انظر البحر المحيط (٣/ ١٠٣). وقد نقل أبو حيّان هذه الفقرة بكاملها، ونسبها إلى الراغب مع زيادة مهمّة توضح المعنى، فقال: «إن قتلتم في سبيل الله أو متمّ فيه حصلت لكم المغفرة والرحمة، وهما خيرٌ مما تجمعون، فإذن الموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون، ولئن متم أو قتلتم فالحشر لكم حاصل، وإذا كان الموت والقتل لابد منه والحشر، فنتيجة ذلك أن القتل والموت اللذين يوجبان المغفرة والرحمة خير من القتل والموت الذين لا يوجبانهما».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩. ونصها: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.

قال النحويون (ما) زائدة[1]، وعلى هذا ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾[3]، وأفاد التأكيد[4]، ووجه تأكيده أنه نكرة تدل على إبهام ما عُلِّق به، وإبهامه يقتضي التعجب، فكأنه بعظيم من رحمته ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ واللّين عبارة عن حسن الخلق، وحسن الكلام بالصفو والزلال[5]، حتى قال الشاعر:

---

(١) قال الزجاج: «ما بإجماع النحويين هٰهنا صلة لا تمنع الباء من عملها فيما عملت. المعنى: فبرحمة من الله لنت لهم. معاني القرآن (١/ ٤٨٢). وانظر: كتاب سيبويه (٣/ ٧٦)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٤، ٢٤٥)، وجامع البيان (٧/ ٣٤٠، ٣٤١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤١٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٨)، والتبيان (١/ ٣٠٥)، والدر المصون (٣/ ٤٦١).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٤) ذكر إفادة (ما) التأكيد الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٨٢)، وقال الجمل: قوله: «ما زائدة» أي فاصلة غير كافة للتأكيد، أي فبرحمة عظيمة، ونظيره: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾... والعرب قد تزيد في الكلام للتأكيد ما يستغنى عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] فزاد أن للتأكيد». الفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٩). وانظر البحر المحيط (٣/ ١٠٣، ١٠٤)، والدر المصون (٣/ ٤٦١).

(٥) قال الجوهري: اللين ضدُّ الخشونة، وقومٌ لَيْنون وألْيناء... واللَّيان=

.... فتى مثل صفو الماء ليس بباخل[1]

استعمل في ضدِّه الفظاظة[2]. وغلظ القلب: عبارة عن قلة الرحمة. وبإزائه رقّة القلب[3]، والانفضاض: التفرق[4]، وانفضَّ وارفضَّ يتقاربان إلا أن انفضَّ اعتباراً بانكسار بعضهم عن بعض، وارفضَّ اعتباراً[5] برفض بعضهم بعضاً، والمشاورة: استخراج صائب الرأي عن الغير، واشتقاقه من شور العسل[6]، وشرت الدابة وشورتها[7]، ....

= بالفتح: المصدر من اللين... واللِّيان بالكسر: الملاينة والملاطفة... وتليَّن: تملَّق. الصحاح (٦/ ٢١٩٨)، وانظر: المفردات ص (٧٥٢)، واللسان (١٣/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(١) لم أجده.

(٢) **الفظاظة**: سواء الخلق. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٢)، وقال السمين الحلبي: والفظاظة: الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلًا، الدر المصون (٣/ ٤٦٢).

(٣) قال الراغب: الغلظة ضد الرقة. المفردات ص (٦١٢) وقال السمين: والغلْظُ: تكثير الأجزاء، ثم تجوَّز به في عدم الشفقة وكثرة القسوة في القلب. الدر المصون (٣/ ٤٦٢)، وانظر الفتوحات الإلهية (١/ ٣٣٠).

(٤) قال أبو عبيدة: «.. أي تفرقوا على كل وجه». انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٧).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٥، ٤٤).

(٦) وهو استخراجه من موضعه. انظر: الأفعال لابن القوطية ص (٧٦)، والمفردات ص (٤٧).

(٧) أي جعلتها تركض. انظر: العين (٦/ ٢٨١)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٥٤١).

والعزم: ثبات الرأي على الأمر[١]، نحو إجماع الرأي[٢]، والتوكل على الله الثقة به والوقوف حيثما وقف[٣]، وبين أدنى منزلة له نحو ما قاله للأعرابي «**اعقله وتوكل**»[٤] وبين غايته التي هي كحال إبراهيم عليه السلام بون بعيد، ونبّه بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ على نعمته على النبي ﷺ أولاً وعلى أمّته ثانياً، كقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٥] الآية، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٦] وأمره بالعفو عن تقصيرهم فيما يلزمهم له، وأن يستغفر لهم من ذلك، كقوله:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٥٢).

(٢) أي العزيمة على الأمر. انظر: تهذيب اللغة (١/ ٣٩٦).

(٣) قال الأزهري: «المتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فاطمأن قلبه على ذلك، ولم يتوكل على غيره». انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٧١).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ذكر الأخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب والاحتراز بالأعضاء. (٢/ ١٥٠) رقم (٧٣١). ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٣٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣). وقال الذهبي: سنده جيد. وقال العراقي: سنده جيد. انظر: هامش إحياء علوم الدين للغزالي بتخريج الحافظ العراقي (٤/ ٢٧٩).

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[1] ثم أمره بإجراء نفسه مجرى أحدهم في الرأي الذي هو خاصّ بالإنسان، ثم قال: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[2] أي وإن قاربتم هذه المقاربة فليكن اعتمادك على الله، وتقويتك به، كما قال النبي ﷺ: «**من سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله**»[3]، واختُلِفَ في مشاورة النبي لأصحابه على أي وجه، فقال سفيان بن عيينة: ليقتدي به غيره[4]، وقال قتادة: تطييباً لقلوبهم[5]، ويجب أن نقدّم مقدمة تبيّن في أي أمر أولاً تدخل الاستشارة؟ ثم من استشار غيره فلأي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التوكل» رقم (١٠)، وعزاه السيوطي إليه في الجامع الصغير رقم (٨٧٤٢) ورمز بتحسينه. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٥٦٣٩).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٤٥). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٣)، والأحكام السلطانية ص (٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٨).

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٣)، والأحكام السلطانية (٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٨) ونسبه لقتادة والربيع. والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٩)، وعزاه للطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر، وانظر: مجمع البلاغة (١/ ٧٤).

قصدٍ يستشير؟ فيقال: أمّا ما يُستشار فيه فهو الأمور الممكنات المتعلقة باختيار الفاعل، وأما القصد بالاستشارة فتارة لاستضاءة المُستشِير برأي المُستشَار، أو لئلا يُلام إذا استبدَّ بالأمر، فيتفق وقوعه بخلاف المراد، ولهذا قيل: الاستشارة حصنٌ من الندامة، وأمنٌ من الملامة، وتارةً طلباً لهداية المستشار، إمّا لأن يتبين له خطأ رأيه إن كان له رأيٌ خطأٌ في ذلك الأمر، وإمّا أن لا يعتقد هو [٢٤٧/أ] أو غيره أن الاستبداد فضيلةٌ فيستبد برأيه فيما ربما يؤدّي إلى / فساد: إما لإكرامه أو[١] تعظيمه، فإذا تقرر هذا فأمور النبي ﷺ لا تنفكّ: إما أن تكون شيئاً دينيًّا أو دنيويًّا، فإن كان دينيًّا فمعلوم أن النبي ﷺ غير محتاج إلى الاستضاءة برأي غيره من البشر، لما أمدّه الله تعالى به من النور الإلٰهي، وما كان يستشيرهم في أصول الشريعة، لكن ربما كان يستشيرهم في شيء من فروعها، التي هي من مسائل الاجتهاد[٢] لنا، نحو ما رُوي أن النبي ﷺ استشار

---

(١) في الأصل (و)، والسياق يقتضي ما أثبته.

(٢) قال الجصّاص: «ولابد أن تكون مشاورة النبي ﷺ أياهم فيما لا نصّ فيه، إذ غير جائز أن يشاورهم في المنصوصات، ولا يقول لهم: في الظهر والعصر والزكاة، وصيام رمضان، ولمّا لم يخصّ الله تعالى أمر الدين من أمور الدنيا في أمره ﷺ بالمشاورة، وجب أن يكون ذلك فيهما جميعاً. . .» أحكام القرآن (٢/ ٤١).

اصحابه في شعارٍ يرفع للصلاة[1]، ومثل ذلك تشريف لهم أولاً، وتنبيه أن ما سبيله الاجتهاد فحقُّه الاستعانة فيه بالآراء الكثيرة الصحيحة، لينقدح منها الصواب[2]، وأمّا ما كان من الأمور الدنيوية كالمساحة والكتابة والحساب، فمعلوم أنه كان مستغنياً بغيره في كثير منها، بل قد صرّح في ذلك بقصوره[3] فيما رُوي أنه

---

(١) يشير إلى حديث ابن عمر في بدء الأذان، أخرجه البخاري في كتاب ـ الأذان ـ باب «بدء الأذان» رقم (٦٠٤). ورواه مسلم في كتاب ـ الصلاة ـ باب «بدء الأذان» رقم (٣٧٧). ورواه الترمذي في كتاب ـ الصلاة ـ باب «ما جاء في بدء الأذان» رقم (١٩٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. ورواه النسائي في كتاب ـ الأذان ـ باب «بدء الأذان» (٢/ ٢)، وفي الكبرى رقم (١٥٠٧) وابن ماجه رقم (٧٠٧) كتاب الأذان، ورواه أحمد في المسند (٢/ ١٤٨)، وأبو عوانه (١/ ٣٢٦)، وابن خزيمة رقم (٣٦١).

(٢) انظر ما ذكره الجصّاص في فوائد الاستشارة: أحكام القرآن (٢/ ٤١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٠٤).

(٣) الأولى عدم استخدام هذه اللفظة في حق النبي ﷺ، لأنها تحتمل عدة معان ذكرها الراغب نفسه في المفردات ص (٦٧٣) قال: «وقصَّر في كذا أي توانى، وقصّر عنه: لم ينلْه، وأقصر عنه: كف مع القدرة عليه. . . » وأحسن من ذلك ما قاله الجصاص: «لم يكن للنبي ﷺ تدبير في أمر دنياه ومعاشه يحتاج فيه إلى مشاورة غيره؛ لاقتصاره ﷺ من الدنيا على القوت والكفاف الذي لا فضل فيه». أحكام القرآن (٢/ ٤١، ٤٢).

عليه السلام لما ورد المدينة ووجد أهلها يؤبِّرون[(١)] نخلهم، فقال: «ما أرى أن ذلك ينفع» فتركوه، فتبين ذلك في نقصِ أثمارهم فشاوروه فقال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم، وأنا أعلم بأمور آخرتكم**»[(٢)]، وعلى هذا ما كان يتعلّق بأمور الحرب المتعلقة بتهييجها تارة وتسكينها تارة، وبالمنِّ فيها تارة وبالافتداء تارة، ولذلك لما همَّ بمصالحة عُيينة بن حصن[(٣)] على ثلث ثمار المدينة، قال بعضهم: أبوحي هذا أم برأي رأيته؟ قال: «**برأي رأيته**» فراجعوه وبينوا له موضع الصواب، وترك رأيه لرأيهم[(٤)]،

---

(١) يؤبِّرون: يلقّحون: المصباح المنير ص (٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب ـ الفضائل ـ باب «وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ في معايش الدنيا» رقم (٢٣٦٣) دون قوله: «**وأنا أعلم بأمر آخرتكم**» من حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما. وروى ابن ماجه حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ مقارب، كتاب ـ الرهون ـ باب «تلقيح النخل» رقم (٢٤٧١).

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن ثعلبة بن فزارة الفزاري أبو مالك، أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح وحنيناً والطائف، كان من المؤلفة قلوبهم، ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام، كان فيه جفاء أهل البادية وغلظتهم، توفي في خلافة عثمان بن عفان. انظر: أسد الغابة (٤/١٦٦)، والإصابة (٤/ ٦٣٨).

(٤) خبر عيينة بن حصن رواه ابن إسحاق معلقاً كما في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣١٠، ٣١١)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٧٣) مرسلًا، =

وكذا مراجعة عمر له بما همَّ به من كتاب القضية عام الحديبية[1]، فثبت أن ما يتعلق بالأمور الدنيوية حال الرسول عليه السلام وغيره فيه سواء، والمشاورة مستحبة له كما هي مستحبة لغيره[2].

قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3] أكثر المفسرين جعلوا نصرة الله للعبد في الحقيقة تقويته بأعظم السلطانين الذي هو الحجّة القاهرة وأعظم التمكينين الذي هو العاقبة المذكورة في قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] وفي أشرف الدارين حيث لا

= والبزار كما في كشف الأستار (٢/ ١٣١، ١٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٣٠، ٤٣١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٣٦): ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

(١) قصة صلح الحديبية أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب ـ الشروط ـ باب «الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط» رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).
والحديبية: بضم الحاء وفتح الدال، وياء ساكنة موضع بينه وبين مكة مسافة مرحلة، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٤٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٤٠-٤١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٠، ٢٨١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٩-٢٥٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

ينفع مال ولا بنون. فقالوا: معناه: إن حصل لكم النصرة فلا تعتدُّوا ما يعرض من العوارض الدنيوية في بعض الأحوال غَلَبة، وإن خذلكم في ذلك فلا تعتدّوا ما يحصل لكم من القهر في الدنيا نصرة، فالنصرة والخذلان معتبران بالمآل[١]. ومنهم من اعتبر ذلك في أمر الدنيا، فقال: معناه: إن نصركم الله في الدنيا بموافقتكم النبي ﷺ فلا غالب لكم، وإن لم ينصركم فلا ناصر[٢] لكم[٣]. وحَمْله على الأول يدخل فيه الثاني، فإن من نُصِر في آخرته فهو في الدنيا منصور، وإن لم يدرك نصرته إلا بالبصيرة دون البصر، وحمله على الثاني قد ينفك من نصرة الآخرة، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤] أمرهم بالتوكل عليه، كما أمر النبي ﷺ في الآية الأولى[٥]، وأن يستجلبوا النصرة منه بذلك.

---

(١) ذكر أبو حيان كلام الراغب هذا، واختصره، ولم ينسبه إليه. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٦).

(٢) تصحّفت في الأصل إلى (فالناصر). والصواب ما أثبته.

(٣) وهذا اختيار الطبري، وهو ما حكاه عن ابن إسحاق، وظاهر كلام المفسرين يدل على هذا القول، لأنهم ربطوا ذلك بما حصل يوم بدر وأحد. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٤٧، ٣٤٨)، والوسيط (١/ ٥١٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٥)، والكشاف (١/ ٤٣٢، ٤٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٧)، وروح المعاني (٤/ ١٠٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٥) يشير إلى قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ . . . ﴾[1] الآية.

الغلول: تناول مال الغير بضرب من المكيدة، وكثر استعماله في الغنيمة[2]، وسبب نزول ذلك، قال ابن عباس: هو أن فُقِد قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل النبي ﷺ أخذها[3]، وقال الضحاك: هو عتاب لمن استُحفظوا الثنيّة[4] يوم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١. ونصّها: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٤)، والمغرب ص (٣٤٣)، وطلبة الطلبة ص (١٨٧)، وفي الأخير تفسير الغلول بالخيانة في المغنم خاصة وقال الراغب في المفردات: «وأغلّ أي صار ذا إغلال أي خيانة، وغلّ يغلّ: إذا خان» انظر: المفردات ص (٦١٠)، وقال الفيروز آبادي: «وغلّ غلو لاً خان كأغلّ أو خاص بالفيء» انظر: القاموس المحيط مادة «غلّ» ص (١٣٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحروف والقراءات، رقم (٣٩٧١)، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب (٤) ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠٠٩)، والطبري في جامع البيان (٧/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠٣). وأبو يعلى في المسند رقم (٢٦٥١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار رقم (٥٦٠٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٤٢). وقال الترمذي: حسن غريب. وانظر صحيح الترمذي للشيخ للألباني رحمه الله (٢٤٠٧).

(٤) الثنيّة من الأرض كالمرتفع، والثنية في الجبل كالعقبة فيه، وقيل: هو الطريق العالي فيه. انظر: مجمل اللغة ص (١١٠)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٢٢٦).

[٢٤٧/ ب]أحد، حيث قال بعضهم: ربما يقول النبي ﷺ: «من/ تناول شيئاً فهو له» فَنَبقى بلا غنيمة[(١)]، فعلى هذا يكون هذا القول ثناء عليه ﷺ، وقال بعضهم: بل ذلك حثٌّ للنبي على التعفف، وإن كان معلوماً أنه لا يغُلُّ[(٢)]، كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[(٣)] ومن قرأ يُغَلّ[(٤)] فقد قيل: نهي للناس أن ينسبوا ذلك إلى النبي

---

(١) روى الطبري قول الضحاك ولفظه: عن الضحاك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يقول: ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة، لكن يعدل ويأخذ في ذلك بأمر الله عز وجل، ويحكم فيه بما أنزل الله. جامع البيان (٧/ ٣٥١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠٣). وأما القول الذي ذكره الراغب فقد ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٢٦) ونسبه للكلبي ومقاتل. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٠)، والنيسابوري في غرائب القرآن (٢/ ٣٠٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٠٦)، ونسبه ابن عطية للنقاش في البحر المحيط (٣/ ٢٨٤).

(٢) ذكر الطبري أن هذا المعنى على قراءة من قرأ (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين. قال: فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك: ما ينبغي لنبيّ أن يكون غالاً، بمعنى أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أممهم. ثم روى هذا المعنى عن السدي ومجاهد، واختاره. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٢-٣٥٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٩٩).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، ويعقوب برواية روح وزيدٍ (أن يَغُلّ)=

ﷺ من قولهم: أغللت فلاناً[1]. كقولهم: آكذبته، وقرأ رجل بحضرة ابن عباس يُغَل فقال: بلى ويُقَتل. فكأنه حمله على الخبر، ولم يرتض قراءته[2]، وقال الحسن: نَهْي أن يَخُونوه[3]، فإن قيل: فلم خصّه والخيانة معه ومع غيره مذمومة؟ قيل: قد قال بعض الناس: إن تخصيصه تعظيم له، فإن الخيانة وإن كانت مستقبحة مع كل أحد، فمع من يُرشح لهداية الناس أقبح[4]،

= بفتح الياء وضم الغين. وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب برواية دويس (أن يُغَلّ) بضم الياء وفتح الغين. انظر: المبسوط ص (١٤٩)، والغاية ص (٢١٩)، والتلخيص ص (٢٣٧).

(١) أي نسبت إليه الغلول والكذب. انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٥٠٥)، والحجة لأبي علي (٢/ ٣٩٦)، وقال الماوردي: وأما قراءة من قرأ (ويُغَلّ) بضم الياء وفتح الغين ففيها قولان: أحدهما: يعني وما كان لنبي أن يتهمه أصحابه ويخوّنوه...» النكت والعيون (١/ ٤٣٣)، وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٥٤، ٢٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٨).

(٢) القارئ هو ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٦).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٥٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٢) وعزاه للطبري وابن المنذر وسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

(٤) قال النيسابوري: وفي تخصيصه بهذه الحرمة، والخيانة محرمة على الإطلاق=

وقال بعض الناس: إن ذلك في الحقيقة نهي عن الخيانة رأساً في كل ما أتى به النبي ﷺ من الأحكام، كقوله: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[1]. وقال بعض الناس: قراءة من قرأ: يُغَلَّ أولى[2]، لأن كل ما جاء في التنزيل من هذا النحو فمسندٌ إلى الفاعل دون المفعول، نحو ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[4] وقوله: ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ تعظيم للغلول، وأنه لا انفكاك له من جزائه، فكأنّ ما قد غلّه يَصْحبُه، وعلى هذا ما قال النبي ﷺ: «**لا أعرفنَّ رجلًا يأتي بفرسٍ له حَمْحَمة**»[5]، وعلى هذا ما قاله ﷺ: «**لا أعرفن رجلًا يأتي ببعير**

= فوائد منها: أن المجنيَّ عليه كلما كان أجلّ منصباً كانت الخيانة في حقه أفحش، ومنها أنه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي، فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا، ومنها أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر، فكانت تلك الخيانة وقتئذ أقبح. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٩٩، ٣٠٠)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٥)، والتفسير الكبير (٩/ ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٥٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٦).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٥) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب «الغلول» رقم (٣٠٧٣)، ومسلم في=

قد غلّه له رغاء»[1]، وعلى هذا ما حُكِي عن لقمان[2]: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾[3] وقد تقدم الكلام في باقي الآية[4].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[5] ....

= كتاب الإمارة، باب «غلظ تحريم الغلول» رقم (١٨٣١)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣٦). والحَمْحَمة: صوت الفرس دون الصهيل. انظر: النهاية (١/ ٤٣٦).

(١) هذا جزء من الحديث السابق. والرغاء: صوت البعير يقال: رغا البعير والضبع والنعامُ رُغاءً بالضم: صوّتت فضجّت. القاموس ص (١٦٦٣).

(٢) هو لقمان الحكيم المذكور في القرآن، والذي حملت إحدى سور القرآن اسمه. قيل: كان عبداً حبشيًا لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالاً، وكان في زمن داود عليه السلام. وقيل: كان حرًا واسمه لقمان بن باعوراء، ذكر بعض أهل العلم أنه كان نبيًا. قال ابن كثير: «والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولم يكن نبيًا» البداية والنهاية (٢/ ١١٤). وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٨١).

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٤) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، انظر: تفسير الراغب (ق ١٩٢ ـ مخطوط).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٢.

قَرِئ: رُضوان[1]، وهما مصدران نحو: كفران وحسبان[2]، وهو غاية الرضا[3]، وباء بكذا رجع به، ومنه البَوَاء في القصاص، إذا كان فيه مرجوع فيمن قتل[4]، والسخط: حصول غضب يقتضي عقوبة، وإذا استعمل في الله فبمعنى إيجابه العقوبة[5] والغيظ

---

(١) قرأ عاصم وحده برواية أبي بكر (رُضوان) بضم الراء في جميع القرآن إلا في سورة المائدة فإنه قرأ بالكسرة. وحجته أنه فرق بين الاسم والمصدر، وذلك أن اسم خازن الجنة (رِضوان) كما جاء في الحديث. و(رُضوان) مصدر (رضي يرضى رضىً ورضواناً). وقرأ الباقون بالكسر، وحجتهم أن ذلك لغتان معروفتان، يقال: (رضي يرضى رضىً ومرضاةً ورِضواناً ورُضواناً) والمصادر تأتي على فُعلان وفِعلان. انظر: حجة القراءات ص (١٥٧)، والمبسوط ص (١٤١)، والغاية ص (٢٠٩)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٦).

(٣) قال الراغب: «والرضوان: الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خُصّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى». انظر: المفردات ص (٣٥٦)، وتاج العروس (١٩/ ٤٦٣).

(٤) قال ابن فارس: «الباء والواو والهمزة أصلان: أحدهما: الرجوع إلى الشيء، والثاني: تساوي الشيئين.. ومن الثاني قول العرب: إن فلانا لبواء لفلان إن قتل به كان كفؤا». انظر: معجم مقاييس اللغة ص (١٦٠) بتصرف يسير. والمفردات ص (١٥٨).

(٥) قال أبو هلال: «والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير، يقال: =

يقاربه، الا أنه يُقال إذا كان معه تغيّر منكر، ولا يُوصف به الله[1]، والفرق بين المصير والمرجع: أن الرجوع هو انقلاب الشيء إلى حال كان عليها، أو ما هو مُقدّر تقديرها، والمصير: التنقُّل من حال إلى حال أخرى، فهو أعمُّ من الرجوع[2]، والقصد بالآية تبعيد ما بين الفريقين[3] كقوله: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[5]

= سخط الأمير على الحاجب. ولا يقال: سخط الحاجب على الأمير». انظر: الفروق ص (١٤١)، والمفردات ص (٤٠٢).

(١) قال أبو هلال: «والغيظ يقرب من الغمّ». انظر: الفروق ص (١٤١)، والمفردات ص (٦١٩).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ص (٤٤٣)، (٥٨٣)، وقال الكفوي: المرجع: الرجوع إلى الموضع الذي كان فيه. والمصير: هو الرجوع إلى الموضع الذي لم يكن فيه. انظر: الكليات ص (٨٧١). المفردات ص (٣٤٢، ٤٩٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠١)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٠).

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

قيل: هي صفة لمن اتبع رضوانه[1]، وبيّن أنه كما أن من باء بسخطٍ من الله مأواه جهنم، فمن اتبع رضوانه هم ذوو درجات عند الله أي ثواب كبير، والصحيح أنه قسّم الناس في الأولى قسمين: فائزاً برضوانه وبائياً بسخطه، وبيّن في هذه أن القسمين كل واحد بين البعض والبعض تفاوت[2]، وذاك أن الناس إذا اعتبروا فمن بين ملكٍ مقرب، كما قال: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[3]، وبين أخسّ بهيمة، كما قال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾[4]، وما بينهما بحيث لا يمكننا حصره، ولذلك قيل في المثل:

---

(١) وهذا القول منقول عن مجاهد والسدي وابن جبير وأبي صالح ومقاتل، والمعنى أن من اتبع رضوان الله له منازل عند الله كريمة. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٦٧)، والوسيط (١/ ٥١٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٧٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٨)، وغرائب القرآن (٢/ ٣٠٢).

(٢) وهذا قول ابن عباس وابن إسحاق والحسن والكلبي واختاره الطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٦٧)، والوسيط (١/ ٥١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٥)، ومعاني التنزيل (٢/ ١٢٩)، (٤/ ٢٦٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٠).

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

الناس أخيافٌ[1] وشتّى في الشيم وكلُّهـم يجمعهـم بيتُ الأدم[2]

ولتفاوت درجاتهم وتفاوت ثوابهمْ وعقابهم ما روي أن الجنة درجات والنار دركات[3]، ونبّه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[4]، أنه لا يخفى عليه ما يتحرّاه كل واحد، فإذن

---

(١) أخياف: أي مختلفون. انظر: مختار الصحاح ص (١٩٥).

(٢) هذا الرجز في عيون الأخبار (٢/ ٤)، وهو من شواهد اللسان مادة «أدم» (١٢/ ١٣). وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨).

(٣) يدلّ على درجات الجنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله**» أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب «درجات المجاهدين في سبيل الله» رقم (٢٧٩٠)، وروى أبو هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام**» أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب «ما جاء في صفة درجات الجنة» رقم (٢٥٢٩)، ورواه أحمد (٢/ ٣٣٥، ٢٩٢)، والحاكم (١/ ٨٠) وقال الترمذي: حسن صحيح. وأما دركات النار فيدل عليها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا**﴾ [النساء، ١٤٥] وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغه**» أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب «أهون أهل النار عذاباً» رقم (٢١٢). وفي حديث العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نعم! وجدته في غمراتٍ من النار، فأخرجته إلى ضحضاحٍ**». رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب «شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب» رقم (٢٠٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

يقف كلٌّ موقفَه الذي يستحقه.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾[1] الآية.

[٢٤٨/أ] المِنَّة: / استكبار النعمة بالفعل أو بالقول[2]، فأما بالفعل فحسن، وأما بالقول فما لم يكن فيه وعظٌ ممن له الوعظ فمستقبح[3]، ولذلك قيل: المنّة تهدم الصنيعة[4]، وقوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤. ونصُّها: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

(٢) قال الخليل: «المن: الإحسان الذي تمن به على من لا يستثنيه، المنة الاسم». انظر: العين (٨/ ٣٧٤). ونقل الأزهري عن الزجاج قال: جملة المنّ في اللغة: ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب... ومن صفات الله تعالى المنان، ومعناه: المعطي ابتداءً، ولله المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه... والمنة: العطية. تهذيب اللغة (١٥/ ٤٧٠، ٤٧١) وانظر: مجمل اللغة ص (٦٥٠)، والمفردات ص (٧٧٧، ٧٧٨)، والقاموس (١٥٩٤).

(٣) فصّل الراغب مراده بهذا التقسم في المفردات، فقال: والمنة: النعمة الثقيلة. ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان، إذا أثقله بالنعمة... وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة. المفردات ص (٧٧٧).

(٤) انظر: أمثال أبي عبيد ص (٦٦)، مجمع الأمثال (٢/ ٢٨٧)، والمستقصى=

﴿ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(١)، وقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾(٢) قيل: عنى من أهل بيتهم ومن العرب(٣)، وقال بعضهم: ليس هذا بسائغ، إذ لم يُخصّ أهل بيته به ولا العرب خاصة، بل هو مبعوث إلى العالمين، فالوجه في قوله: ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي من البشر(٤)، وذاك أن كل ما أوجده الله في هذا العالم لا يأخذ نفعه إلا مما بينه وبين المأخوذ منه ملاءمة ما، وذلك حكم مستمرٌ في كل شيء، فلما كان كذلك جعل الله تعالى الأنبياء المبعوثين إلى كافة البشر بشراً مثلهم في الخلقة والصورة، وخصّهم بفضل قوة التميز والمعرفة، يأخذون من ملائكته وحْيَهُ، ويولونهم، ولولا كونهم من جنسهم لما قدروا على أخذهم

= (١/ ٣٥٠)، والمفردات ص (٧٧٧).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) انظر: بحر العلوم (١/ ٣١٣)، والوسيط (١/ ٥١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٥، ٣٧٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٩)، والكشاف (١/ ٤٣٥)، وغرائب القرآن (٢/ ٣٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٩).

(٤) انظر: بحر العلوم (١/ ٣١٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٣)، وغرائب القرآن (٢/ ٣٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٠).

منهم، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[1]، فبيّن تعالى نعمته عليهم أن رشح لهم من سَهُل تناولهم منه، وقوله: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ لم يعن تلاوة آيات القرآن فقط، بل عنى بذلك[2] تنبيههم على آيات الله في السمٰوات والأرض، وفي أنفسهم[3]، ولهذا حَسُنَ عطف قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عليه، وقد تقدم الفصل بين الكتاب والحكمة[4]، ومعنى التزكية[5].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ...﴾[6] الآية.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٢) في الأصل: (ذلك)، والصواب ما أثبته.

(٣) أغلب المفسرين على أن المراد تلاوة آيات القرآن، ولم يذكروا غيرها. قال الطبري: أي يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله. جامع البيان (٧/ ٣٦٩)، وقال ابن عطية: والآيات في هذه الآية يحتمل أن يراد بها القرآن، ويحتمل أن يراد بها العلامات، والأول أظهر. المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨)، وقال القرطبي: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ ومعناه يقرأ، والتلاوة: القراءة. الجامع (٤/ ٢٦٤). وقال ابن كثير: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني القرآن. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١).

(٤) انظر: تفسير الراغب للآية ١٢٩ من سورة البقرة (ق ٩٨ ـ مخطوط).

(٥) انظر: تفسير الراغب للآية ١٥١ من سورة البقرة (ق ١٠٨ ـ مخطوط).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥. ونصُّها: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ=

دخل ألف الاستفهام على واو العطف[1] ليفيد مع الاستفهام تعلق ما[2] بعده بما قبله، وكذلك إذا قلت: أوَ كانَ كما تقول؟ إذا أردت بناء كلامك على كلام المخاطب[3]، وكان المسلمون قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، فلمّا كان يوم أحد، وقُتل جماعة من المسلمين تغيّر قلوب قوم، فخاطبهم الله بذلك، وعنى أنكم أنكرتم أن نالكم منهم شطر ما نالهم منكم، وأخذتم تقولون: أنَّى نالنا ذلك؟! فأجابهم الله بأن ذلك من عند أنفسكم، فإن الله وعدكم أن ينصركم بشريطة أن تصبروا وتتقوا،

= أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) ذكر الزجاج أن الواو هنا هي واو النسق. انظر: معاني القرآن (١/ ٤٨٧)، ورجح الأكثرون أنها واو العطف، كما حكاه الراغب. قال ابن عطية: والواو في قوله: (أولما) عطف جملة على جملة. المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨). وقال القرطبي: الألف للاستفهام والواو للعطف. الجامع (٤/ ٢٦٤) وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١١)، والدر المصون (٣/ ٤٧٣).

(٢) تصحفت (ما) في الأصل إلى (بما)، والصواب ما أثبته.

(٣) قال الأخفش: «فهذه الألف ألف الاستفهام، دخلت على واو العطف، كأنه قال: صنعتم كذا وكذا ولمّا أصبتكم. ثم أدخل على الواو ألف الاستفهام». انظر: معاني القرآن (١/ ٢٢٠)، وذكر ابن هشام: «أن همزة الاستفهام إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيهاً على أصالتها في التصدير». انظر: المغني ص (٢٢).

فخالفتم[1]، وقد قيل: مخالفتهم أنهم دُعُوا إلى التحصُّن بالمدينة فأبوا إلا[2] الخروج[3]، وقيل لاختيارهم الفداء يوم بدر[4]، وقيل لمخالفة الرماة[5]، والأولى أن يكون عامّاً في جميعها، وهو

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧١)، وبحر العلوم (١/ ٣١٣)، والوسيط (١/ ٥١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٦). ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥).

(٢) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته.

(٣) وهذا مروي عن قتادة والربيع بن أنس والحسن وابن جريج، انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٢، ٣٧٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥)، وحكاه أبو حيان عن الجمهور (٣/ ١١٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١).

(٤) وهذا مروي عن عبيدة السلماني وعمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٥، ٣٧٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والوسيط (١/ ٥١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ١١٢)، ورجَّحه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٠١).

(٥) انظر: بحر العلوم (١/ ٣١٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والوسيط (١/ ٥١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ١١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١).

إشارة إلى ما فصّله قبل بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1] الآية، إن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عقب هذه الآية؟ قيل: نبّه بذلك أن لم يصبكم ما أصابكم لوهن في دينكم أو ضعف في قدرة الله، فكأنّه قيل: هو من عند أنفسكم، لا من خلل دخل في أمره، فإن الله على كل شيء قدير، ومن كان هذه حاله فهو قادر على دفاعهم[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3] الآية.

دخول الفاء في قوله: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لتضمّن الذي[4] معنى الشرط[5]، كأنّه قيل: إن أصابتكم مصيبة فإصابتها بإذن الله،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٢) ذكر أبو حيان نفس المعنى في البحر المحيط (٣/ ١١٢) ولم ينسبه للراغب.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٦، ١٦٧. ونصُّهما: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢٠).

(٥) قال السمين الحلبي: «ودخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط». الدر المصون (٣/ ٤٧٤)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥). والفتوحات الإلهية (١/ ٣٣٣) وانظر تفصيل أحكام دخول الفاء في خبر المتبدأ وجواب الشرط في: تسهيل الفوائد (١/ ٢٣٦)، وشرحه لابن مالك (١/ ٣٢٨).

وقد أصابتكم، فإذاً كان بإذن الله[1]، وأصل الإذن العلم بالشيء من أذنت له، أي استمعت إليه فعلمته[2]، ثم يُقال في التعارف لمن لا يمنع من فعل شيء مع العلم به، والقدرة عليه على منعه، سواء أمر به أو لم يأمر: فعل كذا بإذنه[3]، فإذا حُمل على العلم فنحو قوله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾[4] وإذا حُمِلَ على الأمر فليس يعني أنه أمر الكفار بذلك، وإنما عنى أنه أمر الملائكة المذكورين في قوله: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا﴾[5] **إن قيل**: وإذا

---

(١) قال ابن عطية: «... فيحسن دخول الفاء إذا كان القيام سبب الإعطاء، وكذلك ترتيب الآية فالمعنى إنما هو: وما أذن الله فيه فهو الذي أصاب...» المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٠).

(٢) قال ابن فارس: أذن له: إذا استمع... وآذنتك بالشيء أعلمتُكَه، وأذنت لك فيه. مجمل اللغة ص (٤٩).

(٣) وهذا ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة في أن كل شيء يحدث في العالم إنما هو بقضاء الله وقدره، سواء أكان مما يحبه الله أو مما يبغضه، ولذلك فسّر إماما التفسير ابن جرير الطبري وابن كثير الإذن في الآية بالقضاء والقدر أي المشيئة. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١). وفي المعنى اللغوي انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٦)، والصحاح (٥/ ٢٠٦٨)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٦٧).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٥) سورة النازعات، الآية: ٥. والصحيح أن الإذن في الآية هو الإذن الكوني، وهو يرجع إلى مشيئة الله تعالى وقضائه وقدره. قال ابن أبي العز: =

حُمِلَ على الأمر فليس يعني العلم، فكيف يصح وقد قال بعده: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] قيل: ليعلم المؤمنين أي ليحصل إيمان المؤمنين، وقد تقدم حقيقة/ ذلك[2]، ثم بيّن تعالى ما كان من ذنوبهم، [٢٤٨/ ب] فقال: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾[3] أي استعملوا النفاق في أعمالهم.

ولمّا قيل لهم إمّا أن تحاربوا أو تحضروا مكثّرين للسواد دافعين عن الحوزة[4]، قالوا مجيبين بما حكي عنهم، وقول السدّي: ادفعوا بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا[5]، وقول غيره: رابطوا

= «فإن قيل: كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه، وكيف يشاؤه ويكوّنه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبغضه وكراهته؟ قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقاً، وتباينت طرقهم وأقوالهم. ثم قسّم رحمه الله المراد إلى نوعين: مراد لنفسه، ومراد لغيره. فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده. . . فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمرٍ هو أحبّ إليه من فوته» شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٢٨). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٨٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٦.

(٢) انظر: تفسير الآية: ١٤٢، والآية: ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٤) الحوزة: الناحية، وبيضة الملك. انظر القاموس ص (٦٥٥).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٨٠)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٥) ونسبه للسدي، وابن جريج، وابن الجوزي في=

بالقيام على الجبل إن لم تقاتلوا[1]، وقول غيرهما: احضروا موضع الحرب[2]. ليست بأقوال مختلفة في المعنى، كما قدره بعض النَقَلَة، وإلا ذلك اختلاف عبارات وتعيين أمثلة لمقصد واحد، وحمل بعض الصوفية ذلك على الجهاد فيَقول: معناه إما أن تبلغوا منازل الصديقين في مجاهدة وإماتة الشهوات أو ادفعوها عن

= زاد المسير، وزاد ابن عباس، والحسن، وعكرمة، والضحاك. وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٠٢) وزاد أبا صالح. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ١١٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٨١) عن أبي عون الأنصاري. قال ابن عطية: «وهذا قريب من الأول، ولا محالة أن المرابط مدافع، لأنه لولا مكان المرابطين في الثغور لجاءها العدو». المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٠). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ١١٤).

(٢) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٠)، والقرطبي في الجامع (٤/ ٢٦٦) أن بعض المفسرين ذهبوا إلى أن قول عبدالله بن عمرو بن حرام: أو ادفعوا إنما هو استدعاء القتال حميّة، لأنه دعاهم إلى القتال في سبيل الله، وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، فلما رأى أنهم ليسوا أهل ذلك عرض عليهم الوجه الذي يحشمهم ويبعث الأنفة أي: أو قاتلوا دفاعاً عن الحوزة. انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٥)، والبحر المحيط (٣/ ١١٤).

ارتكاب المحارم، وزُمُّوها[1] عن احتقاب المآثم[2] إن لم تقدروا على الأول، ثم عيّرهم بقولهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾[3]، أي لو صادفنا من أنفسنا منكراً لا ارتسمنا ما رسمتم، تنبيهاً أنه خفي عليهم عيوب أنفسهم[4]، وقوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ تنبيه على نفاقهم؛ وذاك أن المنافق كأنه بين الكافر والمؤمن، فإنه من حيث ما يُظهر الشهادتين، ويلتزم ظواهر الشريعة بالقول، وظواهر الأعمال محكوم له بالإيمان، ومن حيث يتحرى في اعتقاده تحري الكفار كافر، وبين أحوال المنافقين تفاوت، بيّن تعالى بهذا القول أنهم في هذا القول بالكفار أشبه منهم بالمسلمين[5]،

---

(١) زموها: أي شدوها. انظر القاموس ص (١٤٤٤). والمعنى هنا: امنعوها.

(٢) قال ابن فارس: «... ومنه: احتقب فلان الإثم، كأنه جمعه». مجمل اللغة ص (١٧٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٤) مرادهم: أننا لو نعلم أن ما أنتم مقدمون عليه يصح أن يسمى قتالاً لوافقناكم عليه ولخرجنا معكم، ولكنكم تلقون بأيديكم إلى التهلكة. انظر: الوسيط (١/ ٥١٨)، والكشاف (١/ ٤٣٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٥).

(٥) قال السمعاني: «﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ يعني بعد رجوعهم ومقالتهم تلك؛ لأنهم كانوا من قبل من المؤمنين في الظاهر وإن كانوا منافقين في الباطن، فلما فارقوا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٧)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٩)، والوسيط (١/ ٥١٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٥)، =

وأقرب: قيل: هو من القُرب[١] وقيل: من القَرَب من الماءِ[٢]، ثم بيّن تعالى علّة قربهم من الكفر، فقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، تنبيهاً أن الاعتبار في الإيمان المستحق به الثواب بالنيات والضمائر، لا بالأقوال المجردة عن الاعتقاد، ولهذا شهد للمنافقين في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[٣] بالكذب، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٤]، وحكم لمن تلفظ بالكفر من غير مطابقة الاعتقاد[٥] له بالإيمان، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٦]، ثم حذّرهم عن اعتقاد غير الحق بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[٧]، كقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ

= والبحر المحيط (٣/ ١١٥).

(١) قال ابن عطية: وذهب جمهور المفسرين إلى أن قوله (أقرب) مأخوذ من القرب ضد البعد. المحرر الوجيز (٣/ ٢٩١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٧٧).

(٢) القَرَب في الماء: أي الطلب في الماء. ومنه القارب: طالب الماء. وهذا القول حكاه النقاش عن بعض المفسرين. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٩١)، والبحر المحيط (٣/ ١١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٧٨).

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٥) في الأصل (الاعتماد) والصواب ما أثبته.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[2] وقوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[3]، وهذه الآية كالشرح لما أجمله في الأولى، حيث قال: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾[5] الآية.

هذه الآية من تمام صفة المنافقين عبدالله بن أُبّي وأصحابه، قالوا: إن قتلى أُحُد لو أطاعونا في التأخُّر عن القتال ولزموا بيوتهم ما قُتلوا، وإعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾: إما نصبٌ على البدل من الذين نافقوا، أو[6] رفع على خبر الابتداء المضمر، أو[7] بدل من الضمير في ﴿يَكۡتُمُونَ﴾[8]. إن قيل: لم أخر ذكر القعود عن القول

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨. ونصها: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

(٦) تصحفت: (أو) في الأصل إلى (و)، والصواب ما أثبته.

(٧) في الأصل: (لو)، والصواب ما أثبته.

(٨) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٨١، ٣٨٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ =

مع كونه مُقدّماً في المعنى؟ قيل: إن قوله: ﴿وَقَعَدُواْ﴾ في تقدير الحال، أي قالوا وهم قاعدون[1]، كقولك: خرج زيد وقد ركب، ويكون ركوبه قبل الخروج، وقد أكذبهم الله في ذلك بقوله: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾[2] وكأنه قال: القتل ضرب من الموت، فإن كان لكم سبيل إلى دفعه عن أنفسكم بفعل اختياري فادفعوا عنها الموت، وإذ لم يمكنكم ذلك دلّ أنكم مبطلون في دعواكم[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ

= ٤١٨)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٨)، وإملاء ما منَّ به الرحمن ص (١٥٧)، والبحر المحيط (٣/ ١١٦)، والدر المصون (٣/ ٤٧٩).

(١) أجاز أبو البقاء كون الواو حالية وأن تكون عاطفة لقعدوا على: قالوا. انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ص (١٥٧)، وقال السمين الحلبي: قوله: (وقعدوا) يجوز في هذه الجملة وجهان أحدهما: أن تكون حالية من فاعل (قالوا) و(قد) مرادةٌ أي: وقد قعدوا... والثاني: أنها معطوفة على الصلة، فتكون معترضة بين (قالوا) ومعمولها وهو: (لو أطاعونا) الدر المصون (٣/ ٤٧٩). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١٦)، وروح المعاني (٤/ ١٣٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٣) انظر: جامع البيان (٤/ ٢٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٦)، والبحر المحيط (٣/ ١١٧)، وروح المعاني (٤/ ١٣٠، ١٣١).

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1] الآية.

روي عن ابن عباس والحسن أن النبي ﷺ قال: «لما أُصيب إخوانكم بأُحُدٍ جعل الله أرواحهم في/ أجواف طيرٍ خُضرٍ ترِدُ أنهار [٢٤٩/أ] الجنّة، وتأكل من أثمارها، وتأوي إلى قناديل معلّقة في ظلّ العرش، فلما وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يُبلِّغُ إخواننا عنّا: أنّا أحياءٌ في الجنّة، نُرزق، كي لا ينكلوا[2] عن الحرب؟ فقال تعالى: أنا أبلّغهم عنكم، فأنزل هذه الآية»[3]، فدل ذلك أن الأرواح أحياء تُثاب وتُعاقب قبل أن تُعاد إلى الأجسام يوم القيامة، وعلى هذا قال في صفة آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[4]، ودلّ عطف قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩. ونصُّها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

(٢) ينكلوا: يجبنوا ويتأخروا. انظر: المصباح المنير ص (٢٣٩).

(٣) حديث ابن عباس رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٨٥)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٨٧/ ٢)، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب «فضل الشهادة» رقم (٢٥٢٠). والإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٠٤). وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٢٣) وذكر تصحيح الحاكم لإسناده. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٨) وعزاه إلى ما تقدم وزاد: هناداً وعبد بن حميد، وأما حديث الحسن فلم أجده في شيء من الكتب الستة بهذا اللفظ.

(٤) سورة غافر، الآية: ٤٦.

فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[1] أن عرضهم على النار قبل يوم القيامة، وروي: «**إنّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بكرة وعشية، فيقال: هذا مقعدُك حتى تُبعثَ إليه**»[2]، وهذا قول السلف[3] وأصحاب الحقائق[4]، الذين عرفوا حقيقة الروح المعنيّة هاهنا، وكونه جوهراً[5] ....

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب «الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي» رقم (١٣٧٩). ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب «عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه» رقم (٢٨٦٦). ورواه النسائي في كتاب الجنائز، باب «وضع الجريد على القبر» (٤/ ١٠٧).

(٣) السلف: مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة والتابعين وتابعيهم، وكل من التزم بعقائد وفقه وأصول أولئك الأئمة، كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأزمان والأمكنة. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (١/ ٤٠-٤١)، ومعالم الانطلاقة الكبرى لمحمد بن عبدالهادي المصري ص (٥٧).

(٤) أهل الحقائق المقصود بهم الصوفية. انظر: المعجم الصوفي د. الحفني ص (٧٨).

(٥) الجوهر عند المتكلمين: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع، وهو منحصر في خمسة: هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل، وهو ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة، وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة=

له بذاته قوام[1]، وأما متأخرو المعتزلة الذين لم يتجاوزوا منزلي الحسّ والوهم، ولم يروا الروح إلا ريحاً أو عرضاً[2]، فبعضهم

= من الجنس والفصل وإلى مركب منهما كالمولدات الثلاث. انظر: التعريفات للجرجاني ص (٩٢، ٩٣).

(١) قال الإمام ابن القيم بعد أن حكى بعض الأقوال الباطلة: «فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة، فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعّمة أو معذّبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لربّ العالمين. . . » الروح ص (١٥٥) وكان قد قال قبل ذلك: «والصواب أن يقال: موت النفوس هي مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل، وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب» الروح ص (١١٧). وانظر: نظم الدرر (٤/ ٤٢٠) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾. [الإسراء: ٨٥].

(٢) **العرض**: عبارة عن معنى زائد على الذات أي ذات الجوهر يُجمع على أعراض. الكليات ص (٦٢٤)، وقد ردَّ ابن القيم رحمه الله على من قال: إن الروح عَرَضٌ من الأعراض، وبين مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وأنها ذاتٌ قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل، وتخرج وتذهب وتجيئ وتتحرك وتسكن، وعلى هذا أكثر من مائة دليل. ثم قال رحمه الله: «وقد أخبر النبي ﷺ أن الملك يقبضها، فتأخذها الملائكة من يده، فيوجد لها كأطيب نفحة مسك وُجِدتْ على وجه الأرض، أو =

قال: يعني أحياء يوم القيامة، ووصفهم بذلك في الحال لقرب القيامة عند الله، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[1]، ومعنى ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي في علم الله، وبعضهم قال: أحياء بالذكر، وبعضهم قال: أحياء بالإيمان[2]، وإرادة هذه المعاني بالآية غير ممتنعة، فإن المؤمنين أحياء بكل ذلك، كما قالوا، ولكنهم مع ذلك أحياء بالأرواح على ما ورد به الخبر، وزعمهم أن ما ورد من الأخبار في أرواح الشهداء ليس بصحيح، فإن العقل لا يقتضي ذلك، فهم إن عنوا العقول الصدئة التي عناها من قال: فلان لم

= كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض؛ والأعراض لا ريح لها، ولا تمسك، ولا تؤخذ من يدٍ إلى يدٍ» الروح ص (١٢٤-١٢٦).

(١) سورة النحل، الآية: ١.

(٢) وحاول بعض المعتزلة تخصيص ذلك، فقال القاضي عبدالجبار: «وربما قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتًاۚ﴾: كيف يصح ذلك وقد قُتلوا وماتوا؟ وجوابنا أن المراد شهداء أُحد، بين تعالى أنه قد أحياهم، فلا ينبغي أن يظن فيهم أنهم أموات. . .» تنزيه القرآن عن المطاعن ص (٨٣)، ويبدو أن المعتزلة مضطربون في هذا الموضع، فما حكاه الراغب عن بعض متأخري المعتزلة يخالف ما قاله القاضي عبدالجبار، وكلاهما مخالف لما قاله الزمخشري الذي قرر أن جميع الشهداء أحياء ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي مقربون عنده ذوو زلفى، ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله. انظر: الكشاف (١/ ٤٣٩).

يؤت من العقل إلا مقدار ما يلزم به حجة الله فقد صدقوا، وإن عنوا العقولَ المجلوة السليمة من درن الهوى المعنيّة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(1)، وبقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(2) فليس كما ظنّوا.

ومن زعم أن القول بحياة الأرواح يؤدِّي إلى القول بالرجعة(3) فوهم فاسد، ولئن كان ذلك يؤدي إلى ما قالوه فإحياء الله مَن وصفهم بقوله: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾(4)

---

(1) سورة ق، الآية: ٣٧.

(2) سورة الزمر، الآية: ٢١.

(3) قال ابن الأثير: «والرجعةُ: مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيًّا كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون: إن عليّ بن أبي طالب مستتر في السحاب... ويشهد لهذا المذهب السوء قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] يريد الكفار نحمد الله على الهداية والإيمان» النهاية (٢/ ٢٠٢). ويرى بعض المتخصصين أن كثيراً من فرق الشيعة يقولون بالرجعة ويتواصون بكتمانها وعدم التصريح باعتقادها. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد. رسالة دكتوراه. للدكتور ناصر القفاري (٢/ ٩٤١، ٩٤٦).

(4) سورة البقرة جزء من الآية ٢٤٣. ونصُّها: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

الآية، وإحياء عيسى الأموات أكثر تأدية إليه، وأما على طريقة المتصوفة المذكورة في قوله: ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾[1] فإنهم قالوا: لما كان الإنسان مركباً من بدن وروح، والعقل تابع للروح، والهوى تابع للبدن، وبتوهين أحدهما تقوية الآخر، نبّه تعالى أن [من][2] جاهد نفسه، وقتل هواه في سبيل الله فلا تحسبنّه ميتاً، وعلى هذا قيل: قتل النفس في الدنيا حياة الآخرة[3]، **إن قيل**: لم وصفهم بالفرح[4]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[5]؟ **قيل**: الفرح تجاوز الحد في السرور بالملاذّ[6]، ولما كانت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٢) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٣) قال القشيري: الحياة بذكر الحق بعدما تتلف النفوس في رضاء الحقِّ أتم من البقاء بنعمة الخلق مع الحجبةِ عن الحق. ويقال: إن الذي وارثُه الحيّ الذي لم يزل فليس بميتٍ وإن قتل:

إذا كان العبدان للموت أنشئت ... فقَتْلُ امرئٍ في الله لاشك أفضلُ

لطائف الإشارات (١/ ٣٠٨).

(٤) في قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ آل عمران: ١٧٠.

(٥) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٦) قال في المفردات: الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية... ولم يرخص في الفرح إلا في قوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم: ٤]. المفردات ص (٦٢٨).

الملاذّ الدنيوية غير متنافس فيها ذمّ الفرحين بها، ولما كانت الملاذّ الأخروية متنافساً فيها، كما قال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾[1] أباح لهم الفرح بها، حتى قال: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[2].

وأما استبشارهم بالذين لم يلحقوا بهم، فتنبيه أنهم يعرفون نعمة الله بالموت والقتل في سبيله، ويسرون إذا أخبروا بقتل أو موت إخوانهم بخلاف أبناء الدنيا[3]، وقوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ متضمنٌ لذكر كل شيء يكدر الحياة، فإن ما يعرض في الدنيا: إما خوف لوقوع محذور، أو حزن لفوت محبوب، والضمير في: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوز أن يكون ضميراً للذين لم يلحقوا بهم، وأن يكون للمستبشرين، وأن يكون لهما، إن قيل: / لم رفع ﴿أَحْيَآءٌ﴾ [٢٤٩/ب] ونصب ﴿فَرِحِينَ﴾؟ قيل: لأن ﴿فَرِحِينَ﴾ حال للذين قتلوا، والنصب به أولى، و ﴿أَحْيَآءٌ﴾ استئناف، ولو نصب لكان معناه: بل احسبهم أحياء، ولم يُرد ذلك، وإنما أراد بِتّ الحكم بكونهم أحياء[4].

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨. وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٩٥)، والوسيط (١/ ٥٢١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٤).

(٤) قال الزجاج: «القراءة بالرفع ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. ولو قرئت: بل=

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ . . . ﴾[1] الآية.

إن قيل: ما الفرق بين النعمة والفضل هاهنا؟ قيل: الإشارة بهما إلى المذكورين في قوله: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[2]، فالنعمة هي الحسنى والفضل هاهنا الزيادة[3]، إن قيل: لِمَ نكّرهما؟ قيل: التنكير في مثله على وجهين: أحدهما: ليدل على بعض غير معين، والثاني: قصد إلى إبهام المراد تعظيماً لأمره، وتنبيهاً أنه

= أحياءَ عند ربهم لجاز المعنى: أحسبهم أحياء. . .» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٨). وقد ردّ أبو علي الفارسي على الزجاج في هذا التجويز، وقال: لا يجوز ذلك، لأن الأمر يقين، فلا يجوز أن يؤمر فيه بمحسبة، ولا يصح أن يضمر له إلا فعل المحسبة. انظر: البحر المحيط (٣/ ١١٨)، والدر المصون (٣/ ٤٨٢). وممن أجاز النصب في قوله: «أحياء» العكبري، وذكر أنها قراءة. انظر: إملاء مامنّ به الرحمن ص (١٥٧).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧١. ونصُّها: ﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) قال أبو هلال: «الفضل: الزيادة» وقال في معنى الإفضال: «وهو كالإنعام في وجوب الشكر عليه، وأصله الزيادة في الإحسان». انظر: الفروق ص (٢١٤)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٠). وقد ذكر هذا المعنى: أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢١)، ويبدو أنه أخذه من الراغب لتشابه عباراته مع عبارات الراغب. والبيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ١٩٠).

يصعب إدراك شرحه[(١)]، وكأن التنكير في هذا إشارة إلى نحو ما قال: «**فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت**»[(٢)] **إن قيل**: ما حقيقة ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)]؟ **قيل**: لما كان من الأعمال التي صورتها في الدنيا صورة العبادات التي يستحق بها الثواب ما هو في الحقيقة غير عبادة يستحق بها الأجر، وإياها قصد بقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[(٤)] بيّن هاهنا أن عمل المؤمنين لا يجري مجرى أعمال هؤلاء. **إن قيل**: ما الفرق بين الإفضال والإحسان؟ **قيل**: كلاهما اسم الزيادة على فعل العدالة، وتجاوز ما يجب إلى ما يستحب، لكن الإحسان يُقال باعتبار جمال الفعل في نفسه وتحرِّي تحسينه، والإفضال يقال باعتبار فعل بفعل أو فاعل، فيقال للزائد على الإجزاء فاضل[(٥)].

---

(١) ذكر أبو حيان هذا الكلام بتمامه في البحر المحيط (٣/ ١٢١)، ولم يشر إلى الراغب. وانظر معاني التنكير في: الإيضاح ص (٥٠-٥٣)، وشرح التلخيص لمحمد هاشم ص (٦٢).

(٢) تقدم تخريجه ص (٨٥٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٥) فرق العسكري بين الإفضال والإحسان بنحو هذا التفريق، فقال: «الفرق بين «الإحسان» و«الإفضال» أن الإحسان: النفع الحسن، والإفضال: النفع الزائد على أقل المقدار، وقد خصّ الإحسان بالفضل، ولم يجب مثل=

[. . . . .][1]، فالاستجابة لله وللرسول، وإن جمع بينهما في الإيجاب فالواجب بالقصد الأول استجابة الله، لكن لمّا لم تتم استجابته إلا باستجابة رسوله صار ذلك واجباً، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والاستجابتان مختلفتان، فإن استجابة الله بتوحيده وعبادته، واستجابة رسوله بتلقي الرسالة عنه وقبول النصح منه[2].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾[3] الآية.

= ذلك في الزيادة، لأنه جرى مجرى الصفة الغالبة، كما اختصَّ النجم بالسِّماك ولا يجب مثل ذلك في كل مرتفع» الفروق ص (٢١٧)، وكان العسكري قد ذكر قبل ذلك أن أصل الإفضال: الزيادة في الإحسان. الفروق ص (٢١٤). وانظر: المفردات ص (٢٣٦، ٢٣٧، ٦٣٩).

(١) سقط قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ سورة آل عمران الآية ١٧٢، وكذلك بداية تفسير الراغب لها.

(٢) قال أبو حيان: «قيل: والاستجابتان مختلفتان، فإنهما بالنسبة إلى الله بالتوحيد والعبادة، وللرسول بتلقي الرسالة منه والنصيحة له. والظاهر أنها استجابة واحدة وهو إجابتهم له حين انتدبهم لاتباع الكفار على ما نقل في سبب النزول. . .» البحر المحيط (٣/ ١٢٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣. ونصُّها: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾.

قيل: سبب نزول ذلك أن أبا سفيان وأصحابه تقدموا إلى نُعيم ابن مسعود[1] ورضخوا[2] له شيئاً، وقالوا: إذا مررت بمحمدٍ وأصحابه، فقل: إنا قد أجمعنا على قصدهم بخيلٍ لا قبل لهم بها، فلما أتاهم، وقال لهم ذلك، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل[3]. إن قيل: لِمَ: ﴿قال لهم الناس﴾ وإنما قال ذلك رجل واحد؟ قيل: لّما كان القائل لنُعيم أبا سفيان وأصحابه المعبرّ عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ سُمي المُنبّىء عنهم بذلك ﴿ٱلنَّاسَ﴾، تنبيهاً أن المخوِّفين في الحقيقة هم المخوَّف منهم، والآية وإن نزلت فيهم

---

(١) نعيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف الأشجعي صحابي مشهور، أسلم في غزوة الأحزاب، وفيها خذَّل المشركين، وأوقع بينهم وبين بني قريظة حتى صرفهم الله عن المدينة، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل في أول خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٣/ ٥٦٨) وتقريب التهذيب ص (٥٦٥).

(٢) رضخوا: الرضخ: العطاء ليس بالكثير. انظر مجمع اللغة ص (٢٨٦).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٥٩، ٦٠). والواقدي في مغازيه (٢/ ٤٨٠-٤٨٣)، والذهبي في تاريخ الإسلام، قسم المغازي ص (٢٢٦، ٢٢٧)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٦٨، ٣٦٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٤٥، ٤٤٦)، وانظر الخبر في: جامع البيان (٧/ ٤٠٩-٤١١)، وأسباب النزول ص (١٣٢)، والوسيط (١/ ٥٢٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٠).

فالمعنيُّ بها هم ومن جرى مجراهم(١)، ونبّه بما حكى من جوابهم وفعلهم على نهاية ما يُطلب من إيمان العبد وتوكله لما أظهروا قولاً وفعلًا، وبيّن أنهم عادوا بنعمة وفضل في دنياهم وأخراهم في أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا أنهم لا يَعْرض لهم في الدنيا ما يُحزن ويُخوِّف من سوء، ولكن لا يؤثر فيهم، والمقصود بهذه النعمة والفضل أعظم مما قال بعض المفسرين من أن المسلمين لما حضروا بدراً الصغرى(٢)، ولم يحضروا للموعد صادفوا بها سوقاً،

---

(١) قال النيسابوري: «... وإنما عبرّ عن الإنسان الواحد بالناس، لأنه من جنس الناس... ولأن الواحد إذا قال قولاً وله أتباع يقولون مثل قوله ويرضون به، حسن إضافة ذلك الفعل إلى الكل كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢]، وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامّونه ويصلون جناح كلامه» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، وانظر: الوسيط (١/ ٥٢٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٨). ومن العلماء من جعل (الناس) الأولى: ركب عبدالقيس، والثاني: عسكر قريش على ما جاء في بعض روايات ابن إسحاق. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٥١) وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٤/ ٣١١) والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٧٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٠).

(٢) قول الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد، وذهب مجاهد إلى أنها في غزوة بدر الصغرى. قال ابن عطية: «وشذ مجاهد رحمه الله فقال: إن هذه الآية من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ إنما نزلت في خروج النبي عليه السلام إلى بدر الصغرى... والصواب=

فاشتروا ما ربحوا فيه، فكان ذلك هو الفضل والنعمة[1]، فإن أرباح التجارة الدنيوية أدون من أن يكون مقتصراً عليها في مقابلة المتوكلين على الله، الراضين عن الله تعالى، المرضي عنهم[2]، وقوله ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يجوز من حيث تقدير الكلام: أن يكون على معنى،

= ما قاله الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد». المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٨، ٢٩٩)، وقال ابن كثير: «. . . وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد أن هذا السياق نزل في شأن غزوة حمراء الأسد، وقيل: نزلت في بدر الموعد، والصحيح الأول». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٦) وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٣٦)، والتفسير الكبير (٩/ ٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٤)، وانظر آراء المفسرين حول سبب نزول هذه الآية في: النكت والعيون (١/ ٤٣٨)، والوسيط (١/ ٥٢٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١١٤).

(١) التي في قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤]. وهذا الذي ذكره هو ما قاله ابن جرير، وهو ما رواه عن مجاهد والسدي، وهو قول عامة المفسرين. انظر: جامع البيان (٧/ ٤١٤، ٤١٥)، وبحر العلوم (١/ ٣١٧)، والوسيط (١/ ٥٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٨)والكشاف (١/ ٤٤٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٧).

(٢) ذكر بعض المفسرين أن (الفضل) في الآية هو الثواب. انظر: زاد المسير (١/ ٥٠٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥).

[٢٥٠/أ] أن رضي الله عنهم، وأن يكون على أن رضوا عن الله، / فإن من رضي عن الله فقد رضي الله عنه[١]، ولهذا قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٢] وذكر تعالى في الآيات الثلاث ثلاث فرق، بعضهم أخصُّ من بعض، وذاك أن المؤمنين المستجيبين لله عام، والذين أحسنوا واتقوا [أخصّ][٣]، فجعل تعالى للمستجيب لله أجراً غير مُعيّن، وللمحسن المتقي في ذلك أجراً عظيماً، وهذا شبيه بما تقدم في قوله ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[٤]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾[٦] الآية.

إن قيل: إلى ماذا أشار بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾؟ قيل: فيه أقوال:

الأول: أنّه إشارة إلى من قال: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾[٧]

---

(١) قال ابن جرير: «﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يعني بذلك أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك، واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه من اتباع أثر العدو وطاعتهم» جامع البيان (٧/ ٤١٤). وقال غيره: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بطاعة رسوله ﷺ، والمعنى واحد. انظر: الوسيط (١/ ٥٢٣)، والتفسير الكبير (٩/ ٨٢).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٣) غير موجود بالأصل، والسياق يقتضيه.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥. ونصّها: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

فسمّاه شيطاناً لمشابهته في فعله[(١)]، والثاني: أنه إشارة إلى الشيطان المتعارف بين الناس، أي الشيطان الذي عرفتموه هو الذي يُخوِّف[(٢)]، والثالث: إشارة إلى ما دلَّ عليه قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[(٣)]، أي ذلك العارض الذي هو الوهن والحزن شيطان[(٤)]: كقول الشاعر:

ما ليلة الفقير إلا شيطان[(٥)] ....

---

(١) ذكر ذلك ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤١٦)، ورواه عن ابن إسحاق، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٠) عن ابن عباس قال: فجاء الشيطان يخوف أولياؤه فقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. وانظر بحر العلوم (١/ ٣١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١).

(٢) قال الزجاج: «وذلك التخويف الذي كان فعل الشيطان...» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٤١٧)، وبحر العلوم (١/ ٣١٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٨)، والوسيط (١/ ٥٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١، ٣٨٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٤) هذا القول بعيد، لطول الفاصل بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وكذلك فإني لم أجد لهذا القول ذكراً في شيء من كتب التفسير التي بين يديّ.

(٥) الرجز للشمّاخ بن ضرار وهو في ديوانه ص (٤١٣)، وانظر: اللسان=

وأمّا ﴿ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ فقد قال ابن عباس: معناه: يخوفكم أولياءه[(١)]، فعلى هذا حذف المفعول الأول، كقوله: ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾[(٢)] وقولهم: فلان يعطي الدراهم[(٣)]، فالأولياء على هذا هم المخوّف بهم[(٤)]، ....

= مادة: (شطن) والملاحن ص (٥٢)، والدر المصون (٢/ ٦١٧)، والمفردات ص (٤٥٥)، وقد نسبه ابن دريد للجليخ بن شميذ. انظر: جمهرة اللغة مادة: (رفق). والفقير: مفازة بين الحجاز والشام، وقيل غير ذلك.

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤١٦) بلفظ: «الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه». وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٦) وقال: هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وإبراهيم وابن قتيبة. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٢) وعزاه لابن جرير الطبري. وقال ابن تيمية: «هذا هو الصواب الذي عليه جمهور المفسرين كابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والنخعي، وأهل اللغة كالفراء، وابن قتيبة، والزجاج، وابن الأنباري». دقائق التفسير (١/ ٣٠٥).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢. قال ابن قتيبة: أي لينذركم ببأس شديد. وقال الطبري: بمعنى: لينذركم بأسه الشديد. انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (١١٦)، وجامع البيان (٧/ ٤١٧).

(٣) قال الطبري: «هو يعطي الدراهم ويكسو الثياب» بمعنى: هو يعطي الناس الدراهم ويكسوهم الثياب. فحذف ذلك للاستغناء عنه». جامع البيان (٧/ ٤١٧).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٨)، وغريب القرآن ص (١١٦)، =

وقيل: بل أولياؤه هم المخوَّفون[1]، وذاك أن الناس ضربان: ضرب لا سبيل للشيطان عليه، وهم المعنيون بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[2]، وضرب بخلافهم، وهم الذين قال فيهم: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[3]، وقد صرّح تعالى بذلك في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[4] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[5]، وحقيقة خوف الله امتثال أمره، وعلى هذا

= وجامع البيان (٧/ ٤١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٠)، والوسيط (١/ ٥٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢١)، وللفراء (١/ ٢٤٨)، وقد ذكر أبو حيان هذا القول، فقال: «ويجوز أن يكون المحذوف المفعول الثاني، أي ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ شر الكفار، ويكون (أولياءه) في هذا الوجه هم المنافقون، ومن في قلبه مرض، المتخلفون عن الخروج مع رسول الله ﷺ..» البحر المحيط (٣/ ١٢٥)، وذكر الطبري هذا القول عن السدي في جامع البيان (٧/ ٤١٧)، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٨) للحسن والسدي. وانظر: دقائق التفسير (١/ ٣٠٦)، والدر المصون (٣/ ٤٩٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1] ثم قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، تنبيهاً أن من شرط الإيمان التحقُّقُ أن ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا، ومن علم ذلك علم أوامر الله، فاتّبعها في ترك ما يأمر به الشيطان[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ...﴾[4] الآية.

كما نهى تعالى عن الخوف مما يُتوقع من حزب الشيطان، نهى عن الحزن على ما يفوته منهم، ووصف الكفار بالمسارعة في الكفر، كما وصف المؤمنين بالمسارعة في الإيمان، فقال: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[5]، وحقيقة المسارعة في ذلك أن يترقى الإنسان فيما يتحرّاه منزلةً فمنزلة، خيراً كان أو شرًّا، فيتعوَّده فيتقوّى به

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨. وانظر: جامع البيان (٧/ ٤١٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٤١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٣١٧)، والوسيط (١/ ٥٢٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦. ونصُّها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

على المنزلة الثانية، لأن الشر حاصلٌ بعضه عن بعض، وحاملٌ بعضه بعضاً، وكذا الخير[1]، وعلى هذا قال أمير المؤمنين: تبدو نكتة بيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازداد البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيضَّ القلب كلّه، وإن النفاق يبدو نكتة سوداء، كلما ازداد النفاق ازداد السواد، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كلّه[2]، وبيّن أن لا يعود إلى الله من مسارعتهم في الكفر

---

(١) المسارعة كما ذكر اللغويون هي المبادرة إلى الشيء. انظر: الصحاح (٣/ ١٢٢٨)، والقاموس ص (٩٤٠)، وتاج العروس (٢١/ ١٩٢).
وكأن الراغب نظر في كلامه عن معنى المسارعة إلى نتائجها وهي الارتقاء في منازل الخير أو الشر، والتدرج من منزلة إلى أخرى، واستدعاء كل منزلة للتي تليها.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٥٠٤، ٥٠٥) رقم (١٤٤٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعزاه لابن المبارك.
وهذا المعنى ورد مرفوعاً عن النبي ﷺ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربها نُكتت فيه نكتة سواء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين، قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، وقلب أسود مربادًّا كالكوز مُجخّياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه»** أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب رقم (١٤٤).

مضرة، كقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1].

إن قيل: كيف جعل العلّة في قوله: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ﴾ أنهم لن يضروا الله شيئاً، ولم يكن المسلمون يحزنون، لأجل أن خطر لهم أن هؤلاء يضرُّون الله، إنما كان حزنهم أن يضروهم؟ **قيل**: معنى ذلك لن يضروا أولياءه[2]، ألا ترى أنه ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقول: من آذى لي وليًّا قد آذاني**»[3]، وعلى التنبيه على هذا المعنى قال/ [٢٥٠/ب]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[5]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٢) ذكر هذا القول الواحدي في الوسيط (١/ ٥٢٤) وحكاه عن عطاء. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٨)، وذكره القرطبي في الجامع (٤/ ٢٨٦)، واعتمده أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣/ ١٢٦) وانظر: أنوار التنزيل (١/ ١٩١).

(٣) ورد هذا الحديث بغير هذا اللفظ، فقد أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب «التواضع» رقم (٦٥٠٢) بلفظ: «إن الله قال: **«من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...»** الحديث. ورواه أبو يعلى (١٢/ ٥٢٠) رقم (٧٠٨٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥) بلفظ: «**من آذى لي وليًّا فقد استحلَّ محاربتي**» ورواه البزار كما في كشف الأستار (٤/ ٢٤١)، وأحمد (٦/ ٢٥٦) بنحوه.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾[1]، يريد إحباط عملهم بما استحقوه من الذنوب[2]، وقيل: يريد الحكم بحرمان ثوابهم، وأن لا يجعل لهم ما يستحقه المطيعون[3]، والفرق بين السرعة والعجلة إذا اعتبرنا بنفس الفعل، هو أن السرعة أن لا يترك الأمر يتأخر عن وقته، والعجلة فيه أن يقدمه على وقته، وإذا اعتبرنا بقوى النفس فالعجلة ما يفعل على مقتضى الشهوة، والسرعة تقال فيها وفيما يُفعل على مقتضى الرأي والفكرة، ولذلك ذم العجلة على الإطلاق، وقد حَمِدَ السرعة في مواضع[4].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ. . .﴾[5] الآية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.

(٢) هذا قول ابن إسحاق، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٢)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(٤) قال العسكري: الفرق بين «السرعة» و«العجلة» أن السرعة التقدم في ما ينبغي أن يتقدّم فيه، وهي محمودة، ونقيضها مذموم وهو الإبطاء. والعجلة: التقدم في ما لا ينبغي أن يتقدّم فيه وهي مذمومة، ونقيضها محمود وهو الأناة. . .» الفروق ص (٢٢٥) وانظر: المفردات ص (٤٠٧، ٥٤٨).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٧. ونصها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ=

قد تقدَّم حقيقة الشرى والبيع إذا استُعملا في الكفر والإيمان[1]، وقال كثير من المفسرين: هذه الآية في معنى الأولى، وقد أعيدت تأكيداً[2]، والصحيح أن الأول ذمٌّ للذين تحرّوا الكفر وتزايدوا فيه متسارعين، وهذا ذمٌّ لمن حصّلَ الإيمان فأفرج عنه، واستبدل به كفراً، وهم الذين وصفهم بالارتداد على أعقابهم، وذمٌّ لمن مُكِّن من الإيمان فرغِب عنه، وآثر الكفر عليه، فصار كالبائع إيمانه بكفره[3]، وقوله: ﴿شَيْـًٔا﴾ في موضع المصدر، أو تقديره

لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١) انظر: تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] (ق ٢٢ ـ مخطوط).

(٢) ظاهر كلام ابن جرير يدل على ذلك، انظر: جامع البيان (٧/ ٤١٩). وانظر: الكشاف (١/ ٤٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٨٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١١٦).

(٣) قال أبو حيان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا عام في الكفار كلهم. وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إن كان عامًّا فكرر هذا على سبيل التوكيد، وإن كان خاصًّا بالمنافقين أو المرتدين أو كفار قريش، فيكون ليس تكريراً على سبيل التأكيد، بل حكم على العام بأنهم لن يضروا الله شيئاً، ويندرج في ذلك الخاص أيضاً، فيكون الحكم في حقهم على سبيل التأكيد، ويكون=

بشيء، فحذف الجارّ ونصبه[1]، وجعل لمن بدّل الكفر بالإيمان عذاباً أليماً، وهو أبلغ مما جعله للفرقة الأولى، حيث وصفه بالعِظَم، إذ يقال العظيم اعتباراً بغيره مما هو من جنسه، وقد لا يكون شديد الألم، وأليم يقال لما تناهى في الألم، إذ هو بناء المبالغة، ويقال: هو أليم، سواء اعتُبر بغيره أو لم يُعتبر[2].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟... ﴾[3] الآية.

= قد جمع للخاص العذاب بنوعيه من العظم والألم، وهو أبلغ في حقهم في العذاب، وجعل ذلك اشتراء من حديث تمكنهم من قبول الخير والشر، فآثروا الكفر على الإيمان. البحر المحيط (٣/ ١٢٧). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١١٧).

(١) ذكر الوجه الأول الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٤٤)، والعكبري في إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٥٨) ورجّحه، وذكر الوجهين أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢٦).

(٢) انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٥٢)، والكامل (١/ ٢٦٠)، وقال أبو السعود: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ «جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم، بذكر غاية إيلامه، بعد ذكر نهاية عظمه. قيل: لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة، وصف عذابهم بالإيلام ومراعاة لذلك». إرشاد العقل السليم (٢/ ١١٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨. ونصُّها: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

الإملاء إطالة المدة[1]، ومنه ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾[2]، وتملّيت حبيباً[3]، وإملاء الكتاب على أحد القولين[4]، والملوان[5] وإذا قرئ بالياء فسهل، وإذا قرئ بالتاء فصعب[6]، فالذين كفروا هو المفعول الأول، ولا يصح أن يُجعل ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ المفعول الثاني، لأن هذه الأفعال تدخل على مبتدأ وخبر، ويجبُ أن يكون المفعول الثاني هو الأول في المعنى، و ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ ليس في المعنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، ولا يصح أن يُجعل بدلاً كما جُعِل في

---

(١) قال الطبري: «ويعني بـ(الإملاء): الإطالة في العمر، والإنساء في الأجل». جامع البيان (٧/ ٤٢١).

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٦. قال الجوهري: أي طويلًا. الصحاح (٢٤٩٧).

(٣) أي تمتعت به زماناً طويلًا. انظر: مجاز القرآن (١/ ٨)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٩٤). وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٥).

(٤) وقيل: أصل إملاء الكتاب من الإملال فقلبت اللام الثانية تخفيفاً كما قال في المفردات ص (٧٧٧).

(٥) الملوان: طرفا الليل والنهار. انظر: معجم مقاييس اللغة ص (٩٩٤)، والقاموس ص (١٧٢١). وانظر: المفردات ص (٧٧٦، ٧٧٧)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٠-٢٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(٦) قرأ حمزة: (ولا تحسبنَّ الذين كفروا) بالتاء خطاب للنبي ﷺ. وقرأ الباقون (ولا يحسبن الذين كفروا) بالياء إخبار عن الذين كفروا. انظر: حجة القراءات ص (١٨٢)، ومعاني القراءات ص (١١٣، ١١٤)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٥٦)، والنشر (٢/ ٢٤٤).

قوله: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾(١)، وفي قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾(٢) فإنه حينئذ يلزم أن ننصب ﴿خيراً﴾ حتى يصير المفعول الثاني(٣)، فيجب أن يكون بالياء أجود(٤)، وقد اختلف في تأويل الآية من حيث إن ظاهرها يقتضي

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٣) وهذا ما فعله الزجاج انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩١) قال: «قد قرأ بها ـ أي بنصب خير ـ خلق كثير». قال أبو حيان: «وأنكر أبو بكر بن مجاهد هذه القراءة التي حكاها الزجاج، وزعم أنه لم يقرأ بها أحد. وابن مجاهد في باب القراءات هو المرجوع إليه» البحر المحيط (٣/ ١٢٨).

(٤) تبع الراغب في ذلك أبا علي الفارسي في الحجة (٢/ ٤٠٣)، ولكن القراءة بالتاء صحيحة متواترة، ولذلك فقد حكى العلماء تخريجات لهذه القراءة، منها تقدير مضاف محذوف، فيكون المعنى: ولا تحسبن شأن الذين كفروا، أو ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم وذلك حتى يصح كون المفعول الثاني هو الأول. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٢٢)، ومشكل إعراب القرآن ص (١٧٩)، والجنى الداني ص (٩٤). وخرجه الزمخشري وأبو الحسن ابن الباذش على أن يكون ﴿ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ بدل من (الذين). حكى ذلك كله أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢٧). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٣٩، ١٤٠)، والكشاف (١/ ٤٤٤). وهناك تخريج آخر لقراءة حمزة، وهو ما قاله الكسائي والفراء: إنها جائزة على التكرير، أي ولا تحسبن الذين كفروا، لا تحسبن أنما نملي=

أن الله تعالى يريد بإملائهم أن يكفروا. قالوا: والله يتعالى عن هذا القصد(١)، مع كون هذه الآية منافية لمقتضى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

لهم. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٢١). قال أبو حيان: وقد ردّ بعضهم قول الكسائي والفراء، فقال: حذف المفعول الثاني من هذه الأفعال لا يجوز عند أحد، فهو غلط منهما. انتهى. البحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(١) الصواب في تفسير هذه الآية أن تفسر بظاهرها أو بنظائرها من آيات الكتاب العزيز، وذلك ما فعله ابن جرير الطبري في جامع البيان، قال: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا﴾: «إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ﴿لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا﴾، يقول: ليكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر». جامع البيان (٧/ ٤٢٣). أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد فسرها بالآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وكقوله: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]، وكقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٨). قال القرطبي: «والآية نصٌّ في بطلان مذهب القدرية؛ لأنه أخبر أنه يطيل أعمارهم ليزدادوا الكفر بعمل المعاصي...» الجامع (٤/ ٢٨٨) قلت: والشبهة التي أوردها الراغب عن بعض المفسرين ناتجة عن عدم تفريقهم بين الإرادة والمشيئة الكونية والإرادة والمشيئة الشرعية، وقد سبق تقرير مذهب أهل السنة في ذلك، وبيان أن الإرادة والمشيئة الكونية القدرية لا تستلزم المحبة والرضا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا=

ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فمنهم من قال: الآية على التقديم والتأخير، وتقديرها: لا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثماً، بل إملاؤنا خير لهم، ويكون مفعول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ هو ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾، وعلق أن، وجعل ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ كالعِلّة لتأخيرهم، تنبيهاً أن ذلك أولاهم ليصير معونة لاكتسابهم الخير لأنفسهم، وهذا فاسد، لأن إنما يصح أن يعلق حيث ما يدخل لام الابتداء في خبره[2]، ومنهم من قال:

= مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفسق شرعاً، ولا يحب الفاسقين. انظر: معارج القبول (١/ ١٦٢) والقضاء والقدر للدكتور عبدالرحمن المحمود ص (٢٩١-٢٩٨).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦. وليس هناك تنافٍ بين مدلول الآيتين، لأنه تعالى أرادهم للعبادة شرعاً لا كوناً، ولذلك قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، فالإرادة الشرعية يستطيع العبد أن يخالفها، أما الإرادة الكونية القدرية فلا يستطيع دفعها عن نفسه بأي وجه كان.

(٢) **التعليق**: هو تعدي الفعل إلى مفعوله معنى لا لفظاً، وذلك إذا كان المعمول ذا استفهام أو مضافاً إليه أومسبوقا بلام ابتداء أو قسم أومنفيًا بلا أو ما. انظر: المساعد (١/ ٣٦٨)، وذكر النيسابوري أن هذا الوجه من تأويلات المعتزلة، بناء على قراءة شاذة ليحيي بن وثّاب بكسر (إن) الأولى وفتح الثانية، ثم قال: «وردّ بأن التقديم والتأخير خلاف الأصل، والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع أن الواحديّ أنكرها». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٦)=

الكلام على الترتيب، والمفعول هو ﴿أَنَّمَا﴾ وجعل اللام لام العاقبة، وتحقيق لام العاقبة هو أن اللام تارة تجيء تبييناً لقصد [٢٥١/أ] الفاعل بفعله / نحو ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)]، وتارة تبييناً لما أدى إليه الفعل، لا لقصد الفاعل[(٢)]، نحو ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[(٣)]. إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟ قيل: لما ذكر هاهنا إملاء الإنسان في الأعراض[(٤)] الدنيوية، وذلك قد يكون في الدنيا هواناً وعذاباً

= وانظر: الكشاف (١/ ٤٤٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٨، ١٢٩)، والدر المصون (٣/ ٥٠٤، ٥٠٥).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) والقول بأن اللام هنا لام العاقبة هو قول المعتزلة أيضاً، والصواب أنها لام الإرادة. انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١١٨). ونقل أبو حيان عن الماتريدي أنه قال: المعتزلة تناولوها على وجهين: أحدهما: على التقديم والتأخير، أي ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثماً إنما نملي لهم خير لأنفسهم. الثاني: أن هذا إخبار منه سبحانه وتعالى على حسبانهم فيما يؤول إليه أمرهم في العاقبة، . . وفي التأويل الأول إفساد للنظم. وفي الثاني تنبيه على من لا يجوز تنبيهه، فإن الإخبار عن العاقبة يكون لسهو في الابتداء أو غفلة، والعالم في الابتداء لا ينبه نفسه. انتهى كلامه». البحر المحيط (٣/ ١٢٩) وقد رد ابن المنير على الزمخشري في هذا الموضع. انظر الكشاف (١/ ٤٤٤) هامش رقم (١).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٤) في الأصل (ولأعراض)، والصواب ما أثبته.

لصاحبه، وهو لفقدان بصيرته يقدر أن الهوان في فقدانه فلا يُفرج عنه؛ ذكر الهوان الذي هو أعمُّ الألفاظ الثلاثة من ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ و ﴿ٱلْأَلِيمَ﴾ و ﴿ٱلْمُهِينِ﴾ ليعم الدارين[1]، وعلى هذا قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾[3] الآية.

الخبيث: مستعار للعمل السيىء، والطيّب: للعمل الصالح[4]

---

(١) قال النيسابوري: «وفي وصف العذاب أولاً بالعظم، ثم بالألم، ثم بالإهانة تدرج من الأهون إلى الأشق، وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٦) وانظر في سبب ختم الآية بذلك: البحر المحيط (٣/ ١٢٩، ١٣٠)، والدر المصون (٣/ ٥٠٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١١٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩. ونصّها: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

(٤) قال الراغب: «الخبث والخبيث: ما يكره رداءةً وخساسة محسوساً كان أو معقولاً... وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال»، ثم ذكر هذه الآية وقال: «أي الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنفوس الخبيثة من النفوس الزكيّة...» المفردات ص (٢٧٢). وقال السمين الحلبي: «والخبث يكون في المعقولات كما يكون في المحسوسات، =

تشبيهاً للذِكر المسموع بالنشر المشموم، وعلى هذا قال الشاعر:

تبحثت عن أخباره فكأنما نبشت صداه بعد ثالثة الدفن[1]

وقال آخر:

.... ثناء مثل ريح الجورب[2]

وعلى هذا حُمل ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[3]، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[4] أي الأعمال في الخبث والطيب جارية مجرى فاعليها، وقيل: المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث[5]، **والاجتباء**: كالاصطفاء،

= وبذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال»، عمدة الحفاظ (١/ ٥٥٧)، وانظر: بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٢٢).

(١) البيت ذكره الراغب في مجمع البلاغة ص (٢٠٠) ونسبه لابن الرومي. وانظر: كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء ص (٥٥١).

(٢) ذكره الراغب في مجمع البلاغة ص (٢٠٠) بلفظ:

.... وثناؤه في الناس ريح الجورب

وهو مثل أصله:

أثن عليَّ بما علمت فإنني مُثْنٍ عليك بمثل ريح الجورب

انظر: مجمع الأمثال (٢/ ٣٥٤).

(٣) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٥) أخرج البيهقي في الشُّعب عن أنس مرفوعاً «نيّة المؤمن أبلغ من عمله»، قال ابن دحية: لا يصح، وقال البيهقي: إسناده ضعيف، والحديث في كشف=

وأصله الجمع، فكأن من اجتباه الله ضمَّه إلى نَفْسه حتى يكون له بأجمعه[1]، بخلاف من قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾[2] وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[3] وتحقيق التمييز من الله لا على سبيل التعرف، بل ليحصِّل الخبيث خبيثاً والطيب طيباً، وذلك حقيقة التكليف[4]، وقد كرّر الله تعالى هذا المعنى مع كل فصل، فقال:

= الخفاء (٢/ ٣٢٤)، والمقاصد (٧٠١)، وضعيف الجامع (٥٩٨٨)، وأسنى المطالب (١٦١٨)، والحلية (٣/ ٢٥٥).

(١) قال الأزهري: «الجبا: بكسر الجيم: ما جمعت في الحوض من الماء... وقال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦] قال الزجاج: معناه، وكذلك يختارك ويصطفيك، وهو مشتق من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وفيه جبيت الماء في الحوض...» تهذيب اللغة (١١/ ٢١٤، ٢١٥). وانظر: العين (٤/ ١٩٢)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٢٣٣)، والصحاح (٦/ ٢٢٩٨)، والمفردات ص (١٨٦)، واللسان (١٤/ ١٢٨- ١٣١).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٤١.

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٢٤)، وفيه أن التمييز يكون بالمحن والاختبار. وقال ابن كثير: «أي لابد أن يعقد شيء من المحنة حتى يظهر فيه وليّه، ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين...» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٨). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٣٠).

﴿ وَلِيَعْلَمَ ﴾[1] ، ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ﴾[2] ، ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ﴾[3] و ﴿ لِيَمِيزَ ﴾[4] ، وقال من بعد: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾[5] ، كل ذلك تنبيهاً على أن التكليف في الحقيقة هذه الأشياء، وأما الغيب فكل ما لا تدركه الحواس وبداهة[6] العقول[7] ، وهذا على القول المجمل ثلاثة أضرب: ضربٌ استبد تعالى به[8] ولم يُطلع عليه أحداً لا الملائكة المقربين، ولا من دونهم، لاستغنائهم عنه، وضرب قد يُطلِع عليه أصفياء عباده، وهو حقائق العلوم، وذلك بحسب ما عُرف من حاجتهم إليه ومصلحتهم فيه، وإياه عنى بقوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[9] ، وبيّن في الآية أن اطلاع العامة على غيبه وأقضيته

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.
(٦) في الأصل: (وبداية)، والصواب ما أثبته.
(٧) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٢١٤)، والصحاح (١/ ١٩٦)، والمفردات ص (٦١٦، ٦١٧)، واللسان (١/ ٦٥٤-٦٥٦)، والكليات ص (٦٦٣).
(٨) استبدّ تعالى به: أي تفرد. القاموس (٣٤١).
(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

منافٍ للحكمة، وذلك أن جماعة من الكفار سألوا النبيَّ ﷺ وقالوا: هل نحن ممن يؤمن[1]؟ ثم قال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ تنبيهاً على التوكل على الله وحُسن الظنِّ بنبيِّه، والتحقق أنه يفعل بعباده ما هو أصلح لهم، وأنّ بالإيمان والتقوى يُستحق الأجر العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[2] الآية.

قُرئ بالياء[3] على تقدير: لا يحسبن الباخلون البخل هو خير

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٢٥، ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٤) عن السدي، وعزاه السيوطي إليهما في الدر المنثور (٢/ ١٨٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠. ونصها: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

(٣) قرأ حمزة وحده (ولا تحسبن الذين يبخلون) بالتاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] (ولا يحسبن الذين يفرحون... فلا يحسبنهم) أربعتها بالياء وضم الباء من (يحسبُنهم) وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بالياء فيها إلا قوله ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ فإنه بالتاء. وقرأ حمزة كلها بالتاء. وقرأ عاصم والكسائي وخلف: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بالياء والباقي بالتاء. انظر: حجة القراءات ص (١٨٣)، ومعاني القراءات ص (١١٣، ١١٤)، والمبسوط ص (١٤٩)، والتلخيص ص (٢٣٥)، والغاية ص (٢٢٠)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٥٦)، والنشر (٢/ ٢٤٤).

لهم، فحذف البخل الذي هو المفعول الأول، لدلالة ﴿ يَبۡخَلُونَ﴾ عليه، كقولك: من كذب كان شرّاً له، وإذا قُرئ بالتاء فتقديره لا تحسبّن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، فحذف المضاف لظهور المعنى[1]، وبيّن بالآيتين أنهم جعلوا أعمارهم وأموالهم مصروفة إلى ما أورثهم إثماً أو عقوبة يوم القيامة، وتطويقهم ما بخلوا به على طريق التشبيه والتقريب[2]، نحو ما ذكر النبي ﷺ **«يأتي كنز أحدهم يوم القيامة شجاعاً أقرع[3]، له زبيبتان، فيطوق في حلقه[4]»**،

---

(١) هذا تقدير الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٣)، وانظر علة القراءتين في: حجة القراءات ص (١٨٣، ١٨٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٣/ ٥١٠، ٥١١).

(٢) القول بأن التطويق في الآية على التشبيه والتقريب غير صحيح، والصواب كون ذلك حقيقة. قال الطبري: يعني بقوله جلّ ثناؤه ﴿ سَيُطَوَّقُونَ﴾ ما بخل به المانعون الزكاة طوقاً في أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة. جامع البيان (٧/ ٤٣٣) وقال الواحدي: «يجعل ما بخل من المال حية يطوقها يوم القيامة في عنقه، تنهشه من قرنه إلى قدمه» الوسيط (١/ ٥٢٧).

(٣) الشجاع بالضم والكسر الحية الذكر وقيل: الحية مطلقاً. والأقرع الذي لا شعر على رأسه، يريد حيّةً قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره. والزبيبتان: النكتتان السوداوان فوق عيني الشجاع. انظر: غريب الحديث للهروي (١/ ٨٠). والنهاية (٢/ ٤٤٧)، (٤/ ٤٤، ٤٥).

(٤) وهذا التطويق أيضاً حقيقة. قال ابن حجر: يُطوقه: بضم أوله وفتح=

فيقول: أنا الزكاة التي منعتني»(١)، وعلى هذا قوله تعالى/: [٢٥١/ب] ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾(٢) إلى قوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾(٣)، ونبّه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٤) على انتقال ما في أيديهم إليه، كما قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٥)، ونبّه أن ما خوَّلهم لو أنفقوا على ما يجب وكما يجب لاستحقوا ثواباً، فلمّا لم يفعلوا ذلك انتقل عنهم، وصار عقوبة لهم، وكأنّه إلى مقتضى معناه أشار من أوصى، فقال: اكتبوا هذا ما خلّف فلان يسوءه وبنوه

= الواو الثقيلة، أي يصير له ذلك الثعبان طوقاً. فتح الباري (٣/ ٢٧٠).

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما، أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٣٣-٤٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٧)، والبخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب «إثم مانع الزكاة» رقم (١٤٠٣)، والنسائي كتاب الزكاة، باب «التغليظ في حبس الزكاة» (٥/ ١١)، والترمذي كتاب التفسير، باب «من تفسير سورة آل عمران» رقم (٣٠١٢) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه كتاب الزكاة، باب «ما جاء في منع الزكاة» رقم (١٧٨٤)، وأحمد (٢/ ٢٧٦).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

انتقل عنه نفعه، وخفي عليه وزره، وبيّن أنه عالم ببخلهم، وما يؤول إليه حالهم، وما يخبرهم به.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾[1] الآية.

لّما أنزل الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[2] قال قوم من اليهود تهكماً على النبي ﷺ: إن الله فقير ونحن أغنياء، يستقرض منّا، فأنزل الله تعالى ذلك[3]، ولم يُعَيِّرهم أنهم اعتقدوا فقر الله، وإنما عيّرهم تجاهلهم وتكذيبهم[4] وصرفهم الكلام إلى غير الوجه المقصود به[5]، وعلى هذا قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١. ونصها: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٤٣، ٤٤٤) عن الحسن وقتادة. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٨) عن ابن عباس، وانظر: الوسيط (١/ ٥٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٠)، والعجاب (٢/ ٨٠٤).

(٤) في الأصل (ونكدهم)، ولعله تصحيف وقع من الناسخ.

(٥) حمل الآية على الوجهين أحسن وأليق بعقول اليهود، لأن بعضهم ربما اعتقد حقيقة أن الله فقير، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً. قال أبو حيان: =

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1]، ونبّه بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَآءَ﴾ أنهم ارتكبوا من المعاصي ما هو مثل هذا القول، أو أكثر منه، ولم يقل ﴿بغير حق﴾: أن في قتل بعض الأنبياء حقًّا، ولكن جعل ذلك حالهم على العموم، أي هو في كل حال على غير حق[2]، وكَتْبُ ذلك قيل: هو على الحقيقة، وقيل: هو على طريق المثل، عبارة عن حفظه، وأنه لا ينسى[3]، واعلم أن الكتابة جعلها الله لنا عوناً

= «ومقالتهم هذه إما على سبيل الاستهزاء بما نزل عن طلب الإقراض، وإما على سبيل الجدل والإلزام، لأن من طلب الإقراض كان فقيراً، وإما على الاعتقاد، ولا يستبعد ذلك من عقولهم...» البحر المحيط (٣/ ١٣٥).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) وأكثر من ذلك أنهم كانوا يعتقدون عدم جواز قتل الأنبياء. قال الجمل: «قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي حتى في اعتقادهم، فكانوا يعتقدون أن قتلهم لا يجوز ولا يحل، وحينئذ فيناسب شن الغارة عليهم» الفتوحات الإلهية (١/ ٣٤١).

(٣) مرتبة الكتابة من مراتب القدر التي أجمع أهل السنة على إثباتها. قال الإمام ابن القيم: «أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب»، شفاء العليل ص (٨٥). وانظر: الإبانة لابن بطة (٢/ ٩)، العقيدة الواسطية لابن تيمية شرح الفوزان ص (١٦٤)، وقال أبو حيان: «الظاهر إجراء الكتابة على أنها حقيقة، قال بذلك كثير من العلماء، وأنها تكتب الأعمال في صحف، وأن تلك الصحف هي التي توزن، ويحدث الله سبحانه وتعالى فيها الخفة=

لحفظنا، وذاك أن اللفظ لا يُفهم إلا القريب دون البعيد، وإلا الشيء بعد الشيء، ويسرع إليه مع ذلك الاضمحلال، فربما لا يعيه السمع، وإذا وعاه فربما لم يتصوَّره، وإذا تصوَّره فربما أخلّ به الحفظ فأعانه الله بالكتابة، لتكون تكملة لقوة النطق، وواعية لما يضيع من الفهم، ومدركة جملةً في حالة واحدة، فعُلِم من ذلك أن الكتابة وإن كانت شريفة فإنما احتجنا إليها لنقصنا وتكميل أفهامنا، فمن حمل الكتابة على الحقيقة قال: كتب الملأ الأعلى أعمالنا، لا لجبران نقصهم وضعف فهمهم وخوف نسيانهم؛ ولكن لجبران نقيصة البشر، وليتذكَّر به ما لعله نسي، وليرى صورة أعماله المتفرِّقة دفعة، ومن حمله على التشبيه فإنه ذكر أن نقص القريحة والسهو والنسيان الموجودة فينا في الدنيا معدومة عنّا في الآخرة؛ فلا حاجة بنا إلى الكتابة، وحينئذٍ قال: وعلى ذلك وصف الكتابة بالنطق في قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾[1] وقوله: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2] وعلى هذا سمّى

= والثقل بحسب ما كتب فيها من الخير والشر». البحر المحيط (٣/ ١٣٦). وانظر: الوسيط (١/ ٥٢٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٤٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٠).

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

الوحي كتاباً، فقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[1]، ومعلوم أن المنزل لم يكن وقت الإنزال مكتوباً، قال: وعلى هذا معنى قوله تعالى ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾[2] أي حافظين، وقال: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾[3]، قال: وعلى هذا قول الشاعر:

صحائف عندي للعتاب طويتها ستُنشر يوماً والعتاب يطول[4]

وهذا القول وإن كان له مساغ في مجاز اللغة، فأهل الأثر[5] على الوجه الأول[6]، والله أعلم بحقائق أحوال القيامة، ومعنى

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١١.

(٣) سورة عبس، الآية: ١٥.

(٤) البيت للعباس بن الأحنف. انظر: ديوانه ص (٢٥٠)، وينسب ليزيد بن الطثرية برواية (طويل) بدل (يطول). انظر: ديوانه ص (٩٨).

(٥) أهل الأثر: هم أهل الحديث، قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أوكتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً. مجموع الفتاوى (٤/ ٩١).

(٦) وهو الصواب الذي لا شك فيه، فالكتابة من مراتب القدر التي يجب الإيمان بها، قال الطحاوي: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم». وقد قسّم شارح الطحاوية الأقلام إلى أربعة أقلام، فذكر القلم الرابع وهو الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام =

﴿ وَنَقُولُ ذُوقُواْ ﴾[1] أي نُذَوِّقهم ذلك، ونوجب لهم[2].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ... ﴾[3] الآية.

أي نكتب ما قالوا ونعاقبهم[4] عليه جزاء لما ارتكبوه. إن [٢٥٢/أ] قيل: / لِمَ خصّ اليد، وفيما ذكره عنهم أفعال بغيرها من الجوارح؟

= الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد في الكتاب والسنة. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٤٤، ٣٤٨). وانظر: تفصيل مرتبة الكتابة في: شفاء العليل ص (٣٩-٤٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٢) يرى الراغب أن الأمر في هذه الآية لم يرد به طلب الفعل، بل أريدت به الإهانة، كقوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص (١٤٨)، وشرح التلخيص (٢/ ٣١٧)، والصواب أن الله تعالى يقول لهم ذلك حقيقة، وليس هناك داع لصرف اللفظ عن مدلوله، كما فعل الراغب. قال أبو حيان: «وفي الجمع بين القول والفعل أعظم انتقام، ويقال للمنتَقَم منه: أحس وذق... والظاهر أن هذا القول يكون عند دخولهم جهنم، وقيل: قد يكون عند الحساب أو عند الموت...» البحر المحيط (٣/ ١٣٦)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢. ونصّها: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾.

(٤) في الأصل (ونعاقبه)، والسياق يقتضي ما أثبته.

قيل: لمّا كانت اليد هي[1] الآلة الصانعة المختصة بالإنسان، فإنه لما كفى كل واحد من الحيوانات بما احتاج إليه من الأسلحة والملابس، وسخّره لاستعمالها في الدفع عن نفسه، وخلق الإنسان عارياً من كل ذلك، جعل له الرؤية واليد الصانعة، ليعلم برؤيته، وليعمل بيده فوق ما أعطى الحيوانات، فلما كان لليد هذه الخصوصية صارت تُخص بإضافة عمل الجملة إليها[2]، إن قيل: لِمَ خص لفظ ظلّام الذي هو للتكثير في نفي الظلم في هذا المكان، ولم يقل على ما قال في قوله: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[3]، الذي هو يقتضي نفي الظلم قليله وكثيره؟ قيل: إنما خص ذلك لأنه لما كان في الدنيا قد يُظن بمن يعذب غيره عذاباً

---

(١) في الأصل: (كان اليد هو)، ولعله خطأ من الناسخ.

(٢) قال أبو حيان: «. . . ونسب ما قدّموه من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية إلى الأيدي على سبيل التغليب، لأن الأيدي تزاول أكثر الأعمال، فكان كل عمل واقع بها. . .» البحر المحيط (٣/ ١٣٦)، وانظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب، حيث فصّل القول في هذه المسألة، وعقد لها باباً عنوانه [هداية الأشياء إلى مصالحها] ص (١٢٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٣)، وروح المعاني (٤/ ١٤٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.

شديداً أنه ظلَّام قبل أن يُفحص عن حال جُرمه، بيّن تعالى ذنبهم، وأنه إذا عاقبهم عقوبة شديدة فليس بظلَّام لهم، وإن كان قد يظن في الدنيا بمن يفعل ذلك أنه ظلَّام. تعالى الله عن الظلم(١).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾(٢) الآية.

القربان: أصلُه مصدرٌ كالشُّكران والكُفران، وفي التعارف

---

(١) للمفسرين في ذلك تعليلات شتى، منها أنه أتى بصيغة المبالغة للتأكيد على نفي الظلم، ومنها أنه أتى بها لنفي أصل الظلم وكثرته باعتبار آحاد من ظلم، فالمبالغة في (ظلَّام) باعتبار الكمية لا الكيفية ومنها أنه إذا انتفى الظلم الكثير انتفى القليل، لأن من يظلم يظلم للانتفاع بالظلم، فإذا ترك كثيره مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر، كان لقليله مع قلة نفعه أكثر تركاً. ومنها أن (ظلام) للنسب (كعطار) أي لا ينسب إليه الظلم أصلًا. قالوا: فظلام من صيغ النسب على حدّ قول ابن مالك:

ومع فاعل وفعال فعل　　في نسبٍ أغنى عن اليا فقُل

ومنها أنها لرعاية جمعية العبيد، من قولهم: فلان ظالم لعبده، وظلام لعبيده. انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٠، ٣٢١)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٢) والفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٢)، وروح المعاني (٤/ ١٤٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٣. ونصّها: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

اسم لما يُتقرَّبُ به إلى الله تعالى[1]، وكَثُر استعمالُه في النسيكة[2]، والعهدُ كالعقد، ولمّا تعورف في الوصية والأمر، كثُر استعماله مع: إلى، فقيل: عَهِدَ إليه[3]، ولمّا ادعى اليهود على ما أوقع شبهةً للجهلة، وكان حلُّها يصعب عليهم على التحقيق، وربّما كان اليهود مع ذلك يشغبون فيه[4]، سلّم دعواهم كتسليم جدل وناقضهم فيها، وكأنّه قيل: هَبِ

---

(١) قال ابن جرير: يقول: حتى يجيئنا بقربان، وهو ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة، وهو مصدر مثل «العدوان» و«الخسران». جامع البيان (٧/ ٤٤٨). وقال السجستاني: «ما تُقُرِّب به إلى الله جل وعز من ذبح أو غيره، وهو فعلان من القربة». غريب القرآن ص (٣٨٣). وانظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٢٤)، والصحاح (١/ ١٠٩٨). والفروق ص (٢١٧)، وأصل القربان: نار لها حفيف وصوت شديد، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٩).

(٢) انظر: المفردات ص (٦٦٤)، والنهاية (٤/ ٣٢)، ولسان العرب (١/ ٦٦٤، ٦٦٥). والنسيكة: الذبيحة. انظر: بصائر ذوي التمييز ص (٢٥٣).

(٣) قال الجوهري: «العهد: الأمان، واليمين، والموثق، والذمة، والحفاظ، والوصية. وقد عهدت إليه أي: أوصيته، ومنه اشتُق العهد الذي يكتب للولاة». الصحاح (١/ ٥١٥). وانظر: غريب الحديث (١/ ٤٣٩)، وتهذيب اللغة (١/ ١٣٥ - ١٣٨)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٧١٣)، والفروق ص (٦١)، والمفردات ص (٥٩١، ٥٩٢)، ولسان العرب (٣/ ٣١١)، والقاموس ص (٣٨٧).

(٤) يشغبون فيه: من الشغْب وهو تهييج الشر. انظر: القاموس ص (١٣١).

الأمر كما قلتم أليس من الحق أن لا تقتلوا من الأنبياء من جاءكم بالبيّنات وبالذي قلتم، وإذا قتلتموهم ولم تقبلوا قولهم، دلَّ ذلك أنكم كاذبون في دعواكم؛ أنّه عَهِدَ إلينا بذلك، فهذا معنى قوله: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، وهذا أوضح دلالة وأقربها مأخذاً وأخزاها لهم[2].

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ...﴾[3] الآية.

إن قيل: لم قال: ﴿وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ﴾ والزبور هو الكتاب، لقول الشاعر:

.... كخطِّ زبور في عسيب يمان[4]

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٣.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٤٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٢)، وروح المعاني (٤/ ١٤٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤. ونصها: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

(٤) هذا عجز بيت لامرئ القيس وصدره:

لمن طلل أبصرته فشجاني ....

انظر: ديوان امرئ القيس بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ص (٨٥)، وجامع البيان (٧/ ٤٥١)، والزاهر (١/ ٧٤)، ولسان العرب مادة: «صرع»، والدر المصون (٣/ ٥١٩). وانظر في معنى: الزبور: العين (٧/ ٣٦٢)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٩٦).

قيل: قد قال بعضهم: الزبور هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعيّة[١]، والكتاب في تعارف القرآن ما يتضمن الأحكام[٢]، ولهذا جاء في عامة القرآن كتاب وحكمة، ففصل بينهما لهذا، واستعمل الكتابة في معنى الإيجاب[٣]، فعلى هذا اشتقاقه من زبرت الشيء أي حكمتُه[٤]، وقيل: الزبور اسم لما أُجمل ولم يفصَّل، والكتاب يُقال لما قد فُصِّل، قيل: واشتقاقه من الزُّبرة أي القطعة من الحديد التي تُرِكت بحالها[٥]، وعلى هذا قال الشاعر:

---

(١) قال الزجاج: «(الزبر) جمع زبور، والزبور: كل كتاب ذو حكمة. يقال: زبرت إذا كتبت، وزبرت إذا قرأت». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٥) وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٣٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٢).

(٢) انظر: الصحاح (١/ ٢٠٨)، والمفردات ص (٧٠١).

(٣) انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٣٩٤)، والأفعال ص (٦٥).

(٤) في الأصل (حسنته) والصواب ما أثبته. قال الأزهري: «وأصل الزبر: طي البئر، إذا طويت تماسكت واستحكمت. والزبر الزجر: لأن من زبرته عن الغي فقد أحكمته». تهذيب اللغة (١٣/ ١٩٦). قال ابن فارس: «الزبر يدل على أصلين: أحدهما: إحكام الشيء وتوثيقه». انظر: معجم مقاييس اللغة ص (٤٦٨).

(٥) قال الجوهري: الزُّبرة: القطعة من الحديد والجمع زُبَر. قال الله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾. وزُبرٌ أيضاً، قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾. أي: قطعاً. الصحاح (٢/ ٦٦٦) وقال الأزهري: «وزبرة الحديد: قطعة ضخمة منه» تهذيب اللغة (١٣/ ١٩٧) وانظر: العين (٧/ ٣٦٢)، والمفردات ص (٣٧٧).

وما السيفُ إلا زبرة لو تركتها على الحالة الأولى لما كان يقطع[1]

وقيل: الزبور هاهنا اسم للزاجر من قولهم: زبرته أي زجرته[2]، قال: وبيّن أنه تعالى أتاهم بالآيات الدالة على الوحدانيّة والنبوّة، وبالمزاجر المعنيّة بقوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[3] وهذا تسليةٌ للنبي ﷺ وعتابٌ له، فقد رُوِيَ أنه قال: «**ما لقي أحد في الله ما لقيت**»[4]، فنبّه أن حال الأنبياء قبله كحاله، وحال قومهم كحال قومه، وليس/ الشرط في نحو هذا الموضع للشك، [٢٥٢/ب] كما تصوره بعض المفسرين، فأخذ يتخبط في جوابه، وإنما ذلك

---

(١) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه (٢/ ٣٣٤).

(٢) قال ابن منظور: «وزبره يزبُره ـ بالضم ـ عن الأمر زبراً: نهاه وانتهره». لسان العرب (٤/ ٣١٥). وانظر: الأفعال لابن القوطية ص (٢٨٧)، والفروق ص (٣٢١). وقال أبو حيان: «والزبر: جمع زبور، وهو الكتاب، سمي بذلك، قيل: لأنه مكتوب، إذ يقال: زبره: كتبه، أو لكونه زاجراً من زبره: زجره». البحر المحيط (٣/ ١٣٨). وانظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٨٦)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٢.

(٤) ورد نحو ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت**...» الحديث أخرجه البخاري رقم (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق. ومسلم رقم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

للتحقيق[١]، ومورده كقياس شرطي موجب للحكم[٢]، وبيانه إن كذَّبوك فقد كذَّبوا من صدَّقك، وقد صدَّقك الرُّسلُ قبلك، فإذا كذَّبوك فقد كذَّبوا رسُلًا من قبلك.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ...﴾[٣] الآية.

[الفوز][٤]: إدراك الأمنيّة. والمفازة في قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾[٥] مصدر، ويُقال للمهلكة: مفازة تفاؤلاً، والصحيح أنّهم لمّا رأوها تارة سبباً للفوز، وتارة سبباً للهلاك سمّوها بالاسمين، وذلك بنظرين مختلفين[٦]، وكذا قولهم: هلك، وفاز، إذا مات،

---

(١) ذكر ابن قتيبة أنّ: (إن) تأتي بمعنى (إذ) و(لقد)، وكذلك قال الفيروز آبادي. انظر: تأويل مشكل القرآن ص (٣٥٢)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ١١٨).

(٢) القياس الشرطي هو قياس مركب من قضايا شرطية، وهو المشتمل على النتيجة أو نقيضها بالفعل نحو: «لو كان النهار موجوداً لكانت الشمس طالعة، ولو لم يكن النهار موجوداً ما كانت الشمس طالعة، فالنتيجة في الأخيرة ونقيضها في الأولى مذكوران بالفعل». الكليات ص (٧١٥) وانظر: التعريفات ص (١٩٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥. ونصها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

(٤) ليست في الأصل والسياق يقتضيها. وقال في المفردات: «الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة». المفردات ص (٦٤٧).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٦) قال ابن فارس: واختلف في المفازة، فقال قوم: سميت تفاؤلاً بالسلامة =

كأنه رُئِيَ الموت في بعض الناس هلاكاً له، وفي بعضهم فوزاً له، إما لكونه متبلغاً بذلك إلى فوز الآخرة ونعيم الأبد، وإما لخلاصهم من شدَّةٍ يَرَى الموتَ في جنبها فوزاً[1]، وكذا المنيّة أراها والأمنيّة من أصلٍ واحد بنحو هذين النظرين[2]، وتخصيص الذوق هاهنا من حيث إنه ذكر الباخلين بالمال، وهو قوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ. . . ﴾[3] الآية، وأعظم البخل بالمال يكون خشيةً من فقدان الطعام الذي به قوام الأبدان، ولهذا ذكر

= والفوز، وقال آخرون: هو من فوَّز إذا هلك، وفوَّز الرجل إذا ركب المفازة. . .» مجمل اللغة ص (٥٥٦). وانظر: الأضداد لابن الأنباري ص (١٠٤)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٦٤)، والمفردات ص (٦٤٧)، والنهاية (٣/ ٤٧٨).

(١) قال الراغب: «فإن يكن (فوَّز) بمعنى (هلك صحيحاً، فذلك راجع إلى الفوز تصوّراً لمن مات بأنه نجا من حبالة الدنيا، فالموت ـ وإن كان من وجه هلكاً ـ فمن وجه فوز. . . هذا إذا اعتبر بحال الدنيا، فأما إذا اعتبر بحال الآخرة فيما يصل إليه من النعيم فهو الفوز الكبير. . .» المفردات ص (٦٤٧).

(٢) وأصل المادة (منى) و(المنىٰ) التقدير، يقال: منى لكَ الماني: أي قدّر لك المقدّر. والتمني: التكذُّب تفعُّل من منى يمني إذا قدَّر، لأن الكاذب يقدّر الحديث في نفسه ثم يقوله. والمنية: هو الأجل المقدّر للحيوان. انظر: مجمل اللغة ص (٦٥٢، ٦٥٣)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٦٦)، والمفردات ص (٧٧٩، ٧٨٠)، والنهاية (٤/ ٣٦٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

الأكل في عامة المواضع التي ذكر فيها احتجاز المال، نحو ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[1]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾[2] فبيّن بالذوق أن الذي يخافونه[3] طعامٌ لابد منه[4]، **والغرور**: مصدر أو جمع غارّ، كرقود، وقعود، في جمع راقد وقاعد[5]، **والمتاع**: التمتع[6]، ....

(١) سورة النساء، الآية: ٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٣) يعني الموت.

(٤) قال القرطبي: ﴿ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ من الذوق، وهذا مما لا محيص عنه للإنسان، ولا محيد عند لحيوان، وقد قال أمية بن أبي الصلت:

من لم يمت عَبْطَةَ يمت هرماً   للموت كأس والمرء ذائقها

الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٧).

(٥) قال أبو حيان: «إن جعل الغرور جمعاً فهو كقولك نفع الغافلين. وإن جعل مصدراً فهو كقولك: نفع إغفال، أي: إهمال، فيورث الغفلة عن التأهُّب للآخرة». البحر المحيط (٣/ ١٤٠). وانظر معاني الكلمة في: تهذيب اللغة (١٦/ ٦٧-٨٨)، والصحاح (٢/ ٧٦٧-٧٧٥)، والمفردات ص (٦٠٣، ٦٠٤).

(٦) قال ابن منظور: والمتاع: السلعة، والمنفعة، وما تمتعت به، وكل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها. لسان العرب (٨/ ٣٣٣) وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٠-٢٩٦)، والصحاح (٣/ ١٢٨٢)، والمفردات=

فنبّه أن السكون إلى الدنيا والتمتُّع بها غُرور، وأن الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت[1]، واقتصر على زاد يتبلَّغ به.

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[2] الآية.

قيل: سبب نزولها أن كعب بن الأشرف[3] كان يهجو النبي

= ص (٧٥٧، ٧٥٨).

(١) إشارة إلى حديث شدّاد بن أوس مرفوعاً «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٥٠) رقم (٢٤٥٩)، وقال: حسن، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣) رقم (٤٢٦٠). وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٣٨)، وابن المبارك في الزهد ص (٥٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٨١، ٢٨٤) رقم (٧١٤١، ٧١٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٧، ٢٦٨)، والبغوي رقم (٤١١٦، ٤١١٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦. ونصّها: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

(٣) **كعب بن الأشرف**: يهودي من أعداء الله ورسوله ﷺ، كان شاعراً واستخدم شعره في هجاء رسول الله ﷺ وإيذائه حتى قال رسول الله ﷺ: «**من لي بابن الأشرف فقد آذاني**». وبالإضافة إلى ذلك فقد رثى قتلى قريش في بدر، وحضهم على محاربة النبي ﷺ وأعانهم على ذلك وأخبرهم أن دينهم خير من دينه. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٥٦)، والصارم المسلول=

ﷺ، ويحرِّضُ المشركين عليه حتى قتله محمد بن مسلمة[1][2]، وقيل: بل هو أن سمع أبو بكر يهوديًا يقول: ترى إلٰه محمدٍ فقيراً حتى يستقرض منّا، فلطمه أبو بكر[3]، وجُمَلة الأمر أنّ جميع ما يُبتلى به الإنسان ويُتعبَّد به ثلاثة أشياء: إمّا متعلِّقٌ بالمال، وإمّا بالنفس، وإمّا بمجاهدة العدو، وأعظم المجاهدة الصبر

= على شاتم الرسول لابن تيمية ص (٧٩، ٨٠).

(١) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري أبو عبدالرحمن المدني، حليف بني عبدالأشهل، صحابي مشهور، ولد قبل البعثة باثنين وعشرين سنة، وأسلم بالمدينة قبل الهجرة على يد مصعب بن عمير، شهد بدراً وما بعدها، كان من فضلاء الصحابة، شارك في قتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق بأمر النبي ﷺ، واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، توفى سنة ٤٣هـ، وقيل سنة ٤٦هـ وله سبع وسبعون سنة. الإصابة (٦/ ٢٨)، وتقريب التهذيب ص (٥٠٧).

(٢) روى عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٢) بسنده عن الزهري أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف بسبب هجائه النبي ﷺ وتشبيبه بنساء المسلمين. ورواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٣٤) بسنده عن الزهري، والواحدي في أسباب النزول ص (١٣٤، ١٣٥)، والوسيط (١/ ٥٣٠). وانظر: العجاب (٢/ ٨١٠).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٤١، ٤٤٢، ٤٥٥، ٤٥٦) عن ابن عباس وعكرمة، ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٩، ٨٣٤) وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٤١)، والبحر المحيط (٣/ ١٤١)، والعجاب (٢/ ٨٠٥).

على الأذى المسموع من الأعداء، إذ هو سبب الشرور، ولهذا قال الشاعر:

.... وإن الحـرب أولهـا كـلام[1]

فبيّن تعالى أنكم إن صبرتم واتقيتم في هذه الأمور التي تُبلون بها، فإن ذلك من عزم الأمور[2]. **إن قيل**: ما معنى: من عزم الأمور، وما الأمور التي جعل تعالى هذه الأشياء من عزمها؟ **قيل**: **العزم**: ثبات الشيء على الشيء، وإمضاؤه[3]، والحزم يقاربه[4]، إلا أن العزم بالإمضاء أشبه، إذ هو من العزم، أي

---

(١) هذا عجز بيت من بحر الوافر لنصر بن سيّار، وتمامه:

فإن النار بالعودين تزكى وإن الحـرب أولهـا الكـلام

انظر: ديوانه ص (٤٠)، وعيون الأخبار (١/ ٢١٠)، والحماسة البصرية (١/ ١٠٧)، والأغاني (٦/ ١٢٤)، وبهجة المجالس (١/ ٤٦٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٥٥).

(٣) قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله، وكذلك العزيمة...» مجمل اللغة ص (٥١٨). وانظر: الفروق ص (١٣٥)، والمفردات ص (٥٦٥).

(٤) قال ابن الأثير: الحزم: ضبط الرجل أمره والحذر من فواته، من قولهم: حزمت الشيء: أي شددته. النهاية (١/ ٣٧٩)، وانظر: العين (٣/ ١٦٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٧٦)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٢٦٠)، والقاموس ص (١٤١٢).

القطع[١]، والحزم بجمع الرأي أشبه، إذ هو من حزمت الحطب والقصب، أي جمعتُ[٢]، ولذلك [قيل][٣]: أحزم لو أعزم[٤]، وأمّا الأمور التي عناها فيجوز أنها الثواب الذي جعل للصابرين والصالحين والمتقين، وما أشبه ذلك، ويجوز أن تكون الأمور إشارة إلى ما تقدم[٥]، ونبّه أنّ بالصبر والتقوى يُتوصَّل إليه.

---

(١) ومنه: «ليعزم المسألة» أي يجد فيها ويقطعها. انظر: النهاية (٣/ ٢٣٢).

(٢) قال النقاش: «العزم والحزم بمعنى واحد، الحاء مبدلة من العين. قال ابن عطية: وهذا خطأ، والحزم جودة النظر في الأمر، وتنقيحه. والحذر من الخطأ فيه، والعزم: قصد الإمضاء...». انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣١٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٢).

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) هذا الكلام مثلٌ ومعناه: «إن عزمت الرأي وأمضيته فأنا حازم، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعني حزمي». انظر: مجمع الأمثال (٢/ ١٠٤)، المستقصى (٢/ ١٨٩)، ومجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص (١٠١).

(٥) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر أن الأمور في الآية هي الثواب، بل قالوا: ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي الأمور التي ينبغي أن يعزمها كل أحد، لما فيه من كمال المزية والشرف والعز، أو مما عزمه الله تعالى وأوجبه على عباده. فعزم الأمور هو صواب التدبير الذي لا شك في ظهور الرشد فيه، فكل أمر كان حميد العاقبة، معروفاً بالرشد والصواب فهو من عزم الأمور. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٥٥)، والتفسير الكبير (٩/ ١٠٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤)، وروح المعاني (٤/ ١٤٨).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[1] الآية.

النبذ: طرح الشيء لقلّة الاعتداد به[2]، وقولهم: جعلت كذا خلف ظهري أي أهملته[3]، وقيل: تقدير الآية على ما يقرب من فهم العامة، وإذ نَبَذَ أهل الكتاب وراء ظهورهم ما أخذ الله عليهم من الميثاق من تبيين ما/ [٢٥٣/أ] أوتوه من الكتاب للناس، واشتروا به ثمناً قليلًا[4]، وقد تقدّم الكلام في أخذ الميثاق عليهم، وكيفية ذلك[5]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧. ونصها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

(٢) قال ابن فارس: «نبذت الشيء أنبذه، إذا ألقيته من يدك...» مجمل اللغة ص (٦٨٤)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٩٧)، والفروق ص (٣٢٩)، والمفردات ص (٧٨٨).

(٣) ومنه المثل: «لم أجعلها بظهر» قال الميداني: «الهاء كناية عن الحاجة يضربه المعني بحاجتك. ويقول: لم أجعل حاجتك وراء ظهري، ولم أعقل عنها بل جعلتها نصب عيني». انظر: مجمع الأمثال (٢/ ١٨٩)، والمستقصى (٢/ ٢٥٣). وقال ابن عطية: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ استعارة لما يُبَالغ في اطّراحه، ومنه: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: ٩٢]» المحرر الوجيز (٣/ ٣١٤). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٠٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٤٥٨، ٤٥٩).

(٥) انظر: تفسير الراغب للآية (٩٣) من سورة البقرة (ق ٧٧ ـ مخطوط).

وفي معاني الثمن القليل(١).

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟...﴾(٢) الآية.

المفازة من العذاب: هي المنجاة في قول الشاعر:

تحل بمنجاة من اللوم بيتها(٣) ....

والكلام في تكرير ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾، ودخول الفاء في الأخير

---

(١) انظر: تفسير الراغب للآية (٧٩) من سورة البقرة (ق ٦٩ ـ مخطوط).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨. ونصُّها: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وتطلق أيضاً على المهلكة تفاؤلاً. انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٥٢٣)، والأضداد ص (١٠٤). وانظر في معنى الآية: جامع البيان (٧/ ٤٧٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٣)، والوسيط (١/ ٥٣٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٤). وقال الفراء والزجاج: ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي ببعيد. قال أبو حيان: لأن الفوز معناه التباعد من المكروه. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٠)، والزجاج (١/ ٤٩٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٤).

(٣) هذا صدر بيت من بحر الطويل للشنفري في وصف امرأة يريد أنها لا تذم لإيثارها الناس على نفسها. والمنجاة من النجو أي الارتفاع. وتمامه:

تحل بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالمذمة حلّت

انظر: شرح اختيارات المفضل (١/ ٥١٧)، والإيضاح في علوم البلاغة ص (٣٣٨)، ودلائل الإعجاز ص (٣١٠)، والمفضليات ص (١٠٨).

منه صعب، وقد قال الزجاج: لا تحسبن، مكرر لطول القصة، قال: والعرب تعيد إذا طالت القصة حسبت وما أشبهها، إعلاماً أنّ الذي جرى متصل بالأول، تقول: لا تظنن زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا فلا تظننّه صادقاً[1]، وقيل: الفاء زائدة[2]، والوجه في ذلك عندي أن قوله: لا تحسبنّ على الخبر وتقدير الكلام فيه، وذلك إشارة إلى يوم القيامة بعد أن يدخل الكفار النار، ويقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[3] والمعنى: والله إنك لا تحسبهم حينئذٍ أنّهم بمفازةٍ من العذاب، أي لهم سبيل إلى الخلاص فلا تحسبنهم الآن، وهذا نهيٌ والأوّل خبر[4]، وحذف

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٨)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٣٦).

(٢) قال أبو حيان: «فدخول الفاء إنما يتوجه على أن تكون زائدة، إذ لا يصح أن تكون للعطف، ولا أن تكون فاء جواب الجزاء. . .» البحر المحيط (٣/ ١٤٤) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٠٧)، والدر المصون (٣/ ٥٢٩). ولا يجيز سيبويه زيادة الفاء، وأجاز الأخفش زيادتها مطلقاً، وقيّدها الفرّاء وجماعة بكون الخبر أمراً أو نهياً. انظر: مغني اللبيب ص (٢٩١)، وهذا الذي ذكره الراغب من كون الفاء زائدة هو قول أبي علي الفارسي في الحجة (٢/ ٤٠١).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.

(٤) ذكر هذا الوجه ابن زنجلة في حجة القراءات ص (١٨٧). وفيه ضعف، لأن (لا) إذا كانت نافية فتوكيد الفعل الداخلة عليه بالنون قليل. انظر: =

مفعول أحد الفاعلين[1]، وإذا قُرئ بالياء[2]، فكذلك، ويكون بتقديره: لا تحسبنّ أنفسهم كذلك، والآية قيل: نزلت في قوم دخلوا على النبي ﷺ فنافقوه، فلمّا خرجوا، أثنى عليهم بعض الناس ففرحوا بذلك[3]، وقيل: نزلت في الذين كتموا أمر النبي ﷺ وادعّوا علماً وعبادة أثنى عليهم بها قومهم[4]، وقيل: نزلت

= الجنى الداني ص (١٤٣)، والمغني ص (٤٤٤).

(١) انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٤٠٠-٤٠٤).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لا تحسبن الذين يفرحون. . . فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) بالتاء، وقرأ الباقون (لا يحسبن)، وقرأ ابن كثير وأبو عمر: (فلا يحسبُنَّهم)، وقرأ الباقون (تحسبنهم)، انظر: حجة القراءات ص (١٨٦، ١٨٧)، والمبسوط ص (١٤٩)، والغاية ص (٢٢٠)، والنشر (٢/ ٢٤٤).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٦٧) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٣٩)، والواحدي في أسباب النزول ص (١١٦). ورواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ رقم (٤٥٦٨). ورواه مسلم في كتاب صفة المنافقين وأحكامهم رقم (٢٧٧٨). ورواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٩٨)، والترمذي في التفسير رقم (٣٠١٤) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في الكبرى في التفسير (١٠٦) والطبراني في الكبير رقم (١٠٧٣٠)، ورواه الحاكم (١/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٦٧، ٤٦٨) عن الضحاك والسدي، =

في المنافقين المتخلفين عن الجهاد، المدعين دعاوى يُحبّون أن يُحمدوا عليها[(١)]، وكيف ما كان. فالآية عامة في النهي عن الرياء والتشبُّع[(٢)]، والذمّ لمن فعل خيراً ففرح به، وإلحاق الوعيد بمن أحب أن يُحمد بما لم يفعل، وقد رُوي أنّ إبليس قال: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها: إذا أُعجب بنفسه،

= ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٨)، ورواه عبد بن حميد في تفسيره المخطوط بهامش تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ق ٩٧)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤١، ١٤٢) وذكره ابن حجر في العجاب (٢/ ٨١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٢) وعزاه لابن جرير وعبد بن حميد.

(١) يشير الراغب إلى ما رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ رقم (٤٥٦٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين رقم (٢٧٧٨)، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب في كتاب التفسير رقم (٣٠١٤) من تفسير سورة آل عمران، والطبري في جامع البيان (٧/ ٤٦٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٩)، وأحمد في المسند (١/ ٢٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان رقم (٤٧٣٢) الإحسان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا له، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت». والأقوال الثلاثة متشابهة.

(٢) التشبع: أي التكثر بأكثر مما عنده، يتجمّل بذلك، كالذي يُري أنه شبعان وليس كذلك، ومن فعله فإنما يسخر من نفسه. انظر: النهاية (٢/ ٤٤١).

واستكثر عمله، وسُرَّ بمدحه بما لم يفعله[١].

إن قيل: -فكيف قال عليه السلام: «من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن»[٢]؟ **قيل:** السرور بذلك محمود، والفرح به مذموم، وقد تقدَّم الفرق بينهما[٣]، وبين بقوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤] مع أنّهم لا ينجون، فإنهم يعُذّبون عذاباً أليماً.

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص (٤٠) بلفظ: «إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٤) من حديث أبي أمامة. وقال: هذه الأحاديث صحيحة على شرط الشيخين، ولم يعقّب عليه الذهبي. ورواه الترمذي رقم (٢١٦٥) كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، والحاكم (١/ ١١٤)، وابن أبي عاصم في السنة، رقم (٨٨)، والخطيب في الفقيه والمتفقه رقم (٤٣٠)، وأحمد (١/ ١٨) نحوه، والنسائي في الكبرى - كتاب عشرة النساء - كما في التحفة (٨/ ٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٩١)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٤٩) رقم (٤٠٣)، والبزار كما في البحر الزخّار رقم (١٦٦)، وابن حبان رقم (٧٢٥٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٣) قال أبو هلال: السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة . . . ». انظر: الفروق ص(٢٩١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

قَدِيرٌ ﴾[1] أتبع تكذيبهم فيما قالوا: إن الله فقير. وتبكيتهم فيما فعلوه، وما وعدهم به من العذاب بما أنبأ عن قدرته عز وجل وسعة ملكه، وأن لا سبيل لهم إلى النجاة وإلى الخروج عن ملكه وسلطانه، وهذا هو المعنى الذي تحرّاه النابغة[2] بقوله:

فإنك كالليل الذي هو مدركي[3] . . . .

لكن على الآية رونق الإلهية وتعميم الملك والقدرة بلا مثنويّة، وإضافة الفعل إلى موجد الليل والنهار.

قول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] الآية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٩.

(٢) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، توفي سنة ١٨ قبل الهجرة. انظر: طبقات الشعراء ص (٤١)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٧)، والمؤتلف والمختلف ص (٢٥٢)، والأغاني (١١/ ٣).

(٣) هذا صدر بيت من بحر الطويل للنابغة الذبياني، وتمامه:

فإنك كالليل الذي هومدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

انظر: ديوانه ص (٥٢)، والكامل ص (٩٢٣)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠. ونصُّها: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

نبّه تعالى أن التفكر في ذلك يدل على وحدانية الله تعالى، وأن جميع هذه الأشياء لا تنفكُّ من ثلاثة أضرب: إمّا موجود العين، قائم الجوهر، قابل للانتقال وتبدّل الأمكنة بأجزائه: كالسماء والنجوم، وإمّا قابلٌ للاستحالة والتغير بجملته وأجزائه، وذلك كالأرض وما عليها، وإمّا أن يكون مما لا بقاء له بحاله، بل ينصرم، ويقابله نظيره كالليل والنهار، وقد ذكر ثلاثتها، ونبّه على حدوثها، لأن المتنقل لا ثبات له، والمستحيل لا بقاء له، وما كان هذا حاله فغير منفك من دلالة الحدث، وما لم يخل من محدِثٍ/ فمسخّر له، ومحالٌ أن يكون المسخَّر المُحدَث أزليًّا واجب [٢٥٣/ب] الوجود[١]، فإذن لابد له من موجِد يوجده، وموجده[٢] واجب الوجود، وذلك هو الباري تعالى[٣]، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

---

(١) واجب الوجود: هو الذي يكون وجوده من ذاته، ولا يحتاج إلى شيء أصلًا. انظر: التعريفات ص (٢٦١).

(٢) في الأصل طمس على الأحرف الثلاثة الأولى من الكلمة، وصورة ما بقي تدل على ما أثبته.

(٣) قال شارح الطحاوية: «. . . فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل، فإن نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم. شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٧٦).

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾[١] الآية، ونبّه بقوله: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٢] أن من لم يكن ذا لُبٍّ قلَّ عناؤه في التفكُّر فيها، واللب هو اسم للعقل[٣] أزيل عنه الدرن[٤]، وذاك أن العقل وإن كان أشرف مُدرك من الأشياء فهو في الأصل كسيف حديد لم يُطبع ولم يُصقل، فإذا تُفُقِّد وتُعُهِّد بالحكمة صار كسيف طبع، فأُزيل خبثه، وشُحذ حَدُّه، وكل موضع يذكر الله تعالى فيه أجلَّ مُدرَكٍ لا يمكن إدراكه إلا بأجلِّ مُدرِك، قال بعض الصوفية: هذه المنزلة وإن خُصَّ بها أولوا الألباب فمنزلة الأنبياء والأولياء أشرف منها، لأنهم ينظرون من خالق السموات والأرض إليها[٥]، ولهذا قال لنبيه

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٨)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٥٢٣)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٣٤)، وفي الأصل فراغ وطمس بمقدار كلمة بين كلمتي (العقل) و(أزيل) مع استقامة المعنى بدونه.

(٤) انظر: مجمل اللغة ص (٦٢٩)، والمفردات ص (٧٣٣).

(٥) الآية عامة تشمل الأنبياء والأولياء وغيرهم من ذوي العقول السليمة. قال أبو حيان: «ومعنى (لآيات): لعلامات واضحة على الصانع وباهر حكمته، ولا يظهر ذلك إلا لذوي العقول، ينظرون في ذلك بطريق الفكر والاستدلال لا كما تنظر البهائم» البحر المحيط (٣/ ١٤٥)، فجعل الأولياء في منزلة فوق منزلة أولي الألباب، وقرنهم بالأنبياء من=

ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[(١)]، وهذا الذي قاله صحيح، فإن الإنسان يمكنه أن يعرف حكمة الصانع أولاً بتدبر مصنوعه، ومتى عرف حكمة الصانع حينئذٍ عرف مصنوعاته به، فيصير ما كـان دالاً مدلولاً، وما كان مدلولاً دالاً، وبهذا النظر قال من سُئل: بِمَ عرفت الله؟ فقال: به عرفت كل ما سواه[(٢)].

= حيث إنهم يتلقون عن الله مباشرة من غلو الصوفية. والقشيري نفسه ذكر عن أولي الألباب ما ذكره الراغب عن الأولياء، فقال: «قوله تعالى: ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أولو الألباب الذين صحّت عقولهم عن سُكر الغفلة، وأمارة من كان كذلك، أن يكون نظره بالحق، فإذا نظر من الحق إلى الحق استقام نظره، وإذا نظر من الخلق إلى الحق انتكست نعمته، وانقلبت أفكاره مورّثة للشبهة» لطائف الإشارات (١/ ٣١٦). وانظر: قضايا هامة في الولي والولاية، ص (٣٥٩) من الرسالة القشيرية. وص (٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٨) من قطر الولي على حديث الولي للشوكاني.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

(٢) ولهذا كان الإقرار بتوحيد الربوبية وأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان متفقاً عليه بين جميع الطوائف، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥، ٢٦).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ...﴾[1] الآية.

الذِّكر: ذكر باللسان، وذكر بالقلب[2]. وذكر القلب ذكران: ذكر عن نسيان، وهو إعادة ما انحذف عن الحفظ، وذلك هو التذكر في الحقيقة، وذكر هو إدامة مراعاة ما ثبت في الحفظ[3]، وقوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[4] عبارة عن حال الاضطجاع، وعلى ذلك قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾[5] فمن حمل الآية على الصلاة، وقال: معناه لا يخلون بها في شيء من أحوالهم قائمين إذا قدروا، قاعدين إذا عجزوا،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١. ونصُّها: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

(٢) قال ابن القيم: «والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة» مدارج السالكين (٢/ ٤٤٠).

(٣) وهذا ضد الغفلة، وقد أشار إلى هذين النوعين الهروي في منازل السائرين قال: «والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان». قال ابن القيم: «والفرق بين الغفلة والنسيان أن الغفلة ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره» انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٥) سورة يونس، الآية: ١٢. وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٧٥).

وعلى جنوبهم إذا مرضوا[1] . وقد رُوي في ذلك أن النبي ﷺ قال لسهل بن حنيف[2] : «**صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**»، ثم تلا الآية[3] ، ومنهم من جعله أعمّ من

---

(١) ذكر أبو حيان أن هذا قول ابن عباس وجماعة. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٤٥)، وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود ما يدل على ذلك في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٠). وانظر: الوسيط (١/ ٥٣٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٢)، وزاد علي بن أبي طالب والنخعي، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١٩)، ونسب القرطبي هذا القول للحسن وجماعة، انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١١) قال القرطبي: «وإذا كانت الآية في الصلاة ففقهها أن الإنسان يصلي قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنبه. . . ». وانظر: الدر المنثور (٢/ ١٩٤).

(٢) الصواب أن النبي ﷺ قال ذلك لعمران بن حصين. وسهل بن حنيف هو ابن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث الأوسي الأنصاري أبو ثابت، ويقال: أبو سعيد المدني، صحابي مشهور، شهد بدراً والمشاهد كلها، وبايع النبيَّ ﷺ يوم أحد على الموت، استخلفه عليٌّ على البصرة، وولاّه فارس، وصلى عليه حين مات سنة ٣٨هـ. انظر: الإصابة (٣/ ١٦٥)، وتقريب التهذيب ص (٢٥٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب «إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب» رقم (١١١٧). ورواه أبو داود كتاب الصلاة، باب «في صلاة القاعد» رقم (٩٥٢)، والترمذي كتاب الصلاة، باب «ما جاء على أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم» رقم (٣٧٢)، وابن ماجه=

ذلك، وقال: لا ينفكون من ذكر الله في جميع أحوالهم[1]، كقولك: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2]، ومنهم من جعله أعمّ من ذلك أيضاً، وقال: معناه لا يتحرّون بجميع أفعالهم إلا وجهه[3]، وبيان ذلك أن مباحات أولياء الله كلها قُرَبٌ يُستحق بها الثواب، وذاك أنهم لا يأكلون ولا ينامون إلا وقت الضرورة، ومقدار ما يستعينون به على العبادة، وما لا تتم عبادتهم إلا به فذاك واجب كوجوبها. وذلك قوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] إشارة إلى ما قال ﷺ: «تفكّروا في

= كتاب إقامة الصلاة، باب «ما جاء في صلاة المريض»، وأحمد في المسند (٤/ ٤٢٦)، وابن خزيمة رقم (٩٧٩، ١٢٥٠)، والدارقطني (١/ ٣٨٠)، والبيهقي (٢/ ٣٠٤)، والبغوي رقم (٩٨٣)، وليس فيه أن النبيّ ﷺ قرأ الآية.

(١) هذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢). وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٢٣).

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٣) قال السمعاني: «وقيل معناه: الذين يوحّدون الله على كل حال». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨٨). وقال القشيري: «استغرق الذكر جميع أوقاتهم، فإن قاموا فبذكره، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا، فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر. لطائف الإشارات (١/ ٣١٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

آلاء الله، ولا تفكّروا في الله»[1]، وقوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾[2] أي يقولون[3] وليس يعني بذلك القول من دون العلم، فإن ذلك إقامة شهادة، ومن شهد بشيء وهو على ما شهد به، لكن لا يعلم كونه كذلك فشهادته مردودة بدلالة قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]، ومن عرف حقيقة ذلك وأقام هذه الشهادة فكأنهم شهدوا الله وهو يخلق

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٣١٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٢)، اللالكائي في السنة (٢/ ١٥٢٥)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥٥٦)، ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٣٦١): فيه نظر: ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٥٣٠) وأبو الشيخ في العظمة رقم (٢) نحوه. ورجح الحافظ في فتح الباري (١٣/ ٣٨٣) وقفه، وقال: سنده جيد. أي الموقوف. والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٤، ١٩٥) إلى ما تقدم، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في «التفكُّر» والأصفهاني في الترغيب والترهيب. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص (٢٦١): وأسانيده ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣) قال أبو جعفر: «قائلين. فترك ذكر «قائلين» إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه». انظر: جامع البيان (٧/ ٤٧٦). والبحر المحيط (٣/ ١٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

السموات، ولهذا قال تعالى في ذمّ الكفار حيث ثكلوا[1] هذه الفضيلة، فقال: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[2] وفي قوله: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾[3] تنبيهٌ أنه قصد تعالى بخلق هذه الأشياء قصداً صحيحاً[4]، وذلك ما قاله الحكماء أن القصد بخلق السموات والأرض إنما هو الإنسان، [٢٥٤/أ] وإنّما خلق النبات والحيوانات قواماً/ له، قال: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[5]، والقصد بخلق الإنسان أن يستخلفه في الأرض، فيقوم بحق الخلافة، ويبلغُ بها إلى أعظم السعادة في جواره، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[6]، فلما تحقق المتفكرون ما لأجله خُلقت السموات والأرض، وعرفوا مآلهم سبَّحوه، واستعاذوا

---

(١) ثكلوا: أي فقدوا. انظر: القاموس ص (١٢٥٧).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٤) قال ابن كثير: «أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً، بل بالحق؛ لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى...» تفسير ابن كثير (١/ ١٤٥)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٦٧).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٦) سورة ص، الآية: ٢٧.

به من النار[1] .

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2] ، يقال: خَزِي الرجل: إذا لحقه انكسار، إمّا من نفسه بإفراط، يقال في مصدره الخزاية، وإمّا من غيره، ويقال في مصدره الخزي[3] ، وعلى هذا هان وذلَّ، متى كان ذلك من نفسه، يقال له الهُون والذُّل، ومتى كان من غيره يُقال له الهوان والذِّل[4] ،

---

(١) أشار إلى هذا المعنى الألوسي بقوله: «ثم لما استغرقوا في بحار العظمة والجلال ـ وبلغوا هذا المبلغ الأعظم، وتحققوا أن من قدر على ما ذكر من الإنشاء بلا مثال يحتذيه أو قانون ينتحيه، واتصف بالقدرة الشاملة، والحكمة الكاملة، كان على إعادة من نطقت الكتب السماوية بإعادته أقدر، وأن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة، هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم القلبية والقالبية ـ طلبوا النجاة مما يحيق بالمقصرين ويليق بالمخلين فقالوا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ . روح المعاني (٤/ ١٦٠، ١٦١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٢ .

(٣) قال ابن فارس: خَزِي الرجل: إذا استحيا من قبح فعله، خزايةً فهو خزيان. مجمل اللغة ص (٢١١) . وانظر: المفردات ص (٢٨١) .

(٤) ذكر الراغب في المفردات الشواهد على هذا التقسيم، فقال: «الهوان على وجهين: أحدهما: تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيمدح به نحو قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. الثاني: أن يكون من جهة متسلط مستخِفٍّ به فيذم به. وعلى الثاني=

والآية من تمام الحكاية عن المتفكرين في خلق السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾(1) الآية.

الأبرار جمع برٍّ وبارٍّ، نحو جَدٍّ وأجدادٍ، وصاحبٍ وأصحابٍ، وأصله من البرّ أي المكان الواسع(2)، فبرّه خوله برًّا، أي سعة، ويُقال للإنسان إذا أكرم من دونه وأكرمه من فوقه

= قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧]...» المفردات ص (٨٤٨، ٨٤٩). وانظر: تهذيب اللغة (٦/ ٤٤١)، (٧/ ٤٩٠). (١٤/ ٤٠٦)، والفروق ص (٢٧٤- ٢٧٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣. ونصها: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾.

(٢) قال الزجاج: «وواحد الأبرار: بار. وأبرار مثل صاحب وأصحاب، ويجوز أن يكون بر وأبرار على فعل وأفعال». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٠١)، وقال ابن منظور: والبرُّ بالفتح: خلاف البحر، والبرية: الصحراء، نسبت إلى البر... والبر: القفار. لسان العرب (٤/ ٥٤، ٥٥) وانظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٨٤، ١٨٥)، ومعجم مقاييس اللغة ص (١٠٧)، والمفردات ص (١١٤). وذكر الفيروز آبادي من معاني البر: الاتساع. انظر: القاموس ص (٤٤٤).

برّه[1]، كما يقال فيهما: أحبَّ ووالى، والأبرار: هم الموصوفون بقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[2]، والمنادي للإيمان والداعي إليه: قد يكون العقل[3]، وكتابه المنزّل[4]، ورسوله المرسل[5]، وآياته الدالة، وإن كان الأظهر في هذا الموضع أن يكون الرسول، لقوله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[6]، وقوله:

---

(١) قال ابن الأثير: والبرّ بالكسر: الإحسان.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٣) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر أن العقل هو المنادي.

(٤) هذا قول محمد بن كعب القرظي وقتادة واختاره ابن جرير الطبري.
انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨٠، ٤٨١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٢)، والوسيط (١/ ٥٣٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨).

(٥) وهذا قول أكثر المفسرين كما قال القرطبي في الجامع (٤/ ٣١٧)، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن زيد. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٣)، والوسيط (١/ ٥٣٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٥). وقد تكررت كلمة (المرسل) في الأصل مرتين.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ يعني أي آمنوا[1]، أو بأن آمنوا[2]، إن قيل: فعلى أي وجه قال: ﴿فآمنا﴾؟ أعلى طريق الامتنان، أو الإعلام. فإن كُلًّا مستشنعٌ إيراده على الله تعالى؟ قيل: بل على طريق الامتثال، وليس هذا إشارة إلى أنهم قالوه نطقاً فقط، بل إلى أنهم حققوه فعلًا، إن قيل: كيف جعل غُفران الذنوب وتكفير السيئات قبل التوقِّي؟ قيل: لأن تمام غُفران الذنوب وتكفير السيئات أن يوفّق العبد في الدنيا لمرضاته، ويحرسه عن تعاطي السيئات، ليكتسب ما يترشح به لاستحقاق الثواب، وقوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[3] نحو ما حكى عن غيره في قوله: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى

(١) وعلى هذا تكون (أن) تفسيرية لا محل لها من الإعراب. انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ص (١٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨)، والدر المصون (٣/ ٥٣٦). ويصح أن تكون مصدرية في موضع نصب على حذف حرف الجر. انظر: الفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٧).

(٢) وعلى هذا تكون (أن) مصدرية، ومثلها: كتبت إليه أن أفعل. وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٢٦)، وإملا ما منّ به الرحمن ص (١٦٣)، ومغني اللبيب ص (٥٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨)، والدر المصون (٣/ ٥٣٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1]، وفيه تنبيه أنهم لا يكرهون لقاء الله، وقد قال ﷺ: **«من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**[2].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا...﴾[3] الآية.

إن قيل: ما فائدةُ استنجازِ وعده مع العلم بأنه لا يُخلف؟

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه» رقم (٦٥٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب «من أحب لقاء الله» رقم (٢٦٨٣)، والترمذي كتاب الجنائز، باب «فيمن أحب لقاء الله» رقم (١٠٦٦)، والنسائي كتاب الجنائز، باب «فيمن أحب لقاء الله» رقم (٤/ ١٠). وأحمد في المسند (٥/ ٣١٦، ٣٢١)، والطيالسي رقم (٥٧٤)، والدارمي (٢/ ٧٠٨)، والبزار رقم (٧٨٠)، وابن حبان رقم (٣٠٠٩). من حديث عبادة بن الصامت. ورواه البخاري رقم (٦٥٠٧) تعليقاً. ووصله مسلم في الذكر والدعاء رقم (٢٦٨٤)، والترمذي وقال: حسن صحيح رقم (١٠٦٧)، والنسائي (٤/ ١٠) كتاب الجنائز، وابن ماجه في الزهد، باب «ذكر الموت والاستعداد له» رقم (٤٢٦٤)، وأخرجه أيضاً أحمد (٦/ ٤٤، ٥٥، ٢٠٧، ٢٣٦)، وابن حبان رقم (٣٠١٠)، والبغوي رقم (١٤٥٠)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٤٣٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤. ونصّها: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

قيل: إن وعده تعالى عِبادَه على طريق الجملة، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(١)، وليس هذا السؤال خوفاً من إخلاف وعده، ولكن سؤالاً أن يرشحه لأن يكون من جملة من دخل في الوعد، ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ تنبيهاً أني لست أخشى خُلْفَ وعدك، لكني أخشى أن لا أكون من جملة الموعودين(٢)، وقد قيل ذلك هو على جهة العبادة(٣)، وقد تقدّم أن ليس القصد التفوُّه بذلك، بل فعل ما يقتضيه، وقوله: ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي على ألسنتهم، وعلى ما وعدت بإجابتهم(٤).

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) ذكر الطبري هذا التفسير عن قوم لم يُعيِّنهم. قال: «وقال آخرون بل ذلك قول من قائليه على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله، لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله من أنفسهم، ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم. . .» جامع البيان (٧/ ٤٨٣، ٤٨٤).

(٣) قال أبو حيان: «وقيل: هذا السؤال جاء على سبيل الالتجاء إلى الله والتضرُّع إليه، كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم، يقصدون بذلك التذلُّل والتضرُّع إليه والالتجاء» البحر المحيط (٣/ ١٤٩).

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨٥)، والوسيط (١/ ٥٣٤)، ومعالم التنزيل=

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ...﴾[1] الآية.

استجاب: أراد إجابتهم[2]، والاستجابة في الحقيقة غير الإجابة، وإن كان يفهم منه ذلك، وقول الشاعر:

وداعٍ دعا بعد الهدوءِ من السرى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ[3]

= (٢/ ١٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٩).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. ونصها: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾.

(٢) الصواب أن (استجاب) هنا بمعنى أجاب، وليست هناك ضرورة لهذا التأويل. وهو ما ذهب إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١١٢)، وأبو هلال في الفروق ص (٢٤٥). قال الطبري: «﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ يعني تعالى ذكره: فأجاب هؤلاء الداعين». وقال ابن عطية: «استجاب: استفعل بمعنى أجاب...». وقال أبو حيان: «ومعنى استجاب: أجاب». وكذا قال ابن كثير. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٧).

(٣) هذا البيت من بحر الطويل لكعب بن سعد الغنوي. انظر: أمالي ابن الشجري (١/ ٦٢)، والأصمعيّات (٩٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٥)، وشرح أبيات المغني للبغدادي (٥/ ١٦٧)، وتفسير القرطبي (٤/ ٢٧٧). =

[٢٥٤/ب] فهو أبلغ من قولك: لم يجبه، إذ فيه/ تنبيه أنه تعالى لا يضيع عمل من لم يخرج عن الإيمان بشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١)، وذَكَر الذكر والأنثى، فقد رُوي أنّ أمّ سلمة(٢) قالت: يا رسول الله، ما بال الرجال يُذكرون في الهجرة دون النساء؟ فأنزل الله ذلك(٣)،

= وذكر ابن عطية وابن كثير هذا البيت مع اختلاف في الشطر الأول حيث أورداه هكذا:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقد ذكر أن قوله: (فلم يستجبه) في هذا البيت بمعنى: فلم يجبه. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٧).

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، أم المؤمنين كانت ممن أسلم قديماً وهاجرت إلى الحبشة، تزوجها النبيّ ﷺ سنة ٤هـ بعد وفاة زوجها أبي سلمة، توفيت سنة ٦٢هـ في خلافة يزيد بن معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠١)، الإصابة (٨/ ٤٠٤)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٥)، وتقريب التهذيب ص (٧٥٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٨٦-٤٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٤)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٩٩ - مخطوط)، وسعيد بن منصور (٣/ ١١٣٦)، والواحدي في أسباب النزول ص (١٣٩)، والترمذي في كتاب التفسير، باب «تفسير سورة =

و ﴿مِّن﴾ للتبيين، أو لاستغراق الجنس لتقدُّم النفي[1]. **إن قيل**: ما معنى قوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ في هذا الموضع؟ **قيل**: تنبيهاً أن الأنوثية والذكورية لا تقتضي اختلاف الحكم في هذا الباب، وإنما الاعتبار بالأعمال والنيات، فمن قصد فيما يتحراه وجه الله فله بقدره ثواب، ثم بيّن أنّ للذين هاجروا فضل رتبة، كما قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾[2] ولم يعن بالمهاجرة والإخراج من الديار ما كان من الكفّار فقط، بل عناه ومن هاجر الأفعال القبيحة

= النساء» رقم (٣٠٢٣)، والحميدي في مسنده (١/ ٤٤) رقم (٣٠١)، وعبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٤)، وأبو يعلى (١٢/ ٣٩١، ٣٩٢) رقم (٦٩٥٨)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٩٤) رقم (٦٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٠) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٩٧).

(١) قال الزجاج في معاني (مِن): «وتكون... دالّة على أن ما بعدها واحد في معنى جنس كقولك: ما جاءني من رجل. فقد نفيت قليل الجنس وكثيره، والواحد وما فوقه... وتكون دالة على ضرب من النعت». انظر: حروف المعاني ص (٥٠)، ومعاني الحروف للرماني ص (٩٧)، ومغني اللبيب ص (٤٢٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٥١)، والدر المصون (٣/ ٥٣٩)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٨).

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٩٥، ٩٦.

والأخلاق الكريهة، وقاتل نفسه حتى قهرها[1]، والظاهر من قوله: ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾[2] أن ذلك حكم الآخرة، وعليه أهل الأثر[3]، وقال بعض الصوفية: عنى بتكفير سيئاتهم إزالة درنهم عنهم في الدنيا، قال: وهذا المعنى هو المراد بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[4]، وإدخالهم الجنّات التي تجري من تحتها الأنهار التمكين من زهرات العلوم والاطلاع على كثير من الغيوب، التي وصفها حارثة[5] في حقيقة الإيمان، حيث قال: وكأنّي بعرش ربي بارزاً[6]، وقال: والأنهار هي أنهار الماء

(١) هذا من إشارات الصوفية. انظر: لطائف الإشارات (١/ ٣١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣١٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٢).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن مالك بن النجار الخزرجي الأنصاري أبو عبدالله، شهد بدراً والمشاهد كلها، اشتهر بديانته وبرّه بأمه، توفي في خلافة معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٨)، والإصابة (١/ ٧٠٧).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص (٤٣) رقم (١١٥) وهو معضل، فإنه من رواية زبيد عن النبي ﷺ، وزبيد من الطبقة السادسة=

المذكور في قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[1]. قال ابن عباس: قرآنا[2]، ثم قال: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3] تنبيهاً أن هذا ثوابه عاجلًا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[4] إشارة إلى ما له في الآخرة من الثواب، والله أعلم بما ادعاه هذا القائل[5]. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾

= التي لم تلق أحداً من الصحابة. انظر: كلام الألباني على هذا الحديث في الهامش رقم (١٠٥). والحديث رواه الطبراني في الكبير موصولاً (٣/ ٢٦٦) رقم (٣٣٦٧). وعبد بن حميد كما في المنتخب رقم (٤٤٥)، وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة (٧/ ٤٥٤) رقم (٧٣٢٣)، وقال: رواه عبد بن حميد بسند ضعيف. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٧) وقال: فيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج الكشف عنه.

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) ذكر ابن الجوزي هذا القول في زاد المسير (٤/ ٣٢٢) ولم ينسبه لأحد. والمروي عن ابن عباس أنه فسّر الماء في الآية باليقين والهدى والحق، وهو يشمل القرآن بغير شك. رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦/ ٤١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٥) هذا القول في التفسير من النوع الإشاري المخالف لظاهر اللفظ القرآني بتحريف الكلم عن مواضعه وتأويله على غير مقصده، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة في التفسير الإشاري فقال: «فإن إشارات =

بعد قوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ على القول الأول؟ قيل: يحتمل ذلك وجهين: أحدهما: أنّه بيّن بقوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أنّ ما ذكره ثواب لهم، ثم أخبر أنّ هذا الثواب لا يوجد إلا عنده، فيكون قوله ﴿[حسن][1] الثواب﴾ إشارة إلى المذكور قبله[2]، والثاني: أن يكون حسن الثواب غير المذكور أولاً، فنبّه أنّ ما ذكرت أولاً هو الذي عرفتكم، وعند الله حسن الثواب، الذي لم يُعَرِّفْكُموه لعجزكم عن الوقوف عليه إشارة إلى المذكور في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[3] وفي قوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[4].

= المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى: إشارة حالية، وهي إشارتهم بالقلوب... وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال، مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس، وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص، مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام... فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وإن كان تحريفاً للكلام عن مواضعه، وتأويلًا للكلام على غير تأويله، كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية». مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل والسياق يقتضيه.

(٢) ذكر هذا الوجه أبو السعود: في «إرشاد العقل السليم» (٢/ ١٣٤). وانظر: روح المعاني (٤/ ١٧٠، ١٧١).

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٦. وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٠، ٤٩١) ففيه=

قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾[1] الآية.

أصل الغَرِّ: الطيُّ الذي ينكسر عليه المطوي[2]، فجُعِلَ عبارة عمن انطوى على اعتقاد يمنع عن رفع بصيرته، ولذلك سُمي الاعتقاد طَوِيَّة[3]، ونحو الغرِّ الاستدراج تشبيهاً بالمدرج، ومن هذا قال: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾[4]؛ والتقلُّب في البلاد ليس يعني المشي فيها، وإنما يعني التوسع في أعراض الدنيا[5]، والمتاع: ما

= ما يُشير إلى هذا المعنى.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٦. ونصُّها: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

(٢) قال الأزهري: الغَرُّ: الكسر في الجلد من السِّمن. تهذيب اللغة (١٦/ ٦٧) وانظر: معجم مقاييس اللغة ص (٨٠٩)، والمفردات ص (٦٠٣).

(٣) قال ابن منظور: والطوية: الضمير. اللسان (١٥/ ٢٠).

(٤) سورة هود، الآية: ٥.

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١١٧) وقد جعل ابن عزيز المعنيين مرادين فقال: تقلبهم في البلاد: تصرفهم فيها للتجارة، أي فلا يغررك تصرفهم وأمنهم وخروجهم من بلد إلى بلد. انظر: غريب القرآن ص (١٥٤)، وجامع البيان (٧/ ٤٩٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٤)، والوسيط (١/ ٥٣٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٨).

فيه تمتع ما[1]، والآيـة تحتمل وجهين: **أحدهما**: أن جعل ما يتمتع به في الدنيـا وإن كَثُرَ، قليلًا في جنب ثواب الله تعالى، فلا يجـب أن يُغتر به، إذا اعتُبر بما يحصل لأربابها في المآل من العذاب، **والثاني**: أنه أراد بالقليل قلة الفناء[2]، وأراد بجهنّم: جهنّم الدنيـا وجهنّم الآخرة[3]، تنبيهاً أن من/ حصل [٢٥٥/أ] له مال لا ينفك من شُغلٍ لا ينقضى عناؤه، وفقر لا يُدرك غناؤه، وحزنٍ على فوت محبوب، وخوفٍ على فقد مطلوب، كأنّهم في جهنم من سَلْب ما لهم، وفي جهنم عنـد مآلهم، كما قـال: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4] وذكـر ﴿ٱلْمِهَادُ﴾ على سبيـل المثـل[5]،

---

(١) تقدم الكلام على المتاع انظر ص (١٠٢٧) من هذه الرسالة. وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٠)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٧٣).

(٢) ذكر الوجهين النيسابوري في تفسير غرائب التفسير (٢/ ٣٣٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٥٤).

(٣) الصحيح أن جهنم هي جهنم الآخرة. قال ابن جرير: ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: بعد مماتهم. الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٤٩٤) وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٥).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٥) قال ابن جرير: «ويعني بقوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: وبئس الفراش والمضجع جهنم». جامع البيان (٧/ ٤٩٤).

كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ...﴾[2] الآية.

ذكره تعالى لـ ﴿لَٰكِنِ﴾ لكون حكم ما بعده منافياً لما قبله[3]، وقد ذكر في قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الوجهان اللذان ذُكرا في قوله: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[4]. وقيل: عنى به أنهم من طيب عيشهم في القناعة، ورفضهم فضولات الدنيا في جنّاتٍ صفتها كذلك، وذلك على التشبيه[5]، وإياه قصد بقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨. ونصُّها: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾.

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٥٤٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. وانظر: الوجهين المذكورين ص (٤٨١، ٤٨٢).

(٥) يريد أن الآية في المعيشة الدنيوية، شبهها في طيبها وصفائها بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار. وهذا التفسير لم أجد أحداً قال به، والمفسرون على أن ما ذكر في الآية من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار إنما هو في الآخرة، لأنه قال: خالدين فيها، ولا خلود في الدنيا. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٤)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٥)، =

﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[(١)] قال: والذي يدلّ على هذا قوله: ﴿نُزُلًا﴾، والنُّزُلُ ما يُجعل للإنسان في طريقه، ليستعين به على سفره[(٢)]، وانتصابه على أنه مصدر مؤكد أو تفسير[(٣)]، كقولك: هذا لك هبة، وفي قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[(٤)]،

= وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٠، ٣٩١)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٥).

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١١٧)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢١١)، ومعجم مقاييس اللغة ص (١٠٢٣)، ففيه تفسير النزل بالرزق، والمعروف أن النزل ما يُعدُّ للضيف عند نزوله، وهذا لا يمنع أن يُسمِّي الله تعالى ما أعده للمؤمنين في الجنة نزلاً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]. وقال السمعاني: «النزل: ما يعدّ للضيف من النعمة، فسمى الله تعالى ما أعده للمؤمنين من نعيم الجنة نزلاً من عند الله». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٠، ٣٩١)، ولذلك فسّر ابن عباس النزل في الآية بالثواب. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٥٥).

(٣) قال الزجاج: «نزلاً: مؤكد لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٠١). وانظر الوجهين في: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٢٨)، وإملاء ما منّ به الرحمن ص (١٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٥)، والدر المصون (٣/ ٥٤٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

الوجهان المذكوران في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1]، وقيل: عنى بذلك ما قاله ﷺ: «**الدنيا جنّة الكافر وسجن المؤمن**»[2]، تنبيهاً أن المؤمن يتبرم بها شوقاً إلى ما أُعِدَّ له، والكافر يطمئن إليها، ويشتاق إليها عند فراقها مع ما[3] فيها من الشوائب لما أُعِدَّ له من العذاب، وقال عبدالله[4]: ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها، ثم تلا هذه الآية في الأبرار. وتلا قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾[5] في الفجار[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. وانظر: الوجهين المذكورين ص (٤٨٢، ٤٨٣) من هذه الرسالة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق رقم (٢٩٥٦). والترمذي في الزهد، باب «ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» رقم (٢٣٢٤)، وابن ماجه في ـ الزهد ـ باب «مثل الدنيا...» رقم (٤١١٣). وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٣، ٣٨٥، ٣٨٩)، وفي الزهد (١٥١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٥٠)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٥٢) رقم (٦٤٦٥)، وابن حبان (٢/ ٤٦٣) رقم (٦٨٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (٤١٠٤، ٤١٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رسمت في الأصل هكذا (معما) والصواب المثبت.

(٤) أي ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٦) الأثر رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٢)، والطبري في جامع البيان=

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾[1] الآية.

الخشوع: كالخضوع، لكن أكثر ما يقال في الخشوع ما اعتُبر فيه حال القلب، والخضوع فيما اعتُبر فيه حال الجوارح، وإن كان يُستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر[2]، فقول الحسن: الخشوع ثبات الخوف في القلب[3]، وقول غيره: هو ما يظهر من الخضوع الدال على الخوف من عقاب الله[4]، واحد في الحقيقة،

= (٧/ ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي. وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٩). وعزاه لابن أبي حاتم وعبدالرزاق. وذكر العلامة أحمد شاكر في حاشيته على الطبري أن هذا الأثر له حكم الرفع، لأنه مما لا يدرك بالرأي، وهو قول وجيه، والله تعالى أعلم.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩. ونصّها: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

(٢) انظر: بحر العلوم (١/ ٣٢٦)، والفروق ص (٢٧٣، ٢٧٤)، والمفردات ص (٢٨٣، ٢٨٦).

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني (٤/ ١٧٤)، ونسبه للحسن.

(٤) انظر مدارج السالكين (١/ ٥٥٨).

ولمّا ذمّ فيما تقدم كفار أهل الكتاب بيّن هاهنا: أن من خالفهم في سوء اعتقادهم وأفعالهم فحكمهم بخلاف حكمهم، وذكر ما فيه تنبيه على الإيمان والأعمال الصالحة، وترك تتبُّع دِقَاق المطامع، وذلك أحكام الشرع. **إن قيل**: ما فائدة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1] ها هنا؟ **قيل**: الحساب إشارة إلى الثواب المجعول لهم في مقابلة فعلهم[2]، وسمّاه حساباً لقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3] وبيّن بقوله: سريع الحساب أنّ ذلك لا يتأخر عنهم، لما كانت النفس مولعة بحبِّ العاجل[4]، ونبّه على أمرين: **أحدهما**: ما يجعل لهم في الدنيا المدلول عليه بقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.

(٢) قال أبو حيان: «... والمعنى أجرهم قريب إتيانه سريع حسابه، لنفوذ علمه، فهو عالم بما لكل عامل من الأجر» البحر المحيط (٣/ ١٥٦)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٠١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٤) هذا اقتباس من بيت لجرير من بحر الكامل وتمامه:

وإني لآمل منك خيراً عاجلًا ... والنفس مولعة بحب العاجل

انظر: ديوان جرير ص (٤١٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٦١)، ومجمع البلاغة (١/ ٣٨٧)، ومجمع الأمثال (٢/ ٣٣٣).

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾[1]، الثاني: أن المدعُوَّ به في الآخرة سريعٌ وقوعه[2] وإن كان في ظنِّ الكافرين بطيئاً حصوله[3].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] الصبر أعمُّ من المصابرة، إذ كان يقال فيما يُتصوَّر فيه فاعل واحد، والمصابرة، يقال فيما يُتصوَّر فيه فاعلان متقابلان[5]، والصبر: حبس النفس على ما يحمد،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٢) في الأصل: (ووقوعه) بتكرار الواو.

(٣) قال ابن الجوزي: وفي معنى سرعة الحساب خمسة أقوال: أحدها: أنه قلّته، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قرب مجيئه؛ قاله مقاتل. والثالث: أنه لما علم ما للمحاسَب وما عليه قبل حسابه، كان سريع الحساب لذلك. والرابع: والله سريع المجازاة، ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج. والخامس: أنه لا يحتاج إلى فكر ورويّة كالعاجزين؛ قاله أبو سليمان الد[مش]قي - عبدالرحمن بن سليمان بن أبي الجون الدمشقي، ت ١٩٥هـ -. انظر: زاد المسير (١/ ٢١٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٥) قال الطبري: «(وصابروا) يعني وصابروا أعداءكم من المشركين، لأن المعروف من كلام العرب في المفاعلة أن تكون من فريقين، أو اثنين فصاعداً، ولا تكون من واحد إلا قليلًا في أحرف معدودة...» جامع البيان (٧/ ٥٠٨) وانظر: مدارج السالكين (٢/ ١٦٦).

وعمّا يُذمُّ[1]، ولهذا قيل: هو اسم لأعم الفضائل، وله ثلاث منازل: إمساك الجوارح الظاهرة عن الإقدام على ما يُكره، وإمساك/ اللسان عن إظهار التألُّم منه، وإمساك القوى عن تحرُّكها بالتألُّم منه، وهذه منزلة الصدِّيقين[2]. والمصابرة ضربان: مصابرة العِدى، وإليه ذهب الحسن ومجاهد في الآية[3]، ومصابرة قوى النفس في مدافعة الحرص والبخل والجبن وسائر الرذائل، وهي عظماهما[4]، والمرابطة كذلك على ضربين: مرابطة في [٢٥٥/ ب]

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٠)، ومجمل اللغة ص (٤٢٢)، والفروق ص (٢٢١)، والمفردات ص (٤٧٤).

(٢) قال ابن القيم: «والصبر: حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش» مدارج السالكين (٢/ ١٦٢) وهو بنحو ما ذكر الراغب. وانظر: عدة الصابرين ص (٢٧) وما بعدها، في معنى الصبر لغة واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٥٠٢) عن الحسن وقتادة. وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٨) عن الحسن وقال: وروي عن مقاتل بن حيان وقتادة نحو ذلك.

(٤) قال القرطبي في معنى المصابرة: «وقيل: إدامة مخالفة النفس عن شهواتها، فهي تدعو وهو ينزع» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٢٣)، وورد أن أبا هريرة رضي الله عنه فسرَّ ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ بمصابرة النفس والهوى. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٠).

ثغور المسلمين[1]، ومرابطة النفس البدن، فإنها كمن أُقيم في ثغر، وفُوِّض إليه مراعاته، فيحتاج أن يراعيه غير مُخلٍّ به إلى أن يُعزَل عنه أو يُستردّ منه[2]، وقد دخل في عموم ما قلناه قول من قال: اصبروا في أنفسكم، وصابروا عدوكم، ورابطوا الثغور[3]، وقول من قال: اصبروا بجوارحكم على الطاعة، وصابروا بقلوبكم مع الله، ورابطوا بأسراركم في سبيل المحبة[4]، وقد نبّه

---

(١) وبذلك فسَّر المرابطة جمهور المفسرين قال ابن عطية: قوله: ﴿وَرَابِطُواْ﴾ فقال جمهور الأمة: معناه: رابطوا أعداءكم بالخيل. . . والقول الصحيح: «أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله، وأصلها من ربط الخيل، ثم سُمِّي كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطاً فارساً كان أو راجلًا. . .» المحرر الوجيز (٣/ ٣٢٨، ٣٢٩). وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٠٨، ٥٠٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٦).

(٢) هذا على التفسير اللغوي للمرابطة قال القرطبي: «فإن المرابطة عند العرب: العقد على الشيء حتى لا ينحلّ، فيعود إلى ما كان صبر عنه، فيحبس القلب على النية الحسنة، والجسم على فعل الطاعة. . .» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٢٤).

(٣) وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج ولفظ كلامهم: (اصبروا على دينكم) بدل: (اصبروا في أنفسكم) والباقي بمثله. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٠٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٦).

(٤) ذكره القشيري في اللطائف (١/ ٣٢١).

على عمـوم ذلك النبي ﷺ، حيث قال: «**من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة**»[1]، **إن قيل**: كيف أخّر ذكر التقوى؟ **قيل**: يحتمل وجهين: أن يكون ذلك إشارة إلى غاية التقوى، وهي التبرؤ من كل شيء سوى الله، وذلك لا يكون إلا بعد هذه الأشياء، وكأنه قال: إذا فعلتم ذلك فاتقوا الله راجين أن تدركوا الفلاح، إشارة إلى ما ذكر من الصبر والمصابرة والمرابطة[2]، فلمّا أمر تعالى بهذه الثلاثة، قال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي اتركوا القبائح له، فبتركها تُدرك هذه الثلاث، ويكون الفلاح عبارة

---

(١) وبهذا الحديث احتج أبو سلمـة بن عبدالرحمن على أن المرابطة في الآية هي انتظار الصلاة بعد الصلاة. والحديث رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب «فضل إسباغ الوضوء على المكاره» رقم (٢٥١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالـوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**». وأخرجه أيضاً: مالك في الموطأ (١/ ١٦١) رقم (٥٥)، وأحمـد فـي المسنـد (٢/ ٢٣٥، ٢٧٧، ٣٠١، ٣٠٣، ٤٣٨)، والترمذي رقم (٥١، ٥٢) كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، والنسائي (١/ ٨٩) كتاب الطهارة، وابن خزيمة (١/ ٦) رقم (٥)، والبغوي في شرح السنة رقم (١٤٩)، والبيهقي في السنن (١/ ٨٢)، وابن حبان رقم (١٠٣٨).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (١/ ١٩٨).

عن هذه الثلاث[1]، فعلى هذا التقوى في المعنى متقدّم، وعلى الأول متأخّر[2]. والله أعلم.

***

(١) قال البيضاوي: «فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح، أو واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتّبة، التي هي الصبر على مضض الطاعات، ومصابرة النفس في رفض العادات، ومرابطة السر على جناب الحق. . .» أنوار التنزيل (١/ ١٩٨).

(٢) الصواب أن الأمر بالتقوى يشمل جميع الأمور، والأحوال، فهو مأمور به عند الصبر والمصابرة والمرابطة، وليس مقصوراً على ما بعد حصول هذه الثلاث، كما أشار الراغب في القول الأول. قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي في جميع أموركم وأحوالكم. . . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي في الدنيا والآخرة. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٣).

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[1] الآية .

قد تقدّم الكلام في الفرق بين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، وأنه ذكر مع النّاس الربّ ومع الذين آمنوا ﴿ ٱللَّهُ ﴾[2] ، فيا أيها النّاس خطابٌ عام ، ويا أيها الذين آمنوا أخصّ منه ، ويا عبادي أخصُّ منهما ، وحيث يقصد خاصَّ الخاصِّ قال :

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١ . ونصُّ الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

(٢) قال الراغب : إن قيل : ما الفرق بين قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ ، وبين قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ ؟ قيل : في قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ إيجاب العبادة بواسطة رؤية نعمه التي بها تربيتهم وقوامهم . وفي قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ إيجاب عبادته بمراعاته عز وجل من غير واسطة ، وعلى ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء : ١] ، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] فحيث ذكر الناس ذكر معه الرب ، وحيث ذكر الإيمان ذكر الله لما تقدم . انظر : تفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٢٥ ، وق ١٠٧ مخطوط) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾[١] و ﴿ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾[٢] وإن كان الخطاب له ولغيره نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[٣].

وقد تقدّم الكلام في أن أدنى منازل التقوى اجتناب الكفر، وأعلاها أن لا تراعي من الدنيا والآخرة سوى الله[٤]، وقوله: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ذكر عامة المفسرين أنه عنى بالنفس آدم، وزوجها: حواء[٥]، وذكر بعضهم أنه عنى بالنفس الروح المذكورة في قوله ﷺ: «**إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجسام بكذا سنة**»[٦]، وعنى بزوجها البدن، وقيل: عنى به التركيب، وإلى

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ١٢ مخطوط)، سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٥) وهذا قول مجاهد والسُّدِّي وقتادة ومقاتل والضّحّاك واختاره ابن جرير. انظر: جامع البيان (٧/ ٥١٣-٥١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٤).

(٦) أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٤٠١)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٦٨)، والسيوطي في «اللالىء المصنوعة» (١/ ٣٨٣)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (٣٨٢)، =

نحوه أشار بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[1]، وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ولا يصحُّ معنى ذلك في النبات إلاّ على معنى التركيب، ونبّه بذكر الزوجين والأزواج في الأشياء على أنها لا تنفك من ترتيب ما، وأن الواحد في الحقيقة ليس إلا هو تعالى[3]، قال: وعلى هذا نبّه بقوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، وقال معنى الشفع: الخلق، والوتر: الخالق[4]. وهذا القول في الآية

= وقال: «رواه الأزدي عن علي مرفوعاً، وفي إسناده عبدالله بن أيوب بن أبي علاج عن أبيه، وهما كذّابان».

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٢) سورة يسٓ، الآية: ٣٦.

(٣) ذكر أبو حيان هذين القولين بنفس كلام الراغب، ولم يشر إلى الراغب أو إلى أصحابهما، بل قال: «ومن غريب التفسير أنه عنى بالنفس الروح... إلخ»، ثم قال بعد أن ذكرهما: وهذا مخالف لكلام المتقدمين. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٦٣، ١٦٤).

(٤) اختلف المفسرون في معنى الشفع والوتر في هذه الآية، فمنهم من قال: الشفع: المخلوقون. والوتر: الله سبحانه وتعالى، وقيل: الشفع: يوم الأضحى لأن له نظيراً وهو أيّام النحر. والوتر: يوم عرفة. وقيل: الشفع: ولد آدم، والوتر: آدم. وقيل: الشفع: الزوج، والوتر: الفرد. وقيل غير ذلك. انظر: تفسير غريب القرآن ص (٥٢٦)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٩٠)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٢٨).

وإن كان متجهًا، فأهل الأثر على ما تقدَّم. إن قيل: على أي وجه خلق زوجها منها أخذ جزءًا فجعل زوجها؟/ قيل: قال بعضهم: [٢٥٦/أ] الشيئان قد يُقال لأحدهما: هو من الآخر. إذا كان من عنصره وأصله، كقولك: هذا القميص من قميصك. وقد يقال ذلك إذا كانا مشتركَين في صفة(١)، نحو ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾(٢)، وقال بعضهم: أخذ جزءًا من آدم، وجعل منه حواء(٣)، وعلى ذلك رُوِيَ: «خُلِقَتْ حواء من ضلع من أضلاع»(٤)، وقال

---

(١) هذا القول اختاره أبو مسلم الأصفهاني كما ذكر الرازي والنيسابوري في تفسيريهما. وقد ردّ المفسرون هذا القول بقولهم: إذا كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة كما ذكر تعالى. انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٣)، والمحرر الوجيز (٥/ ٧)، والتفسير الكبير (٩/ ١٣١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٣)، وزاد نسبته لابن بحر.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والضحاك والحسن، وهو قول جماهير المفسرين. انظر: جامع البيان (٧/ ٥١٥، ٥١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٢، ٨٥٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٥١٥، ٥١٦) عن قتادة وابن إسحاق، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٥٢) عن الضحاك. =

بعضهم: نبّه بقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أن المرأة بعض من الرجل، تنبيهًا على نقصانها وكماله[1]، وأنّه نبّه ﷺ بقوله ذلك أنها مخلوقة خلقة مُعْوَجَّة، لا ينتفع بها إلا كذلك، فلا يهمنّك تنقيتها، وعلى ذلك قال ﷺ: «إن المرأة خُلقت من ضلع، وإنك إن أردت أن تقيمها كسرتها، وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها»[2]، وبهذا النظر قيل: أَخسُّ صفات الرجل الشحُّ والجبنُ، وهما أشرف صفات المرأة[3].

إن قيل: ما وجه عطف الأرحام على الله، والتقوى في الحقيقة من الله ومن عذابه، لا من الرحِم، وقد كان الوجه أن يُقال:

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠٦) إلى ما تقدم، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد. والحديث فيه النص على أن حوّاء خُلقت من ضلع من أضلاع آدم.

(١) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٦٣) ولم يشر إلى قائله.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «خلق آدم وذريته» رقم (٣٣٣١). ورواه مسلم في كتاب الرضاع، باب «الوصية بالنساء» رقم (١٤٦٨). ورواه الترمذي في كتاب الطلاق، باب «ما جاء في مداراة النساء» رقم (١١٨٨) وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه وإسناده جيد. وأخرجه الحميدي رقم (١١٦٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٩)، والدارمي في سننه رقم (٢٢٢٨)، وابن حبان رقم (٤١٧٩)، والبغوي رقم (٢٣٣٣).

(٣) الصحيح أن الشحّ والجبن صفتان مذمومتان سواء اتصف بهما الرجل أو المرأة، وليس هناك دليل على تخصيص الرجل بذلك.

اتقوا الله في الأرحام أو للأرحام؟ **قيل**: أجيب عن ذلك بأوجه:

الأول: أنّه لما كان يقال: اتقِ الله، أي اتق عقوبة عصيانه، واتق ذنبك، أي عقوبة ذنبك، قال ههنا: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، أي اتقوا عقوبته على طريق الجملة، ثم قال: والأرحام. أي عقوبته في قطع الأرحام، وخصّها بالذكر تعظيمًا لأمرها، وكأنّه قيل: اتقوا عقوبات الله عامة، وعقوبته في قطع الأرحام خاصة، وذلك لتعظيمه أمر الرحم(١).

والوجه الثاني: أن تقديره: اتقوا الله في الرَّحِم، لكن حُذِف الجارّ، وأُقيم حرف العطف مقامه، كقولهم: يدك والسكين. أي احفظ يدك من السكين(٢).

---

(١) وهذا قول ابن عباس والسدي وقتادة والحسن وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع وابن زيد والكافة واختاره ابن جرير والفراء والزجاج والنحّاس. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٢)، وجامع البيان (٧/ ٥٢١، ٥٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٦)، واعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٥).

(٢) المثال الذي ذكره المؤلف مشابه لأمثلة التحذير مثل: إياك والشرّ، ورأسك والسيف، وقد جعل النحاة هذه الأمثلة منصوبة بفعل محذوف على سبيل المفعوليّة، ويُقدّر لذلك فعل لائق مثل: احذر أو اتق أو باعِد. انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٢٧٣)، والنكت (١/ ٣٤٥)، والتعليقة (١/ ١٨٠)، والمساعد=

والوجه الثالث: أن تقديره: اتقوا الله وقوا الأرحام. فأحدهما متقى، والآخر موقّى[1]، نحو قولهم: أعور عينك والحجر[2]. أي: قِ عينك، واتق الحجر[3].

إن قيل: ما وجه إعادة التقوى وعطف أحدهما على الآخر؟ **قيل**: إنه أمر في الأول بالتقوى أمرًا عامًا، ولهذا قال: ﴿رَبَّكُمُ﴾ تنبيهًا على أفضاله، وإحالتهم على ما لا يمكن لأحد إنكاره، ولما قصد الحثّ على المحافظة على الرَّحِم قدّم ذكر الموجد باللفظ الذي فيه التنبيه على القدرة التامة[4]. **إن قيل**: ما وجه ذكر ﴿تَسَآءَلُونَ

= (٢/ ٥٦٩).

(١) وهذا على نصب الأرحام بالإغراء أي: والأرحام فاحفظوها وصلوها، كقولك: الأسد الأسد. انظر: الوسيط (٢/ ٥)، والتفسير الكبير (٩/ ١٣٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٩)، وروح المعاني (٤/ ١٨٤).

(٢) هذا مثل يُضرب للمتمادي في المكروه المُشفي منه على الهلكة. انظر: جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٨٧-٨٨)، ومجمع الأمثال للميداني (٢/ ٦)، ومجمع الأمثال العربيّة (٣/ ٢٣٩).

(٣) وقد ذكر مكّي بن أبي طالب وجهاً آخر، وهو أن (الأرحام) معطوف «على موضع (به) كما تقول: مررت بزيد وعمراً». انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٨٧).

(٤) قال ابن عطية: وفي تكرار الأمر بالاتقاء تأكيد، وتنبيه لنفوس المأمورين. المحرر الوجيز (٤/ ٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٤).

﴿بِهِۦ﴾؟ **قيل**: زيادة في الترغيب في تقواه، وتنبيهًا على كون تعظيمه منغرسًا في قلوبنا، حتى إنّا إليه نفزع إذا سألنا، ونبّه أنّا كما نقول: أسألك بالله. نقول: أسألك بالرحم، وتقدير الكلام: اتقوا الله الذي تسألون به، والأرحام التي تسألون بها، لكن نبّه بوصف الأول على وصف الثاني(١)، وللقصد إلى هذا المعنى قرأ من قرأ: «الأرحامِ» بالخفض(٢).

إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؟ **قيل**: تنبيهًا على وجوب مواصلة بعضنا بعضًا، لكوننا من ذات واحدة، وأنّا

---

(١) وهذا قول إبراهيم النخعي وهو مروي أيضاً عن مجاهد والحسن. انظر: جامع البيان (٧/ ٥١٨، ٥١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٣)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٥)، وتفسيرالقرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٤، ٤٢٥).

(٢) قرأ حمزة بخفض الميم في (والأرحامِ) عطفاً على الضمير في (به)، أو أعيد الجار وحذف للعلم به، وجُرّ على القسم تعظيماً للأرحام حثّاً على صلتها. وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة أو على محلّ (به) كقولك: مررت به وزيداً، وهو من عطف الخاص على العام. انظر: حجة القراءات ص (١٨٨)، والمبسوط ص (١٥٣)، والتلخيص ص (٢٤٢)، والنشر (٢/ ٢٤٧).

كبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، وأمّا خفض قوله: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ فقد قيل: فيه ضعف من حيث الإعراب، ومن حيث المعنى؛ أمّا من حيث الإعراب فلأن ضمير المجرور لمّا كان على حرف واحد قائم مقام التنوين، والتنوين لا يصحُّ أن يعطف عليه، كذلك الضمير المجرور، وأيضًا فلأنّ كلَّ ما يُعطف عليه يصحّ أن يُعطف هو، ولمّا كان ضمير المجرور لم يصحَّ أن يعطف عليه، وبيان ذلك أنّ للمرفوع والمنصوب ضميرًا منفصلًا، نحو: هو وهما وإيّا. فيصحُّ أن يُقال: / رأيتك وزيدًا، أو رأيت زيدًا وإياك، وأتيتني وزيد، [٢٥٦/ب] وأتاني زيد وأنت، ولم يكن للمجرور ضمير منفصل يقع موقع المتصل فيُعطف به، فلم يجز لذلك أن يُعطف عليه أيضًا(١).

---

(١) انظر تضعيف خفض (الأرحام) في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣١، ٤٣٢)، وحجة القراءات ص (١٨٨، ١٨٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٥١٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٩).
وقد ردّ بعض المفسرين على من ضعّف هذه القراءة، قال أبو حيان: «وما ذهب إليه أهل البصرة، وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح، بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك، وأنه يجوز». وقال أيضاً: «وأما قول ابن عطية: ويردّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان، فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله، ولا بطهارة لسانه، إذ عمد إلى قراءة متواترة من=

وأمّا من حيث المعنى: فإن إعادة الأمر بالتقوى فلاقتران ذكرها بصفة تحثُّ سامعها على استعمال التقوى، كقولك: اتقِ الله الذي تخافه، واتقِ الله الذي بيده الخير. فهذه الصفات هي التي تُحَسِّنُ التكرير، فإذا نصبت الأرحام ففيه هذا المعنى، وإذا جررته لم يكن في ضمنه من التحذير ما فيه إذا نصبته[1]. وإنما قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ ردًّا إلى لفظ النفس، وكلُّ اسم جنس، لفظه

= رسول الله ﷺ قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله ﷺ بغير واسطة... عمد إلى ردّها بشيء خطر في ذهنه، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري» البحر المحيط (٣/ ١٦٧). وقال النيسابوري أيضاً: «... إلا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١). وانظر: حجة القراءات ص (١٩٠)، وكشف المشكلات (١/ ٢٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢، ٣).

(١) ذكر هذا الوجه في تضعيف قراءة الخفض ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٩)، وذكر وجهاً آخر حكاه غيره، وهو أن ذكر (الأرحام) على وجه الخفض تقرير للتساؤل بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله عليه السلام: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»، وانظر: ردّ المفسرين على هذا الكلام في: التفسير الكبير (٩/ ١٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤، ٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، وروح المعاني (٤/ ١٨٤).

مخالف لمعناه [في][1] التذكير والتأنيث، فلك اعتبار اللفظ طورًا والمعنى طورًا، نحو: حمامة ونفس[2]، وإذا كان عَلَمًا نحو: طلحة. أو صفة نحو: علَّامة ونسَّابة، فليس إلا اعتبار المعنى دون اللفظ[3].

والرَّقيب. قال مجاهد: هو الحفيظ[4]، وقال ابن زيد: عليم[5]، وكلاهما صحيح، فحافظ الشيء يقتضي أن يكون عالمًا به ليمكنه أن يحفظه[6]، وبيَّن بقوله: ﴿كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أنه قبل أن خلقكم وأوجدكم كان مراعيًا لكم، تنبيهًا أنه لا يخفى عليه أمركم في كل حال.

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل والسياق يقتضيه.

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ١٧٩) و (٣/ ٥٦١-٥٦٦)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٣٧٧)، والخصائص (٢/ ٤١١)، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص (٦٧).

(٣) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ١٦٤).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص (٥١)، جامع البيان (٧/ ٥٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٤)، وتفسير مجاهد ص (٢٦٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧).

(٥) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧).

(٦) انظر: العين ص (١٥٥)، والمحكم (٦/ ٢٤٠)، والمخصص (١٧/ ١٥٦).

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾[1] الآية.

الخبيث والطيِّب: عبارتان عن الحرام والحلال، أي تدفعوا إليهم شيئًا هو طيِّب لكم، وتأخذوا من مالهم ما هو خبيث لكم، طلبًا للربح. هذا قول الضّحّاك والسُّدِّي[2]. **وقيل**: لا تتبدلوا الهزيل بالسمين[3]، **وقيل**: الطيِّب مقدار ما أُبيح تناوله من مال

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢، ونص الآية: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

(٢) قال الضحاك: لا تعط فاسدًا وتأخذ جيدًا. وقال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها الشاة المهزولة، ويقول: «شاة بشاة»، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم. وأما تفسير الخبيث والطيب بالحلال والحرام فهو قول مجاهد والثوري وابن جبير. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢٥، ٥٢٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٥، ٨٥٦)، وتفسير السدّي الكبير ص (١٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٥).

(٣) وهذا قول سعيد بن المسيب والزهري والسدي كما سبق. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢٥، ٥٢٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٥، ٨٥٦)، وتفسير السدّي الكبير ص (١٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٥).

اليتيم، والخبيث ما لم يُبح منه[1]، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾[2].

وكل هذه الأقوال إشارات إلى ما يقتضيه عموم الخبيث والطيب.

والحَوْب: الإثم لكونه مزجورًا[3] عنه، من قولهم: حاب حَوْبًا وحُوبًا وحِيَابةً، والأصل فيه حَوْب لزجر الإبل[4]، وتحوّب نحو تأثّم[5]، وإيتاء اليتامى أموالهم، قيل: دفعها إليهم بعد البلوغ، وسمّاهم حينئذ يتامى استصحابًا للحالة المتقدمة[6]،

---

(١) هذا نفس القول الأوّل، وهو مروي عن مجاهد. انظر: تفسير مجاهد ص (٢٦٥)، واختاره الزجّاج في: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧). وانظر: معاني القرآن للنحاس.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) في الأصل: (من حوبا) والتصويب من المفردات للراغب.

(٤) من قوله [لكونه] إلى هنا موجود بحروفه في: المفردات ص (٢٦١).

(٥) عبارته في المفردات ص (٢٦١): «وفلان يتحوَّب من كذا أي يتأثّم»، وانظر: تفسير ابن عباس ص (٢٠١)، وتفسير غريب القرآن ص (١١٨)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١١)، والمحكم (٤/ ٢٢)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٨١)، والمساعد (٢/ ٦٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٥٢٩).

(٦) ويُسمّى ذلك عند أهل البلاغة بتسمية الشيء بما كان عليه، وهو نوع من المجاز المرسل. انظر: شرح التلخيص ص (١٣٨)، والإيضاح=

ويكون ذلك كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[1] وقيل: هو إنفاقها عليهم، ودفعها شيئًا بعد شيء على قدر الحاجة[2]، والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ قيل: للأكل[3]. وقيل: للتبدُّل[4]. وقيل: للأموال[5]، لكن اعتُبر المعنى

= ص (٢٨٢)، وانظر في معنى الآية: جامع البيان (٧/ ٥٢٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٤، ٣٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٠).

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

(٢) انظر: التفسير الكبير (٩/ ١٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٨).

(٣) وهذا اختاره ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٥٢٩)، وهو قول الأخفش في معاني القرآن (١/ ٤٣١)، وتبعه العكبري في: إملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٧٢)، وانظر: أنوار التنزيل (١/ ٢٠٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٤١).

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط مع الأول، ثم قال: «وعوده على الأكل أقرب لقربه منه، ويجوز أن يعود عليهما» البحر المحيط (٣/ ١٦٩).

(٥) لم أجد من ذكر هذا الوجه، ولو كان الضمير عائداً على الأموال لقال: إنها كانت حوبًا كبيرًا، وما ذكره الراغب من اعتبار المعنى فهو تكلّف. قال السمين الحلبي: في الهاء ثلاثة أوجه: أحدها: أنها تعود على الأكل. والثاني على التبدُّل. والثالث عليهما. الدر المصون (٣/ ٥٥٧).

لمّا كان المال والأموال في هذا الموضع سواء، كقول الشاعر:

فـإن الحـوادث أودى بهـا[1] ....

لمّا كان معنى الحوادث والحدثان واحدًا.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾[2] الآية.

العَولُ: الخروج عن حد الاستقامة، والعول في الفريضة خروج عن حدِّ السِّهام المسماة، والعويل: الصياح الخارج عن حد الاستقامة في الكلام، وذلك نحو الألفاظ التي يتحرّاها المصاب. وعوَّلت عليه مِلتُ نحوه بالاعتماد، والمِعْول على بناء الآلة، كأنه آلة العول[3].

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى، وهو من بحر المتقارب، وشاهده حذف التاء في [أودى] والأصل [أودت] لضرورة القافية، وسوّغه أن الحوادث بمعنى الحَدَثان، وتمام البيت:

فإما تريني ولي لمة فإن الحوادث أودى بها

انظر: ديوان الأعشى ص (١٢٠)، وكتاب سيبويه (٢/ ٤٦)، وشرح أبياته للسيرافي (١/ ٤٠٣)، والأصول لابن السّراج (٢/ ٤٣٦)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٥٩)، وفي الأصل (أولى بها) وهو تصحيف والصواب ما أثبته.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣. ونص الآية: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾.

(٣) انظر: العين (٢/ ٢٤٨)، وجامع البيان (٧/ ٥٤٨)، وغريب القرآن=

والآية تُؤوِلَتْ على وجهين: أحدهما: قيل: إن الرجل قبل الإسلام إذا مات كان وليُّه يسير في أيتامه سيرة غير قاصدة، ويأكل أموالهم إسرافًا وبدارًا، وكانوا يسيرون في يتامى النساء/ [٢٥٧/أ] خاصة بأقبح سيرة، فإنها متى كانت اليتيمة ذات مال وجمال تزوّجوا بها بأقلّ من مهرها، ثم لم يُحسنوا إليها، وإن كان أحدهم لا يرغب فيها عَضَلها[١] عن النكاح، طمعًا في مالها، فلما جاء الإسلام نُهوا عن ذلك بهذه الآية[٢].

وقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي إن خفتم أن لا تستعملوا العدالة ـ أي إذا تزوّجتم بهن فتزوَّجوا من غيرهن. وإلى هذا ذهب ابن عباس وعائشة[٣]. والثاني: أنهم يتحرّجون في أموال اليتامى، لمّا

= للسجستاني ص (١٣٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٩٥)، والصحاح (٥/ ١٧٧٦)، والمفردات ص (٥٩٧)، والقاموس ص (١٣٤٠)، وطلبة الطلبة ص (٣٣٨)، وفيه: «العول: الزيادة والارتفاع، وهو أن يُجاوز سهام الميراث سهام المال»، والمعجم الوجيز ص (٤٤٢) وفيه: «والعِوَل: آلة من الحديد ينقر بها الصخر».

(١) عضلها: أي منعها. انظر المصباح المنير ص (١٥٨).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (١٤٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ١١).

(٣) انظر هذا الوجه في: جامع البيان (٥٣١-٥٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٨)، والجامع =

عظَّم الله تعالى من أمرهم في نحو قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾[1] الآية. ولم يكونوا يتحرّجون من التزوُّج بعدد من النساء، فقال تعالى إن تحرَّجتم عن تناول مال اليتيم خشية أن لا تُقسطوا، فتحرجوا النساء أن لا تعدلوا بينهن، وانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقوقهن[2]. **وقيل**: معناه إن خفتم أن لا تُقسطوا في حفظ أموال اليتامى، وأن تجوروا في الإنفاق على نسائكم، فانكحوا عددًا مخصوصًا لا يحوجكم إلى أن تقسطوا[3].

إن قيل: فما معنى ذكر هذه الأعداد إن كان الأمر على ما وصفت؟ وهلّا[4] قيل: فانكحوا ماطاب لكم من النساء سواهن؟

= لأحكام القرآن (٥/ ١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٦)، وهذا القول مروي عن عائشة دون ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) وهذا القول مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقتادة والضحاك والربيع. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٣٦-٥٣٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧)، وبحر العلوم (١/ ٣٣١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢).

(٣) هذاالقول مروي عن ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٨، ٤٤٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٩).

(٤) في الأصل: (وهذا)، والصواب ما أثبته بدلالة السيّاق.

قيل: يجوز للحكيم إذا سُئل عن حكم أن يجيب عنه، ويقرن إليه ما علم أنّ بالسائل حاجة إليه. فلمّا سُئل عن ذلك، وكان فيهم من لا يُبالي أن يتزوّج بالعدد الكثير من النساء، بيّن العدد الذي لا يجوز أن يتعداه الإنسان في وقت واحد، ولذلك أحيلوا على هذه الآية لما استفتوا في يتامى النساء، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[1] الآية[2].

وقد اختُلف في العدد الذي يجوز أن ينتهى إليه في النكاح، فمذهب عامة الفقهاء أنه لا يجوز مجاوزة الأربع، ومذهب بعض الشيعة أنه يجوز بلا عدد كالسراري[3]. وقال: الآية ليست بتوقيفٍ، بل هي إباحة: كقولك: تناول ما أحببت واحدًا واثنين وثلاثة، وأنّ تخصيص بعض مقتضى العموم على طريق التبيين لا يقتضي الاقتصار عليه، وذهب بعضهم ممن لا يعرف شرط الكلام إلى أن المباح منهن تسع، وقال: الواو تقتضي الجمع، فصار كقولك: اثنين وثلاثًا وأربعًا، وذلك تسع. وأكّد ذلك بأن النبي ﷺ مات عن تسع نسوة[4]، قال: وغير منكر أن

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٧.

(٢) انظر: كلام الإمام الطبري على ذلك في: جامع البيان (٧/ ٥٤٠).

(٣) انظر: مناقشة ذلك من تفاسير الشيعة: مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس (٤/ ١٧)، والميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي (٤/ ١٦٧، ١٦٨).

(٤) رواه البخاري في النكاح، باب «كثرة النساء» (٩/ ١١٢) رقم (٥٠٦٧)، =

يذكر عدد واحد بلفظين، كما قال: ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾(١).

وهذا فاسد، أما أولاً: فإن العدول عن ذكر الشيء بلفظة واحدة إلى لفظين(٢)، إما أن يكون لغرض نحو ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾، لمّا خالف بينّ حكميهما أورده بلفظين، أو يكون ذلك للعيّ والاستدراك عن نسيان، وكلام الله تعالى منزّه عن ذلك(٣)، ومنهم من ردَّ إلى واحدة، لتأويلٍ انتزعه من الآيتين: إحداهما هذه، والأخرى قوله: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ الآية. قال: فبيَّن أنكم لا تستطيعون تحري العدالة في النساء، وقال هٰهنا: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾، فكأنه قال: انكحوا واحدة إن لم تستطيعوا أن تعدلوا.

= ورواه مسلم في «الرضاع» باب: جواز هبتها لضرتها (٢/ ١٠٨٥) رقم (١٤٦٣) نحوه.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٢) يعني مثل العدول عن تسعة إلى ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾.

(٣) انظر: الردّ على ما ذهب إليه بعض الشيعة من إباحة الجمع بين تسع نسوة في: جامع البيان (٧/ ٥٤٦)، وبحر العلوم (١/ ٣٣٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧، ١٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٦). وغرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ محمد بن حمزة الكرماني (١/ ٢٨٢).

فقد ثبت أن لا تستطيعوا، فإذًا فانحكوا واحدة، وهذا القائل خفي عليه الفرق بين العدلين، فإن العدل في تلك الآية تركُ ميل القلب، وذلك مرفوع عن الإنسان، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾[2] عنى به العدل الذي هو حق القسم والنفقة[3]، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فإن الخوف يُقال فيما فيه رجاء ما، / ولهذا [٢٥٧/ب] لا يُقال: خفت أن لا أقدر على بلوغ السماء أو نسف الجبل[4].

وهذه الأقوال المتقدّمة يُبطلها ما رُوي أنه لمّا نزلت هذه الآية كانت تحت قيس بن الحارث[5] ثمان نسوة، فقال له ﷺ: «خل سبيل أربع»[6]، ....

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣.

(٣) قال أبو حيان: «والعدل المنفي استطاعته غير هذا العدل المنفي هنا، ذاك عدل في ميل القلب، وقد رفع الحرج فيه عن الإنسان، وهذا عدل في القسم والنفقة، ولذلك نفيت هناك استطاعته، وعلّق هنا على خوف انتفائه، لأن الخوف فيه رجاء وظن غالباً». البحر المحيط (٣/ ١٧٢). انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠).

(٤) نقل أبو حيان هذا الكلام في البحر المحيط (٣/ ١٧٠) ونسبه للراغب.

(٥) قيس بن الحارث بن جدار الأسدي، وقيل: الحارث بن قيس صحابي له حديث. انظر: الإصابة (٥/ ٣٤٩)، والتقريب ص (٤٥٦).

(٦) رواه أبو داود، كتاب الطلاق، باب «فيمن أسلم وعنده نساء أكثر من=

وكذا قال لابن[1] مسعود الثقفي[2]، وكان قد أسلم وتحته تسع نسوة[3]، واستدلَّ أهل الظاهر بالآية على وجوب النكاح، واستدل بها بعض الفقهاء على أنه غير واجب[4]، وبيان هذا أن

= أربع» رقم (٢٢٤١، ٢٢٤٢). ورواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب «الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة» رقم (١٩٥٢). ورواه أحمد (٤٦٠٩، ٤٦٣١)، والبيهقي (٧/ ١٨٣)، وابن حبان (٤١٥٦ - ٤١٥٨)، والطبراني في الكبير (١٣٢٢١)، وفي مسند الشاميين رقم (١٢٤٩)، وحسّنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٢٩٥).

(١) في الأصل: (لأبي) والصواب ما أثبته.

(٢) هو عروة بن مسعود بن متعب بن مالك بن كعب بن عمرو بن ثقيف الثقفي، كان أحد الأكابر في قومه، ذكر اسمه في صلح الحديبية، وكانت له يد بيضاء في تقرير الصلح، أسلم سنة تسع، ثم دعى قومه إلى الإسلام فقتلوه. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٤٦-٢٤٧)، والطبقات الكبرى (٥/ ٥٠٣)، والإصابة (٤/ ٤٠٦).

(٣) رواه البيهقي في السنن (٧/ ١٨٤)، وله شاهد من حديث غيلان الثقفي بنحوه. رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب «ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة» رقم (١١٢٨)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب «الرجل يسلم على أكثر من أربع نسوة» رقم (١٩٥٣). والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٢، ١٩٣)، والبغوي (٢٢٨٨)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣١٧). وانظر: إرواء الغليل (٦/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٤) اختلف الفقهاء في حكم النكاح. قال ابن قدامة في المغني: «والناس في=

ما في قوله: ﴿فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ إمّا أن يكون عبارة عن المنكوحة، أو عن الزمان، أو العدد. فلا يصح الأول، لأن فا لا يُعبَّر به عن أعيان العقلاء مجردًا، ولا عن العدد، لأنه مُحالٌ أن يعني نكاح العدد، وإن عنى المعدود فالكلام راجع إلى أن يكون عبارة عن العقلاء، فيجب أن يكون عبارة عن الزمان، فكأنّه قال: اعقدوا وقت ما يطيب لكم، والمخالف يوجبه طاب لنا أو لم يطب[1].

= النكاح على ثلاثة أضرب؛ منهم من يخاف على نفسه الوقوع في محظور إن ترك النكاح، فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء... الثاني: من يستحب له، وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور، فهذا الاشتغال له به أولى من التخلّي لنوافل العبادة، وهو قول أصحاب الرأي، وهو ظاهر قول الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وفعلهم... الثالث: من لا شهوة له؛ إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعنين، أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه، ففيه وجهان: أحدهما: يستحب له النكاح لعموم الأدلة. الثاني: التخلّي له أفضل، لأنه لا يحصل مصالح النكاح، ويمنع زوجته من التحصين بغيره، ويضرّ بها ويحبسها على نفسه» المغني لابن قدامة (٩/ ٣٤١-٣٤٤). وانظر: مذاهب الفقهاء في هذه المسألة في: الاختيار لتعليل المختار للموصلي (٣/ ٨٢)، وعقد الجواهر لابن شاس المالكي (٢/ ٧)، ومغني المحتاج (٣/ ١٢٦)، ومعونة أولي النهى شرح المنتهى (٧/ ١٥).

(١) انظر: إعراب (ما) في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣٤)، ومعاني القرآن واعرابه (٢/ ٨)، وإملاء ما منّ به الرحمن ص (١٧٣)، وانظر: =

فإن قيل: معناه ما تاقت أنفسكم إليه، قيل: إن عنى ما تاقت نفسه إلى العقد فليس ذلك مذهبًا لأحد، وإن عنى المخالف: ما تاقت نفسه إلى الجماع، فلم يجر للجماع ذكر، وقد تقدَّم الكلام في العول، فقول من قال: ذلك أدنى أن لا تجاوزوا ما فرض الله[(1)]، وقول من قال: أن لا تميلوا، يرجعان إلى أصل واحد[(2)]، وقول الشافعي[(3)] معناه: أن لا يكثر عيالكم، وقد ذهب إلى هذا التأويل

= الكلام على هذه المسألة في: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢، ١٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٠، ١٧١).

(١) وهذا قول الفرّاء، حكاه عنه البغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ١٦٢). ولم أجده في معاني القرآن للفرّاء.

(٢) وهذا هو قول جماهير المفسرين منهم ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس، ومقاتل والسدي ومجاهد والحسن وأبو مالك وعكرمة وابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٤٨-٥٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٧).

(٣) أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن المطلب المكي أبو عبدالله الشافعي نزيل مصر، فقيه مشهور، رأس الطبقة التاسعة، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، وإليه ينسب المذهب الشافعي، توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٣٢)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٥)، وتقريب التهذيب ص (٤٦٧).

زيد بن أسلم، وأجازه الأصمعي[1]، وابن الأعرابي[2]، ومنه قيل: فلان يعول عشرة[3]، وقال ابن داود[4]: غلط الشافعي، لأن صاحب الإماء في العيال كصاحب الأزواج.

---

(١) أبو سعيد عبدالملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، إمام في اللغة والأدب والشعر، ولد سنة ١٢٢هـ بالبصرة، وبها توفي سنة ٢١٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠)، وطبقات النحويين للزبيدي ص (١٦٧)، ونزهة الألبّاء ص (١٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥).

(٢) محمد بن زياد أبو عبدالله من موالي بني هاشم، كان كثير السماع نحويّاً عالماً باللغة والشعر حسن الحفظ، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه. من مؤلفاته: «النوادر» و «الأنواء» وغيرهما. وُلد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٣١هـ. انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص (١٩٥)، ونزهة الألبّاء ص (١٣٤)، وبغية الوعاة (١/ ١٠٥).

(٣) هذا قول الكسائي. انظر: معاني القرآن له ص (١١٠)، وانظر: قول زيد والأصمعي والشافعي في: تهذيب اللغة (٣/ ١٩٤)، وانظر: الرد عليه في: معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٦).

(٤) أبو بكر محمد بن داود بن علي الظاهري صاحب الفنون، وهو أحد من يضرب المثل بذكائه، له بصر تام بالحديث وبأقوال الصحابة، وله مصنفات في الأدب والشعر والفرائض والفقه، توفي في العاشر من رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين، وقد عاش ثلاثاً وأربعين سنة. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦- ٢٦٣)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٩)، والمنتظم (٦/ ٩٣-٩٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٢٦).

وابن داود لم يتصوّر ما قاله الشافعي، وذاك أنه لم يُرِد إلا ما أراد غيره من حقيقة المعنى، وإنما تحرّى اشتقاق اللفظ، ولم يُرِد بالعيال الأولاد، وإنمّا أراد النساء، فقد يُسمَّى كل من تمونه العيال، وإن لم يكن أولادًا، وأراد تعالى إن خفتم أن يكثر نساؤكم، فتحتاجوا إلى تفقدهن بأمور تقصرون عنها، ولا يكون في مراعاتها إقساط، وهذا راجع إلى ما ذهب إليه الآخرون[1].

قول تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[2] الآية. **فالنحلة**: العطية التي لا يُطلب بها عوض، وأصله عندي من النحل، فكأنَّ نحلتهُ: أعطيته عطية النحل، وذلك ما قصده الحكماء من وصف النحل في أنه لا يضر بشيء، وينفع أعظم نفع، وكأنّه إلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[3] الآية، والنِّحلة

---

(١) انظر قول الشافعي ومن صححه أو اعترض عليه في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٦، ٣٩٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٧، ١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢١، ٢٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤. ونصها: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٨.

أخصّ من الهبة، إذ كل هِبة نِحلة، وليس كل نِحلة هِبة[(١)]، وسُمّي الصداق بها من حيث لا يجب في مقابلته أكثر من تمتُّع دون عوض مالي[(٢)]. وقول قتادة وابن زيد: النِّحلة: الفريضة[(٣)]، فنظرٌ منهم إلى حكم الآية، لا إلى موضوع اللفظ والاشتقاق، واقتضت إيجاب إيتائهن الصداق، ثم حكمه وقدره قبل الدخول وبعده، وقبل التسمية وبعدها، فمأخوذ من غير الآية.

ودلّ بقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ﴾ أن لا يتحرّج الإنسان من قبول هبتها عن طيب نفس منها بها، ودلَّت الآية على أنه يجوز لها أن تهب صداقها إذا كانت بالغة، خلافًا لما قال مالك[(٤)]: إن ذلك

---

(١) انظر: الفروق ص (١٨٤، ١٨٥).

(٢) انظر: المفردات ص (٧٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٥١)، وفرّق ابن قتيبة بين النِّحلة والهبة، بأنّ الأولى لا تكون إلا عن طيب نفس. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٠)، وانظر: مجاز القرآن (١/ ١١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٧)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٤٠)، والأشباه والنظائر في النحو (٧/ ١٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٥٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦١)، والنكت والعيون (١/ ٤٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢)، وذكره السمعاني في تفسير القرآن عن ابن عباس (١/ ٣٩٧)، وكذلك أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٧٤)، ذكره عن ابن عباس وابن جريج وابن زيد وقتادة.

(٤) أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، =

إلى وليِّها. وللأوزاعي[1] حيث قال: لا يجوز لها حتى تلد، أو يحول عليها الحول في بيت زوجها، ولليث بن سعد[2] حيث قال: لا يجوز عتق ذات الزوج ولا هبتها، إلا في/ اليسير من غير [٢٥٨/أ] إذن زوجها. وذُكِرَ عن شريح[3] أن رجلًا أتى ببيّنة أن امرأته

= رأس المتقنين محدث كبير وفقيه شهير، إليه ينسب المذهب المالكي، وهو أول من صنف في تفسير القرآن بالإسناد على طريقة الموطأ، وُلد سنة ٩٣هـ، وتوفى سنة سنة ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٥)، وتقريب التهذيب ص (٥١٦).

(١) أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الدمشقي، ثقة جليل من السابعة، ولد ببغداد وسكن دمشق، وانتقل إلى بيروت فاستقر بها، واشتهر بها جدًّا حتى قصده الناس، من فقهاء المحدثين، توفي ببيروت سنة (١٥٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨)، وتقريب التهذيب ص (٣٤٧).

(٢) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمن الحافظ الإمام، وُلد بمصر سنة ٩٤هـ، وتوفي بها سنة ١٧٥هـ، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩)، والتقريب ص (٤٦٤).

(٣) أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضي، مخضرم ثقة، وقيل: له صحبة، استقضاه عمر على الكوفة، ثم عثمان، وأمَّره علي، وكان يقول له: أنت أقضى العرب، ولاَّه زياد بن أبيه قضاء البصرة، توفي سنة ٧٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٠)، والإصابة (٣/ ٢٧٠)، =

أبرأته من صداقها[1] عن طيب نفس، وأنكرت المرأة ذلك، فقال شريح: هل رأيتم المال وقد دفع إليها؟ فقالوا: لا، فقال: لو طابت نفسها لم ترجع فيه، فلم يُجزه[2].

إن قيل: لِمَ قال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾[3] فأفرد وقال في الأخرى: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾[4] فجمع؟ قيل: التمييز على ثلاثة أضرب: **الأول**: أن يدلَّ ما قبله على عدد فلا يُجمع، نحو: عشرون درهماً. **والثاني**: أن يشتبه، فلابد من جمع إذا أُريد الجمع نحو قولهم: أفره القوم عبيدًا. **والثالث**: أن يستوي الواحد والجمع لكونه معلومًا منهما المعنى على حد، نحو قولهم: فلان أحسن القوم عينًا، لأنه يعلم أن القوم لم يشتركوا

= وتقريب التهذيب ص (٢٦٥).

(١) في الأصل: (صدقاها)، والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: الخلاف في جواز هبة المرأة صداقها في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤، ٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٦، ١٧٧). قال أبو حيان: «وظاهر الآية يدلّ على أن المرأة إذا وهبت لزوجها شيئاً من صداقها طيبة بها نفسها، غير مضطرة إلى ذلك بإلحاح أو شكاسة خلق أو سوء معاشرة، فيجوز له أن يأخذ ذلك منها ويتملّكه وينتفع به..» اهـ.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.

في عين واحدة، والآية على هذا فلا يُحتاج فيها إلى الجمع[1]، والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ راجع إلى مصدر ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ﴾[3] الآية. السفهاء قيل: النساء[4]، ....

---

(١) وجعل سيبويه وغيره ذلك من باب إطلاق المفرد وإرادة الجمع، وساق مع الآية شواهد أخرى من كلام العرب. انظر: الكتاب (١/ ٢١٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٣٣)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٦)، ورأيه قريب من رأي المؤلف في أنّ مثل هذا يجوز فيه الجمع والإفراد، وأنّ المفرد هنا لم يُرد به الجمع. وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٥٨).

(٢) ذكر هذا التوجيه أبو حيان ونسبه للراغب، وقال: ذكره ابن عطية. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٥)، والتقدير على رأي المؤلف هنا: فإن طابت أنفسهن عن شيءٍ من الإيتاء فكلوه. وهذا لا يخلو من التكلّف، لأن الإيتاء لا يؤكل. والأولى كما قال غيره أن الضمير راجع إلى الصداق المفهوم من قوله تعالى ﴿صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ أو إلى المال لأن الصدقات مال. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٧)، واملاء ما منّ به الرحمن ص (١٧٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥ ونصُّها: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

(٤) وهذا مروي عن مجاهد، والحسن، والضحاك، وعكرمة. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٦٤، ٥٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٣)، وذكره الماوردي عن ابن عمر. انظر: النكت والعيون (١/ ٤٥٢). =

وقيل: الصبيان[1]، ومنهم من اعتبر ذلك في كل من لم يكن حصيفاً[2] في تدبير المال[3]، ومنهم من اعتبر ذلك مع الحصافة في الدين، وكُلّ واحد أشار إلى بعض من يتناوله الاسم على سبيل المثال، فمعلوم أنه لا يصحُّ صرفها إلى النساء مفردات، لقوله: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ﴾ والنهي عن إيتائهن المال على سبيل تفويض تدبير الأموال إليهن، وقيل: على سبيل تمليكهن على وجه التمكين، لا على نهي الإعطاء بقدر ما يحتاجون إليه، وقال ابن جبير: معناه لا تعطوهم أموالهم. وإضافته إلى المخاطبين على اعتبار الجنس، نحو قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[4][5]، ونظر بعضهم نظرًا آخر، فقال: عنى

= وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٦٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨).

(١) هذا القول مروي عن سعيد بن جبير، والحسن، وأبي مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق، والزهري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٦٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨).

(٢) حصيفاً: أي عاقلًا حكيماً. انظر القاموس ص (١٠٣٤).

(٣) وهذا قول أبي موسى الأشعري والطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٦٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٥) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧، ٥٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي=

بالسفهاء الوارثين، الذين يُعلم من حالهم أن يتسفهوا في استعمال ما تناله أيديهم، فنهى عن جميع المال الذي يرثه السفهاء[1]، ونبّه بقوله: ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ على الغرض الذي فصَّله الحكماء من فائدة المال الموصل به إلى السعادة الحقيقة، بل قد أبانه النبي ﷺ بأوجز لفظ، فقال: «**من طلب الدنيا استعفافًا عن المسألة، وسعيًا على أهله، وتعطُّفًا على جاره، بعثه الله ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالًا، مكاثرًا، مفاخرًا، مرائيًا، لقي الله وهو عليه غضبان**»[2]، والقيام يكون مصدرًا واسمًا، والقوام لا يكون إلا اسمًا[3].

= حاتم (٣/ ٨٦٣)، والنكت والعيون(١/ ٤٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٧).

(١) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ١٧٧)، ونقل كلام الراغب ولم ينسبه.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٨) رقم (١٠٣٧٥)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠)، و (٨/ ٢١٥)، وقال: غريب من حديث مكحول. وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٦١)، وزاد عزوه إلى أبي الشيخ في كتاب «الثواب».

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٥٦٨، ٥٦٩)، وقال النّحاس: زعم الفرّاء والكسائي أن قياماً مصدر. أي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم، فتقومون بها قياماً. وقال الأخفش: المعنى: قائمة بأموركم، يذهب إلى أنه جمع. وقيِّماً وقِواماً=

إن قيل: لِمَ قال: ﴿فِيهَا﴾ ولم يقل: منها. مع كون ذلك أظهر؟

قيل: قد ذكر بعضهم أن فيه تنبيهًا على ما قاله ﷺ: «ابتغوا في أموال اليتامى، لا تأكلها الزكاة»[1]، وأن المستحب أن يكون الإنفاق عليها من فضلاتها المكتسبة[2]، والقول المعروف متضمن للأمر بتأديبهم وإرشادهم ووعدهم الجميل، الذي ذكره ابن جريج، وقال: هو أن يُقال له: إن رشدت مكنَّاك من مالك[3]،

= عند الكسائي والفرّاء بمعنى قياماً. وقال البصريون: قيم: جمع قيمة، أي جعلها الله قيمة للأشياء. إعراب القرآن (١/ ٧٣٦، ٤٣٧)، وقد نقل الأزهري كلام الفرّاء دون أن يعلق عليه. انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٣٥٧). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٧٨)، وقال الراغب في المفردات ص (٦٩٠): «والقيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء، أي يثبت كالعماد والسناد لما يعُمد ويُسند به». وانظر: العين (٥/ ٢٣٣)، ومجاز القرآن (١/ ١١٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٠(، وما قاله الراغب من أن القوام لا يكون إلاّ اسماً موافق لما في المراجع السابقة.

(١) رواه البيهقي في السنن (٤/ ١٠٧)، كتاب الزكاة، باب: من تجب عليه الصدقة. ورواه عبدالرزاق في المصنف (٤/ ٦٦)، وضعفه الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ١٥٨) بالإرسال، وكذا أعلّه البيهقي.

(٢) ذكر أبو حيان كلام الراغب في البحر المحيط (٣/ ١٧٨) ولم ينسبه إليه. وانظر: الفتوحات الإلهية (١/ ٣٥٦).

(٣) هذا مروي عن ابن جريج، ومجاهد، وعطاء، وابن زيد وهو قول الطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٣)، ومعالم=

وفيه المنع عن قهرهم، وإليه ذهب مجاهد استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[1] [2].

قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾[3] الآية. الإيناس فيما رُئي مرّة بعد أخرى فأُنس به[4]، وقد فسّره ابن عباس بالمعرفة[5]، والخليل فسّره بالإحساس[6]. والرشد،

= التنزيل (٢/ ١٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٩)، وروح المعاني (٤/ ٢٠٣).

(١) سورة الضحى، الآية: ٩.

(٢) ذكره الرازي في التفسير الكبير (٩/ ١٥٢)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٢)، وهو محكيّ عن القفال، ولم أجده منسوباً لمجاهد.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦. ونص الآية: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

(٤) قال الراغب في المفردات ص (٩٤): أي أبصرتم أنساً بهم. وهو بمعنى قول عطاء: رأيتم. انظر: الوسيط (٢/ ١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٠).

(٥) انظر: العين للخليل (٧/ ٣٠٨)، وجامع البيان (٧/ ٥٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٠).

(٦) ذكره الجصاص عن الخليل في أحكام القرآن (٢/ ٦٣)، وانظر: تفسير=

قال الحسن وقتادة: وهو الصلاح في الدين والإصلاح للمال[1]. وقال مجاهد: هو الإصلاح للمال فقط[2]، وأمر تعالى بدفع المال إلى اليتامى
[٢٥٨/ب] بعد البلوغ وإيناس الرشد منهم، وبعد الابتلاء، وجعل/ ذلك كلّه شرطًا في تسليم المال إليه، ومعلوم من الآية أن من دُفع إليه المال، ثم فُقد منه الرشد أن يُعاد الحَجْرُ[3] عليه، لأن الغرض بذلك حفظ ماله، فلا فرق بين أن يكون المعنى الموجب للحَجْرِ ابتداء أو انتهاء[4].

= غريب القرآن ص (١٢٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥٤).

(١) ذكره الطبري عن الحسن وابن عباس في جامع البيان (٧/ ٥٧٦)، وكذلك ذكر الماوردي في النكت (١/ ٤٥٣)، وزاد الشافعي. وذكره القرطبي في الجامع (٥/ ٣٧) بلفظ: صلاحاً في العقل والدين. وزاد ابن كثير على من تقدم سعيد بن جبير، ثم قال: «وهكذا قال الفقهاء: إذا بلغ الغلام مصلحاً لدينه وماله انفك الحَجْر عنه، فيسلم إليه ماله الذي تحت وليه» تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢٩).

(٢) الوارد أن مجاهدًا فسّر الرشد بصلاح العقل، وإصلاح المال من علامات صلاح العقل. انظر: تفسير مجاهد ص (٢٦٧)، وجامع البيان (٧/ ٥٧٦، ٥٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧). أما من فسّر الرشد بإصلاح المال فهو الضحاك، كما ذكر القرطبي في الجامع (٥/ ٣٧)، ونسبه ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٣٢٢) إلى الإمام مالك رحمه الله.

(٣) الحَجْر: هو المنع من التصرف. انظر المصباح المنير ص (٤٧).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٣)، والتفسير الكبير (٩/ ١٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩، ٤٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٠).

والآية تقتضي أنّ كلَّ من حصل في يده مال لغيره لزمه حفظه له كمال المفقود، ومال الفقراء في بيت المال، واللُّقطة[1] في يد الملتقط.

والابتلاء المراد في الآية، قيل: هو حال الصغر بأن يُدفع إليه قليل من المال، فيرُى حفظه له وتصرفه فيه[2]. وقيل: هو بأن يُجرَّب في أمورٍ أُخر[3]. وقيل: هو أن يُختبر بعد البلوغ، وسمّاهم يتامى استصحابًا للحالة المتقدّمة[4]، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ أي متجاوزين حد القصد المباح لكم، ومبادرة أن يكبروا، فيمنعوا أموالهم[5]، وقوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، قيل: لا يتناول

(١) اللُّقَطة: اسم للشيء الذي تجده ملقى فتأخذه. انظر المصباح المنير ص(٢١٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٩).

(٣) كتدريبه على بعض الأعمال والصنائع، وإذا كانت بنتاً عهد إليها أمر البيت، وكلفت ببعض الأعمال: كالغزل ورعاية الصغار وغير ذلك. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦١، ٦٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٠١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٥).

(٤) قال السمعاني: «والصحيح أنه أراد به الاختبار قبل البلوغ». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٨)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦١).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١١٧) وجامع البيان (٧/ ٥٧٩، ٥٨٠) حيث قال: «الإسراف: الإفراط».

منه شيئًا، ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ من مال نفسه لا من مال اليتيم، لئلا يحتاج إلى مدِّ اليد إلى ماله[1]. وقيل: فليأكل بالمعروف من مال اليتيم[2]. وقيل: ذلك منسوخ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾[3] الآية[4]، وقال الأصمُّ: فليأكل من مال اليتيم قرضًا، وإليه ذهب عمر، فقال: إني في[5] مال الله كوالي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت

---

(١) وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وهو قول الحكم. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨١، ٥٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٤)، والبحر المحيط (١/ ١٨١).

(٢) وهذا قول عمر وابن عباس وإبراهيم وعطاء والحسن وقتادة، وعبيدة والشعبي وأبي العالية وابن جبير، على خلاف بينهم هل يقضي ما أكله أم لا. وهو قول الفقهاء كما قال أبو حيان. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٢-٩٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٨-٨٧١)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٧، ١٦٨)، والبحر المحيط (١/ ١٨١).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٤) وهذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٨١).

(٥) في الأصل: (من) والصواب ما أثبته.

أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت[1]. وقيل: يتناول الفقير الأقل من قدر حاجته[2]، أو قدر أُجرةِ مثله[3]. **وقيل**: ليس لوالي اليتيم أن يتناول ذلك، وإن تولى إصلاحه إلا بأمر من له الأمر، وإليه ينصرف ما رُوي أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إن في حجري يتيمًا أفآكل من ماله؟ قال: «**نعم، ما لم تقِ مالك بماله، أو تتخذ**

---

(١) وهو قول عمر وابن عباس والشعبي ومجاهد وأبي العالية وابن جبير. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٢-٥٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٩، ٨٧٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٦٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٤)، ومعالم التنزيل (١/ ١٦٨)، والتفسير الكبير (٩/ ١٥٥، ١٥٦).

(٢) فمنهم من قال: يأكل ما يسدّ جوعه، ويلبس ما يواري عورته، وقال ابن عباس: يأكل بأطراف أصابعه. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٦، ٥٨٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢). وفي الأصل: (قدر حاجة) والصواب ما أثبته.

(٣) وهذا مروي عن ابن عباس أنه إذا عمل لليتيم في إبله شرب من لبنها. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢)، وقال أبو حيان «﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾: المعروف أن يكون له أجر بقدر عمله وخدمته، وهذه رواية عن الإمام أحمد». البحر المحيط (٣/ ١٨١). وردَّ الطبري هذا القول. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٩٤، ٥٩٥).

منه ذخرًا»[1]، وإلى نحوه صُرف قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، والأمر بالإشهاد عليهم عند دفع أموالهم إليهم على سبيل الإيجاب[3]، وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، تنبيه منه تعالى أنه رقيب عليهم، يعلم أسرارهم، وأنه يحاسبهم على ما يكون منهم، فليس للولي أن يخون، ولا لليتيم أن يدعي ما ليس له.

قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾[4] الآية.

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٩٠) عن قتادة مرسلًا. وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٥٠٤)، في ترجمة ثابت بن رفاعة، ونسبه لابن منده، وابن فتحون، وقال: هذا مرسل رجاله ثقات. ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٦) للطبري وعبد بن حميد، وثبت نحو هذا الحديث موصولاً رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٦٨) وأبو داود كتاب الوصايا، باب: ما جاء في ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم، رقم (٢٨٧٢). وورواه ابن ماجه في الوصايا، باب: في قوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ رقم (٢٧١٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٣) وقيل على الاستحباب، وظاهر الآية يدل على الوجوب. انظر: معالم التنزيل (٢/ ١٦٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧. ونص الآية: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.

المفروض: المقطوع بإيجابه[1]، والفرض الحزُّ في شِية القوس[2]، والفُرْضَة مقطع الماء، إمّا اعتبارًا بقطع الماء أو قطع الخصومة فيه[3]. وبعض الفقهاء فرّق بين الفرض والواجب، فجعل الفرض أخصّ، وقال: إنه يقتضي فارضًا، والواجب لا يقتضيه، قال: ولذلك يُقال: ثواب المطيعين واجب على الله، ولا يقال: فرض عليه[4]، ورُوي أن العرب كانوا يورثون الذكور دون الإناث، وقيل: كانوا لا يورّثون إلا من طعن من الرُّمَّاح[5] دون المستضعفين من الولدان[6]، قيل: إن أوس بن

(١) قال ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٥٩٧): «حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة» وانظر: طلبة الطلبة ص (٣٣٧)، والمغرب ص (٣٥٧).

(٢) شية القوس: لونه. انظر لسان العرب (١٥/ ٣٩٢).

(٣) انظر: العين (٧/ ٢٨)، والجمهرة (٢/ ٣٦٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧١)، والمفردات ص (٦٣٠).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧١)، ، والفروق ص (١٤٦)، وقال ابن الأثير: «والفرض والواجب سيّان عند الشافعي، والفرض آكد من الواجب عند أبي حنيفة». النهاية (٣/ ٤٣٢). وانظر: روح المعاني (٤/ ٢١١، ٢١٢).

(٥) الرُّمَّاح: جمع الرَّمَّاح بالفتح والتشديد، الذي يتخذ الرِّماح وصنعته الرِّمَاحة بالكسر. انظر: مختار الصحاح (ص ٢٥٦).

(٦) وهذا مرويّ عن قتادة. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٩٨)، (٨/ ٣١) وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٥)، =

ثابت[1] مات وخلَّف بنات وابني عم، فعمدا إلى المال وأخذاه، فجاءت امرأة أوس ببناته إلى النبي ﷺ، وأعلمته ذلك[2]، فأخبرها أن لا شيء لها ولا لهن. فأنزل الله تعالى الآية، فبعث النبي ﷺ إلى ابني عم أوس، فأمرهما أن لا يُخرجا من المال شيئًا، ثم نزلت آية الميراث، فقسّم المال عليهم[3]، فاستدل بهذه الآية أصحاب الإمام أبي حنيفة[4] على توريث ذوي الأرحام. وقالوا: الأخوال والخالات وأولاد البنات من الأقربين[5]، وتعلَّق بذلك أيضًا من ورَّث الإخوة مع الجد، وكذلك من ورّث العامل والمماليك[6].

---

(١) أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، أخو حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، شهد بيعة العقبة الثانية وغزوة بدر، واستشهد في أحد في السنة الثالثة من الهجرة. انظر: الاستيعاب (١/ ١١٨)، وأسد الغابة (١/ ١٤٠)، والإصابة (١/ ٣٩٣).

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن زيد. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٠)، والدر المنثور (٢/ ٢١٧).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٧) وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٤) النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الإمام، صاحب المذهب الحنفي، فقيه مشهور من السادسة، مات سنة خمسين على الصحيح وله سبعون سنة. انظر: التقريب ص (٥٦٣) والتهذيب (١٠/ ٤٤٩).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٩، ٧٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٥).

(٦) انظر: مغني المحتاج للشربيني (٣/ ٢١)، واللباب في شرح الكتاب للشيخ عبدالغني الغنيمي (٤/ ١٩٩)، ونيل الأوطار للشوكاني (٦/ ٦٢).

وقوله/ : ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[1] يقتضي خلاف من ورّث ذوي [٢٥٩/أ] الأرحام، إذ ليس لأحد منهم نصيب مفروض[2]، **فإن قيل**: لِمَ أُعيد ذكر النصيب؟ **قيل**: لما أراد أن يبين كون نصيبهم مفروضا أعاد الموصوف معه، ليستبين أن المفروض هو النصيب لا غير[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾[4] الآية. أراد بالقسمة المقسوم[5]، ولذلك[6]: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ ردّ إلى المعنى، واختُلِفَ في الآية على أقوال: **الأول**: أنه عنى من ليس بوارث من أولي القربى، وذلك على الاستحباب، فإما أن يُعطوا، أو

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧.

(٢) ذكر ابن العربي أن هذه الآية «أفادت إجمال النصيب المفروض، وبين الله سبحانه في آية المواريث خصوص القرابة ومقدار النصيب، وكان نزول هذه الآية توطئة للحكم وإبطالاً لذلك الرأي الفاسد...». أحكام القرآن (١/ ٣٢٨).

(٣) قال ابن العربي: «ليس في الآية تعرض للقسمة، وإنما اقتضت الآية وجوب الحظ والنصيب في التركة قليلًا كان أو كثيراً. فأما إبراز ذلك النصيب فيؤخذ من دليل آخر»، أحكام القرآن (١/ ٣٢٨).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨، ونص الآية: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

(٥) وقيل غير ذلك. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٨٤).

(٦) أي ولذلك قال.

يُقال لهم قول معروف[1]، وقيل: يُجمع لهم بين الأمرين[2]. والثاني: قال مجاهد: هو واجب، لكن يُعطون على قدر ما تطيب به نفس الورثة، إذ كانوا وارثين[3]، قال الحسن والنخعي[4]: أدركنا الناس وهم يُقسّمون على الأقارب واليتامى والمساكين من الورِق[5] والفِضَّة، فإذا صاروا إلى الأرضين والرقيق ونحوها، قالوا لهم قولاً معروفاً، أي قالوا لهم: بُورِك فيكم[6]. **الثالث**: أن أولي القربى ضربان: وارث يُعطى، وغير وارث، فيُقال له قول معروف[7]. **الرابع**: يُعطى الحاضر البالغ، ويتُحرَّى في أمر

(١) وهذا مرويّ عن ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري. انظر: جامع البيان (٨/ ٧-٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦).

(٢) هذا مرويّ عن أبي العالية والحسن. انظر: جامع البيان (٨/ ١٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠).

(٤) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلاّ أنه يرسل كثيراً، ولد سنة ٥٠هـ وتوفي سنة ٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٧٧)، والتقريب ص (٩٥).

(٥) الوَرِق: المال من الدراهم. انظر: المصباح المنير ص (٢٥١).

(٦) انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٤).

(٧) وهذا مرويّ عن سعيد بن جبير. انظر: جامع البيان (٨/ ١٥، ١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٤).

الغائب والصغير قولٌ معروف أي مصلحة[١]. **الخامس**: قال زيد من أسلم: هذا شيء أُمِرَ به الموصي في الوقت الذي يوصي، واستدلّ في ذلك بقوله بعد هذه الآية: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً﴾ الآية[٢]. **السادس**: أنّ ذلك كان في الورثة واجبًا، فنسخته آية الميراث[٣]، والصحيح أنه ليس بمنسوخ[٤]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[٥]، ثم قال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾[٦].

---

(١) وهذا مرويّ عن السدي. انظر: جامع البيان (٨/ ١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦).

(٢) ذكره الجصاص عن زيد بن أسلم في أحكام القرآن (٢/ ٧٢).

(٣) يُروى هذا عن سعيد بن المسيب والضحاك وأبي مالك، ورواية عن ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٩، ١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٥، ٨٧٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧١)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦).

(٤) وهذا ما رجحه الطبري في جامع البيان (٨/ ١٢).

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٢٨. قال ابن العربي: «وأكثر أقوال المفسرين أضغاث وآثار ضعاف. والصحيح أنها مبينةٌ استحقاق الورثة لنصيبهم،=

قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾[1] الآية.

أصل السداد: إزالة الاختلال، يقال: سددت الخرقَ. إذا ردمته، والسَّهمَ إذا قوَّمته، والفقرَ إذا أزلته، والسّداد ما يُسدُّ به، والسداد يُقال في معنى الفاعل، وفي معنى المفعول، ورجل سديد متردد بين المعنيين، فإنه مسدَّد من قبل متبوعه، ومسدِّد لتابعه[2]، وفي الآية أقوال: **الأول**: أنه نهي للحاضرين عند الموصي أن يأمروه بما لا يجوز الوصية به[3]. **والثاني**: أنه نهي لهم أن يأمروه بترك

= واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له منهم بأن يُسهم لهم من التركة، ويذكر لهم من القول ما يُؤنِّسهم وتطيب به نفوسهم، وهذا محمول على الندب..». انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٩).

(١) سورة النساء، الآية: ٩، ونص الآية: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

(٢) انظر: العين (٧/ ١٨٣)، وإصلاح المنطق ص (١٠٥)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢١)، والمفردات ص (٤٠٣)، وأساس البلاغة ص (٢٠٦)، والنهاية (٢/ ٣٥٢)، ولسان العرب (٣/ ٢٠٧)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٢٠٩).

(٣) هذا القول مرويّ عن ابن عباس وقتادة والسدي وسعيد بن جبير، والضحاك ومجاهد. انظر: جامع البيان (٨/ ١٩-٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٦، ٨٧٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧١)، =

الوصية(١) . **الثالث** : ما قد رُوِيَ عن ابن عباس أن ذلك وارد في الحث على حفظ مال اليتيم ، وأنّ عليهم أن يعملوا فيه بمثل ما يحبون في ذريَّتهم بعد موتهم(٢) . **الرابع** : أنه نهي للموصي أن يوصي بما لا يجوز(٣) . وكُلُّ هذه الأقوال يصح أن تكون مرادة بالآية ، لأنه واجب أن لا يوصي بأكثر من الثلث ، وواجب على من يحضره أن يحثَّه على ذلك ، وأن لا يُوصي بأكثر من الثلث ، وأن لا يخلّ بالوصية(٤) .

= والمحرر الوجيز (٤/ ٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٢).

(١) هذا القول مروي عن سعيد بن جبير ومقسم بن بجرة - مولى عبدالله بن الحارث ويقال: مولى ابن عباس للزومه له صدوق وكان يرسل من الرابعة مات سنة ١٠١هـ -وحضرمي - وهو شيخ مجهول بالبصرة يروي عنه سليمان التيمي - وسليمان بن المعتمر. انظر: جامع البيان (٨/ ٢٢، ٢٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٢). والتهذيب (٢/ ٣٩٤)، والتقريب ص (١٧١).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٧)، وحكاه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٧١) عن الكلبي.

(٣) ذكر هذا القول الزمخشري في الكشاف (٤٧٨)، وابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٣٣٠)، والرازي في التفسير الكبير (٩/ ١٦١).

(٤) قال الجصاص: «وجائز أن تكون هذه المعاني التي تأول السلف عليها الآية مرادة بها» أحكام القرآن (٢/ ٧٣). وقال ابن العربي: «والصحيح أن الآية عامة في كلّ ضرر يعود عليهم بأي وجهٍ كان على ذرية المتكلم، فلا يقول إلا ما يريد أن يقال فيه وله» أحكام القرآن (١/ ٣٣٠).

إن قيل: لِمَ قال: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾، ثم قال: ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؟ وهل بين الخشية والتقوى فرق؟ قيل: الخشية الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم(١)، ولذلك وصف به العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٢). والتقوى جعل العبد نفسه في وقاية مما يخشاه(٣)، ولذلك قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤)، فالخشية مبدأ التقوى، والتقوى غاية الخشية، فأمر الله تعالى بمراعاة المبدأ والنهاية(٥)، إذ لا ينفع الأول دون الثاني، ولا يحصل الثاني من

---

(١) قال الراغب: «الخشية: خوفٌ يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه» المفردات ص (٢٨٣). وقال العسكري: «والخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية، ولهذا قال ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]». الفروق ص (٢٦٥).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) قال ابن رجب: «وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه...» جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٥) اعتمد الراغب في التفريق بين معنى: التقوى والخشية على المعنى الأصلي للفظتين، وقد نظر الأخفش إلى السياق وجعل الكلمتين بمعنى، وأنّ الثانية توكيد للأولى، قال: «فليخشوا: أي فليخشوا هذا. أي: فليتقوا، ثم عاد أيضاً فقال: فليتقوا الله» معاني القرآن (١/ ٤٣٥). وانظر: معنى=

دون الأول، ثم أمر تعالى/ مع ذلك بتحرِّي القول السديد، وذلك [٢٥٩/ب] متناول لكل قول مأمور به، وقول من قال: هو تلقين المحتضر الشهادة[١]، وقول من قال: هو ترك الرفث في تولي القسمة، وقول من قال: هو الصدق في الشهادة ـ داخل في عموم الآية[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٣]. الصِّلا: النار، وصلي فلان بها وصليته: أدنيته منها، وصليت اللحم: شويته، فقوله: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ من صِلِيَ، ويُصْلَون من أَصلَيتُ[٤]، نحو ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾[٥]، والسعير: المسعور، واستعرت النار والحرب تشبيهًا بذلك[٦]، وهذه الآية مؤكِّدة لما قبلها من

= التقوى والخشية في: العين (٤/ ٢٨٤) و (٥/ ٢٣٨)، والزاهر (١/ ١٢٢)، والجمهرة (١/ ١٨٦) (٢/ ٢٢٥).

(١) ذكره القرطبي في الجامع (٥/ ٥٣) ولم ينسبه.

(٢) وهو داخل في الأقوال السابق ذكرها.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٤) انظر: العين (٧/ ١٥٤)، وجامع البيان (٨/ ٢٧)، والمنتخب ص (٩٥) و (٣٣١)، والمفردات ص (٤٩٠)، ولسان العرب (١٤/ ٤٦٧، ٤٦٨).

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٠.

(٦) انظر: العين (١/ ٣٢٩)، وغريب القرآن ص (٢٥٩)، وجامع البيان (٨/ ٢٧-٢٩)، والمفردات ص (٤١١)، والنهاية (٢/ ٣٦٧).

الأمر بالخشية والتقوى، ووعيد لمن تعدّى، وذكر الأكل لكونه أكثر ما يُراد له المال، وقيل: إنه لما نزلت هذه الآية تحرَّج الناس من طعام اليتيم حتى أنزل الله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾(١)، (٢) وليس هذا ناسخًا للأول، كما ظنّه قوم، لأنه ليس في قوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ إباحة لأكل مال اليتيم ظلمًا، فتكون هذه ناسخة لها(٣)، في

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) رواه عن ابن عباس موقوفاً أحمد في المسند (١/ ٣٢٥)، والنسائي في السنن، كتاب الوصايا، باب: ما للموصي من مال اليتيم إذا قام عليه، (٦/ ٢٥٦) رقم (٣٦٧٠)، وأبو داود في السنن، كتاب الوصايا، باب: مخالطة اليتيم في الطعام رقم (٢٨٧١)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (٢/ ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٠٣، ٣١٨)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٧٢)، والعجاب (١/ ٥٤٧-٥٤٩)، وأسباب النزول للسيوطي ص (٦٥).

(٣) ولذلك قال سبحانه بعد أن أجاز لهم مخالطة اليتامى في الطعام والشراب: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾. قال ابن كثير: «أي يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح». تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٤).
قال الجصاص عن القائلين بالنسخ: «وهذا القول من قائله يدل على جهله بمعنى النسخ وبما يجوز نسخه مما لا يجوز، ولا خلاف بين المسلمين أن أكل مال اليتيم ظلماً محظور. .» أحكام القرآن (٢/ ٧٤).

قوله: ﴿ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[1] وجهان: **أحدهما**: أن ذلك تشبيه، إذ كان ذلك مؤدياً إليه[2]، كقول النبي ﷺ: «**يتهافتون في النار تهافت الجراد**»[3]، وكقول الشاعر:

إذا صُبَّ ما في الوَطْب فاعلم بأنه
دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا[4]

فسمّى اللبن دما لكونه بدلاً منه. والثاني ما رُوي أن النار تُجعل في بطنه يوم القيامة[5]. والقولان صحيحان وسيّان، فإنه من

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٢) انظر: تفسير النكت والعيون (١/ ٤٥٧)، والسمعاني (١/ ٤٠٠)، والكشاف (١/ ٤٧٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٧).

(٣) ثبت نحوه من حديث جابر، رواه مسلم في الفضائل، باب: شفاعته ﷺ على أمته، رقم (٢٢٨٥)، ورواه أحمد (١/ ٣٩٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

(٤) البيت لجرير وهو من بحر الطويل، يُعيرّ به جسّاس بن شداد بأنّه قبل الدية من رجلٍ من نمير قتل أباه شدّاداً. انظر: ديوان جرير (٢/ ٧٩٦)، ويعني بما في الوَطْب: لبن إبل الدية الذي في الإناء، والوطب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه. وانظر: المعاني الكبير (٢/ ١٠١٩)، والمحاضرات (٤/ ٧٤)، والقاموس ص (١٣٠).

(٥) قال أبو حيان: «وظاهر قوله: ﴿ نَارًا ﴾ أنهم يأكلون ناراً حقيقة... =

كان حاله في الآخرة هذه، هو الذي حاله في الدنيا ما قاله الأولون.

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[1] الآية. الوصية: تُقال فيما كان حتمًا[2]، نحو قوله

= وبأكلهم النار حقيقة قالت طائفة» البحر المحيط (٣/ ١٨٧). وانظر: جامع البيان (٨/ ٢٦، ٢٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٢). وأما ما روي أن النار تجعل في بطن آكل مال اليتيم يوم القيامة، فقد رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٧٩)، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٥٦٦)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٧٤٤٠)، من حديث أبي برزة الأسلمي، وثبت من حديث أبي سعيد في قصة المعراج، أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٧٩).

(١) سورة النساء، الآية: ١١، ونص الآية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(٢) معنى: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ قيل: يأمركم. وقيل: يعهد إليكم، وقيل: يبين لكم. وقيل: يفرض عليكم. قال أبو حيان: وهي أقوال متقاربة. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٩). وقال الزجاج: «معنى يوصيكم: =

تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ ثم قال: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾(١). وقال ابن عباس: كان المال للولد في الجاهلية، والوصية للوالدين والأقربين، فنسخه هذه الآية(٢)، واستُدِلَّ بما رُوِيَ أنه لمّا نزلت هذه الآية قال ﷺ: «**إن الله قد أعطى كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا وصية لوارث**»(٣)، وقال غيره: الآية غير ناسخة، بل هي تفسير لقوله: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾(٤)، (٥) واختُلِفَ: هل يدخل ولد الابن في

= يفرض عليكم لأن الوصيّة من الله عزّ وجلّ فرض..» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣٩).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٠)، وصحيح البخاري كتاب التفسير، باب ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ﴾ رقم (٤٥٧٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٨).

(٣) رواه أبو داود ـ كتاب الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث، رقم (٢٨٧٠)، وابن ماجه ـ كتاب الوصايا، باب: «لا وصية لوارث» رقم (٢٧١٣)، والترمذي ـ كتاب الوصايا، باب: ما جاء في «لا وصية لوارث» رقم (٢١٢٠) وقال: حسن.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٣١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٥)، والبحر=

إطلاق الولد؟ فمنهم من قال: يدخل فيه، لقولهم: أولاد آدم، ولأن جميع ما علق بالولد من الأحكام فابن الابن داخل فيه، نحو ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾[1]، وقوله: ﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾[2] ولا خلاف أن حكم ولد الابن إذا لم يكن ولد صلب حكمه[3]، وقد استثني من ظاهر قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الكافر والمملوك والقاتل وأهل ملَّتين، إلا عند معاذ، فإنه يُورِّث المسلم من الكافر[4]، وقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ فإنَّ الله جعل للبنات إذا كُنَّ فوق اثنتين الثلثين، وللواحدة النصف، ولم يذكر فرض

= المحيط (٣/ ١٨٨).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) نقل القرطبي عن الشافعية أنهم قالوا: قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ حقيقة في أولاد الصلب، فأما ولد الابن، فإنما يدخل فيه بطريق المجاز، فإذا حلف أن لا ولد له، وله ولد ابن لم يحنث، وإذا أوصى لولد فلان لم يدخل فيه ولد ولده. وأبوحنيفة يقول: إنه يدخل فيه إن لم يكن له ولد صلب، ومعلوم أن الألفاظ لا تتغير بما قالوه. الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٩)؛ وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٠، ٨٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠١، ١٠٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٩).

البنتين، قال ابن عباس: حكمهما حكم الواحدة، وقال سائر الفقهاء: حكمهما حكم ما فوقهما[1]، ثم اختُلِفَ من أيٍّ وجه صار حكم الاثنتين حكم ما فوقهما؟ فقال بعضهم: إن ذلك أُجْرِيَ مجرى الثلاث بالقياس، لأنه به أشبه/ . وقال بعضهم: [٢٦٠/أ] بل اللفظ اقتضى ذلك، وهو الصحيح. وبيان ذلك أنه قال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾، ولا فرق بين أن يقال ذلك أو يقال: للأنثيين مثل حظ الذكر. وقد ثبت أن حظ الذكر إذا كان مع أنثى الثلثان، فاقتضى ذلك أن فرض الأنثيين الثلثان، فصار ذلك مدلولاً عليه بفحوى الكلام دون الصريح، وفرض الواحدة وما زاد على البنتين فبالصريح، قال: ويقوي ذلك أن القسمة العددية ضربان: مركب ومفرد، وقد ذكر حكم المركب بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾، وحكم المفرد بقوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ﴾، والاثنان بدءُ المركب من الأعداد، فيجب أن يكون حكمه ملحقًا به، ويدلُّ على ذلك ما قاله في آخر السورة قوله:

---

(١) قال السمعاني: «أكثر الصحابة والعلماء على أن للابنتين والثلاث الثلثين. وقال ابن عباس: للابنتين النصف، وإنما الثلثان للثلاث وما زاد؛ تمسكاً بظاهر الآية، والأول أصحُّ» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠١)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٣٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٠).

﴿ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ ﴾[١] ، فجعل حظ البنتين الثلثين ، ولم يبيّن حكم ما زاد عليهما ، وبيّن في فرض البنات حكم ما فوق الابنتين ، ليعلم من نطق كل واحد من الاثنين حكم المسكوت عنه في الأخرى .

فإن قيل : متى جعل حكم الاثنتين حكم الثلاث فصاعدًا سقط فائدة قوله : ﴿ فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾؟ قيل : مثل هذا راجع إلى المخالف ، لإنه يقال له : متى جعلت حكم الاثنتين حكم الواحدة سقط فائدة قوله : ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾؟ وجوابه في ذلك جوابنا عما سأل ، على أن ذكر ذلك على التنزيل الذي نزلناه لابد من ذكره ، لأنه بيّن حكم الاثنتين بقوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ ، ثم بيّن حكم ما فوق الاثنتين ، ثم حكم الواحدة ، ومن قال : تقدير الكلام : فإن كن نساء اثنتين ، وإن قوله ﴿ فَوْقَ ﴾ زائد كقوله : ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾[٢] ، لأنه أراد فاضربوا الأعناق ، فغير موافق في ادعاء الزيادة في الموضعين ، وغير موافقٍ في تأويل الابنتين ، وكلام الله تعالى منزه عن ذكر لفظ خلوةً عن قصد معنى صحيح ، إذ كان ذلك لغوًا ، تعالى الله عنه[٣] .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧٦ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٢ .

(٣) وردّ هذا القول أيضاً النحاس وابن عطية وأبو حيان وابن كثير . انظر : =

إن قيل: لِمَ ذكر فرض البنت إذا انفردت، ولم يذكر الابن على الانفراد؟ **قيل**: لأن العرب كانوا يورِّثون البنين دون البنات، فاحتيج إلى تبيين ذلك، دون ما بقوا على ما كانوا عليه، وقوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾[1] ظاهره يقتضي أن يكون للأب السدس مع الولد: ذكرًا كان أو أنثى، كما أن فرض الأم كذلك، لأنه لا خلاف متى كان الولد بنتاً لا يستحق أكثر من النصف، لقوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ فيُعطى الأبوان السدسين بحكم النص، وبقي سدس يناوله الأب بما نبّه عليه بقوله: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، لمّا جمع نصيبهما، ثم أفرد نصيب الأم على أن الباقي للأب[2]. / [٢٦٠/ب]

وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾[3] فالإخوة هٰهنا متناولة للإخوة والأخوات، لكن غلب التذكير، وبيّن تعالى ميراث

= إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٤).

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

الأم عند وجود الإخوة، والظاهر يقتضي أن الأم تستحق السدس إذا كانت للميت ثلاثة إخوة فصاعدًا. وأمّا إذا كان أخوان فالظاهر لا يقتضي ذلك[1]، وقال ابن عباس: إن الآية لا تتناول ذلك، فلم تحجب الأم عن الثلث بدون الثلاثة، ولا بالأخوات منفردات[2]، وخالفه سائر الصحابة، وحجبوها باثنين من الإخوة والأخوات، كما حجبوها بأكثر من ذلك، وقالوا: المراد بالأخوة حصول من له الإخوة دون العدد، ودون الذكورية والأنوثية، ولا خلاف أن الواحد لا يحجب الأم[3].

---

(١) قال الماوردي: فلا خلاف أن الثلاثة من الإخوة يحجبونها من الثلث الذي هو أعلى فرضها إلى السدس الذي هو أقله، ويكون الباقي بعد سدسها للأب. النكت والعيون (١/ ٤٥٨)، وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٤).

(٢) انظر قول ابن عباس في: جامع البيان (٨/ ٤٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨١)، وبحر العلوم (١/ ٣٣٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٥).

(٣) قال السمرقندي: «وقد اتفق أصحاب رسول الله ﷺ أن اسم الإخوة يقع على الاثنين فصاعدًا، إلا في قول ابن عباس: ثلاثة فصاعدًا، واتفقوا أن الذكور والإناث فيه سواء، فيكون للأم السدس، والباقي للأب»، بحر العلوم (١/ ٣٣٧). وقال ابن جرير الطبري: «والصواب=

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾[1] قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الوصيّة مقدّمة في اللفظ مؤخّرة في المعنى[2]، فإن مراعاة الدّين قبل مراعاة الوصية، وإنما قيل ﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ ولم يقُل

= أن المعنيَّ بقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ اثنان من إخوة الميت فصاعدًا على ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما...» جامع البيان (٨/ ٤١). وقال ابن كثير: وحكم الأخوين فيما ذكرناه كحكم الإخوة عند الجمهور. تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٤). وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٤٠).

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٤٦)، والترمذي في سننه ـ كتاب الفرائض، باب: ما جاء في ميراث الإخوة من الأب والأم رقم (٢٠٩٤)، ورواه في كتاب الوصايا، باب: «ما جاء يبدأ بالدين قبل الوصية» رقم (٢١٢٢)، ورواه ابن ماجه في كتاب الوصايا، باب «الدين قبل الوصية» رقم (٢٧١٥)، وأحمد في المسند (١/ ٧٩، ١٣١، ١٤٤)، والطيالسي في مسنده رقم (١٧٩)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٦٠)، والحميدي رقم (٥٦) وابن الجارود في المنتقى (٩٥٠)، وأبو يعلى رقم (٣٠٠)، والحاكم (٤/ ٩٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٣٢)، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث ـ الأعور ـ عن علي. وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث. والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم. وضعف الحافظ ابن حجر هذا الأثر أيضاً في فتح الباري (٥/ ٤٤٤) ولكنه قال: ولم يختلف العلماء في أن الدين يقدّم على الوصية. اهـ.

[و][1] دين، ليقتضيهما مجموعين ومفردين[2]، وقوله: ﴿ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ ﴾، قيل: القصد بذلك أن المنفعة بهما متفاوتة، فإن المنفعة بالآباء في الصغر، وبالأبناء في الكِبَر[3]، وقيل: معناه تحرَّوا ما أُمرتم، ولا تعتبروا نفع الولد والوالد، فإن ذلك يختلف عند اعتبار الآحاد[4]، وقيل: معناه لا يدري أحدكم أهو أقرب وفاة، فينتفع ولده بماله، أم الولد أقرب وفاة فينتفع

---

(١) الواو ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٥٩)، ولأبي حيان تعليل آخر حيث قال: «وقدّم الوصية على الدَّين، وإن كان أداء الدين هو المقدم على الوصية بإجماع اهتماماً بها، وبعثاً على إخراجها، إذ كانت مأخوذة من غير عوض، شاقّاً على الورثة إخراجها مظنة التفريط فيها، بخلاف الدين، فإن نفس الوارث موطَّنة على أدائه، ولذلك سوّى بينها وبين الدين بلفظ «أو» في الوجوب، أو لأن الوصية مندوب إليها في الشرع محضوض عليها، فصارت للمؤمن كالأمر اللازم له، والدين لا يلزم أن يوجد، إذ قد يكون على الميت دين وقد لا يكون، فبدئ بما كان وقوعه كاللازم، وأخّر ما لا يلزم وجوده، ولهذه الحكمة كان العطف بأو، إذ لو كان الدين لا يموت أحدٌ إلا وهو راتب لازم له لكان العطف بالواو. أو لأن الوصية حظ مساكين وضعاف، والدين حظ غريم يطلبه بقوة». البحر المحيط (٣/ ١٩٤).

(٣) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٥) ونسبه لأبي يعلى.

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٤) ونسبه إلى ابن عيسى. وقال: وقريب منه قول الزجاج.

الوالدان بماله[1]، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر:

ما عِلمُ ذي ولد أيثكله   أم الــولــدُ اليتيــم؟[2]

وهذا الذكر في الآية كالاستطراد، والقصد به يجب أن يتحرَّى في ماله الوجه الذي جُعل له المال، فلا يمنع ذا حقٍّ من حقّه، شفقة على ورثته، ولا يضعه في غير حقه تفاديًا من انتقال ماله إلى ورثته، بل يجب أن يتحرى القصد في ذلك، فليس يدري عواقب الأمور، وجملة ذلك أن في الآية حثًّا على تفويض الأمر إلى الله، والرضا بحكمه، وقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] اسم موضوع موضع المصدر[4]، نحو قوله: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[5]، و ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[6]، ومعناه قسمة مقدرة، وقيل: معناه حتمًا

---

(١) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٤) ونسبه لابن بحر. وذكره الرازي في التفسير الكبير (٩/ ١٧٧) ولم ينسبه.

(٢) البيت ليزيد بن الحكم، وهو ضمن قصيدة يوصي بها ابنه كما في شرح حماسة أبي تمام للتبريزي. وقال التبريزي: القصيدة من بحر الكامل المرفّل والقافية متواترة. انظر: شرح الحماسة (٣/ ١٠٧).

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٠)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٢)، والتبيان (١/ ٣٣٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٤.

لازمًا[1]، وكلا المعنيين يقتضيه لفظ الفريضة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾[2] الآية. **الكلالة**: اسم لمن عدا الولد والوالد[3]، وقال ابن عباس: اسم لمن عدا الولد وورث الإخوة مع الأب[4]، وإليه كان

---

(١) انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٥)، ونظم الدرر (٢/ ٢٢١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٥٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢. ونص الآية: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

(٣) قال الفرّاء: «الكلالة: ما خلا الولد والوالد» معاني القرآن (١/ ٢٥٧) وقال الزجاج: «الكلالة سوى الولد والوالد» (٢/ ٢٦). انظر: غريب القرآن ص (٣٩٠)، والمفردات ص (٧١٩)، وذكر أبو حيان أن هذا هو قول جمهور أهل العلم وجمهور أهل اللغة؛ صاحب العين، وأبي منصور اللغوي وابن عرفة وابن الأنباري والعتبي. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٩٧).

(٤) وهذا القول هو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: جامع=

يذهب[1] ابن عمر[2] ثم رجع عنه، ويدلُّ أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر:

وإن أبـا المـرء أحمـى لـه ومولى الكلالة لا يغضب[3]

ورُوي أن النبي ﷺ سُئل عن ذلك، فقال: «**من مات وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة**»[4]، وقال بعضهم: الكلالة من لا ولد له ولا والد[5]، فجعله اسم الميت، وكلا القولين صحيح،

= البيان (٨/ ٥٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٩) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٦).

(١) في الأصل (يذهب كان) والسياق يقتضي ما ذكرناه.

(٢) هكذا في الأصل (ابن عمر) ولعل الصواب (عمر) قال أبو حيان: «وقالت طائفة: هي - أي الكلالة - الخلو من الولد فقط، وروى عن أبي بكر وعمر ثم رجعا عنه». البحر المحيط (٣/ ١٩٦).

(٣) البيت في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦) وتهذيب اللغة (٩/ ٤٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٧) ولم أهتد إلى قائله.

(٤) رواه أبو داود في المراسيل ص (٢٧١) رقم (٣٧١) مرسلًا، ورواه عبدالرزاق في المصنف (١٠/ ٣٠١) رقم (١٩١٩٢)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٢٣) من طرق أخرى مرسلًا. وأخرجه الحاكم موصولاً في المستدرك (٤/ ٣٣٦) عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. وضعفه الذهبي وقال: الحمَّاني ضعيف.

(٥) وهذا قول أبي بكر وعمر والمشهور عن ابن عباس رضي الله عنه. قال ابن كثير: =

فإن الكلالة مصدر، وهو اسم للمعنى الذي يجمعهما، فسُمّي به الوارث تارة والموروث تارة، وتسميتها بذلك إما لأنَّ النسب قد لحق به من طرفيه، أو لأنَّه كلَّ عن اللحوق به[1]، وذلك أن الانتساب ضربان: **أحدهما**: بالعمق كنسبة الأب والابن، **والثاني**: بالعرض كنسبة الأخ/ والعم. [٢٦١/أ]
وقال قطرب[2]: الكلالة لمن عدا الأبوين والأخ

= «وهو قول علي وابن مسعود، وصحَّ عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم، وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة، وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد، وورد فيه حديث مرفوع، قال أبو الحسين ابن اللبان: وقد روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك، وهو أنه من لا ولد له، والصحيح عنه الأول، ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٦)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٣ ـ ٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٤٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٦).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٦).

(٢) هو محمد بن المستنير أبو علي النحوي، تلميذ سيبويه، كان يرى رأي المعتزلة النظَّاميّة، من تصانيفه: (معاني القرآن) و (الاشتقاق)، توفي سنة ٢٠٦هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ٢٤٢)، ونزهة الألباء ص (٨٥)، =

[و][1] ليس بشيء[2]، وقال بعضهم: هو اسم لكل وارث[3]، لقول الشاعر:

.... وللكلالة ما يُسيم[4]

ولم يقصد الشاعر ما ظنّه هذا القائل، فإنه إنما خصّ الكلالة ليزهد الإنسان في جمع المال، لأن تخليف المال لهم أشد من تركه الأولاد، وإذا قُرِئَ يورِث[5] فكلالة مفعول، وإذا قُرِئَ

= وطبقات النحويين واللغويين ص (٩٩)، وإشارة التعيين ص (٣٣٨)، وتاريخ بغداد (٣/ ٢٩٨)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٣٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ٢٥٦).

(١) الواو ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في المفردات ص (٧٢٠).

(٢) وضعف أبو حيان قول قطرب أيضاً. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٩٧)، وقد عزا الأزهري هذا القول إلى أبي عبيدة والأخفش. انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٤٤٧).

(٣) ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٧) أن هذا قول الراغب. وليس بصحيح.

(٤) هذا عجز بيت وتمامه:

والمرءُ يَجمعُ للغِنى وللكلالة ما يُسيم

وهو في: المفردات ص (٧٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٧)، وهو ليزيد ابن الحكم. انظر: شرح الحماسة (٣/ ١٠٦).

(٥) وهذه قراءة الحسن. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٢)، والبحر المحيط=

يورَث[1] فحال للميت.

فرض الله تعالى للزوج النصف إذا لم يكن للميتة ولد، دخل بها أو لم يدخل، وجعل له الربُعَ إذا كان لها ولد، سواء كان منه أو من غيره، وفرض الربُعَ للزوجات إذا لم يكن للميت ولد، والثمُنَ إذا كان له ولد، وأجمعوا أن ولد الابن يقوم مقام ولد الصلب في حجب الزوجين، إلاّ حكاية عن بعض المتقدمين، وأجمعوا أن للزوجة الواحدة إذا انفردت ما للزوجات إذا اجتمعن، وذهبت طائفة إلى أن من لا يرث من مملوك وقاتل يحجب الزوجين والأم، لأن اسم الولد يتناولهم، كما يحجب الإخوة الأم مع الولد، وإن لم يرثوا[2]،

= (٣/ ١٩٧)، والدر المصون (٣/ ٦٠٩).

(١) وهي قراءة الجمهور. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٧)، والدر المصون (٣/ ٦٠٩). وقد ذكر ابن جنّي أنّ الحسن قرأها: [يُورِثُ] وأن عيسى بن عمر قرأها [يُوَرِّث] وقال: المعنى: وإن كان رجل يورث ورثته مالاً. ولكنه جعل مفعولي الفعل محذوفين، وقال: إنّ (كلالة) تُعرب على هاتين القراءتين بما تُعرب به على القراءة المشهورة. انظر: المحتسب (١/ ١٨٢)، وجامع البيان (٨/ ٥٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٣٩)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٧٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٠)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٢)، وقد أعرب: (كلالة) على قراءة كسر الراء بما أعربها به الراغب.

(٢) وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الأوزاعي والحسن بن صالح: =

وقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾[1]، جعل لواحدهم السدس، وأشرك بين جماعتهم في الثلث، ولم يُفضِّل ذكرهم على أنثاهم[2]، وعنى بذلك ولد الأم بدليل قوله في إخوة[3] الأب والأم[4]، ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[5] ورُوِيَ أن سعد بن مالك[6] قرأ: وله أخ أو أخت

= المملوك والكافر لا يرثان ولا يحجبان. والقاتل لا يرث ويحجب. وقال علي وعمر وزيد بن ثابت وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن ومالك والثوري والشافعي: المملوك والقاتل والكافر لا يحجبون الزوج ولا المرأة عن نصيبهما. انظر: أحكام القرآن (٢/ ٨٣).

(١) سورة النساء، الآية: ١٢.

(٢) قال السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٠٥): «وفيه إجماع أن فرضهم الثلث وإن تعددوا وإن كثروا».

(٣) في الأصل: (قوله) والصواب ما أثبته. ويقصد إخوة المتوفَّى لأبيه وأمه.

(٤) قال القرطبي: «فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عنى بها الإخوة للأم..» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٨). وانظر: جامع البيان (٨/ ٦١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٤٨).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٦) سعد بن مالك: هو سعد بن أبي وقاص بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب الزهري أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، صحابي جليل، مناقبه كثيرة، كان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، أمّره عمر على الكوفة سنة إحدى وعشرين وهو الذي فتح مدائن كسرى وقاد=

من أم[1]. قال بعضهم: لعله فسَّر الإخوة بذلك، فظنَّ السامع أنه قرأه في القرآن[2]، كما روي عن عمر: فامضوا إلى ذكر الله على معنى التفسير للسعي، فظنَّ أنه قرآن، وقوله: ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ فذلك لتغليب المذكَّر، وقُرِىء يوصِي بها، فإذا قُرِىء يوصَى بالفتح فصفة الوصية، وإذا قُرِىء بكسر الصاد احتمل أن تكون صفة للوصية وأن تكون حالاً للموصي[3] وقرأ الحسن: غير مضار وصيةٍ بالإضافة، والباقون بالتنوين، ونصب وصية على المصدر أو على المفعول به[4]، والإضرار أن يُقرَّ بمالٍ لأجنبي، ردًّا

= معركة القادسية، توفي بالعقيق سنة ٥٥هـ على المشهور. انظر: الإصابة (٣/ ٦١)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩)، والتقريب ص (٢٣٢).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٦١، ٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٧، ٨٨٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٦).

(٢) الذي عليه عامة المفسرين أنها قراءة وليس تفسيراً. انظر: المصادر السابقة.

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر: (يوصىٰ بها) وقرأ الباقون (يوصِي). انظر: حجة القراءات ص (١٩٣)، والمبسوط ص (١٥٤)، والتلخيص ص (٢٤٢)، والنشر (٢/ ٢٤٨). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٩٩).

(٤) ذكر قراءة الحسن ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٤٤)، والعكبري في «إعراب القراءات الشواذ» (١/ ٣٧٥)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٨٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٩)، والسمين الحلبي في «الدر المصون»=

للميراث، أو يبيع ماله أو شيئاً منه محابياً فيه، أو يهب، أو يُعتق، أو يوصي لوارثه قصدًا للإضرار بغيره.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾[1] الآية. بيّن بذكر الحدّ أن ذلك يؤدي بالإنسان إلى العصيان، ونبّه بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ على وجوب مراعاة ما بيّنه تعالى في الكتاب من أحكام المواريث، وما بيّنه ﷺ من نحو قوله: «**لا وصية لوارث**»[2]، وقوله: «**لك الثلث والثلث. . .**»[3]، قال ابن عباس: الضرار

= (٣/ ٦١٣). وانظر: المحتسب (١/ ١٨٣)، واملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٧٧)، ونصبُ [وصيّة] إن كان على المصدر ففيها حيئنذٍ وجهان: أحدهما: أنها مفعول مطلق مؤكد ليوصيكم. وثانيهما: أنها مصدر في موقع الحال. وإن كان نصب [وصيّة] على المفعول به فيكون العامل فيه [مضارّ] على سبيل التجوّز. انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٨)، وجامع البيان (٨/ ٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٩).

(١) سورة النساء، الآية: ١٣ ونصّها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الوصايا، باب: ما جاء «لا وصية لوارث» رقم (٢١٢٢)، والنسائي في الوصايا، باب: إبطال الوصية للوارث (٦/ ٢٤٧)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) جزء من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حينما سأل رسول الله ﷺ عن الوصية فقال له: «**الثلث والثلث كثير**» رواه البخاري - كتاب=

في الوصية من الكبائر، ثم قرأ ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[2]، وقال ﷺ: «**إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة، فإذا أوصى حاف[3] في وصيته، فيُختم له بسوء عمله**»[4]، ووصف الفوز بالعظيم اعتبارًا بفوز الدنيا

= الوصايا، باب: «أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس» رقم (٢٧٤٢). ورواه مسلم ـ كتاب الوصية، باب «الوصية بالثلث» رقم (١٦٢٨). ورواه أبو داود في الوصايا، باب: «ما لا يجوز للموصي في ماله» رقم (٢٨٦٤). ورواه الترمذي في الوصايا، باب: «ما جاء في الوصية بالثلث» رقم (٢١١٦) وقال: حسن صحيح.

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٨٩)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٧١).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٨٩)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٧١)، وقال البيهقي عن الموقوف: هذا هو الصحيح موقوف. وكذلك رواه ابن عيينة وغيره عن داود موقوفاً. وروي من وجه آخر مرفوعاً، ورفعه ضعيف.

(٣) حاف: أي جار وظلم. انظر: مختار الصحاح ص (١٦٥).

(٤) رواه أبو داود ـ كتاب الوصايا، باب: «ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية» رقم (٢٨٦٧). ورواه الترمذي في الوصايا، باب: ما جاء في الضرار في الوصية رقم (٢١١٧). ورواه ابن ماجه في كتاب الوصايا، باب: «الحديث في الوصية». ورواه البيهقي في سننه (٦/ ٢٧١)، وعبدالرزاق رقم (١٦٤٥٥) والطبراني في الأوسط رقم (٣٠٢٦) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

الموصوف بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[1] والقليل والصغير في وصفها متقاربان.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾[2] الآية. كما وصف في مراعاة الحدود ثواب مراعيها وصف في تضييعها عقاب متعديها، وأطلق القول فيهما ليكون عامًّا في ذلك/ وفي غيره من الحدود التي بيّنها، وذكر في العذاب الهوان، [٢٦١/ب] كما ذكر[3] في غيره الخزي لما عُرِف من عادة كثير من الناس أن تقل مبالاتهم بالشدائد ما لم يضامَّها، الهوان حتى قالوا: المَنيّة ولا الدنيّة[4]، والنار ولا العار[5]. فبيّن أنه يُجمع لهم الأمران.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾[6] الآية. فائدة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٢) سورة النساء الآية: ١٤، ونصها: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

(٣) في الأصل: (ذكره) والصواب حذف الهاء.

(٤) هذا مثل يُنسب لأوس بن حارثة. يُضرب لمن يختار المسلك الأصعب على السهل المزري. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٣٠٣)، والأمثال للقاسم بن سلام ص (١١٣) و(١٨٣)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٥٣).

(٥) المثل في المستقصى للزمخشري (١/ ٣٥١)، ومجمع الأمثال (٤/ ٣١٥).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥. ونص الآية: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

الإضافة في قوله: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ تنبيه على الحرائر، وقيل: تنبيه على المحصنات دون الأبكار، وقيل: على المزوجات أبكارًا كن أو ثيِّبات[1]، قال ابن عباس في هذه الآية، وفي قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾[2] إن الزانيين كانا يُؤذيان بالتعيير والتعزير، والمرأة كانت تُحبس في البيت إلى أن أنزل الله قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[3] الآية[4]، وقيل: المراد بالآيتين البكران[5]، وقوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[6]: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثّيب بالثّيب جلد مائة

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٧٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٥). وقال ابن العربي: «والصحيح عندي أنه أراد جميع النساء، لأنه مطلق اللفظ الذي يقتضي ذلك وعمومه». أحكام القرآن (١/ ٣٥٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦.

(٣) سورة النور، الآية: ٢.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٢، ٨٩٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٥).

(٥) هذا القول مرويّ عن السدي وابن زيد وسعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير الطبري وذلك في الآية الثانية دون الأولى. انظر: جامع البيان (٨/ ٨٢، ٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠٧).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥.

والرجم»[1]، وهذا مما استدلّ به من ادّعى جواز نسخ القرآن بالسنة[2]، ومن أنكر ذلك[3] فله من ذلك أجوبة: **أحدها**: أن هذا كان حكمًا مقيدًا بوقت، لقوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وتقديره: أمسكوهن إلى أن يتبين لكم حكمهن، فصار ذلك بالكتاب معلومًا، وإنما حظ السنة فيه بيان قدر الزمان، الذي وقَّته الكتاب مجملًا[4]. **والثاني**: أن الأذى كان في الأبكار اللاتي لم يتزوجن، والحبس في المتزوجات منهن قبل الدخول، بدلالة

---

(١) لفظ الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا**...» فذكره. رواه مسلم في كتاب الحدود، باب: حدّ الزنى رقم (١٦٩٠).

(٢) وهو قول أبي حنيفة وأصحابه والجمهور. انظر: الكلام على نسخ القرآن بالسنة في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٧)، والمستصفى للغزالي (١/ ٢٣٦)، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/ ٥١٨)، وللآمدي (٣/ ٢١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٦)، وإرشاد الفحول ص (١٩١). وقال ابن عطية: «وهذا الذي عليه الأئمة المحققون أن السنة المتواترة تنسخ القرآن إذا هما جميعًا وحي من الله ويوجبان جميعاً العلم والعمل» المحرر الوجيز (٤/ ٤٨).

(٣) كالشافعي وأحمد. انظر: التفسير الكبير (٩/ ١٨٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٦)، ومذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص (١٠١).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٢/ ١٨١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٦).

قوله: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾، ثم نُسِخَ حكم الحبس والأذى في الأبكار بآية الجلد، وأمّا الرجم فقد أُخذ حكمه عن السنة[1]، ولهذا قال عليّ عليه السلام حيث جلد محصنًا ورجمه، فسُئل عن ذلك؟ فقال: «أجلده بكتاب الله، وأرجمه بسنة رسوله ﷺ»[2]، فدلَّ أنه لم يفهم من سنة النبي نسخ الآية. **والثالث**: أن حُكم النسخ وقع بقرآن، قد رُفع تلاوته، وبقي حكمه، وهو ما رُوي عن عمر رضي الله عنه: كان مما يقرأ في القرآن: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم[3]. فهذه أقوال عامة المفسرين، وأما ابن بحر فإنه قال: المراد بقوله: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾، وبقوله: ﴿وَٱلَّذَانِ

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٨٤-٨٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٧، ١٠٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠٦، ٤٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٧)، وهو قول السدي وقتادة.

(٢) أثر علي رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب الحدود، باب: رجم المحصن، رقم (٦٨١٢)، وفيه أنه رجم امرأة لا رجلًا. وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٧).

(٣) أثر عمر في الرجم أخرجه أبو داود ـ كتاب الحدود ـ باب: في الرجم، رقم (٤٤١٨)، وابن ماجه ـ كتاب الحدود، باب: «الرجم» رقم (٢٥٥٣) من حديث ابن عباس. وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٨٣) من حديث زيد بن ثابت. وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٥٣).

﴿يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ ما يتعاطى الرجال بعضهم من بعض، والنساء بعضهن مع بعض، وبقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[(١)] ما يتعاطى الرجل مع المرأة، قال: ولا نسخ في ذلك، قال: ويدل على ذلك أن ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ﴾ متضمنة للإناث فقط، ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ يتضمن المذكرين، قال: ولا يصحُّ أن يقال: إن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر، لأن ذلك إنما يكون حيث تقدم لهما ذكر، نحو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾[(٢)] قال: وقد روي عنه ﷺ: «**مباشرة الرجل الرجل زنى، ومباشرة المرأة المرأة زنى**»[(٣)]، وهذا الذي قاله وإن ساعده اللفظ فعدول عن سنن السلف[(٤)].

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٣)، وفي شعب الإيمان (٤/ ٣٧٥) رقم (٥٤٥٨) من حديث أبي موسى مرفوعاً بلفظ: «**إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان**» وعزاه ابن حجر في التلخيص (٤/ ٦٢) للبيهقي وأبي الفتح الأزدي في الضعفاء والطبراني في الكبير وقال: «وفيه محمد بن عبدالرحمن القشيري، كذبه أبو حاتم...» ولم أقف عليه بهذا اللفظ في المعجم الكبير للطبراني.

(٤) انظر قول ابن بحر والرد عليه في: التفسير الكبير (٩/ ١٨٧، ١٨٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٤). وذكر قوله السمعاني أيضاً في تفسير القرآن (١/ ٤٠٧) ولم يذكر قائله أو الرد عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾[1] الآية.

قد ذُكر تفسيرها في الآية المتقدمة، وقال مجاهد: هما الرجلان الزانيان، يعني المتعاطيين اللواطة، يُعبَّر عنها بالفاحشة[2].

وقد رُوِي عن النبي ﷺ أن «**اللواطة الزنى الصغير**»[3]، وظاهر قوله: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ﴾ يقتضي أن التوبة تُسقط الحبس والأذى عن الزانيين[4]، وقد قيل: الإعراض عنهما هو ترك التثريب[5] المذكور في قوله ﷺ: «**إذا زنت أمة أحدكم..**» [٢٦٢/أ] الخبر / إلى قوله: «**فليبعها ولو بضفير، ولا يُثرِّب عليها**»[6].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٦ ونصها: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٤، ٢٠٦).

(٣) لم أقف عليه، ولكن ورد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال في الرجل يأتي امرأته في دبرها: «هي اللوطية الصغرى». رواه أحمد في المسند (٢/ ١٨٢، ٢١٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٩٨): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط. وكذا قال المنذري في الترغيب رقم (٣٥٧٥).

(٤) وهذا اختيار الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٨٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٨). ومعنى التثريب: التعيير والاستقصاء في اللوم. انظر: مختار الصحاح ص (٨٣).

(٦) رواه البخاري ـ كتاب البيوع، باب: بيع المدبّر (٤/ ٤٩١) رقم (٢٢٣٤). =

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾[1] الآية. تعني أن قبول التوبة قد أخذ الله على نفسه تفضُّلًا لمن تاب من قريب إذا بدر منه سوء، وقوله: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ فيه أقوال: **الأول**: يأتيه سهوًا من غير قصد إلى الفاحشة[2]. **الثاني**: عن جهل بكونه ذنبًا[3]. **الثالث**: أن يعلمه لكن لا يعلم كونه كبيرة، ولا قدر عقوبته[4]. **الرابع**: أن يعلمه ويعلم عقوبته، لكن يتبع شهوته[5]،

= ورواه مسلم: كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا (٣/ ١٣٢٨) رقم (١٧٠٣). ورواه أبو داود: كتاب الحدود، باب: في الأمة تزني ولم تحصن رقم (٤٤٧٠). والترمذي في كتاب الحدود وقال: حسن صحيح، باب: ما جاء في الرجم على الثيّب رقم (١٤٣٣). وابن ماجه، باب: إقامة الحدود على الإماء (٢/ ٨٥٧) رقم (٢٥٦٦).

(١) سورة النساء، الآية: ١٧ ونصُّها: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(٢) نقل أبو حيان هذا القول عن الماتريدي في البحر المحيط (٣/ ٢٠٨).

(٣) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢٠٨) ولم ينسبه.

(٤) ذكر ابن عطية هذا القول عن ابن فورك وضعفه. المحرر الوجيز (٤/ ٥٤)، وذكره الطبري عن بعض أهل العربية وردّه، ويبدو أنه يقصد الفرّاء. انظر: جامع البيان (٨/ ٩٢)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢).

(٥) وهذا اختيار الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩)، والوسيط=

ومرتكب الذنب وإن كان يعلم كونه ذنباً يقال له جاهل، ومن هذا الوجه قال مجاهد: الجهالة: العمد[1]، وقول من قال: الجهالة: المعصية[2] فعلى هذا، لأن كل معصية جهالة، وإن لم يكن كل جهالة معصية، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي قبل الموت[3]، بدلالة قوله ﷺ: «إن الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب».

= (٢/ ٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٨).

(١) وهذا مروي عن مجاهد والضحاك وضعَّفه ابن جرير. انظر: جامع البيان (٨/ ٩٠، ٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٧)، وتفسير مجاهد ص (٢٧٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٨).

(٢) وهذا قول كافة الصحابة. قال قتادة: أجمع أصحاب النبي ﷺ على أن كل معصية فهي بجهالة عمداً كانت أو جهلًا وهو قول ابن عباس والسدي وأبي العالية ومجاهد وابن زيد واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٨٩، ٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٤)، والوسيط (٢/ ٢٦، ٢٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٩).

(٣) وهذا مروي عن الضحاك وعكرمة وقتادة وابن زيد وأبي قلابة والحسن والضحاك، واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٩٤- ٩٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٨، ٨٩٩)، والنكت والعيون=

قيل: يا رسول الله: وما وقوع الحجاب؟ قال: «موت النفس مشركة»[١]، وروي: «من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه»[٢]، وسُمِّي مرةً قليلاً[٣] لقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[٤] والقريب والقليل في نحو ذلك يتقاربان، وقال بعضهم: نبّه بقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ على لطيفة، وهي أن الإنسان إذا ارتكب ذنباً صدأ قلبه، فإن أقلع زال صدأه، وإن استمرَّ رِين على قلبه، وإن لم ينزع طُبِعَ عليه وأُقفل، ثم يتعذر عليه الرجوع، وعلى ذلك نبَّه بقوله في قصة المنافقين[٥] ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾[٦] فإذا كان كذلك فحق لمن بدرت منه بادرة أن يتداركها قبل أن

= (١/ ٤٦٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٩).

(١) رواه أحمد (٥/ ١٧٤)، والحاكم (٤/ ٢٥٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢/ ٢١). وقال الحاكم: صحيح. ووافقه الذهبي. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦١) إلى ابن مردويه.

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٢٧) بهذا اللفظ. ورواه الطبري (٤/ ٢٠٦) بلفظ: من تاب قبل موته بفواق ناقة، ورواه الحاكم (٤/ ٢٥٧)، والخطيب في التاريخ (٨/ ٣١٧) بلفظ: من تاب قبل أن يغرغر.

(٣) في الأصل: (قريباً) وهو خطأ والصواب ما أثبته.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٥) في الأصل المتلفقين، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٨٣.

تصير الشهوة مستولية عليه، فتأبى الطباع على الناقل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ﴾[1] الآية. أعتدنا. قيل: أصله: أعددنا، فأُبدل من إحدى الدالين تاء، وقيل: هو أفعلنا من العتاد أي العدة، وهو ادخار الشيء قبل الحاجة إليه[2]، والله تعالى غني عن الإعداد، وإنما القصد أنه لا يعجزه عذابهم حيث شاء، والسيئات هٰهنا عبارة عن الشرك والكبائر. وحضور الموت: معاينة مَلَكِ الموت. بيّن تعالى أن التوبة تفوت إذا أُخِّرت إلى ذلك، ولذلك لم ينفع إيمان من آمن عند رؤية العذاب، حيث قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾[3]، وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾[4] الآية، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾[5] الآية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨. ونص الآية: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١٠٣)، والمفردات ص (٥٤٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ١٨).

(٣) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

وجعل الناس قسمين: مقصرين في العمل غير تاركين للإيمان، وهم الذين عناهم الله بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾، وتاركين للعمل والإيمان وهم المعنيون بقوله: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾[1] الآية.

العضل: التضييق عليها بالمنع من التزويج[2]، وعضلت الدجاجة بيضها، والمرأة بحملها، والبقعة بأهلها، وداء عضال منه[3]، ومعنى قوله: ﴿أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ ما روي أن الرجل إذا مات في الجاهلية يرث امرأته ورثتهُ: أخًا كان أو ابنًا من غيرها، فإن شاء تزوجها بالصداق الأول، وإن شاء زوّجها وأخذ مهرها[4]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٩ ونصُّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤١).

(٣) انظر: العين (١/ ٢٧٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠)، ومجمل اللغة ص (٥٢٤)، والمفردات ص (٥٧١)، حيث قال الراغب: «وعَضَلت الدجاجة ببيضها والمرأة بولدها إذا تعسّر خروجهما.. وداء عضال: صعب البرء».

(٤) ورد هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه. رواه البخاري في صحيحه =

وقوله: (كَرها)، وقرئ: (كُرها)[1]. قال الفرّاء: ما أكره عليه الإنسان فكَره وما كان من قبيل نفسه فكُره[2]، وقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قيل: هو نصب معطوف على قوله: ﴿أَن تَرِثُواْ﴾[3]، وذكر أن في قراءة عبدالله/ (ولا أن تعضلوهن)[4]، وقيل: هو [٢٦٢/ب]

= كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ رقم (٤٥٧٩)، والطبري في جامع البيان (٨/ ١٠٤)، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح باب: قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا . . .﴾. رقم (٢٠٨٩)، والبيهقي في سننه (٧/ ١٣٨).

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف (كُرها) بالضم. وقرأ الباقون (كَرهًا) بالفتح. انظر: حجة القراءات ص (١٩٥)، والمبسوط ص (١٥٥)، والتلخيص ص (٢٤٣)، والنشر (٢/ ٢٤٨).

(٢) لم أجده في معاني القرآن للفراء، ولكن ذكره النحاس ونسبه إلى الفرّاء. انظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٤٧). وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢١٢) ونسبه للفراء. وذكره ابن زنجلة في حجة القراءات ص (١٩٥) ونسبه لأبي عمرو. وقال الكسائي: الكَرْهُ والكُرْه بمعنى واحد. انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١١٢)، وانظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٣٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٩)، وجامع البيان (٨/ ١١٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٣).

(٤) ذكر هذه القراءة الفرّاء في معاني القرآن (١/ ٢٥٩)، والطبري في جامع =

جزم على النهي[1]، قال ابن عباس وقتادة: المنهي عن العضل الزوج إذا لم يحتج إلى المرأة، فيمسكها رغبة في مالها[2]، وقيل: بل الوارث المانع لها من التزوُّج على سُنَّة الجاهلية[3]، وقيل: بل الولي[4]، وكل هؤلاء منهيون في الشرع عن العضل، فيصحُّ أن يكون خطاباً لجماعتهم، والفاحشة المذكورة هٰهنا قال الحسن: هي الزنا، وللزوج أخذ الفدية إذا اطلع منها على ذلك[5]، وقال

= البيان (٨/ ١١٤)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٤٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٦١)، والعكبري في إملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٧٩)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٩٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢١٣)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٦٢٨).

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، وهو مروي عن ابن زيد والشعبي والضحاك.

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٠، ١١١)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، وهذا مروي عن ابن عباس والحسن وعكرمة.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٢، ١١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٢)، ورجح الطبري وأبو حيان أن يكون الخطاب للأزواج.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم=

ابن عباس: هي نشوزها[١]، وقد تقدَّم الكلام في الخُلع وجواز أخذ الفدية عن البضع[٢]، وقال الزبيري[٣]: الاستمناء من العضل، وكان للزوج منعها على ما أمر به تعالى في قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾[٤]، وذلك قبل نزول الحد، وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي حسب ما يعرفه العقل

= (٣/ ٩٠٤)، وذكر ذلك عن ابن عباس قال: وروي عن ابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي وعكرمة في إحدى الروايات، والضحاك في إحدى الروايات، وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن سيرين وأبي قلابـة، وعطاء الخراساني وأبي صالح والسدي وزيد بن أسلم وسعيد بن أبي هلال نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٦٦).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٦، ١١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، وهو مروي أيضاً عن الضحاك وعائشة وابن مسعود، وقتادة.

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق ١٥٣ - مخطوط).

(٣) الزبيري: الزبير بن أحمد بن سليمان بن عاصم الزبيري أبو عبدالله فقيه شـافعي ثقة، كان إمام أهل البصرة في عصره، عالم بالحديث والتفسير، من مصنفاتـه «ناسـخ القرآن ومنسوخه» توفي سنة ٣١٧هـ. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٤٧١)، وطبقات المفسرين (١/ ١٨٢)، والأعلام (٣/ ٤٢).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥.

والشرع[1]، **وقيل**: هو النصفة والنفقة والإجمال في القول[2].

وفي قوله: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ الآية. أي ربّ شيء تكرهه، ويكون في ذلك خير، تنبيهًا على أمرين: **أحدهما**: أن لا يجب للإنسان أن يتّبع الهوى، بل يفعل ما يقتضيه العقل والشرع. **والثاني**: التنبيه على كراهية الطلاق المدلول عليه بقوله ﷺ: «**أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق**»[3]، ورُوي عنه ﷺ: «**تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الله [لا][4] يحب الذواقين والذواقات**»[5]، وقال بعضهم: ذلك تنبيه أنه ربما كانت الكراهية

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٢١).

(٢) وهو قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠)، والوسيط (٢/ ٢٩).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الطلاق، باب: «في كراهية الطلاق» رقم (٢١٧٨)، ورواه ابن ماجه في كتاب الطلاق، الباب الأول، حديث رقم (٢٠١٨)، ورواه ابن عدي في الكامل (٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في العلل (٢/ ٦٣٨) وقال: هذا حديث لا يصح. وضعفه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٠٤٠).

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل وأثبتّه من مصادره.

(٥) رواه ابن أبي شيبة بنحوه (٥/ ٢٥٣)، والطبراني في الأوسط رقم (٧٨٤٨)، والجصاص في أحكام القرآن (٢/ ١١٠)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٣٥) إلى البزار والطبراني في الكبير والأوسط، وقال: أحد أسانيد البزار فيه عمران القطّان، وثقه أحمد وابن حبان وضعفه يحيى بن سعيد وغيره.

تعرُض لمصلحة، قال: وذلك حثٌّ على مفارقتها حيث عدم موافقتها، وإن كانت النفس تكره ذلك[1]، وعلى هذا نبّه بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾[3] الآية. **البهتان**: الكذب الذي يبهت سامعه لفظاعته، ويُستعمل في الفعل استعمال الصدق والكذب[4]، ولذلك قال ابن عباس: بهتانا: ظلما كبيرًا، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ذنباً ظاهرًا[5]، بيّن أنه لا يجوز لكم

---

(١) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢١٤) ونسبه للأصم. ثم قال: وهذا القول بعيد من سياق الآية.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٠ ونصُّها: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

(٤) قال أبو عبيدة: «بهتاناً: ظلماً» مجاز القرآن (١/ ١٢٠)، وانظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٢)، وقال الزجاج: «البهتان: الباطل الذي يتحير من بطلانه» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٢٤١)، ومجمل اللغة ص (٨٦)، والمفردات ص (١٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٥).

(٥) الوارد عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: ﴿بهتاناً﴾ أي حراماً. ﴿وإثماً مبيناً﴾ أي ظلماً بيناً. وزد هذا في التفسير المنسوب لابن عباس المسمى: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» ص (٨٨) وهذا التفسير لا يجوز الاحتجاج به لأنه مروي من طريق الكلبي عن أبي=

الرجوع فيما أعطيتموهن طلقتموهن أو أمسكتموهن، وخصَّ حال الاستبدال ليدخل فيه الحالة الأخرى، وذلك توكيد لقوله: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾[(١)] وقد استثنى من ذلك المطلقات قبل الدخول بهن[(٢)]، لقوله: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾[(٣)] واستثنى منه أيضًا حال الافتداء المذكور في قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾[(٤)] الآية منسوخة بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾[(٥)]، والصحيح أنها ليست منسوخة[(٦)]، وقد تقدم ذلك في سورة البقرة[(٧)]، وروي

= صالح عن ابن عباس. والكلبي ذكره الذهبي في الميزان (٣/ ٥٥٩) وقال: «يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف».

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٠٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٢٤١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢١٨).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٩٤، ١٩٥).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٦) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠١، ١٠٢).

(٧) انظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ١٥٢).

أن رجلًا كان عليه لامرأته من صداقها ألف دينار، فوضعتها له، فطلقها وتزوج غيرها، فارتفعا إلى عبدالملك فقال: رد عليها. فقال: أليس الله يقول: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾[1]، فقال: اقرأ الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾[2] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] الآية. يقال: أفضى إلى فلان أي وصل إلى فضاء منه أي سعة غير محظورة[4]، فمن الفقهاء من جعل ذلك عبارة عن الخلوة حصل معها المسيس أو لم يحصل[5]، ومنهم من جَعَلَهُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢١. ونص الآية: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

(٤) انظر: العين (٧/ ٦٤)، حيث قال الخليل: «يُقال أفضى فلان إلى فلان إذا وصل إليه، وأصله أنه صار في فُرجَتِه وفضائه» وانظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٥٤)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٧٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والمفردات ص (٦٣٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٧).

(٥) وهذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وأبي حنيفة والكلبي والفراء. انظر: معاني القرآن (١/ ٢٥٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والنكت والعيون=

كناية عن المسيس، وإليه ذهب ابن عباس ومجاهد والسدي[1]، ونبه أن المهر بإزاء ذلك المعنى، وقد نلتموه منهن فلا حق لكم إذًا عليهن، والميثاق الغليظ: قيل[2] هو ما قاله ﷺ: «**أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»[3]، وقال مجاهد: الميثاق كلمة النكاح[4]، وقال الحسن: هو قول:/ ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ [٢٦٣/أ]

= (١/ ٤٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٧)، واختار هذا القول. والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(١) وهذا مرويّ أيضاً عن ابن مسعود وهو قول ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٥، ١٢٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٧)، وحُكي عن مالك في ذلك ثلاث روايات: إحداهن: يستقر المهر بالخلوة. الثاني: لا يستقر إلا بالوطء. والثالث: يستقر بالخلوة في بيت الإهداء. قال: والأصح استقراره بالخلوة مطلقاً، ويليه في بيت الإهداء، وأما وقوفه على الوطء فضعيف.

(٢) هذا قول الربيع ومجاهد وعكرمة. انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٩، ١٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ١١٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب: «حجة النبي ﷺ» رقم (١٢١٨). وأبو داود في كتاب المناسك، باب: صفة حجة النبي ﷺ رقم (١٩٠٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٨، ١٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي=

تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[١]، وقيل: قول الذين يزفونها[٢]، وكل ذلك يصح إرادته بالميثاق.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾[٣] الآية. اختلفوا في النكاح هٰهنا، فحمله أصحاب أبي حنيفة على الجماع، وقال: هو حقيقة فيه، فَحَرَّموا كل امرأة باضعها الأب حلالاً أو حراماً على الابن[٤]. وحمله الشافعي على العقد، وقال: هو حقيقة فيه، ولم يحرم من النساء على الابن إلا ما تزوج بها أبوه دون

= حاتم (٣/ ٩٠٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والنكت والعيون (١/ ٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩. وهو قول الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي. انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٧، ١٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(٢) يزفونها: يهدونها إلى زوجها. انظر: المصباح المنير ص (٩٦).

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٢ ونصُّها: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

(٤) انظر: قول الإمام أبي حنيفة وأدلته في: التفسير الكبير (١٠/ ١٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٨، ٣٧٩)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١٢، ١١٣). وذكر الأزهري عن الليث: أنه: «لا يُعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلاّ على معنى التزويج..» انظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٠٢)، وقال الخليل: نَكَحَ يَنكِح نَكْحاً وهو التبضع (أي الوطء) ويجري نَكَحَ أيضاً مجرى التزويج» انظر: العين (٣/ ٦٣).

من زنى بها[1]، والصحيح أنه للعقد، لأن أسماء الجماع والفرج والغائط في لسانهم كنايات[2]، وذلك أنهم لما عنوا بإخفاء هذه الأشياء أخفوا أيضاً أسماءها، فعدلوا عن التصريح إلى الكنايات، حتى إنهم متى عُرف فيما بينهم كناية في شيء من ذلك عدلوا إلى كناية أخرى، ومن تتبع كلامهم عرف ما قلته، فكيف يستعيرون لفظ الجماع لما هو أحسن عندهم منه[3]، ثم لا خلاف أن العقدية مراد، ولا خلاف أيضًا أن الوطء بملك اليمين يجري مجرى العقد في العقد بها، وقوله: ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ قيل: هو في موضع المفعول، فوضع ما الذي هو للجنس موضع من الذي هو

---

(١) انظر: قول الإمام الشافعي في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٠)، والتفسير الكبير (١٠/ ١٥) وما بعدها. وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٩).

(٢) فالجماع في الأصل: الاجتماع، والفَرْجُ في الأصل: كل فُرجَةٍ بين شيئين، والغائط: المكان المنخفض. ثم كُنّيَ بها عن الوطء والعورة والعَذِرَةَ. انظر: العين (٦/ ١٠٩)، والقاموس المحيط ص (٦١٢) و (٦٤٠).

(٣) بيّن الراغب رأيه أكثر في المفردات، إذ قال: «أصل النكاح للعقد، ثم استعير للجماع، ومحالٌ أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد، لأن أسماء الجماع كلها كنايات، لاستقباحهم ذكْرَه كاستقباحهم تعاطيه، ومحالٌ أن يستعير من لا يقصدُ فحشاً اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه». المفردات ص (٨٢٣).

للنوع[1]، وقيل: معناه لا تنكحوا كنكاح آبائكم، فما في موضع المصدر[2]، وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾. قال: بعضهم: معناه بعدما قد سلف كقولك: لا تبع من متاعي إلا ما قد بعت[3]، وقول الشاعر:

هجاؤك إلا أنّ ما كان قد مضى علَيَّ كأثوابِ الحَرَامِ المُهيْمِ[4]

وقيل: هو بمعنى لكن على الاستئناف، كأنه قيل: لكن ما قد

---

(١) وهو رأي أبي عبيدة في المجاز (١/ ١٢٠)، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٨، ٣٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(٢) وهو قول الطبري والزجاج والنيسابوري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٧، ١٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٤). وقال الأخفش في تفسير هذه الآية: «ومِثل هذا في كلام العرب كثير، تقول: لا تصنع ما صنعت، ولا تأكل ما أكلت». معاني القرآن (١/ ٤٤٠)..

(٤) البيت في: المعاني الكبير (١/ ٤٨٤) و (٣/ ١١٧٧) وهو من بحر الطويل، قال ابن قتيبة: معناه: «هجاؤك عليّ حرام كحرمة الثياب على المُحرِم (الحرام) المسبِّح الذي يقرأ (المُهَيْمِ).

سلف أنه كان فاحشة ومقتًا[1]. وقال بعضهم: تقديره ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم، إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا، ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ أي ما قد سلف ليس بفاحشة، وهذا لا يصح من أجل اللفظ، فإن ما يتصل بما بعد (أن) لا يقدم عليه، لا تقول: عمرًا إن زيدًا يضرب، وتعني أن زيدًا يضرب عمرًا[2]، وتحقيق هذا الاستثناء أن قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ دل على أنه محرم، وتعاطي المحرم يقتضي العقوبة، فكأنه قيل: تستحقون العقوبة بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، فإن ذلك متجافى عن عقوبته عنكم، ولا يجوز أن يكون معناه متجافى عن الإقرار عليه، فإنه مجمع أن لا يُقَارّ عليه أحد إلا حكاية عمن لا يعتد به[3].

---

(١) وهو قول المبرّد والطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٦، ١٣٧)، وقال النحّاس: «وسيبويه يجعل (إلاَّ) بمعنى: (لكن) المعنى: لكن ما قد سلف فإنه مغفور أو فدعوه» انظر: معاني القرآن (٢/ ٥٠)، وانظر: كتاب سيبويه (٢/ ٣٢٦)، وانظر: معنى الآية في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٧).

(٢) أي ما كان في حيّز (إن) لا يتقدم عليها. انظر: التفسير الكبير (١٠/ ٢٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٧).

(٣) قال ابن كثير: «وقد أجمع العلماء على تحريم من وطئها الأب بتزويج أو=

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾، قيل: معناه نكاحهن بعد النهي فاحشة[1]، وكان زائدة[2]، وقيل: عنى أنه كان فاحشة، من قبل[3] تنبيهًا أن ذلك لم يكن من الأشياء التي ورد بها الشرع، ثم نسخ، كذا كثير من الأحكام، بل كان ذلك من المستشنع الممقوت، ولذلك كان يسمى ولد الرجل من امرأة أبيه المقتي[4]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي إن ذلك النكاح[5]، ودل عليه بذكر الفعل،

= ملك أو شبهة، واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع، أو نظر إلى ما لا يحل له النظر إليه منها لو كانت أجنبية، فعن الإمام أحمد رحمه الله أنها تحرم أيضاً بذلك». تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٤).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٨).

(٢) وهذا قول المبرد وقد نسبه النحاس وابن عطيّة وأبو حيّان للمبرد، انظر: معاني القرآن (٢/ ٥١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٧). وقال ابن عطية: «وذلك خطأ يرد عليه وجود الخبر منصوباً». وقال أبو حيان: «وينبغي أن يتأول كلامه على أن (كان) لا يراد بها تقييد الخبر بالزمن الماضي فقط، فجعلها زائدة بهذا الاعتبار». وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، والدر المصون (٣/ ٦٣٨).

(٣) في المخطوط: (وقيل) ولا يستقيم به الكلام، والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٤، ١٠٥)، وعمدة الحفاظ (٤/ ١١٨).

(٥) قال السمين الحلبي: (إنه) عائد على النكاح المفهوم من قوله: ﴿وَلَا=

كما دل على السفه بلفظ السفيه في قول الشاعر:

إذا نهي السفيه جرى إليه[1] ....

قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ ﴾[2] الآية. قال ابن عباس: حرم الله أربع عشرة امرأة: سبعًا من جهة النسب، وسبعًا من جهة السبب[3]،

= نَكَحُواْ﴾، ويجوز أن يعود على الزنا إذا أريد بقوله ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الزنا. الدر المصون (٣/ ٦٣٨). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢١٧).

(١) هذا صدر بيت من بحر الوافر وتمامه:

إذا نهي السفيه جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

وهو في معاني القرآن للفرّاء (١/ ١٠٤)، وتأويل مشكل القرآن ص (٢٢٧)، ومجالس ثعلب (١/ ٦٠)، ونقائض جرير والأخطل ص (١٥٧)، والخصائص (٣/ ٤٩)، والمحتسب (١/ ١٧٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٠٣)، وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (٣/ ٩٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣، ونصُّها: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٤١، ١٤٢)، وابن أبي حاتم=

فالمحرمات من جهة النسب: الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، ومن جهة السبب: أمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم، وربائبكم اللاتي في حجوركم، وحلائل
[٢٦٣/ب] أبنائكم الذين من أصلابكم، وأن تجمعوا بين الأختين، / وقد قال قبل: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[١] فقوله: ﴿أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ تناولهن والجدات وإن علون، وكذا البنات: تناولهن وبنات الأولاد وإن سفلن، وكذلك الأخوات يتناول التي للأب والتي للأم والتي لهما، وكذلك بنات الأخ وبنات الأخت: يتناول بناتهما على ذلك الحد بناتهما وإن سفلن، وخص تحريم العمات والخالات دون أولادهن، وجاز أن تكون بنات الأخ وبنات الأخت مفردين، لأن الأخ والأخت يتناول كل واحد منهما، وكان لفظ الواحد هٰهنا أخص لإضافة الجمع إليهما[٢]،

= في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ولفظه عندهم: «حرم من النسب سبع، ومن الصِّهر سبع». أما قول الراغب: «سبعًا من جهة النسب، وسبعاً من جهة السبب» فهو اصطلاح الفقهاء، كما ذكر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤١١).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٢.

(٢) انظر: تعداد المحرمات من النساء في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١١-=

وإنما قال: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ تنبيهاً على تأكيد تحريم الرضاع أنها تجري مجرى النسب[1]، ولأن في ذكر ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ﴾ تنبيهًا أن ليس كل رضاع يحرم[2]، إشارة إلى ما روي من قوله ﷺ: «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان»[3]

= ٤١٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٩-٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٥-١٠٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٥- ٣٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٨، ٢١٩)، ونظم الدرر (٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(١) قال البيضاوي: «نزَّل الله الرضعة منزلة النسب، حتى سمى المرضعة أمًّا، والمرضعة أختاً، وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درَّ عليه اللبن». أنوار التنزيل (١/ ٢٠٨)، وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٩).

(٢) انظر: أقوال العلماء حول الرضاع المحرِّم في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٤-١٢٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٣-٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٩-١١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٥).

(٣) رواه مسلم في كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، رقم (١٤٥١). والنسائي في كتاب النكاح، باب: «القدر الذي يحرم من الرضاعة» (٦/ ١٠٠). وأبو داود كتاب النكاح، باب: «هل يحرم ما دون خمس رضعات» رقم (٢٠٦٢). والترمذي وقال: حسن صحيح، في كتاب «الرضاع»، باب «لا تحرم المصة ولا المصتان» رقم (١١٥٠). وابن ماجه في الرضاع، باب «لا تحرم المصة ولا المصتان» رقم (١٩٤٢).=

وقوله: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ لا خلاف أنه صفة لربائبكم، وأنه لا يحرم التزوج بهن إلا بالدخول بأمهاتهن[(١)]، واختلف هل يرجع إلى قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ مع كونه شرطاً في الربائب؟[(٢)]، فروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه يرجع إليهما، وأن من طلق امرأته قبل الدخول بها فله أن يتزوج بأمها[(٣)]، وقال عمر وابنه وابن مسعود: ليس يرجع إلا إلى الربائب، وذكروا أن أم المرأة تحرم بنفس العقد[(٤)]، وأكد ذلك

= وابن حبان رقم (٤٢٢٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار رقم (٤٥٥٦) والإملاجة: هي تناول الثدي بأدنى الفم. انظر: مجمل اللغة ص (٦٧٣).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧١، ٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٢).

(٢) قال ابن عطية: قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ قال جمهور أهل العلم: هي تامة العموم فيمن دخل بها أو لم يدخل، فبالعقد على الابنة حرمت الأم، وهذا مذهب جملة الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار. وانظر: جامع البيان (٨/ ١٤٣-١٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٤٤، ١٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١١)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٧، ١٢٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٢). قال الجصاص: «وأهل النقل يضعفون حديث خلاس عن علي، ويروى عن جابر بن عبدالله مثل ذلك، وهو قول مجاهد وابن الزبير وعن ابن عباس روايتان..».

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١١)، وزاد على ما ذكر=

بما روي عن عمرو بن شعيب[1] عن أبيه عن جده إلى النبي ﷺ قال: «**أيما رجل نكح امرأة فدخل بها أو لم يدخل بها فلا يحل له نكاح أمها**»[2]، وحكي عن زيد أنه فصل بين أن يطلقها قبل الدخول أو تموت عنه، ولم يحرم بالطلاق وحرم بالموت، وأجرى الموت مجرى الدخول، كما جعل الفقهاء في استقرار المهر[3]،

= الراغب من أصحاب هذا القول: عمران بن حصين ومسروق وطاوس وعكرمة، وعطاء والحسن ومكحول وابن سيرين وقتادة والزهري. وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٧).

(١) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي أبو إبراهيم، ويقال: أبو عبدالله المدني، ويقال الطائفي، سكن مكة وكان يخرج إلى الطائف، صدوق من الخامسة. قال أبو زرعة: روى عنه الثقات، وإنما أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه عن جدّه. توفي سنة ثماني عشرة ومائة. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٤٨-٥٥)، وتقريب التهذيب ص (٤٢٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/ ١٤٦) وضعفه، ورواه البيهقي في السنن (٧/ ١٦٠)، وقال: مثنى بن الصباح غير قوي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٢) وزاد نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) قال الجصاص: «ويشبه أن يكون زيد بن ثابت إنما فرق بين الموت والطلاق في التحريم، لأن الطلاق قبل الدخول لا يتعلق به شيء من أحكام الدخول، ألا ترى أنه يجب فيه نصف المهر، ولا تجب عليها العدة، وأما الموت فلما=

وذهب عامة الفقهاء إلى أن لا فرق بين تحريم ربيبتك في حجرك كانت أو لم تكن[1] إلا ما حكى إسماعيل بن إسحاق[2] : أن امرأتي توفيت فلقيت عليًا عليه السلام فقال: ألها بنت؟ فقلت: نعم، وهي بالطائف، فقال: أكانت في حجرك؟ فقلت: لا، فقال: انكحها، فقلت: فأين قوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾[3] فقال: إنما ذلك إذا كان في حجرك[4]، وما قاله

= كان في حكم الدخول في باب استحقاق كمال المهر ووجوب العدة جعله كذلك في حكم التحريم» أحكام القرآن (٢/ ١٢٧).

(١) قال القرطبي: «واتفق الفقهاء على أن الربيبة تحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم، وإن لم تكن الربيبة في حجره، وشذّ بعض المتقدمين وأهل الظاهر فقالوا: لا تحرم عليه الربيبة، إلا أن تكون في حجر المتزوج بأمها». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٢)، وقال ابن كثير: «وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور الخلف والسلف» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٦). ولمعرفة أقوال الفقهاء انظر: المقدمات لابن رشد (١/ ٤٥٧)، وعقد الجواهر الثمينة (٢/ ٣٩)، والحاوى الكبير للماوردي (٩/ ٢٠٩)، ومعونة أولي النهى (٧/ ١٢١).

(٢) هكذا في الأصل، والثابت في الرواية أنه مالك بن أوس بن الحدثان.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١٢)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٣) نسبته إلى عبدالرزاق، وقال: سنده صحيح. وقال ابن كثير بعد أن ساق إسناد ابن أبي حاتم: هذا إسناد قوي ثابت إلى=

فهو ظاهر الآية، واختلف في قوله: ﴿ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ هل يقتضي الزنا؟ فمنهم من قال: يتناوله وعليه تأول ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[1] ومن قال: لا يتناوله، وقد تقدم ذلك[2]، وقوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ إنما خص ذلك ليخرج منه المتبنى، فذلك في معنى قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾[3] الآية[4]، والحلائل هٰهنا كالأزواج[5]، ثم وفي قوله: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾[6] تنبيه أنه لا يصح العقد عليهما معًا في الإسلام، ومتى فعل فعقدهما باطل، ومتى عقد على إحداهما فعقد الثانية باطل، وعند أبي حنيفة:

= علي بن أبي طالب على شرط مسلم، وهو قول غريب جدًّا. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٦)، وضعف بعض العلماء هذا الإسناد. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٩)، وقال ابن العربي: «هذا باطل» أحكام القرآن (١/ ٣٧٨)، ونقل القرطبي عن ابن المنذر والطحاوي تضعيفه. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٢).

(١) سورة النساء، الآية ٢٢.

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٠/ ٢٨).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٩).

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ١٤٩).

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٣.

لا يجوز التزويج بإحدى الأختين إذا كانت الأخرى منه في عدة[1]، ولا يجوز وطؤهما بملك اليمين عند عامة الفقهاء[2]، ومتى وطئت إحداهما لا يجوز وطء الأخرى إلا بإخراج الأولى من ملكه[3]، وقال أمير المؤمنين: أحلتهما آية وحرمتهما آية[4]، أي عموم

---

(١) انظر: الكلام على قول أبي حنيفة في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٨٠)، وشرح فتح القدير لابن الهمام (٣/ ٢١٤)، واللباب في شرح الكتاب لعبد الغني الغنيمي (٣/ ٥)، وانظر: أحكام الجمع بين الأختين في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٠، ١٣١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٩، ٣٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٢)، والتفسير الكبير (١٠/ ٣٠-٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٦-١١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٧).

(٢) وهو قول عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والزبير وابن عمر وعمار وزيد بن ثابت. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٠)، والمقدمات لابن رشد (١/ ٤٥٨)، والحاوي الكبير للماوردي (٩/ ٢٠١)، ومعونة أولي النهى شرح المنتهى (٧/ ١٢٧).

(٣) قال ابن كثير: «وأما الجمع بين الأختين في ملك اليمين فحرام أيضاً لعموم الآية» تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٧)، وانظر ما سبق.

(٤) هذا مروي عن علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وابن عباس رضي الله عنهم. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٣، ٩١٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٨).

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[1] يقتضي تحليلهما، وعموم قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريمهما، قال: وأما أنا فأحرم ذلك[2]، وروي عن ابن عباس أنه أجاز ذلك[3]، وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4] يراد به ما/ يراد بقوله ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[5]. [٢٦٤/أ]

قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[6] الآية. . . . .

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) القول بالتحريم مشهور عن علي ولكن لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روي عنه أنه قال: «لا أجد أحدًا فعل ذلك إلا جعلته نكالاً» انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٠٩). وذكر ابن عطية في تفسيره (٤/ ٧٢) عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال: «فأما أنا في خاصة نفسي، فلا أرى الجمع بينهما حسناً». اهـ. ولكن المشهور عنه عدم المنع من ذلك كما في الأثر الذي أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٨).

(٣) قال الجصاص: «وروي عن عثمان وابن عباس أنهما أباحا ذلك وقالا: أحلتهما آية، وحرمتهما آية» أحكام القرآن (٢/ ١٣٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٢. وقد تقدم الكلام على ذلك.

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٤. ونصُّها: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم=

أصل الإحصان والحُصن[1] من الحِصن[2]، ومنه درع حصينه لكونه حصنًا للبدن، وكذلك فرس حصان[3]، وبهذا النظم قال الشاعر:

.... أن الحصون الخيل لا مدر القرى[4]

والحصان في الجملة المحصنة أي الممنوعة، إما بعفتها أو بزوجها أو بمانع من شرفها[5] أو حريتها، ولما كان الحِصْن في

= مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(١) يُقَال أَحْصَنَت المرأة وحَصُنت بضم الصاد وفتحها. ومصدر الأولى الإحصان ومصدر الثانية: الحُصن بتثليث الحاء. انظر: الأفعال لابن القوطيّة ص (٤٤)، والقاموس (١٠٧٣).

(٢) قال الخليل: «الحِصنَ: كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه». انظر: العين (٣/ ١١٨).

(٣) الحَصان: الفرس الفحل. انظر: العين (٣/ ١١٨)، وانظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٠)، ومجمل اللغة ص (١٧٢)، والمفردات ص (٢٣٩، ٢٤٠).

(٤) هذا عجز بيت من الكامل وتمامه:

ولقد علمت على تجشمي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وهو للأسعر الجعفي. انظر: الأصمعيّات ص (١٤١)، الحيوان (١/ ٣٤٦)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٧٢).

(٥) في الأصل: شرعها والتصويب من المفردات ص (٢٣٩).

أكثر المواضع يصح أن يكون من جهة الإنسان نفسه، وأن يكون من جهة غيره صح أن يقال محصَن ومحصِن، وهذا الموضع لما كان المقصود به التزويج قُرئ المحصَنات لا غير[1]، إذ كان سبب إحصانها الزوج، والسفاح الزنا، وسمي بذلك لكون ذلك الماء مضيعًا، إذ وضع في غير الموضع الذي يجب أن يوضع فيه[2]، وقوله: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ منهم من أجرى على العموم، وقال: حدوث الملك في الأمة يفرِّق بين الأمة وزوجها، ورُوِي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود[3]، ورُوِي في ذلك أن

---

(١) انظر: المفردات ص (٢٣٩) حيث قال الراغب: «يُقال امرأة محصِن ومحصَن. فالمحصِن يُقال إذا تصوّر حصنها من نفسها والمحصَن يُقال إذا تصوّر حصنها من غيرها.. ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بعد قوله ﴿ حُرِّمَتْ ﴾ بالفتح لا غير، وفي سائر المواضع بالفتح والكسر لأن اللواتي حرم التزوج بهن المتزوجات دون العفيفات وفي سائر المواضع يحتمل الوجهين». وقال ابن زنجلة: «اتفق القراء على فتح الصاد في هذا الحرف». حجة القراءات ص (١٩٦).

(٢) قال ابن فارس: والسفاح: صبُّ الماء بلا عقد نكاح، فهو كالشيء يُسفح ضياعاً. مجمل اللغة ص (٣٥١)، وانظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ١٥٥-١٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٦)، ولابن العربي (١/ ٣٨٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٩، ٤٧٠)، والجامع لأحكام القرآن=

النبي ﷺ قال: «بيع الأمة طلاقها»[1]، ومنهم من خص ذلك في المشركات، وجعل قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ استثناء منها، وقال: كل امرأة سُبِيت فقد حلّت لسابيها[2]، واستدلَّ في ذلك بما روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ بعث جيشًا إلى أوطاس[3] فأصابوا سبايا لها أزواج من المشركين، فتحرّجوا من

= (٥/ ١٢٢). وانظر: كلام الطبري عن هذا القول في جامع البيان (٨/ ١٦٧).

(١) روي ذلك موقوفاً على ابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وسعيد ابن المسيب وأُبي بن كعب وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك. انظر: جامع البيان (٨/ ١٥٥، ١٥٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٦)، ولابن العربي (١/ ٣٨٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٢). ولم أجده مرفوعاً.

(٢) وهذا قول علي ورواية عن ابن عباس وعمر وعبدالرحمن بن عوف وابن عمر وأبي قلابة والزهري ومكحول وابن زيد ومحمد بن كعب القرظي. انظر: جامع البيان (٨/ ١٥١، ١٥٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٥، ١٣٦)، ولابن العربي (١/ ٣٨٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٩)، وقال القرطبي: «وبه قال مالك وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وهو الصحيح إن شاء الله تعالى» اهـ. الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢١).

(٣) أوطاس: وادٍ في ديار هَوَازن شمال شرقي مكة، تبعد عن مكة ١٩٠كيلًا. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص (٣٤). ومعجم ما استعجم (١/ ٢١٢).

غشيانهن، فأنزل الله ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[1] وظاهر ذلك يقتضي أن الزوجين إذا سبيا معاً أو مفترقين أن النكاح يبطل، كما قال مالك[2]، بخلاف ما قال أبو حنيفة حيث قال: إذا سُبِيَا معًا لا يبطل النكاح[3]، وظاهر الآية يقتضي أنه يصح وَطْؤُها على كلِّ حال، وإنما علم وجوب استبرائها بالسنة، وقال طاوس[4] ....

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: «جواز وطء المسبية بعد الاستبراء» رقم (١٤٥٦)، ورواه أبو داود في كتاب النكاح، باب: «في وطء السبايا» رقم (٢١٥٥)، ورواه الترمذي في كتاب النكاح، باب: «ما جاء في الرجل يسبي الأمة ولها زوج هل يحلّ له أن يطأها» رقم (١١٣٢)، وقال: حديث حسن. ورواه النسائي في كتاب النكاح، باب: تأويل قول الله عز وجل ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٦/ ١١٠). وأحمد (٣/ ٧٢)، وأبو يعلى (١١٤٨)، والطحاوي في شرح «مشكل الآثار» رقم (٣٩٢٧، ٣٩٢٨).

(٢) حكاه الجصاص عن الشافعي كذلك. انظر: أحكام القرآن (٢/ ١٣٧).

(٣) وحكاه الجصاص كذلك عن أبي يوسف ومحمد وزفر، قال: وهو قول الثوري. انظر: أحكام القرآن (٢/ ١٣٧).

(٤) أبو عبدالرحمن طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، ويقال: اسمه ذكوان وطاوس لقب، من مشاهير التابعين في الزهد والفقه والحديث، ثقة فقيه فاضل من الثالثة، روى عن العبادلة الأربعة وأبي هريرة، وعائشة، =

وابن المسيب[1]: القصد بالآية نهي عن الزنا. والمحصنات محرّمة على كل واحد منكم إلا امرأته المعقود عليها بالنكاح أو ملك اليمين، فهذا معنى إلا ما ملكت أيمانكم[2]، ويكون هذا أمرًا إنما مدح به في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾[3]، وقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[4] قيل: هو مصدر مؤكد من غير لفظ الأول[5]، وقيل: هو إغراء وحثٌّ والعامل فيه فعل مضمر[6]، وقال الكوفيون: هو إغراء

= وُلد سنة ٣٣هـ، وتوفي سنة ١٠٦هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٨)، وتقريب التهذيب ص (٢٨١).

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، جمع الحديث والفقه والزهد والورع، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، من كبار الثانية. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ومات سنة ٩٤هـ وقيل سنة ٩١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٨٤)، والتقريب ص (٢٤١).

(٢) وهذا مرويّ عن مجاهد وابن عباس أيضاً. انظر: جامع البيان (٨/ ١٦٠، ١٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٢).

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥، ٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ١٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٣).

(٦) أجازه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٤٤).

والعامل فيه عليكم، كأنه قيل: عليكم كتاب الله[1]، وعلى ذلك حملوا قوله:

يا أيها الماتح[2] دلوي دونكا   إني رأيت الناس يحمدونكا[3]

وقوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ قال السدي: ما وراء المذكورات[4]، ....

---

(١) انظر: معاني القرآن للكسائي (١١٣)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٠)، وجامع البيان (٨/ ١٧٠، ١٧١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٦، ٣٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٢٩٤)، وقد ضعف الطبري والزجاج ومكي قول الكوفيين، وأجازه الفرّاء لكنه جعله مرجوحاً. وذهب أبو عبيدة في المجاز (١/ ١٢٢) إلى أنه مفعول مطلق لفعل محذوف أي (كتب الله ذلك عليكم)». وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٤).

(٢) الماتح: المستسقي. انظر لسان العرب (٢/ ٥٨٨).

(٣) هذا بيت من الرجز لشاعر جاهلي غير معروف، وقيل لجارية من الأنصار. وهو في معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٠)، وغريب الحديث لأبي عبيدة (١/ ٣٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٧٩)، وشرح المفصل لابن يعيش (١/ ١١٧)، وخزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٢٠٠)، والإنصاف ص (٢٢٨).

(٤) المروي عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: ما دون الأربع. انظر: جامع البيان (٨/ ١٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٩). والمحرر الوجيز (٤/ ٧٩)، أما ما ذكره المصنف فهو معنى قول السدي، والمراد: ما وراء المذكورات في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾. وقد =

وقال عطاء: ما وراء ذات المحارم[1]، قيل: والصحيح أن المراد ما وراء كل ما حرّم الله كتاباً وسنة[2]، واختُلف هل في قوله: ﴿ مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ نسخ؟ فقال بعضهم: نسخ منه بعضه[3] بقوله ﷺ: «**لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا الصغرى على الكبرى، ولا الكبرى على الصغرى**»[4]، وقال بعضهم: لا نسخ

= ضعف أبو حيان هذا القول. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٢٣)، وكذلك ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٩).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٣)، وصحح ابن كثير هذا القول في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٩).

(٢) قال الجصاص: «هو عام فيما عدا المحرمات في الآية وفي سنة النبي ﷺ». أحكام القرآن (٢/ ١٣٩)، وانظر: زاد المسير (٢/ ٥١).

(٣) قال ابن الجوزي: «وذهب طائفة إلى أن التحليل المذكور في الآية منسوخ بهذا الحديث». زاد المسير (٢/ ٥٢). وقال أبو حيان: ولا يعد هذا التخصيص نسخاً للعموم، خلافاً لبعضهم، وقد خصّص بعضهم هذا العموم بالأقارب من غير ذوات المحارم» البحر المحيط (٣/ ٢٢٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب: «لا تنكح المرأة على عمتها» رقم (٥١٠٨). ورواه مسلم في كتاب النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها رقم (١٤٠٨). وأبو داود في كتاب النكاح، باب: ما يكره أن يجمع بينهن من النساء رقم (٢٠٦٥). والترمذي في كتاب النكاح، باب: «ما جاء لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها» رقم (١١٢٦)=

فيه، وإنما ذلك تخصيص للآية[1]، وقيل: ولأنه لما حرم الجمع بين الأختين للنسب الذي بينهما نبّه على تحريم ذلك، لأن إحداهما لو كانت ذكرًا لم تحل له الأخرى من قبل النسب، ولا ينتقض ذلك بأن يجمع الرجل بين المرأة وبين ابنة زوجها الأول، وإن كانت إحداهما لو كانت ذكرًا لم تحل له الأخرى، لأن ذلك التحريم ليس من جهة النسب.

وقوله: ﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم﴾[2] يقتضي أن لابد من المهر سُمِّي/ أو لم يسم في العقد[3]، واستدلّ أصحاب أبي حنيفة في أن [٢٦٤/ب] لا يصح أن يجعل مهرًا إلا ما وقع عليه اسم المال[4]، وعلى ذلك

= وقال: حسن صحيح. ورواه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها» رقم (١٦٢٩). ورواه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٤٦) والدارمي (٢١٨٤)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٩٤) وابن الجارود رقم (٦٨٥) وأبو يعلى رقم (٦٦٤١) وابن حبان رقم (٤١١٧) والبيهقي (٧/ ١٦٦).

(١) قال ابن الجوزي: قال شيخنا علي بن عبيدالله: وعامة العلماء ذهبوا إلى أن قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ تحليل ورد بلفظ العموم، وأنه عموم دخله التخصيص، والمخصّص له: نهي النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو على خالتها، وليس هذا على سبيل النسخ. زاد المسير (٢/ ٥٢). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٢٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٩).

(٤) نقل النيسابوري عن أبي حنيفة أنه قال: «لو تزوّج بها على تعليم سورة من=

قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾(١)، وقوله: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ﴾(٢) كناية عن الدخول، وأصله الانتفاع به(٣)، وقوله: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن(٤).

ورُوي عن ابن عباس أنه حمل ذلك على متعة النساء، ورُوي عنه أنه قال: نزل (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)(٥)،

= القرآن، لم يكن ذلك مهرًا، ولها مهر مثلها، لأن الابتغاء بالمال شرط، والمال اسم للأعيان لا للمنافع». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩١)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٧، ١٢٨).

(١) سورة النساء، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) قال الزجاج: «والمتاع في اللغة كلُّ ما انتفع به فهو متاع. معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨). وقال الجصّاص: والاستمتاع هو الانتفاع، وهو هٰهنا كناية عن الدخول..» أحكام القرآن (٢/ ١٤٦). وانظر عمدة الحفاظ (٤/ ٧٢).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٧٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٩).

(٥) قال ابن كثير: «وكان ابن عباس وأُبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة» وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٩، ٤٥٠).

وقال قتادة: كذلك هو في قراءة أبيّ[1]، وحمل ذلك عامة الصحابة على النكاح[2]، وقد ورد في تحريم المتعة أخبار كثيرة، ذكرها الفقهاء في كتبهم[3]، ونبّه بقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٧٨). قال الطبري: وأما ما روي عن أُبي بن كعب وابن عباس من قراءتهما «فما استمتعتم به إلى أجل مسمى» فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين، وغير جائز لأحدٍ أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبر القاطع العذر عمن لا يجوز خلافه» جامع البيان (٨/ ١٧٩).

(٢) وهذا ثابت عن ابن عباس أيضاً ومجاهد والحسن وابن زيد ـ عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم، ت ١٧٠هـ، والزهري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٧٥، ١٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٨).

(٣) ذكر البغوي وابن كثير في تفسيريهما طرفًا من هذه الأحاديث. انظر: معالم التنزيل (٢/ ١٩٣)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٤٥٠). قال الزجاج: «هذه آية غلط فيها قوم غلطًا عظيمًا جدًّا لجهلهم باللغة، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل الفقه أنها حرام»، معاني القرآن (٢/ ٣٨). وقال البغوي: «ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام». معالم التنزيل (٢/ ١٩٣). وقال أبو حيان: «واتفق على تحريمها فقهاء الأمصار» البحر المحيط (٣/ ٢٢٦). وقد ورد أن ابن عباس رضي الله عنه رجع عن القول بجواز المتعة. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٨)، وقال أبو حيان: والأصحّ عنه الرجوع=

بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾[1] أن لا جناح في وضعه بعد التسمية وإعطائه إياها والزيادة فيه[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾[3] الآية. **الطول**: سعة في العطية، وهو أخصُّ من النيل، فإن النيل يقال في القليل والكثير، والطَّول لا يقال إلا فيما يزيد على غيره كالطول في أنه يقال اعتبارًا بغيره[4]، وقال ابن عباس وعامة الصحابة: هو

= إلى تحريمها. البحر المحيط (٣/ ٢٢٦). وانظر: زاد المسير (٢/ ٥٣، ٥٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١٨٠، ١٨١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٥٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٤، ١٩٥)، وزاد المسير (٢/ ٥٤، ٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٥ ونصُّها: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

(٤) انظر: معاني الطول في: مجاز القرآن (١/ ١٢٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٤)، وجامع البيان (٨/ ١٨٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٧)، والصحاح (٥/ ١٧٥٣)، والمفردات ص (٥٣٣)، وتفسير القرآن للسمعاني=

الغنى[1]، وذلك أن يجد من المال ما يجعله صداق حرة، وإليه ذهب الثوري[2]، والشافعي[3]، وقوّى ذلك بما رواه جابر عن النبي ﷺ: **«من وجد ما يتزوج به حرّة فلا ينكح أمة»**[4]، وقال أبو حنيفة: هو أن يكون تحته حرة[5]، وقال بعض الصحابة: هو أن يجد في قلبه غنى عنها بأن لا يهواها[6]، وحُكي عن مالك:

= (١/ ٤١٥).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٨٢، ١٨٣)، وتفسير القران العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٠)، وأحكام القرآن للجصّاص (٢/ ١٥٧).

(٢) أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، من رؤوس الطبقة السابعة، وُلد بالكوفة سنة ٩٧هـ، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١١١)، والتقريب ص (٢٤٤).

(٣) انظر: قول الشافعي في: التفسير الكبير (١٠/ ٤٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان عن الحسن مرسلًا (١٨٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٤) وعزاه لعبدالرزاق وابن أبي شيبة والطبري عن الحسن مرفوعاً. ولم أجده عن جابر مرفوعًا.

(٥) انظر: التفسير الكبير (١٠/ ٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٥).

(٦) وهذا مروي عن ابن مسعود وجابر وعطاء والشعبي والنخعي وربيعة، وهؤلاء فسّروا (الطول) في الآية بمعنى الجَلَد والصبر لمن أحبّ أمة. انظر: =

لا بأس أن يتزوج الحُرَّةَ على الأمة، والأمة على الحُرَّةِ[1]، وأصل العنت: الشِّدَّة نحو العَنَد، لكن العِنات أبلغُ من العِنَادِ، لأنه هو المؤدي إلى الهلاك، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾[2] ومنه قيل: أَكَمَةُ عَنُوتٌ[3]، وقد فسر بالزنا تفسير عموم بخصوص[4]

= جامع البيان (٨/ ١٨٣، ١٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٩).

(١) نقل ابن العربي عن مالك أنه قال: إذا خشي العنت مع حُرَّة واحتاج إلى أخرى ولم يقدر على صداقها، فإنه يجوز له أن يتزوج الأمة، وهكذا مع كل حرة وكلّ أمة حتى ينتهي إلى الأربع بظاهر القرآن. وقال مرة أخرى: إذاتزوج الأمة على الحرة ردَّ نكاحه. وصحح ابن العربي الرواية الأولى. انظر: أحكام القرآن (١/ ٣٩٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٣) انظر: معاني العنت في: مجاز القرآن (١/ ١٢٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٧)، وغريب القرآن ص (٣٣١)، وجامع البيان (٨/ ٢٠٦)، والمفردات ص (٥٨٩، ٥٩٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٤)، ومعنى [أكمة عنوت] أيٍ تَلّ شاق الصعود. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٧)، وتاج العروس (١/ ٥٦٥).

(٤) وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، والضحاك، وعطاء، وعمرو بن دينار، والحسن، والسدي، والشعبي، وقتادة، وعطية العوفي وعبدالرحمن بن زيد. انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦١)، وجامع البيان (٨/ ٢٠٤-٢٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم=

إذ هو المقصود منه، وهو المؤدي إلى هلاك الآخرة، ولما بيّن الله تعالى المحرَّمات، وأحل ما وراء ذلك بشروط ذكرها عقب ذلك بمن لا يستطيع مهر الحرائر ونفقتهن، فأباح لهم تزوُّج الأمة، إذ هي أخف مهرًا ونفقة، وشرط في جواز التزوُّج بها شرطين: عدم الطَّوْل، وخوف العنت، وفصل بين بعض هذا الحكم وبعضه بفصلين: **أحدهما**: قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، **والثاني**: حكم الأمة كيف ينبغي أن تكون صفتها حتى يجوز التزوج بها؟ ومثل هذا الاعتراض يسمى في البلاغة الالتفات[1].

وقوله: ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ فمنهم من جعل الإيمان شرطًا، وقال: يجوز للرجل أن يتزوج بالأمة، وإن وجد طول الذمية الحرة[2]، وقوي بقوله: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾[3] ومنهم من قال: ذكر المؤمنات على طريق الفضل،

= (٣/ ٩٢٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٣)، وزاد المسير (٢/ ٥٩).

(١) الالتفات في البلاغة هو: العدول عن الغيبة إلى الخطاب، أو التكلم أو على العكس. انظر: التعريفات ص (٥٠).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٥٩)، ولابن العربي (١/ ٢٩٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٨).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

ولا يجوز التزوج بالأمة مع طول الذمية، قال: لأن العلة التي لأجلها منع من التزوج بالأمة تعرض الولد للاسترقاق، وذلك معدوم في الكتابيات الحرائر، فيجب أن يكون التزوج بها أولى من الأمة[1]، وقوله: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ قال الأصم: أجمعوا أنه أريد به التزوج، وشرط الإيمان في الأمة، وقال الحسن ومجاهد والثوري وأبو حنيفة: هو على الاستحباب، فأجازوا التزوج بالأمة الكتابية، وقال مالك والشافعي والأوزاعي: لا يجوز نكاح الأمة الكتابية المؤمنة، لأن ما أبيح بشرط/ فلا يجوز [٢٦٥/أ] ذلك على غير ذلك الشرط، سيما إذا كان الشرط بياناً لحكم[2]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ تنبيه على أن الاعتبار بالمواصلات في الأحكام الدنيوية بظاهر الإيمان لا بحقائقه، فإن الله يتولى

---

(١) نقل الجصاص عن مالك والليث والأوزاعي والشافعي أن الرجل إذا وجد طولاً إلى الحرة فإنه لا يتزوج أمة، وإن لم يجد طولاً لا يتزوجها أيضاً حتى يخشى العنت على نفسه. أحكام القرآن (٢/ ١٥٨). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٨).

(٢) انظر قول أبي حنيفة في: شرح فتح القدير (٣/ ٢٣٠)، وشرح العناية على الهداية (٣/ ٢٣٠) مطبوع مع شرح فتح القدير. وانظر: مذهب أحمد وقول الحسن والثوري والأوزاعي في المغني (٩/ ٥٥٤). وانظر: قول الشافعي في الحاوي الكبير (٩/ ٢٤٤). وانظر: مذهب المالكية في عقد الجواهر الثمينة (٢/ ٥١).

السرائر[1]، وقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ تنبيه على أمور منها: معنى ما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[2] ومنها ما دلّ عليه النبي ﷺ بقوله: «مولى القوم»[3]، ومنها أنهم كانوا يعيّرون بالهجنة[4]، فأراد أن يزيل هذا الاعتقاد عنهم[5]،

---

(١) قال الزجاج في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْۚ﴾ «أي اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبّدون بما ظهر من بعضكم لبعض». معاني القرآن (٢/ ٤٠)، وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٨٤).

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) هكذا في المخطوط وتمام الحديث: «مولى القوم من أنفسهم» رواه البخاري في كتاب الفرائض، باب: «مولى القوم من أنفسهم» رقم (٦٧٦١). وأبو داود في كتاب الزكاة، باب: «الصدقة على بني هاشم» رقم (١٦٥٠)، والترمذي وقال: حسن صحيح في كتاب الزكاة، باب: «ما جاء في كراهية الصدقة للنبي ﷺ وأهل بيته ومواليه» رقم (٦٥٧). والنسائي في كتاب الزكاة، باب: مولى القوم منهم (٥/ ١٠٧). ورواه الطيالسي (٩٧٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢١٤)، وابن خزيمة (٢٣٤٤)، وابن حبان (٣٢٩٣)، والحاكم (١/ ٤٠٤)، والبغوي (١٦٠٧)، والبيهقي (٧/ ٣٢).

(٤) الهجنة: أن يكون الأب عتيقاً، أي كريماً، والأم ليست كذلك، فيصير الولد هجيناً. انظر مختار الصحاح ص (٦٩١).

(٥) قال الزجاج: «كانوا يسمون ابن الأمة: الهجين، فأعلم الله عز وجل أن أمر العبيد وغيرهم مستوفى الإيمان..» معاني القرآن (٢/ ٤١). وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٩٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٤، ٨٥). ونقل النيسابوري اتفاق العلماء على بطلان نكاح الأمة بغير إذن سيدها. انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٥).

وقوله: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾، أي أربابهن، وذلك يقتضي أن لا يصح تزوج الأمة إلا بإذن أهلها[1]، ويقوي ذلك قوله ﷺ: «إذا تزوج العبد بغير إذن سيده فهو عاهر»[2]،[3] وقال عطاء: إذنه على الاستحباب لا على الوجوب[4]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ قيل: تقديره بإذن أهلهن، لكن حذف[5]، كقوله ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾[6]

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٥).

(٢) في الأصل: عاصي. والتصويب من كتب السنة.

(٣) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب: نكاح العبد بغير إذن سيده، رقم (٢٠٧٨). والترمذي في كتاب النكاح، باب: «ما جاء في نكاح العبد بغير إذن سيده» رقم (١١١١، ١١١٢) وقال عقب الحديث الأول: حسن. وعقب الثاني: حسن صحيح. ورواه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب «تزوج العبد بغير إذن سيده» رقم (١٩٥٩، ١٩٦٠). ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٤)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. ورواه الطيالسي (١٦٧٥)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٦١)، والدارمي (٢٢٣٩)، وأبو يعلى (٢٠٠٠)، والبيهقي (٧/ ١٢٧).

(٤) نقل الجصاص عن عطاء قال: نكاح العبد بغير إذن سيده ليس بزنا، ولكنه أخطأ السنة. أحكام القرآن (٢/ ١٦٦).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٢).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

وقال بعضهم: أجورهن: نفقاتهن[1] والأول هو الوجه، لأن النفقة تتعلّق بالتمكين لا بالعقد[2]، وقال مالك: تستحق الأمة المهر، واستدل بهذه الآية على أن الرقيق يملك[3]، وقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي على ما عرف من حكم الشرع[4]، وقيل: على سبيل الهبة، فإن المعروف يعبَّر به عن العطية، وذلك كقوله: ﴿نِحْلَةً﴾، وقوله: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أمر بأن يكون وطؤها لازمًا، ولا على سبيل المخادنة[5]، واشتراط الأمرين أن قومًا كانوا يبيحون اتخاذ الجارية خدنًا[6]، وقرأ الحسن:

---

(١) قال النيسابوري: «وقيل: الأجور: النفقة عليهن، لأن المهر مقدَّر، فلا معنى لاشتراط المعروف فيه، فكأنه تعالى بين أن كونها أمة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حقّ الحرة...» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٦).

(٢) ولذلك قال النسفي: «وهو حجة لنا في أن لهنَّ أن يباشرن العقد بأنفسهن، لأنه اعتبر إذن الموالي لاعقدهم» مدارك التنزيل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (١/ ٣٤٩).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٢).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٩٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٦).

(٥) المخادنة: المصادقة. انظر المصباح المنير ص (٦٣).

(٦) انظر: الروايات في ذلك في: جامع البيان (٨/ ١٩٣، ١٩٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

محصِناتٍ[١]، وقال: معناها عفائف[٢]، ولم يُجوِّز نكاح الأمة الزانية التي أُقيم عليها الحد.

وقوله: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ أي زوّجن، وقُرئ: أَحصَنّ[٣]، أي تزوَّجن، وقيل: أسلمن[٤]، والأول أصح[٥]، وعلى التفسير

---

(١) هذه قراءة الكسائي قال السمين الحلبي: «قرأ الجمهور هذه اللفظة سواء كانت معرفة بـ «أل» أم نكرة بفتح الصاد. والكسائي بكسرها في الجميع إلا قوله: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في رأس الجزء فإنه وافق الجمهور». الدر المصون (٣/ ٦٤٥). وانظر: حجة القراءات ص (١٩٦)، والمبسوط ص (١٥٥)، والتلخيص ص (٢٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٢).

(٢) وهذا قول الكسائي كما ذكر ابن زنجلة في حجة القراءات ص (١٩٦). وهو قول عمر بن الخطاب وأبي العالية وعطاء وعبيدة والسدي. أما الحسن فقد قال: المحصنات هن ذوات الأزواج. انظر: زاد المسير (٢/ ٥٠).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم برواية أبي بكر: (فإذا أَحصَنَّ) بفتح الألف والصاد. وقرأ الباقون (أُحْصِنَّ) بضم الألف. انظر: حجة القراءات ص (١٩٨)، والمبسوط ص (١٥٦)، والتلخيص ص (٢٤٤)، والغاية ص (٢٢٥)، وانظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٤).

(٤) انظر: معاني (أحصن) في: جامع البيان (٨/ ١٩٥)، وحجة القراءات ص (١٩٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

(٥) وهو قول سعيد بن جبير والحسن وقتادة، وروي عن ابن عباس وأبي الدرداء وبه قال أبو عبيد. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٨)، =

الثاني[1] يقتضي أن الأمة إذا زنت ـ وإن لم تكن مزوّجة ـ تحدُّ بحكم الآية، وأن الكتابية لا تحد وإن كانت مزوّجة[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ قد تقدّم أنه يتعلق بما قبله[3]، وقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إبانة أن الاختيار ترك نكاح الأمة رأسًا، لئلا يكون ولده رقيقاً لغيره[4]، وبين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ

= وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

(١) أي أسلمن وهو قول ابن مسعود والشعبي والزهري والسدي والجمهور كما ذكر ابن عطية. انظر: جامع البيان (٨/ ١٩٩-٢٠١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٨، ١٦٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٥، ٥٠٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣، ١٤٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٧).

(٣) انظر: أقوال العلماء في تفسير العنت في: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٧).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٠٧، ٢٠٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٧).

رَّحِيمٌ﴾ أن هذا وإن كان مكروهًا فقد غفر لكم، ورحمكم في إباحته، فالأول هو تبين العادة، والثاني وهو قوله: ﴿تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ﴾ حث على مكرمة، كقوله ﷺ: «**إياكم وخضراء الدمن**»(١)، وكثيرًا ما يجمع تعالى بين الحكم المراد(٢) وبين الفضل ليكون قد أدّب عباده بالأمر.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾(٣) الآية. **السنن**: جمع السنة أي الطريقة المستقيمة، وأصلها من سن الماء، وعنه استُعير من سن السيف لما كان يشبه عند صقله بالماء، واستُعير منه سن الفرس، كما يقال: صقل الفرس(٤). واللام في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾

---

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٣٤٨) رقم (٩٥٧)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» ص (١٢٠، ١٢١) رقم (٨٤)، وعزاه الحافظ في تلخيص الحبير (٣/ ١٤٥)، إلى الخطيب في «إيضاح الملتبس» ونقل عن ابن عدي والدارقطني تضعيف الحديث.

(٢) سقط الألف والدال من الأصل والصواب إثباتهما.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٦ ونصُّها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

(٤) قال الراغب: سننتُ البعير: «صقلته. . وسنةُ الوجه: طريقته، وسنة النبي ﷺ: طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته. . .» المفردات ص (٤٢٩)، وفي تهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٠): «سنّ الإبل يسنّها سنّاً إذا أحسن رعيتها حتى كأنه صقلها». وانظر: الزاهر =

فيه قولان؛ قال الفرّاء: أردت أن يكون كذا وأردت ليكون، ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، وأمرت أن أعدل. قال: ويُعَدَّى هذان الفعلان باللام تارة، لكونهما طالبين للفعل المستقبل[2]، وقال بعضهم: بل الفعل محذوف واللام للعلة على تقدير: يريد الله ما يريد لأن يبين[3]، وقوله: ﴿ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ منهم من خصَّ وقال: أراد أن يحرم علينا ما حرم عليهن بالنسب والرضاع والمصاهرة[4]،/ وقيل: [٢٦٥/ب] عنى به ما ذكره في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[5]

= (٢/ ٣٣٩)، والقاموس والمحيط ص (١٥٥٨)، ولسان العرب (١٣/ ٢٢٤).

(١) سورة الزمر، الآية: ١٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦١)، والراغب ينقل عن الفرّاء بالمعنى والاختصار. واختار الطبري هذا القول في جامع البيان (٨/ ٢١٠)، ورده الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٢)، وضعفه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٨٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٧)، والتبيان (١/ ٣٥٠)، والدر المصون (٣/ ٦٥٩)، وهو رأي الأخفش. انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤١) وذكر أنه قول البصريين.

(٤) اقتصر على هذا الوجه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٠٩). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٩٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٨).

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٣. قال البغوي: «وقيل: ويهديكم الملة الحنيفية=

ومنهم من أخذه أعم من ذلك، فقال: إن الله تعالى شرع لكل أمة عبادة ومكارم، ولم يختلف حكم أصولها، وإن اختلفت فروعها، وعلى ذلك قال: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[1] فبين أنه يريد أن تكون هذه الأمة جارية مجرى هؤلاء في ذلك[2]، وقيل: عنى أنه يبين لكم طريق من قبلكم إلى الجنة، وهو المسئول في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3]، وبين أنه أراد به ذلك لعلمه وحكمته.

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[4] الآية. الميل وإن كان عامًا في الميل إلى الخير والشر، فالمقصود به هٰهنا الجور عن قصد السبيل[5]، ولما كان جميع عبادة الله بالقول المجمل ضربين؛

= وهي ملة إبراهيم عليه السلام». معالم التنزيل (٢/ ١٩٩).

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٨).

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠١. قال الزجاج: «أي يدلكم على طاعته كما دلَّ الأنبياء والذين اتبعوهم من قبلكم» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٧، ونصُّها: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٤)، =

صقل العقل، وقمع الشهوة، وكلُّ أمر ونهي فذريعة إليهما، صار اتباع الشهوة سبب كل مذمة، فلذلك عبر بمتبع الشهوات عن الفاسق والكافر، وعلى هذا قوله: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[1]، فإن قيل: فليس اتباع الشهوات مذمومًا في كل حال، بل منها ما هو محمود، قيل: قد قال بعض المتكلمين[2] وبعض المفسرين: عنى بذلك بعض الشهوات[3]، وقال بعضهم: عنى من يتبع الشهوات كلها[4]، والصحيح أن اتباع الشهوة في

= ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٥١).

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩.

(٢) المتكلمون: هم كلّ من انتسب إلى الكلام المذموم باعتقاده والمجادلة عنه، وتكلم في الله وصفاته وأسمائه بما يخالف الكتاب والسنة. انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ١٧٨).

(٣) كالزنا على تفسير مجاهد والضحاك رحمهما الله. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٩)، وزاد المسير (٢/ ٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٩).

(٤) وهو قول ابن زيد واختاره ابن جرير الطبري والقرطبي. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٩، ٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٦).

كل حال مذموم، لأن ذلك هو الائتمار لها من حيث ما دعت، وما سوّغ من تعاطي ذلك، فليس جواز تعاطيه من حيث دعت الشهوة إليه، بل من حيث سوغ العقل أو الشرع، فذلك هو اتباع لهما، ويؤكد ذلك قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(١) وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾(٢) وقيل: عبد الشهوة أذل من عبد الرق.

إن قيل: كيف أدخل اللام في قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾(٣) ولم يدخله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾(٤)؟ وكيف أعاد ذكر إرادته التوبة؟ ولِمَ قال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ فقدم ذكر المخبر عنه، ثم قال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ فأخر المخبر عنه؟ قيل: أما إدخال اللام في الأول فلأنه عنى أنه يريد ما يريد لأجل التوبة عليهم(٥)، وأراد بقوله أن يتوب أنه كما أراد ما هو سبب التوبة عليهم، فقد أراد التوبة عليهم، إذ قد يصح إرادة سبب الفعل دون الفعل نفسه، ففي هذا ظهور فائدة اللام وحسن

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٥) وهذا على قول البصريين كما سبق.

إعادته، واقتضى إعادته أيضاً ذكر قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ليبين أن إرادة الله لكم مضادة لما يريدونه، وأما تأخير المخبر عنه في قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ﴾ فيجوز أنه جعل الواو للحال لا العطف، تنبيهاً أنه يريد التوبة عليكم في حال ما يريدون أن تميلوا، فخالف بين الإخبارين ليبين أن الثاني ليس على العطف(1)، وتخصيص الميل العظيم هو أن الإنسان قد يترك تحري الخيرات من الإيمان والأعمال الصالحة، إما لعارض شغل وإما لكسل، وإما لضلالة، وهو أن يسبق إلى اعتقاد باطل فينشأ عليه، وإما لفسق وهو/ أن يكون مع الاعتقاد يستلذ تعاطي الشر، ومن تركه [٢٦٦/أ] للشغل فهو أسهل معالجة ممن يتركه لكسل، ومن تركه للكسل

---

(١) نقل أبو حيّان عن الراغب هذا الوجه وجعله مرجوحاً فقال: «وأجاز الراغب أن تكون الواو للحال لا للعطف، قال: تنبيهًا على أنه يريد التوبة عليكم في حال أن تميلوا، فخالف بين الإخبارين في تقديم المخبر عنه في الجملة الأولى، وتأخيره في الجملة الثانية، ليبين أن الثاني ليس على العطف. انتهى. وهذا ليس بجيد، لأن إرادتهُ تعالى التوبة علينا ليست مقيدة بإرادة غيره الميل، ولأن المضارع باشرته الواو وذلك لا يجوز، وقد جاء منه شيء نادر، يؤوّل على إضمار مبتدأ قبله، لا ينبغي أن يحمل القرآن عليه، لاسيما إذا كان للكلام محمل صحيح فصيح، فحمله على النادر تعسّف لا يجوز». البحر المحيط (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧)، وانظر: الدر المصون (٣/ ٦٦١، ٦٦٢) حيث نقل السمين الحلبي اختيار الراغب والردّ عليه بشيءٍ من التفصيل.

فهو أسهل ممن تركه للضلال، وكذا ما بعده[1]، وكأنه قال: إنهم أرادوا أن يجوروا جورًا عظيمًا، ليكونوا أبعد من الرشاد، والإشارة بالمعنى إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[2]، وعلى ذلك قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[3] فإن قيل: فهلا خصَّ الميل ليزيل الإشكال، إذ الميل تارة إلى الحق وتارة إلى الباطل؟ قيل: لما كانت العدالة وسطًا وكان أطرافها كلها جورًا، ولذلك سميت وسطًا، وسواء، وعدلاً، وصراطًا مستقيمًا، نبّه بإطلاق لفظ الميل: أن الكفار يريدون منكم الميل عن العدالة على أي وجه كان، إفراطًا كان أو تفريطًا، وكل ذلك ضلال، ولهذا وصَّى الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[5] الآية. قوله: ﴿يُرِيدُ

---

(١) ذكر أبو حيان نحوًا من هذا الكلام في البحر المحيط (٣/ ٢٣٦)، ولم ينسبه للراغب.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٨، ونصُّها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾ في موضع الحال[1]، كأنه قال: والله يريد أن يتوب عليكم، مريدًا أن يخفف عنكم، وفي الآية أقوال: **الأول**: قول من خصَّصها وحملها على ما تقدّم، وقال: عنى أنه أباح نكاح الأمة تخفيفًا عنكم، فالإنسان ضعيف في تَحَيُّرِهِ عن إمساك نفسه عن مشتهاه[2]، **الثاني**: أنه خفف عنكم تكلّف النظر، وأزال الحيرة فيما بين لكم مما يجوز من النكاح[3]، **الثالث**: أنه قصد به ما قال ﷺ: «جئتكم بالحنيفية السمحة»[4]، وما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾[5]، **والرابع**: أنه تبين لكم مقصودكم وما دعيتم

---

(١) وهناك احتمال آخر، وهو أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب، قال السمين الحلبي: وهو الأصح. انظر: الدر المصون (٣/ ٦٦٢). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٢) وهو قول مجاهد وطاوس وابن زيد. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٥، ٢١٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧) ولم ينسبه.

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٦) وضعف العراقي إسناده كما في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٨٤).. ورواه الطبراني في الكبير (٥/ ٢٥٧)، والخطيب البغدادي في التاريخ (٧/ ٢٠٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٧٩)، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. ورواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥١).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧. وهذا القول ذكره السمعاني في تفسير=

إليه من الثواب العظيم لتعرفوه، فيخف عليكم الصبر في تحريه، فالإنسان لا يمكنه الصبر فيما لا يعرف ثمرة الصبر فيه، ولهذا قال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[1]، **الخامس**: يريد الله أن يخفف عنكم بما يُحمّلكم من التعب، فإن كل تعب يفضي إلى راحة عظيمة، فذلك في الحقيقة راحة، ولهذا قيل للرجل يتحمل تعبًا عظيمًا في عبادة: ألا تريح نفسك؟ فقال: راحتها أريد. **السادس**: إنه لم يعن بالتخفيف ما يستخفه الطبع وتميل إليه النفس، وإنما عنى ما يخف به تحمل ما يبلغنا إلى ثوابه[2]، وعلى نحو هذه الآية قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4]، ووصف الإنسان بأنه خلق[5] ضعيفًا إنما[6] هو باعتباره بالملأ الأعلى نحو:

= القرآن (١/ ٤١٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧)، ولم ينسباه.

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٨.

(٢) هذه الأقوال الثلاثة السابقة تتقارب وقد ذكر أبو حيان نحوًا منها في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ٦٨.

(٥) في الأصل (مخلوق) والصواب ما أثبته، وهكذا نقله أبو حيان عن الراغب في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٦) في الأصل (أنه) والصواب ما أثبته، وهكذا نقله أبو حيان عن الراغب=

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ ﴾[1] أو باعتباره بنفسه دون ما يقويه من فيض الله ومعونته، أو اعتبارًا بكثرة حاجاته، وافتقار بعضهم إلى بعض، أو اعتبارًا بمبدئه ومنتهاه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ ﴾[2] فأما إذا اعتُبر بعقله، وما أعطاه الله من القوة التي يتمكّن بها من خلافة الله في أرضه، ويتبلّغ بها في الآخرة إلى جواره تعالى ـ فهو أقوى ما في هذا العالم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[4] الآية. روي أنه لما نزلت هذه الآية امتنع بعضهم من أن يأكل عند غيره، حتى نزل قوله: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ

= في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠. وقد نقل أبو حيان كلام الراغب هذا كاملًا في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧) ونسبه إليه. وعبارة (خلافة الله في الأرض) التي أطلقها الراغب فيها نظر والأسلم اجتنابها.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩، ونصُّها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾.

[٢٦٦/ب] ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾[١] إلى آخر الآية[٢]، ولم يكن نسخًا/ لكن تبيينًا[٣]، وقوله: ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إشارة إلى الوجوه التي حظر تناول المال منها ووضعه فيها، واستثنى التجارة تنبيهًا على إباحة الكسب إذا كان من وجهه، فمن نظر نظرًا فقهيًا قال: ظاهرها يقتضي أن لا يجوز تناول الغير منها، كالصَّلاة والزكاة والميراث وغير ذلك، وقال بعضهم: لم يعن بالتجارة المبايعة فقط[٤]، بل عنى كل معاملة مباحة من قرض وفرض[٥]، كما قال ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**»[٦]، ومنهم من

---

(١) سورة النور، الآية: ٦١.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤).

(٣) قال أبو حيان: «وهو قول ابن مسعود والجمهور». البحر المحيط (٣/ ٢٤٠، ٢٤١)، وانظر: الرواية عن ابن مسعود في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٦). وروي عن ابن عباس والحسن القول بالنسخ. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٠).

(٤) قال القرطبي: «والتجارة هي البيع والشراء». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥١).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧٢، ١٧٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤١).

(٦) رواه أحمد في المسند (٥/ ٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٠٠)، =

عنى بذلك المنع من وضع المال وإنفاقه في غير الوجه المباح، وقال: عنى بالتجارة الوجهة المباحة التي يحلُّ صرف المال إليها[1]، وأما من نظر نظرًا أدق من ذلك، فإنه جعل أكل المال بالباطل تناوله من حيث لا يسوّغه العقل، ولا يجوّزه الشرع، من استنزال الناس عما في أيديهم بالخدع، ومساعدتهم على الباطل طمعًا في نفع، وجعل من ذلك أيضاً وضعه حيث لا يجوز، وإنفاقه رياء كما قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[2]، وجعل هذه التجارة هي التجارة المذكورة بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] الآية، وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[4]

= (٨/ ١٨٢)، والدارقطني في سننه (٣/ ٢٥)، وابن عبدالبر في التمهيد (١/ ٢٠٢). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧٥) من طريق أبي حرّة الرقاشي عن عمه يرفعه. وقال: رواه أبو يعلى وفيه أبو حرّة وثقه أبو داود وضعفه ابن معين. وانظر: مسند أبي يعلى (٣/ ١٤٠) رقم (١٥٧٠). وهذا الطريق ضعيف ولكن الحديث صحيح لوروده من طرق أخرى عن جماعة من الصحابة. انظر: إرواء الغليل (٥/ ٢٧٩).

(١) ذكر هذا الوجه البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢١١) ولم يذكر قائله.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٣) سورة الصف، الآية: ١٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.

الآية. وشرط فيها التراضي، تنبيهًا أنه يحمد ذلك متى أنفق الإنسان في سبيل الله عن طيب نفس على الوجه الذي ينبغي وبمقدار ما ينبغي، حسب ما بيّنه الله تعالى، ودل على رضاه في صرفه إليه[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ نظر إليه نظرات مختلفة، ففسر بحسبها، **الأول**: لا يقتل بعضكم بعضًا[2]، قال: والنهي لا يصحّ إلا على هذا، فإن الإنسان مضطر إلى أن لا يقتل نفسه ما لم تعرض له شبهة كشبهة أهل الهند[3] في قتلهم أنفسهم، قال: واستعار لفظ الخطاب في قوله ﴿أَنفُسَكُمْۚ﴾ تنبيهًا أنه يجب أن تكون نفس كل واحد منكم عند صاحبه كنفسه[4]، قال: وعلى

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧٣) فقد ذكر نحوًا من هذا الكلام.

(٢) وهو قول السدي وعطاء بن أبي رباح. انظر: جامع البيان (٨/ ٢٢٩)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٢٨) عن أبي صالح وعكرمة. وقال: وروي عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير وعطاء وأبي سنان ومقاتل بن حيان ومطر الوراق نحو ذلك. وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٨٢)، وزاد المسير (٢/ ٦١).

(٣) أهل الهند يتوزعون على ملل شتى أشهرها: «البراهمة» وقد اشتهروا بإنكار النبوات، كما أن أهم ما يجتمع عليه أهل الهند القول بالتناسخ حتى قال البيروني: «التناسخ علم الملة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها». انظر: تحقيق ما للهند ص (٣٨).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٢٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٨٢)، =

ذلك نبّه بقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، قال: وعلى هذا قال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾[2]، **الثاني**: من حمل الخطاب على ذلك لكن خصّص، وقال: لا يأكل بعضكم مال بعض، الذي به قوامه، فيكون فيه قتله[3]، **الثالث**: لا يقتل بعضكم بعضًا فيقتص منه فيكون كمن قتل نفسه، **الرابع**: لا تقتلوا أنفسكم بضجر وغضب[4]، **الخامس**: لا تركبوا ما يؤدي بكم إلى القتل، فتكونوا قد قتلتم أنفسكم[5]، وهذا كالرابع إلا أن مأخذه أعم منه، **السادس**: قول من نظر نظرًا أشرف فقال: لا تفعلوا ما يؤدي بكم إلى هلاك الأبد، فتكونوا قد قتلتم أنفسكم، وذلك بتصريف النفس في غير ما خُلِقَتْ له، وبيَّن للناس من

= وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٢).

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٦١. ولم أهتد إلى صاحب هذا القول ويبدو أن الراغب يتعمد عدم ذكر اسمه.

(٣) قال أبو حيان: «ويحتمل أن يراد مجاز القتل أي: يأكل المال بالباطل..» البحر المحيط (٣/ ٢٤٢).

(٤) ذكره الجصاص في أحكام القرآن (٢/ ١٨٢).

(٥) ذكر الجصاص نحوًا من هذا القول فقال: «ويحتمل: ولا تقتلوا أنفسكم في طلب المال، وذلك بأن يحمل نفسه على الغرر المؤدي إلى التلف» أحكام القرآن (٢/ ١٨٢).

العلم والعمل الصالح المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(1) ولذلك سمى من صرف نفسه في غير ذلك خاسرًا، حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾(2) الآية. قال: وقتل النفس في الحقيقة ترفيهها في الدنيا، وباعتبار الدنيا والآخرة أُمِر الإنسان تارة بقتل نفسه أي قمعها وتذليلها، ونهي تارة عن قتلها، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾(3) ويجري مجراها في احتمال/ النظرين قوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(4). [٢٦٧/أ]

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾(5) العدوان تجاوز العدالة بإفراط(6)، وذلك أن العدل هو الوسط الذي تجاوزه الإفراط والقصور عنه جميعًا، فمن حاد عنه قيل: جار، ومن بالغ في

---

(1) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(2) سورة الشورى، الآية: ٤٥.

(3) سورة البقرة، الآية: ٨٤.

(4) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(5) سورة النساء، الآية: ٣٠.

(6) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٣١)، وغريب القرآن ص (٣٤١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩٤).

الجور قيل: طغى، ومن تخطاه بإفراط قيل: تعدّى، وقيل لجميع ذلك: الظلم، فالظلم أعم الأسماء[1]، **إن قيل**: كيف جمع بين الظلم والعدوان، وقدم العدوان مع كونه أخصَّ من الظلم، وحكم العام والخاص إذا اجتمعا أن يقدم العام على الخاص، نحو قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[2]؟ **قيل**: في ذلك جوابان: **الأول**: أن يكون العدوان إشارة إلى الظلم الذي يتجاوزه الإنسان إلى غيره، وعنى بالظلم ظلم النفس المعني في قوله: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[3] وهو الإثم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[4] فبيّن أن من جمع بين الأمرين فقد ظلم نفسه، وظلم غيره، فهو مستوجب للنار، على هذا يكون المعني بالظلم غير المعني بالعدوان[5]، **الثاني**: أنه قدّم العدوان الذي هو أخصّ من الظلم تنبيهًا أن من ارتكب صغيرة ولم يقمع نفسه عنها جرّته إلى ما هو أعظم منها، فنبه أن حق

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤)، والزاهر (١/ ١١٦)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٦٧)، والمحكم (٢/ ٢٢٧)، و (٧/ ٣٧٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٥) ذكر هذا الوجه البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢١١)، وأبو السعود في «إرشاد العقل السليم» (٢/ ١٧٠).

الإنسان أن يحفظ نفسه عن الصغيرة خشية أن يقع فيما هو أعظم منها، ومعنى الآية أن من يفعل ما نُهي عنه من قتل النفس وأكل المال بالباطل وسائر ما تقدم النهي عنه فسوف يجعله صلا[1] كما قال: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[2].

ونبّه بقوله ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ أنه لا يتعذر عليه عقابهم.

قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[3] من المفسرين ـ وهو أكثرهم ـ من حمل السيئات على الصغائر، وقال: معنى الآية: إن تجتنبوا كبائر الذنوب نُكفّر عنكم صغائرها[4]، ثم اختلفوا على أي وجه اعتبار الصغيرة والكبيرة، وذاك أن الصغير والكبير من الأسماء المتضايفة التي لا يعرف أحدهما إلا باعتبار الآخر،

---

(١) الصَّلا: اسم للوقود. لسان العرب (١٤/ ٤٦٨)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٢٣٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٥٤)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٣).

وقال بعضهم: في الذنوب كبيرة لا أكبر منها كالشرك، وصغيرة لا أصغر منها كحديث النفس أو همِّه بسيئة ونحو ذلك، وبينهما وسائط كل واحد بالإضافة إلى ما فوقه صغير، وبالإضافة إلى ما دونه كبير[(١)]، وقال: ومعنى الآية أن من عنَّ له أمران فيهما مأثم، واضطر إلى ارتكاب أحدهما فارتكب أصغرهما وترك أكبرهما: كمن أكره على أن يقتل مسلمًا، أو يشرب قدح خمر فارتكب أصغرهما كُفِّر عنه ما ارتكبه، وقال بعضهم: الذنوب كلها ضربان: ضرب: كبيرة كالشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنا، وضرب: صغيرة[(٢)]، وهؤلاء اختلفوا فمنهم من قال: الصغيرة غير معلومة، . . . .[(٣)]، وهي كل ما عُلِّق به وعيد في

---

(١) قال أبو حيان: «وذهب جماعة من الأصوليين، منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو المعالي ـ عبدالملك الجويني ـ وأبو نصر عبدالرحيم القشيري إلى أن الذنوب كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال: الزنا صغيرة بالنسبة للكفر، والقبلة المحرمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا. . .» البحر المحيط (٣/ ٢٤٣). وللاستزادة في مسألة الكبيرة والصغيرة والفرق بينهما انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٢ـ٣٥٤)، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (١/ ٥ ـ ١٢). والتعريفات للجرجاني ص (١٩٧).

(٢) وهذا مذهب جمهور العلماء كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٤٣).

(٣) هنا سقط في المخطوط لأن ما بعد النقاط هو تعريف الكبيرة وليس الصغيرة.

الآخرة، أو جُعِل له عقوبة في الدنيا[1]، وبعضها غير معلوم، قالوا: والصغائر كلها يجب أن تكون غير معلومة، وإلا كان إغراءً بالمعصية، وذلك أن الله تعالى وعد أن يغفر بتجنُّب الكبائرِ الصغائرَ، فلو بُيِّنا جميعًا لكان المكلَّف لا يبالي بارتكاب الصغائر مع تجنب الكبائر، فكان يؤدي ذلك إلى مفسدة[2]، ومنهم من قال: يجب أن يكونا معلومين، وإلا لم يصح أن تكون الكبيرة معلومة من حيث ما هي كبيرة لما تقدم أن ذلك/ من الأسماء [٢٦٧/ب] المتضايفة، التي لا يُعرف أحدهما إلا بالآخر، قال: فالكبائر هي

---

(١) وهذا قول الضحاك رواه عنه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٤٧)، وذكره عن الضحاك البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦٦)، وقال: روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. وذكره ابن القيم عن الضحاك في مدارج السالكين (١/ ٣٤٩). ورجح البيضاوي هذا القول في أنوار التنزيل (١/ ٢١٢).

(٢) قال النيسابوري: «والحق في هذه المسألة وعليه الأكثرون ـ بعدما مرَّ من إثبات قسمة الذنب إلى الكبير والصغير ـ أنه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بيّن في هذه الآية أن الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر، فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط، واجترأ على الإقدام على الصغائر، أما إذا عرف أنه لا ذنب إلا ويجوز كونه كبيراً صار هذا المعنى زاجرًا له عن الذنوب كلها.. هذا ولا مانع من أن يبين الشارع في بعض الذنوب أنه كبيرة..» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٠٤).

محارم الله التي علم كونها محجورة، والصغائر ما هو متشكك فيه المعني بقوله: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»(١)، وعليها دلّ النبي ﷺ بقوله: «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك أمور مشتبهات، وسأضرب لكم مثلًا: إن الله حمى حمىً، وإن حمى الله محارمه، ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه**»(٢)، فمرتكب الكبائر

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «صفة القيامة» باب: «٦٠» رقم (٢٥١٨) وقال: حديث صحيح. ورواه النسائي (٨/ ٣٢٧) والإمام أحمد في المسند (١/ ٢٠٠)، (٣/ ١١٢، ١٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٣٣٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣) (٤/ ٩٩) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن خزيمة رقم (٢٣٤٨). وابن حبان رقم (٧٢٢)، وأبو يعلى رقم (٦٧٦٢)، والبغوي في شرح السنة رقم (٢٠٣٢)، والطيالسي (١١٧٨)، وعبدالرزاق (٤٩٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٤). وأشار المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٨) (٣/ ١٨٨) إلى صحته.

(٢) رواه بنحوه: البخاري ـ كتاب البيوع، باب «الحلال بيّن والحرام بيّن» رقم (٢٠٥١)، ورواه مسلم ـ كتاب المساقاة، باب «أخذ الحلال وترك الشبهات» رقم (١٥٩٩). وأبو داود في كتاب البيوع، باب «ما جاء في اجتناب الشبهات» رقم (٣٣٢٩). والترمذي في كتاب البيوع، باب «ما جاء في ترك الشبهات» رقم (١٢٠٥)، وقال: حسن صحيح. والنسائي ـ كتاب البيوع، باب «اجتناب الشبهات في الكسب» (٧/ ٢٤١)، وابن ماجه ـ كتاب الفتن، باب «الوقوف عند الشبهات» رقم (٣٩٨٤)، ورواه الحميدي (٩١٨)، وابن حبان (٧٢١)، والطبراني في الأوسط

جار مجرىً داخل الحمى، ومرتكب الصغائر جار مجرىً حوله، والإنسان منهيٌّ عن الدنو منه، ومن لا يعرف ذلك فهو مُعَرَّض الوقوع فيه، ثم كما قد بين تعالى في كتابه أن يغتفر الصغائر بشرط اجتناب الكبائر، فقد بين ﷺ أن الصغيرة إنما تكون صغيرة ما لم يكن عليها إصرار. فقال: «**لا صغيرة مع إصرار**»[1]، وقال: «**إن المحرمات تجتمع على الرجل فتهلكه**»[2]، وإذا كانت الصغيرة منهيًّا عنها محذرًا منها فلا ضير بتعريفها، بل يجب تعريفها، فالإنسان بتجنُّب الكبيرة يصير مطيعًا غير فاسق، وبتجنُّب الصغيرة وهي المتشكك فيها يصير ورعًا، ولذلك قيل لبعض الصحابة: ما أشد الورع؟ فقال: ما أيسر الورع، إذا شككت في شيء فدعه[3]،

= والبيهقي (٥/ ٦٤)، والبغوي (٢٠٣١).

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٥/ ٢٨٧) رقم (٧٩١٤) والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٨٥٣) عن ابن عباس. وعزاه السيوطي في الجامع الصغير (٤/ ١٩٧٨) للديلمي وأشار إلى ضعفه وانظر: فيض القدير (٦/ ٤٣٦) وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٧) وقال: خبر منكر. وضعفه كذلك الألباني في ضعيف الجامع رقم (٦٣٠٨). وهذا الأثر ثبت موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٣٤).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن ورد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يُهلكنه» أخرجه أحمد (١/ ٤٠٢)، والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين رقم (٥٠٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٢٨٥). وله شاهد صحيح من حديث سهل بن سعد. انظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٨٩).

(٣) نقل البيهقي عن حسان بن أبي سنان أنه قال: ما شيء أهون عندي من=

وقال بعض الصوفية: اعتبار الصغيرة والكبيرة بمرتكب الذنب، فقد يكون الذنب من زيد صغيرًا ومن عمرو كبيرًا، وذلك بحسب مراتبهم في المعارف والأحوال، فالأولياء(١) الذين بلغوا المنازل قد يُستعظم منهم ما لا يستعظم ممن لم يترشح لمنزلتهم، وذلك معروف في السياسة الدنيوية، قال: ولهذا عاتب الله تعالى نبيه في كثير من خطراته التي قد تجاوز بها عن غيره(٢)، وقال بعض المفسرين: معنى الآية: إن تجتنبوا هذه الكبائر التي نهيتم عنها في الآيات المتقدمة كفَّرنا عنكم ما قد أسأتم فيه من

= الورع، إذا رابني شيء تركته. انظر: الزهد الكبير (٣١٥).

(١) **الأولياء**: عند الصوفية العارفون بالله وصفاته الفانون عن أحوالهم، الباقون في مشاهدة الحق، وهم عندهم لا يعصون أبدًا، ولا يخفى ما في هذا التعريف من غلو وإفراط. انظر: المعجم الصوفي د. الحفني ص (٢٦٣).

(٢) فصَّل الإمام ابن القيم رحمه الله القول في هذه المسألة فبين أن العبد «إذا كملت عليه نعمة الله، واختصه منها بما لم يختص به غيره، فحُبِيَ بالإنعام، وخُصَّ بالإكرام ومزيد التقريب، وجُعِلَ في منزلة الولي الحبيب، اقتضت حاله من حفظ مرتبة الولاية والقرب والاختصاص بأن يراعي مرتبته من أدنى مشوش وقاطع، فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره، تكون حقوق وليّه وسيده عليه أتم، ونعمه عليه أكمل، والمطلوب منه فوق المطلوب من غيره، فهو إذا غفل وأخلّ بمقتضى مرتبته نُبِّه بما لم يُنبَّه عليه البعيد البراني مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك أيضاً، فيجتمع في حقه الأمران». مدارج السالكين (١/ ٣٦٢).

قبل[1]، والمدخل الكريم: ما وعد به من الثواب العظيم، وأشار به إلى جميع منازله على اختلاف مراتبها، ونبه أن كل مدخل لا يخرج عن كونه كريمًا أي مكرمًا[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] الآية. التمني: تشهِّي الإنسان أن يُمنى له شيء، أي يُقدر[4]، وذلك مذموم، فإن تمنيّه إن كان لشيء قَدَرُهُ أن لا يُبلَغ إلا بالطلب فيجب أن يطلبه لا أن يتشهّاه، وإن كان لشيء يأتيه بغير طلب فتشهيه محال، وإن كان الشيء لم يُقدَّر ففي تشهيه معارضة حكمة

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٥٥)، وفتح القدير (١/ ٥١٣).

(٢) قال الطبري: «وأما المدخل الكريم فهو الطيب الحسن المكرَّم بنفي الآفات والعاهات عنه، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دخله» جامع البيان (٨/ ٢٥٩).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٢، ونصُّها: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

(٤) قال الأزهري: «المَنى بالياء: القدر، وقد منى الله لك ما يسرّك أي: قدر الله لك ما يسرّك» وقال: «تمنيت الشيء أي: قدرته وأحببت أن يصير إليّ. من المني وهو القدر» انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٥٣٠، ٥٣٣)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٢٦٠)، وغريب القرآن ص (٤٨)، والنهاية (٤/ ٣٦٧)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤).

الله فيما قدر[1]، ولذلك قيل: من تمنى فقد أساء الظن بالله، ولكون ذلك غير مغن، قال الشاعر:

.... إن لَيْتًا وإن لواً عناء[2]

وقال:

.... وما يغني عن الحدثان ليتُ[3]

وهو مع ذلك ذريعة إلى التحاسد والبخل والظلم[4]، وقد رُوِيَ في الآية أن أم سلمة قالت: ليتنا كنا رجالاً فنجاهد،

---

(١) انظر: المفردات ص (٧٨٠).

(٢) هذا عجز بيت من الخفيف لأبي زبيد الطائي، وصدره:

ليت شعري وأين مني ليتُ ....

وهو في ديوانه ص (٢٤)، وكتاب سيبويه (٣/ ٢٦١)، والمقتضب (١/ ٣٢٥)، و (٤/ ٣٢)، والجمهرة لابن دريد (١/ ١٢٢)، وخزانة الأدب (٧/ ٣١٩)، والمفردات ص (٧٥٠).

(٣) هذا عجز بيت من بحر الوافر يُنسب إلى النابغة الجعدي وابن قعاس الأسدي وصدره:

ألا يا ليتني والمرءُ ميت ....

وهو في ديوان النابغة الجعدي ص (٢١٥)، والمقتضب (٤/ ٣٣)، والجمهرة لابن دريد (٢/ ٢٨)، والمنصف (٣/ ٦٢)، وخزانة الأدب (٦/ ٥٣٠).

(٤) قال الطبري: «فنهى الله عباده عن الأماني الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله، إذ كانت الأماني تورثُ أهلها الحسد والبغي بغير الحق» جامع

فأنزل الله تعالى ذلك[1]، وقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ قيل: إنها قالت: ليتنا لم يجعل ثوابنا في الآخرة على نصف ثواب الرجل، كما جعل نصيبنا من الميراث[2]، فأنزل الله تعالى تنبيهًا على أن لا اعتبار في مجازاة الأعمال بالذكورية والأنوثية، وقيل: هو تبيين لفضل الرجال كقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، وقيل: هو تبيين أن الحسد لا يُغني، وأن الله لا يغير لحسد حاسد، وقيل: هو حث على طلب منزلة المحسود بالعمل الصالح دون الحسد والتمني، كما قال ﷺ: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي»[3] وقال محمد بن بحر: معناه ليس كل ما للميت واجبًا/ للورثة، بل له نصيب [٢٦٨/ أ] يوصي به، قال: وذلك نحو ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿كُتِبَ

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٦١-٢٦٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢١)، وأسباب النزول ص (١٥٠).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٥)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٢٢)، والترمذي في كتاب التفسير، باب «ومن سورة النساء» رقم (٣٠٢٢)، وقال الترمذي: هذا حديث مرسل. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦) وقال: هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد عن أم سلمة، ووافقه الذهبي، ورواه أبو يعلى (٦٩٥٩)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٦٠٩) وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم (٢٤١٩).

(٣) روي هذا من كلام الحسن البصري رحمه الله، ولا يصحّ مرفوعاً أخرجه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» ص (٤٢، ٤٣) رقم (٥٦). والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٨٠) رقم (٦٦).

عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وبين بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أنه أعلم بما يستحق كل إنسان[2]، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾[4] الآية. المولى من الولاء، وهو تتابع الشيء من غير حائل[5]، وجعل المولى لمن تولى حفظ الشيء، وتُعورف في المعتِق، والمعتَق، وابن العم، والحليف، وولي الأمر[6]، والعصبة[7]، قال ابن عباس:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٦٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٠٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٣، ونصُّها: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

(٥) قال ابن فارس: وواليت بين الشيئين، أي: تابعت ولاءً. وافعل هذه الأشياء على الولاء أي متابعة، وكل ذلك يرجع إلى القرب. مجمل اللغة ص (٧٦٢).

(٦) قال السجستاني: «والمولى على ثمانية أوجه: المعتِقُ، والمعتَقُ، والوليُّ، والأولى بالشيء، وابن العم، والصهر، والجار، والحليف» غريب القرآن ص (٤١١)، وانظر: المفردات ص (٨٨٥-٨٨٧)، ولسان العرب (١٥/ ٤٠٨).

(٧) انظر: الأضداد للأصمعي ص (٢٤)، ولابن السكّيت ص (١٨٠)، =

هم الورثة هٰهنا[1]، وقال مجاهد وقتادة: العصبة[2] لقول النبي ﷺ: «**من مات وترك مالاً فماله للموالي العصبة، ومن ترك كلًّا فأنا وليه**»[3]، بيّن أن لكل مال تركه الوالدان والأقربون موالي يرثونه، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾[4] **قيل**: عنى به

= ولابن الأنباري ص (٤٦)، وللسجستاني ص (١٥٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٥٠).

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾، رقم (٤٥٨٠)، وابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٣٧). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٣).

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٧٠، ٢٧١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٣٧)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٧)، وذكر الماوردي وأبو حيان أن ابن عباس رضي الله عنه فسر الموالي بالعصبة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفرائض، باب «ابني عم أحدهما أخ للأم..» رقم (٦٧٤٥). ورواه مسلم في كتاب الفرائض، باب «من ترك مالاً فلورثته» رقم (١٦١٩). وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في «أرزاق الذرية» رقم (٢٩٥٤)، والنسائي (٤/ ٦٦)، والترمذي في كتاب الجنائز، باب «ما جاء في الصلاة على المديون» رقم (١٠٧٠) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الصدقات، باب «من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله» رقم (٢٤١٥)، والطيالسي في مسنده رقم (٢٣٣٨).

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (والذين=

عقد الحلف، وكانت العرب تتوارث به، ثم نُسِخَ بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[1] وذلك عن ابن عباس والحسن وسعيد وقتادة[2]، وقال أصحاب أبي حنيفة: الآية تقتضي أن المعاقدة يُستحقُّ بها الإرث، قالوا: ويقوِّي ذلك قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، فجعل ذوي الأرحام أولى من المعاقد، فدلَّ ذلك أن المعاقد فيه حقًّا[3]، قالوا: وروى تميم الداري[4] أنه قال: يا رسول الله: ما السنّة في الرجل يسلم على يد مسلم؟ فقال: «**هو أولى بمحياه**

= عاقدت أيمانكم) بالألف. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ بغير ألف. انظر: حجة القراءات ص (٢٠١)، والمبسوط ص (١٥٦)، والتلخيص ص (٢٤٤).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٧٤-٢٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٧، ٩٣٨)، وصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ رقم (٤٥٨٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥، ١٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٧).

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٨٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٨).

(٤) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، صحابي مشهور، كان نصرانياً، ثم قدم المدينة فأسلم سنة تسع، وكان صاحب عبادة، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ومات بها سنة أربعين. انظر: الإصابة (١/ ٤٨٨)، وتقريب التهذيب ص (١٣٠).

ومماته»[1]، وقيل: عنى الذين عقدت أيمانهم في الجاهلية، فجعل تعالى لهم نصيبًا كنصيب الأخ من الأم، وسقط حكمهم بموتهم، وقيل: جعل لهم النصيب من النصرة دون الإرث، وقد روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعطاء. قالوا: وحكم الأول قديم بقوله: ﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾، واستُؤنِف قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[2] قال ابن الحسن: عنى بالذين عاقدت أيمانكم: الأزواج[3] لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ قال: وصار المذكور في هذه الآية جملة ما فصَّله في آيات المواريث، فصار هذه الآية كقوله ﷺ: «إن الله أعطى

---

(١) رواه أبو داود - كتاب الفرائض - باب في الرجل يسلم على يدي الرجل، رقم (٢٩١٨). والترمذي - كتاب الفرائض - باب ما جاء في ميراث الرجل الذي يسلم على يدي الرجل، رقم (٢١١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن وهب، ويقال: ابن موهب، عن تميم الداري... وهو عندي ليس بمتصل. وأخرجه أيضاً ابن ماجه - كتاب الفرائض - باب الرجل يسلم على يدي الرجل، رقم (٢٧٥٢). وأحمد في المسند (٤/ ١٠٢، ١٠٣)، والدارمي - كتاب الفرائض - باب في الرجل يوالي الرجل رقم (٣٠٣٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ٥٦) رقم (١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤). وهذا الحديث علّقه البخاري في صحيحه - كتاب الفرائض - باب (٢٢) إذا أسلم على يديه ووصله في التاريخ، وضعفه الشافعي والبخاري والخطابي وابن المنذر والترمذي كما ذكر الحافظ في الفتح (١٢/ ٤٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٣.

(٣) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٤٧) ولم ينسبه.

كل ذي حقٍّ حقَّه»(١)، قال: والأيمان جمع اليمين التي هي الجارحة، وسُمِّي الحلف بها اعتبارًا بالصفقة في المبالغة.

قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢) الآية. **القنوت**: القيام على وجه الطاعة، ويُستعمل في كل واحد منهما(٣). **والنشوز**: بغض المرأة للزوج، وأصله من النشز، فكأنها هي المرتفعة بنفسها أو طرفها عن التزام ما يلزمها للزوج(٤)، ولهذا النظر قال الشاعر:

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الوصايا، باب «ما جاء في الوصية للوارث» رقم (٢٨٧٠)، ورواه الترمذي في كتاب الوصايا، باب «ما جاء: لا وصية لوارث» رقم (٢١٢٠) وقال: حسن، ورواه ابن ماجه في كتاب الوصايا، باب «لا وصية لوارث» رقم (٢٧١٣)، ورواه الطيالسي في مسنده رقم (١١٢٧) وابن أبي شيبة (٤/ ٤١٥)، والبيهقي (٦/ ٢٦٤) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٠٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤، ونصُّها: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

(٣) قال الأزهري: «فحقيقة القنوت: العبادة والدعاء لله في حال القيام، ويجوز أن يقع في سائر الطاعة..» تهذيب اللغة (٩/ ٦٠)، وانظر: الزاهر (١/ ٦٨)، وجامع البيان (٨/ ٢٩٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧)، ومجمل اللغة ص (٥٧٩)، والمفردات ص (٦٨٤، ٦٨٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٥)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٦)، وجامع=

إذا جَلسَت عند الإمام كأنها ترى رفقةً من ساعة تستحيلها[1]

بيّن تعالى أن السياسة للرجل دون المرأة[2] ، وأن لكلٍّ واحدٍ من الرجل والمرأة فضيلتين : **إحداهما** : تسخير من الله تعالى ، والأخرى من كسبه ، فإحدى فضيلتي الرجل : ما خصّه به من علوه على المرأة ، والثانية : بإنفاق المال ، وإحدى فضيلتي المرأة : قيامها بما يلزمها من طاعة الأزواج ، وحفظ غيبهم ، وتحصين ما سلّموه إليهن ، **والثانية** : إسبال الله ستر رحمته عليها وحفظها بوصية الزوج بها ، وتسخيره للقيام بمراعاتها[3] ، وقرأ أبو جعفر المدني[4] : بما حفظ اللهَ

= البيان (٨/ ٢٩٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧) ، والمفردات ص (٨٠٦) .

(١) البيت للفرزدق من قصيدة له يُخاطب بها زوجته . وفي رواية «ترى رفقةً من خلفها» ومعنى : تستحيلها : تتبيّن حالاتها . انظر : ديوان الفرزدق ص (٢/ ٦٠٦) ، والكامل (٢/ ٩٣٩) ، والمفردات ص (٨٠٦) .

(٢) ذكر ابن العربي لذلك ثلاثة أسباب هي : الأول : كمال العقل والتمييز . الثاني : كمال الدين والطاعة في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على العموم . الثالث : بذله لها المال من الصداق والنفقة . انظر : أحكام القرآن (١/ ٤١٦) .

(٣) قال ابن العربي : «الزوجان مشتركان في الحقوق . . فعليه أن يبذل المهر والنفقة ، ويحسن العشرة ، ويحجبها ، ويأمرها بطاعة الله ، وينهى إليها شعائر الإسلام . . وعليها الحفظ لماله ، والإحسان إلى أهله ، والالتزام لأمره في الحجبة وغيرها إلا بإذنه ، وقبول قوله في الطاعات» أحكام القرآن (١/ ٤١٦) .

(٤) يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي المدني القارئ ، أحد القراء العشرة ، تابعي مشهور ، عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش ، وعلى ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم . وروى عنه القرآن نافع ومالك ، وإسماعيل=

بالنصب[1]، أي فعل ذلك بهن/ بحفظهن الله، وجعل بما بمنزلة [٢٦٨/ر] المصدر[2].

وقوله: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ﴾[3] قال بعض أهل اللغة: أي تعلمون[4]، وأنشد:

فلا تدفنني في الفلاة فإنني   أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها[5]

= ابن جعفر وآخرون، انتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة، ثقة من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين وقيل سنة ثلاثين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٨٧)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٥٨)، وتقريب التهذيب ص (٦٢٩).

(١) أي بنصب لفظ الجلالة. انظر: المبسوط ص (١٥٦)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٥)، وجامع البيان (٨/ ٢٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٥٢)، والمحتسب (١/ ١٨٨)، والمبسوط ص (١٥٦)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٠)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٤٨).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٤) ممّن قال ذلك الفرّاء وأنشد البيت الذي ذكره المؤلف. انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ١٤٦، ٢٥٦)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٢٩٨، ٢٩٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٠).

(٥) البيت لأبي محجن الثقفي رضي الله عنه. وهو من بحر الطويل. انظر: ديوانه ص (٤٨)، ومعاني القرآن (١/ ٢٦٥)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣٨٧)، و (٣/ ١٥٨)، وخزانة الأدب (٨/ ٣٩٨)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٣٢٠).

وأرى قائل هذا تصوَّر الظَّنَّ بصورة العلم، فأطلق عليه اسمه، فأكثر الخوف مضمّن بالظن، وقوله: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ تنبيه على أنها تُوعظ أولاً، ثم تُهجر، ثم تُضرب، وهذا مقتضى حكمة السياسة(١)، وعليه بني قول الشاعر:

أناة فإن لم تغن عَقَّبَ بعدها وعيد فإن لم تغن أغنت عزائمه(٢)

وقوله: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ كالتصريح في الكناية عن الجماع(٣)، وقول من قال: هجر الكلام فليس بشيء(٤)،

---

(١) قال النسفي: «أمر بوعظهن أولاً، ثم بِهجرانهن في المضاجع، ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهِجران» مدارك التأويل (١/ ٣٥٥).

(٢) البيت لإبراهيم الصولي وهو من بحر الطويل وقد ختم به مسألة أمره الخليفة المتوكل أن يكتبها لأهل حمص لمّا أخرجوا عاملها. انظر: الأوائل للعسكري (١/ ٣٧١)، وصبح الأعشى (٦/ ٢٩٦)، ومجمع البلاغة (١/ ١٩٢)، ومعجم الأدباء (١/ ١٨٨).

(٣) وهذا مروي عن ابن عباس، والسدي، والضحاك، وسعيد بن جبير. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٢، ٣٠٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٦).

(٤) وهذا مروي أيضاً عن ابن عباس وعن عكرمة والضحاك والسدي. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٠٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم=

وقد قال ﷺ: «لا تهجروا النساء إلا في بيوتهن، ولا تهجروهن إلا في المضاجع، فإن أبين[1] فاضربوهن ضرباً غير مبرح»[2]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ تنبيه على أن الذي يلزم هو بذل الطاعة في الظاهر. فأما المحبة بالقلب فليس من فعلها فتؤخذ به[3]، ونبّه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ على أن الله تعالى مع هذه الحالة يقتصر من عباده في كثير من عبادتهم على الظاهر، وقيل:

= (٣/ ٩٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥١).

(١) تصحفت في الأصل إلى (فأبين) والصواب ما أثبته.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٣١٥) وفي سنده انقطاع بيّن وإرسال. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٨) وعزاه لابن جرير وحده.

(٣) كما قال سفيان الثوري: «... فإن فعلت ذلك فلا يكلّفها أن تحبه، فإن قلبها ليس في يديها» ذكره الطبري في جامع البيان (٨/ ٣٠٦). وقال الطبري: «فإن راجعن طاعتكم عند ذلك وفِئن إلى الواجب عليهن، فلا تطلبوا طريقاً إلى أذاهن ومكروههنّ ولا تلتمسوا سبيلًا إلى ما لا يحلّ لكم من أبدانهن وأموالهن بالعلل، وذلك أن يقول أحدكم: «إنك لست تحبيني، وأنت لي مبغضة» فيضربها على ذلك أو يؤذيها فقال تعالى للرجال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أي على بغضهن لكم فلا تجنوا عليهن، ولا تكلفوهن محبتكم فإن ذلك ليس بأيديهن». جامع البيان (٨/ ٣١٦)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٨٣).

نبه أن لا يظن أحد الزوجين إن كلفه إلا الحق، فإنه يتعالى ويكبر عن الظلم[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾[2] الآية. **الشقاق**: التعادي[3]، ومنه قيل: شقّ فلان العصى[4]، إذا تباعد في الخروج عن الطاعة، ومنه المشقة، وشقّ على فلان كذا[5]، والتوفيق كالمساواة، ومنه توفيق الله تعالى، فإنه موافقة قضائه فعل العبد فيما يقصده، ويقال الاتفاق في كل متطابقين على بعض الوجوه[6]،

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٣١٨)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٣).

(٢) سورة النساء، الآية ٣٥، ونصُّها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٦)، وجامع البيان (٨/ ٣١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٨)، وغريب القرآن ص (٢٩٢)، والصحاح (٤/ ١٥٠٣)، والمفردات ص (٤٥٩، ٤٦٠)، وزاد المسير (٢/ ٧٧)، ويدور معنى الشقاق في هذه المراجع على المخالفة والعداوة والتباعد وهي معانٍ متقاربة يستلزم بعضها بعضاً.

(٤) انظر: مجمع الأمثال للميداني (١/ ٣٦٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٢٤٥).

(٦) قال ابن فارس: «الوفْقُ من الموافقة بين الشيئين كالالتحام». مجمل=

ولما بيّن تعالى من حال نشوزها ما يمكن للزوج إصلاحه، بين هٰهنا ما يشتبه الحال فيه، واحتيج إلى ناظر فيما بينهما. وأكثر العلماء على أن المأمور ببعث الحكمين الإمام أو صاحبه، وإليه ذهب مالك، والأصم[1]، وجعلوا للحاكم الطلاق والخلع كالوكيل، وإليه ذهب ابن عباس[2]، ومن الفقهاء من لم يجوِّز لهما الخلع والطلاق[3]، فإن ظاهر الآية لم يقتضهما، ولا فرق

= اللغة ص (٧٥٧)، وانظر: العين (٥٢٥)، وتهذيب اللغة (٩/ ٣٤٢)، والمفردات ص (٨٧٧).

(١) وهو قول سعيد بن جبير والضحاك. انظر: جامع البيان (٨/ ٣١٩، ٣٢٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٢٥-٣٢٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠- ١٩٢)، ولابن العربي (١/ ٤٢٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠٩)، وزاد المسير (٢/ ٧٧، ٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٦، ١٧٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٣، ٢٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٧).

(٣) وهذا أحد قولي الشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وقول عطاء وابن زيد وقتادة والحسن وأبي ثور. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٢٢-٣٢٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠-١٩٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٣)، وتفسير=

بين أن يكون الحكمان من أقاربهما، أو من قبلهما، وقال ابن عباس: إرادتهما الإصلاح أن يخلو كل واحد من الحكمين بأحد الزوجين، فيتعرَّف حاله في السِّرِّ ليبني الأمر عليه[1]، وفي الآية دلالة على أن كُلّ أمرٍ وقع فيه تنازُع يجوز فيه التحكيم، وبهذه[2] الآية استدل في أمر الحكمين، ونبّه بقوله: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ أن من أصلح نيته في أمر يتحرّاه أصلح الله مبتغاه، كما رُوِيَ في الخبر أن «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته»[3]، وقيل: إذا فسدت النيّة وقعت البليّة.

قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[4] الآية. **الجار** اعتبارًا بكونه من ناحية دارك، من قولهم: جار عن الطريق، ثم جُعِلَ أصلًا في بابه، **فقيل**: استجرت فلانًا

= القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٧).

(١) انظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٥٦)، والبحر المحيط (٢٥٤).

(٢) في الأصل: (وهذه) والصواب ما أثبتّه.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٠٥) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم أجده مرفوعاً.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦، ونصُّها: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

وآجرته. إذا رعيته مراعاة الجار[1]، والجنب أصله في الجارحة، ثم قيل في المكان اعتبارًا به، فقيل: جنبته إذا أخذته في ناحية الجنب، واجتنب عنه إذا تركه وتباعد عنه، والأجنبي: الغريب، والجنابة: الاعتزال والتباعُد، ومنه قيل للحالة المقتضية لترك الصلاة: جنابة[2]. / والجار ذي القربى والجار الجنب: قيل: [٢٦٩/أ] عنى به قرب الرحم وبعده[3]، وقيل: عنى به قرب المسافة

(١) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ١٧٥)، والصحاح (٢/ ٦١٧)، والمُحكم (٧/ ٣٦٧)، والمفردات ص (٢١١)، وقال ابن منظور: وجارُك: الذي يجاورك، ونقل عن ابن الأعرابي أنه قال: «الجار: الذي يجاورك بيت بيت، والجار: النِّفِّيح وهو الغريب، والجار: الشريك في العقار، والجار: المقاسم، والجار: الحليف، والجار: الناصر، والجار: الشريك في التجارة، والجارة: امرأة الرجل...» ثم قال: وجارك: المستجير بك، لسان العرب (٤/ ١٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٧)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٤٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٥٥)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٧٣)، والصحاح (١/ ١٠١)، ومعجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨٣)، ومجمل اللغة ص (١٤٠)، والمفردات ص (٢٠٥)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٠٨).

(٣) قال أبو بكر السجستاني: «الجار ذي القربى: أي ذي القرابة. والجار الجنب: أي الغريب». غريب القرآن ص (١٧٣)، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك وقتادة. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٣٥، ٣٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٣).

وبعدها[١]، والصاحب بالجنب: قيل: جار البيت، دانيا كان نسبه أو نائياً[٢] وقيل: هو الرفيق في السفر[٣]، وقيل: هو المنقطع إليك رجاء خيرك[٤]، وقيل: المرأة[٥] ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، قيل: وقد أمر بالإحسان إليهم، وأن لا يكلّفوا ما لا

---

(١) قال النسفي: الجار ذي القربى: الذي قرب جواره. والجار الجنب: أي الذي جواره بعيد. مدارك التنزيل (١/ ٣٥٧). وهو قول ميمون بن مهران كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٥٤، ٢٥٥). وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٦).

(٢) قال الزمخشري: «هو الذي صحبك، إما رفيقًا في سفر، وإما جاراً ملاصقاً» الكشاف (١/ ٥٠٩)، وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٢).

(٣) وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير والضحاك. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، وجامع البيان (٨/ ٣٤٠-٣٤٢)، وغريب القرآن ص (١٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٥).

(٤) وهو قول ابن زيد وهو مروي عن ابن عباس كذلك. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٤٣، ٣٤٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١١)، وزاد نسبته إلى ابن جريج، وزاد المسير (٢/ ٨٠).

(٥) وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن أبي ليلى والنخعي. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٤٢، ٣٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٩).

يطيقون[1]، **إن قيل**: لم قدم الأمر بالإيمان على النهي عن الشرك، ومعلوم أن تجنُّب الشرك مقدَّم على حقيقة الإتيان بالإيمان، **قيل**: إن الشرك يقال على ضربين: **أحدهما**: الشرك الأكبر، وهو إثبات صانع غير الله[2]. **والثاني**: الرياء[3]، وإياه

(١) قال ابن كثير: «﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وصية بالأرقاء، لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس..» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٩). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٢) قصر الشرك الأكبر على إثبات صانع غير الله قصور شديد، بل إن هذا النوع من الشرك لا يكاد يوجد إلا في بعض الطوائف اليسيرة. وهذا تعريف الأشاعرة للشرك، بناء على تعريفهم للتوحيد، إذ أن الألوهية عندهم هي القدرة على الاختراع والخلق. انظر: أصول الدين للبغدادي ص (١٢٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٠). أما التعريف الصحيح للشرك الأكبر فهو الذي ذكره ابن القيم بقوله: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كلّ شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم..» مدارج السالكين (١/ ٣٦٨) وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٩١).

(٣) قال ابن القيم: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء والتصنُّع للخلق، =

عنى النبي ﷺ فيما روى شداد بن أوس[1] أن النبي ﷺ قال: «**أمران أتخوَّفهما على أمتي من بعدي: الشرك، والشهوة الخفية. ألا إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا، ولكنهم يراءون**»، فقلت: أشرك ذلك؟ قال: «**نعم**»[2]، وإياه عنى تعالى بقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية[3].

إن قيل: لِمَ ذكر هٰهنا تسعة أصناف وأمر بالتوفُّر عليهم، وذكر في سورة البقرة: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

= والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده» مدارج السالكين (١/ ٣٧٣).

(١) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري أبو يعلى ويقال: أبو عبدالرحمن المدني، صحابي، روى عن النبيّ ﷺ وعن كعب الأحبار. قال عبادة بن الصامت: شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم، توفي سنة ٥٨هـ، وقيل سنة ٦٤هـ، ببيت المقدس وله من العمر خمس وسبعون عامًا. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٠)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣١٥)، والتقريب ص (٢٦٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٤)، والطبراني في الكبير (٧/ ٣٤١) رقم (٧١٤٤). وعزاه السيوطي في الجامع الكبير (٣/ ١٣٦٦) إلى الحاكم والبيهقي.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[1]، وقال بعده: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[2]؟ قيل: إن المذكور أولاً في سورة البقرة ما أمر به بني إسرائيل[3]، وأما قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فهو أمر بإيتاء المال الذي يقتضيه البر، لأنه قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[4]، وهذه الآية حثٌّ على فعل الإحسان كلّه، نصرة كان أو صلة، وقيل: إن قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ عنى المال كله على سبيل التبرُّع[5]، وذلك إذا طلب الإنسان غاية البر، ولهذا قال الشعبي[6]: ما بَقَّى[7] قول الله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) انظر: تفسير الراغب لهذه الآية (ق ٧٢ - مخطوط).

(٤) انظر: تفسير الراغب لهذه الآية (ق ١١٨ - مخطوط).

(٥) في الأصل: التورع وهو تصحيف.

(٦) أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، فقيه مشهور استقضاه عمر بن عبدالعزيز، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه. ثقة فاضل من الثالثة، وُلد بالكوفة سنة ١٩هـ، ومات بعد سنة ١٠٣هـ وله نحو من ثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، وتقريب التهذيب ص (٢٨٧).

(٧) قال ابن منظور: «وبقيته بالتشديد، وأبقيتُه، وتبَقَّيته كلّه بمعنى». لسان العرب (١٤/ ٨١).

أحد شيئاً من المال[١]، ولإرادة إخراج المال كلّه على التبرُّع خصَّ الزكاة بعده بالذكر، فقال: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٢]، وأراد بهذه الآية ما يحصل للإنسان به تمام العبادة. وفعل الإحسان. وذلك لعبادة الله المتعرية عن الرياء، ومراعاة هؤلاء بالإحسان، **فإن قيل**: لم قدم الجار على ابن السبيل وله حق واجب في المال؟ **قيل**: ابن السبيل الذي له حقٌّ في المال هو الفقير، ولم يقصده بهذه الآية، وإنما المقصود تفقُّد المذكورين على سبيل التبرُّع، وحقُّ الجار أوكد من حقِّ الغُرباء. ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورثه**»[٣]؟ **إن قيل**: كيف قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٤]؟ **قيل**: المختال

---

(١) . لم أقف على هذا القول فيما بين يدي من كتب التفسير.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب «الوصايا بالجار» رقم (٦٠١٤) (٦٠١٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب «الوصية بالجار والإحسان إليه» رقم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥). وأبو داود في كتاب الأدب، باب «في حق الجوار رقم (٥١٥١، ٥١٥٢)، والترمذي وقال: حسن صحيح، في البر والصلة، باب «ما جاء في حق الجوار» رقم (١٩٤٢، ١٩٤٣)، وابن ماجه في كتاب الأدب رقم (٣٦٧٢، ٣٦٧٣)، والطحاوي في شرح المشكل (٢٧٨٥ ـ ٢٧٩٠)، وابن حبان رقم (٥١١)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٤٥)، والبيهقي (٦/ ٢٧٥، ٧/ ٢٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.

هو الذي يظن أن له بماله كرمًا، من قولهم: خِلْتُ[1]، وكأنما إلى معناه أشار تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾[2] والفخور: من يتبجح بالقُنْيات الزائلة[3]، فبيَّن تعالى أن من أمسك ماله، وصرفه عن الوجوه المذكورة فذلك لظنه أن له بماله خيلاءً وفخرًا فيضنّ به، ويُبيِّن[4] أن هذين سبب البخل ما روي: «أهلك الناس شيئان: حبّ الفخر، وخوف الفقر»[5]، / ولهذا عقبه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾[6] الآية. فجعل تفسير الاحتيال والفخر البخل بالمال، والإنفاق على وجه الرياء. [٢٦٩/ب]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ﴾[7] الآية. البخل:

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٧)، وجامع البيان (٨/ ٣٤٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥١)، وغريب القرآن ص (٤٣٥).

(٢) سورة الهمزة، الآية: ٣.

(٣) القنيات الزائلة: المكاسب الزائلة. القاموس المحيط ص (١٧١٠)، ولسان العرب (١٥/ ٢٠١). وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٥٠)، والوسيط (٢/ ٥١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٦).

(٤) تصحفت في الأصل إلى (تبين) والسياق يقتضي ما أثبته.

(٥) لم أجده.

(٦) سورة النساء، الآية: ٣٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ٣٧، ونصُّها: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

أعظم المعايب، لقوله ﷺ: «**أي داء أدوى من البخل؟**»[1] وأعظم منه حثُّ الغير عليه[2]، وكأن الشاعر بهذه الآية ألمَّ في قوله:

وإن امرأً ضَنَّت يداه على امرئ   بنيل يد من غيره لبخيل[3]

وقالوا: فلان يمنع دَرَّه[4] ودرَّ غيره، والحرُّ يعطي والعبد يألم قلبه[5]، ولم يرُد تعالى بالبخل البخل بالمال فقط، بل بجميع ما منه نفع الغير، من نصرة وعلم[6]، ودخل في عموم الأمر بالبخل: من ترك شكر من أحسن إليه، أو أخل بقضاء دين فيصير سببًا لمنع الإسداء إلى الغير، ولهذا قيل: لعن الله قاطعي المعروف، وقال بعضهم: معناه يبخلون ويتأمرون على الناس، ويأمرونهم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (١٩/ ٨١)، والخطيب البغدادي في التاريخ (٤/ ٢١٧)، وعبدالرزاق في المصنف رقم (٢٠٧٠٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣١٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني.

(٢) قال الراغب: «والبخل ضربان: بخل بقُنياتِ نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثر ذمًا. .» المفردات ص (١٠٩).

(٣) البيت لأبي تمّام. انظر: ديوانه (٤/ ٤٨٦).

(٤) دَرَّه: لبنه. انظر: مختار الصحاح ص (٢٠٢).

(٥) انظر: مجمع البلاغة ص (٤١٤).

(٦) ذكر أبو حيان هذه العبارة في البحر المحيط (٣/ ٢٥٦) ونسبها للراغب.

بشكرهم مع بخلهم، فيكون قوله ﴿ بِٱلْبُخْلِ ﴾ في موضع الحال[1]، وإلى هذا أشار الشاعر بقوله:

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما   تيه الملوك وأفعال المماليك[2]

وقوله: ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3]، يدخل فيه من يستحقر ما آتاه الله من نعمته مالاً كان أو عافية، ومن خُوِّل[4] علمًا ولم يفده مقتبسه منه، ومن ينسى كثير ما أنعم الله عليه ويتذكر قليل ما يناله من نائبة[5]، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[6] قيل في تفسيره: ينسى النعم ويذكر المحن[7]، ونبه بقوله: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[8] أن من

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٥٧)، والدر المصون (٣/ ٦٧٧).

(٢) البيت لعلي بن الجهم وهو من بحر البسيط. انظر: ديوانه ص (١٦١)، ومجمع البلاغة (١/ ٢٥٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٧).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٧.

(٤) خُوِّل: أي أعطي. انظر: المصباح المنير ص (٧٠).

(٥) قال ابن كثير: «فالبخيل جحود لنعمة الله، فلا تظهر عليه ولا تبين، لا في مأكله، ولا في ملبسه، ولا في إعطائه وبذله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٠).

(٦) سورة العاديات، الآية: ٦.

(٧) وهذا تفسير الحسن البصري. انظر: جامع البيان (٢٤/ ٥٦٦).

(٨) سورة النساء، الآية: ٣٧.

فعل ذلك فهو كافر للنعمة، ومن كفر نعمة الله فقد أعدَّ له عذابًا[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[2] الآية. ذم في هذه الآية السّرف[3]، كما ذمّ في الأولى البخل، فمن السرف أن يتشبَّع الإنسان بإنفاقه، فلا ينفقه على ما يجب، وكما يجب[4] فصار الإتيان كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[5] وليس يعني بقوله: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ جحود ذلك باللسان فقط، بل عنى معه ترك ما تقتضيه هذه المعرفة، تنبيهًا أن المنفق رياء لو كان له حقيقة إيمان لتذكر في تناول ما يتناوله، ولأدّاه ذلك إلى أن يتفكّر أين يضعه[6]،

---

(١) قال ابن كثير: والكفر هو الستر والتغطية، فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجحدها، فهو كافر لنعمة الله عليه. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٠). وانظر: أنوار التنزيل (١/ ٢١٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٨، ونصُّها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾.

(٣) السرف: تجاوز الحد في سائر الأفعال وغلب على الإنفاق. انظر عمدة الحفاظ (٢/ ٢٢١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٦).

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٦) انظر: أنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

فإن قيل: فأيّ تعلُّق لقوله: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾[1] قيل: هذا الكلام فيه إيجاز، كأنه قيل: الذين ينفقون أموالهم رياء الناس زين لهم الشيطان الذين هم قرناؤهم ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2]، وعلى ذلك قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3] ولم يعن بالشيطان إبليس فقط، بل عناه والهوى، وكل ما دعاه إلى باطل، وصرفه عن حقٍّ[4]، وقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾[5] في قوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ استدعاء لطيف إلى تحرّي الإيمان والإنفاق على ما يجب، لأن لفظه استخبار يستدعي جوابًا، ولا يمكن جواب المستخبر عنه المشتبه إلا بعد التفكُّر فيه، والتفكُّر فيما/ ذكره تعالى يؤدّي إلى أن ليس على [٢٧٠/أ]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦. وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

(٤) قال البيضاوي: «والمراد: إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة». أنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وقال أبو حيان: «والشيطان هنا جنس لا يراد به إبليس وحده». البحر المحيط (٣/ ٢٥٩). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٩، ونصُّها: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

متحري ذلك ضير، بل له كل خير[1].

إن قيل: لِمَ قدّم الإنفاق في الآية الأولى وأخّره هٰهنا؟ **قيل**: لما قصد في الأولى إلى ذمهم بالإنفاق رياء لكونهم غير مؤمنين، قدّم ذكره، وجعل قوله: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال تنبيهًا أن ذلك منهم لكونهم غير مؤمنين، ولما حثّهم في هذه الآية على ما يجب أن يتحروه ابتدأ بذكر الإيمان، تنبيهًا أن إنفاقهم غير معتد به إلا بعد الإيمان بهما[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[3] الآية. عنى بالظلم

---

(١) قال النسفي: «وأيُّ تبعة ووبالٍ عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله. والمراد: الذم والتوبيخ، وإلا فكلٌّ منفعة ومصلحة في ذلك». مدارك التنزيل (١/ ٣٥٨). وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

(٢) ذكر أبو حيان نحوًا من هذا الكلام فقال: «ولما وصفهم تعالى بتلك الأوصاف المذمومة، كان فيه الترقي من وصفٍ قبيح إلى أقبح منه، فبدأ أولاً بالبخل ثم بالأمر به، ثم بكتمان فضل الله، ثم بالإنفاق رياء، ثم بالكفر بالله وباليوم الآخر. ولما وبّخهم وتلطّف في استدعائهم بدأ بالإيمان بالله واليوم الآخر، إذ بذلك تحصل السعادة الأبدية، .ثم عطف عليه الإنفاق...» البحر المحيط (٣/ ٢٦٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

هٰهنا بخس الحقّ[1] ومثقال: مفعال: من الثقل[2]، وضرب تعالى الذَّرَّ مثلًا للشيء الصغير، تقريبًا على المخاطب. واستُعمل لفظ المثقال تنبيهًا أن ذلك يعظم جزاؤه وإن صَغُر قدره[3]، وفي قراءة ابن مسعود: مثقال نملة[4]. وإذا قرئ حسنةً بالنصب[5] فتقديره: إن تكن الذرة حسنة، وردّ الضمير إلى المضاف إليه دون المضاف، وإذا رفع فمعناه: إن تقع حسنة، ولا تحتاج كان هٰهنا إلى

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٠)، والزاهر (١/ ١١٨)، والوسيط (٢/ ٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١٤).

(٢) «يُقال هذا مثقال هذا أي على وزن هذا» انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٧)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢/ ٥٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦١).

(٣) قال أبو عبيدة: «مثقال ذرة أي زنة ذرة». مجاز القرآن (١/ ١٢٧)، وقال السجستاني: «مثقال ذرة: زنة نملة صغيرة» غريب القرآن ص (٤٥٥). وقال أبو حيان: «ومثقال كل شيء وزنه، ولا تظن أنه الدينار لا غير، الذرة: النملة الصغيرة. . » البحر المحيط (٣/ ٢٦١).

(٤) قال أبو حيان: وقرأ ابن مسعود (مثقال نملة)، ولعلّ ذلك على سبيل الشرح للذرة. البحر المحيط (٣/ ٢٦١)، ونسب ابن عطية هذه القراءة لابن عباس في المحرر الوجيز (٤/ ١١٨).

(٥) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير (وإن تك حسنةٌ) بالرفع، وقرأ الباقون (حسنةً) بالنصب. انظر: حجة القراءات ص (٢٠٣)، والمبسوط ص (١٥٧)، والتلخيص ص (٢٤٤)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٣).

خبر[1]، ويضاعِف ويُضَعِّفُ يتقاربان[2]، وقال القتيبي[3]: يُضاعِف للمرة ويُضعِّف للتكثير[4]، وقد قال

(١) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١١٩)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٨٧)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص (٢٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٢)، والدر المصون (٣/ ٦٨١، ٦٨٢).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر: (يُضَعِّفُها) بالتشديد. وقرأ الباقون (يضاعفها) قال ابن زنجلة: «وهما لغتان يقال: أضعفتُ الشيء وضعّفتهُ...» حجة القراءات ص (٢٠٣). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٦٢)، والدر المصون (٣/ ٦٨٢).

(٣) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي الكبير صاحب الفنون، كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس ولد سنة ٢١٣هـ، من مصنفاته تفسير (غريب القرآن)، و (غريب الحديث) وغيرهما: توفي سنة٢٧٦هـ. انظر: الفهرست ص (١٢٣)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠ - ١٧١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦).

(٤) قال ابن قتيبة: «(يُضاعفها) أي يؤتي مثلها مرّات. ولو قال: (يُضعّفها) لكان مرّة واحدة». انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٧). ولعل في عبارة الراغب تصحيفاً أدّى إلى قلب المعنى، فجعل يُضعّف للتكثير ويُضاعف للمرّة. وصواب العبارة: «يضعّف للمرّة ويُضاعف للتكثير، وهو الموافق لما نقله الراغب في المفردات ص (٥٠٨)». ـ والله أعلم ـ وقد اختلف اللغويون في (ضَعَّف) و (ضاعف) أبينهما فرق أم هما لغتان ومعناهما واحد. فالذي ذهب إليه أبو عبيدة في المجاز (١/ ١٢٧)، وابن قتيبة في=

تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]، وقال: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[2] و ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾[3].

وفائدة قوله: ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ أن كلَّ ما أريد تعظيمه ينسب إلى الله، فيقال: ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[4]، و ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾[5]، و ﴿لَّهُۥ﴾[6]، و (بيت الله)[7]، و ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[8]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[9]، ووصْفُ الأجر بالعظيم اعتبار بالأجور الدنيوية.

= تفسير غريب القرآن ص (١٢٧) أن (ضاعف) أبلغ في التكثير من (ضعّف)، وقد نقل الطبري هذا الرأي في تفسيره وأبهم قائله ولم يعلّق عليه. وذهب الأزهري في تهذيب اللغة (١/ ٤٨٢) وابن سيده في المحكم (١/ ٢٥٥)، وابن زنجلة في حجة القراءات ص (٢٠٣) إلى أن معناهما واحد.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٦) سورة الإخلاص، الآية: ٤.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ سورة الحج، الآية: ٢٦.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٩) سورة مريم، الآية: ٥.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[(١)] الآية. تقديره: كيف حالهم في ذلك الوقت استعظامًا لأمرهم[(٢)]؟! وقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[(٣)] فيه أقوال: **أحدها**: أنه أشار إلى أُمته[(٤)]، ويكون قوله: ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ عامًّا، وخصّ النبي ﷺ وأمته بالذكر تعظيمًا لهم. **والثاني**: ما قاله ابن عباس: إن هذه الأمة تشهد للأنبياء، والنبي ﷺ يشهد لأمته تزكيةً لهم، واستدلَّ بقوله[(٥)]: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٦)]. **والثالث**: إن قوله: ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤١، ونصُّها: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج (٢/ ٥٣)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٥)، والوسيط (٢/ ٥٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٤) انظر: بحر العلوم (١/ ٣٥٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٩٨)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٢).

(٥) في الأصل زيادة كلمة (صلى) بعد كلمة (بقوله) والصواب حذفها.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣. وهذا قول السديّ. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٩)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٥)، والتفسير الكبير (١٠/ ٨٥).

إشارة إلى الأنبياء الذين هم الشهداء على أممهم[١]. **إن قيل**: كيف يصحّ أن يكون النبي ﷺ شاهدًا للأنبياء الذين قبله وهو لم يحضرهم؟ وأي فائدة لشهادته وشهادتهم؟ **قيل**: إن الأنبياء لم يختلفوا في أصول ما دعوا إليه، بل كلُّهم لسان واحد في الدعاء إلى التوحيد، وأصول الاعتقادات والعبادات، وسائر جمل الشريعة، وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ﴾[٢] الآية. وكل واحد منهم معتقد لما اعتقده الآخر، ومبلِّغ ذلك مثل ما بلَّغه الآخر، ثم شريعة النبي ﷺ جامعة لأصول شرائع من تقدّمه، ولذلك قيل له: خاتم الأنبياء[٣]، وعليه نبّه ﷺ بقوله: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتًا، وترك موضع لبنة منه، فكنت موضع اللبنة**»[٤]،

(١) ذكر هذا القول صاحب الفتوحات الإلهية (١/ ٣٨٣).

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣، ونصُّها: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

(٣) نقل صاحب الفتوحات الإلهية عن الكرخي أنه قال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾: وذلك بأن تشهد للأنبياء بأنهم بلّغوا، لعلمك بعقائدهم، لاستجماع شرعك لجميع قواعدهم». الفتوحات الإلهية (١/ ٣٨٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب «خاتم النبيين ﷺ» رقم (٣٥٣٤). =

وبهذا المعنى ألمّ بعض المُحدثين فقال:

[٢٧٠/ب] نُسِقوا لنا نَسْقَ الحسابِ مقدّمًا   وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا[١] /

وأما فائدة إقامتها عليهم فتبكيت للعاصين، وتشنيع عليهم، وتزكية للمؤمنين، على ما ذكر في قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[٢]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾[٣] منهم من جعل الصفتين لفريق واحد، أي الذين جمعوا بين الكفر ومخالفة الأمر، ومنهم من جعلهما وصفين لفريقين، أي الذين كفروا وعصوا الرسول؛ فالأول للكفار، والثاني لأهل الكبائر[٤]،

= ومسلم في كتاب الفضائل، باب «كونه ﷺ خاتم النبيين» رقم (٢٢٨٦). والترمذي في كتاب الأمثال، باب «ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله» رقم (٢٨٦٢)، وقال: صحيح غريب من هذا الوجه. ورواه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير باب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾» رقم (١١٤٢٢). وأخرجه الطيالسي رقم (١٧٨٥)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٩٩)، وأحمد (٣/ ٣٦١)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٥)، وفي الدلائل (١/ ٣٦٥).

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي وهو من بحر الكامل، وقد ورد في قصيدة يمدح بها جعفر بن الفرات وزير كافور. انظر: شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي (٢/ ٣٣٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٢.

(٤) قال النيسابوري: «﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾ قيل: =

وقوله: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾[1] أي تمنوا أن لم يُبعثوا من القبور[2]، وقيل: أن جعلوا ترابًا كالبهائم[3]، وقيل: أن لم يُخلقوا رأسًا[4]، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[5]، وقوله:

= هذه الجملة معترضة والمراد: وقد عصوا. والظاهر أن الواو للعطف وحينئذٍ تقتضي كون عصيان الرسول مغايرًا للكفر، لأن عطف الشيء على نفسه غير جائز، فإما أن يخصّ الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله، أو يقال: إنه عام وأفرد ذكر قسم منه إظهارًا لشرف الرسول ﷺ وتفظيعاً لشأن الجحود به، أو يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر، فيكون في الآية دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرع». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٧)، وانظر: التفسير الكبير (١٠/ ٨٦)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥، ٢١٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(١) سورة النساء، الآية: ٤٢.

(٢) انظر هذا القول في: مدارك التنزيل (١/ ٣٥٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٣)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٨، ٤٨٩)، والوسيط (٢/ ٥٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١٧، ٢١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٩٩).

(٤) ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢١٦)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(٥) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

لَوْ تُسَوَّى بتشديد السين على إدغام التاء في السين، وتَسَوّى بالتخفيف على حذف إحدى التاءين[1]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ قيل: فيه أقوال: **أحدها**: ما رُوِيَ عن ابن عباس وقد سُئِلَ عن هذه الآية. وقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[2] فقال: إن المشركين يوم القيامة لما رأوا أن لا يدخل الجنة إلا من كان مسلمًا، قال بعضهم لبعض: تعالوا نجحد[3]، نقول: ما كنا مشركين. فلما قالوا ذلك ختم الله على ألسنتهم، وتكلّمت جوارحهم، فشهدت عليهم، فودّوا لو ساخت بهم الأرض[4] ولا يكتمون الله[5].

(١) قال ابن زنجلة: «قرأ نافع وابن عامر (تَسَّوَّى) بتشديد السين والواو. الأصل: (تتسوى) ثم أدغمت التاء في السين. وقرأ حمزة والكسائي (تَسَوّى) بتخفيف السين وفتح التاء والأصل (تتسوى) ثم حذفوا إحدى التاءين تخفيفاً مثل (تذكرون)» ولم يُشر الراغب إلى القراءة السبعيّة الثالثة وهي (تُسَوَّى) وهو فعل مضارع مبني للمفعول ماضيه (سَوَّى) انظر: حجة القراءات ص (٢٠٣، ٢٠٤)، ومعاني القراءات ص (١٢٧). وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٦)، والمبسوط ص (١٥٧)، والتلخيص ص (٢٤٤)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.

(٣) في الأصل: (حتى) والصواب ما أثبته وهو الموافق للروايات.

(٤) ساخت بهم الأرض: أي: خسفت. انظر المصباح المنير ص (١١٢).

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٣، ٣٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١٨)، والجامع لأحكام =

والثاني: ما قاله الحسن: إن الآخرة مواقف، وفي بعضها يظهرون، ورُوِيَ عنه أن في بعضها لا يتكلّمون[1]. **والثالث**: أنهم لا يكتمون الله حديثًا، لنطق جوارحهم بذنوبهم، فعلى هذا لا يكون قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ داخلًا في التمنِّي، بل هو استئنافُ كلام[2].
والرابع: أنه لم يقصد بقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ أنهم لا يقصدون كتمانه، بل عنى أنه لا يتكتم، وذلك كقولك لمن كتم عنك شيئًا فاطلعت عليه: لِمَ تكتم أسرارك عني[3]. **والخامس**: أن ذلك داخل في التمني، ولكن إشارة إلى حالهم في الدنيا وجحودهم[4]، فإن كفرهم جحود لما ركَّز الله تعالى في فطرتهم، ونقضٌ لما أخذ عليهم من الميثاق المدلول عليه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ

= القرآن (٥/ ١٩٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٤).

(١) ذكره السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٣٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٧) وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٦٤).

(٢) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٢٣)، وذكره عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٦٤). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(٣) قال أبو حيان: والمعنى: «لا يقدرون على كتمان الحديث». البحر المحيط (٣/ ٢٦٤). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٤).

(٤) انظر هذا القول في: البحر المحيط (٣/ ٢٦٤).

﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] الآية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾[2] الآية. السُّكر: هو من السَّكْر، أي سُدّ مجرى الماء، وذلك لسد البخار الصاعد من المعدة قوة الفهم، وسكرت الريح: أي سكنت، تشبيهًا بسكون الماء إذا سُدّ مجراه، وكذلك سكرت أبصارنا: أي سُدّ مجراها، والسّكر قد يقال لما يعرض من الهوى والشباب والغنى[3]. قال الشاعر:

سكران سكر هوى وسكر شراب[4] ....

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣، ونصُّها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

(٣) انظر معاني السكر في: العين (٥/ ٣٠٩)، وغريب القرآن ص (٢٧٦)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٥٥)، ومجمل اللغة ص (٣٥٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٨٩)، والمفردات ص (٤١٦)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٣٣)، واللسان (٤/ ٣٧٢-٣٧٥).

(٤) صدر بيت من بحر الكامل يُنسب للخليع الدمشقي وتمامه:

سُكْران سُكْرُ هوىً وسكر مُدامةٍ   أنّى يُفيق فتى به سُكرانِ

انظر: يتيمة الدهر (١/ ٣٣٣)، والدر المصون (٣/ ٦٨٩)، وبصائر ذوي=

ويقال: سُكارى وسكرى. **والغائط**: المنهبط من الأرض فكنى به عن الحدث[1]؛ كالنجو في كونه للمرتفع من الأرض[2]، والعذرة للفناء[3]، والحشّ للبستان[4]، والكنيف للحظيرة[5]. **والصَّعيد** كالصُّعود، لكن الصعيد يقال لوجه الأرض. والصعود

= التمييز (٣/ ٢٣٣)، والإكسير في صناعة التفسير ص (٣٢٨)، وقد ذكره الراغب في المفردات ص (٤١٦) بعبارة [مُدامة] بدل [شراب].

(١) قال السجستاني: «الغائط: مطمئنٌّ من الأرض، وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة أتوا غائطاً، فكُنِّي عن الحدث بالغائط» غريب القرآن ص (٣٤٩). وانظر: الزاهر (١/ ٤٠٩)، ومجمل اللغة ص (٥٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٨٨).

(٢) قال ابن فارس: «والنجوة: الأرض لا يعلوها السيل» مجمل اللغة ص (٦٨٩). وانظر: الصحاح (٦/ ٢٠٥٢).

(٣) قال ابن فارس: «وعذرة الدار: فناؤها» مجمل اللغة ص (٥٠٨)، وانظر: الزاهر (١/ ٤٠٩).

(٤) قال ابن منظور: والحَشّ والحُشّ: جماعة النخل، وقال ابن دريد: «هما النخل المجتمع، والحش أيضاً: البستان، والحش: المتوضأ...» لسان العرب (٦/ ٢٨٦)، وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ١٦٥)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٩٤).

(٥) قال ابن فارس: «الكنيف: الساتر، ويسمى الترس كنيفاً لأنه يستر.. والكنيف: الحظيرة...» مجمل اللغة ص (٦١٢)، وانظر: الزاهر (١/ ٤٠٩).

للعقبة[1]، ولما كان الصعيد يقال لوجه الأرض وللساطع منه، اختلف الفقهاء لاختلاف نظرهم في أنه هل يجب أن يعلق باليد شيء من التراب أم لا؟ فجوز الكوفيون أن لا يعلق باليد شيء من الأرض، لكون الصعيد اسمًا لوجه الأرض، ولم يجوِّز الحجازيون ذلك اعتبارًا بالصعود، ولقوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[2] وكذلك اختلفوا في أنه هل يجوز التيمم بما يخرج من الأرض سوى/ التراب كالخل والزرنيخ[3]؟ فجوّز ذلك بعضهم ومنع [٢٧١/أ]
منه آخرون، فمن جوّزه قال: لأن الصعيد اسم لما تصاعد من الأرض[4]. والتيمُّم والتأمُّم: التعمُّد، وفي قراءة عبدالله

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٦)، وغريب القرآن ص (٢٩٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٧)، والمفردات ص (٤٨٤). وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣. وقد جوّز مالك وأبو حنيفة ألاّ يعلق باليد شيء عند التيمم، ولم يجوّز ذلك الشافعي وأحمد. انظر: خلاف العلماء في ذلك في: بدائع الصنائع (١/ ٣٤٠)، والمغني لابن قدامة (١/ ٢٤٧، ٢٤٨)، والعزيز شرح الوجيز للرافعي (١/ ٢٣٠، ٢٣٥).

(٣) «الزرنيخ: عنصر شبيه بالفلزات له بريق الصلب ولونه، ومركباته سامّة يُستخدم في الطب في قتل الحشرات» المعجم الوجيز ص (٢٨٨)، وانظر: المعرب ص (٣٥٦).

(٤) جوّز مالك وأبو حنيفة التيمم بكل ما كان من جنس الأرض كالنورة=

فتأمّموا[(١)] . وعابري سبيل: قال علي وابن عباس: هم المسافرون، قالـوا: ويجـوز لهم التيمُّم عند الجنابـة. والصلاة عندهما اسم الفعل[(٢)]، وقال الحسن وسعيد: عابر السبيل: المجتاز، والصلاة يريد به موضعها[(٣)]، كقوله: ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

= والزرنيخ والحجارة، ومنع ذلك الشافعي وأحمد. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٢، ١٣٣)، بدائع الصنائع (١/ ٣٣٩)، والمغني (١/ ٢٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٣٦، ٢٣٧)، والعزيز (١/ ٢٣٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٨).

(١) قال السجستاني: تيمَّموا: تعمدوا. غريب القرآن ص (١٣٥). وانظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٢٨)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٩، ٣٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٩، ٩٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٠٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٣٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٠)، وهو قول مجاهد والحكم وابن زيد وابن جبير. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠٦).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وتفسير القران العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٠٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٣٦)، وهو مروي عن ابن عباس. قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأبي عبيدة، وسعيد بن المسيب، وأبي الضحى، وعطاء، ومجاهد، ومسروق، وإبراهيم=

وَصَلَوَٰتٌ ﴾[1]. والمريض الذي جُوّز له التيمّم: الجريح والقريح دون المحموم والمصدّع[2]. والملامسة: الجماع، عن علي وعن ابن عباس[3]، وقيل: اللمس

= النخعي، وزيد بن أسلم، وأبي مالك، وعمرو بن دينار، والحكم بن عتيبة، وعكرمة، والحسن البصري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن شهاب وقتادة نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٩٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠٦).

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٢) قال ابن العربي: «المرض: عبارة عن خروج البدن عن حدّ الاعتدال والاعتياد إلى الاعوجاج والشذوذ؛ وهو على ضربين: يسير وكثير، وقد يخاف المريض من استعماله ـ أي الماء ـ وقد يُعدم من يناوله إياه، وهو يعجز عن تناوله، ومطلق اللفظ يُبيح التيمّم لكل مريض إذا خاف من استعماله وتأذّيه بالماء». أحكام القرآن (١/ ٤٤٠). وانظر: خلاف العلماء في ذلك في: بدائع الصنائع (١/ ٣١٨-٣٢١)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٢٨)، والمغني (١/ ٢٣٩)، والعزيز (١/ ٢١٨-٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢١٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٨٩-٣٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦١). ذكر رواية ابن عباس ثم قال: ورُوِيَ عن علي وأبي بن كعب ومجاهد وطاوس والحسن، وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٩١)، والوسيط (٢/ ٥٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٢)، وتفسير القرآن العظيم=

باليد وما دون الجماع؛ عن ابن مسعود، وابن[1] عمر[2]، وقُرِئ: لمستم[3]، والأول في الجماع أكثر[4]، وقوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾[5] ليس بنهي للسكران عن قربان الصلاة، كما تصوّره بعض الناس فأطال فيه الكلام، وقال: كيف يصح نهي من لا يعقل ما يقول، وإنما ذلك نهي المؤمنين عن السكر المانع

= لابن كثير (١/ ٤٧٦).

(١) في الأصل: (وأبي) والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٩٢-٣٩٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦١)، وقال بعد أن ذكر الأثر عن ابن مسعود: وروي عن ابن عمر وعبيدة، وأبي عثمان النهدي، والشعبي، وثابت بن الحجاج، وإبراهيم النخعي، وزيد بن أسلم نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٩١)، والوسيط (٢/ ٥٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٦).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف (أو لمستم) بغير ألف. وقرأ الباقون (أو لامستم). انظر: حجة القراءات ص (٢٠٤، ٢٠٥)، والمبسوط ص (١٥٧)، والتلخيص ص (٢٤٥)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٤).

(٤) قال الطبري: «وأولى القولين من ذلك بالصواب قول من قال: «عنى الله بقوله: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ، أنه قبّل بعض نسائه ثم صلّى ولم يتوضأ» جامع البيان (٨/ ٣٩٦).

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٣.

من الصلاة[1]، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2]، وقيل: إن ذلك نهيٌ عن الشرب، وكان هذا تعريضًا بالتحريم، فلما أنزل الله ذلك تحرَّج [قوم][3] فتركوها، وشربه قوم في غير أوقات الصلوات إلى أن ورد تصريح التحريم[4]، وقال بعض أهل الورع: ليس النهي عن تعاطي الخمر، بل ذلك عنه، وعن مقتضى سكر الهوى، وسكر الاشتغال بالدنيا، وأمر بأن يجمع الإنسان

---

(١) وهذا يتوافق مع كلام ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٣٧٥)، وقال ابن عطية: «والخطاب لجميع الأمة الصاحين، وأما السكران إذا عدم الميْزَ لسكره فليس بمخاطب في ذلك الوقت، وإنما هو مخاطب إذا صحا. .» المحرر الوجيز (٤/ ١٢٥). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٦٦)، ولم يذكر صاحبه. وردَّ النيسابوري هذا القول بقوله: «ومن قال: إن مدلول الكلام يرجع إلى النهي عن الشرب المخلّ بالفهم عند القرب من الصلاة، وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، فلا يكون منسوخاً، يكذبه أن الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق، فكانوا لا يشربون في أوقات الصلاة، فإذا صلوا العشاء شربوها، فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السُّكر، وعلموا ما يقولون إلى أن نزلت آية المائدة فقالوا: انتهينا يا رب» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٩).

نفسه ويفرِّغ للعبادة همّه، قال: وليست الجنابة للحالة المعروفة فقط، بل هي عبارة عن نجاسة النفس بالذنوب، وحثَّ على تجنُّبها وتطهير النفس منها بقوله: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾(١) فإن قيل: فما وجه تعلق هذه الآية بما قبلها، والإتيان بحكم التيمُّم عقب ما تقدم؟ قيل: لما أمر فيما تقدّم بالعبادة بقوله: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾(٢) وأعظم العبادة الصلاة، ولا تصحّ بغير طهارة بين عقيبها حكم ما يُطَهِّر، وحكم ما ينوب منا به إذا فُقِدَ(٣).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾(٤) الآية. رَأَيْتَ: يُعدّى بإلى تنبيهًا على معنى النظر والاعتبار، وذلك في رؤية القلب دون الحاسة(٥)، واشتراء الضلالة بالهدى:

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وهو الذي ذكره الراغب من التفسير الإشاري الذي اشتهر به المتصوفة، وانظر: نحوًا مما ذكر في: لطائف الإشارات (٢/ ٣٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) ذكر القرطبي نحوًا من هذا التوجيه في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠٠، ٢٠١).

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٤، ونصُّها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

(٥) قال الزّجّاج: «المعنى: ألم ينته علمك إلى هؤلاء» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٦)، وقال أبو حيان: «والرؤية هنا علمية، وضمنت معنى ما يتعدى بإلى، فلذلك لم يتعدّ إلى مفعولين، وكأنه قيل: ألم ينته علمك إلى كذا؟=

استبدالها به بعْد حصوله، والرغبة في الضلالة بعد التمكّن من الهدى[1]، وقد أعاد تعالى هذا المعنى في مواضع تحذيرًا منهم، وتخويفًا من الاغترار بهم، وعلى ذلك قوله من قبل: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[2]، ونحوه قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3] وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ﴾[4] ظاهره كالبعيد من الأول، وكذلك قوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾[5] وذلك لتحرِّي الاختصار فيه، وتقدير الكلام: يريدون أن تضلوا السبيل، وإذا أرادوا ذلك فهم أعداؤكم، والله أعلم منكم بعداوتهم لكم، وهو تعالى وليكم ونصيركم، فإذن الواجبُ عليكم أن تتركوا

= وقال الراغب: رأيت يتعدى بنفسه دون الجار، لكن لما استعير قولهم: (ألم تر) لمعنى: ألم تنظر عدّي تعديته، وقلما يستعمل ذلك في غير التقرير، ما يقال: رأيت إلى كذا» اهـ. البحر المحيط (٢/ ٢٥٨)، عند تفسيره للآية: ٢٤٣ من سورة البقرة. وانظر: الكشاف (١/ ٥١٥).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٥، ونصُّها: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٥.

موالاتهم، واستنصارهم، وتَسْتَكْفوا بولاية الله ونصرته، وكفى به وليًا ونصيرًا[١].

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٢] الآية. اللّيّ أصله الفَتْلُ فاستعير لصرف الإنسان عما يريده، وصرف الكلام من وجه إلى وجه استعارة الجدل في الجدال، ومنه لَيّ الغريم، ولواء الجيش لكونه/ في الأصل خيطًا ملويًا، واللِّوى: الملويّ من الرمل؛ لا يصنعه [٢٧١/ب] البشر[٣]، وقوله[٤]: ﴿بألسنتهم﴾ أي جارحتهم أو كلامهم، وكلاهما في الحقيقة واحد ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ أي يطعنون بألسنتهم في الدين[٥]،

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٢٩)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٣٦، ١٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٦، ونصُّها: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٣) انظر: معاني اللّيّ في: العين (٨/ ٣٦٤)، وجامع البيان (٦/ ٥٣٥-٥٣٧)، وغريب القرآن ص (٥٠٤)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٢٨)، والمفردات ص (٧٥٢)، واللسان (١٥/ ٢٦٢، ٢٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٥).

(٤) في الأصل: (وقولهم) والصواب ما أثبته.

(٥) قال أبو حيان: «﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ أي باللسان». البحر المحيط (٣/ ٢٧٥)، وانظر: العين (٧/ ٢٥٦)، والمفردات ص (٧٤٠).

وقوله ﴿ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ يقال على وجهين: أحدهما: دعاء على الإنسان بالصمم[1]. والثاني: دعاء له[2]، فقد تُعورِف قوله: أسمعته؛ في السب، ورُوِيَ أن أهل الكتاب كانوا يقولون ذلك، يرون أنهم يعظمون النبيَّ، وأنهم يدعون له، لأن قولهم ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ يقتضي ظاهره: أنا قد عصينا من أمرتنا بعصيانه، واسمع غير مشتوم؛ وحافظنا، وهم يقصدون بقولهم ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ أنا عصيناك، واسمع لا سمعت، وراعنا أي رَاعنًا[3]، وذلك شتم فيما بينهم[4]، فذكر تعالى أن ذلك ليّ

(١) ذكر هذا الوجه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٤٣٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٣٨، ١٣٩)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٢٤٣).

(٢) أي لا أُسمعت مكروهًا. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٧٥). أو اسمع غير مأمور أو غير صاغر. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٧).

(٣) من الرعونة. قال ابن جرير: «وقد حُكِيَ عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (راعنًا) بالتنوين بمعنى: لا تقولوا قولاً راعنًا، من الرعونة وهي الحمق والجهل. وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة...» جامع البيان (٢/ ٤٦٦) عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا.. ﴾ الآية. وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢/ ٥٨)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٦).

(٤) ذكر أبو حيان أنهم كانوا يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقًا. وقال ابن عطية: «وهذا اللَّي باللسان إلى=

وطعن في الدين بألسنتهم، أي لُغتهم، ولو عدلوا عن هذه الألفاظ إلى ما أُمِرُوا به لكان أنفع لهم، ولكن لما كفروا لعنهم الله، أي منعهم التوفيق[1] وشرح الصدر[2]، وقد تقدّم معنى اللعنة وتفسير قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ فيه قولان: **الأول**: أنه متعلّق بما تقدَّم، كأنه قال: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من الذين هادوا فيكم، فتكون من للجنس أو للتبيين، وتكون للوقف على قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، **والثاني**: أن تكون استئنافًا على تقدير: من الذين هادوا فريق[4]، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ

= خلاف ما في القلب موجود حتى الآن في بني إسرائيل، ويحفظ منه في عصرنا أمثلة»، قال أبو حيان: «وهو يحكي عن يهود الأندلس، وقد شاهدناهم وشاهدنا يهود ديار مصر على هذه الطريقة، وكأنهم يربون أولادهم الصغار على ذلك..» انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٥).

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٣٢٨-٣٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٣٦، ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٤).

(٣) انظر تفسير الراغب المخطوط لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] (ق ٧٥ - مخطوط).

(٤) انظر هذين القولين في: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧١)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٤٨)، وجامع البيان (٨/ ٤٣٠، ٤٣١)، ومعاني القرآن=

مَّعۡلُومٞ﴾[1] واستقبح المبرّد هذا الوجه لحذف الموصول وترك الصلة[2].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾[3] الآية. **الطمس** والطلس والدرس يتقارب، ولكن الطمس زوال الأعلام الماثلة، قال: وبلدة طامسة أعلامها، **والطلس** زوال الصورة، ومنه قيل: درهم مطلس، إذا لم يكن عليه نقش، **والدرس** قد يقال في الأثر الخفي[4]. وطمس الوجوه منهم من أخذه

= وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٣).

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٦٩٤، ٦٩٥)، ولم أجد للمبرد كلاماً على هذه الآية، نعم رأيت أنه لا يجيز حذف الموصوف وإبقاء الصلة كما في المقتضب (٢/ ١٣٦)، وليست هذه الآية من ذلك في شيء، بل هي على هذا الوجه الأخير من باب حذف الموصوف لوجود ما يدل عليه، وهذا لم يمنعه المبرِّد مطلقًا، بل حمل عليه أبياتاً، وحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ [النساء: ١٥٩]. انظر: الكامل (٣/ ١٩٦)، والمقتضب (٢/ ١٣٧-١٣٩).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٧، ونصُّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾.

(٤) انظر: معاني الطمس في: العين (٧/ ٢٢١)، وجامع البيان (٨/ ٤٤٤، ٤٤٥)، وغريب القرآن ص (١٠٦، ٣١٩، ٤٦٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٥١)، و (١٢/ ٣٥٩)، والصحاح (٣/ ٩٢٨)، ومجمل اللغة =

محسوسًا ثم اختلفوا؛ فمنهم من قال: عنى ذلك في الدنيا، وهو أن ينبت الشعر على وجوههم فتصير صورتهم كصورة القردة والخنازير[1]، وتكون وجوههم إلى أقفائهم[2]، ومنهم من قال: عنى ذلك في الآخرة[3]، وعلى ذلك قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾[4]، لأن وجوههم التي فيها العيون إلى ظهورهم، ومنهم من أخذه معقولاً، ثم اختلفوا: كيف يكون ذلك؟ فمنهم من قال: عنى أنا نردّهم عن الهداية إلى الضلالة لما ارتكبوه من المعاصي[5]،

= ص (٤٥٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٤)، والمفردات ص (٥٢٤)، وقال ابن فارس: «الطلسُ: محو الكتاب» مجمل اللغة ص (٤٥٠)، وقال: «الدرس: الطريق الخفي، ودرس المنزل: عفا..» مجمل اللغة ص (٢٣٨)، والصحاح (٣/ ٩٢٨).

(١) وهذا قول الفرّاء. انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٢)، وجامع البيان (٨/ ٤٤٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣١).

(٢) هذا قول آخر ذكره الفرّاء كذلك في معاني القرآن (١/ ٢٧٢)، وهو قول ابن عباس وقتادة وعطية العوفي واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٠، ٤٤١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٨).

(٣) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢٧٩) ولم يذكر قائله.

(٤) سورة الانشقاق، الآية: ١٠.

(٥) وهذا قول مجاهد والحسن والضحاك. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٢)، =

نحو قوله: ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾[1] الآية.

والثاني: أن تكـون الوجـوه الأعيان والرؤساء، والمعنى قيل: أن يجعل الرؤساء منكم أذنابًا[2]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[3] الآية.

وقيـل: إن ذلك في الآخـرة، وهو أن قومًا من الكفار كانوا يسخرون في الدنيا من المؤمنين، فيُعرضون على الجنة ثم يُردّون على أعقابهم فيدخلـون النـار[4]، وقـولـه: ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ إشـارة إلى ما تقدّم ذكره في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[5] في سورة البقرة ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ

= وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٤)، وزاد ابن أبي نجيح والسدي. والبحر المحيط (٣/ ٢٧٨).

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) ذكر الزمخشري هذا الوجه في الكشاف (١/ ٥١٩)، وحكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٧٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.

(٤) قال أبو السعود: «وقد اختلف في أن الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا أو في الآخرة، فقيل: كان بوقوعه في الدنيا.. وقيل: إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر، وسيقع فيها لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما على سبيل التوزيع.. والحق أن النظم الكريم ليس بنصّ في أحد الوجهين...» انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٦)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٨٨).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٥، وانظر: تفسير الراغب (ق٦٣ ـ مخطوط).

مَفْعُولًا﴾(1) أي نافذًا في حكم المفروغ منه(2). وقيل: هو إشارة إلى ما قال ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم، فقال له: اجر بما هو كائن [إلى](3) يوم القيامة**»(4)، وقيل: الأمر هٰهنا إشارة إلى الإبداع، وهو اختراع/ الشيء من غير أصل، لا في زمان ولا [٢٧٢/أ] في مكان، ولا بآلة، وذلك يعبر عنه بالأمر(5)، [و](6) على ذلك قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(7).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾(8)، الآية. معنى

---

(1) سورة النساء، الآية: ٤٧.

(2) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٦).

(3) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، وهو من لفظ الحديث.

(4) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في القدر، رقم (٤٧٠٠) نحوه. ورواه الترمذي في كتاب القدر، رقم (٢١٥٥) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وفي كتاب التفسير رقم (٣٣١٩) وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أحمد (٥/ ٣١٧).

(5) البحر المحيط (٣/ ٢٧٩).

(6) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(7) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(8) سورة النساء، الآية: ٤٨، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

أن يشرك به: أن يديم الإنسان الشرك، فلا خلاف أن من لم يُدم ذلك بل أقلع عنه بالتوبة على الوجه الذي يجب يُغفر له. لكن اختُلِف في قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لكونه مجملًا، فقال بعضهم: عنى به غير المشركين، فكأنه قيل: يغفر ما دون ذلك لغير المشركين، ففيه توعُّد أن المشرك مأخوذ بكل ذنب مع الشرك بخلاف المؤمنين[1]، الذين قال لهم: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[2]. ومنهم من قال: عنى به التائب[3] بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]، وقول من قال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ يقتضي ذلك، أن فيما دون الكفر ما يُغفر، وهو الصغائر، وفيه ما لا يغفر وهو الكبائر، وإلا لم يكن لقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فائدة، فليس بصحيح لأن قوله: ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ عام للذنوب صغائرها وكبائرها، والمغفور له هو

---

(١) قال الحافظ ابن كثير، «ثم أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء أي من عباده». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٢). وانظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٣) وهو قول المعتزلة. انظر: الكشاف (١/ ٥١٩، ٥٢٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٤٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

الذي جعله خاصًا منهما، فيقتضي أن ما دون الشرك كله يُغفر، لكن يُغفر لبعض دون بعض، واشتراط ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لئلا يقرر أن ذلك عامٌّ للمشرك وغير المشرك، فصار قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ عبارة عن غير المشركين[1]، وقولهم: إن الكبائر دون الشرك لو صح غفرانها لم يثبت فيها اللعن ولا الحد على وجه النكال ليس بشيء، فليس في ذكر اللعن ما يقتضي أن لا يُغفر لصاحبه، وأما النكال في الدنيا فتعلُّقهم به جهل أو تجاهل، لأن موضوع النكال ليكون قمعًا للمنكَّل به عن معاودته وقمع غيره عن أن يحذو حذوه، وليس ذلك من عقوبة الآخرة في شيء، بل قد قيل هو مُسقطٌ لعقوبة الآخرة، لقوله ﷺ: «**الحدود كفّارات لأهلها**»[2]،

---

(١) ذكر ابن عطية أن هذه الآية أبطلت قولي المعتزلة والمرجئة، «وذلك أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ فصل مجمع عليه، وقوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فصل قاطع بالمعتزلة، رادّ على قولهم ردًا لا محيد عنه. ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصحَّ قول المرجئة، فجاء قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ رادًا عليهم، موجباً أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن. ثم قال: «ورامت المعتزلة أن تردَّ هذه الآية إلى قولها بأن قالوا: (من يشاء) هو التائب، وما أرادوه فاسد، لأن فائدة التقسيم في الآية كانت تبطل، إذ التائب من الشرك يُغفر له» المحرر الوجيز (٤/ ١٤٣، ١٤٤).

(٢) رواه بمعناه البخاري في كتاب الحدود، باب «الحدود كفارة» رقم=

ألا ترى أنه قد يُحدّ التائب مع أن العقوبة في الآخرة قد سقطت عنه بالتوبة(١)؟! وما رواه جابر أنا كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى نزل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآية(٢) دلالة على فساد قولهم، وما قالوه بأن هذا من أخبار الآحاد فلا يقبل فيما هو من باب التدين والعلم(٣)، فإن أخبار

= (٦٧٨٤)، وكذلك رواه مسلم بمعناه في كتاب الحدود، باب «الحدود كفارات لأهلها» رقم (١٧٠٩). ورواه الترمذي في كتاب الحدود، باب «ما جاء أن الحدود كفارة» رقم (١٤٣٩) بمعناه، وقال: حسن صحيح. والدارمي في كتاب الحدود، باب «الحد كفارة لمن أقيم عليه» (٢/ ١٨٢) رقم (٣٤٥٧) بمعناه أيضاً. وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣١٤، ٣٢٠) وابن الجارود رقم (٨٠٣)، والطحاوي في شرح المشكل رقم (١٩٤، ٢١٨٣)، والبيهقي في السنن (٨/ ٣٢٨) والحميدي في المسند (٣٨٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (٢٩).

(١) وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمة عشرة أسباب تغفر بها الذنوب وتدفع بها العقوبات سوى التوبة. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٤٨٧-٥٠١).

(٢) الصواب أن هذا الأثر عن ابن عمر، وليس عن جابر كما ذكر الراغب، وقد ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بنفس اللفظ (١/ ٤٨٤)، وعزاه للبزار، وقد ذُكِرَ بألفاظ أخرى، رواها ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٧٠).

(٣) مذهب أهل السنة والجماعة الأخذ بكل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ، سواء أكان متواتراً أم آحادًا، وسواء أكان في أبواب الفقه أو العقيدة أو غيرهما، =

الآحاد تُردّ فيما تعافه العقول الصحيحة[1]، وقد علم أن العفو من باب الإحسان الذي حثنا عليه العقل والشرع، وبتحريه يصير العبد من الصديقين والشهداء والصالحين، والافتراء: يقال في القول والفعل كالصدق والكذب، بل الافتراء وإن تُعوُرِف في القول فهو بالفعل أولى، وكذا الاختلاق، لأنهما من فريت الأديم وخلقته[2]، ومعنى الإثم العظيم هو الذي إذا اعتبر بالآثام كان

= وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك. قال الإمام ابن عبد البر: «وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة». التمهيد (١/ ٨). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات» المسوّدة ص (٢٤٨). وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٨/ ١٦)، (٢٠/ ٢٥٧)، والرد على المنطقيين ص (٣٧-٣٨).

(١) مذهب أهل السنة والجماعة تقديم الشرع على العقل وألاّ تعارض النصوص الصحيحة بدعوى مخالفتها للعقل، لأن العقول تتفاوت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجدٍ ومكاشفة. ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلًا عن أن يقول: فيجب تقديم العقل» مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨، ٢٩)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٢) انظر: معاني الافتراء في: جامع البيان (٨/ ٤٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه=

أكثرها عقوبة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1] التزكية ضربان: أحدهما: بالفعل، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهير بدنه، وذلك يصحّ أن ينسب إلى العبد تارة نحو قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[2] وإلى من يؤمر بفعله، نحو قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، والثاني: بالقول، وذلك بالإخبار عنه بذلك، ومدحه به، ومحظور على الإنسان أن يفعل ذلك بنفسه، لا بالشرع فقط، بل بمقتضى العقل، من غير داعٍ إلى ذلك، ولمّا قالت اليهود والنصارى ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[4]، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾[5] ذمّهم الله تعالى بذلك، وذمّ من

= (٢/ ٦٠)، وغريب القرآن ص (١٠٢، ١٠٣، ١٠٩)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٥)، ومجمل اللغة ص (٥٦٦)، والمفردات ص (٦٣٤). وانظر: معاني الاختلاق في: مجمل اللغة ص (٢٢٢)، والفروق ص (١٤٩)، والمفردات ص (٢٩٦).

(١) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١١.

يفعل فعلهم، وحظر أن يمدح الإنسان نفسه، بل أن يزكي غيره إلا على وجه مخصوص، فالتزكية في الحقيقة/ هي الإخبار [٢٧٢/ب] عما ينطوي عليه الإنسان، ولا يعرف ذلك إلا الله تعالى[١]، ولهذا قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ ونبّه بقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أن تزكيته ليست لضرب من الميل، فهو منزه عن كبير الظلم وصغيره[٢]. **والفتيل**: هو الخيط الذي في شق النواة[٣]، **وقيل**: هو ما فتل من الوسخ بين الأصبعين[٤]، تشبيهًا بالفتيلة هيئة وصغر قدر[٥]، قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ

---

(١) نقل أبو حيان كلام الراغب في التزكية، وقام بتلخيص تقسيمات الراغب لها، ونسب الكلام إلى الراغب. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٨١).

(٢) قال أبو حيان: «﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ إشارة إلى أقل شيء». البحر المحيط (٣/ ٢٨١).

(٣) وهذا قول عطاء ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وعطية، وهو أحد قولي ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٥٨، ٤٥٩)، وزاد المسير (٢/ ١٠٥).

(٤) وهو قول ابن عباس المشهور والسدي. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد في إحدى الروايات، وسعيد بن جبير، وأبي مالك والسّدّي نحو ذلك. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٥٧، ٤٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٥)، وزاد المسير (٢/ ١٠٥).

(٥) وانظر: معنى الفتيل في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٦٠)، ومجمل اللغة ص (٥٥٩)، وغريب القرآن=

يَفۡتَرُونَ﴾[1] الآية. ذكر ذلك تعظيمًا لزعمهم ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾[2] ونبّه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ أنه لا يخفى كونه مأثمًا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا﴾[3] الآية. **الجبت والطاغوت**: في الأصل اسمان لصنمين[4]، ثم صارا يستعملان في كُل باطل، ولذلك قيل: ما عُبِدَ من دون الله فهو طاغوت[5]،

= ص (٣٦٠)، والمفردات ص (٦٢٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٠، ونصُّها: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨. وقال ابن كثير: وقوله ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ أي في تزكيتهم أنفسهم، ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٥)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٨٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥١، ونصُّها: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾.

(٤) وهو قول عكرمة. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٦١)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٥)، وزاد المسير (٢/ ١٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٣).

(٥) وهذا اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال بعد أن سرد جملة من الأقوال في معنى الطاغوت: «والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كلّ ذي طغيان على الله، فعُبِدَ من دون الله؛ إما بقهرٍ منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبّده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، =

ولذلك فُسِّر مرة بالصنم، ومرّة بالشيطان، ومرّة بالسحر، ومرّة بكل معظّم من دون الله[1]، وإنما ذكرهم بإيتاء نصيب من الكتاب تقبيحًا لفعلهم[2]، فمن جحد الحقّ مع معرفته به فهو أقبح فعلًا وأعظم مأثمًا، وعنى بالذين كفروا مشركي العرب، حيث زعموا أنهم أهدى سبيلًا من المسلمين[3]، ومعنى قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ أي لأجلهم وفيهم،

= أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء». جامع البيان (٥/ ٤١٩). وانظر: المفردات ص (٥٢٠-٥٢١).

(١) انظر: أقوال المفسرين في معنى الجبت والطاغوت في: جامع البيان (٨/ ٤٦١-٤٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤-٩٧٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥)، وزاد المسير (٢/ ١٠٧، ١٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٥، ٤٨٦). وانظر في معناه لغةً: تفسير غريب القرآن ص (١٢٨)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٨١) و(٣١٦)، وتهذيب اللغة (١١/ ٧).

(٢) قال أبو حيان: «فكونهم أوتوا نصيباً من الكتاب يقتضي لهم ألا يقعوا فيما وقعوا فيه...» البحر المحيط (٣/ ٢٨٣).

(٣) وذلك أن كعب بن الأشرف لما قدم مكة، قالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه، فأنزلت هذه الآية. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٦٦، ٤٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٣، ٩٧٤)، والوسيط (٢/ ٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٣، ٢٨٤).

ولهذا قال: هؤلاء ولم يقل: أنتم، وباقي الآية مفهوم.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾[١] النقير: النقطة في ظهر النواة[٢]، وقيل: حبة فيها[٣]، وقيل: ما نُقِرَ بالأصبع من الحصى[٤]، وكيفما كان فذلك كالفتيل والقطمير فيما يضرب به المثل في الشيء الحقير[٥]، وإذن متى تقدّمه حرف عطف فقد يُترك إعماله[٦]، نحو قوله: ﴿وَإِذًا لَّا

(١) سورة النساء، الآية: ٥٣.

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس والسدّي وعطاء بن أبي رباح والضحاك، وأبي مالك، انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٢-٤٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٢/ ١٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٦). قال: وهو قول ابن عباس والأكثرين.

(٣) وهو مروي عن مجاهد والضحاك بن مزاحم. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٢/ ١٠٩).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس أيضاً وأبي العالية. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٩، ٢٥٠).

(٥) قال النسفي: وهو مثلٌ في القلّة كالفتيل. وانظر في معنى النقير: مجاز القرآن (١/ ١٣٠)، وتفسير غريب القرآن ص (٧٩)، وفي مجمع الأمثال (٢/ ٢٨٢)، «يُقَال: ما ظننته نقيرًا ولا فتيلًا . . .» أي «ما ظننته شيئاً».

(٦) انظر: كتاب سيبويه (٣/ ١٢- ١٥)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٣)، =

يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]، وعطف بالجملة على ما قبله بأم على تقدير كلام قبله، كأنه قيل: أهم أولى بالنبوة أم لهم نصيب من الملك، فيلزم الناس طاعتهم[2]؟ وقيل: أم بدل على معنى بل[3]، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[4]، ونبّه على بخلهم مع تمكُّنهم من المال.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[5] الآية. الحسد: غم يلحق الإنسان بسبب خير ناله مستحقه[6]،

= ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج (٢/ ٦٣)، وإعراب القرآن للنحّاس (١/ ٤٦٣)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٢٠٠)، ومعاني الحروف للرماني ص (١١٦).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٦.

(٢) هذا قول النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٦٣).

(٣) وهذا رأي الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٢)، وقد ذكر هذا القول أيضاً القرطبي في الجامع (٥/ ٢٤٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٨٤)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٩).

(٤) سورة السجدة، الآيات: ١-٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٤، ونصُّها: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

(٦) يبدو أن الراغب فسّر الحسد هنا بسببه، والذي في تهذيب اللغة (٤/ ٢٨٠)=

قال ابن عباس: عنى بالناس هٰهنا النبيَّ ﷺ[1]، وقال قتادة: عنى به العرب[2]، وقيل: عنى به المسلمين[3]. **والفضل**: ما خصّ به ﷺ من النبوة[4]، وإنما ذكر الناس ـ وإن قصد به مخصوصًا ـ لأنهم إذا كرهوا ما أُنزل على النبي ﷺ فقد حسدوا الناس بما

= والفروق للعسكري ص (١٣٩) بل وفي المفردات للراغب ص (٢٣٤) أن الحسد: تمنّي زوال نعمةٍ من صاحبها. وقال أبو البقاء: والحسد: اختلاف القلب على الناس لكثرة الأموال والأملاك». وقال أيضاً: والحسد: إرادة زوال نعمة الغير». الكليات ص (٤٠٨، ٦٧٢).

(١) وهو مروي كذلك عن مجاهد والسدي والضحاك وأبي مالك. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٦، ٤٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٨)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠).

(٣) أي النبي ﷺ وأصحابه وهو اختيار ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦) وذكر أنه قول بعض المتأخرين، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠).

(٤) وهو قول قتادة وابن جريج والزجاج. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٦٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥١).

أولاهم كمال الإنسانية، وفيه تنبيه أنهم خارجون عن جملتهم، ونبّه أنه كما آتاهم الفضل فقد آتى آل إبراهيم ما ذكره، وأنه لو كان ما آتى محمدًا يقتضي أن يحسد عليه فما آتى آل إبراهيم أولى بذلك، فيكون الكتاب والحكمة راجعًا إلى ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما[١] ويجوز أن يكون الكتاب والحكمة إشارة إلى ما أوتي النبي ﷺ، ويكون فيه تنبيه، وما أنعم الله عليه هو إنعام عليهم إذ كان معرضاً لانتفاعهم به، والملك العظيم قيل: ملك سليمان[٢]، والأصحّ أنه عامٌّ، وأنه لم يعن به تملُّك الغير، بل هو عام في ذلك، وفيما اقتضى تملُّك الإنسان على نفسه وقمعه لحرصه وسائر شهواته، فذلك هو أعظم الملكين، وقوله: ﴿فَمِنْهُم﴾[٣] قال مجاهد: أي من أهل الكتاب من آمن بمحمد ﷺ[٤]، وقيل: منهم من آمن بإبراهيم من أمته، كما أنكم في أمر

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٣٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٠).

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨١)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٧)، وزاد المسير (٢/ ١١١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٥، ونصُّها: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٢، ٤٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٢). =

محمد كذلك[1] تنبيهًا أنه ليس في صدّ بعضهم عن محمد توهين لأمره، كما لم يكن في صدّ بعضهم عن إبراهيم توهين لأمره، وفي قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ تنبيه أنهم وإن لم تلحقهم العقوبة معجّلة فقد كفاهم ما أُعِدَّ لهم من سعير جهنم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[2] الآية.

[٢٧٣/أ] **إصلاؤهم بالنار: جعلهم/ صَلىً لها**[3]، كقوله: ﴿وَقُودُهَا

= والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥٣).

(١) وهو قول السدي. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨١)، وزاد المسير (٢/ ١١٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٨٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

(٣) أي وقودًا لها. قال أبو عبيدة في المجاز (١/ ١٣٠) «نصليهم ناراً: نشويهم وننضجهم بها». وقال ابن منظور: «ويقال: صليت الرجلَ نارًا، إذا أدخلته النار، وجعلته يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاء، كأنك تريد الإحراق، قلت: أصليته بالألف، وصلَّيْته تصلية. والصِّلاءُ والصَّلَى: اسم للوقود تقول: صَلَى النار، وقيل: هما للنار، وصلَّى يده بالنار: سخّنها..» لسان العرب (١٤/ ٤٦٨). وانظر: مجمل اللغة ص (٤١٤)، والمفردات ص (٤٩٠).

ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[1]، وقوله[2]: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[3] فيه قولان؛ **أحدهما**: أنه يُعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى، كقولك: بدّلت الخاتم قرطا، إذا خالفت بين الصورتين[4]. **الثاني**: أنه يُخْلَق لهم جلودٌ إذا نضجت لهم جلود، فالعذاب والألم يصل إلى ما تحت الجلود من الروح وغيرها بوساطة الجلود كوصول النار إليه بوساطة سرابيل القطران[5] المذكور في قوله: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[6]، وتبيين ذلك أن الجلد واللحم متى تعريا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٢) في الأصل: (وقولهم)، والصواب ما أثبته.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٤) ذكر هذا القول في: جامع البيان (٨/ ٤٨٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨)، وزاد المسير (٢/ ١١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٥) ونسبه إلى الفضيل.

(٥) وهذا القول مروي عن ابن عمر وابن عباس وقتادة والربيع والحسن. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٤، ٤٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٢، ٩٨٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٧)، والوسيط (٢/ ٦٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٧)، وزاد المسير (٢/ ١١٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٥).

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٥٠.

عن الروح لم يلحقهما ألم، فعُلِمَ أن المقصود بالألم ما فيه الروح دون الجلود والأغشية، ولكون البدن للروح كالثياب للبدن، يعبّر بالثياب عن البدن كقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] وقول الشاعر:

ثياب بني عوف طهارى نقية[2] . . . .

وقوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ استعارة متناهية في وصول الألم إلى الباطن، وعلى ذلك استُعير لهم الطعام في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[3] ذُكِرَ مع الذوق المس في قوله: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[4] تنبيهًا أن ذلك استعارة، ونبّه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أن لا سبيل إلى الامتناع عليه والفرار من عذابه، وبقوله: ﴿حَكِيمًا﴾ أن ذلك تقتضيه الحكمة.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٤.

(٢) صدر بيت من بحر الطويل لامرئ القيس وتمامه:

ثياب بني عوفٍ طهارى نقيّة . وأوجههم عند المشاهد غرانُ

انظر: ديوان امرئ القيس برواية الأعلم الشنتمري ص (١٩٩)، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين (١/ ٧٧)، والمعاني الكبير (١/ ٤٨١)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٧١).

(٣) سورة المزمل، الآية: ١٣.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] الآية. قد تقدّم الكلام في ذكر الإيمان والأعمال الصالحة، ومعنى الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وذكر الخلود فيها أبدًا، والأزواج المطهّرة[2]، فأما قوله: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ فإشارة إلى النعمة، والنعمة الدائمة، كما يقال: أنا في ظلك[3]، وكما رُوي في الخبر: «**سبعة يظلهم الله في ظلّ عرشه يوم لا ظل إلا ظله**»[4]، **والظليل** إشارة

(١) سورة النساء، الآية: ٥٧، ونصُّها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق٢٩ - مخطوط). عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

(٣) ذهب عامة المفسرين إلى أن الظل في الآية ظل حقيقي. قال الطبري: يقول: وندخلهم ظلًّا كنيناً كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]. وقال ابن عطية: «أي: ظل لا يستحيل ولا ينتقل». وقال ابن كثير: «أي ظلًّا عميقاً كثيرًا غزيرًا طيبًا أنيقًا». انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٥٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٨)، وأسند ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٨٥) عن الربيع أنه قال: «هو ظل العرش الذي لا يزول».

(٤) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة=

إلى تمام وجود معنى الظلّية فيه، كقولهم: شمس شامس، وليل أليَل[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[2] الآية. قال ابن جريج: نزل ذلك في عثمان بن طلحة رضي الله عنه لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، فأمره الله أن يردَّه

= وفضل المساجد» رقم (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب «فضل إخفاء الصدقة» رقم (١٠٣١). والترمذي في كتاب الزهد، باب «ما جاء في الحب في الله» رقم (٢٣٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائي (٨/ ٢٢٢) ـ كتاب آداب القضاة ـ باب الإمام العادل. ومالك في الموطأ رقم (٢٠٠٥) وأبو عوانة في مسنده (٤/ ٤١١)، والطحاوي في شرح المشكل رقم (٥٨٤٤)، وابن حبان في صحيحه رقم (٧٣٣٨)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٨٧) وفي الأسماء والصفات ص (٣٧٠، ٣٧١)، والبغوي في شرح السنة رقم (٤٧٠).

(١) وذلك من إسناد الفعل إلى غير ما هو له في الأصل لإرادة المبالغة. انظر: شروح التلخيص (١/ ٢٣٨) وما بعدها، والإيضاح في علوم البلاغة ص (٢٨).
والليل الأليل: شديد الظلام. انظر: العين (٨/ ٣٦٣). ولعل في تفسير الراغب للظلِّ الظليل بالنعمة الدائمة ميلًا إلى التفسير الرمزي.
وقال الزمخشري: «(ظليلًا) صفة مشتقة من لفظ الظلّ لتأكُّد معناه، كما يقول: ليل أليل، ويوم أيوم، وما أشبه ذلك...» الكشاف (١/ ٥٢٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

إليه[1]، وقال: زيد ومكحول[2]: نزل في ولاة الأمر[3]. قال ابن عباس: في كل مؤتمن على شيء، وهو أصحّ. فإنه عامٌّ[4]، وقد

(١) ذكره الطبري في جامع البيان (٨/ ٤٩١)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٩٨)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٦٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٣٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٥٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٨٨). وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (١٥٧)، والعجاب لابن حجر (٢/ ٨٨٩-٨٩٤).

(٢) أبو عبدالله مكحول الشامي، ثقة فقيه كثير الإرسال، مشهور من الخامسة، قال أبو حاتم ما أعلم بالشام أفقه من مكحول، رأى أبا أمامة وأنسًا، وسمع من واثلة، مات سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: سنة اثنتي عشرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٠، ٢٩١)، والتقريب ص(٥٤٥).

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان (٨/ ٤٩٠، ٤٩١)، عن زيد بن أسلم ومكحول، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٦)، وقال: وروي عن محمد بن كعب وشهر بن حوشب وزيد بن أسلم قالوا: ذلك في الأمراء. وانظر: النكت والعيون(١/ ٤٩٨)، وزاد المسير (٢/ ١١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٩).

(٤) قال الطبري: «. . . فإنه جائز أن تكون نزلت في عثمان بن طلحة وأريد به كل مؤتمن على أمانة، فدخل فيه ولاة أمور المسلمين وكل مؤتمن على أمانة في دين ودنيا». ثم ذكر الأثر عن ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٩٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٨)، وزاد المسير (٢/ ١١٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٩)، وبعد أن ذكر ابن

عظَّم الله أمر الأمانة، وبين أنه من خصائص الإنسان، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾[1] وقال ﷺ: «**ثلاث يؤدين إلى البَّر والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم**»[2]، وتأدية الأمانة استحفاظ المستودع ووضعه حيث ما أمر بوضعه فيه، وليس ذلك في ردّ الوديعة فقط، بل في جميع ما خصّ الله تعالى به الإنسان من ماله ونفسه، فكلُّ ذلك أمانة من الله عليه بحفظه حيث ما يجب حفظه، ويضعه حيث ما يجب وضعه[3]، ولذلك قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ

= كثير سبب نزول الآية، وأنها نزلت في شأن مفتاح الكعبة، قال: «وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك، وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام». ولهذا قال ابن عباس ومحمد ابن الحنفية: «هي للبر والفاجر أي هي أمر لكل أحد». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٩).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٤) من كلام ميمون بن مهران وعزاه للبيهقي. وهو في شعب الإيمان (٤/ ٣٢٧) رقم (٥٢٨٢).

(٣) قال أبو حيان: «... والأظهر ما قدمناه من أن الخطاب عام يتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات؛ في قسمة الأموال، وردّ الظلامات، وعدل الحكومات، ومن دونهم من الناس في الودائع والعواري والشهادات، والرجل يحكم في نازلة...» البحر المحيط (٣/ ٢٨٩). وقال أبو السعود: «الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بالذمم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد، سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية..» إرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٢).

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾(١)، ولهذا قال ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته»(٢)، وقد دخل في عمومه: النهي عن كتمان العلم عن أهله، وحفظه عن غير أهله، ولهذا قيل: لا تضع الحكمة في غير أهلها فتظلمها، ولا تمنعها أهلها فتظلمهم(٣)، وقد حثّ الله تعالى على حفظ جميع العدالات بهذه، وبيانه أن العدالة في شيئين: أحدهما: في حكم يختصُّ به الإنسان في نفسه، أو فيما بينه وبين

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب «الجمعة في القرى والمدن» رقم (٨٩٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب «فضيلة الإمام العادل» رقم (١٨٢٩)، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: ما يلزم الإمام في حق الرعية، رقم (٢٩٢٨)، والترمذي في كتاب الجهاد، باب «ما جاء في الإمام» رقم (١٧٠٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح. وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥، ٥٤)، وعبد بن حميد في مسنده رقم (٧٤٥)، وأبو عوانة (٤/ ٤١٥ ـ ٤١٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥٨٣١)، وابن حبان رقم (٤٤٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١) وفي شعب الإيمان رقم (٧٣٦٠، ٨٧٠٣).

(٣) هذا القول ينسب إلى المسيح عليه السلام، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده (٤٧/ ٤٥٨). وذكره صاحب كشف الخفاء (٢/ ٥٠٣) وعزاه لابن عساكر. ونسبه الراغب للمسيح عليه السلام في: المحاضرات ص (١٩)، والذريعة ص (٢٤٧، ٢٤٨).

غيره، وقد تناول ذلك قوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، والثاني: في حكم يتولاّه الإنسان بين اثنين، وذلك قد تناوله في قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾(١)، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ تنبيهًا أن من سمع وعظه واستعمله/ [٢٧٣/ب] فقد فاز فوزًا عظيمًا، ونبّه بذكر السمع على حكم الأول على علمه بما يحدِّث الإنسان به نفسه، وبالبصر على حكم مشاهدته لما يتعاطاه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾(٢) الآية. قيل: أولو الأمر الأمراء على عهد رسول الله ﷺ(٣)، ولذلك قال: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وقيل: الأمراء في زمانه وبعده، ورده إليهما إنما هو إلى حكمهما(٤)، وحمل الشيعة ذلك

---

(١) ذكر هذا التقسيم أبو حيان في البحر (٣/ ٢٨٩) ولعلّه استفاد فيه من الراغب.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩، ونصّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

(٣) وهذا مروي عن ميمون بن مهران قال: «أصحاب السرايا على عهد النبي ﷺ». انظر: جامع البيان (٨/ ٤٩٨).

(٤) ذكر أبو حيان عن ابن عباس وأبي هريرة والسديّ وابن زيد أنهم قالوا: أولو الأمر هم الأمراء. وذكر عن ابن زيد أنه قال: «أطيعوا الله في أوامره ونواهيه، والرسول ما دام حيًا، وسنته بعد وفاته». البحر المحيط (٣/ =

على الأئمة من أهل البيت[1]. وقال أبو هريرة: أولو الأمر أمراء السرايا[2]. وقد رُوِي أن النبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله**»[3]، وقال ابن عباس: هم أهل الفقه والدين، وأهل طاعة الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[4]، وكل هذه الأقوال صحيح، ومراد بالآية، ووجه ذلك

= ٢٩٠). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٥٩). قال البيضاوي: «يريد به أمراء المسلمين في عهد رسول الله ﷺ وبعده، ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية». أنوار التنزيل (١/ ٢٢٠).

(١) ذكره الرازي في التفسير الكبير (١٠/ ١١٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٩٠)، والنيسابوري في تفسيره غرائب القرآن (٢/ ٤٣٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٨٨) عن أبي هريرة. وذكره أبو حيان عن ميمون ومقاتل والكلبي. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٠).

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٤٩٥)، والبخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ رقم (٧١٣٧). ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب «وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية» رقم (١٨٣٥). والنسائي (٧/ ١٥٤) (٨/ ٢٧٦). وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب «طاعة الإمام» رقم (٢٨٥٩). وفي المقدمة، باب «اتباع سنة رسول الله ﷺ» رقم (٣).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس وجابر بن عبدالله ومجاهد وعطاء بن السائب والحسن وأبي العالية. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٩٩-٥٠٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٨، ٩٨٩)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٠)، =

أن أولي الأمر الذين يرتدع بهم الناس أربعة؛ **الأول**: الأنبياء، وحكمهم على ظواهر الخاصة والعامة وبواطنهم. **والثاني**: الولاة، وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم. **والثالث**: الحكماء، وحكمهم على بواطن الخاصة[1]، **والرابع**: الوعاظ، وحكمهم على بواطن العامة، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾[3] **قيل**: هو خطاب للكافة[4]، **وقيل**: بل لأولي الأمر منهم إذا وقع تنازع فيما بينهم في حكم[5]، وقوله:

= والوسيط (٢/ ٧١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٩)، وزاد المسير (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٠).

(١) في الأصل: «الخاص»، والصواب ما أثبته، بدليل ما بعده.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) قال ابن جرير الطبري: يعني بذلك جلّ ثناؤه: فإن اختلفتم أيها المؤمنون في شيء من أمور دينكم أنتم فيما بينكم، أو أنتم وولاة أمركم فاشتجرتم فيه «فردوه إلى الله». جامع البيان (٨/ ٥٠٤). وانظر: الوسيط (٢/ ٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٥٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٣٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٥) يعني إذا حصل خلاف بين العلماء والأمراء أو العلماء والعلماء أو الأمراء والأمراء، انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٤)، والوسيط (٢/ ٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦٠).

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ أي راجعوه بالسؤال في زمانه، وإلى كتاب الله وسنة نبيه بعده[1]، وقال الأصمّ: معناه ما لا تعلمونه فقولوا: الله ورسوله أعلم[2]. وهذا إن أراد به فيما لا سبيل لبشر إلى معرفته، أو فيما لا يبلغ إلى مرتبته فصحيح، وإن أراد أنه يقتصر على ذلك مع وجود سبيل إليه، أو احتياجه إليه فرضى بأخسِّ منزلة، وقد تعلّق بذلك مثبتوه أيضًا، وقالوا: جعل الله أحكامه ثلاثة أقسام: مثبتًا بالكتاب، ومثبتًا بالسنة، وعليهما دل قوله: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[3]، ومثبتًا بالاجتهاد والاستنباط، وهو ما يرد إلى الكتاب وسنة نبيه، قال: فالرد إليهما هو البناء على حكمهما[4]، وهذا هو القياس الشرعي[5]، والرد

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٣)، والوسيط (٢/ ٧٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٩١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٠/ ١١٧، ١١٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٣٥، ٤٣٦).

(٥) أما تعريف القياس. ففي اللغة: يقال: قاس الشيء يقيسه قياساً وقيساً، أي: قدّره. والمقياس: المقدار. والفعل: قسا يقسو فهو قاسٍ. والقياس: =

على هذا محمول على فائدة غير مستفادة من قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي من شرط الإيمان أن لا يتخطَّى مرسوم الله تعالى ومرسوم نبيه ﷺ، فمن ترك ذلك فقد ترك الإيمان(١)، وقوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ قال مجاهد: أحسن جزاء وعاقبة(٢)، وقال قتادة والسُّدِّي: عاقبة(٣)، وقال الزجاج: أحسن من تأويلكم من غير رد إلى كتاب الله والسنة(٤).

= التقدير. وفي الاصطلاح: حمل فرع على أصل في حكمٍ بجامع بينهما. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٢٥)، ومختصر الروضة للطوفي (٣/ ٢١٨).

(١) قال ابن كثير: «﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ دلَّ على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر...» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٠)، وزاد المسير (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٦، ٥٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٠)، والوسيط (٢/ ٧٢)، وزاد المسير (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨)، والنكت والعيون (١/ ٥٠١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾[1] الآية. قد تقدّم أن الزعم مطية الكذب[2]. والطاغوت مبنيٌّ من طغى[3]، كالجالوت من جال[4]، وقيل: كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت[5]، وقيل: هو اسم لكل ما شغل عن الله من نحو

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠، ونصّها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

(٢) انظر المفردات ص (٣٨٠)، وجاء في تاج العروس (١٦/ ٣١٩): «.. وقال شريح: زعموا كنه الكذب.. فشبّه ما يُقدِّمه المتكلم أمام كلامه ويتوصّل به إلى غرضه من قوله: زعموا كذا وكذا بالمطيّة التي يتوصل بها إلى الحاجة».

(٣) انظر: ما سبق في تفسير الآية (٥١) من سورة النساء ص (٦١٣) من هذه الرسالة.

(٤) ذكر الراغب [جالوت] في المفردات ص (٢١٣) في مادة: [جال]. وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١١/ ٥) في مادة [جَلَتَ]. وما ذكره من أنه مشتق من [جال] مخالف لما ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٨) من أنه اسم أعجمي غير مشتق بدليل أنه ممنوع من الصرف، ولما ذكره الفارسي أيضًا في المسائل الحلبيات ص (٣٥٣)، وانظر: المعرب للجواليقي ص (٢٤٥).

(٥) قال الطبري: «... وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكلِّ معظَّم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائناً ما كان ذلك المعظَّم=

الهوى ونحوه[(١)]، وعليه نبه بقوله ﷺ: «**الهوى إله معبود**»، ثم تلا: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[(٢)] ورُوِيَ أن ذلك نزل في رجل من المنافقين دعاه يهودي في خصومة إلى حكم [٢٧٤/أ] النبي ﷺ، فقال المنافق: / بل نتحاكم إلى الكاهن، **وقيل**: بل قال إلى الصنم، وهو أنهم كانوا يحضرونه ويضربون بالقداح، فمن خرج قدحه حكم له[(٣)]، ونبّه بقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ

= من حجر أو إنسان أو شيطان...» جامع البيان (٨/ ٤٦٥). ونسب أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢٨٣) إلى الزجاج وابن قتيبة ومالك.

(١) هذا ليس قولاً مستقلًا بل هو مندرج ضمن القول الأول وما ذكره من استدلال يدل على ذلك، وقال القشيري: «طاغوت كل أحد نفسه وهواه» لطائف الإشارات (٢/ ٣٤).

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣، ونصُّ الحديث: «**ما تحت ظل السماء إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع**» أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٠٣) رقم (٧٥٠٢) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٨): رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسن بن دينار وهو متروك الحديث. وقال الألباني في تخريج السنة: موضوع، إسناده مسلسل بالمتروكين. وليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الآية.

(٣) انظر هذا الخبر في: جامع البيان (٨/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩١، ٩٩٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٤)، والنكت والعيون (١/ ٥٠١)، والوسيط (٢/ ٧٣)، وأسباب النزول ص (١٦١)، =

﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ بعد قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أن إرادتهم بهذا الفعل مقرونة بإرادة الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدًا، وأن بفعلهم ذلك يجد الشيطان إلى ضلالهم سبيلًا، وهذا تنبيه أنه لولا اتباعهم الشهوات وإخلالهم بالعبادات لما وجد الشيطان إليهم سبيلًا، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾(١) الآية. والضلال البعيد هو الذي يصعب الرجوع عنه(٢)، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾(٤) الآية. **الصد**: كالسد: إلا أن السد بحائل محسوس، والصد بحائل في النفس من إرادة أو كراهة، ونحو ذلك(٥) من

= ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٢)، وزاد المسير (٢/ ١١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٢).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) قال النسفي: «﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾: مستمرًا إلى الموت». مدارك التنزيل (١/ ٣٦٩).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦١، ونصُّها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

(٥) **الصدّ**: هو المنع من قصد شيء مخصوص. انظر: الفروق ص (١٢٣)، والسَّدُّ: يُطلق على الصدّ، ويُطلق على ما يسدّ به من الموانع. انظر: المفردات=

الحوايل[1]. والآية من تمام القصة الأولى، ومن الأشياء التي دعوا إليها فصدّوا عنها آيات القتال، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[2] الآية. والتأكيد بالمصدر كقوله: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ هو أن الفعل له حقيقة ما وتجوُّزٌ به كاستعماله في بعض ما وُضِعَ له أو في غير ما وُضِعَ له، وإذا أريد أن يبين أنه مستعمل على وجهه وحقيقته ضُمَّ إليه مصدره. هذا فائدته.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾[3] الآية. رُوِي أن ذلك المنافق مع اليهودي لما تحاكما إلى النبي ﷺ فحكم لليهودي قال المنافق: لا أرضى بذلك. ثم تحاكما إلى أبي بكر فكان كمثل، ثم تحاكما إلى عمر، فقال المنافق: كان من الأمر كذا، فقال له عمر: قف لأخرج إليك، فدخل وأخذ السيف فخرج وقتله،

= ص (٤٠٣). وقال الزمخشري: «صدَّ السبيل: إذا اعترض دونه مانع من عقبة أو غيرها، فأخذت في غيره». أساس البلاغة ص (٢٥٠)، وانظر: المفردات (٤٧٧)، واللسان (٣/ ٢٤٥).

(١) في الأصل: ونحو ذلك قوله من الحوايل، وليس له معنى.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٢، ونصُّها: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾.

فشكوا إلى النبي ﷺ فلما سأله؟ قال عمر: قتلته لأنه ردَّ حكمك، فقال ﷺ: «أنت الفاروق»، ثم جاء أصحابه إلى النبي ﷺ يحلفون كذبًا إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا[1]. إن قيل: ما المسئول عنه بقوله: كيف؟ وما الذي يتعلق به إذا؟ وعلى ماذا عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾؟ وأيّ مصيبة أريدت بذلك: التي نالتهم في الدنيا بقتل صاحبهم أم شيء منتظر؟ قيل: أما المسئول عنه فمحذوف كما حُذِفَ في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[2]، وبقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾[3] وتقديره: كيف حالهم ومقالهم[4]؟ وأما إذا فإنه يتعلّق بذلك المضمر[5]، وأما قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ فمعطوف على قوله: ﴿أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾،

---

(١) ورد هذا الخبر من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انظر: أسباب النزول ص (١٦٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣)، والعجاب (٢/ ٩٠٣). وأخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٤٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٤) قال الزجاج: «أي فكيف تكون حالهم إذا قتل صاحبهم بما أظهر من الخيانة وردّ حكم النبي ﷺ». معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٩). وانظر: الدر المصون (٤/ ١٦).

(٥) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ١٦).

وتقديره: كيف حالهم إذا أصابتهم مصيبة بما قدّمت أيديهم بارتكابهم وبمجيئهم من بعد إليك حالفين كذبًا: إننا ما أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا، وأما المراد بالمصيبة المذكورة فما ينالهم في الآخرة من العذاب والحسرة والندامة، فيقول: إن تألّموا من هذه فكيف تألُّمهم إذا أصابتهم مصيبة في الآخرة(١)، وقد تقدَّم(٢) أن الإحسان هو الفضل الموفي على العدالة(٣)، **والتوفيق**: موافقة أمر الله والرضا بقضائه، وهما غاية ما يراد من الإنسان(٤)، فنبه أنهم

---

(١) من العلماء من قال: إن المصيبة في الآية هي قتل ذلك المنافق كما ذكره الزجاج. ومنهم من قال: إن المصيبة هي ما يُنزل الله بهم من النقمة على ذنوبهم. وهو قول ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٥١٤)، وقيل: كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة. ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٣، ٢٤٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٩٣).

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق ٥٧ - مخطوط)، لقوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. البقرة: ٥٨.

(٣) قال الراغب: «والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير. والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا.. أو عمل عملًا حسنًا والإحسان أعم من الإنعام.. وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾، فالإحسان فوق العدل، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع..» المفردات ص (٢٣٦، ٢٣٧).

(٤) فسّر أبو حيان التوفيق بأنه ما يوافق الحق من الأمور. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٣)، والمفردات ص (٨٧٧).

يدّعون هاتين الحالتين كذبًا . / [٢٧٤/ ب]

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[(١)] . القول البليغ: [إذا][(٢)] اعتُبر بنفسه، فهو ما يجمع أوصافاً ثلاثة: أن يكون صوابًا في موضع لغته، وطبقًا للمعنى المقصود به، لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه، وصدقًا في نفسه، وإذا اعتبر بالمقول له والقائل فهو الذي يقصد به قائله الحق، ويجد من المقول له قبولاً، ويكون وروده في الموضع الذي يجدر[(٣)] أن يورد فيه، فكل قول اجتمع فيه هذه الأوصاف فهو البليغ من كل وجه[(٤)]، وقول العرب: أحمقُ بُلْغٌ وبَلْغٌ، إذا بلغ مع حماقته حاجته، وقد يقال ذلك للمتناهى في حماقته[(٥)]، وقول من قال: القول البليغ هو أن يقال لهم:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٢) ساقط من الأصل، والسياق يقتضيه.

(٣) في الأصل: (يجد)، ويبدو أن الناسخ أسقط الرّاء في آخر الكلمة بدلالة السياق.

(٤) ذكر الراغب ذلك في المفردات ص (١٤٥)، وقال الزجاج: «يقال: قول بليغ: إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه». معاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٠)، والإيضاح في علوم البلاغة (١١/ ١٤)، وشروح التلخيص (١/ ٧٣)، وشرح التلخيص ص (١٤-١٥).

(٥) قال الميداني: «أحمق بُلْغٌ. أي: يبلغ ما يريد مع حمقه، ويروى: بَلْغُ بفتح الباء أي: بالغ مراده» مجمع الأمثال (١/ ٢٠٥). وانظر: معاني القرآن=

[إن][1] أظهرتم ما في أنفسكم قتلناكم[2]، وقول من قال: خوِّفهم بمكاره تنزل بهم في الدنيا والآخرة[3]، فإشارة إلى بعض مقتضى الآية، ونبه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ على أمرين: **أحدهما**: نهي الناس أن يُخفوا في أنفسهم غير الحق. **والثاني**: أن يقتصر من كل واحد في أحكام الدنيا على ما يظهره، وترك الفحص عما يضمره، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ

= وإعرابه (٢/ ٧٠) حيث قال فيه الزجاج: «إنه أحمق يبلغ ما يريد، ويكون أحمق بُلْغ وبَلْغ: قد بلغ في الحماقة. والقول الأوّل قول من يوثق بعلمه والثاني وجه جيّد». وانظر: جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ١٦٨).

(١) ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في معاني القرآن للزجاج، والمفردات للراغب.

(٢) وهو قول الحسن. انظر: النكت والعيون (١/ ٥٠٣)، والوسيط (٢/ ٧٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٦٤)، وذكر الزجاج ونحوه في معاني القرآن (٢/ ٧٠).

(٣) قال أبو السعود: «أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم، مؤثراً في قلوبهم، يغتمون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً، وهو التوعد بالقتل والاستئصال، والإيذان، بأن ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خافٍ على الله تعالى، وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات...» إرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٦). وكلام أبي السعود نقله من الزمخشري. انظر: الكشاف (١/ ٥٢٧). وذكر الراغب هذا القول في المفردات ص (١٤٥). وانظر: التفسير الكبير (١٠/ ١٢٨).

عَنۡهُمۡ﴾ الآية، قولان: **أحدهما**: أنه أمر أن يقابل جماعتهم بهذه المعاملة الثلاث، من الإعراض عنهم، والتجافي عن ذمهم، وقول المعروف لهم[1]، **والقول الثاني**: أن كل واحد من الأحكام الثلاثة إلى فرقة على حدة، فالإعراض عمن يظهر الإسلام، لقوله [عليه][2] السلام: «**أمرت أن أقاتل الناس . . .**»[3] الخبر.

---

(١) هذا القول هو الذي اقتصر عليه عامة المفسرين ولم يذكروا في الآية قولين. انظر: جامع البيان (٨/ ٥١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٣)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٦٤)، والتفسير الكبير (١٠/ ١٢٧، ١٢٨)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٦٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٢)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٦).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب «فضل استقبال القبلة» رقم (٣٩٢). ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب «الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» رقم (٢٠). وأبو داود في كتاب الزكاة رقم (١٥٥٦)، وفي كتاب الجهاد، باب «على ما يقاتل المشركون» رقم (٢٦٤٠). والترمذي في كتاب الإيمان، باب «ما جاء في أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» رقم (٢٦٠٦، ٢٦٠٧) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب «الكف عمن قال: لا إله إلا الله» رقم (٣٩٢٧-=

والوعظ للأوساط. والقول البليغ للخواص. وهؤلاء الفرق الثلاث هم المذكورون بقوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۞ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾(١) إلى آخر القصة.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٢). استغفار الإنسان وتوبته يمكن أن يقال: هما في الحقيقة/ واحد، لكن [٢٧٥/أ] اختلافهما بحسب اعتبارهما بغيرهما؛ فالاستغفار يقال إذا استُعمل في الفزع إلى الله تعالى، وطلب الغفران منه. والتوبة تقال إذا اعتُبر بترك العبد ما لا يجوز فعله وفعل ما يجب، ولا يكون الإنسان طالباً في الحقيقة لغفران الله إلا بإتيان الواجبات، وترك المحظورات، ولا يكون تائبًا إلا إذا حصل على هذه الحالة، ويمكن أن يقال: الاستغفار مبدأ التوبة، والتوبة تمام الاستغفار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟

= ٣٩٢٩)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٧٧)، والطبراني في الأوسط (١٢٩٤)، وابن حبان (٢١٧)، والبزار كما في البحر الزخار رقم (٢١٧)، وابن خزيمة (٢٤٤٨).

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[1] وأما استغفار الرسول ﷺ لهم فهو الدعاء لهم، وهو ضرب من الشفاعة في الدنيا[2]، وعلى ذلك حثَّ تعالى بقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[3] والقصد بالآية لما قَتَل عمر ذلك المنافق، وكان ظاهره الإسلام ووقع شبهة على من لم يتصوَّر حاله، بيَّن تعالى جواز قتله بألطف حجة، دل عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[4]، وبيانه أن خصوصية الرسول عليه الصلاة والسلام طاعته فيما[5] يحكم به، تنبيهًا أن [من][6] لم يطعه لم يؤمن به، وهذا المقتول لم يطعه، فإذًا لم يؤمن به، ومن لم يؤمن برسوله من غير مانع فمستحقٌّ للقتل، فإذًا هذا المنافق

---

(١) سورة هود، الآية: ٩٠. قال العسكري: «الفرق بين الاستغفار والتوبة أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرها من الطاعة، والتوبة: الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة..» الفروق ص (٢٥٨).

(٢) قال الواحدي: «﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ سأل الله لهم أن يغفر لهم ما تقدم من تكذيبهم». الوسيط (٢/ ٧٤). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٧).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٥) في الأصل: [فيما لم يحكم به]، والصواب ما أثبتناه.

(٦) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

مستحق للقتل. إن قيل: لِمَ قال ﴿ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ ولم يقل: فاستغفرت؟ قيل: تنبيهًا على مقتضى فضيلة الرسالة، وأن بفضيلتها يستحق قبول شفاعته وموقع استغفاره[1].

قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2]. المشاجرة: المنازعة، وأصله من اختلاط الأشجار، وشَجَر بيته رفعه بالشجر، والشِّجار اسم ما يرفع به من الشجر. ومصدر شَاجَره أي نازعه، والتشاجُر يكون بالأبدان بالحرب وباللسان في القول[3]. والحرج: الضيق، وأصله الحرجة الملتفة

---

(١) قال أبو حيان: «والتفت في قوله: ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ ولم يجيء على ضمير الخطاب في ﴿ جَآءُوكَ ﴾ تفخيمًا لشأن الرسول، وتعظيمًا لاستغفاره، وتنبيهًا على شفاعة من اسمه الرسول من الله تعالى بمكان، وعلى أن هذا الوصف الشريف وهو إرسال الله إياه موجب لطاعته...» البحر المحيط (٣/ ٢٩٥). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٣١)، وتفسير غريب القرآن (١٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٩)، وغريب القرآن ص (٢٨٥)، ومجمل اللغة ص (٣٩٩)، والمفردات ص (٤٤٦)، واللسان (٤/ ٣٩٦)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٢٩٠).

من الأشجار، وسأل عمر رضي الله عنه أعرابيًا عن الحرج، فقال: هو أن يلتف الشجر ويناشب فلا يصل إليه شيء، قال: فكذلك قلب الكافر محظور عليه الإيمان، ممتنع امتناع/ هذه الحرجة[1]. [٢٧٥/ب]

وقوله: ﴿لَا﴾ في أول الكلام هو ردّ لزعمهم: أنا آمنا. فقال: لا، أي ما آمنوا[2]، ولفظة: لا، قد ينفى به الفعل الماضي إذا لم يذكر معه الفعل، كقوله: أخرجت؟ فتقول: لا، ويجوز أن [يكون][3] نفيًا للثاني، لكن حذف معه الفعل اكتفاء بما ذكر من بعده[4]، وعلى الوجهين قول الشاعر:

لا وأبيك أبنت العامري   لا يدعي القوم أنّي أفِرُّ[5]

---

(١) ذكر ابن منظور هذا الخبر في اللسان (٢/ ٢٣٤)، ونسبه إلى ابن عباس بدلاً من عمر رضي الله عنهما. وانظر: معاني الحرج في: العين (٣/ ٧٦)، ومجاز القرآن (١/ ١٣١)، وجامع البيان (٨/ ٥١٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٠)، ومجمل اللغة ص (١٦٦)، والمفردات ص (٢٢٦، ٢٢٧)، والقاموس ص (٢٣٤، ٢٣٥)، واللسان (٢/ ٢٣٣-٢٣٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٧).

(٢) قاله الطبري في جامع البيان (٨/ ٥١٨).

(٣) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: مغني اللبيب ص (٣٢٧-٣٣٠). وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٩٢).

(٥) البيت لامرئ القيس. قال البغدادي: «وهذا البيت مطلع قصيدة لامرئ=

والآية من تمام القصة المتقدّمة، وقول من قال: نزل في حاطب ابن أبي بلتعة[1] حيث اختصم مع الزبير بن العوّام[2] في سبب

= القيس على الصحيح». الخزانة (١١/ ٢٢٤). وهو في ديوان امرئ القيس بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص (١٥٤)، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين (١/ ١١٢)، وفي ديوان امرئ القيس برواية الأعلم ص (٣٠٠) بزيادة فاء في مطلعه [فلا وأبيك]، والمحتسب (٢/ ٢٧٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (١/ ١٠)، وخزانة الأدب (١١/ ٢٢١)، وضرائر الشعر لابن عصفور ص (١٣٢).

(١) **حاطب** بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد، شهد بدرًا، وكان بنوه وإخوته بمكة، فكتب لكبار قريش كتابًا، يخبرهم فيه بعزم رسول الله ﷺ على فتح مكة ليكون له يدٌ عندهم، فأعلم الله نبيَّه ﷺ خبره، فعفا عنه لشهوده بدرًا، مات سنة ٣٠هـ، وله خمس وستون سنة. انظر: الاستيعاب (٤٧٢)، وأسد الغابة (١/ ١٠)، والإصابة (٢/ ٤).

(٢) **الزبير** بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعُزّى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبدالله، حواري رسول ﷺ وابن عمته، أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل: ثمان سنين، وكان من المعذَّبين في الله، قتل رحمه الله بعد أن رجع عن قتال علي بن أبي طالب يوم الجمل، وكان قتله في جمادي الأولى سنة ٣٦هـ وله ست أو سبع وستون سنة، قتله رجل من بني تميم يقال له عمرو بن جرموز. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤١)، والتقريب ص (٢١٤)، والإصابة (٢/ ٤٥٧).

الماء[1] إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فحكم للزبير، فسخط حاطب[2]، فإنه يجوز أن شأن نزوله هذه الحال، ويجوز

---

(١) سبب الماء: مسيل الماء. وهو المعروف بشراج الحرّة. انظر فتح الباري (٥/ ٤٣، ٤٤).

(٢) اتفقت الروايات التي أوردت هذه القصة أن الزبير خاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرًا، واختلفت الروايات في تعيين الرجل الذي خاصم الزبير، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أنه وقع في بعض الروايات أن اسمه حميد، قال: وليس في البدريين من الأنصار من اسمه حميد، قال: وحكى ابن بشكوال في مبهماته عن شيخه أنه ثابت بن قيس بن شماس، قال: ولم يأت على ذلك بشاهد، وليس ثابت بدريًا، وحكى الواحدي أنه ثعلبة بن حاطب الأنصاري الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ ولم يذكر مستنده، وليس بدريًا أيضاً. . وحكى الواحدي أيضاً وشيخه الثعلبي والمهدوي أنه حاطب بن أبي بلتعة، وتُعقِّب بأن حاطباً وإن كان بدريًا لكنه من المهاجرين، لكن مستند ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن عبدالعزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية. قال: «نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة، اختصما في ماء. الحديث. وإسناده قوي مع إرساله. فإن كان سعيد بن المسيب سمعه من الزبير فيكون موصولاً، وعلى هذا فيؤول قوله: من الأنصار على إرادة المعنى الأعم. . .» فتح الباري (٥/ ٤٣، ٤٤). والقصة رواها ابن جرير الطبري في جامع البيان(٨/ ٥١٩-٥٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم=

أن يكون قد نزل فيهما، وبيّن تعالى أن التوقُّف في إلزام حكمك فيما وقع بينهم من المشاجرة هو مخرج لهم عن الإيمان، وإنما يكون حصول الإيمان الحقيقي بعد أن لا يروا ضيق صدر في جميع ما تحكم به، ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾: أي يسلمون ظواهرهم وبواطنهم[(١)]، والتسليم منّا هو الإسلام المأمور به في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(٢)]، وهو

= (٣/ ٩٩٣، ٩٩٤)، والبخاري في كتاب الشرب والمساقاة، باب «شرب الأعلى مثل الأسفل» رقم (٢٣٦١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب «وجوب اتباعه ﷺ» رقم (٢٣٥٧)، وأبو داود في كتاب الأقضية، باب «في القضاء» رقم (٣٦٣٧)، والترمذي في كتاب الأحكام، باب «ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء» رقم (١٣٦٣) وقال: حديث حسن. والنسائي (٨/ ٢٣٨)، وابن ماجه في كتاب الرهون، باب «الشرب من الأودية ومقدار حبس الماء» رقم (٢٤٨٠). وأخرجه أحمد (٤/ ٤)، وعبد بن حميد (٥١٩)، وابن الجارود (١٠٢١)، وابن حبان (٢٤)، والبغوي (٢١٩٤)، والبيهقي (٦/ ١٥٣)، (١٠/ ١٠٦).

(١) قال النسفي: أي: وينقادوا لقضائك انقيادًا. وحقيقته: سلم نفسه له وأسلمها، أي: جعلها سالمة له. أي خالصة. و ﴿تَسْلِيمًا﴾ مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره، كأنه قيل: وينقادوا لحكمك انقيادًا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم. والمعنى: لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك. مدارك التنزيل (١/ ٣٧١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

المسئول في قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾(١).

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾(٢). نبّه تعالى على عقيدتهم ووهن إيمانهم، وأن المؤمن في الحقيقة من يسلّم تسليمًا كما تقدّم ذكره، وبين أن هؤلاء [لم يؤمنوا](٣) بعد، بحيث لو أوجب عليهم قتل أنفسهم أو الإخلال بدورهم لكان أكثرهم ممتنعين، ثم أخبر أنهم لو قبلوا الموعظة لكان ذلك خيرًا لهم وأشدّ تثبيتًا(٤)، أي أشد لتحصيل عملهم ونفي جهلهم، وقيل: أثبت لأعمالهم واجتناء ثمرة فعالهم(٥)، وأن يكونوا بخلاف من قيل فيهم: ﴿وَقَدِمْنَآ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والسياق يقتضيه.

(٤) نقل أبو حيان هذه العبارة عن الراغب في البحر المحيط (٣/ ٢٩٨).

(٥) أكثر المفسرين على أن التثبيت في الآية هو التصديق واليقين. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٢٩)، والوسيط (٢/ ٧٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٥)، وزاد المسير (٢/ ١٢٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٦٩)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٥).

﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1] ورُوِيَ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قالوا: لو أن ربنا تعالى فعل لفعلنا، فالحمد لله الذي عافانا فعرف رسول الله ﷺ أن ذلك منهم حقٌّ [فقال][2]: «**والذي نفس محمد بيده للإيمان أثبت في**[3]/ [٢٧٦/أ] **قلوب المؤمنين من الجبال الرواسي**»[4]، ورُوِيَ أنه أشار إلى عبدالله بن رواحة[5]، وقال: «**إنه من القليل**»[6]، ورُوِيَ أنه

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) تكرر حرف (في) في الأصل.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٢٦) بسنده عن أبي إسحاق السبيعي مرسلًا. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٩٥) عن الحسن مرسلًا. وانظر: العجاب (٢/ ٩١١)، والدر المنثور (٢/ ٣٢٤).

(٥) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن الخزرجي الأنصاري الشاعر الفارس المشهور، كان أحد النقباء ليلة العقبة وكان يكتب للنبي ﷺ، وهو الذي جاء ببشارة وقعة بدر إلى المدينة، شهد بدرًا وما بعدها حتى استشهد بمؤتة. انظر: الإصابة (٤/ ٧٢)، وتقريب التهذيب ص (٣٠٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال: «إن ثابت بن قيس[1] من القليل الذي استثنى الله تعالى»[2].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[3]. بيّن أنهم لو قبلوا الموعظة لجمع لهم بين خير الدنيا والآخرة، وذلك هو المعني بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[4] والصراط المستقيم الذي وعدهم هو الذي حرّضَ على سؤاله في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[5]. وإنما قال: ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ لأنه تعالى لا يكاد ينسب إلى نفسه من النعم إلا ما كان أجلَّها قدرًا وأعظمها خطرًا، نحو: وروحنا.

قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك الخزرجي الأنصاري، خطيب الأنصار، من كبار الصحابة، شهد أحدًا وما بعدها، بشره النبي ﷺ بالجنة، وقتل يوم اليمامة شهيدًا. انظر: الإصابة (١/ ٥١١)، والتقريب ص (١٣٣).

(٢) ذكره ابن حجر في العجاب (٢/ ٩١٢)، وعزاه لمقاتل. وهو في تفسيره (١/ ٢٥٠).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

رَفِيقًا ﴾[1]. أصل الرفق: التفكُّر في الأمر والتثبُّت، ويضاده الخرق، وقيل ذلك للمعاونة، ومنه المِرفق والمَرفق[2]، والرفقة للجماعة المعاونة في السفر، والرفيق كالصديق، ويقالان للواحد والجمع[3]، والفرق بين الرسول والنبيّ أن الرسول أخصّ، فكل رسول نبيٌ وليس كلُّ نبيّ رسولاً، فإنّ الرسول يختص بمن جعله واسطة بينه وبين عباده لتبيين أحكام بوحيٍ مسموع عن مَلَكٍ، والنبيّ قد يقال لمن يجدد على الناس شريعة من تقدمّه وإن كان يوحى إليه بإلهام أو منام وأخصّ من الرسول أولو العزم من الرسل[4]، وقد تقدّم ذكر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) قال ابن منظور: «والرفقُ، والمِرْفَقُ، والمَرْفِقُ، والمَرْفَقُ: ما استعين به. وقال الجوهري: والمِرْفقُ، والمَرْفِقُ: موصِلُ الذراع في العضد». لسان العرب (١٠/ ١١٨، ١١٩).

(٣) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (١٠١، ١٠٢)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٠٩-١١٣)، والصحاح (٤/ ١٤٨٢)، والفروق ص (٢١٥).

(٤) انظر: الزاهر (١/ ٣٤-٣٦)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٢٩١-٢٩٣)، والفروق لأبي هلال ص (٣١٩)، والكليات لأبي البقاء ص (٩٠٠). وأولو العزم من الرسل خمسة ذكرهم الله عز وجل على انفرادهم في موضعين من كتابه؛ في سورة الأحزاب الآية (٧)، وسورة الشورى الآية (١٣) وقد جمعهم الناظم في قوله:

أولو العزم نوحٌ والخليل الممجَّد ... وموسى وعيسى والنبيّ محمد

انظر: محاسن التأويل (٩/ ٥٣٦٩)، وأعلام السنة للحكمي ص (١٠٥).

ذلك[(١)]، وقد قسّم الله تعالى المؤمنين في هذه الآية أربعة أقسام، وجعل لهم أربعة منازل، بعضها دون بعض، وحثّ كافة الناس أن لا يتأخروا عن منزل واحد منهم؛ **الأوّل: هم الأنبياء**: الذين تمدهم قوة إلاهية، ومثلهم كمن يرى الشيء عيانًا من قريب، ولذلك قال تعالى في صفة نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[(٢)]. **والثاني: الصديقون**: وهم الذين يتاخمون[(٣)] الأنبياء في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عيانًا من بعيد، وإياه عنى أمير المؤمنين/ حيث قيل: هل رأيت الله؟ فقال: ما [٢٧٦/ب] كنت لأعبد شيئًا لم أره، ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان[(٤)]. **والثالث: الشهداء**: وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين، ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب، كحال حارثة[(٥)]، حيث قال: كأني

---

(١) انظر: تفسيره الراغب (ق ١٦٩ - مخطوط).
(٢) سورة النجم، الآية: ١٢.
(٣) يتاخمون: أصل المتاخمة: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود والمعنى هنا: يقاربون. انظر القاموس ص (١٣٩٩).
(٤) هذا قول محمد بن علي ابن الحسين، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٤/ ٢٨٢).
(٥) الحارث بن مالك الأنصاري لم يذكر مترجموه شيئًا عنه سوى هذا الحديث الذي أورد الراغب قطعة منه، وهو أن النبيّ ﷺ قال له: «كيف =

أرى عرش ربي[1]. وإياه قصد النبي ﷺ، حيث قال: «اعبد[2] الله كأنك تراه»[3]. والرابع: **الصالحون**: وهم الذين يعلمون الشيء بإقناعات وتقليدات للراسخين في العلم، ومثلهم كمن يرى

= أصبحت يا حارث؟» قال: أصبحت مؤمناً حقًّا. فقال: انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا. . .» الحديث. انظر: أسد الغابة رقم (٩٥٧)، والإصابة رقم (١/ ٦٨٩).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦، ٢٦٧) رقم (٣٣٦٧)، وابن أبي شيبة: في كتاب الإيمان ص (٤٣) وضعفه الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب ص (٤٣) هامش رقم (١٠٥).

(٢) في الأصل «اعبدوا» بواو الجماعة والمحفوظ الإفراد.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان رقم (٥٠). ومسلم في كتاب الإيمان، باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان» رقم (١)، وأبو داود في كتاب السنة، باب «في القدر» رقم (٤٦٩٥). والترمذي في كتاب الإيمان، باب «ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام» رقم (٢٦١٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في كتاب الإيمان، باب «نعت الإسلام» (٨/ ٩٧). وابن ماجه في المقدمة، باب «في الإيمان» رقم (٦٣)، وأخرجه أحمد (١/ ٢٧ - ٢٨)، والطيالسي رقم (٢)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٤، ٤٥)، وابن حبان رقم (١٦٨، ١٧٣)، وابن خزيمة رقم (١، ٢٥٠٤)، والبغوي رقم (٢)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٩٧٣).

الشيء من بعيد في مرآة، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1]، أي كن من الشهداء بما تكتسبه من العلم والعمل الصالح، فإن لم تكن منهم فكن من الصالحين، وتقدير الآية على وجهين: **أحدهما**: من أطاع الله ورسوله منكم ألحقه الله بالذين يقدمهم ممن أنعم عليهم من الفرق الأربع في المنزلة والثواب، النبي بالنبي والصّدّيق بالصديق، والشّهيد بالشّهيد والصّالح [بالصّالح][2]. **والثاني**: أن قوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ إشارة إلى الملأ الأعلى، ثم قال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ ويبين ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام في حين الموت: «**اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى**»[3]، وهذا

---

(١) تقدم تخريجه في الهامش السابق. وقد نقل أبو حيان كلام الراغب بتمامه في تقسيم المؤمنين إلى أربعة أقسام ثم قال بعد أن ذكره: «وهو شبيه بكلام المتصوفة» البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) رواه البخاري في الرقى، باب «تمني المريض الموت» رقم (٥٦٧٤). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٤٤). ومالك في الموطأ في كتاب الجنائز، باب «جامع الجنائز» (١/ ٢٠٦)، رقم (٤٦). وأحمد في المسند (٦/ ٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٠٨).

ظاهر[1]، وهذه الآية كأنها مردودة إلى ما تقدّم من قوله: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[2] فلما تمّم القصة بيّن ما لمطيعهم من الثواب بهذه الآية، ورُوِي أن رجلًا من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ كئيبًا، فقال: يا رسول الله نحن نغدو[3] عليك ونروح ننظر في وجهك ونجالسك، وغدًا ترفع إلى النبيين فلا نصل إليك. فسكت النبي ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام بهذه الآية[4].

---

(١) اعترض أبو حيان على ما ذكره الراغب في الوجه الثاني حيث قال بعد أن أورد كلام الراغب: «وهذا الوجه الذي هو عنده ظاهر فاسد من جهة المعنى ومن جهة النحو، أما من جهة المعنى، فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ، أخبر الله تعالى أن من يطيعه ويطيع رسوله فهو مع من ذكر. ولو كان ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ معلقًا بقوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ لكان قوله: ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ تفسيرًا لـ ﴿ مَّنَ ﴾ في قوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ﴾، فيلزم أن يكون في زمان الرسول أو بعده أنبياء يطيعونه، وهذا غير ممكن، لأنه قد أخبر تعالى أن محمدًا هو خاتم النبيين. وقال هو ﷺ: «لا نبيّ بعدي». وأما من جهة النحو: «فما قبل فاء الجزاء لا يعمل فيما بعدها...» البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) في الأصل: (نغتدوا) وهو تصحيف، والصواب ما أثبتّه.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٣٤)، وبنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٩٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٧٧)، وأسباب النزول ص (١٦٥، ١٦٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٧)، والعجاب (٢/ ٩١٢).

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[1].

لما كانت نعم الله تعالى ضربين: دنيويًا ولا يصل إلينا من الله إلا بواسطة، أو وسائط كالمال والجاه وغير ذلك. وأخرويًا يصل إلينا لا بواسطة، بين الله تعالى أن ذلك الفضل الذي ذكره بقوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[2] هو من الله على الإطلاق، فنُسبَ إلى نفسه تفخيمًا لأمره، كما قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3]،/ وقوله: [277/أ] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[4] ونحو ذلك، فخبر الابتداء على هذا هو ﴿مِنَ ٱللَّهِۚ﴾، ويجوز أن يكون مبتدأ، و ﴿ٱلْفَضْلُ﴾ خبره، كقولك: ذاك هو الرجل، وهذا هو المال، تنبيهًا على كماله، فإن الشيء إذا عظم أمره يوصف باسم جنسه، كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾[5]، ويكون قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ في موضع الحال، أو خبر ابتداء مضمر[6]، ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٤) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٦) الوجه الأول وهو كون (من الله) الخبر هو قول النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٧٠)، وأجاز أبو البقاء الوجهين، انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٩٣).

بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ تنبيهًا أنه هو أعرف بمقادير الفضل، وقد حكم بأن الفضل المعتد به هو ذاك.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾[1]. حذركم: قيل: معناه أسلحتكم[2]، وقيل: معناه احذروا[3]، والثبة للجماعة المنفردة[4]، قال الشاعر:

وقد أغدو على ثبةٍ كرام[5] ....

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٢) وهو قول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٣٦) وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٥٠٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٧٩)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٤٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٢٩).

(٣) وهو قول الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٧٤). وذكره الماوردي في النكت (١/ ٥٠٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٢٩)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٢٧٣)، والنسفي في مدارك التنزيل (١/ ٣٧٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٠٢)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٧).

(٤) قال أبو عبيدة: ومعنى (ثبات): جماعات متفرقة. مجاز القرآن (١/ ١٣٢). وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٣٦، ٥٣٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٥)، وغريب القرآن ص (١٧٠)، وعمدة الحفاظ (١/ ٣١٤).

(٥) هذا صدر بيت من بحر الوافر لزهير بن أبي سلمى، وتمامه:

وقد أغدو على ثبة كرام ... نشاوى واجدين لمن نشاء

وهو في ديوانه ص (٧٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وجامع البيان (٨/ =

ومنه ثبت على فلان إذا ذكرت متفرق محاسنه، وتصغر ثُبة على ثُبَيَّة، وتجمع على ثُبات وثُبين، وأما ثُبة الحوض فوسطه الذي يثوب إليه الماء[1]. وأصل النفر: الانزعاج، وذلك على ضربين: انزعاج عن الشيء، وانزعاج إليه[2]، وعلى ذلك الفزع: فزع عن الشيء، وفزع إليه[3]، قال:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم[4] ....

والنفر: للجماعة الذين ينفرون إلى حرب[5]، والمنافرة في

= ٥٣٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٥)، والمفردات ص (١٧٢).

(١) عبارات الراغب هنا في شرح الثبة تكاد تكون مطابقة لعباراته في المفردات ص (١٧٢)، وانظر: لسان العرب (١٤/ ١٠٧، ١٠٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٩، ٢١٠)، والمفردات ص (٨١٧)، وعباراته فيه قريبة من عباراته هنا.

(٣) انظر: الصحاح (٣/ ١٢٥٨).

(٤) هذا صدر بيت من بحر الطويل لزهير بن أبي سلمى وتمامه:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم ... طوال الرماح لاضعاف ولا عزل

من قصيدة مطلعها:

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو ... وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

انظر: ديوانه ص (٩٦) و(١٠٢).

(٥) قال العسكري: «النفر: الجماعة نحو العشرة من الرجال خاصة، ينفرون لقتال وما أشبهه.. ثم كثر حتى سموا نفرا وإن لم ينفروا» الفروق ص (٣٠٧).

الحكم أصله أن يتحاكم اثنان أيّهما أفضل نفرًا[١]، قال ابن عباس: هذه الآية نسخها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾[٢] وإنما عنى بذلك التخصيص والتنبيه أن ليس يلزم النفر جماعتهم، ونحو ذلك قوله: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[٣] الآية، أنها في الحرب وفي الحقيقة فيها وفي المبادرة إلى جميع ثواب الله.

وقوله: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ نحو ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[٥]، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾[٦]، ونحو قوله: ﴿فَٱنفِرُوا۟﴾[٧]، ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

---

(١) في العين: «والمنافرة: المحاكمة إلى من يقضي من خصومه أو مفاخره.. وكأنما جاءت المنافرة في بدء ما استعملت أنهم كانوا يسألون الحاكم: أينا أعزُّ نفرًا» العين (٨/ ٢٦٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢. وانظر قول ابن عباس في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٨)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠٢).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٧) سورة النساء، الآية: ٧١.

عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، وفي قوله: ﴿ثُبَاتٍ﴾ أو ﴿جَمِيعًا﴾ تنبيه أنه لا يجب أن يعتبر طالب الحق كثرة مصاحبيه وقلتهم، نحو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا * وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ/ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[3]. البطء والريث والأناة والثبات واللبث تتقارب، ولكن الثبات يقتضي الزوال، ويقالان متعديين عن بطء تقول يُبطئن أي يثبط غيره، وقيل: يكثر هو التثبيط في نفسه[4]، بيّن تعالى أن قومًا بعد فيكم ومنكم أي يتأخرون عن الحرب أو يؤخرون غيرهم، فإن أصابكم جهد وبلاء من الدنيا يُسرّون بتأخرهم عنكم، ويريدون أن ذلك نعمة نالتهم، تنبيهًا أنهم لا يعدون النعمة إلا من أعراض الدنيا، ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ﴾ [٢٧٧/ب]

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

(٤) انظر: أفعال ابن القوطية ص (١٢٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٥)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣٨، ٢٦٧)، و (١٥/ ٩٢، ١٢٥، ٥٥٣)، والمفردات ص (١٣٢).

أي غنيمة وظفر يتحسرون على تأخرهم عنكم ويحسدونكم على الفضل الذي أوتيتم[(١)]، وفي قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ أقوال: **الأول**: أن يكون حكاية عنهم، أي ليقولن لمن يثبطكم: كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة، حيث لم يستعينوا بكم، ثم يقولون: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾ فيكون القول الأول منهم إثارة للشر. والقول الثاني منهم إظهارًا للحسد[(٢)]. **والثاني**: أن ذلك اعتراض متعلق بالجملة الأولى، وتقديره يقولون: قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدًا، كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة، فأخّر ذلك[(٣)]، وذلك مستقبح في العربية،

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣٨، ٥٤٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٦)، والوسيط (٢/ ٧٩، ٨٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧).

(٢) هذا قول عامة المفسرين. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣٨-٥٤٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٩، ١٠٠٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٧٣، ١٧٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٠، ٢٠١).

(٣) وهذا رأي الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٦)، وجوّزه النحاس في معاني القرآن (٢/ ١٣٣)، وانظر: مشكل إعراب القرآن ص (٢٠٢)، وإملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٩٣).

فإنه لا يفصل بين بعض الجملة التي دخل في إثباتها[١]، وتقديره: يقول: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا كأن لم تكن[٢]، أي قولهم ذلك قول من ليس بينكم وبينهم مواصلة دينية، وذلك تنبيه على ضعف عقيدتهم، وسوء نيتهم، وقيل في قوله: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ مِنَّةٌ منه على قومه من المنافقين[٣]، إذ يثبطهم عن الخروج، وإنه قد ظهر ثمرة نصيحته في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِي﴾ إيهام للذين قالوا لهم: إن ذلك كان بإيثار الرسول لمن أخرجهم من دونه، وفي الآيتين تنبيه أن عامة الناس لا يعدّون إلا أعراض الدنيا، فيفرحون بما ينالهم منها، ولا من المحن إلا مصائبها، فيتألمون بما يصيبهم منها، وذلك قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾[٤] الآية.

---

(١) قال أبو حيان: «قال الراغب: «وذلك مستقبح، فإنه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بجملة أخرى». البحر المحيط (٣/ ٣٠٤).
وقال البيضاوي: «وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف، إذ لا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظًا» أنوار التنزيل (٢/ ٢٢٤).

(٢) قال أبو حيان: «ولو تأخّرت جملة الاعتراض لم يحسن، لكونها ليست فاصلة، والتقدير: ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيماً، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة» البحر المحيط (٣/ ٣٠٥).

(٣) لم أجد من أشار إلى هذا القول.

(٤) سورة الفجر، الآية: ١٥.

قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ/ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]. الذين يشرون: أي يبيعون[2] وهو المعني بقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾[3] وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ هو فاعل ﴿ يُقَاتِلْ ﴾، والمفعول محذوف[4]، وقيل قوله: ﴿ ۞ فَلْيُقَاتِلْ ﴾ أمر لمن يُبطّىء وهم الذين يشرون، ومعناه يشترون، فحثوا على ترك ما حكي عنهم في الآية المتقدمة، وأن يجاهدوا في سبيل الله[5]، فإن قيل: [٢٧٨/أ]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٤.

(٢) في الأصل (يبتغون) وهو تصحيف، وانظر: مجمل اللغة ص (٤٠٤)، والمفردات ص (٤٥٣).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٤٥٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٧٧).

(٥) قال ابن عطية: و (يشرون) معناه: يبيعون في هذا الموضع، وإن جاء في مواضع: يشترون، فالمعنى هٰهنا يدلُّ على أنه بمعنى: يبيعون. المحرر الوجيز (٤/ ١٧٥). وقال النيسابوري: «(يشرون) ومعناه: يشترون أو يبيعون، وعلى الأول فهم المنافقون المبطئون، وغطوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق، ويجاهدوا حق الجهاد، ولا يختاروا الدنيا على المعاد، وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا الدنيا لأجل الآخرة». تفسير غرائب=

لِمَ لَمْ يقتصر على قوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بل عقبه بقوله: ﴿فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾[1]؟ قيل: تنبيهًا أن من تحرّى القتال سواء قَتل أو قُتل، غَلب أو غُلب فقد وقع أجره على الله، وتقدير الكلام: يقتل أو يُقتل أو يغلب أو يغلب، لئلا يتوهم السامع أن التزام الغلبة والبَراح من المعركة في كل حال سائغ، ألا ترى أنه قد عظم التولي عن القتال بقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾[2] الآية، ومنهم من جعل المقاتلة في سبيله مجاهدة للنفس، نحو ما رُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام: «جاهدوا أهواءكم»[3]، وجعل سبيل الله هو المذكور في قوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[4]، والأجر العظيم ثواب الآخرة، ووصفه بالعظيم اعتبارًا بعرض الدنيا، كما وصف الثمن بالقليل.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ

= القرآن (٢/ ٤٤٧)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٧).

(١) سورة النساء، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٣) ورد هذا من كلام ميمون بن مهران، انظر الرسالة ص (٨٨٨).

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1] .

قال ابن عباس: القرية الظالم أهلها: مكة[2] . وقال: كنت من الولدان، وإني كنت من المستضعفين فيها[3] ، فإن قيل: ما الفرق بين المولى والنصير؟ قيل: المولى هو الذي يتولى حفظ الشيء في كل حال، والنصير هو الذي ينصره إذا حزبه أمر[4] ، فكان الولي هو النصير في كل حال، والنصير هو المولى في حال دون حال[5] ، ومن هذا الوجه قال بعض المفسرين: أريد بالولي النبي وبالنصير الملائكة، وقال بعضهم: جعل الله وليَّهم النبي عليه الصلاة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٥.

(٢) قال الماوردي: «هي مكة في قول جميع المفسرين، لما كانوا عليه، كما أخبر الله به عنهم من استضعاف الرجال والنساء والولدان وإفتانهم عن دينهم بالعذاب والأذى». النكت والعيون (١/ ٥٠٦)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٤٣، ٥٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٢)، والوسيط (٢/ ٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٠٢) قال: وروي عن عطاء نحو ذلك. ورواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ رقم (٤٥٨٧) بلفظ: كنت أنا وأمي من المستضعفين. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٧٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧).

(٤) تصحفت في الأصل إلى (أمن) والصواب ما أثبته.

(٥) هكذا فرّق بينهما أبو هلال في الفروق ص (٢٠٨).

والسلام،/ ونصيرهم التابع الذي ولاّه[1] عليهم[2]، ونبّه بعطف [٢٧٨/ ب] المستضعفين على أن الحماية عليهم هو المقاتلة في سبيل الله، وأنّ نصرتهم نصرته تعالى[3]، وعطف قوله: ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ على الله تعالى تعظيمًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[4]، فعطف ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ على لفظ ﴿ٱللَّهِ﴾ تعظيمًا لأمره.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[5]. المقاتل في سبيل الله يتناول المحارب بالسيف والمدافع عن الدين بالقول[6]، والمنازع لهوى النفس ولوساوس الشيطان[7]،

---

(١) في الأصل (ولاّهم) والصواب ما أثبته.

(٢) القول الثاني هو قول كافة المفسرين، ولم أجد من فسّر النصير بالملائكة. انظر: بحر العلوم (١/ ٣٦٨)، والوسيط (٢/ ٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٠)، والكشاف (١/ ٥٣٤)، وزاد المسير (٢/ ١٣٣)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧٤، ٣٧٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٤٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٥).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٧)، والدر المصون (٤/ ٣٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٦) في الأصل: يتناول المحارب والمدافع بالسيف عن الدين بالقول.

(٧) اقتصر المفسرون على أن معنى القتال في الآية هو القتال الحقيقي لأعداء الله،=

وقد تقدّم أن الطاغوت عام في كل [ما شغل][1] عن الله، والمراد به وبالشيطان واحد، ونبّه أن من قاتل في سبيل الله فهو وليّه. ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو ولي الشيطان، ونبه بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ على ضعف أوليائه، ووصف كيده بالضعف إذ لا بطش له، وإنما سلطانه بيّن باطل[2]، ولضعفه في الحقيقة قال تعالى حاكيًا عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾[3] الآية.

قال بعض المفسرين: وصف كيد الشيطان بالضعف عند مقاتلة الإنسان في سبيل الله، فكأنه قيل: إن كيد الشيطان كان ضعيفًا على

= ولم أجد من أشار إلى ما ذكره الراغب. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٤٦، ٥٤٧)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨٠)، البحر المحيط (٣/ ٣٠٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧).

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل والسياق يقتضيه. وقد نصَّ عليه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ في الآية رقم (٦٠)، من هذه السورة، حيث قال: «هو اسم لكل ما شغل عن الله». انظر: ص (٦١٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٤٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٣).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

من يقاتل في سبيل الله[1]، وقال بعضهم: وصف كيد الشيطان بالضعف لضعف نصرة أوليائه بالإضافة إلى نصرة الله المؤمنين[2]، وقال بعضهم: الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت هم الذين ينكرون ما تدعو إليه الحُجَج.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[3].

رُوِيَ أن قومًا استأذنوا النبي ﷺ في قتال المشركين قبل أن فرض عليهم القتال، / فلم يأذن الرسول عليه الصلاة والسلام، [٢٧٩/أ]
فلما فرض ذلك عليهم وهم بالمدينة صعُب على قوم منهم ذلك،

---

(١) كما قال البغوي معالم التنزيل: «﴿ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ كما فعل يوم بدر لمّا رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فخاف وهرب». معالم التنزيل (٢/ ٢٥٠). وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٦٩)، وزاد المسير (٢/ ١٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨٠).

(٢) أشار أبو حيان إلى هذا المعنى فقال: «﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ﴾ وهنا محذوف، التقدير: فقاتلوا أولياء الشيطان، فإنكم تغلبونهم لقوتكم بالله، ثم علل هذا المحذوف وهو غلبتكم إياهم بأن كيد الشيطان ضعيف، فلا يقاوم نصر الله وتأييده...» البحر المحيط (٣/ ٣٠٨).

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٧.

فقالوا: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[1] أي هلَّا[2]؟ وهذا يجوز أن يكون قد تفوَّهوا[3] به، ويجوز أنهم اعتقدوه: وقالوه في أنفسهم، فحكى الله تعالى عنهم تنبيهًا أنهم لما استصعبوا ذلك[4] دلّ على استصعابهم أنهم غير واثقين بأحوالهم ولا مقدمين لما يعتقدونه من حسن أعمالهم، ومن نحو هذا التمنِّي حذّر في قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]، قال الحسن: هذا من صفة المؤمنين وما طُبِعَ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧. وانظر هذا الخبر في: جامع البيان (٨/ ٥٤٧، ٥٤٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٥)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٩)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٧)، وقال: هو قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والسديّ، والوسيط (٢/ ٨١، ٨٢)، وأسباب النزول ص (١٦٦، ١٦٧)، وزاد المسير (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠٨)، والعجاب (٢/ ٩١٧، ٩١٨).

(٢) لولا تكون للإقناع، وتكون للتحضيض، والأخير هو المراد بها في الآية، وتكون حينئذٍ بمعنى (هلّا). انظر: حروف المعاني (٣-٥)، ومعاني الحروف ص (١٢٣). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٠).

(٣) في الأصل (بنوا به) والتصويب من البحر المحيط الذي نقل كلام الراغب.

(٤) نقل أبو حيان هذا الكلام، ونسبه للراغب. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٠).

(٥) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

عليه البشر من المخافة لا على إظهار العصيان وكراهة الحق[1]، وقال غيره: بل هو من صفة المنافقين، الحُرَّاص على البقاء في الدنيا[2]، وبيّن أنهم يخشون القتل منهم كخشية الموت من الله، وفيه تنبيه على جبنهم، وأنهم يخشون جيشهم الذين هم أمثالهم، وذلك نهاية الخوف، وعلى هذا دلّ الشاعر في ذمّ قومٍ وجبنهم حيث قال:

القوم أمثالكم لهم شعر ... في الرأس لا يُنشِرون إن قتلوا[3]

قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٥٠٧)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٨٢)، والسمعاني دون عزو (١/ ٤٤٨، ٤٤٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٥١) دون عزو، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٣٤، ١٣٥) دون عزو، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨١).

(٢) انظر: المصادر السابقة، وقال أبو حيان: «الظاهر أن القائلين هذا هم منافقون، لأن الله تعالى إذا أمر بشيء لا يسأل عن علته من هو خالص الإيمان، ولهذا جاء السياق بعده: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨]، وهذا لا يصدر إلا من منافق» البحر المحيط (٣/ ٣١٠).

(٣) البيت للشاعر الشدّاخ بن يعمر الكناني. انظر: الحماسة (١/ ١١٣)، وشرح نهج البلاغة (٣/ ٢٦٣)، وشرح الحماسة للتبريزي (١/ ١٩١).

يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۞ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] . البروج: بيوت في قصور، وبها شُبِّه بروج السماء، وسُميت بها[2]، والمُشيَّدة المبنيّة بالشِّيد[3] والمزينة بها، ومن قال المشيدة المطولة فنظر منه إلى صفتها لا إلى حقيقة لفظها[4]، وفقهت كذا أي علمته بالتفكُّر، ومنه سمّي الفقه[5]، وقد حمل البروج في الآية على

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) قال في المفردات: البروج: القصور، الواحد برج، وبه سمّي بروج السماء لمنازلها المختصة بها. . . وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ يصحُّ أن يراد بها بروج في الأرض، وأن يراد بها بروج في النجم، ويكون استعار لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة». المفردات ص (١١٥)، وانظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٠).

(٣) الشيد: أي الجصّ. انظر المصباح المنيرص (١٢٦).

(٤) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٣٤).

(٥) انظر: العين (٣/ ٣٧٠)، والزاهر (١/ ١٠٩)، والصحاح (٦/ ٢٢٤٣).

القصور[1]، فيكون معناه كقول الأسود بن يعفر[2]:

ولو كنت في غُمران يحرسُ بَابَه . أَرَاجيلُ أُحبوشٌ وَأسْوَدُ أَلِفُ/ [٢٨٠/ب]
إذًا لأتتني حيث كنت منيتي يَخُبُّ به حَادٍ لإثري قَائف[3]

وحمل على بروج السماء، فيكون كقول زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقها ولو نال أسباب السماء بسلَّم[4]

فعلى هذا وصف البروج بالمشيّدة على طريق التشبيه، ولاعتبار

---

(١) انظر: ما سبق في ص (٦٥١) هامش (١).

(٢) هو الأسود بن يعفر بن عبدالأسود بن جندل التميمي. ذكره ابن سلَّام في الطبقة الخامسة من الشعراء، وهو شاعر مقدَّم من شعراء الجاهلية ليس بمكثر. ترجمته في طبقات الشعراء ص (٦٢-٦٣)، والشعر والشعراء ص (٤٣)، والأغاني (١٣/ ١٤)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٣٨)، والخزانة (١/ ٤٠٥-٤٠٦)، والبيتان ليسا في ديوانه، وقد وهم الراغب في نسبتهما إليه.

(٣) هذان بيتان من بحر الطويل لثعلبة بن عمر العبدي من قصيدة له مطلعها:

لمن دِمنٌ كأنهنّ صحائف قفار خلا منها الكثيب فواجف

انظر: اختيارات المفضل بشرح التبريزي (٣/ ١٢٣٠، ١٢٣١). وقال التبريزي: غُمْرَان: حصنٌ منيع وهو قصبة صنعاء، والأراجيل: الرجالة، والأحبوش: الحبش، والأسود: الحيّة، والإلف: الأنس، يخبُّ: يُسرع، والقائف: الذي يتبع الآثار ويعرفها.

(٤) هذا بيت من معلقة زهير، وهي من بحر الطويل، والبيت في ديوانه ص (٣٠)، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين (١/ ٢٨٧)، والبحر المحيط ص (٣٦١).

ذلك فُسِّرتْ بالمطوّلة[1]، والقصد بذلك إلى نحو ما قيل: والموت ختم في رقاب العباد، وإلى نحو معناه قصد بقوله: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾[2]، وقوله: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[3]، أي لا يفهمون ما يوعظون به، وقيل: عنى بالحديث الحادثة من صروف الزمان، والمعنى ما لهم لا يتدبرون ما يحدث حالاً فحالاً من صروف الزمن[4]، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[5]، وقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[6] الآية. قد طعن في ذلك قوم من الملحدة، وزعموا أن الآيتين متناقضتان، قالوا: ويدل على تناقضهما على وهم مُوردها[7] ونسيانه في الوقت

---

(١) وهو قول أبي مالك ومقاتل، وأبي عبيدة وابن قتيبة والزجاج. انظر: مجاز القرآن ص (١٣٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣١١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٥)، والفتوحات الإلهية (١/ ٤٠٣).

(٥) سورة غافر، الآية: ٨٢.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٧) هكذا في الأصل. والصواب حذف (على) الأولى.

ما قد سبق من كلامه، وإلا فأي ذي مسكة من العقل يقول: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ثم يقول منكرًا على ما قال ذلك ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] فيثبت ما قد نفاه، وينقض ما قد بناه، هذا من طعن الملحدة[2]، فأما أهل الشرع فقد[3] تعلق بالآية الأولى الفرقة التي لقبها المعتزلة بالجبر[4]، فقالوا: إن قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ عام يدل على أن الأفعال الظاهرة من العباد هي من الله، وتأولوا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ يقتضي أن لا ينسب فعل السيئة إلى الله تعالى بوجهٍ[5]، وجعلوا الحسنة والسيئة في الآية الأولى بمعنى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٤٨-٢٥١).

(٣) في الأصل (قد) والسياق يقتضي إضافة الفاء في أولها.

(٤) الجبر: هو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى، وهم أصناف، منهم من لا يثبت للعبد فعلًا ولا قدرة أصلًا، ومنهم من يثبت له قدرة غير مؤثرة، وأشهر فرقهم الجهمية. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفرق بين الفرق ص (١٩٤، ١٩٥)، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص (٦٨).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما السيئة: فهو إنما يخلقها بحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الربَّ لا يفعل سيئة قط، بل=

الخصْب والجدب والفقر والغنى[1]، فأما طعْن الملاحدة فظاهر الوهن، وذلك أن الحسنة والسيئة من الألفاظ المشتركة:

= فعله كله حسن وحسنات، وفعله كله خير.. فإنه لا يخلق شرًّا محضًا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شرٌّ كليّ أو شر مطلق، فالرب منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه. أما الشر الجزئي الإضافي فهو خير باعتبار حكمته، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط.. ثم قال: وهذا الموضع ضلّ فيه فريقان من الناس الخائضين في القدر بالباطل، فرقة كذبت بهذا وقالت: إنه لا يخلق أفعال العباد، ولا يشاء كلّ ما يكون، لأن الذنوب قبيحة، وهو لا يفعل القبيح، وإرادتها قبيحة، وهو لا يريد القبيح. وفرقة لما رأت أنه خالق هذا كله لم تؤمن أنه خلق هذا لحكمة»، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٦٦، ٢٦٧). وقال أيضاً: «والمقصود أن الحسنة مضافة إليه سبحانه من كل وجه، والسيئة مضافة إليه، لأنه خلقها كما خلق الحسنة، فلهذا قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثم إنه خلقها لحكمة، ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة، بل تضاف إلى النفس التي تفعل الشر بها لا لحكمة، فتستحق أن يضاف الشر والسيئة إليها» مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٥٧).

(١) انظر أقوال المفسرين في معنى الحسنة والسيئة في الآية في: جامع البيان (٨/ ٥٥٨، ٥٥٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٨، ٥٠٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٢/ ١٣٨، ١٣٩).

كالحيوان الذي يقع على الإنسان والفرس والحمار، أو من الأسماء المختلفة كالعين[1]، ولو أن قائلًا قال: الحيوان متكلم، والحيوان غير متكلم، وأراد بالأول الإنسان، وبالثاني الفرس والحمار /ـ لم يكن مناقضًا، وكذا إذا قيل: العين في الوجه، [٢٨٠/أ] والعين ليست في الوجه، وأراد بالأولى الجارحة، وبالثانية عين الميزان أو السحاب، فكذلك الآية إذا أريد بالحسنة والسيئة في الآية الثانية غير الذي أريد بهما في الآية الأولى[2]، وفي هذا قناعة لإبطال هزيل هذا المعترض، ثم إذا تُؤمِّل مورد الكلام، وسبب نزول الآية بان ألا تعلّق لأحد الفريقين بالآية على وجه يثلج صدرًا أو يزيل شكًّا، وسبب نزول ذلك أن قومًا أسلموا ذريعة إلى غنى ينالونه، وخصب يجدونه، وظفر يحصِّلونه، فكان إذا ناب أحدهم نائبة أو فاته محبوب، أو ناله مكروه أضاف سَيِّئه إلى النبي عليه الصلاة والسلام متطيرًا به، فقال تعالى: ﴿تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي خصب وسعة ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ

(١) انظر: المفردات ص (٢٣٥).

(٢) نقل أبو حيان كلام الراغب بتمامه في البحر المحيط (٣/ ٣١٤)، ونسبه إليه. ثم قال: «والذي اصطلح عليه الراغب بالمشتركة وبالمختلفة ليس اصطلاح الناس اليوم، لأن المشتركة هو عندهم كالعين، والمختلفة هي المتباينة، والراغب جعل الحيوان من الأسماء المشتركة، وهو موضوع للقدر المشترك، وجعل العين من الأسماء المختلفة وهو في الاصطلاح اليوم من المشترك» اهـ.

سَيِّئَةٌ ﴾ أي جدب وفقر، لقالوا بك ونسبوها إليك[1]، الحسنة والسيئة هاهنا هما المذكورتان في قوله: ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾[2]، وفي قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾[3]، ونحو هذه الآية قوله في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾[4]، وفي قوله

---

(١) قال ابن تيمية: وقد ظن طائفة أن في الآية إشكالاً أو تناقضاً في الظاهر، حيث قال: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾، ثم فرّق بين الحسنات والسيئات، فقال ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾، وهذا من قلة فهمهم وعدم تدبُّرهم الآية، وليس في الآية تناقض: لا في ظاهرها ولا في باطنها، ولا في لفظها ولا معناها، فإنه ذكر عن المنافقين والذين في قلوبهم مرض الناكصين عن الجهاد ما ذكره بقوله ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾ هذا يقولونه لرسول الله ﷺ أي بسبب ما أمرتنا به من دينك، والرجوع عما كنا عليه أصابتنا هذه السيئات.. فإنهم جعلوا ما يصيبهم من المصائب بسبب ما جاءهم به الرسول، فقال تعالى: ﴿ قُلْ ﴾: هذا وهذا ﴿ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ لا من عند محمد...» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣١.

في صالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾(١)، إن قيل: ما الفرق بين قولك: هذا من عند الله، وهذا من الله، حتى قال في الأول: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾(٢)، وقال في الثاني: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾(٣)؟ قيل: قد قال بعضهم: إن قوله هذا من عند الله أعم، فإنه قد يقال: فيما كان برضاه وبسخطه وفيما يحصل، وقد أمر به ونهى [عنه](٤)، ولا يقال: هو من الله إلا ما كان برضاه وبأمره، وبهذا النظر قال عمر: إن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن الشيطان(٥)، ثم ذكر تعالى ما يصيب الإنسان من ثواب وعقاب ومحابّ ومكاره، مما في سببه صنع بشر، فقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، وعنى بالنفس المذكورة هاهنا المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾(٦)، ومقتضى الآية كقوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٤) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها وقد ذكرها أبو حيان أثناء نقله لكلام الراغب.

(٥) ذكر أبو حيان كلام الراغب هذا بتمامه، ولكنه نسبه إلى بعض أهل العلم مع أنه ذكره بعد كلام الراغب السابق مباشرة. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٤).

(٦) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾[1]، وكقوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[2]، / وعلى [هذا][3] فسّر ابن عباس فقال: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ ﴾: يوم بدر ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾: يوم حنين ﴿ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾[4]. [٢٨٠/ب]

إن قيل: كيف سمّى العقاب سيئة، ومعلوم أنه في الحقيقة ليس بسيئة؟ **قيل**: إن ذلك كقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[5] وقد تقدم مثل ذلك[6]، **إن قيل**: إذا كان معنى الآية الثانية على

---

(١) سورة النمل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٩)، والوسيط (٢/ ٨٣)، وزاد المسير (٢/ ١٣٨).

(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٦) قال ابن تيمية: «والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل.. وإذا كانت السيئات التي يعملها الإنسان، قد تكون من جزاء سيئات تقدّمت ـ وهي مضرّة ـ جاز أن يقال: هي مما أصابه من السيئات، وهي بذنوب تقدمت». مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٣٩، ٢٤٥).

ما ذكرت في أنه أريد به الثواب والعقاب فهلّا قال: ما أصابك من حسنة وسيئة فمن نفسك، إذا كان مقتضى ثوابه وعقابه فعل العبد؟ قيل: إنما نسب الله تعالى الحسنة إلى نفسه في الثواب، تنبيهًا أنه سبب الخيرات، ولولاه لما حصل بوجه، فإنه يكسبه للعبد بإرادة من الله وأمر وحثّ وتوفيقٍ، وأما السيئة وإن كانت بإرادة من الله عند قوم فليست بأمر منه ولا حث ولا توفيق، ومع ذلك أدّب بذكر ذلك عباده، ليراعوا فيما ينالهم نعمته عليهم، وينسبوا الحسنات إليه، ويعلموا أنه سبب كل خيرات، وأنه لولاه لما حصل منها شيء[1]، وعلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا»[2]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تخش إلا ذنبك، ولا ترج إلا ربّك»[3]، إن قيل: ما الفرق بين الحسن

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٥٩-٢٦٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب «القصد والمداومة على العمل» رقم (٦٤٦٣). ورواه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب «مثل المؤمن مثل النخلة» رقم (٢٨١١). وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٤، ٣١٩، ٣٤٤، ٤٨٢، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥١٤، ٥٢٤)، (٦/ ١٢٥).

(٣) ذكره البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٢٤) رقم (٩٧١٨) وعزاه إلى علي بن أبي طالب. ونسبه إلى علي بن أبي طالب كذلك الشيخ تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح في كتابه «مصائب الإنسان من مكائد=

والحسنة والحسنى، والسيىء والسيئة والسوءى؟ قيل: الحسن والحسنة يقالان في الأعيان والأحداث، ولكن الحسنة إذا استعملت اسمًا فمتعارف في الأحداث دون الأعيان[1]، والحسنى لا تقال إلا في الأحداث[2]، ومتى قيل: رجل سيِّىء فإنما يعني به المسيء[3]، إن قيل: كيف قُوبل الحسنة بالسيئة، وحقُّها أن تقابل بما يقتضي معنى المسرة كما قال: مساءة ومسرّة، وساءه وسرّه، ولا يقال في مقابلة ساء شيء من لفظ حسن؟ قيل: الحسن لفظ عام كما تقدم، والحسنة والحسنى المقابل بهما السيئة والسُّوءى مخصوصان في الأفعال ولما كان كل فعل حسن يسرّ صاحبه، وكلّ فعل قبيح يسوء صاحبه، صار القبح والسوء في الأفعال متلازمين فيصح أن يُقال: الحسنة بالسيئة. إن قيل: من المخاطب في قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾؟ قيل:

= الشيطان» ص (٤).

(١) وقد فرق بينهما العسكري في الفروق ص (٢٤٥) بأن الحسنة أخصّ من الحسن؛ فالحسنة «تدخل فيها الفروض والنوافل، ولا يدخل فيها المباح. وإن كان حسنًا».

(٢) انظر: المفردات ص (٢٣٥، ٢٣٦)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٦٧).

(٣) ذكر الأزهري أن السيىء والسيئة وصفان للأعمال قال: «والسيِّىء والسيئة عملان قبيحان، يصير السيِّىء نعتًا للذكر من الأعمال، والسيئة للأنثى» تهذيب اللغة (١٣/ ١٣١).

قال بعضهم: هو خطاب للنبي ﷺ ومعناه للقوم/ الذين يبكتهم[1]، [٢٨١/أ] وفي هذا النوع من الخطاب ضرب من التعريض، ولأجل قصد التعريض في نحوه. قيل: إياكِ أعني واسمعي يا جارة[2].

ويدلّ على كونه خطابًا له قوله من بعده: ﴿وَأَرْسَلْنَكَ﴾ وقيل: هو خطاب لكل إنسان، وذلك نحو قول القائل: أيها الإنسان وكلكم ذلك الإنسان[3]، وقال ابن بحر: هو خطاب للفريق المذكور في قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[4] قال: ولما كان لفظ الفريق والحي والجند مفردًا [صحَّ][5] أن يخاطب

---

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٤٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٢).

(٢) هذا مثل يُضرب لمن تكلّم بكلامٍ ويريد به شيئًا غيره. وأصله شطر من رجز لسهل بن مالك الفزاري، قاله يعرِّض به لخطبة امرأة نزل عندها ضيفًا، وتمامه:

يا أخت خير البدو والحضارة ... كيف ترين في فتى فزارة

أصبح يهوى حرّة معطارة ... إياكِ أعني واسمعي يا جارة

انظر: جمهرة الأمثال (١/ ٢٩)، ومجمع الأمثال (١/ ٤٩).

(٣) قال أبو حيان: «الخطاب عام، كأنه قيل: ما أصابك يا إنسان» البحر المحيط (٣/ ٣١٢).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٥) ساقطة من الأصل والاستدراك من البحر المحيط حيث نقل كلام ابن=

ويخبر عنه بلفظ الواحدة تارة وبلفظ الجمع تارة، كلفظ كل ونحوه من الألفاظ، وعلى هذا قول الشاعر:

تفـرق أهـلانـا بُثَيْـن فمنهـم فريق أقام واستقلَّ[1] فريق[2]

وكل هذا كلام في مقتضى حكم اللفظ، فأما من حيث المعنى فالناس خاصهم وعامهم مراد بقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[3] إن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ بعد ذلك الكلام؟ قيل: لما كان قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ إنذارًا لهم، نبه بذلك أنه قد أزاح عللهم به، وأنهم متى عصوا فلا حجة لهم، إشارة إلى قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[5] أي يشهد تعالى ما يفعله

= بحر هذا.

(١) في الأصل «واسفل» والصواب ما أثبته.

(٢) هذا بيت من بحر الطويل لجميل بثينة، واسمه جميل بن معمر الجمحي، والبيت في ديوانه ص (٩٦) ط دار صادر. وديوانه ص (١٥١) بتحقيق: حسين نصّار. وانظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٣/ ٢٩٤). والبحر المحيط (٣/ ٣١٢)، والدر المصون (٤/ ٤٨) دون نسبة.

(٣) إلى هنا انتهى كلام ابن بحر وقد نقله بتمامه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣١٢، ٣١٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

ويفعلونه، ويشهد يوم القيامة، وكفى به مشاهدًا وشاهدًا[١].

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[٢]. نبّه بذلك على حجة ظاهرة في وجوب طاعة نبيه، وبيانه أنه إذا كان طاعة الله واجبة، وطاعته لا تتم إلا بطاعته[٣]، لأن عامة أوامره لا سبيل إلى الوقوف عليها إلا من جهته، وما لا يتم الواجب إلا به فواجب كوجوبه، اقتضى ذلك أن من أطاع رسول لله فقد أطاعه، فنبّه بذلك على مقابله، وهو أن من عصى رسوله فقد عصى الله، وكالأمر بطاعة الله ورسوله الأمر بالإيمان بهما في نحو قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ

(١) قال ابن تيمية: «... لما قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾، قال بعدها: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾، فإنه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات والمعجزات، وإذا شهد الله له كفى به شهيدًا، ولم يضره جحد هؤلاء لرسالته بما ذكروه من الشبه التي هي عليهم لا لهم، بما أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة على إبطال رسالته.. والله تعالى قد شهد له أنه أرسله للناس رسولاً، فكان ختم الكلام بهذا إبطالاً لقولهم: إن المصائب من عند الرسول، ولهذا قال بعد هذا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٥٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٣) الضمير هنا يعود على النبيّ ﷺ.

وَرَسُولِهِۦ﴾ (١)، فكذلك الأمر باستجابته في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢)، ثم قال: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ حثًّا على إبلاغ ما ندب إليه من المأمور به في قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ / بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (٣) وتنبيهًا أن ليس يعود عليك مضرة ما يفعلونه في أنفسهم، المدلول عليه بقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (٤)، وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ (٥). [٢٨١/ب]

قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٦)، المعني بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ٨١. قال الطبري: «ونزلت هذه الآية فيما ذكر قبل أن يؤمر بالجهاد، ثم ساق بسنده عن ابن وهب قال: سألت ابن زيد عن قول الله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ قال: هذا أول ما بعثه. قال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ قال: ثم جاء بعد هذا بأمره بجهادهم والغلظة عليهم حتى يُسلموا» جامع البيان (٨/ ٥٦٢).

الذين يخشون الناس، وقد تقدّم أن ذلك قيل من صفة المنافقين، وقيل من صفة الناس كافة[1]، والتبييت: كل فعل أو قول دُبِّر بالليل[2]، ولأجله قيل: دع الرأي تَبِتْ[3]، قال الشاعر:

أتــونـي فلـم أرض مـا بيّتــوا   وكانوا أتوني بأمر نُكُرْ[4]

وقيل: اشتقاقه من بيت الشعر، أو البيت المبني، وهو الذي سوى من القول أو الفعل تسوية بيت شَعرٍ أو بيت شِعرٍ[5]،

---

(١) انظر: ص (٦٥٠) من هذه الرسالة.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٣٧، ١٣٨)، والزاهر (١/ ٤٤٣). وعمدة الحفاظ (١/ ٢٧٩).

(٣) في تاج العروس (٣/ ٢٤): بيَّت فلان رأيه، إذا فكر فيه وضمّره.

(٤) هذا بيت من بحر المتقارب وبعده:

لأنكــحَ أيِّمَهـــم منــذرًا   وهل يُنكِحُ العبدَ حرٌّ لحرّ

والبيتان منسوبان في المجاز (١/ ١٣٢) لعبيدة بن همام. وجامع البيان (٨/ ٥٦٣)، ونسبا في اللسان (٧/ ٩٢) للأسود بن يعفر وديوان الأعشين ص (٢٩٨). وهما غير منسوبين في الكامل (٢/ ٩٢٠)، (٣/ ١٠٧٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١). وبصائر ذوي الميز (٥/ ١٢١).

(٥) لعله أخذ هذا من قول النحاس في معاني القرآن (٢/ ١٣٧) في تفسير الآية: «أي أظهر المعصية في بيته».

ونحو قوله: ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ ﴾ قوله: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[1]، قال الكلبي: التبييت في لغة طيّ[2]: التبديلُ[3]، ومعنى الآية أنهم يبذلون من أنفسهم الطاعة قولاً، فإذا خرجوا من عنده عليه الصلاة والسلام دبروا أن يفعلوا خلاف ما قالوا[4]، والله يكتب ما يُبيِّتون، أي يعلمه ويحفظه[5] فيجازيهم به، ....

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

(٢) طيّ: قبيلة قحطانية عظيمة كانت في اليمن، ثم نزحوا وسكنوا الجبلين، وهي تعرف اليوم بمنطقة حائل. وهم نسبة إلى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب، ولهذه القبيلة بقايا إلى اليوم في حائل وما حولها، ومن ذلك معظم قبائل شمر وغيرها. انظر: الانباه على قبائل الرواه لابن عبدالبر ص (١١٦)، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد لحمد الجاسر (٢/ ٤٧٠).

(٣) قال القرطبي: «والتبييت: التبديل». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨٩)، وانظر: زاد المسير (٢/ ١٤٣).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٦٢).

(٥) قال الزجاج: «وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فيه وجهان: يجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ ينزله إليك في كتابه، وجائز أن يكون ﴿يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يحفظه عليهم ليجازوا به» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١).

والكتابة هاهنا كالاستنساخ في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، ونسب ذلك إلى نفسه هنا، وإلى ملائكته في قوله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[2]، وفي قوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[3]، وقد تقدَّم أنه تعالى قد ينسب فعل أوليائه إلى نفسه تنبيهًا على ارتضائه، وكونه آمراً نحو قوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[5]. وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[6]، ثم أمره بالتوكل عليه، وقد تقدم أن من التوكل ملازمة أوامره والانتهاء عن نواهيه، وأن لا يرْجى ولا يُخاف سواه، ونحو قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[7]، قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[8].

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢١.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٦) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٧) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٨) سورة الطلاق، الآية: ٣.

[٢٨٢/أ] ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾. **التدبير**: النظر في دُبُر/ الأمور وتأملها، وقد يقال ذلك في تأمل الشيء بعد حصوله ومعرفة خيره من شره، وصلاحه من فساده، كقولك: تدبَّرت ما فعل فلان فوجدته سديدًا، وأصل التدبر من الدَّبر، ومنه الدّبور، والدَّبر: المال الكثير الذي يخلفه الإنسان ويجعله عدة: إما لنفسه في مستأنف عمره، أو لعقبه(١). **إن قيل**: كيف قال: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾، وما من كلام لعل فيه من الاختلاف ما في القرآن، فما من آية إلا وقد اختلف فيها(٢) الناس؟ **قيل**: لم يعن بالاختلاف ما يرجع إلى أحوال المختلفين، لاختلاف تصوُّرهم لمعناه، أو اختلاف نظرتهم، ولا الاختلاف الذي يرجع إلى تباين الألفاظ والمعنى والإيجاز والبسط، وإنما قصد إلى معنى التناقض، وهو إثبات مانفى أو نفي ما أثبت، نحو أن يقال: زيد خارج، زيد ليس بخارج، والمخبر عنه والخبر والزمان والمكان فيهما واحد(٣). ادعت

---

(١) انظر: العين (٨/ ٢٣)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٢-١٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٢)، والمفردات ص (٣٠٧، ٣٠٨).

(٢) في الأصل: (فيه) والصواب ما أثبتّه.

(٣) انظر: المقصود بالاختلاف في الآية في: جامع البيان (٨/ ٥٦٧)، والنكت والعيون (١/ ٥١٠، ٥١١)، والوسيط (٢/ ٨٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٨٧، =

الملحدة ـ لعنهم الله ـ فيه التناقض، من نحو قوله: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[2]، فذلك خبران قد اختلفا، إما في الزمان أو في المكان أو في المخبر عنه، أو في الخبر، وهذا ظاهر[3]. وقيل: معنى قوله: ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ أنّ للإنسان هاديين: الشرع والعقل، كالأصل للشرع، فبيّن تعالى أن الذي أتاكم به من الشرع لو كان من عند غير الله لكان مقتضى العقل يخالفه، فلمّا [لم][4] يوجد بينه وبين العقل منافاة عُلم أنّه من عند الله[5]، فإن

= ١٨٨)، وزاد المسير (٢/ ١٤٤، ١٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٢).

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.

(٣) قال النيسابوري: «... والذي تظنُّ به التناقض كقوله: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ مع قوله: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.. ليس بذاك عند التدبر وملاحظة شروط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٥٦)، وانظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٧٨).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) قال البيضاوي: «أي ولو كان من كلام البشر كما يزعم الكفار ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم.. وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض» أنوار التنزيل (١/ ٢٢٧).

قيل: فقد ورد في الشرع أشياء يقتضي العقل خلافها، **قيل**: كلا، فإن جميع ما ورد به الشرع لا ينفك من وجهين؛ إما شيء يحكم به العقل لكونه حسنًا، مثل استعمال إلٰه في الجملة، وعبادة الرّب، أو يكون غير مهتد إلى معرفته لا أنه يستقبحه، فيُبيّن الشرع حسنه، وذلك كأعداد الصلوات وهيئاتها وأركانها، في كونها عبادة على وجه دون وجه، وأما أن يأتي الشرع بشيء قد قضى العقل بكونه قبيحًا فليس ذلك بموجود، وبعض الناس تصور أشياء ينفر الطبع منها لعادات جارية، أو اعتقادات فاسدة، ولم يفرِّقوا بينه وبين حكم العقل، فظنوا أن العقل حكم بضد الشرع، كذبح البهائم.

[٢٨٢/ب] **إن قيل**: ما وجه تعلُّق/ هذه الآية بما تقدّم؟ [قيل][١]: لمّا ذكر فيما تقدّم أحوال الذين يتحاكمون إلى الطاغوت، ويتركون كتاب الله ورسوله، ويقاتلون في سبيل الطاغوت، وذكر الذين يخشون الناس ومقالهم فيما نالهم من حسنة أو سيئة، ومخالفتهم في الطاعة، وكان كل ذلك منهم لقلة تأمّلهم كتاب الله، وتقديرهم أن ما أمروا به في ثاني الحال من القتال مناقض لما أمر به قبل، من كفّ اليد وغير ذلك، بما يختلف لاختلاف الأحوال، نبههم تعالى في هذه الآية أن كل ذلك لقلة تدبرهم،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وأنهم لو تدبّروا لعلموا أن ذلك حق نزل عليهم من الله[1]، كما قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

الاستنباط: استخراج الشيء من أصله، كاستنباط الماء من البئر، والجوهر من المعدن، وذلك كالإثارة في إخراج التراب، واستعير للحديث، قال الشاعر:

.... يكفيك أثرى القول واستنباطي[4]

قال الفرّاء[5]: يقال نبطه، قال: ومنه النبط[6] لاستنباطهم

---

(١) انظر: نظم الدرر (٢/ ٢٨٦).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٤) القائل هو رؤبة بن العجاج. انظر: مجموع أشعار العرب ص (٨٥).

(٥) ليس في معاني القرآن له، ولم أجده من نقل عنه ذلك، ولعله في كتاب «المصادر» للفرّاء وهو مفقود.

(٦) قال ابن منظور: «والنبيط والنبط، كالحبيش والحبش في التقدير: جيلٌ ينزلون السواد. وفي المحكم: ينزلون سواد العراق، وهم الأنباط، والنسب إليهم نبطي. . . ويقال: تنبّط فلان إذا انتمى إلى النبط، والنبط إنما سمُّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين» لسان العرب (٧/ ٤١١).=

الأرض عمارتها[1]، والذين يستنبطونه منهم، قيل: هم أولو الأمر الذين لهم معرفة استنباطه[2]، فيكون ذلك حثًّا على ترك من لا يعلم لمن يعلم ليستنبط هو بمعرفته، فإذا عرف عرفهم ما يجب تعريفه، وقيل: عنى بالذين يستنبطونه الذين يبينونه، ويكون ذلك نهيًا لهم عن الاستنباط بالتخمين والنظر، وحثًّا على رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم[3]، وقد تقدّم الكلام آنفًا في أولي الأمر منهم[4]، وقيل: سبب ذلك أن قومًا كانوا إذا

= وانظر: تاج العروس (٢٠/ ١٣١).

(١) انظر: معاني هذه المادة في: العين (٧/ ٤٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٤)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٢)، وجامع البيان (٨/ ٥٧١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧٥)، ومعاني القرآن له (٢/ ١٤١)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٧١)، والنكت والعيون (١/ ٥١١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩١)، وزاد المسير (٢/ ١٤٧)، ونسبه لابن زيد.

(٣) قال السمعاني: «لعلمه الذين يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، وقيل أراد به العلماء، يعني: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم ما ينبغي أن يكتم، ويعلمون ما ينبغي أن يفشى» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٣، ٤٥٤). وانظر: الكشاف (١/ ٥٤١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧٩).

(٤) انظر: ص (٧٩٦) من هذه الرسالة.

سمعوا من أفعال المؤمنين أو الكافرين ما فيه أمن أو خوف بادروا إلى إشاعته، قبل أن يتحققوا معناه[1]، قال الفرّاء في سرايا النبي عليه الصلاة والسلام: وأنه كان إذا نفذ سرية بحث المنافقون عنها، فأشاعوا حديثها[2]. / [٢٨٣/أ]

قال الحسن: قد كان يفعل ذلك ضعفاء المسلمين، ويقولون أقوالاً تخميناً، فنهوا عن ذلك[3]، والآية تقتضي أن لا يقدم الإنسان على ما لا يتحقق جواز الإقدام عليه، ولا يقول إلا عن بصيرة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[4] الآية، وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5]، اختلف في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ عمّا استثنى، وذلك لاختلاف تصوُّرهم لمعنى الفضل، **فالأول** عن الحسن

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٦٨-٥٧٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٤)، والوسيط (٢/ ٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩١)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٧).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ٥١١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩١)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٨)، دون نسبة في المصدرين الأخيرين.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٣.

وقتادة تقديره: *يستنبطونه منهم إلا قليلًا[١]. **الرابع**[٢]: لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا منكم[٣]. **الخامس**: لاتبعتم الشيطان إلا اتباعًا قليلًا[٤].

إن قيل: كيف القول الرابع والخامس، وقد علمنا أنه لولا فضله لاتبع الشيطان، بل ماكانوا يوحدّون[٥]، فضلًا[٦] / عن أن يضلوا، فإنا لو تصوَّرنا فضله مرتفعًا لارتفع وجود الناس، بل وجود العالم، **قيل**: إذا جرى الفضل على العموم فهو كما يقول، ومن أجله تحاشى من امتنع من أن يكون ذلك استثناء من قوله ﴿لَاتَّبَعۡتُمُ﴾ فأما إذا جعلت فضله خاصًّا في هذا الموضع ٣٨٢/ ب]

(١) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٩)، وجامع البيان (٨/ ٥٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٠). قلت: هو اختيار الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٨٤).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الثاني والثالث سقطا.

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٥٤٢)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٩).

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٥٤٢)، وردَّ أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٣٢٠).

(٥) في هذا الموضع من الأصل تكرار للكلام السابق، وهو ما مجموعه أربعة عشر سطراً في الأصل، بداية من قوله: [الذين لهم معرفة استنباطه فيكون ذلك حثًّا].

(٦) تكررت كلمة (فضلًا) في الأصل..

فمعناه صحيح، وبيان ذلك أن فضل الله وإن كان لا تُحصى تفصيلاته، فالذي به هدانا إلى البلوغ إلى ثوابه فضلان: فضل العقل وفضل الشرع، وعنى هاهنا بالفضل الشرع دون العقل، وبيّن أنه لولا ما أنعم به على الناس من رسوله وكتابه لما اهتدى من خلائقه بالعقل المجرد إلا قليلٌ من الناس، والقليل الذين لم يكونوا يتّبعون الشيطان لولا فضل [الله](١) هم الحكماء والأولياء، الذين تتلو(٢) منزلتهم منزلة الأنبياء عليهم السلام، وهذا ظاهر.(٣)

قوله عز وجل: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾(٤).

---

(١) سقط لفظ الجلالة من الأصل.

(٢) سقطت اللام والواو من آخره، والكلمة صورتها في الأصل هكذا: (تنا).

(٣) أشار أبو حيان إلى قريب من هذا المعنى، فقال: «قال الضحاك: هدى الكلّ منهم للإيمان. فمنهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شكٍّ، ولا عنت له شبهة ارتياب، وذلك هو القليل، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان، ويكون الفضل معيناً أي رسالة محمد ﷺ والقرآن، لأن الكلّ إنما هُدِيَ بفضل الله على الإطلاق» البحر المحيط (٣/ ٣٢٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٤.

التنكيل: مصدر نكلت به، والنكال العقوبة التي تنكل المعاقب وغير المعاقب عن إتيان مثله، وأصله من النكل، وهو ضرب من القيد، ومنه نكل عن الشيء[1]، إن قيل: كيف قال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ وقد بعث النبي ﷺ ليكلّف الناس؟ قيل: لم يعنِ التكليف الاستدعاء الذي رشح له[2]، ألا ترى أنه قال: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال، وهذه الآية تقتضي أنّ على الإنسان أن لا يني[3] في نصرة الحق وإن تفرّد، بعد أن لا [يني][4] في فعله، وروي أن أبا بكر رضي الله عنه [قال][5]: «لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي»[6] وتلا هذه الآية. وقال بعض الحكماء: من

(١) انظر: العين (٥/ ٣٧١، ٣٧٢)، وجامع البيان (٨/ ٥٨٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٤٥-٢٤٧)، والمفردات ص (٨٢٤، ٨٢٥).

(٢) قال ابن جرير: «فأما قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فإنه يعني: لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوّه وعدوك إلا ما حَمَّلك من ذلك دون ما حمَّل غيرك منه أي أنك إنما تتّبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كلّفته دون ما كلّفه غيرك». جامع البيان (٨/ ٥٧٩).

(٣) يني: يضعف ويفتر. انظر المصباح المنير ص (٢٥٨).

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل، والأقرب ما أثبته بمقتضى السياق.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) ذكر هذا الأثر السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٣٧٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٩٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٣)، =

طلب رفيقًا في سلوك طريق الحق فلقِلّة يقينه، وسوء معرفته، فالمحقق للسعادة والعارف بالطريق إليها لا يفرح على رفيق ولا يبالي بطولِ طريق، فمن خطب الحسناء لم يغلها مهر، والفاء في قوله: ﴿فَقَٰتِلۡ﴾[1] قال الزجاج: هو جواب لقوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ﴾[2]، ووجه ذلك أنه محمول على المعنى كأنه قال: إن أردت الفوز بذلك فقاتل، وقال بعضهم: هو متصل بقوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ﴾[3]، وقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾[4] أي كن/ راجيًا في دفع أذاهم، وقول [٢٨٤/أ]

= وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٢١)، ونسبوه إلى الصديق رضي الله عنه.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٤. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٤)، ومراده أنها متصلة بالآية المذكورة لا الجواب النحوي. وقد صرح بذلك النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٧٦). وأما جواب: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ﴾ فهو: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٥. قال الزجاج والنحاس: «ويجوز أن تكون متصلة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧٦). وجزم النحاس به في معاني القرآن له (٢/ ١٤٤)، وقال أبو حيان: «والفاء هنا عاطفة جملة كلام على جملة كلام يليه». البحر المحيط (٣/ ٣٢١).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٤.

المفسرين: عسى من الله واجب، أي الكريم إذا رُجِي حقّق[1]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[2] تنبيه أنك لا تحتاج أن تقصر عن قتالهم، فالله معك، وهو أشد بأسًا من عداك، فلا يجب أن يَنْكَادك من تأخر عنك[3].

قوله عز وجل: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾[4]. الشفاعة: من الشفع أي ضم الشيء إلى غيره، وضد قولهم شفعه: أفرده، ولهذا قال الشاعر:

ومن يفرد الإخوان فيما ينوبهم　　　تصبه الليالي مرة وهو مفرد[5]

---

(١) قال أبو عبيدة: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ هي إيجاب من الله، وهي في القرآن كلُّها واجبة، فجاءت على إحدى لغتي العرب، لأن عسى في كلامهم رجاء ويقين. مجاز القرآن (١/ ١٣٤). وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٧٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٣)، وزاد المسير (٥/ ١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢١)، ونظم الدرر (٢/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٥) لم أجده.

والشفعة متعارفة في ضم ملك بِيعَ إلى ملكك، والشفاعة في انضمام إنسان إلى آخر فيما يطلبه[١]، والشفاعة المذكور[ة][٢] في نحو قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾[٣] هي في الآخرة معروفة وأما[٤] في الدنيا فبأن يهدي الإنسان غيره، فمن هدى غيره إلى طريق خير فقد شفع له[٥].

وأصل الكِفل الكَفل[٦]، فجعل اسمًا لمركب من خِرَقٍ وكساءٍ يوضع على الكِفْل[٧]، وقد يسمَّى ما يُكْسى العضو باسمه، كقولهم: يد القميص وبدنُه، ورجل السراويل، والساقُ والساعدُ لما يُلْبِسُ هذين العضوين، ثم استعير الكفل تارة

(١) انظر: العين (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٣٦، ٤٣٧)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، والمفردات ص (٤٥٧، ٤٥٨)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٢) سقطت التاء من الأصل.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

(٤) في الأصل (ولهذا) وليس له معنى، والسياق يقتضي ما أثبته.

(٥) انظر: بحر العلوم (١/ ٣٧٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٤، ٤٥٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٣، ١٩٤)، والكشاف (١/ ٥٤٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٦) انظر المفردات ص (٧١٨)، وعمدة الحفاظ (٣/ ٤٨١).

(٧) انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١١٧)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٥).

إن نبا[1] ركوبه تشبيهًا بذلك المركب[2]. قال الشاعر:

غير مِيلٍ ولا عواوين في الهَيْـ ـجا ولا عُزّل ولا أكْفَالِ[3]

ثم سُمّي الفاجر في أي أمر كان كفلًا[4]، ولما كان ذلك الكفل يجعل على قدر الكفل تصوِّر فيه المماثلة، فقيل للمثل في العدد كفل[5]، **فإن قيل**: فلم فرق بينهما فقال في الحسنة: ﴿نَصِيبٌ﴾، وفي السيئة ﴿كِفَلٌ﴾؟ **قيل**: يجوز أنه لما كان النصيب يقال فيما

---

(١) نبا: نفر ولم يقبل. انظر المصباح المنير ص (٢٢٦).

(٢) قال الأزهري: «والكفل من الرجال الذي يكون في مؤخرة الحرب لا يثبت على الدابة» تهذيب اللغة (١٠/ ٢٥٣).

(٣) هذا بيت من بحر الخفيف للأعشى من قصيدة له يمدح بها الأسود بن منذر أخا النعمان، وهو في ديوانه ص (١١)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٦)، والصحاح (٥/ ١٨١١).

(٤) قال في المفردات ص (٧١٨): «. . . الكفل هٰهنا ليس بمعنى الأول، بل هو مستعار من الكفل وهو الشيء الرديئ، واشتقاقه من الكفل، وهو أن الكفل كما كان مركبًا ينبو براكبه صار متعارفًا في كلّ شدة. . ».

(٥) قال الزجاج: «الكفل في اللغة النصيب، أخذ من قولهم: أكفلت البعير إذا أدرت على سنامه أو على موضع من ظهره كساءً، وركبت عليه. وإنما قيل له كفل. . لأنه لم يستعمل الظهر كله، وإنما استعمل نصيب من الظهر ولم يستعمل كله» معاني القرآن (٢/ ٨٥). وانظر عمدة الحفاظ (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٣).

يقل ويكثر، والكفل لا يقال إلا في المثل[(١)] جاء في السيئة بلفظ الكفل تنبيهًا على معنى المماثلة، وإشارة إلى ما قال: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[(٢)] وقد قيل: الكفل المذكور هاهنا أكثر ما يقال في الشيء الرديء، فنبّه بلفظه على ذلك تنبيهًا على قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[(٣)] فإن قيل: / فقد قال ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾[(٤)]، وليس ذلك بمذموم[(٥)]، قيل: إنه عنى بالكفلين هاهنا أي له كفيلان من رحمته يتكفلان به من العذاب[(٦)]، [٢٨٤/ب]

---

(١) قال أبو السعود: «﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي نصيب من وزرها مساوٍ لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيء» إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٠).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٥) قال السمين الحلبي: والكفل: النصيب إلا أن استعماله في الشر أكثر عكس النصيب، وإن كان قد استُعمل الكفل في الخير، قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾» الدر المصون (٤/ ٥٥). وقال ابن الأنباري: «أراد بالكفل: الحظ، لأنه يمنع من غضب الله، كما يمنع كِفْلُ البعير الراكب من السقوط» الزاهر (٢/ ٢٧١).

(٦) الذي عليه المفسرون أن المراد بالكفلين في آية الحديد هما النصيبان أو الحظّان، وقال أبو موسى الأشعري: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي ضعفين بلسان الحبشة. ونقل الألوسي عن الراغب أنه قال: «الكفل: الحظ الذي فيه الكفاية، كأنه تكفَّل بأمره، والكفلان هما المرغوب=

فيضَارع اللفظان، والمعنيان مختلفان، ولما حثَّ الله تعالى في الآية المتقدّمة على تكلُّف ما أمر وتحريض المؤمنين، ورجاء الظفر بالكفار، بين هاهنا أن من أعان غيره في فعل حسن فله نصيب في ثوابه، وإن أعانه في فعل سيِّىء فله كفل منه، وذلك عبارة عمّا بينه النبي ﷺ بقوله: «**من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»(١) الخبر. وقال بعضهم: القصد بذلك أن من يدعو لغيره دعاءً حسنًا فله فيه نصيب، ومن فعل بخلاف ذلك فكذلك.

قال: والسبب في هذا أن اليهود والمنافقين كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يقولون: السام عليكم، يوهمون أنهم يقولون:

= فيهما بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً﴾، ثم قال الألوسي: ولا دلالة على التخصيص» روح المعاني (٢٧/ ١٩٣)، وانظر: جامع البيان (٢٣/ ٢٠٨، ٢٠٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٦٦)، وتفسير غرائب القرآن (٦/ ٢٦٢).

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب «الحث على الصدقة ولو بشق تمرة» رقم (١٠١٧). والترمذي في كتاب العلم، باب «ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة» رقم (٢٦٧٥) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة، باب «من سن سنة حسنة أو سيئة» رقم (٢٠٣)، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٥٧ ـ ٣٥٩)، والطيالسي رقم (٦٧٠)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٠٩)، وابن حبان رقم (٣٣٠٨)، والطبراني رقم (٣٧٢ ـ ٣٧٥)، والبغوي رقم (١٦٦١)، والبيهقي (٤/ ١٧٥).

السلام عليكم، فأنزل الله ذلك[1]، واستدل قائل هذا بقوله تعالى بعد ذلك[2]: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[3]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ قال السدي: المقيت: المقتدر[4]، وأنشد الكسائي فيه:

---

(١) رواها البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم (٢٩٣٥). ومسلم في كتاب السلام، باب «النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم» رقم (٢١٦٥، ٢١٦٦). والترمذي في كتاب الاستئذان، باب «ما جاء في التسليم على أهل الذمة» رقم (٢٧٠١). وقال: حديث عائشة حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه ـ كتاب الأدب، باب الرفق رقم (٣٦٨٩)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٧) والنسائي في اليوم والليلة رقم (٣٨١ ـ ٣٨٤)، وعبد بن حميد رقم (١٤٧١)، وابن حبان رقم (٥٤٧، ٦٤٤١)، والبيهقي (٩/ ٢٠٣)، والبغوي رقم (٣٣١٤)، والبخاري في الأدب رقم (٤٦٢).

(٢) قال أبو السعود عن الشفاعة الحسنة: «... ويندرج فيها الدعاء للمسلم، فإنه شفاعة إلى الله سبحانه، وعليه مساق آية التحية الآتية» إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠)، وفيهما: قديراً بدل مقتدراً، وتفسير السُّدّي ص (٢١٠)، والنكت والعيون (١/ ٥١٢)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٥٦) عن ابن عباس.

. . . .   وكنت على مساءته مقيتا[1]

وقال ابن عباس: الحفيظ[2]، وقوّاه الزّجّاج[3]، وقال مجاهد: الشهيد[4]، ورُوِيَ عنه: الحسيب[5]، وقال الضحاك:

---

(١) هذا عجز بيت من بحر الوافر للزبير بن عبدالمطلب وتمامه:

وذي ضغنٍ كففتُ النفس عنه   وكنت على مساءته مقيتاً

كما في: غريب القرآن في شعر العرب ص (١١٥)، وجامع البيان (٨/ ٥٨٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٦)، واللسان (٢/ ٣٨٠). ونسب في طبقات الشعراء ص (١٠٨) لأبي قيس بن الأسلت. وهو غير منسوب في تفسير غريب القرآن ص (١٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٤٧)، والزاهر (١/ ٩٢)، ونسبه في المشوف المعلم (٢/ ٦١٦) إلى ثعلبة بن محيصة الأنصاري.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٩) قال: وروي عن عطية وقتادة وعطاء ومطر الوراق نحو ذلك، والوسيط (٢/ ٩٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٥)، وزاد المسير (٢/ ١٥١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥).

(٤) انظر: تفسير مجاهد ص (٢٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠)، والنكت والعيون (١/ ٥١٣)، والوسيط (٢/ ٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٥٨٣).

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠)، والنكت والعيون (١/ ٥١٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

الرازق[1]، وقال غيرهم: المجازي[2]، وحقيقته الذي يجعل للإنسان قوتًا[3]، وفي الحديث: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت**»[4] ـ ويقيت ـ كأن الله تعالى يجعل لكل إنسان قوتًا من الجزاء بقدر فعله، ويجعل له في الدنيا والآخرة قدر ما يستوجبه، وما قالوه فصحيح من حيث المقصد، لأن ما قدّره الله تعالى للعبد فقد حفظه وشهده[5]، ورُوِيَ أن رجلًا سأل عبدالله بن رواحة عن المقيت[6]؟ فقال: يقيت كل إنسان[7] بقدر

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠).

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ٥١٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٤٣٥)، والمخصص (٢/ ٩١).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٨٥)، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب: «فضل النفقة على العيال والمملوك» رقم (٩٩٦) بلفظ: «... إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته». والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٧٤) رقم (٩١٧٦، ٩١٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢٢) (٥/ ٨٧) نحوه.

(٥) قال أبو حيان: «وهذه أقوال متقاربة لاستلزام بعضها معنى بعض» البحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٦) قال الزجاج: «المقيت: قال أهل اللغة: إن المقيت المقتدر على الشيء». تفسير أسماء الله الحسنى ص (٤٨). وقال ابن منظور: «المقيت: الحافظ» لسان العرب (٢/ ٩٠).

(٧) تكررت عبارة كل إنسان في الأصل فحذفت المكرر.

علمه[١]، كأنه إشارة إلى ما قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحاسب عباده بقدر عقولهم»[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾[٣]. / [٢٨٥/أ]

التحية: من قولهم حيًّا الله فلانًا، أي جعل له حياة، وذلك إخبار، ثم يُجعل دعاء، ثم يقال: وحيًّا فلان فلانًا إذا قال له ذلك، وحكم به، كما يقال: أضللت فلانًا وأرشدته إذا حكمت له بذلك، وأصل التحية من الحياة، ثم يقال لكل دعاء تحية، لكون جميعه غير خارج عن كونه حياة، أو سبب حياة، إما دنيوية وإما أخروية[٤]، إن قيل: علي أي وجه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠١٩) رقم (٧٢٠)، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «العقل وفضله» رقم (١٣) من حديث ابن عمر. وأورده الذهبي في الميزان (٤/ ١٨٥)، ونقل عن ابن معين أنه قال: هذا باطل. وكذا عن أبي حاتم. ورواه ابن حبان في المجروحين (٣/ ٤٠) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٩٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٦)، والزاهر ص (٦٠، ٦١)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٨٢). وقد نقل أبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١١)=

جعل[1] قولهم: السلام تحية الملتقين؟ قيل: السلام والسِّلم واحد، بدلالة قوله: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سِلْمٌ﴾[2] ولما كان الملتقيان من الأجانب قد حذر أحدهما الآخر استعملوا هذه اللفظة تنبيهًا من المخاطب، أي بذلت لك ذلك وطلبته منك، ونبه المجيب إذا قال: وعليك السلام. على نحو ذلك، ثم صار ذلك مستعملًا في الأجانب والأقارب والأعادي والأحباب، تنبيهًا أني أسأل الله ذلك لك[3]، وأكثر المفسرين حملوا الآية على التحية المجردة، فقالوا معناه: من حيّاكم بتحية فحيُّوا بأحسن منها أو ردّوها أي قابلوه بمثلها[4]، قالوا: وردُّ ذلك أنه متى قال قائل: السلام عليكم، فإنه يقول: وعليكم السلام، أو يقول: وعليكم، فهذا هو ردُّه، ويدلّ أنه إذا قال: وعليكم. فقد ردّ، أن رجلًا دخل على عمر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال عمر: وعليكم، فظن الرجل أنه لم يسمع عمر،

= قول الراغب في أصل التحية.

(١) تكررت في الأصل عبارة: (إن قيل: على أي وجه جعل).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٥. قرأ حمزة والكسائي (سِلْم) بكسر السين وسكون اللام، وقرأ باقي السبعة (سلام). انظر: التبصرة ص (٥٤١)، وحجة القراءات ص (٦٧٩، ٦٨٠).

(٣) انظر: الزاهر (١/ ٦٣-٦٦)، والفروق ص (٦٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

فأعاد عليه، فأعاد عمر مثل ما قال، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ألا تردُّ عليَّ كما أقول؟ قال: أولم أفعل[1]؟ وأما أحسن منها فأن يقول له أكثر من ذلك ما لم يستوف المسلِّم ألفاظ التحية[2]، وذلك أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم فقال النبي ﷺ: «**عليكم السلام ورحمة الله**»، ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال ﷺ: «**وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته**»، فجاء ثالث فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال ﷺ: «**وعليكم**». فقيل له في ذلك، فقال: «**إن الأول والثاني أتيا من التحية شيئًا فرددت عليهما بأحسن مما سلَّما، والثالث حيّاني بالتحية كلِّها فرددت عليه مثلها**»[3].

[٢٨٥/ب] ومن المفسرين/ من قال له: إن من حيّاكم ببعض التحية

---

(١) لم أقف على هذا الأثر.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١١).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٢١)، ورواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٧) رقم (٦١١٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٣): وفيه هشام بن لاحق قوّاه النسائي، وترك أحمد حديثه وبقية رجاله رجال الصحيح. وحسّنه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٦)، وزاد نسبته إلى أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن مردويه.

فحيُّوا بها تامَّة، ومن حياكم بالتحية تامّة فردّوا مثلها[(١)]، ومنهم من قال: بل خُيِّر كلهم بين الأمرين[(٢)]، وقال قتادة: بأحسن منها للمسلمين، وبمثلها أهل الكتاب، وهو أن يقال: وعليكم[(٣)]، وقال ابن عباس: من سلّم عليك من خلق الله فاردد عليه، وإن كان مجوسيًّا[(٤)]. ومن المفسرين من حمل ذلك على الهدايا واللطف،

---

(١) قال النيسابوري: قال العلماء: الأحسن أن يزيد في جواب السلام الرحمة، وإن ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في جوابه البركة، وإن ذكر المجموع أعادها فقط، فإن منتهى الأمر في السلام أن يقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لأن هذا القدر هو الوارد في التشهُّد. تفسير الغرائب (٢/ ٤٦٢).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٦).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٧، ٥٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢١) قال: ورُوِيَ عن عطاء والحسن نحو ذلك. ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٨) ولم ينسبه. وزاد المسير (٢/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠) قال: ورُوِيَ عن الحسن، والنكت والعيون (١/ ٥١٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢). والمجوس: هم عبدة النار، والقائلون بالأصلين: النور وهو عندهم أزلي. والظلمة وهي عندهم محدثة. انظر: الفصل (١/ ٨٦)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٧٨-٢٨٤)، والتبصير للإسفراييني ص (١٥٠).

وقال: حقّ من تولّى شيئًا أن يولّي مثله وأحسن منه[1]، ومنهم من قال: السلام هاهنا السِّلْم، وهو أصله، قال: وهذا أمر منه أن من بذل لكم السلم من الكفار بأن يروم الدخول في الشرع، فابذلوا له، كقوله: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[2]، قال: وأمر بأن يرد على باذلها مثلها أو أكثر منها، قال: ومثله أن يبذل له الأمان مما خافه، وأكثر منه أن يبين أن له ما لهم، وعليه ما عليهم من النصرة والموالاة[3]، وذلك[4] مما قد بيّنه في قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[5] قال: وذلك هو الذي بسطه من بعد في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ

---

(١) نقل القرطبي في تفسيره عن ابن خويز مَنْداد أنه قال: «وقد يجوز أن تحمل هذه الآية على الهبة إذا كانت للثواب، فهو بالخيار؛ إن شاء ردّها، وإن شاء قبلها وأثاب عليها قيمتها». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٨). وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢١٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٨).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

(٣) قال القرطبي: «ووجه النظم بما قَبْلُ أنه قال: إذا خرجتم للجهاد كما سبق به الأمر، فحُييتم في سفركم بتحية الإسلام، فلا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً، بل ردّوا جواب السلام، فإن أحكام الإسلام تجري عليهم» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٨).

(٤) تكررت في الأصل: (وذلك).

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧١.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[2] أي يحاسبكم على كل شيء قلَّ أو كثر، فلا تتغافلوا عن صغيرة وكبيرة[3]، وقول عطاء: حفيظًا[4]، وقول ابن جبير: شهيدًا[5] فإشارة إلى هذا المعنى، وقيل: ﴿حَسِيبًا﴾ أي كافيًا، من قولهم: أحسبني هذا الشيء - أي كفاني - حتى قلت حسبي[6]، ومن قال ذلك جعله من باب: الداعي السميع. أي المسمع[7]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٩١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٨١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٦٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١١).

(٤) هذا القول مروي عن مجاهد، ولم أجد من نسبه لعطاء. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢١)، والنكت والعيون (١/ ٥١٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٨).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٢).

(٦) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١٣٥). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٥)، وقد ردَّ الطبري هذا القول في جامع البيان (٨/ ٥٩١).

(٧) يعني أن حسيبًا بمعنى (محسب) فهو من باب فعيل الذي بمعنى مُفْعِل، وهنا جزء من بيت من بحر الوافر لعمرو بن معد يكرب الزبيدي وتمامه:

=

وفيه[1] ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾[2] أي كافيًا، والمعنى أن الله يعطي كل شيء من المعرفة والحفظ والرزق ما يكفيه إذ هو حافظه.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[3] سمّى يوم القيامة لقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[5] **إن قيل**: ما وجه هذه بعد تلك الآية؟ **قيل**: لمّا أمر المسلمين أن يقبلوا من بذل لهم السلام، بيّن لهم بهذه الآية أن ذلك حكم للظاهر، فأما السرائر فإن الله يتولاها يوم القيامة، / [٢٨٦/أ] تنبيهًا أن الله لا يحب المنافق أن يغتر بهذا، بل يتحقق أن الله له بالمرصاد[6]. **إن قيل**: كيف قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾

= أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحاب هجوع

وهو في ديوانه ص (١٣٦)، والكامل (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، والشعر والشعراء ص (٨٣)، وأمالي الشجري (١/ ٩٧، ٩٨)، والأغاني (١٤/ ٣١).

(١) تصحّفت في الأصل إلى: (ومنهم) والسياق يقتضي ما أثبتّه.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٢٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة المطففين، الآية: ٦.

(٥) سورة النبأ، الآية: ٣٨. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٥).

(٦) قال البقاعي: «... فالحكم على البواطن إنما هو له تعالى، وأما أنتم فلم=

وما[1] كان صدقًا من الحديث لا يتضارب، فيكون من بعض قائليه أكثر صدقًا من قائل آخر؟ قيل: إن الصدق من صفة القائل لا من القول، والقائلون إذا اعتبروا بأقوالهم فمنهم من يكون صدقه في أحاديثه أكثر، فكأنه قيل إذا اعتبر الصادقون في أقوالهم فليس فيهم أكثر صدقًا من الله، فإنه لا يقع في خبره كذب بوجه[2].

قوله عز وجل: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[3].

الرَّكْسُ والنَّكْسُ: الرَّذْلُ، والركس أبلغ، لأن النكس ما جعل أسفله أعلاه، والركس أصله ما جعل رجيعًا[4] بعد أن كان

= تكلّفوا إلا بالظاهر.. فيفصل بينكم وبين من أخبركم بهم من المنافقين، ونقد أحوالهم وبيّن محالهم، فيجازي كلًّا بما يستحق» نظم الدرر (٢/ ٢٩٣).

(١) تصحفت في الأصل إلى: (من)، والصواب ما أثبتّه.

(٢) قال النيسابوري: «﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ استفهام على سبيل الإنكار، وذلك أن الصدق من صفات الكمال، والكمال للواجب أولى وأحقّ وأقدم وأتمّ من غيره». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٦٤). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٩٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٤) في الأصل (من جعل طوفا) وليس له معنى مفهوم، والتصحيح مما نقله=

طعامًا فهو كالرجس، وقد وصف أعمالهم به، كما قال تعالى[1]: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[2] ويقال: ركسه وأركسه، وأركس أبلغ، كما أنَّ أسقاه أبلغ من قولهم سقاه[3]، **إن قيل**: كيف قال: ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ فنفى نفيًا مطلقًا، وقد أثبت للكفار سبيلًا فقال: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾[5]؟ **قيل**: اسم الجنس إذا أطلق فليس يتناول إلا الصحيح، ولهذا يقال: لا صلاة إلا بكذا، وقالوا: فلان ليس برجل. لما كان أخلاق الرجل تتناول للكامل، فلذلك لا يعد قائل ذلك كاذبًا[6]، واختلُف في سبب نزول هذه الآية على

= أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٢٦) عن الراغب.

(١) تكررت جملة (كما قال تعالى) في الأصل مرتين.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٣) انظر: العين (٥/ ٣١٠)، ومعاني القرآن للكسائي ص (١١٨)، ومجاز القرآن (١/ ١٦٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٨)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٥٩، ٧٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦)، وعمدة الحفاظ (٢/ ١٢٢).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٦) لم أجد هذا التوجيه لغير المؤلف، وعامة المفسرين على أن المعنى «فلن تجد لهدايته سبيلًا» أو «لن تجد له طريقًا إلى الجنة أو طريقاً إلى الحق» وهما بمعنى=

أوجه: **الأول**: قال زيد[1]: هي في الذين تخلَّفوا يوم أحد[2]، وقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾[3]. **الثاني**: قال الحسن ومجاهد: هي في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك[4]. **الثالث**: قال ابن عباس وقتادة: في

= الأول. انظر: جامع البيان (٩/ ١٦)، والوسيط (٢/ ٩١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٧).

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النَّجّاري، أبو سعيد وأبو خارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي، وكان بارعًا في الفرائض والقرآن، وقد عدّه مسروق من الستة أصحاب الفتوى في صحابة النبي ﷺ، مات سنة خمس ـ أو ثمان ـ وأربعين، وقيل بعد الخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٦)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩)، والتقريب ص (٢٢٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٢٢، ١٠٢٣)، والبخاري في كتاب التفسير، باب «فما لكم في المنافقين فئتين» رقم (٤٥٨٩). ومسلم في كتاب صفات المنافقين، رقم (٢٧٧٦). وانظر: النكت والعيون (١/ ٥١٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ٩، ١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٤)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والوسيط (٢/ ٩١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، وزاد المسير (٢/ ١٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦).

قـوم أسلمـوا بمكـة، ثـم أعـانـوا المشركين على المسلمين[1]،
[الرابع][2] قال السدي: في قوم بالمدينة أرادوا الخروج منها[3].
الخامس: قال ابن زيد: في قوم من أهل الإفك، وما بعده نزل أنه في شأن الهجرة[4]، وجملة الأمر أن الناس كانوا اختلفوا في فئة من المنافقين فئتين، أمَّنهم بعضهم ووالاهم بعضهم، فقال تعالى: ما لكم قد صرتم فئتين مختلفتين فيهم، وقد خذلهم الله، فبيّن أن لا سبيل لهم / بعد أن أضلهم[5] الله، كقوله [٢٨٦/ب] تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[6]، وقـولـه: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾[7]، قـال

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٠، ١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، وزاد المسير (٢/ ١٥٣، ١٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٥).

(٢) ساقط من الأصل والسياق يقتضيه.

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٢، ١٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٨)، وزاد المسير (٢/ ١٥٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ١٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٩)، وزاد المسير (٢/ ١٥٤).

(٥) في الأصل: (ضلهم) والسياق يقتضي زيادة الألف.

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٧) سورة النساء، الآية: ٨٨.

الحسن: معناه: أتريدون أن تجعلوا لأهل الضلال ما جعله الله لأهل[1] الهدى[2]، وقيل: أتريدون أن تسموهم مهتدين، وقد سمّاهم الله ضالين. وقيل: أتريدون أن تهدوهم كرهًا وقد جعلهم الله بما اكتسبوه حالاً فحالاً ضالين[3]، وذلك إشارة إلى نحو قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[4].

وقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[5]، وقوله: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[6] فقد تقدّم أن الله تعالى لما أجرى العادة أن من تحرى الخير حالاً فحالاً ازداد هداية بسبب ذلك نفسه، إذ كان فاعل أسباب الشيء قد يقال إنه فاعل للشيء، فإنه[7] هو أولى بأن يُسمّى فاعلًا، وقد تقدّم الكلام في الهداية والضلال بما فيه الكفاية[8]، وانتصاب قوله: ﴿فِئَتَيْنِ﴾ على

---

(١) تصحّفت في الأصل إلى: (لأهدى) والصواب ما أثبته.

(٢) ذكر الماوردي نحوه فقال: «تهدوهم إلى الثواب بمدحهم، والله قد أضلّهم بذمهم». النكت والعيون (١/ ٥١٥). ولم أجد من نسب القول الذي ذكره الراغب إلى الحسن.

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٦)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والوسيط (٢/ ٩١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٧).

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٩٣.

(٧) في الأصل: [بأن هو] والسياق يقتضي ما أثبته.

(٨) انظر تفسير الراغب (ق ٥، ٨ - مخطوط).

الحال عند البصريين، وعلى تقدير (كانوا) عند الكوفيين[١]، وعلى هذا القولين قولهم: مالك خارجًا؟.

قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٢].

الهجرة: ترك الشيء والإعراض عنه مكانًا أو خليطًا، وسُمِّي القبيح من الكلام هُجْرًا[٣] لكونه مقتضيًا لهجره، والرفث هَاجِرَةً لكونه حاملًا على أن يهجره، [و][٤] سُمّي المهاجر لتركه وطنه، وصار اسم مدح في الإسلام، وسُمّي من رفض فضولات شهواته مهاجرًا[٥]، عنى تعالى أن الذين تقدّم ذكرهم ممن بقوا بمكة وادعوا الإسلام أنهم كفار، ويريدون لكم الكفر الذي هم

---

(١) انظر: كتاب سيبويه (٢/ ٦٠، ٦١)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨١)، وللأخفش (١/ ٤٥١)، والمقتضب (٢/ ٢٧٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٨)، وإعراب القرآن للنحّاس (١/ ٤٧٨، ٤٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) في الأصل: (هجر)، ولعل الألف سقطت سهواً من الناسخ.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) انظر: العين (٣/ ٣٨٦، ٣٨٧)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤١-٤٦)، والصحاح (٢/ ٨٥١)، والمفردات ص (٨٣٣، ٨٣٤).

عليه، ومن أراد لكم الكفر فمحال موالاتهم، فلا تتخذوهم أولياء حتى يسلموا، ويحققوا إسلامهم بالهجرة، ثم قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي إن كشفوا الغطاء فقط صاروا مرتدين، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، ولا تكونن بينكم وبينهم موالاة ونصر بوجه[1]. إن قيل: فما فائدة قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ بعد أن قال: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾؟ قيل: قد قال بعضهم ذلك على التوكيد، والصحيح أن الذين دخلوا في الإسلام من الأعراب/ فرقتان، فرقة هاجروا وفرقة أقاموا، وبيّن [٢٨٧/أ] الله تعالى أن من أقام ولم يهاجر فلا ولاء له، إلا أن يستنصروكم على قومهم فتنصرونهم، وذلك في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[2] فمنع تعالى عن موالاتهم بقوله: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ كما منع بتلك الآية، ولم يمنعهم من نصرتهم، ثم بيّن أنهم إن تولوا، أي ارتدوا عما أظهروه من

---

(١) انظر تفسير الآية في: جامع البيان (٩/ ١٧، ١٨)، والوسيط (٢/ ٩١، ٩٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٠، ٢٠١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٨)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٧).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

الإسلام، وكشفوا الغطاء بالكفر، فلا يجوز أن توالوهم، ولا أن تنصروهم بوجه[1].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾[2].

الحصر: حبس في ضيق، وعبّر عن البخل والجبن لانحصار النفس، وكذلك عبر عنهما بضيق الصدر وعن ضدهما بسعة الصدر، وبالبر المشتق عن البر أي السعة، والحصور: الممنوع عن الجماع بحبس شهوته، وعن الشراب بحبس ماله لبخله[3]، وفي اتصال هذه الآية بما قبلها وحكمتها صعوبة، ووجه ذلك

---

(١) ذكر المفسرون هذا التقسيم الذي ذكره الراغب عند تفسيرهم لآية الأنفال التي أوردها الراغب، ولم يذكروه عند تفسير آية النساء. انظر: جامع البيان (١٤/ ٧٧-٧٩)، (٨/ ٥٦)، والبحر المحيط (٤/ ٥١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣١٤، ٣١٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٠.

(٣) انظر: العين (٣/ ١١٣)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٦)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٣٠-٢٣٣).

أنه لما أمر تعالى الناس فيما تقدم بالهجرة، ونهى عن موالاة من تأخَّر، استثنى بهذه الآية من يحصل له إحدى حالتين؛ إما أن يصلوا إلى قوم بينهم وبين النبي ﷺ عهد لتعذر لحوقهم به، فيقيموا إلى وقت الإمكان به؛ وإما أن يهاجروا ويأتوا النبي ﷺ والمسلمين فتحصر صدورهم أن يقاتلوا المسلمين لعلمهم بكونهم على الحق، وأن يقاتلوا قومهم لكونهم غير آمنين على مالهم وذويهم، فهذا معنى قوله: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إظهار من الله تعالى لنعمته على المسلمين وأنه لو لم يهدهم لكانوا في جملة المتسلطين عليكم، ثم بيّن أنهم إذ قد اعتزلوا وأظهروا الإسلام فاتركوهم[1]؛ فهذا على ما ذكر هذا القائل هم الذين أسلموا/ ولم يستحكم إيمانهم، [٢٨٧/ب]

(١) قال القرطبي: «ووجه النظم والاتصال بما قبل: أي اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم إلا أن يهاجروا، وإلا أن يتصلوا بمن بينكم وبينهم ميثاق، فيدخلون فيما دخلوا فيه، فلهم حكمهم، وإلا الذين جاؤوكم قد حصرت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فدخلوا فيكم، فلا تقتلوهم». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١٠). وانظر: تفسير الآية في: جامع البيان (٩/ ١٩، ٢١، ٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٩، ٤٦٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠١-٢٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٨-٣١٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٨-٣٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٥، ٥٠٦).

ولم يبلغوا الحدَّ الذي لا يخرجون في نصرة الدين إلى أهلٍ، وقال قتادة ـ وقد رُوِيَ عن ابن عباس: ـ أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ هو في قوم من الكفار[١] اعتزلوا المسلمين يوم فتح مكة فلم يكونوا من الكافرين، ولا مع المسلمين، قال: وهذا معنى ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ قال: ثم نسخ ذلك بآية القتال، والقول الأول أظهر وأحسن[٢]، وقوله: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضع الحال عند الفرّاء، قال: وتقديره قد حصرت صدورهم[٣]، وتقوّى ذلك بقراءة الحسن (أو جاءوكم حَصِرةً صدورهم)[٤]، وقال بعضهم:

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٢٨).

(٢) تحسين الراغب للقول الأول خلاف قول الجمهور، قال النيسابوري: «ثم هؤلاء الجاؤون من الكفار أو من المؤمنين؟ قال الجمهور: هم من الكفار، بنو مدلج جاؤوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين، وعلى هذا يلزم النسخ، لأن الكافر وإن ترك القتال جاز قتله». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٦٧). وقال البقاعي: «وهم من الكفار عند الجمهور». نظم الدرر (٢/ ٢٩٥). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٢٩).

(٣) انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١١٨)، وللفرّاء (١/ ٢٨٢)، والدر المصون (٤/ ٦٦).

(٤) قال السمين الحلبي: «وقرأ الجمهور «حَصِرَتْ» فعلًا ماضياً. والحسن وقتادة ويعقوب: «حَصِرَةً» نصباً على الحال بوزن «نَبِقَة»، وهي تؤيد كون «حصرت» حالاً». الدر المصون (٤/ ٦٧، ٦٨). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

هو خبر بعد خبر، كأنه قيل: أو حصرت صدورهم[(١)]، وقال الجرجاني[(٢)] في كتاب النظم: تقديره: وإن ﴿جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ فحذف إن. قال: والفعل الماضي يقع في الشرط موقع المستقبل[(٣)]، وفيما ادعاه إضمار إن عُهدة، فما أرى أهل اللغة يطابقونه عليه[(٤)]، وقال المبرد: هو دعاء عليهم[(٥)]، وردّ

---

(١) معنى ذلك أنها إخبار بجملة مستقلة بعد أخرى، قال ابن الأنباري: «كأنه قال: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾، ثم أخبر فقال: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾. الإنصاف (١/ ٢٥٤، ٢٥٥). وهذا القول حكاه الزّجّاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٧٩)، ومعاني القرآن (٢/ ١٥٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٦٧).

(٢) الجرجاني: هو أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجماجمي الجرجاني، كان مسكنه بجرجان بباب الخندق، من تصانيفه في نظم القرآن مجلدتان، كان من أهل السنة، روى عن العباس بن عيسى العقيلي - شيخ محمد بن جرير الطبري - وروى عنه محمد بن محمد بن يوسف الطوسي المتوفى سنة ٣٤٤هـ. انظر: تاريخ جرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني ص (١٨٧)، وكشف الظنون (٢/ ١٤٦٧)، ومعجم البلدان لياقوت (٢/ ١٥٩).

(٣) لم أجد قول الجرجاني هذا، وقد نقله عنه أبو حيان مختصراً، ولم ينسبه إلى أحد كتبه. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

(٥) انظر: المقتضب (٤/ ١٢٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٣)، والبحر المحيط=

ذلك أبو علي الفسوي[1]، وقال: قد أُمرنا أن نقول: «اللهم أوقع بين الكفار العداوة والبغضاء»، فلا يجوز أن يُحمل على الدعاء، فيكون في قوله: ﴿أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ﴾ نفي ما اقتضاه دعاء المسلمين عليهم، وهذا القول من المبرد، ومن الرادِّ عليه مبني على أن الآية في الكفار على ما تقدّم من القول الثاني فيه[2]، ولقائل أن يقول: كما يجوز أن يُدعى عليهم بإيقاع العداوة، يجوز أن يدعى عليهم بأن يجعلهم الله حيث لا يقاتلون أعداءهم ولا قومهم، ويكون ذلك سؤالاً لموتهم[3]، ويدلّك على جواز ذلك أنه لو جمع بين المقاتلين لم يمتنع، فكأن يقال: أوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأوهن كيدهم، واجعلهم بحيث لا يقاتلون المسلمين ولا بعضهم بعضًا، على أن قوله ﴿قَوْمَهُمْ﴾ قد يُعبّر به عمن ليس منهم، بل هم من معاديهم كقولك: فلان صاحبك وهم قومك، أي المناصبون لك.

= (٣/ ٣٣٠).

(١) الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان الفارسي الفسوي، قرأ النحو على الزجاج وغيره. من مؤلفاته: التذكرة في النحو، والحجة في القراءات، والإيضاح، والتكملة وغيرها، توفي سنة ٣٧٧هـ. ترجمته في الفهرست ص (٦٤)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٧٩)، وبغية الوعاة (١/ ٤٩٦).

(٢) وهو قول الجمهور كما سبق بيانه.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣٠)، عن غير ابن عطية.

[٢٨٨/أ]

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾(١). /

الركس والرجسُ يتقاربان، لكن الرجس الحس، وقيل: ركسه وركزه بمعنى؛ إلا أن الركس يقال في مكروه(٢)، وقيل: الفتنة هاهنا الكفر(٣)، وقيل: الاختبار(٤)، والسلطان: الحجة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩١.

(٢) قال في المفردات ص (٣٦٤): «الركس: قلب الشيء على رأسه، وردّ أوله على آخره». وقال: «الرجس: الشيء القذر». المفردات ص (٣٤٢). وقال: ركزه: دفنه دفناً خفيًا.. ويقال: ركز رمحه». وهذه المفردات مشروحة في المعاجم بما يقارب ما ذكره في المفردات، ولا يبدو أن بينها تقاربًا، كما قال المؤلف، الذي لم يوضِّح أوجه التقارب. والله أعلم. انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٥٩، ٩٤، ٥٨٠)، والصحاح (٣/ ٨٨٠، ٩٣٣، ٩٣٦)، والقاموس ص (٤٦١، ٤٩٣، ٤٩٤).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٩/ ٢٧، ٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩)، والوسيط (٢/ ٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٦).

(٤) وهو مروي عن قتادة وأبي العالية، وقد جمع الطبري بينه وبين الوجه الأول، ولم ير بينهما تعارضًا. انظر: جامع البيان (٩/ ٢٨)، وتفسير القرآن=

والبطش[1]، وقد تقدّم حقيقته، والآية قيل: نزلت في نعيم[2] بن مسعود[3]، وكان ينقل حديث النبي ﷺ إلى كفار مكة[4]، وقال ابن عباس: نزلت في قبيلتي أسد وغطفان[5]،[6] وقال قتادة: . . . .

= العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٧٥)، والوجوه والنظائر (١/ ٤١٢، ٤١٣).

(٢) في الأصل: (حنتم) والصواب ما أثبتّه.

(٣) نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن أشجع، يكنى أبا سلمة الأشجعي، صحابي مشهور، أسلم ليالي الخندق، وهو الذي أوقع الخلف بين الحيين: قريظة وغطفان في وقعة الخندق، قُتل في أول خلافة علي قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل. وقيل: مات في خلافة عثمان. انظر: الإصابة (٦/ ٣٦٣)، وتقريب التهذيب ص (٥٦٥).

(٤) ذكره الطبري بإسناده عن السدي في جامع البيان (٩/ ٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٢٩)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣١).

(٥) نسبه إلى ابن عباس: السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٦١). وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣١)، ونسبه لمقاتل. ولم ينسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٢٠٥)، ولا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١).

(٦) أسد: قبيلة مضرية كبيرة، وهم نسبة إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس=

في حيٍّ من تهامة[1]، وجملة الأمر أنه لمّا ذكر فيما تقدم من له عذر بأحد الأمرين اللذين ذكرهما، ذكر هاهنا فرقة لا عذر لهم كانوا[2] يظهرون الإسلام ثم يرجعون إلى عبادة الأصنام، كمن ذكرهم في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[3]، فذكر ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾، ويطلبوا

= ابن مضر، كانت ديارها غربي القصيم حتى أطراف الجبلين الجنوبية، ثم تفرقوا في أقطار العالم الإسلامي ولم يعد لهم بقية في أرضهم. انظر: جمهرة النسب للكلبي ص (١٦٨)، ومعجم قبائل الحجاز ص (١٧).

وغطفان: اسم يضم قبائل كبيرة مضرية، وهم نسبة إلى غطفان بن سعد ابن قيس عيلان بن مضر. ومن قبائلهم المشهورة: بنو ذبيان وعبس، كانت منازلهم غرب الجبلين وحرة النار حتى أطراف خيبر والمدينة والقصيم، ثم تفرقوا في البلاد، ولهم بقايا في مطير، ومنهم بنو عبدالله. انظر: جمهرة النسب ص (٤١٤)، ومعجم قبائل الحجاز ص (٣٨٢).

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣١). وتهامة: بكسر التاء «تطلق على الأرض المنكفئة إلى البحر الأحمر، من الشرق من العقبة في الأردن، إلى (المخا) في اليمن». المعالم الأثيرة ص (٧٣). وانظر: معجم ما استعجم (١/ ١٣)، والمعجم الوسيط ص (٩٠).

(٢) في الأصل (كا) حيث سقط آخر الكلمة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤.

بدخولهم الإسلام، ويكُفّوا أيديهم عنكم، فقد أُبيح لكم قتلهم، وقد جعل الله لكم عليهم[1] حجة بما بيّنه، وقوله: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي إذا ردوا إلى الكفر عادوا إليه فتنجّسوا به، وقيل: إذا رُدّوا إلى الاختبار[2] أي الإسلام وجدوا يركسون فيها، ويكون قوله: ﴿أُرْكِسُواْ﴾ وجدوا كقولهم: أُحْمِدُوا وأُذِمُّوا[3]، وقيل: الفتنة الاختبار إنما أريد به ما قصد بقوله: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[4] ومعناه أنه إذا نالتهم محنة ارتدوا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾[5] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ

---

(١) في الأصل: (عليكم) وهو تصحيف، والصواب ما أثبته.

(٢) تقدّم بيان معنى (الفتنة) في الآية قريباً.

(٣) من معاني صيغة (أفعل) أنها تدلُّ على وجود المفعول به على حالة معينة مثل: أحمدت فلانًا، إذا وجدته محمودًا، وأبخلتُه: إذا وجدته بخيلًا. انظر: الشافية ص (١٩)، وتسهيل الفوائد ص (١٩٨)، والمساعد (٢/ ٦٠٠).

(٤) سورة العنكبوت، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة الحج، الآية: ١١.

أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]

إن قيل: هل يجوز أن يقتل المؤمن خطأ حتى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾؟ قيل: إن قولك يجوز أو لا يجوز. إنما يقال في الأفعال الاختيارية/ المقصودة[2]، فأما الخطأ [٢٨٨/ب] فلا يقال فيه ذلك، وقولك: ما كان لك أن تفعل كذا، وقولك: ما كنت لتفعل كذا متقاربان، وهما تعليلان بمعنى، وإن كان أكثر ما يقال للأول لما كان الإحجام عنه من قبل نفسه، ويدلّ على أنه قد يقال: ما كان لك أن تفعل كذا ـ لما ذكرنا ـ قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[3]، لأن معناه: ما كان الله ليتخذ ولدًا في أنه لا نهي، وعلى هذا قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٢) الأفعال الاختيارية: هي كل فعل يفعله الإنسان بإرادته لا على سبيل الإكراه والاختيار: هو طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرًا وإن لم يكن خيرًا. وقال بعضهم: «الاختيار: الإرادة مع ملاحظة ما للطرف الآخر، كأن المختار ينظر إلى الطرفين ويميل إلى أحدهما. انظر: الكليات ص (٦٢). لا على سبيل الإكراه.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٥.

شَجَرَهَآۗ﴾[1]، فقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما كان المؤمن ليقتل مؤمنا إلا خطأ، وهذا ظاهر، وهذا المعنى أراد من قال معناه: ما ينبغي للمؤمن أن يقتل مؤمنًا متعمدًا، ولكن يقع ذلك منه خطأ، وكذا من قال: ليس في حكم الله أن يقتل المؤمن مؤمنا إلا خطأ، وقال الأصمّ: معناه ليس القتل لمؤمنٍ بمتروك لا يقتص له إلا أن يكون قتله خطأ[2]، وهذا يرجع إلى الأول، وقول بعض النحويين: إن هذا استثناء خارج[3] فليس على التقدير الذي ذكرناه، كذلك، بل هو واجب، وذكر عليّ بن موسى القمّي[4]

(١) سورة النمل، الآية: ٦٠.

(٢) نقل أبو حيان كلام الراغب من أول تفسيره للآية وحتى هذا الموضوع ونسبه إليه. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٣). وانظر كلام العلماء حول هذه الآية في: جامع البيان (٩/ ٣٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٧٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٦).

(٣) يعني استثناء منقطعًا، وقائل ذلك أبو عبيدة والزجاج. انظر: مجاز القرآن ص (١٣٦-١٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٠).

(٤) علي بن موسى بن يزداد القمي أبو الحسن، فقيه حنفي، انتهت إليه إمامة أهل الرأي في عصره، من مصنفاته: «أحكام القرآن»، و «إثبات القياس والاجتهاد وخبر الواحد»، و «نقض ما خالف فيه الشافعي العراقيين في أحكام القرآن»، توفي سنة ٣٥٠هـ. انظر: الفهرست لابن=

أن معنى ذلك: ليس للمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا أن يراه في دار الحرب، فيظنه كافرًا فيقتله خطأ، فيكون الخطأ راجعًا إلى القاتل في كونه غير عالم بحال المقتول، وأما من قال: معنى ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ ولا خطأً[1]، واستدلاله بقول الشاعر:

وكــلُّ أخ مفــارقــه أخــوه لعَمْرُ أبيك إلا الفَرْقَدانِ[2]

أي: ولا الفرقدان[3]، فذلك تشبيه فيه ما أرى أن محققي

= النديم ص (٣٥٠)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٤٣٩)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص (٢٦).

(١) قال السمعاني: «وقال بعضهم: (إلا) بمعنى (ولا) يعني: ولا خطأ. ولا يعرف في كلام العرب (إلا) بمعنى (ولا)، ولأنه يقتضي النهي عن قتل الخطأ، والخطأ لا يدخل تحت النهي والأمر». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٤).

(٢) هذا بيت من بحر الوافر لعمرو بن معدي كرب، وقيل لحضرمي بن عامر، وهو في ديوان عمرو ص (٢٦٧)، وكتاب سيبويه (٢/ ٣٣٤)، والأغاني (١٤/ ٣١)، والكامل (٤/ ٧٦)، والبيان والتبيين (١/ ٢٢٨)، والمؤتلف والمختلف ص (١١٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وتاج العروس (٨/ ٤٩٢). والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان. وقيل: كوكبان قريبان من القطب. انظر: تاج العروس (٨/ ٤٩١).

(٣) نسب هذا القول إلى رؤبة في البحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وهو بغير نسبة في معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦١).

النحويين يوافقونه[1]، وقيل: الخطأ في الأصل على وجوه؛ منها: أن يقع بلا قصد من القاتل إلى القتل، ولا إلى الإتيان به بوجه، كمن سقط من يده شيء فأصاب نفسه فقتله، ومنها أن يقصد إصابة الشيء غير المقتول، فاتفق إصابته فقتله، كمن يرمي صيدًا فأصاب إنسانًا فقتله، أو يقصده ولكن لا بسلاح يقتل مثله، أو يقصده بسلاح لكن لا يريد قتله، أو يقصده بسلاح ويريد قتله لكن لا يعلمه محظور القتل، كمن يرمي مسلمًا في صف المشركين، أو يقصده بسلاح ويريد قتله لا في دار الحرب، لكن القاصد غير
[٢٨٩/أ] مكلف كالصبي والمجنون،/ وكل ذلك يقال له: قتل الخطأ، لكن لذلك تعارفٌ في الشرع هو المُراعى، وقد بُيِّن ذلك في كتب الفقه[2].
والرقبة المؤمنة: أن يكون مولودًا في دار الإسلام صغيرًا كان أو

---

(١) أجاز الكوفيون أن تكون (إلا) بمعنى الواو، ومنع ذلك البصريون. انظر: المسألة رقم (٣٥) من الإنصاف ص (٢٦٦-٢٧٢)، وقد ردَّ النحاس على من قال (إلا) هنا بمعنى (ولا) في معانيه (٢/ ١٥٩)، والإعراب له (١/ ٤٨٠)، وفي تهذيب اللغة (١٥/ ٤٢٧): «وأما قول أبي عبيدة في (إلا) الأولى يعني التي تكون للاستثناء إنها تكون بمعنى الواو فإنه خطأ عند النحويين».
(٢) انظر: أوجه قتل الخطأ في: جامع البيان (٩/ ٤٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٢، ٢٢٣)، والمغني (٧/ ٦٥٠، ٦٥١)، والعزيز (١٠/ ١٢٠ وما بعدها).

كبيرًا، أو سباه من دار الحرب مسلم قبل البلوغ، أو أسلم بعد البلوغ، وهذا الإيمان هو الإسلام[1]، دون كمال الإيمان المتقدّم ذكره في غير هذا الموضع، قال الحسن: ما في القرآن مؤمنة فلا يُجزئ إلا من صام وصلى وحسن إسلامه، وما عدا ذلك فيجزئ فيه الصغير والكبير[2]، وقال إبراهيم: لا يجزئ في ذلك إلا البالغ[3]، وقدر الدية مختلفٌ فيه والمفزع فيه إلى السنة، وظاهر الآية يقتضي شيئًا مقدرًا[4]، والتتابع في صيام الشهرين مشروط، والظاهر

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٤)، والنكت والعيون (١/ ٥١٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٩)، وزاد المسير (٢/ ١٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٩/ ٣٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٢)، والنكت والعيون (١/ ٥١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٦).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وقد روى الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٦) بسنده عن إبراهيم في قوله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ قال: إذا عقل دينه. وهو بمعنى ما ذكره الراغب. وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٢).

(٤) قال الجصاص: «وقد تواترت الآثار عن النبيّ ﷺ بمقدار الدية، وأنها مائة من الإبل» أحكام القرآن (٢/ ٢٣٢). وانظر: جامع البيان (٩/ ٤٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٥)، وقد حكى الإجماع على ذلك.

[أن][1] ما لا يمكن الاحتراز منه لا يبطل التتابع كالحيض والمرض الطارئ والإغماء، وأما مصادفة الأيام التي حُظر فيها الصوم كيوم العيد، وأيام التشريق، والإفطار في السفر، أو الشهر الذي يستحق صومه بالشرع كشهر رمضان، فإن ذلك يقطع التتابع، ويوجب الاستئناف[2]، وحكي عن مسروق[3] أن ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ عنى من لم يجد الدية والرقبة[4]، وسائر أهل العلم بخلافه، فالدية حق الآدميين، والكفارة حق

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٤٦)، وزاد المسير (٢/ ١٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٧، ٣٢٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٨).

(٣) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة، من فقهاء الكوفة وعبادها، وهو من العلماء بالفتوى ومن أصحاب ابن مسعود الذين كانوا يعلمون الناس السنة، ثقة مخضرم من الثانية، مات سنة ٦٢هـ، وقيل: ٦٣هـ. انظر: تقريب التهذيب ص (٥٢٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩).

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ٥٥، ٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٥١٩)، وزاد المسير (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٧). وقال ابن عطية: «وهذا القول وهمٌ، لأن الدية، إنما هي على العاقلة، وليست على القاتل» المحرر الوجيز (٤/ ٢١١). قال أبو حيان: «وليس بوهم، بل هو ظاهر الآية» البحر المحيط (٣/ ٣٣٨).

الله، فلا تنوب إحداهما عن الأخرى[1]، وقال الأصمّ: ظاهر الكتاب يدل على أن الدية تلزم القاتل، لأنه قال: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فعطفها على الكفارة، ومعناه: عليه ذلك[2]. وإنما بيّن النبي ﷺ أن دية الخطأ تتحمَّل العاقلة عن القاتل على سبيل المواساة، لا أنه نسخ الكتاب بالسنة[3]، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ أي: يعفوا عن الدية، فجعل العفو عنها صدقة منهم، تنبيهًا على فضيلة العفو وحثًّا عليه، وأنه جار مجرى الصدقة في استحقاق الثواب الآجل به دون طلب العوض

---

(١) قال الطبري: الصواب من القول في ذلك: أن الصوم عن الرقبة دون الدية، لأن دية الخطأ على عاقلة القاتل، والكفارة على القاتل بإجماع الحجة على ذلك، نقلًا عن نبيّها ﷺ، فلا يقضي صوم صائم مما لزم غيره في ماله. جامع البيان (٩/ ٥٦). وانظر: النكت والعيون (١/ ٥١٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢١١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٧)، وزاد المسير (٢/ ١٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٨).

(٢) ذكر هذا القول الرازي في التفسير الكبير (١٠/ ١٨٤)، ونسبه للأصم وجمهور الخوارج.

(٣) قال الجصاص: «وليس في إيجاب الدية على العاقلة أخذهم بذنب الجاني، إنما الدية عندنا على القاتل، وأمر هؤلاء القوم بالدخول معه في تحمُّلها على وجه المواساة له من غير أن يلزمهم ذنب جنايته...» أحكام القرآن (٢/ ٢٢٤).

العاجل، وهذا حكم من قُتل في دار الإسلام خطأ[1]، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[2] أي من أهل الحرب في الدار والمعركة، وفي فقد التمييز لا في معنى القرابة، ولا فرق بين أن يكون مسلمًا دخل دار الحرب، أو أسلم هناك ولم يهاجر، وقيل: قد دخل في ذلك من أسلم في دار الإسلام من [٢٨٩/ب] المشركين ولم يعلم القاتل به، وخبر الحارث[3] يدلّ/ على ذلك، لأنه قتل بالمدينة وقد كان أسلم[4]، وقيل: إنما أسقط الدية فيه إذا كان أولياؤه كفارًا وهو مؤمن، فإن ديته راجعة إلى المؤمنين

---

(١) ذكر أبو حيان كلام الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ ولكنه لم ينسبه إليه. وانظر: نحواً من كلام الراغب في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٣) الحارث بن يزيد بن أبي أنيسة، ويقال: ابن نبيشة، من بني معيص بن عامر بن لؤي، كان يؤذي المسلمين بمكة وهو كافر، فلما هاجر الصحابة أسلم ولم يعلموا بإسلامه، وأقبل مهاجرًا حتى إذا كان بظاهر الحرة لقيه عيّاش بن أبي ربيعة، وظنه على شركه فعلاه بالسيف حتى قتله. انظر: الاستيعاب رقم (٤٥٥)، وأسد الغابة رقم (٩٨٢)، والإصابة (١/ ٧٠٠).

(٤) انظر الخبر في: جامع البيان (٩/ ٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣١)، والنكت والعيون (١/ ٥١٧)، وأسباب النزول ص (١٦٩)، وزاد المسير (٢/ ١٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٢).

فلا معنى لإلزامهم[1]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[2] أي كان المقتول خطأ من قوم كذلك. واختلفوا هل الإيمان شرط فيه؟ فقال الحسن ومالك: هو شرط[3]، تقديره: إن كان المقتول خطأ مؤمنًا، قال مالك: ولا كفارة في قتل الذمي[4]، ومنهم من قال: الآية واردة فيمن

---

(١) قال القرطبي في الجامع (٥/ ٣٢٤): «وقالت طائفة: بل الوجه في سقوط الدية أن الأولياء كفار فقط، فسواء كان القتل خطأ بين أظهر المسلمين أو بين قومه ولم يهاجر، أو هاجر ثم رجع إلى قومه كفارته التحرير ولا دية فيه، إذ لا يصحّ دفعها إلى الكفار، ولو وجبت الدية لوجبت لبيت المال على بيت المال، فلا تجب الدية في هذا الموضع، وإن جرى القتل في بلاد المسلمين، هذا قول الشافعي، وبه قال الأوزاعي والثوري وأبو ثور، وعلى القول الأول إن قتل المؤمن في بلاد المسلمين وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة». وللعلماء في ذلك أقوال متعددة. انظر: جامع البيان (٩/ ٣٨-٤٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٤٠-٢٤٢)، ولابن العربي (١/ ٤٧٦، ٤٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٣، ٣٢٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٣) انظر: قول الحسن ومالك في: جامع البيان (٩/ ٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٨)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٧).

(٤) قال ابن العربي: «كل كافر لا كفارة في قتله، كالمستأمن، وقد اتفقنا على=

كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فأسلم، ثم قتله مسلم من غير حرب، قالوا: وكان هذا في زمن الرسول ﷺ، فأما بعد فقد أُمروا بقتالهم[1]، ومنهم من قال: عنى بالميثاق الذمة إما بالعهد أو الاستئمان[2]، والظاهر أن كل قَتْل في عهد جائز بين المسلمين ففيه الدية والكفارة[3]. وتعلّق هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر فيما قبلها[4] حُكم[5] من أسلم فمنعه عذر من مقابلة أعداء المسلمين، وحُكم من لم يسلم، وإنما يريد أن يَسْلَمَ على

= أنه لا كفارة في قتله». أحكام القرآن (١/ ٤٧٨).

(١) ذكر هذا القول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٥).

(٢) قال الطبري: «وأما الميثاق فإنه العهد والذمة» جامع البيان (٩/ ٤٤).
وانظر: النكت والعيون (١/ ٥١٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦٢)، والوسيط (٢/ ٩٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٧)، والتفسير الكبير (١٠/ ١٨٧).

(٣) ذلك سواء أكان المقتول خطأ مؤمنًا أو كافرًا، وهذ قول ابن عباس والشعبي وإبراهيم والزهري والشافعي. انظر: جامع البيان (٩/ ٤١، ٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٥١٩)، والوسيط (٢/ ٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٣)، وزاد المسير (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٧).

(٤) تكررت في الأصل عبارة: (وهو أنه لما ذكر فيما تقدم).

(٥) كُرِّر في الأصل هذا المعنى بقوله: (وبيّن حكم)، بعد كلمة: (حكم)، والسياق مستقيم بدونها.

الفريقين، فأمر في الأولى بالتجافي وفي الثانية بقتلهم، بيّن هاهنا خطر قتل المؤمنين، وجعلهم صنفين: مقتولاً خطأ، ومقتولاً عمدًا. فبيّن حكم الخطأ وجعل المقتولين ثلاثة أصناف على ما فسرناه، ثم بيّن حكم قتل العمد، فقال تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

العمد: فعل الشيء عن إرادة واختيار، ويضاده الخطأ[2]، وصفة قتل العمد أن يقصده بحديدة أو حجر يقتل غالبًا، أو توبع عليه بخنق أو بسوط فتوالى عليه حتى يموت[3]، والآية قيل نزلت في رجل فقده الكفار، وذاك أنه خرج [في][4] سرية فنزلوا ماء، فخرج من أصحابه عليه السلام رجل فحمل عليه فقتله[5]، وقيل: هي في رجل رآه أخوه مقتولاً في بني

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) قال ابن فارس: «عَمَدت للشيء إذا قصدت له، وهو نقيض الخطأ» مجمل اللغة ص (٤٨٤)، وانظر: المفردات ص (٥٨٥)، والكليات ص (٥٩٩).

(٣) انظر أوجه قتل العمد في: جامع البيان (٩/ ٥٧-٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٣)، والوسيط (٢/ ٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٤)، والمغني (٧/ ٦٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٩).

(٤) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٥) ذكر العلماء هذا السبب ضمن أسباب نزول الآية التي تلي هذه الآية =

النجار[1]، فشكا إلى النبي ﷺ فأمر أن تُدفع إليه الدية فدفعت إليه، ثم حَمَل على مسلم فقتله فهرب إلى مكة[2]، ولا خلاف بين عامة المسلمين أن التائب يخرج من هذا الحكم[3]، وقد روي عن

= انظر: جامع البيان (٩/ ٧٣ ـ ٧٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٠، ٥٢١)، والوسيط (٢/ ١٠١)، وأسباب النزول ص (١٧١)، وزاد المسير (٢/ ١٦٩ ـ ١٧١).

(١) بنو النجار: بطن من أنصار الخزرج من أهل المدينة، وهم الذين ناصروا النبي ﷺ، اشتهروا بالشجاعة والثبات على الإيمان، كان موطنهم الأصلي المدينة، ثم تفرَّقوا، ولم يبق لهم باقية. ونسبتهم إلى النجار بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج. انظر: الإنباه على قبائل الرواه (٨/ ١١٠).

(٢) انظر هذا الخبر في: جامع البيان (٩/ ٦١، ٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧)، والنكت والعيون (١/ ٥١٩)، والوسيط (٢/ ٩٥، ٩٦)، وأسباب النزول ص (١٧٠، ١٧١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٦)، وزاد المسير (٢/ ١٦٦).

(٣) خالف في ذلك ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: «وأنَّى له التوبة». ورُوِيَ عن ابن عمر وأبي هريرة أنهما قالا: «ولا توبة له». انظر: بحر العلوم (١/ ٣٧٦). وقال البغوي في معالم التنزيل: «والذي عليه الأكثرون، وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمدًا توبته مقبولة، لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل...»=

النبي ﷺ أن رجلًا جاء فقال: هل للقاتل/ توبة؟ فقال: «نعم». [٢٩٠/أ]
ثم جاءه آخر فسأله عن ذلك، فقال: «لا توبة له»، فراجعه بعض أصحابه في ذلك، فقال: «إن الأول كان قد قَتَل فكرهت أن أؤيسه من رحمة الله، فيتملّكه الشيطان فيهلكه، وأما الثاني فرأيته عازمًا على قتل رجل اعتمادًا على أن يتوب من بعد، فكرهت أن يمضي عزيمته»[(١)]، وأهل الوعيد يجرون الآية على العموم، ويخصصون به قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٢)]، ومخالفوهم يخصصون قوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ﴾ الآية، ويجرون تلك على العموم[(٣)]، والمفزع لمن يريد تحقيق ذلك إلى غير

= معالم التنزيل (٢/ ٢٦٧). وانظر: جامع البيان (٩/ ٦٩، ٧٠)، وزاد المسير (٢/ ١٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٣٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٩).

(١) هذا أثر يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥٣) وعزاه إلى عبد بن حميد، والنحاس، عن سعد بن عبيدة.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨. قال أبو حيان: «وذهبت المعتزلة إلى عموم هذه الآية، وأنها مخصصة بعمومها لقوله ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾...» البحر المحيط (٣/ ٣٣٩).

(٣) كما ورد فيما نقلته عن البغوي آنفًا.

الآيتين، والله أعلم، وقد تقدّم أن القصد بغضبه تعالى إلى إنزال عقابه، دون تغيّر حال يعتري ذاته، تعالى الله عن التغيّرات[1]، ولعنته في الدنيا: إبعاده من لَعَنَهُ عن الصفات النفيسة التي يتخصص به أولياؤه، وفي الآخرة عقابه وتبعيده عن ثوابه[2].

قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[3].

قرئت: تثبتوا و تبينوا[4]، وقيل: التبيُّن أبلغ[5]؛ لأنه قل ما يكون إلا بعد التثبُّت[6]، وقد يكون التثبُّت ولا

---

(١) انظر ص (٣٦٧) من هذه الرسالة.

(٢) تقدم ذكر معنى اللعن. انظر ص (١٨٧) من هذه الرسالة.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبّتوا) بالثاء. وقرأ الباقون: (فتبيّنوا). انظر: حجة القراءات ص (٢٠٩)، ومعاني القراءات ص (١٣٢)، والمبسوط ص (١٥٧)، والغاية ص (٢٢٨)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٦).

(٥) قال النحاس: «(وتبينوا) في هذا أوكد، لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبين» إعراب القرآن (١/ ٤٨١).

(٦) قال أبو هلال: «والتبيين: علم يقع بالشيء بعد لبسٍ فقط»، الفروق ص=

تبيُّن[1]، وقد قُوبل بالعجلة في قولهم: التبيُّن من الله، والعجلة من الشيطان فتبيّنوا، وقُرِئ السَّلَم والسلام[2]، والسلام قيل: التحية[3]، وقيل: الاستسلام[4]. والسَّلم والسِّلْم: الصلح[5]، وقيل: هو بمعنى الإسلام[6]، ويقال للصلح: السلم، فلا يكون مرادًا هاهنا، لأن المسلم مخيّر إذا طلب الكافر منه السلم بين أن يبذله له، وبين أن يمنعه، ورُوِيَ أنه خرج مقداد[7] في سريته فمر برجل في غُنَيِمات، فقال: إني مسلم. فلم

= (١٠٣)، وانظر: حجة القراءات ص (٢٠٩) وقال الأخفش: «هما بمعنى» معاني القرآن (١/ ٤٥٢، ٤٥٣). وقال الفرّاء: «هما متقاربان في المعنى» معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٣).

(١) نقل أبو حيان عن الراغب هذه الجملة في البحر المحيط (٣/ ٣٤٢) ونسبها إليه.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحمزة وأبو جعفر وخلف: (لمن ألقى إليكم السَّلَم) بغير ألف. وقرأ الباقون: (السلام). انظر: حجة القراءات ص (٢٠٩)، والمبسوط ص (١٥٨)، والغاية ص (٢٢٨)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٦).

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٨٢)، وحجة القراءات ص (٢٠٩).

(٤) انظر: تأويل المشكل ص (٤٧٩)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٩)، فقد جوّز ذلك، وكذلك فعل الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٢).

(٥) نسب هذا القول إلى الربيع. انظر: حجة القراءات ص (٢٠٩).

(٦) قاله ابن جرير. انظر: جامع البيان (٩/ ٨٢).

(٧) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة الكندي المعروف بالمقداد بن=

يلتفت إلى قوله، فقتله وأخذ غنيماته، فلما رجع إلى النبي ﷺ [٢٩٠/ب] أنكره، فقال: «هلّا شققت/ عن قلبه»(١)، والآية تدلُّ على أن المجتهد في مسائل الاجتهاد معذور(٢)، ولولا ذلك لما قارّه النبي

= الأسود، من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا والمشاهد كلَّها مع النبي ﷺ، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه عليّ وأنس وآخرون، توفي سنة ٣٣هـ. انظر: الإصابة (٦/ ١٥٩)، والتقريب ص (٥٤٥).

(١) انظر خبر المقداد في: جامع البيان (٩/ ٨٠) بنحوه، وقد ذكره البخاري في صحيحه معلقًا (١٢/ ١٩٤) رقم (٦٨٦٦) كتاب الديات، باب ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾. ورواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٠) رقم (١٢٣٧٩)، وقال الحافظ في الفتح (١٢/١٩٨): «وهذا التعليق وصله البزار والدارقطني في الأفراد، والطبراني في الكبير». قال الماوردي: واختلف في قاتله على خمسة أقاويل: أحدها: أنه أسامة بن زيد، وهو قول السدي. والثاني: أنه المقداد، وهو قول سعيد بن جبير. والثالث: أبو الدرداء، وهو قول ابن زيد. والرابع: عامر بن الأضبط الأشجعي، وهو قول ابن عمر. والخامس: هو محلّم بن جثامة الليثي. النكت والعيون (١/ ٥٢١).

(٢) يدلّ على ذلك قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» متفق عليه. قال النووي: «قال العلماء: أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن أصاب فله أجران؛ أجر باجتهاده وأجر بإصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده..» شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٣، ١٤). وانظر: =

ﷺ، وقرأ أبو جعفر: لست مَأمنًا أي مبذولاً له الأمان[1].

قوله عز وجل: ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

الدرجة معروفة[3]، ومنها أدرجت الكتاب: طويته طيًّا يشبه الإدراج[4]، وغير يوصف به النكرة، وما فيه الألف واللام إذا دلّ على الجنس[5]، وقد يُستثنى

= فتح الباري (١٣/ ٣٣١، ٣٣٢).

(١) قال أبو حيان: «قرأ أبو جعفر (مأمنًا) بفتح الميم، أي لا نؤمنك في نفسك، وهي قراءة عليّ وابن عباس وعكرمة وأبي العالية ويحيى بن يعمر» البحر المحيط (٣/ ٣٤٢). وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٨٢)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٤٠٣).

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٩٥، ٩٦.

(٣) في المفردات ص (٣١٠): «والدرجة: نحو المنزلة، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيطة، كدرجة السطح والسلّم، ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة». وانظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٦٤٢).

(٤) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (١٢٤)، والصحاح (١/ ٣١٣).

(٥) انظر: مغني اللبيب ص (٢١٠)، وقال الزجاج: «الأصل أن يكون صفة للنكرة» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٣).

به[1]، فإذا قُرِئَ منصوبًا فعلى الاستثناء أو على الحال، وإذا جُرّ فصفة[2] للمؤمنين، وإذا رُفع فصفة[3] للقاعدين[4]، والضرر: اسم عام لكل ما يضر بالإنسان في بدنه ونفسه[5]، وعلى سبيل الكفاية عبّر عن الأعمى بالضرير[6]، **فإن قيل**: كيف يصحُّ حمله على الأمراض النفسية، وقد قال في ذم الكفار: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[7]؟ [قيل][8]: إن الذي عذرهم الله تعالى فيه هو ما لم يكن الإنسان نفسه سببه، وما ذموا به فهو المرض، أي الجهل الذي يكون[9] هو سبب استجلابه من ترك إصغائه إلى

---

(١) انظر: المفصل ص (٨٨)، وتسهيل الفوائد ص (١٠٦).

(٢) في الأصل (نصفه) وهو تصحيف ظاهر والصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل (نصفه) وهو تصحيف ظاهر والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٣)، وللأخفش (١/ ٤٥٣)، وللنحاس (٢/ ١٧٠، ١٧١)، وإعراب القرآن له (١/ ٤٨٣)، والإيضاح ص (٢٠٩).

(٥) انظر: العين (٧/ ٧)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٣١٢)، والصحاح (٢/ ٧١٩-٧١٨). قال الخليل: «الضرر: النقصان يدخل في الشيء.. والضرر: الزمانة». وقال الجوهري: «الضرر: خلاف النفع».

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٧٠).

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٨) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٩) تصحّفت في الأصل إلى: (يكرهون)، والصواب ما أثبته.

الحق، وإهمال نفسه من العادات الجميلة، ولذلك قال ابن عباس أولي الضرر: هم أهل العذر(١)، فعمّم، وقد ذكر عامة ما أجمله هاهنا في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾(٢) الآية. **إن قيل**: لم كرر الفضل وأوجب في الأول درجة، وفي الثاني درجات، وقيدها بقوله: ﴿مِّنْهُ﴾، وجعل معها المغفرة والرحمة؟ **قيل**: في ذلك أجوبة: **الأول**: أنه عنى بالدرجة ما يؤتيه في الدنيا من الغنيمة، ومن السرور بالظفر وجميل الذكر، وبالثاني ما يخولهم في الآخرة، ونبه بإفراد الأول، وجمع الثاني أن ثواب الدنيا في جنب ثواب الآخرة يسير، **والثاني**: أن المجاهدين في ثواب الدنيا [يتساوون](٣) فيما يتناولونه، كمن يأخذ سلب مقتوله، وكتساوي نصيب/ كل واحد من الفرسان، ونصيب كل واحد من [٢٩١/أ] الرجالة، وهم في الآخرة يتفاوتون بحسب إيمانهم، فلهم درجات حسب استحقاقه، ومنهم من يكون له الغفران، ومنهم من تكون له

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ٩٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢١)، وزاد المسير (٢/ ١٧٤).

(٢) سورة النور، الآية: ٦١.

(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها. وقد نقل أبو حيان هذه العبارة بنحو ذلك فقال: «وقيل: المجاهدون تتساوى رتبهم في الدنيا بالنسبة إلى أحوالهم، كتساوي القاتلين بالنسبة إلى أخذ سلب من قتلوه، وتساوي نصيب كل واحد من الفرسان...». انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٤٦).

الرحمة فقط، وكأن الرحمة أدنى المنازل، والمغفرة فوق الرحمة، ثم بعده الدرجات على الطبقات[1]، وعلى هذا نبه بقوله: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[2].

ومنازل الآخرة تتفاوت، وقد نبّه على ذلك بنحو قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[3] إلى قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4]. **والثالث**: أن الجهاد جهادان: صغير وكبير، فالصغير مجاهدة الكفار، والكبير مجاهدة النفس، وعلى ذلك دلّ قوله عليه الصلاة والسلام: «**رجعنا من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر**»[5]، وبقوله: «**جهادك** . . . .

(١) نقل أبو حيان هذين الوجهين اللذين ذكرهما الراغب بنحو ما ذكر الراغب في البحر المحيط (٣/ ٣٤٥، ٣٤٦). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٢١، ٢٢٢)، وزاد المسير (٢/ ١٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٤٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

(٥) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» ص (١٦٥) رقم (٣٧٣) وقال: هذا إسناد فيه ضعف. وأخرجه الخطيب في تاريخه (١٣/ ٤٩٣) وعزاه العراقي في تخريج أحاديث «إحياء علوم الدين» للبيهقي في الزهد. انظر هامش الإحياء (٣/ ٧).

هواك»[1]، وإنما كان مجاهدة النفس أعظم، لأن من جاهد نفسه فقد جاهد الدنيا، ومن غلب الدنياهان عليه مجاهدة العدى، فخصَّ بمجاهدة النفس بالدرجات تعظيمًا لها. **والرابع**: أن الأول عنى به الجهاد بالمال، والثاني الجهاد بالنفس[2].

إن قيل: لِمَ ذكر مع الدرجات المغفرة والرحمة معًا؟ وما الفرق بينهما؟ **قيل**: إن المغفرة تُقال اعتبارًا بإزالة الذنوب، والرحمة تقال اعتبارًا بإيجاب التوبة، وإدخال الجنة،

---

(١) يبدو أن هذا جزء من الحديث السابق، وقد ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤٢٤) فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد القلب». قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عيلة». انتهى. وأقول: الحديث في الإحياء قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ: «قدم النبيّ ﷺ من غزاة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**مجاهدة العبد هواه**» اهـ. ولم أقف على كلام الحافظ ابن حجر في القسم المطبوع من «تسديد القوس».

(٢) ذكر النيسابوري الوجه الثالث والرابع ودمجهما في قول واحد، فقال: «وقيل: المراد بالمجاهد الأول صاحب الجهاد الأصغر، وهو الجهاد بالنفس والمال، وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الأكبر، وهو المجاهد بالرياضة والأعمال». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٧٩).

والدرجات هي: المنازل الرفيعة بعد إدخال الجنة، وقيل: إن الرحمة هي: أن يتوب عليه [من][1] الذنب وإن كان بعد تبكيت وعقاب، والمغفرة هي: أن يستر ذنوبه فلا تبكيت به، والدرجات: هو أن يجعل لكل واحد درجة بقدر ما يليق به، وهي المعبرة عنها بالغرفات[2]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدّ الله أعلاها للمجاهدين في سبيله**»[3]، فقال رجل: ما الدرجة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أما إنها ليست بعتبة**»[4]، **إن قيل**: كيف

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) قال أبو حيان: «قيل الدرجات باعتبار المنازل الرفيعة بعد إدخال الجنة، والمغفرة باعتبار ستر الذنب، والرحمة باعتبار دخول الجنة» البحر المحيط (٣/ ٣٤٧).

(٣) في الأصل: (سبيل)، والصواب ما أثبته. والحديث إلى هنا أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب «درجات المجاهدين» رقم (٢٧٩٠)، وفي كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء» رقم (٧٤٢٣). وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص (٣٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) على عادة الراغب فإنه اختصر الحديث، وتمامه: «**أما إنها ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مائة عام**» وهو حديث آخر غير حديث أبي هريرة، أخرجه النسائي في سننه (٦/ ٢٧)، كتاب الجهاد، باب «ثواب من رمى بسهم في سبيل الله» ونصّ الحديث عن كعب بن مرة رضي الله عنه، قال: =

قال: وكلًّا وعد الله الحسنى والكفار من جملة الكل؟ قيل: إن كلًّا هاهنا لم تتناول إلا من تقدّم ذكره من المؤمنين والمجاهدين والقاعدين.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ/ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ [٢٩١/ب] وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(١). توفاهم. قيل: هو ماض، وقيل: تقديره تتوفاهم الملائكة(٢)، وذلك في وصف قوم أظهروا الإسلام ولم يهاجروا، بل كثّروا سواد المشركين يوم بدر فقتلوا،

= سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ارموا من بلغ العدوَّ بسهم رفعه الله به درجة». قال ابن النحام: يا رسول الله وماالدرجة؟ قال: «أما إنها ليست بعتبة أمك. . .» الحديث. وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٥) ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٤).

(١) سورة النساء، الآيات: ٩٧-٩٩.

(٢) جوّز الوجهين الفرّاء في معاني القرآن (١/ ٢٨٤)، والطبري في جامع البيان (٩/ ١١١، ١١٢)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٤)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٨٤).

فادعوا لما سألهم الملائكة الذين توفُّوهم أنهم كانوا مستضعفين، فكذبهم الله[1]، وقيل: هم الذين نهى عن موالاتهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾[2] إن قيل: كيف لم يعذرهم لما اعتذروا بالاستضعاف وقد قال من قبل: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؟ قيل: لأنهم كذبوا في دعواهم، والذين عذرهم هم الذين سلبهم الله القوى والقدرة، أو لم يعطهم ذلك كالصبي[3]، وقال بعض المحققين: ظلم النفس في الحقيقة هو التقصير في تهذيبها وسياستها المذكورة في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[4] وذلك [أن][5] كل إنسان سائسُ نفسِه، فمتى لم يوف حق السياسة . . . .

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٠٠، ١٠١)، والوسيط (٢/ ١٠٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٤٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥١٣).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢. ولم أجد من ذكر هذاالقول.

(٣) انظر: كلام العلماء حول المستضعفين المعذورين في: جامع البيان (٩/ ١٠١)، والوسيط (٢/ ١٠٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢٧).

(٤) سورة الشمس، الآية: ١٠.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

فقد ظلمها ظلم الوالي رعيته، قال: وخاطب بذلك من أعطاه القوة ومكّنه أن يبلغ الدرجات الرفيعة، فرضي لنفسه بأخس منزلة، وكذبهم فيما ادعوه من استضعافهم تنبيهًا أن من أمكنه استفادة ما به يقدر فهو في حكم القادر فلا يعذر، ثم استثنى الأصناف الثلاثة[1] فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ فذكر لفظ عسى لئلا يركنوا كل الركون[2]، وليكونوا ممن قال فيهم: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾[3]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ أخّر ذكر الغفران إذ هو أبلغ[4]، وقد تقدّم أن

---

(١) وهم المستضعفون من الرجال والنساء والولدان.

(٢) وهذا لا يخالف ما قرره الراغب من قبل: من أنّ عسى من الله واجب.
قال أبو حيان: «(وعسى) كلمة إطماع وترجية، وأتى بها وإن كانت من الله واجبة، دلالة على أن ترك الهجرة أمر صعب لا فسحة فيه، حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول: عسى الله أن يعفو عني. وقيل: معنى ذلك: إنه يعفو عنه في المستقبل، كأنه وعدهم غفران ذنوبهم» البحر المحيط (٣/ ٣٤٩). وانظر: أنوار التنزيل (١/ ٢٣٣)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٤) يؤيّد ذلك قول البقاعي: «﴿عَفُوًّا﴾ أي يمحو الذنب إذا أراد، فلا يعاقب عليه، وقد يعاتب عليه. ﴿غَفُورًا﴾ أي يزيل أثره أصلًا ورأسًا بحيث لا يعاقب عليه ولا يعاتب، ولا يكون بحيث يذكر أصلًا» نظم الدرر (٢/ ٣٠٤).

الوصفين إذا اجتمعا يقدمّ الأعم ويؤخر [الأخص][(١)]، تنبيه على أن مثل هذه الصفة ليست على وجه المطابقة، واعتبارًا لحصول المعفو عنه والمغفور له، بل ذلك له على وجه أشرف من ذلك، والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ/ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(٢)]. [٢٩٢/أ]

المُرَاغَم: المُتَحَرَّكُ[(٣)] إما من الرغام أي التراب[(٤)]، وقيل: هو من رغم أنفه إذا غضب[(٥)]، والمراد به قريب من قول الشاعر:

---

(١) رسمت في الأصل هكذا «وإدخال» ولا يظهر له معنى، ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٣) أي المكان الذي يتحول إليه المهاجر من بلده. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٨)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٤)، وغريب الحديث للهروي (٢/ ٣٥٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٩٦، ٩٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٨٤).

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) قال ابن الأنباري: «والرغم أيضاً: المساءة والغضب». الزاهر (١/ ٢٢٩)، وفي تهذيب اللغة (٨/ ١٣٢): «رغم فلان إذا لم يقدر على الانتصاف... وبهذا المعنى: رغم أنفه».

إذا كنت في دار يهينك أهلها ولم تك ممنوعًا بها فتحول[1]

وقيل: نزل ذلك في رجل من بني ضمرة[2] كان مريضًا، فقال: أخرجوني، فأشرف في الطريق، وقيل: إنه أخذ يمينه بشماله وقال: قد بايعتك يا رسول الله[3]، فبين تعالى أن المهاجر وإن لم يبلغ المقصد فله بذلك ثواب، وكذا من نوى

---

(١) البيت لهَبَنَّقة القيسي المُحمَّق، وهو ذو الودعات، واسمه يزيد بن ثروان من بني قيس بن ثعلبة. انظر: معجم الشعراء ص (٤٩٥)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ٢٧٢)، وديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب ص (٧٤٧).

(٢) الرجل هو حبيب بن ضمرة الليثي، وقيل: ضمرة بن جندب الضمري، وقيل غير ذلك. وانظر الخبر في: جامع البيان (٩/ ١١٥، ١١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٠، ١٠٥١)، وبحر العلوم (١/ ٣٨٢)، والوسيط (٢/ ١٠٧)، وأسباب النزول ص (١٧٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، وزاد المسير (٢/ ١٨٠، ١٨١). وبنو ضمرة: قبيلة مضرية، نسبة إلى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة. كان موطنها الأصلي بين مكة والمدينة، ثم تفرقت في الأقطار الإسلامية. انظر: جمهرة النسب لابن الكلبي ص (١٥٢)، ومعجم قبائل الحجاز ص (٧٥).

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ١٠٧)، وأسباب النزول ص (١٧٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٤).

خيرًا وعاقه عائق عن إتمامه(١).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(٢).

الضرب في الأرض من قولهم: ضرب العرق ضربًا، إذا أسرع التحرك(٣)، والفتنة: المحنة وذلك يشتبه، لذلك استعمل في القتل والإحراق، ولأجل عمومها قال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾(٤)، لأن الفتنة قد تكون قتلًا، وما هو أعظم من القتل(٥)، وأهل الحجاز يقولون: فتنته، وأهل نجد يقولون: افتنته ففتن فتونًا(٦)، قال أبو عبيدة يقال: قصرت الصلاة

---

(١) قال الواحدي: «. . . والمؤمن إذا قصد طاعة، ثم أعجزه العذر عن إتمامها، كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة» الوسيط (٢/ ١٠٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠١.

(٣) قال الأزهري: «ضرب العرق ضرباً وضرباناً إذا آلمه» تهذيب اللغة (١٢/ ١٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

(٥) انظر: مجالس ثعلب (١/ ٨٤)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٤١، ٤٢٨)، وتأويل مشكل القرآن ص (٤٧٢-٤٧٤)، والوجوه والنظائر (٢/ ١٢١-١٢٣).

(٦) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (١٤٠)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٨)، والصحاح (٦/ ٢٧٥، ٢٧٦)، وتاج العروس (١٨/ ٤٢٥).

وقَصَّـرتها وأقصرتها[١].

والعدو يقال للواحد وللجمع[٢]، كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾[٣] واشترط في القصر السفر والخوف، وقيل: إنه لما سأل عمر رضي الله عنه النبي ﷺ: ما بالنا نقصر وقد أمنّا؟ قال: «**صدقة تصدق الله عليكم بها، فاقبلوا صدقته**»[٤].

---

(١) نسب ذلك إليه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٨٥). وانظر: معاني القرآن له (٢/ ١٧٨)، والأفعال لابن القوطية ص (١٥٣)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٥٨).

(٢) انظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري ص (٣١٢، ٣١٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٠٨).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٧٧.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ١٢٤، ١٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٥١)، ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد، باب: صلاة المسافر وقصرها، رقم (٦٨٦)، والترمذي ـ كتاب التفسير، من سورة النساء، رقم (٣٠٣٤)، وقال: حسن صحيح، وأبو داود ـ كتاب الصلاة، باب: صلاة المسافر، رقم (١١٩٩)، والنسائي (٣/ ١١٦)، وأحمد في المسند (١/ ٢٥، ٢٦)، وعبدالرزاق في المصنف (٢/ ٥١٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (١٨١) وفي معالم التنزيل (٢/ ٢٧٥)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٧)، وابن خزيمة رقم (٩٤٥)، وابن حبان رقم (٢٧٣٩ ـ ٢٧٤١)، والبيهقي (٣/ ١٣٤، ١٤٠، ١٤١)، والدارمي رقم (١٥١٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤١٥).

والقصر. قيل: عنى به الهيئات[1] وأن صلاة المسافر ركعتان تامتان، وذلك عن عمر وعائشة[2]، وقيل: عنى قصر الركعات عمّا عليه في الحضر[3]، قال ابن عباس وجابر: إن صلاة الحضر أربع، والسفر ركعتان، والخوف ركعة[4]، والضرب في الأرض

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٢٣، ١٣٠، ١٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٨)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٣).

(٢) قال ابن عطية: «وحكى ابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه قال: «صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم، وقد خاب من افترى، ويؤيد هذا قول عائشة: فرضت الصلاة ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر» المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٤).
قلت: وقول عائشة أخرجه البخاري ـ كتاب التقصير، باب: «يقصر إذا خرج من موضعه» رقم (١٠٩٠)، ومسلم ـ كتاب صلاة المسافرين، باب «صلاة المسافرين وقصرها رقم (٦٨٥).

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٢٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٢)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٣٤).

(٤) انظر قول ابن عباس في: جامع البيان (٩/ ١٣٧)، ومسند الإمام أحمد (١/ ٢٣٧، ٢٥٤)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب «صلاة المسافرين وقصرها» رقم (٦٨٧).

بعضهم يجعله على التعارف، ويعتبره بما يسمى سفرًا، ولا خلاف/ أن الخارج إلى قرية بظاهر البلد لا يجوز له القصر[1]، [٢٩٢/ب]
وبعضهم قيده بمسيرة ثلاثة أيام بناء على تحديد مسح المسافر وتحريم سفر المرأة بغير ذي محرم[2]، وبعضهم حده بثمانية وأربعين ميلًا، اعتبارًا بسفر النبي عليه الصلاة والسلام[3]، وظاهر الآية يقتضي أن لا فرق بين الحج والجهاد وغيره من الأسفار، ولا بين المطيع والعاصي[4] [5].

---

(١) قال ابن العربي: «تلاعب قوم بالدين فقالوا: إن من خرج من البلد إلى ظاهره قصر الصلاة وأكل، وقائل هذا أعجمي لا يعرف السفر عند العرب...» أحكام القرآن (١/ ٤٨٨). وقال ابن عطية: «وجمهور العلماء على أن المسافر لا يقصر حتى يخرج من بيوت القرية، وحينئذٍ هو ضارب في الأرض...» المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٣). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٦).

(٢) وهو قول ابن مسعود وعثمان وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٢).

(٣) وهو مروي عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالك. وحكاه أبو حيان عن الشافعي وأحمد وإسحاق. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٢).

(٤) تصحّفت في الأصل إلى: (القاضي)، والصواب ما أثبتّه.

(٥) قال القرطبي: «والجمهور من العلماء على أنه لا قصر في سفر المعصية، =

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(١).

قد علَّمنا تعالى كيف نصلِّي صلاة الخوف، فظاهر الآية يقتضي ما قال ابن عباس: إن الإمام يلي بكل فرقة صلاة تامة، وهم يصلُّون صلاتهم في سائر الأوقات(٢)، وقيل: كانت الرخصة في

= كالباغي وقاطع الطريق وما في معناهما...» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٥). وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٧، ٤٨٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٣٢، ٢٣٣)، وزاد المسير (٢/ ١٨٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٢، ٣٥٣).

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

(٢) القول بأن النبيّ ﷺ صلِّي بكل طائفة ركعتين ركعتين، فكانت لرسول الله ﷺ أربع، ولكل رجل ركعتان. مروي عن جابر بن عبدالله، وهذه الكيفية رواها االبخاري في كتاب المغازي، باب: «غزوة ذات الرقاع، رقم (٤١٣٦). ومسلم في صلاة المسافرين، باب: صلاة الخوف، رقم (٨٤٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٧٨). قال: ولو صلَّى الإمام=

ذلك للنبي ﷺ فقط لفضل الجماعة معه، ومذهب عامة الفقهاء على خلاف ذلك[1]، وكيفية صلاة الخوف[2]، والخلاف فيها مبينة في كتب الفقه[3]، وقال من يذهب إلى وجوب الجماعة: إن في شرع صلاة الخوف تنبيهًا على وجوب الجماعة[4]، وقيل: في

= أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز، ثم ساق الحديث عن جابر. وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٤١). وقد روى هذه الكيفية أبو بكرة عن النبي ﷺ، كما في المغني (٢/ ٤١٣)، ولم أجدها مروية عن ابن عباس.

(١) قال القرطبي: «وشذّ أبو يوسف وإسماعيل ابن عُليّة فقالا: لا نصلي صلاة الخوف بعد النبيّ ﷺ، فإن الخطاب كان خاصًّا له بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾، وإذا لم يكن فيهم لم يكن ذلك لهم.. وقال الجمهور: قد أمرنا باتباعه والتأسّي به في غير ما آية وغير حديث.. فلزم اتباعه مطلقًا، حتى يدل دليل واضح على الخصوص...» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٦٤). وانظر: النكت والعيون (١/ ٥٢٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٩٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٤).

(٢) قوله: «وكيفية صلاة الخوف» تكرر في الأصل.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٧-٢٦٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٩١-٤٩٦)، والمغني (٢/ ٤٠٠) وما بعدها. والعزيز (٢/ ٣١٩) وما بعدها.

(٤) قال ابن قدامة: «الجماعة واجبة للصلوات الخمس، رُوِي نحو ذلك عن ابن مسعود وأبي موسى، وبه قال عطاء والأوزاعي وأبو ثور، ولم يوجبها =

صلاة الخوف تنبيه على أن العمل القليل لا يبطل الصلاة[1]، وأن تأخير أداء الصلاة عن وقتها لا يجوز[2]، وأن إقامة الصلاة كانت إلى النبي ﷺ مادام فيهم. ونبّه تعالى بقوله: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بما لأجله أمر بتناول الأسلحة للتحرُّز، وأن في حال

[٢٩٣/أ] المرض والمطر يجوز/ وضع الأسلحة[3].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا

= مالك والثوري وأبو حنيفة والشافعي.. ولنا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية. ولو لم تكن واجبة لرخص فيها حالة الخوف، ولم يجز الإخلال بواجبات الصلاة من أجلها...» المغني (٢/ ١٧٦).

(١) انظر: المغني (٢/ ٢٤٧-٢٤٩، ٤١٦، ٤١٧).

(٢) قال النيسابوري: «... أي مكتوبة موقوتة محدودة بأوقات، لا يجوز إخراجها عنها ولو في شدة الخوف» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٠).

(٣) قال ابن كثير: «وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب بظاهر الآية، وهو أحد قولي الشافعي، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٠). وانظر: جامع البيان (٩/ ١٦٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٦٤، ٢٦٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٢/ ١٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧١، ٣٧٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٥).

وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(١).

قيل: إن قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾، وارد في صلاة المريض، والآية تقتضي غير ذلك(٢)، لأنه قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾، اللهم إلا أن يقول قائل ذلك: هو مثل قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾(٣) أي إذا أردت قراءة القرآن، وقيل: هو حثٌّ على ذكر الله تسبيحًا وتعظيمًا(٤)، كقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾(٥)، وقوله: ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي مؤدىً في أوقاته(٦)،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٢) قال ابن عطية: «ذهب جمهور العلماء إلى أن الذكر المأمور به إنما هو إثر صلاة الخوف على حدّ ما أُمروا به عند قضاء المناسك بذكر الله، فهو ذكر باللسان. وذهب قوم إلى أن (قضيتم) بمعنى فعلتم، أي إذا تلبستم بالصلاة، فلتكن على هذه الهيئات بحسب الضرورات؛ المرض وغيره، وبحسب هذه الآية رتّب ابن المواز صلاة المريض...» المحرر الوجيز (٤/ ٢٤٣، ٢٤٤). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٥٦).

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٤) قال أبو حيان: «والذكر المأمور به هنا هو الذكر باللسان» البحر المحيط (٣/ ٣٥٦). وانظر: جامع البيان (٩/ ١٦٤).

(٥) سورة الروم، الآية: ١٧.

(٦) وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وزيد بن أسلم وابن قتيبة. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٣٥)، وأحكام القرآن=

وقيل: منجمًا في أوقاته[1]، قال ابن عباس في هذه الآية وفي قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾[2] إن الآيتين متضمّنتان لأوقات الصلاة مجملة، وأن السنة شرحتها[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[4].

لمّا كان بناء الكلام على فرض الجهاد، وكان ذكر الصلاة كالاعتراض عاد إلى ما كان في ذكره، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ﴾ والوهن: ضعف مع فتور[5]، وعاتبهم، فكأنه قال:

= للجصاص (٢/ ٢٦٦)، والوسيط (٢/ ١١٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢١).

(١) وهو قول زيد بن أسلم. انظر: جامع البيان (٩/ ١٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٤/ ١٠٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢١). وهذا القول بمعنى القول الأول. انظر: جامع البيان (٩/ ١٧٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٤٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٣) ذكر هذا المعنى الجصاص في أحكام القرآن (٢/ ٢٦٦)، دون ذكر ابن عباس.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٥) لم أجد من سبقه في ذكر الفتور في معنى الوهن، ولم يُشِرْ إليه المؤلف=

إذا تساويتم في الألم وزدتم عليهم في أن حصل لكم من الرجاء ما لم يحصل لهم، وعرفتم كون الله عليمًا بما يفعلونه حكيمًا فيما أمركم به فأمْرُكم إذًا أعلى، فيجب أن تكون قلوبكم أقوى[1]، والآية يقاربها قول الشاعر وإن كان هي أبلغ:

قاتلي القوم يا خُزاع ولا يَدْ خُلْكُم من قتالهم فشلُ
القوم أمثالكم لهم شعر في الـ ـرأس لا ينشرون إن قتلوا[2]

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا * وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[3].

= في المفردات، والذي ذكروه هو أن الوهن بمعنى الضعف. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٣٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٣٨، ١٨٥)، والأفعال لابن القوطية ص (١٥٥)، ومعاني القرآن للنحاس ص (١٨٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٤٤)، والصحاح (٦/ ٢٢١٥، ٢٢١٦)، والمفردات ص (٨٨٧).

(١) انظر تفسير الآية في: جامع البيان (٩/ ١٧١)، وبحر العلوم (١/ ٣٨٤)، والوسيط (٢/ ١١١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٤، ٤٧٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٠).

(٢) . البيتان: للشدّاخ بن يعمر الكناني. انظر: الحماسة لأبي تمام (١/ ١١٣)، وشرح الحماسة للتبريزي (١/ ١٩١)، وشرح نهج البلاغة (٣/ ٢٦٣).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

قيل: نزل ذلك في أنصاري سرق درعًا لعمه، فاتُّهم بها فَرُئِي في دار يهودي فأوهم القوم أن اليهودي سرقها، فأعان قوم من المسلمين هذا الأنصاري، فاعتمد النبي[1] / ﷺ قولهم، فأطلعه [٢٩٣/ب] الله على الأمر، وعاتبه، وأمر بالاستغفار مما همّ به[2]. قال ابن بحر: يجوز أن تكون هذه الآية راجعة إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟﴾[3] فبيّن أنهم مع إظهارهم الإيمان بما أنزل على الأنبياء يصدّون عمّا يُدعون إليه من حكم الكتاب، قال: ومعنى ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ راجع إلى قوله: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾[4]، فنهى عن حسن الظن بأمثالهم، ونهى في هذه الآية عن الدفع عنهم.

---

(١) تكررت كلمة «النبي» في الأصل.

(٢) انظر: جامع البيان (٩/ ١٨٤، ١٨٥)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٨)، والوسيط (٢/ ١١١، ١١٢)، وأسباب النزول ص (١٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٢).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٨.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾[1].

أعاد النهي عن الذب عنهم بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾ **والمجادلة**: المقاتلة، من قولهم: جدلت الخيل، **وقيل**: المنازعة من الإلقاء على الجدالة[2] والجدال المطلق مذموم، ولهذا لم يطلقه للنبي ﷺ حتى قيّده[3]، قال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[4].

والاختيان: افتعال من الخيانة[5]، واختيانهم أنفسهم

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

(٢) الجدالة: الأرض. انظر: في معاني هذه المادة: الأفعال لابن القوطية ص (٢١٧)، والصحاح (٤/ ١٦٥٣)، ومجمل اللغة ص (١٢٣، ١٢٤)، والمفردات ص (١٨٩، ١٩٠)، وتفسير السمعاني (١/ ٤٧٦)، والكليات ص (٣٥٣).

(٣) قال الفيومي: «جَدِل الرجل.. إذا خاصم بما يشغَلُ عن ظهور الحق ووضوح الصواب، هذا أصله، ثم استُعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة بظهور أرجحها، فهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فمذموم» المصباح المنير (١/ ٩٣).

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) أوضح الراغب هذا المعنى في المفردات ص (٣٠٥) بقوله: والاختيان: =

جعلهم إياها خائنة بما يفعلونه، كقولك: ظلم نفسه[1]، إن قيل: لم خصَّ لفظ الخوّان بنفي المحبة عنه، وهو لا يحب الخائن أيضاً، وقيل: تخصيصه هاهنا تعريض بهم، وتعظيم لفعلهم، وتنبيه أن من يتحرى خيانة ولا يستمر عليها فهو مُعرّض أن يقلع فيحبه، ومتى استمر عليها صار مطبوعًا على قلبه، لا يقلع فتُرجى له المحبة[2]، فإذًا الخائن قد يكون محبوبًا على وجه، [و][3]الخوان[4] لا يكون محبوباً بوجه، وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي الخونة أبدًا يسترون على أنفسهم خيانتهم، لكون قبحها مركوزًا في نفوسهم، ونبّه أنهم إن ستروها على الناس فليست تستتر على

= مراودة الخيانة.. فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحرّي الخيانة، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣]. وانظر: الصحاح (٥/ ٢١٠٩).

(١) انظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٩٣).

(٢) قال أبو حيان: «أي بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم، ليخرج منه من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القصد» البحر المحيط (٣/ ٣٥٩). وانظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٩٣)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٩).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل تكرار لآخر حرفين من كلمة (الخوان).

[الله][1]، وأنهم لنقصهم وجهلهم بالله يراعون[2] الناس أكثر من مراعاتهم لعظمة الله، وإلى نحو هذا أشار النبي عليه[3]/ الصلاة والسلام بقوله: «**استحيوا من الله كما تستحيون من أحدكم**»[4]، وهذا قريب من قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾[5] الآية. وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ نحو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[6]. قال ابن مسعود: من صلَّى صلاة عند الناس لا يُصلّي مثلها إذا خلى فقد استهان بالله. ثم تلا هذه الآية[7]. [٢٩٤/أ]

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود في الأصل، والسياق يقتضيه.

(٢) سقط من الأصل أول حرفين من الكلمة، ودل عليها سياق الكلام بعدها.

(٣) تكررت كلمة (عليه) في الأصل.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وثبت نحوه بلفظ: «... **أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**» رواه ابن بشران في «الأمالي» ص (٣٠) رقم (١٥)، والطبراني في الكبير (٦/ ٦٩). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤) وقال: ورجاله وثِّقوا على ضعف في بعضهم. وأورده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٧٤١).

(٥) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٠٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٨٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

قوله عز وجل: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[(١)].

خاطب الذَّابِّين عن هذا الخائن، ونبه أنكم وإن اعتقدتم الذَّبَّ عنه في الدنيا وستر خيانته، فالشأن في يوم القيامة عند من لا تخفى عليه خافية، وحيث لا ينفع إلا[(٢)] من أتى الله بقلب سليم[(٣)].

ومن فسّر الوكيل بالكفيل فتفسير عام بخاص، فإن الكفيل وكيل ما، وليس كل وكيل كفيلًا[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٥)].

عامل السوء وظالم النفس وإن كانا يعودان إلى معنى واحد،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٩.

(٢) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٣)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٣).

(٤) إذ يشترط في الوكيل أن تكون له ولاية. انظر: جامع البيان (١/ ٤٠٥).

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٠.

فذكرهما اعتبارًا بحالتين[١]، وقيل: عمل السوء إشارة إلى فعل الصغائر، وظلم النفس إلى الكبائر[٢].

وقوله: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ راجع إليه دون الأول، فكأنه قيل: من فعل صغيرة أو استغفر من كبيرة يجد الله غفورًا رحيمًا[٣]. وقيل: عمل الإساءة ما يُفعل بالغير، وظلم النفس ما يختصُ به الإنسان من ذنب لا

---

(١) لعله يقصد حالتي عمل السوء وظلم النفس.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٦٠)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢٣٦)، وأبو السعود في الإرشاد (٢/ ٢٣٠) دون نسبة. ولعل الراغب يشير إلى معنى قول ابن عباس في الآية حيث قال: «أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا، ولو كانت ذنوبه أعظم من السمٰوات والأرض والجبال». انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٦).

(٣) لم أجد هذا المعنى عند غير الراغب، وكلام المفسرين يدلّ على أن قوله ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ يرجع إلى عمل السوء وظلم النفس كليهما، إذ لا دليل على التخصيص. قال الطبري: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومن يعمل ذنباً وهو السوء، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بإكسابه إياها ما يستحق به من عقوبة الله، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، ومراجعته ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾...» جامع البيان (٩/ ١٩٤).

يتعدّاه[1]، وقد تقدّم الكلام في السوء والسيئات، ومقابلتهما بالحسنات[2].

قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

الأصل في الاكتساب ما يجرّ به نفع[4]، فاستعاره لما يجلب ضرًّا، تنبيهاً أن صاحبه يقدر فيما تتحراه أنه يكسب خيرًا وهو يكسب شرًّا[5]، ونحوه معنى قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ

(١) انظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٠) ورجّحه، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر الرسالة ص (١٣٣٣) وما بعدها.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١١.

(٤) انظر: العين (٥/ ٣١٥)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٧٩)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٤٩).

(٥) لم أجد هذا المعنى عند غير الراغب، وأغلب المفسرين فسروا الآية بما يدلّ عليها لفظها من أن من يكسب إثمًا فإن وبال ذلك لاحق به، لا يتعداه إلى غيره. انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٦)، والوسيط (٢/ ١١٣)، والكشاف (١/ ٥٦٣)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٤، ٣٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٤)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٠)، وروح المعاني (٥/ ١٤٢)، وفتح القدير (١/ ٥٧٧).

أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1]، وقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[2]، ونبّه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ على نحو قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ [٢٩٤/ ب]
ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا/ وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[4].

عنى بالخطيئة ما لا يكون عن عمد، وبالإثم ما كان عن عمد[5]، ونبّه أن من رمى بأحدهما بريئًا فهو في استحقاق العقاب سواء، وإن كان في ارتكاب أحدهما بخلاف الآخر، وبيّن أنه يحصل له بذلك معاقبة مرتكب البهتان، ومعاقبة مرتكب الإثم، وذلك تعظيم لنسبة الإنسان ما ارتكبه إلى غيره عمدًا كان أو خطأً[6]، قال ابن بحر: إن ذلك يرجع إلى المنافقين الذين حكى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٢.

(٥) وهو قول الطبري وأبي سليمان الدمشقي. انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٣)، والفروق ص (٢٥٦). والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥٢)، وزاد المسير (٢/ ١٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦١)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٠).

(٦) ذكر أبو حيان هذا المعنى بنحوه في البحر المحيط (٣/ ٣٦١). وانظر: =

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾[1] ، فقال تعالى في رده ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[2] ، وقال تعالى في آل عمران : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ ﴾[3] ، فبين بالآيتين أن الذي أصابهم عقوبة لما كان منهم ، وأنه عفا عنهم ، وبين هاهنا أن من أضاف ما أصابه من سوء في متوجهاته إلى النبي فقد أتى ببهتان وإثم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[4] .

كان هّمهم أن يضلوه بشهادتهم للأنصاري أنه برئ مما قُرن[5]

= تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٣)، وروح المعاني (٥/ ١٤٣) .

(١) سورة النساء، الآية : ٧٨ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٧٨ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٥٥ .

(٤) سورة النساء، الآية : ١١٣ .

(٥) في الأصل : (قرب) والصواب ما أثبتّه .

به، ومسألتهم إياه أن يقوم بعذره[١]، وقد تقدَّم الكلام في الفرق بين الكلام والحكمة[٢]، وذكر ابن بحر وجهين: **أحدهما**: لولا فضل الله بما أنزله من الكتاب والحكمة لهّم الكافرون بإضلاله وإدخاله معهم في عبادة الأصنام، لكن لما هداه صاروا لا يضلونه، بل يضلون أنفسهم[٣]، **والثاني**: أن الإضلال عبارة[٤] عن الإهلاك، كقول الشاعر:

فآب مضلوه بخمر جلبه وغودر بالحولان حزم وقائل[٥]

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٩)، والوسيط (٢/ ١١٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٥، ٢٨٦)، وزاد المسير (٢/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨٢)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٤).

(٢) في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ انظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ١٠٨) وجامع البيان (٩/ ٢٠٠)، وزاد المسير (٢/ ١٩٧).

(٣) ذكر أبو حيان هذا الوجه ولكنه لم ينسبه، فقال: «. . . أو يخصّ الضلال عن الدين فإن الهمَّ بذلك، أي لهموا بإضلالك عن شريعتك ودينك» البحر المحيط (٣/ ٣٦٢).

(٤) تكررت كلمة (عبارة) في الأصل.

(٥) هذا بيتٌ من بحر الطويل للنابغة الذبياني، من قصيدة يرثي بها النعمان ابن الحارث. قال ابن قتيبة: يُروَى: (مصلوه) بالصاد المهملة أي الزمرة الثانية من ناعيه. و (مضلوه) بالضاد المعجمة، وهو الموافق لرواية الراغب، =

أي لولا أن الله حرسك لهمّ طائفة بإهلاكك، وما يهلكون بما يفعلون إلا أنفسهم بما/ [١] يكسبون لها من العذاب الدائم [٢]. [٢٩٥/أ]

إن قيل: قد كانوا همُّوا بذلك فكيف قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ قيل: في ذلك جوابان: أحدها: أن القوم كانوا مسلمين، ولم يهموا بإضلال النبي ﷺ، فقد كان عندهم على الصواب [٣]. والثاني: أن القصد إلى نفي تأثير ما همُّوا به كقولك: فلان شتمك، وأهانك، لولا أني تداركت، تنبيهًا أن أثر فعله لم يظهر [٤].

= أي قابروه الذين أضلوه في القبر. انظر: ديوان النابغة ص (١٢١)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٠٠).

(١) تكررت «بما» في الأصل.

(٢) ذكر الألوسي هذا المعنى عند تفسير الآية في روح المعاني (٥/ ١٤٣)، ولكنه لم يشر إلى ابن بحر أو غيره، ولم أجد من نسب هذا القول إلى ابن بحر سوى المصنِّف.

(٣) لم أجد هذا الوجه عند غير الراغب.

(٤) يشير هذا القول إلى عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ من كل كيد وسوء، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فقال: بالنبوة والعصمة. انظر: الوسيط (٢/ ١١٤)، والكشاف (١/ ٥٦٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٢/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٣، ٤٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٢).

الفهـــــارس العـــــامة

فـــــهرس الآيـــــات القرآنيـــــة
فـــــهرس الأحـــــاديث النبويـــــة
فـــــــــهرس الآثـــــــــار
فـــــهرس الأعـــلام المـــترجم لـــــهم
فـــــــهرس الأشـــــــعار
فـــــهرس القـــــبائل والجـــــماعات
فـــهرس الأمـــاكن والمواضـــع والبلـــــدان
فـــــهرس الفـــرق والمـــذاهب والأديـــان
فـــهرس الكلمـــات الغريبـــة المفســـرة
فهرس الفوائد النحوية واللغوية والبلاغيـــة
فـــــهرس المصـــــادر والمراجـــــع
فـــــــهرس الموضوعـــــــات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
رَبِّ الْعَالَمِينَ	١	١٣٣
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ	٤	١٣١٥
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	٦	١٣١، ١٧٥، ٧٥٦، ١٣٠٩
سورة البقرة		
ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ	٢	٧٨٨
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ	٢	٨٧٢
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ	٥	٣٩١
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا	٩	١٣٢
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ	١٠	١٤٠٦
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا	١٤	١٧٢، ٦٣٧، ٨٢٨
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ	١٤	١٣٨٧
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ	١٨	٤٤٨
يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ	٢١	٢٣٠، ١١١٦
وَقُودُهَا النَّاسُ	٢٤	٤٣٧
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ	٢٤	١٢٠٨، ١٢٧٨
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ	٢٨	١٢٣
خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا	٢٩	١٠٤٦
ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ	٢٩	٣٨٠
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ	٤٤	٧١١
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ	٤٤	٦٧٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ	٤٦	١٢٤
اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ	٤٧	٧٨
وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ	٤٨	١٣٥٩
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٥٧	٩٩٨
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ	٦٥	١٢٦٤، ٦٧٤
يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ	٧٥	٦٦٢
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ	٧٩	٦٦٥
لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ	٧٩	٧٤٧
لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً	٧٩	٦٥٩
لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً	٨٠	٤٨٥
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ	٨٣	١٢٣٢
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ	٨٤	١٢٠٦
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٨٩	٩١٨
فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ	٨٩	٩١٨
تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ	٩١	٤٧٧
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ	٩٨	١٢٠٧
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ	١٠٥	٤٤١
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى	١١١	١٢٧٠
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا	١٢٥	٧٣٥، ١٧٦
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ	١٢٧	٢١٧
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ	١٢٧	٧٣٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	١٣١	٤٦٩
أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	١٣١	٧٥٤، ٥٨٥
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	١٤٣	٦٤٤
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	١٤٣	٨٧٩، ٥٨٦
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا	١٤٣	١٢٤٤
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	١٥٣	٨٩٩
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ	١٥٩	٧٠١
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا	١٦٠	٧٠٠
وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ	١٦٠	٧٠٢
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ	١٦١	٧٠٠
وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ	١٧١	٦٦٣
وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ	١٧٧	١٢٣٣
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ	١٧٧	١٢٣٤
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ	١٧٧	٦٥٩، ١٧١
هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ	١٧٨	٨٢٠، ٢٢١
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ	١٨٠	١٢١٧/١٢١٦
سَمِيعٌ عَلِيمٌ	١٨١، ٢٢٧	٨٣٤
وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ	١٨٥	٤٠٩
فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ	١٨٥	٣٢٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	١٨٥	١٢٠٠
أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ	١٨٦	٥٣٦
هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ	١٨٧	٢٢١، ٨٢٠
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا	١٨٩	٤١٩
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ	١٩١	١٤١٦
واتَّقُوا الله	١٩٤	١٣١٨
وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ	١٩٥	١٢٠٦
ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ	١٩٦	٢٨٥
ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ	١٩٦	١٠٨٩
فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ	١٩٧	٧٤٣
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله	١٩٧	٨١١
وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	١٩٧	٧٤١
أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ	٢٠٦	٨٨
زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا	٢١٢	٤٥٦
إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ	٢١٣	٤٧٠
فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ	٢١٩	٨٨
وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ	٢٢٠	١١١٨
وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ	٢٢٠	٦٧٤
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ	٢٢٠	٢٢١، ٨٢٢، ١١٨٤
وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ	٢٢١	١١٨٥
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ	٢٢٣	٣٩٠
وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ	٢٢٤	٦٦٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ	٢٢٥	٣٩٢
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ	٢٢٩	١١٥٧
إِلاَّ أَنْ يَخَافَا	٢٢٩	١١٥٥
وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا	٢٣١	٨٦٤
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ	٢٣١	٨٦٤
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ	٢٣٥	٩٧٧
يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ	٢٣٥	٨٢٩
وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ	٢٣٧	١١٥٥
وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى	٢٣٧	٨٦١
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ	٢٤٣	٩٨٣
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا	٢٤٥	١٠١٤
أَضْعَافًا كَثِيرَةً	٢٤٥	١٢٤٣
وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ	٢٤٧	٤٩٣
لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ	٢٥٥	٤٦٧، ٢٣١
اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا	٢٥٧	٧٤٢، ٥٠٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ	٢٥٧	٦٢٥
أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ	٢٥٧	٩٩٥
لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ	٢٦٤	١٢٠٣
أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ	٢٦٧	٢٩٩
وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ	٢٧٢	٨١١
يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا	٢٧٦	٨٥١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ	٢٨١	٥١٢
ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ	٢٨١	٥١٨،٢٣٥
وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ	٢٨٢	٦٨٥،١٧٤
وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ	٢٨٤	٥١٥
لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا	٢٨٦	١٠٩٠
سورة آل عمران		
الم ❖ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ	١-٢	٤٠١
لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ	٢	٢٣١
وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ	٤	٤٠٩
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ	٤	٢٦٢
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ	٤	٤١٠
إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ	٥	٢٣٤
إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ	٥-٦	١٤٢٩،٤١٠
لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ	٥	٨٣٤
لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ	٥	٤١٢
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ	٧	٣٦١ ،٣٠٠
هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ	٧	٤١٢،٣٠٨،٢١٩،١٥٩
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ	٧	٤٢٨
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ	٧	٤٢٤
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ	٧	٣٧٩
كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا	٧	٤٣٠
رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا	٨	٤٣٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
مِنْ لَدُنْكَ	٨	٢٣٧
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ	٩	٢٩٨
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ	٩	٤٣٤
إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ	٩	٢٣٤
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ	١٠	٤٣٦، ٢٩٨
وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ	١٠	٤٣٧
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	١١	٤٣٧
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ	١٢	٣٧٠، ٣٦٩، ٣٢٨
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ	١٢	٤٣٩
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا	١٣	٤٤٢، ٣٠١
يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ	١٣	٢٤٢
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ	١٤	٢١٥
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ	١٤	٤٤٨
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ	١٤	٣٧٦، ٣٧٣، ٢٠٦
وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ	١٤	٣٢٦
قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ	١٥	٤٥٦، ١٧٩
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ	١٥	٣٠٢
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا	١٦	٤٥٨
الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ	١٧	٤٦٠، ٢٣٤
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ	١٧	٢١١
شَهِدَ اللَّهُ	١٨	٦٨٤
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ	١٨	٣٢٦، ٢٣١
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ	١٨	٤٦٣، ٣١٤
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ	١٩	٦١٨، ٤٦٨، ٣١٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	١٩	٤٧٠
فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ	٢٠	٤٧٠
وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ	٢٠	٢٣٣
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ	٢١	٤٧٥
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	٢١	١٣٢
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ	٢٢	٤٧٩،٢٢٣
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا	٢٣	٢٠٠،١٩٧
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ	٢٣	٤٨١،٣٠٦
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ	٢٤	٣١٨
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ	٢٤	٤٨٥
وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ	٢٤	٢١٩
فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ	٢٥	١٢٩٥
فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ	٢٥	٤٨٧،٢٣٦
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ	٢٥	٤٨٨
قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ	٢٦	٢٤٢،١٥١،١٤٨
قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ	٢٦	٤٨٨
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ	٢٦	١٨٦
تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ	٢٧	٢٢٠
تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ	٢٧	٤٩٨
وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ	٢٧	٤٩٩
لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ	٢٨	٣٠٠،٢٦٤،١٧٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ	٢٨	٥٠٢
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ	٢٨	٥٠٩
إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً	٢٨	١٨٦
وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ	٢٨	٥٨٩
قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ	٢٩	٢٢٣، ٢٣٣، ٥١٣
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ	٣٠	٢٣٥
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا	٣٠	٥١٥
مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ	٣٠	٢٥١
وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ	٣٠	٢٧٥، ٥١٨
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي	٣١	٣١٩
قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا	٣٢	٥٢٠
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ	٣٢	٢٦٣، ٢٧٥
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً	٣٣	١٤٨
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ	٣٣	٥٢١
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ	٣٤	٢٢٤، ٢٤٧، ٥٤٣
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	٣٤	٥٢٥
وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا	٣٦	١٧٣، ٥٣٠
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ	٣٧	٥٣١
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا	٣٧	٣٠١
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ	٣٧	١٥٨، ٢٨٣
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ	٣٨	٥٣٥
فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ	٣٩	٣٢٦
فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ	٣٩	٥٣٧
أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى	٣٩	٢١٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ	٣٩	١٥٠
وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ	٣٩	٢٤٧
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ	٤٠	٢٢٥، ٥٤٣
وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ	٤٠	١٥٦
يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ	٤٠	٢٣٧، ٥٦٩
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً	٤١	٥٤٧
قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ	٤١	١٨٠
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ	٤٢	٢٣٢ ، ٢٨٣
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ	٤٢	٥٥١
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ	٤٢	٥٥٥
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي	٤٣	٢٣٤
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ	٤٣	٢٣٤
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ	٤٣	٥٥٦
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ	٤٤	١٨١، ٥٧٣
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ	٤٤	١٧٣، ٥٥٧
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ	٤٥	٥٦٠
وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا	٤٦	٥٦٥
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ	٤٧	٥٦٧
أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ	٤٧	٥٦٩
كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ	٤٧	١٨١، ٥٧٣
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ	٤٧	٢٣٧، ٥٦٩
إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ	٤٧	١٦٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ	٤٨	٢٦٤
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ	٤٨	١٨٠، ٣١٠
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ	٤٨-٤٩	٢٢٠
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ	٤٨-٤٩	٥٧٠
وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ	٤٩	٢٦٤
أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ	٤٩	١٨١
بِإِذْنِ اللهِ	٤٩	٢٣٦
وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ	٤٩	٢٠٨، ٢١٥
وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ	٤٩	١٤٩
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ	٥٠	٥٧٧
وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ	٥٠	١٥٢، ٢٤٣
إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ	٥١	٥٨١
فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ	٥٢	١٤٩
فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ	٥٢	٥٨١
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ	٥٢	١٥٢
رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ	٥٣	٥٨٥
وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ	٥٤	٢٧٦
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ	٥٤	٥١٣
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ	٥٥	٢٦٧، ٣٠٨
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ	٥٥	٥٩٠
فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا	٥٦	٥٩٥
وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ	٥٧	٥٩٦
ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ	٥٨	٥٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ	٥٩	٥٩٩
ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٥٩	٥٦٠
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ	٦٠	٦٠٥،٦٠٣
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ	٦١	٦٠٤
فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ	٦١	١٥٤
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ	٦٢	٦٠٨
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ	٦٣	٦١٠،٢٩٨
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ	٦٤	٦١٠
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ	٦٤	٢٠٩
أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ	٦٤	٣٧٥،٢٨١
وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا	٦٤	٢٨١
وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا	٦٤	٢٨٢
وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ	٦٤	٦١٦
هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ	٦٦	٦٢٠
هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ	٦٦	٢٤٨
وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ	٦٦	٦٣٤،٢٦٧
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا	٦٧	٧٢٤،٦٢١
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ	٦٨	٦٢٢
وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ	٦٩	٦٢٥
يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	٧٠	٦٢٩
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ	٧١	٦٣١،٢٦٧
لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ	٧١	٣٢٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	٧١	١٧٦
آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَار	٧٢	١٧٢، ٦٣٢، ٦٣٥
آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَار وَاكْفُرُوا آخِرَهُ	٧٢	٨٢٩
وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ	٧٣	٢٥١، ٦٣٨
قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ	٧٣	٢٥٣
أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ	٧٣	٢٤٤، ٣١١، ٦٤٠
قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ	٧٣	٢٥٣
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ	٧٤	٢١١، ٦٤٨
وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ	٧٥	٦٥٢
لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا	٧٥	٣٠٢
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا	٧٥	٢١٣
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ	٧٥	٦٥٤
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ	٧٥	٦٥٦
بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى	٧٦	١٧١، ٢٢٢، ٢٦٢، ٦٥٦
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً	٧٧	٦٥٨
وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ	٧٧	٦٦١
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ	٧٨	٦٦٤
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ	٧٩	٦٨٤
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ	٧٩	٦٦٧
ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ	٧٩	١٨١
وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ	٧٩	١٥٣، ١٨١، ٢١٣، ٣٧٦، ٦٧٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ❖ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	٧٩-٨١	٣٤٣
وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ	٨٠	٢٦٢
وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا	٨٠	٣٦٣، ٦٧٥
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ	٨١	٧٥١
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ	٨١	١٨٢، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٣٣، ٤٤١
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ	٨١	١٥٢
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ	٨١	٦٧٧
لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ	٨١	١٨١
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ	٨١	١٤٧
فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ	٨١	٧٥٠
فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ	٨٢	١٧٤
فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	٨٢	٦٨٥
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ	٨٣	٣٠٨
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٨٣	٦٨٥
وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٨٣	٢٠٦
قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ	٨٤	٦٨٩
وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ	٨٤	٦٢٤

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٦٩١	٨٥	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
١٧٤، ١٧٦، ٢٥٥، ٢٦٨	٨٦	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
٦٩٢	٨٦	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
٧٠٠	٨٧-٨٨	أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
٧٠٠	٨٩	إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا
٢٥٥	٨٩	فَإِنَّ اللَّهَ
١٧٥، ٢٤٨، ٣٤١، ٧٢١	٩٠	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
٧٠٥	٩٠	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا
٢٥٤	٩٠-٩١	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ
٢٩٩	٩١	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
٧٠٨	٩١	الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
٢٥٢، ٢٥٦	٩١	وَلَوِ افْتَدَى بِهِ
٢٥٤، ٧٢١	٩٢	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
٧١٠	٩٢	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
٢٩٩	٩٢	حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
٢٥٤	٩٣	كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
٧١٥	٩٣	كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ
٤٨٣	٩٣	قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا
٧٢٢	٩٤	فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
٢٩٩	٩٥	قُلْ صَدَقَ اللَّهُ
٧٢٣	٩٥	قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ	٩٦	٢٠٧، ٣٣٢
إنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ	٩٦	٢١٦
إنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً	٩٦	٧٢٤
فِيهِ آياتٌ بَيِّنَاتٌ	٩٧	١٨٣
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا	٩٧	١٧٥، ٢٩٩، ٣٤٠
وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ	٩٧	١٨٧، ٢٨٧، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٣٥، ٣٥٣، ٣٨١
وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا	٩٧	٧٣٧
قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	٩٨	٧٤٦
قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ	٩٩	٧٤٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ	١٠٠	٧٥١
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ	١٠١	٧٥٣
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ	١٠١	٢٨٠، ٧٦٥
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ	١٠١	١٧٥
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ	١٠٢	٣
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	١٠٢	٧٥٦
اتَّقُوا اللَّهَ	١٠٢	٢٨٠، ٧٦٥
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ	١٠٢	١٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	١٠٢	١٣٠٦
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ	١٠٣	٧٦٥
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا	١٠٣	٢٧٩
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا	١٠٣	٣٠٥، ٧٦٤
وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	١٠٣	١٢٥٦
وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	١٠٤	٢٦٨
وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	١٠٤	٧٧٠
وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	١٠٤	٨١٠
وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا	١٠٥	٢٦٨
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ	١٠٥	٧٧٨
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ	١٠٦	٧٨١
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ❖ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	١٠٦- ١٠٧	٢٥٦
أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ	١٠٦	١٥٥، ٢٠٩، ٢٥٧
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	١٠٧	٧٨٥
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ	١٠٨	٧٨٨
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ	١٠٩	٢٦٥
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ	١٠٩	٧٨٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	١١٠	٢١٧، ٢٥٧، ٢٧٤، ٣٦٦، ٣٦٨، ٧٢٩
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ	١١٠	٧٩٠
لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمْ	١١١	٧٩٦
ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ	١١١	٢٤٨
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ	١١٢	٧٩٨
أَيْنَ مَا ثُقِفُوا	١١٢	٢٥٧، ٢٥٨
إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ	١١٢	٢٥٧، ٢٥٨
إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ	١١٢	٨٠٠
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ	١١٢	٢٧٧
لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ	١١٣	٢٤٤
لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ	١١٣	٨٠٣
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ	١١٣	٢١٤
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ	١١٣	٧٥٢
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ الله	١١٣	٤٨٢
أُمَّةٌ قَائِمَةٌ	١١٣	٦٥٣
يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ	١١٣	٨٠٧
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	١١٤	٨٠٧
وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ	١١٥	٢٨٤، ٨١٠
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ	١١٦	٨١٣
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ	١١٧	٨١٤

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٨١٩، ٢٢١	١١٨	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ
٥٠٢، ١٧١	١١٨	لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ
٨٢٤	١١٩	هَاأَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ
٢٥٨	١١٩	وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
١٧١	١١٩	وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا
٨٢٩	١١٩	مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ
٨٢٩	١١٩	عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
٨٢٩	١٢٠	إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ
٢٥٢	١٢٠	وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ
٨٣٤	١٢٠	بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
٨٣٤	١٢١	وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ
٣٠٣	١٢١	تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ
٨٣٦	١٢٢	إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا
٨٣٨	١٢٣	وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ
٨٤٠	١٢٤	إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ
٣٦٨	١٢٥	بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ
٨٤٥	١٢٥	وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ
٨٤٥	١٢٦	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ
٨٤٧		وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
٨٤٦	١٢٧	لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ
٨٤٧	١٢٨	لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ	١٢٩	٨٤٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا	١٣٠	٢٩٠
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً	١٣٠	٨٤٩
أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً	١٣٠	١٢٤٣
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ	١٣١	٧٥٨
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ❖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	١٣١-١٣٢	٨٥٣
وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ	١٣٣	٨٦٩
وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ		٨٥٤
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ	١٣٤	٨٦٦، ٢٥٦
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ	١٣٤	٨٥٩
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ	١٣٤	٣٣٣
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٣٤	٨٦٧
وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ	١٣٥-١٣٦	٨٦٣
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ	١٣٦	٨٦٨
وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ	١٣٦	٩٩٢
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ	١٣٧	٨٦٩
هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ	١٣٨	٨٧٢
وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا	١٣٩	٩٩٣، ٨٧٣
وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ	١٣٩	٢٧٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	١٣٩	٨٧٣
وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ	١٣٩	٨٧٤
إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ	١٤٠	٨٧٦
وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا	١٤٠	٨٨٠
وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ	١٤٠	٩٢٧
وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ	١٤٠	٨٨١
وَلِيُمَحِّصَ	١٤١	١٠١٠
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ	١٤١	٨٨١، ١٤٧
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ	١٤٢	٩٠٢، ٢٥٥
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ	١٤٢	٨٨٤
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ	١٤٢	٩١٥
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ	١٤٣	١٩٧
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ	١٤٣	٨٨٨
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	١٤٤	٨٩١، ٦٧٣، ٣٠٧
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ	١٤٤	٢٦٥
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ	١٤٥	٩٦٠
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً	١٤٥	٨٩٢
كِتَابًا مُؤَجَّلاً	١٤٥	١١٢٩، ٨٩٣
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ	١٤٥	٨٩٥
وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ	١٤٥	٨٦٨
وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ	١٤٦	٨٩٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ	١٤٦	٨٩٩
وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ	١٤٧	٩٠٠
فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا	١٤٨	٩٠٢
فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ	١٤٨	١٠٦٥
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٤٨	٩٩٢
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا	١٤٩	٢٠٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ	١٤٩	٩٠٥
إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ	١٤٩	١٢٦٤
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ	١٥٠	٩٠٦
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	١٥١	٩٠٧
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ	١٥٢	٩١١
إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ	١٥٢	١٤٩
حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ	١٥٢	٩٧١
مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا	١٥٢	٩١٤
إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ	١٥٣	٩١٨
وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ	١٥٣	٩٢١
فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ	١٥٣	٢٥٨
فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ	١٥٣	٩٣٠
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	١٥٣	٩٢٧
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا	١٥٤	٢٥٩، ٩٢٧
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ	١٥٤	٩٣١
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا	١٥٤	٨٩٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ	١٥٤	٩٣٤
وَلِيَبْتَلِيَ	١٥٤	١٠١٠
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ	١٥٥	٩٣٩
الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ	١٥٥	١٤٣٤
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا	١٥٦	٩٤١
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا	١٥٦	٢٠٠
وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ❖ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ	١٥٧- ١٥٨	٩٤٥،٢٦٣
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ	١٥٩	٩٤٧
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ	١٥٩	٢٢٥
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ	١٥٩	٩٥١
إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ	١٦٠	٩٥٥
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	١٦٠	٩٥٦
وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ	١٦١	١٨٢، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٣٤، ٦٧٠، ٩٥٧
أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ	١٦٢	٩٦١
هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ	١٦٣	٨١٠،١٤٠٨
هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ	١٦٣	٩٦٣
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ	١٦٣	٩٦٥
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ	١٦٤	٩٦٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ	١٦٤	٢١١
أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ	١٦٥	٩٦٨
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ	١٦٥	٩٧٧، ٢١٢
وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ❖ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا	١٦٦- ١٦٧	٩٧١
وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ	١٦٦	٩٧٣
وَلِيَعْلَمَ	١٦٧	١٠١٠
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا	١٦٧	٩٧٣
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ	١٦٧	٢١٤
قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا	١٦٧	٩٨٤
لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ	١٦٧	١٣٧٥، ٩٧٥
يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ	١٦٧	٨٢٩، ١٧٢
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ	١٦٧	٩٧٦
الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا	١٦٨	٣١١
الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا	١٦٨	٩٧٧
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا	١٦٨	٨٩٣
قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ	١٦٨	١٣٣٢
وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	١٦٩	٢٨٤
وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ	١٦٩	٩٧٨، ٨٧٩
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ	١٧٠	٢٦٩
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ	١٧١	٩٨٦
لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ	١٧١	٩٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ	١٧٣	٩٨٨
إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ	١٧٣	٩٩٢
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ	١٧٤	٢٠٠ ، ٣٣٧
إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ	١٧٥	٩٩٢
فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ	١٧٥	١٣١٨
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	١٧٥	٩٩٦
وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ	١٧٦	٩٩٦
يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ	١٧٦	٩٩٨
إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ	١٧٧	٩٩٩
وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا	١٧٨	١٠٠١
إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا	١٧٨	١٠٦٣
مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ	١٧٩	١٠٠٧
مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ	١٧٩	٢٥٩
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ	١٧٩	٩٦٠
وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ	١٨٠	١٠٢٦
وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٨٠	١٠١٣
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ	١٨١	١٠١٤
وَنَقُولُ ذُوقُوا	١٨١	١٠١٨
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ	١٨٢	١٠١٨، ٢٣٥
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ	١٨٢	٢٣٨
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا	١٨٣	١٠٢٠
فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	١٨٣	١٠٢٢
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ	١٨٤	١٠٢٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ	١٨٤	٢٢٦
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	١٨٥	١٠٢٥
لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ	١٨٦	١٠١٠
لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ	١٨٦	١٩٧
لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ	١٨٦	١٠٢٨
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	١٨٧	١٠٣٢،٣٣٣
لا تَحْسَبَنَّ	١٨٨	٢٣٢
لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا	١٨٨	١٠٣٣،٢٤٥
فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ	١٨٨	١٠٢٥
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	١٨٨	١٠٣٧
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	١٨٩	١٠٣٧
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٩٠	١٠٣٨
لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ	١٩٠	١٠٤٠
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ	١٩١	١٠٤٢
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ	١٩١	١٠٤٢
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٩١	١٠٤٤
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً	١٩١	١٠٤٦،١٠٤٥
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ	١٩٢	١٠٣٧
رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ	١٩٣	١٠٤٨
رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا	١٩٤	١٠٥١
فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ	١٩٥	١٠٥٣،٢٧٨
وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ	١٩٥	١٠٦١
ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	١٩٥	٣٧٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ثَوَابًا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ	١٩٥	١٠٥٧
وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ	١٩٥	١٠٦٣
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ	١٩٥	١٠٤٧
لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ	١٩٥	١٠٥٦
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا	١٩٦	١٠٥٩
لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ	١٩٨	١٠٦١
وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ	١٩٨	١٠٦٢
وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ	١٩٩	١٠٦٤
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ	١٩٩	١٠٦٥
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا	٢٠٠	٢٩٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا	٢٠٠	١٠٦٦
سورة النساء		
يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ	١	٣، ٣٣٣
يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	١	١٠٧١
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ	١	١٨٢، ٣٣٠
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ	١	١٣٢٥
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا	١	٢١٤
وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ	٢	١٠٨٢
وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ	٢	٢١٢
وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ	٢	١٠٢٧
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ	٣	١١٧١
وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى	٣	١٨٨، ٤١٧، ١٠٨٥
فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ	٣	٢٨٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً	٣	١٠٩٠
ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا	٣	٢٩١
فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا	٤	١٠٩٨،٢٩٠
فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ	٤	١١٥٦
وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً	٤	١١،١٠٩٥،،٢٢٦،٢١٧ ٨٠
وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا	٥	١٠٩٩
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ	٦	٣٨٦
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا	٦	١٠٨٤
وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا	٦	٣٨٣
وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ	٦	١١٠٣
وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا	٦	١٠٨٣
وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ	٦	٣١٠
لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ	٧	١١٠٨،٣٢٢
لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ	٧	١١٢١
نَصِيبًا مَفْرُوضًا	٧	١١١١
وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ	٨	١١١١،٢١٠
وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ	٩	٢٢٧،٢١٤،٢٠٨
وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً	٩	١١١٤،١١١٣
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى	١٠	١٠٢٧
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا	١٠	١١١٧،١١٠٦
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا	١٠	١١١٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ	١١	١١٢٠
وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ	١١	١١٢٥
مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ	١١	١١٢٧
فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ	١١	١١٢٩
وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ	١٢	١١٣٠
وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً	١٢	٢٤٦
وَلَه أَخٌ أَوْ أُخْتٌ	١٢	١١٣٥
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ	١٣	١١٣٧
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ	١٤	١١٣٩
وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ	١٥	١١٤٢،١١٣٩
فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ	١٥	١١٥٢
أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً	١٥	١١٤٠
وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ	١٦	١١٤٢،١١٤٠
وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا	١٦	١١٤٤
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ	١٧	١١٤٥
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ	١٧	٧١٠
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ	١٧	١٨٩
وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ	١٨	١٧٥،١٧٢
وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ	١٨	١١٤٨،٧٠٦
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا	١٩	٣٦٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا	١٩	١١٤٩
وَلا تَعْضُلُوهُنَّ	١٩	١١٥٥
وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ	٢٠	١١٥٤
وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ	٢٠	١١٥٦
وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ	٢١	٢١٠
وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ	٢١	١١٥٦، ١٢٩
وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ	٢٢	١١٦٤، ١١٥٨، ٣٢٢، ١١٦٩
وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ	٢٢	٢٩١
مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ	٢٢	١١٧١
إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ	٢٢	٢٥٢
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ	٢٣	١١٢٢، ٣٦٤
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ	٢٣	١١٦٣
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ	٢٣	٢٨٨
وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ	٢٣	١١٦٨
وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ	٢٣	١١٦٩
إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ	٢٣	١١٧١
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ	٢٤	٣٢٣، ٣١٢
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ	٢٤	١١٧١
كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ	٢٤	١١٢٩، ٣٧٦، ٣١٣، ١١٧٦
وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ	٢٤	٣٦٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ	٢٤	١١٧٩
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ	٢٤	١١٨٠
وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ	٢٤	١١٨١
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً	٢٥	١١٨٢
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ	٢٥	٣٢٣،٣١٢،٢٥٤
فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ	٢٥	١٨٧
فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ	٢٥	٣٣٤
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ	٢٦	١١٩٦،١١٩٢
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ	٢٧	١١٩٤
وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ	٢٧	٢١٢
وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا	٢٧	١٢٥٨
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ	٢٨	١١٩٨
وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا	٢٨	١٢٦
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	٢٩	١٢٠١
وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ	٢٩	١١٠٠
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا	٣٠	١٢٠٦
فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا	٣٠	١١١٧
إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ	٣١	١٢٦٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا	٣١	١٢٠٨
وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ	٣٢	١٢١٤
وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ	٣٣	١٢١٧
الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	٣٤	١٢٢١
فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ	٣٤	١٨٤
وَاللاتِي تَخَافُونَ	٣٤	١٢٢٣
وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ	٣٤	٣١٣
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا	٣٥	١٢٢٦
وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا	٣٦	١٢٥٧، ١٢٢٨، ٢٦٦
إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا	٣٦	١٢٣٤
الَّذِينَ يَبْخَلُونَ	٣٧	١٢٣٥
الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ	٣٧	١٢٣٥
وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ	٣٧	١٢٣٧
وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ	٣٨	١٢٣٨
وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا	٣٨	٢٦٥
وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا	٣٨	١٢٣٨
لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	٤٠	١٠١٩، ٢٣٨
إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	٤٠	١٢٤٠
وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا	٤٠	١٥٠
مِنْ لَدُنْهُ	٤٠	١٢٤٣
فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ	٤١	١٢٩٥، ١٢٤٤
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ	٤٢	١٢٤٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى	٤٣	١٢٥٥
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى	٤٣	١٢٥٠،٢٦٥،٢٢٧
أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ	٤٣	٣٦٥
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ	٤٣	١٢٥٢
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ	٤٤	١٢٥٧
وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ	٤٤	١١٩٨
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ	٤٥	١٢٥٨
وَكَفَى بِاللَّهِ	٤٥	١٢٥٨
مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ	٤٦	١٢٥٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا	٤٧	١٢٦٢
أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ	٤٧	١٢٦٤
إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	٤٨	١٢٦٥،٣٢٠
إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ	٤٨	١٤٠١،١٠٥٤
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ	٤٨	٣١٩
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ	٤٩	١٣٠
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلْ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً	٤٩	١٢٧٠
بَلْ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ	٤٩	١٢٤٦،١٢٩
انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ	٥٠	١٢٧١
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا	٥١	١٢٧٢
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا	٥٣	١٢٧٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ	٥٤	١٢٧٥، ٤٩١
فَمِنْهُمْ	٥٥	١٢٧٧
إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا	٥٦	١٢٧٨
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا	٥٦	١٢٧٩
لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ	٥٦	٢٥٩
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	٥٧	١٢٨١
إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ	٥٨	٢١٠، ٢٠١، ١٩٨
إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	٥٨	١٢٨٢
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ	٥٨	١٢٨٦
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	٥٩	١٢٨٦، ٢١٥
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	٥٩	١٣١٤، ١٢٨٩، ٢٩٢
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ	٥٩	١٢٨٨
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً	٥٩	١٥٤
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا	٦٠	١٢٩١، ١٦١
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا	٦٠-٦١	١٤٢٦
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ	٦١	١٢٩٣
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ	٦٢	١٢٩٤
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا	٦٢-٦٣	٣٣٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ	٦٣	١٣٠
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا	٦٣	١٢٩٧
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ	٦٤	١٣٠١
فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ	٦٥	١٩٨
فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا	٦٥	١٣٠٢
وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ	٦٦	٤٣١
وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا	٦٦	١٣٠٧
وَإِذًا لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ❖ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا	٦٧-٦٨	١٣٠٩
وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ	٦٩	١٢٦
وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا	٦٩	١٣٠٩
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ	٦٩	١٣١٥
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ	٦٩	٥٦٦
ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا	٧٠	١٣١٥
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا	٧١	١٣١٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَانْفِرُوا	٧١	١٣١٨
وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا	٧٢-٧٣	١٣١٩
فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا	٧٤	١٣٢٢
فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا	٧٤-٧٥	٣٣٩
وَمَنْ يُقَاتِلْ	٧٤	١٣٥٧
فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ	٧٤	١٣٢٣
وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٧٥	١٣٥٧
وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا	٧٥	١٣٢٣
الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا	٧٦	١٣٢٥
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ	٧٦	١٣٧٤، ٢٧٠
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً	٧٧	١٣٢٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ	٧٧	١٣٤٠
لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ	٧٧	١٣٢٨
قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ	٧٧	١١٣٩
مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ	٧٧	١١٤٧
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ	٧٨	٨٩٣، ٢٢٢
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨-٧٩	١٣٢٩
وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا	٧٨	١٧٧
وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨	١٣٣٢
وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ	٧٨	١٤٣٤
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨	١٣٣٧، ٢٨٦، ٢٧٠
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا	٧٨	١٤٣٤
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨	١٢٤٣
فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا	٧٨	١٣٣٢
وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ❖	٧٨-٧٩	١٧٧
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ	٧٩	٢٨٦، ١٩٩
وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ	٧٩	٢٧٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا	٨٠	١٣٤٣
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ	٨١	٥١٤
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ	٨١	١٤٢٩
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً	٨١	١٣٤٤
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ	٨١	١٣٤٧
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً	٨١	١٣٤٧
أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ	٨٢	٢٦٦
أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا	٨٢	١٣٤٧
وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا	٨٢	٢٦٠
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً	٨٣	١٣٥١
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ	٨٣	١٢٨٨
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ	٨٣	٤٢٨، ٤٢٩
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ	٨٣	٢٦١
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً	٨٣	١٣٥٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَقَاتِلْ	٨٤	١٣٥٧
فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً	٨٤	١٣٥٥
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا	٨٤	١٣٥٧
وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً	٨٤	١٣٥٨
مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا	٨٥	١٣٥٨
وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا	٨٦	١٣٦٣
وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا	٨٦	١٣٦٦
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا	٨٦	٢١٧، ١٣٧١
اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا	٨٧	١٣٧٢
فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ	٨٨	١٢٧، ١٩٨، ١٩٩، ٣٣٧
فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا	٨٨	١٤٢٦
فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً	٨٨	١٣٧٣
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ	٨٨	١٣٧٦
فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً	٨٨	٢٧٠
وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً	٨٩	١١٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا	٨٩	١٣٧٨
وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا	٨٩	٢٣٣
إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ	٩٠	٢٦٦
إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً	٩٠	١٣٨٠
أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ	٩٠	١٥٦، ١٦٠، ٢٤٦، ٦٩٩
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ	٩٠	٢٤٣
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ	٩١	١٩٩
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا	٩١	١٣٨٥
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	٩٢	١٣٨٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ	٩٢	١٣٩٦
وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ	٩٢	١٣٩٧، ٢٨٩
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا	٩٣	٢٧٧، ١٩٨
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا	٩٣	١٣٩٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٩٤	٢٩٢
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا	٩٤	١٣٧٠
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا	٩٤	١٤٠٢
لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا	٩٥-٩٦	١٤٠٥
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ	٩٥-٩٦	١٠٥٥
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا	٩٦	٧٩٢، ٢٥٨، ٢٥٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا	٩٧-٩٩	١٤١١
وَسَاءَتْ مَصِيرًا	٩٧	٩١١
وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ	١٠٠	٣٤٥
وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا	١٠٠	١٤١٤
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ	١٠١	٣٣٤، ٣٨٥
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا	١٠١	١٤١٦
إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا	١٠١	٢٢٣
وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا	١٠٢	١٤٢٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا	١٠٣	١٤٢٢
إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا	١٠٣	١٤٢
إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ	١٠٤	٨٧٥
وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	١٠٤	١٤٢٤
إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا	١٠٥-١٠٦	١٤٢٥
وَلا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ	١٠٧	١٧٦
وَلا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا	١٠٧-١٠٨	١٤٢٧
إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ	١٠٨	١٣٤٦
هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً	١٠٩	١٤٣٠
وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا	١١٠	١٤٣٠
وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	١١١	١٤٣٢
وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا	١١٢	١٤٣٣
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ	١١٣	١٦١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا	١١٣	١٤٣٤
وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ	١٢٧	١٠٨٨
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ	١٢٩	١٠٨٩
وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ	١٣٠	١١٥٤
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا	١٣٧	٦٣٨
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ	١٥٠	٢٥٨
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ	١٥٠	٨٢٧، ٢٥٧
بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ	١٥٥	١٣٧٧
فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ	١٥٥	٩٤٨
فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ	١٦٠	١٥٣
فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ	١٦٠	٧١٧
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا	١٦٤	١٢٩٤، ٦٦١
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا	١٦٨	١٧٦
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ	١٦٨	٦٩٦
فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ	١٧٦	١١٢٤
وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ	١٧٦	١١٣٥
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا	١٧٦	٦٤٣
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ	١٧٩	١٣٣٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة المائدة

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ	٢	١٢٠٧
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	٣	٦٤٤
لِيُطَهِّرَكُمْ	٦	١٢٥٧
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ	٩	٥٧٦
نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ	١٨	١٢٧٢
نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ	١٨	٢٦٤، ٤٨٥، ٥٢١، ١٢٧٠
إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا	٢٠	٤٩١
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	٣٣	٩٩٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ	٣٥	٥١٢
يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا	٣٧	٤٨٨
يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ	٤١	١٠٧٢
فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ	٤٤	١٣١٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ	٥١	١٧٠، ٥٠٢
لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ	٥١	٣٠٠
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ	٥١	٣٠٠
فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ	٥٦	٨٨١
وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ	٦٠	٩٦٤
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ	٦٤	٣٤٩، ١٠١٤
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	٦٤	٢٧٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٧٧، ٩٢٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ	٦٧	١٣٤٤
وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ	٧١	٥٥٠
وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ	٧٧	١٢٥٨
لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٧٨-٧٩	٧٧٤
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ	١٠٥	١٨٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ	١٠٥	١٣١٩
عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ	١٠٥	٢٦٨
عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ	١٠٥	٧٧٦
وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي	١١١	٥٥٨،١٧٣
أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ	١١٦	٧٨٧
قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي	١١٦	٢٥٧
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ	١١٩	١٠٤٩،٩٩٢

سورة الأنعام

يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ	٣	٥١٥
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً	٩	٩٦٨
وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ	٩	٣٢٧
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا	٢١	٧٢٣
وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ	٢٣	١٢٤٨
فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ	٤٢	١٠٢٤
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا	٥٩	٩٧٢
وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٧٥	٥٨٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ❖ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ	٧٨-٧٩	٤٧٣
وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ	٩٣	١٥٥، ٧٨٤
وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ	٩٤	١٠١٣
قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	٩٧	١٠٣
وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	٩٨	١٠٨
قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ	٩٨	١٠٣، ١٠٨
إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	٩٩	١٠٣، ١٠٩
لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ	١٠٣	٣٠١
وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى	١١١	٦٩٦
وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ	١٢١	١٧٣، ٥٥٨
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	١٢٤	٦٧٠
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	١٢٤	٦٧٠، ١٢١٧
فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ	١٢٥	٤١٥
ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ	١٤٦	٢٩٩
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا	١٤٨	٩٣٤
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ	١٥١	٤١٤
وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ	١٥٢	١٠٨٧
وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	١٥٢	١١٠٨
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا	١٥٣	١٧٥
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ	١٥٣	٢٦٩، ٧٥٦، ٧٨٠
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ	١٥٣	١١٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ	١٥٥	١٠١٧
يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ	١٥٨	١٧٢
يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا	١٥٨	١١٤٨
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا	١٦٠	١٠٦٥، ١٢٤٣
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا	١٦٠	١٣٦١
ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	١٦٤	١٣٤٤

سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ	٢٨	٣٠١
لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ	٤١	١٠٦١
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ	٤٣	٢٣٧، ٤٣٤
فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ	٥١	٦٧٣
أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ	٥٤	١٢٦٥
إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ	٥٦	١٢٦٦
نَاقَةُ اللهِ	٧٣	١٢٤٣
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ	٩٥	١٣٣٦
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	١٢٨	٧٩٧، ٨٧٤، ٩٥٥
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ	١٢٩	٩٣٩
فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ	١٣١	١٣٣٦
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ	١٣٧	٥٦٢
وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ	١٤٥	١٠١٦
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ	١٤٦	١٠١٠
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً	١٤٦	٢٧٠، ١٣٧٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ	١٥٧	١١٩٩
وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ	١٦٨	١٣٣٦
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	١٧٢	١٢٤٩
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى	١٧٢	٢٠٩، ٦٨٧، ٧٨٤
وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ	١٧٦	١١٩٦
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ	١٧٩	١٠٠٦
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا	٢٠١	٨٦٦

سورة الأنفال

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ	٢	٧٥٢
وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ	٧	١٠٠٣
فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ	٩	٨٤٤
فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ	١٢	١١٢٤
فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ❖ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ	١٥-١٦	١٣٢٣
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ	١٧	٨٤٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ	٢٤	١٣٤٤
اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ	٢٤	١٠٤٩
لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ	٢٧	٩٦٠
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	٣٦	٨١٧
لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ	٣٧	٩٣٦
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ	٣٨	٤٤١
نِعْمَ الْمَوْلَى	٤٠	٩٠٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً	٤٣	٤٤٧
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً	٤٤	٤٤٧
وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ	٦٠	٣٠٠
وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	٦١	١٣٧٠
لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ	٦٣	٧٦٨
يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ	٦٤	١٠٧٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا	٧٢	١٤١٢
مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ	٧٢	١٣٧٩
وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ	٧٥	١٢١٩

سورة التوبة

فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ	٦	٦٦١
إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ	٢٨	١٣٧٤، ١٢٨
قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ	٣٠	٨٠٠
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	٣١	٦١١
وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ	٣٤	١٠١٣
إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ	٣٧	٤١٩
انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً	٤١	١٣١٨
فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ	٥٥	١٠٦٠
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	٥٥	١٠٠٧، ٧٣٣
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ	٦٧	٥٢٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	٧١	١٣٧٠، ٥٢٧
وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ	٧٢	٤٥٧
إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ	٨٣	١١٤٧
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا	٨٥	٥٩٦
وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ	٩١	٣٥٦
وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ	١٠٠	١٤٠٨
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ	١٠٣	١٢٩
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا	١٠٣	١٢٧٠
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ	١٠٣	١٣٠١، ٩٥١
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ	١١١	١٢٨٥/١٢٨٤، ١٢٠٣، ١٣٢٢
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ	١٢٢	١٣١٨
قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ	١٢٣	٨٤٦
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ	١٢٨	٩٦٧، ٩٥٠

سورة يونس

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ	١	٤١٣
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ	٩	١٧٤
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ	٩	٦٩٥
وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ	١٢	١٠٤٢
إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ	٢١	١٣٤٧
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ	٢٦	١٠٨٥، ٩٨٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٤٤	٨٦٤
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا	٥٨	٩٨٥،٢٦٩
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً	٨٨	٤٩٣

سورة هود

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ	١	٣٦١
كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ	١	٤١٣
أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ	١	٥٩٨
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ	٥	١٠٥٩
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ	١٥	٨٩٥
أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ	٣٥	٥٨٣
إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ	٤٦	٥٢٧
وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ	٩٠	١٣٠١/١٣٠٠
ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ	١٠١	١٢٠٧
وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ	١٠٨	٧٨
وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا	١١٣	٦٤٧،٥٠٢،١٧١

سورة يوسف

إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ	٣١	٩٦٤
إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ	٥٣	١٣٣٧
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ	٥٦	٩٠٤
وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا	٥٧	٩٠٥
إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ	٩٠	٣٤٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ	٩٠	٦٧٨
مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ	٩٠	٨٣٣
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا	١٠١	١٣٠٧،٤٦٩
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ	١٠١	١٠٥٠
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ	١٠١	١١٩٤
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ	١٠٦	٢٨٢
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ	١٠٦	٦١٦
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً	١٠٩	٥٥٤،٢٧٩

سورة الرعد

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ	١٠	٥١٥
وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ	١٣	٥٨٩
وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ	١٥	٦٨٨
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٥	٦٨٨
وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ	١٥	٦٨٨
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	١٧	١٠٥٧
الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ	٢٠	١٧١
الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ	٢٠	٦٦٠
أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ	٣٣	٤٠٦
نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا	٤١	٨٤٦
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ	٤٢	١٤٣٣

سورة إبراهيم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ	١٨	٨١٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ	٢٢	١٢٩٣،٦٢٦
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ إلاَّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي	٢٢	١٣٢٦
اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا	٣٥	٧٣٦،١٧٦
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ	٤٢	٤٣٦
سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ	٥٠	١٢٧٩

سورة الحجر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	٣٩	٥٣٠
فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	٩٢-٩٣	٦٦٢
لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	٩٢	١٣٤٩
وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ	٩٩	٢٨٠

سورة النحل

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أَتَى أَمْرُ اللَّهِ	١	٩٨٢،٤١١،٢٨٤
إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ	٤٠	٦٠٢
إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٤٠	٥٦١
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤	٦٩٠
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ❖	٥٨-٥٩	٧٨١
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ	٦١	٨٩٣
وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ	٦٨	١٠٩٥
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا	٧٢	١١٨٧
سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ	٨١	٤٩٧
زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ	٨٨	٢٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا	٨٩	٣٠٣
تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ	٨٩	٤٠٩
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ	٩٠	٦٤٩
فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا	٩٤	٩٠١
فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً	٩٧	١٠٦١
فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ	٩٨	١٤٢٣
فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ	٩٨	٩٩٥
إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ	١٠٠	٩٩٥
إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ	١٠٦	٩٧٦، ٥٠٩
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ	١٢٣	١١٩٣
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ	١٢٥	١٧٥
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	١٢٥	١٣٢٣
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	١٢٥	١٤٢٧، ١٧٦

سورة الإسراء

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا	٥	٥٩٠
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ	٧	٨١١
أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا	٧	١٤٣٢
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً	١٥	١٣٤٢
أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا	١٦	٣٠١
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ	١٨	٨٩٥
انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	٢١	١٤٠٨
وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ	٢٦	١١١٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ	٢٧	١٢٣٩
وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ	٢٨	١١١٣
وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ	٣٣	١١٢١
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ	٣٤	١٧١
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً	٣٤	٦٥٩
وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣٦	١٣٥٣
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ	٥٧	١٤١٣، ٦٥١
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ	٦٥	٩٩٥
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا	٧٠	١٢٦
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً	٧٠	١٢٠١
وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً	٧٦	١٢٧٥/١٢٧٤
أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ	٧٨	١٤٢٤، ١٤٢
وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي	٨٦	٦٧٨

سورة الكهف

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ❖ قَيِّمًا	١-٢	٤١٧
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا	٢	٩٩٤
إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً	٧	٤٥٤
إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا	٧	٢١٥
رَجْمًا بِالْغَيْبِ	٢٢	٥٢٨، ١٧٣
إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً	٣٠	٨١١
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ	٣٠-٣١	٦٤٢، ٢٥٤
مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ	٣٥	١٣٨٩
مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ	٣٥	٦٧٠
هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ	٤٤	٤٥٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ	٥١	١٠٤٦
أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ	٥٩	١١٩٥
وَمَا أَنسَانِيه إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ	٦٣	١٠٠٣
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا	٦٨	١٢٠٠
سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ	٧٨	٣٦٢
وَكَانَ وَرَاءَ هُمْ مَلِكٌ	٧٩	٤٩١
لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا	١٠١	٧٣٨
هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً	١٠٣	٨١١
بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً	١٠٣	١٠٩٨
فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا	١١٠	١٢٣٢
سورة مريم		
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا	٨	٥٤٤، ١٥٦
ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا	١٠	٥٤٩
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا	٣٠-٣١	٥٦٦
مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ	٣٥	١٣٨٩، ٦٧٠
وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا	٤٦	١٠٠٢
وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا	٥٧	٥٩٣
أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ	٥٩	١١٩٥
لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا	٩٤	٤٣٦

سورة طه

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	٥	٣٧٩
يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى	٧	٩٧٧، ٨٢٩
وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي	٣٩	٣٤٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي	٤١	١٠٠٩
أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	٥٠	٤٠٦
لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى	٦٨	٨٧٥
وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى	٨٤	٨٠٩
لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا	١٠٧	٧٤٨
وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ	١١٤	٨٠٩

سورة الأنبياء

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ	٧٨	٣٢٦
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ	٩٠	٩٩٦
حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ	٩٦	٩١٧
إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى	١٠١	٢١١، ٦٥٠
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ	١٠٧	٩٥٠

سورة الحج

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
اتَّقُوا رَبَّكُمْ	١	٧٥٨
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ	٤	١٣١
وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ	٤	٨٧، ١٣٢
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ	١١	١٣٨٨
وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ	٢٧	٣٥٦
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ	٢٩	٧٣١
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ	٣٠	٧٧٢
فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ	٣٢	٩٣٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ	٤٠	١٢٥٣
فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ	٤٦	٤٤٨
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ	٧٨	١٢٠٠،٧٨١

سورة المؤمنون

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ	٥-٦	١١٧٦
وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ	٨	١٧١
وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ	٨	٦٥٩
عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ	٤٠	٩٤٨
وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً	٥٠	٣٦١
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ	٩٩	١٧٢
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ	٩٩-١٠٠	١١٤٨
اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ	١٠٨	١٠٣٤،٢٤٥

سورة النور

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي	٢	١١٤٣
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ	٢	١١٤٠
وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ	٢٢	٨٢٠،٢٢١
وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا	٢٢	٨٦١
الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ	٢٦	١٠٠٨،٥٣٥
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ	٢٦	١٠٠٨
رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ	٣٧	١٠٤٤
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ	٣٩	٨١٩
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ	٤٨	٤٨٤
وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ	٥٩	٣٨٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ	٦١	١٢٠٥
لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ	٦١	١٤٠٧
وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ	٦١	١٢٠١
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	٦٢	١٣٤٣

سورة الفرقان

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ	٢٣	٨١١،٤٨٠
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا	٢٣	١٣٠٧،٩٨٧
أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً	٤١	٦٧٧
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ	٤٥	١٠٤١
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا	٥٤	٤٩٩
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا	٦٧	١٢٣٨
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا	٦٨	٨٨

سورة الشعراء

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي	٧٧	١٤١٧
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ	٨٠	٤٩٧
يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ	٨٨	٨٧٨
أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ	١٦٥	٧٨٨،٢٥٧

سورة النمل

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ	٤٠	٨١٢
قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ	٤٧	١٣٣٧
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا	٦٠	١٣٨٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
رَدِفَ لَكُمْ	٧٢	٦٤٠،٢٥١
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ	٨٩-٩٠	١٣٣٧

سورة القصص

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ	٤٥	٥٥٩
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا	٤٦	٥٥٩
إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ	٥٦	١٣٧٦
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ	٧١	٤٨٠
إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ	٧٦	٩٨٤،٢٦٩،١٧٧
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ	٧٧	٤٣٦
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ	٨٨	٣٤٩

سورة العنكبوت

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الم(١)أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	١-٢	١٣٨٨
ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ	٢٠	٧٨
وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا	٢٧	٩٠٤
بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ	٤٩	٩٣٨
أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ	٥١	٦٩٠
وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ	٦٤	١٣١٥
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا	٦٧	٧٣٥،٢٩٩،١٧٦
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	٦٩	٧٥٤

سورة الروم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	٧	٦٦١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ	٩	٨٧١
فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ	١٧	١٤٢٣
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٢٢	١٠٣٩
وَمَا آتَيْتُم مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا	٣٩	٨٥١
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ	٥٤	١٢٦
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً	٥٤	١٢٠١

سورة لقمان

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ	١٦	٩٦١
مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ	٢٨	١٢٠٥

سورة السجدة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ	١-٣	١٢٧٥
قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ	١١	٥٩٩
قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ	١١	١٣٤٧
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ	١٢	٧٨٤، ١٥٥
فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ	١٧	١٠٥٨
أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا	١٨	٦٨٥، ١٧٤
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا	٢٠	١٧٤

سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ	١٦	٨٩٣
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ	٣٣	٥٥٢
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ	٣٣	١٠٥٦، ٨٨٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ	٣٥	١١٤٣
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ	٣٥	١١٨٨
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا	٣٧	١١٦٩
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	٥٧	٩٩٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ❖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ	٧٠-٧١	٣
إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ	٧٢	١٢٨٤

سورة سبأ

اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا	١٣	٨١٣، ٢٨٤
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى	٣٧	٢٩٨

سورة فاطر

هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ	٣	٤٨٠
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	٢٨	٩٩٦، ٢٣٠، ١١٦

سورة يس

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ	٣٦	١٠٧٣
وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ	٤١	٥٢٦، ٢٢٤
عَمِلَتْ أَيْدِينَا	٧١	٣٤٩
أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ	٧٧	٤٩٩
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ	٨١	٦٠٠

سورة الصافات

فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ	٢٣	١٣٢، ١٣١، ٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ	١٠٣- ١٠٤	٩١٧
وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ	١٦٤	١٢٦١

سورة ص

فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا	٢٣	٣٠٢
وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ	٢٤	٥٥٦
وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	٢٦	١١٩٦
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً	٢٧	١٠٤٦
كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ	٢٩	١٦٥
كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ	٢٩	٣
إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا	٧١	١٦٠
إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ	٧١	٥٦٨
لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ	٧٥	٣٧٨
بِيَدَيَّ	٧٥	٣٤٩

سورة الزمر

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى	٣	٩٠٩
أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا	٩	٥٥٦
يَحْذَرُ الآخِرَةَ	٩	٥١٢
إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	١٠	٨٦٨،٨٣٣
وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ	١٢	١١٩٣
فَبَشِّرْ عِبَادِ	١٧-١٨	٦٦١
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ	٢١	٩٨٣
أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ	٢٢	٩٣٨
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا	٢٣	٣٦١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ	٢٣	١٤١
ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ	٢٤	٢٣٦، ٥١٨
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ	٢٩	١٠٠٩
اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	٤٢	٥٩٩، ١٣٤٧
وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ	٤٧	٢٩٩
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ	٦٥	٩٥٨
إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ	٧٣	٩١٧

سورة غافر

حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ	٦	٥٦٢
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ	١١	٧٣٧
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ	١٩	٨٢٩، ٩٧٧
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا	٤٦	٩٧٩
إِنَّا كُلٌّ فِيهَا	٤٨	٤٢٩
وَصَوَّرَكُمْ	٦٤	٤١١
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	٨٢	١٣٣٢
فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ	٨٥	١٧٢
فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا	٨٥	٦٨٧، ١١٤٨

سورة فصلت

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ	١٧	١٧٧، ٢٦٨، ٦٩٦
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى	١٧	١٧٤، ٦٩٤
وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ	٢٥	٥٦٢
لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ	٤٢	١٣٥١
أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ	٤٤	١٢٩٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا	٤٦	١٤٣٣
فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ	٥١	٨٥٨

سورة الشورى

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ	١١	٣٧٩
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ	١١	٤١٧
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى	١٣	٢٧٨
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي	١٣	١٢٤٥
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ	١٣	١١٩٤
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ	١٣	٥٢٣
مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ	٢٠	٨٩٥
وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ	٢٧	٤٣٠
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ	٣٠	١٣٣٨
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا	٤٠	١٣٦١، ١٣٣٨
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ	٤٥	١٢٠٦
إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ	٤٨	١٣٤٤

سورة الزخرف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ	٣٥	٦٧٩
وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ	٣٦	١٢٣٩
بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ	٨٠	١٣٤٧
إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	٨٦	١٠٤٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	٨٧	٦٨٧

سورة الجاثية

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا	١٤	٤٤١
سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ	٢١	٦١٣
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ	٢٣	١٢٩٢
وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ	٢٣	١٢٦٤
إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ	٢٤	١٢٤
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	٢٩	١٣٤٧، ٥١٧
هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ	٢٩	١٠١٦

سورة محمد

وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ	٤-٦	٦٩٥، ١٧٤
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا	١١	٩٠٧
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى	١٧	١٣٠٩، ٦٩٤
فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ	٢٠	١٢٩٤
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ	٢٧	٢٣٦
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ	٢٧	٤٨٧
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ	٣٠	٨٢٤
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ	٣١	٨٨٨، ٨٨٠

سورة الفتح

يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	١٠	٣٤٩
وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ	٢٥	٤١٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا	٢٨	١٣٤٢
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ	٢٩	٧٦٨
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ	٢٩	٤٥٣
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا	٢٩	١٠٥٢

سورة الحجرات

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ	١٣	٨١
وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ	١٤	٩٣٨

سورة ق

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ	٣٧	٩٨٣
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ	٣٧	٧٥٠
وَأَدْبَارَ السُّجُودِ	٤٠	٥٥٦

سورة الذاريات

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ	١٠	٨٠٠
فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ	٢٥	١٣٦٧
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ	٤٩	١٠٧٣
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ	٥٦	١٠٠٤، ١٠٠٦، ١٢٠٦

سورة الطور

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ	٤٨	٨٩٩
وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ	٤٨	٣٤٩

سورة النجم

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى	١٢	١٢٧، ١٣١١
وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا	٢٨	١٢٤، ٢٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا	٢٩	١٧١، ٥٠٢
وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى	٤٢	٤٥٧

سورة القمر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ	١٠	٣٢٦
تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا	١٤	٣٤٩
ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ	٤٨	٢٥٩، ١٢٨٠
فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ	٥٥	٨٨٣

سورة الرحمن

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ	٣٩	١٣٤٩

سورة الواقعة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَالسَّابِقُونَ	١٠	٨٠٩
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى	٦٢	٧٨
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ	٩٠-٩١	١٣٠٠

سورة الحديد

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ	٢١	٨٠٩
سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ	٢١	١٣١٩
كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ	٢١	٨٥٨
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ	٢٢	٤٠٣
لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ	٢٣	٩٢٤
لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ	٢٣	٨٧٤
كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا	٢٧	٧٢١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ	٢٨	١٣٦١

سورة الحشر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ	٩	٧١٢
لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ	٢٠	٩٦٣
سورة الممتحنة		
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ	١	٥٠٢

سورة الصف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ	٥	٩٣٨
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ	١٠	١٢٠٣

سورة الجمعة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ	٨	٩٢٧
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ	١٠	٨٩٥، ٨٩٦

سورة المنافقون

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا	١	٥١٤
نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ	١	٩٧٦
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ	١	٩٧٦
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	٨	٧٩٩
وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ	١٠	١٣٢٨

سورة التغابن

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ	٩	٢٩٨
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ	١٦	٧٦٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة الطلاق

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ	١	٦٨٣
يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ	١	١٠٧٢
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	٣	١٣٤٧
أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا	١٢	٨٣٤

سورة التحريم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ	١	٧١٨
ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ	١١	٧٤٢
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا	١٢	١٣١٥

سورة الملك

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ	٢	٢٨٠
وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ	٥	٥٢٨، ١٧٣
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا	١٥	٨٧١

سورة الحاقة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ	٧	٥٤٩
وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	١٢	٦٥٠، ٢١١
مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَ	٢٨	٨١٤، ٤٣٦

سورة المزمل

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ	١٣	٢٥٩
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا	١٣	١٢٨٠

سورة المدثر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ	٤	١٢٨٠، ٥٨٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة القيامة

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ	٢٢	٧٨٣
إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	٢٣	٣٠١

سورة النبأ

عَطَاءً حِسَابًا	٣٦	١٣٧٢
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا	٣٨	١٣٧٢
وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا	٤٠	١٢٤٧

سورة النازعات

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا	٥	٩٧٢
أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ	٢٧	١٢٦
أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا	٢٧	١٢٠١

سورة عبس

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ	١٥	١٠١٧
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ	٣٨-٣٩	٧٨٣
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ	٤٠	٧٨٢

سورة الانفطار

كِرَامًا كَاتِبِينَ	١١	١٠١٧

سورة المطففين

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	٦	١٣٧٢
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	١٤	١٣٧٧
كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ	١٥	٨٨٣
وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ	٢٦	٩٨٥، ٢٦٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة الانشقاق

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	١٠	١٢٦٣
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	٢٤	١٣٢، ٨٧

سورة الفجر

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ	٣	١٠٧٣
فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ	١٥	١٣٢١
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا	٢٠	٧١٢

سورة الشمس

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا	٩	١٢٧٠، ٧٧٧، ١٢٩
وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا	١٠	١٤١٢

سورة الضحى

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ	٩	١١٠٣
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ	١١	٦٩١

سورة العاديات

إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ	٦	١٢٣٧

سورة الهمزة

الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ	٢-٣	١٢٣٥

سورة الإخلاص

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	١	٦٤٥، ٢٤٤
لَهُ	٤	١٢٤٣

سورة الناس

فِي صُدُورِ النَّاسِ	٥	٩٣٨

فهرس الأحاديث النبوية

ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر .... ١٨٨، ٧٧٦
ابتغوا في أموال اليتامى ١١٠٢
أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق ١١٥٣
الاختلاف في أمتي رحمة .... ٢٦٩، ٧٧٩
أخذتموهن بأمانة الله ١١٥٧
إذا أتاكم عني حديث يدل على هدى .... ١٩٠، ٦٦٦
إذا تزوج العبد بغير إذن سيده فهو عاهر .... ١٨٧، ١١٨٨
إذا حدثتم عني حديثاً فوافق الحق ١٩٠
إذا زنت أمة أحدكم ١١٤٤
ارموا من بلغ العدو بسهم ١٩٤
اسألوا النبي ﷺ هل لي من توبة ٦٩٣
استحيوا من الله كما تستحيون من أحدكم .... ١٩٥، ١٤٢٩
الاستطاعة الزاد والراحلة .... ١٨٧، ٧٣٩
الإسلام يعلو ولا يعلى ٥٠٥
أصحابي كالنجوم .... ١٩١، ٧٦٥
اعبد الله كأنك تراه .... ١٣١٢، ١٣١٣
اعقله وتوكل ٩٥٠
اغتنم خمساً قبل خمس ٤٥
ألستم تعلمون أن الله حي لا يموت ٤٠٤
أما إنها ليست بعتبة .... ١٩٤، ١٤١٠
أما المقتول فمضى على صدقه ويقينه ٥١١
أمران أتخوفهما على أمتي ١٢٣٢
أمرت أن أقاتل الناس ١٢٩٩
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده ٩٨٠

إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة ١١٣٨
إن الأول كان قد قتل فكرهت أن أؤيسه ١٤٠١
إن الأول والثاني أتيا من التحية شيئاً فرددت عليهما ١٣٦٨
إن ثابت بن قيس من القليل ١٣٠٩
أن جماعة من الكفار سألوا النبي ﷺ هل نحن ممن يؤمن ١٠١١
أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ كئيباً ١٣١٤
إن شر الناس من يكرم اتقاء لسانه .... ١٨٧، ٥١٠
إن في الجنة مائة درجة ١٤١٠
أن قوماً استأذنوا النبي ﷺ في قتال المشركين ١٣٢٧
إن الله تعالى قال: من آذى لي ولياً ٩٩٨
إن الله خلق الأرواح قبل الأجسام .... ١٩١، ١٠٧٢
إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه .... ١١٢١، ١٢٢٠
إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ٣٠٥
إن الله يحاسب عباده بقدر عقولهم .... ١٩٢، ١٣٦٦
إن الله يغفر لعبده ما لم يقع .... ١٨٩، ١١٤٦
إن المحرمات تجتمع على الرجل فتهلكه ١٢١٢
إن المرأة خلقت من ضلع .... ٣٣٤، ١٠٧٥
إن مما ينبت الربيع ما يقتل ٤٧٩
إن المنبتّ لا أرضاً قطع .... ١٩٠، ٧٤١
أن النبي ﷺ استشار أصحابه في شعار يرفع للصلاة ٩٥٢
أن النبي ﷺ بعث جيشاً إلى أوطاس ١١٧٤
أن النبي ﷺ شاور أصحابه حيث قصده المشركون ٨٣٥
أن النبي ﷺ مات عن تسع نسوة ١٠٨٨
إن يهود المدينة لما هزم ٣٧٠
أن اليهود والمنافقين كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ ١٣٦٢
أنا بريء من كل مسلم مع مشرك .... ١٩٤، ٥٠٣

أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ١٩٤
أنت الفاروق ١٢٩٥
أنتم أعلم بأمور دنياكم ٩٥٤
إنك لتؤجر في نفقتك ٨١٧
إنكم تتمون سبعين أمة ٣٦٨
إنكم منصورون ومفتوح لكم ٧٩٢
إنما الأعمال بالنيات ٨٩٤
إنها تعدل ثلث القرآن ٤٦٧
أنه لما أصاب رسول الله ﷺ ٣٧٠
إنه ليس أحد من أهل الأديان يذكر ٨٠٦
إنه من القليل ١٣٠٨
اهلك الناس شيئان: حب الفخر ١٢٣٥
أوصيك أن تستحي من الله ﷻ ١٩٥
أول ما خلق الله القلم ١٢٦٥
أي داء أدوى من البخل ١٢٣٦
إياكم وخضراء الدمن ١١٩٢
أيما رجل نكح امرأة فدخل بها أو لم يدخل ١١٦٧
بئس أخو العشيرة .... ١٨٧، ٥١٠
برأي رأيته ٩٥٤
البكر بالبكر جلد مائة ١١٤٠
بم تحكم؟ ٢٠٢
بيع الأمة طلاقها .... ١٩٢، ١١٧٤
تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا يحب الذواقين ١١٥٣
تعس عبد الدينار ٦١٤
تفكروا في آلاء الله ١٠٤٤
ثلاث يؤدين إلى البر والفاجر .... ١٩٣، ١٢٨٤
جئتكم بالحنيفية السمحة ١١٩٩

جاء زيد بن حارثة بفرس ٧١٢
جاءت امرأة أوس بيناته إلى النبي ﷺ ١١١٠
جاهدوا أهواءكم .... ٨٨٨، ١٣٢٣
جهادك هواك ١٤٠٨
حبب إلي من دنياكم ثلاث ٣٠٤
حجوا بالذراري .... ٢٢٤، ٥٢٦
الحدود كفارات لأهلها ١٢٦٧
الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات ١٢١١
خذ من كل حالم ديناراً ٣٨٤
خل سبيل أربع .... ١٨٩، ١٠٩٠
خلاف أمتي رحمة ٣٣٦
خلقت حواء من ضلع من أضلاع ١٠٧٤
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ٣٦٧
دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ١٢١١
دعها فإنها لا تحصنك ٥٠٧
الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن ١٠٦٣
الذنب على الذنب حتى يسود القلب ٨٠٢
رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان ٣٦٨
رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله ٣٦٩
رجعنا من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر .... ١٩١، ١٤٠٨
الزاد والراحلة ٣٥٤
الزبير ابن عمتي وحواري ٥٨٤
سافروا تغنموا ٨٧٢
سبحان الله إذا جاء النهار ٨٥٥
سبعة يظلهم الله في ظل عرشه .... ١٩٥، ١٢٨١
ستحرصون على الإمارة .... ١٨٦، ٤٩٤

ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقة ١١٣
شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ٧٢١
الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل .... ٢٨١، ٦١٥
الشعث التفل ٣٨١
شكا إلى النبي ﷺ فأمر أن تدفع إليه الدية ١٤٠٠
الصبر خير كله ٨٩٩
الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس ٨٩٩
صدقة تصدق الله عليكم بها ١٤١٧
صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً ١٠٤٣
العجلة من الشيطان ٨٠٨
عُرِضْتُ على رسول الله ﷺ عام أحد ٣٨٤
عفوت لكم عن صدقة الخيل ٤٥١
على ملة إبراهيم .... ١٩٧، ٤٨١
عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ١٣٦٨
عليه مسحة ملك ٥٦٣
الغنى غنى النفس .... ٢٨٠، ٦٧٢، ٧٦٧، ٧٩٩
في الجنة مائة درجة .... ١٩٣، ١٤١٠
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ٩٨٧
قال قوم من اليهود تهكماً على النبي ﷺ ١٠١٤
القرآن حبل الله المتين ٣٠٥
كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ ٣٨٣
كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت ١٣٦٥
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ١٢٨٥
الكيس من دان نفسه ١٠٢٨
كيف أصبحت يا حارث .... ١٣١١، ١٣١٢
لا أعرفن أحدكم متكئاً يأتيه الحديث ١٩٠

لا أعرفن رجلاً يأتي ببعير .. لا أعرفن رجلاً يأتي بفرس ٩٦٠
لا تحرم الإملاجة والإملاجتان ١١٦٥
لا تراءى ناراهما .... ٥٠٣،١٩٤
لا تسبوا أصحابي ٣٦٦
لا تقاطعوا ولا تدابروا ٧٦٨
لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ١١٧٨
لا تهجروا النساء إلا في بيوتهن ١٢٢٥
لا توبة له .... ١٤٠١،١٩٣
لا توبة مع إصرار ٣٣٦
لا صغيرة مع إصرار .... ١٢١٢،١٩٢
لا كبيرة مع استغفار ٣٣٦
لا وصية لوارث ١١٣٧
لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه ١٢٠٢
لا يخرج معنا إلا من شهدنا بالأمس ٨٧٥
لا يدخل الجنة أحد بعمله ٦٥١
لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل .... ٥١٩،٢٧٥
لا ينفع ذا الجد منك الجد ٨٧٨
لك الثلث والثلث ١١٣٧
لم أؤمر بذلك .... ٨٨٩،١٩٧
لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم ٩٧٩
لما قتل من قتل يوم بدر ٤٤٠
لما نزلت أخذ النبي ﷺ بيد الحسن والحسين ٦٠٦
اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى ١٣١٣
اللهم فقهه في الدين .... ٤٢٣،٢٠٣
لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي ٦٨٣
اللواطة الزنى الصغير ١١٤٤

ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ١٢١٥
ليس الشديد بالصرعة ٣٣٣
ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله ١٣٣٩
ما أصر من استغفر ٣٣٥
ما بعث الله من نبي ولا استخلف ٨٢٣
ما زال جبريل يوصيني بالجار ١٢٣٤
ما كان لنبي أن يلبس لأمته ٨٣٦
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .... ٨٥٦، ٨٦٧
ما لقي أحد في الله ما لقيت ١٠٢٤
ما من مولود يولد إلا والشيطان ينال منه ٥٣٠
مباشرة الرجل للرجل زنى ١١٤٣
مثل الجليس الصالح كمثل الداري ٥٠٨
مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتاً ١٢٤٥
المسجد الحرام ثم بيت المقدس .... ٣٠٤، ٣٣٢
من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي .... ١٩٤، ١٩٥، ٦٧٢، ٧٦٧
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ١٠٥١
من أطاعني فقد أطاع الله ١٢٨٧
من إن حج لم يرج ثوابه ٧٤٣
من تاب قبل موته بساعة ١١٤٧
من ترك الصلاة فقد كفر .... ٢٨٢، ٧٤٤
من حج فلم يفسق ولم يرفث ٧٤٢
من حلف على يمين فاجرة ٦٦٠
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ٧٧٤
من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ١٠٦٩
من سئل عن علم فكتمه .... ٣٣٣، ٦٣٣
من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ١٠٣٧

من سره أن يكون أقوى الناس ٩٥١
من سن سنة حسنة فله أجرها ١٣٦٢
من شذ شذ في النار ٧٦٩
من طلب الدنيا استعفافاً عن المسألة .... ٨٩٦، ١١٠١
من قتل نبياً أو رجلاً ٤٧٥
من كان حالفاً فليحلف بالله ٣٣١
من كانت همته للدنيا شتت الله عليه أمره ٩٠٣
من كظم الغيظ وهو يقدر ٨٦٠
من مات وترك مالاً فماله للموالي العصبة ١٢١٨
من مات وعليه حج الإسلام ٧٤٥
من مات ولم يحج فليمت ٣٠٥
من مات وليس له ولد ولا والد ١١٣١
من وجد ما يتزوج به حرة فلا ينكح أمة ١١٨٣
موت النفس مشركة ١١٤٧
مولى القوم من أنفسهم ١١٨٧
نصرت بالرعب ٩١٠
نعم (عندما سُئل: عن الحج عن الوالد) ٣٨٣
نعم (عندما سُئل: هل للقاتل توبة؟) .... ١٩٣، ١٤٠١
نعم ما لم تق مالك بماله ١١٠٧
هدايا الولاة غلول ٣٠٤
هل تدري ما حق الله على العباد ؟ .... ١٨٧، ٧٦١
هلا شققت عن قلبه .... ٢٩٢، ١٤٠٤
هو أولى بمحياه ومماته ١٢٢٠
الهوى إله معبود ١٢٩٢
والذي نفس محمد بيده للإيمان أثبت في قلوب المؤمنين ١٣٠٨
وكأني بعرش ربي بارزاً ١٠٥٦
يأتي كنز أحدهم يوم القيامة شجاعاً أقرع ١٠١٢

يا خيل الله اركبي ٤٥١
يا رسول الله ما بال الرجال ١٠٥٤
يا عباد الله ارجعوا ٩٢٢
يا مقلب القلوب ثبت قلبي .... ٣٧٨، ٤٣٢، ٩٠٢
يتهافتون في النار تهافت الجراد ١١١٩
ينادي يوم القيامة مناد ٨٦١

فهرس الآثار

طرف الأثر	صاحب الأثر	رقم الصفحة
أجلده بكتاب الله	علي	١١٤٢
الاستواء غير مجهول	مالك	٣٧٩
ألها بنت	علي	١١٦٨
أمروها كما جاءت	الأوزاعي وابن عيينة ومالك	٣٨٠
إن الآخرة مواقف	الحسن	١٢٤٩
إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك	أبو بكر الصديق	٤٩٥
إن صلاة الحضر أربع، والسفر ركعتان	ابن عباس وجابر	١٤١٨
أن عبد الله بن جعفر ابتاع أرضاً		٣٨٧
أن لله عوالم هذا أحدها	ابن عباس	٨٥٦
إن المستغفرين بالأسحار هم الذين	زيد بن أسلم	٢١١
أن من صلى الليل ثم استغفر	جعفر الصادق	٤٦١
إن هذه الأمة تشهد للأنبياء	ابن عباس	١٢٤٤
أنا كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر	جابر	١٢٦٨
إني في مال الله كوالي اليتيم	عمر	١١٠٦
تبدو نكتة بيضاء في القلب	علي بن أبي طالب	٩٩٧
الحج كله في كتاب الله	مالك	٣٥٣
حرم الله أربع عشرة امرأة	ابن عباس	١١٦٣
الخشوع ثبات الخوف في القلب	الحسن	١٠٦٤
ربنا إنك زيَّنْتَ	عمر	٤٥٥
زينها الشيطان	الحسن	٤٥٥، ٢١٦

طرف الأثر	صاحب الأثر	رقم الصفحة
صلاة المسافر ركعتان تامتان	عمر وعائشة..............	١٤١٨ ....
الضرار في الوصية من الكبائر	ابن عباس	١١٣٧ ....
عادة الله جارية فيما أخبر	الأصم	٥٦٨ ....
قد قطعت عامة سفرك	عمر بن عبيد الله	٤٥ ....
كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات	ابن مسعود	٢٠٢ ....
كان المال للولد في الجاهلية	ابن عباس	١١٢١ ....
كان مما يقرأ في القرآن: الشيخ	عمر	١١٤٢ ....
كان يصلي فإذا أسحر قعد	ابن عمر	٤٦٢ ....
كانت العرب تتوارث به ثم نسخ	ابن عباس والحسن وسعيد وقتادة	١٢١٩ ....
كل ما وصف الله تعالى به نفسه	ابن عيينة	٣٧٩ ....
كنت من سبي قريظة	عطية القرظي	٣٨٥ ....
كونوا علماء فقهاء	الحسن	٦٦٩ ....
كيف تمكنت منه	علي	٨٣٣ ....
كيف زينها وهو يذمّها	الحسن..............	٤٥٥ ....
لا تخش إلا ذنبك	علي	١٣٣٩ ....
لا يجوز عتق ذات الزوج	الليث	١٠٩٧ ....
لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد	ابن مسعود	٨٠٥............
لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي	أبو بكر	١٣٥٦ ....
لو طابت نفسها لم ترجع فيه	شزيح	١٠٩٨ ....
ليتنا لم يجعل ثوابنا في الآخرة على نصف	أم سلمة	١٢١٦ ....
ليتنا كنا رجالاً فنجاهد	أم سلمة	١٢١٥ ....
ما أيسر الورع، إذا شككت في شيء فدعه	بعض الصحابة	١٢١٢ ....
ما بعث من نبي من لدن نوح	السدي	٦٨٣ ....

طرف الأثر	صاحب الأثر	رقم الصفحة
ما بقى قول الله : وآتى المال	الشعبي	١٢٣٣
ما في القرآن مؤمنة فلا يجزئ	الحسن	١٣٩٣
ما قتل نبي قط في حرب	الحسن	٨٩٨
ما من نفس برة ولا فاجرة	ابن مسعود	١٠٦٣
المحرم من السبيل	الحسن وإبراهيم النخعي وابن حنبل وابن راهويه وأبو حنيفة	٣٥٧
من أحدث حدثاً ثم استجار	ابن عباس	٣٤٠
من أصلح سريرته أصلح الله علانيته	عمر	١٢٢٨
من رحمته حذرهم نفسه	الحسن	٥١٢
من رسوخ علمهم الإيمان بمحكمه	عائشة	٤٢٧
من زعم أن الحج ليس بفرض	ابن عباس والضحاك وعمران القطان والحسن ومجاهد	٣٤١
من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه	ابن عباس	١٣٦٩
من صلى صلاة عند الناس لا يصلي مثلها	ابن مسعود	١٤٢٩
من كان بهذه الحال فهو كافر	السدي	٣٤١
من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ..	أبو بكر	٨٩١، ٦٧٣
من كفر بالله واليوم الآخر	ابن عمر وجماعة من العلماء	٣٤١
من وجد شيئاً يبلغه	الحسن	٣٤٠
من وسع عليه في دنياه	علي	٤٣٠
نعم ترجمان القرآن ابن عباس	ابن مسعود	٢٠٣
نهى عمر عن الاستعانة بالكفار		٨٢٣
نهي أن يخونوه	الحسن	٩٥٩

طرف الأثر	صاحب الأثر	رقم الصفحة
هدايا الولاة غلول	....	.... ٣٠٤
هذا لأولنا	عمر	.... ٧٩١
هذا مما أحبه الله	زيد بن حارثة	.... ٧١٢
هذا من صفة المؤمنين	الحسن	.... ١٣٢٨
هل يعطى المسلم ثواب عمله في الدنيا قال نعم	ابن عيينة	.... ٩٠٤
هم الذين يشهدون الصبح في جماعة	زيد بن أسلم	.... ٤٦٢
هو أن يطاع فلا يعصى	عبد الله والحسن وقتادة	.... ٧٥٩
وعليكم	عمر	.... ١٣٦٧
ولولا الدولة ما أوذي المؤمنون	قتادة	.... ٨٨٠

فهرس الأعلام المترجم لهم

إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ٥٧٩
إبراهيم بن سيار النظام ٥٦٢
إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ١١١٢
الأخفش = سعيد بن مسعدة
أسامة بن زيد ٧١٣
إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ٥٠٠
الأسود بن يعفر ١٣٣١
الأصم = عبد الرحمن بن كيسان
الأصمعي = عبد الملك بن قريب
ابن الأعرابي = محمد بن زياد
الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو
أوس بن ثابت ١١١٠
ابن بحر = محمد بن بحر الأصفهاني
بلر بن يخلد ٨٣٩
أبو بكر الصديق = عبد الله بن عثمان بن عامر
البلخي = عبد الله بن أحمد بن محمود
تميم بن أوس الداري ١٢١٩
ثابت بن قيس بن شماس ١٣٠٩
أبو ثعلبة الخشني ٧٧٦
الجاحظ = عمرو بن بحر
الجبائي = محمد بن عبد الوهاب
الجرجاني = الحسن بن يحيى بن نصر
ابن جريج = عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ٥٦٣
جعفر بن محمد الصادق ٤٦١
الحارث بن مالك الأنصاري ١٣١١
الحارث بن يزيد بن أبي أنيسة ١٣٩٦
حارثة بن النعمان ١٠٥٦
حاطب بن أبي بلتعة ١٣٠٤
حبيب بن ضمرة الليثي ١٤١٥
حذيفة بن اليمان ٥٠٧
حسان بن ثابت ٩٢١
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي ١٣٨٤
الحسن بن علي بن أبي طالب ٦٠٦
الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني ١٣٨٣
الحسن بن يسار البصري ٤٤٩
الحسين بن علي بن أبي طالب ٦٠٦
أبو حنيفة = النعمان بن ثابت الكوفي
خالد بن الوليد ٩١٣
الخليل بن أحمد الفراهيدي ٦٧٩
خويلد بن خالد بن محرث ٨٠٥
أبو ذؤيب الهذلي = خويلد بن خالد بن محرث

الربيع بن أنس ٥٧٧
رفيع بن مهران ٦١٢
ابن الرومي = علي بن العباس بن جريج
الزبير بن أحمد بن سليمان ١١٥٢
الزبير بن العوام ٥٨٤
الزبيري = الزبير بن أحمد بن سليمان
الزجاج = إبراهيم بن السري بن سهل
زهير بن أبي سلمى ٨٢١
ابن زيد = عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
زيد بن أسلم العدوي ٤٦٢
زيد بن ثابت ١٣٧٥
زيد بن حارثة ٧١٢
السدي = إسماعيل بن عبد الرحمن
سعد بن أبي وقاص ١١٣٥
سعد بن مالك = سعد بن أبي وقاص
سعيد بن المسيب ١١٧٦
سعيد بن جبير ٥٨٣
سعيد بن مسعدة الأخفش ٦٧٧
سفيان بن سعيد الثوري ١١٨٣
سفيان بن عيينة ٩٠٤
أبو سفيان = صخر بن حرب بن أمية
أم سلمة = هند بنت أبي أمية
سهل بن حنيف ١٠٤٣
سيبويه = عمرو بن عثمان بن قنبر
شداد بن أوس ١٢٣٢
شريح بن الحارث ١٠٩٧
الشعبي = عامر بن شراحيل الشعبي
صخر بن حرب بن أمية ٨١٥
طاوس بن كيسان ١١٧٥
عائشة بنت أبي بكر ٤٢٧
عاصم بن بهدلة ٤٠٢
أبو العالية = رفيع بن مهران
عامر بن شراحيل الشعبي ١٢٣٣
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ٥٠٠
عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة ٧٩٤
عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ١٠٩٧
عبد الرحمن بن كيسان الأصم ٤٢١
عبد الله بن أبي ٨٣٦
عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي ٤٩٢
عبد الله بن جبير ٩١٣
عبد الله بن رواحة ١٣٠٨
عبد الله بن سلام الإسرائيلي ٦٥٤
عبد الله بن عباس ٤٢٣
عبد الله بن عثمان بن عامر أبو بكر الصديق ٤٩٤
عبد الله بن عمر بن الخطاب ٤٦٢
عبد الله بن مسعود ٥٤١
عبد الله بن مسلم بن قتيبة ١٢٤٢

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ٥٧٨
عبد الملك بن قريب الأصمعي ١٠٩٤
عروة بن مسعود الثقفي ١٠٩١
علي بن أبي طالب ٤٢٢
علي بن العباس بن جريج (ابن الرومي) ٩٠٤
علي بن حمزة الكسائي ٦٤٣
علي بن موسى القمي ١٣٩٠
عمار بن ياسر ٦٢٨
عمر بن الخطاب ٤٥٤
عمرو بن بحر الجاحظ ٥٦١
عمرو بن شعيب ١١٦٧
عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) ٤٨٨
عيينة بن حصن ٩٥٤
غانم بن أبي علي بن أبي العلاء ٥٥
فاطمة بنت محمد ﷺ ٦٠٧
الفراء = يحيى بن زياد
الفسوي = الحسن بن عبد الغفار
القادر بالله ٣٢
قتادة بن دعامة السدوسي ٤٢١
القتيبي = عبد الله بن مسلم بن قتيبة
قطرب = محمد بن المستنير
قيس بن الحارث ١٠٩٠
كرز بن جابر ٨٤٤
الكسائي = علي بن حمزة
كعب بن الأشرف ١٠٢٨
الكلبي = محمد بن السائب
لقمان ٩٦١
الليث بن سعد ١٠٩٧
مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي ٦٦٨
مالك بن أنس ١٠٩٦
المبرد = محمد بن يزيد
مجاهد بن جبر ٤٢٠
محمد بن إدريس الشافعي ١٠٩٣
محمد بن إسحاق بن يسار ٤٣٩
محمد بن بحر الأصفهاني ٨٥٧
محمد بن جعفر بن محمد ٦١٠
محمد بن داود بن علي الظاهري ١٠٩٤
محمد بن زياد بن الأعرابي ١٠٩٤
محمد بن السائب الكلبي ٥٨٩
محمد بن عبد الوهاب الجبائي ٤٣٨
محمد بن المستنير (قطرب) ١١٣٢
محمد بن مسلمة ١٠٢٩
محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف ٥٦٨
محمد بن يزيد المبرد ٦٤٤
مسروق بن الأجدع ١٣٩٤
مسيلمة الكذاب ٥١٠
معاذ بن جبل ٧٦١

معمر بن المثنى ٥٣٧
مقاتل بن سليمان ٨٠٤
المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ١٤٠٣
مكحول الشامي ١٢٨٣
النابغة الذبياني ١٠٣٨
النخعي = إبراهيم بن يزيد بن قيس
النظام = إبراهيم بن سيار
النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة ١١١٠
نعيم بن مسعود ٩٨٩
أبو الهذيل = محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف
أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر
هند بنت أبي أمية أم سلمة ١٠٥٤
وهب بن منبه ٥٩٢
يحيى بن زياد الفراء ٤٣٧
يزيد بن القعقاع المخزومي ١٢٢٢

فهـــرس الأشـــعار

البيت		الشاعر ورقم الصفحة	
....	إن ليتـــاً وإن لـــواً عنـــاء	أبو زبيد الطائي	٩٤٣، ١٢١٥
وقـد أغـدو علـى ثبـة كـرام	نشـاوى واجديـن لمـن نشـاء	زهير بـن أبي سلمى	١٣١٦
إذا مـا حمـام المـرء كـان ببلـدة	دعتـه إليـها حاجـة أو تطـرب	أبـو الشـيص	٩٣٥
وإن أبـــا المـــرء أحمـــى لـــه	ومـــولى الكلالـــة لا يغضـــب	؟	١١٣١
وداع دعا بعد الهدوء من السرى	فلـم يسـتجبه عنـد ذاك مجيـب	كعب بن سـعد الغنوي	١٠٥٣
إلى بلـــد غـــير دانـــي المحـــل	بعيـــد المراغـــم والمضطـــرب	؟	٣٤٦
الجـد والـهزل في توشـيح لحمتـه	والنبل والسخف والأشجان والطرب	؟	٩٠
....	هنالك إن يستخلبوا المال يخلبوا	زهير	٨٢١
تـرك الأحبـة أن يقـاتل دونـهم	ونجـــا بمثـــل طمـــرة وثـــاب	حسان	٩٢١
كطـــود يـــلاذ بأركانـــه	عزيـــز المراغـــم والمذهـــب	النابغة الجعدي	٣٤٥
....	ثنـــاء مثـــل ريـــح الجـــورب	؟	١٠٠٨

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا	إلى الموت إرقال الجمال المصاعب	النابغة	٨٨٩
....	إذ الناس ناس والزمان يعز به	؟	٤٧٨
....	مطيع فما أدري أرشد طلابها	أبو ذؤيب	٨٠٥
....	فإن الحوادث أودى بها	الأعشى	١٠٨٥
....	وكنت على مساءته مقيتا	الزبير بن عبد المطلب	١٣٦٤
....	وما يغني عن الحدثان ليت	النابغة الجعدي	١٢١٥
تحل بمنجاة من اللوم بيتها	إذا ما بيوت بالمذمّة حلّت	الشنفرى	١٠٣٣
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة	ورجل رمى فيها الزمان فشلت	كثير	٤٤٣
ومن يفرد الإخوان فيما ينوبهم	تصبه الليالي مرة وهو مفرد	؟	١٣٥٨
يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها	والجود بالنفس أقصى غاية الجود	مسلم بن الوليد	٧١٤
إذا لم يكن عون من الله للفتى	فأكثر ما يجني عليه اجتهاده	علي	٤٣٢
لا تحسبن دموعي البيض غير دمي	وإنما نفسي الحامي يصعده	أحمد بن إبراهيم	٧١
لا وأبيك أبنت العامري	لا يدعي القوم أني أفر	امرؤ القيس	١٣٠٣

أتوني فلم أرض ما بيتوا	وكانوا أتوني بأمر نكر	عبيدة بن همام	١٣٤٥
على لاحب لا يُهتدى بمناره	أذا سافه العود النباطيُّ جرجرا	امرؤ القيس	٧٠٧
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً	وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا	المتنبي	١٢٤٦
جمالية تغتلي بالروادف	إذا كذب الآثمات الهجيرا	؟	٨٨
....	أن الحصون الخيل لا مدر القرى	الأسعر الجعفي	١١٧٢
فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا	والموت خزيان ينظر	تأبط شراً	٨٩٠
....	قد يكثر المال والإنسان مفتقر	؟	٨٠٠
لو لم تكن فيه آيات مبينة	كانت بداهته تغنيك عن خبر	عبد الله بن رواحة	٩١٠
....	له سيمياء لا تشق على البصر	أسيد بن عنقاء	٤٥٣
....	ولأحن بالبغضاء والنظر الشزر	الأخطل	٨٢٤
وكان غني النفس في حال فقره	فصار فقيراً في الغنى خيفة الفقر	؟	٨٥٩
وتاجر الأجر لا يزال له	أمران في كل متجر تجره		
أجر وحمد وإنما قصد الـ	أجر ولكن كلاهما اعتوره	ابن الرومي	٩٠٤

تقول وقد صكت نحرها بيمينها	أبعلي هذا بالرحى المتقاعس	الهذلول بن كعب العنبري	٦٩٩
لكان لي مضطرب واسع	في الأرض ذات الطول والعرض	؟	٣٤٦
وكنت إذا خليل رام قطعي	وجدت واري منفسحاً عريضا	؟	٣٤٦
....	يكفيك أثرى القول واستنباطي	رؤبة	١٣٥١
إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه	دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا	جرير	١١١٩
فإنك كالليل الذي هو مدركي	وإن خلت أن المنتأى عنك واسع	النابغة	١٠٣٨
وما السيف إلا زبرة لو تركتها	على الحالة الأولى لما كان يقطع	أبو تمام	٢٢٦
....	تحية بينهم ضرب وجيع	عمرو بن معدي كرب	٨٧، ١٣٢، ٩٢٣
ولوكنت في غمران يحرس بابه إذاً لأتتني حيث كنت منيتي	أراجيل أحبوش وأسود ألف يخب بها حاد لإثري قائف	ثعلبة بن عمرو العبدي	٢٢٢، ١٣٣١
وأسند ديني واعتقادي ومذهبي حنيفية أديانهم حنفية	إلى حنفاء أختارهم وحنايفا مذاهبهم لا يبتغون الزعانفا	؟	٣٢١
زيادة شيب وهي نقص زيادتي	وقوة جسم وهي من قوتي ضعف	المتنبي	٨٥١

إذا نهي السفيه جرى إليه	وخالف والسفيه إلى خلاف	؟	١١٦٣
للبس عباءة وتقر عيني	أحبَّ إليَّ من لبس الشفوف	ميسون بنت بحدل	٦٩٩
يداك يدا مجد فكف مقيدة	وكف إذا ما ضن بالمال تنفق	الأعشى	٣٥١
تفرق أهلانا بثين فمنهم	فريق أقام واستقل فريق	جميل بثينة	١٣٤٢
وذات حليل أنكحتها رماحنا	حلال لمن يبني بها لم تطلق	الفرزدق	٣١٣
فلا تدفنني في الفلاة فإنني	أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها	أبو محجن الثقفي	١٢٢٣
ويقبح من سواك الشيء عندي	وتفعله فيحسن منك ذاكا	؟	٢٦٧، ٥٨٨
....	يقصر يمشي ويطول باركا	؟	٥٦٧
يا أيها الماتح دلوي دونكا	إني رأيت الناس يحمدونكا	؟	٣١٣، ١١٧٧
فسر ولم أبتهج	وساء ولم أشتكي	؟	٩٣١
جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما	تيه الملوك وأفعال المماليك	علي بن الجهم	١٢٣٧
....	أن الفرار لا يزيد في الأجل	شبل الفزاري	٨٩٤
ومركوبه رجلاه والثوب جلده	وأشعث ذو طمرين شملال	؟	٩٥

فآب مضلوه بخمر جلبه	وغودر بالحولان حزم وقائل	النابغة الذبياني	١٤٣٥
غير ميل ولا عواوين في الهيـ	ـجا ولا عزل ولا أكفال	الأعشى	١٣٦٠
إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم	طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل	زهير بن أبي سلمى	١٣١٧
القوم أمثالكم لهم شعر	في الرأس لا ينشرون إن قتلوا	الشداخ بن يعمر	١٣٢٩، ١٤٢٥
قاتلي القوم يا خزاع ولا يد	خلكم من قتالهم فشلُ	؟	١٤٢٥
كأبي براقش كل لو	نٍ لونه يتخيل	الأسدي	٤٥٢
صحائف عندي للعتاب طويتها	ستنشر يوماً والعتاب يطول	العباس بن الأحنف	١٠١٧
وإن امرأ ضنت يداه على امرئ	بنيل يد من غيره لبخيل	أبو تمام	١٢٣٦
ولم أر كالمعروف أمَّا مذاقه	فحلو وأما وجهه فجميلُ	أبو الضياء	٧٧١
لقد زادني حباً لنفسي أنني	بغيض إلى كل امرئ غير طائل	؟	٣١٢
إذا كنت في دار يهينك أهلها	ولم تك ممنوعاً بها فتحول	هبنقة القيسي	٣٤٦، ١٤١٥
....	فتى مثل صفو الماء ليس بباخل	؟	٩٤٩

إذا جلست عند الإمام كأنها	ترى رفقة من ساعة تستحيلها	الفرزدق	١٢٢١
يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت	نشيبة والطر أو يكذب قيلها		
ولو أنني استودعته الشمس لارتقت	إليه المنايا عينها أو رسولها	أبو ذؤيب الهذلي	٩٤٤
الناس أخياف وشتى في الشيم	وكلهم يجمعهم بيت الأدم	؟	٩٦٥
وما كنت إلا مثل قاطع كفه	بكف له أخرى فأصبح أجذما	المتلمس البكري	٨٦٤
....	وإن الحرب أولها كلام	نصر بن سيار	١٠٣٠
وكم من عائب قولاً صحيحاً	وآفته من الفهم السقيم	؟	٢٨٦
ما علم ذي ولد أيثكله	أم الولد اليتيم	يزيد بن الحكم	١١٢٩
....	وللكلالة ما يسيم	يزيد بن الحكم	١١٣٣
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم	أبو الأسود	٨٨٧
....	ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم	الفرزدق	٢٥٥
ومن هاب أسباب المنية يلقها	ولو نال أسباب السماء بسلم	زهير	٢٢٢، ١٣٣١
هجاؤك إلا أن ما كان قد مضى	عليّ كأثواب الحرام المهيم	؟	١١٦٠

أناة فإن لم تغن عقب بعدها	وعيد فإن لم تغن أغنت عزائمه	إبراهيم الصولي	١٢٢٤
تراك أمكنة إذا لم أرضها	أو يعتلق بعض النفوس حمامها	لبيد	١٥١، ١٥٣، ٥٧٩
سكران سكر هوى وسكر شراب	أنى يفيق فتى به سكران	الخليع الدمشقي	١٢٥٠
ثياب بني عوف طهارى نقية	وأوجههم عند المشاهد غران	امرؤ القيس	١٢٨٠
من يفعل الحسنات الله يشكرها	والشر بالشر عند الناس مثلان	حسان	٨٣٢
وكل أخ مفارقه أخوه	لعمر أبيك إلا الفرقدان	عمرو بن معدي كرب	١٣٩١
....	كخط زبور في عسيب يماني	؟	٢٢٦
فما أدري إذا يممت وجهاً	أريد الخير أيهما يليني	المثقب	٤٩٧
تبحثت عن أخباره فكأنما	نبشت صداه بعد ثالثة الدفن	ابن الرومي	١٠٠٨
....	عضضت أناملي وقرعت سني	أبو العتاهية	٨٢٦
دار تمكنت المباهج فيها	نطقت سعود العالمين بفيها	أبو القاسم بن العلاء	٦٦
مدى بلغ الأستاذ أقصاه ربه	ونفس له لم ترض إلا التناهيا	المتنبي	٧٢

أكلت يدي لما جنته تندماً	؟	؟ ٨٢٥
مـا ليلـة الفقـير إلا شـيطان	....	الشـماخ بـن ضرار ٩٩٣

فهرس الأمم والشعوب والقبائل والجماعات

آل البيت ٣٨

آل محمد ﷺ ٥٢٤

الأحبار ٥٣٣

الأدباء ١٤٠

أسد ١٣٨٦

بنو إسرائيل ٤٧٥، ٧٢١

أصحاب الحقائق ٩٨٠

الأطباء ٢٧

الأعراب ١٣٧٩

أمة محمد ﷺ ٨٠٥

الأميون ٤٧١

أهل الأثر ١٠١٧

أهل البيت ١٢٨٧

أهل الحجاز ١٤١٦

أهل الحقائق ٩٨٠

أهل الظاهر ١٠٩١

أهل العلم ١٣٩٤

أهل اللغة ٦٠٥

أهل الهند ١٢٠٤

أهل نجد ١٤١٦

الأوس ٧٦٩

الأولياء ٧٦٥، ١٢١٣، ١٣٥٥

البصريون ٤٩٠، ١٣٧٨

بنو بويه ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٤٣، ٧١

البويهيون ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧

بنو حارثة ٨٣٧

الحجازيون ١٢٥٢

الحكماء ٤٢٦، ٥٠٨، ٧٦٥، ٧٧٢، ١١٠١، ١٣٥٥

بنو حمدان ٢٠، ٢٥

الحمدانيون ٢١

الخزرج ٧٦٩

الديلم ٢٠، ٢٢

ربيعة ٢٠

الروم ٤٢٤

الزنج ٤٢٤

السامانيون ٢٠، ٢١

السلاجقة ٢٣

السلاطين ٧٧٥

بنو سلمة ٨٣٧

الشهداء ١٣١١، ١٣١٣

الصحابة ٧٦٥، ١١٢٦
الصديقون ١٣١١
بنو ضمرة ١٤١٥
طيئ ١٣٤٦
العامة ٧٧٦
العرب ٤٧١، ٤٩٥، ٦٥٥، ٧٧٠، ٩٦٧، ١٠٣٤، ١١٠٩، ١٢٧٦
العلماء ٧٧٢، ٧٧٥، ١١١٦، ١٢٢٧
العوام ٧٧٥، ٧٧٧
الغزنويون ٢١
غطفان ١٣٨٦
فارس ٤٩٥، ٥٩٠
الفقهاء ٨٠١، ٧٩٨، ١٠٩١، ١١٠٩، ١١٢٣، ١١٦٨، ١١٨١، ١٢٢٧، ١٢٥٢، ١٤٢١
الفلاسفة ٢٧
قريش ٤٤٠
بنو قريظة ٧٩٦/٧٩٧، ٧٩٨
الكوفيون ١١٧٦، ١٣٧٨
اللغويون ٢٩٤، ٢٩٧
المحققون ١٤١٢
مضر ٢٠
المفسرون ١٣٢٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨
بنو النجار ١٣٩٩/١٤٠٠
النحاة ٢٩٤
النحويون ٩٤٨، ١٣٩١

فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

أحـــد ٨٩١، ٩٢٨، ٩٥٨، ٩٦٩، ٩٧٧، ١٣٧٥

أذربيجان ٢٣

الأردن ٥٠، ٩٢

إســـتانبول ٤٧، ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٩١، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١١، ٣٨٨، ٣٩٠

الإسكندرية ٥٠

أصبهان ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٦٠، ٦١

أصفهان ٢١، ٢٣، ٣٥، ٤١، ٤٢، ٥٦

إفريقية ٢٠

الأندلس ٢٠، ٢٧، ٣٥٢، ٧٤٦

أوطاس ١١٧٤

أيا صوفيا ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١

إيران ٨٤

البحرين ٢٤

بـــدر ٤٤٠، ٨٣٨، ٨٤٢، ٨٤٣، ٩٥٧، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٩٠، ١٤١١

برلين ٧٩

بريطانيا ٧٤

البصرة ٢٠، ٢٤

بغـداد ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٥، ٤٦، ٤٨، ٦١، ٣٩٤

بكة ٧٢٥، ٧٢٩

بلاد فارس ٢١، ٢٤، ٢٧

البيت (الحرام) ٧٢٨، ٧٣٤

بيت المقدس ٥٣٣، ٦٣٦

بيروت ٤٨، ٥١، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٥، ٨٩

تركيا ٤، ٣٩٣

ترمذ ٢٤

تستر ٢٠

تهامة ١٣٨٧

تونس ٥٠

جامع السليمانية ٣٨٩، ٣٩٠

جامعة أم القرى ٥١، ٧٤، ٣٨٩، ٣٩٣

الجامعة الإسلامية ٥٠، ٧٤، ١٠٠

جامعة الزيتونة ٥٠

جرجان ٢٠، ٢٣، ٢٩

الجزيرة ٢٠

الحجـــاز ٢٤، ٢٢٢، ٢٢٣، ٣٢٤، ٦٥٧، ١٤١٦
الحديبية ٩٥٥
الحرم ٧٢٥، ٧٣٤
حلب ٢٤، ٧٧
خراسان ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٧
خزينة جامع السلطان محمد ٣٨٨
خوارزم ٢٣
خوزستان ٢٠
دار الكتب المصرية ٧٩
دمشق ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٨٥
ديار بكر ٢٠، ٢٤
الري ٢٣، ٢٧، ٢٨
السليمانية ٧٤، ٨٣، ٨٤، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ٣٨٨
الشام ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٧
طبرستان ٢٠، ٢٣
طهران ٤٨، ٨٤
طوبقبواي سراي ٣٩١
العراق ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٧
عينين ٩١٢
فارس ٢٠، ٥٩٠
القاهرة ٤٩، ٥٠، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٣٩٣
قبو سراي ٤٠٠
القسطنطينية ٣٨٨
قونية ٣٩٣
كرمان ٢٠، ٢٨
الكعبة ٦٣٦
كلية الآداب ٥٠
الكوفة ٢٤
الكويت ٥٠
المبارك ٧٢٨
المتحف البريطاني ١٠١
المدينـــة النبويـــة ٥٠، ٨٤، ٨٣٥، ٩٤٠، ٩٥٤، ٩٧٠، ١٣٢٧، ١٣٧٥، ١٣٧٦
مرسية ٤٦
المرية ٤٦
مسجد بيت المقدس ٥٣٣
مشهد ٧٦، ٩٩
مصـــر ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٤٨، ٤٩، ٧٧، ٨٩
المغرب ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٧
مقام إبراهيم ٧٣٦

مكـة ٧٢٥، ٧٢٧، ٨١٥، ١٣٢٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٨٢، ١٣٨٦، ١٤٠٠
مكتبة أحمد الثالث ٨٤
مكتبة أسعد أفندي ٩٧، ٩٨، ١٠٠
مكتبة أياصوفيا ٧٩، ٨٣، ٣٩٩، ٤٠٠،
المكتبة التيمورية ٣٤
مكتبة الحرم المكي ٨٤، ٣٩٥
المكتبة الخديوية التيمورية ٤٩
المكتبة السليمانية ٤
المكتبة السليمانية ٤٧
مكتبة العتبات المقدسة ٩٩
مكتبة العتبات المقدسة الرضوية ٧٦
المكتبة القادرية ٣٩٤
مكتبة المثنى ٤٨
المكتبة المحمودية ٨٤
المكتبة المركزية لجامعة بغداد ٣٩٤
مكتبة برلين ٧٩
مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث ١٠١
مكتبة جامعة إستانبول ٨٤
مكتبة خسرو باشا ١٠٠
مكتبة راغب باشا ٧٧
مكتبة سعيد علي باشا ٧٤
مكتبة عارف حكمت ٨٤
مكتبة فيض الله أفندي ٣٩٥
مكتبة كوبرلي ٣٩٢
مكتبة محمد أفندي ٨٤
مكتبة مسجد أبي أيوب ٥٨
مكتبة مسجد السلطان أحمد الثالث ٩١
مكتبـة معـهد المخطوطـات ١٠١، ١٠٦، ٣٨٩، ٣٩٣
مكتبة نور عثمانية ٧٧، ٧٩
مكتبـة ولي الديـن جـار الله ٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٧، ٣٩٨
مكتبة يوسف آغا ٣٩٣، ٣٩٤
الموصل ٢٠
الناصرة ٦١٩
نجد ٢٢٢، ٢٢٣، ٦٥٧، ١٤١٦
نجران ٤٠٤، ٦٠٠، ٦١١
نيسابور ٤٧
همذان ٢٨
الهند ٤٧، ١٢٠٤
وراء النهر ٢٠، ٢٤، ٢٤، ٢٧
اليمن ٢٤

المذاهب والفرق والطوائف والأديان

الإسـلام ٦٥٥، ٧٧٠، ٧٩١، ١٢٩٩،
١٣٧٥، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠،
١٣٨١، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٩٦،
١٤١١
الأشاعرة ٣٠، ٣١، ٢٧٨، ٣٤٧
الأشعرية ٢٩٧، ٣٥١
أصحاب أبي حنيفة ٣٢١
الإمامية ٣٩
أهل الحجاز ٣٢٤
أهل الحديث ٣٧٧
أهل السنة ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٨،
٣٩، ٤٠، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٢/٢٨٣،
٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠،
٣٢١، ٣٦٠، ٣٧٧، ٣٧٨، ٧٤٧
أهل الظاهر ٢٨٨، ٣٥٨
أهـل الكتـاب ٣١٧، ٦٥٤، ٧٤٧، ٧٧٨،
٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ١٠٦٥، ١٢٦٠،
١٢٧٧
أهل الكلام ٣٤٨
الحشوية ٣١٨
الحنابلة ٣١
الحنفية ٢٩٠، ٨٥٢
الخوارج ٤٠
الرافضة ٢٤، ٢٥، ٢٦
الروافض ٢٥
الزنادقة ١١٣
الشافعية ٢٩٠، ٣٨٠، ٨٥٢
الشيعة ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٢٨٥، ١٢٨٥
الصوفية ٥٣٩، ٦١٤، ٦٤٧، ٧٢٠، ٧٤٠،
٧٤٢، ٧٥٤، ٧٥٧، ٨٧٢، ١٠٤٠،
١٠٥٦، ١٢١٣
غلاة الصوفية ٢٧٩
الفاطميون ٢٤، ٢٥
الفجار ١٠٦٣
الفقهاء ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٧
فقهاء أهل السنة ٢٨٨
فقهاء الشيعة ٢٨٨
القدرية ٤٠
الكافرون ٩٢٧، ٩٤٤، ١٣٨٢، ١٤٣٥
الكفـار ٧٢٢، ٧٨٩، ٧٩٧، ٨١٤، ٨١٧،
٨١٨، ٨٨٨، ٩٠٦، ٩١٣، ٩٣١،
٩٣٢، ٩٧٥، ٩٩٦، ١٢٤٦، ١٢٦٤،
١٣٦٢، ١٣٧٤، ١٣٧٨، ١٣٨٢،
١٣٨٤، ١٣٩٦، ١٣٩٩، ١٤١١،
كفار مكة ١٣٨٦
المؤمنون ٧٢٢، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣٥، ٩٧٣،

٩٨٢، ٩٨٧، ٩٩٢، ٩٩٦، ١٣١١،
١٣٢٨، ١٣٦٢
المالكية ٣٥٢، ٣٥٣
المتصوفة ٦٦، ١٤٠، ٢٩٤، ٢٩٥
المتكلمة ١٤٠
المتكلمون ١١٩٥
المجبرة ٣١٨
المخلوقية ٤٠
المذهب الأشعري ٣١٣
المرتدون ١٣٧٩
المرجئة ٤٠
١٠٦٨، ١٢٧٣، ١٢٧٦، ١٣٧٢، ١٣٧٦،
١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٤، ١٣٩٨،
١٤٠٠، ١٤٢٦
المسلمون ٢٨٩، ٦١٩، ٦٢٧، ٦٣٦، ٦٥٤،
٨٠١، ٨٣٩، ٨٤٤، ٩٠٦، ٩٢٥،
٩٢٦، ٩٢٨، ٩٣١، ٩٣٥، ٩٦٩،
٩٧٥، ٩٩٠، ١٠٢٩، ١٠٦٨،
١٢٧٣، ١٢٧٦، ١٣٧٢، ١٣٨١،
١٣٨٢، ١٣٨٤، ١٣٩٨، ١٤٠٠،
١٤٢٦
المشبهة ٤٠
مشركو العرب ١٢٧٣
المشركون ٨٤٤، ٩٠٦، ٩١٣، ٩٢٨،
٩٤٠، ٩٦٩، ١٠٢٩، ١٢٤٨، ١٢٦٦
١٢٦٧، ١٣٢٧، ١٣٧٦، ١٣٩٢،
١٣٩٦، ١٤١١
المعتزلة ١٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٤٠، ٢٨٤،
٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢١، ٣٤٨،
٩٣٤، ٩٨١، ١٣٣٣
الملاحدة ٢٨٦، ٣١٤، ١٣٣٤
الملحدة ١٣٣٢، ١٣٤٩
المنافقون ٢٥، ٨٩٣، ٩٢٩، ٩٣٢، ٩٣٥،
٩٧٥، ٩٧٧، ١٠٣٦، ١٢٩٢، ١٣٢١
١٣٥٣، ١٣٦٢، ١٣٧٦، ١٤٣٣
النصارى ٣١٧، ٤٧١، ٤٨١، ٥٩٣، ٦٠٠،
٦٠٧، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٧، ٦٧١،
٩٠٦
نصارى نجران ٦٠٦، ٦١١
النصرانية ٦٢٢
اليهود ٣١٧، ٤٧١، ٤٨١، ٥٩٣، ٦١٧،
٦١٩، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٣٧، ٦٤٢،
٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٨، ٧١٥، ٧١٦،
٧٢١، ٧٢٢، ٧٥١، ٨٢٢، ٩٠٦،
١٠٢١، ١٢٧٠، ١٣٦٢
يهود المدينة ٦١١، ٦٣٦
اليهودية ٦٢٢، ٦٢٨

فهرس الكلمات الغريبة المفسرة

الآل ٥٢٤
آمن به (وله) ٦٤٠
ابتلر ٨٠٨
ابتلاه الله ٩٣٦
أبخلته ١٣٨٨
الأبرار ١٠٤٨
الإبريز ٨٨٣
ابيضاض ٧٨٢
الإثابة ٩٢٣
الإجابة والطاعة ٧٥٢
اجترام الثمرة ٤٣٨
الاجتواء ٨٨٣
إجماع الرأي ٩٥٠
الأجور ١١٨٩
الأحبوش ١٣٣١
الاحتباك ٨٥٩
احتقب ٩٧٥
الأحد ٤٦٧
الإحسان ٩٨٧، ١٢٩٦
الإحصان ١١٧٢
أحمدته ١٣٨٨
أحمق بلغ ١٢٩٧
الاختلاف ٧٨٠
الاختيان ١٤٢٨
أخمص القدم ٥٦٤
أخياف ٩٦٥
ادخر ٥٧٠
أذن ٩٧٢
الأذى ٧٩٧
الأراجيل ١٣٣١
الأزوم ٨٢٥
الاستمتاع ١١٨٠
أسد ١٣٨٦
أساود ٩٣١
استبد تعالى به ١٠١٠
الاستخبار ٧٨٧
الاستغفار والتوبة ١٣٠١
استهل الصبي ٥٣٠

الإسراف ٩٠٠، ٩٠١
أسلمها ١٣٠٦
الأسْود ١٣٣١
أسود ٩٣١
أصحاب الحقائق ٩٨٠
الاصطلام ٧٣٤
اضطرم ٦٠٧
الإضلال ٦٢٦
اعتوره ٩٠٤
أعذر من أنذر ٥١٣
أعرض ٤٨٤
الأعلون ٨٧٤
أغل ٩٥٧
الأغمار ٤٤٠
الإفراط ٩٠٠
الإفضال ٦٤٩، ٩٨٧
أفضى ١١٥٦
الأفعال الاختيارية ١٣٨٩
الالتفات ٧٢٢، ١١٨٥
الإلف ١٣٣١
أله ٤٠٥
الإلهام ٥٥٨، ٥٧٥
امتك ٧٧٢٧
أمضه الأمر ٩١٢
الإملاء ١٠٠٢
الإملاجة ١١٦٦
أمنة ٩٢٩
الأميون ٤٧١
أهل الأثر ١٠١٧
أهل الهند ١٢٠٤
الأوتار ٧٥١
أولو العزم ١٣١٠
الأولياء ١٢١٣
إياك أعني واسمعي يا جارة ١٣٤١
الإيتاء ٤٩٢
البخل ١٢٣٦
بدعاً ٦٢٥
البر ١٠٤٩
البَر والبُر ١٠٤٨
البركاء ٧٢٨
البركة ٧٢٧
البطانة ٨٢٠

البُغاء ٧٤٨
بقَيْته وأبقيته ١٢٣٣
البلاء ٩٣٦
بلق ٨٤٢
بنيات الطريق ٧٨٠
البهتان ١١٥٤
البهرج ٨٨٣
بوأ ٨٣٤
بوء ٩٦٢
بيّت ١٣٤٥
التأويل ٤٢٥
التبكيت ٧٨٧
التبيين ١٤٠٢
التثبيت ١٣٠٧
تثبيت الأقدام ٩٠١
التثريب ١١٤٤
التجارة ١٢٠٢
التحرير ٥٣٠
التخصيص بالله ٦٧٣
التخصيص والاختصاص ٦٤٨
التزيين ٤٥٦
التسبيد ٧٢٦
تستحيلها ١٢٢١
التشبع ١٠٣٦
تعلّمون ٦٧٤
التعليق ١٠٠٥
تعليمهم الكتاب ٥٧٣
تفارق ٧٧٨
التفرق ٩٤٩
تقاة ٥٠٩
التقصي ٦١٤
التقوى ١١١٦
التقية ٥١١
التلازم ٩٤٦
تلوون ٩٢١
التمحص والتمحيص ٨٨٢
التمحيص ٩٣٦
التمني ١٠٢٦
تمنيت ١٢١٤
التودية ٦٠٤
توفية ٥٩٧
التوفيق ١٢٩٦

تولى ٤٨٤
تيمموا ١٢٥٣
الثبات ٩٠١
ثكلوا ١٠٤٦
ثلمة ٩٤١
الثنية ٩٥٧
الثواء ٩٠٨
الجار ١٢٢٩
الجار الجنب ١٢٢٩، ١٢٣٠
الجار ذو القربى ١٢٢٩، ١٢٣٠
الجبا ١٠٠٩
الجبر ١٣٣٣
الجدالة ١٤٢٧
جدل ١٤٢٧
الجرح ٨٧٧
الجلادة ٤٤٧
الجماع ١١٥٩
الجود والسرف ٨٦٠
الجوهر عند المتكلمين ٩٨٠
حاف ١١٣٨
حبط ٤٧٩
حبل الله ٧٦٤
الحَجر ١١٠٤
حربه ٥٣٧
الحزم ١٠٣٠
الحزن ٨٧٣
الحسد ١٢٧٦
الحسنة ٨٣٠
الحش ١٢٥١
الحصان ١١٧٢
الحصن ١١٧٢
حصيفاً ١١٠٠
الحظوة ٥٦٥
الحكماء ٤٢٦
الحلم ٨٦٠
الحنيف ٦١٨
الحواري ٥٨٥
الحوزة ٩٧٣
الخابية ٥٢٦
الخاطر ٩٠٨
الخبث والخبيث ١٠٠٧
خبير ٩٢٧

خزي ١٠٤٧
الخشية ١١١٦
خلا ٨٦٩
الخلف ٦٠٤
الخمار ٥٤٤
خُوّل ١٢٣٧
الداري ٥٠٨
دخيل ٤٩٨
الدرجة ١٤٠٥
الدرس ١٢٦٣
درّه ١٢٣٦
دلفت ٩٢٤
الدور والدول ٨٧٧
الدين ٤٦٨، ٦٩٢
الذرء الأول ٦٨٧
الذريعة ٧٦٤
الذكر ١٠٤٢، ١٤٢٣
الذنب ٩٠٠
الذنوب ٩٠١
الرؤية ١٢٥٧
راعنا ١٢٦٠
رب ٦١٧
الرباط ١٠٦٨
الرجعة ٩٨٣
الرحمة ٦٥٠
رضخوا ٩٨٩
الرضوان ٩٦٢
الرعب ٩٠٧
الرعبوبة ٩٠٨
الرغاء ٩٦١
الرغم ١٤١٤
الرفق ١٣١٠
ركز ١٣٨٥
الركس ١٣٨٥
الرُّماح ١١٠٩
الروج ١٣٣٠
الريب ٤٣٥
الزبر ١٠٢٣، ١٠٢٤
الزبرة ١٠٢٣
زبره ١٠٢٤
الزبور ١٠٢٣
الزبيبتان ١٠١٢

الزرنيخ ١٢٥٢
الزف ٤١٦
زق ٤٨٦
زموها ٩٧٥
الزيغ ٤٢٨
ساخت ١٢٤٨
سبب الماء ١٣٠٥
السخاب ٧٥٣
السخط ٩٦٢
السد ١٢٩٣
السرعة ٨٠٨، ٩٩٩
السرف ١٢٣٨
السرور ١٠٣٧
السفاح ١١٧٣
السلطان ٩٠٨
السلف ٩٨٠
سن ١١٩٢
سن عليه الدرع ٨٧٠
السنة ٨٧٠، ١١٩٢
سننت البعير ١١٩٢
السيئ والسيئة ١٣٤٠
السيئة ٨٣٠
السير ٨٧١
الشاهد ٤٦٤
الشجاع ١٠١٢
شرائط الدعاء ٥٣٦
الشرك الصغر ١٢٣١
الشعار ٨٢٠
الشفع ١٠٧٣
الشقاق ١٢٢٦
الشقراق ٤٥٢
الشكر ٨١٢
الشهود والشهادة ٧٥٠
شور العسل ٩٤٩
شورتها ٩٤٩
شية القِوس ١١٠٩
الشيد ١٣٣٠
صابروا ١٠٦٦
الصاحب بالجنب ١٢٣٠
الصد ١٢٩٣
صد السبيل ١٢٩٤
الصرار ٦٠٤

الصرار ٨٦٥
الصعود والحدور ٩١٩
الصقع ٧٧٢
الصلا ١٢٠٨
الصلاء والصلى ١٢٧٨
الصلاح ٥٩٦
صلى لها ١٢٧٨
صليت ١٢٧٨
الصمد ٤٦٧
الصورة ٤١١
الصوفية ٥٣٩
ضرب العرق ١٤١٦
الضرر ١٤٠٦
الطائفة ٦٢٥
الطفولية ٥٧٢
الطلس ١٢٦٣
الطمرة ٩٢١
الطوية ١٠٥٩
الظلم ٨٦٤
العارية المستردة ٨٧٤
العجلة ٨٠٨، ٩٩٩
العدل ٨٦٢
عذرة الدار ١٢٥١
العرض ٨٥٨
العَرَض ٩٨١
عرق النسا ٧١٦
العزم ١٠٣٠
العشا ٥٤٧
عصام الوعاء ٧٥٣
عصم ٧٥٣
العض ٨٢٥
عضل ١١٤٩
عضلها ١٠٨٦
العظة ٨٧٣
العقر ٥٤٣
العهد ١٠٢١
العوج ٧٤٨
العوج ٧٥٠، ١٠٨٦
الغائط ١١٥٩؛ ١٢٥١
الغُر ١٠٥٩
الغرار ٤٨٦
الغرة ٤٨٦

الغرور ١٠٢٧
غل ٩٥٧
الغلظة ٩٤٩
الغم ٨٢٧
غمران ١٣٣١
الغناء ٨١٣
الغيظ ٩٦٣
الفتنة ٤٢٨
الفراسة ٥٧٤
الفراق ٧٧٨
الفرج ١١٥٩
الفرح ٩٨٤
الفرقدان ١٣٩١
الفسق ٧٩٦
الفضل ٨٦٢، ٩٨٦
الفظاظة ٩٤٩
الفقير ٩٩٤
الفلاح ٧٧٧، ٨٥٤
الفور ٨٤٠
الفوز ١٠٢٥
القِدح ٥٥٩
القَرَب في الماء ٩٨٦
القربان ١٠٢١
قرحته ٨٧٧
القصار والمقصر ٥٨٤
قصر ٩٥٣
القنطرة ٤٤٨
القنوت ١٢٢١
القنيات الزائلة ١٢٣٥
قول بليغ ١٢٩٧
القياس ٩٤٦، ١٢٨٩
القياس الشرطي ١٠٢٥
القيام والقوام ١١٠٢
كاوحه ٩١٠
الكباد ٥٤٤
الكبت ٨٤٦
الكتابة ٥٧٢
الكره ١١٥٠
كظم الغيظ ٨٦٠
الكفاية ٨٤٠
الكفر ١٢٣٨
الكفل ١٣٦٠، ١٣٦١

الكفية ٨٤٠
الكلالة ١١٣٠
الكلف ٨٨٣
كمن ٩١٣
الكناس ٤٩٨
الكنيف ١٢٥١
الكيد ٨٣٢
لأمته ولامته ٨٣٦
اللاحب ٧٠٧
لام العاقبة ٩٤٥
لبيك ٩٢٦
اللزوب ٧٢٦
اللُقطة ١١٠٥
لولا ١٣٢٨
اللي ٩٢١
الليل الأليل ١٢٨٢
اللين ٩٤٨
المأوى ٩١١
الماتح ١١٧٧
المتاع ١٠٢٧، ١١٨٠
المتحرك ١٤١٤
المتشابه ٤١٧
المتكلمون ١١٩٥
المتوكل ٩٥٠
مثقال ذرة ١٢٤١
المثوى ٩٠٨، ٩١١
المجاز ٥٤٥
المجوس ١٣٦٩
المحاجة ٤٧٢
المحجوبون ٧٥٥
المحص ٨٨٢، ٩٣٦
محصن ١١٧٣
المحق ٨٨٢
المخادنة ١١٨٩
المرابطة ١٠٦٨
مرتبة الكتابة ١٠١٥
المرجع ٩٦٣
المرض ١٢٥٤
المسّ ٨٣٠
المسارعة ٩٩٧
المَسْك ٤٤٩
المشاحة ٦٢٤

المصابرة ١٠٦٧
مصلوه ١٤٣٥
مصيبة ٨٣٠
المصير ٩٦٣
مضلوه ١٤٣٥
المعتزلة ٩٣٤
المعروف ٧٧٠
المغفرة ٨٥٨
المغلطة ٤٣٤
المفازة ١٠٢٥
المقام ٧٣٦
المقيت ١٣٦٥
المكر ٥٨٩، ٨٣٢
الملاحاة ٦١٥
الملحد ٤٣٤
الملك ٤٩١
الملوان ١٠٠٢
ملياً ١٠٠٢
المنّ والمنة ٩٦٦
المنافرة ١٣١٨
المنذري ٨٣٣
المنكر ٧٧١
المنى ١٠٢٦
المني ١٢١٤
المنية ١٠٢٦
المولى ١٢١٧
النافلة ٨٦٢
نبا ١٣٦٠
نبذ ١٠٣٢
النبيط والنبط ١٣٥١
النجوة ١٢٥١
النجيزة ٩١٢
النزل ١٠٦٢
النسيكة ١٠٢١
نصليهم ١٢٧٨
النعاس ٩٣٠
النفاخة ٥٧٠
النفر ١٣١٧
نكح ١١٥٨
النوب ٧٧٩
النياط ٩٠٨
نيّب ٨٢٥

الهبة ٤٣٢
الهجنة ١١٨٧
الهداية ٦٩٥
هدب الملاءة ٥٤٠
الهدى ٨٧٢
الهم ٨٢٧
الهمة ٨٣٧
واجب الوجود ١٠٣٩
واليت ١٢١٧
الوتر ١٠٧٣
الوحي ٥٥٨
الوَرق ١١١٢
الوطب ١١١٩
الوعيديون ٤٥٩
الوفق ١٢٢٦
ولج٤٩٨
الوهن والضعف ٨٩٨
يتاخمون ١٣١١
يخب ١٣٣١
يديته ٥٨٢
يزفونها ١١٥٨
يشرون ١٣٢٢
يشغبون فيه ١٠٢١
يطوقه ١٠١٢
يُلِمّ ٤٧٩
ينكلوا ٩٧٩
يني ١٣٥٦
يوصيكم ١١٢٠

الفوائد اللغوية والنحوية والبلاغية

إثبات ما نفى أو نفي ما أثبت ١٣٤٨

الإثم ٨٨

اجتماع العام والخاص ١٢٠٧

اختصاص لفظ الخوّان دون غيره بنفي المحبة ١٤٢٨

الأخص ١٤١٣/١٤١٤

الادخار ٢٢٠

إدخال اللام في (ليبين) ١١٩٦

إذا اجتمع الوصفان يقدم الأعم ويؤخر ١٤١٣

الاستثناء في الإثبات ٨٠٢

الاعتراض في اللغة ٦٤٢

الإضراب ٦٥٧

إفراد النبي بالذكر ٦٢٣

أفضى ١٢٩

الالتفات ٧٢٢

ألف الاستفهام مع واو العطف ٩٦٩

ألو ٢٢١

إلى وعلى في قوله: وما أنزل علينا (إلينا) ٦٨٩

الإنكار أبلغ النفي ٦٧٦

البرج ٢٢٢

البطانة ٢٢١

تأخير الإيمان عن الأمر بالمعروف ٧٩٥

تأخير التقوى عن الصبر والرباط ١٠٦٩

تخصيص اليد بالذكر ١٠١٨

التزكية ١٢٩

تعدية رأيت بإلى ١٢٥٧

تقابل اللفظ وتقابل المعنى ٧٨٦

تقديم الإخفاء على الإبداء ٥١٤

تقديم الأمر بالإيمان على النهي عن الشرك ١٢٣١

تقديم الجار على ابن السبيل ١٢٣٤

تقديم السجود على الركوع ٥٥٦

التقديم والتأخير ٢٣٣

تقسيمات الراغب ٢٧٠

التكرار ٢٣١

تكرار الفضل وفي الأول درجة والثاني درجات ١٤٠٧

تكرار كلمة ويقتلون ٤٧٦

التمحيص ١٤٧

التميز على ثلاثة أضرب ١٠٩٨

التنكير له وجهان ٩٨٦

التوصل إلى الفصل ٩٣٦

ثُمَّ بمعنى ثَمَّ ٩١٨

الحال المؤكدة ٤٦٥

الحس ١٤٩

الخداع ١٣٣

دلالة الخطاب ٨٥٢
الذرية ٢٢٤
ذكر القلب وذكر الصدر ٩٣٨
الذنب والجرم ٤٣٨
الرب ١٣٣
الرباني ١٥٣
رفع يكون لا نصبها ٦٠٢
الركس ١٢٧
الزبور ٢٢٦
السداد ٢٢٧
السكر ٢٢٧
الصدر ٢٢٤
الصدر في الحقيقة والمجاز ٥١٣
الظن ١٢٢، ١٢٤
العدالة وسط وأطرافها كلها جور ١١٩٨
العدول عن الخطاب إلى الخبر ٤٣٥
العقر ٢٢٥
الغائط ٢٢٧
الغر ٢١٩
الغلام ٢٢٥
الفقر ٩٤
فيكون وليس فكان ٦٠٢
القراءات الشاذة والمتواترة ١٨٠
القول البليغ ١٣٠
لا يفصل بين بعض الجملة التي دخل في إثباتها ١٣٢٠/١٣٢١
لدن ٢٢٢، ٤٣٣
لفظة بل ٩٠٧
اللهم وأصلها
المشاورة ٢٢٥
المنصوب على الصرف ٨٨٦
الميل ٢١٩
النحلة ٢٢٦
النفخ ٢٢٠
نفي علم الله نفي ما يتعلق به ٨٨٥
الهدى ١٣٢
هدى ٨٧
همزة الوصل والقطع ٤٠١
الهيئ ٢٢٠
الود والتمني ٦٢٦
الولوج ٢٢٠

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١ ـ آثار البلاد وأخبار العباد. زكريا محمد القزويني. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

٢ ـ الإبانة عن شريعة الفرق الناجية. لابن بطة العكبري. تحقيق مجموعة. الرياض: دار الراية للنشر، ط ٢، ١٤١٥هـ.

٣ ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري. تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي. الرياض: دار الوطن للنشر. ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

٤ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. محمد بن محمد الحسيني الزبيدي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٥ ـ الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. تحقق: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٦ ـ الإحسان في ترتيب ابن حبان. الأمير علاء الدين الفارسي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية. أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي. تحقيق: خالد عبداللطيف السبع العلمي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٨ ـ الإحكام في أصول الأحكام. أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩ ـ أحكام القرآن. أبو بكر الجصاص. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. مصورة عن طبعة مطبعة الأوقاف الإسلامية في دار الخلافة العلية سنة ١٣٣٥هـ.

١٠ ـ أحكام القرآن. أبو بكر ابن العربي. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الفكر، بدون تاريخ.

١١ ـ إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.

١٢ ـ أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي. تحقيق: خليل محمود عساكر، ومحمد عبده عزام، ونظير الإسلام الهندي. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط ١، ١٣٩٦هـ.

١٣ ـ أخبار مكة للأزرقي. تحقيق: رشدي الصالح، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ط ٨، ١٤١٦هـ.
١٤ ـ أخبار مكة للفاكهي. تحقيق: عبدالملك بن دهيش. مكة المكرمة: مطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ.
١٥ ـ الاختيار لتعليل المختار. عبدالله بن محمود الموصلي الحنفي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
١٦ ـ أدب الكاتب. ابن قتيبة. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. ط ٤. مصر: مطبعة السعادة، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.
١٧ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. أبو السعود محمد بن محمد العمادي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ٤، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٨ ـ إرشاد الفحول. محمد بن علي الشوكاني. بيروت: دار الفكر، مصورة على الطبعة المصرية، بدون تاريخ.
١٩ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٠ ـ الأزمنة. محمد بن المستنير. تحقيق: حنا حداد. الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م.
٢١ ـ أساس البلاغة. جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: عبدالرحيم محمود. بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
٢٢ ـ أساس التقديس. فخر الدين الرازي. تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٣ ـ أسباب النزول. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. تخريج: عصام بن عبدالمحسن الحميدان. الدمام: دار الإصلاح، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٢٤ ـ أسباب النزول. جلال الدين السيوطي. تحقيق: حمزة النشرتي وآخرين. بدون تاريخ أو مكان الطباعة.
٢٥ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لابن عبدالبر. تحقيق: علي محمد معوض، وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٦ ـ أسد الغابة. عزالدين ابن الأثير. تحقيق علي محمد معوض، وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، توزيع مكتبة عباس الباز.
٢٧ ـ أسرار العربية. عبدالرحمن بن محمد الأنباري. تحقق: محمد بهجة البيطار. دمشق: مطبعة الترقي، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

٢٨ ـ الأسماء والصفات للبيهقي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٢٩ ـ أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب. لمحمد بن درويش الحوت. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٣٠ ـ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبدالسلام. اعتنى به: رمزي سعدالدين دمشقية. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٣١ ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين. لعبدالباقي عبدالمجيد اليماني. تحقيق: محمد عبدالمجيد دياب. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٢ ـ الأشباه والنظائر في النحو. جلال الدين السيوطي. تحقق: عبدالعال سالم مكرم. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٣ ـ الاشتقاق. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٣٤ ـ أشعار الشعراء الستة الجاهليين. اختيار يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري. ط ٣. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية. توزيع دار الباز مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٦ ـ أصدق الدلائل في أنساب بني وائل. عبدالله بن عبار العنزي. الرياض: مطابع الفرزدق، ط ٢، ١٤١١هـ.
٣٧ ـ إصلاح المنطق. ابن السكيت. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون. ط ٤، مصر: دار المعارف، ١٩٨٧م.
٣٨ ـ الأصمعيات (اختيار الأصمعي) تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون. ط ٥، مصر: دار المعارف، ١٩٧٩م.
٣٩ ـ الأصول في النحو. أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي. تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي. ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٠ ـ أصول الدين للبغدادي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٠هـ.
٤١ ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية (الإثني عشرية) عرض ونقد. رسالة دكتوراه. للدكتور ناصر بن عبدالله بن علي القفاري. جامعة الإمام محمد بن سعود. كلية أصول الدين.

٤٢ ـ الأضداد. محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٣ ـ الأضداد لأبي حاتم السجستاني. تحقيق الدكتور محمد عودة أبو جري. مراجعة الدكتور رمضان عبدالتواب. مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
ـ نسخة أخرى تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبدالقادر أحمد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
ـ الأضداد للأصمعي: = ثلاثة كتب في الأضداد.
ـ الأضداد لابن السكيت: = ثلاثة كتب في الأضداد.
ـ الأضداد للصاغاني: = ثلاثة كتب في الأضداد.
٤٤ ـ اعتقادات فرق المشركين والمسلمين. للرازي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م.
٤٥ ـ إعراب القراءات السبع وعللها: أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه. تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٦ ـ إعراب القراءات الشواذ. أبو البقاء العكبري. دراسة وتحقيق: محمد السيد عزوز. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٤٧ ـ إعراب القرآن المنسوب للزجاج. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ط ٢. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٤٨ ـ إعراب القرآن. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق الدكتور: زهير غازي زاهد. ط ٢. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ومكتبة النهضة العربية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٩ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي. بيروت: دار العلم للملايين. ط ٦، ١٩٨٤م.
٥٠ ـ أعلام السنة المنشورة، حافظ حكمي. تحقيق: أحمد علي مدخلي. الرياض: مكتبة الرشد. ط ٣، ١٤١٥هـ.
٥١ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين. شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: لجنة التحقيق بدار النشر السعودية. مكتبة نزار الباز، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
ـ طبعة أخرى. القاهرة: المكتبة التجارية.
٥٢ ـ أعيان الشيعة: محمد الأميني الحسيني العاملي. دمشق: مطبعة ابن زيدون، ط ١، ١٣٥٨هـ.

٥٣ ـ الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني. بيروت: دار إحياء التراث: مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
ـ نسخة أخرى بتصحيح أحمد الشنقيطي. القاهرة: مطبعة التقدم، بدون تاريخ.
٥٤ ـ الأفعال. ابن القوطية. تحقيق: علي فودة. ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٣م.
٥٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. لابن تيمية. تحقيق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل. الرياض: مكتبة الرشد، ط ٤، ١٤١٤هـ.
٥٦ ـ اقتضاء العلم العمل. للخطيب البغدادي ـ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٥، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٥٧ ـ الإكسير في علم التفسير. سليمان بن عبدالقوي الطوفي الصرصري. تحقيق: عبدالقادر حسين. القاهرة: مكتبة الآداب، سنة ١٣٩٧هـ.
٥٨ ـ الأمالي لابن بشران. ضبط عادل بن يوسف العزازي. الرياض: دار الوطن للنشر. ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٥٩ ـ أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي. تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي. ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٦٠ ـ الأمالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، ط ٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.
٦١ ـ الأمثال لأبي الشيخ. تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد. الهند، بومباي: الدار السلفية، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
٦٢ ـ أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، للقاضي أبي الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي. تحقيق: أحمد عبدالفتاح تمام. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٦٣ ـ الأمثال لأبي عبيد القاسم، تحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش. دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٦٤ ـ إملاء ما منَّ به الرحمن. أبو البقاء العكبري. بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٦٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

٦٦ ـ الإنباه على قبائل الرواه، لابن عبدالبر، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في الأنساب، الجزء الثامن، مكتبة المعارف: محمد سعيد جمال.
٦٧ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين. أبو البركات عبدالرحمن الأنباري النحوي. ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، طبع سنة ١٩٨٢م.
٦٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل. القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٦٩ ـ الأوائل. أبو هلال العسكري. تحقيق: وليد قصّاب ومحمد المصري. الرياض: دار العلوم، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧٠ ـ الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(ب)

٧١ ـ البحر الزخّار المعروف بمسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمر العتيكي البزار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله. المدينة: مكتبة العلوم والحكم. ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٧٢ ـ بحر العلوم. أبو الليث السمرقندي. تحقيق علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٧٣ ـ البحر المحيط. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي. تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٧٤ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٧٥ ـ بداية المجتهد. ابن رشد، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة. بدون تاريخ.
٧٦ ـ البداية والنهاية. عمادالدين ابن كثير. تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين. القاهرة: دار الريان للتراث. ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٧٧ ـ البرهان لأبي الفضل السكسكي، تحقيق بسام العموش. الأردن: مكتبة المنار. ط ١، ١٤٠٨هـ.
٧٨ ـ البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي. تحقيق د. يوسف المرعشلي وآخرين. بيروت: دار المعرفة. ط ٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٧٩ ـ بصائر ذوي التمييز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق: محمد النجار. بيروت: المكتبة العلمية. بدون تاريخ.

٨٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. لجلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية. بدون تاريخ.
٨١ ـ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري. ط ١، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، مركز المخطوطات والتراث، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٨٢ ـ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث. أبو البركات ابن الأنباري. تحقيق: د. رمضان عبدالتواب، ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٨٣ ـ بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني. القاهرة: دار النهضة المصرية.
٨٤ ـ البناية في شرح الهداية. محمود بن أحمد العيني. بيروت: دار الفكر. ط ٢، ١٤١١هـ.
٨٥ ـ بهجة الأريب بما في كتاب الله العزيز من الغريب. علي بن عثمان التركي. تحقيق: علي حسين البواب. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٨٦ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس. أبو عمر يوسف بن عبدالبر. تحقيق: مرسي الخولي، ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١م.
ـ نسخة أخرى تحقيق محمد الخولي وعبدالقادر القط. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٨٧ ـ البيان والتبيين. عمر بن بحر الجاحظ. تحقيق وشرح: محمد عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل ودار الفكر. بدون تاريخ.

(ت)

٨٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. تحقيق: مجموعة من الباحثين، تحت إشراف قسم التراث العربي بوزارة الإعلام بدولة الكويت. ١٣٨٥هـ ـ ١٤٠٨هـ.
٨٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان. بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٣م.
٩٠ ـ تاريخ الأدب العباسي. نيكلسون، ترجمة د. صفاء خلوصي. بغداد: المكتبة الأهلية، ١٩٦٧م.
٩١ ـ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان. ترجمة د. رمضان عبدالتواب. القاهرة: دار المعارف، ط ٣. بدون تاريخ.

٩٢ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الحافظ شمس الدين الذهبي، (قسم المغازي) تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي ط ٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٩٣ ـ تاريخ بغداد. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. بيروت: دار الكتب العلمية. توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة. بدون تاريخ.
٩٤ ـ تاريخ جرجان للسهمي. طبع تحت مراقبة: محمد بن عبدالمعيد خان. بيروت: عالم الكتب، ط ٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٩٥ ـ تاريخ حكماء الإسلام، نشر وتحقيق محمد كرد علي. دمشق، ١٩٤٦م.
٩٦ ـ تاريخ مدينة دمشق. لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر. نسخة مخطوطة مصورة عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق، نشرتها مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
٩٧ ـ تأويل مشكل القرآن. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. شرحه: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار التراث، ط ٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٩٨ ـ التبصرة في القراءات السبع. للإمام المقرىء أبي محمد مكي بن أبي طالب. تحقيق الدكتور المقرىء محمد غوث الندوي. ط ٢، الهند، بومباي، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٩٩ ـ التبصير في الدين للإسفراييني. تحقيق: كمال الحوت. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ.
١٠٠ ـ التبيان شرح الديوان. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري. ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
١٠١ ـ التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري. تحقيق: علي محمد البجاوي. القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي. بيروت: دار الكتاب العربي. عني بنشره: القدسي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٠٢ ـ التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر. بدون تاريخ.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ جمال الدين المزي. صححه: عبدالصمد شرف الدين. الهند: الدار القيمة ١٣٨٤هـ.
١٠٣ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني. بيروت: عالم الكتب، مصورة عن طبعة الهند، ١٣٧٧هـ.

١٠٤ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للحافظ جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي. اعتنى به: سلطان بن فهد الطبيشي. الرياض: دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ.
١٠٥ ـ التخمير (أو شرح المفصل في صنعة الإعراب) لابن يعيش. القاسم بن الحسين الخوارزمي. ط ١، تحقيق عبدالرحمن العثيمين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.
١٠٦ ـ التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: محمد السعوي. ط ١، ١٤٠٥هـ.
١٠٧ ـ الترغيب والترهيب. زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري. القاهرة: دار التراث.
ـ نسخة أخرى، تحقيق: محي الدين مستو وآخرين. دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب ومؤسسة علوم القرآن. ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٠٨ ـ تسديد القوس للحافظ ابن حجر العسقلاني. مطبوع بهامش فردوس الأخبار للديلمي. تحقيق فواز زمرلي ومحمد المعتصم البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي. ط١، ١٤٠٧هـ.
١٠٩ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك. تحقيق: محمد كامل بركات. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.
١١٠ ـ التسهيل لعلوم التنزيل. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١١١ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي. تحقيق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ.
١١٢ ـ التعريفات. علي بن محمد الجرجاني. ضبط: محمد بن عبدالحكيم القاضي. القاهرة: دار الكتاب المصري. بيروت: دار الكتاب اللبناني. ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م
١١٣ ـ التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب. أحمد بن محمد الأشعري القرطبي. تحقيق: د. سعد ظلام. دار المنار، بدون تاريخ.
١١٤ ـ تعظيم قدر الصلاة. للإمام محمد بن نصر المروزي. تحقيق الدكتور عبدالرحمن الفريوائي. المدينة المنورة: مكتبة المدينة. ط ١، ١٤٠٦هـ.
١١٥ ـ «تعليقان» مقال للدكتور إحسان عباس، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد ٢٣، ٢٤ يناير ـ يونيو ١٩٨٤م.
١١٦ ـ التعليقة على كتاب سيبويه. أبو علي الفارسي. تحقيق: عوض القوزي. ط ١، القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١١٧ ـ تغليق التعليق. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: سعيد عبدالرحمن القزقي. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١١٨ ـ التفريع. لعبيدالله بن الحسين بن الجلاب البصري. تحقيق: د. حسين سالم الدهماني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ.
١١٩ ـ تفسير أسماء الله الحسنى. لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. دار الثقافة العربية. ط ٥، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
١٢٠ ـ تفسير السدي الكبير. جمع وتوثيق ودراسة: د. محمد عطا يوسف. مصر: دار الوفاء. ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٢١ ـ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الكتاب الثالث والخمسون، بدون تاريخ.
١٢٢ ـ تفسير ابن عربي. محي الدين ابن عربي. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.
١٢٣ ـ تفسير غريب القرآن. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
١٢٤ ـ تفسير القرآن. أبو المظفر السمعاني، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس، الرياض: دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
١٢٥ ـ تفسير القرآن. عبدالرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق الدكتور: مصطفى مسلم محمد. الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
١٢٦ ـ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين. عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكة، الرياض: مكتبة نزار الباز، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٢٧ ـ تفسير القرآن العظيم. عماد الدين ابن كثير. القاهرة: دار الحديث. ط ٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٢٨ ـ تفسير مجاهد بن جبر. تحقيق: الدكتور محمد عبدالسلام أبو النيل. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة. ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
١٢٩ ـ تفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، دراسة وتحقيق: هدى الطويل المرعشلي. ط ١، بيروت: دار النور الإسلامي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٣٠ ـ تفسير ابن المنذر ـ مخطوط ـ بهامش تفسير ابن أبي حاتم المخطوط.

١٣١ ـ التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط ٢، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
١٣٢ ـ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. الراغب الأصفهاني. تحقيق: د. عبدالمجيد النجار. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٣٣ ـ تقريب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد عوامة. سوريا ـ حلب ـ دار الرشيد. ط ٣، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٣٤ ـ تلبيس إبليس. لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣٥ ـ التلخيص في علوم البلاغة. للخطيب القزويني. ضبطه وشرحه: عبدالرحمن البرقوقي. ط ٢، بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م.
١٣٦ ـ التلخيص الحبير. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: شعبان إسماعيل. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ.
١٣٧ ـ التمهيد لابن عبدالبر. حققه جماعة من العلماء. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.
١٣٨ ـ التنبيهات. علي بن حمزة بن ولاَّد. تحقيق: عبدالعزيز الميمني. ط ٣، مصر: دار المعارف، ١٩٨٦م. مع المنقوص والممدود.
١٣٩ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة. لأبي الحسين علي بن محمد بن عراق الكناني. تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله محمد الصديق. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
١٤٠ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن. عماد الدين أبو الحسن عبدالجبار. بيروت: الشركة الشرقية للتوزيع، ودار النهضة الحديثة. بدون تاريخ.
١٤١ ـ تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. بدون تاريخ.
١٤٢ ـ تهذيب اللغة. محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين. القاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والدار المصرية. ١٩٧٨م.
١٤٣ ـ التوكل على الله عز وجل. للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا. تحقيق: جاسم الفهيد. بيروت: دار البشائر. ط ١، ١٤٠٧هـ.
١٤٤ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.

(ث)

١٤٥ ـ ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي، وللسجستاني، ولابن السكيت. ومعها ذيل في الأضداد للصاغاني. نشرها أوجست هفنر. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

(ج)

١٤٦ ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري. تحقيق: محمود محمد شاكر. مصر: دار المعارف. بدون تاريخ.

١٤٧ ـ جامع بيان العلم وفضله. أبو عمرو يوسف بن عبدالبر النمري. تحقيق أبي الأشبال الزهيري. السعودية: دار ابن الجوزي. ط ١، ١٤١٤هـ.

١٤٨ ـ الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. لجلال الدين أبي الفضل عبدالرحمن السيوطي. تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، مكة، الرياض: مكتبة نزار الباز. ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٤٩ ـ جامع العلوم والحكم. ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٥٠ ـ الجامع لأحكام القرآن. أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي. طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. بدون تاريخ.

١٥١ ـ الجمل في النحو. لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي. تحقيق الدكتور علي توفيق الحكم. ط ٤. بيروت: مؤسسة الرسالة. والأردن: دار الأمل، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥٢ ـ جمهرة الأمثال. أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش. ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. بيروت: دار الجيل.

١٥٣ ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. ط ٢، ١٤٠٩هـ.

١٥٤ ـ جمهرة اللغة. لابن دريد. أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي. مصر: مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.

١٥٥ ـ جمهرة النسب. هشام بن محمد الكلبي. بيروت: عالم الكتب. تحقيق د. ناجي حسن. ط ١، ١٤٠٧هـ.

١٥٦ ـ الجنى الداني في حروف المعاني. الحسن بن قاسم المرادي. تحقيق: فخر الدين ومحمد نديم فاضل. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٥٧ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: العسكر وابن ناصر والحمدان. الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ.
١٥٨ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. لابن قيم الجوزية. تحقيق: بشير محمد عيون. بيروت: مكتبة المؤيد، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(ح)

١٥٩ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. للإمام: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. السيد الجميلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦٠ ـ الحاوي الكبير. لعلي بن حبيب الماوردي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ.
ـ الحبائك في أخبار الملائك. للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦١ ـ الحجة في بيان المحجة. قوام السنة الأصبهاني، تحقيق المدخلي وأبي رحيم. الرياض: دار الراية للنشر، ط ١، ١٤١١هـ.
١٦٢ ـ الحجة في علل القراءات السبع. الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي. تحقيق: علي ناصف وزميليه. ط ٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٦٣ ـ حجة القراءات. لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط ٥. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
١٦٤ ـ حديث اختلاف أمتي رحمة. رواية ودراية. الدكتور سعود بن عبدالله الفنيسان. الرياض: مكتبة الرشد. ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٦٥ ـ حروف المعاني. أبو القاسم عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، الأردن: دار الأمل. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٦٦ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٥، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٦٧ ـ الحماسة. لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي. تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان. السعودية: جامعة الإمام، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٦٨ ـ الحماسة البصرية. علي بن أبي الفرج البصري. تحقيق: مختار الدين أحمد. ط ٣. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٦٩ ـ حياة الحيوان الكبرى. كمال الدين الدميري. بيروت: دار الفكر. بدون تحقيق.
١٧٠ ـ الحيوان. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق: عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(خ)

١٧١ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي. ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٧٢ ـ الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار. بيروت: دار الكتاب العربي.
١٧٣ ـ الخطط المقريزية. للمقريزي. عناية: خليل منصور. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

(د)

١٧٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية. ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين. القاهرة: نشرة إبراهيم زكي خورشيد، ط ١، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م.
١٧٥ ـ درء تعارض العقل والنقل. لابن تيمية: تحقيق: د. محمد رشاد سالم. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
١٧٦ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط. دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٧٧ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١٧٨ ـ درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
١٧٩ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية. تحقيق: الدكتور محمد السيد الجليند. دمشق، بيروت: مؤسسة علوم القرآن. ط ٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٨٠ ـ دلائل الإعجاز. أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط ٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٨١ ـ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: محمد رواس قلعجي وعبدالبر عباس. حلب: المكتبة العربية. توزيع دار ابن كثير ومكتبة التراث الإسلامي. ط ١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
١٨٢ ـ دلائل النبوة. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٨٣ ـ ديوان الأخطل المسمى: شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: فخرالدين قباوة. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ط ٢، ١٩٧٩م.
١٨٤ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق عبدالكريم الدجيلي. بغداد: شركة النشر والطباعة العراقية، ١٣٧٣هـ.
ـ نسخة أخرى تحقيق محمد حسن ياسين، بغداد: مكتبة النهضة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
١٨٥ ـ ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره. صنعة: عبدالله الجبوري، ط ١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٨٦ ـ ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد حسين. القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٥٠م.
ـ نسخة أخرى نفس التحقيق. بيروت، المكتب الشرقي، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
ـ ديوان الأعشين (ضمن كتاب الصبح المنير) انظر: الصبح المنير.
١٨٧ ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م.
١٨٨ ـ ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
١٨٩ ـ ديوان أبي زبيد الطائي. المسمى: (شعر أبي زبيد الطائي). تحقيق: نوري حمودي القيسي. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦٧م.
١٩٠ ـ ديوان أبي العتاهية قدم له وشرحه مجيد طرَّاد. بيروت: دار الكتاب العربي. ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٩١ ـ ديوان امرىء القيس بشرح الأعلم الشنتمري. اعتنى بتصحيحه ابن أبي شنب. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٩٢ ـ ديوان امرىء القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢. مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م.

١٩٣ ـ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب. تحقيق: نعمان محمد أمين طه. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م.

١٩٤ ـ ديوان جميل بثينة. بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٩٥ ـ ديوان جميل بن معمر. جمع وتحقيق: حسين نصار. ط ٢، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦٧م.

ـ ديوان حسان بن ثابت = شرح ديوان حسان بنْ ثابت.

ـ ديوان الحماسة. = (شرح ديوان الحماسة).

ـ ديوان زهير. = (شرح ديوان زهير).

١٩٦ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق: صلاح الدين الهادي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م.

١٩٧ ـ ديوان العباس بن الأحنف. تقديم كرم البستاني. بيروت، ١٤٠٢هـ.

١٩٨ ـ ديوان عبدالرحمن بن حسان المسمى: (شعر عبدالرحمن بن حسان الأنصاري). تحقيق: سامي مكي العاني. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧١م.

١٩٩ ـ ديوان عبدالله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره. تأليف: وليد قصاب. عمان: دار الضياء. ط ٢، ١٤٠٨هـ.

٢٠٠ ـ ديوان علي بن الجهم. تحقيق: خليل مردم بك. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م.

٢٠١ ـ ديوان علي بن أبي طالب. جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم. بيروت: دار القلم. بدون تاريخ.

٢٠٢ ـ ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي. جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي. ط ٢. دمشق: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ ديوان الفرزدق: = (شرح ديوان الفرزدق).

٢٠٣ ـ ديوان أبي قيس صفي بن الأسلت. دراسة وجمع وتحقيق: حسن باجودة. القاهرة: مكتبة التراث، ١٩٧٣م.

٢٠٤ ـ ديوان كثير عزة. جمع وشرح إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٢٠٥ ـ ديوان كعب بن مالك الأنصاري. دراسة وتحقيق: سامي العاني، ط ١، بغداد: مكتبة النهضة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢٠٦ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري. بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

- ديوان المتنبي. = التبيان شرح الديوان..
٢٠٧ - ديوان أبي محجن الثقفي. صنعة أبي هلال العسكري. نشر وتقديم د. صلاح الدين المنجد، ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
٢٠٨ - ديوان النابغة الجعدي المسمى (شعر النابغة الجعدي) تحقيق: عبدالعزيز رباح، ط١، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢٠٩ - ديوان النابغة الذبياني. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م.
٢١٠ - ديوان نصر بن سيار الكناني. جمع وتحقيق: عبدالله الخطيب. ط ١، بغداد: مطبعة شفيق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٢١١ - ديوان الهذليين. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية. القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٥٠م.
٢١٢ - ديوان يزيد بن الطثرية المسمى: شعر يزيد بن الطثرية. دراسة: ناصر سعد الرشيد. دار مكة للطباعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(ذ)

٢١٣ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة. أغابزرك الطهراني. طهران: النجف الأشرف.
٢١٤ - الذريعة إلى مكارم الشريعة. الراغب الأصفهاني. تحقيق ودراسة د. أبو اليزيد العجمي. القاهرة: دار الصحوة ودار الوفاء ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(ر)

٢١٥ - «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» مقال للأستاذ: محمد عدنان الجوهري. نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد يناير ١٩٨٦م.
٢١٦ - «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» مقال للدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد ١١ - ١٢، يناير - يونيو ١٩٨١م.
٢١٧ - الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن. شلواح بن عواض اللويحق المطيري. رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الدراسات العليا: شعبة التفسير.
٢١٨ - الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب. الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي. الأردن: مكتبة الأقصى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢١٩ ـ الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير. محمد إقبال فرحات. رسالة دكتوراه. تونس ـ جامعة الزيتونة: المعهد الأعلى لأصول الدين.
٢٢٠ ـ الراغب الأصفهاني ومنهجه في المفردات. رسالة ماجستير. عباس محمد أحمد. الإسكندرية، كلية الآداب، ١٩٧١م.
٢٢١ ـ الرد على الجهمية للدارمي. تحقيق: بدر البدر، الكويت، الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢٢٢ ـ الرد على المنطقيين. ابن تيمية. مكة المكرمة: المكتبة الإمدادية، ط ٦، ١٤٠٤هـ.
٢٢٣ ـ رد المحتار على الدر المختار: «حاشية ابن عابدين» محمد أمين ابن عابدين، بيروت: دار الفكر. ط ٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٢٢٤ ـ رسالة إلى أهل الثغر للأشعري. تحقيق: عبدالله الجندي. المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٢٢٥ ـ رسالة في أدب مخالطة الناس. للراغب ـ مخطوط ـ رقم (٣٦٥٤/ ٣) ـ مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.
٢٢٦ ـ رسالة في الاعتقاد للراغب. تحقيق شمران العجلي. بيروت: مؤسسة الأشرف.
٢٢٧ ـ رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم ـ الراغب الأصفهاني ـ مخطوط برقم (٣٦٥٤/ ١) ـ مكتبة أسعد أفندي ـ إسطانبول، تركيا.
٢٢٨ ـ رسالة في ذكر الواحد الأحد ـ مخطوط ـ رقم (٣٦٥٤/ ٢) مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.
٢٢٩ ـ رسالة في الاعتقاد للراغب. رسالة ماجستير. أختر جمال محمد لقمان، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.
٢٣٠ ـ رسالة في مراتب العلوم (مخطوط) رقم (٣٦٥٤/ ٤) مكتبة أسعد أفندي. تركيا، إستانبول.
٢٣١ ـ الرسالة القشيرية. لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، تحقيق: معروف مصطفى زريق، وعلي عبدالحميد أبو الخير، بيروت: دار الخير، ط ٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٣٢ ـ رصف المباني في حروف المعاني. أحمد بن عبدالنور المالقي. تحقيق: أحمد محمد الخراط. دمشق: مجمع اللغة. بدون تاريخ.
٢٣٣ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام. لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٣٤ ـ رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز للحافظ عز الدين عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي. دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن صالح البراك. السعودية: دار ابن الجوزي. ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٣٥ ـ الروح لابن القيم. حقق نصوصه: يوسف علي بديوي. دار ابن كثير: بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٣٦ ـ روح المعاني. شهاب الدين الألوسي البغدادي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية. مصر.
٢٣٧ ـ روضات الجنات. محمد باقر الموسوي الخواساري، طهران. بدون تاريخ.
٢٣٨ ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين. ليحيى بن شرف النووي. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٢هـ.
٢٣٩ ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء. عبدالله الأفندي الأصبهاني. تحقيق: السيد أحمد الحسيني. إيران: مطبعة الخيام سنة ١٤٠١هـ.

(ز)

٢٤٠ ـ زاد المسير في علم التفسير. أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، دمشق ـ بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٢٤١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد. شمس الدين بن قيم الجوزية. تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط الخامسة عشرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٤٢ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق: صالح الضامن. (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٤٣ ـ الزهد لابن المبارك. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٢٤٤ ـ الزهد الكبير للبيهقي. تحقيق: عامر حيدر. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٢٤٥ ـ زوائد الزهد ضمن كتاب الزهد. للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢٤٦ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر. لابن حجر الهيتمي. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(س)

٢٤٧ ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. محمد أمين البغدادي السويدي. بيروت: دار الكتب، ١٤٠٩هـ.

٢٤٨ ـ السبعة لابن مجاهد. تحقيق: د. شوقي ضيف. ط ٢، القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ.

٢٤٩ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. محمد بن يوسف الصالحي. تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوّض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٥٠ ـ سر صناعة الإعراب. لأبي الفتح عثمان بن جني. دراسة وتحقيق: حسن هنداوي. ط ١. دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥١ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار. عباس القمي، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٣٥٩هـ.

٢٥٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، والرياض: مكتبة المعارف.

٢٥٣ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة. لمحمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، والرياض: مكتبة المعارف.

٢٥٤ ـ سنن الترمذي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- طبعة أخرى بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٥٥ ـ سنن الدارقطني. بيروت: عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

ـ نسخة أخرى بتصحيح السيد عبدالله هاشم يماني المدني. بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢٥٦ ـ سنن الدارمي. عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل التميمي الدارمي، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

٢٥٧ ـ سنن أبي داود. لأبي داود السجستاني. إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، بيروت: دار الحديث للطباعة والنشر، ط ١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٢٥٨ ـ سنن سعيد بن منصور. دراسة وتحقيق الدكتور سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد. الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ طبعة أخرى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥٩ ـ السنن الكبرى للبيهقي. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٣هـ، توزيع: مكتبة المعارف بالرياض.
٢٦٠ ـ سنن ابن ماجه. ابن ماجه القزويني. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.
٢٦١ ـ سنن النسائي. أحمد بن شعيب النسائي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
ـ طبعة أخرى تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية. ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ١٩٨٨م.
٢٦٢ ـ السنة، لابن أبي عاصم. أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٦٣ ـ سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس. أو: (غريب القرآن في شعر العرب). تحقيق محمد عبدالرحيم وأحمد نصر الله. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٦٤ ـ سير أعلام النبلاء. شمس الدين الذهبي. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٦٥ ـ السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: الدكتور همام عبدالرحيم سعيد ومحمد عبدالله أبو صعيليك. الأردن: مكتبة المنار، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(ش)

٢٦٦ ـ الشافية في علم التصريف. لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني النحوي المعروف بابن الحاجب. ط ١، مكة المكرمة: المكتبة المكية، ودار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٦٧ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. محمد بن محمد مخلوف. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.
٢٦٨ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ.
٢٦٩ ـ شرح أبيات سيبويه. لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس. تحقيق: زهير زاهد. بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة. ط ١، ١٤٠٦هـ.
٢٧٠ ـ شرح أبيات سيبويه للسيرافي. تحقيق د. محمد علي سلطاني. دمشق: دار المأمون.

٢٧١ ـ شرح أبيات مغني اللبيب لعبدالقادر بن عمر البغدادي. تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف دقاق. ط ١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٢٧٢ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي، تحقيق أحمد حمدان، الرياض: دار طيبة، ط ٢.
٢٧٣ ـ شرح تسهيل الفوائد لابن مالك. تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد المختون. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر. ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٢٧٤ ـ شرح التصريح على التوضيح. خالد الأزهري، بدون تاريخ، بيروت. دار الفكر.
٢٧٥ ـ شرح التلخيص في علوم البلاغة. محمد هاشم دويدري. ط ٢. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٧٦ ـ شرح اختيارات المفضل الضبي. الخطيب التبريزي، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٧٧ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. وضع الديوان وصححه عبدالرحمن البرقوقي. بيروت: دار الأندلس. بدون تاريخ.
٢٧٨ ـ شرح ديوان الحماسة للتبريزي. بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ.
٢٧٩ ـ شرح ديوان الحماسة. لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. مصر: المكتبة التجارية، بدون تاريخ.
٢٨٠ ـ شرح ديوان زهير. صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م
٢٨١ ـ شرح ديوان الفرزدق. تعليق: عبدالله الصاوي. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى. بدون تاريخ.
٢٨٢ ـ شرح السنة للإمام البغوي. تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٨٣ ـ شرح شافية ابن الحاجب. رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي. تحقيق: محمد نور الحسين وزميليه. بيروت: دار الفكر العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٢٨٤ ـ شرح شواهد المغني. جلال الدين السيوطي. تعليق: أحمد ظافر كوجان. بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.
٢٨٥ ـ شرح صحيح مسلم للإمام النووي. مصر: المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م.

٢٨٦ ـ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ود. عبدالله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٢٨٧ ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ. جمال الدين محمد بن مالك. تحقيق: عدنان عبدالرحمن الدوري. بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٢٨٨ ـ شرح العناية على الهداية. محمد محمود البابرتي. طبع مع شرح فتح القدير لابن الهمام. مصر. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط ١، ١٣٨٩هـ.

٢٨٩ ـ شرح فتح القدير على الهداية. لمحمد بن عبدالواحد السيواسي المعروف بابن الهمام الحنفي. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ١، ١٣٨٩هـ.

٢٩٠ ـ شرح مختصر الروضة: سليمان بن عبدالقوي الطوفي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤١٠هـ.

ـ شرح المفصل في صنعة الإعراب انظر (التخمير).

٢٩١ ـ شرح مشكل الآثار للطحاوي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٩٢ ـ شرح المقدمة الجزولية للأستاذ أبي علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي. دراسة وتحقيق: د. تركي بن سهو العتيبي. ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٩٣ ـ شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش. تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة. ط ١، حلب: المكتبة العربية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٩٤ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى، بدون تاريخ.

٢٩٥ ـ شروح التلخيص وهي: مختصر العلامة سعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني. ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح. لابن يعقوب المغربي. وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي. بيروت: دار السرور، بدون تاريخ.

٢٩٦ ـ شعب الإيمان. للبيهقي. تحقيق: محمد السعيد زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، توزيع مكتبة الباز، ط ١، ١٤١٠هـ.

ـ طبعة أخرى تحقيق الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد. الهند: بومباي. الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٩٧ ـ شعب الإيمان للإمام الزاهد أبي محمد عبدالجليل بن موسى بن عبدالجليل القصري، تحقيق: أيمن صالح شعبان، وسيد أحمد إسماعيل، القاهرة: دار الحديث، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٩٨ ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ. مصورة عن طبعة بالقسطنطينية ١٢٩٢هـ.
ـ طبعة أخرى. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مصر: دار المعارف، ١٩٦٦م.
٢٩٩ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. لابن قيم الجوزية، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة. بدون تاريخ.
٣٠٠ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. تحقيق: د. محمد كشاش، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٠١ ـ الشوارد. الحسن بن محمد الصاغاني، تحقيق مصطفى حجازي. ط ١، القاهرة: مجمع اللغة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٠٢ ـ الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي. عبدالعال سالم مكرم. ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

(ص)

٣٠٣ ـ الصاحبي. أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. بدون تاريخ.
٣٠٤ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين. ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٣٠٥ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول. أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الدمام: دار رمادي للنشر، ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٠٦ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. أحمد بن علي القلقشندي. تحقيق: يوسف علي طويل. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٠٧ ـ الصبح المنير في شعر أبي بصير (ومعه ديوان الأعشين). ميمون بن خبيس بن جندل الأعشى. لندن، مطبعة آدُلف هلز هوسن، ١٩٢٧م.
٣٠٨ ـ صحيح الجامع الصغير. محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٠٩ ـ صحيح ابن حبان. بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٣هـ.
٣١٠ ـ صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣١١ ـ صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري، متن فتح الباري، القاهرة: المكتبة السلفية ومطبعتها، ط ٣.
٣١٢ ـ صحيح سنن الترمذي. محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣١٣ ـ صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار الحديث، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٣١٤ ـ صفة الجنة. لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: علي رضا بن عبدالله علي رضا، دمشق: دار المأمون للتراث، ط ٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣١٥ ـ الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية. تحقيق: د. علي الدخيل الله، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

(ض)

٣١٦ ـ ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي. تحقيق: السيد إبراهيم محمد. بيروت: دار الأندلس، بدون تاريخ.
ـ ضرورة الشعر: انظر (ما يحتمله الشعر من الضرورة).
٣١٧ ـ الضعفاء الكبير للعقيلي. تحقيق: الدكتور عبدالمعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣١٨ ـ ضعيف الجامع الصغير. محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣١٩ ـ ضعيف سنن الترمذي. محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(ط)

٣٢٠ ـ طبقات أعلام الشيعة. تأليف أغابزرك الطهراني. تحقيق ولده علي نقي منزوي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
٣٢١ ـ طبقات ابن سعد. بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ.

٣٢٢ ـ طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي. دراسة: طه إبراهيم، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
ـ طبعة ثانية. تحقيق: محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٤م.
٣٢٣ ـ طبقات القراء. محمد بن سلام الجمحي. تحقيق: طه أحمد إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٢هـ.
٣٢٤ ـ طبقات المفسرين. جلال الدين السيوطي. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة. ط ١، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٣٢٥ ـ طبقات المفسرين. شمس الدين محمد بن علي الداوودي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٣٢٦ ـ طبقات النحويين واللغويين. لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢، مصر: دار المعارف، ١٩٨٤م.
٣٢٧ ـ الطرائف الأدبية. عبدالعزيز الميمني. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٧م.
٣٢٨ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين. ابن قيم الجوزية. بيروت: دار مكتبة الحياة، طبع سنة ١٩٨٠م.
٣٢٩ ـ طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية. عمر بن محمد النسفي. ضبط وتعليق: خالد العك. ط ١، بيروت: دار النفائس، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(ظ)

٣٣٠ ـ ظهر الإسلام. أحمد أمين. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، بدون تاريخ.

(ع)

٣٣١ ـ العبر في أحوال من غبر. شمس الدين الذهبي. تحقيق: محمد السعيد بسيوني. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٣٢ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. زكريا بن محمد القزويني. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ، بهامش حياة الحيوان الكبرى.
٣٣٣ ـ العجاب في بيان الأسباب. شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس. السعودية: دار ابن الجوزي. ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٣٣٤ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٣٥ ـ العزيز شرح الوجيز. أبو القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني الشافعي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٣٣٦ ـ العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني. تحقيق: رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري. الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٣٣٧ ـ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة. عبدالله بن نجم بن شاس. تحقيق: د. محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤١٥هـ.
٣٣٨ ـ العقد الفريد. لأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي. تحقيق الدكتور عبدالمجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، توزيع: دار الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٣٩ ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني. تحقيق: د. ناصر الجديع. الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ.
٣٤٠ ـ العقيدة الواسطية بشرح الفوزان. الرياض: مكتبة المعارف، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
٣٤١ ـ العلل الكبير. أبو عيسى الترمذي. ترتيب أبي طالب القاضي. تحقيق: السيد صبحي السامرائي والسيد أبو المعاطي النوري. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٤٢ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. للإمام أبي الفرج ابن الجوزي. تحقيق الأستاذ: إرشاد الحق الأثري. باكستان: إدارة ترجمان السنة، توزيع المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، بدون تاريخ.
٣٤٣ ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: الدكتور محمد التونجي. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٣٤٤ ـ العمدة في غريب القرآن. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. شرح وتعليق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي. ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٣٤٥ ـ عمل اليوم والليلة. للحافظ أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني. تحقيق: بشير محمد عيون. بيروت: مكتبة دار البيان، ط ٢، ١٤١٠هـ ـ ١٨٨٩م.
٣٤٦ ـ عمل اليوم والليلة للنسائي. تحقيق: فاروق حمادة، بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٣٤٧ ـ عيون الأخبار. عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. تحقيق: يوسف علي طويل. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٣٤٨ ـ العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ط ١، بيروت: مؤسسة الأعلمي ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(غ)

٣٤٩ ـ غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار. أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار. دراسة وتحقيق: الدكتور أشرف محمد طلعت. القاهرة: مكتبة التوعية الإسلامية، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٥٠ ـ الغاية في القراءات العشر. للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين النيسابوري. تحقيق: محمد غياث الجنباز. ط ١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٥١ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل. للشيخ محمود بن حمزة الكرماني. تحقيق: د. شمران سركال العجلي. بيروت: مؤسسة علوم القرآن. جدة: دار القبلة، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٥٢ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان. نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري. ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٣٥٣ ـ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٥٤ ـ غريب القرآن. محمد بن عزيز السجستاني. تحقيق: محمد أديب عبدالواحد. ط ١، دار قتيبة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
ـ غريب القرآن في شعر العرب = سؤلات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس. تحقيق: محمد عبدالرحيم وأحمد نصرالله. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(ف)

٣٥٥ ـ الفائق في غريب الحديث. محمود بن عمر الزمخشري. وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.
٣٥٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري. القاهرة: المكتبة السلفية ومطبعتها، ط ٣.

٣٥٧ ـ فتح القدير. محمد بن علي الشوكاني. مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٣٥٨ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. سليمان بن عمر الشهير بالجمل. بيروت: دار حياء التراث العربي. بدون تاريخ.
٣٥٩ ـ الفتوحات المكية. محي الدين ابن عربي. بيروت: دار صادر. بدون تاريخ.
٣٦٠ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. للطيبي، رسالة دكتوراه، إعداد صالح بن ناصر الناصر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير.
٣٦١ ـ الفرق بين الفرق. لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي. اعتنى به الشيخ إبراهيم رمضان. بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٣٦٢ ـ الفروق. أبو هلال العسكري. علق عليه: د. أحمد سليم الحمصي. طرابلس: جروس برس. ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٣٦٣ ـ الفصل. لابن حزم الأندلسي. تحقيق: د. محمد نصر، ود. عبدالرحمن عميرة. مكة المكرمة: شركة مكتبات عكاظ، ط ١، ١٤٠٢هـ.
٣٦٤ ـ فصول في أصول التفسير. الدكتور مساعد بن سليمان الطيار. السعودية: دار ابن الجوزي ط٣، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٣٦٥ ـ فضائل القرآن. لأبي الفداء عمادالدين ابن كثير. تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٦هـ.
٣٦٦ ـ فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي. تحقيق: فائز محمد وإميل يعقوب. ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٣٦٧ ـ الفقيه والمتفقه. للخطيب البغدادي. تحقيق: عادل العزازي، الرياض: دار ابن الجوزي.
٣٦٨ ـ فهرس المكتبة التيمورية. الجزء الأول: التفسير، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.
٣٦٩ ـ الفهرست. لابن النديم. ضبطه وشرحه د. يوسف علي الطويل. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٣٧٠ ـ الفوائد لتمام الرازي، تحقيق حمدي السلفي، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٢هـ.

٣٧١ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضعة. لمحمد بن علي الشوكاني. تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى اليماني. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٧٢ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبدالرؤوف المناوي. مصر: المكتبة التجارية، ط ١، ١٤٠٦هـ.

(ق)

٣٧٣ ـ القاموس الإسلامي. أحمد عطية الله. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٣٧٤ ـ القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٧٥ ـ القضاء والقدر. الدكتور عبدالرحمن المحمود. الرياض: دار الوطن، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٧٦ ـ قطر الولي على حديث الولي. للإمام الشوكاني. تحقيق وتقديم الدكتور إبراهيم هلال، كلية البنات، جامعة عين شمس. بدون بيانات.

٣٧٧ ـ القول المسدد في الذب عن مسند أحمد. للإمام أحمد بن حجر العسقلاني. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ط ١، ١٤٠١هـ.

(ك)

٣٧٨ ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبوع في آخر تفسير الكشاف للزمخشري. بيروت: دار المعرفة، ط١.

٣٧٩ ـ الكامل في التاريخ. أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٥، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٨٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال. أبو أحمد بن عبدالله بن عدي، بيروت: دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٩هـ.

٣٨١ ـ الكامل. محمد بن يزيد المبرد. تحقيق: محمد الدالي. ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٨٢ ـ كتاب الإيمان للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٨٣ ـ «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» مقال للدكتور أحمد حسن فرحات. نشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد ١٥ جمادى الأولى ١٤١٠هـ.
٣٨٤ ـ كتاب سيبويه. عمرو بن عثمان بن قنبر. تحقيق: عبدالسلام هارون. ط ٣، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٣٨٥ ـ كتاب العيال. لابن أبي الدنيا. تحقيق: الدكتور نجم عبدالرحمن خلف. القاهرة: دار الوفاء، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٨٦ ـ كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي، رواية أبي سعد الماليني. تحقيق: د. محمود الطناحي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
٣٨٧ ـ كتاب المجروحين. لابن حبان البُستي. سوريا، حلب، دار الوعي.
٣٨٨ ـ كشاف اصطلاحات الفنون. محمد علي التهانوي. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.
٣٨٩ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. جارالله الزمخشري، صححه مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٩٠ ـ الكتاب الموضّح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي. تحقيق ودراسة: د. عمر حمدان الكبيسي. مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٣٩١ ـ كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي. بيروت: عالم الكتب.
٣٩٢ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار. للهيثمي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
٣٩٣ ـ كشف الخفاء. إسماعيل بن محمد العجلوني. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٥١هـ.
٣٩٤ ـ كشف الظنون. حاجي خليفة. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣٩٥ ـ كشف المشكلات وإيضاح المعضلات. جامع العلوم، علي بن حسين الأصبهاني. تحقيق: محمد الدالي، ط ١، دمشق: مطبعة الصباح، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣٩٦ ـ الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي. تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم. بيروت: دار الكتاب العربي. ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦.
٣٩٧ ـ الكليات. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. باعتناء: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٩٨ ـ الكنى والأسماء. لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٩٩ ـ الكنى والألقاب. عباس القمي. لبنان ـ صيدا: مطبعة العرفان.

٤٠٠ ـ كنوز الأجداد. محمد كرد علي. دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(ل)

٤٠١ ـ لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. بيروت: دار صادر. بدون تاريخ.

٤٠٢ ـ لسان الميزان. للإمام ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود. وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٠٣ ـ لطائف الإشارات. لأبي القاسم القشيري. تحقيق: د. إبراهيم بسيوني. القاهرة: دار الكتاب العربي، طبعة ١٣٩٠هـ.

٤٠٤ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. بيروت: دار المعرفة. ط ٣، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٤٠٥ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل. للإمام علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن. القاهرة: المكتبة التجارية.

٤٠٦ ـ اللباب في شرح الكتاب. عبدالغني الغنيمي الدمشقي الحنفي. الرياض. مكتبة الرياض الحديثة. تحقيق: محمد أمين النواوي. بدون تاريخ.

٤٠٧ ـ اللامات. عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي. تحقيق: مازن المبارك، ط ٢، بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٠٨ ـ اللمع. للطوسي. تحقيق: د. عبدالحليم محمود، وطه سرور، مصر: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ.

٤٠٩ ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. لابن قدامة المقدسي، ضمن مجموع فيه: إثبات صفة العلو، وذم التأويل، بعناية: بدر البدر. الكويت، دار ابن الأثير، ط ٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(م)

٤١٠ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه. هبة الله بن علي الحسني. تحقيق: أحمد حسن، ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤١١ ـ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه. عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: ماجد الذهبي، ط ١، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٤١٢ ـ ما يحتمل الشعر من الضرورة. لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي. تحقيق: عوض القوزي. ط ٢، مصر: دار المعارف، ١٩٩١م.
٤١٣ ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. الحسن بن بشر الآمدي. تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٤١٤ ـ المبسوط في القراءات العشر. أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي. جدة: دار القبلة. بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤١٥ ـ متن العقيدة الطحاوية. للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي. بتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز. الرياض: دار القاسم للنشر، ط ١، ١٤١٨هـ.
٤١٦ ـ المجاز بين اليمامة والحجاز. عبدالله بن محمد بن خميس. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ط ٤، ١٤١٠هـ.
٤١٧ ـ مجاز القرآن. لأبي عبيدة معمر بن المثنى. تحقيق: محمد فؤاد سيزكين. القاهرة: مكتبة الخانجي، بدون تاريخ.
٤١٨ ـ مجالس ثعلب. أحمد بن يحيى ثعلب. تحقيق: عبدالسلام هارون. القاهرة: دار المعارف ١٩٨٧م.
٤١٩ ـ مجالس ثعلب. أحمد بن يحيى ثعلب. تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٤، القاهرة: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٤٢٠ ـ مجالس العلماء. عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق: عبدالسلام هارون. ط ٢، الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٨٤م.
ـ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. انظر: رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني.
ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. انظر: رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني.
٤٢١ ـ مجمع الأمثال. أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٤٢٢ ـ طبعة أخرى تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٤٢٣ ـ مجمع الأمثال العربية. لرياض مراد. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٢٤ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين، للحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق ودراسة: عبدالقدوس بن محمد نذير، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٢٥ ـ مجمع البلاغة. الحسين بن مفضل الراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الساريسي، عمان: مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٢٦ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن. للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.
٤٢٧ ـ مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي. أحمد قبش. دار الرشيد، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٢٨ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٦هـ.
٤٢٩ ـ مجمل اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق: الشيخ شهاب الدين أبو عمرو، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٤٣٠ ـ مجمع أشعار العرب. وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن الحجاج. اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي، برلين: خزانة كتب روطرو ريخرد. بدون تاريخ.
٤٣١ ـ مجموعة الرسائل الكمالية. محمد سعيد كمال، مكتبة المعارف بالطائف، طبعة دار الشعب بالقاهرة.
٤٣٢ ـ المجموع شرح المهذب. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.
٤٣٣ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام. جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين. إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
٤٣٤ ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث. أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني. تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٣٥ ـ محاسن التأويل. محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، بدون تاريخ.
٤٣٦ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. الراغب الأصفهاني. بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

٤٣٧ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لأبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين. دار سزكين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٣٨ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٤٣٩ ـ المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده. تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط ١، مكة: المكتبة التجارية، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.
٤٤٠ ـ المحلى. لابن حزم الأندلسي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار التراث.
٤٤١ ـ مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. مؤسسة علوم القرآن، ودار القبلة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
ـ مختصر الروضة. انظر شرح مختصر الروضة.
٤٤٢ ـ مختصر زوائد البزار للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: صبري عبدالخالق أبو ذر، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٤٣ ـ مختصر القراءات. لابن خالويه أو مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه. بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ.
٤٤٤ ـ المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٤٤٥ ـ مدارج السالكين. ابن قيم الجوزية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٤٦ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل. أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٤٤٧ ـ مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٤٤٨ ـ المذكر والمؤنث. لابن شتري الكاتب. تحقيق: أحمد هريدي، ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٤٩ ـ المذكر والمؤنث. محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: رمضان عبدالتواب، وصلاح الدين الهادي، ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٤٥٠ ـ المذكر والمؤنث. محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: طارق الجنابي، ط ٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٥١ ـ مذهب أهل التفويض. أحمد القاضي، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ.
٤٥٢ ـ المراسيل لأبي داود. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٤٥٣ ـ المسائل البصريات. لأبي علي الفارسي، تحقيق ودراسة: محمد الشاطر، ط ١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٥٤ ـ المسائل الحلبيات. أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن هنداوي، ط ١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٥٥ ـ المساعد على تسهيل الفوائد. بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: محمد بركات وآخرين، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٤٥٦ ـ المستدرك. للحاكم النيسابوري، بيروت: دار المعرفة.
٤٥٧ ـ المستصفى من علم الأصول. لأبي حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور محمد سليمان الأشقر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٤٥٨ ـ المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، بيروت: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٥٩م. مصور عن طبعة الهند.
٤٥٩ ـ المسند. للإمام أحمد بن حنبل وبهامشه المنتخب من كنز العمال، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٥هـ.
٤٦٠ ـ مسند إسحاق بن راهويه. تحقيق: عبدالغفور البلوشي، توزيع مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٠هـ.
٤٦١ ـ مسند أبي بكر الصديق. للمروزي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٣٩٩هـ.
٤٦٢ ـ مسند الحميدي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٤٦٣ ـ مسند أبي داود الطيالسي. طبعة الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط ١، ١٣٢١هـ.
٤٦٤ ـ مسند الروياني. للإمام أبي بكر محمد بن هارون الروياني، تحقيق: صلاح محمد عويضة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٤٦٥ ـ مسند الشاميين. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٦٦ ـ مسند الشافعي. محمد بن إدريس الشافعي. بترتيب محمد عابد السندي. ط مكتبة الثقافة الإسلامية عام ١٣٦٩هـ.

٤٦٧ ـ مسند الشهاب للقضاعي. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٤٦٨ ـ مسند أبي عوانة: لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني. تحقيق: أيمن عارف الدمشقي. بيروت: دار المعرفة. ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٦٩ ـ مسند الفردوس أو فردوس الأخبار. للحافظ الديلمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ومحمد المعتصم البغدادي، القاهرة: دار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٧٠ ـ مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٤٧١ ـ المسودة في أصول الفقه. جمعها: شهاب الدين أبو العباس الحنبلي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

٤٧٢ ـ مشكاة المصابيح. للخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٧٣ ـ مشكل الآثار. للطحاوي، بيروت: دار صادر، ط ١.

ـ طبعة أخرى ضبط وتصحيح محمد عبدالسلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٧٤ ـ مشكل إعراب القرآن. مكي بن أبي طالب، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٧٥ ـ المشوف المعلم في ترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم. عبدالله بن الحسين العكبري. تحقيق: ياسين السواس، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. ومكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٧٦ ـ مصائب الإنسان من مكائد الشيطان. للشيخ تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، ط المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٩١م.

٤٧٧ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه. أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: موسى محمد علي، ود. عزت علي عطية. القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٧٨ ـ المصباح المنير للفيومي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٠م.

٤٧٩ ـ مصطلحات علم الكلام الإسلامي، د. سميح دغيم، بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٨م.
٤٨٠ ـ المصنف لابن أبي شيبة. تحقيق: عبدالخالق الأفغاني، الهند: الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.
٤٨١ ـ مصنف عبدالرزاق: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
٤٨٢ ـ معارج القبول بشرح سلّم الوصول. لحافظ بن أحمد حكمي، تخريج: أحمد بن يوسف القادري، بيروت: دار الكتب العلمية، طبع سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٤٨٣ ـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة. محمد محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٤٨٤ ـ معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة، محمد بن عبدالهادي المصري، الرياض: دار الوطن، ط ٧، ١٤١٣هـ.
٤٨٥ ـ معالم التنزيل. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه: محمد عبدالله النمر وآخران، الرياض: دار طيبة، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٤٨٦ ـ معاني الحروف. علي بن عيسى الرماني، تحقيق: عبدالفتاح شلبي، ط ٣، جدة: دار الشروق، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٤٨٧ ـ معاني القرآن للأخفش. سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالأمير محمد أمين الورد، بيروت: عالم الكتب ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٨٨ ـ معاني القرآن. أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، مكة: جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ.
٤٨٩ ـ معاني القرآن. علي بن حمزة الكسائي، تحقيق: عيسى شحاته عيسى، القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م.
٤٩٠ ـ معاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، بيروت: دار السرور، بدون تاريخ.
٤٩١ ـ معاني القرآن وإعرابه. للزجاج. تحقيق: د. عبدالجليل شلبي، بيروت: المكتبة العصرية.
٤٩٢ ـ معاني القراءات لأبي منصور الأزهري. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٩٣ ـ المعاني الكبير في أبيات المعاني. لابن قتيبة الدينوري، ط ١، حيدرآباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.
٤٩٤ ـ معجم الأدباء. ياقوت الحموي، ط ٣، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
ـ طبعة أخرى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، نشرة الدكتور أحمد فريد رفاعي، ١٣٥٥هـ.
٤٩٥ ـ المعجم الأوسط. للطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٤٩٦ ـ معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي. بيروت: دار صادر، ط سنة ١٣٧٦هـ.
٤٩٧ ـ معجم الشعراء للإمام أبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني. تصحيح وتعليق: ف. كرانكو. عنيت بنشره: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
٤٩٨ ـ المعجم الصغير للطبراني. تحقيق: محمد شكور، بيروت: المكتب الإسلامي، والأردن: دار عمار، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٤٩٩ ـ المعجم الصوفي. الدكتور عبدالمنعم الحفني، القاهرة: دار الرشاد، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٥٠٠ ـ المعجم الفلسفي لجميل صليبا. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤م.
٥٠١ ـ معجم قبائل الحجاز، عاتق بن غيث البلادي، مكة المكرمة: دار مكة، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
٥٠٢ ـ المعجم الكبير للطبراني: تحقيق: حمدي السلفي، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية، ط ٢ توزيع: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية.
٥٠٣ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. عبدالله بن عبدالعزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٣هـ.
٥٠٤ ـ معجم المطبوعات العربية. يوسف سركيس. مصر: مطبعة سركيس، ١٩٢٨م.
٥٠٥ ـ معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٥٠٦ ـ معجم المؤلفين. عمر رضا كحّالة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
٥٠٧ ـ المعجم الوجيز. تصدير الدكتور إبراهيم مدكور، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٠٨ ـ المعجم الوسيط. قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢، عن دار الدعوة، تركيا.
٥٠٩ ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. موهوب بن أحمد الجواليقي، تحقيق: ف. عبدالرحيم، ط ١، دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٥١٠ ـ معرفة علوم الحديث. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط ٤، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٥١١ ـ معرفة الصحابة. أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل العزازي، الرياض: دار الوطن للنشر، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٥١٢ ـ المعلقات السبع. شرح سليمان العطار، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٨م.
٥١٣ ـ المعلقات العشر. دراسة فوزي عطوي، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م.
٥١٤ ـ معونة أولي النهى شرح المنتهى. محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٦هـ.
٥١٥ ـ مغازي الواقدي. تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، بيروت: عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٥١٦ ـ المغرب في ترتيب المعرب. أبو الفتح ناصر بن عبدالسيد المطرزي، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
٥١٧ ـ المغني لابن قدامة. الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
ـ طبعة أخرى. تحقيق: د. عبدالله التركي، ود. عبدالفتاح الحلو، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٥١٨ ـ المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. زين الدين عبدالرحيم العراقي. هامش إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
٥١٩ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي رحمة الله. ط ١، بيروت: دار الفكر.
٥٢٠ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. محمد الخطيب الشربيني، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٣٧٧هـ.

٥٢١ ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي. تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
٥٢٢ ـ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٥٢٣ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده. مراجعة وتحقيق: كامل كامل بكري، وعبدالوهاب أبو النور، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م.
٥٢٤ ـ مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٥٢٥ ـ المفصل في علم العربية، لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، تعليق الدكتور محمد السعيدي، ط ١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
ـ المفضليات: انظر (شرح اختيارات المفضل).
٥٢٦ ـ المقاصد الحسنة للعلامة محمد بن عبدالرحمن السخاوي. تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٥٢٧ ـ مقالات الإسلاميين للأشعري. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت: المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
٥٢٨ ـ المقتضب. محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ.
٥٢٩ ـ المقدمات الممهدات. محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: د. محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٥٣٠ ـ مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني. تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط ١، الكويت: دار الدعوة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٥٣١ ـ المقصور والممدود، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: عبدالإله نبهان، ومحمد خير، دار قتيبة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٥٣٢ ـ الملل والنحل للشهرستاني. تحقيق: أمير علي. بيروت: دار المعرفة، ط ٤، ١٩٩٥م.
٥٣٣ ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد. تحقيق: مصطفى العدوي، الكويت: دار الأرقم.
ـ طبعة أخرى تحقيق: السيد صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٣٤ ـ المنتخب من غريب كلام العرب. كراع النمل، تحقيق: محمد العمري، ط ١، مكة: جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٥٣٥ ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٥٣٦ ـ المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، لابن الجارود. فهرسة عبدالله بن عمر البارودي. بيروت: دار الجنان. ط ١، ١٤٠٨هـ.
٥٣٧ ـ المنصف (شرح ابن جني لتصريف المازني). عثمان بن جني النحوي. تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة: وزارة المعارف العمومية، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.
٥٣٨ ـ المنقوص والممدود. للفراء، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، ط ٣، مصر: دار المعارف، ١٩٨٦م، مع التنبيهات.
٥٣٩ ـ منهاج السنة لابن تيمية. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٥٤٠ ـ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد. عثمان علي حسن، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٢هـ.
٥٤١ ـ منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه. الدكتور مصطفى الصاوي الجويني، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، بدون تاريخ.
٥٤٢ ـ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم. الدكتور عبدالوهاب فايد. بيروت: المكتبة العصرية، وبالداخل: القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٥٤٣ ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي، المدينة المنورة، مكتبة البخاري.
٥٤٤ ـ المهذّب في فقه الإمام الشافعي. إبراهيم بن علي الشيرازي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ٣، ١٣٩٦هـ.
٥٤٥ ـ الموسوعة العربية الموسعة. دار القلم، ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٦٥م.
٥٤٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١٦هـ.

٥٤٧ ـ الموضوعات لابن الجوزي. ضبط وتقديم: عبدالرحمن محمد عثمان، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٥٤٨ ـ موطأ مالك، مالك بن أنس، تصحيح وتخريج محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الكتب العلمية، مصورة عن طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٥٤٩ ـ موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبدالرحمن المحمود. الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤١٦هـ.
٥٥٠ ـ موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة. د. سليمان الغصن، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ.
٥٥١ ـ الملاحن. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. صححه وعلق عليه: إبراهيم طفيش الجزائري، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ.
٥٥٢ ـ ميزان الاعتدال. للإمام الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
٥٥٣ ـ الميزان في تفسير القرآن. للسيد محمد حسين الطباطبائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٥، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(ن)

٥٥٤ ـ نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة. شمس الدين محمد بن محمود الشهرورزي، تصحيح السيد خورشيد أحمد، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٥٥٥ ـ نزهة الألبَّاء في طبقات الأدباء. لأبي البركات عبدالرحمن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.
٥٥٦ ـ النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام. بيروت: دار الفكر، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، ١٤١٠هـ.
٥٥٧ ـ النشر في القراءات العشر. محمد بن محمد بن الجزري، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
ـ طبعة أخرى، بيروت: دار الكتاب العربي، تصحيح علي محمد الصباغ، بدون تاريخ.
٥٥٨ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين البقاعي، تخريج: عبدالرزاق المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٥٥٩ ـ نقائض جرير والأخطل، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، بعناية: أنطون صالحاني، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٦٠ ـ نقض التأسيس (بيان تلبيس الجهمية) شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، بدون تاريخ.
٥٦١ ـ النكت على مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق الدكتور: ربيع بن هادي عمير، الرياض، دار الراية، ط ٤، ١٤١٧هـ.
٥٦٢ ـ النكت والعيون. أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد عبدالمقصود، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ودار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٥٦٣ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. أحمد بن علي القلقشندي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٥٦٤ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر. المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، ط ٢، بيروت: دار الفكر.
٥٦٥ ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ومصطفى محمد الهواري، القاهرة: مكتبة القاهرة، طبع سنة ١٣٩٨هـ.

(هـ)

٥٦٦ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لإسماعيل باشا البغداي، تصوير المكتبة الإسلامية، تبريزي، طهران، ط ٣، ١٩٩٧م عن طبعة وكالة المعارف باستانبول عام ١٩٥١م.

(و)

٥٦٧ ـ الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب. ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير عيون، بيروت.
٥٦٨ ـ الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ألمانيا، دار النشر: فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٥٦٩ ـ الوجوه والنظائر. الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: محمد الزفيتي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٥٧٠ ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق ـ بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٧١ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٧٢ ـ وضح البرهان في مشكلات القرآن. محمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق ـ بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٧٣ ـ وفيات الأعيان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

(ي)

٥٧٤ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. عبدالملك الثعالبي، شرح وتحقيق الدكتور: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٣

تفسير الراغب الأصفهاني ٤

أسباب اختياري لتفسير الراغب الأصفهاني ٤

خطة البحث ٧

أولاً: قسم الدراسة ١٩

الفصل الأول: حياته الشخصية ١٩

المطلب الأول: عصره ٢٠

المطلب الثاني: ولادته ونشأته ٣٤

أوهام حول حياة الراغب ٤٥

كتب ترجمت للراغب ٤٧

رسائل علمية وتحقيقات لكتب الراغب ٥٠

المطلب الثالث: وفاته ٥٢

الفصل الثاني: حياته العلمية ٦٣

المطلب الأول: طلبه للعلم وشيوخه ٦٤

المطلب الثاني: تلاميذه ٦٨

المطلب الثالث: آثاره العلمية ٧٣

المبحث الأول: آثاره العلمية المطبوعة ٧٤

١-رسالة في الاعتقاد ٧٤

٢ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ٧٧

٣-الذريعة إلى مكارم الشريعة ٧٩

٤-مفردات ألفاظ القرآن ٨٣

٥-محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء ٨٨

٦-مجمع البلاغة (أفانين البلاغة) ٩١

المبحث الثاني: آثاره العلمية المخطوطة ٩٦

١-رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم ٩٦

٢- رسالة في ذكر الواحد الأحد ٩٧

٣-رسالة في آداب مخالطة الناس ٩٧

٤-رسالة في مراتب العلوم ٩٨

٥-تفسير القرآن ٩٨
٦-تحقيق البيان عن تأويل القرآن ٩٩
٧-درة التنزيل وغرة التأويل ١٠٠
المبحث الثالث: آثاره العلمية المفقودة ١١٢
١-أصول الاشتقاق ١٠٠
٢-تحقيق البيان في تأويل القرآن ١٠٠
٣-الرسالة المنبهة على فوائد القرآن ١٠٠
٤-رسالة مفردة لشرح حديث: (ستفترق أمتي) ١١٣
٥-عيون الأشعار ١١٣
٦-نكت الأخبار ١١٣
٧-شرف التصوف ١١٤
كتب منسوبة للراغب ١١٤
١-أخلاق الراغب ١١٤
٢-احتجاج القراء ١١٤
٣-أدب الشطرنج ١١٥
٤-كلمات الصحابة ١١٥
٥-مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت ١١٥
٦-المعاني الأكبر ١١٥
المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه ١١٧
الفصل الثالث: دراسة تحليلية للكتاب المحقق ١٢٠
المطلب الأول: نسبته ١٢١
المطلب الثاني: أهميته ١٣٥
المطلب الثالث: منهجه في كتابه من خلال الجزء المحقق ١٣٩
المبحث الأول: مصادر الراغب الأصفهاني في تفسيره ١٣٩
أولاً: المصادر العامة ١٤١
١-القرآن الكريم ١٤١
٢-السنة النبوية ١٤٢
٣-أقوال الصحابة ١٤٣
٤-أقوال التابعين ١٤٤
ثانياً: المصادر الخاصة ١٤٦
١-كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١٤٧
٢-كتاب معاني القرآن للأخفش ١٤٧

٣-معاني القرآن للفراء ١٤٨
٤-تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٥٠
٥-مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٠
٦-كتاب سيبويه ١٥١
٧-معاني القرآن للزجاج ١٥٢
٨-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥٤
٩-المقتضب للمبرد ١٥٦
١٠-كتاب الفروق لأبي هلال العسكري ١٥٧
١١- تفسير الجبائي ١٥٨
١٢-تفسير الأصم ١٥٩
١٣-كتاب النظم للجرجاني ١٦٠
١٤-تفسير ابن بحر ١٦٠
كتب أخرى ١٦٢
المبحث الثاني: تحديد نوعية تفسير الراغب ١٦٤
المبحث الثالث: محاور منهج الراغب في التفسير ١٦٩
المحور الأول: تفسير القرآن بالقرآن ١٧٠
أولاً: تفسير الآية بنظائرها ١٧٠
ثانياً: الاستدلال بالقرآن على تعدد معاني الكلمة الواحدة ١٧٣
ثالثاً: توضيح المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات الأخرى ١٧٥
رابعاً: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف من آيات الكتاب العزيز ١٧٦
القراءات في تفسير الراغب ١٧٨
المحور الثاني: السنة النبوية في تفسير الراغب ١٨٥
أولاً: الاستشهاد بالحديث على معنى الآية وتأكيده ١٨٦
ثانياً: تفسير القرآن بالسنة ١٨٧
أسباب النزول في تفسير الراغب ١٩٥
المحور الثالث: أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الراغب ٢٠٢
حجية تفسير الصحابة ٢٠٤
حجية تفسير التابعين ٢٠٥
المحور الرابع: العربية في تفسير الراغب ٢١٨
أولاً: بيانه للمفردات القرآنية ٢١٩
ثانياً: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق ٢٢٣
ثالثاً: عنايته بالفروق اللغوية ٢٢٨
رابعاً: عنايته بالتعليل اللغوي ٢٣١

خامساً: إيراده أقوال اللغويين والنحاة ٢٣٨
سادساً: قدرته على النقد اللغوي ٢٤٠
سابعاً: عنايته بالنحو والإعراب ٢٤٦
ثامناً: عنايته بالبلاغة ٢٥٣
المحور الخامس: مجالات النظر في تفسير الراغب ٢٦٠
أولاً: مكانة العقل في تفسير الراغب ٢٦٠
ثانياً: استخدامه القياس العقلي والقضايا المنطقية ٢٦٢
ثالثاً: نظره في حكمة الترتيب ٢٦٤
رابعاً: حرصه على دفع توهم التعارض بين أدلة الوحي ٢٦٧
خامساً: قدرته على السبر والتقسيم ٢٧٠
المحور السادس: مسائل العقيدة في تفسير الراغب ٢٧٤
أولاً: موقفه من الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة ٢٧٤
ثانياً: منزلة العمل من الإيمان عند الراغب ٢٧٤
ثالثاً: إثبات بعض الصفات ٢٧٥
١-صفة المحبة ٢٧٥
٢-صفة المكر ٢٧٦
٣-صفة الشكر ٢٧٧
رابعاً: تأويل بعض الصفات ٢٧٧
خامساً: كلامه في النبوة والمعجزات ٢٧٨
سادساً: كلامه في الشرك والكفر ٢٨١
سابعاً: ردوده على الفرق والطوائف ٢٨٢
المحور السابع: مسائل الفقه في تفسير الراغب ٢٨٧
أولاً: عنايته بأقوال الفقهاء ٢٨٧
ثانياً: ترجيحه بين الأقوال ٢٨٨
ثالثاً: انتصاره للشافعي والشافعية ٢٩٠
رابعاً: عذر المجتهد ٢٩٢
خامساً: قوله في القياس والاجتهاد والاستنباط ٢٩٢
المطلب الرابع: موضوعاته، ودراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة من خلال الجزء المحقق ٢٩٣
تمهيد ٢٩٣
أولاً: موضوعاته ٢٩٣
المبحث الأول: مقارنة بين منهج الزمخشري والراغب في التفسير ٢٩٨
١-تفسير القرآن بالقرآن ٢٩٨

٢-القراءات ٣٠١
٣-الاستشهاد بالسنة النبوية ٣٠٣
٤-أسباب النزول ٣٠٦
٥-أقوال الصحابة والتابعين ٣٠٧
ثانياً: مسائل اللغة والنحو بين الزمخشري والراغب ٣٠٩
ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين الزمخشري والراغب ٣١٣
رابعاً: مسائل الفقه بين الزمخشري والراغب ٣٢١
المبحث الثاني: مقارنة بين منهجي الراغب وابن عطية ٣٢٥
١-التفسير بالمأثور بين ابن عطية والراغب ٣٢٥
أولاً: تفسير القرآن بالقرآن ٣٢٥
ثانياً: القراءات ٣٢٧
ثالثاً: الاستشهاد بالسنة النبوية ٣٣١
رابعاً: أسباب النزول ٣٣٦
خامساً: الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين ٣٣٩
٢-مسائل اللغة والنحو بين ابن عطية والراغب ٣٤٢
٣-مسائل الاعتقاد بين ابن عطية والراغب ٣٤٧
٤-مسائل الفقه بين ابن عطية والراغب ٣٥١
المبحث الثالث: مقارنة بين منهجي الراغب والبغوي في التفسير ٣٥٩
أولاً: التفسير بالمأثور بين البغوي والراغب ٣٦٠
١-تفسير القرآن بالقرآن ٣٦٠
٢-القراءات ٣٦٢
٣-الاستشهاد بالسنة النبوية ٣٦٥
٤-أسباب النزول ٣٦٩
٥-أقوال الصحابة والتابعين ٣٧١
ثانياً: اللغة والنحو بين البغوي والراغب ٣٧٤
ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين البغوي والراغب ٣٧٧
رابعاً مسائل الفقه بين البغوي والراغب ٣٨٠
المطلب الخامس: النسخ الخطية وتوصيفها ٣٨٨
نسخ أخرى نسبت للراغب وليست له ٣٩٢
صور لنماذج من مخطوطات تفسير الراغب الأصفهاني ٣٩٦
ثانياً: قسم التحقيق ٤٠١
سورة آل عمران ٤٠١

سورة النساء ١٠٧١
الفهارس العامة ١٤٣٧
فهرس الآيات القرآنية ١٤٣٨
فهرس الأحاديث النبوية ١٥١١
فهرس الآثار ١٥٢٠
فهرس الأعلام ١٥٢٤
فهرس الأشعار ١٥٢٨
فهرس الأمم والشعوب والقبائل والجماعات ١٥٣٧
فهرس الأماكن والمواضع والبلدان ١٥٣٩
فهرس المذاهب والفرق والطوائف والأديان ١٥٤٢
فهرس المفردات الغريبة المفسرة ١٥٤٤
فهرس الفوائد اللغوية والنحوية والبلاغية ١٥٥٥
فهرس المصادر والمراجع ١٥٥٧
فهرس الموضوعات ١٦٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

إن أعظم ميراث تركه العلماء المصنفات التي ينهل منها طلاب العلم ، ولعل عالماً كالراغب الأصفهاني لما يتمتع به من مكانة علمية عظيمة تدفع بنا إلى إخراج كتابه من ظل المكتبات وهذا لا يقل أهمية عن كتابه المفردات ، الذي يعتمد عليه جل طلاب العلم ، وقد كان عنوان البحث((تفسير الراغب الأصفهاني المتوفى في حدود سنة ٤٥٠هـ دراسةً وتحقيقًا من سورة النساء أية (١١٤) حتى نهاية سورة المائدة)).

كما أنها فرصة عظيمة للباحثة في تنمية معارفها بعلوم شتى ، مع الرغبة والحرص على الارتباط بالقرآن الكريم .

وقد اشتملت على مقدمة وقسمي الدراسة و التحقيق ، قسم الدراسة ويشمل على أربعة فصول ،الفصل الأول عن حياته الشخصية ،ويحتوي على ثلاثة مباحث،الأول يتكلم عن عصره الذي عاش فيه الذي شهد ظهور عدد من الدويلات التي انسلخت عن الدولة العباسية ،المبحث الثاني : مولده ونشأته في بغداد وأصله من أصفهان ،والثالث : وفاته وأنه وقع في اضطراب شديد ويرجح وفاته في حدود سنة ٤٥٠هـ

الفصل الثاني : يتكلم عن الحياة العلمية للراغب وفيه أربعة مباحث:الأول طلبه للعلم وشيوخه من أهل السنة وغيرهم ،الثاني : تلامذته وقلة هؤلاء التلاميذ لذا لم تجد الباحثة له سيرة شاملة عن حياته ،الثالث : أثاره العلمية وفية ثلاثة مطالب:

الأول: أثاره العلمية المطبوعة ،الثاني: آثاره العلمية المخطوطة :الثالث : آثاره العلمية المفقودة.المبحث الرابع: فهو يتضمن ثناء العلماء عليه .

الفصل الثالث :دراسة تحليلية للكتاب المحقق ، وفية أربعة مباحث، الأول : نسبته .الثاني: أهميته . الثالث: ،منهجه في كتابه (من خلال الجزء المحقق) ويتضمن ثلاثة مطالب :الأول : المصادر وتنقسم إلي قسمين المصادر العامة كالقرآن ، والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين .

المصادر الخاصة وعددها (١٤) مصدراً . المطلب الثاني تحديد نوعية تفسير الراغب الأصفهاني وهو من التفسيرالمحمود.

المطلب الثالث محاور منهج الراغب وهي سبعة محاور ، الأول تفسير القرآن بالقرآن ،الثاني: تفسير السنة النبوية ،الثالث:أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره ،الرابع: العربية في تفسيره ،الخامس:مجالات النظر في تفسيره . السادس: مسائل العقيدة ،السابع:المسائل الفقهية . المبحث الرابع : يتكلم عن موضوعاته ومقارنته بكتب التفسير المشابهة له كتفسير الزمخشري .

القسم الثاني : فهو قسم التحقيق وحيث إنه أستوفى القدر المطلوب وحسب قواعد التحقيق . وكان أهم ثمرات هذه الدراسة أن الراغب الأصفهاني يعتبر من علماء القرن الخامس الهجري وأنة شافعي المذهب سلفي العقيدة إلا أنة يؤول بعض الصفات ، وهذا لا يقلل من أهمية الراغب ومكانته العلمية وحتى نصل إلى الغرض المطلوب لابد أن تكون هناك دراسة لكتابة المفردات توضح هذا المنهج الذي سلكه الراغب في بيان المعاني حتى لا يلتبس على كثير ممن يرجع إليه في مراحل التعليم العام . كما أن تفسيره هذا يعد موسوعة لغوية شعرية لو قامت دراسة له على غرار شواهد القرطبي لكان عمل جيد ، لبيان وإبراز مكانة هذا العالم .

Abstract

The most important inheritance of our scholars is their books which are the sciences' sources to their students. Arragheb Al-Asfahani is one of these scholars. He has a very high rank and prestige among our scholars. We should re-read and investigate his books. Al-Mofradate (Arabic Vocabularies) is one of the most famous books among his students. The recent investigation is for the Al-Asfahani Explanation (Tafseer Al-Asfahani), from Surat Al-Nesa'a to the verse no 114 in Suratul Ma'edah.

It is a great chance for the researcher to develop and advance his skills in different fields of knowledge and Holy Qura'an.

The study is divided into an introduction and the two parts of study and investigation. The study part consists of four chapters; the first one is about the personal data of the author. This chapter consists of three points, the first is about political incidents during the author's life, and the small three countries separated from the Abyssinian Islamic state in that time. Then the second point is about his birthdates, his life time, origins, and his birth place "Asfahan". The third point is about his undefined death date. It is probable of 450 H.

The second chapter: This chapter discusses the scientific life of the author. This chapter is divided into four points, the first one is about his teachers, and the second is about his students. He has a very little numbers of students. So, it is very hard to find a complete personal data. The third point is about his scientific life of the author. This point is divided into his books, his manuscripts, his lost works and the praise of the other scholars upon the author.

The third chapter is an analytical study of the book, and it is divided into four points. The first is the book's importance, the methodology of the author in this book, this methodology depends on two points, and the first is the sources of the book. There are two courses they are the general sources such as the Holy Qura'an, and the second source is our prophet Mohammed and his follower's speech and talks.

The private sources are (14). The second point is about determining Al-Asfahani' direction in Explaining the Holy Quran. The third point is about Arragheb seven axes', The first axis is about explaining the holy Qura'an with the verses of the Qura'an itself. The second axis is to explain the Holy Qura'an with the traditions and speech of our prophet. The third one is by using the prophet's followers. The fourth axis is using the Arabic language rules in explaining the holy Qura'an. The fifth one is the thoughts and ideas in his explanation. The sixth is the belief's matters. The seventh one is the Feqh (jurisprudence) problems. The fourth point is about the subjects, comparing the explanation works and books such as Al- Zamakhshari.

The second part of the study is about investigating the book. The study comes to the results that Arragheb Al- asfahani is one of the 5th century scholars, with Shafee religious career, Salafi beliefs, In other hand, he interprets Allah's description in the Holy Qura'an. At last, I suggest that it should be taken in consideration, that it is very important to have more than a research about this subject, but we should introduce other books about the scholar and his methods in explaining the holy Qura'n vocabularies. At last, we should do our best to present a complete works about theis one such we do with Al-Qurtobi.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :-

فإن أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً ، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ، ومبنى قواعد الشرع وأساسها ، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها .

وكان من لطف الله بي أن سهَّل لي طريق العلم الشرعي ، والذي ما زلت أتتلمذُ تحت سقفه ، ومن تيسيره لي أن وقفت على هذه المخطوطة للراغب الأصفهاني في تفسير القرآن ، وذلك بعد أن أعتذر الدكتور عادل الشدِّي عن جزء من تلك المخطوطة . فشرعت في قراءة ذلك الجزء ونسخه ، فوجدته تفسيراً مميزاً وله فوائد عظيمة ، وبعد الاستخارة والاستشارة عزمت على التقدم بدراسة وتحقيق الجزء الذي تركه الدكتور من هذا التفسير، لنيل درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى تحت عنوان تفسير الراغب الأصفهاني ،دراسة وتحقيقا،من الآية(١١٤)من سورة النساء وحتى نهاية سورة المائدة ،ولهذا التفسيرقيمة علمية عظيمة،نابعة من مكانة مؤلفه وما عرف عنه من تبحره في علوم البلاغة والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان .

وهذا التفسير لايقل أهمية عن كتابه (مفرداتألفاظ القرآن) الذي لايكاد يستغني عنه متخصص في التفسير وعلوم القرآن، وقد توسع _رحمه الله_ *في استخدام هذه العلوم للتوصل من خلالها* إلى فهم آي القرآن ،والاستدلال على مراد الله_سبحانه وتعالى_ واستنباط بعض اللطائف التفسيرية ،التي لاتكاد توجد *عند غيره من المفسرين بالرأي مدعمة بقوة حجته وسعة اطلاعه* ورسوخ قدمه في علوم اللغة العربية ،وإن العمل على تحقيق تفسير الراغب يستلزم البحثفي مجموعة متنوعة من العلوم،وهذا ما يوفر للباحثة الفرص العظيمة في تنمية معارفها بعلوم التفسير وأصوله والحديث وعلومه ،والعقيدة ،والفقه وأصوله ،واللغة ،والقراءات ،والنحو والصرف ،والبلاغة ،والمعاني،والشعر،وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب في لك فن من هذه الفنون ممايقوي بناءها العلمي،ويزيده رسوخا،ولاسيما في مقتبل حياتها العلمية،وخاصة بعد ان اعتذرعن جزء منها الدكتور /عادل الشّدي،فرأيت أنّ إخراجه محققا عمل يستحق بذل الجهدفيه،ومما تجدر الإشارة إليه أن الراغب تقدمة وفاته على كثير من المفسرين الذين حظية

مؤلفاتهم بالإخراج ،وخاصة أنهم نقلوأ عن الراغب كالزمخشري(ت٥٢٨ هـ)(ت٥٤١هـ)،والقرطبي(ت٦٧١هـ)،وغيرهم ممايعطي لتفسيره قيمة علمية تشجع الباحثة تحقيقه *والعمل فيه،وكان الإشتغال بمخطوط يتعلق بتفسير القرآن الكريم فرصة مباركة للنهل من علومه ،ومحاولة الإنتظام في سلك أهله الذين هم أهل الله وخاصته،وتلك أمنية كانت تراودني وكان لهادور كبيرفي اختياري لموضوع هذه الرسالة.*

وتحتوي هذه الدراسة على مقدمة وقسمين،وذكرت في المقدمة الدواعـــي الـــتي دفعت بي إلى الكتابة في هذا البحث،والطريقة التى سلكتها فيه،والصعوبات الـــتي واجهتني،وأما القسمان فهما قسمي الدراسة و التحقيق.

وكان قسم الدراسة يشتمل على أربعة فصول ،فأما الفصل الأول والثاني فإنـــه يتحدث عن حياة الراغب والعصر الذي نشا فيه ، والذي يرجح أنه كـــان في نصف القرن الرابع الهجري وهوالوقت الذي ظهرت فيه الدويلات التي انفصلت عن الخلافة العباسية، وكانت العلاقة بين هذه الدويلات متوترة وعدائية ،مما أدى إلى إنتشارالمذاهب العقائدية وحاصةمذهب الرافضةالذي غلب علـــى حكـــام الدويلات ومن خلال ذلك نشأالراغب في بيئة غير مستقره سياسياودينيا ،غير أن الراغب نشا في بيئة صالحة،واما بالنسبة لوفاته فإنه يترجح أنه كان حيا في حدود سنة (٤٥٠) ،وطلبه للعلم وشيوخه،ونـــدرة التلاميـــذ الذيـــن تتلمذواعلـــى يديه،والميراث العلمي القيم الذي خلفه الراغب ،وثناء العلماء عليه،وأما الفصـــل الثالث والرابع ،فإنه يتعلق بقســـم التحقيـــق ،مـــن صحـــة نســـبة الكتـــاب للراغب،ومدى أهميته،ومنهجه في الكتاب والذي يظهر من خلال المصادر الـــتي اعتمد عليهافي تفسيره،وخاصة أنه يميل إلى التفسيربالرأي المحمود وما يترتب على ذلك من تنوع تلك المصادر ،والمحاور التي سلكها في تفسيره، والذي يظهر مـــن خلاله قدرته على المناقشة بطرق منطقية ،بالإضافة إلى ذلك تجلي عقيدته وكيف أنه أول بعض الصفات بسبب الذين تلقى عنهم ،كما تبين ميله إلى الشـــافعية، وقد عززت هذه الدراسة بمقارنة بينه وبين كتب التفسير المشابهة ،واقتصرت على تفسير الزمخشري لكونه أقرب التفاسير من ناحية العصر ،ولمكانة مؤلفه،والمنـــهج

المتبع في كلا التفسيرين. وكان قسم الدراسة :يشتمل على أربعة فصول: الفصل الأول : حياته الشخصية :وفيه ثلاثة مباحث :المبحث الأول : عصره .المبحث الثاني : ولادته ونشأته .المبحث الثالث : وفاته . الفصل الثاني : حياته العلمية : وفيه أربعة مباحث: المبحث الأول : طلبه للعلم وشيوخه . المبحث الثاني : تلامذته .

المطلب الثالث : آثاره العلمية .وفيه ثلاثة مطالب:المطلب الأول : آثاره العلمية المطبوعة .

المطلب الثاني : آثاره العلمية المخطوطة .المطلب الثالث : آثاره العلمية المفقودة ، وقد قمت بعرض سريع لهذه الآثار دون الكلام عنها وذلك لأن الدراسة السابقة قد تناولت ذلك فلا أجد حاجة لها . المبحث الرابع : ثناء العلماء عليه .

الفصل الثالث : دراسة تحليلية للكتاب المحقق : وفيه خمسة مباحث: المبحث الأول : نسبته .المبحث الثاني : أهميته .المبحث الثالث : منهجه في كتابه (من خلال الجزء المحقق) .وفيه ثلاثة مطالب :المطلب الأول : مصادر الراغب الأصفهاني في تفسيره .أولاً : المصادر العامة وهي القرآن،والسنة النبوية،وأقوال الصحابة التابعين .ثانياً : المصادر الخاصة وهي أربعة عشر مصدرا ،المطلب الثاني : تحديد نوعية تفسير الراغب الأصفهاني . المطلب الثالث : محاور منهج الراغب الأصفهاني في التفسير وفيه سبعة محاور ،المحور الأول : تفسير القرآن بالقرآن وحمل المطلق على المقيد،وتفسير الآية بمثيلتها، والجمع بين مايتوهم أنه مختلف.المحورالثاني :الإستشهاد بالسنة النبوية بتأكيد معنى الآية،وتوضيح المجمل ،وبيان أصل الكلمة ،وأسباب الترول.المحور الثالث : أقوال الصحابة والتابعين

وتعدده،ومناقشته لها،والتأليف بينها . المحور الرابع : العربيةفي تفسيره وبيانه للمفردات،وعنايته بالأصول اللغوية،والفروق اللغوية،وعنايته بالتعليل من تقديم وتأخير،وتكرار،واختيار لفظ،واختصاص،وإيرده أقوال اللغويين والنحاة وقدحصرت عددها والتي تصل إلى عشرةأقوال،وبيان قدرته على نقدها وذلك بعرضه للقول ومناقشته وترجيحه له وقد يضعفه،وعنايته بالإعراب في توضيح المعنى،وذكره لبعض القواعد النحوية،وترجيحه لبعض وجوه الإعراب،وعنايته بالبلاغة ويتمثل في اسلوب الإستجواب،الإستعارةوالتشبيه،الجمع والتثنية،الاستئناف،الإعتراض،قاعدةفي الأدوات والضمائر،والإلتفات.

المحور الخامس : مجالات النظر في تفسيره ،ومكانة العقل عنده ومناقشته القضايا بطرق منطقية،وحكمته في الترتيب ،وحرصه على دفع توهم التعارض بين أدلة الوحي ،وقدرته على السبر والتقسيم. المحور السادس:مسائل العقيدة في تفسيره،ويتمثل في مترلة العمل من الإيمان ،وحجية الإجماع ،وإثباته لبعض الصفات مثل الإرادة ، والرؤيا ، وإقاع العداوة ، وتأويله لصفات اليد والعلو و السمع و البصر،وقد ترددفي صفتي الخلة والمحبة.وقد سار على بعض أصول المعتزلةفي الوعد والوعيد ،وأفعال العباد ،وكلامه في التشريعات والنبوات والمعجزات ،والكفر والضلال والظلم ،وقد قسم الكفر إلى نوعين وفرق بينه وبين الضلال،وتجده يردعلى بعض المذاهب كالرافضة. المحور السابع : مسائل الفقه في تفسيره ، وقداعتنى بالأقول الفقهية وخاصة الشافعية ويرجح بين الأقوال.المبحث الرابع : موضوعاته ، ودراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة .

واتضح من خلال ذلك أن الراغب لم يكن غرضه من هذا التفسير الإنتصار لمذهبه ،و لم يعرض بأحد، فجاء تفسيره علىهذا النحو المميز .المبحث الخامس : النسخ الخطية وتوصيفها .

وقد كان عملي في هذا الجزء من المخطوط حيث قمت بنسخه ، وضبط نصِّه وفق قواعد الإملاء المتعارف عليها ، حيث كان الناسخ يكتب بعض الكلمات على خلاف تلك القواعد . وأثناء اشتغالي بنسخ المخطوط قسمت الكلام إلى فقرات وجمل ، مستعيناً في ذلك بعلامات الترقيم المعروفة ،ووضعت خطًّا مائلاً هكذا (/) للدلالة على موضع ابتداء الصفحة في المخطوط ، وأضع بحذائه في الهامش رقم اللوحة والوجه منها ،وأثبتُّ الآيات القرآنية من المصحف الشريف وفق الرسم العثماني ، وجعلت الآية بين قوسين ﴿ ﴾ ، وذكرت اسم السورة ورقم الآية في الهامش . وقد صوَّبت ما أخطأ الناسخ في كتابته من الآيات وقدأشرت إلىبعضهافي الهامش . ووثقت القراءات المختلفة التي ذكرها الراغب ، وذلك بنسبتها إلى أصحابها وقد قمت بالرجوع إلى الكتب التي عُنيت بأسباب النزول وغيرها من كتب التفسير والحديث طلباً لتوثيق أسباب النزول التي ذكرها الراغب . وخرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الحديثية الأصيلة ، إضافة إلى كتب التفسير المسندة و لم ألتزم بذلك . وقد اجتهدت في تخريج الأحاديث من معظم المصادر المتوفرة لدي وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بذلك وإلا ففي بقية الكتب الستة فإن لم أجده بحثت في ماتوفر لدي من كتب حديثية . وقد ندّ عليَّ نزرٌ يسير من الأحاديث لم أقف على تخريجها في المصادر المتوفرة لديّ .،وأما بالنسبة

للحكم على الأحاديث ، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني لا أتعرض للحكم عليه لصحة أحاديث هذين الكتابين وتلقي الأمة لهما بالقبول وإذا كانت الحديث في غير الصحيحين فإنني أحاول – قدر الإمكان – إثبات كلام أهل العلم ونقاد الأسانيد حول هذا الحديث من حيث الصحة أو الضعف ، فإذا وجدت كلاماً للمتقدمين حول الحديث فإنني أكتفي به ، فإن لم أجد أثبتُّ ما أجده من كلام المتأخرين في الحكم على الحديث ، وقد لاحظت أثناء النسخ أن الناسخ يُغفل التصلية والتسليم أحياناً عند ذكر النبي ﷺ وقد يرمز لها اختصاراً ، فكنت أقوم بإثباتها كاملة مع الإشارة في الهامش إلى ذلك . وقد جعلت الأحاديث النبوية بين حاصرتين : ( ) . وقُمتُّ بتسويد نصِّها لتتميزعن الآثار والنصوص الأخرى التي يذكرها المؤلف في المتن . وخرَّجت الآثار الواردة في المخطوط عن الصحابة والتابعين ، بقدر الطاقة ، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير المسندة : كتفسير : ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، والنسائي ، وعبد الرزاق ، وغيرهم إن وجد . لاحظت أثناء تخريجي للأحاديث والآثار أن الراغب كثيراً ما يوردها بالمعنى دون الالتزام باللفظ الذي وردت به ، فكنت أثبتُ تخريج هذه الأحاديث والآثار من أقرب الألفاظ ، وإن كان هناك اختلاف في اللفظ ما دام المعنى متَّفقاً. تتبّعت الأبيات الشعرية والأمثال الوارد ذكرها في المخطوط ، واجتهدت في نسبتها إلى قائليها ، والكتب التي أوردها بقدر الطاقة ، وربما مرّت عليّ الأيام المتوالية في البحث عن شطر بيت أو عجزه في مظانه ، فلا أعثر عليه بعد ذلك والله المستعان . شرحت كثيراً من الألفاظ الغريبة والمصطلحات التي ذكرها الراغب ، وكان اعتمادي في ذلك على المصادر

الأصليَّة في اللغة وكتب الغريب في القرآن والسنة . وقد كنت أكتفي أحياناً بشرح الراغب لها في تفسيره إذا كان الشرح وافياً والمعنى قريباً من الأفهام . وكنت – أحياناً – أعلق على بعض القضايا اللغوية والنحوية والبلاغية – حسب الحاجة – معتمداً على المصادر الأصلية في كل فن من تلك الفنون . قمت بالتعليق على كثير من المواضع التي رأيتها تحتاج إلى تعليق ، وذلك لبيان مشكل ، أو كشف غامض ، أو إزالة لبس ، أو تصويب خطأ ، أو زيادة فائدة أو تأييد رأي ذهب إليه الراغب أو مخالفته ، فقمت بنقل آراء من يوافقه أو يخالفه من المفسرين .

ولم ألتزم التعليق على كل قضية في المخطوط خوفاً من إثقال الحواشي بما لا يخدم مجال البحث ، كما أشرت في كثير من المواضع إلى الفقرات التي نقلها بعض المفسرين عن تفسير الراغب الأصفهاني زيادة في توثيق النص وبيان مكانة تفسير الراغب لدى من جاء بعده من المفسرين . وترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في المخطوط ترجمة مختصرة ، وقد تركت الترجمة لبعض الأعلام لشهرتهم : كالأنبياء والملائكة ، أو لعدم وجود ذكر لهم في كتب التراجم المتوفرة لديّ ، وقد اكتفيت بترجمة العَلَم عند أوّل موضع يرد فيه من التحقيق ، فإذا تكرر ذكر العَلَم بعد ذلك فإني لا أشير إلى موضع ترجمته السابق ، لكثرة ذكر بعض الأعلام وتوالي ذلك في الورقة الواحدة أكثر من مرة في بعض الأحيان ولعدم إثقال الحواشي ، ولوجود فهرس تفصيلي للأعلام في آخر الرسالة يمكن من خلاله العثور على مكان الترجمة بسهولة . تتبَّعت ما ذكره الراغب من أقوال عن غيره من العلماء ، فوثَّقت معظمها بالرجوع إلى كتب أصحابها إن وجدت

، أو إلى المصادر التي ذكرت تلك النقول عنهم . وقد استغرق منّي ذلك جهداً ووقتاً كبيرين بسبب عقلية الراغب الموسوعية وسعة اطلاعه وكثرة نقوله في فنون متعددة من العلم . وفات عليَّ شيءٌ يسير من ذلك ، لكون كتب من نقل عنهم مفقودة ، ولعدم إشارة المراجع التي بين يديّ إلى هذه النقول في مظانها .

ووّثقت كثيراً من المسائل الفقهية التي ذكرها الراغب من الكتب المعتمدة لكل مذهب من المذاهب التي أشار إليها ، وقد حرصت على عدم التوسع والاستقصاء في ذلك ، لعدم إطالة الحواشي بما ليس من صُلب البحث . وإذا لم يُشر إلى مذهب من المذاهب فإني لا ألتزم البحث في ذلك . ذكرت تعريفاً موجزاً بالأماكن والقبائل والفِرق والمذاهب التي ورد ذكرها في المخطوط ، وذلك بالرجوع إلى الكتب المختصة في ذلك . واستثنيت من ذلك ما كان مشهوراً بحيث تغني شهرته عن التعريف به ، وكذا ما لم أقف له على ذكر في المصادر المتوفرة لديَّ . وقمت بعمل اثني عشرة فهرساً لتيسير البحث في الرسالة هي : فهرس الآيات القرآنية ، فهرس الأحاديث النبوية ، فهرس الآثار ، فهرس الأعلام المترجمة لهم ، فهرس الأشعار ،فهرس القبائل والجماعات ،فهرس الأماكن والمواضع والبلدان ،فهرس الفرق والمذاهب والأديان ، فهرس الكلمات الغريبة المفسّرة ،فهرس الفوائد النحوية واللغويّة والبلاغيّة ،فهرس المصادر والمراجع ، فهرس الموضوعات .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ من أهم الصعوبات التي واجهتها خوض المؤلف في علوم شتى ، وعدم تقيده بتخصص محدد – كعادة العلماء السابقين ذوي الثقافة الموسوعية – مما يستلزم الرجوع إلى كتب كل فن خاض فيه ، وتوثيق المعلومات

٠٠٥٢٧٣

التي يوردها من خلال الكتب المعتمدة في ذلك وخاصة أنها نسخة وحيدة. ومنها ايضاً نقل المؤلف عن بعض أئمة المعتزلة ، الذين تعتبر كتبهم في التفسير في حكم المفقودة ، مما يتطلب تتبُّع هذه الأقوال عند المفسرين ، الذين قد يهتمون بـإيراد أقوال أئمة المعتزلة ولو في مواضع وسور أخرى ، غير تلك ذكر المؤلف أقوالهم عندها ، وما يتبع ذلك من الجهد طلباً للتوثيق العلمي بقدر الطاقة . وما عدا ذلك فلم تكن هناك صعوبات تذكر ، ولله الحمد والمنة .

وفي ختام هذه المقدمة فإنني أشكر الله – عز وجل – على ما أنعم به عليّ من النعم العظيمة والآلاء الجسيمة ، وما وفق إليه من تيسير إنجاز هذا البحث .

كما أوجه شكري لوالديّ الكريمين فجزاهما الله عني خير ما جزى والدينً عن أبنائهما ، وأسأل الله أن يوفقني إلى برهما والإحسان لهما فيما بقي من عمري ، وأن يجعلني دوماً عند حسن ظنهما .

وأيضا أتوجه بالشكر الجزيل لزوجي على حدبه عليّ ورعايته لي ونصحه وتوجيهه فقد كان بعد الله سببا يدفعني دوما إلى مواصلة طلب العلم والنهل منه.

ولا يفوتني أن أشكر شيخي وأستاذي الدكتور / محمد الخضر الناجي على قبوله الإشراف على هذه الرسالة رغم كثرة مشاغله ، ومرضه شفاه الله ، وما غمرني به من حسن الرعاية وكريم التواضع ، فقد فتح لي قلبه وشملني برحمته ، وسارع دوماً بالإجابة على استفساراتي ، ولم يتبرم بكثرة الاتصالات والزيارات ، التي توالت عليه حتى في أوقات الإجازات الرسمية ، فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه .

كما لا أنسى أبداً شيخي الفاضل والأب الرحيم والمعلم الرباني الأستاذ

الدكتور / أمين باشا الذي سارع بمساعدتي و لم يتبرم بكثرة اتصالاتي ، جعل الله ذلك في ميزان حسناته .

كما أشكر كل من قدم لي نصحاً أو توجيهاً أو مساعدة في الحصول على صور المخطوطات وفي المراجعة والتصحيح ، فلهم منّي جزيل الشكر والتقدير ، وأخص منهم أخي الدكتور / عادل الشدي على دوره في حصولي على صور المخطوطة ، التي احتجتها أثناء البحث . وحيث أنني ألفيت رسالته موسوعة علمية لحياة الراغب الأصفهاني لم تسبق إليها دراسة وقد انتفعت بها في مجال الدراسة.

والشكر موصول للشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين:

فضيلة الأستاذ الدكتور /أمين بن محمد عطيه باشا،

وفضيلة الدكتور/أحمد عطاالله عبد الجواد.

على قبولهما مناقشة هذه الرسالة،وإفادتي بتوجيهاتهما وملاحظتهما القيمة.

كما أشكر الدكتور الفاضل /غالب الحامض ،والأخوات الفاضلات/خيرية عمر ،ومريم بنيان ،ونوال محمد سردار.

على كل ما قدموه لي من نصح وإرشاد ومعونة.

ولا يفوتني أن أهدي شكري للأستاذ /عبد السلام بن عبد الصمد والأستاذ/عوض المالكي .

لقيامهما بطباعة هذه الرسالة ،فجز الله الجميع عني خير الجزاء وأوفاه .

وبعد :

فهذا هو جُهد المقل وبضاعة المقصِّر ، أقدمه بعد أربع سنوات مـــن العمل المتواصل ، وحسبي أنِّي لم أدّخر جهداً في سبيل إتقـــان عملـــي ، وأسأل الله القبول والسداد والهدي والرشاد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * * * * * * * *

أولا

قسم الدراسة

الفصل الأول

حياته الشخصية

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : عصره
- المبحث الثاني : ولادته ونشأته
- المبحث الثالث : وفاته

المبحث الأول

عصره

شهد القرن الرابع الهجري – وهو القرن الذي يُرجّح أن الراغب الأصفهاني ولد بعد مضي نصفه الأول – توالي ظهور الدويلات الصغيرة التي تنسلخ عن الخلافة العباسيّة مكرسة حالة الفرقة والانقسام ، التي أضعفت المسلمين سياسياً وعسكرياً في ذلك العصر . وقد كانت العلاقات بين هذه الدويلات الناشئة متوترة وعدائيّة في الغالب ، وظهرت النزعات العسكريّة بين البويهيين والسامانيين (١) وبين السامانيين والغزنويين (٢) ، وبين البويهيين والحمدانيين (٣) . وهذا الأمر ولّد حالة من عدم الاستقرار السياسي ، جعلت حكام هذه الدويلات يعملون السيف في الناس بالبطش والترهيب ، لتثبيت أركان حكمهم ، وردع الموالين لأعدائهم ، خوفاً من زوال سلطانهم واجتثاث كياناتهم .

وكانت أبرز هذه الدويلات [دولة بني بوية] (٤) التي تأسست سنة ٣٢٠ هـ

(١) انظر:الكامل لابن الأثير (٧/١٠٨) ،انظر تفسير الراغب الأصفهاني تحقيق الدكتور عادل الشدي (١/٢٠) بتصرف .

(٢) انظر : الكامل (٧/١٩٦) ، والبداية والنهاية (١١/٣٤٧) .

(٣) انظر : الكامل (٨/١٠) و (٧/٩٢) ، والبداية والنهاية (١١/٢٢٦) .

(٤)وينتسب بنو (بويه) إلى بمرام جود الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك انظر البداية والنهاية (١١/٢٢٦).

، واستمر حكمها حتى سنة ٤٤٧ هـ ، وسيطرت خلال هذه الفترة على بلاد فارس المترامية الأطراف ومنها : أصفهان التي ينتمي إليها : [الراغب الأصفهاني] ، بل بلغ من قوتها أن أخضعت العراق وعاصمة الخلافة [بغداد] لسيطرتها في عام ٣٣٤ هـ على يد معز الدولة بن بويه ، وأصبح الخليفة في بغداد مجرد رمز يتحكم فيه البويهيون ، وصار لحكام بني بويه القدرة على عزل الخليفة ، بل وتأديبه وسجنه إذا لزم الأمر . وكان السلاجقة قبل ذلك قد استولوا على [أصفهان] والري وجرجان وطبرستان وخوارزم وأذربيجان (١) ، واستمر [طغرلبك] في الحكم حتى توفي سنة [٤٥٥ هـ] ، فخلفه ابن أخيه [ألب أرسلان] حتى توفي سنة [٤٦٥ هـ] ، وخلفه ابنه [ملك شاه] ، الذي توسع ملكه حتى شمل حلب وترمذ واليمن وبلاد ما وراء النهر ، وكانت وفاته سنة ٤٨٥ هـ . في ظل هذه الصراعات السياسيّة والعسكريّة في مناطق العراق وأصفهان وبلاد فارس وتنازع هذه الدويلات مع بعضها البعض من جهة ، وتنازع ملوك هذه الدويلات وتطاحنهم على الحكم من جهة أخرى ، نشأ [الراغب الأصفهاني] في هذه البيئة غير المستقرة سياسياً .

وفي تلك الفترة انتشرت مذاهب الرافضة في عامّة بلاد المغرب ، ومصر ، والشام ، وديار بكر ، والكوفة ، والبصرة ، وبغداد وجميع العراق ، وبلاد خراسان ، وما وراء النهر ، مع بلاد الحجاز ، واليمن ، والبحرين وكان الحكم

---

(١) انظر : الكامل (٨/٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٥٤) ، والبداية والنهاية (١١/١٢/٥٣ و ٥٤ و ٦٦) .

في أغلب هذه الأقاليم لهم كالفاطميين وبني بويه وغيرهم (١) ، مما حدا ببعض الباحثين إلى تسمية القرن الرابع الهجري بـ : ((عصر الحكم الرافضي)) . وقد عُرف [البويهيون] الذين عاش [الراغب الأصفهاني] في ظل حكمهم أكثر حياته بالتشيع لآل البيت ونصرة مذهب الرافضة ، حتى قال عنهم ابن كثير : ((وكلهم فيهم تشيّع ورفض))(٢).

وفي سنة ٣٥١ هـ ((رفع المنافقون رؤوسهم في بغداد ، وقامت الدولة الرافضة ، وكتبوا على أبواب المساجد : لعنة معاوية . ولعنة من غضب فاطمة حقها من فدك – يعنون أبا بكر الصديق – . ولعنة من أخرج العباس من الشورى – يعنون عمر بن الخطاب – ولعنة من نفى أبا ذر – يعنون عثمان بن عفان – فمسحته أهل السنة في الليل ، فأمر معز الدولة – البويهي – بإعادته . فأشار عليه الوزير المهلبي أن يكتب : ((ألا لعنة الله على الظالمين لآل محمد ، ولعنة معاوية فقط)) (٣) . فهذا النص يوضح مدى تبني معز الدولة البويهي لمذهب الشيعة ، وتأييده لمعتقد الروافض إلى الحد الذي دفعه إلى إقرار كتابة لعن الخلفاء الثلاثة ومعاوية – رضي الله عنهم أجمعين – على أبواب المساجد ، متحدياً بذلك أهل السنة والجماعة ، الذين كانوا يشكلون إذ ذاك غالبية أهل

---

(١) انظر : الخطط للمقريزي (٣/٣٠٥) . وانظر تفسير الراغب الأصفهاني ،عادل الشدي (٢٤/١).

(٢) **البداية والنهاية (٣٢٨/١١)**

(٣) انظر : العبر ، للذهبي (٨٦/٢) بتصرف يسير . وانظر البداية والنهاية (٢٥٦/١١) .

بغداد ، ومع ذلك فلم يستطيعوا منع هذه الكتابات المسيئة للصحابة ، ولم يقدروا على محوها إلا بالليل خفية ، بسبب تأييد حكام بني بويه لمذهب الرافضة . وكانت الفتنة تقع بين أهل السنة والرافضة فيقتل كثير من الخلق من الفريقين نتيجة استعلان الرافضة بمذهبهم وسبهم للصحابة (١) ركوناً إلى تأييد البويهيين لهم . بالرغم من ذلك فإن الإضرابات السياسيّة لم تؤثر على الحركة العلميّة في ذلك العصر ــ باستثناء اضطرار بعض العلماء والمفكرين إلى عدم الجهر برأيهم في بعض المذاهب ، التي يرون بطلانها بسبب اعتناق حكام تلك الأقاليم لها – وهكذا فقد انضمت إلى العراق مراكز أخرى للحياة العلمية والفكرية : كمصر وبلاد الشام والمغرب والأندلس ، وتميز جنوبي بلاد فارس ، ومنه [أصبهان] موطن [الراغب] ، التي كانت تسمى [عش العلماء] لكثرهم فيها والرّي وخرسان وما وراء النهر بنهضة علمية قوية في ذلك العصر (٢) ، ففي الشام اجتمع في بلاط سيف الدولة الحمداني من الشعراء : المتنبي ، وابن نباته ، والسعدي ، وأبو فراس الحمداني ، وأبو الفرج الببغاء ، والسري الرفاء ، ومن اللغويين ابن خالويه وابن جني (٣) . وقام أبو الفرج الأصفهاني بتقديم كتابه الشهير : الأغاني ، لسيف الدولة (١) لمعرفته بتشجيعه للأدباء ومن في حكمهم ،

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، أحداث سنة ٣٤٨ هـ ، وسنة ٣٥١ هـ (٢٤٨/١١) (٢٥٧/١١) ، وتفسير الراغب الأصفهاني (٢٦/١).

(٢) انظر : ظهر الإسلام ، لأحمد أمين ، (١٦١/١-٣١٠) ، وتفسير الراغب تحقيق عادل الشدي (٢٧/١).

(٣) انظر : تاريخ الأدب العباسي ، نيكلسون ، ص (٤١) .

: الأغاني ، لسيف الدولة [١] لمعرفته بتشجيعه للأدباء ومن في حكمهم ، وإلى جانب الشعراء والأدباء وأهل اللغة ، اجتمع في بلاط سيف الدولة كبار الفلاسفة كالفارابي ، والأطباء الذين بلغوا أربعة وعشرين طبيباً كما ذكر ابن أصيبعة ، مما جعل بلاطه أزهى بلاطٍ في عصره)) [٢] . وفي المقابل كان للبويهيين في العراق وبلاد فارس أثر كبير في النهضة العلمية في مجال التأليف والتدريس ، وكانت [الرّي] عاصمة للقسم الشمالي من بلاد فارس في العهد البويهي ، والذي يضم كرمان والري وهمذان وأصبهان — التي يُقال بأن الاسكندر بناها — وأن أصلها بالفارسيّة شاهان أي مجمع العساكر . وقد شهد عصر الراغب الأصفهاني تراجع مذهب المعتزلة وانحسار مدّه ، ولا سيّما بعد إعلان [أبي الحسن الأشعري] في سنة [٣٣٠ هـ] رجوعه عنه ، ومخالفته لشيخ المعتزلة في وقته [أبي علي الجبَّائي] الذي مكث الأشعري يتتلمذ على يديه أربعين سنة [٣] . واستمر نجم المعتزلة في أفول مع تكاثر المؤيدين لمذهب أبي الحسن الأشعري : كالباقلاني وأبي حامد الإسفراييني وابن فورك وأبي المعالي الجويني إمام الحرمين وأبي حامد الغزالي [٤] ، بل و [الراغب الأصفهاني] نفسه حيث كان ينصر مذهب الأشاعرة في كتبه المختلفة ، حتى وصل الأمر في أوائل القرن الخامس

---

(١) انظر : تفسير الراغب عادل الشدي (١/٢٧).

(٢) انظر : ظهر الإسلام ، أحمد أمين (١/١٨٦ ، ١٨٧) .

(٣) أنظر تاريخ الأدب العباسي (ص/١٧٩)

(٤) انظر : الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ، ص (١٦) ، وانظر تفسير الراغب عادل الشدي (١/٣٠).

الهجري إلى استتابة الخليفة العباسي [القادر بالله] فقهاء المعتزلـــة وإظـــهارهم الرجوع عن الاعتزال [١] . وإلى قراءة كتابه بدار الخلافة في بغداد في مذهب أهل السنة ، وفيه : ((إن من قال : القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم)) [٢] وكـان بعض القضاة يستتيب من ذُكر عنه الاعتزال [٣] . ومع ذلك فقد خلّف المعتزلة – أثناء فترة علو أمرهم واشتهاره باعتناق الخليفة المأمون لمذهبهم ، وحمل النـــاس عليه – إرثاً علمياً كبيراً ، ولا سيّما مع نبوغ بعض أشياخهم في علـــوم اللغـــة والبيان والنحو والإعراب إلى الحد الذي جعل مفسراً شهيراً كالراغب الأصفهاني يكثر من النقل عن أئمتهم : كالجبّائي والنّظام وأبي الهذيل العلاّف والبلخي وأبي مسلم الأصفهاني والجاحظ وغيرهم ، على سبيل المناقشة والرد حيناً ، وعلـــى سبيل التأييد والاستشهاد في أحايين أخرى ، كما سيأتي بيانه لاحقـــاً . ومـــن الواضح أن عصر [الراغب الأصفهاني] قد شهد ظـــهوراً واضحـــاً لمذهـــب [الأشاعرة] ، ولا سيّما مع تبنّي كثير من العلماء المبرزين له ، وتأييدهم إيـــله ، بل وتشنيعهم على مخالفيه [٤] . ورغم ذلك فقد بقي لأهل السنة والجماعة أهـــل

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٧/١٢) .

(٢) ذكر ذلك ابن كثير في أحداث سنة ٤٠٩ هـــ . انظر : البداية والنهاية (٨/١٢) .

(٣)انظر البداية والنهاية. (٨/١٢) حيث أورد قصة استتابة القاضي ابن أبي الشوارب للمصـــيري عمّا ذُكر عنه من الاعتزال في سنة ٤١٧هـــ .

(٤) من ذلك ما وقع في سنة ٤٦٩هـــ حين قدم أبو نصر بن أبي القاسم القشيري بغداد ، فجلـس يعظ الناس في المدرسة النظامية – التي بناها نظام الملك وزير السلطان الســـلجوقي ملكشـــاه .فقرر القشيري للناس مذهب الأشعري ونصره ، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجســيم ،

الأثر والاتباع للسلف الصالح مكانتهم المرموقة ، واحترام أولي الأمر من العلماء والحكام لهم وعدم قبولهم لطعن العامّة في مذهبهم ، وبعد هذه الإشارات الموجزة إلى عصر [الراغب الأصفهاني] والظروف المحيطة به سياسياً وعلمياً ننتقل بالحديث إلى درجة أكثر التصاقاً بالحياة الشخصية للراغب الأصفهاني مولداً ونشأةً . وبالله التوفيق .

=

وساعده أبة سعد الصوفي ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، الذي كان يتولى التدريس بالنظامية ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ، ويسأله المعونة عليهم ، وذهب أتباعه والمتعصبون له إلى شيخ الحنابلة في وقته أبي جعفر بن أبي موسى وهو في مسجده ، فدافع عنه آخرون ، واقتتل الناس بسبب ذلك ، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة . انظر : الكامل (١٢٤/٨) ، والبداية والنهاية (١٢٢/١٢) .

المبحث الثاني

ولادته ونشأته

((الراغب الأصفهاني)) علم مشهور بكنيته ولقبه ، وقد اختلف في اسمه على أقوال أصحّها وأشهرها أنّه :

الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني . وهو ما ذهب إليه الذهبي [١] والفيروز آبادي [٢] ، وتبعهما في ذلك أكثر من ترجم للراغب [٣] . ويعاني كل باحث في حياة الراغب الأصفهاني من مشكلة قلّة المعلومات المتوفرة عنه إلى حد الندرة ، بل إن جميع المصادر التي ترجمت له – على قلتها – لا تذكر تاريخ ولادته ولا مكانها ، وإن كان يرجّح أنه عاش في ((أصفهان)) التي يُنسب إليها . وتذكر ((الموسوعة العربية الميسرة)) أن الراغب عاش

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨) ، بتحقيق : شعيب الأناؤوط .

(٢) انظر : البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، (ص/٩١) .

(٣) انظر : الوافي بالوفيات (٤٥/١٣) . وكشف الظنون (٣١١/٥) و ((كنوز الأجداد)) لمحمد كرد على (ص/٢٦٥) ، والأعلام – للزركلي (٢٥٥/٢) ، و ((معجم المؤلفين)) لعمر رضا كحالة (٥٩/٤) ، و تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة د/ رمضان عبد التواب وآخر (٢٠٩/٥).

بغداد ، وأن أصله من أصفهان [١]. ومن هنا فقد تسائل معظم من تعرّض لترجمته من المعاصرين عن السّر الكامن وراء ندرة الترجمة له ، والتجاهل الكبير الذي عُومِل به الراغب الأصفهاني .

وقد أجتهد كلٌّ منهم في استنباط الأسباب المؤدية لذلك ، فمنهم من عزاه إلى عدم اتصاله برجال السلطة وغشيان بلاطهم وتقلُّد الوظائف العامَّة ، فقال : ((لاتصال العلماء والأدباء برجال السلطان وتصرُّفهم لهم في القضاء والعمالات ، أو تقرُّبهم منهم بالمنادمة والتأديب والشعر دخل كبير في استفاضة شهرتهم ، وتناقل آرائهم وتآليفهم ، وكم من عظيم لم يتول قضاءً ا ولا عملاً للدولة بقي على خمول لا يكاد يُشعرُ به ، ولا يعرفه غير بعض أبناء حيّه . ومنهم على ما يظهر الراغب ، لم يُترجم له حتى أصحاب الطبقات من أهل مذهبه)) [٢] . ومنهم من عزاه إلى التهمة الباطلة التي ألصقت به بالتشيّع لآل البيت ، بسبب احتفاله البيّن بأقوال الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستخدام كلمة [عليه السلام] و [كرم الله وجهه] عند ذكره في كثير من المواضع ، مما أفقده اهتمام علماء أهل السنة والجماعة ، ولا سيّما أصحاب التراجم منهم [٣] . ومنهم من عزاه إلى تواضعه وعدم حديثه عن نفسه وحياته

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة (٥/٨٥٤)

(٢) انظر : كنوز الأجداد ، محمد كرد علي ، ص (٢٥٦) .

(٣) انظر : الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب (ص/٤٨) ، وتفسير الراغب لعادل الشدي (١/٣٨).

الشخصية في ثنايا كتبه [١] ، ويشهد لذلك قول الراغب : ((وأعوذ بالله أن أكون ممن مدح نفسه وزكّاها فعابها بذلك وهجاها ، وممن أزرى بعقله بفعله)) [٢] ، وبالتالي ، فإن تواضع الراغب ، ورغبته في خمول الذكر ، ترفعاً بنفسه عن تضمين مؤلفاته حديثاً عن نفسه ، أفقد المترجمين له مصدراً هامّاً يمكن أن يستمدوا منه المعلومات الموثقة عن حياته الشخصية . وفي حقيقة الأمر فإن هذه الأسباب باستثناء الأول منها لا ترقى إلى درجة تفسير التجاهل ، الذي تعرض له عَلَمٌ كالراغب الأصفهاني . فأمّا تُهمة التشيُّع فلم تكن قويّة لدرجة اشتباه الأمر على أصحاب كتب التراجم من علماء أهل السنة ، وقد رأينا الذهبي والسيوطي والفيروز آبادي وظهير الدين البيهقي وغيرهم يُترجمون للراغب ، وينسبونه للسُّنة ، ولا يتعرضون إلى هذه التُّهمة من قريب أو بعيد ، مما يدل على بطلانها وعدم تأثيرها على ترجمة الراغب عندهم [٣] . على أن بعض الشيعة حاول أن يرجِّح تشيّع الراغب ، ليكسب عالماً . ويكفي لردِّ هذه التُّهمة

---

(١) انظر : مقدمة ((المفردات)) لصفوان داوودي ، (ص/١٤) . وانظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ، د/ عمر الساريسي ، ص (٤٨) ، وقد أضاف إلى ذلك احتمال كون اشتغاله بالفكر الفلسفي وقد كانت العامّة كما يقول – تقف من أمثاله موقف الريبة والشك سبباً للتجاهل أو لفقدانه عطف الأحزاب السياسية التي كانت تقوم على أساس فكري أو ديني لعدم وضوح انتسابه إلى إحدى الفرق الإسلامية وضوحاً يكفل له الترجمة في حلقاتهم .

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء ، للراغب الأصفهاني ، (١/٧) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/١٢٠ ، ١٢١) .

مطالعة رسالة الراغب الأصفهاني في الاعتقاد ، التي شرح فيها المعتقد الحـــق ، الذي يدين به ، ومما جاء في هذه الرسالة قوله : ((والفرق المبتدعة الذين هـــم كالأصول للفرق الاثنين والسبعين سبعة : المشبهة ، ونفاة الصفات ، والقدريّة ، والمرجئة ، والخوارج ، والمخلوقية ، والمتشيعة ، فالمتشبهة ضلّـــت في ذات الله ، ونفاة الصفات ضلّت في صفات الله ، والقدريـــة في أفعالـــه ، والخـــوارج في الوعيد ، والمرجئة في الإيمان ، والمخلوقية في القرآن ، والمتشيعة في الإمامـــة .. والفرقة الناجية هم أهل السُّنة والجماعة الذين اقتدوا بالصحابـــة)) [١] . وأمّـــا القول : بأن سبب التجاهل لترجمة الراغب يعود إلى تواضعه وعدم حديثه عـــن نفسه في ثنايا كتبه ، فإن كثيراً من علماء الإسلام على مرّ العصور قد اشـــتركوا مع الراغب في هذه الصفة ، ومع ذلك فقد حظـــوا بترجمـــة وافيـــة لحيـــاتهم الشخصية ، وهذا أمر لا يخفى . على أن باحثاً معاصراً هو الدكتـــور إحســـان عباس كان له رأي آخر مفاده ((أن الأمر ليس من قبيل التجاهل ، وإلا فكيـــف وصل ذكره إلى البيهقي ؟ لابد أن تكون هنالك مصادر سابقة للبيـــــهقي قـــد عرّفت به ، ولكنها لم تصلنا ، ولعل لزومه لأصفهان وعدم مبارحتها – فيمـــا أُقدر – قد جعله بعيداً عن ((دائرة الضوء)) [٢] . وهذا رأي له وجاهته ، لكنه لا يُغيّرُ شيئاً من الحقيقة الماثلة أمام الباحث عن شخصية الراغب الأصفـــهاني .

(١) انظر : رسالة في الاعتقاد ، للراغب ، تحقيق : د/ شمران العجلـــي / (ص/٢٥) ، وتفســـير الراغب الأصفهاني عادل الشدي (١/٤٠).

(٢) انظر : مجلة مجمع اللغة العربيـــة الأردني ، العـــددان ٢٣-٢٤ (ربيـــع الأول – رمضـــان ١٤٠٤هــ) في مقال بعنوان " تعليقان " (ص/١٩٧) .

ومع ذلك فإن الذي يظهر أن شُحَّ المعلومات المتعلقة بحياته يعـــود إلى سـببين اثنين :

أوّلهما : أن عقيدته التي يؤمن بها تخالف عقيدة حُكّام عصره ، الذين كـانت لهم السلطة على أصفهان وما حولها ، فالدولة البويهيّة التي عـاش الراغـب في عصرها كانت تعتنق المذهب الشيعي ، وأما الراغب فقد كان سنيًّا أشـعريًّا ، ومن هنا فقد أُبعد الراغب عن المناصب العلميّة والإدارية ، وتمّ تجاهله والحـضّ من مترلته .

وأما السبب الثاني : الذي يفسر ندرة المعلومات عن حياة الراغب الشخصية : فهو أن الراغب لم يُوفَّق – فيما يبدو – إلى تلاميذ ينشرون علمه بين النـاس ، ويكتبون عن شيخهم وحياته وسمته وأخلاقه ، بل إن كـل مُطـالِع لـتراجم العلماء ، الذين خلّفوا عصر الراغب وعاشوا في أصفهان وما حولها ، لا يجد أيّ ذكر للراغب الأصفهاني في قائمة شيوخهم ، ولعل السبب في ذلك يعـود إلى انصرافه للتأليف وانشغاله بالتصنيف في العلوم المختلفة وعدم اهتمامـه الكـافي بمجالس الدرس التي يتحلّق فيها التلاميذ ، ومن هنا فقد زادت مصنفاته علـى العشرين ، وتنوَّعت فنونها ما بين اللغة والأدب و البلاغة ، والعقيدة والتفسـير وعلوم القرآن ، والأخلاق والحكمة والسلوك ، وفي المقابل قلّ تلاميذه إلى درجة انعدام المبرزين منهم ، الذين يُشتهر أمرهم ، ويُشار إليهم بالبنان .

وبناءاً على ما سبق ، فإن البحث عن تاريخ محدد لمولد الراغب ، ومعلومات محددة عن نشأته لا يمكن أن يوصِّل إلى نتيجة علميّة ترضي الباحث ، إلا أننـا يمكن أن نتلمَّس من خلال كتبه المختلفة شيئاً من الإشارات المعينة على معرفـة

شخصيته ، والتعرف على نشأته ، فمن ذلك :

أن الراغب نشأ في بيئة صالحة تجلّ العلم وتُعلي من قدره ، وتتمسك بالأخلاق الرفيعة التي تترع بالمسلم إلى معالي الأمور ، وتحقر عنده صغائرها [١] ، وأن هذه البيئة التي عاش فيها كانت منفتحة على العلوم المختلفة العقلية والنقلية [٢] وإن لم تسلم بيئته من شطحات المتصوِّفة التي ظهرت على بعض مؤلفاته ، كما في ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) و ((تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين)) ، بل وفي تفسيره الذي بين أيدينا ، كما سيأتي .

وقد كان للثقافة الفارسيّة تأثيرٌ كبير على الراغب ، حتى إنه كان يُترجم بعض عباراته في كتبه إلى الفارسيّة ، فمن ذلك قوله : ((وشكر العبد لربِّه هو معرفة نعمته وحفظ جوارحه بمنعها عن استعمال ما لا ينبغي ، ومعناه بالفارسيّة : أسبياس دارم خداي را ، أي أنا حارس له على جوارحي)) [٣] . ويظهر أثر التدين وخشية الله تعالى واضحاً في شخصية الراغب الأصفهاني .

كتب تَرْجَمَتْ للراغب الأصفهاني :

١- ((تاريخ حكماء الإسلام)) - ظهير الدين البيهقي (ولد ٤٩٩هـ)

---

(١) انظر على سبيل المثال : (الذريعة إلى مكارم الشريعة) الصفحات : (٦٩ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ٢٣١ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٤١٤) .

(٢) انظر على سبيل المثال : (الذريعة إلى مكارم) الصفحات : (١٦٧،١٦٩،١٧٧،١٨٣،٢٠٨،٢٣٢،٢٣٦،٢٤٧، ٢٥٧) .

(٣) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص (٢٧٩) .

– تحقيق محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي – دمشـــق ١٩٤٦م ، ص (١١٢) .

٢- ((سير أعلام النبلاء)) – الذهبي – الرسالة – بـــيروت ، (ج ١٨ ، ص ١٢٠) – ط ١ ، ١٩٦٥م .

٣- ((بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)) – للسـيوطي – ٣٦٩- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

٤- ((كشف الظنون)) حاجي خليفة – منشورات – مكتبة المثــــنى – بغداد .

٥- ((البلغة في تاريخ أئمة اللغة)) – الفيروز آبـــادي – ٦٩ ، ص (٧٩) – تحقيق محمد المصري .

٦- ((الأعلام)) الزركلي – طبعة دار العلم ، ١٩٧٦ (٢/٢٧٩) .

٧- ((معجم المؤلفين)) عمر رضا كحالة – (٥/٥٩) .

٨- ((تاريخ الأدب العربي)) – بروكلمــــان – (٥/٥٩) ، ترجمــة د/ رمضان عبد التواب وآخر ، دار المعارف – مصر.

٩- ((كنوز الأجداد)) – محمد كرد علي – (٢٦٨) .

١٠- ((أعيان الشيعة)) – محسن الأمين الحسيني العاملي الشـيعي – ط ١ ، ١٩٤٨م ، دمشق ، ص (٢٧/٢٢٠) .

١١- ((دائرة المعارف الإسلامية)) مادة : الراغب .

١٢- ((الإتقان في علوم القرآن)) – السيوطي (١/٧٢) .

١٣- ((رياض العلماء وحياض الفضلاء)) – الميرزا عبــد الله أفنـدي

الأصبهاني (٢/١٧٢) .

١٤- ((سفينة البحار)) – عباس القمّي (١/٥٢٨) .

١٥- ((الوافي بالوفيات)) ، (١٣/٤٥) .

١٦- ((طبقات المفسرين)) للداودي ، (٢/٣٢٩) .

١٧- ((الموسوعة العربيّة الموسعة)) – دار القلم ومؤسسة فرانكلين – القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص (٨٥٤) .

١٨- ((القاموس الإسلامي)) – أحمد عطيّة الله – مكتبة النهضة العربيّة ، ١٩٩٦م ، (٢/٤٧٢) .

١٩- ((نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة)) – لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري ، (٢/٤٤) .

رسائل علمية وتحقيقات لكتب الراغب الأصفهاني:

١- ((الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب)) – د/ عمر الساريسي – ط ١، مكتبة الأقصى – الأردن .

٢- ((الراغب الأصفهاني وجهوده في تفسير القرآن الكريم من خلال كتاب (المفردات))) رسالة ماجستير – شلواح بن لويحق المطيري – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣- ((الراغب الأصفهاني ومنهجه في المفردات)) – رسالة ماجستير – عباس محمد أحمد – كلية الآداب – الإسكندرية ، ١٩٧١م .

٤- ((الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير مع تحقيق تفسيره : سورة

البقرة)) – رسالة دكتوراه : محمد إقبال أحمد فرحات – جامعة الزيتونة – تونس .

٥- ((مجمع البلاغة)) – للراغب الأصفهاني – تحقيق د/ عمر الساريسي – مكتبة الأقصى – الأردن ، ١٤٠٦هـ .

٦- ((مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة)) – للراغب – تحقيق : د/ أحمد حسن فرحات – دار الدعوة – الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .

٧- ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) – للراغب الأصفهاني – تحقيق : د/ أبو اليزيد العجمي – دار الصحوة – القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ .

٨- ((المفردات في غريب القرآن)) – للراغب – تحقيق : د/ صفوان عدنان داوودي – دار القلم – ، ط ١ .

٩- ((رسالة في الاعتقاد)) – للراغب الأصفهاني – رسالة ماجستير – أختر جمال محمد لقمان – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى .

١٠- ((رسالة في الاعتقاد)) – للراغب – تحقيق : د/ شمران العجلي – طبع مؤسسة الأشراف – بيروت .

١١-تفسير الراغب الأصفهاني رسالة دكتوراه – عادل بن علي الشدي – جامعة أم القرى .

المبحث الثالث

وفاته

حين يصل البحث في حياة الراغب الأصفهاني إلى : وفاتـــه فإنـــه يصـــدم بالاضطراب الشديد في تحديد تاريخ وفاته ، لدرجة لا يمكن التوفيق فيها بـــين الأقوال المتعارضة ، التي يصل الاختلاف بينها إلى قرنٍ كـــاملٍ مـــن الزمـــان . ولا شك أنه في مثل هذه الحالة التي ينعدم فيها اليقين لا يستطيع الباحث أن يجزم بتأريخ يقطع بصحته ، وحينئذٍ تكثر الاجتهادات ، التي يجانبـــها الصـــواب في أحيان كثيرة ، ولا يبقى إلا التدقيق والتمحيص والاســـتقراء المتـــأني لكتـــب ((الراغب)) – على صعوبة ذلك ومشقته – علّ الباحث يقف على نـــصٍّ ، يقوّي أيّاً من هذه الأقوال ، وينصره . وعلى الرغم من أن المؤشرات لا تكفـــي للترجيح في مثل هذه المسألة ، إلا أن عبارة الذهبي التي تنص على أن الراغـــب الأصفهاني كان حيّاً في حدود سنة (٤٥٠هـــ) . ويمكن أن تُعدّ أقرب ما قيـــل في هذه القضية ، ولا سيّما أنها لا تتعارض مع القول الثاني المرجح ، بأن وفاتـــه كانت في أوائل المائة الخامسة ، وهي تُفسِّر لنا بطريقة منطقية أسباب عدم ذكـــر الراغب في المصنفات ، التي تُترجمُ لأمثاله بسبب أن أصحابها قد تُوفوا قبل وفـــاة الراغب الأصفهاني . والله أعلم [١] .

---

(١)انظر تفسير الراغب الأصفهاني دراسة وتحقيق عادل الشدي (٥٢/١).

الفصل الثاني

حياته العلمية

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : طلبه للعلم وشيوخه
- المبحث الثاني : تلاميذه
- المبحث الثالث : آثاره العلمية
- المبحث الرابع : ثناء العلماء عليه

المبحث الأول

طلبه للعلم وشيوخه

صفحة أخرى مجهولة من صفحات حياة الراغب الأصفهاني ، تلك هي صفحة طلبه للعلم وشيوخه الذين تلقى عنهم ، فجمع المصادر المتاحة للباحثين لا تذكر شيئاً يتعلق بسيرته العلميّة ، وعمّن تلقى من علماء عصره . وفي مثل هذه الحالات التي ينعدم فيها الخبر الموثق يلجأ الباحث إلى الحدس والتخمين والتوقُّع ، المبنّي على بعض الإشارات ، التي قد لا يُلقى لها بالاً لو توافرت لديه المعلومات الخاصة بالحياة العلميّة للراغب الأصفهاني . ومن هذا الباب يُلاحظ أن الراغب كان في طلبه للعلم ذا نزعة منفتحة ، تميل للأخذ من كل علم بطرفٍ ، دون طلب الاستقصاء فيه ، وهذه النزعة جعلت الراغب موسوعيَّ الثقافة مساهماً في مجالات مختلفة من العلوم : لغةً وأدباً وبلاغةً من جهة ، وعقيدةً وتفسيراً وأخلاقاً وسلوكاً من جهة أخرى . وما ذاك إلا لأنه في مسيرته العلميّة وأثناء طلبه للعلم قد تنقل بين العلوم المختلفة ، وبينما تراه ينص على أن عقيدته التي يدين الله بها ، هي ما كان عليه السلف الصالح . إذا بك تراه في مواضع أخرى من كتبه قد سارع إلى تأويل بعض الصفات ، وصرفها عن ظاهرها ، خلافاً لمذهب الأئمة الذين نصّ عليهم ، وتراه وقد نقل أقوالاً منكرة لبعض غلاة المتصوفة ، دون أن يُعلّق عليها معترضاً ومنكراً [1] .

---

(١)انظر تفسير الراغب الأصفهاني عادل الشدي (١/٦٤).

وفيما يتعلق بشيوخه ، فيمكن أن يكون الراغب قد أخذ عن :

أبي منصور الجبّان : محمد بن علي بن عمر الرازي ، عالم اللغة الشهير ، صاحب كتاب ((الشامل)) في اللغة . كما أن الراغب ينقل أحياناً عن ابن مسكويه (١) ، أبي علي الخازن أحمد بن يعقوب بن مسكويه صاحب ((خريدة القصر)) المتوفى سنة ٤٢١هـ (٢) ، ولذا فاحتمال تلقيه عنه قائم لتعاصرهما مع تقدم وفاة ابن مسكويه عنه ، ونقل الراغب عنه مصرّحاً باسمه . كما أن معاصرته لأبي بكر بن فورك الأصبهاني المتوفى سنة (٤٠٦هـ) (٣) ، وكونهما ينتسبان إلى بلد واحد مع اهتمامهما بالتفسير والأدب والنحو ، يُشير إلى احتماليّة أخذ الراغب الأصفهاني عن ابن فورك الأصبهاني أيضاً المعاصر له ، ولكن في طبقة أقدم من طبقته (٤) .

---

(١) انظر : مجمع البلاغة ، (٧٣٦/٢) . والراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة ، ص (٣٤) .

(٢) انظر : معجم الأدباء (٤٩/٢) .

(٣) انظر : العبر ، للذهبي (٢١٣/٢) .

(٤)انظر تفسير الراغب الأصفهاني دراسة وتحقيق عادل الشدي (٦٧/١).

المبحث الثاني

تلامذته

لا تشير المصادر التي بين أيدي الباحثين في حياة الراغب الأصفهاني إلى أي معلومة تتعلق بتلاميذه ، أو بأحد منهم ، ولذلك فإنه يتعذر إيراد أي اسم فيما يتعلق بتلاميذ الراغب الأصفهاني ، ومع ذلك فإنه يمكن لنا أن نلاحظ أن الراغب كان له تلاميذ ، يرجعون إليه في الكثير من المسائل ، التي تَعرضُ لهم . ويبدوا أن انشغال الراغب بالتأليف قد أثّر عليه سلباً من حيث قلة التلاميذ النجباء ، الذين يتلقون عنه ويدرسون على يديه ، ولعلّ من أسباب عزوف الراغب عن التدريس ومخالطة التلاميذ بكثرة ، أنه لا يتفق في عقيدته مع حكام عصره من بني بويه ، كما أسلفت . ولهذا فقد كان يكتفي بالتأليف صيانة لنفسه ومعتقده ، والله أعلم [1] .

---

(١)انظر تفسير الراغب الأصفهاني دراسة وتحقيق عادل الشدي (١/٦٨).

المبحث الثالث

آثاره العلميّة

خلّف الراغب الأصفهاني تراثاً علميّاً جديراً بالاحترام والتقدير ، وقد ظهرت عناية المحققين من أهل العلم بمصنفاته ، فرأينا ((أبا حامد الغزالي)) يستحسن كتاب ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) ، ويحمله معه في أسفاره [1] ، ورأينا ((الزركشي)) و ((أبا حيّان)) و ((الطيبي)) و ((السمين الحلبي)) و ((البيضاوي)) ((الألوسي)) وغيرهم يكثرون من النقل عن تفسيره ، حتى إذا جاء عصر الطباعة الحديثة رأينا اهتمام المحققين لكتب التراث بالآثار العلميّة للراغب الأصفهاني : نشراً ودراسة وتحقيقاً على النحو الذي سيأتي بيانه في هذا المطلب إن شاء الله تعالى .

ويمكن أن نقسم البحث في الآثار العلميّة للراغب الأصفهاني إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : آثاره العلميّة المطبوعة .

المطلب الثاني : آثاره العلميّة المخطوطة .

المطلب الثالث : آثاره العلميّة المفقودة .

---

(١) انظر : كشف الظنون (١/٨٢٧) .

المطلب الأول : آثاره العلميّة المطبوعة

ويندرج في هذا الإطار الكتب التالية :

١. رسالة في الاعتقاد .

٢. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين .

٣. الذريعة إلى مكارم الشريعة .

٤. مفردات ألفاظ القرآن .

٥. محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء .

٦. مجمع البلاغة ، وتسمية بعض المصادر ((أفانين البلاغة)) [1] .

(١) انظر تفسير الراغب الأصفهاني دراسة وتحقيق عادل الشدي (١/٧٤).

المطلب الثاني : آثاره العلميّة المخطوطة

١- رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم .

وهي الرسالة الأولى وتحمل رقم ٣٦٥٤ بمكتبة أسعد أفندي بالمكتبة السليمانية بإستنبول وتقع في عشر ورقات ، ومسطرتها (١٧) سطراً بالخط الفارسي . وتنقسم الى سبعة فصول ، تحدث في أولها عن فضل الإنسان على سائر الحيوان ، وفي الثاني عن الفضيلة ، وفي الثالث عن العقل ، وفي الرابع عن أنواع العقل ، وفي الخامس عن أنواع المعارف المكتسبة ، وفي السادس عن أفضل العلوم وأنفعها ، وفي السابع عمّا يحتاج إليه طالب العلم وكيفيّة تعلّمه.

٢- رسالة في ذكر الواحد الأحد :

وهي الرسالة الثانية في المخطوط رقم ٣٦٥٤ بمكتبة أسعد أفندي — السليمانية إستانبول — وهي رسالة صغيرة جدّاً تقع في ثلاث ورقات فقط ، وموضوعها شرح هذين الاسمين من أسمائه تعالى (الواحد) (الأحد) .

٣- رسالة في آداب مخالطة الناس :

وهي الثالثة ضمن المخطوط ذي الرقم ٣٦٥٤ أسعد أفندي ، وتقع في ١٩ ورقة ، وموضوعها عن مخالطة الناس واعتزالهم والمحبة والصداقة ، وما يتعلق بها من صفات الصديق وعيوبه .

وقد قسّم الراغب رسالته إلى مقدّمة واثني عشر باباً ، وبيّن في مقدمته سبب تصنيفها .

٤- رسالة في مراتب العلوم :

وهي الرسالة الأخيرة ضمن مجموع رسائل الراغب ذي الرقم ٣٦٥٤ بمكتبة أسعد أفندي السليمانية .

وتقع الرسالة في سبع ورقات ، وتتألف من مقدمة وثلاثة أبواب .

الباب الأول : علوم الديانة ، والثاني في الأعمال الدنيويّة ، والثالث في العلم والعمل .

٥- تفسير القرآن :

وسوف أؤجل الكلام عنه لأنالفصل الثالث منهذه الرسالة مخصص بالكامل للحديث عنه .

٦- تحقيق البيان عن تأويل القرآن :

وقد أشار إليه الراغب الأصفهاني في مقدمة كتاب « الذريعة إلى مكارم الشريعة »[1] وذكره بروكلمان[2] مشيراً إلى وجوده في مكتبة : العتبات المقدسة الرضوية بمشهد تحت رقم ٥٦ .

ويقع هذا المخطوط أصلاً في ١٦٩ ورقة ، لم يبق منها سوى ١٥٢ ، والصفحات المفقودة تقع أصلاً في أول الكتاب .. وكُتِبَ بخطٍّ نسخي واضح ..

---

(١) أنظر الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص (٥٨) ، حيث قال : « كنت قد أشرت في أمليته من كتاب (تحقيق البيان في تأويل القرآن) إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها »

(٢) أنظر : تاريخ الأدب العربي (٥/٢١١)

وفي الصفحة واحد وعشرون سطراً .

وحين نقابل بين هذا المخطوط ومخطوط رســـالة في الإعتقـــاد للراغـــب الأصفهاني ، والذي سبقت الإشارة إليه[١] ، نلحظ التطابق التام بينـــهما ، ممـــا يجعل الباحث يجزم بكونهما كتاباً واحداً للراغب الأصفهاني .

يقول أحد الباحثين عن « تحقيق البيان في تأويل القرآن » : « وقد اطلعـــت على نسخة مخطوطة لهذا الكتاب بالجامعة الإسلامية ، وبقراءتها تبيّـــن لي أنهـــا للمخطوط المحقق الذي أسماه محققه : « رسالة في الإعتقاد »[٢] وذلك لاتفاقـــهما في الفصول والموضوعات »[٣] .

٧- درّة التنـــزيل وغرّة التأويل : [٤]

---

(١) أنظر : رسالة الدكتور عادل الشدي (١/٧٤)

(٢) المخطوط رقم ٣/٣٨٢ ، مكتبة علي سعيد باشا - السليمانية - إستانبول ، وتوجـــد منـــه نسخة في قسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحمل رقم ٤٩٥

(٣) أنظر : الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير ، للباحث شلواح المطيري ، ص (٤٦) وقـــد توصل الدكتور عمر الساريسي إلى النتيجة نفسها . أنظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغـــة والأدب ، ص (٥١)

(٤) أنظر تفسير الراغب الأصفهاني دراسة وتحقيق عادل الشدي (١/٩٦).

وتوجد له النسخ الخطيّة التالية :

أ-نسخة رقم ١٧٦ مكتبة أسعد أفندي – السليمانية – إستانبول .

ب-نسخة رقم ١٨٠ مكتبة راغب باشا في إستانبول باسم ((حل متشابهات القرآن)) .

ج – نسخة رقم ٢٥ مكتبة خسرو باشا – السليمانية – إستانبول – باسم ((تفسير المتشابهات)) .

د – نسخة رقم ٧ تفسير مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية باسم ((أسرار التأويل وغرة التنزيل)) وهي مصورة من المخطوط رقم (٧٨٤) بالمتحف البريطاني .

هـ- نسخة رقم ١٧٤٨ / أ / ٨٥٠ مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث (طوبقبواي سراي) إستانبول .

و- نسخة رقم ١٧٤٩ / ر /١٨٣٠ مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث (طوبقبواي سراي) إستانبول . وقد اختلف في نسبة هذا المصنف إلى الراغب الأصفهاني وملخص هذا الإختلاف ذكره الدكتور / عادل الشدي حيث قال : (والحاصل أن هناك شكاً كبيراً في صحة نسبة كتاب " درة التنزيل وغرة التأويل " للراغب الأصفهاني والذي يظهر – والله أعلم – أن الكتاب ليس من مصنفاته [1]

---

(١) أنظر تفسير الراغب الأصفهاني دراسة وتحقيق الدكتور عادل الشدي (١/١٠١ – ١١١) .

وقدطبع هذا الكتاب منسوباً لمؤلف آخر هو الخطيب الإسكافي المتوفي سـنة ٤٢٠هـ [١]، وقد نسبه للخطيب الإسكافي ، ياقوت في ((معجم الأدباء))[٢] ، وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطيّة تنسبه للخطيب الإسكافي [٣]. أما السيوطي فقد نسبه في ((الإتقان)) لأبي عبدالله الرازي .

---

(١) صدر من دار الآفاق الحديثة سنة ١٩٧٣م وطبع قبل ذلك بمطبعة الخانجي عام ١٩٠٨م .

(٢) أنظر : معجم الأدباء (٢١٤/٨) .

(٣) أنظر : على سبيل المثال النسخة رقم ١٣٣ تفسير مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

المطلب الثالث : آثاره العلميّة المفقودة

١- أصول الاشتقاق : أشار إليه الراغب في كتابه ((مفردات في ألفـــاظ القرآن)) [١] .

٢- تحقيق البيان في تأويل القرآن : أشار إليه الراغب في مقدمة كتـــاب ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) [٢] .

٣- الرسالة المنبهة على فوائد القرآن : أشار إليـــها الراغـــب في كتابـــه ((مفردات في ألفاظ القرآن)) [٣] .

٤- رسالة مفردة لشرح حديث ((ستفترق أمتي)) : أشار إليها الراغـــب في كتاب ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) [٤] .

٥- عيـــون الأشـــعار : أشـــار إليـــها الراغـــب في مقدمـــة كتـــاب ((محاضرات الأدباء)) [٥] .

٦- نكت الأخبار : أشار إليه الراغب في مقدمة ((محاضرات الأدباء)) .

٧- شرف التصوف .أشار اليه الراغب عند تفسيره للآية (٣٧) من سورة البقرة [٦]

---

(١) انظر : المفردات ، مادة : جدر ص (١٨٩) .

(٢) انظر : مقدمة ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) ص (٥٨) .

(٣) انظر : مقدمة المفردات ص (٥٣) .

(٤) انظر : مقدمة محاضرات الأدباء ص (١/٧) .

(٥) انظر مقدمة محاضرات الأدباء ص (١/٧) .

(٦) انظر تفسير الراغب تحقيق ودراسة دكتور عادل الشدي (١/١١٤)

٨- وقد ذكرت بعض المصادر كتباً أخرى ، نسبتها للراغب الأصفهاني على التفصيل الآتي : -

١) أخلاق الراغب : ورد ذكره عند ((بروكلمان)) ، وأشار إلى نسخة خطيّة منه في برلين برقم ٥٣٩٢ [١] .

٢) احتجاج القرّاء : ذكره حاجي خليفة [٢] .

٣) أدب الشطرنج : ذكره بروكلمان [٣] ، ونسبه للراغب الأصفهاني .

٤) كلمات الصحابة : أشار إليه ظهير الدين البيهقي [٤] منسوباً إلى الراغب الأصفهاني .

٥) مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت :

وقد تناول فيه كتاب ((إصلاح المنطق)) لابن السكيت بالتهذيب والإختصار مع العناية بالجوانب الأدبية بأسلوب مقتضب دون إغراق في التفصيلات الأدبية ، وهو لايزال مخطوطاً ، وقد أشار إليه الأستاذ شلواح المطيري في رسالته عن الراغب الأصفهاني ، وذكر أن له نسخة خطية في مركز البحوث الإسلامية بجامعة أم القرى برقم (٣١٦) ، مصوراً عن المكتبة التيمورية

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/٢١١) .

(٢) انظر : كشف الظنون (١/١٥) .

(٣) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/٢١١) .

(٤) انظر : تاريخ حكماء الإسلام ص (١٢) .

برقم (١٣٧) [1] . وأيضاً الدكتور عادل الشدي في رسالته تفسير الراغب [2]

٦) المعاني الأكبر : ذكره حاجي خليفة [3] .

---

(١) أنظر : الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن ص (٤٠) . وأنظـــر مقدمـــة ((المفردات)) ص (١١) .

(٢) أنظر تفسير الراغب دراسة وتحقيق د/ عادل الشدي (١/ ص١١٦)

(٣) انظر : كشف الظنون (١٧٢٩/٢) .

المبحث الرابع

ثناء العلماء عليه

١ . قال عنه ظهير الدين البيهقي :

((كان من حكماء الإسلام ، وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في مصنفاته .. وكان حظه من المعقولات أكثر)) [١] .

٢ . قال عنه الذهبي :

((العلاّمة الماهر ، والمحقق الباهر ، كان من أذكياء المتكلمين)) [٢] .

٣ . وذكر فخر الدين الرازي :

((أن الراغب من أئمة السُّنَّة ، وقرنه بالغزالي)) [٣] .

٤ . وقال السيوطي :

((وقد كان في ظنّي أن الراغب معتزلي ، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من (القواعد الصغرى) لابن عبد السلام ما نصّه : ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول : أن أبا القاسم الراغب من أئمة السُّنة ، وقرنه بالغزالي ، وهي فائدة حسنة ، فإن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي)) [٤] .

---

(١) انظر : تاريخ حكماء الإسلام ص (١١٢) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/١٢٠ ، ١٢١) .

(٣) انظر : أساس التقديس ص (١٧) .

(٤) انظر : بغية الوعاة ص (٢/٢٩٧) .

الفصل الثالث

دراسة تحليلية للكتاب المحقق

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : نسبته
- المبحث الثاني : أهميته
- المبحث الثالث : منهجه في كتابه من خلال الجزء المحقق
- المبحث الرابع : دراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة من خلال الجزء المحقق
- المبحث الخامس : النسخ الخطية وتوصيفها

المبحث الأول

نسبته

يمكن القطع بصحة نسبة هذا التفسير للراغب الأصفهاني لأدلة كثيرة هي:

أولاً : اطلاع مجموعة من الأئمة عليه وإثباتهم نسبته للراغب الأصفهاني ، فمن هؤلاء :

١ - الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) :

صاحب ((البلغة في تاريخ أئمة اللغة)) حيث قال : ((الإمام أبو بكر القاسم الراغب الأصفهاني .. له التفسير الكبير في عشرة أسفار ، غاية في التحقيق ، وله المفردات لا نظير لها في معناها)) [١] .

٢ - الإمام الزركشي (٧٩٤هـ) :

صاحب ((البرهان في علوم القرآن)) وقد ذكر ما يفيد اطلاعه على تفسيره وصحة نسبته عنده إلى الراغب الأصفهاني فقال : ((ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة : الظنّ أعمّ ألفاظ الشك واليقين ، وهو اسم لما حصل عن أمارة ..)) [٢] .

ثانياً :- نقل مجموعة من المفسرين عن تفسير الراغب الأصفهاني وتصريحهم بالنقل عنهم وبالرجوع إلى التفسير الذي بين أيدينا نجد التطابق فمن هؤلاء :-

---

(١) انظر : البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص (٩١) .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن (٤/١٣٩) .

١ - الإمام أبو حيّان :

المتوفى سنة ٧٤٥هـ صاحب تفسير ((البحر المحيط)) ، حيث نقل عن الراغب الأصفهاني في اكثر من خمسة مواضع في تفسيره لسورة النساء [(١)] .

ومن أمثلة ذلك :

قال أبوحيان في تفسيره

لقوله تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ [(٢)] . مانصه :قال : قال الراغب : كل ما يستحسنه العقل ويعترف به معروفاً .... [(٣)] ، وهذا الكلام موجود بنصه في تفسير الراغب لهذه الآية من سورة النساء [(٤)] .

٤ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي :

المتوفي (سنة ١٢٧هـ) ، ونقل الألوسي عن الراغب في عدة مواضع من سورة المائدة مثال ذلك عند قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [(٥)] . ذكر الألوسي قول الراغب عند معنى ﴿ بِٱلْعُقُودِ ﴾ قال :- والعقود باعتبار المعقود ثلاثة أضرب : عقد

---

(١) وقد اثبت هذه النقول أثناء التحقيق في مواضعها من التفسير .

(٢) سورة النساء آية (١١٤) .

(٣) انظر : تفسير أبو حيّان (٣/٣٦٥) .

(٤) انظر : الرسالة (ص / ١٠٠ ، ١٤٧)

(٥) سورة المائدة آية (١) .

بين الله وبين العبد ، وعقد بين العبد ونفسه ، وعقد بينه وبين غيره من البشر [١] وهذا الكلام بنصه موجود في تفسير الراغب [٢] .

٥ - الإمام ناصر الدين أبي سعد البيضاوي :

وأيضاً نقل البيضاوي عن الراغب وذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [٣] . قال البيضاوي :- وقيد الفعل بأن يقول لطلب مرضاة الله – سبحانه وتعالى – لأن الأعمال بالنيات ، وأن كل من فعل خيراً رياءً وسمعة لم يستحق به من الله أجراً ، ووصف الأجر بالعظيم تنبيهاً على حقارة ما فات في جنبه من أعراض الدنيا [٤] ، وهذا الكلام موجود في تفسير الراغب [٥] .وقد تصرف فيه الإمام البيضاوي . والله أعلم .

٥ - الشوكاني :

وقد نقل الشوكاني قولاً لم ينسبه للراغب ولكن بالمطابقة تبيَّن ، أنه من كلامه ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [٦] . قال الشوكاني :- الشرعة والشريعة في الأصل الطريقة

---

(١) انظر : تفسير الألوسي (٢/٤٩) .

(٢) انظر : انظر الرسالة ص (٢٤٧)

(٣) سورة النساء آية (١١٤) .

(٤) انظر : تفسير البيضاوي (١/٢٣١) .

(٥) انظر : الرسالة ص (١٥١)

(٦) سورة المائدة آية (٤٨) .

الظاهرة التي يتوصل بها إلى الماء ، ثم استعملت فيما شرعه الله لعباده [١] . ونجد هذا الكلام موجود عند الراغب [٢] .

٦ - *الإمام السيوطي :*

حيث نقل جزءاً من مقدمة الراغب الأصفهاني لتفسيره ، تحت عنوان ((في شرف علم التفسير)) وذلك في كتابه ((الإتقان)) واعتبر تفسير الراغب من تفاسير غير المحدّثين [٣] .

ثالثاً :- النسبة الصريحة إلى أبي القاسم الراغب في أوّل ورقة من مخطوط تفسير الراغب ، الذي بين أيدينا ، حيث جاء فيها ما نصه : ((قال الشيخ أبو القاسم الراغب – رحمه الله – : القصد من هذا الإملاء إن نفّس الله في العمر ، ووقانا نوب الدهر ، وهو مرجو أن يسعفنا بالأمرين ..)) [٤] .

رابعاً :-

إحالة الراغب الأصفهاني في تفسيره الذي بين أيدينا على كتاب آخر له

---

(١) انظر : فتح القدير (٤٨/٢) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٣٧٠)

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٥٣/١) ، و (٤٣٢/٢ ، ٤٣٣) وقارن بما ذكره الراغب بعنوان ((في شرف علم التفسير)) في مقدمة ((جامع التفاسير)) للراغب بتحقيق د/ أحمد حسن فرحات ص (٩١) .

(٤) انظر : مخطوط تفسير الراغب برقم [٢١٢] مكتبة أيا صوفيا ق ١ ، ونسخة أخرى برقم [١٧١] مكتبة أيا صوفيا بعنوان ((تفسير القرآن)) ق ١ ، ومقدمة جامع التفاسير للراغب تحقيق د/ أحمد سيد فرحات.ص(٢٧).

مقطوع بصحة نسبته إليه ، ألا وهو ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) . حيث تطابق تعريفه للإيمان والإحسان ولفظه البر [١] .

خامساً :-

تطابُقُ كثير من مواضع هذا التفسير المخطوط مع مواضع من كتاب ((مفردات ألفاظ القرآن)) المقطوع بنسبته للراغب الأصفهاني ، وأورد للدلالة على ذلك هذا المثال التالي :

المثال (١) من المفردات : قال الراغب عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ [٢] . النجوى :- والنجاة : أي الخلاص منها لكونه الملتجي إليها ناجيا عن السبيل . ويقال : هو في مضية وتلفه من النوب [٣] ، وبالرجوع إلى المفردات في مادة نجوى وجدت نفس المعنى وقريباً من اللفظ [٤] .

سادساً :-

ونجده نقل من كتابه مجمع البلاغة في معنى كلمة قُراد ، قال الراغب في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [٥] وقال

---

(١) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ص (٢١٠/٢١٢) .

(٢) سورة النساء آية (١١٤) .

(٣) انظر : الرسالة ص (١٤٨)

(٤) انظر : المفردات مادة نجوى ص ٤٨٦ .

(٥) سورة النساء آية (١١٧) .

الشاعر [١] :-

وما ذَكَرٌ فإنْ يَسْمَنْ فـــأُنْثَى شديدٌ بها ذمٌ ليس لَهُ ضَـــرُوسُ

وعني بذلك القُراد لأنه ما دام صغيراً يقال له القراد وذلك لفـــظ مذكـــر ، وهذا الكلام موجود في المجمع [٢] .

(١) انظر : الرسالة ص (١٥٨)

(٢) انظر : مجمع البلاغة (٢/٨٠٦) .

المبحث الثاني

أهميته

يستمدُّ كل كتاب أهميته بالدرجة الأولى من أهميّة مؤلفه وشهرته في فنّه ، وتلقي العلماء مؤلفاته بالقبول . ولا تكاد تخلو مكتبة طالب علم – ولا سيّما في مجال التفسير – من كتاب ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب الأصفهاني ، وذلك لشموله وتبّحُر مؤلفه – بشكل واضح – في علوم اللغة وتراكيب ألفاظها ومفرداتها ، ولكن الباحث يصطدم بالاختصار الشديد الذي أملته طبيعة الكتاب – حيث يُعني بشرح معاني الألفاظ والمفردات الغريبة التي ترد في القرآن – مما يحرم مطالعيه من متابعة النكت البلاغيّة والتقريرات التفسيريّة التي برع فيها الراغب الأصفهاني رحمه الله .

ومن هنا تنبع أهميّة ((تفسير الراغب الأصفهاني)) حيث إنه قد قابل ذلك الاختصار – المطلوب – في كتابه ((المفردات)) بإطناب وتوسع مطلوب أيضاً في تفسيره الذي بين أيدينا ، ومما يؤكد أهميّة هذا التفسير ما يلي :

١- تبحّر الراغب الأصفهاني في علوم البلاغة والنحو ، والاشتقاق والمعاني ، وقد ضمّن تفسيره خلاصة خبرته ودرايته بهذه العلوم بتوسُّع وإطناب . وكان مسلكه بعد إيراد الآية بالألفاظ ، فيرجعها إلى أصولها اللغويّة التي اشتقت منها ، ويستدل على ذلك بطريقة متميزة ، جعلت ناقداً حصيفاً كالزركشي يقول مبيّنا تفرد الراغب الأصفهاني بقدر زائدٍ على أهل اللغة : ((اعلم أن القرآن قسمان : أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره ، وقسم : لم يرد وما لم يرد فيه

نقل عن المفسرين ، وهو قليل ، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ في لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق ، وهذا يعتني به ((الراغب)) كثيراً في كتاب ((المفردات)) فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ ، لأنه اقتنصه من السياق)) [1] ، ولقد كانت عناية الراغب باقتناص قيد زائد على أهل اللغة من السياق ، توضح مدلول اللفظ ومعناه أشدّ وضوحاً في تفسيره منها في كتاب ((المفردات)) ، بسبب توسعه فيه وإطنابه في بيان مدلولات الألفاظ .

٢- إكثار ((الراغب الأصفهاني)) في تفسيره من النقل عن أئمة اللغة ومجموعة من المفسرين ، الذين تعتبر كتبهم في حكم المفقودة ، مما يجعل تفسير الراغب مصدراً هامّاً للباحثين ، الذين يريدون توثيق أقوال أولئك المفسرين ، ولا سيّما أنه أكثر من النقل عن أئمة المعتزلة معارضاً أو مؤيّداً ، فمن هؤلاء : النظّام (ت ٢٣١هـ) ، وأبو علي الجبّائي (ت ٣٠٣هـ) ، وأبو القاسم البلخي (ت ٣١٩هـ) ، وأبو هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ) ، وابن بحر أبو مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢هـ) [2] .

٣- يحتوي تفسير الراغب على جملة طيبة من الفوائد والنكت واللطائف التفسيريّة ، التي لا تكاد توجد عند غيره من المفسرين ، يتفرّد بها لظهور شخصيته العلميّة ، ورسوخ قدمه في علم التفسير ، ويدعمها بقوة حجته وحسن استدلاله وسعة اطلاعه على آراء من سبقه من المفسرين .

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن (٢/٣١٣) .

(٢) وسوف تأتي تراجمهم في قسم التحقيق من هذه الرسالة .

٤- ((أن تفسير الراغب الأصفهاني)) لم يُحقق ويُطبع قبل ذلك ، بل ظل حبيس المكتبات مخطوطاً [١] ، في حين أن ما فيه من الجهد الذي بذلـــه مؤلفـــه يفوق جهده في كتابه ((المفردات)) على أهميته ، بل ويفوق كثيراً مـــن كتـــب التفسير اللاحقة له ، التي وجدت من يخدمها بالنشر والتحقيق ويخرجها مطبوعـة . وبالتالي فإن لتحقيقه وإخراجه مطبوعاً أهميّة خاصّة عنـــد طـــلاب العلـــم ، ولا سيّما المختصين بعلم التفسير .

٥- تقدم وفاة الراغب الأصفهاني على كثير من المفســـرين المشـــهورين : فالزمخشري صاحب ((الكشاف)) توفي سنة ٥٣٨هــ ، وابن عطية صـــاحب ((المحرر الوجيز)) توفي سنة ٥٤١هــ ، والقرطبي صاحب ((أحكام القرآن)) توفي سنة ٦٧١هــ ، وأبو حيّان صاحب ((البحر المحيط)) توفي سنة ٧٤٥هــ ، ولا شك أن المفسّر لا يكتسب الأهميّة لتفسيره بمجرد تقدُّم وفاته على من بعده من المفسرين ، ولكن حين يقترن ذلك بمميزات أخرى سبقت الإشارة إلى طرفٍ منها : كالتبحر في علوم اللغة ، والرسوخ في علم التفسير ، وكثرة النقول عمـــن سبقه ، فإنه والحال هذه يستحق التقديم ، ويكتسب الأهميّـــة لتفســـيره ، والله أعلم [٢] .

****

(١) باستثناء تحقيق د/ أحمد فرحات لمقدمة التفسير مع تفسير سورة الفاتحة وأول خمس آيات مـــن سورة البقرة . وقد صدر ذلك في كتاب عنوانه ((مقدمة جامع التفاسير مع تفســـير الفاتحـــة ومطالع البقرة)) .وتحقيق الدكتور عادل الشدي لسورتي آل عمران وجزء من سورة النساء .

(٢) انظر تفسير الراغب الأصفهاني عادل الشدي (١/١٣٨).

المبحث الثالث

منهج الراغب – رحمه الله عليه – من خلال الجزء المحقق في تفسيره

المطلب الأول :- مصادر الراغب الأصفهاني في تفسيره :-

إن الكلام على مصادر المؤلف تعد الركيزة الأولى في دراسة منهجه في المؤلَّف ، وهذا دأب كل باحث يقوم بدراسة المنهج ثم حصر تلك المصادر وتصنيفها حسب كل فن وعلم . وتبرز من خلال ذلك الحصر مدى علم المؤلف وسعة اطلاعه وبراعته في استخدام كل فن واستفادته منه لتكوين منهج علمي متميز . غير أن الراغب الأصفهاني تميز في هذا لما يلحظه الباحث في تفسيره من كثرة تنوع مصادره العامة والتي أهمها :-

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لها جانب من الحضور ، وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أشتهر بالتصنيف والتأليف في هذا المجال ، وأقوال الأئمة العلماء والفقهاء واللغويين والنحاة له دور متميز في هذا التفسير ، ومصادر الراغب الغزيرة في علم القراءات وأسباب الترول والفقه وغيرها . معرفته بأقوال الأدباء والحكماء والمتصوفة وغيرها من الفرق العقدية ويكمل رصيده العلمي بمعرفته الأمثال العربية والأقوال المأثورة .

إن هذا التنوع والشمول في المصادر ليدل دلالة واضحة على منهجه في الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول القائم للمناقشات والردود والجمع بين الأقوال والترجيح وكل ذلك يظهر من خلال شخصية الراغب العالم المتميز . ومما تجدر الإشارة إليه أنه في أغلب الأحايين ينص على مصادره الخاصة ،

فإما أن بذكر القول غير منسوب ، أو بذكر منسوباً إلى صاحبه من غير ذكر اسم كتابه الذي نقل عنه ، ومن خلال ذلك فقد رأيت تقسيم المصادر إلى قسمين :-

أولاً: المصادر العامة :-

١ - القرآن الكريم :-

فالقرآن هو كلام الله تعالى تكلم به حقيقة وعلمه الإنسان ليعمل به وهذا العمل قائم على ركائز أساسية أولها منهم هذا الكتاب قال تعالى : ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ (١) ، ومن آداب المفسر حفظه لكتاب الله تعالى ، ونجد أن الراغب رحمه الله كان كثيراً ما يستشهد بالآيات القرآنية على معاني الكلمة في الآية المفسرة ، وكان يربط بين الآيات في القرآن الكريم ويذكر مناسباتها ، كما كان يجمع بين الآيات ويقابل بعضها ببعض حتى بيَّن معنى الآية .

٢ -السنة النبوية

فقد لجأ الراغب رحمه الله إلى الاستدلال بالسنة النبوية على دلالة كثير من الآيات في الأحكام ، أو التوضيح لبعض ما أجمله القرآن الكريم أو الذكر لبيان سبب نزول الآي . غير أن الراغب رحمه الله كانت بضاعته في الحديث بخسة ، فقد كان كثيراً ما يذكر الأحاديث بمعانيها دون التقيد باللفظ الوارد عن

---

(١) سورة ص آية (٢٩) .

الرسول ﷺ ولذا فقد ذكر بعضاً من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ، وقد أخذ عليه أنه يرقع الموقوف أو المقطوع إلى مقام النبوة الشريفة ، وقد بلغ عدد الأحاديث مجملاً (خمسة وثمانون) حديثا ، وأما الضعيف فكان (عشرة) أحاديث . ومما تجدر الإشارة إليه أنه يذكر الحديث بلا أسانيد أو ذكر من خرجها من أهل الكتب الحديثة . و لم يتعرض لأقوال النقاد في سند الحديث ولعل هذا سبب في ذكره كثير من الأحاديث الواهية .

٣-أقوال الصحابة

ويتأتى ذكر قول الصحابة مرتبةً ثالثةً في تفسيره للآية القرآنية ولكنه لم يذكر إلا المشاهير من الصحابة كابن عباس وعلي وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً ، وكان غالباً ما يذكر اسم الصحابي عند ذكره للقول المفسر . ومن هؤلاء من كان يكثر النقل عنه كابن عباس ، ومنهم من كان نقله عنهم يسيراً .

وأما عدد المذكورين في الجزء المحقق وعدد مرات ذكرهم منهم كالتالي :-

الصحابي	عدد المرات
أبو بكر الصديق	٤
عمر بن الخطاب	٤
عثمان بن عفان	١
علي بن أبي طالب	٦
عائشة بنت الصديق	٢
عبدالله ابن عباس	٢٤
عبدالله ابن عمر	٤

ابن مسعود	٤
ابو سعيد الخدري	٢
عبادة بن الصامت	٣
أنس بن مالك	١
أُبي بن كعب	١
أبو هريرة	١

وهناك بعض التفاسير التي وقفت عليها من أقوال الصحابة ذكرها الراغب دون أن ينسبها ، كما أنه لم يذكر مصادره التي استقى منها هذه الأقوال ، والتي وقفت عليها من خلال التحقيق : كتفسير ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم . وتراه قد ينسب القول لغير صاحبه ولكن في مواضع قليلة من هذا الجزء وسيأتي بيان ذلك .

٤ -أقوال التابعين

ونجد اهتمامه بقول التابعي كاهتمامه بقول الصحابي في تفسير الآيات ، فكان منهجه في ذلك أنه يذكر أقوالهم بعد أقوال الصحابة وقد لا يلتزم بهذا في قليل منها ، وقد يكتفي بقول التابعي في بيان المعنى ، فنجده يذكر اسم التابعي في الغالب عند ذكر القول غير أنه في بعضها يبهم ويقول قيل كذا وبالتوثيق أتضح قائليها :-

التابعي	عدد	التابعي	عدد
الحسن البصري	٢٢	السدي	٣
قتادة	٨	الربيع	١
مجاهد	٥	الضحاك	٢

ابن زيد	٢	الشعبي	١
ابن جريج	١	عيسى	١
ابن جبير	٢	أيوب	١
عطاء	٢	عمر بن عبد	١
محمد سيرين	١	اسحاق	١
سفيان الثوري	١	أبو مالك	١
إبراهيم النخعي	١	مالك	٥
سفيان بن عيينه	١	عكرمة	١
مكحول	١	سليمان بن	١

ونجد أنه لم يذكر مصدراً نقل عنهم هذه الأقوال وسيأتي توضيح ذلك .

ثانياً : المصادر الخاصة ونجد أن الراغب قد أغفل كثيرًا في ذكر مصادره الخاصة التي نقل عنها ، ولكن بتوفيق الله استطعت الوقوف على عدد منها ، وذلك من خلال وجود النقول في تلك المصادر بعينها ، غير أنه كثيرًا مايذكر القول ويتصرف فيه بالاختصار تارة ، وبالمعنى تارة اخرى ، ونجده قد يذكر في بعض الأحيان قائل القول وسيأتي بيانه .

١-كتاب العين :- للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت-١٧٥هـ) :-

ونجده قد صرح باسمه مرة في هذا الجزء حيث ذكر عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾ (١) ، وقال : وعند الخليل الها فعلاء قلبوها كما قلبوا أنيق عن أنيق (٢) :- وانظر في العين قال الخليل :- أشياء اسم للجميع ، كان أصله فعلاء شيئان فاستثقلت الهمزتان ، فقلبت الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أَنْوق قالوا : أنيق (٣) وقد أبهمه في أخرى :- عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ تَعَالَوْا۟ ﴾ (٤) ، قال الراغب :- قال أهل اللغة : أصل تعال : دعا إلى العلو ، ثم استعمل في كل مكان علواً كان أو سفلاً (٥) ، وبالرجوع إلى كتاب العين في مادة علو ، قال الخليل :- يا رجل تعاله وتقول تعال يا رجل ، وتعالياً (٦) .

٢ -معاني القرآن للأخفش (ت-٢١٠هـ) :-

وقد صرح باسمه مرة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ

(١) سورة المائدة آية (١٠١) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٤٦٤) .

(٣) انظر : العين (٢٩٦/٦) .

(٤) سورة المائدة آية (١٠٤) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٤٦٩) .

(٦) انظر : العين مادة علو .

أَشۡيَآءَ ﴾ (١) قال الراغب :- (٢) وعند الأخفش والفراء أنها أفعلاء ...

٣- معاني القرآن للفراء (ت-٢٠٧هـ) :-

عند إعرابه لقوله تعالى : ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ (٣) ، نقل الراغب عن الفراء مصرحاً باسمه قال :- قال الفراء : الرفع يصح بعد إن ويصح في كل معطوف (٤) ، وبالرجوع إلى المعاني قال الفراء :- قال : فإن رفع (الصائبين) على أنه عطف على اللذين . واللذين حزف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه ....(٥) غير أن الراغب تصرف فيه .

---

(١) سورة المائدة آية (١٠١) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٤٦٢) .

(٣) سورة المائدة آية (٦٩) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٤٠٤) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء (٣١٠/١) .

٤-تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت-٢٧٦هـ) :-

وعند قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾ (١) ، قال الراغب :- والتنبيه أن العقاب يتركب بالجرائم ، لا قبل أدائها ... وعلى هذا المعنى قيل :- فلان يجرم لأهله (٢) . قال ابن قتيبة :- ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ أي لا يكسبنكم ، يقال فلان جارم أهله أي كاسبهم (٣) .

٥-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة أيضاً :-

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ (٤) ، قال الراغب :- هذه الآية يتعلق بها حكم التقدير والإعراب والفقه ، فأما التقدير فهو إذا حضر أحدكم الموت ، وبالرجوع إلى كلام ابن قتيبة في المشكل نجد بينهما تطابق مع تصرف الراغب فيه (٥) .

٦- مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت-٢٠٩هـ) :-

وقد نقل عنه في عدة مواضع أذكر منها الموضع : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ (٦) ، قال الراغب :- النقب

---

(١) سورة المائدة آية (٢) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٢٥٩) .

(٣) انظر : الغريب (١/١٣٩) .

(٤) سورة المائدة آية (١٠٦) .

(٥) انظر: المشكل ص (١/٤٢٠) وأنظر الرسالة ص (٤٧٤) .

(٦) سورة المائدة آية (١٢) .

كالثقب لكن الثقب يقال لما قضى من الجانب الآخر [١] ثم قال : قال أبـــو عبيدة هو الضامن على القوم [٢].

٧- معاني القرآن للزجاج (ت-٣١١) :-

عند تفسيره كلمة النجوى في قولـــه تعـــالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ [٣] . قال الراغب :- والنجوى الحديث الذي تفرد به فصـــاعداً أو للقوم المتناجين [٤] . قال الزجاج :- النجوى في الكلام : ما تفرد به الجماعة أو الاثنان سراً كان أو ظاهراً [٥] .

٨- الكتاب لسيبويه (ت-١٨٨ هـ) :-

وقد صرح باسمه عند إعرابه لكلمة ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ﴾ في قولـــه تعـــالى : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [٦] . قال الراغب :- ولسيبويه باب في كتابه يذكر فيه أن كل وصف يجيء على المدح والذم يصـــح فيـــه الاســـتئناف مرفوعـــاً ومنصوباً .... [٧] ، وقد ذكر سيبويه هذا القول في موضعين من كتابـــه لبيـــان

---

(١) انظر : الرسالة ص (٢٩٨)

(٢) انظر : المجاز (١/١٥٦) .

(٣) سورة النساء آية (١١٤) .

(٤) انظر : الرسالة ص (١٤٨) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/١٠٤) .

(٦) سورة النساء آية (١٦٢) .

(٧) انظر : الرسالة ص (٢٢٨) .

الخيار في الرفع والنصب [١] .

٩ - المبرد (ت-٢٨٥هـ) [٢] :-

وقد صرح باسمه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [٣] . قال الراغب :- قال أبو العباس المبرد رحمه الله :- إن تغفر كذبهم على حديث ، قالوا عيسى أمرنا بذلك ، ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ أي سنته ، لعلمك بهم ، والذي سأله العفو عنهم والغفران لهم فيما هو حق له [٤] .

١٠ - كتاب الفروق لأبي هلال العسكري (ت-٤٠٠هـ) :-

لم يشر الراغب إلى أخذه من كتاب الفروق ولا إلى صاحبه ولكن من خلال البحث والدراسة يرجع الباحث أن الراغب قد اعتمد عليه في تفسيره واستناداً منه وذلك للأسباب التالية :-

١- أن أبا هلال العسكري متقدم على الراغب فقد توفي عام ٤٠٠هـ .

٢- إكثار الراغب من ذكر الفروق في تفسيره وهي متطابقة نوعاً ما لما في كتاب الفروق .

٣- التشابه البائن بين الكلامين من الكتابين .

٤- تطابق رؤية الإماميين في ظاهرة الترادف اللغوي . مثال لذلك : عند

---

(١) انظر : كتابه (٢٠٢/١) .

(٢) انظر : ترجمته ص (٥٠٢) .

(٣) سورة المائدة آية (١١٨) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٥٠٣) .

تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (١) . قال الراغب :- الدين والملة والإسلام واحد من وجه ، لكن يقال باعتبارات مختلفة ، فإن الدين هو الانقياد للحق وذلك معتبر بالعبد .... قال ابن بحر :- هو أن يعدوا الذئب على شيء ضرباً من العدو (٢) . قال أبو هلال العسكري :- وأصل الملة في العربية الملل وهو أن يعدوا الذئب على شيء ضرباً من العدو (٣) .

١١-مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (ت-٤٣٧هـ) :-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ (٤) قال الراغب : إن لما قال : ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ *والثمن:* هو الذي يشترى به لا يشتري هو ، قيل : قال بعض أهل اللغة : أراد ذا ثمن فحذف المضاف ..... إلخ (٥) . وقال مكي :- قوله : ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ معناه : ذا ثمن لأن الثمن لا يشترى وإنما يشتري ذو ثمن وهو المثمن كقوله : ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا ﴾ (٦) . أي ذا ثمن (٧) .

---

(١) سورة النساء آية (١٢٥) .

(٢) انظر : الرسالة ص (١٧٢)

(٣) انظر : كتاب الفروق (ص/٢٢٠) .

(٤) سورة المائدة آية (١٠٦) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٤٨٠)

(٦) سورة التوبة آية (٩) .

(٧) انظر : المشكل ٢٤٢/١١-٢٤٣ .

١٢ - تفسير الجبَّائي (ت-٣٠٣هـ)[(١)] :-

وقد نقل الراغب عن الجبَّائي في موضع واحد وقد رجّح الباحث أن يكون مصدره هو تفسيره وذلك :-

١- أن الكلام يتعلق بتفسير القرآن ، وأقرب المصادر لذلك كتب التفسير.

٢-أن من ترجم للجبَّائي ، ذكر أنه كان من كبار مفسرِّي المعتزلة ، ومن مصنفاته : كتاب تفسير القرآن . نقل عنه معنى الخلة عند قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [(٢)] . قال الراغب :- ومنكر أن يقال حبيب الله أو حبيبي الله ، فإذا كان في أبلغ اللفظ من الاستعارة ففيما دونه أولى على معنى الثناء كما ذكر أبوعلي ، أو على معنى الاصطفاء كما ذكر غيره [(٣)] .

١٣ -تفسير ابن بحر (ت-٣٢٢هـ)[(٤)] :-

ذكر المترجمون أن ابن بحر له تفسير على طريقة المعتزلة اسمه : (جامع التأويل لمحكم التنزيل) . وعند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [(٥)] . قال الراغب :- بعد ذكره لمعنى الملة والفرق بينه وبين الدين

---

(١) انظر ترجمته ص (١٧٧) من الرسالة .

(٢) سورة النساء آية (١٢٥) .

(٣) انظر : الرسالة ص (١٧٧) .

(٤) انظر : ترجمته ص (١٧٢) .

(٥) سورة النساء آية (١٢٥) .

والإسلام ، ذكر قول ابن بحر قال :- هو أن يعدو الذئب على شيء ضرباً من العدو [١] .

١٤- تفسير الأصم (ت-٢٠٠هـ) [٢] :-

وقد نقل الراغب رأياً له عند قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً ﴾ [٣] .

قال الراغب :- بعد ذكره الأقوال ، ولا خلاف أن ذلك يقتضي الماء المطلق إلا عند الأصم ، فإنه أجاز التوضيء بماء الورد وما يجري مجراه في الرقة [٤] .

وهناك كثير من النقول التي لم أستطع تحديد المصدر فيها منها :-

١-أبو القاسم البلخي [٥] ٢-الكسائي [٦]

٣-أبو حنيفة [٧] ٤-الشافعي [٨]

---

(١) انظر : الرسالة ص (١٧٢) .

(٢) انظر : ترجمته ص (٢٨٧) .

(٣) سورة المائدة آية (٦) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٢٨٧) .

(٥) انظر : قوله وترجمته ص (١٧٥) .

(٦) انظر : قوله وترجمته ص (٢٣٦) .

(٧) انظر : قوله وترجمته ص (٢٧٧) .

(٨) انظر : قوله وترجمته ص (٢٧٦) .

٥-أبو مالك[١] ٦-سليمان بن موسى[٢]

٧-محمد بن كعب القرظي[٣]

المطلب الثاني :- تحديد نوعية تفسير الراغب

إذا تأملنا في تفسير الراغب ، أمكن القول بأنه من أقسام التفسير بالرأي الجائز ، لأنه وإن احتوى على خصال التفسير بالمأثور من تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين ، إلا أنه لم يكتفِ بذلك في تفسيره ، و لم يلتزم به في كل آية قام بتفسيرها ، و لم يورد أقوال جميع الصحابة في التفسير ، بل ذكر أقوال أعيانهم الذين لم يتعدوا اثني عشر صحابياً فقط .

وهو ليس من قبيل التفسير بالرأي المذموم ، لأنه لايفسر القرآن بالهوى والظن والتخمين ، وإنما فسَّره في ضوء معرفته بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ، مسترشداً بأقوال الصحابة والتابعين ، سائراً على قوانين اللغة ، غير مائلٍ إلى المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة ، كما أنه التزم ببقية العلوم المساعدة للمفسر ، المخرجة له عن كونه مفسراً بالرأي المذموم .

* * * * * *

---

(١) انظر : قوله وترجمته ص (١٥٩) .

(٢) انظر : قوله وترجمته ص (٤٣٢) .

(٣) انظر : قوله وترجمته ص (٣٠٥) .

المطلب الثالث : محاور منهج الراغب في التفسير

المحور الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

المحور الثاني : السنة النبوية في تفسيره .

المحور الثالث : أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره .

المحور الرابع : العربيّة في تفسيره .

المحور الخامس : مجالات النظر في تفسيره .

المحور السادس : مسائل العقيدة في تفسيره .

المحور السابع : مسائل الفقه في تفسيره .

* * * * * * *

المحور الأول : تفسير القرآن بالقرآن

اعتنى الراغب رحمه تعالى عليه كثيراً بهذا النوع من التفسير والذي يسمى التفسير بالمأثور ، ولأهمية هذا النوع فقد أكثر الراغب منه في تفسيره فكان يفسر الآية بما يماثلها من الآيات الدالة على نفس المعنى أو الغرض ، وكان يستدل على معنى الكلمة في الآية من خلال نظيرها من المعاني في القرآن وقد يحمل المجمل على المبين ليفسر المعنى به ، ويحمل المطلق على المقيد ، ويأخذ غالباً بالقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وكان يجمع بين الشكل من الآيات ، وقد يبرز بعض القواعد اللغوية . وكل هذا ليتصب في معين واحد ألا وهو علم الراغب الغزير ومدى براعته في اللغة والأدب والتفسير . وهناك بعض الأمثلة،كحمل المطلق على المقيد، كتفسير الكلمة القرآنية بآية قرآنية فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾[١] ، قال : والدم ها هنا هو الدم المسفوح بدلالة قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾[٢] الآية ، تعرف بالآية الدم[٣] .

---

(١) سورة المائدة آية (٣)

(٢) سورة الأنعام آية (١٤٥)

(٣) أنظر الرسالة ص (٢٦١) .

ثانياً : تفسير الآية بمثيلتها :- عند تفسير قوله تـعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ (١) الآية . قال كما بيّـن في الآية الأولى حكم من فرق بين بعض الأنبياء وبعضهم بين حكم من خالفـه : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ الآية (٢) . وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ (٣)، قال :- وقيل : معناه قلوبهم محجوبـة عن العلم ، كقوله تعـالى : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ (٤) **ثالثاً** : يستشهد بالآيات القرآنية علـى نطـق الكلمة من القرآن :- عند قوله : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ﴾ (٥)، قال الراغب :- وحذف الياء في الخط في قوله : ﴿ يُؤْتِ ٱللَّهُ ﴾ اتباع اللفظ بها لإلتقاء الساكنين

---

(١) سورة النساء آية (١٥٢) .

(٢) سورة البقرة آية (١٣٦) ، وأنظر الرسالة ص (٢١٣) .

(٣) سورة النساء آية (١٥٥) .

(٤) سورة فصلت آية (٥) ، وأنظر الرسالة ص (٢١٧) .

(٥) سورة النساء آية (١٤٦) .

كقوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ (١) وكقوله تعالى : ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ (٢)

وحذفها من قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (٣) للتخفيف .

رابعا : الجمع بين ما يُتَوَهَّم أنه مختلف من آيات الكتاب العزيز :- قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ (٤)، قال : أي على أن تعتدوا ، ونهى المسلمين عن الإعتداء على من ظلمهم ، فابغضوهم لظلمهم إياه .... إن قيل كيف قال ها هنا هذا ، وقد قال : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (٥) ثم شرع الراغب في الجمع .

القراءات في تفسير الراغب :

فالقراءة لها تأثير عظيم في اختلاف التفسير وتعدد الأقوال حتى عند المفسر الواحد ، وقد كان اهتمام الراغب الأصفهاني بالقراءات من هذا الجانب فقط ، وهو جانب (الدراية) . أما جانب (الرواية) فلم يعتن به عند ذكر القراءات ،

---

(١) سورة الإسراء آية (١١) .

(٢) سورة العلق آية (١٨) .

(٣) سورة الكهف آية (٦٤) أنظر الرسالة ص (٢٠٩) .

(٤) سورة المائدة آية (٢)

(٥) سورة البقرة آية (١٩٤) وأنظر الرسالة ص (٢٥٩) .

وقد اتضح ذلك من خلال ما يلي :

١- أنه لم يحدد طريقته في التعامل مع القراءات المختلفة من حيث القبول والرد .

٢- كان اهتمامه بالقراءات منصبّاً على جانب التعليل والتوجيه دون الاهتمام بثبوت القراءة من عدمه .

٣- لم يُشِرْ إلى مصادره في القراءات .

٤- لم يُشِرْ إلى صاحب القراءة إلا نادراً .

٥- كان يورد القراءات المتواترة والشاذة معاً دون تفرقة .

٦- أكثر من ذكر القراءات الشاذة دون التنبيه على شذوذها .

ومع ذلك فقد برع الراغب في الاستفادة من القراءات بما يخدم جانب التفسير ، حيث استخلص من القراءات القرآنية كثيراً من المعاني ، التي ساعدت على استجلاء ما في النصّ القرآني من : سمو البلاغة ، وكمال الإعجاز ، وبديع النظم .

وسوف أُشير في الصفحات التالية إلى نماذج من اهتمام الراغب بالقراءات ، مع استخلاص الفوائد المتعلقة بمنهجه في ذلك .

١ -*اختلاف المعنى لاختلاف القراءة :-*

فقال عند قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ [(١)] ، قال الراغب :- وقرأ : ﴿ يَوۡمُ ﴾ بالرفع ... فيكون الإشارة إلى اليوم ، فإذا نصب فإشارة إلى ما في اليوم .... [(٢)] .

٢- ترجيح بعض القراءات مع ذكر السبب والعلة وقد لا يلتزم بذلك :-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ [(٣)] ، قال :- وقراءه عامة القُراء (السارق) بالرفع ، وكان عيسى ينصب .... والوجه الرفع ، لأنه النصب تختار حيث لا معنى للشرط .... [(٤)] .

٣ - *التوجيه الإعرابي عند ذكر القراءة :-*

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ ﴾ [(٥)] ، قال الراغب :- إذا قرأ بفتح النون فمصدر ، نحو نزوان وطيران ، وإذا قرأ بسكونها فاسم ، نحو عطشان ، أي لا يحملنكم بغض قوم أي من يبغضون منهم [(٦)] .

---

(١) سورة المائدة آية (١١٩) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٥٠٦) .

(٣) سورة المائدة آية (٣٨) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٣٢٣).

(٥) سورة المائدة آية (٢) .

(٦) انظر : الرسالة ص (٢٥٩) .

٤ - ذكر القراءة من غير بيان لحالها في أكثر الأحيان :-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ (١) ، قال الراغب :- قراءة ابن عباس (أُثُنــاً) أي وثناً جمع وثن (٢) .

٥-وقد يذكر في بعض الأحيان القراءة غير منسوبة ويقول وقرأ كذا :-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ (٣) ، قال :- وقرأ ﴿ أَلَّا تَكُونَ ﴾ بالرفع والنصب ، فالرفع على تقدير أنه لا تكون فتنة وذلك أبلغ في ذمهم (٤) .

٦ - وقد يذكر القراءة مستنبطا منها حكماً :-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (٥) ، قال الراغب :- قراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) قال فذلك يؤخذ به حكماً وإن لم يؤخذ به تلاوة (٦) .

---

(١) سورة النساء آية (١١٧) .

(٢) وقد بينت توجيه هذه القراءة في ص (١٦١) من الرسالة .

(٣) سورة المائدة آية (٧١) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٤٠٨) .

(٥) سورة المائدة آية (٣٨) .

(٦) انظر : الرسالة ص (٣٤٧) .

٧- يرجح بعض القراءات الشاذة :-

مثل قراءة ابن مسعود عند قوله : ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] ، قال الراغب :- وقرأ ابن مسعود (وعَبَدُوا) وهذا أجود [2] .

* * * * * * *

(١) سورة المائدة آية (٦٠) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٣٨٨) .

المحور الثاني : السنة النبوية في تفسير الراغب

على الرغم من أن الراغب الأصفهاني قد ضمَّن تفسيره قدراً لا بأس به من الأحاديث النبوية ، إلا أن عنايته بهذا الجانب كانت محدودة بالنظر إلى عنايته بالقرآن واللغة ومحاولة الوقوف على أسرار بلاغة النصّ القرآني . وإن السبب في ذلك فيما أعلم هو أن الراغب لم يُوَلِّ جانب الرواية ذاك الاهتمام الذي أولاه جانب الدراية ، وليس هذا في التفسير فحسب ، بل في كل ما صنف الراغب من مصنفات في مختلف العلوم والفنون .

وقد ظهر هذا الضعف في جانب الحديث النبوي من خلال :

- عدم عناية الراغب بالإسناد .
- عدم ذكر رواة الأحاديث عن النبي ﷺ من الصحابة غالباً .
- عدم تحرِّي الدقة في عزو الأقوال إلى النبي ﷺ ، ولذلك كثر استشهاد الراغب بالأحاديث الضعيفة والموضوعة .
- رفع الأحاديث الموقوفة والأقوال المقطوعة ، ونسبتها إلى النبي ﷺ .
- عدم الإشارة إلى أيّ مصدر من مصادر السنة ، التي خرَّجت الحديث .
- عدم نقل كلام نُقَّاد الحديث في التصحيح والتضعيف .
- إدخال بعض الأحاديث في بعض أحياناً ، وجعلها حديثاً واحداً .
- رواية الأحاديث بالمعنى ، وعدم التقيد باللفظ .

ولكن الراغب نجح من خلال ما أورده من أحاديث في خدمة التفسير وذلك من خلال :

أولا :-الاستشهاد بالحديث على معنى الآية وتأكيده :

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ (١) ، قال الراغب :- قال عليه الصلاة والسلام :- (**من رأى منكرا فليغيره بيده** ....) ، قال ونبه بذلك على أنه قال : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ . من الإهتداء إنكار المنكر ... (٢) .

ثانيا : تفسير القرآن بالسنة :-

عند تفسيره لمعنى العدل بين النساء في قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٣) . قال النبي ﷺ :- (**اللهم إني أعدل فيما أعدل واستغفرك فيما لا أملك** ...) (٤) .

ثالثا : تفسير المجمل من القرآن بالسنة :-

عند تفسيره لآية الوضوء قال :- و لم يقتض ترتيب الأعضاء المأمور بغسلها بعضا على بعض ، والأظهر : أن الترتيب اقتضاه قول النبي ﷺ :- (**ابدءوا بما بدأ الله به**) (٥) وفعله الذي فعله تبيانا للآية ، وقد رتب ثم قال :- (**هذا**

---

(١) سورة المائدة آية (١٠٥) .

(٣) انظر : الرسالة ص (٤٧٢) .

(٣) سورة النساء آية (١٢٩) .

(٤) انظر : الرسالة ص (١٨٥) .

(٥) سيأتي تخريجه ص (٢٨٢) .

وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به)[١] .

توضح أصل الكلمة من القرآن بالسنة :-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾[٢] ، قال بعد ذكر المعنى اللغوي لكلمة الصلاء ، قال :- من أجله قال النبي ﷺ :- (**ايصلوا يا ذا الجلال والإكرام**) أي إلزموا مراعاة ذلك[٣] .

رابعا : المآخذ التي أخذت عليه :-

١- الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة :- مثل حديث :- (**صوموا تصحوا**)[٤] ، ذكره ابن عدي في الكامل من رواية حسن بن عبد الله بن أبي ضمرة عن علي رضي الله عنه ، وسئل أحمد عنه فقال متروك الحديث ، وقال عند يحي :- ليس بثقة ولا مأمون[٥] .

٢- رواية الحديث بالمعنى :- مثل حديث :- (**أن تريد لأخيك ما تريد لنفسك**)[٦] ، واللفظ الذي وجدته عند البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان قال :- (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) .

---

(١) انظر : الرسالة ص (٢٨٣) .

(٢) سورة النساء آية (١١٥) .

(٣) انظر : الرسالة ص (١٥٢) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٢٢٥) .

(٥) انظر : الكامل (٢/٧٦٦) .

(٦) انظر : الرسالة ص (١٩٠) .

خامساً : أسباب النزول في تفسير الراغب :-

ذكر الراغب أن علم أسباب النزول من ضمن العلوم التي ينبغي على المفسر معرفتها والإلمام بها [١] . ويتضح منهج الراغب في أسباب النزول من خلال الآتي :-

١- لم يهتم الراغب بأسباب النزول من ناحية الرواية فلم يذكر أسانيد الروايات التي ذكرها في أسباب النزول ولم يفرِّق بين ما صح وما لم يصح من هذه الأسباب ، وهذا حكم عام في كل ما يتعلق بالرواية والإسناد .

٢- وتجده غالباً ما يشير إلى تعدد الأقوال في سبب النزول . وقد يرجح أحدها ، وهذه الحالة فإنه يفسر الآية تفسيرا عاماً كما في هذا المثال :-

- عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [٢] ، قيل :- السبب في نزول هذه الآية **أن النبي ﷺ** ، **كان يهاب قريشاً فأنزل الله ذلك** ، **وروي أن أعرابياً هَمَّ بقتل النبي ﷺ** ، **فسقط السيف من يده** ، **فجعل يضرب برأسه حتى انتثر دماغه** .

- وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ

---

(١) انظر : مقدمة جامع التفسير (٩٥) .

(٢) سورة المائدة آية (٦٧) أنظر الرسالة ص (٣٩٩) .

ﱡٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌﱠ [١] ، قال : روي عن النبي ﷺ أنه خرج يوما غضبان وجلس على المنبر فقال : (**لا أسئل عن شيء إلا أجبت فقام رجل فقال : أين أنا ؟ فقال : في النار ، وقام آخر فقال : من أبي ؟ فقال : حذافة ، فقام عمر فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما ، والله يعلم من أباؤنا**) فنزلت هذه الآية . وقيل : **أنه كان في الحج لما قال سراقة بن جعشم له عليه الصلاة والسلام : أفي كل عام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : لو قلت نعم لوجبت . وقيل : كان سؤالان في مجلس** . وعلى هذا قال تعالى حكاية : ﱡ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﱠ [٢] . وهذا في سؤال دون سؤال .

سادسا :- الراغب يميل إلى تعميم الخاطب:-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﱡ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﱠ [٣] ، قال : إن قيل لم قال : ﱡ يَأْتُواْ ﱠ فذكر بلفظ الجمع ، وما تقدم هو تثنية ، قيل لأنهما لم يعنيهما فقط ، بل عنى الناس كلهم أي ذلك أدنى أن يصير الناس هكذا .

---

(١) سورة المائدة آية (١٠١) أنظر الرسالة ص (٤٦٢) .

(٢) سورة الكهف آية (٧٠) .

(٣) سورة المائدة آية (١٠٨) أنظر الرسالة ص (٤٨٧) .

المحور الثالث :أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الراغب

لقد ذكر العلماء أن تفسير الصحابة والتابعين هو من التفسير بالمأثور ، الذي يرجع إليه ويعمل به بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام ، وإن اختلفوا في حُجيَّته في التفسير . قال ابن كثير في تفسيره : (والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله ﷺ ، لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : " بم تحكم" ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأي ، فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال :- الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله) [(١)] . ثم قال رحمه الله :- (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، كمجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ... وغيرهم من التابعين) [(٢)] . وأمَّا عن حجة قول الصحابي والتابعي فلا أجد داعياً إلى ذكرها وقد تناولتها الدراسة السابقة بما يفيد الغرض والمطلوب . ويمكن تصور منهج الراغب في استدلاله بأقوال الصحابة والتابعين من خلال النماذج التالية :

أولاً: الراغب يذكر تعدد أقوال الصحابة والتابعين في الآية :-

---

(١) أخرجه : أبو داود رقم [٣٥٩٢] كتاب الأقضية ، والترمذي رقم [١٣٢٧/١٣٢٨] وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عندي بمتصل . والنسائي وأحمد في المسند (٥/٢٣٠ ، ٢٤٢) وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم [٨٨١] .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (١/٥٢٤) .

فعند تفسيره لمعنى الإناث في قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ (١) ، قال الراغب : قال أبو مالك والسدي وابن زيد :- الإناث الّلات والعزى . وقال ابن عباس وقتادة : على الأموات ، وقال الضحاك : هي الملائكة يزعمون أنها بنات الله (٢) .

ثانياً : الراغب يناقش القول ، ويحكم عليه ويرجح بعض الأقوال على بعض :

عند تفسيره لكلمة نقيبا في قوله تعالى : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ (٣) ، بعد ذكر المعنى اللغوي قال : قال أبو عبيدة : هو الضامن على القوم ، قال قتادة : هو الشاهد (٤) .

ثالثاً : الراغب يميل إلى التفسير بالعموم وعدم التخصيص ما أمكن :-

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (٥) ، قال الراغب : قال الحسن وابن زيد : هو في الكفار لأنهم مؤاخذون بصغائرهم وكبائرهم ، وقيل : هي الكبائر ، وقيل : هو عام في جميع الناس فإن من حصل

---

(١) سورة النساء آية (١١٧) .

(٢) انظر : الرسالة ص (١٥٩) .

(٣) سورة المائدة آية (١٢) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٢٩٧) .

(٥) سورة النساء آية (١٢٣) .

منه شيء جزى به إما في الدنيا وإما في الآخرة [١] .

رابعاً : الجمع والتأليف بين الأقوال إذا وجد لذلك مجالاً وعدم تضعيفها إلا إذا لم يوجد لها مساغ في الرواية واللغة :-

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [٢] ، ذكر الراغب في ذلك معنيين الأول عن مجاهد قال : من أحياها من ترك قتلها ، والثاني قال الحسن : من قتل نفساً من أضله عن طريق الهدى ، ومن أحياها أي دعا مشركاً إلى الإيمان فهداه وأرشده فكأنما أحيا آدم عليه الصلاة والسلام وولده إلى يوم القيامة [٣] .

---

(١) انظر : الرسالة ص (١٦٩) .

(٢) سورة المائدة آية (٣٢) .

(٣) انظر : الرسالة ص (٣٣٢) .

وهنا نجده ذكر الأقوال من غير أن يضعف أحدها ، ونجده قد جمع بين قولين في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) ، قال : أي من الكفر عقوبة لهم ، وقيل : لم يحكم بطهارة قلوبهم ، قال : والقولان مرادان على نحو ما تقدم ... (٢) .

خامساً :- الراغب كثيراً ما يوجه القول ، ويذكر علته ويبين أحياناً سبب اختلاف الأقوال :-

فعند قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ (٣) ، قال الراغب : من المفسرين من اعتبر التأنيث ها هنا في اللفظ دون المعنى وقال : لما كان اسم معبوداتهم مؤنثة نحو اللات والعزى ونحو الملائكة سماها مؤنثاً .... أو منهم من اعتبر التأنيث من حيث المعنى ، وقال الموجودات إضافة بعضها إلى بعض ثلاثة أضرب .... (٤) .

---

(١) سورة المائدة آية (٤١) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٣٥٤) .

(٣) سورة النساء (١١٧) .

(٤) انظر : الرسالة ص (١٥٧) .

المحور الرابع : العربية في تفسير الراغب

ونجد أن الراغب قد اعتنى باللغة العربية ولا غرابة في ذلك فهي لغة القرآن الكريم ، ويمكن معرفة مدى العناية التي أولاها الراغب للعربية من خلال تفسيره للآيات القرآنية وقد اقتصرت على مثال واحد فقط في كل فقرة :

أولاً : بيانه للمفردات القرآنية .

ثانياً : عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق .

ثالثاً : عنايته بالفروق اللغوية .

رابعاً : عنايته بالتعليل اللغوي .

خامساً : إيراده أقوال اللغويين والنحاة .

سادساً : قدرته على النقد اللغوي .

سابعاً : عنايته بالنحو والإعراب .

ثامناً : عنايته بالبلاغة .

أولاً: بيانه للمفردات القرآنية :

وقد اعتنى الراغب بالمفردات القرآنية . وقد ألف في ذلك كتاباً لا يخفى على أحد ونجده يتناول الآية ابتداءً بذكر المفردات اللغوية للكلمة القرآنية ومن ذلك :- فعند قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ [1] الآية ،

---

(١) سورة النساء آية (١١٤) .

قال :- النجوى الحديث الذي تفرد به اثنان فصاعداً أو للقوم المتناجين [١] .

ثانياً: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق :-

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ ، قال : وأصل ذلك من النجوه ، والنجاة : أي الخلاص منها لكون الملتجىء إليها ناجياً عن السبيل [٢].

ثالثاً: عنايته بالفروق اللغوية :-

عند تفسير قوله : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [٣] ، قال :- قيل الصنع أخص من العمل ، كما أن العمل أخص من الفعل ، وذلك أن الفعل يقال فيما كان من الحيوان ، وغير الحيوان وبقصد وبغير قصد ، والعمل لا يكون إلا من الحيوان وبقصد ، والصنع لا يكون إلا من الإنسان بقصد [٤] .

رابعاً : عنايته بالتعليل اللغوي :-

- تعليل التقديم والتأخير : عند قوله : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [٥] ، قال إن قيل لما أخر الإيمان عن الشكر ، قيل :- لأنه

---

(١) انظر : الرسالة ص (١٤٨) .

(٢) سورة النساء آية (١١٤) وأنظر الرسالة ص (١٤٨) .

(٣) سورة المائدة آية (٦٣) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٣٩٠) .

(٥) سورة النساء آية (١٤٧) .

عنى به معرفة النعمة التي يتوصل بها إلى معرفة المنعم [١] .

• تعليل التكرار : عند قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢] ، قال الراغب : وأعاد قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ثلاث مرات لثلاث معان [٣] .

• تعليل لوضع الظاهر موضع المضمر :- عند قوله تعالى : ﴿ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [٤] ، قال :- ولم يقل بيننا وبينهم ، بل قال وبين القوم الفاسقين ، فيكون دعاؤه أبلغ وأقرب إلى استعمال الأدب في مخاطبة الله تعالى [٥] .

• تعليل الاختصاص :- عند قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [٦] ، قال :- وتخصيص لحم الخنزير لا يقتضي تحليل شحمه وسائر ما فيه لأن ذلك نص على أفضل ما فيه [٧] .

---

(١) انظر : الرسالة ص (٢٠٩) .

(٢) سورة النساء آية (١٣١) .

(٣) انظر : الرسالة ص (١٨٧) .

(٤) سورة المائدة آية (٢٥) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٣١٩) .

(٦) سورة المائدة آية (٣) .

(٧) انظر : الرسالة ص (٢٦٢) .

خامساً : إيراده أقوال اللغويين والنحاة :-

ومن عنايةالراغب الأصفهاني بلغة القرآن استشهاده بـأقوال اللغويين والنحاة ، وذكره لكلامهم في المعاني أوالإعراب أو فيما يتعلق بفنون البلاغة واللغة الأخرى ، وفيما يلي حصر بعدد المرات التي ذكر فيها الراغب أقوال أهل اللغة وهم :

١- الفراء (٢)
٢- الزجاج (٣)
٣- أبو عبيدة (٣)
٤- الخليل (٢)
٥- سيبويه (٢)
٦- الكسائي (٣)
٧- المبرد (١)
٨- الأخفش (٢)
٩- ابن قتيبة (أخذ عنه و لم يصرح بإسمه)
١٠- مكي ابن أبي طالب (أخذ عنه ولم يصرح بإسمه)

وقد تبين لي من خلال مطابقة ما ذكره الراغب عن بعض هؤلاء العلماء بما سطروه في كتبهم ، أن الراغب ينقل عن هؤلاء بالمعنى ، ولا يلتزم النقل عنهم حرفياً ، ولعله ينقل من ذاكرته دون الرجوع إلى كتب هؤلاء الأئمة .

وعلى سبيل المثال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (١) ، قال الراغب : قال أهل اللغة : أصل تعال دعا إلى العلو ، ثم استعمل في كل مكان علواً كان أو سفلاً (١) . وبالرجوع إلى كتاب العين

(١) سورة المائدة آية (١٠٤) .

استعمل في كل مكان علواً كان أو سفلاً [١] . وبالرجوع إلى كتاب العين للخليل ، قال في مادة علو : وتقول : يا رجل تعاله لها مثله مفعول تعال يا رجل ، وتعاليا وتعالوا ... [٢] .

سادساً : قدرته على النقد اللغوي :-

للراغب قدرة فائقة في مجال اللغة على مناقشة أقوال الغير ، والحكم عليها ، والترجيح بينها ، وذكر العلة ، سواء في تصحيح القول أو تضعيفه ، وهو غالباً يوفّق بين الأقوال ، ولا يردّ القول إلا إذا لم يجد ما يشهد له من الأدلة الصحيحة : سمعية كانت ، أم عقلية ، أم لغوية ، ويمكن تلمُّس قدرة الراغب على النقد اللغوي من خلال تتبُّع الأمثلة التالية :-

- يعرض القول ويناقشه ويرد عليه : عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٣] . ذكر أن هذه الآية استدل بها على تفضيل الملائكة على الأنبياء ، ثم أخذ يناقش هذه المسألة وعرض من خلال ما ذكر إلى تفضيل الأنبياء بعضهم البعض . ورد على تلك الأقوال بأدلة نقليه وأخرى عقلية [٤] .

- يعرض القضية بذكر المناقشات من أقوال الأئمة من غير ترجيح : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [٥] ، قال : وقرأ (قسية) ، وقيل هي فعلية منه ، وقيل معناه ليست بخالصة الإيمان من قولهم درهم قسي

---

(١) انظر : الرسالة ص (٤٦٩) .

(٢) انظر : العين (٢/٢٤٧) .

(٣) سورة النساء آية (١٧٢) .

(٤) انظر: الرسالة ص (٢٤١ ، ٢٤٢) .

(٥) سورة المائدة آية (١٣) .

إذا خالطه غِشِّيه الخائنة ، وقيل : مصدر كالخيانة ، نحو عوفي عافية . ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾ ... وقيل : معناه تطلع على جماعة خائنة ، وقيل : على رجل خاص [١] .

• وتجده قد يضعف القول بمرجح أو بغيره : وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [٢] ، ونجد أن الحنيفية استدلت بالآية على أنه يجوز التزوج اليتيمة الصغيرة ، وأنه يجوز أن يزوجها غير الأب والجد .... وقد ضعف هذا القول وقال : و لم يذكر في الآية مني يزوجها ومن يزوجها ولا قصد الآية إلى ذلك [٣] .

سابعاً : عنايته بالنحو والإعراب :-

• يوضح المعنى القرآني من خلال الإعراب : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [٤] ، قال في قوله : ﴿ مَّغْفِرَةٌ ﴾ وجهان ، أحدهما : أن يكون في موضع مفعول وعد الله ... والثاني : أن مفعول وعد محذوف ، وقوله : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ تفسير له ، ثم قال : وعلى كلام

---

(١) انظر : الرسالة ص (٣٠٠) .

(٢) سورة النساء آية (١٢٧) .

(٣) انظر : الرسالة ص (١٨١) .

(٤) سورة المائدة آية (٩) .

التقديرين لا يختلف المعنى [١] .

• يذكر بعض القواعد النحوية واللغوية : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [٢] ، قال الراغب :أفعل وإنما يقال في شيئين أُشِـركا في معنى واحد لأحدهما مزية .... [٣] .

• يرجح بعض أوجه الإعراب وقد يضعف بعضها الأخـر : عنـد قولـه تعـالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ [٤] ، قـال : مبتـدأ وقولـه : ﴿ فَكُلُواْ ﴾ في موضع خبر ، قال بعضهم : هو معطوف على الطيبات وتقديره : صيدوا ما علمتم ، والأول أجود [٥] .

وقد لا يرجح أي وجه من الإعراب : فعند قولـه تعـالى : ﴿ لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ [٦] ، قال : يحتمل فيه أربعة أوجه وذكرها دون أن يرجـح أحداً منها [٧] .

ثامناً : عنايته بالبلاغة :-

• أسلوب الاستجواب : وقد نجد الراغب كثيراً ما يستخدم هذا الأسـلوب

---

(١) انظر : الرسالة ص (٢٩٥) .

(٢) سورة المائدة آية (٨) .

(٣) انظر : الرسالة ص (٢٩٣) .

(٤) سورة المائدة آية (٤) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٢٧١) .

(٦) سورة المائدة آية (٢٥) .

(٧) انظر : الرسالة ص (٣١٨) .

في عرضه لتفسيرالآيات القرآنية من ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) ، قال الراغب : إن قيل ما وجه فائدة قوله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ بعد قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ قيل : لما بيَّن تعالى أنه أكمل دينهم ، بيَّن بعد أن ذلك الدين هو الإسلام (٢) .

• الاستعارة والتشبيه : نجده عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ (٣) ، قال الراغب : على طريقة التشبيه والتنبيه أن العقاب يرتكب بالجرائم ... (٤) . والاستعارة عند قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٥) ، قال الراغب : قال بعض الناس : معنى ذلك خذوا الحق من حيث ما يجب أخذه ولا يطلبوه من غير واجهة ، قال : وهذا استعارة (٦) .

• الجمع والتثنية : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (٧) ، قال الراغب : وإنما ذكر الأيدي بلفظ الجمع وتارة

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٢٦٧) .

(٣) سورة المائدة آية (٢) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٢٥٨) .

(٥) سورة النساء آية (١٥٣) .

(٦) انظر : الرسالة ص (٢١٥) .

(٧) سورة المائدة آية (٣٨) .

بلفظ التثنية ... [١] .

• الاستئناف : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [٢] ، قال : قيل هو استئناف على تقدير ما يتلى عليكم يبّن لكم [٣]

• الاعتراض : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [٤] ، قال الراغب : يتصل به قوله : ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وقوله : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ جملتان فصل بين الكلامين المتصلين على الإعتراض المؤكد للكلام [٥] .

• قاعدة في الأدوات والضمائر: عند قوله تعالى :﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [٦]، قال الراغب في تفسيرها : معنى لكم أي أوجبها عليكم ، إن قيل : فقد كان يجب أن يقول كتب الله عليكم على هذا قيل : إنما ذكر لكم معناً لطيفاً وهو أنه نبه أنه أوجب عليهم وجوباً يستحقون به ثواباً يحصل لهم [٧] .

---

(١) انظر : الرسالة ص (٣٤٨) .

(٢) سورة النساء آية (١٢٧) .

(٣) انظر : الرسالة ص (١٧٨) .

(٤) سورة المائدة آية (١٢) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٢٩٩) .

(٦) سورة المائدة آية (٢١)

(٧) انظر : الرسالة ص (٣١٤) .

• الالتفاف : عند قوله : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ [1] ، قال : التفات وصرف الكلام إلى وصف الشيطان [2] .

المحور الخامس : مجالات النظر في تفسير الراغب :-

للعقل مجالات متعددة نجد الراغب يتبحر فيها ويستنبط منها معانٍ كثير في تفسير الآيات القرآنية ، وكل ذلك ناتج عن التدبر والتفكر في آيات الله تعالى . وأجمل الحديث عن ذلك فيما يلي :-

١-مكانة العقل عند الراغب .

٢-مناقشة القضايا بطرق منطقية .

٣-نظرته في حكمة الترتيب .

٤-حرصه على دفع توهم التعارض بين أدلة الوحي .

٥-قدرته على السبر والتقسيم .

وسأتناول كل ذلك بمشيئة الله تعالى بذكر مثال واحد لكل فقرة تفادياً للحشو والتطويل .

أولاً : مكانة العقل في تفسير الراغب :- يقول الراغب :- لله عز وجل إلى خلقه رسولان : أحدهما :- من الباطن وهو العقل ، والثاني :- من الظاهر وهو

---

(١) سورة النساء آية (١١٨) .

(٢) انظر : الرسالة ص (١٦٢) .

الرسول (١) ، ونجد ذلك في تفسيره أيضاً لمعنى كلمة المعروف عند قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ (٢) ، قال :- لكل ما يستحسنه العقل ويعترف به يقال له معروفاً (٣) .

ثانياً : مناقشة القضايا بطرق منطقية :- ونجده في قضية تفضيل الملائكة والأنبياء عند قوله تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٤) ، ناقش الأقوال في تفضيل الملائكة على الأنبياء أو تفضيل الأنبياء على بعضهم البعض ، قال :- إنما ذكرت من قولك لن يستنكف الحاجب أن يخدمني ولا الصغير ولا الكبير من أصحاب الأمير قال :- فهنا لا يقتضي أن يكون الصغير والكبير أفضل من الحاجب (٥) .

ثالثاً : نظرة في حكمة الترتيب :- وهو ما يسمى عند المفسرين مناسبة الآية

---

(١) انظر : الذريعة ص (٢٠٧) .

(٢) سورة النساء آية (١١٤) .

(٣) انظر : الرسالة ص (١٤٧) .

(٤) سورة النساء آية (١٧٢) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٢٤٢) وانظر درء تعارض العقل والدين لابن تيمية (٥/٢٥٥-٢٥٦) وصف شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة بأنها مسألة يطول شرحها، واختار رحمه الله أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إذا دخلوا دار القرار وأن الملائكة أفضل باعتبار البداية والله أعلم.وقد ذهبت المعتزلة إلى تفضيل الملائكة على البشر وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٣٠٠)،(١١/٩٥) و (٤/٣٥٠-٣٩٢) ومن العلماء من أعدم الفائدة في مثل هذا البحث انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص/٣٠٢)وانظر الرسالة (ص/١١٥).

لما قبلها وربط الآيات لبيان الحكمة من ذلك وهو أسنى في فهم الآيات ، ومن ذلك :- عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ (١) ، قال الراغب :- كما بين في الآية الأولى حكم من فرق بين بعض الأنبياء وبعضهم بيَّن حكم من خالفه .... (٢) .

رابعاً : حرصه على دفع توهُّم التعارض بين أدلة الوحي :-

القرآن كله يصدق بعضه بعضا قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ (٣) ، وإيماناً من الراغب على درء ما يظن أنه متعارض أو ظاهره يوحي بذلك فقد نهج في تفسير هذا المنهج تبياناً للآيات القرآنية . ومثال ذلك :- عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ ﴾ (٤) ، قال الراغب :- إن قيل كيف قال ها هنا هذا ، وقد قال : ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾ (٥) ، قيل : المأمور به في قوله : ﴿ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾ إباحة المجازاة للظالم بمثل فعله فسماه باسم الأول ، وقوله : ﴿ أَن تَعۡتَدُواْ ﴾ نهي عما هو اكثر من المجازاة (٦) .

---

(١) سورة النساء آية (١٥٢) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٢١٣) .

(٣) سورة النساء آية (٨٢) .

(٤) سورة المائدة آية (٢) .

(٥) سورة البقرة آية (١٩٤) .

(٦) انظر : الرسالة ص (٢٥٩) .

خامساً : قدرته على السبر والتقسيم :- ومما يدل على نبوغ الراغب غـزارة علمه وقدرته على بسط الأفكار والمعلومات تسهيلاً لطالب العلم فإنـه كثـيراً ما يعرج إلى تقسيم وتنظيم الأفكار في عبارات دقيقة مؤدية بذلك إلى الغـرض المطلوب دون إفراط أو تفريط . ومن ذلك :- عند قوله تعـالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [(١)] ، قال الراغب :- والعقود باعتبـار المعقود ثلاثة أضرب :- عقد بين الله وبين العبد وعقد بين العبد ونفسه ، وعقد بينه وبين غيره من البشر ، وكل واحد باعتبار الموجب له ضربان :-

ضرب أوجبه العقل ، وهو ما ركز الله تعالى بمعرفته في الإنسان فيتوصل إليه ... وضرب أوجبه الشرع :- وهو ما دلنا عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فذلك ستة أضرب [(٢)] .

* * * * * * * *

(١) سورة المائدة آية (١) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٢٤٧) .

المحور السادس : مسائل العقيدة في تفسير الراغب

ولقد احترت كثيراً في عقيدة الراغب رحمه الله وقد وجدته في بعض المسائل العقيدية متردد ، فهو مرة على مذهب السلف الصالح ، وتارة نجده على مذهب المخالفين لهم ولعل هذا يعود أولاً إلى أنه نقل عن شيوخه ، وهؤلاء منهم من هو سلفي ومنهم من هو معتزلي ومنهم من هو أشعري ، وسأتناول في هذه الصفحات شيئاً من ذلك :-

أولاً : منزلة العمل من الإيمان عند الراغب :-

فعند قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [1] ، قال الراغب : وقيل معناه : من لم يشكر الله بالإيمان ، أي هو ذو إيمان فقد حبط عمله تنبيهاً أن الاعتقاد لا يكفي ما لم تضامه شكر الله بإقامة عباداته ، وقيل معناه : من لم يراعِ حقيقة الإيمان بالاعتقاد لم تنفعه أعماله [2] ، وهذا يدل على أن العمل داخل في مسمى الإيمان ، ونجده يتعرض لمسألة التوبة تجبُّ ما قبلها وذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [3]

---

(١) سورة المائدة آية (٥) .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص/٣٤٢) وانظر الرسالة ص (٢٨١) .

(٣) سورة المائدةآية (٦٥)

ثانياً : حجية الإجماع عند الراغب في العقيدة :-

ونجده يثبت حجية الإجماع ويرد بذلك على النظام [١] ومن شايعه من ردة لهذه الحجية وذلك عند استدلاله بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٢] .

رابعاً : إثبات بعض الصفات :-

أثبت صفة الإرادة لله تعالى عند قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [٣] .

- قال الراغب :- أن ما يريده يجعله حكماً ... فالله يحكم ما يريد وحكمه ماضي ومن رضي بحكمه استراح نفسه ... ومن سخط فقد حكمه واكتسب بسخطه سخط الله وإمقاته [٤] .

- أثبت رؤية الله تعالى في الجنة :- فعند قوله تعالى : ﴿ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [٥] .... قال وهذا كما سأل ابراهيم .... قال موسى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [٦] ، وإنما سأل حاله لا يجعل إلا للأنبياء

---

(١) والنظام: هو ابراهيم بن سياف النظام البصري، يكنى أبا إسحاق كان مولى الزيادين من ولد العبيد وقد أجمعوا على أنه أعظم رجال المعتزلة جميعاً.ت (٢٣١هـ). انظر ترجمته في الأعلام وانظر قوله في علم الكلام (٢٣٣/١).

(٢) سورة النساء آية (١١٥) ، وانظر قوله ص (١٥٤) من الرسالة .

(٣) سورة المائدة آية (١) .

(٤) انظر : الرسالة ص (٢٥٤) .

(٥) سورة المائدة آية (١١٤) .

(٦) سورة الأعراف آية (١٤٣) .

والأولياء في الآخرة ، فبين تعالى أن ذلك غير سهل ما دمت على هذه الحالة [1] .

• إثبات صفة إيقاع العداوة عند قولـــه تعـــالى : ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ [2] ، قال الراغب :- وكيفية إيقاع العـــداوة بينـــهم على ما تقدم من نسبته تعالى نحو ذلك الفعل إلى نفسه [3] .

خامساً : تأويله لبعض الصفات :-

ونجد أن الراغب رحمه الله تعالى قد أول بعض الصفات مخالفاً بذلك مذهـــب أهل السنة والجماعة ومن ذلك :-

• أنه تأول صفة اليد عند تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [4] ، قال الراغب : وتثنية اليد على طريقة كلام العرب في استعارة هذه اللفظـــة وقيل : تنبيهاً لأنه أراد عطية الدنيا والآخرة . وقيل : بل قصداً إلى ثوابه وعقابـــه ، وقيل : بل قصد إلى تكثير نعمه ... [5] ، ونجده في هذه الصفة ينحو منحـــى

---

(١) انظر : الرسالة (ص/ ٤٩٦) وانظر شرح العقيدة الطحاويةص(١٨٨-١٩٣-١٩٦) .

(٢) سورة المائدة آية (١٤) .

(٣) انظر : الرسالة ص (٣٠٣) . وقد ذكر محمد العثيمين رحمه الله تعالى في القواعد المثلـــى أن الصفة إذا كانت كمالاً في حال ونقصاً في حال تكون جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سـبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً ،ولا تنفي عنه نفياً مطلقاً فتكون صفات كمال وتثبت لـــه إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل عليها. انظـــر (ص/ ٢٠).وانظـــر تفســـير الراغـــب الأصفهاني . تحقيق د/عادل الشدي (١/ ٢٧٦) .

(٤) سورة المائدة آية (٦٤) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٣٩٢). وانظر تفسير الراغب الأصفهاني . تحقيـــق د/عـــادل الشـــدي (١/ ٢٧٧) .

المعتزلة[١] المؤولة ، فهو بذلك خالف أيضاً الأشاعرة فهم يثبتون هذه الصفة لله تعالى [٢] غير متأخروا الأشاعرة لا يثبتون ذلك والذي عليه أهل السنة والجماعة اثبات اليدين لله حقيقة، وهما صفة ذاتية له سبحانه وتعالى، وليست جارحتين خلافاً للجهمية من المعطلة ،وقد دل على هذا الإثبات القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ [٣] وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ [٤] ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم:(إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين) [٥] .

ويكفي في هذا الرد على الراغب وغيره ممن يزعم أنهما بمعنى القدرة وأنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المستثبتة، ولا قدرة له في قول النفاة لأنهم

---

(١) المعتزلة هم فرقة إسلامية نشأت في آواخر العصر الأموي واعتمدت على النقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية وتأثر ببعض الفلسفات ومن أسمائها القدورية والعزلية والتوحيد والمقتصدة والوعيدة ، أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان (١/٦٤) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٢)(٤/١٧٤) ، ونقض التأسيس لابن تيمية (١/٥٥٦٣).

(٣) سورة ص آية (٧٥).

(٤)سورة يس آية (٧١).

(٥)أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر رقم (١٨/١٨٢٧).

يقولون أنه قادر لذاته .

ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لابليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [١] إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود فلو كانت بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وابليس فرق في تشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرتهم، لأن ابليس بل سائر المخلوقات قد خلقها الله تعالى بقدرته فدل هذا على أن اليدين صفة حقيقية لله سبحانه لما يفيد لفظ التثنية لأن لفظ اليدين بالتثنية لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية [٢] . ومما يبعد حمل اليد على القدرة أو النعمة ونحوهما زيادة على كل ما ذكرت ما ورد في اثبات الأصابع والفيض لله تعالى [٣] .

● صفة العلو لله تعالى :- فهو ينفي هذه الصفة عن الله تعالى ، ونجد أن ذلك يتضح عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [٤] ، قال الراغب :- وقوله : ﴿ إِلَيْهِ ﴾ تنبيهاً على تعظيم المرفوع لا إشارة إلى حد محدود ، تنبيهاً أنه حصل له أعلى شرف [٥] . وقد رد الراغب على نفسه من

---

(١)سورة ص آية (٧٥).

(٢)انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١١٨) وما بعدها، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٣٦٩) ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٣٢٢) وما بعدها ،وفتح الباري لابن حجر (١٣/٣٩٣-٣٩٤) والقواعد المثلى لابن عثيمين (ص/٥٠) ، وأنظر الرسالة ص (٣٩٢).

(٣)انظرمختصر الصواعق لابن القيم (ص/٥٠٢-٥١٠)

(٤) سورة النساء آية (١٥٨) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٢٢٢) .

حيث أراد النجاة واستدل بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [(١)] ، وهذا قول الأشاعرة[(٢)] والكرامية [(٣)] والصوفية ، والمعنى أنه ليس في جهة ولا تميز . وصفة العلو لله تعالى من أظهر الصفات التي جاءت بها النصوص مستفيضة متواترة من الكتاب والسنة فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [(٤)] ومن السنة حديث الجارية عندما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله ؟ قالت: في السماء [(٥)] فالله تعالى عال فوق خلقه، بائن عنه لا يحصره ،ولا يحيط به شيء من المخلوقات يقول شارح الطحاوية في الرد على من قال المراد بالعلو علو الشرف والمكانة(ومن سمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام السلف وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر ولا

---

(١) سورة النجم آية (٤٢) .

(٢) الأشاعرة : فرقة كلامية إسلامية ، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة ، وقد أتخذت البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججت خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم ، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب . أنظر الموسوعة الميسرة في المذاهب (٨٣/١) .

(٣) الكرامية : هم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام . ومن عقائدهم أن الإيمان هو القول باللسان دون المعرفة للقلب وقولهم إن الله تعالى جسم وأنه سبحانه وتعالى له ثقل . أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٢١٥/٢٢٥) ،والملل والنحل (١٠٨/١)

(٤) سورة الملك آية (١٦)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام ونسخ ماكان من إباحته [٨٣٦] .

ريب أن الله تعالى لما خلق الخلق ، لم يخلقهم في ذاته المقدسة تعالى الله عن ذلك فإنه الأحد الصمد فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته ،ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم ،كان متصفاً بضد ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية: السفول وهو مذموم على الإطلاق فله سبحانه فوقية القهر ،وفوقية القدر، وفوقية الذات ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقض وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه [١].

- نفي صفة السمع والبصر:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [٢] قال: إنه عارف بالأغراض والمقاصد فهو يجازي كلاً بحسب مقصده [٣].

قال الشيخ ابن عثيمين: صفات الكمال يجب أن تثبت لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به [٤].

قال شارح الطحاوية: فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو الشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص/٢٨٤-٢٨٩) بتصرف يسير ، والقواعد المثلى لابن عثيمين ص (٣١ ، ٣٤) . . وما بعدها

(٢) سورة النساء آية (١٣٤) .

(٣) انظر الرسالة ص (١٨٩) .

(٤) القواعد المثلى (ص/٢٢) بتصرف.

النصارى في كفرهم [١].

سادساً : ترددة في بعض الصفات :-

ونجده قد ترد في صفة المحبة والخلة من الله تعالى لعباده ، فنجده في موضع قد أثبت هذه الصفة وسار على نهج السلف ، وذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [٢] ، ثم ذكر حديث النبي ﷺ قال :- (**إن الله قال : ما زال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه** ......) [٣] . ونجده قد نفى هذه الصفة عند قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [٤] ، وذكر أقوال أئمة المعتزلة في تفسيره لهذه الآية قال : ومنكر أن يقال حبيب الله أو حبيبي الله فإذا كان في أبلغ اللفظ من الاستعارة ففيها دونه أولى على معنى الثناء كما ذكر أبو علي ، أو على معنى الاصطفاء . أن المحبة صفة من صفات الله تعالى الفعلية الإختيارية التي تتعلق بمشيئة والنصوص النقلية كثيرة في ذلك منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٥] والحديث الآنف الذكر، والخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، وهي أخص من مطلق المحبة [٦]، فالحق الذي عليه أهل السنة أن معنى

---

(١)انظر شرح الطحاوية (ص/٩٩).

(٢) سورة المائدة آية (١٨) .

(٣)الحديث سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٤) سورة النساء آية (١٢٥) . وانظر الرسالة ص (١٧٧) .

(٥)سورة البقرة أية (٢٢٢).

(٦)انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٣-٢٩٥).

المحبة والخلة غير معنى الإصطفاء والثناء وغيرهما من المعاني التي يقولها المتأولة، فالله سبحانه موصوف بها على الوجه الذي يليق به ومحبته وخلقته لا تشابه محبة خلقه ولا خلقهم [١].

صفة النفس لله تعالى :

الحقيقة لم يتضح لي موقف الراغب من إثبات صفة النفس لله تعالى ،فقد نقل عدة تفاسير بصيغة (قيل). ومنها النفس: الذات[٢] ، وغير ذلك فنجد أن إطلاق النفس على الله تعالى قد جاء في الكتاب والسنة ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [٣] وفي الحديث عائشة رضي الله عنها دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك) [٤]. ولقد عد علماء من السلف النفس من صفات الله تعالى كابن خزيمة [٥] وقد فسر ابن تيمية النفس بذات الله المتصفة بالصفات، فقلى:(... الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته ليس المراد به ذات منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ) [٦]

---

(١) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية (٢/٣٥٤) (٦/٤٧٦-٤٧٧).

(٢) أنظر الرسالة ص (٤٩٨) .

(٣) سورة آل عمران آية (٢٨).

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود رقم (٢٢٢/٤٨٦).

(٥) التوحيد لابن خزيمة (١/١١).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/٢٩٢-٢٩٣).

سابعاً : سار على بعض أصول المعتزلة:-

أولاً: عقيدته في الوعد والوعيد :-

نجد أن الراغب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [(١)] قال: ونبه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [(٢)]. كما أنهم كانوا جوزا الشر فإنهم يجازون بالخير فإن لم يجازوا بذلك فقد ظلموا ظلماً عظيماً والله تعالى متره عن صغير الظلم فكيف عن كبيره[(٣)].وقد ذكر في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ [(٤)] قال الراغب : قال بعضهم يصح أن يقال لاسلطاناً لله على المؤمنين المخلصين بمعنى لايعذبهم[(٥)] .

وأصل الوعد والوعيد متفرع عن أصل العدل ، إذ تقتضي العدالة الإلهية أن تثيب الأخيار ، وأن تعاقب ، الأشرار ويمكن تلخيص النظرة الإعتزالية إلى اليوم الآخر أنه استحقاق وأعواض [(٦)].

قال شارح الطحاويه: (وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهي ... ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة، لما

---

(١) سورة النساء آية (١٢٣).

(٢) سورة النساء آية (١٢٤).

(٣) انظر (ص/١٧١) من الرسالة.

(٤) سورة النساء آية (١٤٤)

(٥) أنظر الرسالة ص (٢٠٧) .

(٦)انظر علم الكلام دراسة فلسفية (١/١٥٧).

تضمنتاه هذا الأصل. لهما شأن عظيم ليس لغيرهما.) [١] والله سبحانه وتعالى لا موجب له من خلقه.

ثانياً: عقيدته في أفعال العباد :يرى أنها مخلوقة لهم وليست لله ويتضح ذلك من قوله ومنفعل من وجه ، وفاعل من وجه وهو الإنسان فبالإضافة إلى الله فنفعل وبالإضافة إلى مصنوعاته فاعل [٢].

قال شارح الطحاوية: فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة ،ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله تعالى ليس هو نفس فعل الله ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد أثبت للعباد فعلاً وكسباً وأضاف الخلق لله تعالى [٣].

ثامنًا : كلامه في التشريعات والمعجزات والتنبؤات :

فعند قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [٤] ، قال الراغب :- قيل : لما كان الإسلام شرع شيئاً فشيئاً بيّن تعالى بهذه الآية كماله ، قيل : إن الأديان الحق كلها جارية مجرى دين واحد ، وكان قبل الإسلام في الشيء بين الإفراط وتفريط بالإضافة إلى شرعيتها وذلك حسب ما كان تقتضي حكمة الله في كل زمان ... وهذا هو الذي اقتضى أن تكون شريعته مؤيدة

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٩٩)والملل والنحل.(٥٧/١).

(٢) انظر الرسالة ص (١٥٨) .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٤٤) .

(٤) سورة المائدة آية (٣) .

لا نسخ ولا تغيير ... [١] . وعند قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [٢] ، قال عند تفسيره لهذه الآية :- ووجه آخر : أن الشرائع إذا اعتبرت بالشارع فمقتضى حكمه يصح أن كلها واحدة ، وكذا إذا اعتبرت بالغرض والقصد الذي هو مصلحة الشروع له ، وإذا اعتبرت بذوات الأفعال فهي شرائع كثيرة [٣] . فنجده في هذين المثالين بيَّن أن أصول التشريع وجامعه هو الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ وأنه لا خلاف بين الشرائع في ذلك ولفظ الإسلام بالمعنى العام يطلق على جميع الشرائع .

وأما المعجزات :- فعند تفسيره لقوله تعالى . ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾[٤] أي تهدي الناس في حالة الصغر والكبر بخلاف ما كان عامة الأنبياء والحكماء ، وذكر الإذن في الأمور الإلهية التي خصه الله تعالى بها تنبيهاً أن ذلك لم يكن للآلهة فيه بل كان ذلك بإذنه ومن فضله عليه ، وتخصيصه به ، وذكر الراغب هذه المعجزة لعيسى عليه السلام .

وأما النبوات : تكلم عن أولي العزم من الرسل وعن ترتيب الأنبياء ، ومن كانت له شريعة جديدة ومن تبع هذه الشريعة من الأنبياء ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ

---

(١) انظر : الرسالة ص (٢٦٧) .

(٢) سورة المائدة آية (٤٨) .

(٣) انظر : الرسالة ص (٣٧١) .

(٤) سورة المائدة آية (١١٠) .وأنظر الرسالة ص (٤٨٨) .

وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ [١] وتكلم عن مسألة تفضيل الملائكة والأنبياء عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ....﴾ [٢] وقد ذكر شارح العقيدة الطحاوية ، قال[٣]: والشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه المسألة لا بنفي ولا إثبات ، ولعله قد ترك الكلام فيها قصداً ، فإن الإمام أبا حنيفة رحمه الله وقف في الجواب عنها على ما ذكره في "مآل الفتاوي" ... وهذا هو الحق فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين ، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل ، فإن هذا لو كان من الواجبات لبيَّن لنا نصًا ، وقد قال تعالى :﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..﴾ [٤] وفي الصحيح : " إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألو عنها " [٥] وقد بين شيخ الإسلام أنها مسألة يطول شرحها وأختار رحمه الله تعالى أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، وأن الملائكة أفضل باعتبار كمال البداية [٦] .

ثامناً : كلامه في الكفر والضلال والظلم :-

---

(١) سورة النساء آية (١٦٣)

(٢) سورة النساء آية (١٧٢)

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق محمد شاكر (٢٨١-٢٨٢)

(٤) سورة المائدة آية (٣)

(٥) سيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٦) انظر مجموعة الفتاوي لإبن تيمية (١٠/٣٠٠) ، (١١/٩٥) ، (٤/٣٢٠،٣٩٢) .

• وقد تكلم الراغب في الكفر والضلال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ ﴾ [١] ، حيث أنه جمع بين الكفر الذي هو الشرك وبين ظلم العباد والذي هو ما دون الشرك ، وبيَّن أن الله لا يغفرهما ولا يهديهما إلا طريق جهنم . وقد ظهر غلط الراغب في هذا وأنه يدور حول عقيدة المعتزلة في مسألة الظلم وهم يجعلون الظلم الذي حرمه الله وتتره عنه نظير الظلم بين الآدميين بعضهم لبعض ، فهم يسمون مشبهة الأفعال [٢] .

• وقد قسم الراغب الكفر إلى نوعين :- فقال قيل :- الكفر يقال على من بيَّن كفر كبير وهو المذكور في قوله : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ [٣] ، وكفر صغير وهو المذكور في قوله ﷺ : (**من ترك الصلوات فقد كفر**) [٤] ، قال وعلى هذا قول ابن جريج :- كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم .... [٥] . ونجد قصور عبارة الراغب في تقسيم الكفر إلى أصغر وحصره في إنكار الوحدانية أو ما يجري مجراه ، فإن الذي ذكره هو نوع من أنواع الكفر الأكبر ، قال ابن القيم :- (وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع :- كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء مع تصديق ، وكفر إعراض وكفر شك ،

---

(١) سورة النساء آية (١٦٨) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٢٣٥) .

(٣) سورة النساء آية (١٣٦) .

(٤) انظر : تخريجه ص (٣٦٢) .

(٥) انظر الرسالة ص (٣٦٢) .

وكفر نفاق) [١] .

- وقد فرق بين الكفر والضلال وجعل الضلال أعم من الكفر وقسمه إلى ضربان :- ضال غير مضل ، وضال مضل [٢] .

- ونجده قد يورد قول بعض الفرق في بيان معنى الآية دون الردّ عليه في ذلك مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [٣] ، والخوارج زعموا أن التارك لحكم الله على كل حال كافر ونجده لم يرد على هذا القول .

تاسعاً : ردوده على بعض الفرق والمذاهب :- ومن خلال الجزء المحقق فقد تبيَّن أنه كثيراً ما يرد على بعض الفرق وبيَّن ضعف مذهبها وأنه مخالف للحق وقد نالت من ذلك المعتزلة حظاً وافراً ، وهناك بعض الردود على الرافضة وهذه بعض الأمثلة :-

- فعند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [٤] ، قال الراغب :- فبيَّن بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ ان ما يريده يجعله حكماً حثاً على العباد على الرضا به ..... فالله يحكم ما يريد وحكمه ماضٍ .... [٥] ، حيث أن

---

(١) انظر : مدراج السالكين (١/٣٦٤) .وانظر تفسير الراغب الأصفهاني . تحقيق د/عادل الشدي (١/٢٨٢) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٢٣٤) .

(٣) سورة المائدة آية (٤٤) انظر الرسالةص (٣٦١) .

(٤) سورة المائدة آية (١) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٢٥٤) .

المعتزلة تقول أن حكمه يقتضي مراعاة المصالح (١) .

• ونجده يرد على الرافضة عند قولـــه تعـــالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) ، قال الراغب :- واستدل بهذه الآية أن النبي ﷺ لا يكتم شيئاً مما أنزل الله بخلاف ما قالت الرافضة أنه قــد كتم أشياءً على سبيل التقية (٣) .

• رد على المعتزلة في مسألة الرزق عند قوله تعـلى : ﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ (٤) ، حيث قالوا أن الحرام ليس رزق ، والصحيح أنه كل رزق من عند الله (٥)

---

(١) انظر : الملل والنحل (١/١١٥) .

(٢) سورة المائدة آية (٦٧) .

(٣) انظر : الرسالة ص (٣٩٩) .

(٤) سورة المائدة آية (٨٨) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٤٢٥) .

المحور السابع : مسائل الفقه في تفسير الراغب

لقد تعرض الراغب في تفسير كثير من المسائل الفقهية ، والتي كثرت في الجزء المحقق حيث أنها كانت أكثر الآيات تتكلم عن الأحكام والتشريعات ، ويتضح ذلك من خلال ما سأذكره من أمثلة غير أن الراغب يميل إلى المذهب الشافعي وكثيراً ما ينتصر له .

أولاً : عناية الراغب بالأقوال الفقهية :- فعند قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (١) ، فنجد الراغب ذكر قول المفسرين ثم قال :- وحمل الفقهاء ذلك على الحكم ، وقالت الشافعية :- الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه ، قالوا :- أمر يقتضي ذلك أن لا يملك الكافر عبداً مسلماً ولا يصح شراءه ، واقتضى أن لا يقتل مؤمن بكافر ، واستدلت الحنيفية على من أرتد انقطعت العصمة بينه وبين امرأته قبل انقضاء العدة فلا يكون إليها سبيل (٢) .

ثانياً : ترجيحه بين الأقوال :- فعند قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ (٣) ، ذكر

---

(١) سورة النساء آية (١٤١) .

(٢) انظر : الرسالة ص (٢٠٤) .

(٣) سورة المائدة آية (٦) .

الراغب الأقوال في حكم النية وهل هو واجب بظاهر دلالة الآية أم أنه السنة قد أوجبه ، تعرض أقوال الحنيفية والشافعية ثم قال : والأظهر أن الترتيب اقتضاه قول النبي ﷺ : (**إبدأوا بما بدأ الله به**) وفعله الذي فعله تبياناً للآية [١] .

ثالثاً : أنه كثيراً ما يورد أقوال الشافعية :-

عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [٢] ، قال الراغب :- العفائف ، وقال الشافعي بمعنى الحرائر منهم [٣] ، وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [٤] ، ذكر قولاً لبعض الشافعية : قال الراغب :- وقال بعض الشافعية : بل الآية تقتضي إيجاب النية لأن معنى قوله : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ ﴾ إذا أردتم ، ولو لم يكن معناه ذلك لم يكن لذكره فائدة [٥] .

(١) انظر : الرسالة ص (٢٨٢) .

(٢) سورة المائدة آية (٥) .

(٣) انظر : الرسالة ص (٢٧٩) .

(٤) سورة المائدة آية (٦) .

(٥) انظر : الرسالة ص (٢٨٢) .

المطلب الرابع

دراسة مقارنة بكتب التفسير المتشابهة من خلال الجزء المحقق

المبحث الأول:

مقارنة بين منهج الراغب والزمخشري في التفسير

أولاً : التفسير بالمأثور

ثانياً : مسائل اللغة والنحو

ثالثاً : مسائل الاعتقاد

رابعاً: المسائل الفقهية

تمهيد: أود من خلال دراسة هذا التمهيد توضيح بعض الأمور:

أولاً:ـــ أود أن أبين جـــوانب التميز في تفسير الـــراغب الأصفهاني وهـــي تشمل ما يلي:-

١]توضيح المعاني القرآنية وإرجاعها إلى أصولها الإشتقاقية.

٢]الفروق اللغوية بين الألفاظ القرآنية.

٣]النكات البلاغية المستنبطة من النظم القرآنية.

٤]العناية بتفسير المعنى القرآني بآيات أخرى وذكر أوجه القراءات فيها.

٥]العناية بذكر أسباب الترول وتعدد الأقوال في سبب نزول الآية وقد يجمع ويرجح بينها .

٦]اللغة والإعـــراب وهو من الموضوعات التي تميز بها الراغب فلا تكاد تخلو آية دون التعـــرض على مـــا فيها مـــن الإعراب، وذكر أقوال اللغويين والنحاة والاستشهاد بالشعر والأمثال وأقوال العرب .

٧]عنايتة بالمسائل الفقهية دون تعمق في البحث فهو يذكر الحكم وقد يذكر صاحبه ولا يلتزم وقد يرجح.

٨]الـــرد على المخالفين وبيان وجـــه الصواب وهذا الموضوع استغرق من الراغب قدراً كبيراً من تفسيره ،فهو يرد أحياناً على الشبهات التي يعرضها وهو يصيغ هـــذه الشبه والردود عليها في قالب استفهامي غالباً على طريقة: فإن قال قائل...؟ قيل لـــه: كذا وكذا، ويتطرق من خلال هذا العرض إلى بيان إعجاز القرآن وإحكام نظمه.

٩]وقد يشير إلى بعض من كلام الصوفية التي لا تُخل بالمعنى القرآني الصحيح ويذكرها لغرض تهذيب النفس دون أن ينسبها.

ثانياً:ــ ولأن الغــرض من هــذه الدراسة المقارنة واستنباط المنهج وتدعيم الدراسة فقد وقع اختياري واقتصاري على تفسير الكشاف لمؤلفــه أبي القاسم محمــد بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشــري المتوفى سنة ٥٢٨هــ وذلــك لأسباب هي:

١] أن أوجه الشبه بين تفسير الزمخشري والراغب تكاد تكون كبيرة جداً من أي تفسير آخر.

٢] الطريقة المتبعة لهذين التفسيرين متناسبة.

٣] لمست في بعض المواطن أن الراغب ينقل قول الزمخشري في تفسيره ولكنه لم ينسبه إليه.

٤] وقد تناولت الأطروحة [1] التي قدمها د/عادل الشدي في تحقيق جزء من هذه المخطوطة ما يغني عن الإعادة والتكرار، وما أقوم به إلا نوع مــن التدعيم والإشارة.

ثالثاً :ــ منهج الراغب الأصفهاني في تفسيره:

فقبل أن أبدأ بالمقارنة أحب أن أُشير مجدداً إلى منهج الــراغب يتلخص في

---

(١) انظر تفسير الراغب الأصفهاني . د.عادل الشدي (١/٢٩٣) .

النقاط التالية:

١] الاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن، وذلك عن طريق تفسير الآية بذكر مثيلتها، وتفسير الكلمات القرآنية بآيات أخرى ،والاستشهاد بالآية على نطق الكلمة من القرآن، والجمع بين ما يتوهم أنه متعارض من الآيات

٢] الاهتمام بذكر اختلافات القراءات لتأثيرها في اختلاف التفسير ومعرفة سبب تعدد الأقوال عند المفسر الواحد.

٣] كان اهتمام الراغب بالقراءات من ناحية الدراية فقط دون الرواية وذكر التوجيه الإعرابي لها ،وقد يشير إلى كون هذه القراءة منسوخة ولا يلتزم ،ولا يتعرض إلى مسألة ثبوت الرواية وعدمها وتواترها وشذوذها.

٤] الاعتناء بالسنة النبوية من خلال الاستشهاد بالأحاديث على معنى الآية ،ويؤخذ عليه في هذا أمور:

١- أنه لا يذكر سند الرواية.

٢- يستشهد بالأحاديث الضعيفة.

٣- كثيرا ما يورد الأحاديث بالمعنى.

٥] الاهتمام بذكر أسباب الترول والإشارة إلى تعدد سبب الترول في الآية الواحدة فهو بذلك لم يتعرض إلى ذكر صحة سبب الترول من ناحية الثبوت وعدمه.

٦] الاهتمام البالغ باللغة والإعراب ،ويتمثل ذلك في ذكر المعاني القرآنية وما يتبع ذلك من إرجاع الكلمة إلى أصولها الاشتقاقية الاهتمام بالشعر العربي ،وذكر أقوال اللغويين والنحاة وتعدد أوجه الإعراب في الكلمة وقد يرجح بينها.

٧] التعرض لكثير من المسائل الفقهية ،وذكر الآراء والأقوال وقد يرجح ولكن لا يلتزم بذلك وهو لا يذكر أدلة كل فريق إلا نادراً وكثيراً ما ينتصر للمذهب الشافعي.

٨] قلة التعرض لمسائل الاعتقاد، وخاصة في الأسماء والصفات على أنه يغلب عليه تأويل الصفات ،كما هو الحال عند الأشعرية.

وسوف تتناول المقارنة الأوجه التالية:ـــ

أولاً: جانب التفسير بالمأثور، ويشمل:ـــ

١] تفسير القرآن بالقرآن.

٢] تناول القراءات القرآنية.

٣] تفسير القرآن بالسنة.

٤] ذكر أسباب النزول.

٥] ذكر أقوال الصحابة والتابعين.

ثانياً: المقارنة في جانب اللغة والنحو.

ثالثاً: المقارنة في مسائل العقيدة.

رابعاً: المقارنة في المسائل الفقهية.

المبحث الأول

مقارنة بين منهج الزمخشري والراغب في التفسير

أولاً: التفسير بالمأثور بين الزمخشري والراغب:

يغلب على تفسير الزمخشري التفسير بالرأي، وقد يتخلله شيئاً من التفسير بالمأثور ومن ذلك:

١] تفسير القرآن بالقرآن:-

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ (١) استشهد الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢).

٢] القراءات:-

أ]- يذكر الزمخشري أوجه القراءات في الآية ومن قرأ بها سواءً أكان من الصحابة أو غيرهم. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا ﴾ (٣) قال: قرأت عائشة رضي الله عنه الله عنه الله عنها أوثاناً (٤).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) سورة النساء آية (١٢٣).

(٢) سورة المائدة آية (١٨) ، وانظر الكشاف (٥٦٥/١)

(٣) سورة النساء آية (١١٧) .

(٤) انظر الكشاف (٥٨٢/١)

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ . .﴾ [١] قال الزمخشري: والمقيمون بالواو، وهي قراءة لمالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي [٢] ولكن الغالب أنه يذكر قراءة الصحابة للآية.

ب]- يستشهد بالقراءة على ترجيح معنى تفسيري :-

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [٣]

قال الزمخشري :- لم ثنى الضمير في قوله : ﴿أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ وكان حقه أن يوحد ...

قيل : فالله أولى بجنسي الغني والفقير ، وهي قراءة أُبي ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِم﴾ وهي شاهدة على ذلك [٤] .

٣] الاستشهاد بالسنة النبوية :-

يستدل الزمخشري رحمه الله تعالى كثيراً بالأحاديث النبوية عند تفسيره للآيات القرآنية وهو يتفق مع الراغب في كون كل واحد منهما لم يهتم بذكر سند الحديث أو مصدر أو بيان صحته وضعفه .

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن

---

(١) سورة النساء آية (١٦٢)

(٢)وانظر الكشاف (٥٦٤/١) .

(٣) سورة النساء آية (١٣٥) .

(٤) انظر الكشاف (٥٧٠/١) .

تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [١]

قال الزمخشري : فإن قلن من المنافق ؟ قلت : هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر ، وأما تسميته من ارتكب ما يفسق به المنافق فللتغليط كقوله :- (من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر) [٢] .

٤] أسباب النزول :-

اهتم الزمخشري -رحمه الله - بذكر أسباب الترول في تفسيره ومنهجه في ذلك كالراغب حيث يكتفي بذكر سبب الترول من غير سند ولا مصدر ولا يفرق بين ما هو ثابت وعدمه وقد يذكر في الآية الواحدة أكثر من سبب ولا ينص على الترجيح في الغالب .

ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [٣]

قال الزمخشري :- نزلت في طعمه حين ارتد ومات على الردة . وقيل: نزلت في شيخ من العرب [٤] .

٥] أقوال الصحابة و التابعين :-

---

(١) سورة النساء آية (١٤٥) .

(٢) انظر الكشاف (١/٥٧٥) وسأتي تخريج الحديث .

(٣) سورة النساء آية (١١٥) .

(٤) انظر الكشاف (١/٥٦٤) .

اتفق الراغب و الزمخشري إغفالهما لأقوال الصحابة والتابعين في الجوانب التفسيرية التي تخالف مذهبهم ، لأن تلك الأقوال المأثورة عنهم حجة دامغة لأصولهم .

فنجد أن الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [١]

قال :- مجازاً اصطفائه واختصاصه [٢] . وقد نقل هذا القول الراغب في تفسيره لهذه الآية ، ولأولى أن يذكر قول الصحابة والسلف الصالح في تفسير هذه الآية [٣] .

والزمخشري – رحمه الله – قلما يذكر صاحب القول الذي نقل عنه . فمن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ إِلَّآ إِنَـٰثًا ﴾[٤] قال:- هي اللات والعزى ومناة ، وقيل : هي الملائكة .

بينما نجد الراغب كثيراً ما يذكر النقول ويعزوها لأصحابها [٥] .

ثانياً: مسائل اللغة والنحو:ـ

استشهد الزمخشري بأنه لغويٌّ لا يشق له غبار ،وكذا الراغب فنجد أن كلاهما أولى الكلمة القرآنية العناية اللغوية الفائقة ويتحلى ذلك في بيان أصل

---

(١) سورة النساء آية (١٢٥) .

(٢)انظر الكشاف (١/٥٦٦) .

(٣) انظر الرسالة ص (١٧٧) .

(٤) سورة النساء آية (١١٧) ، وانظر الكشاف (١/٥٦٤) .

(٥)انظر الرسالة ص (١٥٩) .

الكلمة اللغوي والاشتقاقي والنحوي والإعرابي والبلاغي والفروق والمترادفات، والاستشهاد بالشعر والشواهد على ذلك كثيرة جداً أن ثمة فروق وتمايز بينهما في نواحي الاعتماد على اللغة وتتمثل فيما يلي:

١] بلغ اهتمام الراغب بالمفردات اللغوية وأصولها واشتقاقها مبلغا عظيماً يفوق اهتمام الزمخشري.

٢] يكثر الراغب من إيراد أقوال النحويين واللغويين، بينما الزمخشري لا يفعل ذلك.

٣] نجد أن الزمخشري يعطي الإعراب والنحو أهمية كبيرة في أغلب الآيات أكثر من الراغب.

٤] النواحي الشعرية قليلة عند الزمخشري بخلاف الراغب الذي يكثر من الاستشهاد بالشعر.

٥] كانت عناية الراغب بالفروق اللغوية أكثر من الزمخشري

من خلال الأمثلة التالية يتبين ما ذكرت من فروق.

أ/ الاهتمام باللغة واشتقاق أصول المفردات:

فعند تفسيره لقوله تعالى تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ

وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١) تناول الزمخشري المعنى اللغوي لكلمة الشعائر والقلائد والهدي (٢). ولكن لم يلتزم بهـذا في أغلب الكلمات غير أن الراغب أكثر منها في تفسيره (٣).

ب/ الإعراب:

نجد أن الراغب يكثر من الأوجه الإعرابية للكلمة القرآنية ولكنه لا يلتزم بذلك في بعض الأحيان، بينما نجد أن الزمخشري يكثر من تلك الأوجه في الغالب. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٤) قال الزمخشري:فإن قلت بما تعلق قوله تعالى: ﴿ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ قلت في الوجه الأول: هو صلة يتلى:أي يتلى عليكم في معناهن ،ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلاً من فيهن(٥) .

بينما نجد أن الراغب لم يذكر وجهاً اعرابياً للآية (٦).

ج/ الشواهد الشعرية:

فمن خلال الجزء المحقق حصرت عدد الأبيات الشعرية عند الزمخشري فهي

---

(١) سورة المائدة آية (٢).

(٢) انظر الكشاف (٥٩١/١) .

(٣) انظر الرسالة ص (٢٥٥) .

(٤) سورة النساء آية (١٢٧)

(٥) انظر الكشاف (٥٨٩/١)

(٦) انظر الرسالة ص (١٧٩) .

لم تتجاوز العشرين بيتاً ،بينما أن الراغب قد بلغت عدد تلك الأبيات خمسة واربعون بيتا.

ثالثاً: مسائل الإعتقاد:

أهمية مسائل الإعتقاد:

لما كان الراغب لم يقصد من تأليف تفسيره الإنتصار لمذهبه العقدي والله أعلم فإنه لم يتناول مسائل الإعتقاد في تفسيره بغرض الإنتصار لمذهبه ،أو الدعوة إليه ،إلا أن ذلك المعتقد يظهر في تفسيره لبعض الآيات ،وبصورة موجزة، كما أنه قد اهتم بالرد على بعض الفرق كالروافض والمعتزلة بخلاف الزمخشري الذي كان غرضه من التأليف هو الإنتصار لمذهبه الإعتزالي والدفاع عنه وبث آرائه بطرق عقلية والدعوة إليه ،وقد ذكر ذلك في مقدمة تفسيره [1] ،وهو كثيراً ما يعرض بأهل السنة والجماعة ويصف أئمة المعتزلة بأنهم أهل عدل وتوحيد وهم الفرقة الناجية.

وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

أ]الإنتصار للمذهب الإعتزالي:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [2]

قال الزمخشري: فإن قلت كيف يخص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم

(١) انظر مقدمة تفسيره (١/١٨) .

(٢) سورة النساء آية (١٢٤) .

مثلهم في ذلك، قلت:فيه وجهان: أحدهما أن يكون الراجــح في﴿ولايُظلَـمونَ﴾ لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً [١]. قال ابن المنير في الحاشية: مدار هـــذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتقد الفاسد فإن الله تعالى يجب عليــه أن يثيب على الطاعات، وأن الثواب منقسم إلى واجب ليس بفضل وإلى زيادة على الواجب وهي الفضل خاصة [٢]

ونجد أن الراغب قد تعرض لتفسير هذه الآية بإيجاز شديد [٣].

ب] التعريض بأهل السنة والجماعة:

نجد أن الزمخشري كثيراً ما يعرض بأهل مذهبه على أهم أهل الفرقة الناجيــة ويصف أهل السنة والجماعة بأهم أهل أماني وباطل [٤].

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [٥] قال: الأماني الباطلة من طـــول الأعمار وبلوغ الآمال ،ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعـــد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك [٦].

قال ابن المنير: هو تعريض بأهل السنة والجماعة الذين يعتقدون أن الموحد ذا الكبائر غير التائب أمر يرجأ إلى الله تعالى. ونجد أن الراغب لم يُعّرض في تفسـيره

---

(١) انظر الكشاف (١/٥٦٦) .

(٢)انظر الكشاف (١/٥٦٦) .

(٣)انظر الرسالة (ص ١٧١) .

(٤) انظر علم الكلام دراسة فلسفية (١/١١٢)

(٥) سورة النساء (١١٩) .

(٦) انظر الكشاف (١/٥٦٤) .

بفئة معينة [١].

ج]نفي الصفات بين الزمخشري والراغب:

ونجد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [٢] سلك الراغب والزمخشري أسلوباً قد يكون متشابها من حيث ذكر المعنى اللغوي ثم عرض المذهب العقدي لهذه الصفة ثم الإستشهاد بالشعر على ذلك [٣].

وخلاصة ذلك أن الزمخشري لا يألوا جهداً في بث معتقده في ثنايا عرضه لتفسير الآيات.

رابعاً:المسائل الفقهية:

وسبق أن ذكرت أن الراغب يميل إلى المذهب الشافعي ويذكر الآراء المخالفة لهذا المذهب ويرجح وقد ينتصر لمذهبه بينما الزمخشري حنفي المذهب.

أ] نواحي التشابه بين الزمخشري والراغب في عرض الآراءالفقهية.

فنجد أن الراغب والزمخشري قد يتناولا المسألة الفقهية بتفسير المعنى اللغوي ثم عرض الآراء والأقوال في ذلك فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ

(١) انظر الرسالة ص (١٦٦) .

(٢) سورة النساء آية (١٢٥) .

(٣) انظر الكشاف (٥٦٦/١) والرسالة ص(١١٨) .

وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[١] فسرا معنى لغو اليمين عند أبي حنيفة والشافعي وذكر قول عائشة ثم ذكرا أقوال الأئمة في الإطعام ومقداره، وعتق الرقبة واشتراط الإيمان فيها [٢].

ب : مواطن الفرق بينهما في عرض الآراء:

فنجد أن الزمخشري غالباً ما يقتصر على قول أبي حنيفة والشافعي في عرض المسألة وغالباً لا يرجح، فمن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَجَزَآءٌ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾[٣] قال: قال أبو حنيفة: قيمة الصيد يقوم حيث صيد وعند الشافعي مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد عدل إلى قول أبي حنيفة [٤] بينما نجد الراغب تناول المسألة بعرض أغلب الأقوال من قال بالمثل ومن قال بالقيمة وهو في الغالب يلتزم بهذا في تفسيره لآيات الأحكام [٥].

---

(١) سورة المائدة آية (٨٩)

(٢) انظر الكشاف (١/٦٤٠) والرسالة ص (٤٢٧) .

(٣) سورة المائدة آية (٩٥)

(٤) انظر الكشاف (١/٦٤٤) وانظر تفسير الراغب الأصفهاني تحقيق د/ عادل الشدي وقد تعرض لهذه المسالة وبين أن الزمخشري قد يترك كثيرا من المسائل الفقهية (١/٣٢٢-٣٢٣) .

(٥) انظر الرسالة ص (٤٤٨) .

المبحث الخامس

النسخ الخطيّة وتوصيفها

على الرغم من ذكر كتب فهارس المخطوطات نسخاً متعددة لتفسير الراغب الأصفهاني , إلا أن الباحث توصل بعد الاطلاع والتدقيق إلى أن النسخ الخطيّة لتفسير الراغب يمكن حصرها فيما يلي :

١-نسخة مكتبة « ولي الدين جار الله » وتحمل رقم (٨٤) ضمن مخطوطات المكتبة السليمانية باستانبول . وتقع في (٣٥٦) ورقة ومسطرها (٢١) سطراً , بخط نسخي جيد , ومقروء من بدايتها وحتى الورقة رقم (٢٢٩) بداية من تفسير الآية (٨٨) من سورة آل عمران , حيث يصبح عدد الأسطر (٢٧) مع تكبير حجم الآيات عن تفسيرها , حتى الورقة رقم (٢٧٣) وبعد ذلك يعود عدد الأسطر إلى (٢١) سطراً ابتداءً من تفسيره للآية رقم(٦٣) من سورة النساء , وحتى نهاية المخطوط بتفسيره للآية الأخيرة من سورة المائدة . وجاء بخط الناسخ في آخر ورقة منها: « رأيت فيه بحاراً , أمواجها تتلاطم , وأفواجاً فوائدها تتصادم , وأودعت سمعي من دقائق معانيه الرائقة ما أنساني سماع الأغاني من المطربات الغواني » .

وهناك نقش على الورقة رقم (٣٥٥) جاء فيه : « وقف هذا الكتاب أبوعبدالله ولي الدين جار الله بشرط أن لايخرج من خزينة جامع السلطان محمد القسطنطينيّة»

وتبدأ هذه النسخة من تفسيره للبسملة في أوّل سورة الفاتحة , حيث نفتقد مقدمة الراغب لتفسيره , وتبدأ هذه النسخة بقوله: « فإذا قولك : زيد حسن .

لفظ مشترك يصح أن يُعنى به: أن هذا اللفظ حسن , وأن يُعنى به أن المسمى بـــه حسن » .

ويوجد مصور (ميكروفيلميّة) من هذه النسخة في مكتبة (معهد المخطوطـــات التابع لجامعة الدول العربيّة تحمل رقم ٩٨ تفسير , وفي الملاحظات التي ســـبقت هذه النسخة المصورة كتب بأنها نسخت في القرن السادس . ورغم عدم وجـــود نص على تاريخ النسخ , إلا أن جملة من القرائن دفعت بعثة المعهد إلى تدوين هذا التأريخ المتوقع للنسخ , مثل عدم انتظام اللحق في آخر كل ورقة , بـــل يوجـــد أحياناً , ويفقد أحياناً أخرى في حين أن انتظام اللحق قد تعارف عليه النساخ منذ القرن الثامن الهجري, كما أن شكل الحروف وطريقة كتابتـــها – ولاســـيما في الآيات – يؤكد ما توصلت إليه بعثة المعهد من تحديد تـــاريخ النســـخ بـــالقرن السادس الهجري .

ويوجد من هذه النسخة مصورة(ميكروفيلميّة) في مركز البحـــث العلمـــي بجامعة أم القرى برقم ١١١٤, وعنوان: « الدرر والتأويل في مصابيح التنـــزيل » , وقد ورد ذكر هذه المصورة الميكروفيلمية في فهرس علوم القـــرآن في إصـــدارات جامعة أم القرى عام ١٤٠٦هـــ (١٥٦/٢), وتتطابق هذه النسخة ذات الرقـــم (٨٤) ولي الدين جارالله , مع بقية النسخ الأخرى , التي جاء النص فيها على أنهـا من إملاء الراغب الأصفهاني .والله أعلم .

٢- نسخة تحمل رقم (٢١٢) أياصوفيا بجامع السليمانية باستانبول . وتحمـــل اسم « جامع التفسير » وتقع في (١٦٠) ورقة , ومسطرها (٢٥) ســـطراً بخـــط نسخي جميل , وبدايتها : « الحمد لله على آلائه » وفي أولها النـــص علـــى نســـبة الكتاب للراغب : « قال أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء إن نفّس الله في العمر , ووقانا نوب الدهر , وهو المرجو أن يسعفنا بالأمرين: أن نبيّن من تفســـير

القرآن وتأويله نكتاً بارعة» وعلى الورقة الأولى كُتب: «القطعة الأولى من تفسير الإمام أبي القاسم الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى».

وتنتهي هذه النسخة بنهاية تفسيره للآية رقم (٢٢٣) من سورة البقرة الآية .

٣- نسخة تحمل الرقم(١٧١) أياصوفيا بجامع السليمانية استابول . وتقع في (٦٩) ورقة ومسطرهما(١٥) سطراً , بخط فارسي واضح , وعنوانها «تفسير القرآن» وفي الصفحة الأولى كتب «تفسير الراغب الأصفهاني على سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة» وتبتديء بـ: «الحمد لله على آلائه ..»وجاء فيها النص على تأليف الراغب لها «قال الشيخ أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء ... ».

٤- نسخة تحمل رقم (٦٩) فيض الله أفندي باستانبول , وتقع في (١٦٠) ورقة , بخط رائق جميل , يبدو أنه متأخر.. ويظهر أنها منسوخة عن المخطوط رقم (٢١٢) أياصوفيا المشار إليه آنفاً . للتطابق التام بينهما في البداية والنهاية , حيث تنتهي بنهاية تفسيره لقوله تعالى الآية ٢٢٣ من سورة البقرة .

وفي الورقة الأولى منها النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني «قال الشيخ أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء ...».

٥- نسخة برقم(١٦١٦) طوبقبواي[1] وتقع في (٦٧) ورقة , ومسطرها (١٩) سطراً , وعدد الكلمات في السطر مابين ٥-٧ كلمات فقط بخط فارسي جميل , يظهر الاعتناء به , وعنوانها: «النكات القرآنية»وقد جاء في أولها النسبة

---

(١) وقد قام الدكتور أحمد حسن فرحات بتحقيقها ونشرها بعنوان ((مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة)) وصدر الكتاب عن دار الدعوة بالكويت عام ١٤٠٥هـ .

الصريحة للراغب «قال الشيخ أبو القاسم: القصد في هذا الإملاء ...» وتشتمل هذه النسخة على مقدمة التفسير للراغب , وتفسيره لسورة الفاتحة وللآيات الخمس الأولى من سورة البقرة .

ويلاحظ التطابق التام بين هذه النسخ الخمس فيما يتعلق بالأجزاء المشتركة فيما بينها , ففي حين نجد نسخة «ولي الدين جارالله» (٨٤) تتطابق مع نسختي أياصوفيا ذات الرقم(٢١٢) ونسخة فيض الله أفندي ذات الرقم(٦٩) من بدايتها وحتى الآية (٢٢٣) من سورة البقرة , ونجد كذلك أنها تتطابق مع الجزء اليسير المشترك بينها وبين نسخة أياصوفيا ذات الرقم (١٧٢) ونسخة طوبقبواي سراي ذات الرقم (١٦١٦) , والمشتمل على تفسير سورة الفاتحة والآيات الخمس الأوّل من سورة البقرة .

وتنفرد نسخة «ولي الدين جارالله» بتفسير الراغب الأصفهاني للآية ٢٢٤ من سورة البقرة وما بعدها حتى نهاية سورة المائدة .

صور لنماذج من مخطوطات تفسير الراغب الأصفهاني

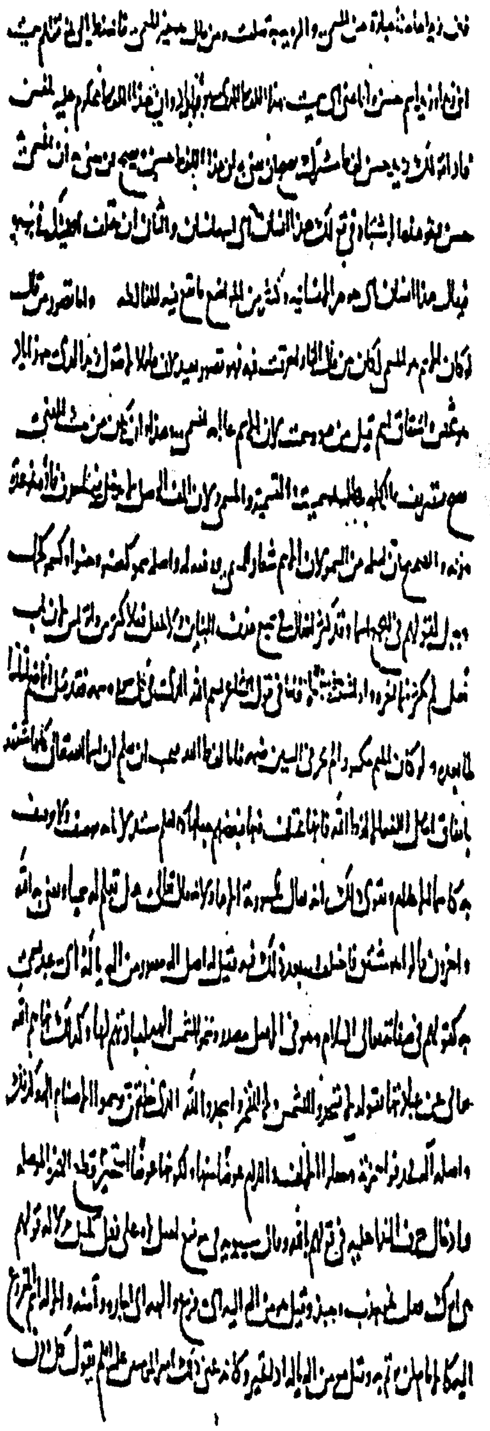

صورة للصفحة الأولى من نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله ٨٤

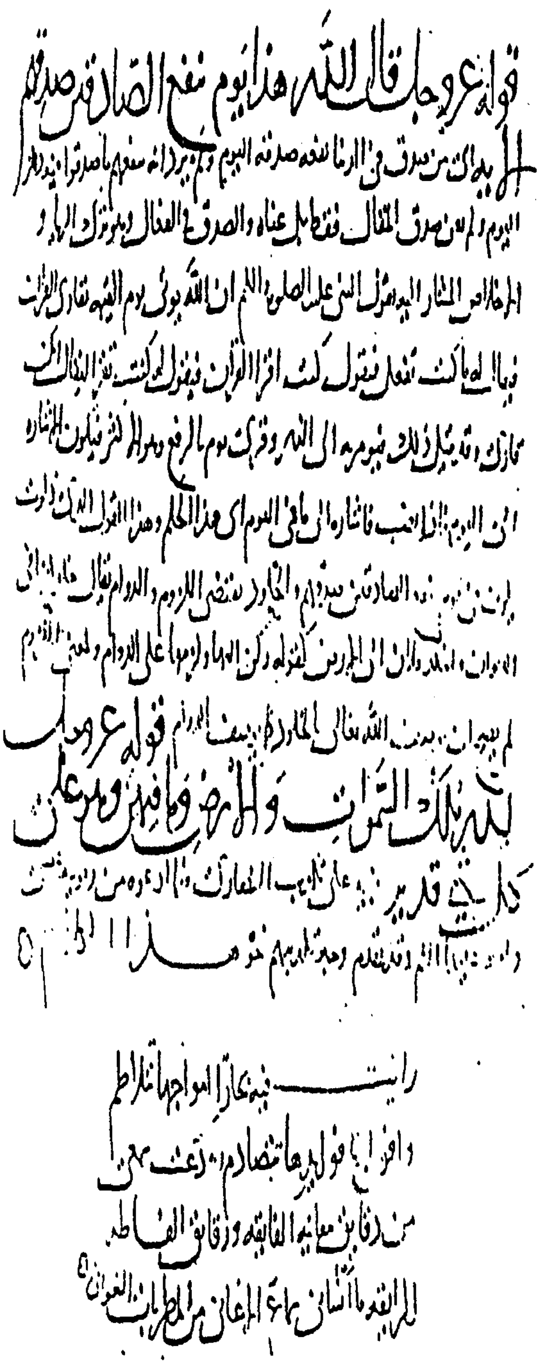
قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

قوله عز وجل لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

صورة للصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله ٨٤

صورة للورقة الأولى مع الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة ولي الدين جارالله رقم ٨٤

بالكسبين لهما من العذاب الدائم ان قيل فقد كانوا هموا بذلك فكيف قال لولا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة قيل في ذلك وجهان احدهما ان القوم كانوا مسلمين ولم
يهموا باضلال النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان عندهم على الصواب والثاني ان القصد
الى نفي تأثير ما هموا به كقولك فلان شتمك والثالث لولا ان تداركت منها ان اثر
فعله لم يظهر. قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما يقال لما يستحسنه
العقل ويعترف به معروف. ولكل ما يستقبحه وينكره منكر ووجه ذلك ان الله تعالى ركز
في العقول معرفة الخير والشر واليها اشار بقوله صبغة الله وفطرة الله وعلى ذا البر
ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس واطمأنتا اليه لمعرفتهما به. والنجوى
الحديث الذي تنفرد به اثنان فصاعدا وللقوم المتناجين لقوله تعالى واذ هم نجوى
واصل ذلك من النجوة والنجا اي الخلاص منها لكون المتناجي الهاما داعن الميل
ويقال نجوت من عضيه وتخلصت من الذنب ولما كان المتناجيان كثيرا ما ينتبذان في
نجوة قيل انتجيا والنجا السرعة كقولهم ارتفع في المسير ونجوت الجلد لقولهم رفعت عنه الجلد
واذا جعل النجوى للقوم فمن مجرور على البدل ومنصوب على الاستثناء وان جعلها
للحديث فتقديره الا نجوى من امر بصدقة ولما كان التناجي مكروها في الاصل حتى قيل
انما النجوى من الشيطان صار ذلك من الافعال التي تقبح ما لم تقصد به وجه محمود
كما لكره الخديعة فبين تعالى ان النجوى لا حسن ما لم تحضرها هذه الوجوه المستثناة
فان قيل فههنا افعال اخر حسن فلم خص هذه الثلاثة قيل هذه الثلاثة تتضمن الافعال
الحسنة كلها وذلك انه نبه بالصدقة على الافعال الواجبة وخص الصدقة لكونها اكثر
نفعا في ايصال الخير الى الغير ونبه بالمعروف على النوافل التي هي الاحسان والتفضل

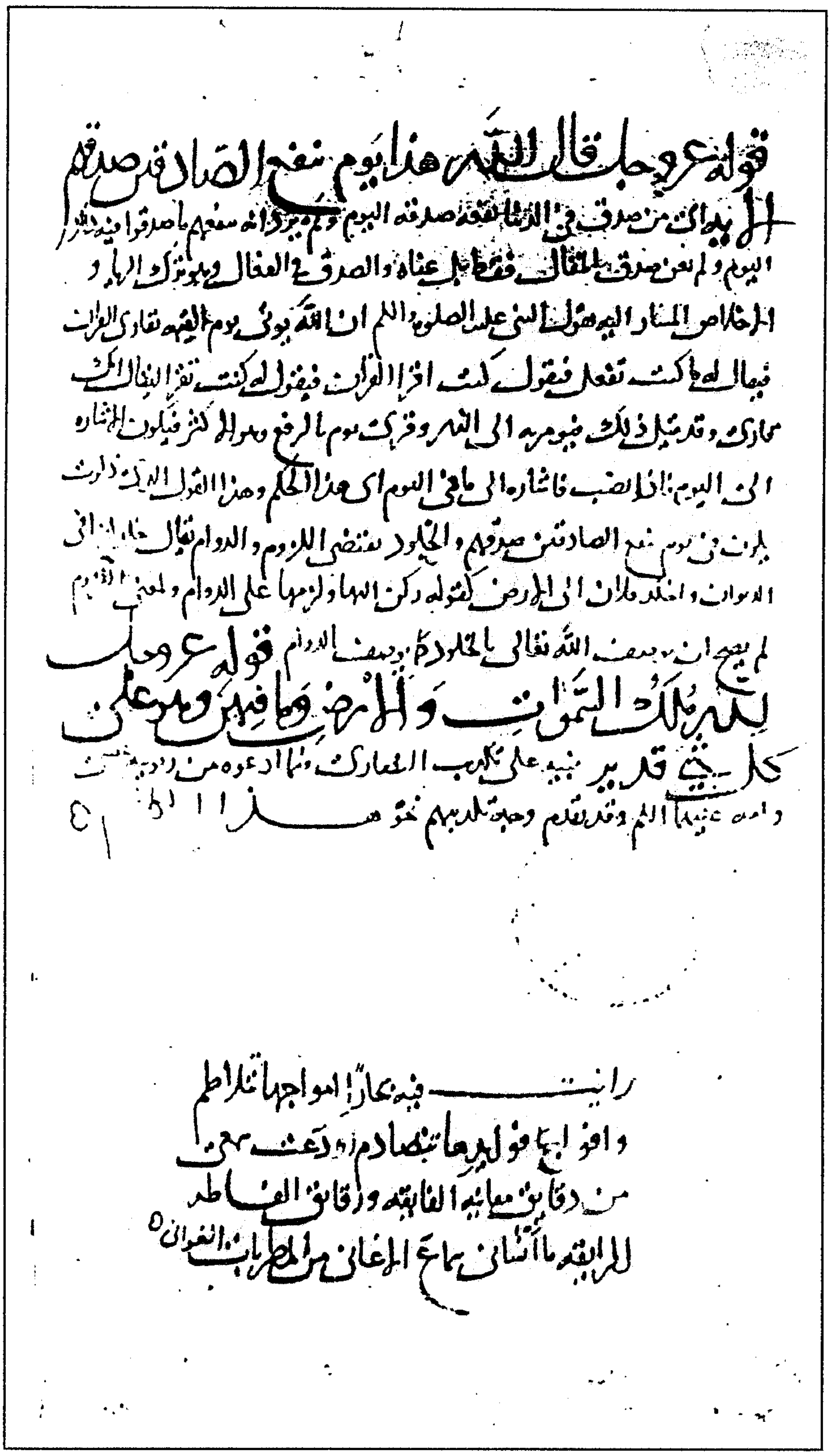

قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
الآيات من صدق في الدنيا نفعه صدقه اليوم ولم يرد انه ينفعهم ما صدقوا فيه ذلك
اليوم ولم ينفعهم صدق بالمقال فقط بل عناه والصدق في الفعال ويتوارك الرياء و
الاخلاص المشار اليه هو لنا النبي عليه الصلوة والسلم ان الله يؤتى يوم القيمة بقارى القران
فيقال له ما كنت تفعل فيقول كنت اقرا القران فيقول له كنت تقرا ليقال انك
قارى وقد قيل ذلك فيؤمر به الى النار وقرئ يوم بالرفع وهو الاكثر فيكون الاشارة
الى اليوم واذا نصب فالاشارة الى ما في اليوم اى هذا الحكم وهذا القول الذي ذكرت
يكون في يوم ينفع الصادقين صدقهم والخلود يقتضي اللزوم والدوام ... الى
... والخلد ... الى الارض كقوله ... على الدوام ولمعنى ...
لم يصح ان يوصف الله تعالى بالخلود ويوصف بالدوام قوله عز وجل
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على
كل شي قدير تنبيه على تكذيب النصارى فيما ادعوه من ...
... الام وقد تقدم وجه ... نحو هـ ... ٥١

رايت فيه بحارا امواجها متلاطم
وافواجها فولدها متصادم ... سهمي
من دقائق معانيه الفائقة ورقائق الفاظه
الرائقة ما اتانى سماع الاغانى من المطربات الغوانى

صورة للورقة الأخيرة من القسم المحقق من نسخة مكتبة ولي الدين جارالله رقم ٨٤

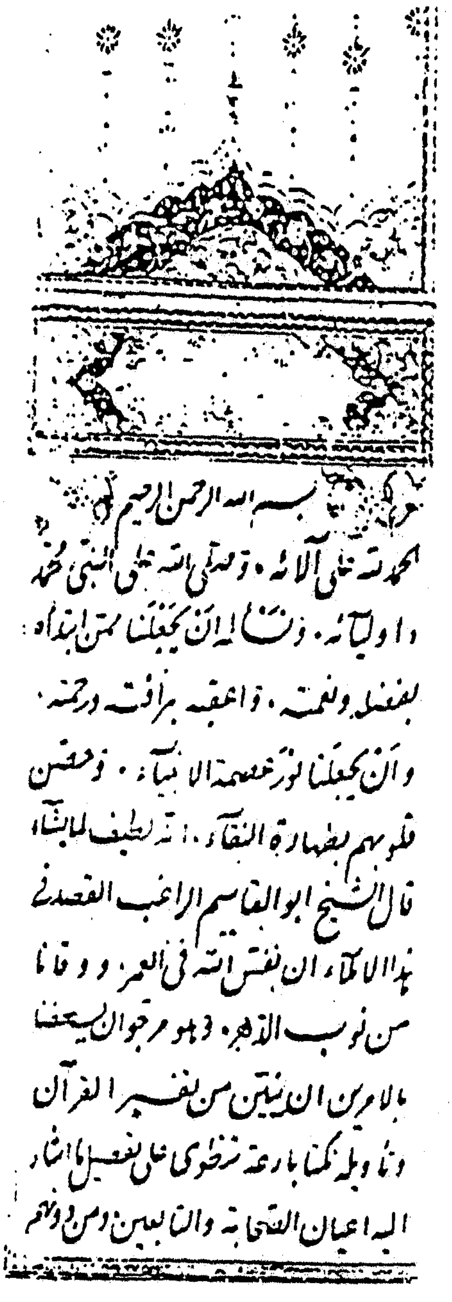

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على آلائه . والصلاة على النبي محمد
وأوليائه . ونسأله أن يجعلنا ممن ابتداه
بفضل ونعمته . وأعقبه برأفته ورحمته .
وأن يجعلنا نور عصمة الأنبياء . وحصّن
قلوبهم بطهارة النقاء . إنه لطيف لما يشاء .
قال الشيخ أبو القاسم الراغب الفضل في
هذا الإملاء . إن نفّس الله في العمر ووقانا
من نوب الدهر . فهو مرجو أن يسعفنا
بالأمر أن نبيّن من تفسير القرآن
وتأويله نكتاً بارعة تنطوي على تفصيل ما أشار
إليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونهم

صورة للصفحة الأولى من
نسخة مكتبة : آياصوفيا

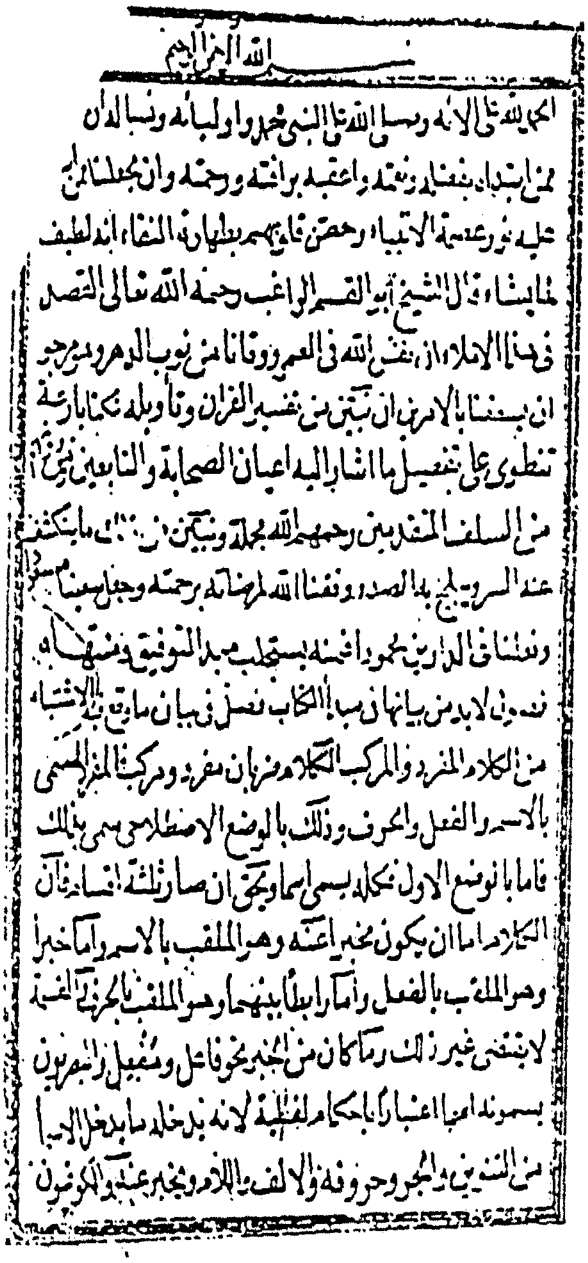

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على آلائه وصلى الله على النبي محمد وأوليائه ونسأله أن
يجعلنا ممن ابتداه بفضله ونعمته وأعقبه برأفته ورحمته وأن يجعلنا ممن
عليه نور عصمة الأنبياء وحصّن قلوبهم بطهارة النقاء إنه لطيف
لما يشاء . قال الشيخ أبو القسم الراغب رحمه الله تعالى الفصل
في هذا الإملاء إن نفس الله في العمر ووقانا من نوب الدهر فهو مرجو
أن يسعفنا بالأمر في أن نبين من تفسير القرآن وتأويله نكتاً بارعة
تنطوي على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين ثم
من السلف المتقدمين رحمهم الله مجملة ونبين من ... ما يكشف
عند السرو ... بهذا الصدد ونفعنا الله لمرضاته رحمته وجعل سعينا مشكوراً
ونفعنا في الدارين محموداً فإنه يستجلب ... التوفيق ومنتهاه
فقدم ما لابد من بيانها في صدر الكتاب فصل في بيان ما يقع به الاشتباه
من الكلام المفرد والمركب الكلام ضربان مفرد ومركب فالمفرد المسمى
بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحي يسمى بذلك
فأما بالنوع الأول فكله يسمى اسماً ويحق أن صار ثلثة أقسام فإن
الكلام إما أن يكون مخبراً عنه وهو الملقب بالاسم وإما مخبراً
وهو الملقب بالفعل وإما رابطاً بينهما وهو الملقب بالحرف في اللغة
لا ينبغي غير ذلك وما كان من المخبر نحو فاعل ومفعول والمصدر
يسمونه اسماً اعتباراً بأحكام لفظية لأنه يدخله ما يدخل الأسماء
من التنوين والجر وحروفه والألف واللام ويخبر عنه ...

صورة للصفحة الأولى من نسخة
مكتبة أيا صوفيا ٢١٢

صورة للصفحة الأولى من

نسخة مكتبة : طوبقبواي

سراي رقم ١٦١٦

ثانيـــا :

قسم التحقيق

قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) يقال: لكل ما يستحسنه العقل ويعترف به معروف (٢) ، ولكل ما يستقبحه وينكره منكر، ووجه ذلك أنّ الله ركز في العقول معرفة الخير والشر وإليها أشار بقوله :﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾(٣) و : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ ﴾ (٤) وعلى ذلك البر : ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس ، واطمئنانها إليه لمعرفتها به (٥) .

---

(١) : سورة النساء آية (١١٤) .

(٢) : وقد نقل هذا التعريف أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ثم علق عليه بقول : هذه نزعة اعتزالية ، في أن العقل يحسن ويقبح ، انظر (٣/٣٦٥) . قلت ولكن هذه الأهمية للعقل لا تعني أن ثبوت الشرع في نفسه أو الرسالة في صدقها متوقف على العقل ، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية يصرح أنه ليس متوقفاً على وجودنا فضلاً عن تعقلنا ، انظر قول : ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١/٨٩) و كذلك (ص/٨٧–٨٨) من الكتاب نفسه ، وقد ذكره الراغب في كتابه الذريعة في كون العقل والرسل هاديين ، انظر (ص٢٠٧) . ولقد أشار إلى مثل هذَه المعنى محمد رشيد رضا في تفسير المنارة (٥/٣٢٨) .

(٣) : ذكر "صبغة " في الأصل والصحيح (صبغة الله) بدلالة الآية في سورة البقرة رقم (١٣٨)

(٤) : سورة الروم آية (٣٠)

(٥) : انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب (ص/٢١٢) ، وكأنه يشير بتعريفه هذا . إلى الحديث الذي رواه وابصة بن معبد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ياوابصة جئت تسأل عن البر والإثم ؟ قلت : نعم ، فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقلى : استفت نفسك ، واستفت قلبك ، ثلاثاً ، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس) . أخرجه الإمام أحمد في مسنده

والنجوى: تقال للحديث الذي تفرد به اثنان فصاعداً أو للقوم المتناجين ،[١] لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ [٢] و أصل ذلك من النَّجْوهُ ، والنَّجَاةُ : أي الخلاص منها لكون الملتجي إليها ناجياً [٣] عن السبيل ويقال:هو في مضية وتلفة من النوب [٤] ولما كان المتناجيان كثيراً ما ينتبذان في نجوة ، قيل انتجيا

=

(٢٢٨/٤) ، والدرامي في سننه (٢/٢٤٥ –٢٤٦) كتاب البيوع باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . وأبو يعلى الوصليَ في مسنده (٣/١٦٠ –١٦٢) الحديث (١/١٥٨٦) و(١/١٥٨٧) . كما رواه الإمام مسلم بلفظ البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ، أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة باب (٥/٢٥٥٢) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد (باب ٥٢) .

(١) النجوى مصدر كالدعوى ، يقال : نجوت الرجل أنجوه إذا ناجيته انظر اللسان مادة نجا والمفردات ، قال الواحدي : و لا تكون النجوى إلا بين اثنين ، انظر : البحر المحيط (٣/٣٦٤) ، وانظر : الوسيط للواحدي (ص/٨٤) . والنجو : السر بين اثنين ، ناجيته ، وتناجوا ن وانتجوا ، وفلان نجى فلان والجمع أنجية .واستدل بهذه الآية على أن النجوى يوصف بها و يقال هو نجوى وهم نجوى ، ذكره الألوسي في تفسيره ، انظر (٢/١٤٤)قال الزجاج في معاني القرآن : النجوى في الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان سرا كان أو ظاهرا . انظر (٢/١٠٤) .

(٢) سورة الإسراء بعض آية رقم (٤٧) .

(٣) وجدتها في المفردات ناجيا عن السبيل ، (ص/٤٠٨٦) . والذي في الأصل حاداً والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف . وفي المصباح المنير (٢/٥٩٥) أنجيْتُه ، (نجيتهه) و(ناجيته) ساررته والاسم (النّجوى) .

(٤) و النوب هي النحل سميت بذلك لرعيها ونوبها إلى مكانها ، وناب هذا الأمر نوبة وانتاب

والنجا [١] السرعة كقولهم : ارتفع في المسير ونجوت الجلد ، لقولهم: رفعت عنه الجلد [٢] ، وإذا جعل النجوى للقوم فمَنْ مجرور على البدل أومنصوب على الاستثناء ، و إن جعلتها للحديث فتقديره: لانجوى من أمر بصدقة [٣]، ولما كان التناجي مكروهاً في الأصل حتى قال : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [٤] صار ذلك من الأفعال التي تقبح ما لم يقصد به وجه محمود

=

فلان القوم أتاهم مرة بعد مرة ، انظر كتاب مجمل اللغة . لابن فارس مادة نوب ، والمفردات مادة نوب .

(١) و النحا كذا في الأصل والصحيح ما أثبته اعتماداً على ما ذكره في مفردات ألفاظ القرآن - للعلامة الراغب الأصفهاني مادة نجا .

(٢) وقد ذكر الزجاج بمثل ما أشار الراغب ثم قال : يقال نجوت الجلْدَ إذا ألقيته عن البعير وغيره .قال الشاعر :-

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنه   سيرضيكما منها سنام وغاربة

أي : اكشفا غطاء الجلد عن سنامها وأكتافها فسيعجبكما ما تريان وهو يخاطب ضيفين طرقاه .وقد نسبه الفراء لأبي الجراح ، وقيل لأبي الغمر الكلابي انظر معاني القران(٢/١٠٥)

(٣) انظر الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه في (٢/١٠٦) . وانظر النحاس في إعراب القران (٤٨٨/١) . والدر المصون (٨٩/١) . وقد رجح ابن جرير الطبري من هذه الأوجه هو أن تجعل (مَنْ) في موضع خفض بالرد على النجوى وتكون النجوى بمعنى جمع المتناجين ، خرج مخرج السكرى والجرحى و المرضى ، وذلك أظهر معانيه ، فيكون تأويل الكلام : لا خير في كثير من المتناجين بالحمد من الناس إلاّ فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فإن أولئك فيهم خير ، انظر جامع البيان (٢٧٥/٥) .

(٤) سورة المجادلة آية (١٠)

كالمكر و الخديعة ، فبيّن تعالى أن النجوى لا تحسنُ ما لم تخص بها هذه الوجوه المستثناه ، فإن قيل: فهاهنا أفعال أخر تَحْسن فلم خص هذه الثلاثة ؟ قيل هذه الثلاثة متضمنة للأفعال الحسنة كلها وذلك أنه نبه بالصدقة على الأفعال الواجبة وخص الصدقة لكونها أكثر نفعا في إيصال الخير إلى الغير، ونبه بالمعروف على النوافل التي هي الإحسان والتفضل و بالإصلاح بين الناس على سياستهم [٢٩٥/أ] وما يؤدي إلى نظم شملهم وإيقاع الألفة بينهم [١]، ذلك أفضل الأفعال لقول النبي ﷺ : (**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة و الصيام و الصدقة ، قيل بلى يا رسول الله ، قال : صلاح ذات البين**) [٢] فإن قيل: فلم خص مَن أمر بهذه الأشياء دون من تولاها بنفسه وتوليها أبلغ من الأمر بها ، قيل: في ضمن ذلك توليها ، وذاك أنه إذا كان الآمر بالمعروف يستحق الحمد فمتوليه معلوم أنه مستحق لذلك ، فكأنه قيل إن من تولي ذلك وآمن به [٣] ، ونبه بقوله :

---

(١) وقد نقل أبو حيان في البحر المحيط (٣٦٩/٣) هذا القول ونسبه للراغب ، وأشار إليه ابن عطية في المحرر**الوجيز** (١٢٢/٢) ، وانظر التفسير الكبير (٢١٨/٤)

(٢) من حديث أبي الدرداء أنه قال : قال رسول الله ﷺ (ألا أخبركم ... وذكر الحديث وتمامه وإفساد ذات البين هي الحالقة) صح أخرج أحمد في المسند (٤٤٤/٦) و اللفظ له . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص/١٤٨) باب الشحناء الحديث (٤١٤) . و أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب ، باب إصلاح ذات البين ، الحديث (٤٩١٩) . وأخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة (**٥٦**) باب الحديث (٢٥٠٩) وقال حديث صحيح . وذكره الهيثمي في موارد الظمآن (ص/٤٨٦)(٣٢) كتاب الأدب باب ، الإصلاح بين الناس الحديث (١٩٨٢)

(٣) ذكر النسفي قولاً قريباً من هذا انظر تفسيره (٢٨٢/١).

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أن أفعال الخير يستحق بها الأجر العظيم إذا قصد بها وجه الله، لا أن يفعل رياء وسمعة واستجلاب منفعة أو محمدة من الناس ، ووصف الأجر بالعظيم تنبيهًا على حقارة ما يفوت في جنبه من أعراض الدنيا [(١)]. قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [(٢)]. الشق : القطع طولا ومنه استعير الاشتقاق ، وشق العصا وشق عليه الأمر كقولهم مشقة الأمر[(٣)]، وشق كرددت عصاه [(٤)] ومشاقة الرسول أن يصير في شق غير شقة كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [(٥)] أي يصيرون في حد غير حده ، وذلك أشبه بالاعتقاد والديانة ، وأصل الصلا الملازمة ، ومنه الصلاة للدعاء ومن أجله قول النبي ﷺ : (**ايصلوا يا ذا الجلال و الإكرام**) [(٦)] أي إلزموا مراعاة ذلك،

---

(١) وقد نقل البيضاوي هذا القول ونسبه للراغب انظر أنوار التنزيل (٢٣١/١) ، وذكر بمعناه أبو حبان في البحر المحيط (٣٦٦/٣)

(٢) سورة النساء آية (١١٥)

(٣) انظر المجمل باب شق بفتح الشين وتشديد القاف بالفتح والصحاح مادة شق ، والمفردات مادة شق .

(٤) والمعنى أن شق مضارعه يشاقق نحو ردَّ ويردد فالمجزوم منه يجوز فيه الإدغام كما يجوز تركه على تفصيل ذلك في اللغة،انظر الدر المصون (١٠٠/٤)

(٥) سورة المجادلة آية (٥) .

(٦) الحديث لم أقف على تخريجه وقد يجده غيري والله أعلم وقد ذكر ابن القيم في هذا قولا مفاده أنه مشكل من وجوه . انظر بدائع الفوائد (٤٩/١).

والصلا : ملازمة قرب النار للاصطلاء بـــها فجعل عبارة عن ملازمتها للعـذاب ، والصلوان العرقان المكتنفان لجانبي الوركين ، يجوز أنه اعتبر فيهما الاصطــلاء كتسمية اليد والرجل المصطلى [1] ، والآية قيل : نزلت **في سارق الدرع حيث أظهر النبي ﷺ حاله فأنكر وكذب ، وقيل: في طعمة بن الأبـــيرق لمـا عبـد الأوثان** [2]، ولما ذكـــر قيـــل : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ

---

(١) انظراللسان باب صلا : من الناقة وغيرها ، و المجمل في اللغة مادة "صلا" والمفردات مــادة صلا . وانظر التلخيص في الأسماء (ص١٧) .

(٢) اتضح لي بعد تتبع الروايات في سبب نزول هذه الآية أن ما ذكره الراغب رحمــه الله مــن أسباب الترول إنما هو سبب نزول واحد ومداره على طعمه بن الابيريق وأصل القصة كمــا ذكرها الواحدي في أسباب الترول (ص١٢٠) قال: قوله تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (النساء: من الآية١٠٥)... إلى قوله (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدا) (النساء: مــن الآية١١٦)) أنزلت كلها في قصة واحدة، وذلك أن رجلاً من الأنصار يقال له طعمــة بــن الأبيرق واحد من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جار له يقال له قتادة بـــن النعمــان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق... الخ وذكر ابن عطية سبباً قريبــاً منــه انظــر المحــرر (١١٢/٢)، والقرطبي في أحكام القران (٢٤٦/٦). وفي رواية أخرى: أن طعمة لما رأى أن الله تعالى هتك ستره وبرّأ اليهودي عن تهمة السرقة ارتد وذهب إلى مكة، وقيل: لحق بحرة بـــني سليم يعبد صنمهم حتى مات على الشرك. ذكرها الرازي في تفســيره (٢١٨/١١) ، وابــن الجوزي في الزاد (١٩٢/٢) وذكر أسباباً أخرى وذكر الروايتين أبو حيان في البحــر المحيــط (٣٦٧/٣) ، والبغوي في معالم التتريل(٤٨٠/١) ، وابن كثير تفسيره(٥٥٢/١)، وأورده الزمخشري في تفسيره (٤٧٦/١).وأخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير ،سورة النساء ،رقــم (٥٠٢٧) وقال حديث غريب يروى عن عاصم بن عمران عن قتادة مرسلاً ،طعمه بن الأبــيريق أحد بني ظفر بن الحارث وهو من الأنصار ثم ارتد ومات على ذلك . انظر الإصابة (٢٨٥/٣) .

يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ [١]ذكر هنا من عمل ذلك و لم يستغفر، وعظم تعالى من يشاقق الرسول بعد ما تبين الحق له ، وعلى هذا قال بعض الحكماء : صغائر الأولياء أعظم من كبائر العامة ، وذاك أنه لا يعذر العالم فيما يرتكبه كما يعذر الجاهل ، فإن قيل و لم كان العالم أكبر جرماً ؟، قيل[٢]: لأن من لا يعرف الحق يستحق العقوبة بترك المعرفة ، لأن العمل لا يلزمه حتى يعرفه أو يعرف من يصدقه، والعالم يستحق بترك معرفته وترك استعماله ،فإذن هو أعظم جرما. وقصد تعالى بقوله: ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ ﴾ أن من لم يتبين له الهدى فقد جعل الله له نوراً يهديه ، ومن صار معاندًا قطع عنه التوفيق وتركه هو وهواه ، وانقطاع التوفيق هو المعنيُ باللعن والطرد وإليه أشار الشاعر[٣]

بقوله :-

إذاَ لَمْ يَكُنْ عَونٌ مِنَ اللهِ للفتَى فَأَكْثَرُ ماَ يَجْني عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

وبين بقوله : ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ عظم حالها في العقاب ،واستدل

---

(١) سورة النساء آية (١١٠)

(٢) (قيل) تكرر في الأصل مرتين .

(٣): ينسب لعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، أبو الحسن ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج ابنته، رابع الخلفاء الراشدين، وأول من آمن به صلى الله عليه وسلم من الصبيان ولد بمكة سنة (٢٣) قبل الهجرة،واستشهد سنة (٤٠)هـ. انظر ترجمته: حلية الأولياء(٦١/١) الإصابة (٤٦٤/٤) التقريب (ص/٤٠٢). وانظر البيت في محاضرات الأدباء (٤٥٣/٢) ومجمع البلاغة (٣٦٩/١) قال: فأول بدل فأكثر، وفي الديوان المجموع له (ص/١٠).

بالآية على ثبوت الإجماع [١]، وقيل : إن الله عظّم وعيد من يتبع غير سبيل المؤمنين ،و لا حجة في ذلك لأن المراد بقوله ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإيمان لا ذويه، فكل موصوف بوصف علق به حكم نحو أن يقال :اسلك سبيل الصائمين و المصلين ، يعني بذلك الحث على الاقتداء بهم في الصلاة والصيام ، لا في فعل آخر،فكما إذا قيل سبيل المؤمنين يعني به سبيلهم في الإيمان لا غير [٢]،قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [٣] إن قيل: لِم لَمْ يشترط فيه التوبة؟ ، قيل: إن المشرك إنما يلزمه الاسم ما دام يلزمه الوصف ،فإذا زال

---

(١) ومن استدل بها الإمام الشافعي انظر الأم (٢٠٢/٢٠١/٢٠٠/٦) ونقله الرازي في تفسيره (٢١٩/١١) ومحاسن التأويل (١٣٦/٥) و الزمخشري في الكشاف انظر : (٥٦٥/١) قال بتصرف :(هو دليل على أن الإجماع حجة لا يجوز مخالفتها ، لأن الله تعالى جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقه الرسول في الشرط ، وجعل جزاءه وعيدا شديدا وكأن اتباعهم واجب لموالات الرسول ...ا هـ) وقد نقل الألوسي في روح المعاني قول الراغب . انظر : (١٤٦/١) ، وانظر : البحر المحيط (٣٦٦/٣) فكأنه يخالف مذهب النظام في حجية الإجماع ويرد عليه ،انظر الملل والنحل (٧١/١) ، البحر الزخار (١٨٣/١) وقال أبو حيان : وما ذكره ليس بظاهر الآية المرتب على وصفين اثنين ، لا يلزم منه أن يترتب على كل واحد منهما ، قالوا إنما ترتب في الآية على ما اتصف بمشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ، ولذلك كان العطف على فعل الشرط ، و لم يعد معه اسم الشرط ، فلو أعيد اسم الشرط لكان فيه ظهور على دعواهم ، وهذا كله على تسليم أن يكون قوله :- مغاير لقوله :- و قلت أنه ليس بمغاير ، بل هو لازم على سبيل المبالغة والتوكيد، انظر البحر المحيط (٣٦٦/٣) .وانظر الرسالة ص (١٠٤) .

(٢) ذكر هذا القول القاسمي في تفسيره ونسبه للراغب انظر(١١٦/٥)

(٣) سورة النساء آية (١١٦) .

وصفه زال اسم الشرك عنه، فإذا كان كذلك، فالمشرك ما دام مشركا لا يغفر له ،ومتى تاب زال عنه اسم الشرك ، فإذا التائب الذي يغفر له ليس هو المشرك [١] ،بل هو المؤمن في الحقيقة، ومتى أطلق عليه اسم المشرك فعلى اعتبار الماضي ،وقوله : ﴿ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ موضعه النصب [٢] ،كأنه قال :لا يغفر الشرك ، وقيل : لا يغفر من أجل أن يشرك به ، أي لا يغفر من أجل الشرك شيئا من الذنوب تنبيهًا ،أن الذنوب قد تغتفر مع انتفاء الشرك ،كما قال : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [١/٢٩٦] فقد تقدم[٤] أن الحق والصواب والعدالة وغيرها من وجوه البر تجري مجرى

---

(١) في الأصل الشرك والصواب ما أثبته ولأن الكلام عن فاعل فعل الشرك وليس عن الشرك نفسه ولعله تصحيف.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس (١/٤٦٢) .

(٣) سورة الأعراف آية (٥٦) .

(٤) تقدم عند تفسير لقوله تعالى : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران:٦٩] . وقوله تعالى :- ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠] ، وقال الراغب عند تفسير الآية الأولى :- والإضلال فعل ما يحصل عنده الضلال ، ويقال ذلك له لقصد الفاعل ذلك أولاً ، لأنه يقال مفازة مضلة ، كما يقال أضلني فضللت ، انظر (ق٢١٨/المخطوط) ، وقال الراغب في الآية الثانية ونبه بقوله : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠] . بعد قوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٦٠] . أن إرادتهم بهذا الفعل مقرونة بإرادة الشيطان أن يضلهم ضلالاً . وأن بفعلهم هذا يجد الشيطان إلى

النقطة (١) من الدائرة ومجرى المقرطس (٢) من المريء ، وأن ما عداه كله باطل وضلالٌ، لكن منه ما هو قريب ومنه ما هو بعيد، كما أن العدول عن المقرطس قد يكون قريبا، وقد يكون بعيداً، كذلك العدول عن الحق يكون قريباً و بعيداً ، و لهذا قيل: سمى الله ذنوب الأنبياء ، وفجور الكفار جميعاً الضلال ، و إن كان بينهما بونٌ بعيدٌ (٣) ،ولما كان كذلك وكان أفظع الضلال الشرك بالله ،نبه بقوله : ﴿ ضَلَـٰلاً بَعِيدًا ﴾ أن الشرك إذا اعتبر بسائر الضلالات ،فهو أكبرهن و أعظمهن ،فإن متحريه قد يضل عن الطريق المستقيم ضلالا يصعب رجوعه إليه ،فإن مرتكب الذنب الصغير يجري مجرى الضال عن الطريق القريب يرجى عوده إليه ، ومن قال إن هذه الآية مجمله، فإنه يجب أن يبني على قوله : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (٤) وإن بناء هذه على تلك يقتضي أن يغفر ما دونها من الصغائر ،فهذا تشبيه منه وترك للظاهر، فإنه تعالى بيّن أنه لا

=

إضلالهم سبيلاً وهذا تنبيه أنه لولا اتباعهم الشهوات وانحلالهم عن العبادات لما وجد الشيطان إليهم سبيلاً ، انظر ق (٢٧٤ / المخطوط) وأنظر تفسير الراغب الأصفهاني تحقيق د/ عادل الشدي (٤/ ١٤٢٦) .

(١) والذي في الأصل (النطقة) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٢) لم أقف عليه عند غير الراغب .

(٣) (بعيدا) هذا في الأصل والصحيح بون بعيد لأنه صفة لبون اسم كان ، ولعل هذا من الناسخ .

(٤) سورة النساء آية (٣١) .

يغفر الشرك ،و أنه يغفر ما دون الشرك لكن منهم المغفور له، وعلق بمشيئته فظاهره يقتضي أن الشرك لا يغفر لا محاله ، لكن الشبهة في أعيان المغفور لهم لا في الذنب المغفور وهذا ظاهر .قوله تعالى:﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١) .

من المفسرين(٢)، من اعتبر التأنيث ها هنا في اللفظ دون المعنى ،وقال: لما كان اسم معبوداهم مؤنثة نحو اللات، و العزى ونحو الملائكة, سماها مؤنثاً تسميتهم الأذنين و الخصيتين و الأنثيين ،حتى قال الشاعر :

. . . .   ضَرَبْناهُ تَحت الأُنثيْين على الكَرْدِ(٣) [٢٩٦/ب]

---

(١) سورة النساء آية (١١٧-١٢٠) .

(٢) سيأتي بيان أسمائهم في (ص ١٥٩) من الرسالة .

(٣) وصدر البيت :-   وكنَّا إذا الجبار صَعَّر خده

ضربناه تحت الأنثيين على الكَرْدِ

ذكره في اللسان وقال ونسبه ابن سيده للفرزدق، وكذا قال ابن بري. والفرزدق هو همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس شاعر من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة وقد جمع بعض شعره في ديوان ، وتوفي في بادية البصرة وقد قارب المائة انظر الأعلام

أي وتحت الأذنين .

وقال آخر :-

وما ذَكَرٌ فإنْ تَسْمَنُ فأُنثى   شديدُ الأذَم لَيْسَ له بذي ضُـرُوسُ

وعني بذلك القُراد [٢] لأنه ما دام صغيراً يقال له القراد، وذلك لفظ مذكـر ، وإذا كبر يقال له يقاريد، و ذلك لفظ مؤنث ، فجعله مؤنثاً مذكر ، و منهم من اعتبر التأنيث من حيث المعنى وقال: الموجودات بإضافة بعضها إلى بعض ثلاثـة أضرب : فاعل غير منفعل و ذلك هو الباري تعالى فقط ، ومنفعل غير فـاعل و ذلك هو للجمادات [٣] ، ومنفعل من وجه فاعل من وجه هو الإنسان ، فإنـه بالإضافة إلى الله منفعل و بالإضافة إلى مصنوعاته فاعل [٤] ، و على هذا الوجـه

=

(٩٣/٨)، والجهرة (١٦٣/١) والخزانة(١٠٥/١) ووجه الاستشهاد أن الأذن أنثى من بـاب اعتبار الحكم في اللفظ دون المعنى انظر البيت في اللسان مادة أنـث ، ومـادة كـرد ، وفي الصحاح مادة أنث ولم ينسبه والكرد أصل العنق .

(١) البيت ذكر غير منسوب وهو من قبيل اعتبار الحكم في اللفظ دون المعنى انظر مجمع البلاغـة للراغب(٨٠٦/٢) والمعاني الكبير(٦٣٢/٤) والمزهر للسيوطي (٢٧٥/١) والمفردات مادة أنث وفيهما (يسمن)(ليس له).والأزم/العضّ، والضَرُوس من الضَرْسُ بفتح الضاد وهـو العـضُّ بالأضراس.

(٢) القراد : بضم القاف وفتح الراء وسكون الدال ، وهو حيوان صغير من الصرصار . انظـر : المجمل (ص/٥٩٥) ، انظر المفردات مادة قرد ، مجمع البلاغة (٨٠٦/٢) .

(٣) ذكر الراغب في المفردات في باب أنث .

(٤) ذكره أبو حيان في تفسيره نقلاً عن الراغب ، انظر (٣/ ٣٦٧) . وقال هنا نزعة إعتزالية وهو

مذاهب العرب [في] (١) التأنيث و التذكير فقالوا : الواحدي ذكر واحدة أنثى (٢)، قال :وقد علم أن أكثر ما عبده العرب من الأصنام كانت أشياء منفعلة غير فاعلة ،فبكتهم الله تعالى أنهم مع كونهم فاعلين من وجه يعبدون ما ليس هو إلا منفعلاً من كل وجه ، وعلى هذا نبه إبراهيم بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ (٣) وقول (٤) السلف : يقتضي الأمرين فقد اتفق: أبو مالك (٥) و السدي (٦)

=

أنه يثبت أن الإنسان خالق لفعله غير مخلوق لله تعالى .

(١) (في) ساقطة من الأصل والصواب إثباتها لأن السياق يقتضيها .

(٢) غير واضح في الأصل والصواب (الواحد) .

(٣) سورة مريم آية (٤٢)

(٤) والذي في الأصل " قوله " والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٥) أبو مالك هو غزوان الغفاري، أبو مالك الكوفي مشهود بكنيته ثقة من الثالثة روى عن ابن عباس والبراء وروى عنه السدي وحصين قيل مات سنة ١١٥هـ.وانظر التقريب (٥٣٥٤)والإصابة(١٨٨/٧)،(١٤٩/٤)، والكاشف (٣٢٢/٢) وأخرج الأثر ابن جرير في تفسيره (٢٧٩/٥)

(٦) السدي/ أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الحجازي ،ثم الكوفي ، صدوق يهم ورمي بالتشيع،روى عن أنس وابن عباس، ورأى ابن عمر والحسن بن علي وأبا هريرة وأبا سعيد، وروى عنه شعبةوالثوري وأبو عوانة وغيرهم وهو صاحب التفسير والمغازي توفي سنة ١٢٨وقيل ١٢٧.

انظر سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٥) والتهذيب (٣١٣/١) والتقريب(١٠٨) وطبقات المفسرين (١٠٩/١) وأخرج هذه الرواية عنه ابن جرير في تفسيره (٢٧٩/٥) وابن أبي حاتم في تفسيره

وابن زيد [١] (الإناث اللات و العزى) وقال : ابن عباس [٢] و الحسن [٣] وقتادة [٤] : هي الأموات، وهذا القول يقتضي أنهم اعتبروا التأنيث في المعنى ،

=

رقم (٢٠٦٧).

(١) ابن زيد/ هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني ضعيف اشتهر بالرواية في التفسير عن أبيه، ومحمد بن المنكور قال عنه الذهبي :فيه لين توفي سنة ١٨٢هـ انظر سير أعلام النبلاء (٨/٣٠٩) والتهذيب (٦/١٧٧) والتقريب (ص/٣٤٠) وطبقات المفسرين (١/٢٧١)وأخرج الرواية عنه ابن جرير في تفسيره (٥/٢٧٩) ،وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٠٦٧)..

(٢) أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر الأمة،وترجمان القرآن، لازم الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثر من الرواية عنه، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات ،وتوفي بالطائف سنة٦٨هـ.انظر حلية الأولياء (١/٣١٤)، والإصابة(٤/١٢١) (٣/٣٣١) والتقريب ص (٣٠٩) وأخرج ابن جرير الرواية عنه في تفسيره(٥/٢٧٥)،وابن أبي حاتم في تفسيره رقم(١٠٦٧) .

(٣) الحسن / هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، كان يُرسل كثيراً ويُدلس،رأى عثمان وعلياً وطلحة وعائشة رضي الله عنهم ،وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ولد سنة ٢١هـ ،وتوفي سنة ١١٠هـ.انظر حلية الأولياء (٢/١٣١) ، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣) ، والتقريب (ص/١٦٠) والتهذيب(٢/٢٦٣) أخرج الرواية ابن جرير في تفسيره (٥/٣٧٥) ، وابن أبي حاتم تفسيره رقم(١٠٦٨).

(٤) قتادة/هو قتادة بن دعامة السَّدوسي، أبو الخطاب البصري ،ثقة ثبت ويقال وُلِدَ أكمه وهو رأس الطبقة الرابعة مات سنة بضع عشرة. انظر التقريب (ص/٤٥٣)،وفيات الأعيان(٤/٨٥) ومعجم الأدباء (ص/٢٢٣٣) ،والأعلام (٥/١٨٩) وأخرج الرواية عنه ابن جرير في تفسيره

وقال الضحاك (١) : هي الملائكة لزعمهم أنها بنات الله ، وقرأ ابن عبـــاس (إلا أُنُثَا) أي وثناً ،وهي جمع الوثن (٢) ، والمارد، و المريد الذي لا يعلق بشيء مـــن الفضائل، و ﴿ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ ﴾ (٣) . أي مملس لا يعلق به شيء لملاســـته ، و شجرة مرداء اعتبارًا بتعريها عن الورق ، و غلام أمرد لتعريه عن الشعر ، تعـــرى

=

(٥/٣٧٦).

(١) الضحاك هو أبو القاسم بن مزاحم الهلالي البلى الخراساني ،صدوق كثير الإرسال كان مـــن أوعية العلم، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنـــهم له كتاب في التفسير توفي بخراسان سنة ١٠٥، وقيل سنة ١٠٢، انظـــر:مـــيزان الاعتـــدال (٣٢٥/١) ،والتهذيب (٤٥٣/٤) والتقريب (ص/٢٨٠) ، طبقـــات المفســـرين (٢٢٢/١) أخرج الرواية عنه ابن جرير في تفسيره انظر (٥/٢٧٩).

(٢) أنثا :- بضم الهمزة والنون وبعدها مثلثة ، قال الفراء هو جمع وثن ، انظـــر اللســـان بـــاب " أنث " . وذكر صاحب المجمل في اللغة :- أن الأثن لغة في الوثن ، وهي الأصنام ، في بـــاب أنث ، وذكر النحاس في إعرابه (١٩٢/١) قال : قرأ أثنا ، وقرأ أنثاً وكلاهما مـــن القـــراءات الشاذة ، ذكره في المحتسب لابن جني (١٩٨/١) . انظرجامع البيان (٢٨١/٢) قال الطـــبري: قلب الواو همزة مضمومة ، كما قيل : ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴾ [المرسلات:١١] ، بمعـــنى جمع وثن . وذكر أنه قرىء : " إلا أنثاً " كأنه أراد جمع الإناث فجمعها أنثاً كما تجمع الثمـــار ثمراً ، ثم قال والقراءة التي لا استجيزها قراءة من قرأ بغيرها ولا حجة في الجمع على قراءة ذلـــك . اهـــ . وذكر بمثله ابن عطية في تفسيره (١١٣/٢) . وأبو حيـــان في تفســـيره (٣١٧/٣) ، والشوكاني في تفسيره (٥١٦/١) .

(٣) سورة النمل آية (٤٤) .

الشجر عن الورق [١] ،إن قيل: كيف قـال :- ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ ثم قال : ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [٢] فاقتضى نفي ما أثبت ، قيل: ليس في ذلك نفيٌ فإن دعاء هم للأوثان دعاؤهم للشيطان ، وكل باطل قال له تارة الشيطان، و تارة الهوى، و تارة الصنم ،لما كانت هذه الأشياء متلازمة ومتشاركة في أنها تدعو إلى باطل، و لما كان عبادة الشيطان في نفوسهم قطعية [٣]، تبين لهم أن ما تدعونه و تزعمونه أنكم تقصدون به عبادة الله [٢٩٧/أ] ، وتقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [٤] وتقصدون به الشيطان ، ثم قال: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ التفاتاً ، و صرف الكلام إلى وصف الشيطان ، وقوله : ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ ﴾ [٥] وذلك إما حكاية عما أورده نطقاً ،أو عما أتاه فعلاً، فيكون نحو:

امتلأالحوض وقـال قطـني .... [٦]

(١) انظر اللسان مادة(مرد)ومعجم مقاييس اللغة مادة مرد،والمفردات مادة مرد ،وذكر أبو حيان قولاً قريباً من قول الراغب ونسبه لأبي عيسى انظر البحر المحيط (٣/٣٦٤)

(٢) سورة النساء آية (١١٧) .

(٣) في الأصل (قطيعة) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٤) سورة الزمر آية (٣) .

(٥) سورة النساء آية (١١٨) .

(٦) حكاية عن الفعل ، وقد ذكر الألوسي في روح المعاني (٢/١٤٩) :

امتـلأ الحـوض وقـال قطـني مـهلاً رويـداً قـد مـلأت بطـني

لم أعثر للشاهد على نسبه لأحد فقد استشهد به غير منسوب في مجالس الثعلب (١/١٨٩) ، الكامل (٤٣٤) ، إصلاح المنطق (٣٤٢،٥٧) ، الإبدال لأبي الطيب (١/٣٧٤) ، تفسير

ومعنى قوله: ﴿ مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ ﴾ [1] معلوما مقسوما [2] ، وقيل :مقطوعا [3] منهم ،وهم الذين سباهم الشيطان، ووصفهم بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [4]و البتك [5] : القطع على سبيل التفريق ،و بتك الآذان، قيل: هو الذي كانوا يفعلونه بالبحيرة ، روي ذلك [6] عن السدي ، و قتادة ،و عكرمة [7] : و قيل: فيه إشارة إلى كل ما جعله الله كاملا بفطرته، فجعله

=

أرجوزة أبي نواس (١٠٩٧) . اللسان مادة قطن ، المقاصد النحوية (١/٣٦١) ، شواهد القرطبي (٣/٨٨) رقم [٢٠٩١] القرطبي (٦/١٤) ، والقطن بمعنى حسب . انظر إعراب القرآن للنحاس (١/٥٠٧) .

(١) والقرض في اللغة هو الحزُّ في الشيء ومنه الثقب في الزَّنْدِ ،انظر المجمل مادة قرض ،والمفردات مادة قرض وقيل القطع وذكره الرازي في تفسيره انظر (١١/٢٢١).

(٢) أخرجه ابن جرير ونسبه للضحاك انظرجامع البيان (٣/٢٨١)

(٣) ذكره أبو حيان بلفظ قريب منه انظر البحرالمحيط (٣/٣٦٨)

(٤) سورة سبأ آية (٢٠) .

(٥) انظر اللسان باب " بتك " يقال : بتكه ، وبتكه مخففا ومشددا ، أي تقطيعها ، ومنه قول زهير : طارت وفي كفه من ريشها بتك ،و انظر فتح القديرللشوكاني (١/٥١٧) .

(٦) روي ذلك ساقطة عن الأصل والسياق يقتضيها ولعله تصحيف

(٧) عكرمة/ هو عكرمة بن خالد المخزومي، روى عن أبي هريرة وابن عباس وطائفة وعنه روى قتادة وأيوب والأوزاعي وخلق ،مات بعد عطاء بمكة عدة من الثقات ابن معين وأبو زرعة والنسائي وابن سعيد والبخاري.انظر الكاشف (٢/٢٤٠) ، والتقريب (ص/٣٩٨)،وأخرج الرواية عنه ابن جرير في تفسيره (٣/٢٨٢).

الإنسان ناقصا بسوء تدبيره ، وذاك أن الإنسان بالقوة مخلوق خلقة كاملة ،قد رشحه الله أن يزكي نفسه ومتى دساها فقد خسسها ، و تغيير خلق الله هو أن كل ما أوجده الله لفضيلة فاستعان الإنسان به في رذيلة فقد غير خلقه ، و قد دخل في عمومه جعل الله للإنسان من شهوة للجماع، ليكون سببا للتناسل على وجه مخصوص فاستعان به في السفاح واللواط ،و ذلك تغيير خلق الله تعالى ، و كذا المخنث إذا نتف لحيته وتقنع تشبهًا بالنساء ، و الفتاة إذا ترجلت متشبة بالفتيان ، ودخل في عمومه أيضا كل ما حلله الله تعالى فحرموه ، أو حرمه فحللوه [١] ، و على ذلك قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [٢] وإلى هذه الجملة أشار المفسرون [٣] ، وقد روى عن الحسن أنه قال : هو تغيير أحكام الله [٤] ، ومن قال مرة : هو الوشم إشارة إلى

---

(١) نقله أبو حيان عن الراغب ، انظر تفسيره (٣/٣٦٩) .

(٢) سورة يونس آية (٥٩).

(٣) حيث قالوا هو تغير أحكام الله ، فمن قال بذلك الزجاج ، أنظر معاني القران (٢/١١٠) ، وعزاه إليه الشوكاني في فتح القدير (١/٥١٦) ، وذكره النحاس في معاني القران (٢/١٩٥) .

(٤) ومن قال بذلك أيضاً ابن عباس وأنس وأبو صالح وغيره ، كما ذكر القرطبي في أحكام القران (٥/٣٨٩) ونسبه لعكرمة ومجاهد وقتادة ، وأخرجه ابن جرير بسنده إليهم في تفسيره (٥/٣٨٦) ، ثم ذكر عند إسناده لابن عباس قال وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم [١٠٦١] ،وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/٣٦٩) ، وابن كثيرفي تفسيره (١/٥٥٦) ، وعزاه السيوطي في الدر لعبد الرزاق وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أنس وابن أبي حاتم عن ابن عباس (٢/٦٨٨)

ضرب التغيرات ليتبين به الغرض [١] .

وكذا من قال بالخصاء [٢] ،قول : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [٣] لفظه خبر و معناه نهي ، و قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [٤] فموالاة الإنسان غيره تكون على وجهين أحدهما :أن يقصد موالاته ، و الثاني: أن لا يقصد موالاته، لكن يقع منه ما يرجع إلى صاحبه نفع فهو مواليه فعلا وإن [٥] لم يكن مواليه قصدا ، و على هذا المعاداة فقد يعادي [٦] الإنسان غيره قصدا ،و قد يقصد موالاته لكن يقع منه ما يرجع إليه ضرره فهو معاد له فعلا ، وإن [٧] لم يكن معاد له قصدا ، و على هذا

=

. وأخرجه سعيد بن منصور عن عكرمة رقم [٦٩٠] في كتاب التفسير وقال وسنده صحيح .

(١) أخرجه ابن جرير ونسبه إليه في تفسيره (٥/٣٨٥) ، والوشم هو أن يغرز كف المرأة ومعصمها بإبرة ثم يحشى بالكحل أو بالنورة فيخضر ،انظر اللسان مادة وشم.

(٢) الإخصاء ، والخصاء : سل الأنثين من الفحل ومن الناس والدواب ، انظر اللسان مادة " خصا " والمفردات مادة خصى .

(٣) سورة الروم آية (٣٠).

(٤) سورة النساء آية (١١٩).

(٥) الذي في الأصل (إنه) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٦)الذي في الأصل (تعادي) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٧)الذي في الأصل (فإن) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (١)

فاتخاذ الإنسان الشيطان مولى هو على الوجه الثاني، فإن الإنسان لا يقصد بفعله [٢٧٩/ب] موالاة الشيطان ،فإن قيل :كيف قال : ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) واتخاذ الشيطان وليا مع الله مذموم ،كاتخاذه من دون الله ، قيل : لم يقصد بالآية هذا المقصد، و إنما أريد من ترك تحري موالاة ، وفعل ما أدى به إلى موالاة الشيطان ،فخسرانه ظاهر لا يتكتم(٣) على ذي بصيرة ، وقوله: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ (٤) تحذير، و هذا الوعد من الشيطان تارة بالإرادات الودية ،و الخواطر الفاسدة ،حسب ما ذكر في كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة (٥) ،وتارة بلسان أولياء الشيطان ، و سبب إمكان وصول ذلك إليه كون القوة المفكرة عمياء من تدبر نور الله، و قد تقدم الكلام في حقيقة الأمنية (٦) ،وأنها سبب الحسد، و النميمة ،و الظلم ،و سائر الرذائل ، و الغرور: إظهار ما تعذر، من ظاهره فيه نفع ،وأصله :[الأثر الظاهر من الشيء] (٧) لشيء غره حسنه مخالفة باطنه ، ومن هذه سمى الدنيا

---

(١) سورة التغابن آية (١٤).

(٢) سورة النساء آية (١١٩) .

(٣) الذي في الأصل (لاينكتم) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٤) سورة النساء آية (١٢٠).

(٥) لم أقف عليه في كتاب الذريعة للراغب .

(٦) تقدم عند قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١١١] ، حيث قال : والأمنية : أفعولة من الأمنية . التمني على تصور ما لا حقيقة له ، ومن هنا يعبر به عن الكذب لأنه تصورلشيء ما ،وانظر (٩٠ق-المخطوط).

(٧) الأثر الظاهر من الشيء ساقطة من الأصل وأثبتها بالرجوع إلى المفردات مادة غرر .

غرورا ، فبين أن الشيطان لا يعدهم إلا الدنيا و زخارفها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ (١)

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ (٢) المحيص(٣): المَعْدِلُ على سبيل الهرب، بيّن أن هؤلاء صاروا في أسر الشيطان ، و كما لم يتفكروا من مولاته في الدنيا ، لم يتفكروا من مصاحبته في مقره في الآخرة ،كما قال تعالى :﴿ ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ (٤).

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٥) . قد تقدم الكلام في نحوه (٦)،فبين أنه قد وعد بذلك في غير موضع من كتاب ، بل في غير كتاب ، وإذا كان هذا وعده ،و الوعد ضرب من القيل، وقد ثبت أنه أصدق قيلاً ، فإذًا هو أصدق وعدا ، ونحوه ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (٧) وقوله :

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦٤) .

(٢) سورة النساء آية (١٢١) .

(٣) المحيص : المَعدل بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر الدال المهملة . وأصله : تب كالفحص ، المفردات مادة محص ، وانظر فتح القدير (١/٥١٧) .

(٤) سورة الصافات آية (٢٢) .

(٥) سورة النساء آية (١٢٢) .

(٦) تقدم في أمثال هذه الآية من وعد الله لعباده المؤمنين في الجنة كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ سورة البقرة (٨٢) .

(٧) سورة النساء آية (٨٧) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [٢] قد تقدم الكلام في حقيقة الأمنية ، و لما كان أكثر ذلك قولا صادرا عن تخمين، لا عن تحقيق ، جعل عماتخمن ، قال الضحاك : كما أخذ كل فرقة تقول قولاً لا على مقتضى العلم [٣] .كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ [٤] الآية . ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ ﴾ [٥] وقوله: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ ﴾ [٦] وخاطبهم مستجهلا لهم ،كما روى (**ليس الإيمان بالتمني و لا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل**) [٧] ،وقوله تعالى : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [١] قال

---

(١) سورة آل عمران آية (٩) .

(٢) سورة النساء آية (١٢٣-١٢٤) .

(٣) لم أقف على هذا الأثر عند غير الراغب .

(٤) سورة البقرة آية (١١٣) .

(٥) سورة البقرة آية (٨٠) .

(٦) سورة الأعراف آية (١٦٩) .

(٧) روي هذا الحديث مرة موقوفاً عن الحسن قال :- (ليس الأماني بالتمني ولكن ما وقر في

الحسن و ابن زيد : هو في الكفار لأنهم مؤاخذون بصغائرهم وكبائرهم [٢] ، وقيل :هي الكبائر ، وقيل : هو عام في جميع الناس ،فإن من حصل منه سيء جوزي به إما في الدنيا وإما في الآخرة [٣] ، وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر [٤] رضي الله عنه : (**فمن ينجوا مع هذا يا**

=

القلب وصدقه العمل إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ، ولا حسنة لهم ، وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل) . وروي مرة أخرى مرفوعاً عن أنس بلفظ (ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب ، فأما علم القلب فالعلم النافع ، وعلم اللسان حجة على بني آدم) . ولا يصح مرفوعاً ،أخرجه الخطيب البغدادي في اقتصاد العلم والعمل (ص/٤٢،٤٣) رقم [٥٦]،والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠/١) رقم[٦٦].

(١) سورة النساء آية (١٢٣) .

(٢) أخرجه ابن جرير ونسبه إليهما في تفسيره (٢٩٣/٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩٣/٥) ونسبه إلى أُبيّ بن كعب ، وعائشة ومجاهد رضي الله عنه ، قال ابن المنير :- مدار هذا التطويل هو بث معتقدهم في الوعد وهو أن الله يجب أن يثيب على الطاعات وأن الثواب منقسم إلى واجب ليس بفضل وإلى زيادة على الواجب وهو الفضل خاصة ، انظر حاشية الكشاف (٥٦٦/١) .

(٤) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة التيمي أبو بكر بن أبي قحافة ،الصديق الأكبر أفضل الصحابة على الإطلاق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في جمادى الأولى سنة ١٣هـ. وله ثلاث وستون سنة صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها إلى أن مات وحارب المرتدين وافتتح بلاد الشام وقسم كبير من العراق

رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة و السلام : أما تحزن أما تمرض ، أما يصيبك اللأواء ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : هو ذاك) [1] وقد روي : (أن

انظر الطبقات الكبرى(٣/١٦٩)،والإصابة(٣/١٤٤)، والأعلام (٤/١٠٢).

(١) الحديث بهذا اللفظ روي من ثلاثة طرق من أبي بكر رضي الله عنه: الأول: من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ،سمعت أبا بكر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ...الخ.أخرجه الإمام أحمد في مسنده(١/٦)،والبزار في مسنده (١/٧٥)رقم(٢)، وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر (٦٢-٦٣رقم٢٢)، وابن الأعرابي في معجمه (٢٥٩)، وأبو يعلى في مسنده (١/٢٧-٢٨رقم١٨) وابن جرير في تفسيره (٥/٢٩٤)،والعقيلي في الضعفاء (٢/٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم(٥٩٩٢)وأبو نعيم في الحلية(١/٣٣٤)،وسعيد بن منصور في سننه رقم(٦٩٥) وجميعهم من طريق عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن زياد الجصاص عن علي بن زيد بن صدعان عن مجاهد عن ابن عمر وسنده ضعيف جداً،ومداره علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ،وفيه زياد بن الجصاص قال عنه أبو ذرعة: واهي الحديث ،وقال أبو حاتم: منكر الحديث انظر الجرح والتعديل رقم[٢٤٠٥] والتهذيب رقم[٦٧٥]. اللأواء / المرض

الثاني: من طريق عطاء بن أبي رباح مرسلاً ، قال لما نزلت (**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ** ?.)(النساء: من الآية١٢٣) قال أبو بكر أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/٢٩٤)وسنده ضعيف لإرساله.

الثالث: من طريق أبي الضُّحى مسلم بن صبح،وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/٢٩٥) وهناد بن السَّري في الزهد رقم[٤٣٤]، وأبو نعيم في الحلية (٨/١١٩) وهذا الإسناد ضعيف لإسناده ،قال الترمذي روي هذا الحديث من أوجه وليس له إسناد صحيح.

قلت:وللحديث شواهد منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت (**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**)(النساء: من الآية١٢٣) شق ذلك على المسلمين ،فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ،فإن كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها. أخرجه

الأمراض تمحيص)[١] ، و كما أنه نبه أن شيئا من السيئات لا يبقى غير مجـــازى به أيضا ، وذكر الذكر و الأنثى على التوكيد ، و قيل: نبه بذكرهما ،على سـبيل المثل للسايس، و المسوس فيسمى المسوس أنثى ،كما سماها الله تعالى زوجـــا، في قولـــه: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ [٢]، ونبــــــه بقولــــــه: ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [٣]، أنهم كانوا جوزوا بالشر فإنهم يجـــازون بالخير ، فإنهم إن لم يجازوا بذلك فقد ظلموا ظلما عظيما ،و الله تعالى متره عـــن صغير الظلم فكيف عن كبيره [٤] ، إن قيل: لم أطلـــق في الأول فقـــال: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ ،و قيد في الثاني فقال: ﴿ مُؤۡمِنٌ ﴾ ؟قيل: تنبيـــها أن عمل السوء يضر على كل حال ؛ و أن يجزى للصالحات لااعتداذ به إلا مضامـة الإيمان .

=

مسلم في كتاب البر والصلة والآداب -باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو أمر أو نحوه حتى الشوكة يشاكها رقم(٢٥٧٤)وعند البخاري بلفظ(ما يصيب المسلم من نصب ولا صب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ...الحديث) أخرجه في صحيحه في كتاب المرضى بـــاب ما جاء في كفارة المرض رقم(٥٦٤١/٥٦٤٢) فيكون من باب الحسن .

(١) لم أقف على الرواية التي ذكرها الراغب وقد يجدها غيري والله أعلم.

(٢) سورة الصافات آية (٢٢) .

(٣) سورة النساء آية (١٢٤) . وذكره في الذريعة إلى مكارم الشـــريعة (ص/٢١٠) ، وانظـــر اللسان باب ملل .

(٤) ونجد هنا أن الراغب يسير على أصل من أصول المعتزلة في الوعد والوعيد أنظر الرسالة ص(١١٢).

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ [٢٦٩/ب] وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾[١] الدين، و الملة ،و الإسلام واحد من وجه، لكن يقال باعتبارات مختلفة ،فإن الدين :هو الإنقياد للحق وذلك معتبر بالعبد ، و الملة : القود إلى الحق من أمللت عليه الكتاب ،و ذلك معتبر بالله تعالى [٢] ، وعلى نحوه قالوا : ﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[٣] ،وقال ابن بحر [٤] : هو أن يعدوَ [٥] الذئب على شيء ضربا من العدو ، فجعله إسما معتبرا أيضا بالعبد كالدين ، وكأنه من نحو قوله : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[٦] ،وقوله قال : ﴿ وَعَجِلْتُ

---

(١) سورة النساء آية (١٢٥-١٢٦) .

(٢) نقله الراغب من كتاب الفروق لأبي هلال العسكري من غير أن ينسبه مع تصرفه فيه ، انظر كتاب الفروق (ص/٢٢٠) .

(٣) سورة الفرقان آية (٥) .

(٤) ابن بحر: هو أبو مسلم ، وقيل :أبو مسلمة محمد بن بحر الأصفهاني من وجوه المعتزلة وبلغائهم ،وله تفسير على طريقة المعتزلة اسمه جامع التأويل لمحكم التنزيل ،توفي سنة ٣٢٢هـ. وهو ابن سبعين سنة .انظر لسان الميزان (٥/٨٩)، وبغية الوعاة (١/٥٩) وطبقات المفسرين (٢/١٠٩) ،وهدية العارفين (٢/٧١).

(٥) والذي في الأصل (مل) والصحيح ماأثبته وذلك بالرجوع إلى كتاب الفروق للعسكري حيث ذكره غير منسوب انظر (ص/٢٢٠)

(٦) سورة الصافات آية (٩٩) .

إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (١) ،و الأول هو الوجه ،و الإسلام: يقـال للإسـلام الحق والدخول في السلم و السلامة من جهة الله تعالى ، والحنيف ،قيـل: هـو المستقيم الطريقه ،و منه الأحنف: للمايل الرجل على سبيل التفاؤل (٢) ، وقيـل حنف أي : مال (٣) ، وسمى إبراهيم حنيفا من حيث مال عما عليه جمهور قومه من المذاهب الباطلة، و لهذا قال تعـالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾(٤)، ونبه بقوله ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أن عدوله عنهم لم يكن على وجه مذموم ، وإسلام الوجه لله الإخلاص للعبادة، كما قـال تعالى : ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ (٥) والذي مدح به إبراهيم عليه الصـلاة والسلام هاهنا هو الذي حكى عنه، في قوله عنـه : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) وهذا هو الإخلاص الذي هو(٧) أعظـم مرتبـة الإيمـان

---

(١) سورة طه آية (٨٤) .

(٢) (التفال) في الأصل غير واضح والصحيح ما أثبته استناداً إلى كتابه المفردات باب حنف .

(٣) انظر المجمل وانظر أساس البلاغة مادة حنف يقال :- رجل أحنف أي يمشـي علـى ظـهر قدميه ، وقد تحنف إلى الشيء إذا مال إليه. والمفردات مادة حنف ، وانظر كتاب الذريعـة في عرض كلامه عن الإيمان والإسلام (ص/٢١٠)

(٤) سورة النحل آية (١٢٠) .

(٥) سورة النساء آية (١٦٤) .

(٦) سورة الأنعام آية (٧٩) .

(٧) في الأصل وهو والصواب ما أثبته ولعله تصحيف .

،كالمذكور في قوله عليه الصلاة والسلام (**الإيمان بضع وسبعون درجة**)[١]، ومتحروا هذه المترلة هم المستثنون في قوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٢] بين تعالى في هذه الآية أن تمام حسن الانقياد لله الإخلاص له مع الإحسان ، أي تعاطي مكارم الشريعة فضلا عن الأحكام التي هي العدالة[٣] ، وقيل :معنى ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي : حسن أن يسلم وجهه لله[٤] ، منبها على فضيلة العلم ، ونبه بلفظ الاستحسان في قوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾ أن ذلك غاية ما يبلغه قوة البشر ، ثم قال :- ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ أي إذا فعل هذا فقد اتبعه ،وتخصيصه أن كلا من الأمم ادعى على ملة إبراهيم ،فبين أنه بهذا يصير على ملته[٥] ، وقيل معنى : [٢٩٩/أ] ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي : إذا فعل ذلك فقد قام مقام إبراهيم واستحق ما استحقه[٦] ،﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[٧] أي : إنما

---

(١) الحديث : أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الايمان ، باب أمور الايمان رقم (٩) بلفظ أن الإيمان بضع وستون شعبة . وأخرجه مسلم في صحيحه ، بلفظ (الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياة شعبة من الإيمان ، كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان ، حديث (٣٥/٥٧) .

(٢) سورة يوسف آية (١٠٦) .

(٣) لم أقف على هذا المعنى عند غير الراغب

(٤) لم أقف على هذا المعنى عند غير الراغب .

(٥) وقد ذكر الرازي قولاً قريباً من قول الراغب و لم ينسبه انظر(٢٢٩/١١)

(٦) ذكره الرازي في تفسير بألفاظ أخر و لم ينسبه انظر(٢٣٠/١١) قلت والصواب في هذا ما ذكره الطبري في تفسيره (٢٩٧/٥) قال فيما نسبه للضحاك أن الله فضل الإسلام على كل

اصطفاه لما كان فيه لا لحاجة إليه فلله ما في السموات وما في الأرض، تنبيها على أنه غني عن عباده ومالك محيط بكل شيء [٢] ، والواو في قوله :﴿ وَٱللَّهُ ﴾ واو الحال، وإن كان كثيرًا تصوره أنه كلام مستأنف [٣] ، إن قيل :كيف أعاد ذكر إبراهيم و لم يقل واتخذه ؟قيل: لما كان ذلك كلاما مستأنفا ،كان إعادة ذكره أفخم ،و أَدَلُ على موضع المدح [٤] ، قال أبو القاسم [٥] البلخي [٦] : الخليل من الخُلَّة [٧] أي الفقر لا من الخلة ، قال ومن قاسه بالحبيب فقد أخطأ، لأن الله

=

دين ،وليس يقبل فيه عمل غير الإسلام انتهى.قال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢٠٦):الخلة تتضمن كمال المحبة ونهايتها... وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه ما، وهذا المنصب خاص للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما إبراهيم ومحمد.

(١) سورة النساء آية (١٢٥) .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (٥/٢٩٨) و لم ينسبه، وذكره الرازي أيضاً و لم ينسبه انظر تفسيره (١١/٢٣١) والجصاص في أحكام القران (٣/٢٦٩)

(٣) ذكرالسمين في الدر المصون (٤/٩٨).

(٤) ذكره البيضاوي في تفسيره و لم ينسبه انظر(١/٢٣٩)

(٥) الذي في الأصل (القسم) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٦) أبو القاسم البلخي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي الحنفي من متكلمي المعتزلة البغداديين ،وأقام ببغداد مدة طويلة واشتهرت بها كتبه، ثم عاد إلى بلخ فأقام بها إلى حين وفاته، له التفسير الكبير للقرآن العظيم توفي سنة ٣١٩هـ انظر ترجمته:تاريخ بغداد (٩/٣٨٤)، ولسان الميزان(٣/٢٥٥) وطبقات المفسرين (١/٢٢٩)، وشذرات الذهب(٢/٢٨١) وانظر قوله في المفردات (ص/١٥٤).

(٧) الخلة : بضم الخاء وكسرها ، يقال خَلَّ الرجلُ وأخِلَّ به ، وأخَلَّ ، انظر اللسان باب خَلَلَ

تعالى يجوز أن يحب عبده فالمحبة منه هي الثناء، ولا يجوز أن يخاله ما ليس بجنســه ،وهذا منه تشبيه لحقيقة موضوع المحبة لا يصح عليه كما لا يصح عليه الخلــة ،فإن الخلة من تملك الود نفسه وخالطه، كقولهم: تمازح [1] روحنا ،ولهذا قال: [2]

=

ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٠٩) . ذكر الطحـــاوي في العقيــدة الطحاويــة (ص/٢٩٤) ما ملخصه: أن هذا الأصل مأخوذ من المشركين والصائبه ، وهم ينكرون أن يكون إبراهيــم خليلاً وموسى كليماً ، لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقه للحب ، ولكن محبته وخلته يليــق به تعالى ، كسائر صفاته ويشهد عليه ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضـــي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليـــلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله) يعني نفسه ، وقد ذكر مثله الراغـــب في الذريعـــة إلى مكـــارم الشريعة في فصل الحبيب في الناس . انظر (ص/٣٦٦) .

(١) الذي في الأصل تارح والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف و لم أقف على هذا عند غير الراغب.

(٢) البيت لبشار بن بُرْد العُقيلي، أبو معاذ ،أشعر المولدين على الإطلاق أصله مـــن طخارســتان (غربي نهر جيمون) ونسبته إلى امرأة (عُقيلية) قيل أنها افتدته من الرق،اتهم بالزندقـــة فمـــات ضرباً بالسياط،ودفن بالبصرة انظر ترجمته الأعلام (٢/٥٢)،وفيات الأعيان (١/٨٨)، والشـعر والشعراء(٢٩١) وخزانة الأدب (١/٥٤١) وفيه مات سنة ١٦٨ وقد يزيد على تسعين سنة . انظر : ديوانه (٥٧٨) ، ورواية الديوان (ولذا سمي) مكانه (بذا سمي) ، والشاهد يبـــين في ديوانه بيت آخر ، وهما بيتان مفردان ، والبيت الآخر هو :-

فإذا مـــا نطقـــت كنـــت حديثـــي وإذا مـــا ســـكت كنـــت الغليـــلا

والغليل / مرارة الحب ، وفي الأصل مرارة العطش . ومن شواهد الدرّ المصـــون (٥/٩٩) ، والمفردات (٢٩١) ، وشواهد القرطبي (٢/١٩٢) ، وفتح القدير (١/٢١٩) ، والبحر المحيـــط (٣/٣٦٤) ، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٠١) ،وروح المعاني (٢/١٤٨) . وذكر اللزم بـــدلاً

قَدْ تَخَلَّلْتُ مَسْلَكَ الروحِ منّـــي وبـــذا سُـــمِيَ الخَليـــلُ خليـــلا

والمحبة :البلوغ بالود إلى حبة القلب [١] ، من قولهم :حبيته أي أصبت حبـة قلبه ،نحو فأدته ورأسته، ومنكر أن يقال: حبيتُ الله، أو حبني الله ،فإذا جـاز في أبلغ اللفظ الاستعـارة ففيما دونه أولى على معنى الثناء ،كمـا ذكر أبو على [٢] (أو[٣] علي) معنى الاصطفاء ،كما ذكـر غـيره [٤] . قولـه عـز وجـل : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ

=

بذا واستشهد به على الخُلة بالضم وهي المودة الخالصة .

(١) أنظر المجمل باب حب والمفردات مادة حب .

(٢) أبو علي : – هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي بكر السكن الجبائي البصـري ، إليه تنسب طائفة الجبائية ، من كبار مفسري المعتزلة انتهت إليه رئاستهم في البصرة ، مـن مصنفاته : متشابه القرآن ، تفسير القرآن ، كتاب الأسماء والصفات ، توفي بـالبصرة سـنة ٣٠٢هـ انظر ترجمته : – وفيات الأعيان (٣/٣٩٨) سير أعلام التبلاء (١٤/١٨٣) البدايـة والنهاية (١١/١٢٥) ، وطبقات المفسرين (٢/١٩١) وتنظ قوله في المفردات للراغب مـادة حبّ .. وقد ذكرت في المقدمة تذبذبه في إثبات هذه الصفة لله تعالى .أنظر ص (١١٠) .

(٣) (أو) لعلها ساقطة واثبتها لأن الكلام يقتضيها .

(٤) ومن قال بذلك الجصاص في أحكام القران (٣/٢٦٨) ، والزمخشري في الكشاف (١/٥٦٦)

عَلِيمًا ﴾ (١) قوله : ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ ﴾ ، قيل: هو استئناف، على تقدير :ما يتلى عليكم بين لكم ،وقيل: هو معطوف على الله أي: يفتيكم الله ،ويفتيكم ما يتلى عليكم (٢) ،وقد تقدم في صدر الكتاب ، أن فعلا واحدا يصح أن ينسب إلى فاعلين باعتبارات مختلفة (٣) . فالإشارة بذلك إلى قوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ (٤) ،وإلى قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ [٢٩٩/ب

---

(١) سورة النساء آية (١٢٧) .

(٢) ذكر الألوسي في تفسيره (١/١٥٩) : (وما يتلى عليكم في الكتاب) في (ما) ثلاثة احتمالات :- الرفع ، النصب ، الجر . وعلى الأول إما أن تكون مبتدأ والخبر محذوف ، أي وما يتلى عليكم في القرآن يفتيكم ويبين لكم ، وإيثار صيغة المضارع للإيذان بدوام التلاوة .. وإما أن تكون مبتدأ وخبره (في الكتاب) ويكون المراد منه اللوح المحفوظ .وإما أن تكون معطوفة على الضمير المستكن في (يفتيكم) وصح ذلك للفصل والجمع بين الحقيقة والمجاز ، ، فلا يصح العطف ونظيره أغاثي زيد عطاؤه . وإما أن تكون معطوفة على الإسم الجليل ، والإيراد غير وارد ، نعم المتبادر أن العطف من عطف المفرد على المفرد ، ويبعده إفراد الضمير كما لا يخفى . وعلى الثاني :- أن يكون مفعولاً لفعل محذوف أي : بين لكم ما يتلى والجملة معطوفة على جملة يفتيكم ، وإما معترضه . وعلى الثالث :- أن تكون في محل جر على القسم المنبيء عن تعظيم القسم به كأنه قيل : قل الله يفتيكم . أو تكون معطوفة على الضمير المجرور ، أو معطوفة على النساء وكذا ذكره في الدر المصون (٤/١٠٠) والقول الثاني لعله من قول ابن قتيبة انظر مشكل إعراب القرآن (٥/٢٠٩) وقد رده السمين في الدرالمصون انظر(٤/١٠٠) .

(٣) انظر مقدمة التفسير للراغب (ص/٦٣) .

(٤) سورة النساء آية (٣) .

أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [(١)] وذلك أنه بين بالآيتين حكم المستفتى فيه، بسبب نزول الآية أن عيينة بن حصن [(٢)] أتى النبي ﷺ فقال : (**أخبرنا أنك تعطي الصبي المال وتعطي الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة ، فقال عليه الصلاة والسلام : كذلك** [(٣)]) ،فأنزل الله تعالى الآية . قوله : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ ،قيل [(٤)]: تقدير :في أن تنكحوهن ، وقيل: عن أن تنكحوهن ، قال أبو عبيدة [(٥)] : كلا التقديرين يصح

---

(١) سورة النساء آية (١١) . وهذا القول منسوب لعائشة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري عنها في صحيحه كتاب التفسير باب : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ [النساء:١٢٧] . رقم الحديث [٤٦٠٠] .

(٢) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن ثعلبة بن فزارة الفزاري أبو مالك ، أسلم قبل الفتح ، وشهد الفتح وحنينا و الطائف ، كان من المؤلفة قلوبهم ، ارتد بعد وفاة النبي ﷺ ، ثم عاد إلى الإسلام ، كان فيه جفاء أهل البادية وغلظتهم ، توفي في خلافة عثمان بن عفان . انظر أسد الغابة (٤١٦٦) ، والإصابة (٦٣٨/٤)

(٣) لم أقف على الرواية التي ذكرها الراغب . وذكر الواحدي في أسباب الترول (ص/١٦) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء:٧] قال إن أوس بن ثابت الأنصاري ... وذكر قصة طويلة وكانوا يقولون لا يعطي إلا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة . وقد أخرج البخاري والمسلم الرواية من طريق جابر بن عبد الله ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير / رقم [٤٥٧٧] ومسلم في كتاب الفرائض ٥٥/١١،وانظر الزاد (٢٠٠/٢) والبحر المحيط (٣٧٦/٣) وروح المعاني (١٦٠/٢) .

(٤) ذكره ابن قتيبة في المشكل (ص/٢٠٩) ، وذكره الدر المصون ونسبه لعائشة رضي الله عنها (١٠٦/٤) .

(٥) أبو عبيدة :- هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري النحوي اللغوي صدوق إخباري رقي

لأنك تقول : رغبت أن أصحبك، في معنيين، وكانوا يرغبون في الحسان من اليتامى فيتزوجوهن ،وعن القباح فيعضلوهن ماكتب الله لهن، قيل : المهر[١]، وقيل : الإرث ، الذي لها ومن أجله يرغبون فيها أو يعضلوها[٢] ، استدل[٣] من الآية

=

برأي الخوارج ، ولد بالبصرة سنة ١١٠هـ من مصنفاته (مجاز القرآن) ، (وغريب القرآن) ، (ومعاني القرآن) ، (وغريب الحديث) توفي سنة ٢٠٩هـ وقيل ٢٠٨هـ وقد قارب المائة انظر سير أعلام النبلاء (٣٧٢/٧) ، والتهذيب (٢٤٦/١٠) والتقريب (ص ٥٤١) ، وطبقات المفسرين (٣٢٦/٢).

وقد ذكره أبو حيان في تفسيره ونسبه إليه (٣٧٨/٣) ،وكذا الرازي في تفسيره (٢٣٤/١١) .

وذكره الشوكاني ولم ينسبه (٥٢٠/١) .

(١) أخرجه ابن جرير بمعناه عن عائشة رضي الله عنهاانظر جامع البيان (٣٠٢/٥) ، وذكره في الزاد (٢٠٠/٢) ، وذكر الجصاص في أحكام القران ونسبه لأبي بكر الصديق (٢٦٩/٣) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره منسوباً لابن عباس ومجاهد ، انظر (٣٥٧/١) وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي مالك رقم (٦٢٣) وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن جرير عن ابن عباس والسدى انظر (٧٠٨/٢)

(٣) من استدل بذلك الحنفية وبه قال الشافعي وأحمد في إحدى روايتيه . انظر المغني لابن قدامة (٣٨٢/٧) ، وأضواء البيان (٢٣٤/١) وانظر قول الرازي في تفسيره (٢٣٤/١١) وتأييده لرأي الراغب حيث قال : احتج أصحاب أبو حنيفة بهذه الآية على أنه يجوز لغير الأب والجد تزويج الصغيرة ، ولا حجة لهم فيها لاحتمال أن يكون المراد وترغبون أن تنكحوهن إذا بلغن . والدليل على صحة قولنا :- أن قدامة بن مظعون زوج ابنة أخيه من ابن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ، ورغب أمها في المال فجاؤا إلى الرسول ﷺ فقال قدامة :- أنا عمها ووصي أبيها ، فقال ﷺ (إنها صغيره وإنها لا تتزوج إلا بإذنها ، وفرق بينها وبين ابن عمر) .

على أنه يجوز التزوج اليتيمة الصغيرة ،وأنه يجوز أن يزوجها غير الأب والجـــد. ولادلالة في الآية، لأنه قال : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ وذلـــك بـــلا استقبال، و لم يذكر في الآية متى نزوجها ،ومن يزوجها ،ولا قصد الآية إلى ذلك فبين حكمه فيها . قوله تعـــالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] النشوز: أصله من النَّشْزِ[2]، وهو كالطموح [3] ، وأكثر ما يستعمل في بغض المرأة الرجل [4] ،و الأظهر هاهنا أنه

بغض الرجل للمرأة، ويحتمل أنها إن خافت أن ينشز عليها [5] البعل، لإعـــادة غيرها عليها ،فأباح تعالى أن يتصالحا على ترك بعض حقها ، قال ابن عباس [6] : هي أنها تكون قد طعنت في السن يرى الزوج استبدال غيرها بها ،فتقول أرضـــي منك بغير نفقة ،أو بغير قسمة ،وقيل : نزلت في سودة [7]، وكانت قد وهبـــت

---

(١) سورة النساء آية (١٢٨) .

(٢) النَّشْزُ : المكان المرتفع انظر المجمل مادة نشز واللسان مادة نشز ، .

(٣) والطموح :- من طمح ببصره إلى الشيء ، علي وكل مرتفع طامح ، انظر المجمل مادة طمـــح ، وأبو حيان (٣/٣٧٩) .

(٤) الذي في الأصل بغض المرأة والرجل والصحيح ما ذكرته إستناداً إلى ما ذكـــره الألوســـي في روح المعاني (١/١٦١) ، وتفسيرالرازي (١١/٢٣٥) ، والكشاف للزمخشري (٢/٥٦٨) ، .

(٥) في الأصل (على) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان، مع تغير يسير في اللفظ (٥/٣١١) ؛

(٧)سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية القرشية ، أم المؤمنين ، تزوجها النبي صلى الله

يومها لعائشة (١) فإن قيل: لم قال : ﴿ أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ والنشوز منطوٍ على ذلك ، قيل: الإعراض أعم ،فبين أن لا فرق من أن يكون النشوز ،أو ما دون النشوز (٢)، ثم قال ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ ، قيل: خير من النشوز ، وقيل :خير من الفرقة (٣) ،والأجود أن يكون ذلك عاما فيهما ،وفي غيرهما ،فإن الناس مدعوون إلى التآلف ،والتحاب(٤) ،ولهذا قال عليه الصلاة والسلام :(**لا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا**) (٥)، وكل موضع يمكن فيه الصلح أحرى بالصلاح على ما يقتضيه العقل والشرع ، فالصلح خير، فصار ذلك اعتراضاً عاماً (٦) ، تنبيهاً أن هذا الموضع منه فهو أُذُن خير ، وكذا قوله ﴿ وَأُحْضِرَتِ

=

عليه وسلم الله عليه وسلم بعد خديجة وهو بمكة وماتت سنة ٥٥ على الصحيح . انظر التقريب (رقم١٩٣٧) والإصابة (٣/١٨٩) و(٤/١٩٣) .

(١) أخرجه ابن جرير مسنداً لابن عباس ، انظر (٥/٣١١) . وذكره الشوكاني في تفسيره (١/٥٢٢) ، / والزاد (٢/٢٠٢) وأخرجه البخاري في ، كتاب النكاح ،باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك ،رقم [٥٢١٢] .

(٢) ذكره الشوكاني في تفسيره (١/٥٢١) .

(٣) ذكره صاحب زاد المسير وعزاه للماوردي (١/ ٢٠٢) .

(٤) عزاه صاحب زاد المسير لمقاتل والزجاج (١/٢٠٢) ، وانظر الزجاج في معاني القران (٢/٤٥)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ،في كتاب النكاح ،باب لا يخطب على خطبة أخيه رقم(٥١٤٣)،وفي كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ،رقم(٦٠٦٤) ،وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ،رقم(٢٥٦٣).

(٦) قال بذلك الزمخشري انظر الكشاف (١/٥٦٨) ، وذكر في الدر المصون ونسبه للزمخشري

ﭐلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ اعتراضا ،تنبيها على ما في ذات الإنسان [1] ،والشح [2] أبلغ من البخل إذ هو غريزة [3] فإن قيل: فلم ذم إذا الإنسان عليه؟ قيل : ذم الإنسان إنما هو باتباعه بأكثر مما يجب ، كما يذم باتباع الشهوة ووجوده في الإنسان محمود لوجود [4] الشهوة، واتباعه هو المكروه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (**ثلاث مهلكات شح مطاع**) [5] فذم طاعة الشح لا ذاته ثم حرض على الإحسان والتقوى وضمن أنه يجازي بها ،بقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ

=

انظر (٤/١٠٩) وروح المعاني(٣/١٦٢) ، وفتح القدير(١/٥٢١) ، والبحر المحيط (٣/٣٨٠)

(١) قال بذلك الزمخشري في الكشاف(١/٥٦٨) ، وذكره في الدر المصون منسوبا إلى الزمخشري (٤/١٠٩)

(٢) انظر المجمل مادة شح والمفردات مادة شح ، والمحررالوجيز (١/١٢٠) .

(٣) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص/٤١٢) .

(٤) الذي في الأصل لجهودة كوجودة والصواب ما أثبته ولعله تصحيف .

(٥) رواه أبو نعيم بسند ضعيف من حديث أنس ، والطبراني بلفظ من زياده عن ابن عمر . وتمامه :- (ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه) . أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٤٣)،(٣/٢١٩)، واتحاف السادة المتقين للزبيدي (٨/١٩٢،٣٣٧،٤٠٧)وأورده في كتر العمال للمتقي الهندي رقم (٤٣٨٦٦) والسلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٨٠٢) وكشف الخفاء (١/٣٨٦) وقال وسنده ضعيف . ولكنى للدولابي)(١/١٥١) .

﴿ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾[١]، نبه تعالى على قصور الإنسان عن تحري العدالة [٢] بين نسائه، وأن يحرص على تحريها سيما في الحب، ونهى عن كل الميل عن واحدة فتكون معلقة لا زوجا مطلقة ولا ذات بعل ، لا بعضه، نبه الله تعالى على صعوبة تحري الحق ،وأن الإنسان إذا لم يستطع العدل بينه وبين امرأته مع أن حقها معلوم، فكيف يستطيع أن يعدل بينه وبين رب العزة ونعمه لا تحصى، وحقوقه لا تستقصى، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [٣]، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (**استقيموا ولن تحصوا**)[٤] ،ثم قال : ﴿ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ [٥] أي: إن تحريتم الصلاح ،واستعملتم التقوى بقدر وسعكم، فهو ما كان منكم، فإن قيل: إذا كان الله لا يكلف إلا الوسع ،وقد حكم أنكم لا تستطيعون أن

---

(١) سورة النساء آية (١٢٩) .

(٢) والصحيح ما أثبته والذي في الأصل المعدّله .

(٣) سورة إبراهيم آية (٣٤) ،وأيضا سورة النحل آية(١٨)

(٤) وتمام الحديث فيما روي عن ثوبان أنه قال : قال رسول الله ﷺ (استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب الطهارة ، باب المحافظة على الوضوء رقم (٢٧٧) ، ومالك في الموطأ ،كتاب الطهارة ، ، باب جامع الوضوء رقم (٣٦) ، وأحمد في المسند (٥/٢٨٠/٢٨٢) في مسند ثوبان رضي الله عنه . والدارامي في السنن ، كتاب الوضوء ، باب لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن من طرق عن ثوبان صحح أحدها وقال على شرط الشيخين وفي مجمع الزوائد قال رجاله ثقات أثبات إلا أن فيه إنقطاعا بين سالم وثوبان انظر (١/٢٠٠) .

(٥) سورة النساء آية (١٢٩) .

تعدلوا، فلا ذنب فيما لا يستطاع ،فكيف يغفر ذلك والغفــــران لا يكـــون إلا لذنب ؟ قيل : الإنسان وإن كان لا يستطيع أن يعدل بين نسائه، فإنه يمكنــه أن [٣٠٠/ب] يحترز من ذلك بأن لا يتزوج بعدة منهن، وكل ما دخل فيما لا يستطيعه فـــهو مأخوذ بدخوله فيه ،كمن شرب فسكر، ثم جنى جناية ،فإنه مأخوذ بجنايته ،لمـــا كان هو سبب سكره ،وروى أن النبي ﷺ كان يقول (**اللهم إني أعـــدل فيمـــا أعدل و استغفرك فيما لا أملك**) [١] ،وكان يطوف بين نسائه ليقسم بينهن ، ثم استأذنهن أن تمرضه عائشة [٢] .قوله تعـــالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا

---

(١) كأنه يريد حديث النبي ﷺ وأنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : (هذه قسمتي فيمـــا أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك) حيث أنني لم أقف على اللفـــظ الـــذي أورده الراغـــب والحديث الذي ذكرت مخرج من طريقين :- الأول : من رواية أبي قلابة مرســـلاً أخرجـــه الترمذي في النكاح في عقب الحديث [١١٤٠] وقال : هذا أي الإرسال - أصح من حديـــث حماد بن سلمة . وحديث حماد بن سلمة عن طريق عائشة مرفوعاً ، وقـــال ابـــن حجـــر في التلخيص (١٣٩/٣) ، كتاب النكاح ،في التخفيف من النكاح حديث [١٤٦٦] ما نصـــه (وأعله النسائي والترمذي والدار قطني بالإرسال وقال أبو زرعة : لا أعلم أحدا تابع حماد بـــن سلمة على وصله . أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في السنن : كتاب النكاح ،باب في القسم بـــين النساء رقم [٢١٣٤] والترمذي في : كتاب النكاح ، باب ماجاء في التسوية بين الضرائر رقـــم [١١٤٠] والنسائي في السنن :كتاب عشرة النساء ، باب ميل الرجل إلى بعض نســـائه دون بعض وابن ماجة في السنن : كتاب النكاح ، باب القسمة النساء رقـــم [١٩٧١] والطريـــق الثاني : - عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعـــدل ، ثم يقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني قلبـــه)) رواه أحمد في مسنده (١٤٤/٦) قال الحاكم في المستدرك (١٨٧/٢) صحيح على شرط مسلم .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب إذا استأذن الرجل نسائه أن يمرض في بيـــت

مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [1] ، هو كقوله : ﴿ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [2] وقولهم : إن لم يكن وفاق فطلاق ،كما أن لهما أن يصالحا بالوفاق، وبين أنه وإن خلقهم ،خلقهم يضطر كل واحد منهما إلى صاحبه، فقد أغنى كل واحد منهما عن الآخر يبدل له آخر ،فهذا معنى الغنى، وفيه أيضا إشارة إلى الغنى المالي ، وقد روي عن الحسن بن علي [3] أنه كان طلق زوجته ، فقيل: له في ذلك، فقال: إني رأيت الله تعالى علق على الأمرين غنى ،فقال تعالى :﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾[4] الآية، وقال : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ والواسع :عام في الغنى، والقدرة ،والعلم .وعقبه بالحكم، منبها أن السعة ما لم يكن معها الحكمة، والعلم ،كان إلى الفساد أقرب منها إلى الصلاح . قوله تعالى :

=

بعضهن فأذن له ، والحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن الرسول ﷺ كان في مرضه الذي مات فيه أين أنا غداً ، أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها ... رقم [٥٢١٧]

(١) سورة النساء آية (١٣٠) .

(٢) سورة البقرة بعض آية (٢٢٩) .

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب ، سبط النبي ﷺ وريحانته ، مات شهيداً سنة ٤٩ وقيل بعدها . انظر التقريب (ص١٦٢) ، والإصابة في تميز الصحابة (١/١١) ، ولم أقف على هذا الأثر عند غير الراغب .

(٤) سورة النور بعض آية (٣٢) .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (١) . لما قال يغن الله كلا من سعته، نبه على قدرته على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ ،وسلاه عما يفوته من أغراض الدنيا ،بالاعتماد عليه تعالى، وأكد ما قدمه من الأمر بالإصلاح بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تنبهًا أنه لم يزل يوصي بفعل الخير، وبين أن ذلك لرحمته لا لحاجته فهو غني وقوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ، راجع إلى قوله : [٣٠١/أ] ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا ﴾ (٢) أي: توكلت بكفايتكم ،وكفى به وكيلا ، وأعاد قوله : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ ثلاث مرات لثلاثة معان الأول : تسلية للإنسان عما فاته ، والثاني : أن وصيته لرحمته لا لحاجته وأنهم إن كفروا به لا يضروه شيئاً ، والثالث : دلالة على كونه غنيًا (٣) . قوله عز وجل : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ (٤) أي: هو غني عن خلقه، ومع غناه قادر على إفناء قوم والإتيان بآخرين (٥) ،كما قال : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

(١) سورة النساء آية (١٣١) .

(٢) سورة النساء آية (١٣٠) .

(٣) وقد ذكر الطبري وجوها مقاربة لما ذكره الراغب في الوجه الأول والثالث انظر تفسيره : (٣١٩٩/٦) ، وذكر الرازي قولا قريبا من الوجه الثاني انظر تفسيره(٢٣٩/١١).

(٤) سورة النساء آية (١٣٣) .

على إفناء قوم والإتيان بآخرين [1] ،كما قال : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [2]، وكما قال: ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ [3] قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [4] ، ويقال لما نزلت الآية ضرب يده عليه الصلاة والسلام على ظهر سلمان [5] وقال : (**فمن قوم هذا**) .وقوله : ﴿ يُذْهِبْكُمْ ﴾ على هذا ليس يشير إلى الأعيان فقط، بل إلى الأنواع الذين هم العرب والعجم. قوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [6] . لما بيّن أن

---

(١) ولعل الرازي نقل هذا القول عن الراغب انظر تفسيره(١١/٢٣٩)

(٢) سورة محمد بعض آية (٣٨).

(٣) سورة الأنعام آية (١٣٣).

(٤) سورة إبراهيم آية (١٩) .

(٥) سلمان هو أبو عبدالله سلمان الفارسي ، من نجباء الصحابة ، أصله من مجوس أصفهان ، نشأ في قرية جيان ، رحل إلى الشام فالموصل فنيصيبين ، فعمورية ، قرأ كتب الفرس والروم واليهودية ، وهو الذي أشار علي المسلمين بحفر الخندق ، قال عنه النبي ﷺ (سلمان منّا آل البيت) . روى عنه أنس وأبو عثمان النهدي مات بالمدائن سنة ٣٦ أكثر ما ثيل في عمره ثلاثمائة وخمسون والأكثر على سنة ٢٢٥ قال الذهبي / وظهر لي أنه من أبناء الثمانين . انظر الطبقات لابن سعد (٤/٥٣-٦٧) ، صفوة الصفوة (١/٢١٠) ، (الكشاف (١/٣٠٤) والإصابة (٣/١١٣) وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/٣١٩) قال الهيثمي: رواه الطبراني الكبيرو رجاله رجال الصحيح انظرمجمع الزوائد رقم [١٠٩٧٦]

(٦) سورة النساء آية (١٣٤) .

له ما في السموات وما في الأرض. بين أنه يعطي منهما ما يشاء من يشاء فثواب الدنيا يرجع إلى ملك الآخرة ،وهو الغنيمة وغيرها، من الأغـراض الدنيويـة (١) وثواب الآخرة يرجع إلى ملك السموات وهو الثواب الأخروي، ونبه أن كليهما منـه كقولـه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (٢) الآيـة، وكقولـه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ (٣) الآية ،وبين بقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ أنـه عارف بالأغراض ،والمقاصد، فهو يجازي كلا بحسـب مقصـده فالأعمـال بالنيات (٤) ، ونبه أيضا أنه يؤتي كل واحد من أغراض الدنيا ما يراه أصلح لـه ،كما قـال :﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن [٣٠١/ ب]

---

(١) انظر تفسير الآية في : جامع البيان (٥/٣٢٠) وأنوار التنزيل(١/٢٤٢) ، والرازي في التفسير الكبير (١١/٢٤٠) حيث ذكروا تفسيرا قريبا من تفسير الراغب .

(٢) سورة هود آية (١٥) .

(٣) سورة الشورى آية (٢٠) .

(٤)ذكر البيضاوي قولاً قريباً من قول الراغب في الآية . انظر تفسيره (١/٢٤٢) .

قلت : وهذا التفسير يخالف تفسير الإمام الطبري للآية وغيره من المفسرين . قال ابن جرير (وكان الله سميعاً بصيراً) يعني : وكان الله يسمع لما يقول هؤلاء المنافقون الذين يريدون ثواب الدنيـا بأعمالهم ... وبصيراً يعني : وكان ذا بصر يبصرهم وبما هم عليه ... انظر جـامع البيـان (٥/٣٢٠) .

ونجد من خلال المفردات في مادتي سمع وبصر أن الراغب مؤول لهاتين الصفتين ...

وانظر قول الطحاوي في شرح العقيدة الطحاوية (ص/١٣٧) في الرد عن من أوّل.والرسـالة ص (١٠٩) .

تُرِيدُ ﴾[١] ، وفي قوله : ﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ ﴾ ثواب الدنيا والآخرة تبكيت للإنسان حيث اقتصر على أدنى السؤالين، مع كون المسؤول مالكا له ولا أشرف منه ،وحث على أن يطلب منه ما هو أعلى ،وأفضل من مطلوبه ،وأن من طلب خسيسا مع أنه يمكنه أن يطلب نفيسا فهو دنيء الهمة . قوله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[٢] أمر تعالى كل إنسان مراعاة العدالة، ونبه بلفظ قوامين على أن ذلك لا يكفي مرة ومرتين، بل يجب أن يكون على الدوام ، فالأمور الدينية لا اعتبار لها ما لم تكن على الدوام ، ومن عدل مرة ومرتين لا يكون في الحقيقة عادلاً [٣] وبين أن العدالة التامة أن يكون حكم الإنسان على نفسه، وذويه ،كحكمه على الأجانب [٤] ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله :(**أن تريد لأخيك ما تريد لنفسك**)[٥] ،ونبه على أنه لا يجب أن ينتفع من إيجاب

---

(١) سورة الإسراء آية (١٨) . ولم أقف علي قول الراغب في الآية عند غيره من المفسرين .

(٢) سورة النساء آية (١٣٥) .

(٣)كذا هو الصحيح مضبوطاً بما نقله الألوسي عن الراغب أنظر تفسيره (٢/١٦٧) والذي في الأصل العدلا والصحيح ما أثبته .

(٤) ذكر أبو حيان في تفسيره نقلاً عن الراغب بغير هذا اللفظ ، انظر (٣/٣٨٤) .

(٥) وقد أخرج البخاري في صحيحه: في كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه /٧ رقم(١٣) ، بلفظ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم

الحقوق محاباة لفقر من عليه الحق ، أو ميلا لغنى غني فالله أرأف بعباده ، وقولـه: ﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ حث على إقامة الشهادة على نفسه بالإقرار، وعلى دونـه، ونحـوه قولـه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [١] ونص بعض الناس أن ذلك شهادة لهم ،وقال :في صدر الإسلام كانت تقبل شهادة الإنسان لأبيه ،ثم نسخ ،وليست الآيـة تقضـي إلا إقامة الشهادة عليهم لا لهم وذلك مقبول بكل حال [٢] ، ونهى عن إلزام الحـق والتزامه اتباعاً للهوى ،وتقدير :﴿ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ كراهية أن تعدلو [٣] ، وقيـل:

=

حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، ولم أقف على لفظ الراغب ولعله ذكر الحديث بالمعنى .

(١) سورة الأنعام آية (١٥٢) .

(٢) قال القرطبي في تفسيره (٥/٢٦٣):- اختلف فيها قديما وحديثا ، فقد قـال ابـن شـهاب الزهري كان من مضى من السلف الصالح يجيزون شهادة الوالدين والأخ ، ويتأولون في ذلك قول الله تعالى (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّه)(النساء: من الآية١٣٥) فلم يكن أحدهم يتهم في ذلك من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، ثم ظهرت في الناس أمور حملت الـولاة على اتهامهم ، فتركت شهادة من يتهم ، وصار ذلك لا يجوز في الولد والوالد والأخ والـزوج والزوجة وهو مذهب الحسن والنخعي والشعبي وشريح ومالك والثوري والشافعي وابن حنبل , وقد أجاز قوم شهادة بعضهم لبعض إذا كانوا عدولا ، وروي ذلك عن عمر بن الخطـاب وعمر بن عبدالعزيز وبه قال إسحاق والثوري والمزني . انظر تفصيـلات هـذه الأقـوال في موسوعة الفقه لوهب الزحيلي (ص/٨)

(٣) ذكره ابن الجوزي في الزاد ونسبه للماوردي انظر (٢/٢٠٥) وذكره في البحر المحيـط غـير =

لا تتبعوا الهوى لتعدلوا ،أي :لتكونوا في اتباعكم عدولا، تنبيها أن اتباع الهوى وتحري العدالة متنافيان لا يجتمعان [١] ، قوله : ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ ﴾ إشارة إلى التكبر عن قول الحق [٢] ، نحو قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ ﴾ [٣] الآية ،وإنما قال بهما وأنت تقول رأيت [٣٠٢/أ] زيدا أو عمرا فأكرمته ،ولا تقول فأكرمتهما ،فإن الإكرام يتعلق بأحدهما ، و[٤] الآية تتعلق بالناس كلهم غنيهم وفقيرهم [٥] ، وجعلهم شهداء لله تعظيما لمراعاة العدالة وأنه بالحفظ لها يصير من شهداء الله [٦]، وإنتصابها على الحال لقوله :

=

منسوب (٣/٣٨٦)

(١)) ذكره ابن الجوزي في الزاد ونسبه أيضا للماوردي انظر (٢/٢٠٥) ، وذكره السمين الحلبي في الدر غير منسوب على الوجه الثالث في حذف لام العلة ثم قال وهو ضعيف في المعنى . وكذا ذكره صاحب البحر المحيط غير منسوب انظر (٣/٣٨٦) .

(٢) ذكره ابن الجوزي في الزاد ونسبه للماوردي (٢/٢٠٦)

(٣) سورة المنافقون آية (٥) .

(٤) (و) تكرر في الأصل مرتين

(٥) وفي قوله (بهما) اختلف النحويون في ذلك : - ١] أن (أو) بمعنى الواو في هذا الموضع . ٢] أن المراد هو جنس الفقير والغني. ٣] أن (أو) هنا للتفصيل . ٤] أن الضمير يعود على المذكورين . ٥] أن الضمير يعود على الغني والفقير المدلول عليهما بلفظ الغنى والفقر وانظر تفصيلات هذه الأقوال في : - معاني القرآن للأخفش (١/٢٤٧) ، والبحر المحيط (٣/٣٨٦) وجامع البيان (٥/٣٢٢-٣٢٣) والدر المصون (٤/١١٦-١١٧) .

(٦) لم أقف على هذا المعنى عند غير الراغب .

﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ أو صفة لها أو يكون قوامين حالا ، وشهداء خبر كان [١]، ومن قرأ (تلوه)[٢] فمن ولي يلي، كأنه قال : ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ ومن قرأ تلووا فقد قيل: جعله من اللي، أي: المطل ، وفي ذلك مخاطبة لمن عليه الحق في ترك المطل ، وللحاكم إذا تقدم إليه الخصمان أن لا يدفع الطالب عنه حقه، والشاهدان لا يمتنع بالشهادة لهم [٣]

---

(١) انظر اعراب القرآن النحاس (١/٤٩٤) ثم قال ويصير المعنى كونوا قوامين بالعدل عند شهادتكم ، وحين شهادتكم ، و لم يتصرف لأن فيه ألف التأنيث . قال أبو حيان في تفسيره (٣/٣٨٤) :- وانتصب (شهداء) على أنه خبر بعد خبر لكان ومن ذهب إلى جعله حالاً من الضمير في (قوامين) كأبي البقاء فقوله ضعيف لأن فيها تقييد القيام بالقسط ، سواء كان مثل هذا أم لا ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ما يشهد لهذا القول الضعيف ، قال ابن عباس :- معناه كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على ما كان . وذكره السمين الحلبي في الدرالمصون (٤/١١٤) .

(٢) بضم اللام واو واحدة ، قراءة شامي وحمزة ، انظر : التلخيص (ص/٢٤٧) .

(٣) قوله تعالى (تلووا) فيها قراءتان :- ١] قراءة ابن عامر وحمزة والأعمش وابن وثاب وهي بواو واحدة ولام مضمومة ، فتكون من الولاية وقد طعن أبو عبيد في هذه القراءة وردّ السمين الحلبي هذا الطعن وقال هذه القراءة متواترة ومعناها صحيح . فيكون المعنى : أن تلوا أمور الناس ، أو تتركوا ، فيكون الخطاب للحكام . ٢] وأمّا قراءة الجمهور فهي بواوين الأولى مضمومة ولام ساكنة (تلووا) من كوَى يكْوي . وفيه ثلاث معانٍ :-

١] أن يلوي الشاهد لسانه بالشهادة إلى غير الحق .

٢] أن يلوي الحاكم وجهه إلى بعض الخصوم .

٣] أن يلوي الإنسان عنقه إعراضا عن أمر الله لكبره وعتوه .

انظر السبعة (ص/٢٣٨) ، والحجة (٢/٢٨٣) ، ومعاني القرآن للفراء (١/٢٩١) والزجاج في

.قولـه عـز وجـل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ (1) قيل: معناه يا أيها الذين آمنوا بمحمد اديموا الإيمان ، وقيل: معناه يا أيها الذين آمنوا بالأنبياء ،قبل محمد آمنوا بمحمد ، وقال الزجاج (2) : خاطب بذلك المنافقين الذين أظهروا الإيمان (1)، وتقديره: على ما قال أن الإيمان ضربان: ضرب: هو يحكم به في الظاهر ،وهو الإتيان بالشهادتين والتزام أحكام الشريعة ،وهو الذي يُحصِّن دم الإنسان وماله إلا بحقه ، وضرب :هو التخصص بحقائقه التي اقتضاها (3)،قوله : ﴿ إِنَّمَا

=

معاني القران(٢/١٢٩) ، والدر المصون (٤/١١٨) والزاد لابن الجوزي (٢/٢٠٦) والرازي في التفسير الكبير (١١/٢٤٢) .

(١) سورة النساء آية (١٣٦) .

(٢) الزجاج / إبراهيم بن السري بن سهل بن أبو اسحاق الزجاج ، كان من أهل الفضل والدين ، حسن الإعتقاد ، جميل المذهب ، كان يخرط الزُّجاج ، ثم مال إلى النحو فلزم (المبرّد) فأخذ عنه وعن ثعلب . من كتبه (معاني القرآن وإعرابه) ، (الاستقامة) ولد سنة ٢٤١هـ ببغداد ، وتوفي بها سنة ٣١١هـ انظر الفهرست (ص/٩٥) ، وتأريخ بغداد (٦/٨٩) ، وطبقات المفسرين (١/٩) انظر قوله في معاني القران (١/١١٩) .

(٣) ذكر ما يقارب هذا المعنى في كتابه الذريعة (ص/٢١٠) ، فصل الإيمان والإسلام والتقوى والبر .

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾ (١)، وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢) ، وقد بينت في مكارم الشريعة أن الإيمان (٣) كما قال عليه الصلاة والسلام: (**اثنان وسبعون درجة**) (٤) ،وبينت القانون الذي اقتضى ذلك، وأن تلك المراتب بعضها على بعض ،فالإنسان إلى أن يصل في آخر درجة منها مأمور بالترقي إلى ما فوق مترلته، فالآية خطاب يتوجه على كافة المؤمنين أن يترقوا في تلك الدرجات، وقد [٣٠٢/ب] ذكر تعالى في هذه الآية ماهو الإيمان الاعتقادي ، وذلك الخمسة ،وذلك هو الإيمان بالله وبالملائكة والكتاب والرسول واليوم الآخر ،وهي المذكورات في خبر جبريل عليه الصلاة والسلام (**حيث أتى النبي عليه الصلاة والسلام في صورة أعرابي فقال له : ما الإيمان**) (٥) وذكر أن الكفر بهذا هو الضلال البعيد، فنبه أن

---

(١) سورة الحجرات آية (١٥) .

(٢) سورة الأنفال آية (٢) .

(٣) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة ص (٢١٧)، في معنى قوله ﷺ (الإيمان بضع وسبعون باباً) . والقانون الذي ذكره هو أن الإيمان شيئان (اعتقاد وأعمال) .

(٤) وأصل الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :- ((الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)) . أخرجه مسلم في صحيحه :في ،كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان رقم (٣٥/٥٨) . وأخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان رقم[٩] . ولفظه ((الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان)) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ رقم [٥٠] ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، أباب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم الحديث

الانسلاخ من الهداية والضلال الذي قلما يرجي عود صاحبه ،وقد ذكرت كيفية الضلال عن الطريق في مكـــارم الشـــريعة [١] . قولـــه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ [٢] . قال قتادة : يعني أهل الكتابيين اليـــــهود ، آمنـــوا بموسى ثم كفروا بمن عداه ، والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمـــن عـــداه ، ثم ازدادوا كلهم كفرا بمحمد [٣] ، وقيل: آمنوا بموسى ثم كفروا به لأنهم لم يؤمنـــوا بعده بعده فهم في حكم من لم يؤمن ، وقال مجاهد : هو في المنافقين المذكوريـــن [٤] في قـــوله : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ

=

(٨/١)،(٩/٥)،(١٠/٧).

(١) لعله أراد ما ذكره في المكارم عند موانع تحري الفضائل ، انظر : (ص/١٥٥) ، حيث قـــال وذلك ضربان :- قصور ، وتقصير – إلخ ..

(٢) سورة النساء آية (١٣٧) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٦/٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩٠/٤) رقم [٦١١٢] ، وعبد الرزاق (٤٨٣/١) وعزاه في الدرالمنثور إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد وابن جريـــر ثلاثتهم عن قتادة . أنظر (٧١٦/٥) . وذكره الفراء غير منسوب في معاني القـران (٢٩٢/١) ، وكذا ذكره الزجاج غير منسوب في معاني القران(١١٩/٢) . ولعل الراغـــب نقلـــه عـــن الجصاص انظر أحكام القران (٢٧/٤)

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد (٣٢٧/٥) ، وعزاه السيوطي لابن المنذر عن مجاهد انظر الدر المنثور(٧١٧/٥) ، وذكره الزجاج في معاني القران غير منسوب (٢٧٣/٢) .

شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [(١)] وقيل [(٢)] : هي في الذين قال فيهم : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [(٣)]، ولم يرد أنهم آمنوا مرتين وكفروا مرتين [(٤)] وإنما ذلك إشارة إلى أحوال كثيرة [(٥)] ، كقولك: فلان فعل ثم امتنع إلى هذا كان دأبه ، وقيل :كما أن الإنسان يندرج إلى غاية الفضائل ثلاث درجات ،وهو أن يحصل في أولها ،ثم في أوسطها ،ثم في منتهاها ،كذلك يتضلع في الرذائل ثلاث درجات ، ولذلك جعل الله له ثلاث عقوبات الرَّين والغشاوة والطبع [(٦)] ، ومن

---

(١) سورة البقرة آية (١٤) .

(٢) ذكره الجصاص في أحكام القران من غير نسبه انظر (٢٧٣/٤) ونسبه أبو حيان للحسن انظرالبحر المحيط (٣٨٨/٣).

(٣) سورة آل عمران آية (٧٢) .

(٤) أخرجه ابن جرير ونسبه لابن زيد انظر جامع البيان(٣٢٧/٥)

(٥) وكأن الراغب يرجح المراد من الآية وقد أيد الطبري في ذلك حيث قال : وأولى هذه الأقوال قول من قال : عنى بذلك أهل الكتاب الذين أقروا بحكم التوراة ثم كذبوا بمخالفتهم إياه ، ثم أقر من أقر منهم بعيسى و الإنجيل ، ثم كذب به بخلاف إياه ، ثم كذب محمد ﷺ والفرقان ، فازدادوا بتكذيبه كفراً على كفر وإذا قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الآية قبلها في قصص أهل الكتابين ، ولا دلالة تدل على أن قوله قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ [النساء:١٣٧]منقطع معناه عن معنى ما قبله ، فإلحاقه بما قبله أولى . انظر تفسيره (٣٢٨/٥) .

(٦) قال تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين:١٤] والرّين / صدأ يعلو الشيء الجليل ، انظر المفردات مادة رين ، قال تعلى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ ﴾ [البقرة:٧]

ترك الإيمان مرة بعد مرة ،ثم ازداد تماديا في الغي، فقد صار من الذين وصفهم بقوله : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ ،ثم قال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]، فبين تعالى أن من انتهى في الغي إلى هذا المنزل فقد صار بحيث لا يتوب ،وإذا لم يتب لم يغفر له ولا ليهديه إذ هو لا يهتدي لكونه مطبوعا على قلبه لما ارتكبه ، وقال بعض الفقهاء: أن المرتد تقبل توبته سار بالكفر أو لم يُسر ، لأنه جعلهم مؤمنين بعد دخولهم في الكفر [2] . قوله تعالى ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُون [٣٠٣/أ]
الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [3] العِزةُ: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، وهو من قولهم أرض عزاز أي صلبة ، وتعزز اللحم أشتد

=

والغشاوة /ما يغطى به الشيء ، انظر المفردات مادة غشي ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النحل:١٠٨] والطبع / أن تصوير الشيء بصورة مّا ، وطبعُ السيف صدؤه ورنسُهُ .

(١) سورة محمد آية (٢٣-٢٤) .

(٢) انظر المغني لابن قدامه ٧٦/١٠ رقم (٧٠٨٨) ، قال :كأنه مفهوم كلام الخرقي وهو مذهب الشافعي والعنبري ويروى ذلك عن علي وابن مسعود ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، وإختيار أبي بكر الخلال ، وقال : إنه أولى على مذهب أبي عبد الله ،و انظر الأم (١٧١/٦) .

(٣) سورة النساء آية (١٣٨-١٣٩) .

،وعزَّ كأنه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه (١) ،كقولهم: تظلف كأنه حصل في ظلف من الأرض (٢) ، وعزز المطر الأرض صلبها ، وشاة عزوز قل درُّها ، والبشارة (٣) : الخبر الذي ظهر أثره في بشر الوجه ، وأكثر ما يستعمل في السرور، ويجوز أن يكون في مثل هذا الموضع رد إلى أصله ، كالطرب الذي هو خفة من الفرح والترح في الأصل ثم كثر في الفرح ،فرد الشاعر إلى أصله في قوله : (٤)

وأراني طَرباً في إثرهم ... طَرَبَ الوَالِهِ أو المُخْتَبَلْ

---

(١) انظر المجمل ، والمفردات ، ومعاني القرآن للزجاج (١/١٢١) ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣١٨) ، والألوسي في تفسيره (٢/١٧٢) ، والشوكاني في تفسيره (١/٥٢٦) .

(٢) ومعنى ظلف نفسه كفّها عما لا يحل، وأرض ظَلْفه وظَلِفه:عَليظه لا تؤدي أثراً ووقعوا في ظلف من الأرض، وظلفت أثري:أخفيته .انظر أساس البلاغة مادة ظلف.

(٣) البشارة :- من البَشَرَة ، والبَشَرُ : ظاهر الجلد ، قال ابن سيده : جمعه بشره وجمعه أبشار وهو جمع الجمع ، انظر اللسان مادة بشر ، والجمل مادة بشر قال الجوهري : بشرت الرجل أَبْشُرُه بالفم بَشْراً ، وبُشُوراً من البُشْرى ، وكذلك الإبشار والتبشير ، ثلاث لغات والاسم البِشارة والبُشارة بالكسر والضم انظر الصحاح مادة بشر .

(٤) البيت للنابغة الجعدي : وهو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري ، أبو ليلى : شاعر المعمرين ، اشتهر في الجاهلية ، وسمي (النابغة) لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ، وكان ممن هجر الأوثان ، ونهى عن الخمر ، قبل الإسلام وقد أسلم وأدرك صفين ت ٥٠ هـ . انظر الأعلام (٥/٢٠٧) ، جمهرة أشعار العرب ص ٣٥٧ . وصدر البيت :-

وأراني طَرباً ، في إثْرِهِمْ ... طَربَ الوَالِهِ كالمُخْتَبَلْ

والواله / التآكل ، و المختبل : الذي إختبل عقله أي جُن . انظر اللسان مادة طَرِبَ ، انظر ديوانه (ص/١٥) .

ويجوز أنه استعمل للبشارة [١]، في ضده على سبيل التهكم ،نحو قول الشاعر[٢] : .... تحية بينهم ضربٌ وجيعُ

ووصف المنافقين بأهم موالون الكفار كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ [٣] الآية ، ثم قال : ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ [٤] تنبيها أن لا عزة لهم وإنما العزة لله ولرسوله والمؤمنين [٥] ، فقد ذكر من منه العزة ومن جُعل له العزة في الأولى، ذكر من منه العزة فقط دون من جعلت له ،ونفى ذلك عن الكفار تنبيها أنه وإن حصل لهم حوله

---

(١) قال ابن عطية :- جاءت البشارة هنا مصرحا بقيدها فلذلك حسن استعمالها في المكروه ومتى جاءت مطلقة فإنما عرفها في المحبوب . انظر : المحرر (٢/١٢٥) ،و البحر المحيط (٣/٣٨٩) ، وفتح القدير(١/٥٢٦) ، وروح المعاني (٢/١٧٢) ، والرازي في تفسيره (٤/٢٤٦) .

(٢) البيت لعمرو بن معد بن يكرب الزبيدي ، من فدحج ، من مشهوري خرسان اليمن ، أسلم وشارك الكثير من الغزوات ومات في أواخر خلافة عمر رضي الله عنه . وصدر البيت :-

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بخَيْلٍ تَحِيَّةُ بَيْنَهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ

والخيل / هي خيل الأعداء فقدم لها بخيل قى رجاله ، وبدلاً من التحية تضاربوا بالسيوف . ودلفت تزحفت ودنوت . انظر خزانة الأدب (٤/٥٣) ، وكتاب سيبويه (٢/٣٢٣) ، معاني القرآن للنحاس (٢/٢١٨) ، والبحر المحيط (٣/٣٨٩) ، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٢٠) ، الخصائص (٤/٣٥) ، المفردات (ص/٤٦) ، زاد المسير (٢/٢٠٨) .

(٣) سورة الحشر آية (١١) .

(٤) سورة النساء آية (١٣٩) .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [المنافقون:٨]

تسميتها الجهلة عزا فليس ذلك في الحقيقة بعز إذا اعتبرت الحقايق . قوله تعالى :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (١) منع تعالى المؤمنين من مجالسة من قصده العناد والهزؤ، وليس له قصده إلى سماع الصدق ولا نية رجاء أن يسخر بلى حق، فأما من رجي أن [٣٠٣/أ] يقلع (٢) عن رأيه فجائز مجالسته بل واجب (٣) ،ولهذا قال الحسن : إنا كنا إذا رأينا باطلا تركناه حتى لايسرع ذلك في ديننا (٤) ،

وقول ابن عباس (٥) : لمن يجوز أن يقعد معهم بوجه حتى نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٦) نسخ ذلك ،فليس يقصد حقيقة النسخ وإنما يعني أن الآية كانت تحمل على العموم ،فعلم بهذه الآية تخصيصها وأنه يجوز مجالستهم إذا رجي منهم رشدا ،ولا يجوز فيما يؤدي بهم إلى فساد ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ

---

(١) سورة النساء آية (١٤٠) .

(٢) الذي في الأصل (يفعل) والذي أثبته هو الصحيح ولعله تصحيف .

(٣) ذكره النحاس بغير هذا اللفظ (٢٢٧/٢) من كتاب معاني القرآن .

(٤) لم أقف عليه عند غير الراغب .

(٥) لم أقف عليه وقد ذكر الجصاص قولا قريبا منه ونسبه للحسن انظر أحكام القران (٢٧٨/٤)

(٦) سورة الأنعام آية (٦٩) .

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [١] ونبه بقوله : ﴿ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ ﴾ على أن الاستماع إلى الباطل مكروه، كما أن التفوه به مكروه ،وبهذا ألم الشاعرفقال [٢]:

سَمعُكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ القُبْـــحِ   كَصون اللسان عن اللَّفظِ بـــهِ

والسامع للذم شريك له والمطعم للمأكول كالآكل . ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾ [٣] وبين أن المنافق [٤] الذي يظهر بلسانه الإيمان دون قلبه ، والكافر الذي يصرح بالكفر هما سيّان في استحقاق النار ، فإن الاعتبار بإخلاص النية كما قال عليه الصلاة والسلام: **(ولكل امرئ ما نوى)** [٥].

---

(١) سورة الأنعام آية (٦٨) .

(٢) لم أقف على قائله ، وهو من شواهد : البحر المحيط (٣/٣٩٠) وذكر القبيح بدل القبح ، والذريعة إلى مكارم الشريعة (ص/٣٨٢) .

(٣) سورة الأنعام آية (٦٨) . ذكر ذلك مقاتل بن حيان نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ [الأنعام:٦٨] وقال عامة المفسرين :- هي محكمة . انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٦٨) ، وتفسير ابن كثير (١/٨٦٢) .

(٤) أن المنافق تكرر في الأصل مرتين .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسن ولكل امرىء ما نوى ، فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والأحكام ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:٨٤] أي على نيته ، رقم(٥٤) وأخرجه في ،كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ الحديث (١) . وأخرجه في ،كتاب الإيمان والنذور ،باب النية في الإيمان حديث [٦٦٨٩] . وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الإمارة

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾[1] .

الاستحواذ: الاستيلاء[2]، وأصله من استحوذ البعير على الأتان، إذا استولى على حاذيها أي جانبي ظهرها ، ويقال: استحاذ ،وهو القياس ،وقد جعل تعالى ما للمؤمنين فتحا ،وما للكافرين نصيبا، تنبيها أن الذي حصل للكافرين هو من الدُولة من أهل الدنيا، وذمهم لأنهم يراوون الفريقين ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :(**شر الناس ذو الوجهين يلقى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**)[3] ،ومن [٣٠٤/أ]

=

،باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) . حديث [١٩٠٧] .

(١) سورة النساء آية (١٤١) .

(٢) انظر :- المجمل (مادة حاذ) ، واللسان مادة (حوذ) وهو قياس مطرد عندهم ،تقول العرب استصاب ، واستصوب ، واستجاب واستجوب . ومعاني القرآن للنحاس (٢١٩/٢) . قال الزجاج في معاني القران (١٢٢/٢) : وتستحوذ في اللغة تستولي على الشيء ، يُقال حاذ الحمار آتُنه ، إذا استولى عليها ، وجمعها ، وكذلك حاذها قال الشاعر : يَحُوذُهُنَّ وله حُوذيُّ . قال النحويون : استحوذ خرج عن الأصل ، فقد قال حاذ يحوذُ لم يقل إلا استحاذ يستحيد ، ومن قال أحوذ فهو كما قال بعضهم أجوف وأطيب . الآتنة : جمع آتان ، والأتان الحمارة يجمع آثن وآتن أيضاً .

(٣) ونص الحديث : قال النبي ﷺ : (تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين . الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) أخرجه البخاري في صحيحه في ،كتاب الأدب ،باب ما قيل في ذي

هذا قيل:إن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجـها ، وقولـه تعـالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ فإن أمير المؤمـنين جعله معتبرا بقوله تعالى : ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ وقـال : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ في القيـامة [١] وقال غيره[٢] : لن يجعل الله له سبيلا في الفتح ، الـذي جعلـه للمؤمنـين لا في النصيب الذي قد يجعله للكافرين من الأغراض الدنيوية ، وقـال السـدي [٣] : السبيل الحجة لم يجعل ذلك للكافرين ، وحمل الفقهاء :ذلك علـى الحكـم ، فقالت الشافعية [٤] : الإسلام يعلوا ولا يعلى [٥] ، قالو : أمر يقتضى ذلـك أن لا

= الوجهين رقم (٦٠٥٨)، ومسلم في صحيحه في كتـاب الـبر ، بـاب ذم ذي الوجـهين رقم(٢٥٢٦)واللفظ له .

(١) قاله الحسن وابن عباس ، انظر تفسير ابن عباس (ص/١٠١) ، وتفسير الطـبري (٥/٣٣٤) وأسنده إلى علي بن أبي طالب ، وأبي مالك وابن عباس . وأسنده ابن أبي حاتم إلى علي بن أبي طالب وروي عن أبي مالك ، وعطاء الخرساني نحوه في تفسيره رقم [٦١٣٥].

(٢) لم أقف على قائله ، لكن ذكره بمعناه الألوسي في تفسيره (٢/١٧٥) من غير نسبه .

(٣) انظر ابن جرير في تفسيره وننسبه إليه (٥/٣٣٤) ، وابن أبي حاتم تفسيره رقـم [٦٣١٦] ، (٤/١٠٩٥) وعزاه السيوطي في الدرالمنثور إلى ابن جرير (٥/٧١٩) ، وذكره ابن كثـير في تفسيره (١/٨٦٢) وزاد المسير (٢/٢١٠) .

(٤) نسبه القرطبي إلى أشهب والشافعي انظر أحكام القران(٥/٢٧٠) ، وانظر الأم (٦/١٧٦) .

(٥)وهو استشهاد بالحديث الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(الإسلام يعلى ولا يعلى عليه) أخرجه البيهقي في سننه كتاب اللقطة، باب ذكر من صـار مسلماً بإسـلام أبيـه =

يملك الكافر عبدا مسلما ولا يصح شراءه ،واقتضى أن لا يقتل مؤمن بكافر واستدلت الحنفية على من ارتد انقطعت العصمة بينه وبين امرأته ،قبل انقضاء العدة فلا يكون له إليها سبيل [1] . قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2] . قد تقدم [3] في مخادعة الله ،وبين أنه متشبعون بنقل الخبر ،وأن كسلهم يدل على تشبعهم ،والذكر ههنا الأولى أن يراد به ما يكون باللسان ،دون ما يكون بالقلب ،ونفي ذلك عنهم يقتضي أن ذلك ليس عن نية وطوية صحيحة ،والرياء كالنفاق لأنه أعم . قوله عز وجل : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [4] التذبذب :الاضطراب [5] ،قاله النابغة :

=

(٢٠٥/٦)،والدار قطني في سننه كتاب النكاح، باب المهر (٢٥٢/٣)،وأخرجه الروياني (٢٧/٢) رقم (٧٨٢)،وانظر الروايات في تعليق التعليق على صحيح البخاري (٤٨٩/٢)،وحسَّنه ابن حجر في فتح الباري (٢٢٠/٣).

(١) انظر المغني لابن قدامة (٨١/١٠) .

(٢) سورة النساء آية (١٤٢) .

(٣) انظر عند تفسير الآية رقم (٩) من سورة البقرة .

(٤) سورة النساء آية (١٤٣) .

(٥) النابغة/ هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري أبو أمامة ،شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز، وكان خطيباً عند النعمان بن المنذر ،وعاش عمراً طويلاً انظر ترجمته في ديوانه ص (٥) ،والأعلام (٥٥/٣) ونهاية الأرب (٥٩/٣) والجمهرة (ص/٢٦) .

.... تَرى كُلَّ مُلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ [١]

وصفهم بأنه مندفعون من الجانبين لا موجة لهم ، ثم بين الارشاد ولا رشد لهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [٢] وقد تقدم الكلام في الإضلال [٣] . قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن

=

والبيت في ديوانه يعتذر إلى النعمان بن المنذر ويمدحه والتي مطلعها :- آتاني آبيت اللعن .

وصدر البيت المذكور :-

ألم تَرَ أن الله أَعْطاك سُورةً تـرى كـلّ مَلْكٍ دونها يتذبذب

والسورة المرفعة والشرف والمترلة .

يتذبذب :- يضطرب ويتعلق يقول :- إن منازل الملوك دون مترلتك كأنهم متعلقون دونك .

انظر :- ديوان (ص/١٨) ، وشواهد الدرر المصون (١/٢٠٠) ، والدرر المصون (١/١٥٤) وشواهد القرطبي (١/١٩٤) ، والطبري (٥/٢٣٥) ، والمحرر الوجيز (٤/٢٦٨) والجامع لأحكام القران (٥/٤٢٣) ، والبحر المحيط (٥/٣٩٢) ، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٢٣) .

(١) ويقال ذبيت عن فلان إذا دفعت عنه ، والذَبْذَبُ :- التردد بين أمرين انظر المجمل مادة ذبّ . والذّبْذَبَة :- تردد الشيء المعلق في الهواء ، ورجل مَذَبْذَبُ ، ومُتَذَبْذِبُ :- متردد بين أمرين ، ولا تثبت صحبه لواحد منهما . انظر اللسان مادة ذبّ ،والمفردات مادة ذب ،ومعاني القرآن للنحاس(١/٢٢٣) .

(٢) سورة النور آية (٤٠) .

(٣) تقدم في سورة النساء آية (١١٦) . انظر الرسالة ص (١٥٦).

تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾ [1] نهى عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وذلك أن يستعان بهم استعانة المرؤوس بالرئيس ،والمنتصر بالناصر لاستعانة المستخدم بالحاكم، وعلى ذلك قوله : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ [٣٠٤/ب] بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾ [2] وبين أنكم إن فعلتم ذلك جعلتم على أنفسكم سلطانا للعقاب ،وجعل الحجة سلطانا نحو : ﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا ﴾ [3] ، ﴿ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ ﴾ [4]، قال بعضهم يصح أن يقال لا سلطان لله على المؤمنين المخلصين، بمعنى أنه لا يعذبهم[5] . قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [6] الدركات[7]

---

(١) سورة النساء آية (١٤٤) .

(٢) سورة آل عمران آية (١١٨) .

(٣) سورة الروم آية (٣٥) .

(٤) سورة الكهف آية (١٥) .

(٥) كأنه هنا يريد مذهب المعتزلة والقدرية القائلين أنه لايضر مع الإيمان ذنب . ونجد الراغب لم يرد عليهم ،وقد بينت ذلك في قسم الدراسة

(٦) سورة النساء آية (١٤٥-١٤٦) .

(٧) انظر المجمل في اللغة مادة درك قال :- ودركات النار :- منازل أهلها ، والنار دركات والجنة درجات ، واللسان مادة درك . انظر زاد المسير (٢١٢/٢) ، روح المعاني (١٧٨/٢) . والبحر المحيط (٣٩٦/٥) . والزجاج في معاني القران (١٢٤/٢) ، والنحاس في معاني القران (٢٢٥/٢) .

والطبقات يقال في العقاب كالدرجات في الثواب ، ونبه بهذه الآية نهاية رداءة المنافقين ،وأنه منتهى الكافر لأنه يساويه في اعتقاده ،ويزيد عليه في كذبه، لأنه يدعي ما ليس له والمنافق مرائي [1] ، وبين أنه تعالى لا ينصرهم ولا يجدون من ينصرهم عليه كقوله: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [2] واستثنى ممن يجعلون في النار للتائبين .جعل من تمام التوبة إصلاح العمل ،والاعتصام بالله وإخلاص الدين ، وهذه الشرائط الثلاث من تمام التوبة ،كما أن الأعمال الصالحة من تمام الإيمان، ومن لم يأت بذلك فإنه يقال له تاب على المجاز، وحذف الياء في الخط في قوله ﴿ يُؤْتِ ٱللَّهُ ﴾ اتباع اللفظ لإلتقاء الساكنين كقوله : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [3] وكقوله : ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [4]

=

كأنه يشير إلى قول ابن عباس :- الدرك لأهل النار ، كالدرج لأهل الجنة ، إلا أن الدرجات بعضها فوق بعض ، والدركات بعضها أسفل من بعض . انظر تفسير الطبري (٣٣٨/٥) ، وابن أبي حاتم (١٠٩٨/٤) [٦١٥٥] . وفتح الباري (٢١٤/٨) ، ابن كثيرفي تفسيره (٥٧٠/١) ، والدرالمنثور (٧٢٢/٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن ابن عباس ، وزاد المسير (٢١٢/٢) .

(١) المنافق تكرر في الأصل مرتين .

(٢) سورة البقرة بعض آية (٢٧٠) .

(٣) سورة الإسراء آية (١١) . فهو يرى مارآه أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، أنظر الرسالة ص (١٠٣) .

(٤) سورة العلق آية (١٨) . انظر معاني القرآن للزجاج (١٢٥/٢) وكأن الراغب نقله عنه مع تصرف فيه. وانظر الدر المصون (١٣٢/٤-١٣٣).

وحذفها من قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَاكُنَّا نَبْغِ ﴾ (١) للتخفيف، وقولـه: ﴿ يُسْرًا ﴾ (٢) لكونه رأس الآية .قوله عـــز وجـــل: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (٣) أي تعـــالى الله عـــن عذابكم فلا يعذبكم إذا عرفتم ووفيتم حقها ، إن قيل : لم أخر الإيمـــان عـــن الشكر ؟ قيل (٤) : لأنه عني به معرفة النعمة التي يتوصل به إلى معرفـــة المنعـــم ، ومعرفة المنعم هي الإيمان ، فإذا الشكر على هذا الوجه مقدم على الإيمان ،لأنـــه أرفع منه وهو (٥) لا ينفك عن(٦) الإيمان ، والإيمان قد ينفك عنه ، ووصفه نفســه بالشكر تنبيها أنه يقابلهم بما يكون منهم ،فقد تقدم أن الشكر قد يكـــون مـــن المولى للعبد بمعنى مقابلته بما يكون من خدمته (٧) ، ونبه بقوله : ﴿ عَلِيمًا ﴾ (٨) [٣٠٥/أ] أنه لا يخفى عليه ما يتحراه العبـــد . قولـــه تعـــالى :﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ

---

(١) سورة الكهف آية (٦٤) .

(٢) سورة الانشراح آية (٥–٦) .

(٣) سورة النساء آية (١٤٧) .

(٤) القائل : هو أبو اسماعيل الأنصاري كما نسبه إليه الألوسي في تفسيره (١٧٩/٢) وانظر أبـــو حيان في البحر المحيط (٣٩٧/٥) . ذكره بمعناه .

(٥) وهو تكرر في الأصل مرتين .

(٦) في الأصل من الإيمان والصواب ما أثبته ولعله تصحيف .

(٧) كأنه يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: من الآية١٥٨) .

(٨) والذي في الأصل حليماً والصحيح ما أثبته من روح المعاني للألوسي (١٨٠/٢) وبما يقتضيـــه تفسير الآية ولعله خطأ من بعض النساخ .

﴿بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١) قوله: ﴿مَن ظُلِمَۚ﴾ رفع على تقدير : لايرضى أن يجهر بالسوء من القول إلا المظلوم (٢) ، أو على تقدير: أن يسوء في المقال إلا المظلوم ، وسمى المجاهرة بالسوء سوءا تنبيها أنه لو لم يكن ذلك على سبيل المقابلة لكان سوءاً لفظه خبر ومعناه للإباحة ،كأنه قال: لا يجهر بذلك إلا المظلوم ، وذلك كقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ (٣) وقوله ﷺ (**اذكروا الفاسق بما فيه**) (٤) رخصه لمن أذي بغير أن يذكر فعله لا رخصة ،في اغتياب الناس من غير حاجة إلى ذكرهم ،ومثل قوله : ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ تقديره: لكن من ظلم فإنه له أن يذكر ظالمه بأن يدعو عليه ،أو يغتابه بما فعل على سبيل الشكاية ، قال مجاهد (٥) : قد دخل في ذلك من ضاف

---

(١) سورة النساء آية (١٤٨) .

(٢) وهو استثناء متصل من (أحد) المقدر الذي هو فاعل المصدر فتكون(من) رفع على البدل من أحد وهو المختار انظر المشكل (١/٢١٠)،والإملاء (١/٢٠٠)، كأنه يشير إلى قول النحاس في إعراب القران (١/٤٩٩) ، والفراء في معاني القران (١/٢٩٣)

(٣) سورة الشورى آية (٤١) .

(٤) انظر اتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧/٥٥٦) والطبراني في الكبير (١٩/٤١٨)،وأورده في كشف الخفاء بلفظ (اذكر والفاجر بما فيه يحذره الناس) ، وعزاه لابن أبي الدنيا وابن عدي والطبراني والخطيب عن معاوية بن حيده . وقال في التمييز : أخرجه أبويعلى وغيره ولا يصح ويأتي بأبسط من هذا في لا غيبة لفاسق . انظر (١/١٠٦) .

(٥) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المقريء المفسر الإمام ، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، أخذ التفسير عن ابن عباس، روى عن أبي هريرة وجابر وغيرهم ولد بمكة سنة ٢١هـ وتوفي

رجلا فلم يؤد حق الضيافة (١) . قوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (٢) جميع ما يفعله الإنسان مع غيره من الإحسان ، إما إحسان يبديه أو إحسان يخفيه ، أو يخاف عليه لسوء يجنيه قد ذكره تعالى وبيّن أنه يجازي به ، ونبه بقوله :﴿ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ على مجازاة المتعافي بالعفو عنه وقدرته عليه . قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ

=

بالكوفة سنة ١٠٤هـ

انظر سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩) ،وطبقات المفسرين (٢/٣٠٥) ،والتقريب (ص/٥٢) والكاشف (٣/١٠٦).

(١) انظر الواحدي في أسباب النزول (ص/١٢٤) مع اختلاف في اللفظ ، والسيوطي في اللباب (ص/١٠٥) . وأخرجه :- ابن أبي حاتم تفسيره (٤/١١٠٠) رقم [٦١٦٨] . وابن جرير في تفسيره (١/ ٢) ، وعبد الرزاق في تفسيره (١/٤٨٣) رقم [٦٥٤] ، وعزاه السيوطي في الدر إلى عبد الرزاق ، وعبيد بن حميد وابن جرير ثلاثتهم عن مجاهد (٢/٧٢٣) ، وروح المعاني (٦/٢) ، والبحز المحيط (٣/٣٩٨) . وأخرجه سعيد بن منصور في السنن، في كتاب التفسير رقم [٧٠٧] وسنده ضعيف لجهالة قال إبراهيم بن أبي بكر وهو حسن لغيره وقد تابعه المثنى بن الصباح عن مجاهد .

(٢) سورة النساء آية (١٤٩) .

﴿ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1] الإيمان بالله لا يتم إلا بتصديقه ، مقاله ومقال رسوله والرسل كلهم يجرون مجرى واحد، فمن كفر ببعضهم كالكافر بكلهم، من حيث أنه لم يتحرّ الحق[2] ، فالحق من حيث ما هو حق لا منافاة بينه ، إن قيل لم لم أعاد ذكر الرسل و لم يقل بين الله وبينهم فيكون أوجز قيل: لما عنى أنهم [٣٠٥/ب] يفرقون بين الله ورسله وبعض رسله ،وعنى بقوله :﴿ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ كل رسله لأن كل من كفر ببعضهم كفر بكلهم ،فلو لم يعد ذكرهم لا يقتضي أن يكون معناه يفرقون بين الله وبين جماعة الرسل، فإن المضمر لا يفيد إلا ما يفيد مظهره، فأعاد ذكرهم لما كان الأول عاماً والثاني خاصاً[3] ، وقوله عز وجل: ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ أي يتحرون لطلب رئاستهم سبيلا ليس بحق ،وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ إن آمنوا ببعض الأنبياء، وهذا الكلام مبنيّ[4] على قياس ،كأنه قيل :كل من فرق بين الأنبياء فهو كافر حقا اعتدنا له عذابا مهينا ،وهؤلاء قد كفروا ببعض الأنبياء فإذا إعتدنا لهم عذابا مهينا . قوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

---

(١) سورة النساء آية (١٥٠–١٥١) .

(٢) انظر تفسير البيضاوي (٢٤٥/١) ،والبحر المحيط (٤٠٠/٣)

(٣) لم أقف على هذا عند غير الراغب.

(٤) في الأصل منبه على قياس والصواب ماأثبته ولعله تصحيف .

كما بين في الآية الأولى حكم من فرق بين بعض الأنبياء وبعضهم [1]،بيّن حكم من خالفه : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [2] وذكر أجرهم ،كما ذكر في الأولى عقاب من فرق بينهم ، ونبه بذكر الغفران على غفران ذنوبهم وبالرحمة على مجازاتهم بالإحسان [3] .قوله عز وجل :﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم

---

(١) سورة النساء آية (١٥٢) .

(٢) سورة البقرة آية (١٣٦) . فكأنه يرد على المعتزلة في استحالة رؤية الله عز وجل كالزمخشري حيث قال :- بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ، ولو طلبوا أمراً جائزاً لما سموا ظالمين ، ولما أخذهم الصاعقة ، كما سأل إبراهيم عليه السلام ربّه أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالماً ، ولا رماه بالصاعقة للمشبة ورمياً بالصواعق ا- هـ الكشاف (٥٧٧/١) . وأهل السنة يعتقدون أنهم لم يسألوا محالاً عقلاً ، لكن ممتنع من جهة الشرع إذ قد أخبر على ألسنة أنبيائه أنه لا يرى في الحياة الدنيا ، والرؤيا ثابتة في الأخرى بأحاديث التواتر ، وهي جائزة عقلاً . انظر الرسالة ص (١٠٤) من قسم الدراسة .

(٣) ذكر البيضاوي قولاً قريباً منه بغير هذا اللفظ في تفسيره(١٤٦/١)

مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ [١] نبه تعالى على ما كان من تحكيمهم واقتراحهم على ما ينافي السياسة الإلهية، وبيّن أن ذلك ليس بأول جهالاتهم وجناياتهم، فقد اقترحوا على موسى ماهو أبعد وأشنع مما سألوك ،ولأنهم سألوا إدراك الباريء بالحاسة في الدنيا ،فرجها الصاعقة لما ارتكبوه من الظلم في طلب ذلك ، وثانيا :أنهم عبدوا العجل بعد إتيانهم الحق وعبادتهم للعجل بعد إتيان الحق أشنع وأفظع ،مع أنه في كل حال أشنع ، وقوله : ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ يجوز أن يكون ذكر منه ثالثة ويجوز أن يكون اعتراضا وتوكيدا لما قبله، وأنهم مع ما أوتي نبيهم من المعجزات يرتكبون ما يرتكبون [٢] ، ورفع الطور [٣] ،قيل: كان على سبيل تخويفهم [٤] ، وقيل إظهاره المعجزة [٥] ، وثالثا من كان بمخالفتهم فيما أمروا من دخول باب من أبواب بيت المقدس [٦] ،وأن يقولوا حُط عنا ذنوبنا [١] ،

---

(١) سورة النساء آية (١٥٣–١٥٤) .

(٢) لم أقف على هذا عند غير الراغب.

(٣) والطور:هو جبل سيناء في أرض الشام ولا يزال معروفاً حتى الآن في آخر شمال الحجاز قريب من خليج العقبة ،وبه بلدة عامرة تسمى الطور احتله اليهود سنة ١٣٨٧هـ .انظر معجم المعالم الجغرافية (ص/١٨٩).

(٤) ذكر هذا القول الرازي في تفسيره ولم ينسبه انظر (٢٥٦/١١) وذكره الزمخشري في الكشاف(٥٧٧/٢)

(٥) لم أقف على هذا عند غير الراغب.أنظرالرسالة ص (١٠٤)

(٦)بيت المقدس: هو المسجد الأقصى وهو في مدينة القدس، لأنه الموضع الذي يُتَقَدَّس فيه من الذنوب ويسميها اليهود بأورشليم انظر معجم المعالم الجغرافية (ص/٢٩٢)، النهاية في غريب الحديث (٢٣/٤) .

وقال بعض الناس : معنى ذلك خذوا الحق من حيث ما يجب أخذه ،ولا يطلبوه من غير وجهه [٢] ، قال : وهذا استعارة ، نحو قول الشاعر[٣] :

.... أتيت المروة من بابها .

ومعنى ﴿سُجَّدًا﴾ أي متواضعين لقبول الحق [٤] ، ورابعا ما كان من تعديهم في السبت [٥] ، فأعاد ذكر الميثاق تنبيها أنه أخذ عليهم ذلك مرة بعد أخرى .

قوله عز وجل : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [٦] . ما في قوله :﴿ فَبِمَا ﴾ زائدة مؤكدة [٧]

=

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة البقرة آية(٥٨).

(٢) لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٣) لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٤) ذكر هذا المعنى ابن عطية في المحرر انظر (١٣٢/٢)

(٥) والسبت أصله القطع ،وقيل:سمي يوم السبت لأن الله تعالى ابتدأ خلق السموات والأرض يوم الأحد ثم قطع عمله يوم السبت فسمي بذلك انظر المفردات مادة سبت.

(٦) سورة النساء آية (١٥٥-١٥٦) .

(٧) انظر :- معاني القرآن للنحاس (٢٢٣١/٢) ، وقال مخرجه د.محمد الصابوني :- وليس معنى قول العلماء إن (ما) زائدة ، أنه لا فائدة منها ، بل هي كما قال المصنف : زائدة للتوكيد ،

ومعنى توكيدها أنها تقتضي تكثير معنى الفعل الذي يدخل عليه ،كما أن التشديد وزيادة الحروف في مفعيل ومفعال وفعال يقتضي ذلك [١] ، وقيل: بل ما ها هنا اسم نكره اقتضى حالا مجملة [٢] ، وقوله ﴿ نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم ﴾ وما بعدهما بدل منه ، كأنه قيل : فبشيء ما لعنوا ، ثم فصّل ذلك الشيء وخص ما كان منهم في هاتين الآيتين سبعة أشياء تقضي الميثاق المذكور في قوله :﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [٣] . [٣٠٦/ب]
وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير الحق ،وقولهم قلوبنا غلف ،وكفرهم المطلق، وقولهم على مريم البهتان ،وادعائهم قتل عيسى وقولهم قلوبنا غلف [٤]،

=

فكما يؤيد العرب الكلام بإنّ واللام وغيرها من المؤكدات ، يؤكدون بزيادة (ما) وانظر في معانيه (٢٤٨/١) . ولهذا قال الزجاج في معاني القران (١٢٧/٢) : (ما) لغو في اللفظ يريد أنها زائدة حقاً فبنقضهم ميثاقهم حقاً ، فكما أن حقاً لتوكيد الأمر ، فكذلك (ما) دخلت للتوكيد وانظر الكشاف (٥٧٨/١) ، وزاد المسير (٢١٦/٢) .

(١) انظر قول سيبويه في الكتاب (٣٥٦/٤) .

(٢) ذكر الوجهين السمين في الدرالمصون (١٤٢/٤).

(٣) سورة آل عمران آية (١٨٧) . أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/١) وعزاه السيوطي في الدرالمنثور لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كلهم من قتادة بغير هذا اللفظ وانظرتفسيرالراغب الأصفهاني تحقيق.د/عادل الشدي(٢٢٦/٦) .

(٤) ذكره الرازي ونسبه للقفال انظر تفسيره (٢٥٨/١١)وذكره القرطبي غير منسوب انظر تفسيره(٧/٦) وكذا ذكره البيضاوي في تفسيره (٢٤٦/١).

أي ادعوا أن قلوبهم أوعية العلوم [١]، فكذبهم الله، بقوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ وقيل: معناه قلوبهم محجوبة عن العلم ،كقوله: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ [٢] وأثبت لهم ها هنا إيمانا قليلا، اعتبارا بظاهر أقوالهم حيث قالوا نؤمن ببعض ونفى عنهم في الأول الإيمان اعتبارا بالحقائق ،وأن ذلك المقدار غير معتد به ،ووجه ذلك أن من فعل بعض ما أمر به فإنه يصح أن يقال : لم يفعل ما أمر به اعتبارا بالفعل كله ، ويصح أن يقال : قد فعل بعض ما أمره اعتباراً بما ظهر منه ،اعتد به أو لم يعتد ، وقوله :﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ فإنه أعاد ذلك تنبيها أنهم كفروا بالمسيح وبمحمد عليهما الصلاة والسلام ، وقيل: لإرتدادهم مرة بعد أخرى، والبهتان: الكذب الذي يبهت [٣] منه سامعه فظاعة وشناعة ، والباء في قوله :﴿ فَبِمَا ﴾ قيل : هو متعلق بقوله :﴿ حَرَّمْنَا ﴾ وقوله : ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾ بدل [٤]

---

(١) ذكر هذا المعنى ابن عطية و لم ينسبه انظرالمحرر الوجيز (٢/١٣٢)،وكذا ذكره أبوحيان في البحر المحيط(٣/٤٠٣).

(٢) سورة فصلت آية (٥) .

(٣) أصله :- بهت : بُهِتَّ الرجُلُ إذا دُهِشَ ، والبهتان الكذب ، والعرب تقول :- بالبَهيَّته ، أي : بالكذب . انظر المجمل مادة بهت ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٢٨) ، والشوكاني في تفسيره (١/٥٣٤) ، والألوسي في روح المعاني(٦/١٠) .

(٤) في الكلام مقدر ، والجار والمجرور متعلق بمقدر أيضاً ، والباء للسببية ، (وما) مزيد لتوكيدها ، والإشارة إلى أنها سببية قوية ... واختار أبو حيان في قوله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾ [النساء:١٥٥] حذف العامل وقدره ابن عطية : لعنَّاهم وأذللناهم وقال : وحذف هذا الكلام بليغ متروك مع ذهن السامع انتهى ، وتسمية ما يتعلق به المجرور بأنه

منه وأدخل الباء فيه لما تباعدا بينهما ،وقيل : هو متعلق بمضمر ،كأنه قيل : سبب هذه الأشياء: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ ﴾ والمعنى ارتكابهم لهذه القبائح أفضى بهم إلى هذا الاقتراح . قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ

=

جواب اصطلاح لم يعهد في علم النحو ، ولا تساعد اللغة ، لأنه ليس بجواب وجوزوا أن يتعلق بقوله قال تعالى : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء:١٦٠] على أن قوله : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ بدل من قوله قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ ﴾ [النساء:١٥٥] قاله الزجاج ، والزمخشري وغيرهم ، وهذا فيه بعد كثرة الفواصل بين البدل والمبدل منه ، ولأن المعطوف على السبب سبب ، فيلتزم تأخر بعض أجزاء السبب الذي للتحريم في الوقت عن التحريم ، فلا يمكن أن يكون جزء سبب أو مسبباً إلا بتأويل بعيد . وبيان ذلك أن: ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴾ وقولهم: ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ ﴾ متأخر في الزمان عن تحريم الطيبات عليهم ، فالأولى أن يكون التقدير لعنَّاهم ، وقد جاء مصرحاً به في قوله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ ﴾ [المائدة:١٣] انظرالبحر المحيط (٣/٤٠٣-٤٠٤)، وروح المعاني (٦/٨) ، وإليه ذهب ابن جرير في تفسيره (٦/١١) ، وقد خالفهم الزجاج في معاني القران (٢/١٢٧) ، والزمخشري في الكشاف (١/٥٧٨) . وقد ذكر الراغب القولين: المحذوف المضمر والمقدر قوله وبظلم ، ولكن لم يرجح وانظر الدر المصون (٤/١٤٢) والمحرر الوجيز (٢/١٣٢) .

ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (١) إن قيل : كيف حكى عنهم أنهم قالوا قتلنا رسول الله و لم يقروا بكونه رسولا ، قيل : هو أن يكون ذلك من جملة الحكاية وذكروه على سبيل التهكم زعما منهم أنه لو كان رسولا لما قدرنا على قتله ، ويجوز أن يكون ذلك من قول الله تشريفا له لا حكاية عنهم ، كأنه قال أعني رسول الله ونفى قتله وذكر أن ذلك شُبِّه لهم (٢) ، واختلفوا في حال عيسى، فقيل :ألقي شبه على رجل فقدر أنه هو فصلب ، قالوا :فهذا معنى قوله [٣٠٧/أ] تعالى :﴿ شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾ فاعترض على ذلك، وقيل : ثبت أنهم يدعون صحة ذلك ويقولون أن هذا جائز في الأمور الإلهية ،وأن منه النبوة ، كيف يصح أن يفعل ذلك فيرى الناس بعيونهم صورة رجل وهو يصلب، ثم يذمهم ،حيث قللوا أنه صلب ، وهل يلعن الإنسان مع ذلك أن يرى امرأة يقدرها أنها امرأته، فيدنوا منها ثم يعاقبه الله بذلك (٣)، قيل : إن ذلك شيء يفعله الله فتنة بعد فتنة الحكمة تتعلق به فليس يجب للإنسان أن يظن ذلك في كل وقت، وإنما ذمهم تعالى بتبجحهم بقتل الأنبياء إلا أن الأمر شبه لهم ، وقال بعضهم : إذا رأى واحدا أو اثنان أو إنسانا من بعيد ، وفيه مماثل من عيسى فلما فقدوه من ظنوه إياه ،فصلر هذا الخبر ماض فيما بينهم فإنه يستند إلى من يصح عليه الخطأ والكذب ، وبين

---

(١) سورة النساء آية (١٥٧- ١٥٨) .

(٢) ذكر الرازي هذين الوجهين من غير نسبة انظر تفسيره(١١/ ٢٦٠) .

(٣) وهذا زعم للنصارى أن إلقاء الشبه يقضي إلى السفسطة وانظر تفصيلات هذا القول والرد عليه عند القاسمي في تفسيره(٥/ ٥٥٦-٥٥٧-٥٥٨-٥٥٩) وانظر قول ابن جرير في تفسير هذه الشبه (٦/ ١٣) ،وابن كثير في تفسيره(٢/ ٩).

أن المختلفين فيه يقولون عن تخمين واتباع ظن ، إن قيل : كيف جعل اتباع الظن مستثنى من العلم [١] وليس بداخل فيه [٢]، قيل : حقيقة في كل اعتقاد ظنا كان أو وهما أو تخيلا أو حسا، ألا ترى أن النابغة[٣] في صفة الطير :

جَوانِحَ قَدْ أيْقنَّ أنَّ قَبيلَهُ ما الْتَقى الجَمْعَان أوّلُ غَالِب

فاستعمل في الظنون اليقين وهو أشرف العلم ، وقد يقول لمن يدعي العلم وهو لا يعلمه ، علمك ظن ، فعلى هذين يصح أن يستعمل العلم في الاعتقاد وإن لم يكن معه سكون النفس، فلما ادعى القوم أنهم علموا قالوا ماهم به من علم فادخل عليه من، تنبيها على استغراق جنس المعارف التي يحصل منها الاعتقادات ،ثم قال: ﴿ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ فذكر أضعف وجه يحصل به الاعتقاد، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [٤] فجعل اتباع الظن سبب للخرص[٥] أي الكذب ، قوله :

---

(١) والصحيح العلم والذي في الأصل العمل لأن سياق الكلام يقتضيه .

(٢) وقد ذهب الراغب وابن عطيه أن الإستثناء هنا متصل ، وهو خلاف المشهور ، قال أبو حيان وليس كما ذكره لأن الظن ليس من معتقدات اليقين ، لأنه ترجيح أحد الجائزين ، والترجيح ينافي اليقين ، وعلى تقرير أنه يضمها فالإستثناء فيه منقطع لأن الظن لا يستثنى من العلم ، فليست التلاوة (ما لهم به علم إلا الظن) وإنما قال (إلا اتباع الظن) ، والإتباع لا يضمه والعلم جنس ما ذكر . انظر تفسيره بتصرف (٤٠٦/٣) .

(٣) البيت للنابغة الذبياني ومطلعها :- كليني لهم ... ويمتدح بها عمرو بن الحارث الأصفر حين هرب إلى الشام ونزل بها . ومعنى جوانح مائلات للوقوع ، انظر ديوانه (ص/١٠) .

(٤) سورة الأنعام آية (١١٦) .

(٥) انظر المحررالوجيز (١٣٤/٢) ، وروح المعاني(١١/٦) . انظر أساس البلاغة مادة خرص ،

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ أي ما قتلوا ذلك لاعتقاد من قولهم قتلت كذا علما أي بحقيقته، كأنه قيل :ما تحققوا معرفة ذلك ، قيل : أراد به القتل الحقيقي وإنما قال يقينا لأنه يقال فلان فعل كذا ظنا إذا توهم أنه فعله ، وفعله يقينا إذا تحقق أنه قد فعله (١) ، وقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ قيل: معناه رقى [٣٠٧/ب] بشخصه كما هو إلى السماء ، وإليه ذهب جماعة من أصحاب الحديث (٢) ، وقيل معناه : مع ذلك أنه شرف مكانه من بين الأنام كقوله : ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (٣) وكقول الشاعر : (٤)

بلغنا السما حسابنا | لولا السما لحر بالسملة

وقول لآخر :

لَنا بَيْتٌ على عُنُقِ (٥) الثُريّا ....هـ (٦)

=

واخترص القول وتخرصه : افتعله ، وقد تكذب عليَّ فلان وتخرص ، وقال ذلك تخرصاً .

(١) أخرج ابن جرير أثراً قريباً من هذا القول ونسبه لابن عباس والسدي وجوير انظر(١٧/٦) .

(٢) ويقصد بأصحاب الحديث هم أهل السنة والجماعة والله أعلم ،لأنهم القائلون بهذا ،انظر شرح العقيده الطحاويه (ص/٢٦٧).

(٣) سورة مريم آية (٥٧) .

(٤) لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٥) الذي في الأصل (تلك) والصحيح ما أثبته إستناداً لبيت الشعر .

(٦) البيت ينسب لأبي فراس الحمداني وهو الحارث بن سعيد بن حمدان الحمدوني ،قيل ولد في الموصل وعاش في حلب وتعلم العلم والأدب وتمرس بالفروسية ، وهو ابن عم سيف الدولة وكان أميراً على منبج ثم حمص،مات قتيلاً على مقربة من حمص انظر ترجمته في ديوانه

وذكر قول (إليه) تنبيها على تعظيم المرفوع ،لا إلى إشارة إلى حد محدود ، تنبيها على أنه حصل له به أعلى الشرف ،وإلى نحوه أشـــار ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [1] ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [2] ومثل هذا يشـــار إليـــه ولا يمكـــن الكشف عن حقائقه باللفظ ،وإنما يدركه الإنسان بحسب ما جعله له من نوره [3]

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [4] . قيل :ما أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موت عيسى إذا نزل من السماء ،يكون أهـــل الكتاب خاصا لمن كان في زمان نزوله [5] ، وقيل : بل ذلك عام والضمـــير في قولـــه : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ راجـــع إلى أحـــد المضمـــر[1] في قولـــه :

=

(ص/٥) ،والأعلام (١٥٥/٢)، وتهذيب ابن عساكر (٤٣٩/٣) .انظـــر البيـــت في ديوانـــه (٢٦٩)وعجزه :- لنا بيت على عنق الثريا بَعيدُ مذَاهبَ الأطناب ســـامٍ . والثريـــا النجم .

(١) سورة النجم آية (٤) .

(٢) سورة التغابن آية (٣) .

(٣) وهذا قول يكشف القناع عن مذهب الراغب في صفة إثبات العلو لله تعالى . فهو ينفي هـــذه الصفة ، ويؤولها إلى غير حقيقتها وقد تكلمت في هذا في قسم الدراسة ص(١٠٨) من الرسالة

(٤) سورة النساء آية (١٥٩) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨/٦) ونسبه إلى ابن عباس ، والحسن وقتادة ، وأبي مـــالك ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧٣٥/٦) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عبـــاس رقم [٦٢٤٧] ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره رقم [٦٥٦] عن قتادة ، رقم [٦٥٧] عن الحسن (٤٨٤/١) .

: ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ راجع إلى أحد المضمر[١] في قوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ويعني به وقت المعاينة حيث تصير العلوم بالآخرة ضرورية ويرتفع [٢] التكليف ، فإن قيل: فأي تشريف لعيسى إذا قلتم إن الحقائق كلها تظهر في تلك الحلل ؟ قيل :تشريفه أنه جعله من جملة الحقايق التي من أُجلَّ

في الدنيا بمعرفتها لم يعتمد لعمله كمعرفة الله، ومعرفة الملائكة، والقيامة [٣] ،وإلى نحو هذه المعرفة أشار تعالى بقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [٤] وعلى هذا حكى عن فرعون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [٥] وقوله : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ أي شاهدا أنه بلغهم رسالة ربهم كقوله :﴿ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [٦] وهو الذي قال :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رقم [٦٢٥٥] ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/٦) عن :- ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن وغيرهم . وعزه السيوطي لإبن جرير انظر الدر المنثور (٧٣٥/٦) . وانظرروح المعاني (١٢/٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤٠٨/٣) .

(٢) في الأصل (يرتفع) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٣) ذكر الزمخشري قولاً قريباً من هذا المعنى (٥٨١/١) والقرطبي (٩/٦)،والبغوي(٥١٣/١).

(٤) سورة غافر آية (٨٤-٨٥) .

(٥) سورة يونس آية (٩٠) .

(٦) سورة النحل آية (٨٩) .

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [١] فهو يشهد على نفسه بالعبودية ،وعليهم بسماع الرسالة [٢]، فإن قيل : فأي تعلق بقوله :﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ بما تقدمه ، قيل: نبه بما تقدم أنهم اعترفوا [٣٠٨/أ] بصدقة في الدنيا ، قبل: خروجهم منها يعقبه هذا، تنبيها أنه يلزمهم شهادته عليهم يوم القيامة [٣] .قوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [٤] ظلمهم عام في جميع ما ارتكبوه مما لا يجوز، وتخصيص الأشياء الثلاثة المذكورة بعده تعظيما لها واعلم أن تحريم الله على ثلاثة أضرب : الأول: تحريمه الخبائث وكل ما ليس له هذا بوجه والبدن تعافه كالذباب ،والخنافس ،والأشياء المخلوقة من فضول البدن وهذا الجنس يحرم عقلا وشرعا ، الثاني: ما يعلم ضره أكثر من نفعه وقد يظن بعض الناس فيه نفعا كثيرا، فهوا مترددٍ من التحريم والتخيل في العقل، وضرب نافع في الأحوال الدنيوية جداً، إلا أن نفعه ليس بضروري، والعقل لا يقتضي

---

(١) سورة المائدة آية (١١٧) .

(٢) أخرجه ابن جرير عن قتادة انظر (٢٣/٦) وعزاه في الدر لعبد الرزاق ،وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة انظر (٧٣٤/٢) ،وذكره في الزاد ونسبه لقتادة انظر(٢٢٠/٢).

(٣) لم أقف على هذا عند غير الراغب.

(٤) سورة النساء آية (١٦٠ –١٦١) .

بتحريمه ،والشرع قد حرمه في حال دون حال ،تهذيبا للنفوس عبادة، ودفعا [1] لسلطان شهوتهم كتحريم الشحم على بني إسرائيل[2]، وهو ما قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا ﴾ [3] الآية، فنبه تعالى أنهم لما أسرفوا وصاروا يظلمون، ويصدون عن سبيل الله، حرم عليهم بعض الأطعمة ،ليكون في ذلك عقوبة لهم من وجه وتهذيب يقمع شهوتهم من وجه ، فقلة الطعم سبب لتوهين الشهوة، ولتوهينها أمر تعالى في كل شرع بصوم [4] ،ليكون ذلك سببا لمنعها عما تدعو إليه، فلا تكون كالبهائم التي تأكل ما تشتهي ،وإلى نحو هذا أشار قوله عليه الصلاة والسلام: (**صوموا تصحوا**) [5]، فإن في الصوم صحة

---

(١) والذي في الأصل (فدعاً) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ، ولكن وجدت ما يؤدي إلى هذا المعنى عن أهمية العقل انظر مكارم الشريعة (ص/١٦٧-١٨٢)

(٣) سورة الأنعام آية (١٤٦) .

(٤) الذي في الأصل (يصوم) والصحيح ما أثبته:

(٥) أخرجه أحمد مرفوعاً عن أبي هريرة بلفظ (سافروا ترجعوا أو صوموا تصحوا أو اغزوا تغنموا) (٢/٣٠٠) ، ورواه الطبراني في الكبير(١١/٦٣) بلفظ :- (اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا) (١١/٦٣) ، وأخرجه أبو نعيم في الطب مقتصراً على (صوموا تصحوا) ، وفي موضع آخر منه (اغزوا تغنموا ، وسافروا تصحوا) وللطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ :- (سافروا تصحوا وتغنموا) وبهذا اللفظ رواه القضاعي والطبراني عن ابن عمر رفعه ، ورواه أبو نعيم في الطب أيضاً عن ابن عمر رفعه بلفظ (سافروا تصحوا أو تسلموا) وعزاه إليهم صاحب الكشف (٢/٤٤٤) ، ومثله في الدرالمنثور معزواً للطبراني عن أبي هريرة (٥/٣٨٥) ، وعزاه في اللآلي لمسند أحمد عن أبي هريرة . وذكره في المقاصد الحسنة رقم ٥٤٩ ، وذكره ابن عدي في الكامل من رواية حسن بن عبد الله ابن أبي ضمره

للبدن، وصحة النفس ، وقوله : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ ﴾ لما نبه بما تقدم أهم كفروا، ذكر ما أعد للكافرين ليكون فيه إشارة إلى أهم يستحقون ذلك العذاب [١]، أهم من جملتهم .قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا [٣٠٨/ب] عَظِيمًا ﴾ [٢] الراسخ في العلم : هو الذي لا يعترضه شبهة لتمكنه في معرفته وتحققه بها [٣]، وكونه من الذين قال فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾ [٤] فنبه أن الراسخين في العلم يعرفون معنى النبوة ويعتبرونه، فحيث ما وجدوه يتبعوه ،فالحق لا ينافي بعضه بعضا ،إن قيل :

=

عن علي رضي الله عنه سئل أحمد بن حنبل عنه فقال متروك الحديث ، قال عنه يحى بن معين : ليس ثيقه ولا مأمون . (٢/٧٦٦) وأشار إلى ضعفة الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢١٠) ، (٥/٣٢٤) .

(١) الذي في الأصل(العذا) والصحيح ما أثبته.

(٢) سورة نساء آية (١٦٢) .

(٣) رسخ :- رسوخ الشيء وثباته ثباتاً متمكناً ، والراسخ في العلم :- المتحقق به الذي لا يعرضه شبهة ، انظر المجمل مادة رسخ ، والمفردات مادة رسخ .

(٤) سورة الحجرات آية (١٥) .

ما وجه لكن [١] ها هنا ؟وهو لإبطال الشيء وإثبات آخر ،فما الذي أبطل ها هنا ؟ قيل : لكن وإن كان كما قلت ، فتارة تجيء بعد نفي، ما جاءني [٢] زيد ولكن عمرو ، وتارة تجيء بعد إيجاب، والإبطال فيه مقدر، نحو جاءني زيد لكن أخوه أحسن إلي، والتقدير : أخوه لم يجئني لكن أحسن إلي، فأغنى عن الإبطال بذكر الإيجاب ،ولما اقتص عن اليهود ما كان منهم ،وألزمهم المذمة ،بيّن أن الراسخين لم يذهبوا مذهبهم ،لكن يؤمنون بكل ذلك ويستحقون به الثواب، بخلاف هو لا الذين يستحقون العقاب ،وقوله : ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾ قيل : هو عطف على قوله :﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ أي: وبالمقيمين [٣] الذين يقيمون الصلاة . وقيل : الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين وهذا إذا جعله عطفا لم يجوزه سيبويه [٤] لعطف الظاهر على المضمر المجرور، وإن جعلته على تقديرمن وحذفه لدلالة ما قبله عليه جوزه لتجويز قوله : ما كل بيضاء شحمة ، وسوداء تمرة ،على تقدير : ولاكل سوداء تمرة . وحكى أن عائشة قالت : إني

---

(١) انظر الإتقان (ص/٢٣٢) .

(٢) والذي في الأصل (حفاني) والصحيح ما أثبته.

(٣) الذي في الأصل (بالمنيبين) والصحيح ما أثبته.

(٤) سيبويه:هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن أود، أخذ النحو عن الخليل والأخفش وأبي زيد الأنصاري له(الكتاب) في النحو ولد سنة ١٤٧هـ وتوفي بفارس سنة (١٧٩) وقيل (١٨٠) انظر الفهرست لابن النديم (ص/٨١)،وطبقات النحويين واللغويين (ص/٦٦) ونزهة الألبّاء في طبقات الأدباء للأنباري (ص/٥٤)، وبغية الوعاة للسيوطي(٢/٢٢٩).

لأجد في كتاب الله لحنا من جهة الكاتب وسيقيمه العرب بألسنتها وقرأت (وَٱلۡمُقِيمِينَ)(١). ولسيبويه باب في كتابه يذكر فيه أن كل وصف يجيء على المدح والذم ،يصح فيه الاستئناف مرفوعا ومنصوبا ، ويجوز منه إتباع الموصوف

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ونسبه لعائشة وأبان بن عثمان (٦/٢٥) ، وعزاه السيوطي لأبي عبيد في فضائله ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن أبي داود ، وابن المنذر عن عروة أنه سأل عائشةفي الدر المنثور (٦/٧٤٤) . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه في كتاب التفسير رقم ٧٦٩ ، (٤/١٥١٠) . وسنده ظاهره الصحة ، ومتنه منكر ، وليس الخطأ من أبي معاوية ، لأنه توبع ، ولكن يحتمل الخطأ من هشام بن عروة ، وقد سئل أحمد عن حديثه ، فقال : فيها أحاديث مضطربة ، يرفع منها أحاديث إلى النبي ﷺ انظر التهذيب (٩/١٣٩) . ولو سلمنا بصحة سنده إلى عائشة رضي الله عنها ، فإن هذا اجتهاد منها لا يمكن قبوله لأن الحروف التي ذُكِر أن الكتَّاب أخطأ فيها صحيحة في اللغة ، وليس هناك ما يدعو إلى الحكم على الكتَّاب بالخطأ ، وفي قبول الدعوى فتح لباب الطعن في هذا الكتاب ، وطعن في سلف الأمة في إهمالهم تقويم هذا الخطأ ، وإجماعهم السكوت عنه ، وهو في مصحفنا والمصحف الذي جمعه عثمان وكذا في مصحف أُبيّ بن كعب كما ذكروا . وقد صحح السيوطي سنده في الإتقان (٢/٢٦٩) بعد أن ذكره من رواية أبي عبيد (هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . ثم ذكر بعض الروايات والآثار التي وردت بهذا المعنى وضعف بعضها وذكر أجوبة ثم قال كلها لا يصح منها شيء عن حديث عائشة ، والجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح ...) .وقد وجه أبو عمر الداني في المقنع (ص١١٨- ١١٩) قول عائشة فيه عن حروف الرسم تزاد فيها المعنى وتنقص منها لأخرى ، تأكيداً للبيان وطلباً للخفة. وإنما سألها عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه . وانظر معها تعليق محقق الفضائل لأبي عبيد (ص/٢٢٧-٢٣١) ، والله أعلم . قال الزجاج في معاني القران (٢/١٢١) : من قال في كتاب الله أشياء استصلحها العرب بألسنتها ، فهو بعيد عند أهل اللغة ، لأن الذين جمعوا القرآن هم أصحاب الرسول ﷺ ، وهم أهل القدوة واللغة ، وقريبوا عهد بالإسلام فكيف يتركون شيئاً يصلحه غيرهم .

،على هذا يحمل قول الشاعر (١) :

النَّـــازِلُون (٢) بكُـــلِّ مُعـــتَرك   وَالطيِّبـــون مَعَـــاقِدَ الأُزُر

---

(١) البيت:للخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بني قيس بن ثعلبة أخت طرفة لأمه شاعرة من الشهيرات في الجاهلية انظر ترجمتها في: الأعلام(٢/٣٠٣)،وأعلام النساء(١/٢٩٤)، وشعراء النصرانية (/٣٢١).

(٢) (النازلون) قد ذكرها سيبويه في كتابه (١/٢٠٢) مرفوعة . وذكرها في (٢/٥٨) منصوبة ، ولعله ليبين الخيار في جواز النصب والرفع . انظر خزانة الأدب (١/٣٠١) ، والعيني (٣/٦٠٢) ، وأمالي لابن الشجري (١/٣٤٤) . والإنصاف (ص/٤٦٨) ، والدرر رقم [١٥٣٩] ، والبحر المحيط (٣/٤١٣) والمحرر (٢/١٣٤) ، وزاد المسير (٢/٢٢١) ، وجامع البيان (٦/٢٦) . ديوان الخِرنَق (٤٣) ، فتح القدير (١/٥٣٧) ، وشواهد القرطبي رقم[٢٥٨٩]و[٦٣١] .

النـــازلين بكـــل مُعْـــتَرك   والطيبـــونَ مَعَـــاقدَ الأُزْر

والمعترك :- موضع ازدحام القوم في الحرب ، والأزْر :- جمع إزار ، وهو ما يستر النصف الأسفل من البدن ، والرداء :- ما يستر النصف الأعلى منه ، والمعاقد :- جمع معقد ، حيث يعقد الإزار ويثنى ، وطيب المعاقد كناية عن العفة وأنها لا تحل لفاحشة والشاهد فيه النازلين : حيث فيه جواز النصب والرفع على المدح .وأما من وجه ذلك إلى النصب على وجه المدح للراسخين في العلم ، وإن كان ذلك قد يحتمل على بعد من كلام العرب وهي لا تعدل عن إعراب الاسم المنعوت بنعت في نعته إلا بعد تمام خبره . وأما توجيه من وجه ذلك إلى العطف به على الهاء والميم في قوله: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:١٦٢]أو العطف به على الكاف من قوله : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ، أو إلى الكاف من قوله : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ فإنه أبعد من الفصاحة وهو رد للظاهر على المكنى في الخفض .

انظر :- الكتاب ، لسيبويه (٢/٥٨) — ٦٤ ، نقله عنه الراغب من باب ما ينصب فيه الاسم لأنه لا سبيل له إلى أن يكون صفة ، وفي باب ما ينتصب على التعظيم والمدح . وكذا ذكر في باب الصفة المشبهة باسم بالفاعل فيما عملت فيه (١/١٩٤-٢٠٢) ، وانظر :- إعراب القرآن للنحاس ﴿

وقد ذكر تعالى عامة الإيمان الاعتقادي، فإن جماعة ذلك هي المذكـــورة في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (١) الآية و لم يذكر الملائكة ها هنا في ضمن الإيمان ﴿ وَمَآ أُنزِلَ ﴾ إيمانا بالملائكة الذيـــن نزلوا به وإنما قدم (٢) الإيمان بالنبي على الإيمان بالله ها هنا لأن القصد من الآيـــة إليه ، والمذكور بعده على سبيل التبع ، وذكر من الإيمان العملي إقام الصـــلاة، وإيتاء الزكاة، وأنهما ركنا العبادة ،وعلى هذا يخصهما في عامة الآيات من بـــين العبادات . قوله عز وجـــل: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٣) ذكر تعالى في هذه الآية اثني عشر نبيا بأسمائهم وأجمل ذكر باقيهم ، وذكر بعض أولي العزم وبعضا من غيرهم ، وذكر بعضهم على الترتيب ،وذلك أنـــه أراد أن

=

(٥٠٤/١) وقد ذكر الخلاف في ذلك ورجح ما ذهب إليه سيبويه ، ولمعاني الزجـــاج (١٣١/٢-١٣٢) ، والطبري في تفسيره (٢٥/٦) قال : والأولى عندي : أن المقيمين يكون في موضع خفـض نسقاً على (ما) ، وأن يوجه معنى المقيمين الصلاة إلى الملائكة .

(١) سورة النساء آية (١٣٦) .

(٢) والذي في الأصل (قدموا) والصحيح ما أثبته لأن المقدم هو الله سبحانه وتعالى.

(٣) سورة النساء آية (١٦٣-١٦٤) .

يبين أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم ،وخصه بما خص كل واحد منهم به تفضيلا له وتشريفا ، وأنه جرى معهم مجرى، فذلك من الحساب المبني بجملته عن تفصيل ما تقدم ، فذكر نوحا الذي هو أول أولي العزم من الرسل والنبيين ومن بعده مجملا ، ثم فضل النبيين فذكر إبراهيم الذي كان أول النبيين من أولي العزم بعد نوح ، وذكر معه من جرى منه مجرى ابعاضه في كونهم تابعين له ، وهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، ثم ذكر الطرف الآخر من أولي العزم وهو عيسى ثم الأواسط أيوب ويونس وهارون ، ثم ذكر من أوتي الكتاب مجملا وهو داود فإن الزبور [1] وهو اسم الكتاب ،إذ كتبه كتابة غير مفصلة [2] ، وأفرد ذكر موسى من حيث انه خص بالتكلم، وكل هذه الفضائل كان للنبي ﷺ [3] .قوله تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى

---

(١) قد ذكر ذلك الألوسي في تفسيره (١٧/٦) قال : وكان إنزاله منجماً ، وبذلك يحصل الإلزام وكان فيه كما قال القرطبي : مائة وستون سورة ليس فيها حكم من الأحكام ، وإنما هي مواعظ وحِكَم والتحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى . انظر الجامع للقرطبي (١٣/٦) . وأصل كلمة زبور :- من زبرت الكتاب ، إذا كتبته ، ويقال :- إن الزِبْرَ الكتاب وأزْبأَرَّ الشَعْرُ ، إذا انتعش ، وزِئْبِرُ الثوب معروف . ويقال : أخذ الشيء بزَوَبَرِه : أي كله . انظر المجمل بتصرف مادة زبر . انظر معاني القرآن للنحاس (٢٣٩/٢) ، ويقرأ بضم الزاي وفتحها والأكثر على فتحها ومعاني القرآن للزجاج (١٣٢/٢) . والمحرر الوجيز (١٣٦/١) ، وتفسيرالبيضاوي (٢٤٩/٢) . والبحر المحيط (٤١٣/٣) ، جامع البيان (٢٨/٦) .

(٢) والذي في الأصل (مفضلة) والصحيح ما أثبته لدلالة كونه مجمل .

(٣) فقد أخرج الترمذي في السنن ،كتاب المناقب ،باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ،فخرج

ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [١] نبه أنه بعثة الأنبياء إلى الناس مما لا يستغنون عنه، لقصور كلهم عن إدراك جزئيات مصالحهم ، وفضول أكثرهم عن كلياتهم وجزئياتها ،وبعث الأنبياء مبشرين ومنذرين ليكون قد أزاح عللهم ، لذا قال تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾ [٢] قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

=

حتى إذا أدناهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول:عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله وقال آخر:ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليماً، وقال آخر فعيسى روح الله وكلمته وقال آخر:آدم اصطفاه الله فخرج عليهم وسلم وقال: سمعت كلامكم وتعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال: ألا وإني حبيب الله،ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله لي ويدخلنيها ومعي فقراء المسلمين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر) قال الترمذي: حديث غريب.

قلت ولبعضه شواهد من الصحاح وغيرها ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:(لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله. أخرجه البخاري في صحيحه ،فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً رقم(٣١٢). وحين عُرج به إلى السماء فقد ثبت أنه كلمه ربه.

(١) سورة النساء آية (١٦٥) .

(٢) سورة القصص آية (٥٩) .

نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[1] قال : ﴿ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا ﴾[2] قوله عز وجل : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[3] اتصل ذلك بما قبله إتصال إثبات الحق بعد إنكار من أنكره ، ومعنى شهادة الله: إقامة البينة الدالة على ثبوته ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[4] الآية، أي: أقام البينة الواضحة على وحدانيته ،وأعظم الشهادة ما يقتضي علم المشهود عنده ، فالشهادة من الناس قد لا توقع العلم ، وشهادة الله إقامة البراهين المثلجة للصدور موقعة للعلم مزيلة للشك ، فمن أعظم شهادته إتيانه لمعجزاته كالقرآن الذي هو كما قال : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[5] وقوله : ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ قيل : بعلمه بك ، وأنك

---

(١) سورة الإسراء آية (١٥) .

(٢) سورة القصص آية (٤٧) .

(٣) سورة النساء آية (١٦٦) .ذكر بمثل هذا المعنى : الألوسي في روح المعاني (١٩/٦) ، وأبو حبان في تفسيره (٤١٥/٣) .

(٤) سورة آل عمران آية (١٨) .

(٥) سورة الإسراء آية (٨٨) . ونجد أن الراغب لم يتعرض إلى كون القرآن كلام الله أو أنه مخلوق واكتفى بكونه معجزة.

مستحق للنبوة ، كما قال :﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [١] وقيل : أنزله بالعلم الذي يحتاجون إليه ، أي هو متضمن للعلم ، وذكر شهادة الملائكة تنبيها أن العقول الصحيحة تعرف صحة نبوتك ، وأنكم لو استعملتم العقول لأطلعتم على ذلك، لإطلاعهم ووقوفهم عليه ،لمشاركتكم إياهم ،ولأنهم أتوكم بما لا سبيل إلى معرفته إلا من جهة الملأ الأعلى، فهذا معنى شهادة الملائكة ،ثم قال : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي بما أقام من الأدلة على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره . قوله عزوجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [٢] الضلال أعم من الكفر ، فكل كفر ضلال، وليس كل ضلال كفر ،والناس في الضلال ضربان : ضال غير مضل ، وضال مضل، وهو أعظمها جرماً وأكبرها عقابا ،والمضل بالإضافة إلى [٣١٠/أ] غيره قد ضل ضلالا بعيدا ، وهو الذي كفر وضل عن سبيل الله [٣]. قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢٤) . ذكره ابن جرير في تفسيره (٣١/٦) ، والألوسي ذكر المعنى الثاني في تفسيره (١٩/٦) ، وبهذا يرد الراغب على المعتزلة التي تنكر علمه وتقول :عالم بلا علم ، والمعنى عند أهل السنة أنه أنزله وهو يعلم إنزاله ونزوله ، والمعتزلة تذهب في الآية أنه أنزله مقترناً بعلمه أي : فيه علمه من غيوب وأوامر وغير ذلك ، فالعلم عبارة عن المعلومات التي في القرآن انظر البحر المحيط (٤١٥/٣) . والنسفي في تفسيره حيث ذكر هذان القولان انظر (٢٩٨/١).

(٢) سورة النساء آية (١٦٧) .

(٣) لم أقف عليه عند غير الراغب

طَرِيقًا ﴾ (١). قال تعالى : ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٢) . قيل : عنى الله بالجمع (٣) بين الكفر الذي هو أعظم الظالمين وبين ظلم العباد . وقيل : تقديره : إن الذين كفروا وظلموا الذين ظلموا، نحو قول الشاعر (٤) :

ومنْ (٥) يَهْجوا رَسُولَ الله منكم ... ويَمْدَحَه ويَنْصُره سَواءُ

أي ومن يمدحه بحذف (من) . وقوله : ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ أي

---

(١) سورة النساء آية (١٦٨) .

(٢) سورة النساء آية (١٦٩) .

(٣) وقد ذكر بمثل هذا المعنى : الزمخشري في الكشاف (٥٨٤/١) وروح المعاني (٣٢/٦) . ونجد الراغب هنا يؤيد مذهب المعتزلة في إيجاب الوعيد للعصاة ، حيث جمع بين الكافرين والعاصين . وأنهم مخلدون تخليد الكفار ، فإنه جعل الفعلين :- الكفر والظلم كليهما صلة للموصول المجموع ، فيلزم وقوع الفعلين جميعاً من كل واحد من آحاده . انظر قول ابن المنير في هامش الكشاف (٥٨٤/١) بتصرف ، والصحيح في تفسير الآية كما ذكره الطبري في تفسيره (٣٢/٦) :(إن الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ ، وكفروا بالله ، وظلموا بمقامهم على الكفر ، على علم منهم بظلمهم عباد الله ، وحداً وبغياً على الرسول ﷺ) . وأنظر قسم الدراسة ص (١١٦) .

(٤) البيت ينسب لحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن مالك من بني النجار الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،يكنى أبا الوليد ،وقيل أبا حسام وقيل أبا عبد الرحمن ، كان ينافح بشعره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاش في الجاهلية ستين سنة، ومثلها في الإسلام ، وتوفي وهو ابن عشرين ومائة سنة، وكان ذلك سنة ٦٠هـ وقيل ٤٥هـ .انظر ترجمته في الإصابة (٥٥/٢)،والتقريب رقم (١٥٧) وانظر البيت في ديوانه (ص/١١٥) والجمهرة (ص/٢٨٥).

(٥) الذي في الأصل (أمن) والصحيح ما أثبته.

لا يوافقهم لغير ذلك إذ لا يستحقون بل لا يقبلون وقوله : ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ أي لا يصعب عليه تعذيبهم، ولا يستعظمه ،فالحكمة تقتضي ذلك . قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) (الباء) في قوله: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ للتعدية (٢)، كقوله :﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (٣) ﴿ خَيْرًا ﴾ نحو ﴿ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ (٤) وتقديره : آمنوا وائتوا خيرا لكم . فدل بلفظ الإيمان على إتيان الخير . قال الكسائي (٥) : تقديره يكن الإيمان

---

(١) سورة النساء آية (١٧٠) .

(٢) الذي في الأصل (التعدية) والصحيح ما أثبته ،وقد ذكر ذلك القرطبي في تفسيره(٦/١٥)

(٣) سورة النور آية (٤٣) .

(٤) قال أبو حيان في تفسيره (٣/٤١٦) :- وفي انتصاب : ﴿ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ هنا وفي قوله: ﴿ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ [النساء:١٧١] في تقدير الناصب ثلاثة أوجه :- ١- مذهب الخليل وسيبويه :- وأتوا خيراً لكم ، وهو فعل مضمر يجب إضماره .

٢- ومذهب الكسائي وأبي عبيدة :- يكن خيراً لكم ، ويضمر إن يكن .

٣- ومذهب الفراء : إيماناً خيراً لكم ، وانتهاء خيراً لكم ، يجعل خيراً نعتاً لمصدر محذوف ، يدل عليه الفعل الذي قبله ، ونسبه النحاس لأبي عبيدة ثم قال :- قال محمد بن يزيد :- هذا خطأ لأنه لا يضمر الشرط وجوابه ، وهذا لا يوجد في كلام العرب ، ومذهب الفراء أنه نعت لمصدر محذوف ، قال علي بن سليمان :- هذا خطأ فاحش لأنه يكون المعنى انتهوا الانتهاء الذي هو خيركم . انظر النحاس في إعراب القران (١/٥٠٩) ، الفراء في معاني القران (١/٢٩٥) . وذكر الطبري في جامع البيان (٦/٣٣) من غير ترجيح ، وذكره الألوسي في روح المعاني (٦/٢٣) .

(٥) الكسائي: هو علي بن حمزة، أحد القراء السبعة، وإمام الكوفيين في النحو توفي سنة ١٨٩هـ

خيرا لكم (١) ، وأجاز الكسائي مثله في الخير، وقال :سمعت اتقوا من خيرا لكم وأنشد : -

فَوَاعِدِيْهِ سَرْحَتَيْ مالِكِ أَو الرُّبَا بَيْنَهُما أَسْهَلاً (٢)

وقوله : ﴿ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي نفع إيمانكم عائد عليكم وأما هو فغني عنكم ، ونبه بقوله :﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ على غناه، و لم يعن الموضوع منهما فقط، بل يعني مع ذلك ما ركب منه السماء والأرض ،كقوله لفلان : ما في هذا الثوب أي غزله ونسجه فمنه، تنبيه أن له السماوات والأرض كما أن له ما فيهما ا.هـ .قوله [٣١٠/ب] عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى

=

انظر ترجمته غاية النهاية (٥٣٥/١) وتاريخ الأدب لبروكلمان (١٩٧/٢).

(١) فدل ... لكم تكرر في الأصل مرتين .

(٢) قائل البيت :- عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب ، أرق شعراء عصره ، من طبقة جرير والفرزدق ت ٩٣ هـ انظر الاعلام (٥٢/٥) . انظر شرح ديوانه (ص/٣٤٩) وروى البيت :-

وواعديه سدرتي مالك أو ذا الذي بينهما أسهلا

والتقدير / أي يأت أسهل أي أنه منتصب بفعل مضمر وهو جائز عند سيبويه . انظر الطبري (٣٣/٦) ، إعراب القرآن للنحاس (٥٠٩/١) ، معاني القرآن للزجاج (١٣٤/١) ، الكتاب لسيبويه (٢٢٣/١) ، شواهد القرطبي (٨٨/٣) رقم ٢٥٩٢ وتفسير القرطبي (١٨/٦) . زاد المسير (٢٢٥/٢) ، معاني القرآن للأخفش (٢٤٩/١) . وقد ضعف السمين الحلبي هذا الرأي انظر الدر المصون (١٦٤/٤)

ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١) الغلو (٢) : الخروج عن القصد، ومفارقة العدل، من قولهم : غلا السعر ، وغلت القدر . خاطب بذلك النصارى فيما يدعونه من الافتراء على الله وعيسى ، وقد تقدم الكلام في منافاة الربوبية للولد، وسماه كلمة الله كقوله : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن ﴾ (٣) . قيل (٤) : بشارة الله ،وقيل : لأنه مدى كلمة الله وسماه روحا لقوله : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾(٥) وقيل: لأنه كان يحي الناس إحياء الروح (٦) ، وقيل: لأنه سبب للحياة الأخروية ،كما أن الروح سبب

---

(١) سورة النساء آية (١٧١) .

(٢) انظر المجمل غلا ، والمفردات غلا ، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٣٥) .

(٣) تقدم في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩] . وانظر رسالة د/عادل الشدي في تفسير هذه الآية (١/٥٩٩) .

(٤) نسبه ابن جرير في تفسيره لقتادة (٦/٣٥) . وأخرجه عبد الرزاق عنه في تفسيره (١/٤٨٥) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٣٠٩) (٤/١١٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدرالمنثور لعبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وابن المنذر كلهم عن قتادة (٦/٧٥١) . وذكره الألوسي منسوب للحسن وقتادة في روح المعاني (٦/٢٤) وذكره القرطبي في تفسيره (٢/١٣٩) .

(٥) سورة التحريم آية (١٢) .

(٦) ذكره صاحب زاد المسير (٢/٢٢٦) ونسبه للقاضي أبو يعلى .

للحياة الدنيوية ، وقيل : انتهوا خيرا لكم، قيل : فيه الوجهان المقدمان ،وقيل : انتهوا إنتهاءاً خيرا لكم، بقوله : ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ على غناه عن الأولاد، وبقوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ أنه القائم بحفظ الأشياء ،والولد يحتاج إليه، ليكون [1] وكيلا لأبيه، وهو تعالى مستغن لأنه هو الحافظ لكل شيء . قوله عز وجل : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [2] الإستنكاف [3] : الأنفة من قوله نكفت الدم [4] أي نحيته بالإصبع حتى قيل للدم نكف ،وقيل : [بحر] [5] منكوف لا يترح قيل : هو من النكف أي نحيته [6] قطيف بالعنق ،وقيل: من النكفين، وهما لحمتان متدليتان من العنق، وإستعمالها [7]

---

(١) في الأصل ليكونوا وعدلت إلى الإفراد لكون الجملة سياقها يدل على ذلك .

(٢) سورة النساء آية (١٧٢) .

(٣) انظر مجمل اللغة مادة نكف واللسان مادة نكف ،ومعاني القرآن للزجاج (١/١٣٦) و نقله الألوسي عن الراغب في تفسيره (٦/٣٧) وقال :- من نكفت الشيء نحيتُه وأصله تنحية الدمع عن الخد بالإصبع ، وقالوا :- بحر لا ينكف لا يترح .

(٤) الذي في الأصل (الدم) والصحيح الدمع استناداً لما نقله الألوسي عن الراغب . انظر روح المعاني (٦/٣٧).

(٥) ساقطة من الأصل وأثبتها من المفردات مادة نكف.

(٦) الذي في الأصل(محقه)والصحيح ما أثبته انظر المفردات مادة نكف

(٧) الذي في الأصل (استعمال) والصحيح ما أثبته

في التكبر كالصعر ميل العنق (١) والعزم بالأنف، وعلى ذلك قال الشاعر : (٢)

إنَّ الكَرِيمَ مَنْ بَلَغَتْ قُـــواهُ (٣) وإنَّ الَّلئيمَ دَائِمَ الطَّـــرْفِ أَقْـوَدُ

والعبودية وإن كانت متضمنة بالمذلة إذا اعتبرت لغير الله، فإنها مقر الشـرف إذا اعتبرت به تعالى، فلهذا الاستنكاف منها . والاستكبار : طلب التكبر لغـير استحقاق ، التكبر قد يكون باستحقاق، وذلك إذا كان طلبـا لعـزة النفـس والتلطف عن الأغراض الدنيوية . نبه تعالى أن لا استنكاف لأحد في عبادتـه وأن المستنكف عنها (٤) لا ينجو منه ، بل يفتقر إليه فيجازي به . والضمير في قولـه [٣١١/أ]
تعالى : ﴿ فَسَيَحْشُرُهُمْ ﴾ راجع إلى كل من تقدم فلهذا فصل مـن بعـد . واستدل بعض المتكلمين (٥) بالآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء، وقال :مثـل هذا الكلام إذا ذكر على طريق التحمد مؤخرا الأشرف فالأشـرف، فيقـال : لا يستنكف الحاجب من خدمة فلان ولا الوزير ولا الأمير ، ولا يقـال علـى عكس ذلك، فاعترض على ذلك بأشياء أحدهما : أنه قد يذكر في مثـل هـذا الموضع في مرتبة واحدة ،فيقال :الرشيد (٦) لا يستنكف من ذلك ولا المـأمون (١)

---

(١) الذي في الأصل (ولي) والصواب ما أثبته انظر مادة صعر في المفردات ولعله تصحيف .

(٢) بيت الشعر لم أقف عليه عند غير الراغب .

(٣) الذي في الأصل (خواه) والصحيح ما أثبته.

(٤) الذي في الأصل (منها)والصحيح ما أثبته يقال نكف عن الشيء لا نكف منه .

(٥) وهم المعتزلة . انظر آراءهم في ذلك شرح العقيدة الطحاوية (ص/٣١٠) وأنظر قسم الدراسة ص(١١٤) .

(٦) الرشيد / هو هارون بن الرشيد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبـاس ،

أيضا، فقد خص الله تعالى عيسى من دون غيره من الأنبياء ،فلا دلالة أنه [٢] أفضل من كلهم، وأيضا فقد قال : ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ ولا دلالة أن غير المقربين أفضل من الأنبياء، فأجاب هذا المجيب أن المسلمين اختلفوا على وجهين : فمن قائل قال : الأنبياء أفضل ، وقائل قال : الملائكة أفضل و لم يقل أنهما سواء وكذا قالوا : لا فرق بين عيسى وغيره ،في كونهم فوق الملائكة ،أو دونهم ،وكذا لم يفرقوا بين المقربين ،وغير المقربين في هذا المعنى وهذا الجواب كما ترى، وقد اعترض على ذلك أيضا فقيل : إنما ذكرت من قولك لن يستنكف الحاجب من خدمتي ،ولا الوزير ،إنما يكون في اسمين مفردين كما مثلت به ، فأما إذا ذكرت مفردا أو جملة فليس يقتضي ما ذكرت ،كقولك: لن يسنكف الحاجب أن يخدمني، ولا الصغير، والكبير من أصحاب

=

بويع ليلة الجمعة التي توفي فيها الهادي وعمره ٢٢ سنة ولد في خلافة المنصور ، وكان يصلي كل يوم مائة ركعة ، وكان يتصدق من حر ماله مائة ألف درهم بقدر زكاته . توفي في ثلاث خلون من جمادى الآخر سنة ١٩٣هـ . وعمره ٤٥ سنة .

انظر / سير أعلام النبلاء (٢٧٢/١٠) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٥٤/٧) .

(١) المأمون / هو عبدالله بن هارون بن الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي ، أبوالعباس ، ولد سنة سبعين ومائة وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل ، ودعا إلى القول بخلق القرآن ، روى عنه ولده الفضل ويحيى بن أكتم ، وكان كثير الغزو . مات في رجب في ثمان عشرة ومائتين . انظر سير الأعلام (٢٧٣/١٠) .

(٢) الذي في الأصل أنها والصحيح ما أثبته لأنه عائد على عيسى.

الأمير، قال: فهنا لا يقتضي أن يكون الصغير, والكبير أفضل من الحاجب ، فأجاب عن ذلك بجوابين أحدهما : أن هذا الموضع قصد به التكثير، لا التكبير والآية قصد بها التكبير، والثاني : أن ما ذكرت إنما يكون في جملة يدخل المعطوف عليه في عمومه كقوله : والصغير ،وليس عيسى مما يدخل في جملة الملائكة ، واعترض على ذلك تنبيها بقوله : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ (١) واستدل على تفضيل الملائكة هنا بقوله : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ (٢) فاثبتوا فلولا أنهم فوقهما لما اغتر بذلك ، وكذا أيضا استدل بقوله :﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ (٣) فتبين أنه لا يدعي لنفسه مرتبة ولا يليق به فهذا هو دلالته (٤) من حيث الظاهر . قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٥) الفرق بين الاستنكاف والاستكبار ، الاستنكاف نكف في قوله

---

(١) سورة التوبة آية (١٦) .

(٢) سورة الأعراف آية (٢٠) .

(٣) سورة الأنعام آية (٥٠) ، سورة هود آية (٣١) .

(٤) الذي في الأصل (دلاله) والصحيح ما أثبته.

(٥) سورة النساء آية (١٧٣) .

أنفة وليس في الاستكبار نحو ذلك [1] ،والولاية تقتضي إخلاص المودة والنصرة معونة كان معها الولاية أو لم تكن ،وقوله : ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ إشارة إلى ما قال ﷺ : (**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت**) [2] إنما ذكر من دون الله تنبيها أن كل ولاية ونصرة فمنه مبدؤها حتى ولو تصورناه مرتفعا لما صح ذلك بوجهه تعالى الله علوا كبيرا .قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [3] عنى بالبرهان الآيات القاهرة المبنية عن المعجزات ، وبالنور القرآن لأنه به يعرف الطريق إلى الله [4] . خاطب بذلك الكافة، وبين أنه أزاح عللهم بالعقل والشرع كما قال :﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [5] من أن من عرف ذلك واعتصم به دخل في

---

(١) لعل هذا من قول أبي هلال العسكري في كتابه الفروق انظر (ص/٢٤٨).

(٢)جزء من حديث ثبت قدسياً ونبوياً فأما القدسي فرواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير ، باب : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ رقم (٤٧٧٩/٤٧٨٠).ورواه مسلم في صحيحه ،كتاب الجنة وصف نعيمها رقم (٥/٢٨٢٥).

(٣) سورة النساء آية (١٧-١٧٥) .

(٤) أخرج ابن جرير في الرأي الأول عن مجاهد والثاني عن قتادة (٦/٣٩) ، وابن أبي حاتم عنهما (٦٣٢٣)،(٦٣٢٦).ذكرمثله أبوحيان في البحر المحيط(٣/٤٢١)،والألوسي في روح المعاني (٤٢/٦) وذكره ابن الجوزي في الزاد ونسب القول الأول عما بعد والسدي والثاني لقتادة انظر تفسيره (٢/٢٢٧).

(٥) سورة النور آية (٣٥) .

رحمته التي يستحقها التائبون ﴿ فَضْلِهِ ﴾ أي إحسانه الزائد على ما استحقه وأنه يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو الطاعة في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة .

قوله تعالى :﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [1] الاستفتاء : طلب الفتيا للحكم [٣١٢/أ]

وقد تقدم معنى الكلالة [2] ، وقوله : ﴿ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ ﴾ أي أخت من أبيه وأمه أو من أبيه وقد ذكر الحكم في أول السورة، وقوله : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ أي لترجعوا إلى كتابه إذا جهلتم فتعلموا منه ،وتقديره : يبين لكم ضلالكم الذي من جانبكم أن تتحروه إذا تركتم، ومن تبين له الضلال تبين له الحق، فإن معرفة أحدهما متضمن [3] بمعرفة الآخر ولا دونه ،وقد قال تعالى :﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [4] هو الزجر عن القبائح والإنسان إذا ترك عن المزاجر والنواهي ،ولم يأخذ بمقتضى العقل ،صار بالطبع

---

(١) سورة النساء آية (١٧٦) .

(٢) عند قوله تعالى:﴿...وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء:١٢) ،وانظر تفسير الراغب د/عادل الشدي (١١٣٢/٣). وذكر أن الكلالة الميت لا ولد له ولا والد .

(٣) الذي في الأصل (مضمن) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٤) سورة يونس آية (٣٢) .

الزجاج في معاني القران (١٤٩/٢).

بهيمة ،ولذلك قـــال للكفـــار:﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [(١)] قال: هذا أبلغ من قولكم يبن الله لكم أن لا تضلوا لأن في معرفة الشر معرفة الخير، وليس في معرفة الخير المعرفتان جميعا[(٢)] . وقـــال[(٣)] الكسائي:تقديره لئلا يضلوا فحذف لا[(٤)] ،وقـــال البصريـــون:تقديـــره :حـــذر أن تضلوا [(٥)].

---

(١) سورة الأنفال آية (٢٢) .

(٢) انظر فتح القدير (١/٥٤٤) . نسبه النحاس إلى الفراء ، انظر معـــاني القـــران (١/٥١١) ،و معاني القران للفراء (١/٢٩٧)

(٣) (قال) ساقطة من الأصل ،والصواب ما أثبته لأن السياق يقتضيها ولعله سبق قلم.

(٤) ذكره في الدر المصون (٦/١٧٦).

(٥) أي كونه مفعولا لأجله على حذف المضاف ،تقديره يُبن الله أمر الكلالة كراهة أن يضلـــوا ، أي في حكمها وهو قول المبرد كما نسبه إليه السمين في الدر (٤/١٧٦) وانظر القولين عند

السورة التي يذكر فيها المائدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١) . أصل العقد (٢) في الحبل ونحوه كالربط فاستُعير للعهد المؤكد ولا استعارة(٣) . من ذلك قال الشاعر (٤) :-

---

(١) سورة المائدة رقم الآية (١) .

(٢) العُقْدَةُ :- حَجم العَقْد ، والجمع عُقَد ، ويقال عقدت الحبل فهو معقود وكذلك العهد انظر اللسان مادة عقد . وذكر الشوكاني في تفسيره :- العقود : العهود ، وأصل العقود الربوط ، واحدها عقد ، يقال عقدت الحبل والعهد ، فهو يستعمل في الأجسام والمعاني ، وإذا استعمل في المعاني كما هنا أفاد أنه شديد الأحكام ، انظر تفسيره (٢/٤) .

(٣) الذي في الأصل (استعارته) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف.

(٤) للحطيئه وهو جرول بن أوس بن مالك العبسي ، أبو مليكه ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ت ٤٥هـ ، انظر جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص/٣٧٧) ، والأعلام للنركلي (١١٨/٢) ، انظر ديوانه (ص/٦) ، القرطبي (٢٣/٦) ، وشواهد القرطبي (١٩٥/١) واللسان في باب (كوب) و (عقد) ، ومعاني القرآن للزجاج (٣٩/١) ، البحر المحيط (٤٢٨/٣) ، وروح المعاني (٤٨/٦) ، والكشاف (٦٠٠/١) ، خزانة الأدب (٥٦٧/١) ، والطبري في تفسيره (٤٨/٦) . العِنَاج :- ككتاب حبل يشد به أسفل الدلو وعروته . الكرب :- الحبل يربطهما معاً . والبيت ضمن قصدية مدح بها عامر بن الطفيل وتفضيله على الزبرقان بن بدر وجاء فيها :-

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

قوم يبيت قرير العين جارهم ... إذا لوى بقوى أطياهم طنبا

يريد أنهم يفون بعهدهم ويتصدون من حالفهم .

قومٌ إذا عقدُوا عَقْـــداً لِجَـــارِهِمُ شَدُّوا العِناجَ وشَدُّوا فَوْقَهُ الكَرَبَـــا

وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾

والعقود باعتبار العقود ثلاثة أضرب: عقد بين الله [وبين العبد] (١) ، وعقد بـــين العبد ونفسه ، وعقد بينه وبين غيره من البشر . وكل واحد (٢) باعتبار الموجب له [٣١٢/ب] ضربان : ضرب أوجبه العقل وهو ما ركّزه الله [تعالى] (٣) بمعرفته في الإنســـان فيتوصل إليه، إما ببديهة العقل ،وإما بأدنى نظر ،وعليه دل قوله تعـــالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ (٤) الآية ، وضرب أوجبه الشرع : وهو ما دلنـــا عليه كتاب الله وسنة نبيه [ﷺ](٥) فذلك ستة أضرب ، وكل واحد من ذلك إما أن يلزم ابتداء، أو يلزم بإلتزام الإنسان إياه ،فأما اللازم بالالتزام ،فأربعة أضـــرب : فالأول : واجب الوفاء به كالنذور المتعلقة بالقُرب، نحو أن يقول : عليَّ أن أصوم إن عافاني الله ، والثاني : مستحب الوفاء به ويجوز تركه : كمن حلف على تـــرك فعل مباح فإن له أن يكفر عن يمينه ويفعل ذلك . والثالث :- مستحب ترك الوفاء به وهو ما قال عليه الصلاة والسلام :(**إذا حلف أحدكم على شيء فرأى غـــيره**

---

(١) (وبين العبد) ساقطه في الأصل . وأثبتها بالرجوع إلى تفسير الألوسي (٤٩/٣) حيث نقله عن الراغب بهذا اللفظ .

(٢) (كل واحد) تكرر في الأصل مرتين .

(٣) (تعالى) ساقط من الأصل وأثبتها بالرجوع إلى تفسير الألوسي انظر(٤٥/٢).

(٤) سورة الأعراف آية (١٧٢) .

(٥) (ﷺ) ساقطة من الأصل وأثبتها إستناداً لما أثبته الألوسي نقلاً عن الراغب انظر روح المعـــاني (٤٥/٢) ، وتأدباً مع ذكره ﷺ .

خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه) [١] . والرابع : واجب تــرك الوفاء به ، نحو[٢] : أن يقول عليَّ أن [٣] أقتل فلاناً المسلم[٤] ،وذلك ستة في أربعة وعشرين ضرباً من العقود . فظاهر الآية يقتضي كل عقد سوى ما كان تركــه واجباً أو قربة [٥] ، ومن المفسرين [٦] [٧] من حمل ذلك على حَلَف الجاهليــة دون

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في-كتاب الأيمان والنذور ، باب قول الله تعالى:(لا يؤاخذكـم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ...) الآية رقم الحديـث(٦٧٢٢) وفي باب الكفارة قبل الحدث وبعده رقم(٦٧٢٢). وأخرجه أيضاً في ،كتاب الأحكام ،(٥)بـاب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها رقم(٧١٤٦). وفي _ باب من سأل الإمارة وكِّل إليـها رقم(٧١٤٧)، وأخرجه مسلم في _ كتاب الأيمان والنذور ، باب ندب من حلف يميناً فـرأى غيرهـا خـيراً منـها أن يـأتي الـذي هـو خـير ويكفـر عـن يمينه.(١١/١٦٥٠)(٤٥/١٦٥٠)،(١٣/١٦٥٠)(١٤/١٦٥٠)(٤٨/١٦٥١).

(٢) الأصل يجوز والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٣) تكرر قوله (على أن) في الأصل مرتين.

(٤) وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله . انظر الأم (٥/١)

(٥) نقله الألوسي عن الراغب انظر روح المعاني (٥٠/٢). ومن قال بأن المراد بالعقود العهود ،ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والربيع والضحاك والسدي، أخرجه عنهم ابن جرير في تفسيره (٤٧/٦).
وعزاه السيوطي لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عبـاس انظر انظر الدر المنثور(٥/٣) ونسبه الجصاص أيضاً لابن جرير والثوري ومطرف انظر أحكـام القران (٢٨٣/٣).

(٦) (من المفسرين) تكرر في الأصل مرتين .

(٧) القائلون بذلك هم: قتادة، وروي عن ابن عباس ،والضحاك ومجاهد والثوري ونسبه إليهم ابن العربي في أحكام القرآن (٦/٢)، ونسبه الجصاص لقتادة انظر أحكام القران (٢٨٣/٣) وانظـر تفسير ابن كثير (٤/٢) .

حَلَف الإسلام [١] . وقد قال عليه الصلاة والسلام: (**لا حَلْفَ في الإسلام**) [٢] والصحيح أن ذلك عام [٣]، وأن معنى قوله : (**لا حلف في الإسلام**) [٤] أن الإسلام قد بين ما يجب التزامه ، وما لا يجب وإن ما كان يحتاج إليه في الجاهلية من المحالفة للحماية قد كفوا في الإسلام ، فقد قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [٥] فبيّن أن حماية بعضهم على بعض لازمة تحالفوا ،أو لم يتحالفوا

---

(١) وكان حلف الجاهلية قائم على وجوه :منها حلف التناصر، وحلف التوارث وحلف الحماية والدفع وقد نسخ ، ذكره الجصاص في تفسيره انظر بتصرف(٢٨٥/٣).

(٢) والحديث روي عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا حلف في الإسلام ،وأيّما حِلْفٍ كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة). وقال أنس بن مالك: حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا فقيل له أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا حلف في الإسلام) فقال: حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين أو ثلاثاً).

الرواية الأولى:أخرجها مسلم في صحيحه في-كتاب فضائل الصحابة ، باب: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه رقم(٢٠٦/ ٢٥٣٠).

الرواية الثانية: أخرجها البخاري في صحيحه في:كتاب الاعتصام ، باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وخص رقم (٧٣٤٠)وأيضاً في-كتاب الأدب، باب الإخاء والحلف رقم(٦٠٨٣) وفيه: (قد حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار في داري).

(٣) (والصحيح أن ذلك عام وأن معنى لا حلف في الإسلام) تكرر في الأصل مرتين .

(٤)وكذا رجحه ابن جرير في تفسيره انظر (٤٩/٦)حيث قال : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ،وأن معناه :أوفوا أيها الناس الذين آمنوا بعقود الله التي أوجبها عليكم وعقدها ،فيما أحل لكم وحرم عليكم وألزمكم فرضه ،وبين لكم حدوده.

(٥) سورة التوبة آية (٧١) .

ونحو هذه الآية قوله : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٢) وذم المُخّل بذلك حيث قال : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ فالبهيمة (٤) : ما لا نطق له من الحيوان كالعجماء، لكن اختص في المتعارف بما عدا السباع ،والطير والأنعام ، وأصلها في الإبل ثم استعملت في الأزواج الثمانية ، إذا كانت معها [٣١٣/أ] الإبل ، ولا يدخل في ذلك الخيل والبغال والحمير (٥) ، فإن قيل : ما وجه إضافة

---

(١) سورة النحل آية (٩١) .

(٢) سورة البقرة بعض آية (٤٠) .

(٣) سورة التوبة آية (٧٥) .

(٤) انظر اللسان باب بهم قال البهيمة : كل ذات أربع من دواب البر والبحر والجمع بهائم . وانظر قول الألوسي في روح المعاني (٤٨/٣) والزجاج في معاني القران (١٤٠/٢) وأبو حيلن في البحر المحيط (٤٢٥/٣) ، وأيضاً الزمخشري في تفسيره (٦٠٠/١) وقال ابن عطية في تفسيره البهيمة في كلام العرب : ما أبهم من جهة نقص النطق والفهم انتهى ، وما كان على فعيل أو فعيلة ، وعينه حرف حلق ، إسماً كان أو وصفاً ، فإنه يجوز كسر أوله اتباعاً لحركة عينه وهي لغة بني تميم انظر (١٤٣/٣) .

(٥) نسبه أبو حيان في البحر المحيط (٤٢٩/٣) إلى كل من (قتادة ، والضحاك والسدي والربيع والحسن) ونسبه ابن كثير في تفسيرالقرآن (٥/٢) إلى أبو الحسن ، وقتادة . ونقل الزجاج في معانيه عن بعضهم أن المراد بالأنعام في اللغة يشتمل على الإبل والبقر والغنم ، وأن بهيمة الأنعام :- الظباء ، والبقر الوحشية ، والحُمُر الوحشية ، انظر (١٤٠/١) . وأمّا كون الخيل والبغال والحمير لا تدخل ضمن هذه الأزواج لأنه سبحانه أفردها بعد ذكر الأنعام في سورة الإسراء قال الإمام القرطبي :- فلما أستأنف ذكرها وعطفها على الأنعام دل على أنها ليست منها انظر الجا مع لأحكام القران (٢٥/٦) .

البهيمة إلى الأنعام ، قيل : كقوله :﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾ (١) . وقيل : لما كانت الأنعام في أصل اللغة تقع على كل نعمة جرت مجرى الصفات، أضيفت البهيمة إليها إضافة اليوم إلى الجمعة ، كأنه قال البهيمة التي هي من جملة ما أنعم الله عليكم به (٢) . وقيل : لما كان قد تقدم تحليل الله النعَّم في سورة الأنعام لأن سورة المائدة تأخر نزولها عن الأنعام فيما روي (٣) نبه بقوله :

---

(١) سورة الحج آية (٣٠) .

(٢) ذكره القاسمي في تفسيره ونسبه للراغب وبيّن أن الإضافة هنا إضافة بيانيه انظر محاسن التأويل(٦/٩).

(٣) قال ابن عقيل في شرحه (٢/٤٠) : وهو من إضافة المترادفين ، فظاهر هذا أنه من إضافة الشيء إلى نفسه ، والمضاف يتخصص بالمضاف إليه ، أو يتعرف به ، فلا بد من كونه غيره ، إذ لا يتخصص الشيء أو يتعرف بنفسه وما ورد موهماً لذلك مؤوّل وكالموصوف وصفته . قلت ومثل أضافه المترادفين كما ذكر الراغب من إضافة اليوم إلى الجمعة . قال أبو حيان في تفسيره (٣/٤٢٩) بتصرف :- بهيمة الأنعام من إضافة الشيء إلى نفسه فهو بمعنى (مِنْ) لأن البهيمة أعم ، فأضيف إلى أخص . قال الزمخشري في كشافه (١/٢٥٣) :- لإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي الإضافة التي بمعنى (من) كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام ، وقال بمثله الرازي في التفسير الكبير (١١/٢٧٧) .

(٤) وهي آخر ما نزل من السور ، لما رواه الترمذي والحاكم في ذلك عن عائشة رضي الله عنها أن جبير بن نفير قال : حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت لي :- (يا جبير تقرأ المائدة ، فقلت : نعم قالت : أما أنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم من حرام فحرموه) . قال الحاكم وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، انظر المستدرك على الصحيحين ، كتاب التفسير / تفسير سورة المائدة (٢/٣٢١٠ /٣٢٧) . (٢/٣٣٩) . وذكر القرطبي هذا الحديث مرفوعاً عن النبي ﷺ ، ثم قال : وقال الشعبي: لم ينسخ من هذه السورة إلا قوله : ﴿ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ ﴾ [المائدة:٢] ، وقال بعضهم نسخ منها : ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ [المائدة:١٠٦] . انظر الجامه لأحكام القرآن (٦/٢٢) ، وعزاه السيوطي لأحمد والترمذي

﴿ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ على تحليل البهيمة الجارية مجرى الأنعام في كونها محللة فيكون لهذه الآية دالة على تحليل البهيمة وتحليل الأنعام ، وما في سورة الأنعام دال على تحليل الأنعام فقط ، ويدل على ذلك قول من قال من السلف [1] :بهيمة الأنعام هي بقر الوحش والظبي ، لأن المخاطبة للمسافرين إذا كانوا حلالاً وتخصيص المؤمنين بالخطاب قيل : هو تنبيه أن المباحات محظورة على من ليس بمؤمن [2] . وقيل: بل ذلك تشريف لهم اعتباراً بالسياسات الدنيوية ، لأن الملك يخص بالخطاب الشريف الأمثل فالأمثل [3] . ولا تفرع [4] بلفظ الخطاب على

=

والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح . وأخرج أحمد وعبيد بن حميد وابن جرير ومحمد بن مصر في الصلاة والطبري وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد قال : إني لآخذه بزمام القصواء ناقة رسول ﷺ إذ نزلت المائدة كلها ، فكانت من ثقلها ندق عضد الناقة . وأخرج أبو عبيدة بن ضمرة بن حب وعطية بن قيس قالا :- قال رسول ﷺ (المائدة من آخر القرآن تنزيلاً ، فأحلوا حلالها ، وحرموا حرامها) انظر الدر المنثور (٥/٣) .

(١) ذكره الطبري ولم ينسبه انظر جامع البيان (٥١/٦) . وذكر الزجاج في معاني القران من غير نسبه انظر (١٤٠/٢)، وذكره الشوكاني ونسبه إلى السدي والربيع وقتادة والضحاك انظر فتح القدير (٢/ ٣). وذكره ابن عطيه في المحرر ونسبه أيضا للسدي والربيع وقتادة والضحاك انظر المحرر الوجيز (١٤٤/٢) .

(٢) ذكر الجصاص في أحكام القرآن قولاً قريباً منه انظر (٢٨٩/٣)

(٣) أي أن الخطاب عام وخص المؤمنين بالذكر للتشريف ذكره الجصاص في أحكام القران(٢٨٩/٣).

(٤) الذي في الأصل (تفرح)والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

الأنام (١) وإن كانوا في الحكم تبعاً للأماثل ، قال وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (٢) وحكم الكتابيات حكمهن ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي ذلك سوى ما حرمته مما يتلى واعتبر بعضهم لفظ الاستقبال ، وقال أراد ما سيحرمه وذلك مجهول بعد . قال : فالآية مجمله ، وليس كما ظن ، فإن قوله : ﴿ مَا يُتْلَىٰ ﴾ تنبيه على تلاوة القرآن على التأبيد ، وقد يتناول ذلك (٣) ما تقدم (٤) . ذكر الله إياه ، وما ذكره في هذه الآية وقوله : ﴿ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ ﴾ معناه كلوا ذلك على أن لا يكون صيداً في حال الإحرام (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) وفي الأصل (الأناب) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٢) سورة الأحزاب آية (٤٩) .

(٣) (ذلك) تكرر في الأصل مرتين .

(٤) والمتلو المتقدم هي قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ ... سورة المائدة آية(٣). وقد روي هذا القول عن ابن عباس وقتادة والحسن ومجاهد والسدي . أخرجه ابن جرير عنهم في جامع البيان (٦/٥١).ورجحه وعزاه السيوطي في الدر المنثورلعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة وأيضاً لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس. وأيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد .انظر الدر المنثور(٣/٦/٧) ونسبه إليهم الجصاص في أحكام القران (٣/٢٨٩) ورجحه ابن العربي في أحكام القران (٢/١٤) وقد ذكره غير منسوب ثم قال وفي هذا المعنى دليل على جواز تأخير البيان عن وقت لا يفتقر فيه إلى تعجيل الحاجة .

(٥) ذكره الجصاص في تفسيره غير منسوب انظر أحكام القرآن(٣/٢٩٠) وذكره ابن العربي أيضاً غير منسوب انظر أحكام القران (٢/١٤).

﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ الحِكْمَةُ، والحَكْمَةُ (١) من أصل الإبانة إذا كان في القول ، قيل : له حكم وقد حكم ، وإذا كان في الفعل، قيل: له حِكْمَةٌ وحُكْمٌ وله حِكَمٌ فإذا قلت :حكمت بكذا، فمعناه قضيت فيه بما هو حكمه ،وإن كان يقال حكم فلان بالباطل، بمعنى أجرى الباطل مجرى الحكمة ،فحكم الله تعالى مقتضٍ للحكمة لا محالة (٢) فنبه بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أن ما يريده يجعله حكمه [٣١٣/ب] حثاً للعباد على الرضا به كما قال عليه الصلاة والسلام : حاكياً عن ربه تعالى : (**من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب رباً سواي**) (٣) فالله يحكم ما يريد ، وحكمه ماضي ومن رضي بحكمه استراح في نفسه ، وهُدِي لرشده ، ومن سخط نقد حكمه واكتسب بسخطه سخط الله وإمقاته . قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) الحِكْمَةُ :- بكسر الحاء المعجمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، والحَكَمَةُ :- بفتح الحاء المعجمة :- القضاه ، والحَكَمَةُ المستهزئون انظر اللسان باب حكم ، المجمل لابن فارس باب حكم ، والمفردات باب حكم . جامع لها .

(٢) وفيه رد على المعتزلة الذين قالوا إن حكمه مقتضٍ لمراعاة الصالح من الأحكام ، كما ذكر ذلك الزمخشري في كشافه (٥٩/١) وانظر قسم الدراسة من هذه الرسالة ص (١١٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الداري مقتصراً على قوله (ولم يرض بقضائي) وإسناده ضعيف انظر (٣٢٣/١).

شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [1] الشعائر: جمع شعيرة أي العلامة ،وأصلها إصابة الشعر ، كقولك عانه وكبده [2] ، يقال للحواس المشاعر[3] ، قال الحسن : شعائر الله دينه وفرائضه [4] ، وقول عطاء [5]: هي مناسك الحج [6]، فأشار إلى نحو ما قال الحسن . وقوله :﴿ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ أي القتال فيه [7] وقيل : هو تحريم النسيء [8] المذكور في قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ ﴾ [9] .

---

(١) سورة المائدة آية (٢) .

(٢) وفي الأصل عانه وكبوته والصواب ما أثبته ولعله تصحيف . وعانه :- أي أصاب عينه ، وكبده :- أصاب كبده .وانظر البحر المحيط (٤٧٥/٣)

(٣) انظر اللسان مادة شعر ، انظر المفردات مادة شعر .

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٤/٦) ونسبه لعطاء ،وذكره الجصاص ونسبه للحسن انظر أحكام القرآن (٢٩١/٣).

(٥) عطاء:هو ابن أبي رباح أسلم أبو محمد القرشي مولاهم المكي أحد الأعلام ،روي عن عائشة وأبي هريرة وعنه الأوزاعي وابن جريج وأبو حنيفة والليث عاش ثمانين سنة مات سنة ١١٤هـ وقيل ١١٥ قال عنه ابن حجر ثقة فقيه فاضل كثير الإرسال انظر الكاشف (٢٣١/٢) ،وانظر التقريب رقم(٤٥٩١). و لم أقف على نسبة هذا الأثر إليه عند غير الراغب.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره ونسبه لابن عباس (٥٤/٦) وكذا عزاه السيوطي إليه في الدر (٥/٣) عن ابن عباس وذكره الجصاص ونسبه لابن عباس انظر أحكام القران (٢٩٠/٣).

(٧) أخرجه ابن جرير ونسبه لابن عباس وقتادة انظر جامع البيان (٥٥/٦) .

(٨) النسيء :- هو تأخير الوقت ، ومنه نسأت المرأة إذا تأخر وقت حيضها ، والنسيء هو تأخير بعض الأشهر الحرم إلى شهر آخر ، انظر المجمل مادة نسئ ، انظر المفردات مادة نسئ ، ونسب هذا القول الألوسي إلى القتيبي . وقال والأولى هو الأول . انظر روح المعاني (٥٣/٦) .

(٩) سورة التوبة بعض آية (٣٧) .

والهدي أصله فيما يُهدى من النعَّم [١] ، وقد يستعمل في كل ما يتقرب بـه إلى الله وعلى ذلك قال عليه الصلاة والسلام : (**المبكر للجمعة كالمهدي بدنـه ، إلى أن قال ثم الذي يليه كالمهدي بيضة**) [٢] ، فجعل البيضة هدياً . والقلائد ما يطـوق به الهدي شعاراً له [٣] ، وقيل :نبه بذلك على تحريم كل ما يختص بالهدي فنـص على أدناه الذي لا قدر له تنبيها على ما فوقه[٤] ، كقولـه تعـالى : ﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ [٥] وقيل : أراد به المقلدات فبين تحريم المقلَّد وغير المقلَّد [٦]

---

(١) الهَدْيُ والهَدِيُّ ما أهدى من النعَّم إلى الحرم . انظر المجمل باب هدى ، والمفردات مادة هـدى وذكر أبو حيان قولاً قريباً من قول الراغب انظر البحر المحيط (٣/٤٣٤).

(٢) قال النبي ﷺ : (إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فـالأول [وقال] ومثل المُهَجِّر كمثل الذي يهدي بدنة ، ثم الذي يـهدي بقـرة ، ثم كبشـاً ، ثم دجاجة ، ثم بيضة فإذا خرج الإمام طَوَوْا صحفهم يستمعون الذكر) متفق عليه . بهذا اللفـظ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه البخاري في صحيحه -كتاب الجمعـة، بـاب الإستماع إلى الخطبة رقم [٩٢٩] . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة، باب فصـل التهجير يوم الجمعة رقم [٢٤/٨٥٠] . والمُهَجِّر :- المبكر إلى الجمعة ، والبدنه (الناقـة) . ولم أقف على لفظ الحديث الذي ذكره الراغب رحمـه الله ، غـير أن القرطـبي ذكـره بمثـل ماذكره الراغب انظر الجامع في أحكام القرآن (٦/٢٨) .

(٣) والقلائد من قلد والقِلْدُ السوار من الفضة ، وتقليد البدنة :- أن يعلق في عنقها شيئاً ليعلم أنها بدنة يُهدى انظر المجمل مادة قلد ، والقلائد جمع قلادة ، وهي ما يعلو به الهدي من نعـل أو لحاء شجر . انظر روح المعاني (٦/٥٣) ومعاني القرآن للفراء (١/٢٩٩) .

(٤) لم أقف على هذا القول عند غير الراغب.

(٥) سورة الأنبياء بعض آية (٤٧) .

(٦) وهذا قول الجصاص في أحكام القرآن غير أن الراغب تصرف فيه انظر (٣/٢٩٢). وذكـره الألوسي في روح المعاني (٦/٥٣) .

وقال بعضهم معنى : ﴿ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ : أي لا تمنعوا الكفار من التمسك بشعائره (١) ، فقد كانوا مجتمعين مع المؤمنين في إقامة المناسك (٢) فمن قال هذا قال الآية منسوخة لقوله : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ (٣) . وعلى الأول خطاب للمسلمين [٣١٤/أ] لمراعاة أحكام الدين عاماً ، أو أحكام الحج ، ولا يكون فيه نسخ(٤) ، وقوله : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾ قيل : عنى الفضل الدنيوي المطلوب بالمكاسب المباحة (٥) . وقيل : بل الفضل

---

(١) نسبه ابن جرير لابن عباس انظر جامع البيان (٥٦/٦) . وانظر المحرر الوجيز (١٤٦/٢) .

(٢) نسبه ابن جرير لابي قتادة انظر جامع البيان (٥٤/٦) .

(٣) قال السيوطي : أخرج عبد الرزاق وعبيد بن حميد وابن جرير والنحاس في ناسخه عن قتادة في قوله : [المائدة:٢] قال منسوخ ، كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من السحر فلم يعرض له أحد وإذا تقلد بقلادة شعر لم يعرض له أحد ، وكان الشرك يومئذ لا يصد عن البيت ، فأمر الله تعالى أن لا يقاتل المشركون في الشهر الحرام ولا عند البيت ثم نسخها قوله : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: من الآية٥) . انظر الدر المنثور (٨/٦) ، وعبد الرزاق في تفسيره (٥/٢) رقم [٦٧٣] . وابن جرير في جامع البيان (٥٤/٦) ورجحه ، وانظر تفسير ابن كثير (٧/٢) وذكر النحاس في ناسخه (٢٣٥/٢-١٣٦-٢٣٧) اختلاف العلماء في الآية :

١- منهم من قال إن الآية منسوخة وهو قول قتادة وروي ذلك عن ابن عباس .

٢- من قال لم ينسخ منها سوى القلائد وهو قول مجاهد ، ومذهب أبي ميسرة وهي محكمة .

٣- ومن قال لم ينسخ منها إلا قوله تعالى : ﴿ لاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ اللهِ ...﴾ وهوقول عطاء. وقد رجح المحقق القول الثالث .

(٤) ذكره الجصاص في تفسيره ونسبه للحسن أنظر أحكام القرآن (٢٩٤/٣) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق عن قتادة رقم [٦٧٤]،(٦/٢) ، وابن جرير في جامع البيان (٦٢/٦) ، وعزاه السيوطي الدرّ المنثور لعبد الرزاق ، وعبيد بن حميد وابن جرير وابن المنذر

الأخروي[١]. ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ رخصة [٢] كقوله : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٣] ليجزم [أن] [٤] التكسب مكروه ، ولا يقال ذلك للكسب المحمود في عامة كلامهم . وقول الشاعر :-

جَرِيمَةُ نَاهضٍ في رَأْسِ نَيْقٍ ....[٥]

على طريق التشبيه . والتنبيه أن العقاب يرتكب بالجرائم [٦] ، لا قبل أدائها

=

عن قتادة (٦/ ١٠) . وذكره صاحب البحر المحيط (٣/٤٣٥) .

(١) ذكره بمثل هذا المعنى ابن جرير ونسبه إلى مطرف بن الشخير ومجاهد انظر جامع البيان (٦/٦٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وعطاء في جامع البيان (٦/٦٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد (٦/ ١٠) .

(٣) سورة الجمعة آية (١٠) . وقد ذكر الرازي كلاماً قريبا من هذا المعنى ، انظر تفسيره (١١/٢٨٢) .

(٤) (أن) ساقطة من الأصل والصواب ما أثبته لأن السياق يقتضيها .

(٥) البيت لأبي فراس الحمداني ، وعجز البيت

جَرِيمَةَ نَاهضٍ في رأس نِيْقِ ترى لعظام ما جمعت صَلِيبا

وجريمة : بمعنى كاسبة ، يقال : هو جريمة أهله أي كاسبهم . والنيق : أرفع موضع في الجمل . والناهض :- قوافها فإنه سمّى اكتسابها لأولادها جرماً من حيث أنها تقتل الطيور أو لأنه تصورها بصورة مرتكب الجرائم لأجل أولادها. انظر المفردات مادة جرم ، المجمل مادة جرم ، اللسان مادة صلب وجرم ، ديوان الهذليين (٢/١٣٣) ، الصحاح (٥/١٨٨٥) الجامع لأحكام القران للقرطبي (٦/٣٢) ، شواهد القرطبي (١/١٩٧) ، المحرر (٢/١٤٨) .

(٦) الذي في الأصل (للجرائد) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

كما ذكر بعض الحكماء : ماذو والد وإن كان بهيمة إلا ويذنب لأجل أولاده (١)، وعلى هذا المعنى قيل : فلان يجرم لأهله ، وقوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (٢) أي لأجل أن صدوكم . وقوله: ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ أي على أن تعتدوا ، ونهى المسلمين عن الاعتداء على من ظلمهم فأبغضوهم لظلمهم إياهم (٣) ، وقرأ إن صدوكم ، ويكون في تقدير المستقبل . إن قيل كيف قال هاهنا هذا ، وقد قال : ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (٤) قيل المأمور به في قوله : ﴿فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ إباحة المُجازاة للظالم بمثل فعله فسماه باسم الأول . وقوله تعالى: ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ نهى عما هو أكثر من المجازاة ، أو حث على العفو ، وقوله : ﴿شَنَـَٔانُ﴾ إذا قرأ بفتح النون (٥) فمصدرٌ ، نحو نزوَان وطَيَران ، وإذا قرأ

---

(١) وفي الأصل ولد والصواب ما أثبته اعتماداً على المفردات مادة جرم .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة في (إن) وقرأه الباقون بالفتح وهي قراءة بعض أهل المدينة والكوفيون . انظر تفسير ابن جرير (٦/٦٥) ، فيكون المعنى في قراءة الفتح تعليلاً لشنآن أي لأجل أن صدوكم ، وكون الصد ماضياً ، ومن كسرها جعلها شرطاً فيكون الصد متراخياً . وقد رجح ابن عطيه والنحاس وابن جرير قراءة الفتح بإعتبار المعنى . انظر تفسير ابن عطيه (٦/٣٢) ، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٥٤) . انظر فتح القدير في توجيه القراءات (٢/٦)

(٣) في الأصل (لظلمه إياه) والصحيح ما أثبته لأنه يتناسب مع السياق ولعله تصحيف .

(٤) سورة البقرة آية (١٩٤) .

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بكسر همزة إنّ انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٥٤) وزاد المسير (١/٢٣٤) والدر المصون(٤/١٩٠)قال صاحب البحر: وأنكر ابن

بسكونها [١] فاسم ، نحو عطشان أي لا يحملنكم بغيض قوم ،أي من يبغضون منهم . وقيل: شنْآن وشنَآن بمعنى وأكثر ما يقال في المصادر ،والأوصاف ،والأفعال المتعدية [٢] . والتقوى في هذا الموضع اسم لغاية ما يبلغه الإنسان وهي المذكورة في قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فكأنه قال تعاونوا على أدنى المنازل من الخير وأقصاها ، وقيل: بل البرُ أعلى المنزلتين فإنه ما اطمأن إليه القلب من غير أن ينكره بجهة أو سبب [٣] ، والتقوى : اجتناب المآثم ، فكأنه قيل تعاونوا على فعل الخير وترك الشر [٤] . وقوله تعالى :﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ فالإثم يتناول جنايات العبد بينه وبين الله وما بينه وبين العباد .

=

جرير والنحاس قراة كسر إن... وقال هذا الإنكار منهم صعب جداً لأنها قراءة متواترة إذ هي من السبعة والمعنى معها صحيح والتقدير إن وقع صدٌ في المستقبل مثل ذلك والصد الذي كان في زمن الحديبية انظر(٤٣٧/٣).

(١) شنْآن بسكون النون هي قراءة ابن عامر وأبو بكر واسماعيل عن نافع وهو مختلف فيه ، وابن عياش عن عاصم ، وابن وردان . انظر النشر في القراءات العشر (٢٥٤/٢) ، تفسير البيضاوي (٢٥٤/١) ، والأظهر في الفتح أن يكون مصدر ، وقد كثر مجيء المصدر على فعلان ، وجوزوا أن يكون وصفاً ، وفعلان في الأوصاف موجود . انظر البحر المحيط (٤٣٧/٣) والدر المصون (١٩١/٤) .

(٢) غير واضحة في الأصل وأتيت بها بالرجوع إلى المحرر الوجيز (١٤٩/٢)، والبحر المحيط(٤٣٧/٣)،والدر المصون (٧٧/٤)

(٣) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة للمؤلف (ص/١٢) .

(٤) انظر اللسان مادة وقى والمجمل مادة وقى والمفردات مادة وقى ، والبحر المحيط (٤٣٨/٣) .

والعدوان ما بينه وبين غيره وهو أخص [١]، وعقب ذلك بقوله : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ . زجراً عما نهى عنه . قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢] . ﴿ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ هاهنا ما فارقته الروح من غير تذكيه مما له نفس سائله [٣] ، وقد يقال : ذلك لما ليس له نفس سائله ، كقوله عليه الصلاة والسلام : (**أحل لنا ميتتان ودمان**) [٤] ، ﴿ وَٱلدَّمُ ﴾ هاهنا هو

[٣١٤/ب]

---

(١) ذكره في المفردات مادة أثم.

(٢) سورة المائدة آية (٣) .

(٣) ذكره البيضاوي في تفسيره بلفظ قريب منه انظر (٢/٢٥٤) .

(٤) نص الحديث :قال النبي صلى الله عليه وسلم:(أحلت لنا ميتتان ودمان الحوت والجراد والكبد والطحال هذا الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه أحمد وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً .
ورواه ابن حيان في الضعفاء وأعله بعبد الرحمن قال:إنه كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر في روايته من رفع الموقوفات.
ورواه البيهقي عن أسامة وعبد الله وعبد الرحمن أبناء زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً.

الدم المسفوح بدلالة قوله : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ﴾ (١) فعرَّف في الآية الدم ولحم الخنزير ، وإشارة إلى ما ذكره هاهنا . وتخصيص لحم الخنزير لا يقتضي تحليلَ شحمه وسائر ما فيه لأن ذلك نص على أفضل ما فيه ليدل على ما دونه (٢) . وقال بعض الفقهاء: لا يجوز الانتفاع

=

قال الحافظ ابن كثير:وثلاثتهم كلهم ضعفاء ،ولكن بعضهم أصلح من بعض
وذكر الإمام الزيلعي في نصب الراية طريق آخر وعزاه لابن مردويه عن أبي هشام الأيلي عن أبيه أسلم عن ابن عمر وقد رواه سليمان بن بلال أحد الإثبات عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه عليه بعضهم.قال الحافظ أبو زرعة وهو أصح نقله عنه ابن كثير .
أخرج الحديث الشافعي في مسنده كتاب الصيد والذبائح ص(٣٤٠).وأحمد في مسنده رقم(٥٧٢٣)وابن ماجه في سننه في (٢٨)كتاب الصيد (٩) باب صيد الحيتان والجراد رقم(٣٢١٨)وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/١١)،والزيلعي في نصب الراية(٢/٢٠٢)وابن حيان في الضعفاء(١/١٧٩)،والذهبي في التنقيح رقم(٧٤٧)
قلت أقوى ما ذكر في الحجة ما في الصحيحين من حديث ابن أبي أوفى قال:غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد وحديث جابر أن البحر ألقى حوتاً ميتاً فأكل منه الجيش فلما قدموا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال:(كلوا رزقاً أخرج الله لكم أخرجه البخاري في صحيحه في ، كتاب الذبائح والصيد ،باب أكل الجراد رقم(٢٢٠٠) وحديث جابر في ، كتاب المغازي ،باب غزوة سيف البحر رقم(١٣٢٦)،و حديث عمر في ،كتاب الذبائح والصيد ، باب قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر ...)رقم(٦)
وأخرجه مسلم في ،كتاب الصيد والذبائح رقم (٥٢) ورقم (١٧) ،فيكون الحديث حسن لغيره

(١) سورة الأنعام آية (١٤٥) .

(٢) والتحريم وارد في السنة عن جابر رضي الله عنه أنه كان يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((حرم بيع ، الخمر ، والميتة والأصنام ، فقيل له يا رسول الله : أرأيت شحوم الميتة فإنه يدهن به السفن والجلود قال:لا هي حرام،ثم قال: قاتل الله اليهود لما حرم الله =

بثمنه ، ولا باستعمال شيء منه في غير الأكل[١] والإهلال : التكبير : من قولهم أهلَّ الصبي كأن الصبي يكبر الله فعلاً ، وإن لم يكبِّره قولاً . لدلالته على الآية ، كتسبيح الشجر والمدر فعلاً وإن لم يكن تسبيحه قولاً [٢] ، فحرم ما سُميَّ عند ذبحه الأصنام [٣] ،﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ [٤] ما وقع في حلقه ما خنقه حبلاً كان أو غيره ، ﴿ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾ [٥] : المقتولة بضرب ، يقال : وقذته ضرباً ، ويدخل فيه كل مقتول بغير ذكوه ، فأما المرمي من الصيد بما يخرج بحدة فغير داخل في الموقوذة ، بدلالة قوله عليه الصلاة والسلام: (**إذا رميت بالمعراض وذكرت اسم الله فأصاب وخرق فكُل ، فإن أصابه بعرْضٍ فلا يحل فإنه**

=

عليهم الشحوم جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه)).متفق عليه .وانظر الوسيط لابن المنذر(٢/ ٢٨٠)

(١) ذكره القاسمي ونسبه لابن كثير انظر محاسن التأويل (٦/ ٢٢) وانظر بداية المجتهد وقد نقل اتفاق المسلمين على تحريم ذلك انظر (١/ ٣٧١) .

(٢) وكأنه يشير إلى قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤] وقد ذكر القاسمي قولاً قريباً من ذلك انظرمحاسن التأويل (٦/ ٢٣).

(٣) أي عند ذبحه بإسم اللات والعزى وغير ذلك .

(٤) وخنقه إذا عصر حلقه ، وألقى الخناق في عُنُقِه ، وهو ما يخنق به من حبل أو غيره ، انظر أساس البلاغة للزمخشري مادة خنق ، والمفردات مادة خنق . قال الزجاج وبأي جهة إختنقت فهي حرام انظر معاني القران (١/ ١٤٥).

(٥) وقذا : وقذه بالضرب ، وشاة موقوذه ووقيذ ، ووقذت بالعصا حتى مات انظر أساس البلاغة مادة وقذ والمفردات مادة وقذ . وقال الزجاج في معاني القران : يقال وقذها أوقذُها إيقاذاً ، إذا أثختها ضرباً (١/ ١٤٥).

وقيذه)(١) . ﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ ﴾(٢) الساقطة من سطح أو جبل أو في بئر يُــؤَدي[٣١٥/أ] سقوطها إلى أذاها . ﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾(٣) المقتولة بالنطاح ، نــاطحة كــانت أو منطوحة . ﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾(٤) مما أفترسه سبع فمات . وقولـه : ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾(٥) راجع إلى المنخنقة وما بعدها . وإدراك ذكاته هو أن تؤخـذ له عين تَطْرُف أو ذَنَبٌ يُحَرِّك . على ما روي عن أمير المؤمنين(٦) ، والذكاة(٧) :-

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الذبائح والصيد باب ما أصاب المعراض يعرضه رقـم [٥٤٧٧] ، ومسلم في صحيحه ، في كتاب الصيد والذبائح ، باب الصيد بالكلاب المعلّمه رقم [١٩٢٩] . والمعراض : السهم الثقيل الذي لا ريش له ولا نصـل . والوقيـذ : أي الموقوذ مضروب ضرباً شديداً بعصا أو حجر حتى مات . وعرضه :- ما يجرح به .

(٢) وهي منفعله من الردى أي الهلاك ، ومنه ردى يردي ، ونقول : أرديت إذا أهلكت ، وقالوا للناقة ميرداة ، فإنما يشير فيها بالصخرة . انظر المجمل لابن فارس مادة ردى ،والمفردات مـادة ردا والقاسمي في تفسيره (٢٥/٦) .

(٣) فعيلة بمعنى مفعوله والتاء فيها للنقل انظر أساس البلاغـة مـادة نطـح ،والمفـردات مـادة نطح ، انظر المحرر (١٥١/٢) ، والبحر المحيط(٤٣٨/٣) .

(٤) السبع كل ما يفترس ذو ناب وأظفار من الحيوان أو الطير . انظر المفردات مادة سبع وقـال في المجمل السَبُعُ :- الواحد من السباع انظر مادة سبع وانظر البحر المحيط(٤٣٦/٣) .

(٥) انظر المجمل مادة ذَكَوَ وقال الزجاج : أصل الذكاة في اللغة : تمام الشيء ، فمنه الذكـاة في السنة وهو تمام السنة قال الخليل الذكاة : أن تأتي على قروحة سنه وذلك تمام إستكمال القـوة انظر معاني القران (١٤٦/١) قال الشوكاني: وأصل الذكاة في اللغة : التمـام ، التذكيـة في الشرع: عبارة عن إنهار الدم وفري الأوداج في المذبوح والنحر في المنحور ، والعقر في المعقـور مقروناً بالقصد لله ، وأما الآلة فمذهب الجمهور : إلى كل ما أنهر الدم وفرى الأوداج ما خـلا السن والعظم . انظر فتح القدير (١٠/٢) .

(٦) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ونسبه لعلي بن أبي طالب(٤٣٩/٣)

(٧) وذكر القاسمي قولاً قريباً من قول الراغب انظر محاسن التأويل (٢٩/٦).

بقطع الحلقوم ، والمريء ومستحب أن تقطع معهما الوَدَجين[١]، و﴿ ٱلنُّصُبِ ﴾ حجر كانوا ينصبونه ويتقربون بالذبائح له [٢] ، والاستقسام بالأزلام هو ما كانوا يفعلونه في الميسر [٣] ، كقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [٤] . فإن قيل ذكر ما في قوله ما أهل وما ذبح ، وذكر هاهنا أن تستقسموا دون ما قيل . لأن المحرَّم في الأول نفس المذبوح ، والمحرم هاهنا الإستقسام فأما المذبوح على الشريطة المشترطة في الشرع فإنه وإن قسم بالأزلام لا يحرم عينه [٥] . وقيل: الأزلام قداح تكتب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فإذا أرادوا أمراً

---

(١) الحلقوم بعد الفم ، وهو موضع النفس وفيه شعب تتشعب في الرئة . والمرئ هو مجرى الطعام والشراب . والوَدَجان : بفتح الدال المهملة والحاء المعجمة هما عرقان يقطعهما الذابح وهما عرقان في الأخذعين ، انظر التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري (٥١/١) ، وأساس البلاغة للزمخشري (ص/٦٦٩) ، والمجمل (ص/٧٤٧) ، والمغني لابن قدامه (٤٦/١) . وأما حكم قطع الودجين قال به الشافعي وأحمد في أحد روايتيه ومالك وقال أبو حنيفة يعتبر قطع الحلقوم والمرئ وأحد الودجين وانظر أحكام الجصاص (٣٠١/٣) .

(٢) نسبه ابن كثير لابن جريج انظر تفسير القرآن (١٧/٢) وإليه ذهب الطبري في كون النصب أصنام قصور وتنقش انظر جامع البيان (٦٩/٦) .

(٣) ونسبه الرازي للمؤرج وكثير من أهل اللغة ، وأما ما عليه الجمهور فالمعنى أن الإستقسام بالأزلام هو لطلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح ، انظر تفسيره بتصرف (٢٨٥/١١) .

(٤) سورة المائدة آية (٩٠) .

(٥) الأزلام : قداح كانت في الجاهلية عند الكهنة انظر المجمل مادة زلم ، والمفردات مادة زلم . وتفسير الطبري (٧٧/٦) . وانظر البحر المحيط (٣٩/٣) ، والمحرر (١٥٣/٢) .

ضربوا ذلك فاعتبروا ما يخرج منه . والفسق [١] والفجور: هما الخروج عن أمر الله فالفسق من قولهم فسقت الرُطَبة من قشرها [٢] . والفجور من فجر الماء [٣] ، وقوله :﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾ أي أن لا يحققوا أن لا يمكنهم أن ينسخوا ما أمرهم من دين الحق . وقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ قيل: لما كان الإسلام شرع شيئاً منشئاً بيَّن تعالى بهذه الآية كماله ، وقيل : أن الأديان الحق كلها جارية مجرى دين واحد وكان قبل الإسلام في الشيء بين إفراط وتفريط بالإضافة إلى شرعيتها ،وذلك على حسب ما كان يقتضي حكمة الله في كل زمان فكمَّله الله تعالى بالنبي ﷺ ،وجعله وسطاً مصوناً عن الإفراط والتفريط ، كما قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [٤] وكمله وتممه به كما قال عليه الصلاة والسلام: (**بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**) [٥] . وقال : (**إن مثل الأنبياء كمثل بيت ترك بينه موضعُ لبنة**

---

(١) الفسق الخروج عن الطاعة ، وفسقت الرطبه : خرجت من قشرها ، انظر المجمل مادة فسق والمفردات مادة فسق ، وانظر معاني القرآن للزجاج (١٤٩/١) .

(٢) والذي في الأصل (قسرها) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

(٣) والفجور : الفَجْرُ : إنفجار الظلمة عن الصبح ، والفجور الكذب والإنبعاث على المعاصي ، وانفجر الماء إنفجاراً الفتح . انظر المجمل مادة فجر والمفردات مادة فجر .

(٤) سورة البقرة بعض آية (١٤٣) .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ-كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق رقم(٨).

قال ابن عبد البر :هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه الصحاح عن أبي هريرة وغيره ومنها ما أخرجه أحمد بسند صحيح عنه مرفوعاً (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)وقال سنده صحيح .

فكنت اللبنة) (١) . فهذا معنى قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وهذا هو الذي اقتضى أن تكون شريعته مؤبدة لا نسخ ولا تغيير ،فالأشياء في التغيير والتنقل ما لم تكمل فإذا كملت فتغيرها فساد لها ، ولهذا قال : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ (٢) ونبه بقوله : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ على أمرين: أحدهما: أن الإسلام هو الدين المرتضى على الإطلاق لا تبديل له ولا تغيير ، وسائر الأديان مثله كان مرتضى [في] (٣) وقت دون وقت ، وعلى وجه دون وجه ، والقوم دون قوم ، وهذا الدين بعد أن شُرع مرتضًا في كل وقت ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في موسى :(لو كان حياً ما وسعه إلا اتباعي) (٤) ولأجل ذلك قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ [٣١٥/ب

(١) لم أقف على اللفظ الوارد هنا ولعل ذلك يعود إلى قلة بضاعه الراغب في الحديث وأصل الحديث قال ﷺ : (مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء ، كمثل قصر أُحسن بناؤه ، ترك فيه موضع لبنة ، فطاف به النظار ، يتعجبون من حسن بنايته إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها ، فكنت أنا ، فسددت موضع تلك اللبنة ، فتم بي البنيان ، وختم بي الرسل) وفي رواية (فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) . أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ،باب خاتم النبيين ﷺ رقم الحديث [٣٥٣٤] . ومسلم في الصحيح ، كتاب الفضائل ،باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين رقم(٢٢٨٧/٢٣) (٢٢٨٦/٢٠) ، (٢٢٨٦/٢١) .

(٢) سورة يونس آية (٣٢) .

(٣) في أضفتها ليتم السياق .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٨٧/٣)، وعبد الرزاق في المصنف (١١٣/٦)(٣١٣/١١) ،وابن أبي شيبة في المصنف (٤٧/٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم(٤٩٧).وحسنه الشيخ الألباني لطرقه في الإرواء رقم(١٥٨٩).

ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [(١)] وقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [(٢)] الآية . فقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ إشارة إلى زمان النبي ﷺ [(٣)] أو إشارة إلى اليوم الذي أنزلت هذه السورة [(٤)] . فقد كان في النسيء في زمن النبي ﷺ أيضاً إلى آخر أيامه، فحينئذ كمل وصار بحيث لا تغيير فيه ولا تبديل بنسخ ونسخ . إن قيل : كمَّل الدين النبي ﷺ ، وقد حكم تعالى أن دينه هو دين إبراهيم حيث قال : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا ﴾ [(٥)] . قيل: ونبه تعالى أن هذا الدين الذي هو دين إبراهيم من حيث أهما داعيان إلى الحق ومشتركان في أصول الشريعة ،لكن ما شُرِع على

---

(١) سورة آل عمران آية (٨٥) .

(٢) سورة الصف آية (٩) .

(٣) قاله الزمخشري والزجاج انظر الكشاف (٥٩٣/١) ، وانظر الزجاج في معاني القران (١٤٧/٢) ، وذكره الجصاص ونسبه للحسن انظر أحكام الفران (٣٠٧/٣) ، وزاد المسير(٢٣٩/٢) .

(٤) وهو يوم عرفة في حجة الوداع يوم الجمعة وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس والسدي وغيرهم في جامع البيان(٧٩/٦). وعزاه في الدر السيوطي لابن جرير عن السدي(١٩/٣) وذكره أبو حيان ونسبه لمجاهد وابن زيد انظر البحر المحيط (٤٤٠/٣) .وذكره الرازي غير منسوب انظرالتفسير الكبير(٢٨٦/١١).

(٥) سورة الحج بعض آية (٧٨) . ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾

لسان إبراهيم كان مبدأ الإسلام، وما شُرِع على لسان محمد ﷺ خاتمة الإسـلام . فمن حيث إن هذا مؤيد ناسخ لفروع ما تقـدم قـال : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ ومن حيث إنه شارك دين إبراهيم في الأصول صار هو أياه ، وهذا ظاهر لمن عرف قوانين الكلام. إن قيل : إن ذلك يقتضي أن يكـون الأديـان كلـها ناقصة ، وأن يكون دينه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك اليوم ناقصاً . قيل: الكامل والناقص من الأسماء المتضايفة التي تقال باعتبار بعضها بعض ، فالصبي إذا اعتـبر بالرجل فهو غير كامل ، وإذا اعتبر بمن هو على سنه فهو كامل [1] ، إذا لم يكـن مذموماً فكذلك دين الأنبياء قبل النبي ﷺ إذا أعتبر بأهل زمانهم كان كـلملاً ، وإذا أعتبر بدين النبي ﷺ وزمانه لم يكن كاملاً وليس النقصان المستعمل هو النقـص [٣١٦/أ] المذموم فلفظة ناقص تستعمل على وجهين . إن قيل: ما وجه فائدة قوله تعـالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ بعـد قولـه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ قيل لما بين تعالى أنه أكمل دينهم بيَّن بعده أن ذلك الدين هو الإسـلام وقد رضيته كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [2] وقوله : ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ أضاف النعمة إلى نفسه تشريفاً لها . وقولـه : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ منه أن الخشية في الحقيقة يجب أن تكون ممـن منه مبـدأ النفـع والضُر دون الوسائط فقد ، قيل : أعجـز الناس من خشي من

---

(١) وقد ذكر الرازي قولاً قريباً من هذا المعنى انظر تفسيره (٢٨٧/١١)،وكذا القاسمي في تفسيره انظر(٣٢/٦).

(٢) سورة آل عمران آية (١٩) .

لا ينفعه ولا يضره ، دون الذي بيده الخير [١] . وقوله تعالى :﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾ أي من ناله ضرورة و لم يجنف [٢]، أي: لم يمل لما تبين إثماً بل راعى الحق وقصد دفع أذى الجوع . فالله تعالى لا يؤاخذه به فإنه كان غفوراً لذنوب عباده رحيماً بهم . فهو أهل أن لا يؤاخذهم بما فسح لهم فيه وعلى نحو هذه الآية دل قوله تعالى :﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [٣] .قوله عز وجل : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [٤] . الطيب [٥] التام الذي يستلذ عاجلاً وآجلاً، وذلك هو الحلال الذي لا يُعْقِبُ إثما ، وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم

---

(١) لم أقف عليه عند غير الراغب .

(٢) الجنف : هو الميل ، ورجل أجنف إذا كان في خُلقِهِ مَيْل ، ويقال : هو الطويل المنحني ، انظر المجمل مادة جنف، والمفردات مادة جنف ، والبحر المحيط (٣/٤٤٢).

(٣) سورة البقرة بعض آية (١٧٣) .

(٤) سورة المائدة آية (٤) .

(٥) الطيب ضد الخبيث ، وطعام طيب : الذي يستلذ الآكل طعمه . انظر اللسان مادة طيب ، والإستطابة :- الإستنجاء ، والأطيبان : الأكل والنكاح ، انظر المجمل مادة طيب ، وقد نسب صاحب المحرر الوجيز (٢/١٥٦) قول الراغب للشافعي، قال: الطيبات الحلال المستلذ وكل مستقذر كالخنافس والوزغ وغيرها فهي من الخبائث المحرم . وأما عند مالك وغيره فالطيبات هو الحلال ولا يراعي كونه مستلذ كان أم غيره ، ذكر الرازي في تفسيره (١١/٢٩٠) .

﴿ مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ مبتدأ . وقوله: ﴿ فَكُلُواْ ﴾ في موضع الخبر [١] . قال بعضهم [٢] :.هو معطوف على الطيبات وتقديره : صيدوا ما علمتم ، والأول أجود [٣] ، والجوارح [٤]: الصائدات الكاسبات من الكلاب والفهود ونحوها بالجرح بناب أو مخلب ، ومنها قيل جَرَحَ فلان وأجترح إذا اكتسب ، والمكلّب : المضرِّي على الصيد سواء أضرى كلباً أو غيره . وبعض المفسرين [٥] خص ذلك بالكلب وكره صيد جوارح الطير إذا قتلت ، وقال إن ذلك لا يستعمل فيه التكليب . ومن شرط المعلَّم [٦] أنه إذا دُعِيَ أجاب وأن لا يأكل من الصيد ومتى

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤٤٥/٣) ،والرازي في التفسير الكبير (٢٩١/١١) وكلاهما رجحا الأول باعتبار أنه متعر من الحذف والإضمار،ومرفوع على الابتداء وباعتبار أن ما شرطية ومابعدها جواب لها وانظر الدر المصون (٤١٦/٤).

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٥٩٤/١) ، ذكره أبو حيان في تفسيره (٤٤٥/٣) والرازي في تفسيره (٢٩١/١١) .

(٣) وكذا رجحه أبو حيان في تفسيره (٤٤٥/٣)،والرازي في تفسيره (٢٩١/١١)حيث لا إضمار ولا حذف.

(٤) الجوارح من السباع والطير : ذوات الصيد ، يقال جرح جَرْحاً والإسم الجُرْحُ والإجتراح العمل والكسب . انظر المجمل مادة جرح ، واللسان مادة جرح .

(٥) نسبه ابن جرير في تفسيره (٩٠/٦) للضحاك والسدي وابن عمر . ونسبه القرطبي لأبي جعفر النحاس في تفسيره (٤٥/٦) ، والراجح ما ذكره الطبري في تفسيره (٩٠/٦) :حيث قال وأولى القولين :- كل ما صاد من طير وسباع فمن الجوارح إذا صيد جميع ذلك حلال إذا صاد بعد التعليم بدلالة الآية ..... إلخ .

(٦) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧/٦) قال بتصرف : وأما الشرط الأول وهو الأمر والنهي فهذا لا خلاف فيه ، وأما الثاني فاشترطه الشافعي و لم يشترطه مالك . وانظر قول الشافعي في الأم (٢٤٩/٢) .

كان ذلك فإنه يؤكل وإن قتله [١] ، وقال الكوفيون [٢] : صيد جـــوارح الطـــير [٣١٦/ب]
يؤكل منه ، وإن أكل . وقول النبي ﷺ : (**إذا سميت فكُلْ وإن أكل منــــه فـــلا تأكل**) [٣] يقتضي خلاف مـــــا قـــالوه ، ومعـــنى : ﴿ **فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ**

---

(١) نسبه الشافعي في الأم لبعض المشرقيين انظر (٢٤٨/٢) هو قول النخعي والثوري وأصحـــاب الرأي وحماد بن أبي سليمان حكاه عنهم القرطبي في أحكام القرآن (٤٨/٦) .

(٢) نسبه الرازي في التفسير الكبير إلى سعيد بن جبير وأبو حنيفه والمزني (٢٩٢/١١) . ونســـبه القرطبي إلى مالك وأصحابه ، وهو القول الثاني للشافعي انظر أحكام القرآن (٤٧/٦) ودليلهم قوله ﷺ :(إذا أرسلت كلبك وذكرت إسم الله عليه فكُلْ وإن أكل منه وكـــل مـــا وردت عليك يدك) أخرجه أبو داود في سننه في ،كتاب الأضاحي ،باب في الصيد رقـــم(٢٨٥٧). وقال عنه الشوكاني بأن إسناده جيد ، وأخرجه النسائي في تفسيره (١٠/٢) .

(٣) يشير إلى حديث عدي في الكلب المعلم الذي أخرجه مسلم بلفظ (وإذا أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه) إني رأيت ، حرصاً على نص الحديث ، أن آتي بجميع طرقه ، وهاهِيَهْ :
كتاب الوضوء ، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان .
عن عديّ بن حاتم قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((إذا أرسلت كلبك المعلّـم فَقَتَل فكُلْ . وإذا أكل فلا تأكل . فإنما أمسكه على نفسه)) قلت : أرسل كلبي فأجد معـــه كلباً آخر ؟ قال : ((فلا تأكل . فإنما سميت على كلبك و لم تسمّ على كلب آخر)) .
كتاب البيوع ، باب تفسير المشبهات .
عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المعراض ؟فقال : ((إذا أصاب بحده فكُلْ ، وإذا أصاب بعَرْضه فلا تأكل ، فإنه وقيذ)) قلت : يا رســـول الله! أرسل كلبي وأسمّي ، فأجد معه على الصيد كلباً آخر لم أسمّ عليه ، ولا أدري أيهما أخـــذ ؟ قال : ((لا تأكل . إنما سميت على كلبك و لم تسم على الآخر)) .
كتاب الذبائح والصيد ، باب التسمية على الصيد .
عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن صدي المعـراض ؟ فقال : ((ما أصاب بحده فكُلْ ، وما أصاب بعَرْضه فهو وقيذ)) وسألته عن صيد الكلـــب ؟ فقال : ((ما أمسك عليك فكل ، فإن أخذ الكلب ذكاة . وإن وجدت مع كلبك أو كلابـــك كلباً غيره ، فخشيت أن يكون أخذه معه ، وقد قتله ، فلا تأكل . فإنما ذكرت اسم الله علـــى كلبك و لم تذكره على غيره)) .
كتاب الذبائح والصيد ، باب صيد المعراض .

عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعـراض ؟ فقال : ((إذا أصبت بحده فكل ، فإن أصاب بعرضه فقتله فإنه وقيذ فلا تأكل)) . فقلت : أرسل كلبي ؟ فقال : ((إذا أرسلت كلبك وسميت فكل)) . قلت : فإن أكل ؟ قال : ((فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك وإنما أمسك على نفسه)) . قلت : أرسل كلبي فأجد معه كلباً آخر ؟ قال : ((لا تأكل . فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على آخر)) .

كتاب الذبائح والصيد . باب ما أصاب المعراض بعرضه .

عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله! إنما نرسل الكلاب المعلّمة ؟ قال : ((كُلْ ما أمسك عليك)) قلت : وإن قتلن ؟ . قال : ((وإن قتلن)) قلت : وإنا نرمي بالمعراض ؟ قال : ((كُلْ ما خزق وما أصاب بعرضه فلا تأكل)) .

كتاب الذبائح والصيد . باب إذا أكل الكلب .

عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : إنا قوم نصيد بهذه الكلاب ؟ فقال : ((إذا أرسلت كلابك المعلّمة ، وذكرت اسم الله فكُلْ مما أمسكن عليكم وإن قتلن إلاّ أن يأكل الكلب . فإني أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه . وإن خالطها كلاب من غيرها ، فلا تأكل)) .

كتاب الذبائح والصيد ، باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة .

عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا أرسلت كلبك وسميت ، فأمسك وقَتَل ، فكُلْ . وإن أكل فلا تأكل ، فإنما أمسك على نفسه . وإذا خالط كلاباً لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن وقتلن ، فلا تأكل . فإنك لا تدري أيها قتل . وإن رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلاّ أثر سهمك فكُلْ . وإن وقع في الماء فلا تأكل)) .

وعن عديّ أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يرمي الصيد ، فيقتفى أثره اليومين والثلاثة ثم يجده ميتاً ، وفيه سهمه ؟ قال : ((يأكل إن شاء)) .

كتاب الذبائح والصيد ، باب إذا وجد مع الصيد كلباً آخر .

عن عديّ بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله! إني أرسل كلبي وأسمي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا أرسلت كلبك وسميت فأخذ فقتل فأكل ، فلا تأكل . فإنما أمسك على نفسه)) قلت : إني أرسل كلبي ،أجد معه كلباً آخر لا أدري أيهما أخذه ؟ قال :((لا تأكل . فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره)) .

وسألته عن الصيد المعراض ؟ فقال : ((إذا أصبت بحده فكل . وإذا أصبت بعرضه فقتل ، فإنه وقيذ ، فلا تأكل)) .

عَلَيۡكُمۡ ﴾ إشارة بقوله: ﴿ أَمۡسَكۡنَ ﴾ أن لا يأكلن (١) . وظاهر الآية أن لا فرق

=

كتاب الذبائح والصيد ، باب ما جاء في التصيد .
عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنا قوم نتصيّد بهذه الكلاب ؟ فقال : ((إذا أرسلت كلابك المعلّمة وذكرت اسم الله ، فكل مما أمسكن عليك . إلاّ أن يأكل الكلب ، فلا تأكل . فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه . وإن خالطها كلب من غيرها فلا تأكل)) .
كتاب التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها .
عن عديّ بن حاتم قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت : أرسل كلابي المعلّمة ؟ قال : ((إذا أرسلت كلابك المعلمة ، فذكرت اسم الله فأمسكن فكل . وإن رميت بالمعراض ، فخزق ، فكل)) ورقم الحديث ١٤١ .
وأخرجه مسلم في : كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ، حديث ١-٧ .

(١) اختلف في إباحة ما أكل الكلب من الصيد :
أولاً: المنع:وبه قال ابن عباس، وأبو هريرة ،وعطاء ،وطاووس ،والشعبي ،والنخعي ،وقتادة وهو قول إسحاق وأبي حنيفة وأصحابه وهما أصح الروايتين عن أحمد وأشهرهما وأحد قولي الشافعي، واستدلوا بحديث عدي بن حاتم المتقدم تخريجه ص(٢٧٢) من الرسالة.
ثانياً: الإباحة روى ذلك عن سعد بن أبي وقاص ،وابن عمر ،وأبي هريرة رواه أحمد عنهم، وبه قال مالك والشافعي في القول الآخر وأحمد في إحدى الروايتين.
واحتجوا بحديث أبي ثعلبة حيث قال يا رسول الله إن لي كلاباً مكلبة ،فأفتني في صيدها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(إن كان لك كلاباً مكلبة فكل مما أمسكن عليك ذكياً أو غير ذكي)قال:وإن أكل منه؟ قال:وإن أكل منه...الحديث.
وأخرجه أبو داود في السنن في كتاب الصيد ،باب في الصيد رقم(٢٨٥٧).والنسائي في سننه في كتاب الصيد والذبائح ،باب الرخصة في ثمن كلب الصيد رقم(٤٢٩٦).وحسنه الألباني وقال : لكن قوله (وإن أكل منه) منكر ، صحيح أبو داود (١٣٦/٤) حديث رقم (٢٧٣٤) وقال صاحب تهذيب السنن
أعل حديث أبي ثعلبة بداود بن عمرو وهو ليس بالحافظ ، قال فيه ابن معين مره مستور قال الحافظ بن حجر في الفتح ، وسلك الناس في الجمع بين حديث عدي وأبي ثعلبة طرقاً منها للقائلين بالتحريم (الأولى) حمل حديث أبي ثعلبة الإعرابي على ما إذا قتله وخلاه ثم عاد فأكل =

بين كلب المجوسي والمسلم إذا أرسله المسلم [١] ، بخلاف ما قال الثوري [٢] : أنه يكره الاصطياد بكلب المجوسي [٣] ، وأجمعوا [٤] أنه إذا قدر على ذبح ما أمسكه المُكَلَّب فلم يذبح فلا يؤكل ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ قال ابن

=

منه (والثانية) الترجيح ، فرواية عدي في الصحيحين ورواية الإعراب في غيرهما ومختلف في تضعيفها وأيضاً ، فرواية عدي صريحة مقرونة بالتعليل المناسب للتحريم . وهو خوف الإمساك على نفسه ، متأيد بأن الأصل في الميتة التحريم فإذا / شككنا في السبب المبيح ، رجعنا إلى الأصل ولظاهر الآية المذكورة . فإن مقتضاها أن الذي تمسكه من غير إرسال لا يباح . ويتقوى أيضاً بالشواهد من حديث ابن عباس عند أحمد : " إذا أرسلت الكلب فأكل الصيد ، فلا تأكل . فإنما امسك على نفسك . فإذا أرسلته فقتله و لم يأكل ، فإنما امسك على صاحبه " أخرجه في المسند بالصفحة ٢٣١ من الجزء الأول (طبعة الحلبي) وحديث ٢٠٤٩ (طبعة المعارف) وأما القائلون بالإباحة ، فحملوا حديث عدي على كراهة التتريه ، وحديث الأعرابي على بيان الجواز ، وأنظر فتح الباري (٦٠٣/٩ ، ٦٠٤ ، ٦٠٩ ، ٦١١٠) وأنظر جامع الفقه (٤٩/٧ ، ٥٠ ، ٥١)

(١) انظر المغني لابن قدامة (٣٩/١١)قال وإليه ذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة. وفي جامع الفقه نسبه لأبي الخطاب وابن عقيل انظر (٦١/٧)وفي حلية العلماء (٤٨٦/١)قال:وحكى في الحاوي عن ابن جرير أن الاعتبار بمالك الكلب دون من أرسله ولعله الراجح والله أعلم.

(٢) الثوري : هو أبوعبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أمير المؤمنين في الحديث ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة ، من رؤوس الطبقة السابعة ، ولد بالكوفة سنة ٩٧ ، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ .انظر سيرة أعلام النبلاء (٢٢٩/٧) ، التهذيب (١١١/٤) .

(٣) ذكره القرطبي ونسب الكراهة أيضاً لجابر بن عبد الله والحسن وعطاء ومجاهد والنخعي وإسحاق انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٩/٦).

(٤) انظر المغني لابن قدامة رقم(٧٧٥٩)،وقد نقل إجماع أهل العلم في ذلك غير أن الجصاص ذكر خلاف العلماء في ذلك انظر(٣١٧/٣).

عباس [١] : يعني لأوليائه ، وجعل ذلك أمناً لهم ، وقال : بل ذلك تخويف لمن خالف أمره . قوله عز وجل :﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٢] يعني اليوم ما تقدم [٣] ذكره في قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ وفي قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وذلك إشارة إلى عام الوداع [٤] ، ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ عند الشافعي [٥] :- هم بنو

---

(١) انظر تنوير القياس في تفسير ابن عباس (ص/١٠٧) .

(٢) سورة المائدة آية (٥) .

(٣) تقدم في ص(٢٦٨)من الرسالة.

(٤) روي عن طارق بن شهاب قال:جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال:يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم ،لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال:وأيُّ آية ،قال قوله:(اليوم أكملت لكم دينكم...) فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله والساعة التي نزلت فيها على رسول الله عشية يوم عرفة في يوم الجمعة.أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥) كتاب التفسير،(٥) سورة المائدة ،باب قوله تعالى:(اليوم أكملت لكم دينكم)رقم الحديث(٤١).
قال ابن جرير في تفسيره توفي الرسول صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً انظر(٦/٩٩).

(٥) الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب المكي نزيل

إسرائيل من اليهود والنصارى دون من دخل في دينهم بعد الإسلام ،لقوله :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ (١) .

وقال ابن عباس : فهم الصابئون (٢) . وروي عن علي : أنه لا تحل ذبائح النصارى العرب (٣) . وعند أبي حنيفة (٤) : أن ذلك يتناول أيضاً من يدخل بعد الإسلام في

=

البصرة فقيه مشهور ،رأس الطبقة التاسعة وإليه ينسب المذهب الشافعي توفي سنة ٢٠٤هـ ،انظر سير أعلام النبلاء (٦/٣٣٢)،وأخرجه ابن جرير في تفسيره ونسبه للشافعي (٦/١٠١)،وذكره القاسمي في تفسيره من غير نسبة(٦/٥٠).

(١) سورة الجاثية آية (١٦) .

(٢) واختلف في الصابئة لاختلاف المراد بهم:

١/إذ قيل كانوا يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة.

٢/لا يقرأون كتاباً ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب ولا يحل أكل ذبائحهم وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد انظر الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/٧١٤) والبحر المحيط (٣/٤٤٧).

فإذا لحقوا بأهل الكتاب فإن أكل ذبائحهم مباحة عند الحنفية وابن عباس وابن كثير. وانظر أقوال العلماء في ذلك في الموسوعة(١٤/٣٣٩)،وحلية العلماء(١/٤٨٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٣٢٧/٣٢٨/٣٢٩).وانظر قول ابن عباس في تنوير القياس (ص/١٠٧).

(٣) روي عن علي بن أبي طالب قال: لا تأكل من ذبائح نصارى بني تغلب ،فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر) وبه قال ابن مسعود والشافعي وأحد قولي أحمد.ومن قال تؤكل لكونهم على دين النصارى فيتبادلهم عموم الآية وإليه ذهبت الحنفية وابن عباس والصحيح عن أحمد ويروي عن عمر بن الخطاب والحسن والنخعي والشعبي والزهري وعطاء الخراساني وإسحاق وأصحاب الرأي.قال في المغني : والصحيح إباحة ذبائحهم لعموم الآية. انظر المغني رقم(٧٦٧٤)، و(٧٧٤٨)،والموسوعة (١٤/٣٣٩)، وتفسير القرطبي (٦/٥٣) وقد أخرج الرواية عنه ابن جرير في تفسيره (٦/١٠١)،وأخرجه الشافعي في الأم (٢/٢٣٢)، ولعل الراغب ذكر الرواية بالمعنى.

(٤) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت الكوفي، الإمام، صاحب المذهب الحنفي ،فقيه مشهور من =

دينهم احتجاجاً بقوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [١] فحكم أنهم منهم . ويعني بطعامهم ما يذبحونه [٢] ويتولون الصنْعَةَ ، ومما يملكونه ، و لم يحتج أن يشترط فيه رضا مالكه إذا لم يكن القصد إلى ذلك وقوله : ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ أي يجوز أن تطعموهم [٣] ، وقوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ أي العفائف [٤] ، وقال

=

السادسة مات سنة خمسين على الصحيح وله سبعون سنة.انظر التقريب (٥٦٣)،والتهذيب (١٠/٤٤٩).

وحكم ذبائح المرتد: اختلف العلماء في ذلك:

١/قال مالك والشافعي وأصحاب الرأي تحرم ذبيحته وإن كانت ردته إلى دين أهل الكتاب وهو قول أكثر أهل العلم.

٢/وقال إسحاق والأوزاعي إذا ارتد إلى دين أهل الكتاب تحل ذبيحته ،قال في المغني : ولنا أنه كافر لا يقر على دينه فلم تحل ذبيحته كالوثني ،ولأنه لا تثبت له أحكام أهل الكتاب إذا تدين بدينهم، انظر المغني رقم(٧٠٩٩)،(٧٧٤١).وانظر الموسوعة(١٤/٣٣٩).

(١) سورة المائدة آية (٥١) .

(٢) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة والضحاك والسدي وابن عباس ، انظر جامع البيان (٦/١٠٣) .

(٣) أخرجه ابن جرير عن أبي الدرداء في جامع البيان (٦/١٠٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثورلإبن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس انظر (٦/٢٤).

(٤) أخرجه ابن جرير عن مجاهد والسدي وغيرهم في جامع البيان (٦/١٠٣) ونسبه القرطبي عن ابن عباس انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٥٣) .

الشافعي [١] : عنى الحرائر منهم ، ومنع الحر من التزوج بإمائهن [٢]، ويقوي قولـه [٣١٧/أ] : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [٣] .

وكأن ابن عمر رضي الله عنه [٤] : يكره التزوج بالكتابيات وإذا سئل عن ذلك يقرأ هذه الآية . قوله : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [٥] ويقول في قوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي من الذين كانوا منهم فأسلموا كقوله : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ [٦] وغيره حمل قوله : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [٧] على أهل الأوثان والمجوس [٨]

---

(١) أخرجه ابن جرير بسنده عن مجاهد وعمر ، انظر جامع البيان (٦/١٠٤–١٠٥) .

(٢) انظر الأم (٥/٢٧١) . ونسبه الشافعي إلى طاووس وعمر بن دينار .

(٣) سورة النساء آية (٢٥) .

(٤) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفيل العدوي القرشي ولد بعد البعثة النبوية بثلاث سنين، ولم يشهد بدراً وأُحدا لصغر سنه كان شديد الإتباع للأثر، وهو أحد العبادلة توفي سنة ٧٣هـ انظر ترجمته الإصابة(٢/٣٤٧)،والتقريب (ص/٣١٥).وانظر قوله في أحكام القرآن للجصاص (٣/٣٣٠)، وابن كثير (٢/٣٣) وذكره في البحر المحيط (٣/٤٤٧).

(٥) سورة البقرة بعض آية (٢٢١) .

(٦) سورة آل عمران بعض آية (١١٣) .

(٧) سورة البقرة آية (٢٢١) .

(٨) أخرجه السيوطي في الدر المنثوروعزاه لعبيد بن حميد عن حماد انظر (١/٦١٥) .

وقال ابن عباس [١] : لا يحل نكاح الحربيات منهن لقوله : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [٢] وأكد ذلك بقوله : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [٣] . والنكاح يقتضي المودة لقوله : ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [٤] . وقال [٥]: من جوز التزوج منهن أن المودة المنهي عنها هي المودة الدينية ، وأما المودة الزوجية فهي المتبقية ، وذلك غير محظور . قوله : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ أي بالدين الحق [٦] . والحَبْطُ [٧] أصلهُ الحَبَطُ وهو داء يأخذ الإبل في أجوافها من كلأٍ يستوبله . وقيل معناه [٨]: من

(١) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس في تفسيره (١٠٨/٦) ، انظر البحر المحيط (٣٣٨/٣) ، انظر تفسير الألوسي (٦٦/٢) .
(٢) سورة التوبة آية (٢٩) .
(٣) سورة المجادلة آية (٢٢) .
(٤) سورة الروم آية (٢١) .
(٥) ذكره في المغني منسوباً لأبي حنيفة وأبي ميسرة انظر رقم(٥٣٩٩) وإليه ذهب ابن جرير في جامع البيان (١٠٨/٦) .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن مجاهد وعطاء وابن عباس بألفاظ متباينه (١٠٩/٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثورلعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد (٢٦/٣).
(٧) انظر اللسان باب حَبَطَ . وأصله حَبِطَ حَبَطاً فهو حبطٌ وإبل حَباطَى وحُبطةٌ ، قال الجوهري الحَبَطُ :- أن تأكل الماشية فتُكثر حتى تنتفخ لذلك بطونُها ولا تخرج عنها ما فيها انظر المفردات مادة حبط.
(٨) أنه يوافق مذهب أهل السنة والجماعة فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصيه ويرد فيه على

لم يشكر الله بالإيمان ، أي هو ذو إيمان فقد حبط عمله تنبيهاً أن الاعتقاد لا يكفي ما لم يضامه شكر نعمه بإقامة عباداته . وقيل معناه [١] : من لم يراع حقيقة الإيمان بالاعتقاد لم تنفعه أعماله ، قوله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٢] قال أصحاب أبي حنيفة: ظاهر الآية تقتضي أن لا يجب في [٣١٧/ب] الوضوء النية ، والقول بوجوبه يقتضي زيادة في النص والزيادة في النص تقتضي النسخ ، ونسخ القرآن لا يجوز اتفاقاً بخبر الواحد والقياس فلا يصح إذاً إثبات النية [٣] ، وقال بعض الشافعية [٤] : بل الآية تقتضي إيجاب النية لأن معنى

=

القائلين أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، وانظر قسم الدراسة في ذلك ص (١٠٣).

(١) لم أقف عليه عند غير الراغب .

(٢) سورة المائدة آية (٦) .

(٣) انظر المغني لابن قدامه (١/١٢١) ، وحلية العلماء (١/٧٠) .

(٤) وانظر المغني (١/١٢١) . وحلية العلماء ونسبه لمالك وأحمد وداود وأبو ثور (١/٧٠).

قوله : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ ﴾ إذا أردتم ولو لم يكن معناه ذلك لم يكن لذكره فائدة . وقال بعضهم [١] : الآية تقتضي الترتيب ،لأن الفاء [٢] في قوله: ﴿ فَٱغْسِلُواْ ﴾ تقتضي ترتيب غسل الوجه على القيام ، فإذا ثبت ترتيب الوجه على القيام ثبت في غيره لأن أحداً لم يفصل ، وليس ذلك [٣] بشيء فإن الفاء وإن كانت تقتضي الترتيب فإنما اقتضى ذلك في الجملة لا في البعض ، و لم يقتضي ترتيب الأعضاء والمأمور بغسلها بعضاً على بعض ، والأظهر أن الترتيب اقتضاه قول النبي ﷺ: (**ابدأوا بما بدأ الله به**) [٤] وفعله الذي فعله تبياناً للآية، وقد رتب ثم قال : (**هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به**) [٥]، والمرفقان داخلان في الغسل بدلالة

---

(١) ذكر هذا الرأي ابن قدامة ونسبه للشافعي وأبي ثور وأبي عبيد ورجح هذا الرأي حيث قال:
١- في الآية قرينة تدل على أنه أريد بها الترتيب فإنه أدخل ممسوحاً بين مغسولين والعرب لا تقطع النظير عن نظيره إلا لفائدة والفائدة لهذا الترتيب .
٢- أن الآية سيقت لبيان الواجب ولهذا لم يذكر فيها شيئاً من السنن ولأنه متى اقتضى الترتيب كان قولاً به والأمر يقتضي الوجوب.
٣- لأن كل من حكى وضوء النبي صلى الله عليه وسلم حكاه مرتباً وهو مفسر للقرآن الكريم. انظر المغني بتصرف يسير (٨٧٧/١).

(٢) انظر الإتقان (٢٤٧/٢) .

(٣) وهو رأي الثوري من أصحاب الرأي وأحمد وأحد قوليه وإليه ذهب الراغب . انظر المغني (١٥٢/٨) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في ،كتاب الحيض ، باب كيف تهل الحائض بالحج والعمرة رقم(٣١٩) وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام رقم (١٣١١).قال الرازي وإن كان هذا الخبر ورد في قصة الصفا والمروة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب انظر تفسيره (٣٠/١١).

(٥) أصل الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ واحدة واحدة فقال: (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به).ثم توضأ ثنتين ثنتين ...)ورواه الطبراني في الأوسط من طريقين الأول من

ما روي من الأخبار [(١)] ، وظاهر الآية تقتضي مسح الرِجل لولا ما روي في ذلك من الأخبار سواء قرئ بالنصب أو بالجر [(٢)] ، وذاك أنه إذا نُصِبَ فهو كقوله

=

طريق بريدة رضي الله عنه والثاني من طريق معاوية بن قرة عن أبيه عن جده (٣١٠/١). قال الهيثمي في الطريق الأول وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف والثاني قال فيه عبد الرحيم بن زيد وهو متروك ،وأبوه مختلف فيه .انظر المجمع رقم(١١٧٤)،(١٢٣٠). قال الحافظ ابن حجر حديث أبي بن كعب ضعيف أخرجه ابن ماجه وله طرق كلها ضعيفة انظر الفتح(٢٣٣/١).وتلخيص الحبير (٥٧/١-٨٣)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٨٢/٢). وتفسير ابن كثير (٥٠/٢).
أخرجه ابن ماجه في سننه ،كتاب الطهارة ، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه رقم(٤٢٢). وأخرجه الدار قطني في سننه (٨٠/١).
قلت: هذا الحديث له شواهد في الصحيح فمن ذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ((غسل الرجلين في وضوء إما مرة أو مرتين أو ثلاث ...)) .
أخرجه البخاري في صحيحه في ، كتاب الوضوء ، باب الوضوء مرة مرة رقم (١٢٨) عن ابن عباس، و باب الوضوء مرتين مرتين رقم (١٢٩) عن عبدالله بن زيد ،و باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً رقم (١٣٠) عن عثمان بن عفان .

(١) انظر الأم (٤٠/١) وهو مذهب عطاء ومالك والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي .
ما روي عن جابر قال : كان النبي ﷺ إذا توضأ أدار الماء إلى مرفقيه . وهذا بيان للغسل المأمور به في الآية . أخرجه الدار قطني في سننه ، انظر المغني (١٣٨/١) .

(٢) من قرأ بالخفض : ابن عباس ، وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر الباقر وهو مذهب الإمامية من الشيعة ، ومكي وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر . انظر التخليص (ص/٢٤٩) . ومن قرأ بالنصب : نافع وابن عامر ، والكسائي ويعقوب وحفص ، انظر النشر في القراءات العشر (٢٥٤/٢) . دلالة القراءات : قال القرطبي في تفسيره (٦١/٦) : فمن قرأ بالنصب جعل الفاعل (اغسلوا) وبنى على أن الفرض في الرجلين الغُسل دون المسح ، وهذا مذهب الجمهور وهو الثابت من قبل النبي ﷺ ، ومن قرأ بالخفض جعل الفاعل (الياء) ، قال ابن العربي اتفق العلماء على وجوب غسلهما وما علمت ذلك سوى الطبري من فقهاء المسلمين والرافضة . وذهب ابن عطيه والقرطبي أن قرأه الخفض يراد به الغسل قال : وهو الصحيح ، فإن لفظ المسح مشترك يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى الغسل . انظر اللسان باب مسح . وأما الأخبار الواردة في الغسل فهي : ١- أن عبد الله بن زيد وعثمان حكيا وضوء

مررت بزيد وعمرواً, وروي أن النبي ﷺ كان يتوضأ لكل صلاة ، فلما كان يوم فتح مكة مسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد ، فقيل له : في ذلك . فقال : (عمداً فعلت) (١) وظاهر أول الآية أن كل صلاة تقتضي الطهارة لكن لما شرط في البدل (٢) وهو التيمم فقال : ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ عُلم أن ذلك شرط في المبدل أيضاً (٣) ، ولأن الإجماع على أنه لا يجب الوضوء لكل صلاة ما لم يحصل حدث (٤) وقد استحب تجديد الوضوء لكل صلاة من أجل ظاهر اللفظ ، ولأن النبي ﷺ قال : **(الوضوء على الوضوء نور على نور)** (٥)، وقال : **(لولا أن أشق على أمتي لأمرت في كل**

=

رسول الله ﷺ قالا :فغسل قدميه وفي حديث عثمان قال ثم غسل كلتا رجليه ثلاثاً (متفق عليه) ، وفي لفظ ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً ثلاثاً ثم غسل اليسرى مثل ذلك .
٢- عن عمر رضي الله عنه : (أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر من قدمه فأبصره النبي ﷺ فقال : إرجع فأحسن وضوءك) . أخرجه مسلم . ٣- وحديث عائشة وأبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (ويل للأعقاب من النار) . متفق عليه .

(١) أخرجه مسلم من حديث بريدة ، كتاب الطهارة ، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد رقم (٨٦/٢٧٧).

(٢) الذي في الأصل (البدن) والصواب ما أثبته لأن السياق يقتضيها ولعله تصحيف .

(٣) ونجد أن الراغب رحمه الله يرد على أهل الظاهر حيث قالوا:أنه يجب الوضوء لكل صلاة واستدلوا بظاهر لفظ الآية وقد نسب الرازي هذا الرأي لداود الظاهري انظر تفسيره(٢٨٧/١١).

(٤) انظر إجماع العلماء من السلف والخلف على عدم وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة في موسوعة الإجماع لابن تيمية (ص/٣٣).

(٥) الحديث ذكره الغزالي في الأحياء ، فقال مخرجه ، لم أقف عليه انظر إحياء العلوم (١٢٠/١)

=

صلاة بالوضوء) (١) . وقوله :﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ وهو كقوله : ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ﴾ (٢) والجنابة بإنزال الماء أو بإلتقاء الختانين (٣) ، وقوله : ﴿ فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ أي تطهروا فأدغم فسكن تاء [٣١٨/أ] الفعل وأدخل عليه ألف الوصل (٤) . وقوله : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ أي مَرَضاً يمنع من استعمال الماء (٥) ﴿ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ أي سفراً (٦) يُعدم فيه الماء وظاهر اللفظ يقتضي قليل السفر وكثيره ولكن الأخبار خصته. وملامسة

=

، وسبقه لذلك الثوري وقال ابن حجر إنه حديث ضعيف رواه رزين في مسنده انظر الفتح (١/ص٣٤) .

(١) أخرجه أحمد في مسند (٢/٢٥٨) . والطيالسي في مسنده (٨٠٥) . وفي مجمع الزوائد قال الهيثمي رواه أحمد في مسنده وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو ثقة حسن الحديث انظر رقم(١١١٨).

(٢) سورة النساء آية (٤٣) .

(٣) الحديث الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم:(إذا قعد بين شعبها الأربع ثم حس الختان الختان ،فقد وجب الغسل)فيجب الغسل على الواطئ والموطوءة بالإيلاج ولو لم يحصل إنزال لهذا الحديث ولإجماع أهل العلم ،انظر الملخص الفقهي للفوزان (١/٤٧).

(٤) وهي قراءات الجمهور، أنظر النشر (٢/٢٥٥) كما ذكره صاحب البحر المحيط (٣/٤٥٢) .

(٥)كأن لا يقدر على الحركة أو لا يجد من يناوله الماء فهو كالعادم أو خاف زيادة المرض وهو قول أبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه ،وأما أحمد فروي عنه أنه لا يبيحه إلا خوف التلف وهو القول الآخر للشافعي.انظر المغني لابن قدامة رقم(٣٣٩).

(٦) والقول بالخصوص يدل على أن الراغب يميل إلى تخصيص السفر بمدة معينة. وانظر كتاب المسافر لأحمد الكبيسي (ص/٣٢) وأقوال العلماء في ذلك.

النساء [١] كناية عن الجماع عند عامة الصحابة ، وذكر عن ابن عمر : آية اللمس بأي موضع كان من البدن [٢] ، وإليه ذهب الشافعي [٣] ، وقال قوله : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً ﴾ يقتضي أن يطلب ، لأن عدم الوجود يقتضي الطلب ، وظاهر الآية تقتضي أن لا يجوز التيمم إلا بعد عدم قليل الماء وكثيره [٤] ، ومستعمله وغير

---

(١) وهذا قول ابن عباس أن اللمس والمس والغشيان الجماع ، ولكنه عز وجل يكني نقله عنه القرطبي (٦/٧) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس وعطاء وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير وانظر (٥/١٠٢) .

(٢) وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/١٠٥) وقد رجح القول الأول ، انظر قول ابن عمر في تفسير ابن كثير (١/٧٦٠) . وذكره القرطبي في تفسيره (٦/٧٠) .

(٣) انظر قول الشافعي في الأم قال المسيس هو الإصابة (٥/٢٣٠) .

(٤) والمعنى أنه إذا وجد قليل الماء فإنه يجب عليه استعماله وإلى هذا ذهب داود وحكاه ابن الصباغ عن عطاء والحسن وهو القول الأول للشافعي وقد رجحه ابن قدامة في المغني رقم(٣٣٦).وأما القول الثاني: وهو أنه إذا وجد قليل الماء فلا يجب عليه إلا التيمم:وإلى هذا ذهب الشافعي في القول الثاني له، وهو المختار عند المزني ،ورواية عن أحمد والثوري والأوزاعي وابن المنذر وقال البغوي: وهو قول أكثر أهل العلم. وفي الرد على الفريق الأول قلت:وقد تكلم في هذا الدكتور أحمد الكبيسي في كتابه المسافر وقال:والمسألة ليس فيها نص صريح يقطع النزاع بين الفريقين ،ولكن لو قلنا يتيمم بعد استعمال الماء في بعض الأعضاء كان فيه رفض الأصل بالبدل وهو غير صحيح ،لأنه جمع بين فريضتين ،والشارع لم يوجب إلا فريضة واحدة ،الوضوء عند تيسر الماء ،والتيمم عند انعدامه ،وفي إيجاب الفريضتين حرج ومشقة بالإضافة أنه لا يكون إلا بموجب ،ولا موجب صريح في كتاب ولا سنة ... ثم قال:وأما القياس في أن من أصابته مخمصة ومعة لقمة حلال فلا يسوغ له أكل الميتة إلا بعد أن يتناول تلك اللقمة وهذا القياس غير مسلم به ثم رجح قول من قال إذا عدم الماء وجب التيمم وإن كان هناك ماء قليل وذلك لأنه يتناسب مع يسر الدين وسماحته انظر كتاب المسافر ص(٤٤).

مستعمله [1] لكن استثنى المستعمَل ،بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [2] ولا خلاف أن ذلك يقتضي الماء المطلق ،إلا عند الأصم [3]، فإنه أجاز التوضيء بماء الورد وما يجري مجراه في الرقة [4] ، وقوله: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أي تراباً [5] . وقيل : وجه الأرض ، وإن لم يكن عليه التراب [6] ، وقوله : ﴿ مِّنْهُ ﴾ يقتضي ما قاله الشافعي أنه يجب أن يعلق باليد منه

---

(١) ومعنى مستعمله:هو الماء الذي انفصل عن أعضاء المتوضئ والمغتسل فيه وغيره وما في معناه فمنهم من أجاز المستعمل من الماء :وإلى هذا ذهب مالك وداود قالا: الماء المستعمل في الوضوء يبقى طاهراً طهوراً وهو القول الأول للشافعي وأحمد في رواية له .
وأما القول الثاني :وهو كونه طاهر غير طهور ،وهو قول محمد بن الحسن ،والحنابلة ،وأما القول الثالث لأبي حنيفة أنه نجس . وقد رجح ابن قدامة في المغني القول الأول واستدل بالأدلة من السنة. انظر رقم (٣٣٦).

(٢) سورة الفرقان بعض آية (٤٨) .

(٣) الأصم: هو عبد الرحمن بن كيسان مولى خالد بن أسيد ،عده ابن حجرمن طبقة أبي هذيل العلاف له تفسير على طريقة المعتزلة توفي سنة ٢٠٠ هـ وقيل ٢٠١ هـ أنظر طبقات المفسرين (١/٢٧٤) . ولسان الميزان (٣/٤٢٧) .

(٤) ذكر هذا الرأي ابن قدامه في المغني (١/٣٩)، وقد رد هذا الرأي وقال: لأن الطهارة إنما تجوز بالماء وهذا لا يقع اسم الماء بإطلاقه وذكره أيضاً الرازي في تفسيره (١٢/٣١٢)ونسبه للأوزاعي أيضاً وضَعّف قولهم وقال: لنا أن عند عدم الماء أوجب الله التيمم ،وتجويز الوضوء بسائر المائعات يبطل ذلك.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ونسبه للشافعي وأبي يوسف وعلي رضي الله عنهم انظر تفسيره (٥/٥٣)،وأخرجه ابن جرير عن عمرو بن قيس انظر جامع البيان (٥/١٠٩)،ونسبه أبو حيان في تفسيره لأبي عبيدة والفراء انظر البحرالمحيط (٣/١٥٤).

(٦) ذكره القرطبي ونسبه للخليل وابن الأعرابي والزجاج ، وانظر تفسيره (٣/١٥٤)والراجح في معنى الصعيد الطيب ما ذكره ابن جرير وهو أنه يراد به وجه الأرض الخالية من الغرس والبناء انظر تفسيره (٥/١٠٦)وكذا رجحه ابن قدامة في المغني رقم (٣٥٢) ، وقال أبو حيان بعد

شيء (١) ، وقوله : ﴿ طَيِّبًا ﴾ أي طاهر(٢) والطيب في وصف الأرض ما ليس بسبخ (٣)، بدلالة قوله : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ (٤)، وقوله : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ منهم من اعتبر ذلك في الدنيا ، وقال : ظاهره يقتضي أنه لا يريد أن يتطهروا ويغتسل مع الخوف على النفس من الشدة والضنى . وقائل(٥) ذلك يقتضي بطلان [قول] (٦) من يوجب الغسل من الجنابة مع المرضى (٧) ، ومنهم من

=

عرض الأقوال في المغني :بحمل الإجماع هذان يتيمم بتراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب انظر (٣/٢٧٠) قلت:وبالرجوع إلى لسان العرب في معنى كلمة الصعيد قال: الصعيد تربة طاهرة ومنه قوله:صعيداً طيباً.يتضح صحة ما رجحه إليه جرير وغيره انظر اللسان مادة(صعد) .

(١) ذكر هذا القول أبو حيان في تفسير (٣/٤٥٣)،وانظر المغني لابن قدامة رقم(٣٥٥)ونسبه للشافعي في رقم (٣٥٦) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/١٠٩) .

(٣) السبخ:أرض ذات ملح، وجمعها سباخ، انظر اللسان مادة سبخ ، وقد نسب هذا الرأي أبو حيان في تفسير لمالك وأبو حنيفة والثوري انظر تفسيره(٣/٢٧٠).

(٤) سورة الأعراف أية(٥٨)، وقد رجح الراغب قول الشافعي وأحمد بأن التراب لابد له من غبار يعلق باليد حيث استدل بلفظة (من) قال ابن قدامة:و (من) للتبعيض فيحتاج أن يمسح بجزء منه والنفخ لا يزيل الغبار الملاصق.

وأما القول الثاني فهو لمالك وأبي حنيفة حيث أجاز التيمم بما لا غبار عليه انظر المغني رقم(٣٥٥).

(٥) في الأصل (وقال) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٦) (قول) أضفتها لأن السياق يقتضيها ولعلها ساقطة سهوا .

(٧) مسألة استعمال الماء في المرض:

١/من قال لا يجب عليه الوضوء إذا خاف الضرر وعليه التيمم وهو قول أكثر أهل العلم.

٢/ومن قال أنه يجب عليه الوضوء وإن خاف الضرر وهو قول عطاء والحسن ،قلت: وقد رجح

=

قال [١] : معنى ذلك لا يعتبروا الجهل والمشقة في هذه العبادات بالحال الظاهرة ، واعتبروا بالمال فإن ذلك ذريعة إلى تطهير نفوسكم ،وما يفضي بكم إلى النعيم المعد لكم ،لتعلموا أنه لم يرد حرجاً بما أوجبه عليكم، فإنكم إذا اعتبرتم ذلك شكرتم الله على ما طلعكم وعلمتم أن ذلك ليس بحرج ومشقة حملكموها، ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [٢] وقوله : ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ يعني الطهارة من الذنوب [٣]، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (**إذا توضأ العبد فغسل وجهه خرجت ذنوبه من وجهه وإذا غسل يده خرجت ذنوبه من يده**) [٤] وذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وقد حُمل على ذلك قوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [٥] . قوله عز وجل :

=

ابن قدامة القول الأول واستدل بقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُم ﴾ وحديث عمرو بن العاص حين تيمم في البرد وحديث صاحب الشجة انظر المغني (١/٢٧٠).

(١) ذكره ابن جرير ونسبه لابن عمر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم انظر جامع البيان (١١٢/٦) .

(٢) سورة البقرة آية (١٨٥) .

(٣) أشار إلى مثل هذا المعنى أبو حيان في تفسيره (٤٥٢/٣) . والقاسمي في تفسيره (٧٢/٦) .

(٤) وأصل الحديث: (إذا توضأ العبد المسلم ، أو المؤمن فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء .....) أخرجه مسلم في صحيحه في، كتاب الطهارة باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء(٢٤٤/٣٢).وأخرجه ابن جرير بمثل هذا المعنى في تفسيره (١٣٩/٦).

(٥) سورة المدثر آية (٤) .

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ [٣١٨/ب] سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [(١)] الميثاق :العهد المستوثق منه [(٢)] وميثاق الله تعالى : المأخوذ من عباده على أضرب : الأول : ما أخذه عليهم بالفطرة : وهو ما رَكَزَه فيهم من المعارف [(٣)] . الثاني : ما أخذه عليهم بما أفادهم من العلوم المكتسبة . الثالث : ما أخذه عليهم ببعثة الأنبياء وإلزامهم بالشرائع . الرابع : ما يلزم بعضهم عن بعض بما يجب عليهم الوفاء به،وقد حمل الآية على كل ذلك [(٤)] وقوله :﴿ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا ﴾ تفسير الميثاق الذي أخذه ، ووجهه ذكر النعمة [(٥)] . والميثاق بعد أصحاب الطهارة تذكير

---

(١) سورة المائدة آية (٧) .

(٢) انظر اللسان مادة وثق : والثِقَةُ مصدر قولك وَثِقَ به يثق ، بالكسر عليها ، والمَوْثِقُ : الميثاق والمُواثقةُ : المعاهدةُ ، والميثاق : العهد ، مِفْعَال من الوَثاق وهو في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسير أو الدابة .

(٣) نسبه لمجاهد ، القرطبي في تفسيره (٧٢/٦) ، وابن عطية في المحرر (١٦٤/٢) ، ونسبه الرازي لمجاهد والكلبي ومقاتل انظر التفسير الكبير (٢١٩/١١) ، وانظر فتح القدير (٦٩/٢) .

(٤) وقد ذكر العلماء مواثيق الله على عبادة مع إختلاف يسير فيها . انظر معارج القبول (٤٨/١) والبحر المحيط (١٥٥/٣) ، والتفسير الكبير (٣١٨/١١) ، والمحرر الو جيز (١٦٤/٢) ،وابن جرير (١٤١/٦) ، وقد رجح ابن جرير أنه الميثاق الذي واثق به المؤمن من أصحاب رسول الله ﷺ حين بايعوه على السمع والطاعة والمنشط والمكره . والله أعلم . ثم قال وإنما قلنا بذلك لأن الله جل ثناؤه ذكره تعقيبا كتذكير المؤمنين بالميثاق الذي واثق به أهل التوراة بعدما أنزل كتابه على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام فيما أمرهم به وينهاهم عنه . وقد ذكر ابن عطيه : أن الميثاق المذكور هو الذي وقع للنبي ﷺ في بيعة العقبة وبيعة الرضوان وكل موثق قال الناس فيه سمعنا وأطعنا وهو قول ابن عباس والسدي ، انظر المحرر (١٦٥/٢)

(٥) انظر الشوكاني في تفسير (٦٩/٢) ذكر بمثل هذا المعنى .

للنقمة ، وتأكيد لوجوب طاعته . وإن قيل : لما قال : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل نعم الله ، قيل :لفظ الواحد في هذا الموضع أبلغ ففيه تنبيه أن في ذكر نعمة واحدة شغل عظيم مع أن لفظ الواحد في نحوه يقتضي الجنس . وذكر نعمته هو شكرها [١] . وقوله : ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ أي يقوي الإنسان من العقل والفكر والتخيل الغضب والشهوة [٢] . وذكر الذات [٣] للمبالغة وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [٤] وقوله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ

---

(١) انظر الرازي في تفسيره (٣١٩/١١)حيث قال وإنما قال ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل نعَم الله ، لأنه ليس المقصود منه التأمل في إعداد نعم الله ،بل المقصود منه التأمل في جنس نعم اَلله ،لأن هذا الجنس جنس لا يقدر عليه إلا الله ،فمن الذي يقدر عليه إعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون من الآفات والإيصال إلى جميع الخيرات في الدنيا والآخرة .

(٢) هذا تفسير لم أقف عليه عند غير الراغب وقد ذكر العلماء في كتبهم غير هذا قال ابن جرير في تفسيره (١٤١/٦) :- إنه وعيد من الله جل إسمة للمؤمنين الذين أطاعوا برسوله ﷺ من أصحابه ، وتهديداً لهم أن ينقضوا ميثاق الله الذي واثقهم به في رسوله .... وقال أبو حيان في تفسيره (٤٥٤/٣) :- أي اتقوا الله ولا تتناسوا نعمته ، ولا تنقضوا ميثاقه . وكأن الراغب رحمه الله يريد أن الإنسان إذا علم أن صفة الله هذه فإنه أحرى به أن يراقب نفسه في جوارحه فلا يؤتي منها إلا ما يرضي الله ، ولله أعلم .

(٣) الذي في الأصل (اللذات) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف.

(٤) سورة هود آية (٥) .

عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ [٣١٩/أ]
خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (١) . ﴿ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾ أي خلفاءه شهداء بالعدالة (٢) ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾ (٣) وذلك يقتضي الشهادة لحقوق الناس كما قال الحسن (٤) : وعلى قومهم فبما يخالفون أمر الله فيه ، كما قال غيره : و لأمر الله أنه حق (٥) . كما قال الزجاج (٦) . وقيل :معنى الشهادة الحضور أي كونوا في جميع ما يتحرونه مشاهدين لله (٧) . كما قال عليه الصلاة والسلام : (إن لم تكن تراه فإنه يراك) (١)، وعدي قوله ﴿ وَلَا

(١) سورة المائدة آية (٨) .

(٢) انظر اللسان مادة قوم ، انظر البحر المحيط (٣/٣٨٥) ، وجامع البيان (٦/٣٢١) .

(٣) سورة النساء آية (١٣٥) ولعل الراغب رحمه الله تعالى أراد أن يُبيِّن الفرق بين الإثنين فالتي في سورة النساء تقدم لفظ القسط بدئ به وذلك لأنه جيء في معرض الإقرار على نفسه ووالديه وأقاربه فبدئ فيها بالقسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة، والشيء هنا: جيء بها في معرض ترك العدواة فبدئ فيها بالأمر بالقيام لله، لأنه أردع للمؤمنين ثم ثنى بالشهادة بالعدل، فجيئ في كل معرض بما يناسبه.انظر:الدر المصون (٤/٢١٨)، والرازي في تفسيره (١١/٣٢١)، والبحر المحيط (٣/٤٥٤).

(٤) ذكره الجصاص في تفسيره انظر (٤/٣٩). ونسبه أيضاً للحسن.

(٥) وذكره الجصاص في أحكام القران (٤/٩٣) ولم ينسبه، وذكره الرازي ونسبه لعطاء بغير هذا اللفظ انظر تفسيره (١١/٣٢٠).

(٦) لم أقف عليه في معاني القران للزجاج انظر(٢/١٥٦)، وقد نسب الرازي له قولاً آخر قال: قال الزجاج :المعنى تبينون عن دين الله ،لأن الشاهد يبين ما يشهد عليه. انظر تفسيره (١١/٣٢٠).

(٧) لم أقف على هذا القول عند غير الراغب .

الصلاة والسلام : (**إن لم تكن تراه فإنه يــــراك**) [١]، وعــدي قولــه ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ بعلــى حمــلاً علــى معــنى لا يحملنكـــم [٢] . وقولـــه : ﴿ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ أي على ترك العدالة وذلك قريب من قولـــه : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ [٣] فالاعتداء قريب من قوله : ﴿ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ لكن قوله : ﴿ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ أبلغ .

وقوله : ﴿ هُوَ ﴾ أي العدل فأضمر المصدر لدلالة الفعل عليه كقولهـــم :- مـــن كذب كان شراً له أي الكذب شراً له [٤] ، أن قيـــل كيـــف قـــال : ﴿ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ . وأفعل إنما يقال في شيئين أُشْرِكا في معنى واحد لأحدهما مزيـــة . وقد علمنا أن لا شيء من التقوى ومن فعل الخير إلا هو من جملة العدالة !. فمـــا معنى قوله : ﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ قيل: إن أفعل وإن كان كما ذكرت ،فقد يستعمل على تقدير بناء الكلام على اعتقاد المخاطب في الشيء ،لا على ما عليـــه من حقيقة الشيء في نفسه ،قطعاً لكلامه وإظهار التبكية، فيقال لمن أعتقد مثلاً في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلـــى الله عليـــه وسلم في الحديث(٥٠) ،وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان، ، باب بيـــان الإيمـــان والإسلام والإحسان رقم الحديث (١٠/٧) ،وفي باب تعريف الإسلام ص(١٦٧).

(٢) وقد ذكر أبو حيان في تفسيره أن سبب التعدية بـــ (على) هو بتأخير ذكر العدواة ومناســـبة مجاورتها للفظ القسط ثم قال إلى أن يتضمن معنى ما يتعدى بها وهو خـــلاف الأصـــل انظـــر تفسيره بتصرف(٣/٤٥٥).

(٣) سورة المائدة آية (٢) .

(٤) وقد ذكر القاسمي مثل هذا القول انظر تفسيره (٦/٧٣) ،وكذا ذكره قبل هذا المعنى الســـمين الحلبي في الدر المصون(٤/٢١٨).

زيد فضلاً وإن لم يكن فيه فضل ولكن لا يمكنه أن ينكر أن عمروا أفضل منه ، فقال أجزم عمروا فهو أفضل من زيد [١] ، وعلى ذلك قوله تعالى :﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٢] وقد عُلِم أن لا خير فيما يشركون بوجه والآية نزلت [٣] في يهود احتالوا النبي ﷺ وقيل : في قريش لما صدوا المسلمين . فأمر الله تعالى المسلمين [٤] ألا يتركوا معهم مع ذلك استعمال العدالة ، إن قيل :كيف تصور الظلم وقد أُبيح للمسلمين أن يقتلوهم ويسبوهم ويسلبوهم وقيل :كل ذلك أُبيح لهم على وجه دون وجه ،متى أُخِل لمراعاة الحكم المسنون في شيء من ذلك، فهو ظلم بل متى فعل الإنسان بالكافر مع ما أمر أن يفعل به قصداً إلى التشفي منه تحرياً لأمر الله ، ففي ذلك تعدياً فأوجب الله تعالى تحري العدالة مع كل محق ،ومبطل وإقامة الشهادة بالحق في كل أمر ، وبين الله أنه تعالى عالم بما يتحرونه ، ولا يخفى عليه خافي . قوله عز وجل : ﴿ وَعَدَ [٣١٩/ب] ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [٥] . في قوله : ﴿ مَّغْفِرَةٌ ﴾ وجهان : أحدهما : أن يكون في موضع مفعول وعد الله [٦]

---

(١) انظر المقتضب للمبرد (٣/٢٠٣-٢٠٥-٢٥٧) .

(٢) سورة النمل آية (٥٩) .

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (ص/١٢٨) ،وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/١٤٢).

(٤) وذكر الشوكاني سبب النزول في تفسيره (٢/٢٠) ، وذكره الرازي أيضاً في تفسيره (١١/٣٢٠).

(٥) سورة المائدة آية (٩) .

(٦) والمعنى أنه قال أولاً (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فكأنه قيل:وأي شيء وعدهم ؟ فقال: (لهم مغفرة وأجر عظيم).

كقول الشاعر [١] :

وَجَدْنا الصَّالِحينَ لَهُمْ جَزَاءاً وَجَنَاتٍ وَعَيْناً سَلْسَبِيلا

فجعل قوله : ﴿ لَهُم ﴾ جزاء في موضع المفعول به وعطف على موضعه قوله : ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ بالنصب والثاني أن مفعول وعد محذوف [٢] ، وقوله : ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ ﴾ تفسير له وعلى كلا [٣] التقديرين لا يختلف المعنى .قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [٤] ذلك استئناف كلامهم متضمن للوعيد بتضمن الآية الأولى للوعد [٥] . قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن

=

ذكر ذلك الرازي في تفسيره (١١/٣٢١)،والسمين الحلبي في الدر المصون (٤/٢١٨)،ونسبه للزمخشري، ثم قال: وعلى هذا فلا محل لها من الإعراب وهذا أولى لأن تغيير الملفوظ به أولى من ادعاء تغيير شيء محذوف وانظر قوله في الكشاف (١/٥٩٨).

(١) هذا البيت للأخطل واسمه/غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو من بني تغلب أبو مالك شاعر اشتهر في عهد بني أمية بالشام ،نشأ على المسيحية ، انظر ترجمته في الأعلام (٥/١٢٣) ،ودائرة المعارف(١/٥١٥).في قصيدة يمدح بها بني مروان ويهجو جريرا. انظر البيت في ديوانه ص(١٧٨)،وتفسير القرطبي (٦/٧٤) ،وشواهد القرطبي (٣/٩٢).والدر(٦٤١)، شواهد المحتسب (٢/١٨٨)، أمالي الشجري (١/٣٦٨)، المغني (٢/٢٠٢)، تثقيف اللسان (٦٠) ، والأشموني (٢/٧١). لحن العامة (٩٢).

(٢) أي أن الجملة منصوبة بقول محذوف كأنه قيل وعدهم وقال لهم مغفرة. انظر الدر المصون (٤/٢١٨)، والرازي في تفسيره(١١/٣٢١) .

(٣) والذي في الأصل (على كان)والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف.

(٤) سورة المائدة آية (١٠) .

(٥) ذكر ذلك السمين الحلبي في الدر المصون (٤/٢١٩)، والبحر المحيط (٣/٤٥٥) .

يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [1] قيل عن قوماً من اليهود هموا بقتل النبي ﷺ **وروي : (أن يهودياً انتهى إلى النبي ﷺ فسل سيفه وقال من يصونك مني** [2] ، **فقال النبي ﷺ : الله ، فشام** [3] **سيفه وأذعن له)** [4] . وذكر نعمة الله لشكره [5] وقد تقدم ذلك [6] ونبه بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أنه

---

(١) سورة المائدة آية (١١) .

(٢) الذي في الأصل (عني) والصحيح ماأثبته ولعله تصحيف .

(٣) فشام سيفه :أي أوصله إلى غمده انظر المجمل لابن فارس مادة شام .

(٤) اختلف في سبب نزول الآية (١١) من سورة المائدة .قال أبو حيان في تفسيره: روى أبو صالح عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش .وقال الحسن: بعثت قريش رجلاً ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال مجاهد وقتادة أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى يهود بني النضير ليستعين بهم في دية فهموا بقتله .
وقال جماعة من المفسرين:أتى بني قريظة ومعه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الصخري خطأ حسبهما مشركين...الخ. القصة ، وقيل نزل منزلاً في غزوة ذات الرقاع بني محارب بن حفصة بن قيس بن عيلان وعلق النبي صلى الله عليه وسلم سيفه وجاء أعرابي وسل سيف الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال: من يمنعك مني، قال: الله ،قالها ثلاث ،فشام سيفه... الخ. ثم انظر البحر المحيط بتصرف(٣/٣٥٦).

(٥) والذي في الأصل شكره بغير لام والصحيح ما أثبته لأن السياق يقتضيها.

(٦) تقدّم عند قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ﴾ [المائدة:٧]

لا يجوز للمؤمن أن يفزع إلى غير الله في شيء من أموره . قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١) النَّقْبُ كالثَّقْبِ لكن الثقب يقال لما قضى من الجانب الآخر والنَّقْبُ قد يقال له ولغيره وباعتباره قيل : النقبة لأول ما يبدأ من الجرب وقيل لضرب من السراويل نقبةٌ ، وكلب نقيبٌ مثقوب الحُنجرة لئلا يرفع صوته . والمناقب ما ينقب عنه من المفاخر والنقيب كالعريف (٢) يقال نقب وعرف وهو الذي عن أحوال الجيش . قال أبو عبيدة : هو الضامن على القوم (٣) . قال قتادة : هو الشاهد (٤) ، وقيل: هو فعيل في معنى مفعول وهو المختار (٥) ، وذلك إشارة إلى

---

(١) سورة المائدة آية (١٢) .

(٢) انظر اللسان مادة نقب ، النَّقْبُ : الثُقْبُ في الشيء والنِّقابُ والمِنْقَبُ ، والنَّقَابُ هو الرجل العلم أو العلامة ، والنقيب عريف القوم ، وجمعه نقباء ، والمجمل مادة نقب : النَّقَبُ والنَّاقِبَة ونَقَبَ القوم في البلاد اي ساروا ، والنقيب: شاهد القوم .

(٣) أخرجه ابن جرير منسوبا لابن عباس وغيره في جامع البيان (١٤٩/٦) . وعزاه السيوطي لابن جرير عن ابن عباس انظر الدر المنثور (٣٩/٣)

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٤٩/٦) ، وعزاه السيوطي في الدر لعبيد بن حميد وابن جرير وابن المنذر انظر (٣٩/٣) .

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ونسبه لأبي مسلم محمد بن بحر انظر (١٢٣/١١)، وكذا ذكره السمين الحلبي في الدر من غير نسبه انظر(٢٢٠/٤) وذكره أبو حيان ونسبه للأصم انظر البحر المحيط (٤٠٨/٣).

ما قال : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [١] . والمذكور في قوله : ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾ [٢] وأصل التعزير النصرة إما بأن لا يَظلم أولا يُظلم[٣].كما قال عليه الصلاة والسلام :(**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً،فقال بعضهم :- أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ فقال: تمنعه من الظلم**)[٤].وتعزير[٥] السلطان سمى بذلك كما سمى التأديب ، وإقراض الله عبارة عن كل إنفاق محمود أوجبه أو ندب إليه [٦]،وسمى ذلك قرضاً تلطفاً [٧] بعباده وأن

---

(١) سورة الدخان آية (٣٢) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٦٠) .

(٣) انظر اللسان مادة عزر ، وأصل التعزير : المنع والرد ، فكأني من نصرته رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه ، والعَزْرُ في اللغة الرَّدُّ والمنع . انظر معاني القرآن للنحاس (٢٨٠/١) ، والزجاج (١٥٩/١) ، وانظر الكشاف (٦٠٠/١) ، والقاسمي في تفسيره(٨٢/٦) ، والشوكاني في تفسيره (٢١/٢) .

(٤) ومن رواية أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب لإكراه ، باب عين الرجل لصاحبه الحديث (٦٩٥٢) وقال الخطيب التيرزي في مشكاة المصابيح (٣٨٥/٣) عقب هذا الحديث (متفق عليه) والصواب أن البخاري تفرد بإخراجه من رواية أنس رضي الله عنه ، لكن مسلم أخرجه بمعناه من رواية له عن جابر رضي الله عنه في صحيحه كتاب البر ، باب نصر الأخ الحديث (٢٥٨٤/٦٢) .

(٥) الذي في الأصل(تعزراً)والصحيح ما أثبته.

(٦) غير أن أبا حيان خالف الراغب في هذا فقال في تفسيره بتصرف (٤٦٠/٣) : إيتاء الزكاة : هو الواجب وهذا القرض هو المندوب ، ثم قال : وقد قرن هذا الإقراض بالنفقة في سبيل الله وبالنفقة على الأهل والزكاة ، وفيه بُعد لأنه تكرار ، ووصفه بحسن ، إما لأنه لا يتبع بمَنٍ ولا أذى . وكذا قال الرازي في تفسيره (٣٢٤/١١) ، هو في المندوب وإليه ذهب أكثر المفسرين .

(٧) وفي الأصل (تلفظاً) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف.

ما يطلبه منهم مع كونه في الحقيقة مُلكاً له تعالى ، يأخذه ليرد عِوَضه خيراً منه ، وعلى ذلك : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (١) والقرض: اسم للمقرض كالعطاء في كونه اسم للمُعْطى وقيل : هو موضوع موضع الإقراض (٢) ،كقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (٣) . ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ﴾ أي ضمن نصرتكم (٤) . وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يتصل به قوله : ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وقوله : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ﴾ . جملتان فصل بهما بين الكلامين المتصلين على سبيل الاعتراض المؤكد للكلام (٥)، وقال : ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي إن أديتم الفرائض ونصرتم الرسل وأنفقتم في سبيل المكارم، تجوفي عن ذنوبكم ومكنتم من الجنة ، ومن كفر بعد أخذ الميثاق فقد ضل عن الصراط المستقيم . قوله عز وجل : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ

---

(١) سورة البقرة آية (٢٤٥) .

(٢) قال صاحب اللسان في مادة قرض بتصرف ، القرض :- القطع ، والقرض اسم ولو كان مصدرا لكان إقراض ولكن قرضاً هنا اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء ، فأما قرضته أُقْرِضه قرضاً فجازيته انظر المجمل لابن فارس مادة قرض ، أساس البلاغة للزمخشري مادة قرض .

(٣) سورة نوح آية (١٧) .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥٠/٦) ، وانظر البحر المحيط (٤٦٠/٣) ، وتفسير الشوكاني (٢١/٢) .

(٥) انظر البحر المحيط (٤٦٠/٣) ، وكذا ذكره السمين الحلبي في الدر (٢٢١/٤) ولم ينسبه.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١) الآية . قد تقدم ذكر نقض الميثاق وقلوبهم قاسية (٢) هي كقوله : ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(٣) . وقرأ قَسِيَّةً وقيل هي فعيله منه(٤) ، وقيل : معناه ليست بخالصة الإيمان من قولهم درهم قسي إذا خالطه غِشِّية الخائنة ، قيل : مصدر كالخيانة . [٣٢٠/ب] نحو عوفي عافية والمؤتفكات بالخاطئة ، وأهلكوا بالطاغية .وقائله بمعنى قيلولة . وقيل معناه: تطلع على جماعة خائنة (٥) ، وقيل : على رجل خاص كقوله راوية وداعية ونابغة قال الشاعر (٦) :-

---

(١) سورة المائدة آية (١٣) .

(٢) تقدم في سورة النساء آية (١٥٥) . انظر الرسالة ص (٢١٧) .

(٣) سورة البقرة آية (٧٤) .

(٤) القراءة بغير ألف مع التشديد لحمزة والكسائي ، انظر النشر في القراءات العشر (٢٥٤/٢) ، للتلخيص في القراءات الثمان (٢٤٩) . ونسبه البحر المحيط لعبد الله وحمزة والكسائي (٤٦١/٣) ، والكشاف (٦٠٠/١) ، وقد رجح الطبري هذه القراءة انظر (١٥٥/٦) . وكذا النحاس في معاني القران (٢٨١/٢) .

(٥) ذكر بمثل هذا المعنى الزمخشري في الكشاف (٦٠٠/١) ، والطبري في جامع البيان (١٥٤/٦) .

(٦) البيت في اللسان مادة خون وصبغ ، ونسبه لأبي عبيد الكلابي يخاطب قريناً آخر عمير الحنفي . وكان له عنده دم وقال:

أَقرين إنك لو رأيت فَوَارِسي ... نَعَما يَسْبِتن إلى جَوَانبِ ضَلْفَعِ

حَدَثَتْكَ نَفْسُكَ بِالوفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ   لِلغَدرِ خَائِنةَ مُغِـــل الأُصْبُــعِ

إن قيل لما قال : ﴿ وَنَسُواْ حَظًّا ﴾ فنكّر . قيل للإنسان حظـــان : حـــظ دنيوي ، وحظ أخروي ، فأشار بقوله ﴿ حَظًّا ﴾ إلى الأخروي . ونبه بقوله : ﴿ مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ على أن الله قد ذكرهم ذلك بما وضع فيـــهم مـــن العقـــل وبما أنزل عليهم من الكتب فنسوه أي تركوه ، واستعارة لفظ النسيان لتركـــهم إياه[١] مبالغة في ذمهم وتمام القصة عند قولـــه : ﴿ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ ثم استأنف على ســـبيل الـــذم لهـــم ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ ﴾ وقولـــه : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ أمر بالعفو عما يضمرونه ، وقيل: أمر بالعفو عمن دخل في العهد . وقال قتادة :

ذلـــك منســـوخ[٢] بقولـــه : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا

=

حَـــدَّث نفســـك بالوَفـــاء ولم تكـــــن   للغَـــدْر خائنـــــةَ مُغِـــلّ الأصبُـــعِ

فقال خائنة وهو يخاطب رجلاً . وقال قبلها ورجل خائن وخائنه ، والهاء للمبالغة مثل علامـــة ونسّابه ثم أورد البيتين . ومُغِلّ : اسم فاعل من الإغلال ، وهو الخيانة . وضَلْفَع :- قادة بـــلاد بني فارس . وفي اللسان صلقع وهو تحريف وانظر الكشاف (١/٦٠٠) والجامع لأحكام القران للقرطبي (٦/٧٦) وشواهده (٢/٩٣) ، والمحرر (٢/١٧٠) وجامع البيان للطـــبري (٦/١٥٦) ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٦٠) .

(١) نسبه الطبري للحسن انظر تفسيره(٦/١٥٦) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/١٥٧) . ونسبه لقتادة ، وانظر الناسخ والمنســـوخ للنحـــاس (٢/٢٧٣).

﴿ بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [١] وقال غيره [٢] : بل بقوله : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [٣] . والوجه أن يكون أمر بالعفو عن المستبطن [٤] وعمن دخل في العهد فلا تكون [٥] منسوخة [٦] . قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [٧] . ذم النصارى بنقض الميثاق ،كما ذم اليهود وجعل عقوبتهم إيقاع العداوة والبغضاء بينهم ، وأصل الغِرَا : من أغرابه أي لصق [٨] ، وكيفية إيقاع الله العداوة بينهم على ما تقدم من

---

(١) سورة التوبة آية (٢٩) .

(٢) ذكره في البحر المحيط غير منسوب ، انظر (٣/٤٦٢) ، وكذا القرطبي ذكره غير منسوب في تفسيره (٦/٧٧) .

(٣) سورة الأنفال آية (٥٨) .

(٤) والمستبطن أي يختص بكم ويستبطن أموركم وذلك استعارة من بطانة الثوب انظر المفردات مادة بطن .

(٥) الذي في الأصل (يكون) والصحيح ما أثبته.

(٦) ذكره صاحب زاد المسير (٢/٢٥٣) ونسب هذا الترجيح لابن جرير الطبري وقال: فلا يتوجه النسخ . ولم أقف على العبارة الأخيرة عند الطبري انظر تفسيره (٦/١٥٩)، وكذا حكاه عنه أبو حيان من غير ذكر العبارة السابقة انظر البحر المحيط (٣/٤٦٢).

(٧) سورة المائدة آية (١٤) .

(٨) انظر اللسان مادة غرر : غَرِيَ بكذا أي لَهِجَ به ولصق ومنه الغِرَاء الذي يلصق به وكذا ذكره

نسبته تعالى نحو ذلك الفعل إلى نفسه [١]. قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [٢] . أعاد بما يخفون من الكتاب إلى مثل إخفاء بنبوة النبي ﷺ ، وحكم رجم الزاني ، وأخذهم الرشي [٣] ، وقوله :﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾ أي يتجافى من إظهار كثير مما يخفونه ، وبّين في هذه الآية النعم الثلاث التي خص بها العباد وهي :- النبوة والعقل والكتاب . وذكر في الآية الثانية ثلاث أحكام ، يرجع كل واحد إلى نعمه مما تقدم . فقوله : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ راجع إلى

=

في المفردات مادة غرر. انظر معاني القرآن للنحاس (٢/٢٨٣) .

(١) إثبات هذه الصفة لله تعالى كصفات المكر والأخذ وغيرها ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة آل عمران(٥٤). وانظرالرساله ص(١٠٥)

(٢) سورة المائدة آية (١٥ – ١٦) .

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وعكرمة انظر جامع البيان (٦/١٦١). وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن جرير عن قتادة وعكرمة، وعزاه لابن الضريس والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس انظر (٣/٤٤).
وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ونسبه لابن عباس انظر (٢/٢٥٤).وكذا ذكره الرازي في تفسيره (١١/٣٢٦). وذكره غير منسوب أبو حيان في تفسيره (٣/٤٦٣).

قوله : ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ أي بهذا البيان إلى طريق السلامة من التبعة ممن تحرى مرضاة الله . قوله تعالى : ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ راجع إلى قوله : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ راجع إلى قوله : ﴿ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ . كقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ والسلام قيل هو :- اسم الله تعالى نحو قوله : ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ وقيل : هو السلامة نحو الخسار والخسارة والضلال والضلالة [١] . سبل السلام هي المشار إليها بقوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [٢] . قوله عز وجل : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣] وإن قيل:إن أحداً لم يقل الله هو المسيح ، وإن قالوا :

---

(١) أخرجه الطبري عن السدي انظر تفسيره (٦/١٦٢) وعزاه السيوطي لابن جرير عن السدي انظر الدر (٣/٤٤). ونسبه أبو حيان في كون السلام هو الله إلى السدي والحسن انظر تفسيره (٣/٤٦٤) ، انظر المحرر الوجيز (٢/١٧١) ، وروح المعاني للألوسي (٢/٩٨) ، وزاد المسير (٢/٢٥٥)وذكره الزجاج في معاني القران (٢/١٦١).

(٢) سورة النحل آية (١٢٥) . ولم أقف على هذا القول عند غير الراغب.

(٣) سورة المائدة آية (١٧) .

المسيح هو الله ، وذلك أن عندهم أن المسيح من لاهوت وناسوت [١] ، فيقولون يصح أن يقال : المسيح هو اللاهوت وهو ناسوت ، كما يصح أن يقال : الإنسان هو حيوان وهو نبات لمّا كان مركباً منهما . قالوا ولا يصح أن يقال اللاهوت هو المسيح ، كما لا يصح أن يقال الحيوان هو الإنسان . قيل: إنهم قالوا هو المسيح على وجه آخر غير ما ذكرت، وهو ما روي عن محمد بن كعب القرظي [٢] : أنه لما رفع عيسى عليه الصلاة السلام اجتمع طائفة من علماء بني إسرائيل فقالوا [٣٢١/ب]
ما تقولون[٣] في عيسى فقال أحدهم [٤] : أتعلمون أحداً يحيَ الموتى إلا الله فقالوا لا ، فقال : أتعلمون أن أحداً يعلم الغيب إلا الله فقالوا : لا . فقال : أتعلمون أن أحداً يبرىء الأكمه والأبرص إلا الله ، قالوا : لا . قال : فما الله إلا مَنْ هذا وصفه أي حقيقة الإلهية فيه . وهذا كذلك [٥] . الكريم زيدٌ أي حقيقة الكرم في زيد ، وعلى هذا قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم . إن قيل : فا في قوله : ﴿

---

(١) انظر البحر المحيط (٤٦٥/٣) ، ونقله عنه الألوسي في تفسيره (٩٨/٢) .

(٢) محمد بن كعب بن سليم القرظي كان أبو كعب من سبي بني قريظة سكن الكوفة ثم المدينة ، قيل ولد في حياة النبي ﷺ ولم يصح ذلك وحدّث عن أبي هريرة وأيوب الأنصاري روي عنه أخوه عثمان ويزيد بن الهاد .
قال ابن سعده : ثقة عالم كثير الحديث ورعاً . انظر سير أعلام النبلاء (٦٥/٥) . والتقريب رقم(٦٢٥٧) .

(٣) الذي في الأصل(يقولون) والصحيح ما أثبته لأنه في صدر الخطاب.

(٤) (فقال أحدهم) تكرر في الأصل مرتين.

(٥) انظر روح المعاني وقد نقل هذا القول عن الراغب (٩٩/٢) وقد ذكر أبو حيان في تفسيره (٤٦٤/٣) أن القائلة بذلك هم اليعقوبية .

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ (١) مما يقتضي تكذيبهم فيما ادعوه قيل : ذكر تعالى بذلك شيئين إقتضيا تكذيبهم . وذلك أنهم مقرون أن الله تعالى هو سبب وجود عيسى وأمه . وأنه تعالى غاية الموجودات وسببها ومالكها ولاشيء هو سبب لوجود الله تعالى وأنه [هو مالك] (٢) قادر على إهلاك كل ذلك (٣) ، فنبه تعالى بقوله : ﴿ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ أنه لو ارتفع كل ذلك لصح مع بقائه ولو تُوُهِمَ هو تعالى مرتفعاً لما صح وجودهم ، وهذا أوضح دلالة أن لا يصح فادعوه في عيسى ثَمَّ . ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ تنبيها أن الإنسان يحتاج إلى الابن ليتقوى به أيام حياته ويخلفه بعد وفاته ، والله تعالى غني عن ذلك إذ هو مالك السموات [الأرض] (٤) وما بينهما وموجودها وقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ﴾ أي اعتقدوا اعتقاداً باطلاً عن ظن كاذب لأن هذا هو حقيقة الكفر وقيل معناه جحدوا نعمة الله وهذا على اعتبار معنى الكفر في الأصل (٥) . قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ

---

(١) وفي الآية حذف ، والفاء في قوله : ﴿ فَمَن ﴾ للعطف على جملة المحذوف ، ذكره أبو حيان في تفسيره (٣/٤٦٥) ، قال الألوسي : والفاء في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ عاطفة على مقدر أوجواب شرط محذوف . انظر تفسيره (٢/٩٩) . وذكر العكبري في إعرابه (ص/٤٢٨) ، والشوكاني في تفسيره أن الفاء للاستفهام المتضمن للتوبيخ . انظر (٢/٢٥) .

(٢) غير واضح في الأصل وأثبتها لأن السياق يقتضيها.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير انظر (٢/٥٦).

(٤) (الأرض) ساقط من الأصل وأثبتها لأن السياق يقتضيها.

(٥) معنى الكفر في الأصل : كَفَرَ الشيء وكَفَّره أي غطاه ، والكفر ضد الإيمان والكفران جحود النعم وأصله الستر. انظر أساس البلاغة مادة كفر ومجمل اللغة مادة كفر.

أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [1] ادعى كل واحد من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه وقد رُوي أنهم قالوا ذلك قولاً حذرهم النبي عليه الصلاة والسلام نقمة الله ، فقالوا : لا تخوفنا فإنا أبناء الله وأحباؤه وزعم اليهود أن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل أن وَلَدَكَ بكري من الولد [2] ، وأمَّا النصارى فقد قيل أنهم قالوا ذلك لِمَا حُكِي عن قول المسيح أنا ذاهب إلى أبي [٣٢٢/أ] وأبيكم ورُوي أنهم قالوا : ما اقتضى معناه هذا القول وإن لم يتفوهوا بذلك تفوهاً كقولك: فيمن يدعي تخصصاً بسلطان فلان يقول أنا يد السلطان ولسانه ، قيل : وكانوا يقولون إن [3] غضب الله علينا كما يغضب الإنسان على ابنه وحبيبه [4] . فكذبهم الله فيما ادعوه من محبتهم له ومحبته لهم ، فإن المحبة تقتضي ترك المخالفة ومن أحب الله لم يخالفه ، ولهذا قال الشاعر [5] :-

---

(١) سورة المائدة آية (١٨) .

(٢) نسبه الطبري للسدي ، انظر تفسيره (١٦٥/١) ، وابن كثير أخرجه عن ابن عباس (٥٦/٢) من تفسيره.

(٣) في الأصل (إنا) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف .

(٤) ذكر ذلك أيضاً ابن كثير في تفسيره (٥٧/٢)، وكذا القاسمي في تفسيره (٨٧/٦) حيث قال: قال جلال الداري في شرح عقائد العضد: وما نُقل عن الإنجيل فعلى فرض صحته وعدم التحريف يكون إطلاق الأب عليه بمعنى المبدأ. فإن القدماء كانوا يسمون المبادئ بالآباء وأنت تعلم أن المتشابهات في القرآن وغيره من الكتب الإلهية كثير ويرددها العلماء بالتأويل إلا ما علم بالدليل ،فلو نثبت ذلك لكان من هذا القبيل.. اهـ.

(٥) البيت للشافعي ، انظر ديوانه وهو من الوافر (ص/٦٩) ، وذكره الألوسي (١٠٢/٢) من

تَعْصِي الإِلَه وَأَنتَ تُظْهِرُ حُبَّـهُ   هَذا مُحالٌ فِي القِياسِ بَدِيـعُ

لَو كَانَ حُبُكَ صَادقاً لأطَعْتَـهُ   إِنَّ المُحبَ لِمنْ أَحبَّ مُطِيـعُ

ولو أنه يحبهم لما عذبهم . فقد رُوي أنـه إذا أحـب الله عبـداً تعـهده وأحسن إليه . رُوي عنه عليـه الصـلاة والسـلام : (**إن الله قـال مـا زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتهُ كنت سمعـه الـذي يسـمع به وبصره الذي يبصر به**) (١) . إن قيـل :كيـف احتـج عليـهم بهـذا و لم يقولوا إنا لا نعذب بل قالوا : إنا لا نعذب إلا أياماً (٢) تُقدر مـا عبدنـا فـيه العجل ، قيل : إنه إشارة إلى ما تقدم من تعذيب الله إيـاهم (٣) ، فكأنـه قيـل : فلم عذب من كان قبلكم الذيـن كـانوا أمثـالكم ثم قـال : ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ أي نسـبتكم إليـه نسـبة العبوديـة كسـائر النـاس وإنما يَفْضُل من يفضـل بـالتقوى ،كمـا قـال : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ

= روح المعاني .

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى قـال : مـن عادى لي ولياً آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مما افترضه عليه ومـا يـزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الـذي يبصر به ...) انظر صحيحه -كتاب الرقاق -باب التواضع رقم [٦٥٠٢] ، قال ابن رجـب في جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٠) ، هذا الحديث تفرد بإخراجه البخاري دون بقية أصحـاب الكتب وهو من غرائب الصحيح .

(٢) وقدره صاحب زاد المسير بأربعين يوماً ، انظر (٢/٢٥٤) .

(٣) حين مسخهم قردة وخنازير وغير ذلك ذكر ذلك الرازي في تفسيره (١١/٣٢٩) .

أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(١) ، وكررمع هذه الآية قوله : ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ توكيداً لكونهم مُلكاً له ، ونبه بقوله : ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ على معنى قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ ونحوه من الآيات(٢).قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(٣)،قوله :﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ أي كيلا تقولوا بيّن الله لكم أن تضلوا(٤).والفَترَة السكون والبطوء يقال فَتَرَ الشيء فُتُوراً(٥).

---

(١) سورة الحجرات آية (١٣) .

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ سورة الإنفطار آية (١٩).

(٣) سورة المائدة آية (١٩) .

(٤) ذكره الشوكاني بمثل هذا المعنى أي التعليل ، انظر (٢/٢٤) من تفسيره ، وذكره صاحب البحر المحيط أنه مفعول لأجله وقدره الفراء لئلا تقولوا ، انظر (٣/٤٦٧) ، وانظر معاني القرآن للفراء (١/٣٤٨) .

(٥) وفتر الفَتْرَةُ : الإنكسار والضعف ، وفَتَر الشيء والجر وفلان يَفْترُ ويفتر فُتُوراً وفَتاراً ، سكن بعد حدة ، انظر اللسان مادة فتر . وفي المفردات الفُتُور : سكون بعد حدة ولين بعد شدة ، انظر مادة فتر . والطبري في تفسير (٦/٨١) . يقال : فَترَ الشيء سكن ، وقيل :ـ (على فترة) على انقطاع بين الشيئين . وذكر أبو حيان في تفسيره (٣/٤٦٧) ، قال والمعنى على فتور وانقطاع من إرسال الرسل ، والفترة التي كانت بين الرسول ﷺ وعيسى عليه السلام قال قتادة خمسمائة سنة وستون ، وقال الضحاك :- أربعمائة سنة وبضع وثلاثون سنة ... إلخ . وقال الألوسي في تفسيره (٢/١٠٣) : (فترة) فترة كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم والفترة فعله من فتر عن عمله يفتر فتوراً إذا سكن ، والأصل فيها الإنقطاع عما كان

وقد تقدم[١]أن بعثة الأنبياء من ضرورات العباد التي لا يستغني عنها فعامة الناس يجهلون جزئيات مصالحهم وكلياتهم ، وخاصتهم يعرفون كلياتها دون جزئياتها ، ولا يمكنهم [٣٢٢/ب] أن يفرقوا الكليات . على التحقيق إلا بعد انقضاء كثير من عمرهم ، فسَهَّل الله السبيل على جماعتهم من هدايتهم إلى مصالحهم وعلى ذلك[٢] قوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾[٣] فبين أنه تعالى أزاح علتهم فيمن بعث إليهم من البشير والنذير . قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤] قيل : ملوكاً أي أحرزوا من رزق المطامع الدنيوية[٥] ، وروي عن ابن عباس أنه قال: من كان له

=

عليه من الجد في العمل ، وهي عند جميع المفسرين انقطاع ما بين رسولين .

(١) تقدم عند قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ سورة النساء آية(١٦٥).

(٢) (وعلى ذلك قوله) تكرر في الأصل مرتين .

(٣) سورة القصص آية (٥) .

(٤) سورة المائدة آية (٢٠) .

(٥) ذكره المفردات (ص/٤٩٢) و لم ينسبه .

زوجة وخادم ودار فهو ملك [١] . وقيل : من له ما يستغني به عن تكلف الأعمال فهو ملك [٢] . وقيل : جعلهم ملوكاً من حيث ملكوا أنفسهم بالتخلص من القبط بعد أن استعبدوهم [٣] . وقيل عنى بقوله : ﴿ مُّلُوكًا ﴾ أي جعلكم بالقوة التي آتاكم مستصلحين لذلك ،فإن من له المعرفة بالسياسات الثلاث سياسة لنفسه وسياسة لداره وسياسة لضعفه فهو ملك وإن لم يتولى سياسة غيره [٤] . فجعل النبوة فيهم خاصاً وجعل الملوكية فيهم عاماً للمعنى الذي ذكرنا ، وقوله : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ممن تقدمهم، وإنما قال ذلك بالإضافة إلى الأديان فإن الله خلق الإنسان وجعل لهم ديناً ينشأ حالاً فحالاً، فكل يوم هو في كمال ، فدين موسى كان أكمل من دين من قبله ، ودين عيسى أكمل من دين موسى ، ودين محمد أكمل الأديان إذْ كان به كمل كما

---

(١) وأخرجه الطبري عن ابن عباس والحكم والحسن انظر تفسيره (١٦٩/٦) ، وعزاه السيوطي لابن جرير في الدر عنهم ، انظر الدر المنثور (٤٦/٣) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٩/٢) ، والألوسي في تفسيره(١٠٥/٢) ،وذكر في فتح القدير (٢٩/٢).

(٢)في الأصل (تلك)والصواب ما أثبته استناداً إلى ماأخرجه الطبري عن قتادة ، انظر تفسير (١٦٨/٦) مع تغير يسير في لفظه .

(٣) أخرجه الطبري عن السدي ، انظر تفسيره (١٧٠/٦) ، وذكره ابن عطية في تفسيره (١٧٣/٢) منسوباً إلى السدي .

(٤) وقد ذكر الرازي أقوالاً قريبًا من هذا المعنى انظر(٣٣١/١١).

قال تعالى :﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [١] وقيل : أراد ءاتكم ما لم يؤت أحداً من العالمين مما عدا الإنسان [٢] ، فإن قيل : هذا لا يصح لأمرين أحدهما : أن يسقط تخصيص بني إسرائيل ، والثاني : أنه لا يقال : لما عدا جنس العقلاء أحد [٣] قيل أما كون هذه النعمة على غير بني إسرائيل فليس يقتضي أن لا يخصصوا بالخطاب، فقد يقال لكل واحد ممن يتنبه على نعمة الله عليه أليس قد منَّ الله عليك بأن أعطاك يداً تبطش به ،ولساناً تتكلم به ، وليس يقتضي مشاركة غيره في هذه النعمة أن لا يكون للمخاطب فائدة ، وأما قولنا : وإن كان يختص به جنس العقلاء [٣٢٣/أ] فقد يقال ذلك لغيره إذا جمع بينه وبين جنس العقلاء كلفظة مَنْ في [٤] قوله

---

(١) سورة المائدة بعض آية (٣) . وقد نقل أبو حيان حكاية عن الطبري في كون جعل المعنى على العموم في قوله (من العالمين) إذ كانت أمة محمد قد أوتيت من كرامة الله لنبيه عليه الصلاة والسلام محمد ما لم يؤت أحداً من العالمين ... إلخ في كون الخطاب لهذه الأمة المحمدية ، وقد ضعفه ابن عطية ، لأن الكلام في نسق واحد من خطاب موسى لقومه ، وهو معطوف على ما قبله ولا يلزم ما قاله ، لأن القرآن جاء على قانون كلام العرب ، من الإلتفات والخروج من خطاب إلى خطاب ، ولا سيما إذا كان ظاهر الخطاب لا يناسب من خوطب أولاً وإنما يناسب من وجه إليه ثانياً ، فيقوى بذلك توجيه الخطاب إلى الثاني ، إذا حمل اللفظ على ظاهره . وانظر البحر المحيط (٤٦٩/٣) ، والمحرر (١٧٣/٢) انظر تفسير الطبري (١٧١/٦).وإليه ذهب ابن عباس ومجاهد انظر زاد السير(٢٥٧/٢).

(٢) لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٣) قال السيوطي في الإتقان (١٤٣/٢): وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد ، تقولوا :- ليس في الدار واحد فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والإنس فيعمَّ الناس وغيرهم ، بخلاف ليس في الدار أحد فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم .

(٤) (في) ساقطة من الأصل وأثبتها لأن السياق يقتضيها.

: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ (١) فأطلق مَنْ على البهائم لما كان تفضيلاً لجملة منها العقلاء . قوله عز وجل : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) . الأرض المقدسة : بيت المقدس (٣) ، وقيل : دمشق ، وفلسطين ، وبعض الأردن (٤) . وقال مجاهد : هي أرض الطور (٥) . وقال قتادة : هي الشام (٦) . إن قيل كيف

---

(١) سورة النور آية (٤٥) .

(٢) سورة المائدة آية (٢١-٢٢) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس (١٧٢/٦) ، قال ابن عباس : هي أريحاء ، وهي أرض بيت المقدس كما قاله السدي ،ونسبه البغوي في تفسيره للضحاك (٣٥/٦) ، وكذا صاحب الزاد (٢٥٨/٢) ، ونسبه الألوسي لابن عباس والسدي وابن زيد انظر روح المعاني (١٠٦/٢) وكذا الشوكاني في تفسيره (٢٧/٢) .

(٤) نسبه القرطبي إلى الزجاج في تفسيره (٨٣/٦) ، وكذا الألوسي أنظر روح المعاني (١٠٦/٢) ، وكذا الشوكاني في فتح القدير (٢٧/٢) ، انظر الزجاج في معاني القران (١٦٢/٢) ، وأسنده الرازي إلى الكلبي في تفسيره (٣٣٢/١١) ، ذكره ابن جرير غير منسوباظر تفسيره (١٧٢/٦) ، ونسبه صاحب الزاد إلى ابن عباس من رواية صالح . انظر (٢٥٩/٢) . وانظر تفسير ابن عباس المنسوب إليه (ص/١١١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧١/٦-١٧٢) ، وكذا ذكره صاحب الزاد (٢٥٩/٢) ، والشوكاني في تفسيره (٢٧/٢) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره(١٧١/٦-١٧٢) ، وكذا ذكره صاحب زاد المسير (٢٥٩/٢)

قال :﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ثم قال : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ قيل : قال بعضهم : وهب الله ذلك لهم ثم حرمها عليهم لمـّا تلقوا نعمته بالرد والكفران (١) . وقيل : كتب لهم أنهم إن دخلوها فهي لهم (٢) . وقيل : معنى كتب الله لكم أي أوجبها عليكم (٣) إن قيل : فقد كان يجب أن يقول كتب الله عليكم على هذا ، قيل : إنما ذكر لكم معنى لطيف وهو أنه نبه أنه أوجب عليهم وجوباً يستحقون به ثواباً يحصل لهم . وذلك كقولك لمن يرى تأذياً بشيء أوجب فيقال : هذا لك لا عليك ، تنبيهاً على الغاية التي هي الثواب (٤) . وإذا قيل كتب عليه فليس اللفظ يقتضي على الغاية التي هي الثواب بل يقتضي مجرد الإيجاب فذكر أنهم امتنعوا من دخولها لكون قوم جبارين فيها ، واشترطوا أن لا يدخلوها إلا أن يُخلُّوا لهم . وقولهم ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا ﴾ فقد قال بعضهم : إن ذلك ليس

=

والشوكاني في تفسيره (٢/٢٧) ، وقال : وقول قتادة بجمع هذه الأقوال المذكورة .

(١) نسبه البغوي في تفسيره لابن إسحاق ، انظر (٦/٣٦) ونسبه الرازي في تفسيره لابن عباس ، انظر (١١/٣٣٢) .

(٢) ذكر ابن عطية بمثل هذا المعنى ، انظر تفسيره (٢/١٧٤) .

(٣) ونسبه البغوي في المعالم للسدي وقتادة (٦/٣٦) ، نسبه الألوسي أيضاً في تفسيره إليهما (٢/١٠٦) وأخرجه الطبري عن السدي في تفسيره (٦/١٧٣) وأيضاً أخرجه عن ابن إسحاق في (٦/١٧٤) ، انظر زاد المسير (٢/٢٥٨) .

(٤) وقد ذكر الألوسي بمثل هذا المعنى في تفسيره ، انظر (٢/١٠٦) .

بعصيان منهم بل بإظهار العجز عن دخولها ، ورُوي [1] [أن] [2] هؤلاء الجبارين كانوا قوماً لهم بسطة في الجسم حتى أن رجلين من النقباء ذهبا يتجسسان فرآهما رجل منهم في بستانه فجعلهما في الكم من الفواكه ونثرهما بين يدي ملكهم فقال : أنتم تريدون قتالنا ، إرجعا إلى قومكم فأخبراهم بخبرنا . وقال بعض الناس : الأرض المقدسة ، عبارة عن الدين الحق الذي رشحه الله لهم فامتنعوا من تحريه تفادياً من قوم كانوا على [٣٢٣/ب] ذلك الدين ، كانوا يُسْتحقَرُون [3] . وهذا بعيد على ما يقتضيه رد الكلام [4] . قوله عز وجل : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ

---

(١) انظر زاد المسير (٢/٢٥٩) ، ونسبه لابن عباس ، وذكره ابن كثير في تفسير (٢/٦١) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/١٧٤) ، قال ابن كثير في إسناد ابن جرير وفيه نظر . ثم قال هو مخالف لما ثبت في الصحيحين . أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن) . وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن جرير وابن أبي حاتم (٦/٤٨) .

(٢) (أن) ساقطة من الأصل وأثبتها لأن السياق يقتضيها .

(٣) انظر تفسير الرازي (١١/٣٣٢) ، وأسنده ابن كثير إلى ابن عباس انظر تفسير (٢/٦١) ، ثم قال : في هذا الإسناد نظر وأورده عن طريق علي بن أبي طلحة . وأخرجه الطبري من رواية السدي وابن عباس وقتادة انظر جامع البيان (٦/١٧٤) .

(٤) وقال الطبري: والأولى أن يقال: هي الأرض المقدسة كما قال نبيُّ الله موسى عليه السلام ، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض لا يدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ، ولا خبر في ذلك يجوز قطع الشهادة به ، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر ، لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك ، انظر (٦/١٧٢) .

﴿فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١) .

قال قتادة : يعني رجلين من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم(٢) . وقيل : من الذين كانوا يخافون من الجبارين فأنعم الله عليهما بالإسلام فَأَمِنَهُماَ (٣) ، وقيل : كان يوشع بن نون وكالوب بن يوقنا وكانا من النقباء (٤) . وبيَّنا أن الله تعالى يُنزل النُّصرة بقدر الجُهد ، وأنكم إذا بذلتم من أنفسكم الاجتهاد في الدخول عليهم الباب وجدتم من الله النصرة ،ويجعل الغلبة لكم وأمراهم بالتوكل ، فكأنه قال : إن كنتم متوكلين (٥) على الله يكفكم على ما قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ (٦) . قوله عز وجل : ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ

---

(١) سورة المائدة آية (٢٣) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧٧/٦) ، وكان يقول في بعض القراءة (قال رجلان من الذين يخافون الله أنعم الله عليهما) . وهذا يشير إلى أن المراد من قوله : ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ على قراءة من فتح الياء أنهما يوشع بن نون وكالوب من قوم موسى ممن يخاف الله فأنعم عليهما بالتوفيق . وهي قراءة منسوبة لأهل الحجاز والعراق والشام .

(٣) وهذا على قراءة يُخَافون بضم الياء وهي منسوبة لابن عباس وسعيد بن جبير وهي على معنى قال : أن الرجلان كانا من الجبارين فأسلما وتبعا موسى ، انظر تفسير الطبري (١٧٧/٦) ، والبحر المحيط (٤٧١/٣) ، ومعالم التنزيل (٣٧/٦) .

(٤) انظر تفسير الطبري (١٧٦/٦) ، و تفسير أبو حيان (٣٦٠/٣) ، وذكر أن يوشع ابن نون من سبط يهودا ، وكالوب بن يوقنة من سبط أفراتيم بن يوسف .

(٥) في الأصل (متوكلوا) والصواب ماأثبته ولعله تصحيف .

(٦) سورة الطلاق آية (٣) .

﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (١) ذكر جهلهم وقلة معرفتهم بالله ، وأنهم ما قدروا الله حق قدره حيث أُمروه أن يستصحبه إلى الجواب استصحاب الأشخاص وبكتهم بامتناعهم من الدخول إماً جُبناً وإما قصداً إلى العصيان (٢) ، وأيهما كان فمذموم . إن قيل : ما فائدة الجمع بين قوله : ﴿أَبَدٗا﴾ وقوله : ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ﴾ قيل : إن امتناعهم من دخولها لكون هؤلاء فيها ، وإنَّ اعتبار ذلك ليس في وقت دون وقت بل كل وقت ، ما يدخلونها من كونهم فيها (٣) وروي أن المقداد (٤) قال للنبي ﷺ :**(أما والله (٥) ما نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت**

---

(١) سورة المائدة آية (٢٢) .

(٢) ذكر أبو حيان قولاً قريباً من هذا انظر تفسيره (٣/٤٧٠).

(٣) ذكر أبو حيان قولاً قريباً من قول الراغب انظر تفسيره (٣/٤٧٠).

(٤) المقداد بن الأسود : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البَـهْراني ثم الكندي ، ثم الزهري ، حالف أبو كندة ، وتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري ، فنسب إليه ، صحابي جليل مشهور من السابقين ، لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره ، مات سنة ٣٣ . انظر التقريب رقم [٦٨٦٩] ، والإصابة (٦/١٥٩) ، أخرجه البغوي في تفسيره (٦/٣٧) ، وأخرجه ابن كثير (٢/٦٣) ، وعزاه السيوطي لأحمد عن طارق بن شهاب ، وأيضاً عن البخاري والحاكم وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود ، انظر (٦/٥٠) . وأخرجه ابن جرير (٦/١٨٠) .

(٥) هكذا في جميع التفاسير وكتب الحديث الذي بين يديَّ ، والذي في الأصل (من نافر الله) والصحيح ما أثبته ولعله تصحيف .

وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نُقْتل حيث شئت) (١) . قوله عز وجل : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (٢) . أظهر موسى شرَّ ما به [٣٢٤/أ] وبيَّن عذره في غيره وأن ذلك لقلة انقيادهم له . إن قيل : كيف يصح أن يقول لا أملك إلا نفسي ، والإنسان في الحقيقة لا يملك نفسه وأخاه ، إذا الملك هو التصرف في الشيء بالبيع والشراء . قيل : هذا سؤال من هو بعيد عن متصرفات كلامهم ، بل عن معرفة حقائق الأشياء ، فإن الإنسان إذا انقاد له قواه فيما يَسُومُها من فعل الخير ، يقال : هو مالك لنفسه وإذا امتنعت عليه قواه ، يقال : هو غير مالك لها ، وليس تصرف المِلك والمَالك على وجه واحد (٣) . وإعراب قوله : ﴿ وَأَخِيۖ ﴾ محتمل له أربعة أوجه (٤) : الأول الرفع عطف على

---

(١) انظر فتح الباري (٨/٢٨٣) ، وزاد المسير (٢/٢٦١) ، وأخرجه البخاري في ،كتاب التفسير ، باب ﴿ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ رقم [٤٦٠٩] ، والمغازي (٦٤)باب (٤)قوله تعالى : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال:٩] رقم [٣٩٥٢] ، أخرجه البغوي في تفسير (٦٥/٣٧) ، وابن جرير (٦/١٨٠) ، ابن كثير (٢/٦٣) ، وعزاه السيوطي لأحمد عن طريق ابن شهاب ، والبخاري والحاكم والبيهقي في الدلائل (٢/٥٠) .

(٢) سورة المائدة آية (٢٥) .

(٣) انظر المفردات مادة ملك ذكره بمثل هذا المعنى، وانظر مثل هذا القول في الدر المصون (٤/٢٣٤) وزاد المسير (٢/٢٦١) .

(٤) قال الزجاج بتصرف : أخي في موضع الرفع من جهتين : الأول : معطوف على موضع إني والمعنى لا أملك إلا نفسي وأخي كذلك . الثاني : على الضمير المستكن

موضع (إنّي) [١] ، الثاني : على الضمير في أملك، الثالث : نصب على المضمر في (إنّي) [٢] ، الرابع : نصب على قوله : ﴿ نَفْسِي ﴾ وقوله : ﴿ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا ﴾ أي بين مسكننا في الدنيا[٣] . وقيل:بين منزلينا في الآخرة[٤]. ولم يقل بيننا وبينهم بل قال:﴿ وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ ليكون دعاؤه أبلغ وأقرب إلى استعمال الأدب في مخاطبة الله تعالى [٥] ، ولأنه متى يجوز أن يصلح منهم بعضهم.فيجب أن لا يعين،بل يذكر الوصف الذي هوالفسق فيتعلق به الحكم[٦]،وذكر الفسق دون الكفر إذ

=

في (أملك) وهو (أنا) والمعنى لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا . وأمَّا النصب :- فينصب على الضمير في إني والتقدير :- إني وأخي لا نملك إلا أنفسنا . والثاني :- معطوف على نفسي ويكون المعنى :- لا أملك إلا نفسي ولا أملك إلا أخي . انظر الزجاج في معاني القران (١٦٤/٢) والتفسير الكبير (٣٣٥/١١) ، والدر المصون (٢٣٤/٤)،والبحر المحيط (٤٧١/٣).

(١) هذا الصحيح إستناداً للآية والذي في الأصل إنّ .

(٢) هذا الصحيح إستناداً للآية والذي في الأصل إنّ .

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني بغير هذا اللفظ منسوباً إلى ابن عباس والضحاك (١٠٨/٢) . وقالا فافصل بيننا وبينهم بحكم .

(٤) وذكره الألوسي في تفسيره منسوباً إلى الجبائي (١٠٨/٢) ، وقال وإلى الأول ذهب أكثر المفسرين ويرجحه تعقيب الدعاء الذي بعده ، وذكر أبو حيان في البحر المحيط ولم ينسبه انظر (٤٧٢/٣).

(٥) ذكره الزمخشري بما يقارب هذا المعنى انظر الكشاف(٦٢٢/١).

(٦) هنا نكتة بلاغيه لأنه أتى بالاسم الظاهر ، ومن البلاغة أنه لما يدعوا على قوم يصفهم بوصف ظاهر فيهم . قال صاحب البحر المحيط : نبه أن العلة الموجبه للعجلة في التفرقة بينهم وبين الفسق ، فالمطيع لا يريد صحبة الفاسق ولا يؤثرها لئلا يصيبه بالصحبة ما يصيبه ، انظر

هو أعم منه [١] . قوله عز وجل : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [٢] . قال الربيع : حرم عليهم أربعين سنة [٣] ، وقال الحسن وقتادة : بل حُرم عليهم على التأبيد [٤] . وإنما كانوا يتيهون أربعين سنة . فقوله : ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ يتعلق بقوله : ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ على هذا ، وتحريم ذلك عليهم [٥] قيل : إنه كان

= (٤٧٢/٣) .

(١) انظر المفردات (ص/٣٩٤) ذكره بلفظ قريب منه .

(٢) سورة المائدة آية (٢٦) .

(٣) الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني، صدوق له أوهام ورمي بالتشيع ،مفسر البصرة ومحدثها ،لقي عبد الله ابن عمر، وجابر بن عبد الله ،روي عن أنس بن مالك والثوري توفي سنة ١٤٠هـ انظر التهذيب (٢٣٨/٣)،وطبقات المفسرين (١٧٢/١) والكاشف(٢٣٤/١) ، أخرج الرواية ابن جرير في تفسيره (١٨٠/٦) والسدي وابن عباس والربيع ، وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن جرير عن الربيع (٥١/٣).

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٠/٦) ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن جرير عن قتادة (٥١/٣) .

(٥) اختلف العلماء في متعلق أربعين : قال بعضهم : أنها منصوبة بقوله : ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ أي بقوا في تلك الحالة أربعين سنة ، وأما الحرمة فقد بقيت عليهم وماتوا ، ثم إن أولادهم دخلوها من بعدهم . والثاني :- أنها متعلقة بقوله : ﴿ مُحَرَّمَةٌ ﴾ أي محرمة عليهم مدة الأربعين ثم فتحها الله لهم من غير محاربة ، ذكره الربيع بن أنس . انظر تفسير الرازي (٣٣٥/١١) ، انظر البحر المحيط (٤٧٣/٣) ، ذهب إلى الأول : الزجاج في معاني القران (١٦٤/٢) ، وقتادة وعكرمة كما نسبه إليهما ابن الجوزي في تفسيره (٢٦٢/٢) ، كما أخرجه الطبري عن قتادة =

تحريم تعبد فإنهم أُمروا أن لا يدخلوها[١] . وقيل : منعوا منها من جهة إضلالهم عنها فإنهم كانوا إذا أمسوا ردهم الله بقوة إلهية إلى حيث ما ارتحلوا عنه فقوله : ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ كقوله:﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾[٢]وأنهم ما خرجوا من التيه حتى مات هؤلاء وانتقل أمرهم إلى أبنائهم[٣]. وروي أن قدر الأرض التي[٤] تاهوا فيها ستة[٥] فراسخ[٦].وقد قيل : لم يكن موسى وهارون معهم في التيه ، لأن ذلك

=

والسدي وذهب الطبري إلى القول الثاني ، انظر جامع البيان (١٦٤/٦) ، وأيضاً جاز الوجهين الفراء في معاني القران (٣٠٥/١) .

(١) ذكره الرازي غير منسوب انظر تفسيره (٣٣٦/١١) .

(٢) سورة القصص آية (١٢) . وكذا ذكره الطبري بمثل هذا القول منسوب إلى مجاهد ، انظر جامع البيان(١٨٥/٦) .

(٣) ذكره صاحب الزاد منسوب لابن عباس ، انظر (٢٦٢/٢) . وذكر مثله الطبري انظر جامع البيان (١٨٥/٦) .

(٤) في الأصل (الذي) والصواب ما أثبته لأن عائد على المؤنث المجازي ولعله تصحيف.

(٥)البريد أربعة فراسخ ،والفرسخ ثلاثة أميال ،من الميل ستة ألاف ذراع بذراع اليد ،وبذراع الحديد خمسون ومائتان وخمسون ألاف ذراع ،وبالمتر (٢٥٢٠) إنظر منتقى فرائد الفوائد لأبن عثمين (ص/١٣٦) ستة فراسخ : ما بين مصر والشام ، وأخرجه الطبري عن الربيع في تفسيره(١٨١/٦) ، وكذا الرازي في تفسيره (٣٣٦/١١) .

(٦) الرواية أخرجها الطبري في جامع البيان (١٨١/٦) ، وذكرت في زاد المسير (٢٦٣/٢) .

كان عذاباً عليهم دونهما (١) . ومن لفظ التيه اشتق تاه فلان [٣٢٤/ب
وتوّهه (٢) . ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قيل : هو خطاب للنبي ﷺ خاصة تسلية له بأن المخالفة على الأنبياء عادة الفسقة في كل زمان (٣) . وقيل: بل هو من جملة ما خوطب به موسى وإن كان فيه تسلية للنبي ﷺ (٤) . قوله عز وجل : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥) . القربان اختص في المتعارف ، بالذبيحة المتقرب بها . وإن كان في الأصل عاماً في كل ما يتقرب ، فهو فعلان كالعدوان

---

(١) اختلف أهل التأويل في هذا وذكره البيضاوي في تفسيره (٢١٢/٢) ، والرازي في تفسيره (٢٩/٢) ، وابن جرير فيجامع البيان (١٨٤/٦) ، أن موسى وهارون عليهما السلام كانا معهم . والقول الأول : ذكره النسفي في تفسيره غير منسوب (٣١٦/١) ، وكذا ذكره الرازي في تفسيره غير منسوب (٣٣٤/١١) . وذكر الفراء قال في القول الثاني وهذا قول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد والطبري وأبو سليمان الدمشقي ، وهذا الصحيح ، انظر معاني القران (٢٦٢/٢) .

(٢) والتِّيه والتوه ، لغة التيه وهو الهلاك ، وقيل الذهاب ، وقد تَاهَ يَتوُهُ ويِتِيهُ تَوهاً هلك . وهو في اللغة : الحيرة ، والأرض التوهاء التي لا يهتدى فيها . قال ابن عطية : التيه الذهاب في الأرض إلى غير مقصود . انظر اللسان مادة توه ، والبحر المحيط (٤٥٨/٣) ، والتفسير الكبير (٣٣٦/١١) .

(٣) ذكره في البحر المحيط انظر (٤٧٣/٣) .

(٤) أخرجه الطبري عن السدي ، انظر تفسيره (١٨٧/٦) .

(٥) سورة المائدة آية (٢٧) .

والشكران والكفران [١] . قيل : ابنا آدم كانا هابيل وقابيل ، وكانا من قصتهما أن حواء ولدت مع كل واحد منهما بنتاً فالتي ولدت مع قابيل سميت إقليميا والتي مع هابيل لبوخ ، ثم إن حواء قالت ليتزوج كل واحد منكما أخته المولودة مع أخيه وكانت إقليميا أحسن من لبوخ فقال هابيل سمعت وأطعت ، وقال قابيل لا أرضى بل أريد إقليميا التي ولدت معي ، وكان غرضه جمالها ، فلما اختلفا قال لهما ليتقرب كل واحد منكما قربان فمن قبل الله قربانه يتزوج إقليميا ، وكان هابيل صاحب غنم وعَهِدَ إلى كبش أنتج فذبحه ، وكان قابيل صاحب زرع وعَهِدَ إلى شيء من الفوم رديء فقربه فنزلت نار من السماء وأخذت الكبش وكان ذلك [٢] علامة قبول القربان [٣] . ورد في الخبر :أن هذا الكبش حصنه الله في الجنة إلى أن فُدي به ذبيح إبراهيم عليه الصلاة والسلام [٤] . وقيل : رعى في [٥] الجنة ثمانين خريفاً [٦] . وقيل : أربعين [١] ، وقيل إن ذلك في

---

(١) انظر اللسان مادة قرب ، والمفردات مادة قرب ،وانظر قول الألوسي في روح المعاني (١١١/٢) .

(٢) (ذلك) تكرر في الأصل مرتين .

(٣)أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد في تفسيره (١٨٨/٦) ،وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة(٥٤/٣).

(٤)أخرجه ابن جرير عن ابن عباس في تفسيره (١٨٨/٦)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر بسند جيد عن ابن عباس انظر الدر المنثور (٥٥/٣).

(٥) (في) ساقطة من الأصل وأثبتها لأن السياق يستحسنها .

(٦) لم أقف على هذا عند غير الراغب.

رجلين من بني إسرائيل يقال لهما ابنـــا آدم فـــإن إحـــلال [٢] الله للقرابـــين في زمن إسرائيل ، واســـتدل هـــذا القـــائل بقولـــه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ ﴾ [٣] ، والأول أصح[٤] ، فقـــد روى مســـروق [٥] عـــن عبـــد الله [٦]، عن النبي عليه الصلاة والسلام: (**لا تُقتل نفس ظلمـــاً إلا كـــان علـــى ابـــن آدم كفل من دمها**) [٧] . والذي لم يُقبل منه القربـــان إمـــا لكونـــه ، علـــى

=

(١) أخرجه الطبري عـــن ابـــن عبـــاس في تفســـيره (٦/١٨٦-١٨٩) ، وذكـــره الـــرازي (٣٤١/١١) ، وأبو حيان في تفسير (٤٧٥/٣) ، انظر زاد المسير (٢٦٣/٢) .

(٢) لم أقف على هذا عند غير الراغب.

(٣) سورة آل عمران آية (١٨٣) . أخرجه هذه الرواية الطبري عن الحسن انظر جـــامع البيـــان (١٨٩/٦)، ونسبه الرازي للحسن والضحاك انظر تفسيره (٣٣٦/١١) .

(٤) وكذا رجحه الطبري في تفسيره (١٨٩/٦) ، وقال أبو حيان : وابنا آدم في قـــول الجمـــهور وعمر وابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهما : هما قابيل وهابيل . انظر تفسيره (٣٧٥/٣) .

(٥) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة ،أحد الأعلام، ومن أصحاب ابـــن مسعود الذين كانوا يعملون بامنة ثقة مخضرم من الثانية مات سنة ٦٢هــ وقيل ٦٣هـــــــــ انظر التهذيب(١٠٩/١٠)،والكاشف (١٢٠/٣).

(٦) عبدالله هو أبوعبدالرحمن ، عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهـــرة ، من السابقين إلى الإسلام ومن كبار علماء الصحابة وقرائهم ، شهد بدراً وبيعـــة الرضـــوان والمشاهد كلها ، توفي سنة ٣٢هــ .
انظر سير أعلام النبلاء (٤٦١/١) ، الإصابة (١٩٨/٤) والكاشف (١١٦/٢) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في ،كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلـــق آدم وذريتـــه رقـــم (٣٣٣٥).وأخرجه مسلم في صحيحه في ، كتاب القسامة،اب بيـــان إثم مـــن ســـن القتـــل =

غير الوجه الذي كان يجب أن يكون عليه [١] ما لكون صاحبه مقصراً في سائر عباداته ولما قال أخوه حسداً ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ قال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ حثاً له على التقوى ، أي لا تقتلني فإنه إنما [٣٢٥/أ] لم يقبل منك لأنك لست بمتق [٢] والله يقبل من المتقين . وفي الآية تعظيم أمر الحسد، وأنه يحمل الإنسان على أعظم الكبائر ، وقد قيل : أثافي الشرور ثالثه الحرص والكبر والحسد فآدم (أولى) من الحرص وإبليس من الكبر وقابيل من الحسد [٣] . قوله عز وجل : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٤] قال ابن عباس : يعني إن بدأتني بالقتل لم أبدأ بقتلك [٥] ، و لم يعنِ أني لا أمنعك عني ، فمنع الإنسان القائل عن نفسه بقدر وسعه واجب . وقيل : إن من تعرض لقتله فله أن يدفع عن

=

رقم(١٦٧٧).و كِفْلٌ:نصيب.

(١) ذكره الطبري في تفسيره (١٨٦/٢)، وذكر القولين ابن الجوزي في المزاد انظر(٢٦٤/٢) .

(٢) في الأصل بمتقي والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٣) لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٤) سورة المائدة آية (٢٨) .

(٥) ذكره الألوسي بغير هذا اللفظ منسوباً إليه ، انظر تفسيره (١١٣/٢) .

نفسه وله أن يستسلم [١] . وعن أيوب قال : أول من أخذ بهذه الآية في هذه الأمة عثمان [٢] ، وقيل : قد كان حينئذٍ يجب أن لا يدفع أحد عن نفسه ، كما روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه : (من لطم من ناحية يمينه فليُمكن من ناحية شماله) [٣] ، وذلك عن الحسن ومجاهد . قوله عز وجل : ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤] . أي بإثم قتلي وإثمك الذي كان منك فلم يتقبل لأجله قربانك [٥] . إن قيل كيف جاز أن يريد لغيره أن يفعل الشر ، وأن يكون من أصحاب النار ؟ قيل : أراد ذلك بشرط القتل أي أريد إن قتلتني أن تبوء بإثمي وإثمك وأن تكون من أصحاب النار ، وهذه الإرادة ليست بقبيحه [١] . والبَوَاءُ

(١) ذكره الرازي في تفسيره غير منسوب (١١/٣٣٩) .

(٢) أيوب بن أبي تيمية كيسان أبو بكر السجستاني الإمام روي عن عمرو بن سلمة ومعاذ ،وعنه شعبه ،كان سيد الفقهاء من الخامسة مات سنة ١٣١هـ وله ستون سنة.انظر الكاشف (٩٢/١) والتقريب رقم (٦٠٥). (٦٠) .وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي ،أمير المؤمنين وأمه أروى بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويلقب بذي النورين أحد السابقين الأولين ،والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة، ذبح صبراً في ذي الحجة سنة٣٥ هـ ،وله نيف وثمانون سنة.انظر الكاشف (٢٢٢/٢)وانظر التقريب رقم (٤٥٠٣) ، والرواية ذكرها ابن كثير في تفسيره (٧٠/٢) ، وأخرجها أحمد في مسنده (١٤٩/٥) ، وذكره الرازي في تفسيره (٣٣٩/١١) .

(٣) انظر الكتاب المقدس – العهد الجديد – انجيل متى الإصباح الخامس فقرة (٤٠) .

(٤) سورة المائدة آية (٢٩) .

(٥) انظر المفردات (ص/١٣) ، وذكره البغوي في تفسيره ونسبه لابن أبي نجيح عن مجاهد (٤٣/٦) .

من أصحاب النار ، وهذه الإرادة ليست بقبيحه (١) . والبَوَاءُ الرجوع ، والمباءُ المنزل الذي يَنزلُ فيه الإنسان ، وهم في هذا الأمر بوأ أي سواء يرجع إليه كل واحد مثل رجوع الآخر ومنه فلان بوأ فلان في القود (٢) . قوله عز وجل : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣) . قوله ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ ﴾ كقولهم أسمحت قرينته وانقادت نفسه ، وسولت(٤) ، يقال :طاعت نفسه ، وطوعت وتطوعت ، والنفس توصف تارة بأنها طوعت فيما أمرت من الشر كهذه الآية ، وتارة بأنها أمرت بالشر كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (٥) ، ونبه بقوله : ﴿ فَقَتَلَهُۥ ﴾ أنه تبع [٣٢٥/ب]

---

(١) انظر :التفسير الكبير (٣٤٠/١١) ، والبغوي في تفسيره (٤٣/٦) ، وقال أن الإرادة مجازيه لا حقيقه أو أن المراد إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحه لأنها موافقة لحكم الله عز وجل ، وهو الذي عليه أكثر المفسرين ، قال إذ ظلمتني لم أظلمك ... إلى آخر قوله . ذكر صاحب الزاد مثل هذا القول منسوب إلى الزجاج ، انظر تفسير (٢١٥/٢) ، وكأن الراغب بهذا القول يرد على السيد المرتضى الذي فسَّر المعنى على النفي كما نقل ذلك عنه الألوسي في تفسيره (١١٢/٢) بتصرف قال : إن الآية ليست محل نزاع لأن اللام الداخلة على فعل القتل لام كي ... ثم قال : ولذلك أكد النفي بالياء . وقد ضعفه أيضاً القرطبي في تفسيره (٩١/٦) قال : وهذا ضعيف ...وقال : ولهذا قال أكثر العلماء :- إن المعنى :- أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي عملته قبل قتلي . انظر تفسير الرازي (٣٤٠/١١) ، و تفسيرالبغوي (٤٣/٦) ، و تفسيرأبو حيان (٤٧٨/٣) .

(٢) انظر المجمل مادة بوء ،والمفردات مادة بوء ، وزاد السير (٢٦٥/٢).

(٣) سورة المائدة آية (٣٠) .

(٤) انظر أساس البلاغة مادة طوع ، والمفردات مادة طوع ، وزاد المسير (٢٦٦/٢).

(٥) سورة يوسف آية (٥٣) .

شيطانه الداعي إلى ذلك تنبيها أن متابعة الشيطان والهوى سبب كل شر ولهذا قال :﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ إشارة إلى نحو قوله : ﴿ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ﴾ (٣) . قال ابن عباس : إما في الدنيا فأسخط والديه وبقي بلا أخ ، وإما في الآخرة فأسخط ربه تعالى ، وأمر به إلى النار (٤) . قال قوله : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ (٥) . قال يُريهم من الإنس قابيل ومن الجن إبليس ، فقد روى: أنه لم يكن يدري قابيل كيف يقتل أخاه فأخذ يطعن رأسه فجاء إبليس فقال خذ هذه الصخرة فأشدخه بها (٦) . قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ

(١) سورة ص آية (٢٦) .

(٢) سورة الفرقان آية (٤٣) .

(٣) سورة الزمر آية (١٥) ، والشورى آية (٤٥) .

(٤) ذكره في زاد المسير ونسبه لابن عباس (٢/٢٦٧) ، وذكره في التفسير الكبير (١١/٣٤١) ، والبحر المحيط (٣/٤٧٩) .

(٥) سورة فصلت آية (٢٩) .

(٦) انظر التفسير الكبير (١١/٣٤١) ، وزاد المسير (٢/٢٦٦) .

﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (١) . قال ابن عباس : لما قتل أخاه تحير لم يدرِ كيف يفعل به فقيض الله تعالى غرابين تقاتلا فقتل أحدهما الآخر فدفنه ، فتنبه قابيل لدفن أخيه (٢) ، ووجه ذلك أنه ما من صنعة يتعاطاها الإنسان بالتعلم إلا وقد سخر الله لمثل ذلك الصنعة حيواناً يتعاطاه ، وجعل الله تعالى ذلك سبباً لتعلم الناس ذلك منه ، فمن الحيوان ما يسبح ومنها ما يمشي ومن عادة (٣) الغراب دفن الأشياء (٤) فلما رأى قابيل ذلك تنبه لما يجب أن يفعل فاستصغر نفسه لقصوره عن معرفة ما اهتدى إليه الغراب ، فأخذ يتحسر ، ويتولول وندم ندماً لا يثنيه ولا يجد به كما قال الشاعر (٥) :-

.... وَمَا يُغْنِي مِنْ الْحَدَثَانِ لَيْتَ

وليست هذه الندامة بندامة التوبة. قوله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ [٣٢٦/أ]

(١) سورة المائدة آية (٣١) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس (٦/١٩٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (٣/٦٣).

(٣) وفي الأصل (بيان) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٤) انظر قول الرازي في تفسيره (١١/٣٤١) ، والبحر المحيط (٣/٩٤) ، ونسبه القاسمي لأبي مسلم الأصبهاني انظر محاسن التأويل (٦/١٠١) والغراب طائر أسود وهو من أخبث الطيور .

(٥) البيت ينسب للنابغة الجعدي وابن قعاس الأسدي وصدره:

ألا يا ليتني والمرءُ ميت ....

وهو في ديوان النابغة ص(٢١٥)، والمقتضب (٤/٣٢)والجمهرة (٢/٢٨)، والمنصف(٣/٦٢) وخزانة الأدب (٦/٥٣٠).

كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [١] . الأجل : قطع الماء والآجل وقت مقطوع يقطع من وقته ، والآجل نقيض العاجل وهو الذي جُعل له أجل ما ، والأَجَلُ قطيع من الغنم ، وذلك لقولهم الصُّرمة [٢] والقطعية والفرقة ونحوها مما اشتق من الأسماء المتضمنة لمعنى القطع . وأَجّل فلان على فلان جنى عليهم جناية . أجله حضر [٣] . قوله : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ أي من جناية ذلك [٤] ، وقيل : من سبب ذلك [٥] كقولهم من أجله وبّين بقوله :﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ أنه كان من أول من سنَّ القتل . وعنده شُرع هذا الحكم ، وذلك كقولك من أجل ماعز شرع النبي ﷺ حكم الرجم [٦] ، أي عنده شرع ، ~~وإنما خص بني إسرائيل~~ دون غيرهم لأن كتابهم أول كتاب [١] بيّن فيه

(١) سورة المائدة آية (٣٢) .

(٢) والصُّرْمَةُ والصُّرْم : هي القطيعة ،وانظر المفردات مادة صرم ،وقطع، وفرق.

(٣) انظر اللسان مادة أجل، والمفردات مادة أجل والمجمل مادة أجل.

(٤) ذكره ابن الجوزي في الزاد ونسبه لأبي عبيدة ورجحه انظر (٢/٢٦٨)، وانظر مجاز القرآن (١/١٦٢).

(٥) ذكره الرازي غير منسوب انظر التفسير الكبير (١١/٣٤٢).

(٦) ماعز بن مالك الألمعي ،قال ابن حبان ،له صحبة وهو الذي رجم على عهد النبي ﷺ وقال عنه لما رُجم: لقد رأيته ينغمس في أنهار الجنة.انظر الإصابة (٦/١٦). والقصة مشهورة في كتب السنة: منها ما أخرجه البخاري في صحيحه في، كتاب الحدود ، باب سؤال الإمام المقرب رقم(٦٨٢٥).وأيضاً ف، باب الرجم بالمصلي رقم(٦٨٢٠).وأيضاً في ، باب هل

خص بني إسرائيل دون غيرهم لأن كتابهم أول كتاب [١] بيَّن فيه الأحكام [٢] .

وقيل :لأنه كثر منهم القتل [٣] ، وبيَّن أن الساعي في قتل نفس لم يلزمها قتل ما يقتضي الاقتصاص أو فساد وذلك إلى نحو ما قال عليه الصلاة والسلام: (**كفر بعد إسلام ، وزنا بعد إحصان**)[٤] . وقوله : ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ

=

يقول الإمام للمقر رقم (٦٨٢٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه في ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى رقم (١٦٩٥).

(١) في الأصل كتابة أول الكتاب والصواب ما أثبته ولعله سبق قلم .

(٢) انظر البحر المحيط (٤٨٣/٣) إذا كان ابتداء أي ابتداء الكتب ونشأ من أجل القتل وذكره الألوسي في تفسيره (١١٧/٢) .

(٣) انظر تفسير الألوسي ذكره بلفظ آخر (١١٧/٢) .

(٤) والحديث من رواية عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث:كفر بعد إيمان ،أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس). أخرجه أبو داود في سننه في ، كتاب الديات،، باب الإمام يأمر بالعفو رقم(٤٥٠٢) وأخرجه الترمذي في سننه في ، كتاب الفتن ، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم رقم (٢١٥٨)، وأخرجه النسائي في المجتبى في، كتاب تحريم الدم ، باب ذكر ما يحل به دم المسلم. وأخرجه ابن ماجه في السنن في ، كتاب الحدود ، باب لا يحل دم امرئ مسلم رقم (٢٥٣٣).قال الحاكم في المستدرك هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه انظر (٣٩٠/٤).
قلت: وله شواهد في الصحيحين بلفظ: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ،والثيب الزاني ،والمفارق لدينه التارك للجماعة.أخرجه البخاري في ،كتاب الديات ، باب قول الله تعالى:(النفس بالنفس) رقم (٦٨٧٨).أيضاً في ، باب القسامة رقم (٦٨٩٩) ،وأخرجه مسلم في صحيحه في، كتاب القسامة، ، باب ما يباح به دم المسلم رقم (١٦٧٦).قال الزيلعي والمعنى أن الحديث في الكتب الستة انظر نصب الراية (٣١٨/٣).

جَمِيعًا ﴾ فإن الناس لما كانوا كجسم واحد ونسبة آحادهم [١] إليه كنسبة أعضاء الجسم الواحد إليه ، صار الساعي في إهلاك بعض الجسم كالساعي في إهلاكهم ، كما أن الساعي في إهلاك بعض الجسم كالساعي في إهلاك كله ، صار قتل الواحد كقتل الناس ، ولهذا جاء [في] [٢] التفسير [٣] أن المؤمنين خصماً للقاتل ولهذا قال : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾[٤]،وقال مجاهد: فلو قتل الناس جميعاً لم يرد في جزاءه على جزاء قوله:﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ أي من نجاها من الهلاك إمَّا بالحماية عليها ، وإمَّا بالعفو عنها إذا لزمها قِصاص يستحب منه العفو[٥].قال مجاهد: من أحياها أي من ترك قتلها[٦].قال الحسن : من قتل نفساً أي من أضله عن طريق الهدى ، ومن أحياها أي دعا مشركاً إلى الإيمان فهداه وأرشده

---

(١) (أحادهم) تكرر في الأصل مرتين.

(٢) (في) أضفتها لأن السياق يقتضيها

(٣) المراد به تفسير الجصاص والمسمى بأحكام القرآن وانظر هذا القول في(٤/٥٠)،أو تفسير الطبري جامع البيان انظر(٦/٢٠٢) والله أعلم .

(٤) سورة النساء آية (٩٣) .

(٥) انظر تفسير الطبري وقد أخرجه عن مجاهد (٦/٢٠٢-٢٠٣) بلفظ قريب منه ،وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن جرير وابن المنذر انظر (٣/٦٥) وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٤/٥٠).

(٦) انظر تفسير الطبري وقد أخرجه عن ابن عباس (٦/٢٠٢-٢٠٣) بلفظ قريب منه.وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس انظر الدر (٣/٦٤) وذكره ابن الجوزي في الزاد ونسبه لابن عباس ومجاهد انظر (٢/٢٦٩).

(١) ، فكأنما أحيا آدم عليه الصلاة والسلام وولده إلى القيامة (٢) . قوله عز وجل : [٣٢٦/ب]
﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٣) . تنبيه أن الله لم يخلهم من بشير ونذير على عبادته في الأمم . والإسراف (٤) : الإبعاد في الخروج عن الحق ، وعن الاستقامة التي هي العدالة في كل شيء هذا أصله ، وإن تُعورف في الخروج عن العدالة في إنفاق المال ، وقد وصف قوم لوط بالإسراف لخروجهم عمَّا أُبيح لهم إلى ما حُظر عليهم (٥) ، فبيَّن تعالى أن كثيراً منهم بعد مجيء رسلهم بالبينات يخلون بالعدالة وما شرع

---

(١) ذكر أبو حيان قولاً قريباً منه انظر تفسيره (٤٨٣/٣) ثم قال: ودليله ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢] . والإحياء هنا مجازاً ،لأن الإحياء الحقيقي هو لله تعالى. . . ، وإنما المعنى: استبقاها و لم يتلفها.

(٢) لم أقف على هذا الأثر عند غير الراغب ،والمنسوب للحسن هو الأجر في ترك القتل والوزر في القتل، انظر ابن جرير في تفسيره فيما ينسبه للحسن (٢٠٤/٦) ، وقد رجح الطبري في معنى الآية أن من قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا بما استوجبه من الله من عقوبة ،ومن أحياها أي حرم قتل من حرم الله عز وجل فلم يقتلها انظر بتصرف جامع البيان (٢٠٤/٦) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٧٤/٢).

(٣) سورة المائدة بعض آية (٣٢) .

(٤) انظر اللسان مادة سرف ،والمفردات مادة سرف وقال القاسمي المسرفون: يعني بالقتل والفساد انظرمحاسن التأويل (١٠٣/٦).

(٥) في قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة الأعراف آية(٨١/٨٠).

لهم وأبعدوا في التعـــدي [١] . ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢] محاربـــــة الله ورسوله : هو السعي في الأرض بالفساد ، وسمي ذلك محاربة الله ومحاربة رســوله تعظيماً [٣] ، والسعي في الأرض قيل : هو في الصحراء [٤] ، وقيل : هو في البلـــد أيضاً [٥] ، وهو الأصح [٦] . قال الحسن : الآية نزلـــت في المشـــركين المحـــاربين والحكم مختص بهم [٧] ، وقيل : نزلت في العُرَيْنِيِّينَ [٨] ، وذلك أن قوماً من عُرَيْنَـــة

(١) ذكره الرازي بلفظ قريب منه انظر تفسيره (١١/٣٤٥).

(٢) سورة المائدة آية (٣٣) .

(٣) لعل هذا من قول الجصاص انظر أحكام القرآن(٤/٥١-٥٢).وقد تصرف الراغب فيه.

(٤) وهو قول أبي حنيفة والثوري وإسحاق وهو ظاهر كلام الخرقي انظر المغني رقـــم(٧٣٢١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٩٤).

(٥) أي في الصحراء والمصر وهو قول الشـــافعي والأوزاعـــي وأحمـــد والليـــث انظـــر المغـــني رقم(٧٣٢١)وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٩٥).

(٦) وكذا رجحه ابن قدامة في المغني انظر رقـــم(٧٣٢١)؛ وأحكـــام القـــرآن لابـــن العـــربي (٢/٩٥)ورجحه الطبري انظر جامع البيان (٦/٢١٠).

(٧) وأخرجه ابن جرير عن الحسن وعكرمة انظر جامع البيان (٦/٢٠٦).وعزاه السيوطي في الـدر المنثورلداود والنسائي عن ابن عباس (٣/٦٥). وذكره ابن الجوزي في الزاد ونسبه لعكرمـــة والحسن وابن عباس (٢/٢٧٠).

(٨) وعُرينْة: بضم العين المهملة وفتح الراء وفي آخرها نون ،وهي تصغير عَرَنة والنسبة إليها عُـــرَني

أتو المدينة وأسلموا وأقاموا ما شاء الله ثم شكوا إلى النبي ﷺ فـأجتوا في المدينـة واستأذنوه في الخروج إلى لقاح [١] الصدقة ليقيموا فيـها إلى أن يَصِحُّـوا وأذن لهم ، فنالوا من ألبان اللقاح ، وثابت قواهم ، ثم ارتدوا ، وقتلوا الرُّعاة ، وسـاقوا اللقاح ، فبعث رسول الله ﷺ عليهم في طلبـهم فـأُخذوا وقطعـت أيديـهم وأرجلهم ، وسُمِلَتْ أعينهم ، و لم تسلم دمائهم حتى ماتوا [٢] . وقيل : الآيـة في أهل العهد [٣] ، وأكثر الفقهاء [٤] حملوا على المسلمين أيضاً ، وجعل ما لك [٥] :

= ،وهي واد بين عرفات ومنى ،وعرينـة قبيلـة مـن بجيلـة ،انظـر الأنسـاب للسـمعاني (١٨٢/٤).وأخرجه ابن جرير عن السدي وأنس وسعيد بن جبـير انظـر جـامع البيـان (٢٠٦/٦-٢٠٧-٢٠٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثورلعبدرزاق والبخاري ومسلم وأبـو داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والنحاس في ناسخه والبيهقي في الدلائل عـن أنس (٦٦/٣).

(١) لقاح الصدقة : إبل الصدقة ، انظر زاد المسير (٣٦٩/٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، بـاب (إنمـا جـزاء الذيـن يحـاربون الله ورسوله).المحاربة لله الكفر به رقم(٤٦١٠)،وفي ، كتاب الوضوء ، باب أبواب الإبل والدواب والغنم ومرابقها رقم(١٧٣)وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب القسـامة، بـاب رقـم(٩-١٤)وسُمِلت أعينهم:فُقِئت. وانظر أسباب النـزول للواحدي ص(١٣٠)وابن كثير في تفسيره (٧٦/٢).

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك انظر تفسيره (٢٠٦/٦) واختاره، وقد ضعّف هـذا القول ابن العربي في أحكام القرآن انظر (٩٢/٢)وهو الراجح والله أعلم وعزاه في الدر لابـن جرير والطبراني في الكبير عن ابن عباس انظر(٦٦/٣)وابن كثير في تفسيره (٧٦/٢).

(٤) انظر التفسير الكبير (٣٦٤/١١) ، وذكره القاسمي منسوبا لمالك والأوزاعي والليث بن سـعد والشافعي وأحمد ، انظر تفسيره (١٠٥/٦) .

(٥) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه ،إمـام دار =

الإمام مخيراً فيمن سعى بالفساد من الأحكام الثلاثة ، وقد رُوي (١) ذلك عن ابن عباس (٢) . وجعل غيره (٣) الحكم ترتباً ، وقال من قتل وأخذ المال قُتل وصُلب ، وقتل فقط قيل لم يصلب (٤) . ومن أخذ المال فقط قطع يده ورجله من خلاف يده اليمنى ورجله اليسرى و لم يُقتل . ومن لم يأخذ المال وإنما يُخوَّفُ ينفى من الأرض ، وذلك بأن يطلب . فإن [٣٢٧/أ]

=

الهجرة ،رأس المتقين، وكبير المتثبتين قال عنه البخاري أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر من السابعة مات سنة تسع وسبعين ،وكان موته سنة ٩٣هـ بلغ تسعين سنة انظر التقريب رقم (٦٤٢٥) ،والكاشف (٩٨/٣). وأخرج هذا الرأي ابن جرير عن الحسن ومجاهد (٢١٤/٦).ونسبه الرازي لأبي حنيفة (٣٤٧/١١)، وانظر المغني لابن قدامة رقم (٧٣٢٢) ونسبه لسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن والضحاك والنخعي وأبي الزناد وأبي ثور وداود.

(١) في الأصل (عن ذلك) والأولى ما أثبتناه ولعله تصحيف .

(٢) ذكره في المغني رقم (٧٣٢١) ، وانظر التفسير الكبير وكذا نسبه إلى الحسن وسعيد بن المسيَّب ومجاهد (٣٤٦/١١) ، وأخرجه البغوي في تفسيره (٤٩/٦) ، والشافعي في مسنده (٨٦/٢) وفي سنده إبراهيم بن محمد بن أبي يحي السلمي متروك وصالح مولى التوأمة وهو صالح بن نبهان صدوق أختلط بآخره . وأخرجه البغوي في شرح السنة (٢٦١/١٠) . وأخرجه الطبري في تفسيره (٣١٢/٦) .

(٣) وهذا مذهب الإمام أحمد بن حنبل في كونها على الترتيب على ما ذكر الراغب . انظر فهارس المغني مادة حرابة (٢٧٧/١) رقم (٧٣٢٢) . ونسبه لقتادة وحماد والليث والشافعي وإسحاق انظر زاد المسير (٢٧٠/٢).

(٤) وهو مذهب أبي حنيفة كما ذكر ذلك الرازي في تفسيره (٣٤٧/١١) ، قال وعند الشافعي رحمه الله لا بد من الصلب وهو قول أبي يوسف ، وحجة الشافعي : أنه تعالى نص على الصلب كما نص على القتل فلم يجد إسقاط الصلب كما لم يجد إسقاط القتل . والمغني لابن قدامة رقم(٧٣٢٢) وأحكام القرآن للجصاص (٥٥/٤) ،وابن العربي (٩٧/٢) .

تاب قبل القُدرة عليه عُفي عنه ، وإلا أخذ فحبس [١] . وقيل :نفيه :- طرده من بلد إلى بلد.[روي ذلك] [٢] عن ابن الزبير [٣] وعن ابن عبدالعزيز[٤] ، وقيل: الطلب [٥] ، وقيل: القتل بعد القتل [٦] ، ردعاً لغيره ، ونبه على تعظيم ماارتكبه أنه يجمع عليه حد الدنيا ، وعقوبة الآخرة [٧] . قال عز وجل :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٨] الاستثناء راجع إلى كل من تقدم ذكره ، وهو في العذاب

---

(١) ذكره البغوي منسوباً لابن عباس ، انظر تفسيره (٤٩/٦) . والشافعي في الأم (٥٦٧/٨).

(٢) روي ذلك ساقط من الأصل وأثبتها لأن السياق يقتضيها .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو بكر،وأبو حبيب قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ،انظر التقريب رقم (٣٣١٩)، والكاشف (١٥٠/٢) .

(٤) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ،أمير المؤمنين ،أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ،ولي إمرة المدينة للوليد ،وكان مع سليمان كالوزير وولي الخلافة بعده فُعد من الخلفاء الراشدين ،من الرابعة ،مات في رجب سنة إحدى ومائة ،وله أربعون سنة انظر التقريب (٤٩٤٠) والكاشف (٢٧٥/٢). وإليه ذهب مالك انظر أحكام القرآن للجصاص (٥٨/٤) ، أخرج الرواية عنه ابن جرير في تفسيره (٢١٨/٦) ، وعزاه في الدر لعبد بن حميد عن الحسن (٦٩/٣) ، ونسبه في المغني لقتادة وعطاء والحسن وغيرهم رقم(٧٣٢٦) ، ورجح ابن جرير أن النفي يكون من بلد إلى بلد مع الحبس في البلد الذي ينفى إليه انظر (٢١٨/٦) ، وانظر أضواء البيان (٣٩٦/١).

(٥) الذي في الأصل الصلب ولعله تصحيف والصواب ما أثبته اعتماداً على المعنى الآخر للنفي ،وقد ذكره الطبري في تفسيره ونسبه للسدي والضحاك انظر تفسيره (٢١٦/٦)والمغني لابن قدامة رقم(٧٣٢٦).

(٦) ذكر هذا القول الجصاص في أحكامه و لم ينسبه لأحد ثم قال:ولم يرد بالنفي القتل لأنه قد ذكر في الآية القتل مع النفي انظر (٥٩/٤).

(٧) ذكره الجصاص في أحكامه(٥٩/٤) ولعله من قوله وقد تصرف الراغب فيه.

(٨) سورة المائدة آية (٣٤) .

، وفي إقامة الحدود [١] ، وقال بعض الفقهاء [٢] : كل حق لله مختص بقاطع الطريق فالتوبة قبل القدرة يُزيل [ما][٣] عليه إن كان من حقوق الله ، وإن كان من حقوق الآدميين فلا يزول إذا طالب به صاحبه . قوله عز وجل :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٤] . الوسيلة : القربة [٥] وهي دون الوصيلة [٦] ، وقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خطاب لكل من أظهر الإيمان سواء كان في مبدئه ، أو في وسطه ، أو في منتهاه . وتقوى الله :- هو الإمتناع عن المحارم ، وتحري الواجبات [٧] ، وابتغاء الوسيلة . كما قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عز وجل : (**ما زال العبد يتقرب إليّ**

(١) انظر تفسير الألوسي (٢/١٢٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/٣٨٥) ، وقال صاحب الزاد (٢/٢٧١) بتصرف : قال أكثر المفسرين : هذا الإستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من شركهم وجرمهم وفسادهم . وهذا لا خلاف فيه ، فأما المحاربون المسلمون فاختلفوا فيهم وقول الشافعي: تسقط عنهم حقوق الله وأما حقوق العباد فلا تسقط .

(٦) هو قول الإمام الشافعي . كما نسبه إليه في زاد المسير (٢/٢٧١) ، البحر المحيط (٣/٤٨٥) ، ونسبه أيضاً لمالك وأصحاب الرأي ، انظر البغوي في معالم التتريل (٦/٤٩) ، والتفسير الكبير (١١/٣٤٨) وانظر المغني رقم (٧٣٢٧) .

(٣) (ما) ساقطة من الأصل وأثبتها لأن السياق يقتضيها.

(٤) سورة المائدة آية (٣٥) .

(٥) الوسيلة : أصله من وسل ، انظر المفردات مادة وسل . الوسيلة فعيله من وسل إليه إذا تقرب إليه . انظر التفسير الكبير (١١/٣٥٠) . والمحرر الوجيز (٢/١٨٦) ، وأخرجه الطبري عن عطاء والسدي ومجاهد والحسن وابن كثير في جامع البيان (٦/٢٢٦) . زاد المسير (٢/٢٧٢) ونسبه أيضاً للفراء ، و لم أقف عليه في معاني القران للفراء انظر(١/٣٠٦).

(٦) انظر مادة وصل في اللسان، والمفردات ،وهذه الدونية من حيث العموم والخصوص فالوسيلة خاصة لتضمنها معنى الرغبة والوسيلة عامة في المعاني والأعيان.

(٧) انظر اللسان مادة وقى والمفردات مادة وقى.

والسلام حكاية عن الله عز وجل : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل**) الخبر [١] . والمجاهدة في سبيله : هو بذل الجهد فيما تقدم من إقامة الفرائض [٢] ، وبيّن أنكم إذا فعلتم ذلك كنتم راجين للفلاح المذكور في قوله :﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٣] . والفلاح العام : هو البقاء بلا فناء ، والغنى بلا فقر ، والقدرة بلا عجز والعزُّ بلا ذل [٤] . ونبه باختصاص لفظ الابتغاء على بذل الجهد [٥] . قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ [٣٢٧/ب] وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٦] . أي لو حصَّل كل واحد ما في الأرض ومثله قاصداً بإحرازه أن يجعل ذلك وقاية لنفسه لم ينفعه ، وذلك حثٌّ على المبادرة بالامتناع عن الآثام وترك الاهتمام [٧] بالمال في المعاد . وروى أنس [٨] عن النبي ﷺ أنه يقال للكافر يوم القيامة ، **أرأيت لو كان لك يوم القيامة ملء الأرض ذهباً**

(١) تقدم تخريجه (ص/٣٠٨) من الرسالة .

(٢) ذكره الرازي بمثل هذا المعن في تفسيره (١١/٣٥٠) .

(٣) سورة المؤمنون آية (١) .

(٤) ذكره الراغب في المفردات انظر مادة فلح..

(٥) ذكره الراغب بلفظ قريب منه في المفردات مادة بغى.

(٦) سورة المائدة آية (٣٦) .

(٧) الاهتمام : يتعدى بالياء ، يقال : اهتم بالشيء ، والذي في الأصل الاهتمام عن المال والصحيح ما أثبته .

(٨) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ،خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين مشهور ، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة، انظر التقريب

(للكافر يوم القيامة ، أرأيت لو كان لك يوم القيامة ملء الأرض ذهباً لكنت مفتدياً به، فيقول :- نعم ، فيقال له:كذبت ، قد سئلت ما هو أهون من ذلك فأبيت)[١] . وقوله : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ ﴾ الواو عطف ، أو يكون بما بعد حال[٢].قوله عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[٣] أي يسألون أن يخرجوا منها،وذلك هو المذكور في قوله[٤] : ﴿ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾[٥] ، والمقيم الذي لا يزول ولا يتحول[٦] ، قال ابن عباس:كل شيء من أمر الدنيا يبلى ويفنى ،

=

رقم(٥٦٥)، والإصابة (١/٢١٠).

(١) الحديث أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه بلفظ غير هذا ، قال :قال رسول الله ﷺ :(يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم ، فيقال له :- قد كنت سُئِلت ما هو أيسر من ذلك . أن لا تشرك بي فيؤمر به إلى النار) . في كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عُذِّب حديث (١٥٧٤) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث (٥١/٥٢) .

(٢) في الأصل بعد الحال والصواب ما أثبته لأن السياق يقتضيه . انظر التفسير الكبير (١١/٣٥٠) وقد ذكره أبو حيان في تفسيره (٣/٤٨٨) غير أنه قال في قول جواز الحال أنه ليس بالقوي وانظر الدر المصون (٤/٢٥٦) وذكر ثلاثة أوجه في إعرابها وضعف هذا الوجه .

(٣) سورة المائدة آية (٣٧) .

(٤) الذي في الأصل (قولنا) والصحيح ما أثبته .

(٥) سورة فاطر آية (٣٧) .

(٦) انظر المفردات مادة قوم ، وذكره الرازي في تفسيره (١١/٣٥١) . فنجد هنا سلك مسلك الصحة في الوعيد وفي حكم الكافرين في أنهم مخلدون في النار ، وأن هذه الآية خاصة بهم لا بغيرهم من عصاه الأمة المحمدية .

وكل شيء من أمر الآخرة يبقى ويتجدد[١] . قولـــه تعـــالى :﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ ﴾ نبه بذلك على أنهم يحتالون لذلك ولا ينفعهم[٢] . قوله عز وجـــل : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣] . الســـارق : المتنـــاول مـــــال غـــيره مستتراً [٤] ، وقد يقال : للخائن سارق على التشبيه . وقوله النبي ﷺ : (**أســـوأ الناس سرقة ، الذي يسرق من صلاتـــه**) [٥] فعلـــى التشـــبيه . وأختلـــف في الآية ، فمنهم من قال : هو مجمل كقوله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [١] وإجمالـــه

(١) لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٢) قال الرازي في تفسيره بتصرف(١١/٣٥١) وإرادهم للخروج تحتمل أمرين: أ/أنهم طلبوا ذلك ،ب/أنهم تمنوا ذلك وأرادوه من قلوبهم وهو كقولـــه تعـــالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٧]. ويؤكد هذا الوجه قراءة مـــن قـــرأ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] بضم الياء.

(٣) سورة المائدة آية (٣٨) .

(٤) انظر اللسان مادة سرق قال السارق عند العرب من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ منه ما ليس له فإن أخذ بظاهر فهو مختلس ومنتهب فإن منع مما في يديه فهو غاصب ، وذكر ابن عطية قـــولاً قريبا من قول الراغب (٢/١٨٩) .

(٥) ونص الحديث : قال النبي ﷺ : (أسوأ الناس الذي يسرق من صلاته قـــالوا : يـــا رســـول الله ، وكيف يسرق من صلاته قال : لا يتم ركوعـــها ولا ســـجودها) وفي روايـــة زيـــادة (ولا خشوعها) وصححه الحاكم وقال هو على شرطهما عن أبي قتادة مرفوعاً بزيـــلدة (إن) في أوله ، انظر المستدرك (١/٢٢٩)،وأخرجه أحمد في مسنده رقم(٢٥٥٣) وقال مخرجه : إسناده صحيح. وذكرة العراقي في المغني ،وعزاة لأحمد والحاكم،وقال: صحيح اسنادة من حديـــث أبي قتـــادة الأنصاري .انظر المغني عن حمل الأسفار رقم /٣٨٣

مجمل كقوله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [١] وإجماله من حيث يحتاج إلى شرائط [٢] لا يُنبىء الظاهر عنها . ومنهم من قال : هو غير مجمل من حيث أنه يتناول لكل سارق [٣] ، وما لم يُرِد منه فهو مخصص [٤] ، وقال بعضهم : الألف واللام في السارق والسارقة للعهد [٥] . والآية واردة في سارق المِجَن [٦] ، وامرأة سرقت [٧] . لكن الحكم عام من حيث أنه قد ثبت أن حكم الشريعة في الواحد حكمها في الجماعة متى شرَّطهم شرطه . وقال بعضهم : هو[٨] للجنس [٩] ، وبعضهم جعلها بمعنى الذي ، وذلك يتضمن معنى الشرط ويكون مفيداً للعموم [١٠] . وقراءة

---

(١) سورة البقرة آية (٤٣) . انظر تفسير الرازي (١١/٣٥٢) .

(٢) شروط حد السرقة : ١- قدر النصاب ، ٢- وأن تكون السرقة من حرز ، وانظر قول الرازي في تفسيره (١١/٣٥٢).

(٣) انظر تفسير الرازي (١١/٣٥٣) .

(٤) انظر الرازي (١١/٣٥٣) .

(٥) وهو العهد الذهني وإليه ذهب سيبويه انظر الدر المصون(٤/٢٥٧)والكتاب لسيبويه (١/٧١-٧٢)

(٦) متفق عليه ، أخرجه البخاري ، في كتاب الحدود ، باب قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ وفي كم يقطع ؟ رقم (٦٧٩٥) . ومسلم في الحدود ،باب حد السرقة ونصابها رقم [١٦٨٤] .

(٧) سيأتي تخريجه في (ص/٣٤٨) من الرسالة إن شاء الله تعالى .

(٨) الذي في الأصل(هي) والصحيح ما أثبته لأنه عائد على المفرد المذكر.

(٩) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٢/١٠٣) ولم ينسبه لأحد .

(١٠) نسبه الرازي إلى الفراء ، انظر تفسيره (١١/٣٥١) ، وانظرمعاني القرآن للفراء (١/٣٠٦) واختاره الزجاج في معاني القران(٢/١٧٢) قال: وهو المعتمد ،وانظر الدر المصون (٤/٢٥٨).

عامة القراء السارقُ بالرفع [١] ، وكان عيسى [٢] ينصب نحو قولهم زيداً [٣٢٨/أ]
فاضربه ، والوجه الرفع [٣] . لأن النَّصب مختار حيث لا معنى للشرط ، نحو زيداً فاضربه ، فأما كل لفظ متضمن لمعنى الشرط فالرفعُ نحو قوله:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾[٤]، ونحو:﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾[٥] . إن قيل : لم قدم المذكر في قوله :

---

(١) أخرجه ابن جرير عن عبد الله وإبراهيم انظر جامع البيان (٢٥٨/٦) ، وانظر الدر المصون (٢٥٧/٤) ونسبها للجمهور.

(٢) عيسى بن عمر الأسدي الكوفي المقري صاحب الحروف ويعرف بالهمداني روي عن عطاء وعمرو بن معرة والمسيب بن عبد خير ،وعنه الفرياني وخلاد قال أحمد: ليس به بأس مات سنة ١٥٦هـ قال عنه ابن حجر ثقة من السابعة وانظر ترجمته في الكاشف(٣١٧/٢) والتقريب رقم(٥٣١٤) والتهذيب(٥٥٠٧) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٥٠)وانظر القراءة في الشواذ(٣٢)،والدر المصون (٢٥٧/٤) ومعاني القرآن للزجاج (١٧٢/٢) ومعاني الفراء (٣٠٦/١) والبحر المحيط (٤٧٤/٣) وإعراب القراءات الشواذ ص (٤٧٨). إلى هذا ذهب سيبويه وحجته في ذلك ١-أن النصب في مثله هو الوجه في كلام العرب نحو زيداً حاضريه ،لأجل الأمر بعده. ٢- دخول الفاء في خبره ،وهي عنده لا تدخل إلى خبر الموصول الصريح كالذي. انظر كتابه (١٤٢/٢-١٤٣-١٤٤)(٦٢١/٣)

(٣) وملخص القول في إعراب السارق والسارقة:
أولاً: أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الأمر.
ثانيا: الرفع وهو على وجهين: ١-رفع على خبر ابتداء، محذوف دل على اللسان. ٢-الابتداء وبناء الكلام على الفعل. وقد رجح ابن جرير وابن عطية وأبو حيان وغيرهم الوجه الثاني من الرفع والعلة في ذلك ١-لأنه غير معين السارق أو السارقة. ٢-قرأه ابن مسعود (السارقون والسارقات) وإن كانت غير متواتر فهي مفسرة ،انظر جامع البيان (٢٢٦/٦)،والمحرر الوجيز (٦٨٩/٢)، والبحر المحيط (٦٨٩/٣) وانظر رد الرازي على قول سيبويه في تفسيره (٣٥٦/١٢).

(٤) سورة النور آية (٢) .

(٥) سورة النساء آية (١٦) . ولعل هذا من قول الفراء وقد تصرف الراغب فيه انظر معاني

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ ، وأخَّر في قوله : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ﴾ ، قيل : لأن السرقة أكثر ما يوجد بالرجال ، والزنا أكثر ما يوجد سببه من النساء ، بل توهمنا امتناع انقياد المرأة أصل وجود الزنا . وبيَّن أن الله تعالى عزيز [1] في انتقامه ، حكيم في حكمه . واختلف في قدر ما يقطع به [2] ، فروي عن عمر وعلي أنه يقطع في خمسة [3] ، وعن أبي سعيد الخدري في أربعة [4] ، وعن أبي بكر في ثلاثة [5] ، وعن ابن عباس في عشرة [6] ، وعن عائشة في ربع دينار [7] ، وإليه ذهب الشافعي [1] ، ومالك والحسن في

=

القرآن للفراء (٣٠٦/١).

(١) في الأصل (عزز) والصواب ما أثبته ولعله سبق قلم .

(٢) انظر أقوال العلماء في قدر ما يقطع عند ابن قدامة في المغني (٢٣٥/١٠) و(٩٣/٩،٩٥) رقم/٧٢٥١ وأحكام القرآن للجصاص (٦١/٤:٨٤)

(٣) عمر بن الخطاب نفيل العدوي القرشي أبو حفص ، أسلم بمكة – شهد المشاهد كلها ،جم المناقب تولى الخلافة بعد أبي بكر أستشهد سنة ٢٣هـ أنظر الإصابة (٤٨٤/٤) ذكر هذه الرواية الجصاص في أحكام القران (٦٤/٤) ونسبه الألوسي لأبي على الجبائي في روح المعاني (١٣٣/٢).

(٤) أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري له ولأبيه صحبة ،واستصغر يوم أحد ،ثم شهد ما بعدها ،وروى الكثير، مات بالمدينة سنة٦٣وقيل٦٤ وقيل ٦٥هـ. انظر ترجمته التقريب (٢٣٥٣) والكاشف(٢٧٨/١) والرواية ذكرها الجصاص في أحكامه (٦٤/٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره عن عبد الله بن عمر وابن عباس (٢٢٩/٦) ، وذكره الجصاص عن ابن عمر انظر (٦٤/٤)من أحكام القران

(٦) ذكر الطبري في تفسيره ونسبه إلى ابن عباس وابن عمر وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه انظر (٢٢٩/٦) .

(٧) عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين ، أفقه النساء مطلقا ، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا

ثـــلاثـــة ، وقـــال أبـــو حنيفـــة : لا يقطـــع مـــن يســـرق طعامـــاً يســـرع إليـه الفســـاد ، أو ثيابـــاً أوحديـــدا ، أو قصـــباً ، أو زرنيجـــاً ، ونَـــوْرَةَ [٢] ، وقد روى : (**ولا يقطع في ثمر ولا كثر**) [٣] ، وقـــال

=

خديجة روي عنها عروة وعطاء وغيرهم عاشت ٦٥سنة توفيت سنة ٥٧ على الصحيح ودفنت بالبقيع ، والكاشف (٢/٤٣٠) ، والتقريب رقم (٨٦٣٣) ، وقال حديـث عائشـة ثابت وانظر الرواية عند ابن جرير (٦/٢٢٩) ، وأخرجه البخاري في صحيحه (٨٦)-كتـاب الحدود ، (١٣)-باب قوله تعالى : (والسارق والسارقة) رقم (٦٧٨٩،٦٧٩٠،٦٧٩١)

(١) انظر الأم (٨/٣٧٠) .

(٢) انظر المغني لابن قدامه (١٠/٢٤٣) رقم [٧٢٥٥] . الزرنيخ : عنصرشبية بالفلزات ، له بريق الصلب ولونه،ومركباتة سامه ،يستحدم في الطب لقتل الحشرات۰إنظر المعجم الوسيط (٣٩٣/١) ألنوره والنوره :قيل الزهر ،وقيل النور الأبيض والزهرالأبيض،ذلك أنة يبيض ثم يصغر ۰قال الليث: النور نور الشجر والفعل التنوير۰والنورة من الحجر الذي يحرق ويسرق من الكلس ويحلق بة إنظر اللســـــان مادة نور

(٣) قال رسول الله ﷺ : (لا قطع في ثمر مُعَلَّقٍ ولا في حَرِيسةَ جبل ، فإذا آواه المُراح أو الجريـــن فالقطع فيما بلغ ثمن المجن) قال ابن عبد البر : و لم تختلف رواة . وقال عليه الصلاة والســـلام :ــ (لا قطع في ثمر ولا كثر) ، والكثر هو المأخوذ من النخل : وهو جُمَّار النخل أي شحمه أخرجه مالك في الموطأ ٢كتاب الحدود ، باب ما لا يقطع فيه ، الحديث (٣٢) ، ضمن روايـة مطولة . وأخرجه الشافعي عن طريق مالك في المسند ،كتـــاب الحـــدود ، البـــاب في حـــد السرقة ، الحديث رقم(٢٧٥) ، وأخرجه الدرامي في السنن كتاب الحدود ، باب ما لا يقطـع فيه من الثمار ، وأخرجه الترمذي في سننه ،كتاب الحدود ، باب ما جـــاء لا قطـــع في ثمـــر الحديث (١٤٤٩) ، وأخرجه النسائي في المجتبى من السنة ، كتاب قطع السارق ، باب لا قطع فيه رقم (١٣) ، أخرجه أبو داود في السنة كتاب الحدود ، باب ما لا قطع فيه ، وأخرجه ابن ماجة في السنن ،كتاب الحدود ، باب لا قطع في ثمر ولا كثر الحديث (٣٥٩٣) . وقال الموطأ في إرساله ، ويتصل معناه من حديث عبد الله بن عمرو وغـــيره ، ووصلـــه النســـائي عـــن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في قطع السارق باب الثمر المعلق يُسْرق ، وبـــاب الثمـــر

الشافعي : ما لم يُحَرَّز فأمَّا إذا أُحرز وبلغ قيمتُه ما يُقطع فيه قُطِعَ [(١)] ، وأما قدر القطع من اليد فعند الخوارج [(٢)] من المنكب وعند غيرهم من الرسغ [(٣)] . وقد روى أبو هريرة [(٤)] : (**أن النبي ﷺ قطع سارقاً من**

=

يسرق بعد أن يؤويه الجرين (٢/٨٤-٨٦) ، والبغوي في شرح السنة (١٠/٣١٩) ، وانظر قول الزيلعي في نصب الراية (٣/٣٦١/٣٦٢). وقال ابن حجر في التلخيص (٤/١٢١)،(ط/١)،(رقم/٢٠٧٤):اخرجة أحمد،وأصحاب السنن،وابن حبان ،والحاكم،والبيهقي من حديث رافع بن خديج،واختلف في وصله واساله ،وقال الطحاوي :هذا الحديث تلقته العلماء بالقبول ،ورواه أحمد وابن ماجة من حديث أبي هريرة ،وفيه سعد ابن سعيد المقبري وهو ضعيف .

(١) انظر الأم (٨/٣٧) .

(٢) الذي في الأصل الجوارح والصحيح ما أثبته. والخوارج عرفهم الشهر ستاني بقوله : كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً : سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان) . وسار هذا اللقب على من خرج على علي بن أبي طالب في حرب صفين ، ويجمع الخوارج بالقول على التبرئ من عثمان وعلي رضي الله عنهما وهم القائلون بتكفير مرتكب الكبيرة ، ومن فرقهم : الحكمه ، والأزارقة والنجدات وغيرهم .
انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (ص/٦٢) . والملل والنحل (١/١١٤-١١٥) والفرق بين الفِرق للبغدادي (ص٧٢-٧٥) . والموسوعة الميسرة (٢/١٠٥٣) .
وانظر قولهم في: في أحكام القرآن للجصاص (٤/٧٠) والمغني لابن قدامة (٧٢٥٧) والْمَنكِبُ: مجتمع الصدر في المنكب انظر التلخيص في الأسماء (١/٥٣).

(٣) ذكر الجصاص في أحكام القرآن (٤/٧٠) وفي روح المعاني (٢/١٣٣) فقد ذكره غيرمنسوب.
الرُّسْغ:هو موصل الكف إلى الساعد والقدم إلى الساق انظر التلخيص (١/٥٣)وأساس البلاغة مادة رسغ.

(٤) أبو هريرة الدوسي: صحابي جليل حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه قيل عبد الرحمن بن صخر،وقيل: ابن غنم وقيل عبد الله بن عائد وقيل ابن عامر.مات سنة سبع وقيل

الكوع) [١] ، ولأن المقصد بقطعه أن لا يبطش ، ولا يتناول بها ، وبذلك يحصل الغرض ، ولا يقطع إلا يمينها بدلالة قراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) [٢] فذلك يؤخذ به حكماً ، وإن لم يؤخذ به تلاوة [٣] . وإنما ذكر الأيدي بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ الاثنين ، وتارة بلفظ الواحد كقول الشاعر [٤] :-

---

=

ثمان وقيل تسع وخمسين انظر التقريب رقم (٨٤٢١).

(١) الكوع:رأس الزَّنْدِ الذي يلي الإبهام ، انظر التلخيص للعسكري (٥٦/١) وقد ذكر هذه الرواية ابن قدامة في المغني ونسبها لأبي بكر وعمر رقم (٧٢٧٦).وصححها ابن حجر في الفتح لأنها موافقة لرواية البخاري أنه قطع من الكف انظر(٩٦/١٢).

(٢) انظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص(٣٩) ، وقد أخذ بها الجمهور في البداءة بقطع اليد اليمنى ،كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح (٩٦/١٢) وقد ذكرها في المغني رقم(٧٢٧٦). غير أن الرازي رد هذه القراءة لكونها شاذة وقال القراءة الشاذة لا تبطل القراءة المتواترة وهي ليست حجة عندنا انظر تفسيره (٣٥٥/١٢).

(٣) انظر علوم القرآن للطحان (ص/٥٥).

(٤) هذا الشاهد ذكره سيبويه مرتين في كتابه في المرة الأولى نسبه لخطام المجاشعي (٢٤٠/١) وفي المرة الثانية نسبه لهميان بن قحافة (٦٢٢/٢) ، وينفي البغدادي نسبته إلى هميان في الخزانة ، وثبت أنه لخطام صدر البيت

مَهْمَهين تَذَفَيْن مَرْتَيَنْ   ظهراهما مِثْلَ ظهور التَّرسَيْنْ

وذكر في الدرر أن البيت لخطام المجاشعي من رجز له مشهور ، وأوله :-

حيٍّ ديار الحي بن الشَّهبيْن   وطلحة الدوم وقد تعقين

لم يبق من آى بها تُحليِّن   غير حُطامٍ ورماد كَذْفَعيْنْ

انظر معاني القرآن للزجاج (١٧٣/٢) خزانة الأدب (٣٧٥/٣) والكتاب (٦٢٢/٢) ، وسر صناعة الإعراب (٨٢٨/١) والدرر (ص/٧٥) والهمع رقم (٥٧) ، وشواهد القرطبي (٩٥/٣) رقم [٢٦٠٢] ، وقال القرطبي: ضُبطت القافية في الشاهد بكسر النون ، والصواب السكون .

.... ظَهْرَاهُما مِثلَ ظُـــهُور التَرْسِـــينِ

فذكر في موضع مثنى ، وفي موضع مجموعاً ، وقال :

كلوا في بعض بطنكم تصحوا [١]

فأتى بلفظ المفـــرد ، ومتى كان شيئاً لاثنين يصح اشـــتراكهما في أحدهمـــا لا يصح أن يذكر إلا بلفظ التثنية ، لئلا يشتبه نحو رأيت عبداكما،ولا يصـــح إذا أردت الاثنين أن يقول: عبدكما أو عبيدكما . قوله عز وجـــل:﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[٢] . قيـــل:إن تاب في الدنيا قبل القدرة عليه ، وأصلح سقط عنه الحد، ورُجيَ له الغفـــران، وإن تاب بعد القدرة عليه رُجيَّ له الغفران،و لم يسقط عنه الحد[٣] بدلالة ماروي ابـــن عمر: (**أن امرأة سرقت على عهد رسول ﷺ ، فأمر بقطعها ، فقال قومها: نحن نفديها خمسمائة دينار ، فقال : اقطعوها ، فقطعوا يمناها ، فقالت المرأة :- هـــل لي من توبة يا رسول الله ؟ قال : نعم ، أنت اليوم في خطيئتك كيوم ولدتـــك**

=

وجه الاستشهاد أن المثنى قد يراد به الجمع ، أي رب مهمة بعد مهمة ويستشـــهدون تثنيـــة الظهرين على الأصل . والتُرسي ، ما تبقى به الضرب من السلاح .

(١) ذكره الفراء في معاني القران انظر (٣٠٧/١) . قال المحقق ويروى كلوا في بعـــض بطنكـــم تعفوا ، وذكره سيبويه في كتابه في باب للصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت به . انظر الكتـــاب (٢١٠/١) ، قال والبيت من الخمسين التي لم يعرف لها قـــائل . يقـــال : أكـــل في بعـــض بطنه ، إذا كـــان دون الشـــبع . وأكـــل في بطنـــه ، إذا امتـــلأ وشـــبع . والشـــاهد في استعمال (بطن) بمعنى الجمع أي بعض بطونكم . وهنا فيه رد على سيبويه لترجمـــة قـــراءة النصب .

(٢) سورة المائدة آية (٣٩) .

(٣) وهو قول الجمهور ذكره الرازي في تفسيره(٣٥٧/١١).

أمك)[١]. فأنزل الله﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ ﴾،ولم يقل: بعد سرقته،ليكون عاماً في هذا الحكم،وفي غيره،واشترط إصلاح العمل تنبيها أن التوبة باللفظ غير مُغنية ما لم يضامها ما يحققها من الفعل ، وجعل علة قَبُول توبته كونه تعالى غفوراً رحيماً [٢] . قوله عز وجل :﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [٣] . لمّا أمر بالتقوى ، وابتغاء الوسيلة إليه بالجهاد في سبيله ، ودعاهم [إلى] الفلاح [٤] وبيَّن قبل ما يلزم المحاربين ، وبعد ما يلزم السُرَّاق ، وذكر قبول توبتها ، ذكر قدرته على تعذيب من يشاء ، وغفران لمن [٥] يشاء في الدنيا بما شرعه [٦] ، وفي الآخرة بما قدره . وقال [ابن] [٧] عباس : فيعذب من يشاء على الذنب الصغير ، ويغفر لمن يشاء على الذنب

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٩٠) ، وقال وهو ثابت في الصحيحين من رواية الزهري عن عروة عن عائشة. أخرجه البخاري في صحيحه في ،كتاب المغازي ، باب وقال الليث رقم (٤٣٠٤) وأيضاً في ، كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع رقم (٦٨٨٧) وأيضاً في ، باب كراهية الشفاعة إذا رفع إلى السلطان رقم (٦٧٨٨) وأيضا في تعليقه على ، باب قول الله (والسارق والسارقة ...) وقال قتاده في امرأة سرقت فقطعا شمالها. ومسلم في كتاب الحدود رقم (٨-٩)

(٢) وقد ذكر الرازي معنى قريباً منه انظر تفسيره(١١/ ٣٥٧).

(٣) سورة المائدة آية (٤٠) .

(٤) (إلى) ساقطة من الأصل وأثبتها لأن السياق تقتضيها .

(٥) الذي في الأصل (من) والصحيح ما أثبته .

(٦) الذي في الأصل (شرحه) والصحيح ما أثبته .

(٧) (ابن) ساقطة من الأصل وأثبتها لأن السياق يقتضيها.

الكبير (١) ، وفي هذا النحو قال الشاعـــــر:

يعفوا الملوك عن الكبير ... من الذنوب بفضلها

ولقد تُعاقِب في الصغير ... وليس ذاك بجهلها

إلا ليُعرف فضلها ... ويخاف شدة ملكها (٢)

وإنما قال يعذب من يشاء فقدم ذكر العقوبة على الغفران ، لأن القصـــد بمـــا تقدم الردع عن ارتكاب ما يقتضي عقوبة الدارين فكان تقديم ما يقتضي ذلـــك أولى . قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن [٣٢٩/أ] يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ

---

(١) انظر أبو حيان في تفسيره ذكر بغير هذا اللفظ (٣/٤٩٦) . وفي هذا رد على القدرية كمـــا قال الواحدي : الآية واضحة للقدرية في التعديل والتجويـــز ، وقولهـــم لوجـــوب الرحمـــة للمطيع ، ووجوب العذاب للعاصي على الله ، ولأن الآية دالة على أن الرحمـــة مفوضـــه إلى المشيئة والوجوب ينافي ذلك . وهذا يؤيد مذهب السلف ، ونقله عنه الرازي بتصرف انظـــر تفسيره(١١/٣٥٧) .

(٢) لم أقف عليه عند غير الراغب .

عَظِيمٌ﴾ [١] قيل : نزلت في أبي لبابة [٢] حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى السيِّدين ، سيد الأوس وسيد الخزرج ، سعد بن معاذ [٣] ، وسعد بن عبادة [٤] ، فاستشار قريظة [٥] أبا لبابة أننزل على حكم محمد؟ فأشار إليهم [٦] بأنه الذبح ، قال أبو لبابة : فما زلت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله [٧] ، والآية عني بها أبو لبابة والمنافقون الذين وصفهم في قوله :

---

(١) سورة المائدة آية (٤١) .

(٢) أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري اسمه بشير ، وقيل رفاعة ، صحابي مشهور وكان أحد النقباء عاش إلى خلافة علي ، ووهم من سماه مروان ، انظر التقريب رقم [٨٣٢٩] ، والتهذيب رقم (٨٦١٢).

(٣) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي سيد الأوس أبو عمر وشهد بدراً واستشهد في الخندق،انظر التقريب(٢٢٥٥)والتهذيب رقم(٢٣٢٩).والأوس والخزرج من ولد ثعلبة بن عمر بن حارثة بن امرؤالقيس وأنهم من العرب المستعربة،أنظر المدنية بين الماضي والحاضرص (٣٤)

(٤) سعد بن عُبادة بن دُليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي ، أحد النقباء سيد الخزرج ، وأحد الأجواد ، وقع في صحيح مسلم أنه شهد بدراً ، والمعروف عند أهل المغازي للخروج فنُهش فأقام ، مات بأرض الشام سنة ١٥ ، وقيل غير ذلك . انظر التقريب رقم [٢٢٤٣] والتهذيب رقم (٢٣١٧).

(٥) قريظة بضم القاف هم نسبة إلى قريظة وهو اسم رجل نزل قلعة حصينة بقرب المدينة وهو من أولاد هارون عليه السلام انظر الأنساب (٤/٤٢٥).

(٦) الذي في الأصل (إليه) والصحيح ما أثبته ولعله سبق قلم .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد (٦/٣٣٣). وعزاه السيوطي في الدر المنثورلابن أبي حاتم وابن جرير انظر (٣/٢٨٣). وقد ضعف ابن جرير وابن عطية وأبو حيان قول من قال بأنها في أبي لبابة قال ابن عطية :وهذا ضعيف وأبو لبابة من فضلاء الصحابة وهو وإن أشار بتلك الإشارة فإنه قال: والله ما زلت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله ثم جاء إلى المسجد النبوي وربط نفسه بسارية من سواري المسجد وقسم ألا يبرح حتى يتوب الله عليه ويرضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر جامع البيان (٦/١١٥) ،والمحرر الوجيز (٢/١٩١)، والبحر المحيط (٣/٤٩٨).

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ يكتسبونه عاجلاً شيئاً بعد شيء ، على خلاف ما [٢] ، قال فيه : ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [٣] . وقوله : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٤] وقوله : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ أي قائلون له [٥] ، وقيل : سمّاعون كلامك [٦] لأجل أن يكذبوا عليك ، ويسمعون ذلك لأجل قوم آخرين . وقوله : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾ أي كلام النبي ﷺ ، والقرآن ، ويكذبون عليه [١] وقيل

---

(١) سورة الحشر آية (١١) .

(٢) المسارعة إلى الشيء الوقوع بسرعة وقد ذكر هذا المعنى كل من الشوكاني في فتح القدير (٤١/٢) والزمخشري في الكشاف (٦١٢/١) والرازي في تفسيره (٣٥٩/١٢)ولم أقف على مراد الراغب.

(٣) سورة الأنبياء بعض آية (٩٠) وهي قوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ .

(٤) سورة آل عمران آية (١٣٣) .

(٥) والذي في الأصل مائلون له والصحيح ما أثبته إستناداً لما ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢٧٦/٢) . وكذا عند الرازي في تفسيره (٣٥٩/١١) قال والسمع يستعمل ويرادفه القُبُول كما يقال لا تسمع من فلان أي لا تقبل منه وكذا عند تفسير الألوسي (١٣٦/٢) ، والزجاج في معاني القران (١٧٤/٢) .

(٦) انظر زاد المسير (٢٧٦/٢) ، وتفسير الرازي (٣٥٩/١١) .

﴿ ٱلْكَلِمَ ﴾ أي كلام النبي ﷺ ، والقرآن ، ويكذبون عليه [١] وقيل : يحرفون حكم التوراة [٢] ، وذلك كقوله في البقرة : ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] وقوله في آل عمران : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ [٤] .

وقوله : ﴿ هَٰذَا ﴾ أي الحكم الذي قلناه ، وقيل : الدِّية [٥] . وقوله : ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ أي من بعد أن وضعه الله موضعه ، وبيَّن أحكامه [٦] . وقوله

---

(١) نسبه صاحب الزاد في تفسيره إلى الحسن انظر (٢/٢٧٦) ، والبحر المحيط كذا نسبه للحسن (٣/٥٠٠).

(٢) نسبه ابن الجوزي إلى ابن عباس والجمهور ، انظر زاد المسير (٢/٢٧٦) وكذا أبو حيان ، انظرالبحر المحيط (٣/٥٠٠).

(٣) سورة البقرة آية (٧٥) وهي قوله : ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(٤) سورة آل عمران آية (٧٢-٧٣) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

(٥) والذي في الأصل (الدين) والصحيح ما أثبته إستناداً لما ذكره أبو حيان في تفسير (٣/٥٠٠) .

(٦) نسبه ابن الجوزي في تفسيره إلى الزجاج ، انظر (٢/٢٧٧) ، ومعاني القران للزجاج

:﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾ أي أمركم محمد بغير ذلك فاحذروه .
وقوله: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ ﴾ قال الحسن : عذابه كقوله : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ . وقال السدي : ضلالة . وقال الزجاج : فضحيته [1]
وقوله :﴿ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ أي من الكفر عقوبة لهم ، وقيل : لم يحكم بطهارة قلوبهم . والقولان مرادان على نحو ما تقدم من أمثال هذه الآية [2] . وذلك بخلاف من وصفهم بقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

=
(١٧٥/٢) .
(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان عن السدي (٢٣٨/٦) ،انظر البحر المحيط (٥٠٠/٣) ، ونسب الأول لقتادة والثاني لابن عباس ومجاهد.
(٢) وهنا توجد نزعة إعتزالية . كأن قول الراغب يشير إلى مذهبه الإعتزالي وهو أن الله لا مريد الشر وإنما هي من العبد أي أن الكافر كفر بإرادته دون سبق من علم الله وإرادته ، فكأنه عقوبة له أنه لم يطهر من الكفر الذي أوقع نفسه فيه وهذا القول يؤيد قول البلخي والزمخشري حيث قال : في قوله : ﴿ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ لم يرد أن يمنحهم من إلطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أن ذلك لا ينجح فيهم ولا ينفع ، انظر تفسيره (٦١٤/١) . وقد ردّ عليه ابن المنير وتعقبه في ذلك بقوله :- كم يتلجلج والحق أبلج ، هذه الآية كما نراها منطبقة على عقيدة أهل السنة في أن الله تعالى أراد الفتنة من المفتونين و لم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الفتنة وضد الكفر ، لا كما تزعم المعتزلة من أن الله ما أراد الفتنة من أحد ، وأراد الإيمان وطهارة القلب من كل أحد ، وأن الواقع في الفتنة خلاف إرادته سبحانه وأن غير الواقع من طهارة قلوب الكفار مراده ولكن لم يقع . بمثل هذا قال أبو حيان في تفسيره (٥٠٠/٣) . وانظر رد الطحاوي في عقيدته على المعتزلة في باب الإرادة والمشيئة (ص/٢٥٢) .

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) .

وقوله : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ (٢) . وقد قال : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ (٣) . وقوله [٣٢٩/ب] : ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ أي يستحي منه من السبي والقتل والجلاء(٤) .

قوله عز وجل : ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (٥) الآية . السحت والمحق (٦) متقاربان معنى ، لتقارب (٧) لفظيهما . لكن السحت أبلغ إذ هو الاستئصال شيئاً فشيئاً يقال : سحته

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٣) . انظر تفسير الرازي ، ذكر بمثل ما ذكر الراغب مع إختلاف يسير في اللفظ (١١/٣٦٠) .

(٢) سورة الكهف آية (١٣) .

(٣) سورة الأنعام آية (١٢٥) .

(٤) قال صاحب زاد المسير بمثل هذا المعنى ، انظر (٢/٢٧٨) ، وكذا في تفسير الألوسي (٢/١٤٠) ، ونسبه أبو حيان في تفسيره (٣/٥٠١) قال :وقال مقاتل : خزيّ قريظة بقتلهم وسبيهم ، وخزيّ بني النضير بإجلائهم .

(٥) سورة المائدة آية (٤٢) .

(٦) والذي في الأصل السحق والصحيح ما أثبته إستناداً لما ذكره الرازي (١١/٣٦٠) واستدل بقوله : ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٦] .

(٧) الذي في الأصل (تقارب) والصواب ما أثبته لأن السياق يقتضيها.

فأسحته ، وسميَّ الحرام والمستقبح من الكسب والوخيم العاقبة منه سحتاً [١] ، كما سمي الحرام ناراً [٢] في قوله :﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [٣] ، وفسَّر السحت هاهنا بالرَّشوة تفسير العام بالخاص [٤] . وقد قال عليه الصلاة والسلام : (**هدايا الأمراء من السحت**) [٥] . والمقصود من الآية مثل ما قاله : ﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [٦] . وقيل : عنى بالسحت الربا [١] ، المذكور في قوله :﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ

---

(١) السُّحْتُ والسُّحُتُ :كل حرام قبح الذكر ، وقيل هو ما خبث من المكاسب وحَرُمَ ، فلزم عنه العار وقبيح الذكر ، كثمن الكلب والخمر والخنزير . والجمع أسحات ، وإذا وقع الرجل فيها قيل : قد أسحت الرجل ، والسُّحُتُ : الحرام الذي لا يحل كسبه ، لأنه يُسْحِتُ البركة ، أي يذهبها . انظر اللسان مادة سحت ، قال أبو حيان : السْحت والسُحت بالضم والسكون : الحرام لأنه يسحت البركة انظر البحر المحيط (٣/٣٩٧) ، وكأن هذا القول الذي ذكره الراغب من قول الزجاج مع تفسير يسير في اللفظ ، انظر معاني القران (٢/١٧٧)، والمحق هو اهلاك المال واذهاب لبركته اظر مادة محق في المفردات.

(٢) الذي في الأصل (نا) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٣) سورة النساء آية (١٠) .

(٤) نسبه ابن الجوزي لابن مسعود ، انظر تفسيره (٢/٢٧٨) ، وبه قال أبو حيان في البحر المحيط (٣/٥٠١) . أخرجه ابن جرير عن قتادة ومجاهد وابن مسعود وعمر وإبراهيم والسدي ، انظر جامع البيان (٦/٢٣٩-٢٤٠) .

(٥) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بلفظ (هدايا العمال سحت) انظر (١/٢٨١) وله لفظ آخر:(هدايا الأمراء غلول). أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٣١٤٨/٣١٤٩)، والبيهقي في سننه (١٠/١٣٨)، وضعفه ابن حجر في تلخيص الجبير (٤/٣٠٨).

(٦) سورة البقرة آية (٧٩) . ذكر أبو حيان في تفسيره لهذه الآية قال : والثمن هنا هو عرض الدنيا أو الرشا والمآكل التي كانت لهم . انظر تفسيره (١/٤٤٤) .

ﭐلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ ﴾ (٢) . واختلف في قوله : ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾(٣) ، فقال : ابن عباس :- نُسخَ بقوله : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (٤) فجعل حكم التخيير منسوخاً بإيجاب الحكم بينهم (٥) . وقال الشعبي : بل حكمه ثابت (٦) . وقوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ حث على استعمال العدالة عند تولي

=

(١) ذكره الرازي في تفسيره غير منسوب (٣٦١/١١) .

(٢) سورة النساء آية (١٦٠-١٦١) ، وانظر ص (٢١٦) من الرسالة .

(٣) سورة المائدة بعض آية (٤٢) .

(٤) سورة المائدة بعض آية (٤٩) .

(٥) انظر احكام القران للقرطبي (١٢١/٣) ، ونسبه الرازي أيضاً للحسن ومجاهد وعكرمة ، انظر تفسيره (٣٦١/١١) ، أخرجه الطبري عن عكرمة ، انظرجامع البيان (٢٤٥/٦) .

(٦) الشعبي هو عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل ولد زمن عمر وسمع علياً وأبا هريرة ، وروي عنه منصور وحُصين قال مكحول: ما رأيت أفقه من الشعبي مات سنة ١٠٣ وقيل ١٠٤هـ انظر التقريب (٣٠٩٢) ،والتهذيب رقم (٣١٧٥). والكاشف (٤٩/٢) . وإليه ذهب الشافعي كما ذكره الرازي في تفسيره (٣٦١/١١) ، ونسبه القرطبي إلى النخعي والشعبي والشافعي ومالك . انظر تفسيره (١٢٠/٦) . وأخرجه ابن جرير عن الشعبي وإبراهيم (٢٤٤/٦) ، وقد رجح الطبري كون الحكم ثابت غير منسوخ ، وإليه ذهب أحمد بن حنبل وهو الصحيح لأنه لا تنافي بين الآيتين ، لأن أحدهما : خَيرت بين الحكم وتركه ، والثانية : بيَّنت كيفية الحكم إذا كان ذكره صاحب الزاد في تفسيره (٢٧٩/٢) ، ورجحه ابن عطية انظر المحرر الوجيز (١٩٤/٢).

الحكم لا إيجاب [١] وعلى هذا قال الحسن : خلّوا بين أهل الكتاب وحاكمهم وإذا ترافعوا إليكم فاحكموا بينهم بما في كتابكم [٢] . وقال بعضهم : التخيير قبل أن (يعقد) [٣] لهم الديَّة والجزية ، والإيجاب ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ بعد عقد الدية لهم بالجزية . وقد روي ذلك عن ابن عباس قال : ويدل أن الآية نزلت في بني قريظة والنَّضير و لم يكن لهم ذمه [٤] . قوله عز وجل : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥] . أنكر الله تعالى تحكيمهم [٣٣٠/أ]
للنبي ﷺ وهم لا يؤمنون به وعندهم الحكم في التوراة ، والمعنى هاتين الحالتين

---

(١) ذكره أبو حيان بمثل هذا المعنى انظر البحر المحيط (٣/٥٠٢) قال : وفيه نظر لأن التخيير قائم إذا ترافعوا إليه أن يحكم أو لا يحكم فإن قبل بالحكم فالواجب أن يحكم بالعدل ،أو أن قول الراغب يحتمل وجه وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى فإذا هو حاكم بالعدل وغرض الذكر هنا من باب التأكيد.

(٢) ذكر هذه الرواية الجصاص في أحكام القران انظر (٤/٨٧).

(٣) في الأصل (عقد) والصواب ما أثبته.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الديات ، باب النفس بالنفس رقم الحديث (٤٤٩٤).والنسائي في ، كتاب القسامة (٧-٨) باب تأويل قول الله تعالى: (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) رقم (٤٧٤٦)، وأحمد في مسنده رقم (٢٢١٢) وقال مخرجه إسناده صحيح ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٣٣٤)، وعزاه في الدر له ولابن المنذر والطبراني وابن مردويه انظر (٣/٨٣). وكذا عزاه الشوكاني في فتح القدير لهم ولأحمد وأبي داود انظر (٢/٤٣) وذكره السيوطي في اللباب (ص/١١٥).
والنضير: بفتح النون وكسر الضاد وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها راء وهو أخو قريظة من أولاد هارون عليه السلام وكانوا حلفاء الخزرج وهم جماعة من اليهود انظر الأنساب (٥/٥٠٣).

(٥) سورة المائدة آية (٤٣) .

مستنكر بتحكيمهم إياك ، وقوله : ﴿ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي لا يصدقونك فيما تحكم به ، والواو واو حال [١] . وقوله عز وجل :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [٢] . الهدى والنور إشارة إلى معنى واحد ، لكن الهدى يقال اعتباراً بالأدلة المنصوبة ، والنور اعتباراً بما يعين على معرفة الأدلة ، تشبيهاً بنور البصر ، ونور الشمس . وقيل : الهدى إشارة إلى ما فيه من الحكم الشرعي ، والنور إشارة إلى ما فيه من الحكم العقلي ، وقد يُسمى كل واحد من المعقول والمشروع تارة نوراً وتارة هدى [٣] . إن قيل : ما معنى قوله : ﴿ ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ والنبي لا يكون غير مسلم ، قيل : الإسلام هاهنا الإخلاص لله في التوكل عليه وتفويض الأمر إليه [٤] ، نحو قوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ

---

(١) انظر التبيان لإعراب القرآن (٤٣٨/١) .

(٢) سورة المائدة آية (٤٤) .

(٣) انظر قول الراغب في المفردات مادة هدى ونور حيث ذكر قولاً قريباً من هذا ، وانظر تفسير الرازي (٣٦٥/١٢) ، وتفسير أبو حيان (٥٠٣/٣) ، وقال : وهنا إشارة إلى شرع من قبلنا شرع لنا .

(٤) انظر زاد المسير ذكر ابن الجوزي في القول الثاني بما يقارب هذا اللفظ (٢٨٠/٢) .

رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ (٢) . وقوله حكاية عن إبراهيم وإسماعيل :﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ (٣) . وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ صفة لهم على سبيل المدح لا على سبيل التخصيص (٤) ، أو بدل من قوله : ﴿ ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ (٥) ، واللام في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾ (٦) ... للذين هادوا . أو قيل : متعلق بقوله : ﴿ فِيهَا هُدٗى ﴾ (٧) ومعنى هادوا : أي تابوا

(١) سورة البقرة آية (١٣١) .

(٢) سورة لقمان آية (٢٢) .

(٣) سورة البقرة آية (١٢٨) .

(٤) ذكره النحاس في معاني القران بغير هذا اللفظ وعقب المحقق بكلام مناسب لكلام الراغب ، انظر (٢/٣١٢) ، والزمخشري في الكشاف (١/٦١٥).

(٥) ذكره الأولوسي في تفسيره (٢/١٤٢) ، وذكر تعقيب ابن المنير بأن المدح إنما يكون غالباً بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عمَّن دونه ... ثم قال فالوجه والله أعلم أن الصفة تذكر للتعظيم في نفسها ، ولينوه بها إذا وصف بها عظيم القدر ...إلخ .

(٦) ذكره الألوسي في تفسيره (٢/١٤٤) ، قال : وتكون الجملة حينئذٍ معترضة ، وعلى هذا تكون الآية نصاً في تخصيص النبيين بأنبياء بني إسرائيل لأنه لا يلزم من إنزالها لهم إختصاصهم بها ، ذكره في الدر المصون انظر (٤/٢٧١). وقد السيو طي في الأتقان أن (في) تأتي بمعنى على . إنظر(١/٥١٨-٥٢٨)

(٧) انظر الألوسي في تفسيره (٢/١٤٤) ، وقال : كلام الزجاج يحتمل هذا ، وانظر معاني القرآن للزجاج (٢/١٧٨) والدر المصون (٤/٢٧١).

من قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [1] . وقيل تقديره : يحكم بها النبيُّون الذين هادوا ، والمعنى يحكم لهم وعليهم ، لكن المعنى تذكيرهم عن داعيهم وعلى هذا قال بعضهم : يحكم فيهم ، لأن قولك فيهم يتضمن معنى وعليهم [2] ، وقوله :﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ ﴾ قيل : متعلق بالأحبار ، أي العلماء بما استحفظوا [3] ، وقيل : متعلق بقوله : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ﴾ لأجل ما استحفظوا أي لما استودعوا [4] ، وقوله : ﴿ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ أي هم من جملة من قال فيهم : ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ يتعلق به الخوارج [6]، وزعموا أن التارك [٣٣٠/ب]

(١) سورة الأعراف آية (١٥٦) ، نسب هذا القول ابن الجوزي إلى ابن عباس انظلا زاد المسير (٢/٢٨٠) .

(٢) ذكره ابن عطية في المحررالوجيز (٢/٢٠١) ، وذكره السمين في الدر المصون (٤/٢٧١).

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير (٦/٢٥١) ، والبحر المحيط (٣/٥٠٤) ، وروح المعاني (٢/١٤٤) .

(٤) انظر تفسير الألوسي (٢/١٤٤) ، وذكر في الدر المصون (٤/٢٧٢).

(٥) سورة الزمر آية (٦٩) ، والمراد بهم هم أولي العلم انظر المفردات مادة شهد.

(٦) وأن كل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله وقد ردَّ عليهم أبو حيان في تفسيره (٣/٥٠٥) قال : وأجيبوا بأنها نزلت في اليهود فتكون مختصة بهم ، وضعَّف لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ونسبه البغوي لقتادة والضحاك واستدلوا بحديث البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] . والظالمون والفاسقون كلها في الكافرون . انظر تفسيره (٦/٦١) ، وقد ردَّ الرازي هذا القول وغيره في تفسيره (١٢/٣٦٨) ، ثم قال : قال عكرمة : قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ

لحكم الله على كل حال كافر ، وقال غيرهم : ومن لم يحكم بما أنزله جاحداً فهو كافر [١] ، وقيل معناه : من لم يحكم بأن ذلك عامداً له فهو كافر [٢] ، وقيل : الكافر هاهنا جاحد للنعمة من الكفران لا من الكفر [٣] ، وقيل : الكفر يقال على ضربين :كفر كبير، وهو المذكور في قوله :﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ [٤] الآية . وكفر صغير وهو المذكور في قوله عليه الصلاة والسلام :(**من ترك الصلوات فقد كفر**) [٥] ، وعلى هذا قال ابن جريج : كُفر دون كُفر ، وظُلم

=

يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحدَ بلسانه ، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله ، ولكن تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية وهذا هو الجواب الصحيح والله أعلم ، وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان (٣٨/١) .

(١) ونسبه القرطبي لابن عباس ومجاهد ، انظر تفسيره (١٢٤/٦) ، وعلى هذا تكون الآية عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار ، ونسبه البغوي لمجاهد انظر تفسيره (٦١/٦) ، ونسبه الجصاص لابن عباس انظرتفسيره (٩٣/٤).

(٢) ذكر الجصاص قولاً قريباً منه انظر أحكام القرآن (٩٣/٣) وكذا الرازي انظر تفسيره (٣٧١/١٢).

(٣) أي المعنى أنه ليس بكفر يخرج من الملة كمن يكفر بالله واليوم الآخر ، ونسبه الرازي لطاووس ثم قال : وهو أيضاً ضعيف لأن لفظ الكفر إذا أطلق انصرف إلى الكفر في الدين . انظر تفسيره (٣٦٧/١٢) .

(٤) سورة النساء آية (١٣٦) .

(٥) رُوي عن أبي الدرداء قال أوصاني أبو القاسم ﷺ : (أن لا أشرك بالله شيئاً وإن حُرقت ولا أترك صلاةً مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد كفر) رواه الترمذي في سننه في ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في ترك الصلاة رقم (٢٦٢١) ثم قال هذا حديث حسن صحيح =

دون ظُلم ، وفِسق دون فِسق [١] ، قال الحسن : إن الله تعالى أوجب على الحكام ثلاث ، أن لا تتبعوا الهوى ، وأن تَخْشَوْهُ ولا تَخْشوْ الناس ، وأن لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً [٢] ، قال وعلى هذا قوله : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٣] وقد استدل بهذه الآية أن النبيﷺ

=

غريب بلفظ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) والنسائي في سننه في ، كتاب إقامة الصلاة ، باب الحكم في ترك الصلاة رقم الحديث (٤٦٠) بلفظ الترمذي مع زيادة (إن) وابن ماجه في سننه في ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم (١٠٧٩) وأحمد في مسنده رقم(٢٢٩٩٨) وله شاهد عند مسلم في ،كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة. رقم (٨٢/١٣٤) بلفظ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة. قال ابن حجر في التلخيص (٢٩٣/٢)رقم/١١٪ ? (من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر) رواه البزار من حديث أبي الدراء، وله شاهد من حديث الربيع ابن أنس عن أنس بلفظ؟ ?(من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا) ،سئل الدار قطني في العلل عنه فقال :رواه أبو النضر عن أبي جعفر عن الربيع موصولا ،وخالفه علي بن الجعد فرواه عن أبي جعفر عن الربيع مرسلا وهو أشبه بالصواب . وفي الباب عن أبي هريرة رواه ابن حبان في الضعفاء بلفظ تارك الصلاة كافر) واستنكره ،ورواه أبو نعيم عن طريق اسماعيل بن يحي عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد مثل حديث أنس ، وعطية ضعيف ،واسماعيل أضعف منه ، وأصح مافيه حديث جابر بلفظ : (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة) رواه مسلم والترمذي والنسائي . وأنظر الرسالة ص (١١٦) في توجيه هذا القول .

(١) ابن جريج: هو عبد الله بن عبد الملك بن جريج الأموي المكي ثقة فاضل وكان يدلس ويرسل مات سنة ١٥٠هـ انظر التقريب رقم (٤١٩٣) والتهذيب رقم (٤٣١٧) وأخرج الرواية عنه ابن جرير في تفسيره (٢٥٦/٦). ونسبه البغوي لعطاء (٦١/٦) وضعفه الرازي في تفسيره (٣٦٧/١٢).وانظر قسم الدراسة في توجيه هذا القول ص(١١٦).

(٢) ذكر هذه الرواية الجصاص في أحكامه (٩٢/٤).

(٣) سورة ص آية (٢٦) .

متعبد بأحكام من قبله [١] . قوله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [٢] . أخبر تعالى بما أوجب عليه من القِصَاص واتفق الفقهاء :- أن ذلك واجب علينا لوجوبه عليهم [٣] . لكن منهم من قال : لم يكن في شريعتهم الدِّية ، وقد جعلها في شريعتنا تخفيفاً على هذه الأمة [٤] ، وقوله : ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ يقتضي القَوَدُ فيه فقاءاً كان أو إذهاباً بضوئها [٥] . ومن قال لا يُفعل من ذلك إلا الفقاء فليس بشيء ، فالعين ليست بالعين في الحقيقة إذا لم تكن مبصرة بل بالأعضاء كلها إذا بطلت منفعتها خرجت عن أن تكون في

(١) ذكره القاسمي ونسبه للجمهور من الفقهاء ونص الشافعي وأكثر أصحابه على ذلك انظر روح المعاني(١٣٢/٦). ونسبه الجصاص لأبي يوسف في احكام القران (٦٤/٤).

(٢) سورة المائدة آية (٤٥) .

(٣) وقد خالف في هذا الشافعي . انظر تفسير القرطبي (١٢٥/٦) ، انظر موسوعة الإجماع (ص/٥٥٦).

(٤) ذكره صاحب زاد المسير (٢٨٣/٢) .

(٥) في الأصل (ضوئه) والصحيح ما أثبته لأنه عائد على المؤنث المجازي ، وصفة ذلك أن تُشد عين القالع ، ويُحمى مرآة ، فتقدم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها ، انظر زاد المسير (٢٨٣/٢) .

الحقيقة إياه إلا اعتبار الصورة التخطيطية [١] ، وذلك غير معتدٍ به ما لم يكن فيه النفع . واختلف الصحابة في عين الأعور ،[٢] وهل يلزم فيه القَوَدُ ودِّية كاملة . فمنهم من أوجب ذلك فيها لكونها سادَّة مسدَّ العينين . والأنف يلزم فيها القصاص بالقطع [٣] . وقال أبو حنيفة : إذا قطع الأنف من أصله فلا قصاص لأنه لا يمكن استيفاؤه فيه كما لو قطع يده من نصف الساعد [٤] . وقوله : [٣٣١/أ]
﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ إيجاب للقصاص في سائر الجراحات [٥] ، وقرئ : ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ بالرفع [٦] كقولك : إن زيداً منطلق ، وعمروا

---

(١) وقد ذكر الجصاص قولاً قريباً من قول الراغب انظر تفسيره (٩٤/٤). وانظر قول ابن القيم في العين في كتابه بدائع الفوائد (٣/٢) .

(٢) القود من عين الأعور :- يقاد منه قال بذلك عمروعثمان ولايعرف لهما مخا لف في ذلك. ذكر ه في الروض المربع (ص/٣٧٩) ومن شروط القود المماثلة في الفعل وفي الموضع قدراومنفعة وفي عدم التما ثل في الصحة والكمال ، وقد خالف مالك في الأخير. إنظر الفقة الأسلا مي لوهب الزحيلي (٣٣٨/٦)

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره (١٢٧/٦) :- عن زيد بن ثابت قال : فيها مائة دينار وعن عمر بن الخطاب قال : فيها ثلث ديَّتها ، وبه قال إسحاق وقال مجاهد :- فيها نصف ديَّتها ، وقال مسروق والزهري ومالك والشافعي وأبو ثور والنعمان فيها حكومة . قال ابن المنذو :به نقول لأنه الأقل مما قيل .

(٤) ذكره أبو حيان في تفسيره (٥٠٨/٣) بزيادة قال وإنما فيه الديَّة . انظر المغني (٦٠٢/٩) رقم [٦٩١٨] ولم ينسبه ، وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٩٤/٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي غير منسوب ، انظر تفسيره (٢٨٣/٢) ، ولعله من قول الجصاص فقد ذكره في أحكام القرآن (٩٥/٤).

(٦) نسبه صاحب التلخيص في القراءات الثمان لعلي الفارس ، انظر (ص/٢٤٩) وذكرها أبو

ذاهب ، وقوله : ﴿ وَٱلْجُرُوحَ ﴾ إذا قُرئ بالنصب فعلى العطف ، وإذا قُرئ بالرفع فعلى الاستئناف (١) ، وقوله : ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ خطاب لولي القتيل وللجروح حث له على العفو (٢) ، وذكر لفظ التصدق تنبيهاً على أن عفوه جار مجرى صدقةٍ يستحق بها ثواب ، وتصير كفارةً له ، وذكر هاهنا أن تارك الحكم بما أنزله ظالم ، والظلم أعم من الكفر ، لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم

=

حيان في تفسيره (٣/٥٠٦) . وقال : وأجاز أبو علي في توجيه الرفع وجوهاً . الأول : أن الواو عاطفة جملة على جملة ، كما تعطف مفرداً على مفرد ، فيكون والعين بالعين جملة إسمية معطوفة على جملة فعلية وهي ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾ . والثاني : أن الواو عاطفة جملة على معنى قوله : ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ أي قل لهم النفس بالنفس ، وهذا العطف هو من العطف على التوهم . الثالث : أن تكون الواو عاطفة مفردٌ على مفرد وهو أن يكون : ﴿ وَٱلْعَيْنَ ﴾ معطوفة على الضمير المستكن في الجار والمجرور ، أي : بالنفس هي والعين ، وتكون المجرورات على هذا أحوال مبيّنة للمعنى ، وقد وجه هذه الأقوال أبو حيان وضعف القولين الآخرين .

(١) ملخص القول في هذا : منهم من كان ينصب الجروح ، وهي قراءة حمزة ونافع وعاصم فيكون خبر الجميع قصاص، ومنهم من كان ينصب الجميع ويرفع الجروح وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، ومنهم من كان ينصب النفس بالنفس ورفع ما بعده وهو الكسائي واختار أبو عبيدة رفع الجميع. قال السمين الحلبي في الأول: وهذا وإن كان يصدق أن أخذ النفس بالنفس والعين بالعين قصاص ،إلا أنه صار هنا بقرينة المقابلة مختصاً بالجروح وهو محل نظر انظر الدر المصون (٤/٢٧٨).وانظر النشر (٢/٢٥٤)، والتلخيص ص(٢٤٩) ،وزاد المسير (٢/٢٧٦)،ومعاني القرآن للزجاج (١/١٧٩) .

(٢) وقد أخرج ابن جرير في تفسيره (٦/٢٥٩) وذكره الرازي في تفسيره ونسبه لأكثر المفسرين انظر (١٢/٣٧٠)، وكذا القاسمي في محاسن التأويل (٦/١٤٠).

كافر [١] ، ولذلك قال :﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢] . وقوله عز وجل : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٣] ، قفيناه : بعثناه خلفه ، يقفوه : أي يتبع قفاه ، ومنه قافية الشعر ، والقفي : الضيف الذي يبعث خلفه تكرمه له [٤] ، والأثر : ما يظهر للحاسة [٥] ، والإثار الإختيار ، واستثاره اختاره لنفسه ، والهدى : يقال لما يستدل به [٦] ، والموعظة لما يوعظ به [٧] ، والفسق أعظم

---

(١) انظر المفردات مادة ظلم

(٢) سورة لقمان آية (١٣) .

(٣) سورة المائدة آية (٤٦- ٤٧) .

(٤) انظر اللسان مادة قفا بتصرف قال الأزهري : القفا : مقصور ، مؤخر العنق ، وقفاه قَفْواً وقُفُواً واقتفاه وتفقّاه :- اتبعه ، قال ابن الأعرابي : يقال قفوت فلان اتبعت أثره ، وقفيتُ على أثره بفلان أي أتبعته إياه ، انظر تفسير الرازي (١٢/٣٦٩) .

(٥) انظر اللسان مادة أثر . قال المصنف في المفردات مادة أثر : وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده ، وأثرت البعير جعلت على خلفه أثرة : أي علامة تؤثر في الأرض ليستدل بها على أثره .

(٦) انظر المفردات مادة هدى .

(٧) قال في المفردات: قال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق به القلب والعِظة والموعظة الاسم .انظر المفردات مادة وعظ .

من الكفر والظلم [١] ، وأصله الخروج (إلى) حظر الله [٢] ، من قوله : فسقت الرطبة إذا خرجت عن طلعها [٣] . إن قيل : لم كرر قوله : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ قيل : يجوز أنه أراد بالأول مصدقاً لما بين يدي التوراة ، وبالثاني نفس التوراة ، فبين أن عيسى عليه الصلاة والسلام أتى بما يُصدق به موسى ، وكتابه أتى بما يصدق كتاب موسى [٤] . قوله عز وجل : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [٥] . المهيمن [٦] : قيل

---

(١) ذكر الراغب هذا القول في المفردات مادة فسق.

(٢) الصواب إلى خطر أو إلى الخروج عن شرع الله والذي في الأصل عن حظر ولعله تصحيف .

(٣) انظر أساس البلاغة مادة فسق ، والمفردات مادة فسق .

(٤) غير أن الرازي وابن الجوزي خالف في ذلك الراغب فقالا ما مضمونه أن هذا ليس تكرار لأن الأول لعيسى ، والثاني للإنجيل ، لأن عيسى كان يدعوا إلى التصديق بالتوراة والإنجيل أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة ، انظر التفسير الكبير (١٢/٣٧٠) وزاد المسير (٢/٢٨٤).

(٥) سورة المائدة آية (٤٨) .

(٦) انظر اللسان مادة أمن وأساس البلاغة مادة أمن .

الحفيظ (١) ، وقيل الرقيب (٢) ، وقيل : الأمين (٣) ، وقيل : الشاهد (٤) ، قال أبو [٣٣١/ب] عبيدة : الحاذق في علمه (٥) ، وقال ابن عيينه : أصله مُؤيمن فقلبت همزة هاء ، كما قالوا :- أهرقت في قولهم أرقت ، وقد قيل : همين يهمينه (٦) . وحقيقة المعنى أنه جعل هذا الكتاب حافظاً ومستولياً لسائر ما تقدم من كتبه يحكم عليها وهي لا حكم عليه ، وينسخها وهي لا تنسخه (٧) ، وصح على هذا : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (٨) ، يعني ما ننسخ من

(١) قاله الخليل ونسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير(٢/٢٨٥) . وانظر البحر المحيط (٣/٥١٣) .

(٢) قاله الخليل ونسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (٢/٢٨٥) . وانظر البحر المحيط (٣/٥١٣) .

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس انظر جامع البيان (٦/٢٨٤) نسبه صاحب الزاد إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعطاء والضحاك ، انظر (٢/٢٨٤).

(٤) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي انظر جامع البيان (٦/٢٨٥) نسبه ابن الجوزي عن ابن عباس ، والحسن وقتادة والسدي ومقاتل . انظر تفسيره (٢/٢٨٥) .

(٥) ولم أقف على هذا عند غير الراغب.

(٦) ابن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ،ثم الحافظ ، ثقة ، حافظ ، فقيه ، إمام ، حجة إلا أنه تغير حفظه انظر التقريب رقم (٢٤٥١) والتهذيب (٢٥٢٥) ، ولم أقف على هذا الأثر بهذه النسبة عند غير الراغب وقد ذكره الشوكاني في تفسيره ونسبه للمبرد والزجاج وأبو علي الفارسي ، انظر فتح القدير (٢/٤٧) ، وذكره الرازي ونسبه للخليل ، وأبي عبيدة انظر (١٢/٣٧٢) ، وقد ضعف هذا القول السمين انظر الدر المصون (٤/٢٨٨)

(٧) الأصل (ينسخ) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٨) سورة البقرة آية (١٠٦) .

الكتب المتقدمة نأت بخير منها ، يعني من الكتاب العربي . والشرعة والشريعة : " في الأصل الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى الماء ثم استعملت فيما شرعه الله لعبادة من " [١] الدين الذي يوصل إلى الحياة الأبدية ، كما سمى كتابه المهيمن على ما تقدم . ومن أصله : أشرعت القِباء وشُرعت في الماء ، وهم شرع [٢] . والمنهاج : الطريق المستقيم ، يقال : طريق نهج ومنهج [٣] ، إن قيل : ما الفرق بين الشريعة والمنهاج ؟ قيل : قال بعضهم : الشرعة إشارة إلى الدين وهو الشرع ، والمنهاج : إشارة إلى الدليل الذي يتوصل إلى معرفته والتخصيص به [٤] ، وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال : شرعةً ومنهاجاً : ديناً سبيلا [٥] . إن قيل : كيف قال :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ فاقتضى ذلك أن

---

(١) كأن هنا سقط في الكلام واتضح ذلك بمراجعة فتح القدير حيث ذكر : الشرعة والشريعة في الأصل الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى الماء ، ثم استعملت فيما شرعه الله لعبادة من الدين ، انظر (٢/٤٨) . وذكر الراغب في مفردات قريب من هذا المعنى في مادة شرع . وقد نقل الألوسي عن الراغب في تفسيره (٢/١٥٣) قال : وقال الراغب سمي الدين شريعة تشبيهاً بشريعة الماء من حيث أن من شرع في ذلك في الحقيقة روى وتطهر ، وأعني بالري ما قاله بعض الحكماء كنت أشرب الماء فلا أُروى فلما عرفت الله رويت بلا شرب ، وبالتطهر ما قال تعالى : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] . والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضح ، والعطف بإعتبار جمع الأوصاف .

(٢) انظر اللسان مادة شرع ، والمفردات مادة شرع.

(٣) ذكره أيضاً صاحب اللسان مادة شرع بمثل هذا المعنى ، ونسبه الألوسي للمبرد في روح المعاني(٢/١٥٣) ، وذكره في الدر المصون (٤/٢٩٢) .

(٤) ذكر الألوسي بلفظ مقارب انظر المصدر السابق (٢/١٥٤) ،وذكره السمين الحلبي ونسبه لابن الأنباري انظر الدر المصون (٤/٢٩٣).

(٥) ذكره صاحب اللسان في مادة شرع ، وذكره الجصاص في أحكام القران (٤/٩٧) ونسبه أيضاً لمجاهد وقتادة والضحاك .

لكل واحد من الأنبياء شريعة غير شريعة الآخر ، وقال في موضع : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [(١)] . فذكر أنه شرع لجميعهم شريعة واحدة ، قيل : الذي استوى فيه شريعة جُماعِه هو أصول الإيمان والإسلام ، اعني التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والقرابين [(٢)] ، فإن أصول هذه الأشياء لا ينفَّكَ منها شرع بوجه ، وأما الذي ذكر أنه تفرد به كل واحد من الأنبياء فروع العبادات من كيفياتها وكمياتها ، فإن ذلك مشروع على حسب مصالح كل أمة ، وعلى مقتضى الحكمة من الأزمنة المختلفة [(٣)] ، ووجه آخر : أن الشرائع إذا عتبرت بالشارع

---

(١) سورة الشورى آية (١٣) .

(٢) كأنه يريد قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ ﴾ [آل عمران:١٨٣] قال أبو حيان في تفسيره (١٣٧/٣) وظاهر هذا القول أنه عهد إليهم في التوراة ، وتمام الكلام حتى يأتيكم عيسى ومحمد عليهما السلام، فإذا أتياكم فآمنوا بهما من غير قربان ،وقيل: كأن أمر القرابين ثابت إلى أن نسخت على لسان عيسى ،وكأن حكمه قديم على الأنبياء كما في قصة ابني آدم ،وكان أكل النار لذلك القربان دليل على قبول العمل وإذا لم تنزل فليس مقبول.
قلت: لعل قصد الراغب من القربان هي الصدقة وقد ذكر في المفردات مادة قرب أن القربان هو مايتقرب به إلى الله عز وجل وصار في التعارف للنسيكة التي هي الذبيحة.

(٣) انظر التفسير الكبير (٣٧٣/١٢) ، وقد ذكر الجصاص قولاً قريباً لما ذكره الراغب في احكام القران(٢٩٨/٤).

فمقتضى[1] حكمته يصح أن كلها واحدة ، وكذا إذا اعتبرت لغرض والقصد الذي هو مصلحة المشروع له وإذا اعتبرت بذوات الأفعال فهي شرائع كثيرة ، وعلى هذين النظريتين ، قال الله تعالى :﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[2] ، وقال في موضع آخر : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ، كقوله : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ [٣٣٢/أ] ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[4] . قوله عز وجل : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[5] قوله : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم ﴾ فهو معطوف على معنى الكتاب[6] ، وقوله : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ إلى قوله : ﴿

---

(١) في الأصل (ومقتضى) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف .

(٢) سورة القمر آية (٥٠) .

(٣) سورة الرحمن آية (٢٩) .

(٤) سورة ص آية (٢٦) .

(٥) سورة المائدة آية (٤٩) .

(٦) انظر روح المعاني للألوسي (١٥٤/٢) ، والتفسير الكبير (٣٧٣/١٢) .

﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أي أنزلنا بأن احكم . وقيل: من الواجب أن احكم [1] ،والأول أوجه، لأنه لا يقع أن افعل إذا كان بعده [أمر] [2] إلا من موقع المصدر . ويتقارب فتله عن كذا . ﴿ فِتْنَة ﴾ ولكن فتنه يقال في الصرف عن الخير والشر ، وفتله يقال في الصرف عن الخير [3] . إن قيل : لم قال :﴿ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ فخص البعض ، قيل في ذلك أوجه : الأول: أنه عنى بذلك الكفر والنفاق الذي لا غفران فيه ، لكن ذكر البعض منها يكون أردع للعباد . والثاني : لأنه ذكر البعض للمبالغة تنبيها على أنه إذا أصابهم ببعض الذنوب يقال في كلٍ أولى [4] . إن قيل:- لما كرر ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ قيل : قال بعضهم : إن ذلك في حكمين : حكم في المحصن ، وحكم قتيل كان فيهم [5] ، ففرق كل واحد منهما نهي عن

---

(١)ذكر السمين الحلبي في الدر أربعة أوجه لقوله ﴿ أَنِ ٱحْكُم ﴾ وذكر منها هذين الوجهين فالأول على اعتبار (أن) تفسيرية وقد ضعف هذا الرأي ، والثاني على أن (أن) في محل رفع على الابتداء. انظر الدر المصون (٤/٢٩٤) والبحر المحيط (٣/٥٠٤).

(٢) (الأمر) ساقطة من الأصل وأتيته بالرجوع إلى الإتقان انظر(٢/١٧٠).

(٣) في الأصل فتلة يقال في الصرف عن الخير والشر وفتنة يقال في الصرف عن الخير.
والصواب ما أثبته استناداً إلى ما ذكره الراغب في المفردات مادة فتن ولعله تصحيف.

(٤) قال الرازي في تفسيره (١٢/٢٧٤) . إنما خص بعض الذنوب لأن القوم جوزوا في الدنيا ببعض الذنوب وكانت المجازاه بها كافية في إهلاكهم وتدميرهم . ونسبه الألوسي إلى الجبائي ، انظر تفسيره (٢/١٥٥) .

(٥) ذكره الرازي ، انظر تفسيره (١٢/٣٧٤) ، ونسبه الألوسي إلى الجبائي والقاضي أبو يعلى ، انظر تفسيره (٢/١٥٥) ، وذكره الجصاص في أحكام القران (٤/٩٨) قال أبو حيان في تفسيره (٣/٤٩٨) روي عن ابن عباس وجماعة أن يهودياً زنى بيهودية فسألوا النبي صلى

الهوى ، تنبهاً أن الهــوى لا يسـفر عــن نجــاح ولا في صــلاح . [وقــال بعضهم] (١) :- تقدير الكلام أنزلنا إليك الكتــاب بــالحق ، وبــأن احكــم بما أنزل ، وبأن لا تتبع الهوى ، فاحكم بما أنزل الله ولا تتبع الهوى فأخبر بــإنزال ذلك أولاً ، ثم أمر به أمراً مجزماً ، وقدم الأمر على الإخبــار عــن الأمــر بــه تأكيداً ، وتقدير الكلام :- قد أوجبت عليك الحكم بذلك ، وترك إتباع الهــوى فاحكم بذلك . قوله عز وجــل : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) . أنكر عليهم تحريهم الجاهلية وتركــهم لحكم الله (٣) ، ثم قــال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . تنبيها أن ذلك يعلمه الموقن ، وقوله : ﴿ لِّقَوْمٍ ﴾ قيل : عند قوم (٤) ، وقيــل :

=

الله عليه وسلم وطمعوا أن يكون غير الرجم حدهما ، وكان في التوراة الرجم فأنكروا ذلك أن يكون في التوراة وافتضحوا إذا أحضروهما وحكم الرسول فيهما بالرجم وأنفذه ، قال قتــادة: أن بني النضير كانوا إذا غزوا بني قريظة ،فإن قتل قرظي نضيري ما قتل به ،أو نضيري قرظيــاً أعطي الدية أو نصف دية النضري وذكره أيضاً البغوي في معالم التتريل (٢/٣٧-٣٨).

(١) (قال بعضهم) تكرر في الأصل مرتين.

(٢) سورة المائدة آية (٥٠) .

(٣) ذكر الألوسي : أن بني النضير تحاكموا إلى رسول الله ﷺ في خصومة قتيل وقعت بينهم وبين بني قريظة وحيث أن بعضهم طلب من النبي ﷺ أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهليــة من التفاضل ، فقال النبي ﷺ القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك .انظــر روح المعاني (٢/١٥٦) .

(٤) نسبه الألوسي إلى الجبائي فب تفسيره(٢/١٥٦) ، وضعفه السمين في الدر المصون ، وصحح أنها للبيان متعلق بمحذوف أي : تُبين . (٤/١٩٩) . وإلى هذا ذهب الزمخشري في الكشــاف (١/٦١٩) .

أراد لقـــوم ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ عليهم . فـــدل ماهم على ما عليــــهم . إن قيـــل :
كيـــف يكون حكم أحسن مـــن حكم إذا كانا حقين قد يحكم أحد الحـــاكمين [٣٣٢/ب]
بعلم يحكم الآخر بغلبة ظـــن ، وكلاهما حســـنان ، والأول أحســـن ، وقـــد
يجتهدان في حكمين وأحدهما أقرب إلى الحكم نحو إجتهاد داوود وســـليمان [١] .

قوله تعـــالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [٢] الاتخاذ الاعتماد هاهنا ، وأصله افتعـــال من الأخذ ، والأخذ حوز الشيء وذلك تـــارة بالتنـــاول ، وتـــارة بالاعتمـــاد عليه ، وتارة بالإهلاك [٣] نحو : ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [٤] الآيـــة ، نزلـــت في عبـــادة بـــن الصـــامت [٥] ، وعبـــد الله بـــن أُبي [٦] [٧]

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة الأنبياء آية (٧٨).

(٢) سورة المائدة آية (٥١) .

(٣) انظر اللسان مادة أخذ ، والمجمل مادة أخذ وذكره الراغب في المفردات مع تغـــير يســـير في اللفظ انظر مادة أخذ .

(٤) سورة النازعات آية (٢٥) .

(٥) عبادة بن الصامت بن قيس بن أحدم بن فهر الأنصاري الخزرجي أبو الوليد المـــدني ، أحـــد النقباء شهد بدراً ، روي عنه أبو إدريس وجبير بن نفير ، وهو أحد من جمع القرآن وكـــان طويلاً جسيماً مات بالرملة سنة ٣٤هـــ وله اثنان وسبعون عاماً .انظـــر الكاشـــف (٥٧/٢) ،والتقريب رقم (٣١٥٧) والتهذيب (٣٢٤٢).

(٦) في الأصل عبيد والصواب ما أثبته ولعله تصحيف .

(٧) عبد الله بن أبي :- عبدالله بن أبي بن سلول ، كان رأس المنافقين ورئيـــس الخـــزرج والأوس

لما تبرأ [١] عبادة من مولاة اليهود ، وتمسك عبد الله بها وقال أخاف الدوائر [٢] .

وقيل : نزلت في (أبي) لبابة بن المنذر لما نصح لليهود وأشار بأنه الذبح ، وقال ابن عباس والحسن : إنها نزلت في نصارى بني تغلب [٣] قال قوم إنهم كبني إسرائيل في جواز أكل ذبائحهم [٤] ، لأنه قال : ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ . قوله عز وجل : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [٥] . أي

=

أيضاً ، كانوا قد اجتمعوا على أن يجعلوه ملكاً عليهم في الجاهلية . وهو القائل: ﴿ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ ﴾ في غزوة بني المصطلق ونزلت فيه سورة (المنافقون) وهو المقصود بقول: ﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ في حادثة الإفك .

انظر السيرة النبوية لابن هشام (١٩٨/٢) . البداية والنهاية (٢٣٨/٣، ٢٣٩) ، وذكره أبو حيان أيضاً ضمن أسباب نزول الآية منسوباً إلى عكرمة انظر البحر المحيط (٥١٩/٣).

(١) هذا هو الصحيح إستناداً لما ذكره المفسرون في سبب نزول الآية ، انظر تفسيرالألوسي (١٥٧/٢) ، و تفسير الرازي (٣٧٥/١٢) ، والذي في الأصل خبراء .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن عطية ابن سعيد ، انظر (٢٨٥/٦) .

(٣) بني تغلب: نسبة إلى تغلب قبيلة معروفة وهي تغلب بن وائل بن قاسط من نسب معد بن عدنان انظر الأنساب (٤٦٩/١).

(٤) ذكر الرواية تفسير الألوسي ونسبه لابن عباس انظر (١٥٧/٢)، وذكر الجصاص هذا القول في أحكام القران ونسبه لابن عباس والحسن انظر (١٠٠/٤).

(٥) سورة المائدة (٥٢) .

ترى المنافقين يسارعون في الدخول في جملتهم ، وقيل : يسارعون في مرضاهم ، والدائرة : دوران الأمر من قولهم والدهر بالإنسان دواري [١] . والدورة والدولة يتقاربان [٢] ، والفتح قيل فتح مكة [٣] ، وقيل : بل نفعاً أتى من الله [٤] . والأمر هاهنا واحد الأمور يأتي بأمر لا يعرفون سببه ووجه إلزامهم في ذلك أن الأمور ضربان : واجب ، وممكن ، وما وعد الله تعالى من نصرة المؤمنين فواجب كونه أي صادق الوجود . يقال : هب أن لك ليس من الواجب إما جعلتموه من الممكنات التي عسى أن تكون ، فأخبر أن المنافقين يميلون إلى الكفار ويقولون لا نأمن أن تكون لهم دولة على أصحاب محمد ﷺ ، وذلك لقلة إيمانهم بما ضمن الله من نصرة المؤمنين وقال تعالى : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ [٣٣٣/أ] مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ . على ما فعلوه ، ونبه أنه يأتيهم بذلك ، فإن عسى منه واجب [٥] ، قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ

---

(١) ذكره في المفردات و لم ينسبه انظر مادة دار

(٢) قال في المفردات: الدورة والدائرة في المكروه كما يقال الدولة في المحبوب انظر مادة دار. والدولة مصدر وهي في المال انظر مادة دول.

(٣) نسبه الألوسي إلى السدي ، انظر تفسيره (١٥٨/٢) ، وكذا أبوحيان في البحر المحيط (٥٢٠/٣) . وفتح مكه كان في العام الثا من الهجري إنظر مكه والمدينه قي الجا هلية وعصرالرسول صلى علية وسلم (٥٥١)

(٤) لم أقف عليه عند غير الراغب .

(٥) وقد ذكر السيوطي في الإتقان قولاً نسبه لابن عباس والشافعي بيّن أن كل عسى في القرآن من الله فهي واجبة انظر (٣٠٤/٢) وانظر البرهان (٦٢٠/٢).

﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [١] . أي أقسموا أن يوالوكم على [٢] الكفار ، ولم يفعلوا ، وقوله : ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي أبلغ الإيمان وأقصاها من قولهم جهد في الأمر ونصبه على المصدر [٣] ، وقوله : ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ يصح أن يكون معطوفاً على ما حكى عن الذين آمنوا ، ويصح أن يكون استئناف كلام من الله على طريق الإخبار ، وعلى طريق الدعاء عليهم [٤] . وإذا قرأ : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [٥] فتقديره : عسى الله أن يأتي بالفتح [٦] ، وأن يقول الذين آمنوا . وقرأه أهل المدينة ، يقول الذين آمنوا بغير الواو . وإنما قال :

---

(١) سورة المائدة آية (٥٣) .

(٢) وفي الأصل (توالكم أيها) والصواب ما أثبته اعتماداً على ما ذكره القاسمي في محاسن التأويل (١٤٥/٦).

(٣) انظر تفسير الألوسي (١٦٠/٢) ، والدر المصون (٣٠٥/٤) .

(٤) ذكر الألوسي قولاً قريباً من هذا المعنى . انظر روح المعاني (١٦٠/٢) .

(٥) هذه الآية فيها قراءتان :

الأول: (ويقول): بإثبات الواو قبل يقول مع رفعها ونصبها وهي قراءة أبي عمرو والكوفيين وعلي بن نصر غير أن أبا عمرو نصب (يقول).

الثانية: إسقاط الواو وهي في مصحف مكة والمدينة والشام ومن قرأ بذلك ابن كثير المكي وابن عامر الشامي ونافع المدني وهي قراءة موافقة لمصاحفهم ورواياتهم ومن قرأ بإثبات الواو مع الرفع فهي موافقة لمصاحفهم ورواياتهم ،وأما قراءة الواو مع نصب الفعل بعدها تحتاج إلى بيان وانظر قول السمين الحلبي في الدر المصون (٣٠٢/٤) وانظر السبعة ص(٢٤٥) ،والحجة (٣٩٥/٢) ،ومشكل إعراب القرآن (٢٢٨/١) والتفسير الكبير (٣٧٦/١٢).

(٦) الأصل (الفتح) والصواب ما أثبته اعتماداً على ما ذكره في الدر المصون (٣٠٢/٤).

﴿ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ فخص لفظ الإصباح [١] لأمرين : أحدهما : لما كان أكثر محاربتهم وغاراتهم وقت الصباح كثر عبارتهم عن التغيرات وعلى هذا قول الشاعر [٢] :

يَا راقداً الليلَ مسروراً بأولــه إنَّ الحوادثَ قَدْ يَطْرُقنَ أسـحاراً

والثاني : أنه لما كان بالإصباح انتهاء الظلمة ،وانتشار الأشعة ،وظهور ما كان بالليل مستتراً خص [٣] ،فأصبحوا تنبيهاً على زوال غمة الجهالة وظهور الخفاء كقولهم في المثل لما يظهر : بزغ [٤] الخفاء بداء الصبح لذي العينين ، ونحو ذلك . وقوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٥] . قرأ أهل المدينة من يرتدد وذلك لغة [٦] . قوله ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي لَيِّني

---

(١) والصُبْحُ والصَّباح :أول النهار وهو وقت احمرار الأفق بحاجب الشمس انظر المفردات مادة صبح ،و لم أقف على قول الراغب عند غيره.

(٢) لم أقف على هذا البيت عند غير الراغب والحوادث جمع حادث وهي النازلة العارضة والسَّحَرُ هو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار اتظر المجمل مادة حدث وسحر .

(٣) في الأصل (أخص) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٤) بزع بمعنى طلع ، و لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٥) سورة المائدة آية (٥٤) .

(٦) انظر الدر المصون (٣٠٦/٤) ، ونسبها لابن عامر ونافع ، وكذا أبو حيان في تفسيره

الجانب على المؤمنين ، كما قال : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ (١) والآية ، وقيل : هي فيمن ارتد في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، وقيل : فيمن كانوا مع النبي ﷺ (٢) ، والأظهر أنه فيهم وفي غيرهم ، وأنه [٣٣٣/ب] وعد تعالى أنه يحفظ دينهم بقوم رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ويتحرى مرضاتهم ويتحروا مرضاته ، وذلك كقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ (٣) . ﴿ وَإِن

=

(٥٢٣/٣) ، وقال وهي لغة الحجاز ، والزمخشري ف اليكشافه (٦٢٠/١) ، والرازي في تفسيره (٣٧٧/١٢) ، وانظر السبعة (٢٤٥).

(١) سورة الإسراء آية (٢٤) .

(٢) ذكر الرازي في تفسيره (٣٧٧/١٢) ، أن من ارتد في عهد أبي بكر الصديق هم فزارة قوم عيينة بن حصن ،وغطفان قوم قوة بن سلمة القشيري ،وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة ،وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر ،وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل وأما من ارتد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هم بنو مدلج وهو الأسود العنسي ،وبنو حنيفة قوم مسليمة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد.

(٣) سورة التوبة آية (٣٨-٣٩) .

﴿تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [١] . وقد تقدم حقيقة محبة الله للعباد ومحبتهم له [٢] ، وجعل من حقيقة محبتهم لله أن وصفهم أنهم أذلةٍ على المؤمنين ، أي متواضعين [٣] ، فالتواضع الانقياد لما يورث رقة [٤] والتعزز على من يورث صعبة ، وفي وصفهم بذلك وصف ينفي الجهل عنهم ، وحصول العلم لهم ، وتهذيب أنفسهم فإن التواضع ثمرة العلم وتهذيب النفس ، وقد تقدم أن الجهاد ضربان : مجاهدة الغير ، وذلك إما باللسان ، وإما بالبنان ، ومجاهدة النفس ، وذلك بإصلاح القوة العلمية ، وإصلاح القوة العملية . المجاهد إمَّا [مجاهد للنفس] [٥] ، وإمَّا لشياطين [٦] الإنس والجن ، قال بعضهم :- جهاد النفس أن لا نتركها تفتر عن الطاعة ، وجهاد الشيطان أن لا يجد منك فرصة فيأخذ منك حظاً [٧] ، وجهادُ العَدُوَّان تدنوا من صفة المسلمين [٨] .قوله:﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ ﴾أي الجهاد في سبيل الله ، وما ذكر به المقدم للذين يحبهم ويحبونه:﴿ يُؤْتِيهِ ﴾ أي المستحقين.قوله عز وجل:﴿إِنَّمَا

---

(١) سورة محمد آية (٣٨) . وقد ذكر الألوسي بمثل ذلك ، انظر في تفسيره(٢/١٦٤) .

(٢) تقدم عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة آل عمران آية (٣١) .
وانظر تفسير الراغب الأصفهاني تحقيق ودراسة د/ عادل الشدي (١/٣١٩) و (٢/٥٢٠) .

(٣) ذكره الزمخشري بمثل هذا المعنى في الكشاف (١/٦٢٣) ، و تفسير الرازي (١٢/٣٨١) .

(٤) في الأصل (رفقة) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف .

(٥) مجاهد للنفس ساقط من الأصل وأثبتها بالرجوع إلى المفردات مادة جهد.

(٦) في الأصل (وإما شياطين) والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

(٧) لم أقف عليه عند غير الراغب.

(٨) في الأصل عن والصواب ما أثبته ولعله تصحيف.

وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1] (المائدة: ٥٥-٥٦)، الولي والمولى : متقاربان ، لكن الوليّ من الأسماء المتضايفة ، ويقتضي أن من واليته مواليك[2] ، وقال : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾[3] . وقال في موضع : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[4] ، وقال : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا ﴾[5] وقال: ﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْۖ ﴾[6] ، لما نهى عن موالاة [٣٣٤/أ] الكافرين خاطب المؤمنين بأن لا يغتروا بهم ،وأن يعلموا أنهم مواليهم الله ورسوله والمؤمنون ثم وصف المؤمنين الذين يوالوهم ، فقال : ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يوفون حقها ، لا الذين وصفهم بقوله : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾[7] الآية .﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ تقديره : من يتول[1]

---

(١) سورة المائدة آية (٥٥) .

(٢) انظر المفردات مادة ولى ذكر معان قريبة منه . وانظر اللسان مادة ولي ، ذكر بمثل هذا المعنى .

(٣) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

(٤) سورة محمد آية (١١) .

(٥) سورة الدخان بعض آية (٤١) .

(٦) سورة الحديد بعض آية (١٥) .

(٧) سورة النساء آية (١٤٢) .

هؤلاء فهو من حزب الله ، وحزب [٢] الله غالب ، فإن من يتـــول الله ورســـوله غالب .﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ قيل : أي خاشعون كقولـــه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [٣] . وقيـــل : عَنِيَ ركوع الصلاة ، وذلك نزل في علي رضي الله عنه ، فإنه تصدق بخاتم وهـــو في الصلاة ، فالراكع يريد به الركوع الذي هو أحد أركان الصـــلاة . واســـتدل بالخبر والآية على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها ،[٤] وفيه دلالـــة علـــى أن الصدقة النافلة تسمى زكاة [٥] . قوله عز وجـــل :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا

=

(١) ولى: الولاة والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما ويستعمل في معنى الفاعل أي الموالي وعلى هذا الآية انظر المجمل مادة ولى والمفردات مـــادة ولي، ومعـــاني القرآن للنحاس (٢/٣٢٦).

(٢) حزب : الحزب هم جماعة فيها غِلَظٌ . وحزب الله أي أنصاره . انظر المفردات مادة حـــزب وانظر المحرر الوجيز (٢/١٤٥).

(٣) سورة الروم آية (٣٩) .

(٤) الحركه في الصلاة كلبس ثوب ، ولف عمامة، وقتل حية وعقرب بشرط ألايكثر منها ، فإن فعلها بلا ضرورة بطلت صلاته • وبه قالت الحنفية . إنظر الروض المربـــع (ص/٣٦)

(٥) وقد ذكر مثله الطبري في تفسيره (٦/٢٨٨) . وقد ذكر الرازي في هذا قولاً مطـــولاً انظـــر تفسيره (١١/٣٨٦).

نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[١] الذين آمنوا هم المخاطبون في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾[٢] ، والمذكورون في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ونهاهم عن موالاة المتهكمين بدين الحق أي عن الاستعانة بالمشركين ، وقد روي أن قوماً من اليهود أتوه ليخرجوا معه، فقال عليه الصلاة والسلام :(**إنا لا نستعين بمشرك**)[٣] ، وقد تقدم[٤] أن الاستعانة بهم لا تجوز على وجه يكونون هم الغالبون . فإما أن يستخدموا في المهن ، وما يورثهم المهانة لا العز فجائز . قُرِئ[٥] ﴿ وَٱلْكُفَّارَ ﴾ بالنصب ، معطوفاً على قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا ﴾ ، وبالجر

---

(١) سورة المائدة آية (٥٧-٥٨) .

(٢) سورة المائدة آية (٥٤) .

(٣) الحديث من رواية عائشة رضي الله عنها :أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يريد بدراً أخرج معك فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إنا لا نستعين بمشرك). أخرجه مسلم في صحيحه في (٣٢) كتاب الجهاد والسير ، (٥١) باب كراهية الاستعانة في الغزو بكافر بلا حاجة ،أو كونه حسن الرأي في المسلمين رقم (١٨١٧). ولفظه مطولاً. قال الزيلعي في نصب الراية :ذكره الجماعة إلا البخاري انظر (٤٣٣/٣).

(٤) تقدم في سورة آل عمران آية (٢٨) ، وانظر ص (٥٠٢/٢-٥٠٣-٥٠٤) من رسالة د.عادل الشدي .

(٥) قراءة النصب : ابن كثير ، نافع ، ابن عامر ، وحمزة على معنى (لا تتخذوا الكفار أولياء) ، وقرأه الحفص : أبو عمرو والكسائي ، وأمال أبو عمرو الألف انظر النشر (٢٥٥/٢) والدر المصون (٣١٦/٣). انظر زاد المسير (ص/٢٧٣) ، وكلا القراءتين صحيح . انظر تفسير الطبري (ص٦/٢٩٠).

معطوفاً على قوله : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وعنى بالكفار من عدا أهل [٣٣٤/ب
الكتاب من ملحد وعابد وثن (١) ، وقوله :﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

تنبيه: إن من شرط الإيمان مضامة التقوى ، ومن شرط التقوى الغضبَ لدين الله ، وتركُ موالاة من اتخذ دينكم هزواً ولعباً ، ومن لا يغضب لدينه فليس بمؤمن حقيقة . وقوله : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ وداخل في صلة الدين ، ومن تمام وصفهم كأنه قيل : اتخذوا دينكم هزواً ولعباً واتخذوا الصلاة هزواً ولعباً إذا ناديتم إلى الصلاة (٢) ، وهذا تخصيص بعد العموم ، أي يتخذون الدين جملةً هزواً ولعباً ، ويتخذون النداء إلى الصلاة كذلك ، ونحوه قوله :﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ (٣) و﴿ مِّنَ ﴾ في قوله : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ للتبيين وإظهار ذلك من (٤) يفعل ذلك وليس هو التخصيص(٥).

---

(١) وهذا يؤيد قراءة ابن مسعود (ومن الذين أشركوا). انظر مختصر الشواذ (ص/٣٩) والدر المصون (٣١٦/٤) .

(٢) روي أن منادي رسول الله ﷺكان إذا نادى إلى الصلاة ، وقام المسلمون إليها قالت اليهود :- قوموا لا قاموا ، صلوا لا صلوا ، على سبيل الإستهزاء والضحك ، فنزلت الآية . قال ابن السائب ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٧/٣) . والمناواة :- هي الآذان . والقرطبي في أحكام القرآن (١٤٥/٦)، والبحر المحيط (٥٢٧/٣) و تفسيرالرازي (٣٨٩/١٢)و تفسير القاسمي (١٥٧/٦) .

(٣) سورة الجاثية آية (٩) .

(٤) الذي في الأصل (عن) والصواب ما أثبته.

(٥) على اعتبار أنها تفيد بيان الجنس ، والمعنى : نهاهم أن يتخذوا المستهزئين أولياء ، وبيَّن أن المستهزئين صنفان : أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، وكفار عبدة الأوثان وهذا على

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٤٥١٦
٠٠٥٢٧٣

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى – الدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

تفسير الراغب الأصفهاني

المتوفي في حدود سنة ٤٥٠ هـ

دراسة و تحقيقاً

من سورة النساء آية (١١٤) وحتى نهاية سورة المائدة

الجزء الأول

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الطالبة

هند بنت محمد بن زاهد سردار

إشراف فضيلة الدكتور :

محمد الخضر الناجي

١٤٢٢هـ

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : هند بنت محمد زاهد سردار كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : الكتاب والسنة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : الكتاب والسنة.
عنوان الأطروحة : ((تفسير الراغب الأصفهاني المتوفى في حدود سنة ٤٥٠ هـ دراسةً وتحقيقاً من الآية (١١٤) من سورة النساء وحتى نهاية سورة المائدة))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٣/١١/١٢ هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم : د/ محمد الخضر الناجي	الاسم : ا.د/ أمين محمدعطيه باشا	الاسم : د/ أحمد عطا الله عبد الجواد
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

يعتمد
رئيس قسم الكتاب والسنة
الاسم : د/ مطر أحمد الزهراني
التوقيع :

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم